







مَجَلَّةُ الْأَنْفَرِ

مَجَلَّةُ شَرْيَةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْأَنْفَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرِ عَرَبِيٍّ



المجلد الثاني والثلاثون

السنة ١٣٨٠ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFAT TRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org

مَجَلَّةُ الْإِنْهَارِ

مجلة شهرية جامعة

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المستشار
إدارة اجتماع الأزهر
بالقاهرة

ت ١ ٤٦٤١٤

تصدر عن شيخنا الأزهر في أوق كل شهر عربي

الجزء الأول — المحرم سنة ١٣٨٠ هـ — يونيه سنة ١٩٦٠ م — المجلد الثاني والثلاثون

سماحة الأستاذ

س. ذكريات المحرم

هجرة في سبيل الله وشهادة في سبيل الحق

بمعلم: أحمد حسن الزيات

مساط، لحول مكة المشركة جبلا من السعير
سد على الرسول طريق الدعوة، فكان
يخطو في طرقها وشعابها على أرض تمور
بافتون وتفور بالعذاب، وتفجّر عليه في
كل خطوة سفاهة أبي لبّ بالأذى والهون
والمعاينة والمعارضة — وكل قرشي كان
يومئذ أبا جهل أو أبا لهب إلا من حفظ الله.
وافتن كفار مكة ومشركو الطائف في أذى
الرسول فعذبوه في نفسه وفي أهله وفي صحبه
ليحملوه على ترك الدعوة فالان ولا

— ١ —
بعث الله النبي الكريم على فترة من الرسل
في عصر غير ذي دين، وجيل غير ذي خلق،
وبلد غير ذي زرع : فلقى صلوات الله عليه
من سفه الجاهلية وكذب المادية وكيد العصية
وحرمان الفقر وخذلان القلة ما لا يسعه
طوق بشر إلا برّوح من الله وسند من
الإيمان وعون من الخلق .
حمل محمد رسالة الله وهو فقير ضعيف ،
وحمل أبو جهل رسالة الشيطان وهو غني

والانصار ، وعاهد بين المسلمين واليهود ، حتى تكتسب في يثرب جيش الله الذي ففتح الدنيا بفتح مكة .

لم تكن هجرة الرسول هرباً من وجه الموت كما يسميها كتاب الفرنج . فإن الأمر لو كان أمر الحياة لترك الرسول الدعوة وظل عزيزاً في قومه آمناً في سربه ، ولكنه أمر الله الذي قال فيه لعمه أبي طالب : والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته . إنما كانت الهجرة خروجاً من أرض نبت على الغراس الإلهي فلم تدعه ينبت ، وتحولا عن قوم صدوا عن سبيل الله فلم يدعوها تؤدي . وما كانت دعوة الحق في مكة إلا غيثاً أنزله الله في يباب القفر فغاض بعضه في سباح الأرض واحتبس بعضه في أصلاد الصخر ، ثم نفس الله عنه من شدة الضيق والحصر فانبثقت عنه الحواجز الصم فجري سيولا في السهول والأودية ، وتشعب ينابيع في القرى والمدائن ، يحمل الخصب والنماء ، ويوزع الرى والغذاء ، فأحيا موات الأرض ، وروى غلة الناس وكان منه العمار والحضارة والخير .

كانت هجرة الرسول إلى المدينة هي هذا الانبثاق الذي انساح به الاسلام في أقطار الأرض يحمل الهدى للأرواح الحائرة ، والسلام للنفوس المحروبة ، والآلة للقلوب

استكان ولا خضع . وحيث تدخل الشيطان بنفسه في (دار الندوة) فقرر القتل ، وتدخل الله بروحه في (غار ثور) فقدر النجاة ! .

كانت ليالى الغار أحلك ليالى الهم في تاريخ الدعوة : سيوف الغدر مصلته في أكف الفتية المختارين من قبائل قريش يرقبون مشوى الرسول بعيون لا تغفل ، وعلى نائم في فراش ابن عمه متسجياً ببرده يوم القوم أن طلبتهم بين أيديهم حتى لا يطلبوها في مكان آخر . والمهاجر الفار بدينه من صولة الكفر لائذ بالغار في أسفل مكة محصن نفسه بذكر الله ، ويطمئن قلبه بسكينة الصبر ، ويقول لصاحبه وهو لا يتقار من الخوف ولا يتماك من الآسى : « لا تحزن إن الله معنا » . والمؤتمرون حين كشف لهم الصباح عن وجه الخديعة يطالبونه في كل مكان ويرصدونه بكل سبيل ، حتى إذا لم يبق بينهم وبين الرسول والصدِّيق إلا نظرة وخطوة ، أراد الله أن تدرك قدرته كلمته فطمس عين الباطل فلم ير ، وزلزل قدم الشرك فلم يلحق ، وانطلق محمد هو وصاحبه ودليله وخادمه على عيون المشركين في الطريق الموحيش الوعر حتى بلغوا طيبة . وهناك بالصبر والصدق والإيمان والرجولة أثمر غرس الدعوة وتم نور الله . جمع الرسول شتات الجماعة ، ووثق عقدة الدين ، وأعد أهبة الجهاد ، فألف بين الأوس والخزرج ، وأخى بين المهاجرين

المختلفة ، ويحقق لهذا الانسان طريد العدوان
وعبد الطغيان أحداث أحلامه وهو اجس
أمانيه ، من الأخوة التي يعم بها النعيم ، والمساواة
التي يقوم عليها العدل ، والحرية التي تخصب
بها المدارك .

كان حادث الهجرة الذي جعل عامه عمر
الحكيم العظيم تاريخاً للسلبين يحسبون منه
أيامهم ويؤرخون به أحداثهم ، ملحمة من
ملاحم البطولة استمدت إلهامها من إوحى الله ،
وروحها من خلق محمد ، وعملها من صدق
العرب ، واستقرت في مسامع الأجيال
والقرون مثلاً مضروباً لقواد الانسانية
يعلمهم الصبر على مكاره الرأي ، والاستمسك
في مزلق الفتنة ، والاستبسال في مواقف
الحمة ، والاستشهاد في سبيل المبدأ .

ثم كانت الهجرة أساساً لصرح الوحدة
العربية أرساه الرسول في المدينة ، ثم قواه
بفتح مكة ، ثم أعلاه خلفاؤه الراشدون
بجمعهم العرب بأديهم وحاضرهم على نظام
ديمقراطي حر ، وفي حكم تيوقراطي منزه .
فأصبحت السيادة للدين لا للنسب ، والإخاء
في الله لا في العصب .

— ٢ —

ثم انصدع هذا الصرح بالفتنة الكبرى
واشتداد النزاع على الإمامة بين علي
ومعاوية ، أو بين هاشم وأمية ، وما اقتضته
سياسة الأموي الأول من تغليب العصبية
القبلية على القومية العربية ، وإثارة السياسة

الدنيوية على السياسة الدينية ؛ وجعله ولاية
العهد لابنه المستهتر بطريق لا سليم ولا مستقيم ،
واستبداد الأموي المريض بقلب خليفته يزيد .
وكان بنو علي قد ورثوا عنه ماورثه هو بحكم
مولده ومرباه من مناقب النبوة ومواهب
الرسالة ، فتولوا المعارضة بصراحة المؤمن ،
وقادوا حركة الإصلاح ببسالة المجاهد ، وساسوا
الناس بسياسة أبيهم ، فما قارفوا الأثرة ،
ولا حاولوا الفرقة ، ولا راقبوا الفرصة ،
ولا أثاروا العصبية ، ولا استخدموا المال ؛
ولكن دنيا الفتوح كانت يومئذ قد أخذت
تتجاهل دنيا البساطة والزهد ، فلم تعد السياسة
الدينية وحدها قادرة على كبح النفوس
المفتونة بسرف القصر في الشام وترف العيش
في العراق ، ففسد أمر بني علي بين طغيان
الحكومة وخذلان الشعب . وشق على الحسين
أن يرى دعوة جده تصير دعاية ، وخلافة
أبيه تنقلب ملكا ، ووحدة قومه تصبح
شتم ، فنهض بنفسه للأمر وأخذ يستنفر
القبائل ويستنصر الأحزاب فما رجع
من سعيه لديهم بظائل . ورأى له القدر
المقدور أن يلتمس النصره عند شيعة أبيه
في العراق ، وكانوا قد وعدوه بالرسول ،
ومنوه بالرسائل ، أن يريضوا له الأمر
ويجمعوا عليه البيعة . فشخص إليهم بقومه ،
وكانوا لا يزيدون على الثمانين ، فيهم
نساؤه وأولاده ، وهو يردد في نفسه ما قاله

انصدعت فلم تلتئم منذ يومئذ حتى اليوم .
لذلك يستقبل المسلمون عامهم الهجرى
بوجوهن مختلفين ومظهرين متباينين : بعضهم
يذكر به انتصار المهاجر العظيم فيلتناه بوجه
منبسط وقلب معتبط ؛ وبعضهم يذكر به
استشهاد المجاهد الكريم فيلقاه بصدر ملتاع
ووجه مكتئب ، ولو أن وحدتنا ظلت جامعة
لاستقبلناه بوجه واحد ورأى جميع ، وتركنا
في ذمة التاريخ تلك المأساة التي شعبت الطريق
وفرقت الإخوة وأوهنت العقيدة ، وفوضنا
إلى مالك يوم الدين الفصل بين خصوم ذهبوا
في سبيل الغابرين منذ ثلاثة عشر قرنا وربيع
القرن ، فيسأحهم الله بفضله ، أويجازيهم بعدله .
وذلك هو الأخرى بأمة التوحيد ، وزعماءها
الذين ادخرهم الله لتجديد دعوته وتوحيد كلمته
هم اليوم بسبيل التأليف بين القلوب ، والتوحيد
بين المذاهب ، والتوفيق بين المصالح ، لينقطع
الخلاف ويجتمع الشمل ، وليس من الحكمة
أن تختلف صحايبان في صدر الإسلام ثم يظل
الناس على اختلافهما يختلفون ، ولا من
العدالة أن يأكل الآباء الحصرم والأبناء
يضرسون ؟

أحمد مكي الزيات

لأخيه محمد في وصيته : « لأن لم أخرج
أشرا ولا بطرا ، وإنما خرجت لطلب
الإصلاح في أمة جدى ، أريد أن آمر
بالمعروف وأنهى عن المنكر ، فمن قباني
بقول الحق فالله أولى بالحق ، ومن رد على
هذا صبرت حتى يقضى الله بيني وبين القوم
بالحق ، وهو خير الحاكمين » .

ولكن جيش يزيد وكله من أهل العراق اعترض
سبيله إلى الكوفة وفي قلب قائده العدوان وعلى
لسانه التحدى ، فقال بل ابن زياد الحلم بالسفه ،
والمنطق بالعناد ، والإباء بالتحرش ، وحمل
الحسين حملا على قتال يائس ، ثم منعه ورد
الفرات وأورده ظمآن حوض المنون ، فقتل
سبط الرسول ومن معه قتلة لا يزال يرعد
من هولها الدهر !

— ٣ —

هاتان ذكريان يخطرهما على البال حلول
شهر المحرم من كل عام : ذكرى هجرة الرسول ،
وهي عيد انطلاق الدعوة المحمدية من حصار
مكة ، وانبثاق الرسالة الإلهية في أفق المدينة ،
وانعتاق الإنسانية كلها من رق الجهالة .
وذكرى مصرع الحسين ، وهي مأتم الحق
المقتول والحق الخنول والوحدة التي

من ينابيع الهجره

للإمام المسلمين الأكبر

السبحه محمود سنانوت

دعوتهم ويكون لهم فيه وجود وكيان يمكن لهم من حياة تحوطها العزة وتؤديها الكرامة ويدعمها التعاون والحب لتوثق ثمرتها وتؤدي رسالتها .

وهكذا أصحاب الدعوات القوية : دعوات الحق واليقين التي يضيق بها أهل الباطل في أجوائهم التي يعيش بها . أصحاب هذه الدعوات يرتادون لها الجو الذي يناسبها والمكان الذي يقبل الغرس والتربة الخصبة ليكون نباتها حسناً وزرعها يانعاً (والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا) .

ولقد ارتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مكاناً خصبت تربته حيث غرس بيده الكريمة ولسانه الطيب وخلقه العظيم ، ودعوته الحكيمة وقلبه المليء بالخير يحملها إلى الإنسانية في حب وإخلاص - غرس شجرة التوحيد الخالص في قلوب أظهرت استعدادها للزود عن هذه العقيدة التي حلت في نفوسها واستقرت في حنايا ضلوعها ، وبذا كانت الهجرة حدثاً من الأحداث الإسلامية الكبرى التي يجب

ثلاثة عشر عاما تقضيها دعوة الإيمان القوية في أصولها العميقة في فكرتها بين أرجاء مكة وشعابها وبين هضابها ووديانها لا تمضي في طريقها إلا في كبت وضيق ، وفي عنف وإرهاق ، وبين بأس وشدة - هذه المدة الطويلة دفعت المؤمنين بهذه الدعوة التي امتلأت قلوبهم بها إلى أن يفكروا - وهم يومئذ في العدد في أن يهجروا هذا الجو الذي أفسدته العقائد الفاسدة والشرائع الباطلة والعادات الهزيلة التي كان لها في هدم الإنسانية والقضاء عليها ما ليس للعاول ولا لأدوات التخريب .

أجل ، لقد استقر في نفوسهم أن يهجروا هذا الجو الخائف الذي ضاق بهم وبدعوتهم إلى مكان آخر امتلاً برجال يقتحمون العقبة عن إيمان وصدق وحب ووفاء ، بل ويمدون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يد البيعة على بذل المهج دونه والوقوف من ورائه ، يمنعون عما يمنعون منه أهلهم وأبناءهم ويتم بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم العهد على توحيد الله وعبادته سبحانه عباداً خالصة . لقد رأى المؤمنون على قلوبهم أن يهجروا جو مكة إلى مكان تستقر فيه

ولا غاية سامية يقصدون إليها ولقد منيت
بهذه الروح أمم كما منيت بها أفراد تعميمهم
الآهواء والشهوات عن إدراك رونق الحق

وبهائه فيتنسكبون الطريق السوى ويضلون
ضلالاً بعيداً ، فإذا بهم عقبات أمام كل إصلاح
وظلمات في طريق النور ، ولكن سرعان
ما تزول هذه العقبات وتبديد هذه الظلمات
وتنقشع كل سحابة في هذا الطريق ، وإذا
بنصر الله يؤيد ، وبقوة الله تدفع
مادام صاحب الدعوة مؤمناً بها ورجل
الإصلاح حريصاً عليه فلا غرو أن افسد
الله سبحانه مؤيداً لنبيه كل تدبير للشركين
وأحبط عملهم ، أصحهم وأعنى أبصارهم
وأخرج رسوله محفوقاً بالعزة والكرامة ، إذ
أخرجهم الذين كفروا ثانی اثنين إذ هما
في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا .

لقد كانت الهجرة بداية انتصار كما كانت
بداية بناء لأعظم صرح حمى الإنسانية وأعلى
شأنها وبذا تركت قلوب قريش تغلى كالمرجل
فوق النار المتقدة تتبخر منها أفانين الخلق
على سهام طاشت ، ومكر ردت نصاله في
نحورهم ومكايد ذهبت أدراج الرياح وهكذا
يذهب الله كل عبث يراد به تثبيط الهمم أو
الوقوف أمام المثل والأهداف .

أجل إن الهجرة التي تمت آتت أكلها
وأثمرت ثمرتها فامتدت غصون الدعوة ما بين
المشرق والمغرب فأبدل الله بها ظلمة الإنسانية

أن تظل في قلوب المسلمين تحمل لهم سمات
العظمة التي تدفعهم إلى بناء أمجادهم ودعم
حياتهم .

لقد كانت الهجرة التي هاجرها الرسول
صلى الله عليه وسلم وصحبه هجرة إلى المبادئ
السامية، فهي هجرة التوحيد البرى، والإخلاص
في أعظم صوره وأنقى ألوانه . هجرة يحوطها
التوكل الصحيح ومحبة الخير للخير: هجرة صحبتها
العقيدة الصحيحة التي ترجع بالحوال والطول
إلى الله سبحانه لا تعرف إلا الإنابة إليه
والاستعانة به .

هذه المعاني السامية التي نهضت بالإنسانية
من كبوتها ، وأنفذتها من وهاد جاهليتها ،
كشفت لها أنها ما خلقت عبثاً ، وأنها خلقت
للإصلاح لا لتفسد في الأرض ولا لياكل
قوى الناس ضعيعهم أو يسفكوا دماء
بعضهم أو يقيموا على التحاسد والتباغض
فتعمهم الفرقة ويسودهم التخاذل وضعف
الشوكة .

تلكم هي بعض المعاني التي هاجر إليها
النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه .

إن لأهل المبادئ والإصلاح والمثل العليا
والقيم الذاتية أعداء يندفعون وراء أهوائهم
الماسحة وشهواتهم الضالة ليحولوا دون
انتشار الحق وذبوعه وأمثال هؤلاء خفافيش
لا يحيون إلا في ظلام ولا يعيشون إلا في
وهم وضلال . ليس لهم هدف صحيح يدركونه ،

صدورنا لترسم خطته صلى الله عليه وسلم في الإصلاح؟ تربط العقيدة الواحدة بين أفراد الأمة ، والأخوة بين عواطفهم لا أثر ولا طوائف ولا سيد ولا مسود؟ .

هل لنا أن نتخذ من حادث الهجرة عظة وعبرة فنهجر الرذيلة لنبنى في أمتنا صرحاً عالياً من الفضيلة وأن نملا فراغنا وفراغ شبابنا بالعمل النافع الجاد وأن نخلق فيهم رقابة الضمير الذى يدفعهم إلى أن يهجروا كل فساد وبغى ويسيروا إلى كل نهضة وإصلاح .

إننا نريد أن نتخذ منه عنوان حياتنا الذى يتطلق فيها مصباح الهداية الإلهية فيضىء ويوجه ويعمل جاهداً في تخليص الإنسانية من تلك الظلمات التى تجعلها على شفا حفرة من نار العداوة والحقد والتحاسد ، وفي تخليصها من الباطل الذى يكاد يغطى على عقول كثير من أهل البغى والظلم والعدوان وفي تخليصها من الباطل إلى الحق الذى يبنيها ويهيئ الخير لها إن آباءنا قد بنوا أمجادهم على أساس من الإيمان بفكرتهم وصدق في دعوتهم وحرص على دينهم وعقيدتهم فهل لنا أن نكون كذلك لتكون منهم ومثلهم نرجوه حقق الله الآمال للأمة الإسلامية الجامعة . والله المستعان .

محمود سنوت

نورا وجهلها علما وفوضاها نظاما وجمعت في الوقت نفسه بين قلوبهم بعد التفرق « فأصبحوا بنعمة الله إخوانا وصاروا أمة واحدة ذات هدف واحد ومنهج واحد وإيمانهم باق راندهم ، وتلبس مصلحة الجميع عنوان حياتهم ، لا أثر للفردية فيهم ولا للأناية بينهم ولا تعرف العصبية الهوجاء طريقهم ، وإنما التواد والتعاون والمساواة والتراحم والتعاطف والإيثار دستورهم ومبادئهم وكل أمة تعتر بمثل هذه المبادئ أمة تقف في وجه اللطامات فتردها وفي طريق البغى والعدوان فتصدده فتحيا عزيزة لا تعرف الهوان كريمة لا تقبل الذل وبذا يتضاعف الخير عندها وتزايد سعادة أفرادها .

وهكذا ظهر بالهجرة الوجود الدولى للأمة الإسلامية في هذه البيئة الجديدة التى أحسن الله بنائها بقوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، .

فهل لنا ونحن في فاتحة العام الهجرى نودع عاماً هجرياً ونستقبل عاماً آخر . هل لنا أن نتخذ لحياتنا عبراً من هذا الحادث العظيم الذى أسس به محمد صلى الله عليه وسلم أمة وحصن دعوة ، وبلغ رسالة وأدى أمانة ؟ وهل لنا أن نتخذ من حادث الهجرة ما ينير لنا الطريق ويشرح

فَنُّ جَدِيدٍ مِنْ فَنُونِ الدَّعْوَةِ

للأستاذ عباس محمود العقاد

وربما صح أن يسمى فن الإقناع الآلى ، أو فن الاضطراب إلى الاختيار ، ولكن لابد - على أية حال - من التفرقة بينه وبين ضروب أخرى من المعارف والفنون تشاركه

في الإقناع وتختلف أحيانا كثيرة في الوسيلة والأداة ، ومنها علم المنطق وهو الإقناع بالبرهان ، وفن الخطابة وهو الإقناع بالكلام المؤثر ، وفن الدعاية وهو تصوير الأفكار والآراء على الصورة التي تسوق المخاطبين إلى القيام بعمل مرغوب فيه أو اجتناب عمل مرغوب عنه ، فإن الفن الجديد من فنون الدعوة يعتمد على وسائل شتى للإقناع وتبديل الآراء والأخلاق غير البرهان والكلام المؤثر وأساليب العرض بالدعاية العامة سواء منها أساليب الكتابة والخطاب وأساليب التصوير والتمثيل .

أولا : بث المذاهب والآراء ويصح أن نسميه بالتلقين أو الإيحاء ، ترجمة لكلمة Indoctrination ومعناها الحرفي « المذهبة » أو الإنظار من « النظر » ، أو النظرية .

وثانياً : غسل الدماغ ترجمة حرفية لكلمتي Brain washing .

وثالثاً : توجيه الأفكار ترجمة لكلمتي Thought Control وقد تترجم بالسيطرة أو الرقابة على الأفكار .

والتلقين هو أهون هذه الأساليب ؛ لأنه يستخدم في الحالات التي تحاط فيها قدرة الملقن ببعض القيود ، فلا يستطيع أن يتسلط كل التسلط على الشخصية التي يحاول تلقينها ما يريد ، ويلجئون إليه أحيانا في معاملة

ويكفى أن نذكر فارقا واحداً تظهر منه سائر الفوارق بين هذا الفن الجديد وبين تلك الفنون ، فنقول إن هذا الفن قد يصل إلى تبديل آراء الإنسان من النقيض إلى النقيض بعملية جراحية أو تبديل الشخصية ، في تكوينها العقلي ، فلا يدري صاحب الشخصية كيف حدث التحول

الأسرى الذين يخشى آسروهم أن يشتدوا في معاملتهم لأن أمثالهم من الأسرى موجودون في المعسكرات الأخرى ، وقد ينتهى الأمر بعد فترة محدودة إلى تبادل الأسرى بين الطرفين ، فإذا اشتد هذا الفريق في معاملة أسراه فقد يشتد الفريق الآخر مثله أو يذيع الأمر في الهيئات الدولية إذا كان فيه شيء من المخالفة للبعاهدات والشرائع المتفق عليها .

وتقوم وسائل التلقين على الإكثار من الأسئلة التي لا خطر لها في ظاهر الأمر غير استطلاع حالة المسئول والنفوذ إلى أسرار مزاجه من مجرد ميله إلى التبسط في الكلام أو إلى التحفظ في الجواب أو إلى المراوغة التي يعرف لها سبب من الأجوبة نفسها أو تدل على سبب يتيسر الوصول إليه من معاودة السؤال .

فإذا كتب السائل للمسئول مائة سؤال فمنها السؤال عن اسمه وأسماء أبويه وإخوته والسؤال عن معيشته الأولى وعن مسكنه وعن جيرانه وعشراته في صباه ، ومنها السؤال

عن شعوره نحو نظام من النظم الاجتماعية أو نحو عظيم من عظماء قومه وعظماء الأقاليم الآخرين ، ومنها السؤال عن زواجه أو عن خطبته أو عن خطيبته أو عن أصهاره ، ومنها السؤال عن علاقاته الجنسية وعن رأيه في المحرم منها والمباح والمألوف منها وغير المألوف .

وقد يسأل الأسير عن أسباب وقوعه في الأسر وعن الفرقة التي كان فيها عند أسره . وعن زملائه الذين وقعوا مثله في الأسر أو تمكنوا من الهرب فهربوا ولم يستطع هو أن يهرب مثلهم لعجزه عن المقاومة أو قلة اكترائه أو غير ذلك من الأسباب التي تتم على معدنه ومزاجه ولو عمد فيها إلى المغالطة واختلاق المعاذير .

فإذا اطلع الخبير النفساني على مائة جواب لمائة سؤال من هذا القبيل لم يعسر عليه أن يفهم طبيعة المسئول واستعداده لقبول بعض الآراء ونفوره من غيرها وأن يفهم منها مكان الهوى الضعيف أو القوى التي ينقاد منها للإغراء أو للخوف أو للتأثير أو للخداع أو للطاوعة والنفاق إثارة للعافية واستخفافا بمسائل السؤال والجواب .

وهم يقسمون المسئولين إلى ثلاثة أقسام : أحدها عسير لا أمل في تحويله وقد يكون العناء في تحويله أكبر من الفائدة المرجوة من بذل ذلك العناء .

والقسم الثاني عسير يخضع للعالجة بعد حين مع بذل بعض المجهود المستطاع .

والقسم الثالث سهل مطيع خاضع للإقناع والتأثير ، وقد يبدو من أجوبته أنه راغب في التحول عن رأيه قليل المعارضة في موضوع السؤال أو قليل المعارضة للبخالفين له على الإطلاق

إخوانهما عليها بالمقاطعة والاحتقار ، فندما على ما فاتها به بعد أيام ، وهذا مع نجاح الملقنين في تحويل ألوف من الأوربيين والأمريكيين حتى رفض بعضهم أن يعود إلى وطنه بعد نهاية القتال .

أما وسيلة غسل الدماغ ، فقد يقع فيها ما هو أعنف وأسرع وأبلغ أثراً من التلقين بالإيحاء ، وبث الأفكار في الجماعة وعلى أفراد ، وقد تستلزم سحق الشخصية حتى تعجز عن المقاومة بل عن مجرد الرغبة فيها ، فيقبل الإنسان كل ما يلقى إليه ثم يصدقه ويؤمن به ويتعصب له بعد معاودته لرغباته ونشاط فكره وجسده ، ويخرج من العلاج مخلوقاً آخر غير المخلوق الذي بدأت معه المحاولة أول الأمر على غير هواه .

ومن وسائل غسل الدماغ إجراء عملية جراحية في مقدم المخ على الطريقة التي اتبعها بعض الجراحين في ترويض الحيوان الشرس أو الحيوان المريض .

ومن وسائله استئصال الغدد وحقنها بما يضعفها تارة ويضعف نشاطها تارة أخرى ؛ ومنها المعالجة بالعقاقير التي تشل الإرادة ولكنها لا تشل الدماغ عن العمل والاستماع إلى التلقين والتوكيد .

ومنها استخدام العقاقير لتخدير المصاب واستعادة بعض المزعجات التي تغلغل في

ومتى تم هذا التقسيم بدأت وسائل التأثير واستخدمت فيها وسائل التخويف والإغراء ومنها العزلة وزيادة المشقة والإذلال والتمييز في المعاملة ، وأبلغ ما يكون الإغراء أثراً حين يلبس كوامن الأحقاد الاجتماعية ،

والعصبيات القومية والدينية ، ونوازع الغرور والعاطفة ، وأبلغ من ذلك أثراً حين يزول قواعد الثقة بالماضي والحاضر والمستقبل ، ويعم فيه الشك والقلق حتى ينتزع من نفس الفرد كل طمأنينة إلى أمثاله وإلى المجتمع الذي نشأ فيه ، وإلى الأمثلة العليا التي يعلق عليها آماله في الحياة ، ويتحول بمقدار نجاح الملقن في عزل « الشخصية » التي يعالج تحويلها إلى أن تصبح هذه « الشخصية » على أفراد بينها وبين سائر الناس ، فلا تتعقد الثقة بينها وبين أحد ممن حولها ، ولا يكون العالم الإنساني في نظرها غير مجموعة من « النكرات » لا تتميز فيه الملاح والأشكال ، ولهذا شوهده أن المقاومة تشدد وتستعصى على العلاج كلما بقيت للإنسان صلة دينية أو قومية أو فكرية على نحو من الأنحاء ، وقد لوحظ أن الأسرى المسلمين في الحرب الكورية بطلت فيهم الحيل ، فلم يفلح الملقن في استخلاص شيء منهم غير كلمات انتقاد لحكوماتهم فاه بها اثنان بين مئات من الأسرى ، وعاقبهما

وقد امتلأت مكتبة الدراسات النفسية بمئات المؤلفات التي يكتبها علماء النفس والأطباء الجراحون وأطباء الأمراض العصبية والباطنية في موضوع التلقين وموضوع غسل الأدمغة ، فثبت من هذه المؤلفات أن كثيرا من التجارب التي أجريت بعد الحرب العالمية الثانية بصفة خاصة كان لها أثر فعال في انتزاع الأوهام التي غرستها مخاوف الحرب في أذهان المقاتلين وغير المقاتلين ، وأنها قد يساء استخدامها في محاولات غير مشروعة لتخدير الإرادة وإملاء الخواطر التي يرفضها المصاب كل الرضا لو رجع الأمر إلى اختياره ، وقد يعالج بمثلها للخلاص مما أقحم على ذهنه من الدوافع والخواطر ليلك حريرته في العودة إلى ما كان عليه قبل إخضاعه لذلك ، الإقناع بالإكراه .

أما المقصد الثالث من هذا الفن الجديد وهو توجيه الأفكار ، فالجديد منه محدود بما حدث من المخترعات أو بما تداوله الاصطلاح العصرى من أسماء العلل وضروب العلاج ولا نذكر فيما عدا ذلك كشفا جديدا يزيد به المعاصرون على فنون الدعاية التي عرفها الأقدمون وبخاصة دعاة الدولة الفاطمية قبل ألف سنة ، فليس في دعاية العصر من جديد ذى بال يضاف إلى دعاية السر والعلانية التي

باطنه ثم إطلاق العنان لها لكي تبلغ مداها من الثورة الشعورية فيستريح المصاب من المعجزات المكتومة بتصريفها وتحويلها من الباطن المجهول إلى الظاهر المكشوف ، وتنتج هذه المحاولة في أحوال الخوف والغضب ولكنها لا تنجح مثل هذا النجاح في أحوال السآمة والسكابة والاستسلام ، بل لا بد في هذه الأحوال من رد المصاب إلى النشاط النفساني ، ولو بتعريضه لتيارات الكهرباء أو نقص بعض المقادير من المواد الجسدية وزيادة بعضها على نسب مقدورة يختارها الأطباء المختصون لكل مريض على حسب الضرورة .

وقد يعمدون فيما يسمونه غسل الدماغ إلى تحطيم المقاومة الشخصية بالتعب المفرط أو التهويل المرعب أو بالتجويع والإظلام إلى المدى الذي يبطل بعده كل ثبات على المقاومة ، ثم يعمدون إلى علاج العقاقير والكهرباء والوسوسة بالأفكار والنوازع النفسية خلال ذلك بغير إكراه ولا إظهار للرغبة في الإقناع ؛ لأن المصاب ينتهي بعد ضروب العلاج المتقدمة إلى حالة كحالة الطفل الذي يحكى كل ما يراه ويسمعه حكاية آلية لا تفكير فيها ، ثم يرسخ في طويته كل ما رآه وسمعه كذلك بغير تفكير .

حذقها أقطاب الدعوة الفاطمية في تخريج المريدين على درجات إلى التشويق بالأسرار والكنيات إلى اختراع النحل وتنظيم الندوات وعرض المناقشات وتسيير المواكب وإقامة الموالد واستغلال الخفيايا والرموز وتيسير وصول بعض الأفكار وتعسير وصول بعضها أو الاحتيال على وصوله بعد إثارة الشكوك حوله وإحاطته بالتهم والشبهات .

وعلينا أن نذكر في هذا الصدد كما نذكر في كل معرض من معارض البحث ذلك السؤال الخالد : هل من جديد تحت الشمس ؟ والجواب الخالد على ذلك السؤال الخالد أنه لا جديد كل الجدة في أمر من أمور هذا العالم الإنساني المتكرر المتجدد المستعاد على شتى الوجوه والأشكال .

فماذا كان يصنع الوعاظ الأقدمون كلما أئذروا الناس وخوفوهم غضب السماء أو شوقوهم إلى النعمة والغفران أو استثاروا غضبهم على أعداء الحق وأشيايع الباطل وفرقوا أمامهم بين حزب الله وحزب الشيطان ؟

وماذا كان يصنع الناس والهداة كلما اعتصموا بالصيام والعزلة وجاهدوا الجسم والنفس بالرياضة على الشدائد والزهد في اللذة والراحة والإعراض عن مزالق الإغراء والترغيب والصبر على ألوان التعذيب والترهيب ؟ .

لأنهم جميعاً كانوا يعلمون أثر الخوف والغضب في تهية النفوس والأذهان للإصغاء إلى الوعد والوعيد ، وكانوا يعلمون جميعاً أن زمام الروح مرهون بزمام الجسد وأن الفكرة التي تكسر الشرة وتقمع الشهوة ضرورة لازمة لتمهيد سبيل الاعتقاد وتغليب العزيمة على وساوس الشك والغواية .

وقديماً عرف الهداة كيف يغسلون القلوب أو يغسلون « الأدمغة » ، إذا طاب لنا أن نتحدث برموز العصر الحديث ، ولكنهم أقنعوا الناس كما أقنعوا أنفسهم ولم يجهلوا آلات تدار إلى اليمين أو إلى اليسار ؟

عباس محمود العقاد

الحديث المطول

قال أحمد بن الطيب : كنا عند بعض إخواننا فتكلم وأعجبه من نفسه البيان ومنا حسن الاستماع حتى أفرط . فصل ليهض من حضر ملل فقال : إذا بارك الله في الشيء لم يفن ، وقد جعل الله في حديث أخينا البركة .

الكرامة والعزة في القرآن الكريم

للمؤلف محمد محمد المدني

ب - العزة

- ٢ -

عن المنكر ، ويطيعون الصلاة ويؤتون الزكاة
ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرهم
الله ، إن الله عزيز حكيم ، ٧١ / التوبة .
تذكر هذه الآية الكريمة صفات المؤمنين
والمؤمنات ، وتحدث عن هذه الصفات
بأسلوب الإثبات ، وأنها شأن من شئونهم
وطابع هم به مطبوعون .

الصفة الأولى :

د بعضهم أولياء بعض ، . والولاية صفة
تجمع المحبة والتكافل والتناصر ، ففلان ولي
لفلان أى حبيب له وصديق حميم : د ادفع
بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة
كأنه ولي حميم ، . وفلان ولي فلان أى متولى
أمره وصاحب شأنه وكافله ، وفلان وفلان
بينهما ولاية أى تكافل وترايط ، كلاهما
يرى لصاحبه من الحق ما يراه لنفسه ،
وكلاهما يفرح لفرح الآخر ويألم لألمه ،
وهما متناصران ينصر كل منهما صاحبه .

هذه هى المعانى اللغوية فى اللغة العربية

أثبت القرآن الكريم العزة الحقيقية
للمؤمنين ، ولم يقصد أن الناس فريقان مؤمن
وكافر ، فلأولين العزة هبة من الله ومنحة
ومحابة ، وللآخرين الذلة عقوبة ولعنة
وطردا من رحمة الله .

لا ! ولكن القرآن يجعل العزة للمؤمنين
ثمرة لنوع من السلوك والصفات من شأنه
أن يكون فى المؤمنين ، ومن تتبع الأوصاف
التي وصف بها القرآن المؤمنين ، فإنه يرى
المناهج الرشيد ، والصراط المستقيم ، الذى
ينبغى أن يتخذه الإنسان مثالا فى الحياة ،
وأن يطبع نفسه فى جميع تصرفاته بطابعه ،
ليكون كاملا وليقتعد مكانة العزة الحقيقية
عن جدارة واستحقاق .

وأحب أن أعرض لبعض الآيات الكريمة
التي جاءت ببعض صفات أهل الإيمان
كأمثلة لما نريد :

يقول الله تعالى :

١ - د والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون

صفات الإيمان ، هو المجتمع الذى يكون فيه رأى عام حساس غيور ، قوى مسموع ، نافذ الكلمة ، ذلك أن المجتمع الذى ينطوى فيه كل إنسان على نفسه ، وينقطع عن الآخرين ، ولا يهمه أن يصلح الأمر من حوله أو أن يفسد ، إنما هو مجتمع منحل لا يمكن أن يستقر أمره ، وأن يكون سعيداً ولا بد أن يستشري فيه الفساد ، ويكثر المنكر ، ويقل العمل الصالح ، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فى مجتمع ما هو صمام الأمن ، وميزان الصلاحية والاستقامة ، ولذلك يخطئ من يظن أن الإسلام يكتفى من المؤمن بأن يرفع شئون نفسه ، وألا يعاب بما حوله ، وأن يعيش فى مجتمعه غيبشة المنكش المنطوى على نفسه ، تمسكاً بما قد يفهم خطأ من قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ، نعم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ولكن ما معنى « اهتديتم » ، أليس أن آخذ بتعاليم الحق ، وأن أؤدى واجبي حق الأداء ؟ وهل أكون « مهتدياً » ، إذا فرطت فى ذلك ، وعشت على جانب الحياة إمعة ؟ هل أكون مهتدياً إذا عطلت مواهبى ، وحرمت الأمة من قواى التى هى جزء من قواها وحق من حقوقها ؟ هل أكون مهتدياً إذا اعتزلت المصلحين فلم أعاونهم ، والضالين فلم

للولاية والأولياء . ، والمؤمنون متصفون بهذه الصفة ، مرتبطون بهذه الرابطة ، فالأساس فيما بينهم هو المحبة الصادقة الصافية ، والقاعدة عندهم هى التكافل فى الخير والشر ، فى الغنى والفقر ، الحرب والسلام ، مصلحتهم واحدة غير متجزئة ، وأهدافهم واحدة غير متفرقة ، وبينهم تناصر ، فإذا اعتدى على طرف من أطرافهم هبت جموع الأطراف تنتصر له ، وتدافع عنه وتشاركه فى بأسائه حتى تنكشف عنه البأساء ، وتقاسمه ألوان ضرائه حتى تزول عنه الضراء ؛ فهذا هو مجتمعهم ، فهل يمكن أن يذل مثل هذا المجتمع وأن يركع أمام حدث من الأحداث ، أو طاغية من الطغاة ؟ كلا والله !

الصفة الثانية :

« يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وهى صفة لازمة للصفة الأولى ، فإن الولاية بين الوليين تقتضى النصيحة ، وأن تقوم العلاقات على أساس المكاشفة والمناصحة ، لا على أساس المخادعة والمصانعة ، فالولى ينصح لوليه ، يأمره بالمعروف فيؤدى بذلك حتى ولايته ونصيحته ، وينهاه عن المنكر فيؤدى بذلك حق ولايته ونصيحته . وهذه الصفة أيضاً تدلنا على أن المجتمع الصالح ، وهو مجتمع أهل الإيمان ، أو أهل

أحاول ردهم ، ولم أنحايـل لإبلاغ كلمة
الله إليهم ؟ .

الصفحة الثالثة والرابعة :

« و يقيمون الصلاة و يؤتـون الزكاة ، بإقامة
الصلاة إصلاح للنفس ، وتقوية للروح ،
وارتباط بين العبد وربه من شأنه أن يهـذبـه
ويقربه وينهاه عن الشر والفساد ، إن الصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وإيتاء الزكاة
هى صفة المجتمع المتراحم ، الذى يتعاون
أغنياؤه وفقراؤه ، والذى لا يـخـل فيه ولا أثره
ولكن إحسان وبر و معروف .

فمثل هذا المجتمع الراشد العزيز الذى تقوم
عزته على أساس من العمل الصالح ، لا على
مجرد إدعاء الإيمان .

الصفحة الخامسة :

« و يطيعون الله ورسوله ، وهى جماع
الصفات الراشدة ، ما ذكر وما لم يذكر ،
فإنه لا عز إلا فى طاعة الله ورسوله ولاصلاح
إلا بهذه الطاعة يستوى فى ذلك الأفراد
والأمم .

ولذلك يختم الله هذه الصفات التى وصف
بها عباده المؤمنين بقوله : « أولئك سيرحمهم
الله ، إن الله عزيز حكيم » .

والرحمة هى تيسير أمورهم ، وإصلاح
شئونهم ، وكف الأحداث العامة عنهم ،
ودره المصائب أن تحل بهم وتطهير مجتمعهم

كلا ! ولذلك أجدنى دائماً حريصاً على أن
أفهم المعنى فى قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة
يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » ،
على أنه أمر للأمة حاسم بأن تكون أمة هذا
طابعها ، وهذا لونها ، أمة دعوة إلى الخير .
أمة لإحساس بالخير وبالحق ، أمة غيرة على
المعروف تريده وتحب أن يفعل ، أمة غيرة
ضد المنكر تمقته ، وتمقت أن يفعل ، فهذه
الأمة هى التى تفلح وهى التى تقتعد منزلة
العزة (١) ، أما التفسير الآخر الذى يقوم
على أن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر واجبات كفائية إذا قام
بها البعض سقطت - كما يقولون - عن الباقين ،
فإنه تفسير ضيق ، تفسير لا يتفق وغرض
القرآن الواضح فى مثل هذه الآية التى تقول
فى صراحة « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
أولياء بعض يأمرـون بالمعروف وينهون
عن المنكر ، فهى تجعل هذا شأننا عينيا لكل
مؤمن ومؤمنة لا شأننا كفائيا .

(١) و « من » على هذا التفسير « من التجريدية
« لا تبعيضية » على حد قول القائل لى من فلان
صديق حيم أى هو صديق حيم .

وقد أتى على العروبة والإسلام حين من الدهر ظنوا فيه أن الله ينصر (المسلمين) أو (العرب) ليجرد أنهم هم المنتسبون إلى دينه أو رسوله ، فإن كانوا لم يظنوا ذلك علما وفهما ، فقد ظنوه عملا ، حيث اكتفوا بالانتساب وبلقب الإسلام أو العروبة ، وتركوا ميادين العلم خالية منهم ، وميادين القوة خالية منهم ، وميادين الجهاد والنضال خالية منهم ، وبرزوا في ميادين أخرى من التخاذل والتهافت والتقاطع والتدابروا لارتقاء في أحضان الأعداء ومساعدتهم على تقطيع الأوصال ، وإذلال الرجال وتشريد الأحرار ورضوا بالفتات قانعين ، وهم يرون مستعمرهم يخبون وينعمون في خيرات بلادهم ويستخرونهم ما كرين في مصالحهم ومنافعهم ومعايشهم .

فهل يتفق هذا وما يزعمونه لأنفسهم من الإيمان أو الإسلام أو عزة العروبة ؟ .

كلا والله . فإن سنن الله لا ترتبط أبدا بالألقاب ، ولا تنخدع عن الماء بالسراب .

٣ — إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله

من أهل الفساد والباطل والشر ، وارتفاع قيمتهم ومنزلاتهم بين الأمم ، وإيقاع هيبتهم في قلوب غيرهم ، وتلك هى مظاهر العزة والشرف والرفعة ، يهبها الله لمن يستحقونها فيرحمهم بها ، وهو عزيز ، لا يغلب على أمره ، حكيم ، لا يضيع أجر من أحسن عملا .

٢ — ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون .

١٠٥ (الأنبياء) :

تحدث الآية عن سنة من سنن الله السكونية التى لا تبدل ولا تتحول ، والصالحون الذين يرثون الأرض ليسوا هم المدعين الصلاحية أو الصلاح دون عمل وسعى ومثابرة وإخلاص ، ولكن هم العاملون ، وقد وصفهم الله فى آية أخرى حيث يقول : الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرؤا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ورب الأكوان ومدبرها ليس رب ألقاب ولا دعاوى ، فهو إنما يعطى من يستحق العطاء ، ويمنع من يستحق المنع ؛ لأنه ربط عطاءه ومنعه بأسباب ، ولم يجعل هذا ولا ذاك ارتجالا ، ولم يتركه للصادقات والحظوظ التى تخبط خبط عشواء ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فلم يكل عامل عمله ولكل مجتهد نصيبه .

قابعين ، فإذا اعتذروا بأنهم كانوا مستضعفين لم يقبلوا عذرهم وزادهم تأنيباً ، ثم نرى الآيات بعد ذلك تستثني المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، فتفيدنا أنه لا ينبغي للمؤمن أن يسكت على ضيم ، أو يقيم على ذل ، إلا إذا فقد كل حيلة ، وانسد عليه كل سبيل ، فإنه حينئذ مرجو أن يعفى عنه ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم . وانظر إلى هذا الاحتياط العظيم في العبارات التي عبر بها في هذا المجال ، حيث قال : « لا يستطيعون حيلة ، بهذا التعبير الدال على انتفاء أية حيلة ، ولا يهتدون سبيلاً ، بهذا التعبير الدال على انسداد كل سبيل ، ثم باستعمال اسم الإشارة الخاص بالبعيد « فأولئك » كأنه يشير إلى صنف بعيد ، ثم باستعمال « عسى » الدالة على أن هذا أمر يحتاج إلى أن يتقرب بالرجاء لبعده ، ثم بالتعبير بقوله : « يعفو عنهم » وهو مؤذن بأنهم مع هذا أخطئوا لأن الذي يعفى عنه هو الذي قارف الذنب ، ولكن كان له عذر أو بعض عذر ، ثم بإثبات أن مرجع ذلك إلى أن الله « عفو غفور » أي كبير العفو ، عظيم الغفران ، كأنه يقول : لولا كبر عفوه وكثرة غفرانه لما استطاعوا أن يتخلصوا من موقفهم الذي وقفوه . فانظر إلى هذا الأسلوب وإلى ما يوحى به

عفوا غفورا . ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً ، ٩٧ - ١٠٠ / النساء .

ولا نريد أن نتوسع بشرح هذه الآية الكريمة تفصيلاً ، ولكننا ننبه إلى أنها نزلت في سياق نفى القرآن على المتخلفين عن الهجرة حين كانت الهجرة هي السبيل إلى عزة الإسلام ، وهي الوسيلة إلى التقوى والاستعداد لإبطال كلمة الكفر ، فقد وجد فريق ضموا بأنفسهم وبأموالهم وديارهم فلم يهاجروا ، ولم يكن هذا الضن اعتزازاً بها وثقة بأنهم سيقون أقوياء فيها لهم كرامتهم وعزتهم ، ولكنه كان خضوعاً وتقبلاً لما لا ينبغي أن يقبله المؤمن الحق ، من الإقامة على الضيم ، والرضا بالذل ، كان إثارة للعيش الدليل المبين على العيش الكريم ، عيش الجهاد والنضال والتحول إلى ديار ترسم فيها خطة العودة إلى الوطن ، وتخليصه من براثن المفسدين والمبطلين ولذلك اعتبرهم ملومين ظالمين لأنفسهم ؛ لأن الذي يقبل الذل ظالم لنفسه مهين ، ومثل لنا القرآن صورتهم وهم بين يدي الملائكة حين تحضرهم الوفاة ، وقد عجلوا بلومهم وتعنيفهم قائلين لهم ، فيم كنتم ؟ استنكاراً لمكانهم الذي كانوا فيه أذلة

يعلم أن الله عنده أمانات قد ائتمنه عليها ، وأن لرسول الله أمانات يجب أن ترمى ، وأنها له مع إخوانه المؤمنين ، ولإخوانه المؤمنين معه أمانات كل واحد منهم مطالب بأن يؤديها ، فالدين أمانة ، والعلم أمانة ، والحق أمانة ، والانطواء على اللنية الصالحة أمانة ، والحكم أمانة ، والقضاء أمانة ، والعدل أمانة ، والتعليم أمانة ، وبين الزوج وزوجه أمانة ، والأولاد أمانة ، والأموال أمانة ، إلى غير ذلك من جميع وجوه العمل والنشاط والفكر والسلوك ، فإذا اعتقد المؤمن أنه قد أؤتمن على كذا ، وأن عليه أن يكون أميناً على ما أؤتمن عليه ، وجد معنى الرقابة ، التي يسميها القرآن « الثقوى » ، والتي يسميها الناس « الضمير الحى » ، وقد يصف القرآن نفس المؤمن التقى بوصف يفيد معنى الحساب ، وذلك في قوله تعالى : « لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة » ، فيوم القيامة معروف ، وهو يوم الحساب ، يوم أن يأتى الإنسان جزاء ما قدمت يداه ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، والله تعالى يقسم به ، إيذاناً بعظمته وخطره ، ثم يقسم معه بشيء آخر هو « النفس اللوامة » ، أى التى تراجع صاحبها وتساؤه دائماً عما عمل أو عما قال ، أو عما لم يعمل ولم يقل ، وتلومه إن قصر حيث كان يجب أن يعمل أو يقول ، أو إن أسرف

من أهمية العزة والكرامة في نظر القرآن ، ومن سوء مصير الذين يرضون بالذلة والإقامة على الضمير .

لا شك أن هذا بناء قوى لصرح العزة التي يريدها الله للمؤمن ، ولا يجب أن يراه في غير مستواها الرفيع .

٤ — « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ، واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم . يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ، ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ، ٢٧ — ٢٩ / الأنفال .

وهذه آيات ثلاث تتضمن برنامجاً عملياً لإيماننا إذا أحسنّا فهمها ، وفقهنا ما ترمى إليه من تكوين مجتمع ذى ضمير يراقب كل أفراد أنفسهم وأعمالهم رقابة دقيقة .

فالله تعالى ينادى المؤمنين بهذا النداء الحبيب المؤثر « يا أيها الذين آمنوا ، وفيه إيماء بأن رابطة الإيمان وعقده الذى عاقدوا الله عليه ، له تكاليف عملية يجب أن يوطنوا أنفسهم عليها .

فمن هذه التكاليف أن يكونوا أمناء على ما أؤتمنوا عليه ، فلا يخونوا الله والرسول ولا يخونوا أماناتهم وهم يعلمون .

وهذه عبارة قوية عن وصية جامعة ، فالمؤمن

خبيرا بالأمور ، بصيرا بها ، فاحاسة تفرق بين الخير والشر وبين الحق والباطل ، وبين ما ينفع وما يضر ، فذلك هو العرفان الذي يجعله الله لمن يتقيه .

وأحب أن أقول هنا كلمة : وهي أن كنهها من الناس ربما فهم أن التقوى ، خلق ديني روحي يتصل بأنواع العبادات والقربات الروحية من صلاة وصوم ونحو ذلك . ولهذا نجد لفظ « التقى » ، فيما بيننا يطلق على كل من أرخى لحيته ، وحرك سبخته ، وتمتم وهو سائر في الطريق ، أو جالس بين الناس ،

بآيات يقرؤها ، أو دعوات يرددتها ... إلخ . ولكن التقوى أوسع من ذلك ، وقد توجد فيمن ليس كذلك ، وتنعدم فيمن يحرص على المظاهر الجوفاء . والأساليب الخلابية ، إن التقوى - كما قلت ، وكما تدل عليه آيات القرآن وأحاديث الرسول وكلام العلماء هي ذلك الخلق الذي لا يفارق الإنسان حينما كان ، في أى تصرف ، في الملاء وفي الخلاء لأنها هي السر بين العبد المؤمن وربه ، وهي المعيار والمقياس والمكيال والباعث والحاجز فإذا استقر هذا الخلق في مجتمع ، فلا بد أن يصلح أمره وأن يبلغ منازل العزة والرفعة ، وأن يكون سعيدا .

إن التكليف الروحية المطلوبة يسيرة ، فالصلاة مثلا لا تشغل الإنسان أكثر من

حيث كان يجب أن يقتصد . . إلخ ، فهذا هو الضمير الحى أو هو التقوى ، وقد ورد التعبير في القرآن عن هذا المعنى بعبارات أخرى منها قوله تعالى : « إن الله كان عليكم رقيبا » . « ألم يعلم بأن الله يرى » ، « وكان الله سميعا عليا » ، « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » ، فهذه كلها هي أساس تربية المؤمن على خلق المراقبة وغرس معنى الأمانة في نفسه ، وبث هذا في كل ما يتصل به من قول أو عمل أو سلوك أو نية أو دخيلة نفس .

ثم تأتي الآيات بعد ذلك بتحذير قوى من الفتنتين العظيمتين في الحياة : فتنة الأموال وفتنة الأولاد ، وهما السر في أكثر ما يقع فيه الناس من خيانة الأمانات وتجعل في مقابلهما ما عند الله من أجر عظيم لمن لم يتخذ بهما ، ولم يمله أحدهما عن الصراط السوى لأهل الإيمان .

ويأتى بعد ذلك أسلوب النداء باسم الإيمان مرة أخرى « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقا نا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم » ، إذانا بأن سنة الله في خلقه أن من راقب ضميره وحاسب نفسه ، فلن يضيع أبدا ، ولا بد أن يخلصه الله من المآزق والخرج ، ويجعل له فرقا نا ، وربما فر هذا أيضا بأن صاحب الضمير الحى يكون في العادة

تعالى يقول : وسارعوا إلى مغفرة من ربكم
وجنة عرضها السموات والأرض أعدت
للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء
والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله
يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو
ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم
ومن يغفر الذنوب إلا الله ؟ - ولم يصروا
على ما فعلوا وهم يعلمون .

فالقرآن لم يفرض الناس ملائكة لا يخطئون
ولكن فرض فيهم أنهم قد يقعون في الخطأ
أو الإثم والفاحشة ، فلا ينافي ذلك وصفهم
بالتقوى ، ولكن الذى ينافيها هو الإصرار
على الخطأ والاستمسك بالسوء والفحشاء .
هذه التربية الإيمانية ، إنما هى تربية عملية
دنيوية روحية معا ، وهى التربية التى يصلح
عليها المجتمع ، ولا تجدى دعوى الإيمان
بدونها ، ولا تقتعد منازل العزة والكرامة
إلا فى ظلها وتحت رايتها .

محمد محمد المصطفى

عميد كلية الشريعة

بضع دقائق فى كل فريضة ، بينما يوم الإنسان
كله ليله ونهاره ، فيه كثير من التصرفات
الأخرى التى تحتاج إلى أن يكون المرء فيها
متقيا لله كما تحتاج الصلاة إلى رعايتها وإقامتها
وتقوى الله فيها .

فهل ترى الإسلام يهتم بأن يقيم الإنسان
على نفسه رقبيا فى زمن الصلوات فقط ولا
يقيم على نفسه رقبيا فى سائر التصرفات
والأزمان ؟

ثم إن التقوى كخلق لا تتجزأ ، فلا يمكن
أن أكون تقيا لمجرد أنى أؤدى صلاتى
فى أوقاتها وأحافظ عليها ، بينما أنا مقصر
فى عملى أو مسىء لوطنى ، أو مفرط فى شئون
أولادى وأهلى أو كذا أو كذا .

على أن التقوى أيضا لا تستلزم أن الإنسان
لا يخطئ أبدا ، ولا يهفو أبدا ، فإن الإنسان
خطاء ضعيف ، ولكنها تستلزم عدم الإصرار
على الخطأ ، تستلزم محاسبة النفس ولومها
عند الهفوة والذنب ، ومصدق ذلك أن الله

الصادق والكاذب

لو صور الصادق لكان أسداً ، ولو صور الكاذب لكان ثعلباً . وما صاحبهما ببعضين
من هاتين صورتين

نفاية القرآن

لمحات زاجرة من صدر التاريخ

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(أ) إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام

(ب) ثم استوى على العرش

(ج) يغشى الليل النهار ، يطلبه حثيثا .

من طريقه منتهانا في هذا الوجود وما بعد هذا الوجود .

وفي العلم بأولنا وآخرنا من طريق القرآن ما يكتفى ، وأكثر مما يكتفى للتدبر ، والإقناع ، والإيمان ، والتجاوب مع دعوة الله ، والتصديق بكل آياته المتلوة في كتابه ، أو المنشورة في سمائه ، وأرضه ، وفيها بينهما : والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع ، والأبصار ، والأفئدة ، لعلكم تشكرون .

وفي الآية التي أسأفنا من سورة الأعراف يحدثنا الكتاب :

أولا : بأن ربنا هو الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام .

وثانياً : بأنه تعالى استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض .

ومنذا يحدثنا في صدق عن الحلقة الأولى لهذا الوجود : سوى القرآن الذي لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه ؟ ؟ .

أمكن للإنسان أن يتعرض باجتهاده في العلم لتقدير الزمن الذي اجتازته الدنيا ، قبل الميلاد ، أو بعده : استحياء من الآثار ، أو متابعة لنقول مروية عن سلف ، ولسكنه لم يقطع على وجه التعيين بضبط هذا الزمن ، فظلت روايات التاريخ في مد وجزر ، كما ظلت تكهنات الفلسفة - في تصوير الشخصية الإنسانية قديما ، وتدرج الحياة بها ، قابلة للإضافة والحذف والتصديق والتكذيب .

أما الجانب المتعلق بخلق السموات والأرض ، وما يتصل بهما ، فقد زودنا القرآن بشيء من المعرفة عنه ؛ لنذكر - ولو إجمالاً - أولنا في هذا الوجود ، كما عرفنا

ثم لماذا كان الخلق في ستة أيام ، ولم يكن دفعة واحدة ، والله قادر على كل شيء ؟؟ .

لهذا التأتى حكمتان : إحداهما - تعليم الناس أن يترشوا في صنيعهم بالقدر المستحسن حتى لا يأخذهم التسرع ، ويكون التعجل عرضة للخطأ ، وفوات المنفعة ، وفي ذلك ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم : « التأني من الله تعالى - يعنى من سنته في خلقه ، وهدية لعباده - والعجلة من الشيطان ، يعنى من نزغاته ، وقتلته ، ليفوت على الإنسان فرصته ، كما تعجل الشيطان آدم وحواء في تحريضه لما على الأكل من الشجرة التى نهاى عنها ، حتى خدعهما بالقسم والإلحاح ، ثم كان ما كان . وليس القصد من التأتى التراخى في بطنه ، ففرق بين التريث لتمحيص الرأى ، وجمع الفكرة ، ثم العزيمة والتوكل ، وبين الفتور أو التخلف عن انتهاز الفرص ، فإذا عزمنا فتوكل على الله » .

الحكمة الثانية - أن إبداع السموات والأرض على وجه التدرج في ستة أيام ينبى عن ترتيب شيء على شيء ، وتوقف إيجاد على إيجاد كما أحاط عليه ، وتعلقت إرادته ، وقدرته - سبحانه . فلكل صفة من هذه الصفات وظيفة تؤديها في إبراز الممكن من العدم .

وكما يفكر الإنسان منا في إقامة منزل مثلاً ، فيكون المنزل حاضراً في ذهنه وشاخصاً في

وثالثاً : بأنه يغشى الليل النهار : يطلبه حثيثاً . فالله - سبحانه - يفاتحنا في هذا المقام بأمر ثلاثه يسوقها مساق التعليم لنا بما كسنا نجهله ، ومساق التنبيه على ما نحن بغفلة عن التفطن لأسراره - وفي العلم بذلك ، والتفطن لأسراره حافظ على النشاط العقلى ، وتحرر الأذهان من هدأة الركود إلى توثبها في مجال العلم ، واستجلاء ما هنالك من خفايا تزداد بها المعرفة ، وتتجلى بها حضارة الإنسان في دنياه . ففى توجهات الدين وإشادته بما أبدع الله في ملكه أضواء تتيح للعقول أن تكشف عن كثير وكثير ١١ .

ثم مامقدار اليوم من الأيام الستة التى خلق الله فيها السموات والأرض ؟؟ قالوا : المراد باليوم الوقت مطلقاً ، دون تقييد بقدر معين ؛ لأن التقدير إنما حصل بعد تمام خلق الأفلاك وتنظيمها ، ولم يكن شيء من هذا حين خلق السموات والأرض .

والراجع : أن اليوم هو المعروف لنا الآن ، من طلوع الشمس إلى غروبها ، فإن الله يخاطبنا ويخاطب عباده من قبل ، بعد تمام الخلق ، واستقرار النظام للأفلاك ، ومعرفة اليوم الذى يخاطبنا به ، ونستطيع بمعرفته أن ندرك قدرته على إيجاد السموات والأرض في ستة أيام بما نعهده ، فلا ضرورة ، بل لا وجه لتفسير اليوم بغير هذا المعروف .

برفق . . . وإن يشاد الدين أحد إلا غلبه .
 وكان من تشريع الله لليهود أن يتركوا العمل
 الديني يوم السبت للاستجمام والراحة ،
 فالسبت معناه الراحة ، وكان عليهم أن يعظموا
 هذا اليوم ، فلا يزاولوا عملاً غير العبادة
 المطلوبة منهم ، في حدودها المعينة ومع عليهم
 بذلك التشريع يومئذ فقد كانوا ينتهكون حرمة
 السبت ، إذ تكثر الأسماك في البحر أماهم
 فيها فتون على صيد الأسماك ، ناقضين عهد
 الله ، وناكثين لحرمة يوم السبت وكانت حكمة
 الله تعالى تقابل صنيعهم باختفاء الأسماك بعد
 ظهورها ؛ فلا يقومون بحق الله ، ولا يصيبون
 شيئاً مما طمعوا فيه إذ تأتتهم حيتانهم يوم سبتهم
 شرعاً ، ويوم لا يسبتون - أي لا يحترمون السبت -
 لا تأتتهم ، كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون .
 وهكذا شأن بني إسرائيل حتى اليوم : لا يدنيون
 الله بدين حق ، ولا تشبعهم الدنيا بأسرها
 وقد تملكهم الجشع المفرط حتى رخص عندهم
 كل شيء يعترضه سواهم وحتى زعموا سلفاً
 أن يد الله مكتوفة عن العطاء والسخاء وقالت
 اليهود : يد الله مغلوطة ، غلت أيديهم ، ولعنوا
 بما قالوا ، بل يدها مبسوطةتان ينفق كيف يشاء .
 ٢ - المرتبة الثانية بما في الآية - « ثم استوى
 على العرش » .

هناك عرش ولا جرم ، وقد تحقق الاستواء
 عليه من جانب الرحمن سبحانه ، وتقرر ذلك

خياله إجمالاً ثم يختار له الرسم الذي يرضيه ،
 ثم يستخدم قدرته في التنفيذ - والله المثل الأعلى -
 وما يشهد لذلك أن بعض الآيات يفصح عن
 هذا في مثل قوله : « ثم استوى على العرش » ،
 يدبر الأمر ، « وما خلقنا السموات والأرض
 وما بينهما لاعبين » ، « وما خلقناهما إلا بالحق » .
 ثم ما هي الأيام الستة؟ تحديدها بالذات لا تتوقف
 عليه عقيدة ، ولا يتعلق به تكليف عمل ، ولذلك
 لم يرد بتسميتها نص قاطع ، وفي هذا آثار
 مروية تكفي في الجملة لتمييز بعضها عن بعض .
 وأقربها إلى الحق أن ابتداء خلق السموات
 والأرض كان في يوم الأحد ، ثم الاثنين ،
 ثم الثلاثاء ، وهكذا إلى انتهاء يوم الجمعة
 فتكون المدة سنة أيام فقط وتكون التسمية
 مطابقة ، فالأحد هو الأول ، والاثنين هو
 الثاني ، وآخرها الجمعة ، وفيه تم اجتماع
 الخلق وخلق آدم ، على ما أراد الله .

وقد بقي يوم السبت ، وأكثر العلماء على
 أنه لم يكن فيه خلق ، ويبدو واضحاً أن حكمة
 الله في هذا نعييد الناس على عدم الانهماك المتصل ،
 وتفرغهم للراحة ، ولإصلاح شئونهم الخاصة
 في يوم من أيام الأسبوع ، فإن الدأب
 والانهماك يذهبان بالصحة ، ويهددان بالانقطاع
 ولذلك نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن
 إجهاد النفس ، حتى في العبادة - إن لبدنك
 عليك حقاً . إن هذا الدين متين فأوغل فيه

الليل يعقب النهار ، وفي القرآن آيات تشهد بكل ذلك ، فالله تعالى يقول : د والنهار إذا جلاها - يعنى الشمس بعد الظلام - والليل إذا يغشاها ، يعنى يطرأ على النهار ، ويغشى الشمس فيكون الظلام بعد الضوء .

وقد اجتمع المعنيان فى قوله عز شأنه د يكور الليل على النهار - يجعله محيطا به - ويكور النهار على الليل ، يجعله كذلك غاشيا له . وسواء أكان هذا أم ذاك فهو نظام رتيب وسير حثيث ، لا يلاحقه خلل ، ولا وهن وإلى هنا تكون آية الأعراف بيئة المعنى وكافية الهداية .

وقد عززها آيات أخر ، فأية سورة السجدة تؤكد ذلك ، وتزيد عليه أن الستة الأيام كانت لخلق السموات والأرض وما بينهما ثم تأتى آية سورة ق - فتزيد على ما فى الآيتين قوله تعالى : د وما مسنا من لغوب - يعنى مع ما فى هذا الخلق العجيب من عجب ، وماله من شأو ، لم يكن فى الأمر بالنسبة لله تعالى أدنى لغوب : تعب كما يحصل لنا من مزاوله عمل نهم به ، ضرورة أن طاقتنا محدودة وذلك تنويه على عظيم قدرته ، وتنزيهه له عن شائبة العجز ، وتقديس له تعالى عن الحاجة إلى راحة ما ، كما يزعم بنو إسرائيل قبحهم الله : أن الله خلق ما خلق فى ستة أيام ثم استراح من عمله يوم السبت وبعد الذى أسلفنا بقيت لنا حاجة إلى العلم بأمرين :

فى جملة من الآيات ، فالإيمان بما أخبرت به حق ، وعقيدة ، لا تقبل شائبة من تردد ، ولا ترقى إليه شبهة وسكن : مامعنى الاستواء بالنسبة لله ؟ هل هو جلوس بجلوسنا على الكرسي تعالى الله عن ذلك !! أو هو استيلاء وتملك كما نستولى نحن على شيء مملوك ، دون تصويره باستيلائنا ؟؟ ذلك كلام اضطرب فيه علماء !! . ثم ماهو العرش ؟؟ هل يقال : إنه فلك الأفلاك يعنى أعظمها ويحيط بها أو يقال كذا وكذا ؟ والحق الذى لا محيص عنه ، ولا محذور فيه أن الاستواء والعرش مما استأثر الله بعمله فنحن نعرف العرش باسمه فقط ، ولا نحاول تفسير الاستواء عليه بل نؤمن ونطمئن ولا نكلف أنفسنا شططا فيما لم يكلفنا الله ببخشه والتهكن فيه !! .

وظالمنا ر حول ذلك الشأن جدل ، واحتدمت خصومات مذهبية أو اختلطت بحوث وفلسفات ، وركضت أذهان وعقليات وراء تحديد المعنى لهاتين الكلمتين ، ثم لم يكن لهذا نهاية ، فلا حاجة بنا إلى التعلق بلجاج عقيم . المرتبة الثالثة لما فى الآية - د يغشى الليل النهار ، يطلبه حثيثا

يجعل الله الليل غاشيا للنهار وطارئا عليه فيحيل ضوءه ظلاما أو يجعل النهار غاشيا الليل ، فيحيل ظلامه ضوءا ، وكلا التوجيهين صحيح ، وواضح أن النهار يعقب الليل ، وأن

أحدهما - مقدار المدة التي خلقت فيها الأرض وحدها ، والسماء وحدها ، وجواب ذلك في قوله تعالى من سورة فصلت : « قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ، فهذا إيضاح ، لأن الأرض لم تستغرق سوى يومين ... ثم يقول بعد ذلك : « وجعل فيها رواسي من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام ، سواء للسائلين ، يعني وهو الأعم - بعد خلق الأرض في يومين جعل فيها جبالا رواسي من فوقها ، لتحفظ توازنها ، ولم يجعلها في جوفها ، ولا تحتها لتلك الحكمة ، كما نضع نحن على أطراف الشيء ، أو في وسطه ما يثبته ، ويحفظه من التمايل ، وهذا ما صرح به في قوله « وجعل فيها رواسي أن تميد بكم ، أي : أن الجبال تحفظ الأرض أن تهبط إلى ناحية من نواحيها وكان خلق الجبال ووضع البركة في الأرض لتصلح معاشا ، ومزرعة ومنبع للآرزاق وكان كذلك تقدير الأقوات اللازمة للحياة فيها : كل ذلك كان في تمام أربعة أيام : أعني في يومين آخرين أي بعد يومين سابقين في خلق الأرض وحدها ، فتكون مدة الأرض بما فيها أربعة أيام من الستة ويؤكد الله ذلك بقوله : « سواء للسائلين ، يعني أنها أربعة أيام مستوية متكاملة وهذا لبيان حاجة السائلين .

ولكنك تجد الأمر على عكس هذا في آيات أخرى : فالأرض مذكورة قبل السماء في سورة البقرة « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ، الآية - وفي سورة فصلت التي أخذنا منها تقسيط الأيام الستة بين الأرض والسماء كما سبق

وفي سورة طه - « تنزيلا بمن خلق الأرض والسموات العلى » .

ويكون الباقي من الأيام يومين ، وفيهما

في هذا ، وقالوا : إنما ذكرت الأرض قبل السماء في كثير من الآيات ؛ نظراً لاتصال الإنسان بها ، فهو يعيش فيها ، ويستثمرها ، ويشهد معالمها ، ويدرك من منافعها أكثر مما يدرك من معالم السماء ، فخطب بها قبل أن يخاطب بشأن السماء ، وقوله : « بعد ذلك دحاها » قاطع عندهم بما يرونه .

وعلى كل من التوجيهين حقيقة العلم بذلك عند باري السموات والأرض ، ولا ضير علينا من تعدد الاجتهاد في استنباط معلوم لا تناط به عقيدة ، ولا يتفاوت به إيمان ، وهو بحث على يفيد ، ومعرفة تزداد .

والقصد المنشود من هذه الأخبار في الذكر الحكيم إيقاظ الوعي عند الناس لما خلق الله في ملكوته ، وتبصيرهم بما أبدع من آياته ، واستدعائهم إلى اليقين بربوبيته ، والاستقامة على طاعته ، واللياذ إلى جانبه ، والاستعادة به من معصيته .

وهذا توجيه علوي رحيم : والاهتداء به لا يحتاج إلى أسبقية سماء على أرض ، أو أسبقية أرض على سماء ١١ ونسأل الله جل جلالته قدرته وتباركت آلاؤه : أن يهدينا بهديه إلى كمال الإيمان به فهو نعم المولى ونعم النصير ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

فبين الآيات مغايرة في ترتيب ذكر السموات والأرض ، فيكون بينها تعارض في إفادة الأسبقية في الإيجاد لهما ١١ فنحن بحاجة إلى قول فصل .

وقد أشكل الأمر قديماً على أحد الناس فذهب إلى ابن عباس ، وسأله عن التعارض بين ذكر الأرض قبل السماء في آية فصلت وذكرها بعد السماء في آية النازعات ، والأرض بعد ذلك دحاها فقال ابن عباس رضي الله عنهما : أما خلق الأرض في يومين الخ . .

فإن الأرض خلقت قبل السماء ، وكانت السماء دخاناً فسواهن سبع سموات في يومين بعد خلق الأرض . . وأما قوله تعالى « والأرض بعد ذلك دحاها » يعني بعد خلق الأرض ، والسماء بسط الأرض ، وجعل فيها جبالا ، ونهرا ، وبحرا الخ . انتهى ويبدو من هذا أن تأخر الأرض عن السماء في الآيات الأولى ، ليس تأخراً في إيجاد ذاتها بل هي سابقة ، وإنما هو تأخر لما فيها من كائنات تتبعها ، فلا يكون بين نسق الآيات تعارض ، ولا يكون في الأمر إشكال كما يسبق إلى الوهم .

ولكن : هل هذا هو القول الفصل الذي نطلعنا إليه من قبل ؟ لا ندعي ذلك . . فقد تبسط علماء آخرون وخالفوا ابن عباس ، وأكدوا أن السماء سابقة في الإيجاد على الأرض ، وأن الأرض بما فيها كانت بعد السماء ، غلفت أودحيت ، وخلق ما فيها بعد السماء ، واستبعدوا أن يرتاب الإنسان

الدِّينَ وَالْعِلْمَ الْحَدِيثَ

نَزَعَتْ ضَاوَرَةَ خَاطَتِ

لَهُ سَنَاءُ مَحْمُودِ الشَّرْقَاوِي

لها قانونا من قوانين هذا العلم ولا نظرية من نظرياته .

يسأل بعض المسلمين النبي عليه السلام عن الهلال: لم يظهر أول الشهر صغيراً ثم يكبر ؟ ولم لا يكون على حال واحدة كالشمس ؟ . فينزل الله تعالى في ذلك قرآناً هو :
« يسألونك عن الأهلة ، قل هي مواقيت للناس والحج » (١) .

فإذا تأملنا السؤال وجوابه أدركنا ما بينهما من فرق بعيد . فسؤال بعض المسلمين كان عن « السبب » في ظهور القمر صغيراً في أول الشهر ، وعن « السبب » في تدرجه بالكبر ليلة بعد ليلة حتى يصير بديراً كاملاً . ثم السؤال عن « السبب » في اختلاف ما بين القمر والشمس في ذلك . فالشمس ، كما يشاهدون ونشاهد ، تظهر في كل يوم على حالة واحدة وفي حجم واحد لا يتغير بالتدرج من الصغر إلى الكبير .

والجواب : كما نرى في الآية الكريمة ، لم يذكر سبباً ولا علة . بل تحدث عن مشيئة الله

(١) الآية ١٨٩ من سورة البقرة .

مفهوم العلم عندنا - نحن رجال الدين - أوسع وأشمل من مفهومه الحديث . فنحن نقول :

« علم النحو ، و « علم الأصول ، و « علم العروض ، . كما نقول : « علم الجغرافيا ، أو « تقويم البلدان ، و « علم الحساب ، و « علم الفلك ، والهندسة ، وكانوا في وقت من الأوقات يعملون « خصائص الحروف ، علماً :

ولكن « العلم ، الآن له مفهوم أضيق . فهو يطلق على العلوم التي تقوم على التجربة والاختبار كعلم الطبيعة والكيمياء ، والتشريح أو التي تقوم على نظريات حسابية أو هندسية ثابتة . أو فروض علمية تؤيدها القرائن أو المشاهدة .

وليس المفهوم الأول - أي مفهوم رجال الدين عن العلم - خطأ . بل هو اصطلاح قام عليه فهم خاص في زمن خاص . وليس في ذلك شيء من الخطأ أو العيب .

القرآن والظواهر الكونية :

تعرض القرآن الكريم لبعض الظواهر الكونية التي تخضع لمفهوم العلم الحديث ، فلم يضع

وسواء فُسرَت « الروح » في هذه الآية السُكرِيمة بالوحي أو القرآن ، كما يرى الفخر الرازي ويستدل على ذلك بسياق الكلام والآيات السابقة اللاحقة^(١) أو فسرت بالنفس أو السر الإلهي ، على أى تفسير رضىناه للآية السُكرِيمة فقد جاء الجواب ، مبينا لهم أن العلم الذى آتاه الله لهم ليس إلا شيئا قليلا إلى جانب ما يحفلون . وأن هذا الذى يسألون عنه إنما هو من « أمر » الله الذى اختص بعلمه . وبعض الروايات تقول : إن السائلين كانوا من اليهود ، أو من المشركين .

وقد وهب الله للإنسان عقلا ليبحث به ويفكر ويتأمل ويخترع ، أى ليستخدمه في ميسدانه ويفيد منه بما يحقق سعادته وخيره في هذه الحياة ، وليتدبر بعقله هذا وبصيرته في حكمة الله وقدرته وبديع صنعته : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض ، آيات لقوم يعقلون » (٢) .

(١) - هذا أيضا رأى فضيلة الأستاذ الأكبر

الشيخ محمود شلتوت

(٢) الآية ١٦٤ من سورة البقرة .

التي أرادها من ذلك ، وفائدة الناس التي يجب أن يفيدوها من مشيئته تلك في ظهور الهلال صغيراً ثم يكبر . فمن هذا التدرج يعرف الناس مواعيتهم ويقيسون أزمنتهم ويضبطون شئون يومهم وعملهم وسعيهم كما يعرفون مواعيت الحج .

فأله تعالى يقول للسائلين عن السبب في ظهور القمر صغيراً ثم يكبر : أفيدوا من حكمة الله ومشيئته تلك في شئون معاشكم ودنياكم بتنظيم الزمن ، وفي شئون عبادتكم بمعرفة مواعيت الحج . وترك سؤا لهم عن السبب والعلة من غير جواب .

ثم عاد في مواضع أخرى من الكتاب الكريم فبين ذلك وأبرزه واستدل به على قدرة القادر وحكمة الصانع الحكيم . مثل آية : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون » (١) .

ففي هذه الآية السُكرِيمة يذكر الفائدة والعبرة وما فيها من التفصيل لقوم يعلمون فيعتبرون . ويسأل قوم النبي عليه السلام عن الروح فينزل الله تعالى عليه قرآنا هو : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتهم من العلم إلا قليلا » (٢) .

(١) الآية ٥ من سورة يونس .

(٢) الآية ٨٥ من سورة الاسراء .

في هذه الآية : « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء . وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم . فبأى حديث بعده يؤمنون » . (١)

فقد جعل الله ثمرة النظر في ملكوته : أرضه وسمائه هي التأمل والإيمان والامثال وقرن ذلك باقتراب الموت ونهاية الأجل . ولم يتعرض للسبب والعلة والتفسير ، فذلك أمر جعله الله منوطاً بملكه أخرى وهما للناس : هي العقل والبحث التجريبي .

الأفوسى والطيرانية :

هذا من ناحية سياق القرآن وفهمه الذى لا تصنف فيه . وهناك ناحية أخرى واقعية نستطيع بشيء من التأمل أن ندرکها ، وبشيء من الإخلاص أن نجزع من أثرها على القرآن والدين والعقيدة : فهذه « النظريات » العلمية - كما نعرف وكما هو واضح من تسميتها - هي فروض واستنتاجات يذهب إليها العلماء الدارسون لهذه الظواهر ، ويختلفون فيها ويذهب كل فريق منهم حيالها مذاهب شتى . ويتنازعون عنها ويتجادلون ويخطئ بعضهم بعضاً فيها . وليس من الخير ولا من التقديس والكرامة التى يجب أن نحصر عليها في شأن القرآن والدين والعقيدة

ففي هذه الآية نجد أمر الله الحكيم للناس هو أن يتأملوا ويتدبروا في خلقه السماء والأرض ، وفي اختلاف الليل والنهار ، وفي « النظرية الطبيعية » التى تجعل السفن تسير على الماء فتحمل الناس ومتاعهم ومتاجرهم ، « والظاهرة الطبيعية » التى تنزل الماء من المطر فتنبث الحب والزرع والشجر وتجعل « من الماء كل شيء حى » ، كما قال الله تعالى وكذلك مسير السحاب وسوقه من مكان إلى مكان ، وتسخيره بين السماء والأرض ، وتصريف الرياح .

نجد في هذه الآية الكريمة أمر الله الحكيم للناس بأن يتدبروا هذه « الظواهر الطبيعية » كلها ويتأملوها . فسيجدون فيها عبرة وآية لكل من يعقل . كما يجدون فيها مظهراً ودلالة على قدرة القادر وحكمة الحكيم . فهي دعوة للاعتبار بها في تثبيت الإيمان والإحساس ثم الاعتراف بقدرة الله وحكمته .

وكذلك نجد في الآية الكريمة : « إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض آيات لقوم يتقون » ، (١) .

والأمر في ذلك أوضح وأبين وأصرح

(١) الآية ١٨٥ من سورة الأعراف .

(١) الآية ٦ من سورة يونس .

ارفعت أنت الريح رخاء فسارت به فساروا معه ، (١) .

بعد أن يذكر الألوسي هذه التفاصيل عن مركب سيدنا سليمان الطائر . لا يكتفى بذلك بل يتعرض لظاهرة « أو نظرية علمية » أو « اختراع » ، كان يجري علماء مختصون تجارتهم عليه . هي نظرية استخدام الهواء واختراع الطيران .

فالألوسي يسمع عن محاولة اختراع الطائرة وعن تجربة أجريت فيها فسقطت الطائرة ، فيدخل فيما لا يحسن ويتكلم فيما ليس أهلاً له ويتعرض « للعلم » ، فيربط بينه وبين القرآن . مستدلاً - أو محاولاً أن يستدل على معجزة النبي سليمان في ركوب الريح وتسخير الله إياه له . فيقع فيما نرى من الخطأ الكبير . الذي ندرك مسداه الآن ونحن نرى ونسمع ونركب طائرة من صنع الإنسان تسير بسرعة تزيد أضعافاً مضاعفة عن سرعة الصوت . ونسمع ونشهد فذائف أخرى وكواكب تطير إلى القمر وتدور حوله آلاف المرات .

ونحن لا نشك في إخلاص الألوسي حين تعرض للعلم التجريبي واستخدمه في تفسير القرآن الكريم . ولكن لا سبيل إلى الشك أيضاً في خطأ هذا المنزع وضرر هذا الاتجاه

أن تربط بين آيات من الكتاب الحكيم وبين نظريات وآراء وفروض يضعها الناس ويختلفون فيها ويتجادلون عنها ويخطئ بعضهم بعضاً بشأنها . ثم هي قد تخطئ وقد تصيب ، وقد تثبت اليوم ويعترف بها ، ثم تسقط غداً وتنكر . وما أعتقد أن أحداً يحرص على قداسة القرآن وكرامة العقيدة وقدسية الإيمان يرى من الخير أو من السداد أن يربط بين هذه المقدسات وبين « نظريات » هذا شأنها

وليس هذا الذي أقوله فرضاً محتملاً - وإن كان محض احتمالاً وتقديره كافياً للجنح والمعارضة - بل هو أمر وقع فعلاً في تاريخ التفسير ، وفي تفسير القرآن الكريم بالذات ومن مفسر لا ينازع أحد في أنه من كبارهم وشيوخهم ورؤسائهم : هو الألوسي .

يفسر الألوسي قوله تعالى : « وسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين » (١) فيذكر كلاماً كثيراً عن مركب سليمان الذي كان فيه ألف ركن ، في كل ركن ألف بيت ، يركب فيه معه الإنس والجن . تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب . فإذا

(١) ص ٣٨٠ ج ٥ من تفسير الألوسي « روح المعاني » . الأميرية ١٣٠١ .

(١) الآية ٨٩ من سورة الأنبياء .

الألوسى لآية سليمان ، وما يتعرض له كتاب الله المنزل إذا سائرنا هذه النزعة في تفسيره .
« فمنهم من تورع أن يقول في القرآن شيئاً برأيه ، كالذى روى عن سعيد بن المسيب أنه كان إذا سئل عن شيء من القرآن قال : أنا لا أقول في القرآن شيئاً ، وقال ابن سيرين : سألت عبيدة عن شيء من القرآن فقال : اتق الله وعليك بالسداد ، فقد ذهب الذين يعلمون فيم أنزل القرآن ، (١) .

فهذا الفهم ، وهذا التسليم بالقرآن ، الذى فهمه عمر وأمر به كان بعض التابعين يلتزمون أيضاً ويأمر به .

كم من « الحقائق » العلية أى النظريات والفروض التى اعتقد رجال العلم أنها أصبحت من الحقائق الثابتة التى لا شك فيها والتى لم تعد ثم حاجة لمعاودة البحث فيها . كم من هذه « الحقائق » عاد العلم نفسه فنقضها وأقام على أنقاضها فروضا ونظريات أخرى يظن يوما أنها أصبحت « حقائق » ثابتة ، ثم يجرى عليها ما جرى على سابقتها ، وهكذا . وكل من درس شيئاً من تاريخ العلوم والنظريات العلية ، يستطيع أن يجد عشرات الشواهد الدالة على صحة ذلك .

على العقيدة والقرآن . وهى عبرة يجب أن نعتبرها من تجربة الألوسى هذه .

ونحن نرجو أن يكون بعض القوم الذين ينزعون هذا المنزع الخطر فى مثل إخلاص الألوسى فيصرفون عن نزعتهم هذه حين يدركون خطأها وخطرها .

فهم الصحابة للقرآن الكريم :

وهذا الذى يسمونه : « التفسير العلمى للقرآن » ، فوق أنه تكلف وبجازفة وشطط ، يجافى نظرة الصحابة ، رضوان الله عليهم ، للقرآن وفهمهم عنه .

سأل رجل عمر بن الخطاب عن معنى قوله تعالى : « وفاكهة وأبا ، ما هو الأب . . ؟ » فقال له عمر : نهينا عن التكلف والتعمق (١) وما كلفنا هذا ، أو ما أمرنا به .

ونحن نعرف مكانة عمر وفقهه وعلمه . والكلمة التى سئل عنها ليست من « العلم » ولا تفسر ظاهرة كونية ولا تقيم نظرية من نظريات العلم التجريبي ولا تتعرض لكشف عن تلك الكشوف التى يريد بعض القوم أن يحملوا القرآن عليها ، أو يحملوها مالا تحتمل وما لا يجب أن تحمل عليه أو تفسر به . وقد رأينا كيف انتهى تفسير

(١) ص ٢٣٥ من فجر الإسلام للمرحوم أحمد أمين ج ١ الطبعة الثانية .

(١) المواقات للشاطبي : ص ٥٦ ج ٢ - السلفية ١٣٤١ .

غير موجود عندهم. وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا^(١) فالبحث عن نظريات العلوم، والمخترعات الحديثة، والمستكشفات، كإضافة كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين، هذا البحث كهذه الإضافة التي يرى الشاطبي أنها تتجاوز في الدعوى على القرآن لا يحتملها، ولم يفهمها منه الصحابة والتابعون الذين هم أقرب الناس إليه، وأدراهم بمقاصده وإدراك معناه.

والكلمة الحكيمة الصادقة المؤمنة التي قالها مالك . هي خير ما يجب أن نلتزمه في فهم الآيات المتشابهة من القرآن الكريم، وهي حصانة لنا من الخطأ والزلل. والله تعالى يقول: «وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون آمنا به. كل من عند ربنا، وما يذكر إلا أولو الألباب».

«الراسخون في العلم». يقولون: «آمنا به كل من عند ربنا». فكيف بنا - نحن غير الراسخين - على أطف التعابير وأيسر الأوصاف...؟

محمود الشرفاوى

فمن الضرر والبلبلة للمؤمنين أنفسهم، كما ذكرنا من قبل، أن نجعل شيئاً أو أمراً من أمور الدين والعقيدة خاضعاً لهذه النظريات والفروض العلمية أو دائراً معها. فسينال هذا الشيء - أو الأمر - من أمور الدين من التناقض والتضارب والسقوط، ما ينال هذه النظريات والفروض.

وهذا الفهم للقرآن الكريم حقيقة أدركها ونبه إليها من قبل الإمام الشاطبي الذي يقول: «ما تقرر من أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها، وهم العرب، يبنى عليه قواعد منها أن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات، والتعاليم، والمنطق، وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهاها. وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح، ولهذا فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلمومه وما أودع فيه، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى سوى ما تقدم وما ثبت فيه من أحكام التكليف الآخرة وما يلي ذلك. ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة، إلا أن ذلك لم يكن فسدل على أنه

(١) ص ٥٢ من للوافقات ج ٢ - السلفية

الخمر وأخواتها رجسٌ من عمل الشيطان

للأستاذ الدكتور سي. أن دنيا

لقد سولت له نفس أن ينتقم من زوجته في شخص أطفالها وأطفاله ، فحمل ابنه « طرزان » وعمره ثمانى سنوات ، داخل حجرة وذبحه بالسكين ، ولم تنقذه من الموت دموعه وتضرعاته ، لقد استحال هذا الوالد إلى وحش ، وتحول قلبه إلى قطعة من الصخر . ثم فتح باب الحجرة ليستقبل جريمة ثانية : لقد استدرج الوالد القتال ضحيته الثانية : ابنته « تريزة » وعمرها ست سنوات إلى الحجرة التي اختارها لارتكاب جرائمه ، وإلى جانب جثة « طرزان » ألقي الطفلة « تريزة » ، ثم انحنى عليها وفصل رأسها من جسدها ، ورمى بالسكين ، وحمل الجثتين ليلقيهما على الباب وأخذ يصيح « تمالوا شوفوا ، وسرعان ما تجمع أهل البلدة ليشاهدوا أبشع منظر يمكن أن تقع عليه عينا لإنسان) .

هذه واحدة من الجرائم التي تؤدي إليها وتتسبب فيها المسكرات ، فهل رأيت ، أو سمعت عن حادث يقشعر له جلدك ، وتدور من هوله رأسك ، كهذا الحادث ؟ ماذا جنت

وأقصد بأخوات الخمر هنا ، المخدرات من الحشيش والافيون وأضربهما ، فهن أخوات في الشر والإثم والفساد ، يفسدن أحوال الناس وصحتهم وعقولهم .

ولعل القراء قد وقفوا على الخبر الذي نشرته (الأهرام) الصادرة في التاسع من شوال سنة ١٣٧٩ تحت عنوان (مزارع في « أنبوب » يذبح أطفاله ويلقى جثثهم على الباب وينادى أهالي البلدة ليشاهدوا مصرعهم) .

وبما جاء تحت هذا العنوان (أن المزارع « محمد الصبحي » عاد إلى منزله في حالة سكر شديد ، وكانت رائحة الحشيش تفوح من فمه مع رائحة الخمر ، وعاتبته زوجته « بخيته عبد العزيز مصطفى » وهي ترضع طفلها الصغير ، فثار الزوج واستل سكيناً وأخذ يطعن بها زوجته ، فاستغاثت ثم سقطت على الأرض فاقدة النطق ، وعندئذ أغلق الزوج باب منزله ليرتكب أبشع جريمة يرتكبها لإنسان .

تارة ، وفى أدبارها تارة أخرى ، وإن اقتضى الحال نازلوا رجال الأمن وحفظه الحدود ، واشتبكوا معهم فى معارك دامية لا يخيفهم ما ينال أمثالهم من الأشغال الشاقة المؤبدة . وأذكر أنى قرأت أخيراً ، أن المشرع العربى أحس بضرورة تشديد العقوبة على هؤلاء المجرمين ، لجعلها أو سيجعلها (الإعدام) بدلا من (الأشغال الشاقة المؤبدة) وهذا إجراء تشكر عليه حكومتنا أعظم الشكر ؛ فإنه يدل على سداد فى رأى وأصالة فى التفكير ورعاية للصالح العام ؛ فإن العقوبة علاج للجريمة يقصد به القضاء عليها وتطهير المجتمع من أضرارها ، كالعلاج الذى يقصد به التخلص من المرض ، ولا شك أنه إذا لم يصلح دواء لعلاج مرض ، عدل الطبيب إلى دواء آخر ، وهذا هو نفس ما فعله المشرع العربى مشكورا .

وكما يصارع الدواء المرض ، والمرضى الدواء ، تصارع العقوبة الجريمة ، والجريمة تمثل العقوبة - أعنى الحكومة والمجتمع - فأيهما قوى كان له الغلب على صاحبه . فحين تظل الجريمة فاشية - رغم أنف العقوبة - يكون معنى ذلك أن العقوبة أضعف من الجريمة ، وأن الجريمة أقوى من العقوبة ، والطمأنينة لا تتوفر للجماعة والأمن .

هذه الطفولة البريئة ؟ وأين كان حنان الأبوة وعطفها حين أضجع هذا الوالد ولديه ، أحدهما إلى جانب الآخر ، وأجرى السكين على رقبتيهما ، واحدا إثر الآخر ، يجرهما جزءاً ، كما يجر القصاب رقاب الماشية ؟ أين غاب قلبه الذى كان إذا سمعهما يبكيان تفطر لبكائهما ؟ أين ذهب قلبه الذى يرضى له بل يحتم عليه أن يجوع ليشبعهما ، وأن يظماً ليرويهما ، وأن يتعرى ليكسوهما ، وأن يمرض ليوقرلها الشفاء ، وأن يسهر ليمنحهما النوم ، وأن يشقى ليجلب لهما السعادة ؟ كيف تحول قلب هذا الوالد الذى كان مليئاً بحب لا ينضب ، فأصبح مليئاً بقسوة صارت مثلاً فى الحاضرين ، وستبقى مثلاً فى اللاحقين ؟ ما سر هذا التحول فى قلب الوالد الأب ؟ .

إنه المخدر الذى ستر العقل ، وواراه ، بل أودى به ... المخدر الذى سلب الأب الإدراك والتمييز ، المخدر الذى سلب الأب الحنان والشفقة والمحبة ، إنه السم القاتل الذى لا يقتل متعاطيه قتلاً بطيئاً فحسب ، ولكن يقتل معه الطفولة البريئة الغضة ، التى تشبه الزهر فى نضرتة ، والورد فى بهجته . إنه المخدر الذى يهجم علينا من الخارج كما يهجم السيل الذى يجرف كل ما فى طريقه فيتلف ويخرب ، ويأبى المروجون له إلا أن يدخلوه علينا بكل الوسائل ، فهم يخفونهم فى بطون الإبل

شأنه أن يفقد الجماعة أمنها وطمأنينتها ، مع أن توفير الأمن والطمأنينة أول واجبات الحكومة نحو الأمة .

إن التجارب كفيلة بأن تكشف عن خطأ الأفكار الفجة التي يدفع إليها التسرع والغفلة عن العواقب ، وأضح أمام عيني القارىء هذا الخبر الذى نشرته صحيفة الأخبار فى العاشر من شوال سنة ١٣٧٩ تحت عنوان (عصابة سرقة الأطفال بشبين القناطر تخطف تلميذا ، وتطلب مائة جنيه لإعادته ... الشرطة تعثر على التلميذ قبل ذبحه بساعات) .

ومما جاء تحت هذا العنوان (أن حسين دراهم كان مشغولاً بتشجيع جنازة شقيقه ، ولما عاد لم يجد ابنه فى المنزل . فظل يبحث عنه طول الليلة ، فلم يجده ، ولم ينم الأب ولم تنم الأسرة كلها هذه الليلة ... وفى الصباح حضر إلى منزل حسين : والد الطفل المخطوف ، شخصان قالا : إنهما واسطة خير بين الجناة وبين والد الطفل ، وأفهما الوالد أن الجناة يطلبون مائة جنيه ثمناً لإعادة الطفل ، فلم يجد الوالد إلا خمسين فقط ، دفعها ووعده بدفع الباقي عند عودة الطفل ، فأخذ الجناة الخمسين جنيهها وامتنعوا عن تسليم الطفل إلا بعد دفع الخمسين الباقية .

ولما علمت الشرطة ، وضيق على الجناة الخناق ، حمل الطفل أحد الجناة ، وذهب به

لا يستتب ، إلا إذا كانت العقوبة أقوى من الجريمة ، قادرة على إفنائها ، أو تقليلها . فمدول المشرع العربى عن عقوبة (الأشغال الشاقة) إلى عقوبة (الإعدام) حين لم تقدر الأولى على التغلب على الجريمة ، ذهاب مع المنطق السديد الذى يتخذ من العقوبة وسيلة للقضاء على الجريمة .

وإننا لرفع أكف الضراعة إلى الله أن يجعل التوفيق دائماً حليف حكومتنا الرشيدة فتجعل من العقوبة بجميع أنواعها ، وسيلة للقضاء على الجريمة بجميع أنواعها ، وكلما لم تجد فى عقوبة ضمانا كافيا للقضاء على الجريمة ، استبدلتها بما يكفل القضاء عليها . ولعل فى هذه الخطوة الموافقة التى خطتها الحكومة بخصوص تشديد عقوبة الاتجار فى السموم المهلكة المسماة بالمخدرات ، بعد ما ثبت لها أن العقوبة الأولى ، لم تعد كافية للقضاء على الجريمة أو تقليلها .

أقول : لعل فى هذا المبدأ الرشيد ما ينبه إلى خطأ الفئة التى تقوم بين الفينة والفينة تدعو إلى إلغاء (عقوبة الإعدام) فإن الجريمة والعقوبة متكافئتان ككفتى الميزان ، بل المفروض أن تكون كفة العقوبة أرجح ، ليتحقق للجماعة أمنها وطمأنينتها . وإلغاء عقوبة الإعدام سوف يجعل كفة بعض الجرائم أقوى وأرجح ، وهذا من

أولادهم أسواراً من حديد ، فإذا لم تكن هناك عقوبة رادعة تحمي الطفولة من العبث بها وخطفها وقتلها ، أصبحت حياة الناس جحيماً لا يطاق . فليتيق الله أولئك الذين يشجعون على الجريمة بإلغاء العقوبة العادلة المناسبة لها ، الكفيلة بالقضاء عليها ، إن كانوا يؤمنون بالله !! فإن لم يكونوا يؤمنون بالله ، فليرعوا حق الوطن وحق أهله ، فإن التهوين من شأن الجريمة إغراء بها ، وفي الإغراء بالجريمة تغرير بالجناة وتضييع للجنى عليهم ، ولن تطيب لقوم حياة تفشو بينهم الجريمة ، فهم بين غسرجان ومجنى عليه مضيع . فهذه العصابة تستحق أن تلقى عقاباً يكون رادعاً لها ولا مثلاً ، ولعل في القانون ما يكفل ذلك ، فإن لم يكن فباب التعديل مفتوح .

* * *

وأعود إلى الرجل الذي ذبح طفليه ، فأقول : إن الخمر كانت شريكه المخدرات في جريمته ، فقد جاء في الخبر (أن المزارع عاد إلى منزله في حالة سكر شديد ، وكانت رائحة الحشيش تفوح من فمه ، مع رائحة الخمر) .

ويوم تنال الخمر على يد المشرع العربي ما يليق بها من جزاء كما نالت المخدرات ، نكون قد قضينا على عاملين خطيرين من عوامل الشر والفساد في مجتمعنا العربي ، وفقنا الله وهدانا إلى سواء السبيل ؟ .

المركنور - ليمان دينا

إلى الزقازيق ليقتله هناك ، ولما لم يتمكن من قتله تركه في أحد شوارع الزقازيق وهرب) . فتأمل أيها القارئ كيف تبلغ الاستهانة بالأرواح عند غلاظ الأكباد من الناس إلى هذا الحد !! .

فلم يكن الغرض من سرقة الطفل وقتله ، الانتقام من والد الطفل ، أو الأخذ بثأر قبله ، ولكن من الحصول على المال ، ولم يكف الجناة أن يأخذوا من المال كل ما يملكه والد الطفل . بل أبوا إلا أن يأخذوا ما يطلبون . ولما لم يستطع الوالد تقديم ما يطلبون ، حملوا الطفل لينبحوه بعيداً ، كما تذبح الشاة ، بعد أن أخذوا من والده كل ما تملك يده .

فهل مثل هؤلاء يستحقون أن يتقدم منصف في قلبه ذرة من حب للإنسانية ليشفع لهم بعدم القتل لو كانوا قد تمسكوا من تنفيذ جريمتهم ، وذبحوا الطفل ، ولم يرحلوا مصيبة والده في أخيه ، فانهزوا فرصة انشغاله بمواراة جثة شقيقه ، وراحوا يبيعون له دم ابنه بثمان لا يملكه .

فإذا إذن يمكن أن يردع عن أمثال هذه الجرائم البشعة ، لو أمن الجناة القصاص العادل ، الذي يردع عن شيوخها وفشوها ؟ . وماذا يؤمن الناس على أرواح أطفالهم ويحمي دماءهم من أيدي السفاحين السفاكين الذين يتجرون بدماء الأطفال وأرواحهم ؟ . إن الناس لا يستطيعون أن يضربوا على

جعراء الوحدة :

العماد الأصبهاني

للأسناد على العماد

٥١٩ - ٥٩٧ هـ

- ٢ -

يبقى بعض ما قالوا من مدائح نهبا العدو لما نكب العزيز . وقد أشار العماد في بعض شعره إلى أنه من بيت كريم حين استشفع برئيس الرؤساء عماد الدين بن المظفر عند الخليفة العباسي :

وقل : استجار كريم بيتي ، وذو الـ
بيت الكريم يحمد في أحيائه

وكان من خصائص بيت العماد (الشقف) بالثقافتين العربية والفارسية ، ويظهر من استقراء أحوالهم أن العناية بالآداب العربية وبرواية الشعر العربي وقرضه كانت عريضة عند رجال هذا البيت (فكان العماد يجيد الكتابة بالفارسية لإجادته بالعربية : وقد ترجم كتابين من الفارسية إلى العربية هما : (فتور زمان الصدور ، وصدور زمان الفتور) تأليف الوزير أنوشروان بن خالد ، وكتاب (كيمياء السعادة) لابن حامد الغزالي . وقد وفد العماد إلى بغداد مع والده في

واشتهر بالعماد الكاتب ، وهو محمد ابن صفى الدين ، ويرتفع بعض المؤرخين بنسبه إلى قریش ، وإن كانت نشأته بأصبهان ، وهي مدينة فارسية ، ومن رجال أصبهان الذين ينتمون إلى الأصول العربية أبو الفرج صاحب الأغاني ، وأبو العباس أحمد بن محمد الأبيوردی الشاعر المشهور ، وهما أمويان .

نشأ أبو عبدالله عماد الدين في بيت رياسة ، ونبل ، وكان عمه العزيز من أعمدة الدولة في عصره حتى لينسب العماد إليه . فيقال : (عماد الدين ابن أخى العزيز) . وقد ذكر العماد في سبب تأليفه كتاب الخريدة أن الذى بعثه على جمع الكتاب أنه وجد المعاصرين لعمه الصدر الشهيد عزيز الدين الذى ولى المناصب العلية فى الدولة السلجوقية ، ما فهم إلا من أم قصده ووفد عليه واستترفده وكانت المدائح المجموعة فى عمه مجلدات ، فاحب أن يحيى ذكر هؤلاء المساحين ، وأن

سنة ٥٣٤ هـ وعمره إذ ذاك خمسة عشر عاما ،
 في أيام المقتفى بالله ، وفي ذلك يقول : « وكان
 وصولي إلى بغداد في الأيام المفتوية ، وفي
 ظلها المنشأ ، وفي فضلها المربي ، وفي جوارها
 حصل الأمن ، ووصل المنى ، وبخدمتها
 عرفت ، وبنعمتها تعرفت ، وفي جنبها حلا
 الجنى ، وعلا الشنا » (١) .
 واشتغل في صغره بسماع الحديث ، ودراسة
 الفقه ، وكان قد بدأ يتعلم العربية بأصبهان ،
 وقد نبغ في فنون كثيرة ، وتصدر للتدريس
 - فيما بعد - فأقبل الناس على سماع الحديث
 عنه وتلقى الفقه وغيره عليه ، قال ابن كثير :
 « وكان بارعا في درسه يتزاحم الفضلاء لفوائده
 وفرائده . وكانت دروسه في دمشق في المدرسة
 النورية التي عرفت فيما بعد بالمدرسة العمادية
 لكثرة إقامته بها وتدرسه فيها . وقد غفر
 العباد بنفسه ، وقبلها كان يفعل ذلك . فقال :
 ابدا بين همتي وزماني
 في اقتراحى وفي اطراحى ملاحم
 عظمت همتى وهأنا أستصغر
 في المطلب العظيم العظامم
 ما نجا من مطاعن العجز راض
 بملا من عيشه ومطاعم
 وفي عهد الملك العادل نور الدين محمود
 في سنة ٥٦٢ هـ بلغ دمشق واتصل بالفاضي

مهمته :

كانت الفترة التي عاش فيها العباد من سنة

(١) ابن خلكان ج ٤ ص ٢٣٥ طبعة النهضة .

(١) الحريدة - النعم العراقي ص ٣٦ .

يقف عند حدودها ، و يترسم خطى النبي صلى الله عليه وسلم في كل أقواله وأفعاله . وكان في أكثر الليالي يصلي ويناجي ربه مقبلا بوجهه عليه ويؤدي الصلوات الخمس في أوقاتها حتى قال الصليبيون إنه ما ينتصر عليهم بكثرة جنده ، وإنما يظفر عليهم بالدعاء وصلاة الليل . وكان يسمع شكوى المظلوم ويتولى كشف حاله بنفسه ولا يكل ذلك إلى حاجب ولا أمير ؛ لأنه كان يكره الظلم أشد الكراهية ، حتى أنه كان يرى أن الحسنات وإن كثرت لا تنفي بظلم رجل مسلم ، وقد أكثر الغزو والجهاد حتى فتح أكثر من خمسين حصنا ، قال ابن الأثير : « قد طالعت سير الملوك المتقدمين فلم أر فيها بعدد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن من سيرته ، ولا أكثر منه تحريا للعدل . » وقد اتسع ملكه فشمّل الشام وديار الجزيرة ومصر وخطب له بالحرمين الشريفين وبالنين وقد تضمنت مدائح العماد شمائل هذا السلطان ، فمن ذلك قوله :

يا محي العدل الذي في ظله
من عدله رعت الأسود مع المها
يا من أطاع الله في خلواته
متأدبا من خوفه متأوها
مانمت عن خير ولم يك نائما
من لا يزال على الجليل منها

٥١٩ هـ إلى سنة ٥٩٧ هـ من أكثر الفترات أحداثا في تاريخ الإسلام ، وقد ارتبطت حياة العماد ببعض الخلفاء العباسيين أولا ، ثم بنور الدين محمود ، ثم بصلاح الدين الأيوبي .

وفي هذا العهد قويت شوكة الفرنج وأكثروا الغارات على البلاد الإسلامية واتسعت بلادهم وكثرت أجنادهم ، وعظمت هيبتهم ، وزادت صولتهم ، وامتدت إلى بلاد المسلمين أيديهم ، وضعف أهلها عن كف عاديهم ، وتتابعت غزواتهم . وساموا المسلمين سوء العذاب ، واستطار في البلاد شرهم وامتدت مملكتهم من ناحية ماردين إلى عريش مصر لم يتخللها من ولاية المسلمين غير حلب وحماة وحمص ودمشق ، وكان أهل الرقة وحران معهم في ذل وهوان ، ثم زاد الأمر وعظم الشر حتى جعلوا على أهل كل بلد جاورهم خراجا يأخذونه منهم ليسكفوا أذيتهم عنهم ، كما يقول أبو شامة في الروضتين وقد أبلى ملوك المسلمين بلاء حسنا في دفع شر هؤلاء واستئصال شأفتهم ، وعاصر العماد وخدم ملكين من أعظم ملوك الإسلام هما كما سبق نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي .

أما نور الدين فقد عطر التاريخ بسيرته وقد عم عدله ، وانتشر بره وفضله ، وكان إلى جانب شجاعته ، متمسكا بأحكام الشريعة

من الكتاب ، ذلك أن العبارة الثانية معناها أنه كاتب ، والشعر صناعة إضافية عنده ، كما تقول : إن شوقي من كتاب الشعراء ، فشوقي شاعر ، والكتابة شيء ثانوي في فنه .

هذا هو ما استقر في أذهان الدارسين للأدب العربي غير أن صلاح الدين الصفدي يقول : (أرى أن شعره ألطف من نثره) وعلل ذلك بإكثار من الجناس في نثره ، وقد وافقه على ذلك ناشر القسم العراقي من كتاب الخريدة ، وزاد في الأسباب جودة طبعه الشعري ، وسماحة قريحته وانسياقه في مذاهب الفصاحة والركة والسلاطة واتساعه في أفكاره وعباراته في غير اجتلاب ولا تكلف ، وانكشاف معانيه مع استواء لفته وماتتها وشدة قوافيه أحيانا .

ويبدو أن هذا الحكم نظر إلى نثر العماد بعامة : النثر العلمي ، والنثر الأدبي ، ولكن الإنصاف يقتضي أن نفرق بين هذين النوعين من النثر ، فلا شك أنه لا يمكن المفاضلة بين النثر الذي دون به التاريخ وبين الشعر ، وإنما الذي يمكن أن نضع نثره الأدبي وشعره في الميزان وبعد إطالة النظر واستعراض كثير مما كتبه العماد وما نظمته تأكد لي أن العيوب التي هجنت نثره الأدبي من تحميله فوق ما يطيق من ألوان البديع بارزة واضحة في شعره ، وأن الرقة والسلاسة وجودة الطبع

أخلت ذكر الجاهلين ولم تزل ملكا بذكر العالمين منوها وبها به أمر الإله أمرتهم من طاعة ونهيتهم عما نهى وأراك تحلم حين تصبح ساخطا ويكاد غيرك ساخطا أن يسفها وهي قصيدة طويلة ، قال أبوشامة بعد أن أوردتها : « رحم الله العماد فقد نظم أوصاف نور الدين الجلييلة بأحسن لفظ وأرقه . وهذا البيت الأخير مؤكدا قلناه في أول الكتاب من قول الخافظ أبي القاسم رحمه الله في وصف نور الدين رحمه الله : إنه لم تسمع منه كلمة فحش في رضاه ولا في ضجره ، وقل من الملوك من له حظ من هذه الأوصاف الفاضلة والنعوت الكاملة (١) .

وأما صلاح الدين ، فأمره مشهور ، وفضله معروف ، ولا أظن أن أحدا ممن يشدو قليلا . ن تاريخ أبطال المسلمين يجمل فضل هذا السلطان .

فمن العماد :

سبق أن أشرت إلى أن شهرة العماد كانت (الكاتب) وهذا هو ما استقر في نفوس الأجيال المتعاقبة ، فإذا جاء ذكر الشعر فإنما ينسب إليه على أنه من شعر الكتاب ، وشتان في ميدان التمدد الأدبي بين شاعر وشاعر

وهذه التي زينت شعره ، واضحة في نثره الأدبي ، وكل الفرق بين الأثرين أن شعر العقاد عبر كثيرا عن عواطفه الذاتية من حب وكره وشكوى فكان ألصق بالقلوب ، أما الشعر الذي قاله في سرد الحوادث أو في المديح أو في السياسة بصفة عامة فلا يعلو أبدا عن نثره الأدبي الذي قيل في هذه الأغراض .
فن شعره الذي يذهب ما فيه من البديع بحلم الخليم قوله :
وسقى الله عيشنا المقتضى
ورعى الله عهدنا المتقادم
حين عصر الصبا كحالي حال
وهو في مره كأحلام حالم
فليالي العراق بيض من البيض
غوان من الغواني غوانم
وبذاك الجنب أوطان أوطاري
كما أنها مغاني المغانم
ومراد المراد بالعرف زاه
ومراح المراح بالعرف فاعم
وقوله :

وشبا الشباب الطرى طرير ، وأنا أحب أن أجمع محاسن من محاسنهم الدهر المسى ، وأظهر مزايا من غفل عن التحلي بمزاياهم الزمان البذئ . صنف هذا الكتاب وألفه ، ورقت هذا الوشى وفوقته ، وسميته (خريدة القصر وخريدة العصر) لأنها حسنة ذات حل وحلل ، غاية تغبطها على الحسن أقمار السكل . فهذا الكتاب كالروض الأنف يجمع أنواع الزهر ، وكالبحر تضمن على نواصع الدرر ، وكالدهر يأتي بعجائب العبر ، يشتمل على فنون وعيون ، وأبكار للبعاني وعون ، وأصناف فوائده ، وأصداف فرائده .
ومهما يكن من شيء فإن العقاد جرى مع جياذ عصره في ميدان البديع غير أنه أكثر منه ، ومع ذلك أصبح له كالطبع ، فهو في كثير من الأحيان يجيء كأنه غير متكلف ، عفو البديهة ، ذكروا أن القاضي الفاضل والعقاد اجتمعا يوما في موكب السلطان صلاح الدين وقد ثار الغبار لكثرة الفرسان ، وتعجب القاضي من ذلك فقال العقاد مرتجلا :

أما الغبار فإنه

بما أثارته السنابك (١)

والجو منه مظلم

لكن أثارته السنابك

ونداء ناد فإن أندية المنى
مخضرة الأكثاف من أندائه
ومن نثره الجيد قوله في خطبة الخريدة :
« وكنت منذ شئت بارقة الأدب ، وركبت
في استفادة العلم صهوة الطلب ، ذاك وصبا
الصبا في ريعان الهبوب لها مسرى ومسير ،

(١) السنابك الأولى حوافر الخيل والثانية أعلى البيضة التي يلبسها الفارس .

وسيرته فاستفتح به بسنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، والثاني البرق الشامى ذكر فيه الوقائع والحوادث من الغزوات والفتوحات وغيرهما مما وقع من سنة وروده دمشق وهى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة إلى وفاة صلاح الدين وهى سنة تسع وثمانين فاشتمل على قطعة كبيرة من أخبار أواخر الدولة النورية إلا أن العماد فى كتابيه طويل النفس فى السجع والوصف يمل الناظر فيه ويذهل طالب معرفة الوقائع عما سبق من القول وينسيه .

والحق أن كثيرا من نثر العماد فى كتابه (الفتح) يغشى النفس ، ويكسد الخاطر ، وحسبنا أن نعلم أن كل عناوين الكتاب مسجوعة ، ومنها هذا العنوان (ذكر رأى رائب ، عن النظر فى الغاى الغائب ، أسفر عن داء دائب ، وأبان عن غرارة بغرائب) وربما عمد - مضطرا - إلى استعمال الكلمات التى زادها علماء البلاغة عن دائرة الفصاحة ولكن ليس هذا الكتاب ، ولا صنوه البرق الشامى هما كل ما كتب العماد ، بل إن له مؤلفات كثيرة ، وحسبه خريدة القصر وهو فى عشر مجلدات وديوان شعره الذى يقول فيه الصفدى (يدخل فى أربع مجلدات كبار) والذى شبهه ابن السبكي بالبحر الذى لا ساحل له ، ورسائله الكثيرة المنشورة فى كتبه ، ومن هنا قال عنه ابن خلكان أنه أتى فى صناعة

يا دهر لى عبد الرحيم فلمست أخشى مس نابك ومن طبعه على البديع أنه لقي القاضى الفاضل يوما وهو راكب على فرس فقال له : سر فلا كبا بك الفرس ، فقال له الفاضل : دام علا العباد . وكلا القولين يقرأ عكسا وطردا . وهذا ضرب من البديع يسمونه القلب ، وهو من المحسنات اللفظية .

والناقد - وإن أغضى الطرف - عن إكثار العماد من ألوان البديع فإنه لا يستطيع أبدا أن يقره على استخدامها فى الكتب العلمية . والعماد واحد من كتاب قليلين جدا أثقلوا على أنفسهم وعلى القراء فسجعوا حيث لا ينبغى السجع ، ألف أبو النصر العتي (٤٢٧ هـ) كتابه (الميمنى) الذى أرخ به يمين الدولة السلطان محمود الغزنوى . فجاء به مسجوعا وتبعه العماد فألف كتابين مسجوعين فى التاريخ (الفتح القسى فى الفتح القدسى) و (البرق الشامى) فبالغ فى استخدام ألوان البديع ، مما جعل الذين جاءوا بعده يعيرون عليه هذا النهج فى كتابة التاريخ ، قال أبو شامة فى الروضتين : ووصف الإمام العالم عماد الدين الكاتب أبو حامد محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني كتابين كلاهما مسجوع متقن بالآلفاظ الفصيحة والمعانى الصحيحة ، أحدهما الفتح القدسى اقتصر فيه على فتوح صلاح الدين

فأنت ترى أن ما أودعه فيها من الصناعة ليس
بديعا ، وإنما هو إلى لعب الأطفال أقرب .

العقاد والرومة .

علت منزلة العقاد عند نور الدين محمود
وسار صاحب سره ، ولزمه لزوم ظله يقيم
بإقامته ويرحل برحيله ، ويعدد مفاخره ،
ويشد أزر جيوشه التي ظلت تعمل دائبة
لاسترجاع البلاد العربية من أيدي الفرنج ،
كما لزم فيما بعد باب صلاح الدين ، واشترك
معه في كل فتوحاته وغزواته ، وقد اعتمد
عليه صلاح الدين كما اعتمد عليه من قبل
نور الدين ، فأخذ يتغنى بمناقب هذين البطلين
العظيمين ويسجل ما يحرزانه من انتصارات
على الفرنج ، فكان القول في الحروب
الصليبية ووصفها ، غرضا من أهم الأغراض
التي عالجها العقاد نثرا وشعرا ، وقد قال
أبو شامة المقدسي في كتاب (الروضتين) .
(ولم يبق بعد موت القيسراني وابن منير
فخل من الشعراء يصف مناقب نور الدين
كما ينبغى إلا ابن أسعد الموصلى إلى أن قدم
العقاد الكاتب الشام في سنة اثنتين وستين
بعد الخمسة ، فتسلم هذا الأمر ، وعبر عن
أوصاف نور الدين ، ومناقبه وغزواته
بأحسن العبارات وأتمها نظما ونثرا ^(١) .
ومن مدحه في نور الدين .

الكتابة بالغرائب ، وقال يا قوت الحموى
أنه باشر كتابة الإنشاء وأجاد فيها حتى زاحم
القاضي الفاضل بمنكب ضخم ، وكان ينشئ
الرسائل بالفارسية فيجيد فيها إجلدته بالعربية .
وبالغ زكي الدين المنذرى فعده (إمام البلغاء
وشمس الشعراء ، وقطب رحي الفضلاء ،
فاق الأوائل طرا ، نظما ونثرا ، واستعبدت
رسائله المعاني الأبكار ، وأخجلت الرياض
عند إشراق الأنوار ، .

غير أن هؤلاء قد تحملهم عقيدتهم في العقاد
إلى استحسان ما لا يستحق الاستحسان ،
فابن خلكان مثلاً - وهو عندي من أصحاب
الأحكام الدقيقة ، والذوق السليم - يمتدح
هذه القطعة ويعده مبدعا فيها ، وهي ثقيلة
متكلفة ، وهذه هي - وكان كتبها لماحب القاضي
الفاضل - : (طوبى للحجر والحجون من
ذى الحجر والحجا ، منيل الجدا ومنير الدجى
ولندى الكعبة من كعبة الندى ، ولهدايا
المشعرات من مشعر الهدى ، ولل مقام الكريم
من مقام الكريم ، ومن حاطم فقار الفقر
للحطيم ، ومتى روى هرم في الحرم ، وحاتم
ماتح زمزم ؟ ومتى ركب البحر البحر ، وسلك
البر البر ، لقد عاد قس إلى عكاظه ، وعاد
قيس لحفاظه ، ويا عجبا لكعبة يقصدها
كعبة الفضل والأفضال ، ولقبة يستقبلها
قبلة القبول والإقبال .

محمد محمد عيش بلدة
 مالهكم بعدله محمودها
 قد أسبغ الله لنا بعدله
 ظلال أمن وارف مديدها
 غدا ملوك الروم في دولته
 وهم على رغهم عبيدها
 لما أبت هاماتهم سجدوها
 لله أضحى للظلي سجدوها
 إن فارقت سيوفه غمودها
 فإن هاماتهم غمودها
 وهكذا يمضي يتحدث عن أثر نور الدين
 وجهاده لأعداء البلاد وفتح مغالق الحصون
 وذله الفرنج أمام جيشه المتحمس لإعادة الوطن
 إلى أصحابه ، وأن البلاد مقبرة ثغورها ،
 محفوفة حدودها ، ومثل هذا الشعر مما يبعث
 في النفوس العزة ، ويدفعها إلى أن تحافظ
 على أوطانها ، وتعمل جاهدة لاسترداد ما في
 أيدي الأعداء منها .

وكما فتحت بلد تهلل وجه العباد وشعره
 وغنى على قيثارته أهاليج النصر ، فتح نور الدين
 (منبج) فغاضت شاعرية العادتهنى بفتحها
 وتحت على فتح القدس ، وقد كان هذا الأمل
 فتح القدس دائما نصب أعين قادة المسلمين ،
 وشعرائهم وكتابهم ، وكان العاد من أكثرهم
 تحمسا لهذا الفتح ، قضى شطرا من عمره يحث
 عليه ، ويستنهض الهمم له ، فلما تم الفتح في

عهد صلاح الدين نثر وشعر ، بل وكتب
 كتابا وسماه (الفتح) . يقول في فتح منبج
 يهني نور الدين :
 أبشر فبيت القدس يتلو منبجا
 وكمنبج لسواه كالأنموذج
 فانفض إلى البيت المقدس غازيا
 وعلى طرابلس ونابلس عج
 قد سرت في الإسلام أحسن سيرة
 مأثورة وسلكت أوضح منهج
 وجميع ما استقرت من سنن الهدى
 جدت منه كل رسم منهج
 كان توحيد البلاد وتخليصها من أيدي
 الأعداء هدفهم الأكبر ، وغرضهم الأسمى .
 والقلم كالسيف ، كلاهما يجاهد في ميدانه .
 وميدان السيف يتلو ميدان القلم ، وقد كان
 المحاربون آنذاك في حاجة إلى من يحمى
 ظهورهم بسيفه ، ومن يقوى فيهم الروح
 المعنوية ، فقد كانت شوكة الفرنج قد قويت
 حتى طمعوا في مصر ، ووجدوا فيها غائنا
 اسمه (شاور) يواهم ويتجبب إليهم ويكاتبهم
 ولكن نور الدين وجيوشه وعلى رأسها أسد
 الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين استطاعت
 أن تنقذ البلاد من أيدي الفرنج ومن خيانة
 شاور ، فهب العاد يهني شيركوه ويندد بشاور :
 في كل دار من الإفرنج نادية
 بما دهاهم فقد باتوا على ندب

من شرشاور أنفذت البلاد فكم
وكم قضيت لحزب الله من أرب
هو الذي أطمع الإفرنج في بلد الإسم
لام حتى سعوا للقصد والطلب
فتحت مصر وأرجو أن تصير بها
ميسرا فتح بيت القدس عن كشب
وإن ذلك عند الله محتسب
في الحشر من أفضل الطاعات والقرب
ويستمر العماد مع صلاح الدين يذيع محامده
ويحمس جيوشه حتى يكون يوم فتح بيت
المقدس فيكتب عنه رسالة إلى الخليفة العباسي
ببغداد يقول فيها : د وعد الله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض
كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكن لهم
دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد
خوفهم أمنا ، ويمضى يتحدث عن الفتح
العظيم ، والنجاح الكريم ، الذي كان أمنية
عند الملوك الماضين ، وفي القرون الخالية
والذي تقاصرت عنه طوال الهمم ، وهياته
الأقدار لصلاح الدين (وهذا الفتح قد أقدر
الله على افتضاضه بالحرب العوان ، وجعل
ملائكته المسومة له من أعز الأنصار وأظهر
الأعوان) ويذكر في الكتاب فصولا عن
الوقائع التي تقدمت فتح القدس ، ثم يترك
للشعر أن يسجل هذا الفتح المبين ، فيمتدح
صلاح الدين بقصيدة يطول فيها نفسه ، ويوفي

بها على الغاية ، ومنها :
رأيت صلاح الدين أفضل من غدا
وأشرف من أضحى وأكرم من أمسى
وقيل لنا في الأرض سبعة أبحر
ولسنا نرى إلا أنامله الخسا
جنودك أملاك السماء وظنهم
أعاديك جنا في المعارك أو إنسا
ويتحدث عن هزيمة الإفرنج فيقول
مخاطبا صلاح الدين .
كسرتهم إذ صح عزمك فيهم
ونكستهم من بعد أعلامهم نكسا
بواقعة رجبت بها أرض جيشهم
ومارت ، كما بثت جبالهم بسا
بطون ذئاب البرصارت قبورهم
ولم ترض أرض أن تكون لهم رمسا
ومن قبل فتح القدس كنت مقدسا
فلاعدمت أخلاقك الطهر والقدسا
جرى بالذي تهوى القضاء وظهرت
ملائكة الرحمن أجنادك الخسا
ويعيد صلاح الدين الخطبة للخليفة العباس
وكانت قد قطعت الخطبة لبني العباس من ديار
مصر سنة ٣٥٩ هـ في خلافة المطيع العباسي
حين استولى الفاطميون على مصر أيام المعز
إلى سنة ٥٦٧ هـ وذلك مائتا سنة وثمان سنين
فيتخذ العماد من هذه الحادثة أنشودة يتغنى
بها ، لأن ذلك إيذان بجمع كلمة الشعوب

غير المسلمين — أثناء الحروب الصليبية —
في مصر أو في الشام أو في غيرهما من البلاد
الإسلامية ناله أذى من قبل المسلمين ؛ بل كان
الأذى يلحق الرجل الذي يضر بمصالح البلاد
ويعين الأعداء ، ولو كان مسلما ، وحادثة
(شاور) مشهورة متعالة .

والقرآن الكريم واضح كل الوضوح
في هذا الاتجاه ، جاء في سورة الممتحنة قول
الله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم
وتقسطوا إليهم والله يحب المقسطين . إنما
ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم
من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم أن
تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .
وهؤلاء الشعراء الذين عاصروا الحروب
الصليبية كانوا مدركين تمام الإدراك لرسالتهم ،
وكانوا يعلمون حق العلم تعاليم الإسلام ، والعاد
نفسه كان فقيها كبيرا ، والذي كان يهمهم ،
إنما هو أن تتخلص البلاد التي كانت وحدة
ومزقت ، وملك الفرنج جزءا كبيرا منها ، أن
تتخلص من أيدي الأعداء ، وتعود إلى سابق
عهدا يرفرف عليها علم واحد ، ينعم تحت
ظلاله أهلها الحقيقيون على اختلاف مللهم ،
وقد أسهموا بنصيب مشكور في تحقيق هذه
الغاية النبيلة .

على العمري
المدرس بالأزهر

العربية مرة أخرى ، فهنيئاً لل خليفة المستضىء
ويلعن فرحته وابتهاجه بإعادة الخطبة .

قد خطبنا للمستضىء بمصر
وارث المصطفى إمام العصر
وخذ لنا لنصره العضد العاضد
والقاصر الذي في القصر
وأشعنا بها شعار بني العباس
فاستبشرت وجوه النصر
فشكرنا لله إذ تم لنا النصر
ونرجو مزيد أهل الشكر

هكذا كان العاد داعية قويا من دعاة الوحدة
فكل عمل يقرب منها يستثير شاعريته ويحرك
قلبه ، فيرفع صوته ، والسكمة التي كانت
تجري على ألسنتهم ، وتملأ أذهانهم وتشيع
في شعرهم وترهم هي كلمة (الإسلام) . ولا عجب
في ذلك فقد كانوا يحاربون قوما جاءوا من
بلادهم سافرين غير مقنعين يقاتلون باسم
الدين ، فكان من الطبيعي أن يردوا باسم
الدين أيضا .

ولم تكن تعنى كلمة الإسلام أن يقاتل غير
المسلمين على الإطلاق ؛ ذلك أن من مضمون
الإسلام معاملة غير المسلمين الذين يعيشون
في بلاد الإسلام ولا يضررون بالمسلمين معاملة
المسلمين ، وتعاليم الإسلام صريحة في ذلك ،
لهم من الحقوق ما للمسلمين ، وعليهم من
الواجبات ما عليهم ، ولم نعرف أن أحدا من

نشأة النحّو العِرنى للكتورتام حسان

تحميها من غارات البدو ، فكان من ذلك المناذرة في العراق والغساسنة في الشام .
وأما من الناحية الاجتماعية فإن الحياة البدوية نصف الوحشية في الصحراء لم تخل من المناسبات الاجتماعية التي يجتمع فيها العرب من القبائل المختلفة كاللحج والأسواق التجارية والأدبية الشهيرة ، كما كان العرب ينتقلون لأغراض التجارة والميرة من مكان إلى مكان ، ثم كانوا يغشون الحاضرة في طلب البيع والشراء أو بحثاً عن أمور دنياهم ومعاشهم ، أما سكان مدن الجزيرة فلم يكونوا أقل حظاً من الرفاهية ممن كانوا حولهم من سكان البلاد العريقة في الحضارة ، وقد استعانوا في الوصول إلى هذا المستوى برحلات التجارة التي خلقت لهم صلات قوية بالأمم ذات الحضارة والمدنية ، بل إن القبائل الصحراوية نفسها لم تسلم من التأثير بآثار من جاورها من الأمم كما تأثرت تغلب بالروم وقضاة بمصر والشام وغسان بالشام وإياد بسكان الجزيرة وبكر بالنبط والفرس ، وعبد القيس بالهند والفرس ،

كانت بلاد العرب عشية ظهور الإسلام تخضع لتيارات مختلفة من النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية ، فأما من الناحية السياسية فقد كانت أطراف بلاد العرب نهبا مقسما بين الدولتين القويتين في ذلك الوقت وهما فارس وبيزنطة أو كما اشتهرتا على ألسنة العرب ببلاد الفرس وبلاد الروم ، كانت فارس تحتل اليمن وتبسط نفوذها على العراق وكان للروم نفوذ سياسى وعسكرى في بلاد الشام ، وبين هذه وتلك وقفت قبائل الصحراء في عزلتها المنيعه الفقيرة لا تثير طمع الطامعين من ملوك الدولتين ولا تخضع إلا للنظام القبلى الذى يمنح قدراً من السلطة لشيخ القبيلة ، ويسميه ملكاً إذا بسط هيئته على عدد من القبائل ، وكان عرب الصحراء يطمعون دائماً فيما تشتمل عليه الأراضى الخصيبة من خيرات فكانوا يغيرون على العراق والشام ومن ثم رأى الفرس والروم على السواء أن يقيموا بينهم وبين الصحراء حاجزاً عربياً فأنشأت كل دولة منهما إمالة عربية على تخومها

يضىء سناه أو مصاييح راهب
أمال السليط بالذبال المقتل
ذلك هو مبلغ سكان شبه الجزيرة من العلم .
أما في الشام والعراق فقد كان الأمر مختلفا
عن ذلك تماما . فأكثر قبائل هذين
الإقليمين كانوا من النصارى . كذلك كانت
قضاة وإياد وتغلب وكتب . ولقد انتهى
الاختلاف على مسائل اللاهوت المسيحي إلى
انشقاق مذهبين هامين عن كنيسة القسطنطينية
هما المذهب النسطورى والمذهب اليعقوبى .
ولقد اتجه اليعاقبة في التبشير بدينهم إلى رعايا
الامبراطورية في الداخل ولكن النساطرة
اتجهوا إلى الشرق والجنوب في سبيل كسب
الأتباع وكانوا وثيق الصلة بعرب الجاهلية .
وحين اتجه النساطرة إلى الشرق وجد مذهبهم
أتباعا في دولة الفرس وفي قبضتها العراق في
ذلك الحين فغلب العنصر النسطورى على
نصارى العراق كما انتشر العنصر اليعقوبى
في الشام ومصر . وكان السريان يقيمون في
الشام والعراق على السواء ؛ فأهل العراق
منهم تسود فيهم النسطورية وأهل الشام
تنتشر فيهم اليعقوبية . وعندما اشتد العداء
بين السريان المنشقين وبين كنيسة الدولة
صمم السريان على قصم كل عروة تربطهم
بالكنيسة الرسمية فأطرحوا لغتها وهى
الإغريقية وبدأوا يترجمون تراثها الفكرى

وأزدعمان بالهند والفرس كذلك ، واليمن
بالحبشة . ولعل هذا هو السبب الذى جعل
اللغة العربية تقاسى المؤثرات الأجنبية في العصر
الجاهلى وتقبل بعض الكلمات من اللغات
المجاورة ، ثم يظهر في الجاهلية بين أبنائها
من يلحن في نطقها ، وذلك أمر معروف
لمؤرخى الأدب العربى .

أما من الناحية الفكرية فلم يكن لعرب
شبه الجزيرة حياة فكرية بالمعنى الصحيح وكل
ما ينسب إليهم من علم أو فكر لا يعدو أن
يكون تقاليد ورسوم موروثه على مر الأجيال .
ولسنا نعرف منهم من طلب العلم حقيقة إلا
الحارث بن كلدة الطبيب الذى تلقى العلم في
جنديسابور وأدرك الإسلام وداوى سعدا
بأمر النبی . والحارث هذا سيد سمية أم زياد ،
وأبو النضر بن الحارث الذى أمر النبی بقتله
فرثته أخته بقصيدهتها المعروفة التى فيها :
أحمد ولدتك خير نجيية

في قومها والفحل فحل معرق
ولكن البيئات التجارية في الصحراء كانت
تعرف القراءة والكتابة وقد تعلمها هؤلاء
الصحراويون من رهبان النساطرة الذين
كانوا يحوسون خلال بلاد العرب للتبشير
بمذهبهم وإليهم بشير امرؤ القيس بقوله :

أصاح ترى برقا أريك وميضه
كلح اليدين في حبي مكلل

يعرفونها كلاما وكتابة على نحو ما ذكرنا عند الكلام على رهبان النساطرة .

وفي هذا الجو اللغوي المعقد في الشام والعراق كان مشاهير الشعراء من أبناء شبه الجزيرة يقصدون دمشق والحيرة بقصائدهم كما كان رؤساء العشائر يتقدمون على ملوك الغسانيين واللخمين و يقيمون بينهم وبينهم الصلات القوية . كلنا يعرف طرفة والنايفة وعمر بن كلثوم وصلتهم بالحيرة ، وكلنا يعرف حسانا وصلاته بدمشق بل إن زعيم شعراء الجاهلية أوغل فيما وراء دمشق حتى طرق أبواب الامبراطور البيزنطي . فالصلات بين العرب في شبه الجزيرة وبين أهل الشام والعراق حينئذ صلات متعددة ما في ذلك شك .

وكان خلطاء السريان من عرب الشام والعراق يعرفون أن اللغة السريانية قد وضع لها نحو يضبط استعمالها ويعين على تعلمها ، ولا شك أن العرب في ذلك الزمان والمكان كانوا يحسون إحساسا قويا بأنهم غير الأمم التي يخاطونها وهم كانوا يحسون كذلك بالروابط التي تربط بعض العرب إلى بعض . ولا شك أن اللغة كانت أقوى هذه الروابط في قطرهم ، وإذا صح أن نسمى الإحساس بروابط العروبة في ذلك الوقت باسم القومية العربية فلربما كان العرب بدافع هذه القومية

إلى لغتهم السريانية وازدهرت لغتهم فكان لها أدب وكان لها نحو وكان لها تراث فكري خالد . فأما النحو فنحن نعرف أن أحد قدمائهم ويسمى يوسف الأهوازي قد وضع نحو السريانية على غرار النحو الإغريقي الذي وضعه أرسطو فانتفع من هذا النحو الأخير بطريقة التقسيم والتبويب والتعريف والتعبير وتعرف كذلك أن حنين بن إسحق كان من مشاهير النحاة باللغة السريانية في العصر العباسي .

أما من الناحية اللغوية فقد كان العرب في شبه الجزيرة يتكلمون لهجات قبلية مختلفة ويلتقون جميعا في لغة واحدة أدبية مشتركة هي اللغة الفصحى . وكان المجتمع اللخمي والمجتمع الغساني يستخدمان عددا من اللغات فكانت اللغة الإغريقية لغة الدواوين في الشام وكانت البهلوية لغة الدواوين بالعراق وكانت الإغريقية لغة الصلاة عند الملكانيين أتباع كنيسة القسطنطينية كما كانت السريانية لغة الكنيسة عند اليعاقبة في الشام والنساطرة في العراق بل كانت لغة الثقافة عند هؤلاء وأولئك . وكان العرب المسيحيون الحاكون والمحكومون على السواء يتكلمون العربية ويصلون بالسريانية أو الإغريقية على حسب المذهب الذي يتبعونه . وكان السريان في الشام والعراق يتقربون بمعرفة العربية إلى الحاكين من الغساسنة والمناذرة فكانوا

تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحراء (يعنى الأعاجم) ، فأردت أن أضع شيئاً يرجعون إليه ويعتمدون عليه إلخ ٢ - ويروى صاحب النزهة أيضاً أن أعرابياً قدم المدينة في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال : من يقرئني شيئاً مما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأقرأه رجل سورة براءة فقال : إن الله برئ من المشركين ورسوله (بالجر) فقال الأعرابي : أوقد برئ الله من رسوله ؟ إن يكن الله تعالى برئ من رسوله فأنا أبرأ منه فبلغ عمر عليه السلام مقالة الأعرابي فدعاه . فقال يا أعرابي تبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال يا أمير المؤمنين إنى قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن فسألت من يقرئني فأقرأنى هذا الرجل سورة براءة ... (إلى آخر القصة) فقال عمر ليس هكذا يا أعرابي . فقال كيف هي يا أمير المؤمنين فقال إن الله برئ من المشركين ورسوله فقال الأعرابي وأنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم . فأمر عمر رضى الله عنه ألا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة وأمر أبا الأسود أن يضع النحو ٣ - ويروى كذلك أن زياد بن أبيه بعث إلى أبي الأسود الدؤلى وقال يا أبا الأسود إن هذه الحراء قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب فلو وضعت لهم شيئاً يقيمون به كلامهم

يحسدون السريان لتمسكهم من دراسة لغتهم بهذه الطريقة التى جعلتها لغة علم وأدب وفق ودين . بل إنهم ربما تمنوا أن يأتى اليوم الذى يستطيع العرب فيه أن يضعوا للغتهم أداة كهذه الأداة التى تمكن أبناء عمومتهم من السريان من وضعها . أقول إنه ربما جاشت هذه الأمانى فى صدور عرب الشام والعراق فى العصر الجاهلى ولم يكن يخطر لهم أن هذا اليوم الذى كانوا يرونه بعيداً كان فى الحقيقة أقرب مما يظنون وأنه قد قدر للغتهم العربية التى كانت محصورة فى إقليمها الضيق أن تصبح لغة عالمية للعلم والثقافة بعد ظهور الإسلام .

وجاء الإسلام ونشأت دراسة النحو العربى . فكيف بدأت هذه الدراسة ؟ للإجابة على هذا السؤال يحسن بنا أن نورد الروايات المختلفة التى تروى قصة هذه النشأة .

١ - يقول أبو البركات الأنبارى فى نزهة الألباء إن أول من وضع علم النحو وأسس قواعده وحدد حدوده أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلى ، ويروى الأنبارى عن أبى الأسود أن سبب وضع على عليه السلام لهذا العلم أن أبا الأسود دخل على على أمير المؤمنين فوجد فى يده رقعة فقال لعلى ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال على : إنى

عندنا إذن روايات مختلفة تقول أولها وأخرتها إن غيرة علي* على لغة العرب دفعته إلى أن يكلف أبا الأسود وضع النحو وتقول الأخرى إن عمر بن الخطاب هو الذي طلب إلى أبي الأسود أن يضع النحو وتروى الثالثة أن زياداً هو الذي أمر بذلك وتنسب الرابعة والخامسة الفسكرة إلى أبي الأسود نفسه وتقولان إنه أحس بسبب خطأ ابنته أو نفث الخطأ في الناس إن الوقت قد حان للقيام بعمل ما في سبيل حفظ اللغة بواسطة دراسها دراسة نحوية .

والذي تجمع عليه هذه الروايات المذكورة أن أبا الأسود هو الذي وضع النحو . ولست أجد سبباً واحداً هنا يدعو إلى الشك في أن أبا الأسود من أول من وضع هذا العلم وأنه أحق الأسماء التي وردت في قصة النحو بأن يكون أبا لهذه الدراسة فعلاً . غير أنني ألمح الخلاف السياسي الذي كان بين الأمويين والعلويين يطل برأسه من هذه الروايات حين تعتمد هذه الروايات إلى أمير بعينه فتجعله هو الذي نصح أبا الأسود أن يضع النحو . والذي نعلمه أن الخلاف السياسي بين الشيعة والأمويين لم يكن قاصراً على مسألة حق الخلافة فحسب وإنما أضافت الأيام إلى نار هذا الخلاف وقوداً حتى رأينا كل فريق منهما يسخر التاريخ والفكر

تأني عليه فبعث زياد رجلاً وقال له أقعد على طريق أبي الأسود فلما مر به رفع صوته وقرأ « إن الله يرى من المشركين ورسوله ، (بكسر اللام) فاستعظم أبو الأسود ذلك وقال عز وجه الله أن يرى من رسوله ، ورجع من فوره إلى زياد فقال يا هذا قد أجبتك إلى ما سألت ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن . ثم جاءه زياد برجال اختار منهم رجلاً من عبد القيس أعانه على وضع نقط لدى الحروف تدل على الحركات . ٤ - وفي رواية له عن عاصم قال جاء أبو الأسود إلى زياد وهو أمير البصرة فقال إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وفسدت ألسنتها أفأذن لي أن أضع للعرب ما يعرفون به كلامهم فقال له زياد لا تفعل . قال فجاء رجل إلى زياد فقال أصلح الله الأمير . فقال له زياد : توفي أبانا وترك بنونا ؟ أذع لي أبا الأسود فلما جاءه قال له ضع للناس ما كنت نهيتك عنه ففعل .

٥ - وعن عاصم أيضاً أن أبا الأسود قالت له ابنته ما أحسن السماء ، فقال لها نجومها . فقالت إني لم أرد هذا وإنما تعجبت من حسنها فقال لها إذن فقولي ما أحسن السماء حينئذ وضع النحو وأول ما رسم منه باب التعجب . ٦ - وعن أبي هاشم السجستاني قال ولد أبو الأسود الدؤلي في الجاهلية وأخذ النحو عن علي بن طالب رضي الله عنه .

قالت الشيعة بالمهدى المنتظر وقال الأمويون بالسفياني المنتظر .

كانت السكوفة شيعية وكانت البصرة أموية عثمانية وليس من البعيد أن يكون الشيعة السكوفية قد رأوا قصة نشأة النحو أمرا يستحق الفخر وغازتهم أن تكون هذه النشأة في البصرة وأرادوا أن يسلبوا البصرة هذا الشرف فتلبسوا السليل إلى ذلك حتى وجدوه .

إن واضح النحو أبا الأسود إن كان بصريا فهو شيعي كذلك وهو إذا كان شيعيا فما أحراه أن يكون قد تلقى علم هذا النحو من الإمام المعصوم ومن ثم وضع السكوفيون أغلب الظن هذه الرواية ، لينسبوا الفضل إلى إمامهم وليكيدوا للبصرة . ولقد كان مالك بن أنس على أى حال يسمى السكوفة « دار الضرب » ، أى دار صناعة الرواية . وما ظنك بالبصرة الأموية العثمانية حين ترى السكوفة قد طلعت على الناس بهذه الرواية أفلا يكون من المنطقي أن يردوا على الرواية بمثلها وأن يتلبسوا لأنفسهم أمويا لم يكن بعيداً عن مدينتهم أيام وضع النحو ؟

نعم لقد وجد البصريون ضالتهم في زياد بن أبيه أولا حين كانت الدولة أموية حتى إذا ما ارتقى العباسيون كرسى الخلافة وأشاعوا في الناس كراهية الأمويين ولعنهم جبهة بحث البصريون عن زعيم آخر غير مغضوب عليه عند العباسيين ويراها الشيعة رأيا آخر . ذلك هو عمر بن الخطاب وقد اقتضاهم ذلك

في خدمته . والمعروف أن أهل العراق وفارس كانوا من أشياع على ، بل المعروف كذلك أن الغالبية العظمى من الشيعة كانت من غير العرب . ومن الثابت أن أبا الأسود الدؤلي نفسه كان مشايخا لعلى حتى لينسب إليه شعر ينم عن هذا التشيع :

يقول الأزدلون بنو قشير

طوال الدهر لا نفسى عليا ١٩

فقلت لهم فكيف يكون تركي

من الأشياء ما يحصى عليا

أحب محمداً حباً شديداً

وعباسا وحمزة والوصيا

فإن يك حبههم رشداً أصبه

وفيهم أسوة إن كان غيا

فكم رشداً أصبت وحزت مجدا

تقاصر دونه هام الشريا

وبالرغم من وضوح الصنعة في هذا الشعر

وأنه قد وضعه قوم يتقربون به إلى بنى العباس

ويجعلون به أبا الأسود هاشميا لا علويا ،

أقول بالرغم من ذلك فالمعروف أن أبا الأسود

كان من الشيعة ، وكم تنافس الأمويون والشيعة

في اختلاق الأخبار والروايات بل والأحاديث

المنسوبة إلى النبي حتى إن إحدى الفرقتين

حين قالت بحاكم منتظر من أبطالها لم تسلم لها

الأخرى بالانفراد بهذا الشرف وإنما

شركتها فيه وأرادت الإنفراد به دونها .

بالرفيق الأعلى وولى أبو بكر الخلافة ومن بعده عمر وعثمان بدأ على يحس شيئا من الظلم فى تخطى شخصه إلى غيره . وقد انعكس هذا الشعور فى تقاعسه عن نصر عثمان ابن عفان حين أحاط به الثائرون عليه . ولا شك أن مثل هذا الشعور بالظلم يصرف التفكير عن القضايا العامة إلى التفكير فى الأمور الشخصية بل يجعل المرء سلبيا فى الشئون العامة كما كان على سلبيا فى نصر عثمان ولا شك أن انتشار اللحن قضية عامة لا توقع من على أن يهتم بها فى غمرة السلبية التى ألمت به حتى إذا ما ولى الخلافة شغله معاوية عن الأمور كلها فيما عدا الرغبة فى استتباب الأمن الداخلى وجمع كلمة المسلمين . ففى فكر على فى النحو ؟ ومتى حصل على الدربة التى تمكنه من مثل هذا التقسيم للسلام ؟ لا شك أن عليا وعمر وزياداً مقحمون جميعا على قصة نشأة النحو بسبب التنافس بين الميول السياسية والمدن الإسلامية . فكيف نشأ النحو إذن ؟

روى أبو سلة موسى بن اسماعيل عن أبيه قال : كان أبو الأسود أول من وضع النحو بالبصرة ، وزعم قوم أن أول من وضع النحو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وزعم آخرون أن أول من وضع النحو نصر ابن عاصم ، وهنا نجد النقاش محتما لا حول

أن ينقلوا قصة اللحن إلى المدينة . وإذا تذكرنا أن المدينة كانت ثلاثة المدن العلمية المتنافسة وكانت زبيرية النزعة فى ذلك الوقت لم نستبعد احتمال أن تكون الرواية التى تدور حول عمر قد وضعت فى المدينة فى العصر الأموى وبذلك يكون البصريون مسئولين عن قصة زياد فقط .

بقى شيء آخر أحب أن أناقشه قبل أن أزعم الطريقة التى وضع بها النحو وذلك هو الادعاء أن على بن أبى طالب قد اخترع هذا التقسيم النحوى للسلام إلى اسم وفعل وحرف ولا شك أن فى ثنايا ذلك دعوى ضمنية بنسبة قدر من المراتب العلى والممارسة للبحث والتدرب عليه إلى على بن أبى طالب وتلك أمور تقتضى تفرغا وعدم انشغال وتلقى دراسة منظمة ، والمعروف أن عليا لم تنح له فرصة الدراسة ولا التدريب ولا الفراغ فهو رجل لم يتلق دراسة فى أى فرع من فروع العلم وقد نشأ مشغولا بالدعوة إلى الإسلام شغلا أخذ عليه فكره وجهده ثم اقتضاه نصر النبي أن يقاسى الاضطهاد فى مكة حتى إذا ما خرج منها اضطر إلى خوض معارك الإسلام الأولى واحدة بعد الأخرى وأظهر فى كلها بطولة وحماسة لم تسكن تدع له من الوقت ما يصرفه فى التفكير فى أمر غير الدعوة ، وعند ملحق النبي صلى الله عليه وسلم

من الأسماء التي ارتبطت بنشأة النحو من أبناء العراق يعيشون جنباً إلى جنب مع علماء السريان ويخالطونهم مخالطة المواطن للواطن وكان هؤلاء العلماء السريانيون يتكلمون العربية والسريانية كما ذكرنا من قبل . ولقد قلت إن اللغة السريانية كانت ذات نحو مكتمل الدراسة له علماءه والمهتمون به . وقد افترضنا كذلك أن العرب عشيّة ظهور الإسلام كانوا يحسدون السريان على أن تكون لغتهم لغة مدروسة متقدمة يمكن لها أن تكون وعاء علم وأدب وفن ودين ، وأن العرب بدافع من إحساسهم بقوميتهم كانوا يتمنون لو أتى اليوم الذي يستطيعون فيه أن ينشئوا اللغة العربية مثل هذا البناء النحوي المكتمل . فلما جاء الإسلام كان من شأنه أن وحد العرب ونفخ فيهم من روحه وأقام لهم دولة وفتح بهم البلاد وأخضع العباد فقوى من شعورهم القومي حتى رأينا شاعرهم يقول :

إننا من النفر الذين جياهم
طلعت على عاد بريخ صرصر
وسلبن تاجي ملك كسرى بالقنا
واجتوز باب الدرب لابن الأصفر

وجاءهم الإسلام بكتاب هو في حقيقته نص لغوي معجز فبرزت به اللغة والتفكير فيها حتى احتلت المقام الأول من الأهمية والخطورة ولا سيما حين اتخذت لغة دين

الأمراء فقط وإنما يتعداهم إلى من وضع النحو كذلك . فلا تسلم الرواية إذن تسليماً تاماً بأن أبا الأسود الدؤلي هو الذي وضع النحو وإنما تورد أسماء غير اسمه تنافسه .

ولقد كان هؤلاء جميعاً أبناء عصر واحد وإقليم واحد هو العراق ، وكان العراق من قبل أيامهم ولم يزل في تلك الأيام مسرحاً للثقافة السريانية التي كانت تجد دافعها الحقيقي في المذهب النسطوري ، ولقد ظلت هذه الثقافة النسطورية بعد ذلك تحيا جنباً إلى جنب مع الثقافة العربية في العراق والشام واستعان الخلفاء من أمويين وعباسيين برجال من السريان في الشؤون المختلفة فاتخذ معاوية وزيراً له من السريان هو سرجون بن منصور .

وكان يحيى بن سرجون أو كما يسمونه القديس يحيى الدمشقي ممن يغشى البلاط الأموي ويجادل المسلمين في الأمور الدينية كما كانت أسرة بختيشوع تمد العباسيين بالأطباء المهرة وكانت أسرة بني إسحق من أفاضل المترجمين في أيام المأمون وظلت اللغة السريانية لغة علم وأدب إلى أن كان آخر كاتب عظيم من كتبها هو المؤرخ أبو الفرج بن العبري أو عزيرغوريوس برهبرايوس الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي .

٧ — كان أبو الأسود وعبد الرحمن بن هرمز ونصر بن عاصم وميمون الأقرن وغيرهم

أن واضع النحو قد أخذوا التقسيمات السريانية أو قلدوها فجعلوا كلامهم إسماء وفعلاً وحرفاً كما جعله السريان من قبلهم . ولا شك أن أبا الأسود الدؤلي من أول من وضع النحو ولكنه قد لا يكون أول واضع له على الإطلاق . والراجح عندي أن عبد الرحمن ابن هرمز ونصر بن عاصم وميمون الأقرن لم يكونوا مجرد تلاميذ لأن الأ سود وإنما كانوا شركاء له في القيام بهذا الجهد سواء أكان ذلك عن طريق الشركة بين الجميع أم أن كل واحد منهم قد استقل بجهده الخاص حتى تكاملت هذه الجهود على يد تلاميذهم من بعدهم وأصبحت على الصورة التي دونها عيسى بن عمر في كتابيه الجامع والإكمال ، ونماها من بعده واستكملها سيديويه في كتابه .

قد يكون أبو الأسود سمع من ابنته خطأ نحويًا ، وقد يكون سمع من يلحن في القرآن وقد يكون الفرس في ذلك الوقت من السكثرة في بلاد العرب بدرجة جعلتهم يؤثرون حقاً في ألسنة العرب وفي عاداتهم النطقية ولكن ذلك كله ما كان ليوحى وحده إلى العرب بالقيام بعمل من هذا النوع لو لم يكونوا على علم بأمر جيرانهم السريان ولغتهم وما لها من نحو ، ولو لم يكونوا قد أحسوا الرغبة في إنشاء ثقافة بلغتهم كالثقافة التي في أيدي

ودنيا يقرأ العرب بها في صلاتهم وقيمون بها أمر حياتهم . ولا شك أن العرب في العراق والشام قد فكروا في تحويل الكتابة الديوانية إلى العربية قبل عبد الملك والحجاج بزمن لأن مثل هذه الأمور لا تتم عند سنوح الفكرة العارضة وإنما يسبقها التفكير والتدبير الذي قد تذهب جذوره إلى أيام الخلفاء الأوائل . ولا شك أن التفكير في أمور اللغة كان شاملاً بحيث أصبح من المرغوب فيه بل من المتوقع أن تقوم اللغة دراسة اقتضتها طبيعة الأشياء ونفوج المجتمع وحاجات الحياة ثم أن تكون هذه الدراسة حفظاً للغة التي أصبحت أداة الدين والدنيا معا . فأصبح الجو كله مشحوناً باحتمالات ظهور هذه الدراسة فمن هم المرشحون الطبيعيون للقيام بهذا المشروع ؟

كان لا بد أن ينسج العرب على منوال ما يعرفون من تجارب غيرهم وكان أهل العراق من العرب يعلمون من أمر النحو السرياني دون ريب وقد مال بعض الباحثين إلى دعوى أن أبا الأسود كان يعرف اللغة السريانية ويغلب على الظن أن كثيرين غيره قد كانوا على معرفة بهذه اللغة أيضاً فلا غرو أن تكون البدايات الأولى لهذا النحو قد تمت على أيدي أهل العراق . والظن عندي

السريان ، ولم تكن دوافع الغيرة القومية والرغبة في استكمال النضج الثقافي للمجتمع والآية والعظمة للدولة موجودة ومتصلة بفكرة اللغة . فالمسألة في نظري لم تكن وليدة تفشى اللحن فقط ، وإنما اتصلت بنفوس العرب في العراق والشام منذ العصر الجاهلي وارتبطت في نفوسهم بالزعات القومية حتى إذا ما سنحت الفرصة بعد ظهور الإسلام حقق العرب أحلامهم السياسية ووحدهم

دكتور تمام عسانه
أستاذ مساعد بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

أما هذه فتعم

قال حفص بن محمد الأردبيل : فاجلس سعيد بن حجر البردعي في منزله وأغلق بابه وقال : ما أحدث الناس فإنهم قد تغيروا . فاستعان عليه أصحاب الحديث بمحمد بن سلم بن دارة الرازي فدخل عليه وسأله أن يحدثهم فقال : ما أفعل . فقال بحق عليك إلا حدثتهم فقال : وأى حق لك على ؟ قال أخذت يوما بركابك . قال : قضيت حقاً لله عليك . وليس لك حق على . فقال : إن قوماً اغتابوك فرددت عنك ، قال : هذا أيضاً يلزمك جماعة المسلمين ، فقال عبرت بك يوماً في ضيعتك فتعلقت بي إلى طعامك فأدخلت على قلبك سروراً . قال : أما هذه فتعم .

دراسات في التصوف

للككتور محمد غلاب

الحركة التنسكية في القرنين الأول والثاني للهجرة

ودمشق . وقد وصلت إلينا أسماء الأولين منهم عن طريق القوائم التي سجلها الجاحظ وابن الجوزي ومن إليهما . ومن مشاهيرهم في القرون الأول الربيع بن الخيثم المتوفى في سنة ٦٧ هـ . وعلقمة الكوفي ، ومجاهد ابن جبير الخزومي المكي المتوفى في سنة ١٠٤ هـ وكان تلميذا لابن عباس قد نشر تفسيره للقرآن ، ولسكن أعظم هذه الطبقة على الإطلاق هو الحسن البصري الذي عده بعض أدق المؤرخين القدماء بين أقوى الشخصيات الإسلامية في عصره ، وسواء في باب الزهادة بعمر بن الخطاب في باب سياسة الدولة .

ولد الحسن البصري بالمدينة في السنة الحادية والعشرين من الهجرة ، وربى بالبصرة وكان في الرابعة عشرة حين قتل عثمان فهاله - وهو لا يزال في زهرة شبابه - ذلك الحادث المفزع وما أحاط به من فرقة بين صفوف المسلمين ، أثر في قلبه البريء وعقله الساذج تأثيرا شديدا دفعه إلى الامتناع من تلك الحركة السياسية التي بلبلت العقول ،

لا يرتاب باحث متعمق في التراث الإسلامي المجيد في أن الحركة التنسكية الإسلامية التي بهرت القدماء وفتنت المحدثين قد انبثقت بقضها وقضيضها من الكتاب الكريم والأحاديث القدسية والنبوية ، واتهمها أربابها من الحياة المحمدية ظاهرها وباطنها ؛ وقد بدأها النبي صلى الله عليه وسلم باعتزاله في غار حراء قبل البعثة ، وباعتكافه في المسجد بعدها ، وسار الصحابة رضوان الله عليهم على نهجه السامي واقتبسوا من أنواره السماوية المتلألئة دون أن يشوه جمال ذلك أجنبي أو يدنس نقاء دخیل كما يزعم السطحيون الذين يتخرون بأن عناصر التصوف الإسلامي أجنبية .

توالت هذه الحركة عند التابعين في كثير من البساطة بحيث كانت مقوماتها الذاتية هي التأمل في آيات القرآن ، ومحاولة استكشاف أسرارها العميقة ، واقتناص مرامها البعيدة ، والزهادة وكبح جماح النفس ، والاعتكاف والتنفل والتهجد . وكان هؤلاء الزهاد أو العباد في الكوفة والبصرة ومكة والمدينة

الحسن يدعو للحزن والورع الذى هو أصل الدين، وللخوف والاستماع إلى كلام الله. وعندما وصل إلى هذه المنزلة كان قد أسس ما سماه «علم القلوب والخواطر»، أو ما يدعو به الباحثون المحدثون «السيكولوجية التنسكية». وما يلفت النظر فى مذهب الحسن البصرى، أنه كان يؤسسه على التدخل الدائم للفكر فى حياة المؤمنين المتأملين. وكان يأمر مستمعيه بالالتجاء إلى العقل فى تحليل عظاته، ليسكون تأثيرها فى إرادتهم عن اقتناع وإيمان. ولقد كان لمواعظه رنين أخذ يجلجل فى أنحاء البلاد الإسلامية ويكون عقائد شبابها ويمتن أخلاقهم، ويظهر سرائرهم، ويدفعهم إلى الاستقامة. ولقد كانت غايته الأولى والأخيرة هى العثور على المنزلة التنسكية الكاملة، وهى الفوز بالرضى. وقد أحقق عليه ذلك بعض الطوائف واستكثروا عليه هذه الميزة التى سماها عليهم فجعلوا يكيدون له ويعلنون عليه العداء الصريح، ولكن كافة الأمة والمخلصين من خاصتها وصفوتها، لم ينسوا له هذا الجهاد النفسى الأكبر، بل إن بعض مؤسسى الطرق الصوفية فيما بعد قد أرجعوا إليه — عن طريق الإسناد — أسس طرقهم، وأعلنوا رجوعها إلى مبادئه التنسكية الرفيعة، وصرحوا بأنه كان قطب الغوث فى زمانه. وسنرى أهم مميزات مدرسة هذا التقي الورع العظيم فيما بعد.

وزعزت القلوب، ولم يسعه إلا أن يقف من تلك الفتنة موقف المحاييد الفار بدينه من الشبه واختلاط الآراء. وقد كان من طلائع أولئك الذين حملهم هذا الأخطبوط على أن يلقوا بأنفسهم فى بحر التأمل والتنسك لينجوا بعقيدتهم من هذا الجحيم. وبعد أن استقرت الأمور السياسية، ففر إلى الجهاد مع المقاتلين فى سبيل الله فيما بين سنتي خمسين وثلاث وخسين، ثم عاد إلى البصرة، وهناك أسس مدرسته. وحوالى سنة ٦٥ هـ أزهرت مدرسته، وسطع اسمه كخطيب مفوه، ومجادل متفوق، وظل يتلأأ فى سماء العالم الإسلامى إلى سنة ٨٥ هـ. وفى سنة ٩٩ عين قاضيا. وأخيرا توفى فى سنة ١١٠ هـ. وقد ترك مؤلفات قيمة فى المواعظ والتفسير والحديث، وعددا ضخما من الآراء الثابتة والنظريات الممتازة فى المبادئ الإسلامية التى كانت قد نشأت من نتائج الفتنة السياسية، ودار حولها ذلك الجدل العنيف الذى سجله التاريخ بين فرق المسابيين، ولكن الذى يعنينا هنا من إنتاجه الواسع هو مذهبه التنسكى فحسب. وقد صدر فى هذا المذهب عن أساس واضح هو احتقاره هذه الحياة التى نهايتها الهلكة ومصيرها الفناء، والتى احتقرها الله فساها بالدنيا، ووصفها بأنها لعب ولهو، والتى قال عنها النبى صلى الله عليه وسلم. إنها لا تساوى جناح بعوضة. وكان

أن يحتفظ نساك البصرة بشئ من هذه الصفات ، وهذا هو الذى حدث ، فكان رئيس نساكها حسن البصرى زاهداً من الطراز الأول ، وناقداً عميقاً ، ومنطقياً سليم العقل ، وقوى الحجة بهيئة تسترعى الانتباه ، وسنياً معقولاً من أنصار حرية الفرد كما أسلفنا .

أما الكوفيون فقد كانوا بطوناً يمنية تنزع نحو المثالية العليا فى كل شئ : كان شعرهم أفلاطونياً دون أن يعرفوا أفلاطون ، وخيالهم متطوعاً نحو الكواكب . وكانوا يقولون بوجود الأخذ بظاهر الحديث ، ويتشيعون للإمام على كرم الله وجهه ، ويدنون بمبادئ المرجئة . وقد ظهرت هذه النزعات كلها فى نساكهم ، فكانوا مثلاً رائعة فى التدليل على ما تقرره من الفروق الواضحة بين البصريين والكوفيين . ومهما يكن من الأمر ، فأليك هذه الإمامة العاجلة عنهم :

استمرت هذه الحركة بعد وفاة الحسن البصرى فى أول القرن الثانى ، فأخذت تنمو وتعمم بفضل تلاميذه من البصريين كـ محمد بن واسع الذى توفى فى إحدى حروب الجهاد فى سبيل الله فى سنة ١٢٥ هـ . ومالك بن دينار المتوفى فى سنة ١٢٨ هـ ، والذى أسس بدوره مدرسة تنسكية ضمت عدداً من التلاميذ كان لهم فى نشر التقوى والورع أثر بعيد الغور . وحسبنا أن نذكر من هؤلاء

أما فى القرن الثانى فإن التنسك الإسلامى ، قد صار أقوى منه فى القرن الأول أثراً ، وأبعد انتشاراً ، وأصبح طابعه المميز له هو أنه لا ينفصل من الحياة العامة ، فكل زاهد قد انتهى إلى إدراك أن واجبه يقضى عليه بالخروج من عزلته ، ومداومة النصح المخلص لكل من يتصلون به أو يتصل بهم من أعضاء الجماعة الإسلامية . ولا ريب أن النتيجة الأولى لهذه الجهود المبدولة من جانب الشيوخ المتنسكين لإرشاد الأفراد والجماعات هى الترابط الوثيق بينهم وبين الشعب ، ذلك الترابط الذى لا يزال نشاهده اليوم بين شيوخ الصوفية ومريديهم من المؤمنين . وسنلج إلى هذه الحركة التنسكية فى القرن الثانى لإماعة عاجلة بادئين بالبصريين ، مشين بالكوفيين . ولسكننا نرى من الحق علينا قبل التعرض لهذين الفريقين ، أن نشير إلى الخصائص الذاتية لكليهما .

كان البصريون من التيميسين المنعطفين بفطرتهم إلى الواقعية والنقد الجاف ، ووضع القواعد التى ينسدر فيها الاستثناء وتحديد قواعد اللغة العربية ، وكبح جماح الشعر وحصره فى دائرة الحقيقة بقدر الإمكان ، وكانت آراؤهم سنية مع النزعة إلى حرية الفرد من آراء القدرية . وكانوا يقولون بوجود استكناه بواطن الأحاديث ورفض الأخذ بظواهرها . ولهذا كان من الطبيعى

والذى اشتهر - إلى جانب ورعه وزهده - بالفصاحة والبلاغة والمقدرة الفائقة على الخطابه .

أما نساك الكوفة السنيون فمنهم أبو هاشم عثمان الكوفي المتوفى في سنة ١٦٠ هـ ، وأبو ذر عمر المتوفى في سنة ١٥٠ هـ والذى كون عدداً عظيماً من التلاميذ كان لهم أثر لا يحصده أحد من المؤرخين .

وأما صوفية الشيعة من الكوفيين فهم كثيرون . ولكننا نكتفي منهم بذكر عابدك النبائى مؤسس النحلة النبائية التى كانت تدعى بالعبادكية .

وأما صوفية أهل الحديث فمن أعلامهم سفيان الثوري ، وهو أبو عبد الله سفيان ابن سعيد بن مسروق الكوفي . وقد ولد في ما بين سنتي ٩٥ - ٩٧ . ولما نشأ تلقى الحديث عن والده الذى كان أحد مشاهير علماء الكوفة والذى توفى حوالى سنة ١٢٦ هـ . ولما تم الأمر ابني العباس كان سفيان أحد الذين أرادوا أن يعلنوا كراهتهم للحكم الجديد برفضهم مناصب الدولة التى عرضتها عليهم السلطات الجديدة . وفي سنة ١٥٠ هـ عرض أبو جعفر على سفيان منصب القضاء فرفض وفر إلى اليمن ، ولكن حكومة بغداد جعلت تتبعه ، فأحس بذلك فارتحل إلى مكة . غير أن أمير مكة محمد بن إبراهيم تلقى أوامر الخليفة بتعقبه . ويقول بعض المؤرخين إنه

التلاميذ رباح بن عمر القيسي . وعلى الأخص عبد الواحد بن زيد المتوفى في سنة ١٧٧ هـ ، والذى أسس جماعة النساك الشهيرة في مدينة عبادان ، والذى قام بتليذه أبو سليمان عبد الرحمن الداراني المتوفى في سنة ٢١٥ هـ بتأسيس المدرسة البكرية فيما بعد . ومما هو جدير بالناية عند الداراني أنه هو الذى رسم الخطوط الأولى لهيكل فكرة الأحوال والمقامات الصوفية التى كان لها على التوالى كل هذا الرنين الذى صك الأسماع ، وبهر الأبصار في الشرق والغرب على مر الحقب وكر الأزمان . ومن أصدقاء الداراني ، أحمد ابن عاصم الأنطاكي المتوفى في سنة ٣٢٠ هـ ، والذى كان الداراني يلقيه بحاسوس القلوب لفرط تحليلاته السيكولوجية الأفتدة والحواطر ، وتغلغلته إلى أعماق النفوس ، وكشفه خفايا الضمائر . ولا جرم أن هذه الشخصية العظيمة تعتبر في مقدمة الشخصيات التى شرفت البيئة الإسلامية . وكانت مؤلفاته التى نشرها تلاميذه منبعاً لتعريف العلماء والباحثين بتفاصيل النماذج الأولى للزهادة الإسلامية قبل المحاسبي .

ومن أعلام مؤسسى المدارس التنسكية في البصرة ، فضل بن عيسى بن أبان منشى المدرسة الفضلية التى حكم عليها المتعصبون من خصومها بأنها قدرية . ومنهم أيضاً أبو بشر صالح المرى المتوفى في سنة ١٧٢ هـ

ويمضي على ذلك عشرون عاما حتى ظهرت فيها طلائع المتسكين . وأجدرهم بالعناية هو ابراهيم بن أدهم المتوفى في سنة ١٦٠ هـ ، وهو عربي الأرومة والأصل وقد ولد ببلخ . ولا يعرف ما بين أيدينا من تاريخ الحركة التنسكية الأولى عن مبدأ حياته شيئا ذا بال ، إذ هو يتحدثنا أنه حين رغب في الزهد ، اتخذ نموذجه العلي من بين زهاد البصرة كابن دينار ، ثم تلقى تعاليم المتسكين بالعراق ومكة حيث أقام بينهم ردحا من حياته . ولما خاب أمه بسبب فشله في استماع الناس إلى مواعظه اعتزل المجتمعات واتجه إلى سورية مع عدد من تلاميذه . وهناك انزوى في أحد أرجائها واقتصر على هداية أولئك التلاميذ وإرشادهم . ومما هو خليق بالعناية أن أولئك التلاميذ بعد وفاته ارتحلوا إلى خراسان وجعلوا ينشرون مذهبه فظفروا في ذلك بنجاح عظيم لم يرهو في حياته بصيصاً منه ولو ضئيلاً . أما مذهبه المقتبس من مدرسة الحسن البصري مثل فكرة « الخلعة » ومعناها الصداقة الإلهية الثابتة و « المراقبة » التي هي أعمق من الفكر . والسكند الذي هو أشد من الحزن . والمعرفة وهي إذ ذاك فكرة جديدة ناشئة في محيط التنسك الإسلامي .

ويقال إن ابراهيم بن أدهم قد ظفر بمائة وعشرين شهوداً إلهيا عرض فيها سبعين مسألة

أمر بقتله . ولعل هذه شائعة ، منشؤها أن الشعب في ذلك العهد كان يتندر في الخفاء بأوامر العباسيين قائلا: إذا عثرت عليه فاصلبه ، ومن شككت فيه فاقتله . إلا أن النووى ، وابن حجر يؤكدان أنه كان أمراً جدياً . ومهما يكن من شيء : فإن سفيان قد تنبه إلى ذلك قبل فوات الفرصة ، ففر إلى البصرة وفيها اختبأ في منزل أحمد بن سعيد . وهناك نصح له بعض أصدقائه أن يحسن علاقته بالقصر . وبالفعل بدى في المفاوضات بينه وبين بغداد ، ولسكنه مرض قبل تمامها وتوفى في شعبان من سنة ١٦١ هـ .

هذا هو ما يتحدثنا به التاريخ عن ذلك الصوفي ، ولكن حياته قد أحيطت بسياج من الخرافات آثرنا أن نغضى عنه .

ومن غرائب الأمور أن بعض المؤرخين يضعونه في الصف الأول ويقدمونه على مالك ابن أنس ، وأن الذهبي يدعوه بالحجة والثبت . وسواء أضحى نسبة هذه المنزلة العلية إليه أم لم تصح ، فإن الذي لا ريب فيه ، وهو الذي يعيننا هنا ، أنه كان يباشر الزهادة العملية بين جماعة من رفاته المتسكين ، منهم السيدة رابعة العدوية المتوفاة بالبصرة في سنة ١٣٥ هـ .

كان هناك في القرن الثاني مركز ثالث للتنسك ، وهو خراسان ، فلم تكده تلك الأصقاع تهتدي إلى الإسلام ، وتشر فيها تعاليمه الرفيعة

كيف تحاول الاتصال بآله وأنت جالس فوق العرش؟ فأثرت هذه العبارات في نفسه تأثيراً دفعه إلى مغادرة قصره وهجران ثروته . ومنذ ذلك العهد انقطع عن العالم وتفرغ للعبادة والتأمل في مصنوعات الله حتى صار من أجلاء المتنسكين ، وأصبحت الوحوش والطيور تأتمر بأمره .

هذه هي الصورة التي قدمتها إلينا الأساطير عن إبراهيم بن أدهم ، وهي في رأينا تشبه الصورة التي نسجها خيال الهنود عن بوذا وتخليه عن الإمارة والجاه والسلطان وإلقائه بنفسه في بحار التنسك ، بل لعل أسطورة ابن أدهم منقولة عن أسطورة بوذا .

بقي - بعد الذي قدمناه عن القرنين الأول والثاني - أن نعلن أن نسا كهما كانوا إلى ذلك العهد الذي تحدثنا عنه لا يزالون مختلطين بالفقراء والمساكين وأبناء السبيل ونزلاء المساجد الذين ليس لهم مأوى خاصة ، وقد عصمتهم هذه الحالة من حملات الفقهاء ورجال الكلام إلى ذلك الحين ، أما في القرن الثالث فإن عظم شأنهم وارتفاع مكانتهم ، وتلاؤ أسمائهم ، وبروز منتجاتهم ، كل ذلك سيثير سخط رجال الشريعة الظاهرية كما سنرى ذلك حين نعرض لمدارس القرن الثالث وما بعده وللطرق الصوفية ونتائجها .

الدكتور محمد مغرب

لم يشرح منها سوى أربع مسائل ، ثم توقف عن الشرح عندما رأى أن الناس يسيئون فهمه ومعرفته .

« غزلت لهم غزلاً رقيقاً فلم أجد لغزلي نسا جاً فكسرت مغزلي » هذا هو ما يحدثنا به التاريخ الصحيح . أما الخرافات التي نسجت حول حياته ، فمنها أنه كان أحد أمراء بلخ ، وأنه كان في أحد الأيام يصطاد الظباء في جمع من أفراد حاشيته ، فطار دظبية حتى ابتعد عن أتباعه ، فلما اختلت به الدظبية سأله في لغة فصيحة رشيقة قائلة : ألمثل هذا أنت خلقت في هذا العالم؟ ومن الذي أمرك أن تعيش على هذا النحو؟ فلم يكمد يسمع هذه العبارات حتى ندم واعتزل الناس وعاش عيشة الفقراء يأكل من عمل يده . وأخيراً ترك العمل وتغلغل في الصحراء ، فجعل الطعام يأنيه من طريق غير طبيعي ، وأخذ يستقبل الخضر الذي كان يزوره كثيراً ويلقى عليه دروساً في العلم والتنسك .

وتذكر رواية أخرى أنه وهو أمير في بلخ كان نائماً في غرفته ذات ليلة ، وكان الحارس نائماً فوق سطح هذه الغرفة ، فسمع ضجيجاً ووقع أقدام فوق السقف ، فسأل عن مصدر هذه الجلبة ، فأطلت كائنات من نوافذ الغرفة وأجابته قائلة : إننا نبحث عن إبل . فسأل إبراهيم قائلاً : وهل يبحث عن إبل فوق السقف؟ فأجابته الأشباح قائلة : وأنت

والهدف من رسالة الإسلام هدف إنساني عام شامل . فرسالة الإسلام لم تأت فقط لتدعو الناس إلى عبادة الله فالله غنى عن عباده « إن الله لغنى عن العالمين » . إنما جاءت رسالة الإسلام لتعلم الناس وتعرفهم برب الكون وخالقه وتدعوهم إلى حبه حتى تربي فيهم ملكة الحب وتتجمع لديهم طاقات المحبة فيما رسوها فيما بينهم وتصبح شعاراً لهم وخلقاً فيهم وفطرة سليمة في نفوسهم . وإذا بدأ الإنسان من نقطة حب الله استطاع أن ينمي عاطفة المحبة هذه واستطاع أن يمارسها في صلاته الاجتماعية وفي علاقاته العامة .

جاءت رسالة الإسلام لتقضى على عوامل الانانية وأسباب الإثارة ، وتغرس في النفس الإنسانية خلق الإيثار وحب الغير ولأن المسلمين أحبوا الله . وأحبوا رسوله ، وأحبوا رسالته ، وأحبوا الإنسانية بوجه عام ، استطاعوا أن يخلقوا أمة ذات مبادئ ، وأن يكونوا شعباً ذا حضارة إنسانية ، وأن يبنوا ثقافة ذات قيم عالمية ، وأن يؤسسوا حضارة ثابتة الأركان أفادت عليهم وعلى العالم الخير وأشاعت في الدنيا المحبة والسلام .

وبذلك كانوا بحق - كما قال القرآن الكريم - خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

إن رسالة الإسلام جاءت تعلم البشرية أن الله جل وعلا هو مصدر الكون والحياة ،

في الإسلام ليست مجرد شعور وليست محض فكرة . وإنما هي شعور قوى خلاف ينبعث من قلب عامر بحب الله ويتبعه تصرف سليم مهذب وسلوك قويم يفيض الخير والمحبة على صاحبه وعلى الناس أجمعين .

من تعاليم القرآن الحكيم أن الجن والإنس خلقوا فقط لعبادة الله « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق ، وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » . والإسلام حين يحدد الغرض من خلق الجن والإنس بعبادة الله لا يريد لها عبادة فيها إكراه إذ « لا إكراه في الدين فقد تبين الرشد من الغي » ، ولا يريد لها عبادة صورية ظاهرة . وإنما يريد لها عبادة صادرة عن حب عميق لله وإيمان برسائله وتعاليمه ، ورغبة صادقة في كسب رضائه ومحبته . والعبادة التي مصدرها حب الله والتي هي الغاية من خلق الجن والإنس ليست فقط في الفرائض البدنية والمالية وإنما هي أيضاً في المعاملات مع الناس وفي سلوك الإنسان مع نفسه وفي موقفه من الوجود كله . فإذا كيف الإنسان علاقته مع ربه ومع نفسه ومع الناس في إطار من الحب والإخلاص والتفاني والإيثار فهو العابد الحق ، وهو الإنسان الذي فهم مبدأ المحبة في الإسلام وطبقه على خير صورة وأحسن مثال .

وطريقها واحد ، « يأياها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم . إن الله عليم خبير » ، « يأياها الناس اتقوا وبكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » . والقرآن حين يقرر هذه المبادئ الخالدة يوضح للبشرية معالم السعادة ويضع يدها على مفاتيح الخير والاستقرار والسلام . لأنه يعلن بذلك مبدأ الحرية والإخاء والمساواة ؛ إذ يقول القرآن الكريم « إنما المؤمنون إخوة » ، ويقول الحديث الشريف « كلكم لآدم ، وآدم من تراب » ، « والناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » .

إن الإسلام جاء يغرس فى النفس البشرية معانى الحب والسلام عن طريق هذه المبادئ الإنسانية الرفيعة . لأن الإسلام يريد أن يعلم الناس كيف يمارسون عاطفة الحب عن اقتناع ووعى ومنطق إنسانى سليم . وكيف ينشرون السلام ويدعون إليه على مبادئ إنسانية عامة وثابتة أساسها الوعى ومصدرها رب السماء حتى يكون هذا الحب إيجابياً صادقا ، وحتى يسكون ذلك السلام عاما ودائما .

جاءت رسالة الإسلام تحمل إلى الأرض السلام وتنشر المحبة بين الناس ؛ فلفظ الإسلام

وهو المثل الأعلى فى الوجود يظله بحبه ويسيره برحمته ورعايته ، فإن الإنسان لبنة قوية فى بناء الوجود كله ودعامه يستند إليها الكون فى حركته وعنصر فعال من العناصر التى يستمد منها الحياة والبقاء . والإنسان بحكم طبيعته هذه وبحكم هذا المركز الذى يشغله لابد أن يكون منسجما مع العناصر الأخرى فى الكون . وهذا الانسجام لا يتحقق إلا إذا كان هناك حب عميق بين الإنسان وخالفه من جهة ثم بين الإنسان وأخيه الإنسان من جهة ثانية ، ثم بينه وبين بقية المخلوقات من جهة ثالثة . وهذا الانسجام المطلوب لا يتحقق الغرض منه إلا إذا كان مستمرا دائما . واستمراره متوقف بالتالى على أن يكون الإنسان فى سلام مع ربه ، ومع نفسه ، ومع أخيه الإنسان .

إن الإسلام يؤكد معنى من المعانى الإنسانية النبيلة ، ويعلم حقيقة إنسانية خالدة حين يقرر أن البشرية كلها تنتمى إلى أصل واحد وتنحدر من مصدر واحد وأن التفاضل والامتنياز بين الناس لا يرجع إلى الجنس ولا إلى الحب ، ولا إلى اللون ، ولا إلى اللغة وإنما يرجع أولا وأخيراً إلى التقوى والعمل الصالح ورعاية حقوق الله وحقوق الناس . إن القرآن يعلنها صريحة واضحة أن الإنسانية كلها عبارة عن أسرة واحدة ، أبوها واحد ، وربها واحد ، وغايتها واحدة

وأساس العلاقة بين عناصر هذه الوحدة هو الحب والسلام . والإسلام يقرر أن الإيمان له حلاوة ، وأن الإنسان لا يشعر بهذه الحلاوة إلا إذا أحب ، وكان حبه صادقا وعميقا . يقول الرسول محمد عليه السلام : ثلاث (خصال) من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار .

الإسلام يقرر وحدة الإنسانية كما سبق ، ويقرر وحدة الدين . يقول القرآن الكريم : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » . « فقلوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

وعلى هذا الأساس من وحدة الله ووحدة الدين ووحدة البشرية أرسى الإسلام دعائم المحبة ، وأقام مبادئ السلام

مشتق من السلام . وتحية المسلمين حين يلتقي بعضهم ببعض هي تحية للسلام . وتحية الملائكة للمسلمين هي السلام . والسلام اسم من أسماء الله عز وجل فأنه هو السلام المؤمن .

وأفقه أوحى برسائله ليبصر الناس ويعلمهم فيمرفوه ويعيشوا في ظل رحمته في سلام معه ، وفي سلام مع أنفسهم ومع غيرهم . إن الإسلام يدعو بقوة إلى سلام دائم مبني على دعائه قوية في علاقة الإنسان بالله وفي علاقته مع نفسه في شعوره وضميره ووجدانه ، ثم في علاقته بأخيه الإنسان . وإذا كان الإسلام قد فرض على الإنسان حقوقا وخصص له واجبات ، فذلك كله ليحقق أسما معنى المحبة وأعظم مبادئ السلام ومعنى الإسلام ومعنى الإيمان لا يتحقق إلا إذا كان هناك حب إنساني نبيل ، إذ يقول الرسول محمد عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

إن المحبة والسلام من الأهداف الرئيسية في الإسلام . بل إننا لا نغالي إذا قلنا أنها من أهم أهداف الرسالة الإسلامية .

إن اختلاف الرأي أو العقيدة . أو اللون أو الجنس ، أو الدين ، لا يدعو إلى الكراهية في الإسلام . ولا يبرر التشناء والبغضاء . ولا يبرر الحرب والعنوان .

إن الكون كله وحدة كاملة . الله فيه هو الخالق والمدير ، والإنسان هو مركز الثقل

صحيفة عبد العاطي

إدارة الثقافة الإسلامية

الزَّواج في الإسلام

للاستاذ محمد سلام مذكور

أستاذ الشريعة بكلية الحقوق

جامعة القاهرة

٣ - والإسلام يوجه نظر الزوجين إلى ملاحظة النواحي المعنوية لا الحسية إذ هي باقية مع الزمن والإعجاب بها يتجدد مع تجدد الزمن يقول الرسول عليه السلام : لا تزوجوا النساء الحسنن ففسى حسنن أن يردين ، ولا تزوجوهن لأموالهن ففسى أموالهن أن تطغين ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة سوداء ذات دين أفضل ، . ويقول : « تنكح المرأة لأربع : لمالها وحسبها وجمالها . ودينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك ، أي التصقت بالتراب

٤ - والزواج حجر الأساس والدعامة الكبرى التي يقوم عليها بناء الأسرة إلى هي الخلية الأولى في بناء المجتمع الإنساني ، ولها دور أساسي في بناء المجتمع إذ يتكون فيها الفرد ويخرج للمجتمع بالصورة التي اكتسبها من الأسرة ، فإن صلحت الأسرة صلح المجتمع كله وإن فسدت فسدت المجتمع .
ومن هنا نفهم أهمية تنظيم الأسرة في كل

١ - الزواج أساس العلاقات بين الرجل والمرأة في الإسلام ، والطفل الذي يعيش في أسرة من نسب شرعي يكون أقوى عاطفة ونمواً ، وأسرع نطقاً من الطفل الذي ينشأ في ملجأ ، لأن طمأنينة الأسرة يعيش في جو مليء بالحب والرحمة والحنان ، فينشأ بذلك وتهذب غرائزه ، أما الطفل الذي يتربى في غير جو الأسرة فإن غرائزه تجمحها السيطرة ، وإن وجدت مع السيطرة رحمه فإنها مشوبة بالعطف لا بالاندماج .

٢ - والعلاقة الناجمة عن الزواج روحية أكثر منها حسية ، ومعنوية أكثر منها مادية يقول الله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ولا نكح في أن الزواج تدببه تبعيات والزامات لكنها ضربية وجود الإنسان وبقائه ، على أن كل شيء حتى الذات والمنع لا بد لمناهلها من مشاق . فالترريض ومضغ الطعام ، والاستقامة والمجد لا يكون شيء من ذلك إلا مع المشقة .

الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج) .

٦ — وإعراض الشباب عن الزواج مع القدرة عليه وعلى تبعاته يضر بهم وبالمجتمع ضرراً بليغاً وإن من هذا الضرب من الشباب من يتعلل بما يراه من عدم نجاح كثير من الزوجات ، ولكن هذه التعلل لا تبرر إعراضهم عن تكوين أسرة ، فإن ذلك مرجعه إلى سوء فهم حقيقة الزواج ومقاصده ، وإساءة استعمال هذا النظام الإلهي الذي لا بد منه للمجتمع ، فالعيب في الأفراد الذين تفشل عقود زواجهم لا في نفس التشريع ، ويمكن القضاء عليها أو تقليلها إذا فهم كل من الزوجين ماله من حقوق وما عليه من واجبات ، وكانت رغبة كل منهما في الآخر صادقة خالصة .

* * *

٧ — وقد كانت للأمم قبل الإسلام طرائق مختلفة في تنظيم الصلاة الجنسية فمنها من كان يعيش أفرادها في إباحة تامة ، ومنها من عرف الزواج وأباح تزوج الأمهات والبنات ، ومنها من ألفت تعدد الأزواج لامرأة واحدة ومنها من ألفت تعدد الزوجات لرجل واحد دون تقييد بعدد معين . فتعدد الزوجات كان معروفاً في الصين واليابان والهند والصقالية والفرس والعرب

المجتمعات أهمية جماعتها محل العناية والرعاية في جميع الأديان والقوانين ، وتنظيم الأسرة يكاد أن يتركز في تنظيم الزواج ، والدين هو أكثر العوامل الاجتماعية أثراً في قواعد تنظيم الزواج .

وأثره في ذلك لا يقف عند وضع القواعد العامة لهذا التنظيم ، وإنما يضع القواعد التفصيلية المنظمة لأحكامها تنظيمًا كاملاً لأن نظام الأسرة هو نظام الحياة الإنسانية العالمية إذ الهزات التي تضطرب بها الأسرة هي هزات للمجتمع ذاته . من أجل هذا نجد التشريع الإسلامي عن هذه الرابطة أتم العناية وقدّر أسبابها وأحكامها وكل ما يتصل بها في تفصيل وإفادته .

٥ — والروابط التي تربط الناس بعضهم ببعض عرفتها الإنسانية منذ البداية ، وأصل هذه الروابط رابطة الزواج ، وهي رابطة مقدسة مباركة توجد علاقة روحية بين الزوجين ، ويسموا بها عن أن يكون الرابط بينهما الشهوة البهيمية ، فيطمئن كل من الزوجين للآخر في بدنه وماله وتهدأ إليه نفسه ويفضى إليه بما عنده . يقول الله تعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، ول هذه المعاني حث الإسلام على الزواج ودعى إليه . يقول الرسول (يا معشر

الخالص، أما الإسلام فحد من فوضى الزواج التي كان عليها العرب خاصة وجعله واحدة للرجل إلا إذا كانت به حاجة للتعدد .

٩ — وفي الحق أن الإسلام وإن أباح التعدد فإنه لا يبيحه إلا مع قدرة الزوج على تحقيق العدالة والقدرة على الإنفاق والمعاشرة ، أما إذا لم تتحقق هذه القيود فليس له إلا واحدة وإلا فهو آثم يقول الله تعالى : ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ، ويقول : ... فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، ولم يرد نص في القرآن يفيد إباحة تعدد الزوجات إلا ما جاء ضمن التكلم عن اليتامى وخوف الأوصياء من مخالطتهم مخافة النفس والهوى ... وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ... ، وبذا يكون الشرع قد اعتبر حالة مخالطة اليتامى لرعايتهم وإصلاح شأنهم ضرورة تبيح التعدد إذا وقع في نفس القائم على شئونهم تعلق بالآيم أو بإحدى اليتيمات ، كما أن التدرج في تشريع الأحكام الذي هو أحد دعائم التشريع الإسلامي اقتضى الحد من حرية الرجال في الجمع بين الزوجات دون أن يشق عليهم بالوقوف عند الواحدة ، بالإضافة إلى العامل السياسي الذي استحث الرسول من أجله الناس على التناسل ، تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة ،

وبعض الشعوب السكسونية وكان حقاً لرؤساء قبائل الهنود في أمريكا الجنوبية ، وقد كان لبعض النبلاء في الشعوب الجرمانية حق تعدد الزوجات ، كما جمع بعض ملوك أسبرطة أكثر من زوجة ، كذلك فإن الامبراطور قسطنطين وابنه كان لكل منهما عدة زوجات ولم يكن على الناس من حرج في الاقتداء بهم ورغم انتشار المسيحية وشيوعها حتى منع جستنيان التعدد ، كما عرفت بروسيا التعدد وأخذت به حتى القرن الثالث عشر . وقدماء المصريين وإن عرفوا تعدد الزوجات إلا أنهم كانوا أول أمة عرفت الاقتصار على الزوجة الواحدة .

٨ — والتوراة لم تمنع التعدد ، بل فيها ما يدل على بقائه ، وفي التشريعات اليهودية المتأخرة نجد التلويح تنص على أن الحكام ينصحون الرجل أن لا يتزوج بأكثر من أربع زوجات ، بل بقي تعدد الزوجات ذائماً عند اليهود الأوروبيين حتى العصور الوسطى والمسيحية لم يرد فيها ما يدل على منع التعدد إلا ما جاء على لسان القديس بولس خاصاً برجال الدين على أن الثائر (مارتن لوثر) يقول : إن تعدد الزوجات لم يمنعه الله ، وإذا كانت أوروبا والدول المسيحية انتهت إلى منع التعدد فإن هذا المنع لا يستمد مصدره من المسيحية بقدر ما يستمد من العرف

ذلك من الدوافع السياسية والإنسانية التي تدل على أن الرسول إنما كان يضحى من ذات نفسه . على أن ذلك كله كان قبل تحديد الزواج بأربع ، وما كان له أن يطلق منهن ، وإلا لكان ذلك منافيا للحكمة التي من أجلها تزوج بهن .

أما زواج الكثير من الصحابة والتابعين بأكثر من واحدة فإنه لا ينقض ما نراه من أن التعدد استثناء يباح عند وجود المقتضى ، وقد كانت الرغبة في التكاثر ، وكثرة الحروب والقتلى من الرجال ، والترابط بين القبائل من العوامل التي اقتضت ذلك عند تحقق العدالة وعدم الجور والقدرة على القيام بشئون الزوجية .

١١ — ويدل على أن الأصل الزواج بواحدة أن الشارع لم يرث ميراثا للزوجات يختلف عن ميراث الواحدة فאלله تعالى يقول : ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثلث . . . ، وأساليب التعبير في اللغة العربية تقتضى أن مقابلة الجمع بالجمع تقتضى القسمة آحاداً ، وهنا قبل الجمع الذي هو الأزواج بالجمع الذي هو الزوجات . فدل على أن الأصل أن يكون لكل زوج زوجة وأن يكون لكل زوجة زوج .

وقد كانت الدعوة جديدة والمسلمون قلة . هذا فوق ما كانت تنتجته الحروب عامة من ترميل النساء وكثرتهن وقلة الرجال .

١٠ — فالإسلام وإن أباح التعدد عند توافر القيود التي وضعها فإنه لم يوجب التعدد ، ولم يجب إليه بل ولم يجعله أصلاً وإنما جاء بحكميه على أنه استثناء بدليل سياق النص الفريد الذي جاء بحكم التعدد ، ولا ينقض هذا تعدد زوجات الرسول والكثير من أصحابه وتابعيه .

لأن زيجات الرسول لم يكن الباعث لها الغرض والهوى والدوافع الجنسية وإنما كانت لمثل عليا سامية ودوافع سياسية تتطلبها تكوين الدولة وانتشار الدعوة ، وإلما تزوج بعد وفاة زوجته الأولى التي بقيت معه بمفردها ثمانى عشرة سنة - صبية لم تَم سن السابعة وقد نيف على الأربعين ، ولما جمع معها الأرمال ولا ذوات الأولاد ، ففسد كانت زوجاته كلهن غير الصبية عائشة أرمال وثيبات خلعن ثوب الشباب ، وطمس الترميل ونكبات الحياة فيهن معالم الجمال ، وكان غرضه من وراء زواجه بهن الربط بين القبائل المتشاحنة ، وإيواء الأرمال المسلمات اللاتي لم يدخل أهلهن في الإسلام ، والتحريض على إعناق الأسرى بغضاً في الاسترقاق وتحبيلاً للأسرى وقومهم في الإسلام إلى غير

المعامل والمصانع قد تفتك بالكثير من الرجال بما يتزايد معه تعداد النساء . وهن يحتجن إلى رجولة الزوج كما يحتجن إلى الطعام والشراب . وهذه بعض دول أوربا التي أفقدتها الحرب السابقة الكثير من رجالها وشبابها وخلفت الأيام والعوانس . وقد جارت أصواتهن بالشكوى مما هن فيه من حرمان وعذاب نفس . ولا علاج لهذا إلا بإباحة تعدد الزوجات والإبقاء على نسب المولود أو الإباحية والانهياء الخلقى وتزايد الأبناء غير الشرعيين .

١٣ -- فالإسلام يواجه الحقيقة والواقع ويجعل التعدد مشروعاً في مثل هذا مخافة ضياع نسب الأطفال . بينما القوانين المتحضرة تعترف بالولد غير الشرعى وترتب له بعض الحقوق . وتأنى أن تعمل على تصحيح نسبه . كما أن نظام الخليلات قائم فيها معروف . والخليلة بالنسبة للزوج في حكم الزوجة الأخرى والفرق أنه في الإسلام تعدد واضح . وعندهم تعدد في الظلة والخفاء . والواضح البين أشرف وأفضل من العمل في الخفاء بما يترتب عليه إفساد الأزواج على زوجاتهم وأولادهم بل وعلى مسلكتهم في الحياة ونظرة الناس لهم . والقاعدة أن الضرر الأكبر يدفع بالضرر الأدنى .

* * *

على أن الفقهاء مجمعون على حرمة التعدد عند خوف الجور ، وهذه الحرمة الناتجة من خوف الجور بينهن مفسدة لعقد الزواج نفسه على ما يراه البعض تخريباً على أصل مذهب مالك وإحدى الروايتين عن أحمد .

* * *

١٢ -- وإباحة التعدد في الإسلام على هذا الوجه قد تتطلبه الطبيعة ويدفع تشريعه ضرراً أكبر وفساداً أخطر . فالطبيعة اختصت المرأة بدورة شهرية وبالخلل والوضع والرضاع ، وكثيراً ما تكون منحرفة المزاج في هذه الفترات فضلاً عن تحريم مخالطتها في أيام الطمث والنفاس ، وقد تمرض الزوجة مرضاً يمنعها من الاختلاط بالزوج والقيام بشئون البيت ، وقد تكون عاقراً لا تنجب ، والرجل مع كل هذا قد لا يستطيع بطبيعته الاستغناء عن النساء ، ولا يمكن أن نमित فيه حب التناسل حبا في البقاء . ولو غلق على الذين تتحكم فيهم شهواتهم باب التعدد لطقوا باب الحرام وتوغلوا فيه وليس من العدالة والمروءة أن نجعل زواجه حينئذ مشروطاً بطلاق زوجته المريضة أو العاقر . فقد يكون لها منه أولاد ترعاهم في كنفه ، وقد تكون لا عائل لها ولا رغبة فيها للزواج .

كما أن الحروب على ما أشرنا وأخطار

فهم حقيقة تشريع التعدد أو انحرفوا فيه فإن هذا لا يعيب التشريع وإنما يعيب الأفراد . وعلاجه في أن يشرف ولي الأمر على تنفيذ هذا الحق ليتأكد من تحقق القيود . وأن يضع من القواعد ما يمنع الوقوع في الخطأ . ويضع من الجزاء ما يوقف المستهترين . وقد كتبنا في ذلك من قبل في جريدة الأهرام سنة ١٩٥٣ تحت عنوان كيف نعالج فوضى تعدد الزوجات . وقد استجابت الحكومة إلى ذلك وأعدت مشروعا بقانونين . غير أننا نود أن يعرض على المشتغلين بهذه الأمور لإبداء الرأي فيه قبل أن يصبح قانونا نافذا — حتى يخرج قانونا ناضجا خاليا من المآخذ .

محمد سلام مذكور

أستاذ الشريعة بكلية حقوق القاهرة

١٤ — والنتيجة أن الزواج في الإسلام هقد مقدس وأن الأصل في مشروعيته الزواج بواحدة . وأن التعدد استثناء يباح عند توافر العدالة والقدرة وهي أمور وجدانية وتقديرية تتفاوت فيها الأنظار والتشريع الإسلامي ليس فيه ما يمنع من أن يسند تقدير هذه الأمور والأسباب التي تدفع الرجل إلى تعدد زوجاته إلى هيئة من الهيئات تنظره وتوصي فيه برأى معين . إذ تقدير الضرورة مرجعه إلى جماعة الأمة ممثلة في السلطة التي تلي أمر التشريع . بل هو أيضا من باب ما لولي الأمر من الإشراف على تحقيق ما شرطه الشرع أو ما له من تقييد المباح لأن في هذا ما يحقق المصلحة ويدرك المفسدة وليس فيه ما يحبس أصل الحكم الشرعي ويرفعه .

١٥ — ومع هذا فإن الناس إذا أساءوا

صريح لسانك

قال عبد الله بن المقفع : اعلم أن لسانك أداة مسلطة يتغالب عليه عقلك وغضبك وهواك وجهلك ؛ فكل غالب عليه ، مستمتع به ، وصارفه في محبته ، فإذا غلب عليه عقلك فهو لك ، وإن غلب عليه شيء من أشباه ما سميت لك فهو لعدوك ، فإن استطعت أن تحتفظ به وتصونه فلا يكون إلا لك ، ولا يستولى عليه أو يشاركك فيه عدوك فافعل .

من مشاهد الهجرة :

إنه عربى ...

للسيد سمير المغرمي

قرأت عن عربية من بنى مخزوم عاشت
 زمن الرسول في محبته ثم في بيته وكنفه ،
 ثم بعد وفاته ، وعشت مع قصتها ساعات
 طويلة كنت أتعقل فيها على مهل ، مأخوذة
 بما أصادف من معان ، يكاد كل معنى يقف
 في عنقه .

وفي الوقت الذى أقارب فيه لإتمام الإطار
 الجميل لهذه الصورة الرائعة لشخصية المرأة
 العربية المسلمة . في هذا الوقت ترتفع الستارة
 عن مشهد آخر من مشاهد الرواية ،
 لا أكذبك أيها القارئ — إذا حدثتك أنه
 كاد ينسيني ما شاهدت من قبل ، ولم يكن
 هذا المشهد الجديد عن امرأة ، ولكن عن
 رجل ، نعم عن رجل ، ورجل عربى ،
 وعربى وكفى .

لقد تكشف لى الآن سر اختيار الله لأن
 تشرق شمس الإسلام من جزيرة العرب ،
 ويحمل أشعتها الهادية عرب ، وينقذ بها
 الإنسانية عرب ، ويضع أصول الحضارة
 والمدنية عرب .

اخترت هذا العنوان من بين عدة عناوين
 تصلح لهذه القصة التى ملكت على إعجابى
 حين خلوت إلى تراث العرب وأجداد
 الإسلام ، أغذى نفسى بالمثل الحية ، وألتقى
 بالبطولة فى صورتها الرائعة الأصلية بعد
 أن سئمت قراءة الروايات الأجنبية ،
 وملك أخبار غوانى باريس فى بلاط الملوك ،
 التى لا تسلم إلى مثل حى من الأمثلة الإنسانية
 الرفيعة ، ولا تبعث فى النفس إعجاباً بخلق
 يتصل بحياتنا الشرقية الإسلامية .

خلوت ليلة — وكانت من أحلى ليالى
 العمر — إلى كتب السيرة النبوية وآثار
 السلف الصالح ، وقصدت إلى المظان التى
 تتحدث عن المرأة العربية المسلمة لا كما
 يتحدث عنها الشعراء حين يتغزلون ، ولكن
 أردت أن أراها فى أدوارها الجديدة . و أنظر
 موقفها من الإسلام الذى حدد معالم الطريق
 المستقيم للبشر ، بهذيب الغرائز والعواطف
 والاتجاه بها إلى الآفاق السامية والمسكنة
 الرفيعة .

أبوسلة عبدالله المخزومي قد هاجر إلى الحبشة ثم قدم على رسول الله بمكة ، فلما أذنه قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجراً قبل بيعة العقبة بسنة .

وأراد أن يصحب معه زوجته أم سلة هند بنت سهيل ، فأعد البعير وحملها عليه ، وجعلت ابنها سلة في حجرها ، ثم خرج بها يقود البعير ، فلما رآه بنو المغيرة أقارب زوجته قاموا إليه معترضين سفرها معه ، وقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه . علام تتركك تسير بها في البلاد ، ثم نزعوا خطام البعير من يده وأخذوا منه أم سلة ، وهنا بلغ بنى عبد الأسد رهط أنى سلة ، أن بنى المغيرة أخذوا أم سلة وابنها ، فثار في نفوسهم ما يثور عند العربي يرى ولداً من صلب عشيرته يربى في بيت غير بيت أهله ، مع ما للولد عند العرب من منزلة ، فهو قوة وكسب لا ينبغي أن يعتز به غير قومه . فأقسموا ألا يتركوا ابنهم سلة عند أمه وأهلها ، وهناك اشتد النزاع وتجادب البيتان الولد حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد عشيرة أبيه ، وهنا أصبحت أم سلة وحيدة ، هاجر زوجها وانتزع منها ابنها ، وتصور أيها القارى كيف تتحمل أعصاب المرأة هذه

وينبأ أنا في هذه النشوة الحاملة ، ظهر لي مشهد آخر في صفحات أخرى ، رائعة ، وليست روعته لذاته ولكن لصلتها بموضوعي الأول ، تلك الصلة التي زادتني إيماناً وإعجاباً بالعرب ، وأرتنى بوضوح خسة أخلاق اليهود ونذاتهم المتأصلة ، امرأة عربية أخرى تسوقها ظروف مشابهة لظروف أختها الأولى إلى أن تلتقي في طريقها المتقطع بيهودى ، فيتجلى الفرق الواسع بين أصالة العربي ونذالة اليهودى ، اليهودى الذى يعيش آمناً بين العرب الذين آووه وأكرموه حين ظردته الدول ولم ترض به مواطناً يعيش فيها ، ومع هذا لم يعترف بالجيل حتى بالتظاهر ، ولكن هذا طبعه الملازم له : كفران النعمة وعداء للرحمة ، وعدم تحمله عيش السلام ، فحياته دائماً قائمة على الفتن والقلق والاضطراب .

أروى لك أيها القارى تلك القصة التي ملككت على إعجابي ، ولعلك إذا انتهيت منها أحسست بما أحس به أو أشد ، ورأيت أن تعجلى للحكم عليها لم يكن إغراء لك بقراءتها .

عندما اشتد أذى الكفار للنبي وصحبه في مكة ، وعرض دعوته على القبائل في مواسم الحج ، ودخل الإسلام بعض بيوت المدينة أذن الله لنسليين بالهجرة إليها ، وكان

عند حدود الحرم بالثنعيم قريبا من مكة ، قابلهما عثمان بن طلحة وهو يومئذ على دين قومه ، فسألها إلى أين ؟ فقالت أريد زوجي بالمدينة ، فقال وهل معك أحد ؟ فقالت لا والله ، إلا الله وابني هذا . فهاذا يفعل الرجل المشرك ، وكان من اليسير أن يردّها إلى مكة ، أو يسلبها بغيرها ويتركها وحيدة ، أو يطعمه جماها الذي اشتهرت به في أن يعمل شيئا آخر ، حيث الجو مهيا والظروف مواتية ، ولكن الرجل عربي ، وكما قلت من قبل : عربي وكفى ، أخذته الغيرة والحمية والنخوة العربية فقال لها : والله مالك من مترك ، أى لا ينبغي أن تتركى وحدك ، وهنا أنرك السيدة الطاهرة الوفيّة البارة تروى لك بأسلوبها كيف كانت معاملته لها في الطريق وهو الذي كانت له مندوحة أن يتخلى عنها ولا يتحمل مشقة السفر الطويل الذي لا حاجة له به ، وكانت هي تتوقع منه ألا يقربها بسوء وأن يدعها تواصل سيرها إلى حيث تريد ، ولكنه كان على العهد بالعربي الأصل ، تقول السيدة أم سلة :

فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معه يهوى بي ، فوالله ما صحبت رجلا من بني العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، وكان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني ، حتى إذا نزلت عنه استأخر ببعيري فخط عنه ثم قيده في الشجر

الصدمة ، كيف تعيش بغير زوج وولد وهما حيان ، ولكن لاسبيل إلى اللقاء ، فمثلها كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه كانت المسكينة تعزى نفسها بالخروج صباح كل يوم إلى الأبطح تتعلل بالنظر إلى حيث سافر زوجها ، وتتسم أخبارا تخفف من لوعتها ، وما تزال تبكي حتى يأتى المساء فتعود لا لتنام ولكن لتظل ساهرة تفكر فيمن يبعث إلى عينها النوم من زوج يحمىها ويقاسمها هموم الحياة ، ومن ولد هو فلذة كبدها الذي فقد صدرها الحنون وفقدت في جواره القرار .

وبينما هي على عادتها بالأبطح تسبكي لاذمر بها رجل من بني عمها ، فرق لها وتوسط في حل مشكلتها ، فسمح لها أهلها بالسفر إلى زوجها ، وأعطاهما بنو عبد الأسد ولدها ، ولكن كيف تستطيع السفر وأهلها أعداؤها ؟ من الذي يصحبها في طريقها الموحش الطويل ؟ ومن الذي يزودها بما تبلغ به الأيام الطوال ؟ لم يكن عندها إلا بغيرها فارتحلت وجعلت ابنها أمامها ، وخرجت متوجهة إلى المدينة ليس معها إلا الله ، ولا زاد لها إلا ما يسوقه لها القدر في الطريق ، ولكن الله سخر لها من يرعاها ويحميها ، وكانت الحاية والرعاية من رجل ، ومن رجل ليس على دينها ، إذ قابلهما في الطريق وهي

فقد كانت أم شريك الدوسية في سفر فعطشت ، فمرت برجال في الطريق فمرجت عليهم تسأل ماء كعادة العرب ، فإذا بهم يهود ، ولم تتحرك فيهم معاني الانسانية ، فينقذوا امرأة كاد يقتلها الظمأ في الصحراء ، ولكنهم لا يرون لغيرهم حقاً في الحياة ، فسألوها أولاً عن دينها ، فقالت مسلمة . فعرضوا عليها الرجوع عن دينها ليسقوها فأبى وأصرت ، وقد كان لها من الرخصة وهي مشرفة على الهلاك . أن تنطق بكلمة الكفر وقلبها مطمئن بالإيمان ، ولكنها مؤمنة مخلصه تأبى العار في أدنى صورته ، فكافأها الله بأن صرف عنها ألم العطش بأن خيل لها أن دلوأ تدلى من السماء فشربت ورويت .

وسواء أصبح هذا المخرج من المأزق على هذه الصورة أم لم يصح ، فقد استبان الفرق البعيد بين العربي واليهودى . وأيقنت حقاً أن أمة لها مثل هذه المقومات الأدبية الرفيعة لن تذلل ولن تهون . وأن شذمة من اليهود ورثت الخسة في أحط مداركها لن يكون لها شأن في الوجود . والله العزة ولرسوله وللؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ؟

سيرة المغربي

ثم تنحى الى الشجرة فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الروح قام إلى بعيرى فقدمه فرحله ثم استأخر عنى فقال : اركبى ، فإذا ركبت فاستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه فقاد بي حتى ينزل بي ، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمنى المدينة ، فلما نظر إلى قرية عمرو بن عوف بقباء ، قال زوجك في هذه القرية ، وكان أبو سلمة نازلاً بها ، فادخلها على بركة الله . ثم انصرف راجعاً الى مكة . الى هنا تنتهى القصة التى كانت كلها ذكرتها أم سلمة قالت : والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أنى سلمة ، وما رأيت صاحباً قط أكرم من عثمان بن طلحة .

ولقد أكرم الله أم سلمة بعد ذلك فتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاة زوجها في السنة الرابعة من الهجرة ، وكانت صاحبة رأى سديد حلت به أكرامات ، وأكرم الله عثمان بن طلحة فأسلم عام الحديبية على ما أسلف من خير وهاجر الى المدينة مع خالد ابن الوليد قبل الفتح .

قابل هذه الصورة الرائعة الناطقة بعراقية العربى في النبيل والشهامة والمروءة والتجدة وبين خسة اليهودى التى تصورها هذه الحادثة كما ذكرها ابن اسحق في رواية غير ابن هشام :

من رجال الإسلام:

عامر بن شراحيل الشَّعْبِي

للأستاذ محمد إبراهيم الجيوشي

شهد له أعلام عصره بالعلم الغزير والمعرفة الواسعة، والبيان القوي فقد مر به ابن عمر رضى الله عنه. وهو يحدث القوم عن المغازي. فقال: شهدت القوم، وإنه لأعلم بها مني.

وقال الزهري: العلماء أربعة: ابن المسيب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة، ومكحول بالشام.

وقد ساعد الشعبي على الوصول إلى هذه المكانة التي استرعت انتباه الأعلام من رجال عصره، ودفعتهم إلى الإشادة بفضله حافظته قوية وذهن وقاد لم يمر به شيء إلا سجله ووعاه حتى ليقول هو عن نفسه في ذلك - رداً على من سألته عن مبلغ حفظه -: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته.

وهذه العبقرية الفذة، وهذا العقل الراجح، والفكر اللباج والبيان الطلق استوقفت رجلاً مثل الحجاج، وأثارت دهشته، فقد أتى بالشعبي في قوم خرجوا عليه، فقال الحجاج: خرجت علينا يا شعبي؟

كلما رددت الطرف من قديم في كتب التاريخ والأدب يسترعى انتباهي، وتستوقفني أخبار منشورة هنا وهناك عن عامر بن شراحيل الشعبي.

ذلك النموذج الفذ للفقهاء الإسلامى في القرن الأول من الهجرة.

فقد ولد عامر الشعبي سنة ١٩ على خلاف في ذلك، وأنهى رحلة الحياة في عام ١٠٣ من الهجرة، وبين بدء رحلة الحياة ونهايتها ترك الشعبي من الأخبار والأحداث ما استعصى على الموت أن يطويه مع صفحة العمر التي طواها.

ولئن كان الشعبي قد ودع الحياة في أول القرن الثاني للهجرة فإن أخباره وسيرته لاتزال تترامى أضواؤها على مشارف الزمن كما تتلألأ النجوم الهادية للسائر في خضم المحيط.

يستوقف الناظر في سيرة الشعبي تلك الجوانب الخصبة المتعددة لهذه الشخصية الفذة. فهو فقيه، ومحدث، وراوي، وساخر بارع النكتة حلوا الفكاهة، ورجل سياسة من الطراز الأول.

ولكن كما قال لبيد بن ربيعة وقد بلغ
سبعين حجة .

كأنى وقد جاوزت سبعين حجة
خلعت بها عن منكبيّ ردائيا

ولما بلغ سبعا وسبعين سنة قال :
بانت تشكى إلى النفس موهنة

وقد حملك سبعا بعد سبعينا
فإن تزدى ثلاثاً تبغى أملا

وفي الثلاث وفاء للثمانينا
ولما بلغ تسعين سنة قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها
وسؤال هذا الناس : كيف لبيد ؟

ولما بلغ عشراً ومائة قال :
أليس ورأى أن تراخت مني

لزوم العصا تحنى عابها الأضالع
أخبر أحبار القرون اتى خلت

أنوء كأنى كلما قت راكم
ولما بلغ ثلاثين ومائه وحضرته الوفاة قال :

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما
وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

فوقما فقولاً بالذى تعلمانه
ولا تحمشا وجها ولا تحلقا شعر

وقولا : هو المرء الذى لا صديقه
أضاع ، ولا خان الخليل ولا غدر

إلى سنة ثم السلام عليكما
ومن ييك حولا كاملا فمقد اعتر

قال الشعبي : أجذب بنا الجنب ، وأحزن
بنا المنزل ، واستملسنا الخوف ، واكتحلنا

السهر ، وأصابتنا خزية لم نكن فيها بررة
أنقياء ، ولا فجرة أقوياء .

فلم يتمالك الحجاج إزاء هذا البيان المحكم ،
والفكر المشع إلا أن يرسله ضناً به على الموت ،

وهو يقول : لله أبوك !
وقد أهلت هذه المواهب إلى أن يكون محل

شناية رجال الدولة ونقد برهم . ولهذا لم يتردد
الحجاج حيناً بعث إليه عبد الملك بن مروان

يسأله أن يختار له رجلاً يصلح للدين والدنيا
يتخذه محدثاً وسميراً ، أن يبعث له بالشعبي .

مع عبد الملك :

ولما دخل الشعبي على عبد الملك وجده
قد أطارق منها ، فقال : ما بال أمير المؤمنين ؟

قال عبد الملك : ذكرت قول زهير .
كأنى وقد جاوزت سبعين حجة

خلعت بها عنى عذار لجامى
رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى

فكيف بمن يرى ، وليس برامى
فلو أتى أرمى بنبل رأيتها

ولكننى أرمى بغير سهام
على الراحتين تارة ، وعلى العصا

أنوء ثلاثاً بعدهن قيسامى
قال له الشعبي : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ؟

وقد سأله ذات يوم عن ذكر ياته ونوادره
في القضاء . فقال الشعبي : اختصم إلى امرأة
وبعلمها ، وكانت حسنة المظهر جميلة الوجه ؟
وعلى حق في دعواها ، فقضيت لها واتممت
زوجها بالتحيز لها ، وكتب لـ رقعة فيها :

فتن الشعبي لما

رفع الطرف إليها

فتنته بقوام

وبخطى حاجبها

ومشت مشيا رويدا

تم سزت منكبها

قال للجلواز قرب

ها وأحضر ناهدبها

وقضى جورا على الخصة

م ولم يرض عليها

كيف لو أبصر منها

نحرها أو ساعدبها

لصبا حتى تسراه

ساجدا بين يديها

فسأله الخليفة : وماذا فعلت عندئذ ؟
فأجاب : أمرت بضربه حتى أوجمت ظممه .
ثم أخذ الشعي في إلقاء نوادره على الخليفة
وهو في غاية السرور والبهجة ولما احتاج
الأمير إلى سفارة بين الدولة الأموية
وامبراطور بيزنطة على أثر ضرب الدينار
الإسلامي في عهد عبد الملك لم يجد عبد الملك

فسر عبد الملك وتهللت أساريره حتى قال
الشعي : فلقد رأيت السرور في وجه عبد الملك
طمعا أن يعيشها .

رأى عبد الملك نموذجا فريدا من الرجال ،
وخشى أن يبدر منه ما يغيره عليه فيحرم
من حديثه ومنادته فقال له :

يا شعبي ، لا تساعدني على ما قبح ، ولا ترد على
الخطأ في مجلس ، ولا تختلفني جواب التسميت
والتهمة ، ولا جواب السؤال والتعزية ، ودع
عك . كيف أصبح الأمير . وكيف أمسى ،
واجعل بدل المدح لـ صواب الاستماع
منى ، واعلم أن صواب الاستماع أكثر من
صواب القول ، وإذا سمعتني أحدث فلا
يفوتك منه شيء ، وأرنى همك من طرفك
وسمك ، ولا مجهد نفسك في تطرية صوابي .
ولا نستدع بذلك الزيادة في كلامي ، فإن
أسوأ الناس حالا منهم من استخف بحقهم .
واعلم يا شعبي أن أقل من هذا يذهب بسالف
الإحسان . ويسقط حق الحرمة ، فإن
الصمت في موضع . ربما كان أبلغ من المنطق
في موضعه وعند إصابته وغرضه .

وكانت روح الشعبي المرحمة ، وفكاهته
الحلوة ، ودعابته العذبة مما قر به إلى
نفس عبد الملك ، وجعل الأمر يصل بينهما
إلى حد المزاح والمداعبة ، وزاد في إعجابه به

أجدر من الشعبي بالقيام بهذه المهمة الخطيرة ،
ولكنه أراد أن يطمئن قلبه ، فعقد امتحانا
لشعبي أشبه بما نسميه اختبارات الذكاء
اليوم ، وجرى بينهما الحوار التالي .
الخليفة : يا شعبي ، ما العلم ؟
لشعبي : هو ما يقربك من الجنة ، ويباعدك
من النار .
الخليفة : يا شعبي . ما العقل ؟
لشعبي : ما يعرفك عواقب رشدك ،
ومواقع غيك .
الخليفة : متى يعرف الرجل كمال عقله .
لشعبي : إذا كان حافظا للسانه ، مداريا
لأهل زمانه ، متبلا على شأنه .
الخليفة : يا شعبي أنشدني أحكم ما قالته
العرب وأوجزه .
لشعبي : يا أمير المؤمنين قول زهير .
ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
وقول النابغة :

ولست بمستبق أخا لا تلبسه
على شعث أى الرجال المهذب
وقول عدي بن زيد :
عن المرء لا تسأل ، وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى
وقول طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وقول الحطيئة :
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس
عند ذلك لم يخالج الخليفة أدنى شك فى أن
الشعبي سيقوم بسفارته فى نجاح ، وعلى خير
وجه ، وأخذ الشعبي يتأهب للسفر إلى
بلاد الروم .

الشعبي فى بوط الامبراطور :

وفى بلاد الروم التقى الشعبي بالامبراطور ،
وكان شديد الحرص على أن يمثل الدولة
الإسلامية خير تمثيل ، ويوفر لها كرامتها
ومكاتها . وأراد الامبراطور أن يعرف
مقدار ولاء السفراء المسلمين لدولتهم .
فقال له : أنت أحق بموضع صاحبك منه ،
فأجابه الشعبي على الفور لإجابة رائعة مفحمة
« على بابه عشرة آلاف كلهم خير منى . .
فقال الامبراطور : « هذا من عقلك » .

وقال الامبراطور للشعبي : أريد أن أسألك
عن ثلاث خلال ، فإن أجبتنى عنهن فأنت
أعلم الناس ، فقال الشعبي : فليسألنى الملك
عما أحب . .

قال الامبراطور : يا شعبي ، هل للعرب
من الأمثال مثل أمثال العجم ؟

قال الشعبي : نعم . وعندنا مثل ليس لأهل
الأرض مثله .

وحسد الدولة الإسلامية على ظفرها بمثله
فبعث برسالة إلى عبد الملك يحاول فيها أن
يغري الخليفة بالشعبي . ولكن عبد الملك
قلبه إلى غرضه ، وأضاع عليه تدبيره .

طرف منه أقواله :

والشعبي رجل خبر الحياة وفهم حقائقها ،
وكان ذا بصر بأخلاق الناس وطبائعهم .
وله أقوال تدل على عمق النظرة وسبر غور
الحياة ، ومن ذلك قوله : تعايش الناس زمانا
بالدين والتقوى ، ثم رفع ذلك فتعايشوا
بالحياء والتدمم ، ثم رفع ذلك فما تعايش
الناس إلا بالرغبة والرغبة ، وأظنه سيجي .
ما هو أشد من هذا .

وقد أورثه ذلك حلما وسعة صدر أسمعه
رجل كلاما يكرهه فلم يكن جوابه إلا أن قاله
إن كنت صادقا فغفر الله لي . وإن كنت
كاذبا فغفر الله لك ، وكثيرا ما كان يتمثل
بقوله مسكين الدارمي .

ليست الأحلام في حال الرضا

إنما الأحلام في حال الغضب
والشعبي ردود تفيض بالسخرية ولتهكم ،
وكثيرا ما يكون ذلك حينما يلتقي به بعض
الثقلاء . وكثيرا ما في حياة الشعبي . فقد مر
به حال على ظهره دن خل ، فلما رآه وضع الدين
وأقبل عليه يسأله : ما كان اسم امرأة إبليس ؟
فقال الشعبي : ذاك نكاح ما شهدناه .

(البقية على صفحة ٨٩)

قال الأمبراطور : وما هو ؟
قال الشعبي : يا ابن آدم إذا لم تستح فاصنع
ما شئت .
فقال الأمبراطور : ما سمعت بهذا المثل
قط إنه لا يشبهه مثل .

وكان الشعبي قد خضب لحيته باللون الأصفر
تجملا منه وحرصا على التقاليد الإسلامية ،
إذ كان الخضاب الأصفر يعتبر سنة عن النبي
فقال الأمبراطور : يا شعبي لم غيرت لحيتك
بصفرة ، ألا صبرت على البياض كما ابتليت
أوردتها إلى نسجها الأول فخصبت بالسواد
فأجاب الشعبي : هذى سنة نينا .

فقال الأمبراطور : ما جاء به النبيون
فليس فيه حيلة ، ثم قال أخبرني يا شعبي أنت
خير أم أبوك ؟

فقال الشعبي : أبي خير مني .
فقال الأمبراطور : وأنت خير من ابنك .

فقال الشعبي : نعم ؟
فقال الأمبراطور : الحمد لله الذي أظفرني
بك يا شعبي . آخركم قردة إذا كنتم تزدادون
في قرن شرا .

غير أن الشعبي أخذ يبين للأمبراطور
وجهة نظره من حديث النبي الذي يفيد أن
الموازين ستعكس آخر الزمان ، ويغلب على
الناس الهوى والزغات النفسية .
وقد أعجب الأمبراطور بمواهب الشعبي ،

الدين للضرورة أم للكمال؟

للأستاذ محمد فتح عثمان

من خلقنا تفضيلاً . . وهو يقرر لكل إنسان

حقه في العيش الكريم . مؤمناً كان أو كافراً ،

مخلصاً أو جاحداً . من كان يريد الحياة

الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم

لا يبخسون ، . من كان يريد العاجلة عجلنا له

فيها ما نشاء لمن نريد . ومن كان يريد الآخرة

وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان

سعيهم مشكوراً . كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من

عطاء ربك وما كل عطاء ربك محظوراً .

وعلى هذا الأساس الفلسفي الاعتقادي

قررت شريعة الإسلام حقوق غير المسلمين

المعاشية في دولة الإسلام ، وفرض عمر بن

الخطاب من بيت المال ليهودي رآه يسأل :

الجزية والحاجة والسن ، وضمن خالد بن

الوليد في عهده لأهل الأقاليم المفتوحة : أيما

شيخ عجز عن العمل ، أو أصابته آفة من

الآفات ، أو كان غنيا فافتقر ، وصار أهل

دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته ، وعيل

من بيت مال المسلمين هو وعياله .

وهذا الميدان من ميادين الدين ، يشترك

فيه دعاة الدين مع دعاة الإصلاح من كل لون .

قد تكون الدعوة إلى إصلاح الدنيا عن طريق

هل كان الدين وقاء للإنسان البدائي - فحسب

يستحشه جهوده - ويعالج مخاوفه ، فإذا

استطاع الإنسان أن يقضى حاجاته المعيشية

عن طريق التعامل مباشرة مع سنن الكون

وكشوف العلم ونظم الاجتماع والاقتصاد

والحكم فقد صار الدين (غير ذي موضوع) !

كثير من يتظاهرون بالإنصاف يقولون

هذا . . ويجعلون الدين (ذا فضل تاريخي)

قد مضى زمنه ، واستنفد أغراضه ، وغدت

الإنسانية تستطيع أن تحقق بوسائلها الحاضرة

من رغد لعيش وسعادة النفس ما لا تحتاج

معه إلى دين يتحدث عن المغييب المجهول !

والحق أن الدين لا يسهدف الحفاظ على

قوى الفرد ونوع الإنسان فحسب ، بل

السمو بها وترقيتها أيضا . . . ولنتناول

الإسلام مثالا على تحقيق هذه المهمة بشطريها .

إن الدين يقضى ضرورات العيش . . يحفظ

(للإنسان) كنوع مستوى يليق به . لقد

خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، . . ولقد

كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ،

ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير

آلهة إلا الله لفسدنا ، ، ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء ، ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون ، ١

وأنى لمن تستهلكه مطالب القوت ، وهو يعيش من يده لفمه ، تهدده قرقرة البطن ومتربة العيال ، وأنى لمن تفزعه سياط الجلادين ومقارع الطغاة ... أنى لهذا أو ذاك أن يجد فسحة وقت وهدوء بال وحصافة عقل وحصيلة علم ليفكر فى الديانات والمذاهب والآراء ؟

يقولون إن هؤلاء الجياع العراة هم طليعة المتحمسين للدين ، المضحين من أجله ، المستشهدين فى سبيله ... ويقولون إن هؤلاء (الشهداء) آمنوا فى يسر بالآخرة لأنهم لم يجدوا ما يخسرونه فى الدنيا ...

والحق أن شهداء العقائد والديانات جموع لا نستبين كل أفرادهم ، وقد يكون فيهم كثير أو قليل من الضائقين بحياتهم ، ولكن الذى لاشك فيه أن بين هؤلاء الأتباع أصحاب نظر وفكر ، وجه وثناء ، وصدق وشجاعة ، آمنوا بالدين إيماناً لم يكونوا يفرون به من واقع مهيب إلى خيال عريض !!

الدين أعمق جذوراً - لأسباب سنتناولها بعد وقد عرضنا لبعضها فى مقالات سابقة - ولكن موضوع الدعوة نفسها : وهو تحقيق ضرورات المعاش من مأكل وملبس ومأمن يشترك فيه الدين مع كل داع إلى الخير والمعروف والإصلاح ، واذكروا إذ أتم قليل مستضعفون فى الأرض ، تخافون أن يتخطفكم الناس . فآواكم ، وأيدكم بنصره ، ورفقكم من الطيبات ، ، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف .

لكن الدين يرقى بالحياة ويسمو بالإنسان إلى السكال . . إنه لا تستغرقه معركة القوت والأمن ، بل يتولى تعميق الجذور وتوسيع الآفاق .

وبراءة الإنسان من ضغوط الضرورات والحاجات لا تغنى عن الدين ، بل تزيد التشوق إليه . إن الإنسان حين يأكل وبأمن يستطيع أن يفكر فى هدوء ، وقد تخلص من شغب المسغبة وإلحاح الحاجة .

وقضية الدين قضية فكر ونظر ، ونأمل وتبصر ، أن تقوموا لله مثنى وفراى ثم تتفكروا . . . وأفسهت أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ، ، أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ، ، ولو كان فيهما

ودعاة الدين لا يضيئون بالمدينة والحضارة التي خفت عنهم أعباء معركة العيش والأمن ،
لأنهم يعتقدون أن هذه المدينة والحضارة قد أسدت إليهم خدمة كبرى ... إنها نعمة من نعم الله السابغة التي سخر بها للإنسان ما يسد حوائجه لكي يجد الجهد والوقت للذين يستخدمهما في أعمال فكره واستخدام عقله وتحتيق إنسانيته .

مهمة الدين إذن مزدوجة ... وهي تحقق للناس الضرورات لكي يجدوا الفرص ليفكروا في الكمال ... إن دولة الإسلام دولة العدالة والرخاء حتى يرتقى مستوى البشر عن أن يكون صراعا من أجل اللقمة أو فرارا من الأذى والضيق لا غير !!

والدين يهيب بالعلماء أن يكتشفوا ويخترعوا ، لتسخو الطبيعة بقواها فتوفر من جهد الإنسان ، ويهيب بالحكام أن يعدلوا ليأمن الناس المظالم والمغارم فيفرغوا للإنتاج والإبداع . ويهيب بالناس جميعا أن يتناصفوا لتخف ضغوط الحاجة وشروط التنافس والحصام ... وإلى هذا الحد لا ينفرد الدين بالعمل ، ولا يأبى الوحي للاقتصار على هذا المجال ، فالإنسان قد سعى طويلا وكسب طويلا في هذا السبيل ، والدين لا يخاضم ثماو الجهود الإنسانية في العلم والتنظيم التي يسرت

إن بولس في تاريخ المسيحية علم خفاق ... كان موظفا رومانيا قد ضمن عيشه وكره المسيحية حتى كان أداة في حملة اضطهادها ... وبولس هذا آمن بالمسيحية فكان لإيمانه عجيبا رائعا ، وتردد (أعمال الرسل) التي تلى الأناجيل الأربعة رحلانه وكتاباته ومجادلاته ، فترى فيها قوة العارضة وبراعة المناقشة ... وما أروعوه وهو يجادل الموظفين الرومان الذين يتصدون لحركته ويحاولون أن يحولوا بينه وبين الجماهير ! وما أبلغه وهو يطالب بحقوقه كاملة كمواطن روماني !

هذا رجل حقق له وظيفته في دولة الرومان ضرورات العيش والأمن ... ورأى في المسيحية ما هو أبعد وأعمق وأجل من مجرد العيش والأمن !

وجيوش الإسلام المظفرة قد يكون فيها طلاب الغنائم أو الضائقون بحسرات حياتهم الدنيا ... ولكن لم تلح أسماؤهم مثلما لمعت أسماء أنى بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الله ابن عباس ، ومعاوية وعمر بن العاص وابنه عبد الله ... هؤلاء الذين لم يؤمنوا بإيحاء الوعود البراقة واستهواو التهرب من شقاوة العيش ... وكما تسعد الإنسانية حين يكون المؤمنون أمثال هؤلاء الصادقين ... ولا يكونون من أتباع كل ناعق الذين يتطلعون لأى تغيير !

• والمقصد العام للشارع من تشريعه الأحكام هو تحقيق مصالح الناس بكفالة ضرورياتهم، وتوفير حاجياتهم وتحسيناتهم... وكل فرد أو مجتمع تكون مصلحته من أمور ضرورية، وأمور حاجية، وأمور كالية، مثلاً الضروري لسكنى الإنسان مأوى يقيه حر الشمس وزمهرير البرد، والحاجى أن يكون المسكن بما تسهل فيه السكنى بأن تكون له نوافذ وأبواب، والتحسينى أن يحمل ويؤثت وتوفر فيه وسائل الراحة، وهكذا طعام الإنسان ولباسه وكل شأن من شئون حياته. والبرهان على أن كل حكم فى الإسلام إنما شرع لإيجاد، وحفظ واحد من هذه الأمور الثلاثة هو استقراء الأحكام الشرعية الكلية والجزئية... (خلاف: أصول الفقه) ولكن ماذا بعد هذا ؟

ما الذى يريد أن يحققه الدين فوق كفالة الضرورات ؟ ؟

• يريد إطلاق الفكر الإنسانى ... إن الاعتقاد تفكير، وطريق الإيمان هو التبصر فى آيات الله فى الآفاق، وقد خاطب الله الذين يعقلون ويتفكرون ويتدبرون ... ولن يوجد هؤلاء إلا إذا تحققت خصائص الإنسانية التى تتفرد بها فى مستواها الرفيع. وكما يسخر القرآن من الذين حجروا على عقولهم، وغلغلا

الحياة أيماناً تيسير، ولا يعتبرها اقتزعت منه ميداناً - بل إنها وفرت عبثاً لم يكن من مهمته الأصلية، ولا ينظر إليها أنها أقفلت أمامه القلوب - بل إنها فتحتها أمامه على مصاريعها بما وفرت عليها من الشواغل والهواجس والهموم.

يقول تعالى: « وعد الله الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ... يعبدوننى لا يشركون فى شيئاً ... »

وهذه الآية كما توحى بأن المؤمنين إذا عبدوا الله مخلصين له الدين استخلفهم فى الأرض ويمكن لهم الدين ورزقهم الأمان بعد الخوف ... توحى كذلك بأن استخلاف المؤمنين والتمكين لهم تحقيق للحرية والسلام والسعادة. ومن هنا يعبد الله فى الأرض دون فتنة ولا صد باغراء أو رهبة. كأنه قيل: ما لهم يستخلفون ويؤمنون ؟ فقال يعبدوننى موحدين، كما ورد فى تفسير النسفى ... وعلى هذا يمهّد الاستقرار الاجتماعى والاقتصادى والسياسى الطريق أمام حرية الفكر والضمير فى عبادة الله، ويأمن الناس من فزع الناس فلا يعبد فى الأرض غير الله، ولا يستعلى على خلقه إلا العزيز الجبار المتكبر، وهو الواحد القهار.

أكثر مما عمروها ... ، . كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون .

وهكذا يستريح الإنسان في السراء والضراد حين يعلم سنن الكون وحكمة الخلق . إن تكونوا تألمون ، فإنهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون . . . وحتى في باب تحقيق الضرورات للدين خصائصه ومميزاته التي تعمق الاستفادة من آثار العلم والتنظيم:

فهو يجعل مطالب الحياة الكريمة من فرائض الدين ويوكل الكفاح من أجلها وصيانة ثماره . هذا الكفاح إلى حراسة العقيدة يكون هناك تعارض بين الدين والدنيا . ولا تناقص بين احتياجات المعاش وقضايا الفكر والوجدان . والدين يرحب بكل جهود مثمرة تيسر المعاش للناس ولا يريد أن تستغنى البشرية بالوحي والدين عن العقل والاجتهاد .

وهو إذ يضع الإنسان في مستواه ارفع فيقرن بين تحقيق ضرورات الحياة المادية والاستجابة لأشواق النفس الإنسانية ... يسوى بين كل أفراد النوع الإنساني في تقرير هذه الحقوق وتحصيلها لأن الجميع عباد الله . فذلكم الله ربكم الحق ...

فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

فأني تصرفون !

فتسمى عثمان

تفكيرهم ، وقنعوا بأن يكونوا أسرى الهوى أو السلطان (١) .

ويريد الدين تحقيق راحة النفس الإنسانية ... عن طريق إحكام الرابطة بين الفكر والوجدان . بين المنطق والعاطفة ، بين العقل والروح ... فتتمو النفس بسياحة العقل في محاولة كشف العلاقات ، والتعمق إلى ما وراء الجزئيات ، وتتهدى إلى موضع الإنسان من الأرض ، وموضع الأرض من الكون ، وموضع الكون في قصة الوجود والفناء ...

« وكأين من آية في السموات والأرض . يمرون عليها وهم معرضون . »
« قل هذه سبيلي أدعو إلى الله ... على بصيرة ... أنا ومن اتبعني . »

« أفلم يسيرا في الأرض ... فتكون لهم قلوب يعقلون بها . أو آذان يسمعون بها ... فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور . »

« وتلك الأمثال نضربها للناس ... وما يعقلها إلا العالمون . خلق الله السموات والأرض بالحق . إن في ذلك آية للؤمنين . »
« أولم يسيرا في الأرض ، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ... كانوا أشد منهم قوة ، وآثاروا الأرض وعمروها

(١) مقال : أصول الحربة في منهج التفكير

الإسلامي - مجلة الأزهر صفر ١٣٧٧ هـ .

جَزِيرَةُ لَامُو

مركز الثقافة الإسلامية في شرق إفريقيا

بقلم: ابن سليم

الإفريقي وذلك لتأمينها من غزوات الإفريقيين ،
وتطور وضع هذه الولايات نتيجة للحروب
التي كانت تقوم بين المدن فسيطر القوى منها
على الولايات الضعيفة . فنشأت سلطنة أسرة
المخزومي في شرق لامو ، في أثيريبيا .
وسلطنة المظفر في مقدشيو الخ . الخ .

ويتكون أرخبيل لامو ، أو - أم -
كما يسميها أهلها من مجموعة من الجزائر
المرجانية القريبة من الساحل الإفريقي الذي
تقوم عليه سلطنة ويتو . وتقع جنوب
كسايو مركز الباجوني الذين يسكنون الزائر
الساحلية ، ويسكن جزء منهم على الساحل .
ولهؤلاء الباجوني صلات وثيقة مع مصر ،
لا محل للتعرض لها الآن . وتقع لامو شمالي
ملندي . ويخرج من الشاطئ المقابل لجزيرة
لامو طريق القوافل التجارية الذي يدخل
البلاد في حذاء نهر التانا . وتميزت منطقة
لامو بموقعها على الطريق البحري الموسمي
للتجارة .

وقد تعرضت لامو لأحداث تاريخية

١ - تعريف :

جاء العرب إلى شرق أفريقيا - ما بين
بوغاز باب المندب شمالا وسوفاله جنوبا -
كما سبقت إليه هجرات كثيرة من آسيا
وخاصة من الهند منذ عهود مفرقة في القدم ،
كما كانت مصر ترسل سفنها التجارية إلى هذه
المنطقة التي كانت تعرف ببلاد (بنت) للحصول
على العطور المختلفة وغيرها . وكان سكان
جنوبي غرب وجنوبي شرق الجزيرة العربية
وسكان الخليج الفارسي يتنقلون إلى شرق
إفريقية ؛ وأخذت هذه الهجرات تزايد
وتشترك فيها مجموعات من التجار من الصين
والهند وبلاد الشرق الأقصى . وعمل العرب
على احتكار وساطة التجارة بين الشرق والغرب
وذلك بنقلها إلى البحر المتوسط ، الأمر
الذي خلق مشكلات أخذت في التطور مع
التقدم الحضاري الذي أكسبها ألواناً من
الصراع .

وبدأت تجارة العرب بقيام «مدن الولايات»
التي كانت تقوم في الجزائر الواقعة على الساحل

بيت الأمويين الذي جاءوا إلى هذه المنطقة بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان الذي يقال إن ابنه حمزة قد قام بنشر الديانة الإسلامية ويقوم من البيت الأموي هذا فقهاء يتولون صلاة الجمعة، وصلاة الاستسقاء عند ما يتأخر المطر . وقبل اليوم المحدد لصلاة الاستسقاء يخرج مناد إلى البلد ومعه منار يطلب من الأهالي المساهمة في شراء ثور وإعطاء الخبز لإعداده للأكل، وفي اليوم الثاني يسحب الثور من أمام مسجد (موانا لالو) في القسم الشمالي ؟ وبعد أن يؤخذ إلى الجانب الشمالي من المدينة يذبح بعد الصلاة ، ويكون ذلك تحت ظلال شجرة معينة من نوع البوباب - (العبارة بلغة السودان) ويدفن العظم ومالا يؤكل من الأحشاء ملفوفين في الجلد بالقرب من الشجرة . وفي الماضي كان أخذ أى جزء من اللحم إلى المدينة يعتبر كارثة كبرى .

ويعرف هؤلاء الأمويون الذين يمارسون سداثة مسجد الجمعة وصلاة الاستسقاء باسم « الماخطيو » - من كلمة خطيب - أى المبشر برسالة الإسلام .

وتطورت شئون الدراسة الدينية ، كما تطورت قراءات المولد النبوي الشريف ، فكانت قراءة مولد البرزنجي ، ثم انتقل إلى قراءة المولد الذي كتبه حبيب على الحبشي . وكلمة حبيب عنده معناها السيد أو الشريف .

بسبب الأمراض الفتاكة وبسبب الحروب التي كانت تؤثر في وضع مدن الولايات . ولأمو اليوم مدينة بنشأتها إلى سلطان زنجبار وكانت مدينة لامو غنية تضرب بها الأمثال في الثراء ، وبخاصة مدينة ولاية جزيرة بتي التي كان عظماءها يستخدمون السلم المصنوع من الفضة للصعود عليه إلى أسرارهم المصنوعة من من القيل . وقد أسهمت لامو بنصيب وافر في تزويد لهجات اللغة السواحلية القديمة بما أدخلته عليها من كلمات كما أخذت هذه اللغة من لهجة القصر في بتي . وتطورت في لامو صناعاتها الخاصة ومنها الحفر على الحشب والمنسوجات الملونة وذلك في القرن الثامن عشر الميلادي .

٢ - الثقافة الدينية :

اهتم الوافدون من العرب بإنشاء المدارس للتعليم ونشر الرسالة الإسلامية واتخذ الفقهاء الذين أسندت إليهم مهمة القيام بهذا العمل مدارسهم أو بمعنى أدق كتاباتهم في أكواخ من القش أو في المساجد الكثيرة العدد فقد وجد بلامو تسعة عشر مسجداً . وتقام صلاة الجمعة في مسجد واحد يقوم في القسم الشمالي من المدينة . والمدينة مقسمة قسمين أولهما شمالي ويعرف بالمسكاموني ، والثاني جنوبي ويعرف بالأتوني . وتسكن القسم الشمالي العائلات القديمة العريقة ومن بينها

والهندو المسلمين من بمباسة وزنجبار دار السلام ، وبمبا وغيرها من المناطق المجاورة . ولهذا المعهد نشاط في نشر الرسالة الإسلامية بين المذاهب الأخرى كالأباضية التي استطاع أن يعيد مجموعة منها إلى السنة المحمدية .

ويتولى التعليم في المعهد ابن حبيب صالح ويدعى حبيب أحمد بدوى . وهناك مشكلات كثيرة تواجه هذا المعهد في تأدية رسالته الدينية ، فهناك الاسماعيلية والقاديانية ، وهذه أساليبها الخاصة في نشر دعايتها الشيشيرية . وهناك محاولات لإنشاء معاهد دينية أخرى في كينيا وتنجانيقا . وكل هذه المحاولات جديرة بالأخذ مابين الاعتبار والدراسة لتقوية الدعاية الإسلامية في ذلك المحيط .

بن سليم

ولطولا . نفوذ كبيرة في مدينة لامور في المنطقة التي يسكنها الباجون شمالها .

وأراد حبيب صالح في عام ١٨٨٥ م تقريبا إنشاء مدرسة دينية في لامو ، فأقام كوخا من القش ، ومن ثم أنشأ معبده الديني : « المدرسة الجامع » الذي أطلق عليه اسم رباط الرياضة ، لتعليم العلوم الدينية والرياضية ، وجانب من علم السحر والفلك . وتقوم العلوم الدينية أساسا على التصوف - ولا يعلم بالضبط التاريخ الذي أنشئ فيه هذا المعهد . وقد توفي العلامة « حبيب صالح » في ٦ أبريل من عام ١٩٣٥ عن عمر زاده على الثمانين عاما ويتمتع هذا المعهد الديني بالسمعة الطيبة والاحترام ، ويحضر إليه سنويا في ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم جماعات كثيرة من الباجون والصومال . الحالا ، والعرب والسواحلية « بقية المنشور على صفحة ٨١ »

في القرن الأول من الهجرة ، كان رجل دين ودنيا في الوقت نفسه ، وكان يعالج أمر السياسة كما يعالج القضاء بين الناس ، ويشارك في الحياة مشاركة الخبير بها العالم بدروها ومسالكها .

فلعل في حياته من الجوانب ما يحفزهم ناشتنا ، ويدفعهم إلى الأخذ بأسباب الحياة حتى يكونوا مثلا تحتذى ومنارات هادية للأجيال من بعدهم .

محمد ابراهيم الجيوشي

وسأله آخر عن لحم الشيطان فقال : نحن نرضى منه بالكفاف .

وكثيرا ما كانت تغلب عليه روح الفكاهة فيداعب من يلقاه . فقد مر به خياط ، فقال له : عندنا حب مكسور تخيطه ؟ فقال الخياط : إذا كان عندك خيوط من ريج .

ودخل عليه رجل مرة البيت ومعه امرأة ، فقال : أيكما الشعبي فقال الشعبي : هذه .

هذا هو الشعبي مثال رائع للمثقف الإسلامي

العبادة في الإسلام لا يجوز أن يصحبها الموسيقى

للأستاذ مصطفى أحمد الزرقا

ما يزيد القرآن روعة وتأثيرا . فإذا دعنا
موسيقى التلاوة بموسيقى خارجية تصاحبها
وتقويها لا تكون قد أدخلنا شيئا غريبا
ليس له أصل في نظام عبادتنا . فما هي حجتنا
المقنعة في الموضوع ؟

قلت لصاحبي: إن الحجة نجدها في الرجوع
والنظر إلى نظام العبادة في الإسلام .
فنظام العبادة في الإسلام قد بني على
أساسين :

الأساس الأول يتعلق بغاية العبادة ،
والثاني بطبيعتها :

(١) فأما الأساس الأول فإننا نجد
أن الإسلام قد بني عباداته على أساس يكفل
قيادة المكلف إلى غاية روحية يتحقق له فيها
إصلاح نفسه لتكون عنصرا طيبا نافعا في
هذا المجتمع البشري ينفع بالخير والنصح .
ويتوقى الشر والضرر؛ وذلك عن طريق محاسبة
النفس ومراقبة الله واليوم الآخر .

ولذلك جعل الإسلام بعض عباداته يجب
مرة في العمر كالصلاة ، وبعضها مرة في السنة
كالصيام والزكاة ، وبعضها يتكرر كل يوم عدة

نقل إلى أستاذ في جامعة دمشق سؤالا
من أحد الموسيقيين الأجانب الذين اعتنقوا
الإسلام حديثا : « إنه لمزيد إعجابه بتلاوة
القرآن العظيم وتأثره بترتيله يريد أن يصوغ
بعض سور القرآن في مقطوعات من الموسيقى
المجردة الصامتة على طريقة السمفونيات ،
بحيث تكون القطعة الموسيقية الواحدة
معبرة بألحانها عن السورة الفلانية وتخلدها
في الحن فني . وذلك لأن الرجل من
الموسيقيين البارعين . فيريد أن يخدم القرآن
من ناحية اختصاصه الفني ، فهل هذا العمل
مستحسن من الناحية الإسلامية ؟ » .

وقد أجبت بأن هذا العمل لا يجوز شرعا ؛
فالقرآن خالد بإعجازه القائم على بلاغته
وصياغته وحقائقه العليا وحكمته وإحكامه .
وليس خلوده قائما على الألحان والأنغام .

قال الأستاذ : وما حكمة هذا الحظر ؟
وبماذا نقنع مثل هذا الرجل بأن الموسيقى
لا يجوز أن تدخل في العبادة الإسلامية ؟
فقد يقول لنا : أليس القرآن يرتل ترتيلا
في الصلاة ، وهذا الترتيل فيه من الموسيقى

بصورة يحفظ فيها حق النفس في الحياة ودواعيها ولوازمها كما يحفظ حق الله ، وحق الأسرة . وحق المجتمع ، دون أن يطغى فيها جانب على جانب . فإن جار المكلف على أحد هذه الجوانب لأجل الآخر أصبحت عبادته معصية . كما لو أهمل نفسه في سبيل العبادة . أو أهمل زوجه أو ولده ، وفقا لقول الرسول عليه السلام لمن انقطع للعبادة : « إن لنفسك عليك حقا ، ولزوجك عليك حقا ، ولربك عليك حقا . فأعط كل ذي حق حقه » . وبما أن دواعي الأهواء والشهوات والأطاع والمغريات وسائر أسباب الغفلة عن الله كثيرة ومتكررة فإن الصلوات الخمس إذا أدت بخشوع وتدبر كفيلة بأن ترد الإنسان الى الجادة ، وتذكره أو تنبهه كلما حدثت له غفلة ، ليبقى دائما مع الله تعالى : وفي الوقت نفسه وسع الاسلام مفهوم العبادة فجعل الاستمتاع واستيفاء الحظوظ من مطعم ومشرب وزواج وراحة ونزهة وغير ذلك من المتع الحلال كلها تصبح عبادات إذا استوفاهما الإنسان بنية الطاعة ، أى على أناس أن الله أباحها وأنها وسيلة لتقوية نفسه على القيام بالواجبات .

وبذلك تكون جميع المتع اللذيذة المباحة هي من المؤمن المتذكر عملا لإنسانيا ملحقا بالعبادات ، وتكون من غير المؤمن عملا

مرات كالصلاة . والأصل في العبادة التكرار لأن الغاية منها التذكر للواجبات بمراقبة النفس والتوجه إلى الله تعالى كي يسمو الإنسان سموا ووحيا يتغلب فيه جانب الخير على جانب الشر .

ولذا كان في الاسلام عبادات ذات غاية سياسية واجتماعية كالحج والزكاة ، لأر غاية العبادة تمحيض المكلف لخير نفسه وخير المجتمع عن طريق التصفية الروحية ومحاسبة النفس ومراقبة الله والتحذير من المصير الأخير . وبحسب المشقة الطبيعية في العبادة يكون التكرار فيهما :

فالحج مرة في العمر لما فيه من سفر ونفقة ووقت .

والزكاة سنوية لتعلقها بنماء المال ، وهذا النماء دورته الطبيعية سنوية .

وصيام الشهر دورة سنوية أيضا لأنه لو كان مستمرا لأصبح طبيعة عادية ، فيزول الاحساس به ولا تتحقق وظيفته الروحية والصحية والاجتماعية . أما الصلاة فهي الأخف عبثا من حيث المشقة ، وهي الأكثر ذكرا ومناجاة لله تعالى وتوجها إليه ، ولذا كانت متكررة في اليوم الواحد مرات

وقد جعلت لهذه العبادات مراحل أساسية هي الفرائض في دوراتها العمرية أو السنوية أو اليومية ، وترك ما يزيد عنها للتطوع

بالعبادة إلى مستوى رفيع يليق بالإنسان العاقل المتميز بعقله وتفكيره عن سائر المخلوقات .

ولذا نجد العبادات في الاسلام تشتمل كلها على عنصرى التفكير والعزيمة هما من أركان العبادة في الاسلام ، كما يتضح من الملاحظات التالية :

أولاً : أن العبادات كلها أعمال إرادية تنشأ بها العبادة بعزيمة إنشائية ، وتتعقد انعقاداً في نظر الشرع كما تتعقد العقود ، وتشترط لها شرائط ، وتخضع للصحة والبطالان كما تخضع العقود .

ثانياً : أن العبادات في الاسلام تشترط فيها جميعها النية . والنية عمل عقلى باطنى وعزيمة فكرية .

ثالثاً : أن هذه النية العقلية هي كل شئ فيما أسميناه «العبادات الملحقه» ، وهي الأفعال الحيوية والمتع المباحة من مأكل ومشرب وزواج ومتنزه ، فتتقلمها النية كما أشرنا ، من استمتاع حيوانى إلى عبادة عقلية . ولذلك يقول علماء الاسلام : «إن النية هي المميز الفارق بين العادة والعبادة» .

وتجلى هذه الناحية التفكيرية في جميع العبادات الاسلامية الأربع الأساسية : فالحج يقوم فيه المسلم بعمل فيه تفكير روحى واجتماعى وسياسى .

حيوانيا ، كما يقول الله تعالى : «والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ، وذلك بحسب الفكرة النبيلة أو الوضيعة التي تصاحب الاستمتاع» .

فالهم أن يكون المؤمن دائماً مع الله غير غافل عنه .

(ب) وأما الأساس الثانى المتعلق بطبيعة العبادة فإن الإسلام أراد أن يجعل العبادة عملاً عقلياً وتفكيراً بعد ما أصبحت في كثير من المذاهب الوثنية وغيرها مراسم شكلية أو أنعاماً موسيقية .

فقد انتشرت قبل الإسلام وبعده إلى اليوم طرائق التعبد بالموسيقى ، فاختلطت الأحاسيس والمشاعر الفنية الجميلة وما ينشأ عنها من نشوة وطرب ، وامتزجت بالعبادة ومناجاة الله ، بينما أن الأحاسيس الفنية والعبادة هما أمران متباينان .

فإذا أصبحت العبادة موسيقى وأنعاماً حق للفاسق في الملامهى أن يعد نفسه متعبداً بالنشوة والإحساس الفنى من الموسيقى التي يسمعها في الملهى كمن يسمعها في المعبد .

وهكذا ربأ الإسلام بالعبادة عن مستوى المراسم العمياء والطقوس الشكلية المحضة التي يقصد بها السيطرة على أوهام الناس دون معنى عقلى ، كما ربأ بالعبادة عن النشوة والطرب الناشئين من العمل الفنى كالموسيقى ، وهذا سمو

رداء النشوة الفنية ، فنخرج من حيز العبادة والفكر السامى إلى حيز الطرب الذى يكون حظ الحس فيه أكبر من حظ العقل ، كما قد يكون حظ غير المتعبد فيه أوفى من المتعبد ، فيضيع معنى العبادة .

ولذا نعى القرآن على الجاهليين أن صلاتهم عند البيت لم تكن إلا مكاء وتصدية ، أى مراسم من تصوبت وتصفىق .

والخلاصة : أن الاسلام ميز بين الأحاسيس الفنية التى هى مشاعر نفسية غريزية لا صلة لها بالعقل والتفكير ، وبين العبادة المزكية للأنفس البشرية ويجب أن تكون تأملا وتفكيراً .

ولما رقى الاسلام بالعقيدة فجعلها عقلية محرومة من الأوهام والخرافات ، رقى أيضا بالعبادة فجعلها عملا عقليا ساميا وتأملا وتفكيراً ، وعزيمة ونية وتعبيراً .

مصطفى احمد الزرغا

أستاذ القانون المدنى والشريعة الاسلامية
فى كلية الحقوق من جامعة دمشق

والزكاة والصيام تتجلى فيهما أجلى صور التفكير الروحى والاجتماعى .

والصلاة تبرز فيها وتتجلى هذه الصورة من العمل العقلى السامى أكثر من سواها . فهى كلها أدعية ، وأذكار ، وقرآن ، ومناجاة ، وتضرع ، وتوجه إلى الله . والأعمال والحركات فيها مناسبة للمعاني التى يرددها المصلى .

وأما الموسيقى التى تتجلى فى ترتيل القرآن فإنها التوقيع الطبيعى الذى يتجلى فى حسن القراءة وجودة النطق الصحيح والأداء المحكم فهى كالجمال الطبيعى والنظافة وحسن التجميل بالحدود الطبيعية ، فكل كلام حسن الاداء توجد فيه موسيقى طبيعية ذاتية . وهذا غير الموسيقى الخارجية الصناعية التى هى عمل فى مستقل .

وعلى هذا الأساس لا يقبل الاسلام أن تصاغ سور من القرآن قطعاً موسيقية ، كما لا يقبل أن تصحب العبادة موسيقى خارجية ؛ لأن العمل العقلى فى العبادة عندئذ يغيب تحت

مَائِقَاتُ الْعَزَلِ لِلسَّيِّئَاتِ

أَدْيَانُ الدَّعْوَةِ

لِلْأَسَاتِذِ عَبَّاسِ مُحَمَّدٍ الْعَفَّادِ

الهندوكية هي الديانة القومية العنصرية للهنود . وأما تخصمهم وحدهم وتخص بلادهم وحدها ، وليس لها مؤسس معين معروف ، بل ترجع نشأتها إلى ما قبل التاريخ ، فلنعلم إن الشنتية هي من هذا القبيل ديانة أهل اليابان ، فهي مقصورة على اليابانيين لا يعرف لها مؤسس معين منذ نشأتها قبل التاريخ ، وكلتا الديانتين لاغناية لها بالدعوة إلى الدخول فيها ، فكل منهما تعبير طبيعي لشعب خاص ، وجزء من ثقافة اجتماعية لا تقبل الغرباء .

ويعود الكتاب فيقول تمهيداً للكتابة عن الديانة اليهودية : « إن ديانة اليهود أيضاً ذات ارتباط بشعب معين كما يؤخذ من تسميتها باليهودية أو العبرية ، وهي لهذا تشبه الهندوكية والشنتية في أنها ديانة مقفلة أي ليست من ديانات الدعوة ، وإنما تختلف بأن الهندوكية والشنتية كلتاهما ديانة شعب

من التقسيمات المتواترة عند علماء المقارنة بين الملل والعقائد تقسيم الأديان في العالم إلى أديان دعوة ، وأديان مقفلة ، أو مقصورة في بيئة خاصة ، وأكبر أديان الدعوة عندهم في العصر الحاضر ثلاثة : البوذية والمسيحية والإسلام ، وأولها تنحصر الدعوة إليه في التلذة ، ومصاحبة المريدين للأئمة والرؤساء في الهياكل والصوامع ودور العبادة .

ظهرت في العهد الأخير طبعة جديدة من كتاب « المظالمات في الأديان العالمية ، وجملتها أحد عشر ديناً هي الهندوكية والشنتية واليهودية ، والزرذشتية أو المجوسية والطاوية ، والكشفوشية ، والجانية ، والبوذية ، والمسيحية والإسلام . والسيخية . ويقول الكتاب في التمهيد للديانة الشنتية : Shintocsnr وهي ديانة أهل اليابان : « إننا رأينا في ختام الفصل السابق إن

الصالح والعمل الطالح بمعزل عن الحدود الجغرافية وحدود العنصر والنسب وأصول الأسلاف .

فالدين عند أصحاب المثل التي تدعو إليه عقيدة إنسانية تقوم على التوحيد وليس بصيغة محلية محدودة ، ولا بفريضة سياسية تملئها السلطة الحاكمة ، ويخضع لها الرعايا المحكومون .

هذا الفارق في تطور الإنسانية واضح جدا لو شاء علماء المقارنة بين الأديان أن يستوضحوه ، ولكنهم لا يشاءون ولا يحبون أن يشاءوا مختارين ، لأن النتيجة المحتومة لو نظرنا إلى هذا الفارق أن يرفعوا الإسلام إلى القمة العليا بين العقائد الدينية ، وأن يتمتع عليهم تعليل انتشاره بموافقة الشعوب المتأخرة كما يقولون كلها عرضوا لمسالة الدعوة والشيوع .

فالإسلام قد جاء للناس بعد أن بلغوا من التطور في فهم الدين حد التمييز بين هداية الضمير وبين فوamel الأمكنة والأنساب ، فعرفوا أن الحق الإلهي ، محصول روحاني وليس بالمحصول الأرضي الذي يرتبط بالتربة كما ترتبط محاصيل الزروع والضروع .

وأية الإعجاز في هذا التطور ، أن يطلع على العالم من بلاد العصبيات والأنساب ، وأن تكون له آيات بينات في الإيمان بالعقيدة

مستقر في وطنه منذ عهد بعيد ، وأن اليهود تعرضوا للشتات غير مرة ، فوقعوا في أسر مصر وبابل وفقدوا وطنهم بعد أن استولى العاهل الروماني (تيتوس) على أورشليم سنة سبعين للميلاد . . .

ولما عرض الكتاب للدين الإسلامي قال إنه دين دعوة وإنه لا يزال ينتشر في القارة الإفريقية وبين الشعوب المتأخرة . ولكنه لم يحاول أن يبحث عن حقيقة الفارق بين أديان الدعوة والأديان ، المقفلة التي لا تعنى بإدخال الغرباء في ملتها . . . إلا فارقاً واحداً ذكره غير مرة وهو الفارق بين الدين الذي يعبر عن بيئة محدودة والدين الذي يسرى الإيمان به إلى أقطار لا يحدها المواضع الجغرافية أو الروابط العنصرية .

على أن الفارق الأصيل ظاهر ، بل مفرط في الظهور ، حتى ليكفي في تلخيصه بضعة سطور ، غنية عن الإفاضة في الشروح ، والإكثار من الأسانيد .

إن ديانات الدعوة مفهومة في حالة واحدة وهي حالة الإيمان بالضمير الإنساني واستعداد الإنسان في مختلف البلدان والأجناس للإيمان بالتوحيد ، ولا يتأتى أن ينتشر دين دعوة يعم الناس جميعاً قبل أن يفهم الناس أن الدين هداية يتقبلها كل من له عقل يعي وضمير يميز بين الخير والشر وبين العمل

بعجب لكل ماضٍ درج عليه الأولون وطال
بهم عهده . وهو في رأيهم الآن لم يكن ليحتمل
البقاء بضع سنين لو حكموا عليه يومئذ كما
يحكمون عليه الآن .

فقد خطر لبعض بني آدم قديماً أنهم رحدم
أصحاب الخطوة عند الله . وأن أضعاف أضعافهم
من بني آدم الآخرين ملعونون محرومون !
وقد خطر لبعض بني آدم قديماً أنهم
ضائعون صالحين أو غير صالحين ، وأنهم
كتب عليهم الموت لأنهم هالكون ولأنهم
يولدون .

وقد كانت الأديان يومئذ لا تحتمل الدعوة
ولا معنى للدعوة عند أصحابها لأن الدعوة
إنما تكون للهداية الممكنة وللضمير الذي
يقدر عليها ولا تكون مع الاحتكار .
والاستئثار ، في حدود ترسما الجبال والبحار ،
أو ترسما سحلات الأنساب والآثار .

وها هنا مفترق الطريق التي سلكها الإسلام
بالعالم الانساني . وكان من أجل هذا دين
دعوة تهدي إلى ذلك الطريق .

* * *

ويتصل بأمر الدعوة كل مبحث يتناول
عدد المسلمين في العالم وتاريخ الدعوة إلى
الإسلام في الأزمنة الماضية وفي الزمن الحاضر ،
كما يتصل بأمر الدعوة كل مبحث يتناول
صلاح الإسلام للشيوخ والاقناع وما ينتظر

الإلهية ، والإيمان بالنبوة ، والإيمان بضمير
الإنسان .

فالله في الإسلام هو « رب العالمين »
يتساوى عنده الناس ولا يتفاضلون بغير
العمل الصالح .

والنبي في الإسلام هو المبشر بالهدى والمنذر
بالضلال ، وليس هو بالمنعم الذي يكشف
الطوالع والأسرار ولا بصاحب الخوارق ،
والأعاجيب التي تشل العقول وتهول الضمائر
وتخاطب الناس من حيث يخافون ويعجزون
ولا تخاطبهم من حيث يعقلون ويتأملون
ويقدرّون على التمييز .

والإنسان في الإسلام مخلوق عاقل ذو ضمير
مسئول يحاسب على عمله ولا تلحق به جريرة
قبل مولده ، وبعد انقضاء حياته .

ولا حاجة إلى الإطالة في المقابلة بين الأديان
ليعلم المطلع عليها من قريب أن هدف العقيدة
في الله وفي النبوة وفي الضمير الإنساني هي
غاية التقدم الذي ارتقى إليه الناس ، بعد
الديانات الجغرافية . والديانات العنصرية ،
والديانات التي تنحصر في بيئة ضيقة ،
أو واسعة ، ولكنها لا تحيط بجميع بني
الإنسان .

ولم يتيأ بنو آدم وحواء لهذه المرتبة من
مراتب الإيمان إلا بعد أطوار بعيدة يعجب
لها العقل الإنساني كلها نظر إليها اليوم . كما

ومن لاحظ تلك الأخطاء المعتمدة في إحصاء المسلمين الأمير شكيب أرسلان صاحب التعليقات على كتاب حاضر العالم الإسلامي فقال في باب إحصاء المسلمين : . . . أما مسلمو الصين فلا تزال الأقوال متضاربة في عددهم . فمن الجغرافيين من يحزروهم بعشرين مليوناً ومنهم من يحزروهم بأكثر من ذلك بكثير ، وفي هذه الأيام لما وقعت الفتنة بين الصين واليابان من أجل منشورية أبرقت الجمعية الإسلامية في الصين إلى أوروبا بتلغراف احتجاج قالوا فيه إنهم يتكلمون باسم خمسين مليوناً من مسلمي الصين ، ثم ورد تلغراف من طوكيو يرد على مسلمي الصين زاعماً أنهم خمسة عشر مليوناً لا خمسون مليوناً ، وفيه أن في منشورية مليونين من المسلمين ينزعون إلى تحرير منشورية ، ومما لا شك فيه أن التلغراف الياباني بخس مسلمي الصين عددهم بما رأى من شدتهم على اليابان . .

ثم قال : . . ولقد حزننا عدد المسلمين في العالم في مجلتنا الأمة العربية التي نصدرها أنا وسعادة أخى إحسان بك الجابري في جنيف . . . وذلك بنحو من ثلثائة وثلاثين مليوناً . هذا على تقديرات مسلمي الصين عشرون مليوناً فقط . أما إذا ثبت أنهم خمسون مليوناً فيكون المسلمون ٣٦٣ مليون نسمة . وتفصيلها هكذا : الجزيرة العربية ١٢ مليوناً ، سورية ٣ ملايين ، وفلسطين

من زيادة عدد المسلمين في المستقبل بمختلف الوسائل التي تنتشر بها الأديان في سائر الأزمان .

ولا يخفى على قارى يطالع على هذه المباحث أن يلاحظ نفور أصحاب الإحصاءات من زيادة عدد المسلمين وإسراعهم إلى قبول التقديرات التي يزيد في عدد أبناء الملل من غير المسلمين مع تحفظهم الشديد في قبول التقديرات التي تكثر من عدد الداخلين في الاسلام قديماً وحديثاً ، ولا يشذون عن هذه القاعدة إلا إذا تعمدوا التهويل والتنبيه إلى خطر انتشار الإسلام في المستقبل وضرورة المبادرة إلى اتخاذ الحيلة لهذا الخطر بوسائل التبشير والضغط السياسى أو الاقتصادى حيث يستطيع الاعتماد على هذه الوسائل بغير التجاء إلى المجاهرة بالعدوان .

وقد قرأنا في مطلع القرن العشرين أن عدة المسلمين في العالم مائة مليون ، وقيل في بعض الإحصاءات المتأخرة أن عدد المسلمين في الصين لا يزيد على عشرة ملايين ، ويقول الكتاب الذى نحن بصده أن عددهم اليوم نحو ثلثائة مليون ، ولكنه لا ينزل بعدد البوذيين عن خمسمائة وعشرين مليوناً مع صعوبة التفرقة في الإحصاءات العامة بين الطوائف البرهمية وبين البوذية في الصين والتبت واليابان وبين البوذية على تعدد فروعها في الهند الشمالية والهند الجنوبية .

في البحر المحيط بالأسفليك. فيكون جملة المسلمين ثلاثمائة وثلاثة وعشرين ألفاً وثلاثين مليوناً أما إن صح أن المسلمين في الصين فيكون الجميع ثمانمائة وثلاثة وستين مليوناً. هذا بالتقريب. ومن المحقق بعد مراجعة هذه التقديرات أن العدد الذي أثبتته الأمير شكيب أرسلان في تعليقاته ينقص عن العدد الصحيح بكثير، لأن المقارنة بين تقديراته عند كتابة تعليقاته وبين الواقع في الوقت الحاضر ممكنة على وجه الرجحان إن لم نقل على وجه اليقين. فالمسلمون في باكستان والهند يزيدون على مائة مليون والمسلمون في أندونيسية وسائر البلاد التي كانت تابعة لهولندا يقاربون هذا العدد، وفي وادي النيل ما يزيد على ثلاثين مليوناً عدداً غيرهم من المتوسطين بين الوادي وشواطئ البحر الأحمر، وأبناء البلاد العربية في القارة الآسيوية يزيدون اليوم على ذلك التقدير بنحو عشرة ملايين، فلا مبالغة إذا قدرنا عدد المسلمين اليوم في العالم بأربعمائة وخمسين مليوناً وأيقنا على الدوام بأن عددهم يزيد في كل حقبة على كل تقدير أوردني يذيعه الساسة والباحثون في شئون الدعوات الدينية، وأن زيادة هذا العدد مستمرة يقابلها أولئك الساسة والباحثون بالحدز ويذكرونها منذرين لأقوامهم بما يستفهم إلى الحيلة ومقاومة هذا الازدياد المستمر حيث تستطيع المقاومة في الخفاء

وشرقي الأردن مليون، والعراق ثلاثة ملايين ونصف، وتركيا أربعة عشر مليوناً، وإيران عشرة ملايين، وأفغانستان تسعة ملايين، والهند الانجليزية ثمانية وسبعون مليوناً والصين عشرون مليوناً وسيام نصف مليون والروسية الآسيوية خمسة وعشرون مليوناً. فهذه ٢٧٦ مليوناً في آسيا، والروسية الأوروبية قازان والقريم أربعة ملايين ولتوانيا وبولونيا عشرون ألف نسمة ويوغسلافيا مليون ومائتان وخمسون ألفاً، والمجر ثلاثة آلاف، ورومانيا مائتان وخمسون ألفاً وبلغاريا نصف مليون، وبلاد اليونان مائة ألف، وألبانيا تسعمائة ألف، فهذه سبعة ملايين وثلاثة وعشرون ألفاً. ومصر مع سودانها ١٨ مليوناً. وطرابلس سبعمائة ألف، وتونس مليونان، والجزائر خمسة ملايين، ومراكش ثمانية ملايين، والصحراء الكبرى ثلاثة ملايين، والحبشة ثلاثة ملايين، والغال والصومال ستة ملايين، وشرقي إفريقيا - زنجبار وسواحله ودار السلام - ستة ملايين، والكونغو والأوغندا مليون، والإداموا والكرون مليونان، وغينيا وفوتاجلون مليون، والسنگال مليون، وسلطنة سوكوتو خمسة ملايين، وبرنو خمسة ملايين ووادي خمسة ملايين، وكانم مائة ألف فهذه ثلاثة وثمانون مليوناً في أفريقية، والمستعمرات الهولندية أربعة وستون مليوناً، والفلبين مليونان - فهذه ستة وستون مليوناً

في نظرهم إلى أديان الدعوة وإلى الدين الإسلامي منها على التخصيص فلا ينبغي أن نفسي أولئك الباحثين في حقائق الدعوات الدينية على التعميم ، فإنهم لو أخلصوا البحث للعلم والحقيقة لما فاتهم عند المقابلة بين أديان الدعوة والأديان المقفلة المحدودة أن يقرروا النتيجة العلية التي يخلصون إليها من مباحثهم جلية واضحة لا تخفى على طالبها ، ولكنهم لا يطلبونها ولا يستريحون إليها ، لأنها تبشرهم أن انتقال الأديان من الملل العنصرية إلى ملل الدعوة ظاهرة تدل على الانتقال من العقائد الجغرافية المحلية إلى عقائد الضمير الإنساني وعقائد التنزيه والتوحيد ، وأن الإسلام قد ارتفع بالضمير والتوحيد إلى أعلى مرتقاهما بما يهدي إليه في العقيدة الإلهية وفي رسالة النبوية وفي الإيمان يرشد الضمير الإنساني الذي يسأل عن عمله ولا يحمل وازرة غير وزره ، وليس فهم التطور في أديان الدعوة على هذا الوجه مطلباً يسعى إليه من يريدون أن يعللوا شيوع الإسلام فلا يستريحون إلى علة غير ما يزعّمونه في موافقته للأمم المتخلفة ، ولولا أنها علة تريحهم وتلائمهم لكان أقرب منها إلى مشاهدات الحس - فضلاً عن تفكير العقل - إن الإسلام حقيق بالانتشار والإقناع لأنه خاتمة التطور في أديان الدعوة وفي أحوال العالم الإنساني بعد أن بلغ إلى مرحلة الوحدة الإنسانية ومرتبة الهداية المطلقة المتحررة من حدود الأقاليم والأنساب ؟

عباسي محمود العقاد

وفي العلانية إن لم يكن لهم بد منها .
ونرجع إلى أديان الدعوة لنقول إن الإحصاءات الحديثة تحصرها في ثلاثة أديان كبرى : وهي البوذية وعدة أتباعها على قولهم خمسمائة وعشرون مليوناً ، والمسيحية وعدة أتباعها خمسمائة مليون ، والإسلام ويختلفون في عدة أتباعه بين ثلثمائة مليون على التقدير الأقل وأربعمائة مليون أو يزيدون على التقدير الراجح الموافق لأحدث الإحصاءات .
أما البوذية فلا تنظر إليها بكثير ولا قليل من الحذر ، لأن دعوتها محصورة فيها لتحويل أتباعها من النحل البرهمية الأخرى بوسائل التعليم التي قلما يبلغ مشاغلها الألوف فضلاً عن الملايين ، ولم يحدث في تاريخها القريب أنها حولت إليها أناساً من أبناء الديانات الكبرى بل حدث أحياناً كثيرة أن أتباعها يتحولون عنها إلى الإسلام أو المسيحية أو الجانية التي تلغى تعدد الطبقات وتناسب التفكير العصري في أطوار السياسة والاجتماع وفي العلاقات الدولية بين الشعوب والأقوام .
أما نظرة الحذر فهي ديدن المشتغلين بالتبشير والاستعمار كلما نظروا إلى شيوع الدعوة الإسلامية وسهولة انتشارها بالإقناع والقدوة مع اطراد عدد المسلمين في الزيادة بازدياد النسل من حقبة إلى حقبة ، كما يرى من الفارق بين عدد المسلمين في أواخر القرن التاسع عشر وعددهم في منتصف هذا القرن العشرين .
وإذا خصصنا المبشرين والمستعمرين بالذكر

مَحْنًا مِنْ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

هجرة الرسول

لِلأستاذ أنور العطار

يا سيد الخلق يا نور الوجود سرت
رفت حياتي بها بشراً وزغردة
من جود كفيك أنغامي وأخيلني
أحببت فيك قريضي حين قربني
وبحث بالحب في سرى وفي علني
لولا هواك لما أبدعت قافية
والقلب لو لم يعذب لم يصغ نغما
وأنت أيقظت في الحب فانتشرت
وأنت أغنيتني حساً وعاطفة
وأنت فجرتي حبا ومرحمة
وأنت صفيقتي كالنبع منسكبا
وأنت أزهدتني في الناس كلهم
مالي وللناس لا أحيأ بألفتهم
مذهام قلبي بكم ما اختار غيركم
أقضى ليالي في نجواك منفطرا
كأنما خاطري شدو رهينة
شدت لها الورق ألحانا مسلسل
ظلت تنغم في صدري وفي خلدي

بأضلعي اليوم من نجواك أصداء
فالقلب تسليحة في الشجر سجواء
ومن سخائك للعافين إغناء
إلى حماك فشعري منك إدناء
ولذلي في هواك السمع إفشاء
والكون لولا الهوى بهما جرداء
إن العذاب لمتلاف ومعطاء
على محياي أفرح وآلاء
كأنما أنا إلهام وإيحاء
فليس يعلق بي حقد وبغضاء
والنبع مذ كان أنغام وصهايا
فهجر أظلمهم للنفس إراء
وإنما أنت لي بعث وإحياء
ولا صبا ، وقلوب الناس أهواء
كما تفطر يوم الوحي سينا
وجنة من جنات الخلد غناء
فصفت في شعاب الدوح أحناء
قصيدة من دموع القلب عصماء

الكون ما الكون؟ شطر من روائعها
رنت إليها الدراري في مباحيها
وبش في الفجر إصباح يمور سنا
تلسم رعادة دنيا قد كلفت بها
أملت علىّ بليغ القول محكمه
كانت بصدري أسراراً مغلقة
ما أفصح الشعر عنها حين أعلنها
والمصطفى روحها والناس أجزاء
وفاض منها على الأيام نعماء
وهش في عتبات الليل إمساء
أولت نداها وكم للسعد إبلاء
إن البلاغة إبحاء وإملاء
ما إن يعاودها بوح وإفضاء
وكيف يفصح تليح وإيماء

* * *

يا هجرة لك فاضت همه وعلى
تركت مكة والأحلام تغمرها
والقلب رهن الحمى ما انفك مدّ لها
إن غبت عنها يراها الشوق واحتدمت
وعشت دهرك في تذكّرها وترأ
كلا كما ذاب تهماً بصاحبه
والمرء ما زال حناناً إلى وطن
إن عاش عاش بهم حتى إذا رحلوا
يشدها خافق بالعزم مضاء
وللطفولة أطياب وأشداء
به وللأرض أشواق وأصبا
نيرانه واستفاق الجرح والداء
له الهوى نغم في الصدر بكاء
والأرض أم وأهل الأرض أبناء
وإنما وطن القلب الأجاء
فإنما هو أصداء وأنباء

* * *

وأنت في الغار والصديق لفكاً
مشت عناكب تحميه مناسجها
وأرسلت سرحة أفنانها فنمت
وأقبلت من بنات الدوح ساجعة
لا الظن حام على الغار الحبيب ولا
وكان يحميه من بغى العدا قر
من كان يعلم أن الظبية اتشحت
ففي النهار غدت عيناً مراقبة
وفي المساء استحالت رحمة رندی
من جانب الله تثبيت وإرساء
وتدفع البغى، والعدوان مشاء
على مداخلة فالنار أفياء
كأنما الغار عش فيه ورقاء
بدت من الشك للسارين سماء
تدرج الطهر إن الطهر أبا
بما ينوء به العد الأشداء
ما حاكه في غمار الكفر أعداء
على النطاقيين منها الزاد والماء

بالنفس والأهل والدنيا وما حفلت
 ذات النطاقين أسماها الرسول بما
 باقت على الغار ترعاه وتحرسه
 أغضت عيون الدارارى فى مظالمها
 حتى إذا غمر الليل الشعاب ولم
 نشطت للسير والصدى فى ملاء
 يربا كما الله فى حل ومرتحل
 وحين أشرقت ماجت بالسورور كما
 هبت تلقاك أنجاداً وأودية
 مشى إليك بنوها والهوى غرم
 يستقبلونك أرواحاً وأفئدة
 ذاب الحنين على أفواههم نفماً
 على الشفاء أناشيد مزغردة
 أذكى الهوى أنفساً للحب قد خلقت
 أبكاهم الوجد فى اللقيا وأضحكهم
 أصغت إليهم عيون الليل رأينة
 وشت تسايحهم للحب أنملة
 طوبى ليرب ضمت خير من سطعت
 طوبى لها أن حمت جارا وأن طلعت
 طافت على الأرض نور الآلى فقدوا
 كأن كل سبيل من ضلالهم
 ضجت جفء وعجت وحشة وبلى
 نامت عليها الدياجى وهى جامدة

جنتها من مجالى السحر أسماء
 أسدت يداها ، وللإحسان إسداء
 كأنها مقلة بالسهد كحلاء
 وما لعين الهوى والحب إغفاء
 بين على الرمل فى الليل الأدلاء
 من الملائك ، والإيمان حذاء
 ويثرب القصد ، والأهل الأوداء
 تاللات بفريد الموج دأماء
 وكم تشوقك أنجاد وأوداء
 وكل نفس من الأشواق رمضاء
 ويفقدونك والأجساد أنضاء
 وفى يمينك للشادين إرواء
 وفى العيون من الأفراح لآلاء
 وللصباية فى العشاق إذكاء
 إن التوجد تضحاك وتبكاء
 وكم يطيب إلى الأحباب إصغاء
 والحب مذ كان وشاح ووشاء
 على حياه أنوار وأضواء
 رسالة الله منها وهى غراء
 أنوار أنفسهم ، والكفر ظلماء
 صحراء كالحلة الأعطاف غبراء
 كأنها القبر فاضت منه أشلاء
 ومقلة الفجر فيها الدهر عياء

* * *

لله شرعك شرعا واضحا جديدا
 أنقى من الزهر فى فينان نضرتة
 ما فى تضاعيفه ريب وإخفاء
 وقد جلته يد للحسن بيضاء

ما زال غضا على الأيام مؤتلقا كالخلد ليس له ند وأكفاء
 كم طهر القلب من بغى ومن دنس وكم صفت بصفاء القلب حوباء
 والدين يمن وإحسان وميسرة وفرحة تسع الدنيا وأنداء
 من ضاق بالعيش ذرعا أو جفته منى فالدين تعزية كبرى وتأساء
 من صد عن بابه لم يرثشف أملا وعادوته من الكفران غما
 ولا اطمأنت له نفس ولا هدأت وكيف تهدأ في الطغيان أنواء
 يطوى الحياة ججيا لا نعيم بها كأنما هى أوجاع وأدواء

* * *

يا هجرة فحرت حبا ومرحمة فالتقوم فيها الأحياء الاخلاء
 تقاسموا نعمات العيش واثملفوا كما تآلف فى الأجساد أعضاء
 كل يرى لأخيه الخير أجمعه والخير موطئه الرهط الأعزاء
 جرى الإخاء عليهم بهجة وسنا فاستعذبوه ، ودنيا الود فيحاء
 كأن ألفتهم للآثمين شجا وطعنة فى صميم الكفر نجلاء
 و (طيبة) الخير بيت ضم شملهم جلاله الدهر أبناء وآباء
 لو أن قوى وعوا أسرار هجرته لما تنأى بهم بغض وشحناء
 إن الحياة إذا يسرتها يسرت كأن إمرارها فى الطعم إحلاء
 وإن أردت بها شؤما ومعصرة فإنما هى أثقال وأعباء
 خلعت من الهجة الكبرى جوانبها كأن إضحاكها فى العين لبكاء
 كل له ما يرى فليتعظ فطن فصرها اليسر والبأساء سراء
 والحب أثنى ما أمتار الفؤاد بها وفيه للنفس لإحياء وإدلاء
 فقل ليعرب إما رمت مكرمة فوثق الحب إن الحب بناء

أنور العطار

آراء وأحداث

فإن رسالتي هي تقوية العلاقة بين حكومتى وبين الجمهورية العربية المتحدة .

فقال الأستاذ الأكبر ، ان الاعتصام بحبل الله هو السبب الموصل إلى ذلك ، ونحن إذ نعمل على توثيق هذه العلاقة فانما نبني دعوة الحق في قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » فهو يخاطب المؤمنين أجمعين ، المجاهدين والسياسيين والعاملين والمتعلمين وغيرهم .

ولما سأل السيد الزائر : هل هناك وسيلة التقريب الصلة العلمية عن طريق الإشراف والاتصال المنهجى حتى تنهض بطلابنا في الملايو ؟

أجاب الأستاذ الأكبر : ان الأزهر يرحب بمثل هذه الفكرة لأنه يهمه أن تكون عناصر الطلاب عندكم على جانب عظيم قوى ، وذلك عن طريق الإشراف والتصحيح الفعلى كما يهمنا تثقيف أبناء المسلمين - وخاصة الملايوين - وتتخذ لذلك العدة من كل جانب ونعمل على التقريب العلمى والفكرى لتحقيق أهدافنا السامية ، وأعتقد أن ذلك وسيلة لجمع شمل المسلمين ودعم قوتهم .

لا يزال مكتب الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر متصدا للطلاب العلم ورواد الثقافة من جميع الأقطار الإسلامية يستمدون عنه التوجيه في كل أمر ، والرأى في كل حكم ، فيصدرون عنه بما يدفع الخيرة ويبين الطريق . من هذه المقابلات :

الأزهر والملايو :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه السيد محمد الغازال سفير الملايو في القاهرة . وقد دار بينهما الحديث حول النواحي الثقافية التي تهتم بالبلدين .

(قال السيد السفير عند ما رحب به فضيلة الأستاذ الأكبر : أنا سعيد كل السعادة لأنكم أتحنتم لى هذه الزيارة على الرغم من أعمالكم ومهامكم . فقال فضيلة الأستاذ الأكبر ، وأنا أسعد بهذه الزيارة ، فرد السيد السفير : لقد جئت لأشكر باسمى وباسم حكومتى عنايتكم بطلاب الملايو فى الأزهر ، وعلى إرسال مبعوثيكم إلى الملايو واهتمامكم بنا جميعا ، وأنا باعتبارى أمثل سلطان الملايو

الإسلامية حيث لمس بنفسه مدى العناية التي يلاقيها أبناء البعث الإسلامية وبخاصة الملايوين ، وقد سره أن وجد البشر يرتسم على وجوه مواطنيه وهو يزور المدينة ، كما أسعده أن حلهو شكرهم للسادة المشرفين على المدينة والذين يحيطونهم لعنايتهم ورعايتهم .

المسلمون في تاريخهم العظيم :

ثم استقبل فضيلته السيد سلطان أحمد رئيس تحرير جريدة ذي اليدر للباكستانية . وبعد أن رحب به فضيلته سأله عن رحلته إلى الجمهورية العربية المتحدة ، فأجاب السيد الزائر بأنه زار عدة مدن منها المحلة الكبرى ، وبورسعيد ، ثم زار الأزهر ومدينة البعث الإسلامية .

ولقد سأل الصحفي الزائر فضيلة الأستاذ الأكبر عن السبب الذي يترك من أجله المسلمون تاريخهم العظيم . فأجاب فضيلته :

لقد غرهم بريق المدنية الغربية التي أتى بها الاستعمار فتعكن الشباب من ممارسة حريتهم الشخصية ، ولم يقفوا عند حد في هذه الممارسة . أما حرية الإسلام فهي حرية خلقية بناءة على عكس الحرية الغربية . فالإسلام أساسه الأخلاق ، وإنما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق .

ثم أضاف فضيلته : ولما ليسعدني أن أرى سفيرا سياسيا يسعى لتثقيف أبناء بلاده دينيا .

فقال السيد السفير : ان هذا جزء من مهمتي كسفير مسلم .

ثم انصرف السيد السفير شاكرًا لفضيلته حسن استقباله ، وروحه الطيبة .

كذلك استقبل فضيلته الدكتور برهان الدين الحلبي رئيس الحزب الإسلامي في الملايو ، وقد دار الحديث حول النواحي الثقافية .

فشكر السيد الزائر فضيلة الأستاذ الأكبر على عناية الأزهر بأبناء الملايو الذين يدرسون في الأزهر ثم قال : اننا نرجو أن يكونوا رسلنا فاعين لوطنهم بعد تخرجهم في الأزهر حيث يكونون قد اكتسبوا ثقافة وخبرة وقدرة على علاج المشاكل الدينية .

وقد لاحظ فضيلته أن ضيفه يجيد اللغة العربية فعلق على ذلك قائلا : لقد سرني منكم معرفتكم اللغة العربية كما يسرني أن تعلموها أولادكم ، والأزهر يعاهاكم على أن يأخذ بيد أبنائكم الذين يتعلمون فيه إلى الطريق الصحيح طريق الإسلام القويم .

ثم زار السيد الزائر المكتبة الأزهرية وقاعة المحاضرات ثم زار مدينة البعث

المسلم شؤونه بنفسه ، ويوجه بعضهم بعضا
« كتم خير أمة أخرجت للناس » ، تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ،
قال السيد الزائر : ما هي الأسباب التي
دعت إلى إنقسام بعض الدول الإسلامية
وما رأيكم في علاج حاسم لهذه المشكلة ؟

فأجاب فضيلته :

إن الاستعمار سبب الفركة بين المسلمين
وعدم تضافر القوى بين الحكام ليعيش
بين صفوفهم ، والعلاج لذلك الوحدة
والتشاور وقيام العلماء بواجبهم نحو التعاون
الفكرى والثقافى والخلقى بين جميع الدول
الإسلامية والعربية .

الكتاب والإسلام :

ثم سأل الصحفي قائلا : لماذا ينصرف
المفسكرون العرب عن الكتابة فى الإسلام ؟
فأجاب فضيلته : إنهم متأثرون بزخرف
الحضارة الغربية وبريقها . وأنى أحملكم تحياتى
إلى المسلمين جميعا فى الباكستان ، تحيات الأخ
إلى إخوته وبخاصة ، علماء الباكستان الذين
ندعوهم إلى التعاون مع علماء المسلمين فى
الجمهورية العربية المتحدة لنشر مبادئ
الإسلام وغرسه فى نفوس المسلمين ،
والصحفيون والعلماء سواء فى المسئولية للدعوة
إلى المبادئ الإسلامية التى تؤكد أنه إن يسعد

وأهم أسس الأخلاق المحافظة على العرض ،
والمحافظة على الفضيلة . فالإسلام يحرم ما يفسد
العقل من خمر ومخدرات ، وما يفسد الخلق
من قمار وميسر ، أما المدنية الغربية فقد
خطفت بعض شبابنا وأصبح هؤلاء الشباب
ينقادون لمبادئ زائفة ذات بريق خلاب ،
ولكنها لا تقود إلى نهضة ولا إلى رخاء .

ورجال الصحافة مسئولون مسئولية تضامنية
عن الانحلال الخلقى ، لأنهم الآمرون
بالمعروف والناهون عن المنكر ، وهم الموجهون
والمعلون .

وبمقر المطبة الإسلام :

ولما سأل السيد الزائر فضيلته قائلا : إنه
على الرغم من أن الإسلام يدعو إلى
الديمقراطية ، فإننا نرى أن كثيرا من الدول
الإسلامية قد فشلت فى تحقيقها .

فأجاب فضيلته : أن العلة أيضا فى ذلك هى
الاستعمار ، فهو داء عضال لا يستعمر الاوطان
فحسب ، وإنما يستعمر العقول والقلوب ،
وعلى رجال الصحافة أيضا أن يكافوا هذا
الوباء ، وعلى الرغم من أن الاستعمار قد زال
من معظم الدول الإسلامية فإنها ما زالت
تجهل مبادئ الإسلام التى تقوم على أساس
من الشورى « وشاورهم فى الأمر » ، وأمرهم
شورى بينهم ، فإذا استبد الحاكم وجب على
الشعب أن يطرده ، إذ لا بد أن يعالج الشعب

العالم ويسود السلام إلا إذا رسخت مبادئ الاسلام في نفوسهم .
وقد اتجهت المشيخة إلى تعديل المناهج
تعديلاً يلائم روح العصر مع المحافظة على التراث
الاسلامى والعربى .

الأزهر فى ماضيه ومستقبله :

تحدث فضيلة الأستاذ الأكبر إلى مندوب جريدة
« الأزهر » ، هذا الحديث المستفيض الذى
بين فيه ما يؤديه الأزهر إلى العالم العربى
والاسلامى من خدمة للثقافة ، ونشر للعقيدة
وتوحيد للرأى ، وتوثيق للكلمة ، ورعاية
لأبناء المسلمين الوافدين إليه من أقطار
الأرض وهذا نص الحديث .

رسالة الأزهر خالدة :

الأزهر هو الجامعة الإسلامية الكبرى
التي سلخت أكثر من ألف عام ، وهى التي
تحمى التراث الاسلامى عقيدة وشريعة ولغة
وتاريخاً وأدباً .

والأزهر من حقه على الأمة أن يظل باقياً قوياً
لأنه يحمل أعباء رسالة خالدة هى رسالة
الإسلام .

والأزهر كليات ثلاث : كلية الشريعة ،
وكلية اللغة العربية ، وكلية أصول الدين ،
تمدها روافده وهى المعاهد الدينية وعددها
يقارب الثلاثين ، غير المعاهد الحرة التي يعمل
الأزهر على ضمها . وطلاب هذه المعاهد ممن
حفظوا القرآن الكريم وتمكنوا فى القراءة
والحساب بمدارس جمعيات المحافظة على
القرآن الكريم .

فى كلية الشريعة

فى هذه الكلية تدرس الشريعة الإسلامية
أصولاً وفروعاً دراسة عميقة مستمدة من
الكتاب والسنة . وفيها يدرس الفقه المقارن
بين سائر المذاهب الإسلامية بما فيها مذهب
الشيعة الإمامية والزيدية ، وفى ذلك كسب
لفقه الاسلامى وربط بين العالمين الاسلامى
والعربى ومحو للطائفية التي أوجدها الاستعمار .
وقد أدخلت الدراسات القانونية التي تدوس
فى كلية الحقوق فى منهج كلية الشريعة وقسم
إجازة القضاء بصورة واسعة ليكون الطالب
ملماً بما يدور حوله من التفكير الفقهي ،
وتقرر تنقيح المناهج فى المواد الشرعية .
كما تقرر وضع نظام جديد للدراسات العليا
ونفذت هذه المناهج فى العام الدراسى ٦٠/٥٩
وتعمل الكلية على نشر التراث الاسلامى
وبحث المسائل التي استحدثت فى المعاملات
لبیان حكم الشريعة فيها .

فى كلية أصول الدين

وضع مشروع جديد للمناهج كلية أصول الدين
يقوم على استبقاء المفيد وإضافة ما يحتاج إليه
لرفع مستوى الواعظ مما يعينه على أداء رسالته

الطالب على فهم الدين واللغة فهما يمكنه من الالتحاق بإحدى الكليات أو الكفاح والجهاد في نواحي الحياة ، وقد حرصت المشيخة على تعديل مناهج المعاهد الدينية تعديلاً يربطها بالحياة العامة مع المحافظة على علوم الشريعة واللغة ، تحقيقاً لرسالة الأزهر ، كما حرصت على ضم بعض المعاهد وإنشاء فرق بالقسم الثانوى في بعضها ، وبخاصة في معهد غزة تيسيراً لأبنائها وتلبية لرغبة أهلها ، وسينى معهد الاسكندرية في حوالى ١٢ قدانا .

منشآت جديدة :

وقد أنشئت ثلاث مراقبات للعلوم العربية والشريعة واللغات الأجنبية كما أنشئ في كل معهد اتحاد للطلاب ، واشترك الطلاب في الخدمات العامة . وشجعت حركة التأليف ، ونفذ مشروع الدراسات الشعبية في المساجد والأندية ، وقد أفاد الناس منها كثيراً ، لأنها تمد كلاهما يحتاج إليه في دينه وفي حياته . وعناية بالقرآن الكريم ومحافظة عليه أنشئ مكتب للإشراف على جمعيات المحافظة ورقابها حتى تؤدي رسالتها وتنشر الوعي الدينى تحقيقاً لرغبة السيد جمال عبد الناصر . وقدمت مودونات لطلاب مدارس هذه الجمعيات من الغذاء والكتب والأدوات بالاشتراك مع وزارة التربية والتعليم .

كدراسة التيارات المذهبية واللغات الغربية والشرقية ، إلى جانب دراسة الحديث والتفسير دراسة موضوعية تقوم على الربط بين أطراف الموضوع تمكيناً له من القيام برسالة الأزهر التى هى رسالة الاسلام وسينفذ ذلك فى العام الدراسى ١٩٦١ / ٦٠

فى كلية اللغة العربية

تسير مناهج هذه الكلية وكتبها وأقسامها فى الخطة التى تؤدى إلى الغاية المقصودة منها وتزويدها بمادة النقد الحديث وبما يحقق الارتباط الفكرى بين أنحاء العالم الإسلامى والعربى . فضلاً عن أن هذه الكليات الثلاث أدخلت فيها منذ سنتين اللغة الانجليزية وسيتم إدخال غيرها إجبارياً فى المستقبل . كما تقرر أن تدرس مادة المجتمع العربى فى سنة ٦٠ / ٦١ . وفى الكليات تدرس التربية العسكرية التى انفردت بها كليات الأزهر ، وللطلاب اتحاد عام له نشاط اتحاد الجامعات ، وستعمل المشيخة على دعم هيئات التدريس فى الكليات بإعداد (كادر جامعى خاص) أسوة بسائر الجامعات .

فى المعاهد الدينية

المعاهد الدينية روافد الكليات وهى تساعد

والأندونيسية ودراسة المعهد عليا للدرسين والوعاظ والمستجدين والطلاب بالسنوات الأخيرة في السكليات .

٢ - قاعة المحاضرات : التي لم تؤد رسالتها إلا من سنة ١٩٥٩ حيث أُلقيت فيها محاضرات دينية واجتماعية واقتصادية وغيرها. وهدفها محاربة المبادئ المنحرفة والسمو بالوعي الديني والاخلاقي كما عقدت فيها المؤتمرات القومية والوطنية ومؤتمر الشباب الآسيوي الأخير سنة ١٩٥٩ وكانت مركزاً لالتقاء الأزهر بقيادة الشعوب الإسلامية .

٣ - مدينة البعوث : المكونة من ٤١ عمارة مزودة بأحدث وسائل الراحة لاستقبال ٤٠٠٠ طالب وبها الآن ٧٦٨ طالباً يمثلون أكثر من خمسين جنسية ، والسكن فيها بالجان بل يمنح الطالب ٥٠ قرشاً أو ٢٠٠ قرش وهو يكلف الأزهر ١٥ ج شهرياً وسينشأ فيها ملاعب رياضية وحدائق ومستشفى ومسجد كبير ومكتبة ومعهد ، وسيخصص منها قسم لبعض طلاب الإقليم الجنوبي .

٤ - قسم البحوث والترجمة : يقوم به أزهيون للبحث والترجمة باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية ، ويقبل المسلمون على هذه الترجمات التي تنشر في مجلة الأزهر . وترسل

وقد عنيت المشيخة بمعهد البعوث لأن طلابه يجب أن يكونوا قدوة صالحة وسفراء صادقين للجمهورية العربية في بلادهم ، لذلك شُكلت لجان مختلفة لتعديل مناهجه بما يحقق رسالته .

وستنشأ مراقبة لرعاية الشباب اجتماعياً وثقافياً ورياضياً كما ستنشأ مراقبة لجمعيات المحافظة على القرآن الكريم وسيزود الطلاب في المعاهد بما يمكنهم من دراسة الشريعة واللغة العربية وستدرس اللغات الأجنبية من السنة الأولى الابتدائية وستعزز الاعتماد الخاصة بجمعيات المحافظة والترقية العسكرية .

ادارة البحوث والثقافة الإسلامية :

تعمل هذه الادارة على صيانة التراث الإسلامي ومقدسات الأمة العربية وتنتشر الوعي الناضج بين الشعوب الإسلامية وتعنى برفع المستوى الثقافي والفني وتوثيق الروابط بين المسلمين وتستقبل الوافدين من الطلاب وتهتم بشأن المبعوثين ، ولها وسائلها التي تحقق هذه الأهداف وهي .

١ - معهد الإعداد والتوجيه :

الذي أنشئ ١٩٥٩ لإعداد المبعوثين إعداداً سليماً ، وفيه تدرس الانجليزية والفرنسية والألمانية والأردية ،

البعوث ٢٨٢٩ طالباً من ٥٤ جنسية يجمعهم الإسلام في الأزهر وينهلون من ثقافته .

وأما البعثات الموفدة إلى البلاد الإسلامية فيختار أعضاؤها من الممتازين علماً وخلقاً ليقوموا بواجبهم خير قيام وفي كل عام يزيد عددهم . فالأزهر له بعثات في أمريكا وكندا وسيلان والملايو عدا بعثات آسيا وأفريقيا والهند وأن إدارة البحوث تحرص على أن يشارك الأزهر في بناء الحضارة الإنسانية مع المحافظة على القيم الأصيلة في الثقافة الإسلامية العربية

قسم الوعظ والإرشاد

يقوم بهذه الرسالة طائفة من العلماء لتوضيح الدين وتقوية الوعي القومي والخلقي والاجتماعي وثقافة المواطنين ثقافة حرة لا تخضع لمناهج معينة . وعدد الوعاظ ٤٠٠ واعظ موزعين في داخل الجمهورية وخارجها ، في ليبيا والسودان والصومال والسعودية ولبنان . ولهم أثر بارز في توثيق الصلات بين جمهوريتنا والبلاد الإسلامية ، وكذلك لهم يد طويلة في النواحي العامة كتنشيط المرأة وخدمة المصالحات التي بلغ عددها ٢٠٠ ألف مصالحة ، وإنشاء مساجد مجموعها ٥٥٠ مسجد و ١٠ معاهد و ٣٠ جمعية للحفاظ على القرآن الكريم ، وهم يحاربون البدع والخرافات والمبادئ الوافقة والاجرام بصوره المختلفه ويحضنون

عن طريق السفارات بحوث تلقى في المؤتمرات العلمية الدولية ، ويشرف على طبع المصحف الشريف ويراجع الكتب المطبوعة في الداخل والخارج ليقدر صلاحيتها للنشر والقراءة أو عدم صلاحيتها ، وقد بحث على حداثة عهده أكثر من ٨٠ كتاباً بمختلف اللغات . ويتتبع انجماها للصحافة والسينما والمسرح والاذاعة لينبه إلى نواحي الضعف فيها ، ويستقبل الضيوف من جميع العالم الإسلامي .

• — المطبعة والمجلة : تقوم المطبعة

بنصيب كبير في نشر التراث الإسلامي عن طريق الكتاب والمجلة والنشرات بالعربية أو الإنجليزية . فأما المجلة فقد اتسع نطاق توزيعها وتنوعت بحوثها وأصبحت صلة قوية بين العالم الإسلامي والجمهورية العربية ، وتحرص وزارة الخارجية والسفارات العربية على أن تحصل عليها ، ولها ملحق انجليزي يتخطفه القراء ، ويعاد طبعه ونشره لتناوله بحوثاً في الدين والتشريع والأخلاق .

٦ — البعثات : وافدة أو موفدة

فالوافدة من البلاد الإسلامية يستقبل أعضاؤها ويعنى بإسكانهم وإشعارهم بمحبة الأخوة الإسلامية .

وللطلاب الممتازين أو القادمين لمدد قصيرة عناية خاصة وتكتب عنهم تقارير شهرية للوقوف على حالتهم . ويبلغ عدد طلاب

مكتب ثقافى ، وفى كل مراقبه سيارة مجهزة بأدوات الإذاعة والتسجيل .

هذا هو الأزهر وهذه هى أقسامه وكلياته ومعاهده التى تتعاون على مكافحة الأمية وجهل العقيدة وضعف الآداب وانحلال الأخلاق . وتعمل جميعها للقضاء على كل ذلك بين المسلمين من مشارق الأرض إلى مغاربها . هذا هو الأزهر الذى يربط الشعوب الإسلامية بالجمهورية العربية المتحدة حتى أصبحت مناراً للعلم ومركزاً للثقافة الدينية والعربية السليمة .
نسأل الله تعالى رعاية لرائد النهضة العربية وتأيداً للامة الإسلامية وتوفيقاً إلى أقوم طريق .

على البر والعمل الصالح ، ومنهم مجموعة فى القوات المسلحة لشر الوعى الدينى ، وزاد نشاط القسم فى عهده الجديد ، وسائر ركب النهضة ، فأنشأ مكتباً فنياً للإشراف على مجلة نور الإسلام ودراسة المشكلات وعلاجها وإخراج دراسات إسلامية وللقسم اتصال بالوزارات المختلفة لتنسيق التعاون بينها وبينه .

ويتخذ القسم الوسائل الحديثة لتساعده على بث الدعوة كمكبرات الصوت وآلات التسجيل . وستعمل المشيخة على أن يكون فى كل مخفر شرطة وفى كل مركز أو منطقة

من الحكم العالمية

- * عالم ذو همة يحيى أمة . . . ١١ .
- * القادر يعمل والعاجز ينظر .
- * خير للإنسان أن يجلى من العمل من أن يصدأ بدونه . . . ١
- * إذا كان رأسك من شمع فلا تمش فى الشمس .
- * الذى يملك القمح يسهل عليه أن يقترض الدقيق .

المكتبة

نقد وتعرّيف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

- ١ - تفسير القرآن الكريم : لهؤستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت
- ٢ - الإسلام في أمريكا : للدكتور محمد يوسف الشواربي

- ١ -

في التفسير ، واضطروا إلى أن يكونوا فقهاء في كثير من العلوم ، حتى يؤدوا مهمتهم على أكمل وجه ، ويقوموا برسالاتهم خير قيام . إلا أن جل هؤلاء المفكرين من المفسرين للقرآن - وإن كانوا خلفوا لنا تراثا فكريا خصبا - زعموا تفسيراتهم بكثير من الحشو الذي تاهت خلاله معاني القرآن العذبة ، التي يجب أن يكون استخلاصها وتحليلها الهدف الأساسي من التفسير ، وأبرزوا تعصبهم المذهبي ، فتركوا الحاذق اللبيب يقرأ بدقة وحذر .

تزخر المكتبة الإسلامية بمئات من التفسيرات للقرآن الكريم ، هي بمثابة تراث ضخم للفكر الإسلامي في شتى المعارف الإسلامية ، وعناية العلماء المسلمين القدامى والمحدثين بتفسير القرآن ضرورة من الضرورات الملحة ، إذ القرآن هو الأصل الأول للإسلام من ناحية ، ودسامة معانيه من ناحية أخرى تحتاج على مر العصور إلى عقليات ناضجة تناقشها وتخرجها في إيجاز أو إطتاب واخمين .

والحق الذي لا مرأ فيه أن تفسيرات القرآن القديمة على كثرتها وضخامتها لم تكن لتغني أي مفكر في هذه الآونة عن تفسير - كتفسير المنار للرحوم الشيخ رشيد رضا ،

والذين تصدوا لتفسير القرآن من المفكرين المسلمين القدامى ، أثبتوا وجودهم بتفسيراتهم حيث إنهم قطعوا من الوقت شوطا بعيداً

في مقدمته :

فهو يقرر أن عناية العلماء الأولين بالتفسير كانت لإحدى الضرورات ، وأن اشتغالهم بالعلوم المختلفة كان هدفه خدمة القرآن ، سواء في اللغة ، أو الفقه ، أو علم الكلام ، أو البلاغة ، أو الأصول ، أو الفلك ؛ أو ما إلى ذلك ، كما يقرر أن اختلاف التفسير مردود إلى اختلاف ثقافة المفسر ولذا جاءت التفسيرات ذات ألوان شتى . . . وأن التفسير السليم يجب أن ينزه عن ناحيتين برزت إحداهما في صورة واضحة في التفسيرات القديمة ، وهي التعصب المذهبي ، وتأويل القرآن وفق هذا المذهب أو ذاك ، وبرزت الأخرى في بعض التفسيرات الحديثة ، وهي محاولة تفسير القرآن على مقتضى النظريات العلمية الحديثة ، حتى تكلفوا في التأويل وحلوا القرآن ومعاتبه فوق طاقته .

فالمعتزلة الذين يمثلون الرأى في تفسيراتهم وأهل السنة الذين يمثلون النقل ، والمتصوفة الذين يمثلون النظريات الفلسفية هذه المذهبية - لا شك - أنها أرهقت الأذهان والعقول قديما ، ولا ترهقهما حديثاً ، وسقط إلى أن يشاء الله هكذا ، كما أنها أحدثت تذبذبا في الأفكار ، وأشعلت فتنا منذ أمد بعيد ، حينما كانت السياسة تقتضى التدخل لحاية مذهب ، واضطهاد آخر .

الذى استوعب أفكار المرحوم الإمام الشيخ محمد عبده أحد المفكرين الإسلاميين القلائل ، الذين لم تجد بمثلهم الأيام . . إلا أن هذا التفسير الجديد لم تشأ له الظروف العديدة أن يتم ، فترك فراغا واسعا في عالم التفسير . وجاء الزمان بعقليات ناضجة تصلح أن تكون امتدادا لعقلية الإمام المفسر ، ومنها عقلية المرحوم الإمام المراغى ، وعقلية الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت شيخ الأزهر مد الله في حياته . أما المرحوم الإمام المراغى فلم تشأ له الظروف أيضا أن يفسر القرآن أو على الأقل يواصل ما وقف عنده الشيخ رشيد رضا ، فظل الفراغ مطالا علينا بشبحه ، وأما الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت ، فقد بدأ فعلا في أن يقوم برسالة نحو كتاب الله واستطاع أن يقدم للمكتبة الثلث الأول من القرآن ، والأمل في الله وحده أن يمده بالصحة والعافية حتى يكمل ما بدأ .

وقد يرى من يرى أن الأستاذ الأكبر لم يقصد أن يقدم تفسيراً للقرآن يزخر بالمعارك الجدلية فلدينا منها الكثير ، وهذا هو الحق وإنما قصد أن يستعرض كتاب الله ، ليقدم لنا المعاني ملخصة مركزة تلهمها الأفهام دون أن تبذل جهدا أو مشقة ، وتستعذبها الأذواق دون امتعاض أو تردد .
والأستاذ الأكبر خطأ منهجه في التفسير

ثانياً : إبراز القيم الأخلاقية العليا والمثل الإنسانية الرفيعة ، لتكون مدياً للناس يضيء لهم الطريق إلى الحياة الصحيحة .

ثالثاً : التنسيق الجميل في صورته لمعاني القرآن ، والذي حرمت منه التفسيرات القديمة ، فهو يجعل من السورة موضوعاً ذا عناصر مركزة ، يسهل للقارئ الامام العام بالسورة واتجاهها ومقاصدها .

رابعاً : الحقوق والواجبات لها مكان بارز في عرض الأستاذ الأكبر للقرآن ، حتى يخيل إلى القارئ أنه أمام دراسة اجتماعية مرة ، وسياسية مرة ثانية ، واقتصادية مرة ثالثة دون أن يكون للحشو والتعقيد أى أثر يذكر .

خامساً : لشخصية الأستاذ الأكبر في تناوله للقرآن وجود ملبوس ، فهو ليس معقبا فحسب ، وإنما له رأيه الحر في آراء غيره ، ولو كانت آراء أستاذه ، الإمام محمد عبده أو الأئمة السابقين .

سادساً : تحديد المفاهيم ، فالأستاذ الأكبر يوضح منهج السورة ، ومنهج في دراستها ، ثم الموازنة بين منهج هذه السورة ومنهج غيرها ، وهو حريص كل الحرص على أن يحدد المفاهيم ، وألا يتركها فوضى يأخذ بعضها بخناق بعض .

سابعاً : لم يفت الأستاذ الأكبر ؛ أن

وحسبك أن تعلم أن التعصب للذهب أخرج بعض العلماء القدامى عن وقارهم ، إلى درجة تسفيهه رأى المعارض بقسوة .

أما هؤلاء المحدثون المتكلفون الذين يخضعون القرآن للنظريات العلية متأولين تأويلاً فاسداً ، فالأستاذ الأكبر يرى أن الله لم ينزل القرآن ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف ، وهذا اتجاه خاطئ ، لأنه يحمل أصحابه على تأويل القرآن تأويلاً متكلفاً يتنافى مع الإعجاز ولا يسيغه الذوق السليم ، ولأنه يعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان ، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأى الأخير . فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غداً من الخرافات .

* * *

والأستاذ الأكبر في عرضه للقرآن في هذا الجزء بهم :

أولاً : باستخلاص المعاني الإجمالية للسورة كلها وأهدافها الأساسية ، ويتجنب تفتيت الآيات إلى كلمات بل إلى أجزاء الكلمة كما كان مستساغاً في التفسيرات القديمة ، حتى لا تنصل المعاني طريقها إلى الأنهام .

لقد قضى الدكتور عامين أستاذا زائرا بجامعةتين من جامعات أمريكا ، وانتزعت الفرصة فقام بواجب إنساني نحو إخوانه المسلمين هناك ، ونحو الأخوة الإنسانية عامة . فقدم لنا في هذا الكتاب عرضا مبسطا عن الإسلام في أمريكا ، هو في الحقيقة مرجع واثق في هذا الصدد .

قدم لنا نبذة تاريخية عن هجرة المسلمين إلى الدنيا الجديدة ، وأن التاريخ سجل هجرة بعض العرب المسلمين إلى الدنيا الجديدة قبل رحلة كولومبس ، مكتشف هذه الدنيا الجديدة . وذكر أن توافد المسلمين من شتى البلاد إلى أمريكا جعل أمريكا تتبادل الثقافة بينها وبين العالم الإسلامي ، كما ذكر أن في أمريكا اليوم هيئات إسلامية منها : المركز الثقافي الإسلامي بواشنطن وهو الهيئة الرسمية الوحيدة هناك ، ويرعاه مجلس يضم جميع سفراء الدول الإسلامية ، يختص بجميع شئون المسلمين ، وقد أصبح إحدى المؤسسات العامة التي يصددها الزائر الأمريكي العادي القادم من الولايات الأمريكية المختلفة لزيارة عاصمة بلاده .

ثم المركز الثقافي الإسلامي بنيويورك ، يضم معهدا إسلاميا لنشر الثقافة الإسلامية والعلوم الإسلامية ، وناديا إسلاميا ومسجدا كبيرا .

يجري القرآن عن الجدل الممل ، وينأى به عن الإسفاف في مناقشة عبارة اقتضت حكمة القرآن أن تأتي موجزة لتهدف إلى معنى واحد مستقل .

فإذا ذكر أن إخوة يوسف باعوه بثمن بخس دراهم معدودة . فأى إسفاف هذا الذي يحمل المفسر أن يأتي لنا بأراء متشعبة في تحديد عدد هذه الدراهم ؟ وهكذا .

وبعد : فهذا عرض سريع لتفسير الاستاذ الأكبر ونحن حين نقول : إنما كنا محتاجين إلى مثل هذا التفسير ؛ لا نقصد التزلف ؛ فإن رواج هذا التفسير وطبعه مرتين في خلال أسابيع معدودة دليل على أن حاجة المثقفين شديدة إليه ، وحاجتهم أشد إلى أن يهب الله للأستاذ الأكبر الصحة حتى يكمل ما بدأ .

- ٢ -

الإسلام في أمريكا : كتاب جديد للدكتور الشواربي كتب مقدمته الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وكذلك فضيلة الشيخ عبد اللطيف دراز رئيس جمعية التعريف الدولي بالإسلام والدكتور الشواربي أستاذ بجامعة القاهرة وسكرتير جمعية التعريف الدولي بالإسلام ، وكتابه هذا أول بواكير إنتاجها في الميدان الإسلامي .

نقد كتاب

(الأئمة الاثنا عشر)

لابن طولون المتوفى سنة ٩٥٣

نشر كتاب (الأئمة الاثنا عشر) لشمس الدين محمد بن طولون ، بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية ، وهو الكتاب الأول من نوادر المخطوطات التي ينوى الدكتور نشرها . والكتاب في ١٤٣ صفحة مصدر بمقدمة ومذيل بفهارس وكان طبعه في بيروت سنة ١٣٧٧ .

والدكتور المنجد غنى عن التعريف بما له من بحوث أدبية وتعليقات قيمة سواء فيما يؤلفه أو فيما ينشره ، كما أن ابن طولون من أئمة المسلمين المكثرين من التأليف النافعة ، فهو في دمشق مثل الحافظ السيوطي في مصر وكلاهما توفى في القرن العاشر .

وقد وقعت في الكتاب أوهام وأخطاء أحبت تصحيحها إتماماً للفائدة المرجوة من نشر الكتاب الذي سماه مؤلفه (الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثني عشر عند الإمامية) . ونشره الدكتور باسم (الأئمة الاثنا عشر) .

ص ٢٨ - ذكر الدكتور في مقدمته أن تاريخ ميفارقين مفقود اليوم ، والصواب أن تاريخ ميفارقين وآمد لأحمد بن يوسف

ثم المركز الثقافي الإسلامي في ديترويت ، وهي مدينة تقع في قلب الولايات المتحدة بولاية « ميتشجن » ، وكذلك المركز الثقافي الاسلامي بسان فرانسيسكو ، ثم بمدينة شيكاغو ، ثم المجلس الاسلامي الأعلى بنيويورك ، وبعض المساجد بكثير من المدن الأمريكية .

وقد قدم لنا المؤلف صورة من المؤتمرات الاسلامية التي تعقد في ولايات أمريكا لاسيما شيكاغو وكندا ، وصورة عن اتحاد الجمعيات الاسلامية في الولايات المتحدة وكندا ، وما إلى ذلك من المؤسسات العديدة .

والدكتور قد أسدى خيراً للعالم الاسلامي بهذا الكتاب الجليل ، وقدم لنا إحصائيات دقيقة عن الاسلام والمسلمين في أمريكا ، وهو يرى أن الاسلام يجب أن يكون فكرة متحركة في أى بقعة يحل بها ، وعلى العالم الاسلامي أن يعرف واجبه ويؤديه نحو الجاليات الاسلامية الموزعة في شتى بقاع المعمورة .

هذه كلمة عابرة ولا أراها جديرة بهذا الكتاب الجليل ؟

محمد عبد الله السمان

* * *

هاشمي الأبوين ولد ابنين هاشمي الأبوين .
وذلك لأن كل هاشمي يلد هاشميا ، وإنما ميزة
سيدنا علي عليه السلام أنه أول هاشمي الأبوين
ولد ولدين كل منهما أبواه هاشميان .

ص ٤٩ . س ١ : (حبان) بالمهمله وفي
الآخر نون . صوابه (خباب) بالخاء المعجمة
وبموحدة تن .

ص ٤٩ . س ٢ : ورد ضبط (الخدرى)
بكسر المعجمة والصواب ضمها ، وقد ورد
خطأ أيضاً في ص ٥٠ وص ٥١ .

ص ٥٣ . ذكر حديث في صحيح مسلم وفي
أثنائه تعذر على الدكتور قراءة الأصل
فوضع بعض نقط وقال في الهامش (ثلاث
كلمات غير واضحة في الأصل) ولو رجع
الدكتور إلى صحيح مسلم لوجد أن هذه الكلمات
هي (بماء يدعى نخا) وغدير دحم ، مشهور
والكلمة بضم المعجمة وتشديد الميم .

ص ٥٤ . س ١ : (والفسوز) صوابها
(والنور) . س ٥ (أهل) ضبطت بضم
اللام والصواب كسرهما ، س ٦ (بعد)
صوابها (بعده) بزيادة الهاء . وتصويب
الكلمات الثلاث عن صحيح مسلم .

ص ٥٥ . س ٢ : حسن بزيادة) جاءت
هذه الجملة هكذا . وفي الهامش (كذا
في الأصل ولم أجد هذا الاسم في تهذيب
التهذيب) . قلت الصواب (حبشي بن جنادة)

ابن علي بن الأزرق الفارقي موجود بالمتحف
البريطاني بلندن برقم ٥٨٠٣ كما أن صورة
الكتاب الشمسية موجودة بمكتبة السيد الأستاذ
أحمد خيرى الخاصة بروضة خيرى باشا .
ص ٣٩ - ورد في مقدمة المؤلف جملة :

(شهادة تشرق بنورها الخافقين) ، ووضع
الدكتور علامة (١) على الخافقين ، وفي
الهامش قال (كذا في الأصل) . وذلك أن
الدكتور ظن أن (الخافقين) قاهل . ولا
يمكن أن يكون هذا من تحريف النساخ .
فالمقدمة كلها تنتهى فواصلها بالين . والرين ،
والزين . الخ . وابن طولون أجل من
الوقوع في هذا الخطأ . والصواب أن فاعل
« تشرق » ضمير يعود إلى « شهادة » وأن
« الخافقين » مفعول به ، ففي أساس البلاغة
(وأشرقته بالصبح) فدل ذلك على أن الفعل
(أشرق) متعد .

ص ٤٢ - جاء في هاشم رقم (١) . عن
(منى) أنه موضع بمكة . والصواب أنه
بضواحي مكة وهو يبعد عنها ٦ كيلومترات .
ص ٤٢ - جاء في هامش رقم (٦) ما نصه
(... لأنه يجمع فيه بين صلاتي العشاءين)
وكان الواجب إضافة جملة . وذلك ليلة عيد
النحر . لتلا يظن أن الجمع بين العشاءين
في مزدلفة مطلق على طول الأيام .

ص ٤٧ . س ١٤ : وردت جملة (وأول
هاشمي ولد ابنين هاشميين) والصواب (وأول

- فالاسم بضم الحاء المهملة بعدها موحدة فشين
معجمة واسم أبيه بجيم بعدها نون .
ص ٥٦ . س ١ : ورد لفظ (أنه) وفي
الهامش أن الأصل (أن) قلت ما كان
في الأصل هو الصواب ، والحديث في صحيح
مسلم . وما كان ينبغي للدكتور أن يغير لفظ
الحديث بل كان ينبغي له الرجوع إلى صحيح مسلم ،
فقد ذكر المؤلف أن الحديث رواه مسلم .
ص ٦٣ . س ٩ : ورد (أبو الحوراء)
ووضع الدكتور علامة رقم (١) وقال في
الهامش أنه (أبو الجوزاء بالمعجمة اه) .
قلت الصواب أنه (أبو الحوراء) بالحاء
والراء المهملتين . وما في تهذيب التهذيب
خطأ مطبعي وقد جاء الاسم صحيحا في الجرح
الثالث ص ٢٥٦ من تهذيب التهذيب .
ص ٦٥ . س ٢ : (أمام) صوابها (أيام)
بالياء آخر الحروف بدل الميم الأولى .
ص ٧٧ . س ٢٢ : (ابتنه) صوابها
(ابنه) بدون التاء المشناة من فوق .
ص ٧٨ . س ٣ : (كرنابة) صوابها
(كرنافة) بالفاء بدل الموحدة . وأما
الكرناب بالباء الموحدة فهو التمر واللبن
ولا محل له في سياق القصة ، فالمراد كرنافة
النخل وهي بالفاء .
- ص ٨٥ . س ٩ : وردت كلمة (سنة)
وبعدها نقط وفي الهامش (كلمة غير واضحة
في الأصل) قلت هذه الكلمة هي
(الجحاف) بضم الجيم بعدها حاء مهملة
وهو الاسم الذي أطلق على سنة ثمانين من
الهجرة الشريفة .
ص ٨٥ . س ١٠ : سنة ثلاث وثمانين
ومائة . الصواب ثلاث وثمانين بدون مائة .
ص ٩٣ . س ٧ ، ص ٩ : لفظ (ماتتين)
صوابه (مائة) في الموضعين .
ص ١١٧ آخر سطر : (سنة ست وخمسين)
الصواب (ثمان وخمسين) . فهنا نقل
ابن طولون عن ابن الأزرقي في تاريخ ميفارقين
وبالرجوع إلى اللوحة (١١٢) من مصورة
مكتبة روضة خيرى نجد ما نصه (وقيل ولد
ثمان شعبان سنة ثمان وخمسين وماتين لاشك
فيه) يعنى الإمام الثانى عشر .
هذه هي الأخطاء والأوهام التي وقفت
عليها في الكتاب المذكور ، ولا يفوتني أن
أنوه بالمجهود المشكور الذي بذله الدكتور
المنجد في إبراز الكتاب في صورته المشرقة
التي ظهر بها . والله ولي التوفيق والهادي
لأقوم طريق ؟
- عبد السلام محمد النجار

بريد المجلة

فتاوى في الشيوعية

لؤمّة الشيعة في العراق

ما زال المجتهدون من علماء الشيعة بالعراق يبصرون المسلمين بحقيقة الشيوعية ويحذرونهم شر التورط فيها من طريق الوعظ وبطريق الفتوى ، وقد وقعت في أيدينا ثلاث صور لثلاث فتاوى أصدرها ثلاثة من جلة العلماء هذه نسختها .

السؤال الأول

آية الله العظمى المجتهد الأكبر السيد ميرزا عبد الهادي الشيرازي حفظه الله وأبقاه ذخرا لعموم المسلمين . أقدم لساحتكم بالسؤال الآتي راجيا التفضل بالإجابة : هل الشيوعية تصادم مع الدين وهل يجوز الالتئام اليها وتأييدها . بينوا لنا الأمر فانتنا من مقلديكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
عبد الكاظم محمد

الجواب

باسم الله تعالى شأنه

الشيوعية ضلال والحاد فلا يجوز الالتئام اليها ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
(عبد الهادي الحسيني الشيرازي) خاتم

السؤال الثاني

حضرة مولانا حجة الاسلام السيد محسن الحكم المحترم .

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أسأل الباري أن يديمكم ذخرا للمسلمين .

مولاي ، انتي من مقلديكم ولكي تنتمي إلى الحزب الشيوعي أفتونا بأمركم وانتي أنتظر الجواب للسير عليه .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد السيد قنديل

الجواب

لا يجوز الالتئام إلى الحزب الشيوعي فإن ذلك كفر وإلحاد وترويج للكفر والالحاد . أعاذكم الله وجميع المسلمين من ذلك وزادكم إيمانا وتسليما . والسلام عليكم ورحمة الله .
(محسن الحكم) خاتم

السؤال الثالث

حجة الاسلام والمسلمين اية الله الشيخ
عبد الكريم الجزائري دام ظله . هل
الشيوعية تتصادم مع الدين وهل يجوز الالتئام
اليها أو تأييدها . افتونا مأجورين .

خادمكم

عباس العلي شامية

الجواب

الشيوعية هدم للدين وكفر وضلال فلا
يجوز الالتئام اليها بوجه من الوجوه . كفى الله
المسلمين شرها .

(عبد الكريم الجزائري) خاتم

فتوى الامام طائف الغطاء

بسم الله الرحمن الرحيم

المبدأ الشيوعي مبدأ هدام لكل المقدسات
عظم ومصادم لكل شريعة ودين . والركون
اليه من أعظم المحرمات وأكبر الكبائر .
والمعول بعد الله جل شأنه في مكائده
وتخطيطه على زعماء العشائر ورؤساء القبائل
أهل الخيرة والحمة الذين يغارون على الدين
كما يغارون على الأعراض وسائر النواميس
المقدسة .

فعلى افراد الشعب أن ينهض للحفاظه
على دينهم وأعراضهم . والله الموفق
والمستعان .

حرره محمد الحسين آل كاشف الغطاء

مطالب الإمام الشيرازي

ذهب وفداً إلى كربلاء لاستطلاع آراء
العلماء في بعض الشؤون .

وزار الوفد سماحة الإمام الشيرازي وكبار
رجال العلم في داره ، وكبار رجال العلم في المدرسة
الهندية ، والعلامة الطباطبائي وأصحابه في المدرسة
المسائية ومدرسة العلامة الخطيب .

وهذا ما طلبه الامام الشيرازي شفاها وفي
كتاب قدمه الوفد .

ينبغي الاهتمام بالنقاط التالية :

١ - تعديل القوانين السابقة بما يوافق
الشريعة الإسلامية بما في ذلك قانون الزواج
والإرث .

٢ - الاهتمام بمناهج المعارف بإبعادها
عن النظريات الملحدة وبشروح الإسلام
والفضيلة وتطهير الاذاعة من الأغاني الفارغة
وإنشاء ركن فيها لنشر الإسلام .

٣ - الاهتمام بالشعائر الإسلامية كإقامة
الصلاة في المعاهد والدوائر
والمواصلات . والمنع عن الاضطرار في شهر
رمضان وتسهيل وسائل الحج . وإعطاء

وبعد إلقاء المحاضرة قرر الحاضرون من
الفلاحين الامتناع عن الصيام .
وتعلق الجريدة على ذلك بقولها إن هذه
المحاضرة ساعدت القرويين كثيرا على التحرر
من الأفكار الدينية .

وليس ذلك غريبا من رجل يدعى الإمامة
في الدين ولم يتعمق أصوله ولم يتصل بروحه
في مصادره الصحيحة ومنابعه النقية .

حول ماء بئر زمزم

استفتت جريدة الندوة الحجازية العلماء فيما
نقلته عن مجلة الدكتور القاهرية حول ماء
بئر زمزم . والقول في ماء زمزم لا يحتاج
إلى سؤال العلماء عما فيه من بركة ؛ فإن هذا
مقطوع به وإن جحدده صاحب مجلة الدكتور
وجحدده معه من جحدده .

يقول الدكتور إن ماء زمزم ملوث بماء
المجاري .

فإذا يقول في التاريخ الذي يحدثنا أن زمزم
نبعت حيث لا بيوت ولا مجاري وعلى
لغتنا حسب المثل القائل (لا حادى ولا
منادى) ويحدثنا التاريخ أيضا أن السيدة
(هاجر) بعد أن سعت السبعة الأشواط بين
الصفاء والمروة طلبا للباء رأته يفور من تحت

الحرية الكاملة لاقامة الشعائر الإسلامية .
٤ - وضع حد لتبرج الفتيات وخاصة
الطالبات وإيقاف الفشاء على حدود من
المقررة في الإسلام وإلغاء طلب الصورة
في الجنسية .

٥ - وضع حد للمسكرات التي تضر
المجتمع كالخمر والقمار والربا وما إليها .

٦ - تطهير الأعتاب المقدسة من كافة
المسكرات . والأمر بفتحها ليالى الزيارات
وشهر رمضان والأمر بتعميرها تعميراً
كاملاً وتسهيل الأمر على الزائرين .

عالم فنفة الشبر عبه قارنر عن دبه

جاء في التقرير الصحفي لسفارة الجمهورية
العربية المتحدة في صوفيا أن صحيفة دفرونت،
البلغارية نشرت في عددها الصادر يوم ٢٢
مارس الماضي خبراً عن (عود جيف) يذكر
فيه أن أحد أئمة المسلمين البلغار ويدعى
«بشيموف» ألقى محاضرة عن جوهر الإسلام
حضرها جميع الفلاحين المسلمين في قرية «تريم»
من أعمال «كولارجراد» وقد كان الغرض
من هذه المحاضرة هو الغض من حكمة صيام
شهر رمضان . وقد ذكر هذا (الإمام)
أسباب ارتداده عن الإسلام وتحرره من
التعسف الديني .

بين الأستاذ العقاد والأستاذ الأكبر

بعث فضيلة الأستاذ الأكبر بهذه البرقية إلى الأستاذ عناس محمود العقاد ، مهنتنا سيادته بنيله جائزة الدولة التقديرية .

« لقد أرسيتم قواعد الأدب العالم ، وأسسه العريقة في النهضة الحديثة ، ثم أقمتم صرحه العالي ، وبناءه الأشم ، فامتلات به نفوس الشيب والشبان .

وحين لم تتركوا مكانا إلا ونثرتم فيه أزهار الأدب ووروده انبثق تقدير الأمة لكم من قلوب تمجد العاملين المخلصين ، فأتلج ذلكم صدرى وامتلا بشرا وسرورا ، اعتزازا بأمة أنجبت ثم قدرت . فحياكم الله ومد في عمركم ، لتظل أمة الأدب تنزل في خمائيل أدبكم ، تنفيا ظلاله ، ويعطر أيامها شذا عرفه . والسلام عليكم ورحمة الله .

محمود شلتوت

فتلقى فضيلة الأستاذ الأكبر من الأستاذ العقاد هذه البرقية ردا على النهضة :

« دمتم للعلم والدين ، والأدب المبين ، ودامت جهودكم في خدمة الإسلام والمسلمين ، والحق اليقين ، عباس العقاد

قدم طفلها إسماعيل ، فجاءت مهرولة تحوط الماء وتقول كتبها المشهورة (زمزم) ولذلك جاء في الحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم (رحم الله أم إسماعيل لو تركتها لسالت حتى ملأت الوادى) هذا حديث صحيح وإن لم يصدقه الدكتور .

ويحدثنا التاريخ كذلك أن قافلة من جرم كانت في طريقها بتجارة إلى الشام فأرسلت رائدها لطلب الماء فرأى على بعد طائرا يهبط إلى الأرض فعرف الرائد أن هذا الطائر لا بد أن يكون قد هبط على ماء ، فشى نحوه فوجد إسماعيل وأمه فرجع إلى قافلته يحدث بما رأى من العجب ، وأى شيء أعجب من طفل وأمه يجلسان في العراء (لا جار ولا نافخ نار) حتى ولا كعبة ولا بناء ، إلا عين هذا الماء ؟ : فإذا يمنع من أن الله يحفظ ماء زمزم ببركته على ما كان عليه يوم نبع ؟ أو أن حضرة الكاتب ينفي البركة عنه يومذاك ؟ ثم أين البعثات الطيبة التي توفدها الجمهورية العربية المتحدة والحكومات الأخرى ؟

عبد المهيمن أبو السمح

إمام المسجد الحرام

مجلة المعهد الدينى بالمنصورة

أصدر معهد المنصورة الدينى العدد الأول من مجلته ، بإشراف طائفة من أسانذة المعهد وهيئة تحرير من الطلبة .

والعدد مصدر بصورة للسيد الرئيس جمال عبد الناصر ، وأخرى لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر ، ويتضمن طائفة كبيرة من الموضوعات الدينية والأدبية والعسكرية وكثيراً من الصور . وفى العدد بضعة قصائد من شعر الطلبة تبشر بمستقبل لأصحابها إذا داوموا على تنمية مواهبهم الشعرية والأدبية .

حول استشهاد بآية :

قرأت مقالا للأستاذ منصور رجب فى عدد رمضان من مجلة الأزهر فلفت نظرى استشهاد بآية : « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » وعند التأمل المصادق لا نجد صلة بين هذه الجملة فقال إنها أرسيت على فكرة - الشك باب اليقين - وبين الآية الكريمة ولعل للشيخ مقصدا حسنا ، فهو يريد أن يبين أن القرآن الكريم سبق الغرب وفلاسفته ديكارت وأمثاله ، وهذا كلام يفرح الشبان الذين لم يتذوقوا بلاغة ولم يغوصوا فى علم . والآية الكريمة وردت لجذب الخصم ليدخل ميدان الجدل والنقاش والحوار لعله يصل إلى الحق ، فالخصم إذا قوبل بما يدل على تجهيله وتجهيله نقر من

البحث والتوجه ، إلى مريد الخير له ، فالسياسة الرشيدة تكون بمثل هذا التعبير . وكلمة الشك باب اليقين اشتهرت عن الغزالى ، وهذه الكلمة لها باب آخر وهو أن المرء إذا شك فى أمر حله ذلك الشك على القادى فى البحث ؛ ومن بحث ، فهو فى الغالب يصل إلى الحق بخلاف المنكر ، فإنه لا يهتم بالبحث ولا بالوصول إلى الحقيقة فهو مقتنع بحالة أفكاره . والخلاصة أنه لا يصح الاستشهاد بهذه الآية على المجلة المتقدمة ، فبينهما فرق عند من له معرفة بالأساليب المتنوعة .

سبر على الطوبى

رجاء الى السادة العلماء

ترجو إدارة هذه المجلة من السادة العلماء أسانذة الكليات والمعاهد أن يخصوها ببحوث مدروسة فيما تخصصوا فيه من شريعة وفلسفة وأدب وتاريخ ولغة . وستكون المكافأة على قدر ما يبذل فى الموضوع من جهد ، وما يحصل منه من فائدة .

الى السادة المشتركين

ترجو الإدارة ممن انتهى اشتراكهم من السادة المشتركين أن يبادروا إلى تجديده حتى تستمر فى إرسالها إليهم .

أَنْبَاءُ الْأَزْهَرِ

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه السيد الأستاذ ناصر المنقود مستشار المعارف السعودية ، وقد دار الحديث حول البعثات الأزهرية في المملكة العربية السعودية وفي بعض النواحي الثقافية .

* * *

شهد فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر مؤتمر الاتحاد القومى العام الذى عقد فى الساعة السابعة من مساء يوم الإثنين ٢٠ / ٦ / ١٩٦٠ بقاعة المحاضرات بجامعة القاهرة

جوائز المتفوقين فى الفنون الجميلة

من طلبة الأزهر

احتفل الأزهر فى الساعة الثانية عشرة من صباح الثلاثاء ٢٨ / ٦ / ١٩٦٠ بتوزيع الجوائز على المتفوقين من طلاب الأزهر فى الفنون الجميلة والتربية الفنية ، وذلك بمكتب فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

لوحاتهم لعرضها بمكتب جنىف الدولى وعددها سبع عشرة لوحة .

احتفال الأزهر بعيد العلم

احتفل الأزهر فى مساء ٢٣ / ٦ / ١٩٦٠ بعيد العلم فى قاعة المحاضرات الأزهرية ، ووزعت الجوائز على المتفوقين من الطلاب فى الشهادات ، وفى العلوم التى حددتها لجنة المكافآت .

مؤتمر معسكر الرواد

يبدأ مؤتمر معسكر الرواد فى مدينة البعوث الإسلامية فى الساعة السادسة من صباح يوم ٨ / ٧ / ١٩٦٠ وينتهى يوم ١٣ منه وفيما يلى موضوعات المحاضرات التى ستلقى فى المؤتمر وأسماء السادة المحاضرين :

١ - الاتحاد القومى وسيلة لتطبيق الاشتراكية والديمقراطية لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحكيم سرور .

٢ - المذاهب السياسية فى العالم للأستاذ

هذا - ومن بين هؤلاء طلاب اختبرت أحمد مختار قطب .

كما تقرر أن تكون الكتب والموضوعات التي يجرى التسابق فيها كما يأتي :

١ - فى معبر القاهرة

يؤدى المتسابقون امتحاناً تحريرياً فى المواد الآتية :

١ - مادة التاريخ :

دراسة غزوة بدر وأحد من حيث أسباب كل غزوة ونتائجها وموقف المسلمين فى كل منهما والحديث عن سير المعركة فيهما .

ب - مادة الأدب :

دراسة الشاعر محمود سامى البارودى تحريراً وحفظ ما لا يقل عن مائة بيت من ديوانه مع فهمها .

على أن يكون الامتحان فى حفظ القصائد وفهمها شفويًا .

٢ - فى كلية الشريعة

١ - تاريخ علم الحديث (مؤلفاً مالك ، صحيح البخارى ، صحيح مسلم) .

يؤدى المتسابقون امتحاناً تحريرياً فى الدراسات الآتية :

تاريخ أصحاب هذه الكتب ، ومناهجهم فى تأليفها وشروط القبول عند كل منهم وميزات كل كتاب وماوجه إليه من نقد مع المقارنة بينها جميعاً من حيث المزايا والنقد .

٣ - الاستعمار فى الشرق الأوسط للأستاذ الدكتور محمد البهى .

٤ - القومية العربية للأستاذ الدكتور عبد الشافى غنيم .

٥ - الاتحادات الطلابية للأستاذ عبد الحالى عسلام .

٦ - الحياء الإيجابى للأستاذ الدكتور مراد غالب .

٧ - "صحافة فى طورها الجديد" للأستاذ فكرى أباطه .

٨ - القيادة للأستاذ محمد على حافظ .

٩ - مقوماتنا الروحية لفضية الأستاذ الشيخ محمد المدنى .

١٠ - اعرف بلادك ومشاكلها للأستاذ نصر السيد نصر .

١١ - دور المرأة فى الإسلام للدكتورة بفت الشاطى .

مواثى المسابقات الصيفية

بين طلاب الأزهر

تقرر أن يباح الدخول فى مسابقات الدراسات الصيفية للطوائف الآتية : من الطلبة

١ - طلاب السنة الرابعة المنقولون إلى السنة الخامسة من القسم الثانوى بمعهد القاهرة

٢ - طلاب السنة الثالثة المنقولون إلى السنة الرابعة للكلية الثلاث .

ب تاريخ الفقه
(الأئمة الأربعة : أبو حنيفة . مالك .
الشافعي . أحمد بن حنبل) يؤدى المتسابقون
امتحاناً تحريرياً فى الدراسات الآتية :
تاريخ كل منهم ، ونشأة مذاهبهم الفقهية
وما يمتاز به كل مذهب من ناحية أصوله
التي قام عليها ، وأشهر الكتب المؤلفة فيه ،
والجهات التي راج فيها وأسباب هذا الرواج

ابن عطاء . أبو الحسن الأشعري .
عضد الدين الإيجي .
يؤدى المتسابقون امتحاناً تحريرياً فى
الدراسات الآتية :
(تاريخ كل منهم وآراؤه التي اشتهر بها
فى علم الكلام ومؤلفاته .
نشأة علم الكلام وأشهر للكتب المؤلفة
فيه .

٣ - فى كلية اللغة العربية :

(ب) فى علم التفسير (ابن كثير . الفخر
الرازي ، ابن جرير) .
يؤدى المتسابقون امتحاناً تحريرياً فى
الدراسات الآتية :

١ - فى علم النحو

(سيويه . ابن مالك . ابن هشام) .
يؤدى المتسابقون امتحاناً تحريرياً فى
الدراسات الآتية :

تاريخ هؤلاء المفسرين ودراسة مناهجهم
فى كتبهم التي فسروا بها القرآن الكريم مع
الموازنة بينها وبين مزية كل كتاب منها ،
وما وجه اليه من نقد .

(تاريخه ، شيوخه ، تلامذته ، كتبه ، أثره
فى النحو ، ما وجه اليه من نقد) .

هذا وقد اعتمد ستون جنبها لكل جهة
دراسية مباح لها الدخول فى امتحان المسابقة ،
على أن توزع المكافأة على المادتين المحدد
فيهما المسابقة لكل مادة ثلاثون جنبها توزع
كالآتي :

(ب) فى علم البلاغة (عبد القاهر ،
أبو يعقوب السكاكي ، الخطيب القزويني)
يؤدى المتسابقون امتحاناً تحريرياً فى
الدراسات الآتية :

(تاريخ كل منهم . شيوخه . تلامذته .
مؤلفاته . أثره فى البلاغة . ما وجه اليه من
نقد) .

الأول من كل مادة ١٢ ج والثاني ١٠ ج

٤ - فى كلية أصول الدين :

(١) فى علم الكلام (التوحيد) (واصل والثالث ٨ ج

اختصار

تعذر إدارة المجلة من تأخر هذا العدد عن مواعده المقرر لأسباب قاهرة لم يكن لنا
فى التغلب عليها حيلة .

الفهرس

صفحة	صفحة
٨٧ جزيرة لامو (مراكز الثقافة الإسلامية في شرق إفريقيا)	١ من ذكريات المحرم : هجرة في سبيل الله وشهادة في سبيل الحق
٩٠ للأنساذ ابن سليم	٥ من ينابيع الهجرة
للأنساذ مصطفى أحمد الزرقا	٨ لإمام المسلمين الأكبر الشيخ محمود شلتوت فن جديد من فنون الدعوة
٩٤ مايقال عن الإسلام : أديان الدعوة للأنساذ عباس محمود العقاد	١٣ للأنساذ عباس محمود العقاد
١٠٠ مختارات من المعر القدم والحديث : هجرة الرسول للأنساذ أنور الطاهر	٢١ للأنساذ محمد محمد محمد المدني
١٠٤ آراء وأحاديث : الأزهر والملايو - المللون في تاريخهم العظيم - ديمقراطية الإسلام - الكتاب والإسلام - الأزهر في حاضره ومستقبله - رسالة الأزهر خالدة - في كلية الشريعة - في كلية أصول الدين - في كلية اللغة العربية - في المعاهد الدينية - منشآت جديدة - إدارة البحوث والثقافة الإسلامية (معهد الإعداد والتوجيه - قاعة المحاضرات - مدينة البحوث - قسم البحوث والترجمة - المطبعة والمجلة - البعثات : وافدة أو موفقة - قسم الوعظ والإرشاد)	٢٧ للأنساذ محمد محمود الشرفاوي
١١٢ للأنساذ	٣٣ للأنساذ محمد محمود الشرفاوي
للأنساذ	٣٧ للأنساذ محمد محمود الشرفاوي
للأنساذ	٤٧ للأنساذ محمد محمود الشرفاوي
للأنساذ	٥٧ للأنساذ محمد محمود الشرفاوي
للأنساذ	٦٣ للأنساذ محمد محمود الشرفاوي
للأنساذ	٦٧ للأنساذ محمد محمود الشرفاوي
للأنساذ	٧٣ للأنساذ محمد محمود الشرفاوي
للأنساذ	٧٧ للأنساذ محمد محمود الشرفاوي
للأنساذ	٨٢ للأنساذ محمد محمود الشرفاوي

source of Islamic legislation and teachings. Thus *free judgement* from qualified doctors based on the Qur'an and Traditions, and harmonious with sound use of itellect is considered valid and authoritative. It is due to this principle that the Muslims during their glorious ages made valuable contributions to human culture and civilization, [and that they have had a very legacy of intellectual schools and legal systems. Again it was this very principle which made the Muslim doctors

tolerant toward each other and prepared to accept whatever is proved to be sound even if it was against their own former notions.

The Qur'nic truth is universal; the genuine Traditions are ever valid, and the sound intellect is continually urged to reflect. Upon three bases Islam has been established, and from them it has come down to mankind with truth and righteousness, good and security, peaceful prosperity and incessant happiness.

Translated and elaborated by Hummudah Abd-al-Ati & Abd-al - Muhsin El-Biyali, both of the Islamic Culture Administration, al-Azhar University.

they agree on and excuse each other for that which they may disagree on. It is in this way that the Qur'an is conceived as the Book of integration and unity, the Book of the whole humanity throughout ages and regions. Had the Qur'an been different from what it is, it could not possibly have been the Divine Book of God and the source of intellectual illumination and human happiness.

The second source of Islam is the prophetic Traditions which include his words and deeds. The Messenger did not speak or act out of personal desire or capricious inclinations. His words were interpretations of the Qur'an and his actions were applications to the Qur'anic teachings. It is with this spirit that the doctors of Islam have adopted to the Traditions. They have done everything humanly possible to examine the Traditions and distinguish the genuine from the otherwise. They exhausted all possible means of investigation and criticism. To authenticate the genuine Traditions those doctors created the sciences of *terminology*, *text*, *narration* and *narrators*. They laid down logical rules and moral requirements as well as accurate criteria to examine the authenticity

of the Traditions. Besides, any Tradition must be examined by the intellect and in the light of the Qur'an and its general spirit. With all this and by the mentioned precautionary measures it is only logical to say that Islam has the most authentic collection of Traditions, and that the care which these enjoyed from the Muslim doctors is unique indeed. It is on these bases and with all these considerations that the Traditions of the Messenger serve as the second source of Islam.

Side by side with these two inspired sources of Islam, there is the third human factor, that is, the intellect or *free judgement* of qualified authorities. Not only do the Qur'an and Traditions vigorously urge the intellect merely to reflect but even to reflect on them and draw conclusions. They are the main sources of Islam, yet they are the object of intellectual meditation. They constitute a very large scope for thinking.

Because the two Divine sources were never meant to arrest the intellect by adopting a rigid attitude in every minor detail, they were made open to the intellect which has become accepted as the third

The Qur'an has been reported to us through most reliable authorities and in the most authentic manners. The validity of the text is indisputable and beyond any questioning. Many historical and personal factors as well as rational arguments attest this statement and place the Qur'an in a position to enjoy authenticity the like of which has never been enjoyed by any other book, Divine or otherwise. This is why it is the first source of Islamic beliefs, laws, morals and guidance. It is also why it has been the main object of reflection and study by all Muslim doctors, with everyone in his own field. Because they were familiar with the philosophy of the Arabic Language and appreciated the profound indications of the Qur'an. These doctors did not find any contradiction or inconsistency between the Qur'anic verses. On the contrary, the Qur'an to them seemed harmonious and self-complementary: "Will they not then meditate on the Qur'an? And if it were from any other than God, they would have found in it many a discrepancy" (Surah. 4, V. 82).

It is true, however, that the Qur'an contains verses which are decisive and definite in giving one meaning, and some others that are allegorical or equivocal which many suggest more than one possible

meaning (Surah. 2, V. 6. cf. 11:1). But this should not be misunderstood or considered as a deficiency of the Qur'an. None is justifiable to ask: Why has not the total Qur'an been revealed decisive? What is it for this allegorical language? Such a question would be a non-intelligent one. Those who know the value of man's responsibility, the philosophical nature of languages, the intellectual differences between mankind, the unconditioned universality of the Qur'an and, finally, the nature of Islam which demands reflection and meditation will find it easy to welcome such an allegorical tendency in the Qur'an because this will inspire them and attract their minds to reflection.

God the Merciful, and the Wise, has chosen the decisive verses to be the basis of the Book to which basis all disputes or controversies must be referred. But other verses instigate the mind and encourage intellectual discussions. Disagreement on the interpretations of such verses is tolerable and sound arguments are welcomed. The only thing which is intolerable is defamation and slander. Because these allegorical verses do not, thank God, deal with fundamental articles of faith, the Muslims are urged to look to them with broad mindedness in such a way as to co-operate in that which

inevitable; because when the Qur'an was revealed people were in a state of common ignorance, particularly of science.

This is the attitude of Islam towards knowledge in the broadest sense. It does not influence the authentic nature of the Qur'an therefore, if it stands in opposition to some questionable ideas or human doctrines, because the only criterion by which the Qur'an can be judged is the Qur'an itself. It is the Divine revelation which excels man for his intellect and honours knowledge as the leading course to exploration of self and nature. So it would be illogical and even a contradiction in terms, if the Qur'an were to contradict any scientific fact or authentic data.

The Sources of Islam :

Islam has definite sources from which it has come and by which only it can be judged regardless of any other consideration. These are : the Qur'an, the Prophetic Traditions and *free judgement* by qualified doctors. The Qur'an, meaning and text, is the word of God Who revealed it to the Messenger Muhammad through the angel Gabriel. It could not be the composition or work of Muhammad, who did not speak out of personal desire. "It is

naught but revelation that is revealed" (Surah. 53, V. 4). His role, however, was : (i) to receive the Qur'an, learn it and keep it : "We shall make thee recite so thou shalt not forget" (Surah. 87 V. 6); (ii) to convey it and make it known : "And it is a Qur'an We have made distinct, so that thou mayest read it to the people by slow degrees, and We have revealed it in portions" (Surah. 17, V. 106) ... "O Messenger, deliver that which has been revealed to thee from thy Lord; and if thou do (it) not, thou hast not delivered His message" (Surah. 5, V. 67); (iii) to teach the revelation and give explanation to what was revealed : "And We have revealed to thee the Reminder (the Qur'an) that thou mayest make clear to men that which has been revealed to them, and that haply they may reflect" (Surah. 16, V. 44); and (iv) to apply its teachings and give practical examples : "Surely We have revealed the Book to thee with truth that thou mayest judge between people by means of what God has taught thee" (Surah. 4, V. 105). As a result of all this he has been the highest model of virtue for the faithful under all circumstances and "an excellent exemplar for him who hopes in God and the Latter day, and remembers God much" (Surah. 33, V. 27).

piety. Et says : "Seest thou not that God sends down water from the clouds, then We bring forth there-with fruits of various hues? And in the mountains are streaks, white and red, of various hues and (others) intensely black. And of men and heasts and cattles there are various colours likewise. Those of His servants only who are possessed of knowledge revere God." (Surah 35 V.27-28)

The Qur'anic tune urging for knowledg is not confined to any particular field. The Divine exhortation embraces all departments of research and study. The Qur'an makes no secret of its attitude towards knowldge. It excels the learend people and gives to them utmost preference to those who do not know; "Say : Are those who know and those who know not alike?" (Surah. 39, V. 9). It forbids the Muslim to yield to superstition or follow mere conjecture or make any conclusion without proof. It does not tolerate blind imitation and unquestionable authority of traditions or ancestral legacy; "And when it is said to them (the disbelievers) : 'Follow what God has revealed,' they say : 'Nay, we follow that wherein we found our fathers : What ! Even though their fathers had no sense at all, nor did they follow the right way" (Surah. 2, V. 170).

Although the Qur'an is mainly

a Divine revelation meant to give moral guidance in the sphere of behaviour and legislation, nevertheless it calls for scientific discoveries and urges for the exploration of every department of knowledge in the universe. It is not a book of physics or astronomy or the like, but it enjoins the study of such subjects and contains a great deal of them. If this is the attitude, which the Qur'an adopts with regard to the scientific and intellectual knowledge, how can it be said, then, that the Qur'an contradicts science or impedes knowledge? The Qur'an cannot be contradictory to any valid and proved fact in science, although it may be in disagreement with some thinkers and scientists who uphold mere opinions or unproved conjectures. If, however, it seems to be in disagreement with some scientific rules or indisputable data, it is so elastic that it can be intepreted in a figurative sense, which does not affect the basic meanings and which will make conform to scientific facts. Such a method does avoid any kind of intellectual embarrassment to the Muslim, and it is, at the same time, in complete accordance with the nature of the Qur'anic style which employs general terms when referring to scientific matters or speaking of natural phenomena. This generality of the Qur'anic terminology was

When the Qur'an excels man over woman by the degree of guardianship and responsibility (Surah. 2 V. 228 ; S. 4, V. 34), it is in accordance with factual rules of existence and laws of nature. The male of every species is by nature more prepared to be endowed with guardianship and tasked with responsibility for the female. Beyond this said degree, the Qur'an and the Traditions prescribe that woman is man's partner in opinion on many respects. For example, the Qur'an says : " But if both (wife and husband) desire weaning by mutual consent and counsel, there is no blame on them " (Surah. 2, V. 233). Moreover, the mother in particular is entitled to give her opinion concerning her daughter's marriage. The attainment of the mother's consent is strongly recommendable. Furthermore, woman has the final word on her marriage. Nobody is authorized to force her to accept matrimony against her will. If she disapproves of any contract made on her behalf, she has every right to object and annul the contract. Thus we see that Islam honours woman and entitles her to all legitimate rights. Unjust discrimination between man and woman on the basis of the latter's nature is inconceivable to Islam. The natural differences between them are recognized by Islam to maintain

justice and keep life going in a balanced manner.

Islam and Sciences :

Unlike any other religion or doctrine Islam establishes its faith on the foundation of thinking and meditation, not of blind imitation and unquestionable authority as has been the case with other religions. Practically in every chapter of the Qur'an there is a vigorous demand for knowledge and research. Throughout we come across passages and verses which press mankind to discover themselves, the universe and nature at large. Knowledge in scientific as well as intellectual terms is the supreme quality of man on the basis of which he is honoured and made superior to other beings. It is the logical introduction and premise to faith. Once man *knows*, he is bound to end within faith, because Islam does not accept faith unless it comes as a result of conviction, which is the leading guide to the truth : " And that those who have been given knowledge may know that it is the Truth from their Lord. so they should believe in it." (surah. 22, V. 54).

The Qur'an refers to the *appreciation* of the working forces in the universe and to the knowledge of the natural phenomena as the leading course of man to dutifulness and

principles of peace and equality. The achievements of the Muslims in this respect have been very impressive and deeply convincing even to many outsiders.

The relation Between Man and

Woman:

Before Islam woman was considered a mere object of bodily pleasure for man. She did not enjoy any sense of value for herself nor did she exercise any right of expressing her opinion or demonstrating her well. Even her very nature as a human being with an immortal soul was a questionable matter. The universally prevailing conception of woman was that she was a worthless and inferior being. But the position of woman was fundamentally changed after the propagation of Islam whose book assured woman of equality and established a balanced course of relation between man and woman. The Qur'an says : "O mankind, surely We have created you from a male and a female . . ." (Surah. 48, V. 13,) and "Whoever does good, whether male or female, and is a believer, we shall certainly make him live a good life, and we shall certainly give them their reward for the best of what they did" (Surah. 16, V. 97.) Again it announces that "the believers, men and women, are friends one of another..."

(Surah. 9, V. 71.) Practically in every place in the Qur'an where references to man are made, the same is true of woman. Thus woman gained her freedom, and it was Islam which broke her fetters and stressed her equality to man and explored her personality. So far as natural rights and responsibilities are concerned, Islam admits no discrimination between man and woman but equality is the rule in this respect. It is a sufficient argument to prove this faint that the Qur'an says : "And women have rights similar to those against them in a just manner . . ." (Surah. 2, V. 228.) The Messenger also says ; "Women are men's sisters."

There is nothing in the Qur'an or the Traditions to give man superiority over woman or to speak of the latter as inferior to the former. The Qur'an, nevertheless speaks of men as having a degree above women, but this should not be misunderstood. This degree does not mean superiority or favouritism. It is the degree of guardianship and responsibility for maintaining the family and running the home, not that of suppression or injustice. The degree of man is really an additional burden to him and an extra responsibility. It does not affect the woman's freedom of belief or thought or conscience or enterprise. It does not upset any of her established right.

ISLAM: ITS ORIGIN AND ITS FUTURE

This is a rejoinder to Series number II of All-Union Society for Propagation of Political and Scientific Knowledge which discusses the same topic under the same caption, and which appeared in Moscow in 1956 and was introduced to the Arab readers as "The Grey Note- Book".

" Continued "

in Jordan with dreadful threats to frighten the Muslims and disturb their peace. When the Prophet knew these aggressive intentions and mischievous inclinations, he did not wait for the Romans to knock his door and attack him at home. He thought it wise, and so it proved to be, to shift the field of the inevitable battles with the Roman to a remote area under their illegal and unjust control. These battles were designed to prevent any more penetration by the enemies into the land of Islam, and to expel them out of the territories which they conquered against the will of the settlers. They were also meant to insure the liberty of the Muslims to exercise their freedom and to give the non-Muslims a chance to emancipate themselves and embrace Islam if they would be guided by its lights. Thus started the open conflict between the Romans and the Muslims.

It was not, therefore, the intention of the Muslims to fight, and when they had to fight they did not

mean to impose their religion on other people nor to make their race superior to others nor to seek personal benefit or sustenance. When Islam came it brought principles designed to narrow the sphere of war and justify it for honest reasons only. It was a long-standing traditions of the Arabs in the Pre-Islamic era to fight for spoils or for demonstration of power or for mere tribal consolidation regardless of any other moral consideration. But with the declaration of Islam a new concept of war was taught and a moral approach to it was established. This was derived from the conclusive statement of the Messenger in which he said : Whoso fights to make the world of God the uppermost is the fighter in the way of God."

It is a well-attested historical fact that the Muslims did not fight for imperialistic gains or usurpation; they fought to abolish oppression, to secure freedom and to spread the

Ghazali's view :

It would be advisable to quote here Ghazali's view concerning the plurality of wives and the reason for its permissibility from the point of view of the sexual drive to which we had referred on discussing the views of Connoisseurs and social researchers in accounting for plurality. He said: "There are some human natures whose sexual drive are overpowering that it could not be satisfied with one woman only. To such natures it would be suitable to marry more than one wife up to four. If by so marrying they felt satisfaction, love and security then it is a blessing of God. If they do not feel satisfaction and ease it would be better for them to change their wives".

In such a manner all the companions of the prophet did behave.

Scarcely there was any amongst them who had not more than one wife.

Then Al ghazali added "However clear are the motives one should take of the medicine what deems enough to cure the illness. Self-satisfaction is really what is aimed at so one should take that aim into account when resorting to marry more than one wife". By so saying Al ghazali is referring to the fact that the plurality of women is legally permitted to chastise oneself on condition that one should take himself by fair dealing between his women. He is referring too to the fact that those who marry more than one wife simply to satisfy their tastes for change without any real need to keep one's chastity or to evade sin are in fact behaving in a way contrary to the directives of the Islam law.

Nevertheless the fact remains that nothing of these suppositions have any existence for actually the wording of the verse has given priority to plurality as a means to rid the believers of the criticality of being married to the orphans. Then the restriction to one wife only was ordained as a suspended measure to be resorted to when one is suddenly exposed to the fear of being unable to deal fairly between women.

Consequently one can say that there are no indications in the wording of the verse to determine what is radically demanded and whether is it the plurality or the one wife only. Notwithstanding that one can say that the radical issue is the plurality, it is also the needed as a reaction to the natural human drives which are instinctive in man and as a response to the factors of human sociology which have enjoined the plurality of wives through the ages from the olden times up till now.

In fine if the plurality was limited by any condition other than the fear of injustice between women, such restriction would have not been overlooked by the original source of legislation since the question was of a major importance to the human society and had a direct impact upon the law and order of such society.

Had there been any other restrictions, the attitude of the prophet, peace be upon him, towards those who had embraced Islam while keeping more than four wives, would have been otherwise than just asking them to keep only four if they wished and to divorce the rest. Had there been any other restrictions, it would have been incumbent upon the prophet to explain to the believers that such sight is not absolute but it is restricted by satisfying certain conditions such as the barrenness of the first wife or her illness or the ability to sustain and bring up his children or the ability to cover the expenses of his relatives whose sustenance is his personal responsibility. It would have been incumbent upon the prophet to clarify the situation and to direct the believers to the right path since the time was the proper occasion for laying the foundations of legislation. But actually, nothing of that had happened. This would undoubtedly show that plurality was not an accidental measure resorted to on emergencies and that its permissibility was not conditioned by anything other than the sense of safety to deal with women justly which lies within the power of man such as equality in covering their expenses in clothing and in lodging.

that is the ability to pay her the dowry and to ensure her living expenses.

The verse has put the plurality of women in a radical position while trying to get rid of the unfairly dealing with orphans. Then the restriction to one only on fearing injustice between wives was mentioned. From that we can deduce that justice is a radical trait in man. Being so it would lead to the conclusion that the permission of plurality is the radical decree since justice is original in man and injustice is an extraneous deviation which comes upon man suddenly and causes him to fear it. The existence of such fear impels him to marry only one wife.

This explanation complies with the conclusions of the researchers who have been trying to account for the phenomena of plurality and whose views were mentioned before.

The reasons mentioned whether taken as a whole or in detail enjoin the plurality of wives either to satisfy man's needs or the woman's need.

If the decree is taken to mean the prohibition of plurality then the wording of the verse must need to be changed as thus " If ye fear to deal unfairly with the orphans marry only one from amongst other women.

If she proves to be barren or sick and ye were obliged to marry another one then marry two or three or four as ye wish".

Undoubtedly this view will cause the purpose aimed at by decreeing the plurality of wives to be missed that is the extension of the scope of choice before them and making them at ease when they have to leave the orphan in fear of dealing unfairly with them.

The mode of expression should have been as such accustomed in the style of the holy Qur'an when it does need to permit something forbidden necessity. Such a style can be observed in the following verse wherein God says :

" Forbidden unto you (for food) are carrion and blood and swine flesh, and that which has been dedicated unto any other than God "...

... up to the end of the verse wherein He says " Whoso is forced by hunger, not by will, to sin : (for him) Lo ! God is Forgiving Merciful." Again taking this view into consideration will make the verse indicate that the sticking to one wife is the radical decree and the binding one, and that the permission of plurality is only resorted to when there is an impelling need.

himself to decide whether he fears the lack of justice when marrying more than wife or not.

It is he who is responsible before God to take the suitable measure which complies with his intrinsic feelings in that direction. The law has nothing to do with such inner traits. It is a personal responsibility which is left to the person to judge by himself his ability to perform. It is just the same as the other enjoiments which are left to the believer's discretion such as fast breaking and when one fears illness or the augmentation of illness if one fasts or uses water.

When does the law interfere?

The law has to interfere in the case of a person who married already a second or a third wife and proved to be unjust towards one of them conditional the persecuted wife should declare that to the ruler and complain to him of ill-treatment. There the law interferes by advise admonition and then by sending two judges; a judge out of her family and a judge out of his family to tackle the question and seek reconciliation between the two parties. Then by all means prescribed by God to make reconciliation possible. Should this course fail to mend matters and reconciliation seem futile the judge is empowered

to divorce her. Such procedure was guaranteed by both the Islamic law through the enactment of admonitions and by the legislation through the enactment of the principles of divorce for fear of injury which Imam Malik proposed.

The permission of plurality is the rule :

From the aforesaid one can conclude that plurality has been permitted since the dawn of legislation both by word and action whenever the believer does not fear to deal unfairly between his wives. If he fears injustice between his women it will be incumbent upon him to marry only one woman to rid himself of the sins of such fright. Again it is quite clear with reference to what we have mentioned before that the permission of plurality does not depend upon satisfying conditions other than the ensuring of justice and the lack of fear of being unfair. It does not depend upon motives such as the barrenness of the woman, her illness which exposes her husband to divert from chastity, and the out numbering of women in a way that endangers their chastity. However it is necessary on marrying a second wife that one should satisfy the same conditions of marrying the first wife

able to deal equally between your wives, however much ye wish (to do so). But turn not altogether away (from one), leaving her as in suspense.

The practice of the nation is the clearest proof

This indicates clearly that the second verse co-operates with the first one to determine the principle of plurality of wives in a way that confirms its permissibility and dissipates all the clouds of criticalness. In the light of this principle the prophet, may peace be upon him, married more than one wife and so did his companions and followers. After them Muslims through the ages used to marry more than one wife whenever they wished. They used to see in the performance of such plurality in the light of the justice they are asked by God to observe a benevolent deal to women as well as men themselves and that by so doing they are doing good to the nation at large,

Fourteen centuries have passed since then and in each century there appeared a host of illuminated savants well versed in the Islamic studies all over the Islamic World. Their views and opinions were recorded and widely spread by education and

publication in a generation after generation yet we never heard that any one of them had said that the second verse abrogates the first one or tries to abrogate any of the principles decreed by the first verse. In fact they all agreed that it was an explanation to what was meant by the demanded Justice which the fear of its lacking was made a binding motive for sticking to one wife only.

The individual alone can judge his ability to behave justly.

Again they all agreed that God's decree "if ye fear that ye can not do justice (to so many) then one only" was addressed to the individuals concerning matters in which they are the sole judges. In deciding it they have to refer to themselves, to their conscience and to their will. [Such behaviour had no regular and true manifestation or even predominant features that it would be easy to the ruler to detect and appreciate and thus could easily arrange to issue a legislation based on his experience with a view to either prohibiting polygamy or permitting it.

So many people who may look apparently rough and unmannerly may prove when married to be courteous and dutiful.

Thus it is up to the person

his condition is not possible since the second verse indicates that man will not be able to deal equally between his wives.

Such explanation is a plain misuse of God's words. It is a misconstruction of these verses and a deviation from its real meanings. It is unreasonable that God advises polygamy when fearing to deal unfairly by the orphans and makes equal dealing between wives a condition for permitting polygamy in a way that suggests its feasibility and then denies its possibility.

The proper meaning of the two verses.

The proper explanation of these two verses which agrees with the holiness of the revelation, the *raison d'être* of the legislation, the order of the context and the motives for the revelation of the second verse lies in the fact that when it was said in the first verse "And if ye fear that ye can not do justice (to so many) then one only" it was understood that justice between women is binding. Some thought that the conception of justice if generalised must imply the practice of equality in every detail of dealing between women whether in one's power or not. Such explanation did put the believers in a critical situation. Really it was

a critical situation for the conception of justice as contemplated by some believers was impossible to be put into effect simply because these are sides which are beyond one's control. To evade this criticalness contemplated by the believers and to guide to the true meaning of justice and its implications the second verse was revealed.

It was revealed to tell the believers that Justice meant by God was not the conception you were driven to that made you feel awkward and annoyed about the plurality of wives and thus prohibited what God had permitted. It meant only that you should not turn altogether away from one leaving her as in suspense.

This heavenly decree was an explanation expected by the believers after the revelation of the first verse and the dilemma they were driven to by their understanding to the conception of that verse.

The wording of the 127th verses of the same surah guides to this view. The verse starts by saying: "They consult thee concerning women. Say God giveth you decree concerning them" then mention many issues which were the object of their consultation. The last of which was God's decree that "Ye will not be

If such severity is only demonstrated by the wars almost waged against human race all over the world, it would be enough to prove the immense sufferings and sacrifices of men in this belligerent universe. What would be the result if we add to the catastrophes of war which annihilate men by thousands leaving the majority of living souls barely women and children, the hardships of life which men and specially labourers suffer. Labourers who perform their duties exposed to fire and steel, endangering their lives in the depths of seas and oceans, in utter darkness of mines, in the debris of demolished houses, and in the quarries wherein all the brunt falls upon man's shoulder.

The Islamic law has refined the natural craving.

These are the reasons given to account for this social phenomenon. In fact they are reasons derived from tangible realities in the life history of human beings. In the light of these natural human experiences it was concluded that Polygamy is an old and a well established social tradition. Such tradition has continued up till the advent of Islam. When Islam came it did not revoke the natural drives which are the sources of Plurality but it did refine them from two angles. Firstly it has rest-

stricted polygamy to a certain number by which human cravings can be satisfied uninfluenced by the periods wherein women lose their sexual drive.

Secondly it has enjoined that man should fairly satisfy the needs of life of his women and to be just in dealing with them for such behaviour will contribute much to maintain peace, to foster a sense of safety and to evade injustice, favouritism and deviation.

These two conditions are unanimously acquired by all Muslim jurists and corroborated by all Islamic legal texts. The Holy Qur'an enjoins these two points in the 3rd verse of the women's Surah by saying "two or three or four and if ye fear that ye cannot do justice to so many then one only", and by saying in the 129th verse of the same Surah "But turn not altogether away (from one), leaving her as in suspense".

The misuse of God's words.

It is strange to see that some people have come to the conclusion that these verses account for the illegality of plurality. Their pretext in that is that plurality was permitted on the condition of justice as seen from the wording of the first verse and that the satisfaction of

— ● —

reign of Charlemagne. Charlemagne himself married more than one wife. But at his time the priests advised polygamists to choose only one of their wives to be the legal wife and to keep the others as concubines.

Since then the plurality in Europe has turned to be a sort of abominable concubinage which derogates the moral standard of man and mars his dignity. It is thus evident that to Europeans plurality through legal marriage was not permissible while it was allowed practically through illegal intercourse.

Raison d'être of Plurality

Researchers who had discussed the problem of polygamy, gave various reasons to account for this tendency in man. Some of them refer these phenomena to the egoism in men's nature and the wish to keep for themselves as many women as they can. If the existence of such egoism is admitted and accordingly it is accepted as a true reason for plurality of wives, it is then clear that its aim is not the mere wish to possess and to keep for himself as many women as he can but it is as well the wish to satisfy a natural craving in man. Such aim could be easily understood if the second reason for plurality is taken into account. The second reason

refers polygamy to a sexual factor inherent in the nature of both males and females. This factor necessitates the continuity of the sexual drive and the extension of the time limit of its functional ability. On the other hand it necessitates occasional absence of such drive in women. As a result women are apt to lose completely at certain intervals that drive. Such loss is often felt during the monthly periods, conception, confinement and delivery. It necessitates too that women's functional sexual ability extends a shorter period than it does in man. A woman's ability is naturally nulled when she comes to menopause. Menopause is almost arrived at by the age of sixty. Such failure to keep the drive any longer after menopause will leave the male efficient to perform the sexual indulgence with no response from the other sex a period that may extend between forty and fifty years. As such he will be liable to suffer either physically or morally or to suffer both physically and morally.

Some other researchers account for such plurality to be a result of a natural phenomenon which increases the birth rate of women while it lessens the birth rate of men. Such phenomenon has actuated nature to treat men so severely that the rate of death amongst them is higher than the rate of death amongst women.

the criterion of fair dealings amongst all creatures. Consequently such treatment will be dealt with in two chapters :

- 1) Polygamy in the light of legislative texts.
- 2) Polygamy in the light of factual social cases.

Polygamy in the light of legislative texts

Plurality of wives is an old tradition.

There is no doubt that the Holy Qur'an has decided the legitimacy of the plurality of wives. This is seen plainly in the 3rd verse of the fourth Surah "An-Nisa" "Women".

"And if you fear that ye will not deal fairly by the orphans, marry of the women, who seem good to you, two or three or four ; and if ye fear that ye cannot do justice (to so many) then one (only) or the captives that your right hands possess. Thus it is more likely that ye will not do injustice". and in the 129th verse of the same Surah. "ye wish not be able to deal equally between your wives, however much ye wish (to do so). But turn not altogether away (from one), leaving her as in suspense. If you do good and keep

from evil, lo ! God is ever Forgiving and Merciful".

However Islam in instituting both marriage and the plurality of wives was not initiating something which had not been prevalent before its inception. In fact it was approving the natural cravings of man with certain moral modifications which it had felt necessary to impose to ensure a moderate standard for humanity and to save man from abnormality and depravity and to keep for the society the best elements of these natural cravings. Such was its method in dealing with all human relations and ways of life which society calls for.

Marriage has been a natural craving in man since the dawn of human race. Plurality of wives has been practised as well since the ancient times. It was widely spread and mentioned in many of the holy scriptures. History gives us so many examples of plurality as such mentioned in the history of Abraham, Jacob, David, Solomon and other prophets and Messengers of God.

History provides us with striking examples of plurality as such spread amongst the Arabs and the other nations. Europeans were not an exception in that. Plurality has been permitted since the early day up to the

THE PLURALITY OF WIVES “POLYGAMY”

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout
Rector of Al-Azhar University

Part 1

The plurality of wives was one of the topics so maliciously exploited by the fanatic organs of the west that it excited a train of critical thoughts. Such attacks have even actuated groups of Muslims at successive periods to ask for a legislation to impose restrictions not enjoined by God upon such institution.

Such institution was weighed on different scales. It has been looked upon from two different angles: the angle of the legislative text and the angle of social cases. Such diversity of approach has led to controversial treatment.

Thus it is not strange to see that some thinkers have come to the conclusion that the ban of plurality is the criterion and that polygamy is a provision for urgent emergencies; while some others have come to the conclusion that the permission is the criterion and the ban is resorted to only when it is feared that the evil of practicing such institution outweighs the good.

On the other hand the social researchers have widely differed on such matter. Some have seen in polygamy a social crime which endangers both the status of the family and the nation. So they urge the necessity of enforcing the limitation of such provision. Others see in such an attitude a turn to the extreme in dealing with the problem and a judgement as such is based solely on grounds derived from studying abnormal cases which can not be looked upon as a sound basis for restricting a legislation which has proved beneficial in both social and moral spheres. Moreover the abuses of the abnormal cases can not be mentioned beside the countless advantages of such legislation.

In the light of such circumstances the problem has to be tackled. This indeed necessitates to review the Problem in details from both angles: the legislative and the social, and to weigh justly the justifications of both using the scales of justice prescribed in the holy Qur'an to be

fulfil His promise". No Sooner had the prophet finished his prayers than the word of God was revealed that victory would be assured and that paradise would be the abode of the martyrs who die in the battle. On hearing the news the Muslims gave themselves soul and mind to fulfil the deed and to gain the victory. They had nothing to ponder upon but the promised paradise. Thus they attached their enemies with hearts full of confidence and trust in God whereupon God put in the hearts of the unbelievers fear and distrust. As such the umbelievers were driven to meet their death.

When the battle was over the multitudes of the unbelievers were completely defeated and the great dam of idolatry was thus demolished under the pressure of the flood of the new spring rushing forth from the rocks of Badr and the illuminating light of true faith emanating from Yathrib dissipated the heavy clouds of darkness. Consequently the result of the battle proved the fulfillment of God's promise and the victory of three hundreds of believers over nearly a thousand of unbelievers which is obviously a heavenly miracle.

However the battle of Badr is not noticed and recorded in history because of its strategy, equipment and expenses for there are nothing compared with great battles recorded in history. In fact it was no more

than a fight between two quarters of one city. But its importance arises from the fact that its consequences had changed the march of history and influenced the future of the world. It had a great impact on the history of peace. It had been a decisive decree of fate which changed the attitude of the human race and enabled the Arabs to play their part and give their contribution to the advancement of science, preservation of civilization and the dissemination of the message of God.

The victory in such battle was not the result of arms and men but it was the result of truth and deep faith. True faith is always a strength bestowed by God in which Angels and heavenly spirits contribute. It is enforced by hope, love, altruism and idealism. It never cares for numbers nor fears arms. It never hesitates in face of danger.

By such true faith pushed by God into the hearts of true believers. He created strength out of weakness at Badr, Kadisieh and Yarmuk, a civilization and Prosperity which spread good and plenty all over the world out of the barrenness of the desert and disintegrity of the arabs. a state which regulated the world and reduced it to order by enforcing justice and religion which unite the souls by fostering mercy and sympathy.

and that their arms were better than theirs they became dead sure of victory.

On the 14th of Ramadan the war broke between the two armies. The Muslims though poor and scanty were only one third of the unbelievers army.

The unbelievers though numerous and rich were chosen from the best warriors of Quraysh. In such a stead Islam was passing a critical examination. The battle of Badr was the turning point in the history of humanity. Humanity had to be led either upon by Muhammed to the way of God and be guided to salvation or by Abu Sufian to the way of ignorance and be dragged into error and confusion to face their utter destruction. At Badr their stood on one side Muhammad and his followers defending the human civilization with its religions and all its aspects of progress. On the other side stood Abu Sufian representing the Barbarians with their idols and fancies. Humanity was then facing a decisive battle. It had to choose between a way leading to its happiness and a stumbling block hindering its progress and causing it to relapse into ignorance and confusion, between illuminating light and utter darkness and between submission to God and subjugation to Devil.

The result of such campaign between the forces of right and the hords of wrong was either the loss of human heritage and the eclipse of heavenly guidance or the revival of the good and the victory of the servans of God. To ensure the victory of good and to save the human civilization under such circumstances as afore mentioned a heavenly miracle was needed to support the few hundreds of Muslims against such a threat.

Muhammad, the messsenger of God, faced the Qiblah (niche) and spent the night praying to God and begging Him for help against the deadly attack of the enemies saying "O' God. There is Quraish coming in all its pride to attack your messenger and to charge him with falsehood. O'God, give me the victory you had promised. O'God, If the unbelievers succeed in their attack and this group of believers perish, Islam will be abolishd forever and none will be left to pray for you on this earth".

Vehemently the prophet was calling on his Creator for help that he took no heed to his cloak which dropped down more than once to the ground. Abu Bakr who was standing behind picked the cloak and put it on the shoulders of the prophet saying unto him. "Take it easy ' messenger of God! Surely God will

17th OF RAMADAN

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

Islam on immigrating from Mecca, the seat of ignorance, to Yathrib was still lacking support and strength. The Pioneers in embracing Islam, whether immigrants or the helpers, were subjected to brutal torments. The Almighty was trying their patience by the pains fallen upon their heads and by the temptations put in their way to find out the staunch supporters to the Islamic creed and the persistent preachers and heroic fighters ready to carry out and disseminate the cause of Islam.

Qurashites were inciting the other Arabian tribes against the pioneers of Islam. Jews were setting traps to pull their legs and the hypocrites were trying to betray them by servile flattery. But when God willed His religion to survive, His glory to dominate and His light to shine forever He ordered three hundred of his true servants to mount to the Valley of Badr. There they went riding successively on seventy gaunt camels armed with the Patience of

warriors to bear the paucity of material, supported by the enthusiasm of the true believer to overcome the lash of prestige and by the content of the ascetic to mitigate the challenge of poverty. In their march they were moving deep in the trance of mystics looking forward to meet one of the two groups which God had ordained them to meet; the commercial caravan or the hostile army, and ready to face either victory or martyrdom. Unfortunately Abu Sufian succeeded to escape with the rich caravan through the sea route. They were thus left to face the furious Meccans who were enraged against the attack waged against their creeds, wealth and authority. They were left with no other alternative but to fight the Meccans who had camped under the leadership of Abu Gahl at the remote end of the Valley. They were 950 warriors iron-clad and armed to their teeth. Their hearts were full of indignation against Muhammad and his followers. Seeing that their fighters outnumbered those of the Muslims

مَجَلَّةُ الْإِنْزَهَارِ

مجلة شهرية جامعية

تَصَدَّرُ عَنْ مَشِيخَةِ الْإِنْزَهَارِ فِي كُلِّ شَهْرٍ عَجْرِي

مدير المجلة ورئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المعاون

إدارة اجتماع الأزهر
بالقاهرة

ت : ٤٦٢١٤

يَشْرَكُ فِي التَّحْقِيرِ

عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَغْدَادِيُّ

بَدَلُ الْإِسْتِزْلَاقِ

٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة

٥٠ خارج الجمهورية

والمدرسين والطلاب بخصيصة

الجزء الثاني — صفر سنة ١٣٨٠ هـ — يولييه سنة ١٩٦٠ م — المجلد الثاني والثلاثون

لِسَمَاءِ الْإِنْزَهَارِ

ليس بعد الدين وازرع

بقلم : أحمد حسن الزيات

التقوى ، وهي استشعار الخوف من الله
طبيعة في الشعب الكادح غرسها فيه افتقاره
الدائم إليه ، واعتماده المطلق عليه ، ورجاؤه
المتصل فيه ؛ أما الملوك والسراة فهم خليقون
باستغنائهم عنه بطفيان الملك وسلطان المال
ألا يخشوه وألا يرجوه إلا إذا حملوا على
نقواء حملا منذ النشأة بالتربية الدينية
والثقافة الروحية والقودة الحسنة . فإذا ولد
السرى أو الغنى في مهد غير نظيف ، ونشأ
في بيت غير شريف ، لا يجد أبا يوصي ولا أما
تستغفر ولا مربيا يرشد ، شب على غرائز

البهيم : هوى من غير عقل ، وشهوة من غير
كبح ، وسطوة من غير ضمير ، وإذا مكن له
بحكم الوراثة أو بفعل الظروف أن ينحط
على عرش أمة ، ستره بالسلاح عن عيون
الشعب ثم استعان بغفلة الوعي القومي
على أن يجعل العرش فرشا والقصر ماخورا
والحكومة مطية والوطن ضيعة . ثم يتدفق
في الفجور ويستهر في الفساد لا يتقى الله لأن
الشیطان يعدو ويمنيه ، ولا يخشى الشعب لأن
الجيش يحرسه ويحميه ، حتى إذا انكشفت
الآغشية عن البصائر فتنبه الغافل وأحس

الفترة ، فوهى السند وانقطع المدد ؛ وقضى الله على هؤلاء الصغار بما أفسدوا وبددوا وعربدوا أن يكون كل منهم آخر فرع يذوى ويسقط من شجرته الملعونة .

أول الثلاثة وأكبرهم كان ملكا على مصر قبل يوم ٢٣ يوليو ، وكان آية من آيات إبليس فى الجرأة على دين الله وعلى حرم الناس ، بلغ من جرأته على الله أنه كان كما حدثنى أحد بطانته المقربين إليه إذا اضطرتة رسوم الملك أن يشهد صلاة الجمعة خرج إليها من المضجع الحرام ، فصلاها من غير غسل ولا وضوء ، وأداها من غير فاتحة ولا تشهد . وكان يقول : إن أخوف ما أخافه أن يغلبنى الضحك وأنا أتابع الإمام فى هذه الحركات العجيبة . وبلغ من جرأته على الحرمات أنه كان يغتصب الزوجة ، ويقتل الزوج ، ويسرق الدولة ، ويسفك الحق ، ويأخذ الرشاً . ثم أملى له الغرور فتبجح وتوقع وطغى ، حتى إذا استيأس الشعب وظن أن الليل سرمد ، وأن الذل خلود ، أظهر الله المصلح المنتظر من بين رجال الجيش ؛ لأن العسكريين بحكم تنشئتهم أحباب فداء ومضاء ، وإلاف نظام وعمل ، وأحلاف شرف ومجد ، يطلبون الحياة بالموت ، ويغسلون الرجس بالدم ، ويقرنون رأى بالعزيمة فرأى هو ورفاقه من خلال الظلام الكفيف

البليد وأدرك القطيع السائم المستغل أن فروته الملايين أقوى من عصا الراعى الفرد ، وأنه هو صاحب اللبن والصوف ، ومالك المرعى والحظيرة ، انتفض الشعب المظلوم المسكظوم انتفاضة الأبى المريد فنفض عن جسده العلق الماص والدود السام ، وضرب ضربته القاضية فتدكدك العرش ؛ وتدحرج التاج ، وتقوض القصر ، وعاد الطاغية الفاجر أصغر من أن ينظر ، وأحققر من أن يذكر ، وشيئا من القدر الملعون ، يجر على الأرض ، أو يوطأ بالقدم ، أو يقذف إلى الخارج ، والمزية الوحيدة لهذا الضرب من الملوك أنهم يظهرن حين يريد الله أن يبدل نظاما بنظام ، ويديل دولة من دولة ؛ لأنهم بفضل ما يجتمع لهم من ضروب الفساد ، وما يصدر عنهم من فحش الاستبداد ، يضغظون على مشاعر الشعب فينتبه ، ويلجئون على أعصابه فيثور . من هؤلاء الغواة الضالين ثلاثة من الشبان الرقعاء وضعهم المستعمر المحتل على عروش أمهم بالكراهة منها ، ثم ظلل يسندهم بياس الحديد . ويرفدهم بفيض الذهب ، ويسلطهم على الأخلاق يفسدون بها لا يليق ، وعلى الأرزاق يبددونها فيما لا يحل ، حتى قضى عبد الناصر على الاستعمار فى أكثر الشرق الأوسط ، فلم يبق إلا فى بعضه يتسلل إليه فى ثياب الخونة والعلماء ، كما تتسلل الجرائم إلى الأجساد على أرجل الذباب وأفواه الكلاب وقروح

تسمع في إذاعة إيران ولا تقرأ في صحف العالم أن الشاه - اسم الله عليه - أنشأ مدرسة أو بنى مستشفى أو عبد طريقاً أو أقام جسراً أو أصلح فاسداً أو عمر خراباً ، وإنما تسمع كل مساء وتقرأ كل صباح خبراً جديداً عن زواج الشاه وطلاق الشاه وخطبة الشاه ، وعشق الشاه ، وعن رحلته المباركة إلى هوليد ، وجولته الموقفة إلى الريفييرا ، وسفرته المربحة إلى لندن ، وزورته المريبة إلى الأردن ، أما الأمة الإيرانية والأمة العربية فلا تدخلان في دنياه لأن التخلف العاجز في أمته يخزيه ، ولأن التقدم المعجز في أمتنا يؤذيه ، وهو يحرص على أن تعيش طهران في الظلام لتمعى ، ويخشى أن تسطع في أفقها أضواء القاهرة فتبصر ، ولكن هيهات أن تحجب الشمس بالأكف ، أو يدفع السيل الآتي بالحواجز . إن ساعة الشاه آتية لا ريب فيها ، لقد تعدى حدود الله وتحدى إرادة شعبه . نصر الاستعمار وخذل الحرية ، وناوأ العروبة ومالاً الصهيونية ، وخسرج على قرارات باندونج وإجماع المسلمين ، فاعترف لإسرائيل الاتفاقية باغتصابها فلسطين العربية المسلبة ، وطردها مايونا من أهلها إلى العراء القفر ليعيشوا في المضارب والملاجئ عيش الحرمان والذل ، وهم ينظرون إلى ديارهم وأمواهم يعبت فيها الواغل الدخيل ولا يملكون

المخيف عرش مصر يرتطم في الوحل ، وجيش مصر يضطرب في الفساد ، وشعب مصر يتمرغ في الذل ، فشبوا شبوب النار الهادئة تقتل المكروب ولا تحرق المريض ؛ وهبوا هبوب الريح اللينة تدفع الشراع ولا تفرق المركب ، وأخذوا ذلك الملك الماجن من قفاه الغليظ وألقوه في البحر ، ثم عالجوا أمر هذه الأمة بعلاج الرسول الكريم ، فخطموا الأوثان كما حطم ، وكرموا الإنسان كما كرم ، وأزالوا الفروق بين الناس كما أزال ، وأدالوا الفقير من الغنى كما أدال ، وقيدوا الحق بالواجب كما قيد ، وأيدوا الحجة بالسيف كما أيد ، ثم أذاقوا الناس لأول مرة في تاريخ مصر نعمة الحرية والكرامة والمساواة .

وثاني الثلاثة وأمكرهم خليفة مزدك أوشاه إيران . نشأ نشأة فاروق ، فلم ييسر الرقابة دين ولا رعاية خلق ، ولم يهيا لولاية عهد ولا وراثة ملك ، وإنما أعجله كما أعجل حماة القديم الحكم الباكر عن تثقيف نفسه بالعلم وتهذيب غرائزه بالأدب ، فلم يتعلق من الحياة إلا بأسبابها المادية الوضيعة ، وجرى في حكمه لإيران على سياسة الخليج الوارث ، لا يعرف من أمور ضيعته إلا الخزانة يفرغ ما فيها من يوم إلى يوم في جيبيه ، أما كيف يستعمرها ويستثمرها فذلك شأن لا يعنيه ، لذلك لا

من استقلال الأردن ، وما خان من أمانة فلسطين ، وما أوهن من وحدة العرب ، وما نبسح (في الهواء) على عبدالناصر ، ولكن الليالى الجمر لن تعصمه من الأيام السود حين تقبل ، والحرس البدوى الخافى لن ينقذه من براثن الشعب ساعة يغضب ، والأموال المهربة إلى أوروبا لن تقديه من المنون يوم تغول .

* * *

هؤلاء الفجار الثلاثة هم الأثافي الثلاث فى مطبخ الاستعمار . ركب عليهم قدوره الضخام وجعل فى بعضها الدسم وفى بعضها السم ، فتدسم قوم وتسمم آخرون ، وبات الأبرار الأحرار على الطوى حتى نالوا بصبرهم وجهادهم كريم المأكل .

فأما نائشة الأثافي فقد أطاحتها ريح ثورتنا المباركة ؛ وأما الأثفيتان الأخريان فلا تزالان تحاولان حمل القدور وإشعال التنور وتوزيع الطعوم والأطعمة ، ولكنهما ظلتا باردتين على الرغم من الوقود الجزل بالجنيه والدولار ، وعماقريب تسحقهما أقدام الثوار فتذروهما الرياح مع الاستعمار . .

أصمر من الزيات

لأنفسهم ولا لها إلا الرجاء فى العرب والأمل فى أمثال هذا الفهلوى الذى يسمونه الشاه ، وهو أهون على الله من كراع شاه . والذى بعثه على كل هذه المخازى بعده عن الإسلام ، وحققه على العرب ، وكيده للوحدة ، وحرصه على بقاء الاستعمار ليأمن ثورة الأحرار وعودة مصدق ، ويضمن وفرة الدولار ومتعة العيش .

* * *

وثالث الثلاثة وأحقهم (عاهل) الأردن وحده وجاهل العالم كله ! أصغر تاج على أصغر عرش ، وألأم ملك على أكرم شعب ، وأنجس لإنسان على أطهر أرض ! ولكن الاستعمار نفخ فيه فدوى كالطبل وصوت كالبوبق ، وتوهم أنه بهذه النفخة الكذابة والطنطنة الفارغة يطاول الجمهورية العربية المتحدة ، ويصاول زعيم العروبة العملاق فطن طنين البعوضة ، ثم اشتد واحتد فنق نقيق الضفدع ، ولكنه لم يستطع أبدا أن يخور خوار الثور ، ولا أن يزأر زئير الأسد ، من أين ينق (عاهل) الأردن على لياليه الجمر ، وعلى عشيقاته الشقر والسمر ؟ .

ومن أين يأتيه المال الذى يصبه صبا فى خزائن البنوك المأمونة ؛ ويشترى به الحرس الخاص من البدو الجياع ؟ من ثمن ما باع

الشُّورَى فِي الْإِسْلَامِ

لِلإِمَامِ الْمُسْلِمِينَ الْأَسَازِ الْأَكْبَرِ
الشيخ محمود شلتوت

أَسَاسُ التَّرَابِطِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ :

لقد جعل الإسلام أساس الترابط بين المسلمين وحدة العقيدة ووحدة الاتجاه فلم ينظر إلى وحدة المكان أو وحدة الجنس أو إلى وحدة تلك الوحدات البشرية التي يحارب الناس بعضهم بعضاً من أجلها فقد قرر في وضوح وصراحة أن الأخوة أساسها الإيمان ودعا إلى الاعتصام بحبل الله ونهى عن التفرق :
« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » ، « وَاعْتَصِمُوا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » . وامتّن عليهم بتأليف القلوب وإتقائهم من الوقوع في نار العداوة والبغضاء التي كادت تقضى عليهم :
« وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا » ،
« وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا » .
إن هذه الأخوة الإسلامية ربطت بين قلوب المسلمين فأصبحوا أسرة واحدة كبرى وإن بعدت الدار ، أو اختلفت الأقطار يفرح المسلم لفرح أخيه ويحزن لحزنه ويمد إليه يد المعونة عند الحاجة ، يرشده إذا غوى ، ويهديه

بزغت شمس الإسلام وسطع نوره فتبقيظ الإنسان ، واندكت صروح الطغيان واطمأنت النفوس إلى دعوة الإخاء والمحبة والسلام .
إذ كان المبدأ الأول من مبادئ الدين أن الناس جميعاً لهم رب واحد : هو الخالق والرازق وهو الذي بيده الأمر كله فلا خضوع إلا له ولا معبود إلا هو : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ » ، « وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ » .
ثم كان مما قرره وأكد تقريره أن الناس لا يتفاوتون في أصلهم ولا يختلفون في نشأتهم ، بل إنهم متساوون في بدء الخلق ولم يجعلوا شعوباً وقبائل للتفاضل والتنافر ، ولكن للتعارف والتعاون : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا » إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، « فَمَنْ يَفْرُقَ الدِّينَ بَيْنَ فَقِيرٍ وَغَنَى ، وَلَا بَيْنَ جِنْسٍ وَجِنْسٍ ، فَالْأَنَاسُ كُلُّهُمْ لَأَدَمٍ وَأَدَمٌ مِنْ تَرَابٍ ، وَلَا فَضْلَ لِعَرَبٍ عَلَى عَجَمِي ، وَلَا لِعَجَمِي عَلَى عَرَبِي ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَيْبَضَ ، إِلَّا بِمَا يَقْدُمُ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يَرَأْيُ فِيهِ رَبَّهُ وَيُسَاعِدُ بِهِ جَمْعَهُ » .

في يدها جميع سلطاتها ، فقد استخلفها الله في أرضه لعمارتها وإقامة أحكامه فيها .

وحيث إن هذه الجماعة الإسلامية لا تستطيع - مجتمعة - مباشرة سلطاتها كان من حقها أن تختار من ينوب عنها في مباشرة تلك السلطات - فرداً أو جماعة - وهذا الاختيار يجب أن يكون عن رضا وأن تراعى فيه المصلحة العامة ويظل تحت رقابتها لأنه وكيل عنها يخضع لما يخضع له الوكيل في سائر العقود من رقابة الأصل الذي يرسم له كل تصرفاته وهذا ما يسمى بالبيعة ولا بد أن تكون على كتاب الله وسنة رسوله وصالح المؤمنين .

ومن هنا نرى أن المسلم له الحق في الإشراف على شؤون المجتمع ومراقبة حكامه ؛ لأنه مسئول عن نفسه وعن الجماعة التي هو لبنة في صرحها : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) . ثم الدولة الإسلامية لا بد أن تعمل على إسعاد الفرد ومساعدته ليعيش عيشة كريمة وتحفظ حياته وماله وحرية ؛ حتى يتمكن من أداء واجباته العامة فإن منعه الدولة حقوقه وحرمة حرية بلامبرر شرعى فلا طاعة لها عليه .

الشورى :

وإذا كان الحاكم وكلاء عن الأمة ، ومن حقها أن تراقبه في تصرفاته الخاصة والعامة ، كان لزاماً عليه أن يستعين بذوى رأى بمن

إذا ضل ، ويرحمه إذا ضعف ، ويعامله بما يجب أن يعامل به ، ويحفظه في ماله وعرضه وولده غائباً وحاضراً . وإن أروع مثل في سماء الأخوة الإسلامية موقف الأنصار مع المهاجرين عند مقدمهم إلى المدينة إذ آثرهم الأنصار على أنفسهم وسجل القرآن هذا الإيثار الكريم بقوله تعالى : **« يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »** .

الشورى الإسلامية :

إن المجتمع الإسلامى يقوم على أسس قوية سليمة إذ يرتبط أفراده ارتباطاً لا انفصام له باعترافهم بالله رب العالمين وبالأخوة في الإيمان وبوحدة الغاية في نشر الإسلام وبوحدة التكليف إذ لا اختيار ولا امتياز لأحد في هذه التكليف لا فرق في ذلك بين الرسول عليه السلام أو الخليفة وأصغر المؤمنين شأناً ، ثم يرتبطون بمسئولية عامة عن سلامة الدين وسلامة الفرد والجماعة .

ومن هنا خوطبوا جميعاً بتكليف الله **« يا أيها الناس اعبدوا ربكم »** ، **« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله »** ، **« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً »** . وقد شمل هذا الخطاب التكليف الفردية والجماعية فكان دليلاً على مسئولية الجماعة الإسلامية عن كل شؤونها وإذا كانت كذلك وجب أن تكون

صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فيما يطرأ من شئون ربطا للقلوب وتقريراً لما يجب أن يكون عليه المؤمنون من حسن التضامن فى سياسة الأمور ، وذلك فى قوله من سورة آل عمران : « وشاورهم فى الأمر فإذا عزمته فتوكل على الله ، وإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان كثيراً ما يشاور أصحابه فيما لم ينزل عليه فيه الوحى ، وكان بعض الأحيان يعدل عن رأيه ويأخذ برأى الصحابة .

ومن بعد الرسول صلى الله عليه وسلم خلفاؤه رضوان الله عليهم ، فإنهم أخذوا بمبدأ الشورى لإيمانهم بأنها أصل فى إدارة الجماعة الإسلامية . وتحرى الحق الموافق للمصلحة من ألزم الواجبات على صاحب الأمر . وإن عمر كان يجمع كبار الصحابة لأخذ رأيهم بل كان يمنعهم من الخروج من المدينة لمكان حاجته إلى استشارتهم .

على أن الشورى لم يضع لها الإسلام نظاماً خاصاً وإنما هو النظام الفطرى وذلك لأنها من الشئون التى تتغير فيها وجهة النظر بتغير الأجيال والتقدم البشرى ؛ فلو وضع نظام خاص فى عهد الرسول لأصبح أصلاً لا يحيد عنه أحد وفى ذلك من الحرج والضيق مافيه ؛ فالشورى من الأمور التى تركت نظمها دون تحديد ؛ رحمة بالناس غير نسيان توسعة عليهم وتمكيناً لهم من اختيار ما يتاح للعقول وتدرکه البشرية الناضجة .

تعرفهم الأمة بآثارهم وتمنحهم ثقتهما وتذيعهم عنها فى نظمها وتشريعها والهيمنة على حياتها وسياسة أمورها التى لم يرد فيها نص سماوى حاسم وهؤلاء هم « أهل الإجماع » الذين يكون اتفاقهم حجة يجب النزول عليها والعمل بمقتضاها مادام الشأن هو الشأن والمصلحة هى المصلحة ، فإذا تغير وجه المصلحة بتغير المقتضيات كان عليهم أو على من يخلفهم إعادة النظر على ضوء ما حدث من أمور وحل الاتفاق اللاحق محل الاتفاق السابق .

ومعرفة رأى أولئك الذين اختارهم الأمة والسير على هديه أصل من الأصول التى تقوم عليه الدولة الإسلامية وهو المسمى « بالشورى » ، ويعرفه الناس الآن بكلمة الديمقراطية : وهى أساس الحكم الصالح وهى السبيل إلى تبين الحق ومعرفة الآراء الناضجة وقد جعلها القرآن عنصراً من العناصر التى تقوم عليها الدولة الإسلامية ، وفى كتاب الله سورة عرفت باسم « سورة الشورى » لأنها تقرر أن الشورى عنصر من عناصر الشخصية الإيمانية الحقة . وحسن التضامن بالشورى ، والإنفاق فى سبيل الله سبيل الانتصار على البغى والعدوان وذلك كما فى قوله تعالى فى تلك السورة : « وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » . والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون » . وقد أمر الله نبيه

ذات النظر والاجتهاد أو بما يترجح عن طريق الأغلبية أو قوة البرهان .

والشورى لا تؤتى ثمرتها ما لم تكن أمراً ثابتاً مقرباً مأموراً به كحق للأمة تأخذه ، وهو واجب عليها تأثم جميعها بتركه ، ولا بد من أثرها العملى فى الحكم وسياسة الجماعة .

وإذن فالشورى التى تنسج خيوطها بكثرة العدد، أو عن طريق الإغراء والإرهاب، لا وزن لها عند الله . والشورى التى تجعل من الفرد مفسداً ، أو الفرد حاكماً بأمره فى الأمة، لا وزن لها عند الله . والشورى التى لا تساعد المخلصين على إبداء آرائهم والكشف عن عبث العابثين وفساد المفسدين لا قيمة لها عند الله .

والشورى التى يلبس فيها المنافقون مسوح الصدق والإخلاص ، ويكتمون عن الحاكم المخلص النصيحة الخالصة لا قيمة لها عند الله .

ولقد طبق المسلمون الأولون مبدأ

الشورى فى حياتهم وسادت الديمقراطية بينهم فكانت لهم العزة ولم يكن لعدوهم سلطان عليهم وحققوا وصف الله لهم فى قوله تعالى : محمد

رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً . . وفق الله الخلف

ليسيروا على منهج السلف .

والله الموفق والمستعان .

محمد سلتوت

شيخ الجامع الأزهر

والقرآن حين قرر مبدأ الشورى قضى على أكبر أعداء الإنسانية الفاضلة ومبيدها وهو : (الاستبداد بالحكم والرأى) وحقق للفرد وجوده الفكرى ، وللجماعة حقها الطبيعى فى تدبير شئونها . على أن من مقومات الشورى الحرية التامة فى إبداء الرأى ما لم تمس أصلاً من أصول العقيدة أو العبادة .

وقد أورد القرآن المصادر التى يجب على المؤمنين اتباع الأحكام والنظم والأوامر الصادرة عنها فى قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، وليس أولو الأمر هم الأمراء والحكام فحسب كيفما كانت شأنهم . وليس أولو الأمر أولئك المعروفين فى الفقه الإسلامى باسم (الفقهاء أو المجتهدين) فإنهم — مع تقديرنا لهم — لا تعدو معرفتهم ما تعمقوا دراسته من الفقه والعلوم المتصلة به ، وليست لهم صلة بأمور الحرب والسلم أو الزراعة والصناعة والإدارة والسياسة .

وإذا كانت جوانب الحياة متعددة ومطالبها مختلفة فإن لكل جانب رجالاً ولكل مطلب وسيلته التى يعرفها أهله ولذا يكون المقصود من قوله تعالى : وأولى الأمر . هؤلاء الذين عركتهم الحياة وصقلتهم التجارب فأصبحت لهم خبرة خاصة متصلة بما يعملون وتكون طاعتهم هى الأخذ بما يتفقون عليه فى المسألة

أوزان الشَّعْرِ العَرَبِيِّ

لِلْأَسَاتِذِ عَبَّاسٍ مُحَمَّدٍ الْعَقَّادِ

المسرحية الشعرية وليدة الشعائر المقدسة في مراسم الهياكل كما يؤخذ من اسم «التراجيدي» الذي اشتقوه من كلمتين وهما كلمة تراجوس Tragos بمعنى المعزة وكلمة (أود) Ode بمعنى الأنشودة ؛ لأنهم كانوا يحيون مراسم التمثيل في الهيكل بعد التضحية بمعزة ينحرونها تقرباً إلى الأرباب واستنزالاً للوحى والنبوءة على ألسنة الكهان .

ولو كانت للعرب شعائر تمثيلية كهذه الشعائر لوجدت عندهم المسرحية الشعرية بقافية أو بغير قافية ، أو وجدت مسجوعة تارة ومرسلة تارة أخرى على وتيرة واحدة يرددها الكهان وأصحاب القرايين . ومن المحقق - كذلك - أن المسرحية الشعرية لم تكن لتوجد في الغرب على صورتها الأولى أو على صورها الحديثة لو لم يتطلبها العرف الدينى ولم يألفها جمهرة الناس في مراسم العبادة ، ولو كان نظمها من أسهل المطالب الفنية خلوا من كل قاعدة مرعية في أشعار الأمم بل في كلامها المنشور .

على أن خطأ الدعوة إلى الاستغناء عن القافية وتعديل أوزان العروض ظاهر لمن يكلف نفسه قليلاً من البحث في حقيقة الصعوبة التي يتوهمونها للأوزان العربية ويحسبون أنها حائلا

نشأت دعوة النظر في تعديل أوزان الشعر العربى والاستغناء عن القافية بعد اطلاع قراء العربية على تاريخ الأدب المقارن بين اللغات وابتداء حركة الترجمة من اللغات الأوروبية . عند منتصف القرن التاسع عشر . ففي تلك الفترة كثرت المقارنة بين موضوعات الشعر في لغات الغرب وموضوعاته في لغتنا العربية . وقيل : إن المسرحية الشعرية ومعها ملاحم الأبطال والأرباب قد ظهرت في اللغات الأوروبية القديمة والحديثة ولم تظهر عندنا قديماً أو حديثاً لسهولة النظم في تلك اللغات وصعوبة النظم في اللغة العربية مع التزام القافية وأوزان العروض .

وقامت الدعوة - كما رأينا - على فكرة متعجلة خاطئة ؛ لأن الاختلاف بين منظوماتهم ومنظوماتنا إنما جاء من اختلاف الأحوال الاجتماعية والنفسية ولم يجئ من اختلاف أوزان العروض . وإنما المألوف أن يتولد الشعر على حسب الحاجة إليه من دواعي التقاليد والعادات وأصول العبادة والعلاقات بين الناس . وليس المألوف أن تنتظر الأمم حتى يتيسر لشعرائها النظم على الأوزان التي يستطيعونها ثم تبنى شعائرها وعباداتها على تلك المنظومات . وقد كانت

لامتلأت بها المجلدات وظهر أنها جميعها أو أكثرها من نظم النائحات الجاهلات في القرى الريفية التي لا تتلقى أناشيدها من معلى الآداب أو أساتذة العروض .

وقد نظمت المسرحيات وترجمت الإلياذة وغيرها من أشعار الملاحم فأتسع لها الشعر العربي بعروضه وقوافيه ، لم يكن نقص الترجمة — حيث يوجد النقص — راجعا إلى عيب في أوزاننا وقواعد عروضنا كما توهم المتعجلون من نقاد هذه الأوزان والقواعد ولكنه كان شديدا بالنقص الذي يعرض للشعر المترجم من لغة إلى لغة ولو ترجم من اليونانية إلى الانجليزية أو الفرنسية أو الألمانية ؛ وكلها تجرى على قواعد متشابهة في الأوزان . وفي الاستغناء عن القافية أو التزامها حيث يلتزمونها من أناشيد الرقص والغناء .

والثابت من تجربة الناظرين في تعديل الأوزان منذ ستين سنة أن إلغاء القافية كل الإلغاء يفسد الشعر العربي ولا تدعو إليه الحاجة ؛ وهي تجربة اشترك فيها ثلاثة من أعلام الأدب العربي الحديث في القاهرة وبغداد والإسكندرية وهم . توفيق البكري وجميل صدقي الزهاوى وعبد الرحمن شكرى وهم من أقدر أدباء عصرهم على الموازنة بين محاسن النظم في اللغة العربية وبعض

دون الشاعر وما يختاره من موضوعات النظم ، على اختلافها بين آدابنا وآداب الأمم الغربية . فإن أوزان العروض العربية على إحكامها وإتقانها سهلة الأداء قابلة للتوسع والتنويع إلى الغاية المطلوبة في كل موضوع يتناولها الشعراء . وتبين هذه السهولة من مراجعة التاريخ كما تبين من مراجعة التطور الأدبي في العصر الحديث منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى أواسط هذا القرن العشرين .

فقد اختار شعراء اللغات الفارسية والعبرية والأوردية أن ينظموا بلغاتهم في أوزان العروض العربية وفضلوها على أوزانهم القديمة ؛ لأنها أسهل منها وأجمل في موقعها من الاستماع والنفوس .

وقد رأينا أن شعراء العامة لم يتعذر عليهم أن ينظموا الملاحم أو يتخللوا بالقصائد الموزونة المقفاة في القصص المطولة من قبيل قصص الزير سالم والغزوات الهلالية وأخبار النبي أيوب عليه السلام وحكايات البطولة والغرام في اللهجات الدارجة ، وكلها تنظم في بحور العروض وتلتزم فيها القافية ، ويقدر عليها شعراء أميون لم يدرسوا الأدب ولم يتعلموا وزن الشعر ولم يرجعوا في منظوماتهم وموضوعاتهم إلى غير السليقة والسباع .

ولو جمعت أناشيد الأعراس والمآتم التي تنظم على الوزن وتلتزم فيها القافية

أما في بني الأرض العريضة قادر
 يخفف ويلات الحياة قليلا
 أفى الحق أن البعض يشبع بطنه
 وأن بطون الأكثرين تجوع
 ولكنه أراد أن يرى ذمته ويكل الأمر
 إلى حكم التاريخ فأبقى هذه التجربة تمضى في
 طريقها حيث يستقر بها قرارها وقال في مقدمة
 الديوان : « ولا أرى مانعا من تغيير القافية
 بعد كل بضعة أبيات من القصيدة عند الانتقال
 من فصل إلى آخر ، كما فعلت في عدة قصائد ،
 لا دفعا لمثل السامع من سماع القافية الواحدة
 في كل بيت كما يدعى بعضهم . فتلك حجة من
 يعجز عن إيجادها . وإلا لم الناظر وجوه
 الناس لوجود أنف بارز في وسط كل وجه ،
 بل لإراحة للشاعر من كد الذهن لوجدانها ،
 فإن الإتيان بها متمكنة ليس في قدرة كل
 شاعر . وأجيز للشاعر أن ينظم على أى وزن
 شاء ، سواء كان من أوزان الخليل أو غيره . »
 وهذه وجهة نظر أخرى لعلاج هذه
 الصعوبة ، وهى وجهة نظر الشاعر الذى
 يرى أنه يتورط في اختيار القوافي القلقة إذا
 أطال النظم على قافية واحدة ، ويرى أن
 يخرج من هذه الورطة بالوقوف عند الحد
 الذى تنتهى عنده قدرته على القافية المتمكنة
 والاحتياط على ذلك بتغيير القافية من فصل
 إلى فصل في القصيدة الواحدة ، ولا ضرورة
 عنده لإلغاء القافية كل الإلغاء ولا لإطلاق

اللغات الشرقية والغربية . ومنهم من كان
 يقرأ الشعر بالتركية والفارسية عدا ما يعابه
 من أشعار الإفرنج المحدثين والأقدمين .

تناول الشارحان لكتاب صهاريج اللؤلؤ
 موضوع القافية العربية وصعوبتها . وهما :
 الأستاذ أمين الشنقيطى ، وأبو بكر المنفلوطى
 فقالا في التمهيد لقصيدة ذات القوافي :

« أما العرب فقد جعلوا القافية واحدة
 فأصبحت الإجادة في الشعر عندهم أو البلوغ
 به إلى التعبير عن المقاصد المختلفة من أصعب
 الأمور ... وللعرب نوع من نظم الشعر يشابه
 ما قلناه عن شعر العجم وهو النوع المسمى
 بالمسمط ... وهو ما قفى أرباع بيوته وسمط
 في قافية مخالفة ... والرجز أيضا من هذا
 القبيل . وقد أراد المؤلف - حفظه - الله بهذه
 القصيدة التى أسماها بذات القوافي إيجاد مثال
 للشعر المتعدد القوافي في العربية وفك هذا
 القيد الشديد المانع للشعر من الارتقاء . »

وهذا رأى أديب يجارى القائلين بصعوبة
 القافية العربية على رأيهم ويذل هذه الصعوبة
 بتعديد القافية في القصيدة الواحدة .

أما جميل صدق الزهاوى فقد عالج النظم
 بغير قافية وترك لنا قصائد مطلقة وأسكنها
 على أوزان العروض ، كقوله في واحدة منها :

يعيش رخي العيش عشر من الورى
 وتسعة أعشار الأنام مناكيد

والشعر من أوزان العروض ، وإن جاز عنده أن ينظم على غير الأوزان التي أحصاها الخليل . أما عبد الرحمن شكري فمن أمثلة شعره المرسل قوله :

خليلي والإخاء إلى صفاء
إذا لم يغذيه الشوق الصحيح
يقولون الصحاب ثمار صدق
وقد تبسو المرارة في الثمار
شكوت إلى الزمان بنى إخواني
فجاء بك الزمان كما أريد
ومن أمثله قوله في نظم القصيدة من قصيدة نابليون والساحر المصري :

خرج العظيم يخط في ترب العرا
خط المدلس في تراب الطالع
يمشي وحيداً في الخلاء وحوله
جيش من الآراء والعزمات
إلى آخر القصيدة التي ينفرد فيها كل بيت بقافية ، ولا يخفى على ناظمها موضع الضعف فيها من الوجهة الموسيقية - وهي قوام فن الشعر - ولكنه كان يعتقد أن مصير الحكم في ذلك لألفة السماع ، ويترك الحكم الأخير لصقل الأسماع كما قال أبو العلاء ، ثم يقرن هذا التصرف المطلق في القافية بالتصرف المحدود في الرباعيات والمزدوجات ، أو المقطوعات من فصول متعددة تتغير قافيتها بعد عشرة أبيات أو اثني عشر بيتاً ، أو ما شاء الشاعر من تقسيم الفصول على حسب الأبيات .

وخلاصة التجارب الواقعية - في الزمنين القديم والحديث - أن القافية لم تكن سبباً لاختفاء المسرحية الشعرية من الأدب العربي القديم ، ولم تحل في الزمن الحديث دون ترجمة الملاحم أو وضع الروايات المسرحية في شتى الموضوعات من حوادث الحاضر أو حوادث التاريخ ، وأن كل صعوبة تعزى إلى القافية العربية لم تكن لتعجز العامة الجاهلاء عن نظم الملاحم والقصص ونظم الأمثال والعبر على الأسلوب الذي يتداولها جمهرة الأميين ، فضلاً عن الشعراء والدارسين .

فإذا تجددت الدعوة إلى النظر في القوافي والأعاريض فالذين يطلبون إلغائها يثبتون بذلك عجزهم عن مزاولة النظم الذي يستطيعه العامة والأميون ، ولا خير للأدب العربي في عمل فني يتصدى له من لا يقدر على عمله ومن لم يخلقوا له ومن ليس عندهم فيه استعداد فطري يضارع استعداد شعراء الرابطة وناظمي القصص الغنائية وما إليها .

فإن لم يكن طالب القضاء على فن العروض العربي عاجزاً هذا العجز المعيب في مقاصده الفنية فهو طالب هدم صريح لغرض غير صريح ولكنه كذلك غير مجهول ؛ لأنه يلحق في هذا العصر بمن يهدمون كل تراث ويقتلعون كل أساس ولا يقنعون بشيء دون فوضى الآداب والعقائد والأخلاق ؟

عباس محمود العقاد

الاستعمار في الشرق الأوسط

للأستاذ الدكتور محمد البهي

١ - الاستعمار في الشرق الأوسط له صور مختلفة ، وإن كانت غايته واحدة : هي تفتيت الوحدة في كل شعب ، أو خلق نزاع أساسي بين شعب وآخر . وهو وإن ظهر سافراً منذ بداية القرن التاسع عشر إلا أن محاولات تركيزه في منطقة الشرق الأوسط كانت جدية ومتكررة في القرن السابق على القرن الذي ظهر فيه ظهوراً واضحاً ، وهو القرن السابع عشر .

وكذلك الشأن في احتلال أندونيسيا احتلالاً عسكرياً وفي شمال إفريقيا من المغرب إلى ليبيا .

ولكي تضمن الدول المستعمرة استمرارها في استغلال الخامات الأولية التي تحتاج إليها في اقتصادها القومي ، وفي استغلال الطاقات البشرية بأجور زهيدة في تمكين حصولها على تلك الخامات ، وفي استغلال أسواق لاستهلاك مصنوعات في البلد الذي تستعمره - تعتمد هذه الدول المستعمرة إلى نوع آخر من الاستعمار هو أبقى زمناً ، وأعمق جذوراً ، وأشد فاعلية من أي نوع آخر سواء في تمكين المستعمر من أهدافه ، أو في إضعاف الشعب المستغل المستعمر ، ذلك النوع : هو الاستعمار في التوجيه .

وأولى صور هذا الاستعمار تتمثل في رأس المال وسيطرته عن طريق إقامة الشركات ، أو طريق التجارة ، أو طريق القروض . فإذا استقر رأس المال الأجنبي في بلد من بلدان الشرق الأوسط سحب استقراره هذا نفوذ سياسي وتدخل في شئون الحكم ، ثم تبسّع هذا وذاك احتلال عسكري . والاحتلال العسكري للهند سنة ١٨٥٦ ، وكذلك الاحتلال العسكري الآخر لمصر سنة ١٨٨٢ ، سبقته هنا وهناك سيطرة رأس المال الأجنبي ، وتدخل سياسي ، ونفوذ في توجيه الحكم من قبل أصحاب رأس المال .

الاستعمار في التوجيه :

هذا النوع يصل به المستعمر إلى مقومات الشعب وتراثه الفكري والروحي . يصل به إلى تاريخه وإلى لغته . يصل به إلى امتداد في الماضي ، وإلى أسسه التي يقوم عليها مجتمعه . فيضعف صلة الأجيال القادمة بما

من أفرادها أن الدول الصناعية الكبرى متفوقة في الإنسانية لتفوقها في الحضارة الصناعية . ولذلك تسعى من جانبها إلى أن تقبل قيمها ومثلها في الحياة ، أو على الأقل - إن لم تسع إلى ذلك - فهي على استعداد لتقبله . وليس هناك من عامل مضر يدفعها إلى تقبل

ذلك سوى تلك الفجوة في مستوى الحضارة الصناعية بين الفريقين . فبين الشعوب الإفريقية والآسيوية أفراد كثيرون يتأثرون مرة بالحضارة الأمريكية فيقبلون على قيم الحياة الإنسانية فيها ، ويتأثرون مرة ثانية بالصناعة الروسية فيقبلون على قيم الحياة الإنسانية فيها . وهم لم يقبلوا على هذه أو تلك لأنهم أدركوها إدراكاً واضحاً ، وإنما وقعوا تحت التأثير بالحضارة الصناعية هنا أو هناك ؛ إذ لو أنهم تريضوا قليلاً ، وخصوا قيم الحياة في النطاق الغربي ، أو النطاق الشرقي ، لخرجوا حتماً بهذه النتيجة ، وهي : أنه لا يلزم من ارتفاع مستوى الحضارة الصناعية ارتفاع القيم الإنسانية . فالقيم الإنسانية تتبع تهذيب الإنسان وسلوكه الخلقي في علاقته بإنسان آخر ، وفي ارتباطه به ارتباط المتعاون ، أو المتآخي ، أو المحب . بينما ارتفاع مستوى الحضارة الصناعية يرجع إلى الآلة ودقتها ، وإلى الإنتاج الصناعي وسعته . نعم ، وراء الآلة ، ووراء سعة الإنتاج تدبير عقل ، ولكنه

كان لآبائنا من تراث ، ومن قيم ، ومن أسس في بناء مجتمعاتها ، وبما لها من فن ولغة . حتى تنسى هذا الماضي وتلك القيم . وكثيراً ما نتخجل من الانتساب إلى ماضيها ، أو نتحدث عن قيمها ، أو التكلم بلغتها ، فضلاً عن أن تعني بذلك كله .

هنا ، يرغب المستعمر فيما له من وضع اجتماعي ، وأسلوب في الحياة ، وطريقة في التفكير . كما يرغب في لغته وآدابه وفنه . وبما أنه توجد عادة فجوة بين الدول المستعمرة والشعوب التي تستعمرها في المستوى الاقتصادي للحياة ، وفي مستوى المعيشة للأفراد - يتخذ المستعمر من هذه الفجوة دليلاً على ارتفاع قيمته في الإنسانية من جانب ، وعلى خفض قيمة الإنسانية للشعوب المستعمرة من جانب آخر . وبذلك يخلق في نفوس الشعوب المستعمرة ميلاً إلى التقليد ، ورغبة في التخلص من وضعها القائم . وهذا بدوره يرتبط في نفوس هذه الشعوب المستعمرة بماضيها ، وبما كان لها فيه من تراث وقيم . فإن نظرت إلى هذا الماضي نظرت إليه نظرة استخفاف ، أو نظرت إليه على أنه كان سبب تخلفها عن مستوى حياة المستعمر ، ومستوى معيشته . ومثل ذلك ما يحدث اليوم من تأثير الدول الصناعية الكبرى على الشعوب المتخلفة في الصناعة ، فهذه الشعوب المتخلفة يعتقد كثير

من الماضي والنظر إليه . والطائفة الرجعية هي التي تقف عند الماضي فلا تفرط فيه . والطائفة المتطورة هي التي تصوغ من نفسها صورة تلائم بها وضعها مع ما يدعو إليه الجديد ، وتدفع إليه عوامل الإغراء .

وإذا انقسم الشعب المستعمر على هذا النحو إلى طائفتين وشيعتين ، تحقق بهذا الانقسام مجال للكفاح بين طائفتيه ، إحداهما ضد الأخرى . وهنا يبدأ المستعمر في نصرة طائفة على أخرى توسيعا للفجوة بينهما ، ودفعاً إلى استمرار الكفاح الطائفي . فيقرب طائفة ويبعد أخرى . وهو إذ يقرب طائفة يقربها على أساس أنها هي التي يعتمد عليها في تنفيذ سياسته الاستعمارية . وإذا يبعد أخرى يبعدها على أساس أنها لا تصلح للحياة الجديدة المستحدثة .

وبقدر ما يدعو المستعمر - ويحدد صدى لدعوته بين الطائفة التي يعتمد عليها - إلى لغته ، بقدر ما تهجر هذه الطائفة لغتها الموروثة ، وتعتمد في حياتها إما على تلك اللغة الجديدة ، أو على لهجة متخلقة عن لغتها القديمة . وهذا بدوره يؤدي من جانب آخر إلى إضعاف الصلة بين الأجيال التي تنشأ وتنمو في ظل الاستعمار ، وبين اللغة الموروثة ، بحيث تفقد هذه اللغة خصيصتها من كونها منفذا يطل منه الجيل الناشئ على ماضيه ؛ لأنها لم تعد وسيلة

ليس بل لازم أن يكون وراءه إيمان قلب بمحبة لإنسان آخر ، وليس بل لازم كذلك أن يكون وراءه سلوك مهذب . وهو السلوك الذي لا تطغى عليه الأنانية وحسب الذات .

وعادة الشعوب في تأثرها بإغراء الغير ، وبدفعها من طريق غير مباشر إلى ترك ماضيها وإهماله والانتقال إلى حديث جديد عليها - أن أفرادها لا يتأثرون بدرجة واحدة بهذا الإغراء والدفع . بل فيهم من ينزع إلى قبول الإغراء ، ويتحرك في غير احتياط في اتجاه الدفع . وفيهم في مقابل ذلك من يبطل في القبول أو الحركة ، أو يجمد بحيث تبدو معارضته للإغراء ، ويبسود عدم تأثره في الدفع .

وإذا كان هذا من عادة الشعوب ، وإذا كان هذا قانوناً لا تتخلف عنه جماعة إنسانية . فإن الشعوب التي تستعمر في صلتها بإغراء المستعمر إياها على ترك ماضيها وقبول جديدها لا تبقى على وحدة فيما بين أفرادها . بل تصبح شيعاً وطوائف : شيعة للقديم ، وأخرى للجديد . طائفة رجعية ، وأخرى متطورة . وشيعة القديم هي التي تتمسك بالتراث الماضي وبقيمه ، وبلغة المجتمع الذي تعيش فيه . وشيعة الحديث هي التي تسعى أو تسرع إلى قبول الإغراء بالجديد . وبقدر ما تسرع إلى قبول الإغراء بالجديد ، بقدر ما تنفر

وبين العرب والكرد . وكذا في شمال إفريقيا
بين السنية والأباضية في ليبيا ، وبين العرب
والبربر في المغرب والجزائر ، وكذلك الأمر
في السودان بين المهديّة والحتمية ، وبين
الشمال والجنوب .

فإذا أدرك المستعمر أن الشعوب التي يحتلها
تتقسط لعوامل الفرقة هذه ، وتيقظت
لأساليبها في بعث العصبيات المختلفة ، وعملت
على إضعافها أو تلاشيها بقوة الوعي إلى
الروابط التي تربطها ، كرابطة القومية العربية
في محيط الشعب العربي ، أو رابطة الدعوة
إلى الإسلام كأساس للحياة كما في باكستان -
أوجد المستعمر من المشاكل ما يستنفد
قسطا كبيرا من النشاط السياسي والاقتصادي ،
وما يشكل خطراً على كيان الشعب الذي
حاول أن يدفع بالاستعمار إلى ما وراء
حدوده . كما نراه هنا في منطقتنا العربية
قد أوجد مشكلة إسرائيل ، وفي منطقة آسيا
الوسطى قد أوجد مشكلة كشمير .

فإسرائيل لم توجد لتكون أمة ودولة ،
ولأنما لتكون مصدر تهديد دائم للعرب إذا
ما سعوا إلى رفع وصاية الغرب
والتخلص من نفوذه السياسي والاقتصادي .
لأن مصلحة اليهود أنفسهم - وهي مصلحة
مادية تتمثل في استغلال رؤوس الأموال -
تدعوهم إلى أن يعيشوا متفرقين في أمة عديدة

صالحة له . إذ صلاحية أية وسيلة بالنسبة
لإنسان ما ، هي إمكانه أن
يبتفع بها .

ولا يقف المستعمر عند هذا الوضع من
تفتيت الشعب الذي يستعمره إلى طائفتي
القديم والجديد ، وعند هذا الحد في خلقه
بجال الكفاح بينهما ، ودفعهما إلى الاستمرار
فيه - بل يفتش عن أسباب أخرى تزيد في
الانقسام والتفتيت : يفتش عن المذاهب التي
يتمذهب بها الشعب في العقيدة ، ويفتش عن
الأصول التي يرجع وينتسب إليها ، ويفتش
عن الحضارات المتعاقبة التي تعاقبت عليه ،
ثم يحكي ويذكر الميل إلى العصبيّة المذهبية ،
والعصبيّة الشعوبية ، والعصبيّة الحضارية .
ولذا نراه في الإقليم الجنوبي - بجانب ما كان
يشجع من استخدام العامية ، والاستخفاف
بالفصحى ، وبجانب ما كان يمجّد من شأن
التعليم المدني ، ويسخر من شأن تعليم الأهر -
كان يعمل على بعث العصبيّة الفرعونية والغص
من الميل إلى العربية . وفي الإقليم الشمالي
لم يهدأ في العمل على بعث العصبيّة الاشتورية ،
بجانب إذكائها بين الطوائف الإسلامية وبينها
جميعاً وبين الطوائف الأخرى .

وعلى هذا النحو كان يثير الفرقة على أساس
مذهبي وشعوبي في العراق : بين السنة والشيعة

وإلى ما فيه من أجداد وبطولات ، وإلى تفكير العرب في تاريخهم الطويل الذي تعبر عنه أوضح تعبير لغتهم الفصحى ، وإلى تلك القيم الخالدة ، وهي القيم الروحية التي تعبر عنها رسالة السماء ، وأن هذا الأثر لدور القومية العربية ليس أثراً هيناً . إنه أثر أحياء أمة ، وبعث شعباً غير متقطع الأوصال ولا مفرق الهدف ، إنه أثر ربط أجزاء الوطن العربي ، ومحا معالم الفارقة فيه ، والفواصل المفتعلة التي صنعها المستعمر في أحقاب طويلة من التاريخ .

ولذا فالقومية العربية بالنسبة لنا ، كما هي حركة بعث وإحياء ، هي عامل في وصل حاضرنا بماضيها ، وفي تمييز شخصيتنا عن شخصية غيرنا إن منطق القومية العربية هو أننا عرب ولسنا طوائف ولا شيعة وأننا عرب فحسب ، ولسنا عرب مشرق ولا عرب مغرب ، وأن وطننا هو من المحيط إلى الخليج ، لا حدود فيه إلا بمقدار ما بين إقليم وإقليم ، ورقعة وأخرى .

إن القومية العربية بقدر ما هي مصدر إحياء وبعث وربط واتصال . هي تحديد لاتجاه التفكير ، ولأهداف المجتمع ، إذا فكرنا فنفكر على أساس من الإيمان بماضيها والإيمان بوجودنا في حاضرنا ، وإذا سعينا في مجتمعنا فإنما نسعى لتحقيق قيمنا التي ارتضيها ، والتي تنبعث من تاريخنا ، وهي أن نكون

كي يتمكنوا من استغلال رءوس أموالهم في القطاعات المختلفة في تلك الأمم . وليس لليهود مصالح أخرى وراء استغلال رأس المال ، وأيسر الوسائل لاستغلال رءوس الأموال هو عدم تركيزها في رقعة ضيقة من الأرض ، وعدم حبسها في خدمة بضعة ملايين . وتاريخ اليهود ، والخصائص النفسية التي تسيطر على طبائعهم ، تعلن في غير لبس أنهم لا يهتمون بسيادة الدولة ، وبما لها من قوة وكيان ، بقدر ما يهتمون بربا المال وهو الحصول على ربح كثير لقضاء مجهود قليل غير شاق .

ولكن الاستعمار هو الذي أراد إسرائيل دولة ، ويشجع على بقائها كما يشجع على قيامها ؛ كي يتخذ منها مصدر تخويف للعرب كلها خالفوا نصحه ، ولم يتبعوا مشورته .

دور القومية العربية :

وهنا ندرك دور القومية العربية ، وندرك أن أول أثر لهذا الدور ، هو أنها نقلت نشاط العرب من مجالات الطائفية المذهبية والشعبية ، ومن نطاق العصبية لأدوار الحضارات المختلفة ، إلى المقومات التي تكون المجتمع العربي ، وتجعل منه شخصية متميزة عن شخصيات المجتمعات الأخرى ، نقلت هذا النشاط إلى تاريخ العرب أنفسهم كأمة ،

إلى الإسهام فى تحقيق الإنسانية والعمل من أجل الأخوة البشرية .

والقومية العربية إذن مذهب فلسفى وليس لونا من ألوان النشاط السياسى المؤقت . هى مذهب تفكير واتجاه سلوكى فى الوقت نفسه .

وكما اشتد الوعى بهذا المذهب الفلسفى وتحول إلى إيمان فصدر عنه فى تصرفاتنا وسلوكنا وتوجيهنا فى يسر — كلما كانت مقاومتنا للاستعمار فى أية صورة أقوى وأبقى .

ومن هنا ندرك أن صلة القومية العربية بالاستعمار ليست صلة الحليف للحليف وإنما هى صلة المقاوم لاعتداء المعتدى وصلة الدافع لظلم المستغل .

إنه لم يزل فى مجتمعنا وفى حياتنا بعض الرواسب التى خلفها الاستعمار والتى تعد أثراً من آثاره وقد كانت يوماً ما غاية من غاياته . وكما اقتربت النفوس وتآخت ، وكما صح التعبير باللغة الفصحى ، وكما ازداد القلب إيماناً بقيمنا الروحية ومثلنا العليا فى الحياة ، كلما خفت هذه الرواسب حتى تتلاشى . وبذلك لا يكون هناك استعمار وإنما يكون هناك استقلال . وليس هذا الاستقلال انفصالية عن البشرية ، وإنما هو فقط حفظ لكيان المجتمع ووجود الأفراد فى غير مهانة ولا مذلة وفى غير ظلم ولا استغلال .

الدكتور محمد البهى

المدير العام للثقافة الإسلامية

أمة متهاكمة متعاونة ، تحب السلام وتكره الضيم والاعتداء .

وهى أن نكون أمة يختلف أفرادها فى الراى ولكن تتحد فى أن تظل أمة عربية ذات سيادة ، وذات مثل وقيم .

ونحن إذا أخذنا عن غيرنا فى تفكيرنا ، أو فى حضارتنا ، أو فى أسلوب حياتنا ، فإنما نأخذ ما يعيننا على إنماء ما لنا من تفكير وحضارة وأسلوب ، لا ما يبعدنا عما هو لنا فى ذلك كله .

القومية العربية إذن ، هى الإطار الذى يدور فيه نشاطنا فى كل جانب من جوانب النشاط . هى ليست عاملاً من عوامل اليقظة لوجودنا وكياننا فحسب . بل بالإضافة لذلك هى عامل فى تحديد واجباتنا نحو مجتمعنا وحقوقنا فيه ، وعلاقتنا بغيرنا .

إن القومية العربية ليست دعوة شعبية تميز الشعب العربى عن غيره وتجعل له من المزايا ما يستغنى بها على شعب آخر .

ولكنها دعوة للاحتفاظ بمقومات الأمة وخصائصها فى مقابل المجتمعات والشعوب الأخرى ، حتى لا تتنازع ولا تذوب فى أمة

أو فى شعب آخر ؛ لأنها دعوة إلى الاحتفاظ بمقومات أمة تحمل فى ثناياها الاحتفاظ بالاستقلال فى غير

قطيعة للشعوب الأخرى ، والعناية بأجدادنا فى غير زهو وفى غير استخفاف بأجداد الآخرين وما يتميزون به فى تاريخهم مما يرجع

الكرامة والعزة في القرآن الكريم

للاستاذ محمد محمد المدني

— ٣ —

فليعمل على أن يكون (معطيا) أى نافعاً باذلاً يشعر منه المجتمع بالانتفاع وبأنه ذو قيمة فعالة مؤثرة ، وليس فقط آخذاً منتفعاً عالة .

وهذا يقتضى أن يعمل الإنسان على أن يكون غنياً ليستطيع أن يكون (معطيا) للسال ، وعلى أن يكون عالماً ليستطيع أن يكون (معطيا) للعلم ، وعلى أن يكون قوياً ليستطيع أن يعطى من قوته وجهده ، وهكذا يريد القرآن من المؤمن أن يكون قوة فعالة مؤثرة ، لا مجرد شيء قابل متقبل منكش منتظر ذليل ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى (اليد العليا خير من اليد السفلى) فقد أثبت ليد المعطى - أى النافع الباذل أيا كان نفعه وبذله - علواً وخيرية ، وجعل اليد الآخذة أدنى حالا ، وأقل منزلة ، وتلك هى لبنات العزة الإسلامية .

(٢) والانتقاء : وقد ذكرنا معناه وأنه خلق المراقبة ، والضمير الحى ، فلا نعيد القول فيه .

نستمر في عرض الآيات التى بدأنا الحديث عنها فى العدد السابق ، شارحين أهدافها وما توحى به :

هـ - د والليل إذا يغشى . والنهار إذا تجلّى وما خلق الذكور والآنثى . إن سعيكم لشتى . فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى .

قسم ومقسم عليه ، والذى يهمنى الآن هو المقسم عليه ، فالله سبحانه وتعالى يرشدنا إلى أن النجاح فى الحياة وتيسير الناس فيها لليسرى ، أى للحياة الطيبة المتيسرة السعيدة العزيرة ، مرتبط بأسباب هى :

(١) الإعطاء ، أى أن يكون الإنسان معطيا ، واللفظ مطلق فلا يصح أن يقصر على إعطاء المال أو الصدقات ، ولكنه إعطاء لكل ما تستطيع أن تعطيه من مال أو علم أو جهد أو إرشاد أو حب ، فالذى يريد أن تيسر له حياته فى دنياه وآخرته

حقا ، وربما ظن كثير من الناس أيضا أن التيسير والتيسير والإعزاز والإذلال والإغناء والإفقار ، كلها بقضاء وقدر على معنى أنها حظوظ وقسم ، فقد ينجح المقصر ، ويسقط المجتهد ، ويرزق الكسول ويحرم الناشط ، إلى غير ذلك ... نعم إن كل شيء بقضاء وقدر ، ولكن ليس معنى هذا أنه لاسن للكون ، وليس معنى هذا أن القدرة الإلهية ترجل ما تفعل ارتجالا ، أو تدبر الكون كما يدبر الصبي لعبته حيثما انفق ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، ولكن الله ربط بين المسببات والأسباب ، وأجرى الدنيا على سنن ثابتة لا يغيرها المؤمن ولا الكافر ولا يحابي بها أحدا من خلقه أيا كان ، والناس يأخذون بعضا ويتركون بعضا ، ولو تأملوا لجمعوا واستقصوا ، انظر إليهم يستشهدون بقوله تعالى : « وما النصر إلا من عند الله » على أن الأمر معلق بالمشيئة والمشيئة مطلقة ، وهذا له وجه من الصحة ولكن يجب أن يضم إليه أن الله تعالى يقول : « ولينصرن الله من ينصره » ، « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا » ، « كتب الله لأغلبن أنا ورسلي » ، « والله العزة » ، « ولرسوله وللؤمنين » ، « فإله يفعل ما يشاء » — ما في ذلك شك — ولكنه لا يشاء إلا ما قضت به سنته ، وقضت به حكمته .

فيجب أن يفهم المسلمون هذا حق الفهم ،

٣) والتصديق بالحسنى ، هذا هو الإيمان النفسى بأن « الحسنى » في كل شيء هي أساس النجاح والفلاح ، ومن الناس من يكفرون بالمثل ويرونها ضمفا ويستبجحون لأنفسهم الخروج عليها ، بل طعنوا وهدموا وتمزقها ويقولون إن لنا زمانا غير زمان الأولين ، وإن لحياتنا نوايس غير ما كان من نوايسهم فما لنا نرتبط بما كانوا به يرتبطون ، لذلك نراهم متحللين من « الحسنى » غارقين في « السوء » يرتكبونها ويحضون على ارتكابها ويريدون أن يقيموا المجتمع على أساس جديد كله مادية وإباحية وإلحاد وزيف وارتكاب واقتراف ، فهل مثل هؤلاء ينجحون مهما بدا من مظاهر الزبد الجفاء ؟ وهل يمثلهم تنجح أمة أو يسعد مجتمع ، أو تتولد عزة ؟ . كلا ، فإنها سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا . والجلل المقابلة لهذه المعاني في الآيات : « وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى » . إلخ ليست في حاجة إلى الشرح بعد ما ذكرناه .

بيد أني أعقب بكلمة لا بد منها : ذلك أن كثيرا ممن ينتسبون إلى الإسلام ، ولا سيما في عصور الضعف والانحلال ، قد نهسوا أن الله تعالى يحابي المسلمين ، وأنه يكفي أن يعتقد الإنسان أن الله هو مقسم الأرزاق ، وإنه هو المعز المذل ، وإنه هو الميسر المعسر فمن اعتنق هذه العقيدة نظريا ، فهو مؤمن

ومن هنا ينبغي أن يلتفت إلى أن هذه السنة سنة كونية عامة في الأفراد وفي الأعمال ، نستطيع أن نلص آثارها في كل ناحية من نواحي الحياة ، فمن التجار مثلاً من يعمل في تجارته الأعمال الصالحة فيؤدى به ذلك

إلى النجاح والتركز ، والأعمال الصالحة في دائرة التجارة كل ما يركزها ويثبتها ويحمل الجمهور على تقدير صاحبها والثقة به ، فالتاجر الذى يدرس مكان تجارته ونوعها وما يحتاج إليه الناس ، والذى يعرف كيف يعامل الجمهور ، وكيف يغرس في نفوسهم الثقة به ، وغير ذلك لا بد أن يفلح ولا بد أن يعيش في ظل تجارته ، عيشة طيبة ، لأنه عمل صالحا فليس المراد أنه يفتح تجارة كيفما اتفق ،

ويديرها كيفما اتفق ، ويشترى ما يشتري ويبيع ما يبيع كيفما اتفق ، وهو يعتقد أنه بذلك قد أخذ في الأسباب واعتمد على الله ، ويكفيه أن يعمل صالحا أى يصلى الصلوات المفروضة ، ويؤدى الصدقات ويصوم شهره لمخ فحسب ، فهذا من غير شك بعض ما يصلحه ويستقيم به شأنه ، ولكنه ليس كل شيء في تجارته ، بل إننا لنجد الأجني الذى لا يعرف العبادة ، ولا يدين بالصلاة ولا بالصوم ولكنه يعرف كيف يحسن إدارة عمله ، وكيف يدرس تجارته والحى الذى يعيش فيه ، ووسائل الإعلان

ويجب أن يسيروا في أعمالهم على مقتضاه وأساسه ، ويجب ألا يغفروا بمجرد الانتساب إلى الإسلام ، فإن الأرض لله يرثها من يشاء ، ولكن من عباده الصالحين ، أى الذين يصلحون .

٦ - من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون .

٩٧ / النحل

وهذه الآية الكريمة بقدر ما فيها من إجمال وتركيز في المنهاج الذى يرشد القرآن الكريم إليه ، فيها استيعاب عجيب لجميع أركان هذه السنة الإلهية التى لا تتحول . فمن ذلك أنها :

أولاً : أنت بجملة شرطية هى قوله تعالى « من عمل صالحا ، ولفظ « من » يفيد العموم والاستغراق لجميع أفراد العقلاء ، أى لجميع المكلفين المسؤولين في الحياة و « صالحا » في قوله « من عمل صالحا ، جىء به منكرأ ليشمل أى صالح يعمل ، وإذن فأساس هذه القضية وموضوعها هو عمل الصالحات من أى عامل ، لا امتياز في ذلك لعامل على آخر ، ولا اختصاص لنوع من الأعمال الصالحات على غيره ، وهذا نطاق واسع يدخل فيه كل الناس ، ويتسع لجميع الأعمال النافعة .

ولا مراña ، عندئذ لابد أن يوصله هذا العمل إلى الحياة الطيبة ، وإلى الفوز بالجزاء الحسن ، وإننا لنشاهد بأعيننا في جميع وجوه العمل فرقا بين صاحب العزيمة الصادقة ، والإيمان الخالص ، وذى الشك المتردد الذى يصانع فى عمله ، ويداجى به فالأول يثمر ويجود ويعرفه الناس بالقوة والأمانة والصدق والتجديد ، فيعلو شأنه ، وينبه فى الناس ذكره ، وينجح النجاح الكامل فى عمله ، فيعيش عيش السعداء الأعزاء ، والآخر لا يثمر إلا ثمرات ضئيلة علية ، وتخرج الأعمال من بين يديه غير متقنة ولا جيدة ، ويعرفه الناس بذلك فينفضون عنه ، ويتحاشونه ويحرمونه ثقتهم فتذيع عنه قالة السوء فيهجر فيبور عمله ، ويكسد فلا يلبث أن يحيط به الشقاء والذل وأن يعيش عيشة الضنك ضئيلا لا اعتداد به ، ولا قيمة له .

إن السر فى هذا وذاك هو إيمان العامل بما يعمل أو فقدانه هذا الإيمان .

ولست بهذا التفسير أننى الإيمان بالعقيدة الدينية أولوازمها فلا أجعل لذلك دخلا فى عمل العاملين ، كلا فإن ذلك أول ركن ، وأعظم أساس ، ولكنى أقول : إن هذا وحده لا يكفى وإنه يجب أن ينضم إليه ما لا بد منه فى صلاح الأعمال ، ونجاح المساعى وقد يؤخر الله تعالى حساب المفرطين فى العقائد والأعمال الدينية

واكتساب الثقة ... إلخ نجد هذا الأجنبى ينجح ويتفوق ويكتسح ، وما ذلك إلا لأنه أعطى عمله ما يجب أن يعطيه إياه ، فهو من الذين يعملون الصالحات فى خصوص نشاطه وسعيه ، فلا بد أن تنطبق عليه سنة الله فى العاملين .

ثانيا : تعمم الآية تعميا آخر فتقول « من ذكر وأثنى ، وفى هذا تكريم للإنسان واعتداد بنوعيه ، وإشعار بأن المرأة عضو عامل كأخيها الرجل ، وهى مطالبة بأن تعمل صالحا كما أن الرجل مطالب بذلك ، وهى مطالبة بأن تستهدف بالعمل الصالح الحياة الطيبة العزيزة الكريمة كأخيها الرجل ، وهى موعودة بالجزاء الحسن كما أن الرجل موعود به .

ثالثا : نرى الآية بعد هذا التعميم فى العمل وفى العاملين والعاملات تشترط شرطا فى قبول العمل وترتب الآثار المرجوة منه وحصول الفوز فى الآخرة به ، ذلك هو قوله تعالى « وهو مؤمن » .

وليس الإيمان مجرد الإيمان بالله ، أو بالقضايا الدينية العقيدية ، وإنما يراد مع ذلك الإيمان بالعمل الذى يعمل المرء ، على معنى أن يكون مطمئنا إليه واثقا من أنه صلاح وخير ، وذلك ليعمله مخلصا فيه صادقا لا متظاهرا ولا مسخرا ولا محاربا لغيره

لون ولون ، ولا بين ذكر وأثى ولا بين فقير وغنى ولا بين ضعيف وقوى ... إلخ .

ولكنها تتفاوت ويتفاوت الناس فيها باعتبار السعى والعلم والتقوى ، فالناس فى ذلك مراتب .

٢ - والعزة نوعان : حقيقية دائمة . وهى لا تكون إلا للدؤمن لأنها عزة بالله ، ومن الله ، وعزة مصطنعة غير باقية ولا ثابتة الأسس وهى العزة بالإثم أو بالكفر أو بالجهل ، من كل ما لا مرجع له إلى الله .

٥ - وأن عزة الإيمان والمؤمنين ، هبة من الله ، ولكن لا على معنى أنها غير مرتبطة بسنته فى كونه وفى خلقه ، ولكن على معنى أن المؤمنين هم الذين يسلكون فى الحياة السلوك المؤدى إليها ، وأن مجرد ادعاء الإيمان أو الإسلام دون التماس سبيل العزة الصحيحة والحياة الطيبة ، غير مجد وليس من شأنه أن ينظر إليه .

تلك أركان خمسة للكرامة والعزة فى القرآن الكريم : « إن هذا القرآن يهذى للقى أقوم ، » « والله يقول الحق وهو يهذى السبيل ، » والحمد لله الذى بنعمته تم الصالحات .

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

ليجأزهم على ذلك فى الآخرة ، ولكنه لا يضيع أبداً فى الدنيا عمل عامل من ذكر أو أثى ، فللدينا نواميسها وسنتها ، وهى نواميس ثابتة لا يغيرها الله ولا يحولها .

على أن قوله تعالى « وهو مؤمن » ، إنما هو شرط فى إيفاء العامل المصلح جزاءه فى الدنيا والآخرة جميعاً ، فهو لا يجتمع له النجاح فى الدنيا والفوز بدرجات الآخرة إلا إذا كان مؤمناً إيماناً صحيحاً بما كلفه الله أن يؤمن به ، ولكسنا إنما ننظر إلى آثار الإيمان فى إفتان الأعمال وفى تأثير ذلك بالنسبة للحياة الطيبة والمعيشة الكريمة فى الدنيا .

الخاتمة :

يتبين مما ذكرناه فى هذا البحث أن القرآن الكريم يثبت ما يأتى :

١ - أن لبنى آدم كرامة .

٢ - وأن هذه الكرامة هبة إلهية لا يجوز لمخلوق أن يحرمه إياها ولا أن يمتنها أو يهدرها .

٣ - وأن هذه الكرامة لا تفاوت فيها باعتبار أصلها ، فالناس جميعاً متساوون فى ذلك لا فرق بين جنس وجنس ولا بين

الدِّينُ وَالْقَوْمِيَّةُ فِي أُفْرِيقِيَا الْجَدِيدَةِ

للأستاذ محمود الشقاوي

— ١ —

سابقاً) . ومن قبل ذلك استقلت غانا وغينيا وسيلبيلج عدد الدول الإفريقية التي تنال استقلالها قبل نهاية هذا العام عشرين دولة يسكنها مائة مليون إفريقي سيكون لهم ولدولهم صوت مسموع في المنظمات الدولية .

ولكى ندرك الأثر الذي يحدثه هذا البعث الجديد لإفريقيا في عالم الغرب الاستعماري نكتفي بفقرة من حديث مسئول سياسي لكبرى هذه الدول يقول فيها : « إن السنوات العشر القادمة ستكون السنوات الإفريقيات إن زيادة عشرين عضواً إفريقيا جديداً في الأمم المتحدة في السنوات القادمة ستخلق جواً من عدم التوازن في المنظمة الدولية ، ومعنى هذا الكلام واضح .

وقد نالت هذه الدول الإفريقية استقلالها بالكفاح والدم . والدول التي توشك أن تناله . بذلت وتبذل مثل ذلك . ولكن المحافظة على هذا الاستقلال وصيانتها ستحتاج إلى مثل ذلك أيضاً ، بل لا أكثر منه . فقد

إفريقيا الجديدة هي تلك التي يخرج أهلها الآن من العبودية إلى الحرية ، من الاستعمار إلى الاستقلال ، من التبعية الدليلة والاستغلال - الذي فرضهما عليها الاستعمار الغربي - إلى إبراز الشخصية وتبليتها والانفراد أو المشاركة العادلة ، في ثروة البلاد العظيمة وخيراتها وإمكاناتها .

إفريقيا الجديدة هي التي تخرج الآن من الجهل إلى العلم ، من الظلمات إلى النور . ولكي ندرك قيمة هذا البعث الجديد لإفريقيا نذكر أن أربعاً من دولها نالت استقلالها في أسبوع واحد من شهر يونيو الماضي . وأن سكان هذه الدول التي استقلت يبلغون عشرين مليوناً من الناس ، وأن مساحة هذه الدول الأربع تبلغ نصف مساحة الولايات المتحدة الأمريكية .

استقلت من دول إفريقيا في أسابيع قليلة دول : الصومال ، اتحاد مالى ، توجو ، الكيرون ، الكونغو ، مايجاس (مدغشقر

عدد الأحرار فيها) . فإذا رأينا بعد ذلك الرئيس الجديد لوزراء الكونغو المستقلة : « لو مومبا » ، يذكر في مواجهة ضيفه ملك بلجيكا : « بودوان » ، الذى قدم خصيصا لشهود حفلات استقلال الكونغو ، إذا رأينا الرئيس الجديد يذكر قسوة المستعمرين وشذوذهم أمام ملك بلجيكا . فلن نجد فى ذلك شيئا من العجب بعد الذى لقيته إفريقيا من ظلمهم وقسوتهم .

— ٢ —

قبل سنوات كنت أضع بحثاً عن رحلة ابن بطوطة فى السودان ، فوجدته يذكر بلاداً ومناطق لا تعرف الآن فى جغرافية تلك البلاد .

ومن البلاد التى عانى وأتعبنى معرفتها إقليم « مالى » ، وقد بقيت أجهل مكانه حتى حصلت « غانا الفرنسية » و « السنغال الفرنسى » ، على استقلالهما وعرفنا باسم دولة جديدة هى : « اتحاد مالى » . وكذلك سعى المستعمرون الأوروبيون بلداً إفريقياً باسم : « ساحل الذهب » ، فلما استقل سكانه عادوا به إلى اسمه القديم : « غانا » . وفى ذلك عبرتان ، فهما تهديد لما نريد أن نسوق من القول عن « الدين والقومية فى إفريقيا الجديدة » : العبرة الأولى أن المستعمر الأوربي كان ينظر إلى إفريقيا نظره إلى سلب أو مغنم ، لا يرى فيه سوى

ترك الاستعمار هذه الدول على حال بالغة من الشذوذ والنقص والحرمان من مقومات الدولة ، بل من مقومات الحياة الإنسانية نفسها . ولنجعل من « الكونغو » مثلاً لذلك : فهذه « مستعمرة » حكمتها بلجيكا حكماً استبدادياً بالغ الشدة زهاء نصف قرن ، لم تكن لها فيها غاية ، ولا نشاط ، سوى استغلال خيراتها العظيمة ومواردها الطبيعية الضخمة . ومع أن سكان الكونغو يبلغون أكثر من ثلاثة عشر مليوناً فإن عدد المتعلمين منهم لا يتجاوز العشرات . . . ويتكون سكان الكونغو من مائة قبيلة أو أكثر ، وتختلف كل واحدة منها عن الأخرى فى عاداتها وتقاليدها و « ثقافتها » . ولم يحاول المستعمرون التقريب بينها ، بل لعلمهم فعلاً عكس ذلك . كما تفصح عنه الحركات المريبة التى تقوم فى إقليم « كاتانجا » ، والدعوة لفصله عن الكونغو . وليس غريباً أن يفعل المستعمرون ذلك فى بلد إفريقي . فقد وجدت فى إحصاء عن الرق فى إفريقيا فى القرن التاسع عشر أن : (ما نقل من العبيد ليباع فى أوروبا وأمريكا قارب عدده مائة ألف ، وأن هذا العدد الكبير نقل من بلد إفريقي واحد هو ساحل الذهب وفى سنة واحدة هى سنة ١٨٢٢ وأن السفن الانجليزية وحدها حملت من هذا العدد ستين ألفاً . وأن عدد العبيد فى إفريقيا يبلغ ضعف

الأثر في تكييف الخطة لتحقيق الغايات وتحديد الواجبات .

من الحقائق التي يجب أن ندركها لمعرفة تلك الأوضاع أن بعثات خاصة ظلت تعمل زمنا طويلا في الكونغو ، مثلا ، حتى اعتنق الكاثوليكية ثلاثة ملايين من سكانه . وأنه ، من بين سبعين ألفا من الأوربيين يعيشون فيه ، يوجد عشرة آلاف من رجال هذه البعثات ، يحتكرون - بمقتضى القانون الذى وضعه المستعمرون - كل إشراف على التعليم ، وقد خرجوا مئات من رجال الدين الوطنيين ونصبوا منهم أسقفاً ، ولكنهم لم يخرجوا - على طول عهدهم بالإشراف على « التعليم » ، طبيباً واحداً ، ولا مهندساً واحداً ، ولا محامياً واحداً ... !

والدين عند هؤلاء قرين الاستعمار وخدينه وحليفه .

ومن الحقائق التي يجب أن ندركها لمعرفة الأطماع التي يحاول أصحابها أن يحققوها لأنفسهم في هذه الدول أن إسرائيل كانت على وشك الاشتراك في حفلات الاستقلال التي أقيمت في الصومال ، لولا أن رجاله حرصوا على مودة البلاد العربية والإسلامية وراعوا مصلحة وطنهم الجديد ، فأعلن السيد عبد الله عيسى رئيس وزراء الصومال الإيطالى سحب دعوة إسرائيل .

وجهه المادى . فالبلاد التي فيها معدن الذهب يسميها : « ساحل الذهب » ، والبلاد التي يوجد فيها العاج يسميها : « ساحل العاج » . وهو بذلك يمحو عن تلك البلاد الاسم القديم الذى كانت تعرف به ، ليقطع - عمداً - صلتها بماضيها وتاريخها .

والعبرة الثانية أن سكان تلك البلاد لم ينسوا - رغم ذلك - ماضيهم وتاريخهم . فأعادوا أسماء بلادهم القديمة إليها بمجرد حصولهم على الاستقلال . فعدنا نعرف بلاد : « مالى » و « غانا » ونفهم المثلث العربى القديم الذى يقول : « من غانا إلى فرغانا » وندرك بذلك الصلة الوثيقة العريقة التي تربط بيننا ، نحن العرب ، وبين تلك البلاد ، كما تربط بين بعضها وبعض . وهى صلة تحدد لنا غايات كما تلزمنا بواجبات .

إدراك هذه الروابط والأواصر ، والإفادة منها بحكمة وكياسة هو الذى يحدد غاياتنا لخير هذه البلاد وخير المجموعة الإفريقية ، كما يحدد واجباتنا حيالها .

وإدراك الأوضاع التي تسود الدول التي استقلت وتستقل حديثا في إفريقيا ، والأطماع التي يحاول أصحابها أن يحققوها لأنفسهم في هذه الدول ، إدراك هذه الأوضاع والأطماع عامل آخر هام يحدد غاياتنا وواجباتنا ، ولا بد أن يكون ملحوظ

وأما التعليم والثقافة فالشأن فيهما يختلف في بعض هذه الدول الإفريقية الجديدة عن بعضها الآخر، ولكن أمراً واحداً يجمع بينهما كلها، مختلفة ومجتمعة. هذا الأمر الواحد هو ارتباط التعليم والثقافة بالدين. تختلف الصومال، واتحاد مالي بأن غالبية السكان فيهما من المسلمين، وهذا الوضع يميز لنا - أو يجب أن يميز - لون الثقافة والتعليم الذي نستطيع عن طريقه أن نحقق الغايات لخير هذه البلاد وخيرنا أيضاً، وأن نحدد الواجبات حيالها وحيال مستقبلها ومستقبل إفريقيا.

اجتمع في الصومال في شهر يونيو الماضي مؤتمر لمناسبة إعلان استقلال البلاد، وحضر المؤتمر نحو عشرين ألفاً من رجال القبائل ومعظم رؤسائها وأصدر المؤتمر عدة قرارات: منها أن يقوم الدستور الجديد للجمهورية الصومال على أساس الدين الإسلامي، وأن يعين وزير للشئون الدينية. والإبقاء على الحزب الديني: «وحزب الله» مع وجوب تأييده للجمهورية.

وقبل ذلك قامت في الصومال مناقشات طويلة أدلى فيها المستعمرون بدلوهم حول اختيار لغة رسمية للبلاد، ثم جهرت الأغلبية برأيها في أن تكون العربية هي اللغة الرسمية، رغم ما حاوله الاستعمار من إحباط ذلك.

ومن هذه الحقائق التي يجب إدراكها لمعرفة الاطماع أن ليفي أشكول، وزير مالية إسرائيل، سافر إلى غانا للاجتماع برئيس جمهوريتها ومباحثة وزيرها اليها. وأنه - أي وزير مالية إسرائيل - سافر بعد ذلك إلى «لاجوس» في نيجيريا، ثم إلى «اتحاد مالي» ومنها إلى ليبيريا وساحل العاج، وأن إسرائيل أعارت غانا خبيراً في الزراعة - إسرائيلياً - لتنمية ثروتها الزراعية مدة سنتين. وقد نشرت الصحف العربية ذلك كله.

ثم تنتقل من الأوضاع والاطماع إلى ذكر شيء من الوسائل التي يجب إدراكها والتبصرة بها ونحن نرسم لأنفسنا - في الجمهورية العربية المتحدة - السبيل لتحقيق غاياتنا لخير هذه الدول الجديدة في إفريقيا، وتحديد واجباتنا حيالها. التعليم، الثقافة، والمشاركة في تعمير هذه البلاد الجديدة: هذه هي الوسائل التي نريد التبصرة بها في رسم السبيل للغايات والواجبات.

أما المشاركة في تعمير البلاد فنحن نتركها لأهل الاختصاص الذين يعرفون - أو يجب أن يعرفوا - ما تحتاجه تلك البلاد معرفة وثيقة شاملة في نوعه وفي كنهه. ونحن نقرأ عن جهود ووعود تعمل وتبذل في هذا السبيل وفي استعداد جمهوريتنا العربية للبذل في هذه المشاركة بذلا كريما مخلصاً.

ويدعوهم لأن يقفوا جميعاً صفاً واحداً بين يدي خالق البشر .

لنتأمل هذا وأثره بين سكان هذه البلاد الجديدة المتطلعة إلى الحرية ، الاجتماعية و الحرية ، الفردية والمساواة . ثم لننظر بعد ذلك في صورة مقابلة : فقد قرأت من قبل تقارير تتضمن نشاط بعض الهيئات في إفريقيا . ومع أن النشاط قائم على الدعوة المسيحية ، التي لا تفرق بين الناس أيضاً ، فإن رجال هذه الدعوة يحرصون كل الحرص ، على تمكين فروق اللون في هذه القارة و يلقنون من يدخل المسيحية من الإفريقية ، أن الأبيض أفضل من الأسود ، و يزعمون لهم أنه في الحياة الآخرة ستقوم جنتان ، جنة للببيض وأخرى للونين . ! وأن هذه التفرقة أو سيادة الأبيض على غيره ، هي إرادة الله ، ولا بد من التسليم بها . وهذه الدعوة طبيعية من هؤلاء القوم ؛ لأن الهدف الأول لنشاطهم ودعوتهم هو الاستعمار . ولا يمكن أن يستقيم القول بالمساواة ، مع الاستعمار .

فدعوة الإسلام إلى المساواة الحق لا بد أن تقضى على دعوة الاستعمار هذه . وقريباً من ذلك الوقت اجتمع مؤتمر إسلامي في نيروبي ، دعى إليه مسئول من الجمهورية العربية المتحدة ، وأعلن يوم ذاك أن عقد هذا المؤتمر هو امتداد لموجة اليقظة إلى الشاطئ الشرقي لإفريقيا ،

هذه بعض الملامح ، التي تبين لنا كيف يتكون المجتمع الجديد في الدولة الجديدة ، وأعتقد أن هذه الملامح أو ما يشبهها ستظهر في يوم قريب في الدولة الأخرى التي يتكون أكثر سكانها من المسلمين : وهي اتحاد مالى . في البلاد الأخرى الجديدة من إفريقيا مسلمون تختلف نسبتهم فيها إلى نسبة أهل الأديان الأخرى . وهناك حقيقة لا ينكرها أحد ، هي أن الإسلام ينتشر بين سكان هذه البلاد انتشاراً كبيراً قائماً على قوته الذاتية أكثر مما هو قائم على السعي والنشاط والدعوة .

في الإسلام حقيقة كبرى تفيد أعظم الفائدة في تحقيق الغايات وتحديد الواجبات ، كما هي سبب من أكبر الأسباب لذيوعه بين سكان تلك البلاد وإقبالهم عليه ، هذه الحقيقة هي أنه دين يقوم على المساواة ، وعدم التمييز أو التفاضل ، أو التفرقة بين الناس بسبب اللون ، أو الجنس ، أو الأصل ، أو النسب ، أو المال ، أو المنزلة . دين يتعجب الملونون عندما يعرفون أن ابن لونهم بلالا الأسود ، كان من صحابة صاحب النبوة فيه والدعوة له ، ومن أحب الناس إليه وإلى صحابته من أشراف قريش وساداتها ، ومن أقربهم إليه ، عليه السلام ، وآثرهم عنده . وأن بلالا هذا - الأسود - هو الذي كان يؤذن فيهم للصلاة ،

على شرط أن ترسم لها الحدود والآباد . وأن تحدد لها الوسائل ، بحيث تختلط بكثير من البدع والخرافات ... ! بل إن ذلك قد ينفع النفوذ الأوربي ويمكن له . هذا ملخص مقال جريدة التيمس . والنفوذ الأوربي ومصالح الأوربيين كما نعلم ، تعبيرات مختلفة عن حقيقة واحدة هي : الاستعمار .

وسواء اتخذ الأوربيون الطريق الأول ، طريق الصد ، والمنع . أم سلكوا طريق المرونة والكياسة ، فتركوا دعوة الإسلام تزحف زحفها إلى إفريقيا مشوبة بالخرافات - وهذا في رأي أشد ضررا بالإسلام وإفريقيا وبنا - أي الطرفين سلك الاستعمار الأوربي . فإن واجبنا يتضاعف ، وتزيده الضرورة إلحاحا ووجوبا .

تتجه شعوب إفريقيا ودولها التي استقلت حديثا : والتي ستحصل على استقلالها . تتجه شعوب إفريقيا ودولها هذه إلينا لنكون لها أعوانا في كفاح الاستعمار ، وفي نيل استقلالها وفي تثبيته بعد الحصول عليه ، وفي تقويم حياتها ، وستجد بلادنا بعد قليل ، أن احتمالات كثيرة بعيدة المدى تلوح لها ، وبقدر ما يزيد الوعي القومي لشعوب إفريقيا وتلتب عواطف أهلها رغبة في الاستقلال ، وحرصا على نواله ومحافظة عليه ، بقدر ما تزيد تبعات وطننا نحو هذه الشعوب . وتتسع احتمالات المستقبل

وأن المسلمين في كينيا ، وأوغندا ، وتنجانيقا ، وزنجبار ، يرون الضرورة ملحة لتنظيم أنفسهم . ليستركوا كهيئة متحدة في تطور هذه الأقاليم .

— ٤ —

فيما يتعلق بالوضع في هذا البعض من الدول الإفريقية الجديدة : وهو الذي ليس فيه أغلبية إسلامية . فيما يتعلق بالوضع في هذه الدول - وقد ذكرنا انتشار دعوة الإسلام فيها انتشارا ذاتيا - نجد أمرا آخر جديرا بأعظم قسط من الاهتمام .

فقد نشرت جريدة التيمس - ونحن نعرف منزلتها بين صحف العالم - نشرت التيمس مقالا تبدى فيه عجبها وقلقها أيضا ، من انتشار دعوة الإسلام في إفريقيا . رغم ضعف ، بل وفقدان ، الوسائل إليها وتقول : إن كثيرين من المفكرين ، يعتقدون أن انتشار الإسلام مرتبط بالبيئة الصحراوية ، ولـكننا نراه الآن يزحف إلى سهول إفريقيا وأحراشها وغاباتها . ونحن - أي الأوربيون - أمام هذه الدعوة ، لم نحدد موقفنا تحديدا نهائيا : فبعضنا يرى أنه لا بد من وقف هذا الزحف ؛ لأن في نجاحه قضاء على نفوذ الأوربيين ومصالحهم في إفريقيا . وبعض آخر - وهم أقرب إلى العقل والكياسة والمرونة - يرى أنه لا ضرر من هذه الدعوة وتغلغلها في القارة ،

أمامنا في هذه القارة ، التي نحس الآن بأننا نحمل الواجب الأول نحو بلوغها ما تريد من الحرية ؛ لأننا رأينا هذه القارة ، وأسبق شعوبها في ميدان الثقافة ، والقوة ، والإمكانات .

وهذه كلها - كما قلنا - أوضاع توجب علينا

تبعات ، وتحملنا مسؤوليات ، وواجبات علينا أن نتهياً لها ونعرف أمثل السبل لتحقيقها والوصول إليها .

السبيل - أو أوضح السبل - لذلك ندركه من حديث مسئول في جمهوريتنا العربية عاد من الحج هذا العام فقال من حديث له :

« إن شعوري بعد عودتي أن الإسلام جولة أخرى في معركة الحرية العالمية .

وأن كتائب حجاج إفريقيا ، التي زحفت إلى بيت الله الحرام ماشية على الأقدام ، تمثل طلائع هذا النصر . بل إنها تمثل العرب في مستهل فجر الإسلام .

إن طريقنا الرئيسي أصبح واضح المعالم . وعلينا أن نبعث إليهم بكتاب الله الكريم في أيسر تفسير ، يحمل شحنات من القوى الروحية المباركة التي تدفع عزائم هؤلاء العمالقة الذين يفد منهم على الحجاز سنويا ٢٠ ألف حاج من نيجيريا وحدها .

سبلنا للقيام بهذا الواجب نحو شعوب إفريقيا ودولها الجديدة هو التعليم والثقافة . والتعليم والثقافة في هذا المجال خاصة أمران مقترنان بعقيدة الإسلام .

ولأسباب كثيرة مختلفة ، يقترن الإسلام وتقترن دعوته وثقافته ، بالأزهر .

فإذا ذكرت هذه الدعوة وهذه الثقافة ، ذكر الأزهر . ولالأزهر في هذا السبيل ، جهد ، ويمكن أن تكون له جهود .

محمود الشرفاوى

سكرتير التحرير

القومية

قال المهاتما غاندى :

إنما أعنى بالقومية ، أو فكرة القومية : أن تصبح بلادى مستقلة ذات سيادة وكرامة ، وتتفانى بأخسر أفرادها لأجل البشرية وإبقائها ، إذا دعت الحاجة الى مثل ذلك . فهذه هي القومية التي نتمناها .

الامام عبد المجيد سليم

بقية السلف الصالح في القرن العشرين

بمناسبة ذكره السارسة

للأستاذ محمد وجب البيومي

الحق دائم الإشعاع ، فهو ينتقل من العصور
الغابرة إلى العهود الحاضرة دون أن يطفأ له
ضياء ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ١١ .
ولو أردت أن ترجع جميع مواقف الشيخ
إلى سبب واحد ، تركز عليه أفعاله ،
وتصدر عنه : أقواله فهو مفتاح شخصيته التي
تدرك به أسرارها الكامنة ومواهبها
المدخرة ، لوجدت هذا السبب ينحصر في
شيء واحد لا لبس به ولا غموض ! إنه
الثقة بالله وحده تسيطر على نفسه ، فيكون
دونه كل جليل يكبره الناس ١١ .

لقد وثق بالله حين أقبل على العلم إقبالا
مخلصا ، فنهض ذات نفسه ، وتفرغ عن رغبة
أكيدة لاقتناص شوارده ، واكتناه
غوامضه ، ولم يقبل في عهد التلذذ أن
يفتصر على علوم الأزهر وحدها ، بل جمع

اكتمل لإمام أهل السنة المغفور له
الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم (١) من
جلال العلم وعظمة الحق وقوة الإيمان ما لم
يكتمل لسواه من النظراء والأمثال ، فقد
كان رضى الله عنه من أخلاقه المثالية في هيبة
منيعه ، يصغر دونها أعظم الرؤساء من ملوك
ووزراء ! فلا يحاولون أن يصارحوه
بما لا يرضى المؤمن المتحرز ، والعالم
العيوف ، وقد جاءت سيرته الطاهرة كتابا
مفصلا للرجولة العالية ، يقرؤه الناس
فيجدون المثل الأعلى قد تجسم واقعا ملموسا ،
في أعمال الرجل وأقواله ، وإذا كان من
السلف الصالح من شابه الشيخ في إباته
وترفعه ، فإن معاصرتنا الشاهدة لحقيقته
المؤمنة في القرن العشرين تؤكد لنا أن مصباح

(١) انتقل إلى رحمة الله في ١٠ صفر سنة ١٣٧٤ هـ

الرسالة عن منهج أستاذه في الفتوى ومنهجه الخاص الذي يحتذيه فقال نقلا عن العدد الممتاز (٤٤٩) .

« إن الناحية التي تجلت فيها مواهب الأستاذ الإمام : هي إدراكه الصحيح لمعاني القرآن الكريم ، وفهمه الدقيق لأغراضه ، وتذوقه لأسلوبه ومعجز بيانه ، مع بصر عظيم بأحوال الناس وعبر التاريخ ، وأسرار تقدم الأمم والشعوب . يوازر ذلك قلب جرىء ، وعقل متصرف وكان يعتمد في فتاواه على إدراك روح الشريعة ، وتبين أغراضها العامة ، لا على مناقشة المذاهب ، وترجيح آراء الفقهاء ، ولذلك تأتي فتاواه غالباً مختصرة ، وقد تثير خلافا بين أهل العلم ، ومن أمثلة ذلك أنه أفتى فتواه المشهورة بجواز لبس البرنيطة ، فقامت من أجلها ضجة هائلة ، فلما أردت أن أفتى في الموضوع ، انتفعت بموضع العبرة فيه ، فأخرجت فتاوى التي تجيز ذلك إخراجاً فقهياً مؤيداً بأقوال العلماء ، جارياً على طريقتهم في الاستدلال والترجيح ، فلم يستطع أحد أن يشغب علي . »

وإذا كان الأستاذ الإمام لم يتقيد بمذهب معين في فتواه ، فإن خليفته الأستاذ عبد المجيد قد ورث عنه هذه السعة الفسيحة في قبول الآراء المختلفة ما دامت مؤيدة بالدليل ، فأنهى باللائمة على من يعتصمون بقول خاص

إليها المنطق والفلسفة ، حتى عرف بين زملائه بابن سينا ، وقد اختار من أسانذته في حلقات الأزهر من آنس فيه البراعة والاستيعاب ، فهو يحضر دروس الأستاذ الإمام محمد عبده في الرواق العباسي لمدة خمس سنوات فيدرس عليه كتب عبد القاهر في البلاغة حيناً وتفسير كتاب الله حيناً آخر ، وهو يتلقى شروح المنطق والفلسفة عن أستاذه الشيخ حسن الطويل فيلم بأفانين من الجدل والقياس لم تكن مألوفاً للدان من الطلاب ، ثم هو يجد في أستاذه الشيخ أحمد أنى خطوة مورداً دافقاً في الفقه الإسلامي فيأخذ عنه التبحر في المسائل الفرعية ، والتعمق في الفتاوى الفقهية ، ويشهد له بالاطلاع الشامل ، والصبر الطويل ، بل إنه يقارن غير مرة بين أى خطوة والأستاذ الإمام ، فيجد الأول أكثر إلماً بمسائل الفقه وأدلة الأحكام ، غير أن الإمام في رأى الشيخ يمتاز بسعة الأفق وسلامة التعليل وامتداد الصيت !! هذا إلى بيان مشرق يجذب إليه الناس ، فيصبح أقدر العلماء على الإفادة والتوجيه .

وقد شاء القدر أن يكون الأستاذ خليفة الإمام في الإفتاء ، فعالج في فتاواه الكشيرة معضلات العصر وقضايا المدنية الحديثة كما عالجها الإمام في فقه بصير ، وفهم مستنير ، وقد تحدث رحمه الله في بعض أعداد مجلة

من خمس عشرة ألف فتوى في مجلد خاص ،
 يكون مرجعاً متداولاً بين الفقهاء والدارسين
 وتلك رغبة ملحة طالب بها الكثيرون ،
 ولعلها تجد طريق التنفيذ ؛ ليلبس الباحثون
 أمامهم رأى الإسلام الصحيح في مشكلات
 العصر ومعضلات المدنية والحضارة مؤيداً
 بالقياس والدليل ، وقد اعترف أساطين الفقه
 وأساتذة القانون بما لآراء الشيخ من قوة
 وسداد ، فقد كان مرجع الأفاضل والأعلام
 من ذوى التشريع يسألون فيجيب ، ويترددون
 فيجزم ، : حتى إن اللجنة التى ألفت للأحوال
 الشخصية في وزارة العدل برئاسة الأستاذ
 الأكبر محمد مصطفى المراغى ، وعضوية شيوخ
 المذاهب بالأزهر وأساتذة الشريعة بالحقوق
 ورئيس المحكمة الشرعية العليا ووكيل وزارتي
 العدل والمعارف !! هذه اللجنة الممتازة كانت
 تعتمد اعتماداً كلياً على جهود الأستاذ وبحوثه !
 وقد كتب رئيس محكمة الاستئناف الأسبق
 الأستاذ محمد محمود يعلن ذلك بجريدة الأهرام
 عقب وفاة الشيخ فيقول من كلمة مخلصة
 في الرثاء .

« وقد كان المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم
 في هذه اللجنة النجم اللامع والحركة الدائمة ،
 إذ كانت تعرض الموضوعات والمسائل على
 اللجنة ، بعد سبق بحثها وفحصها ، وعند ذلك
 يأخذ الراحل الكريم الكلمة ، فيتولى شرح

لا يحدون عنه . بل إن أثره كان قوياً ملموساً
 في جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية .
 وهى التى تنص المادة الثانية من قانونها على
 « العمل على جمع أرباب المذاهب الدينية .
 الذين باعدت بينهم آراء لا تمس العقائد التى
 يجب الإيمان بها . مع السعى إلى إزالة ما
 يكون من نزاع بين شعبتين أو طائفتين من
 المسلمين ، والتوفيق بينهما » . فقد كان رضى
 الله عنه وكيل الجماعة فأكسبها جلالاً ومقاماً .
 وجذب إليها الصفوة من أتباعه ومريديه .
 وقد تحدث في أول عدد من مجلاتها : « رسالة
 الإسلام » فقال :

« ولقد أدركنّا فى الأزهر على أيام طلبنا
 للعلم عهد الانقسام والتعصب للمذاهب ،
 ولكن الله أراد أن نحيا حتى نشهد زوال
 هذا العهد ، وتطهر الأزهر من أوبائه
 وأوضاره ، فأصبحنا نرى من العلماء من
 يخالف مذهبه الذى درج عليه فى أحكامه ؛
 لقيام الدليل عنده على خلافه ، وقد جريت -
 طول مدة إقامتى بالإفتاء فى الحكومة والأزهر
 وهى أكثر من عشرين عاماً - على تلقى المذاهب
 الإسلامية ولو من غير الأربعة المشهورة
 بالقبول ، مادام دليلها عندى واضحاً ،
 وبرهانها لدى راجحاً . »

ولا نجد خدمة توجه إلى الفقه الإسلامى
 أجل من جمع فتاوى الشيخ وقد بلغت أكثر

فما ضعفوا وما استكانوا لما أصابهم ،
وارتفعت أصواتهم مجلجلة رنانة تنسد
بالطغيان السافر وتدعو إلى الحق الصريح !! .
فقد قدر على الأستاذ أن يعيش في زمن منافق
لثم يسوده استعمار خارجي من أرباب الظلمة ،
وداخل من فساد القصر وتشاحن الحزبية ،
وكان الظن بأبناء الأزهر أن يناوئوا جميعا
ذلك الفساد في شتى وجوهه ، وأن يحاربوا
الطغيان في مختلف صوره ، ولكنهم لم يكتفوا
بالسكوت على الباطل بل خب بعضهم ووضع
في الحزبية المتناحرة ، خبيأ عاد على العلماء
بالنكبة والخذلان ، وعلى الطلاب بالخيبة
والهوان !! ولم يسكت الشيخ كغيره ، بل
جاهر بالدعوة إلى نبذ الحزبية ، وعارض في
صراحة واضحة من يرون مشايعة القصر
ومسايرته ، مهما كان لهم من السطوة والنفوذ ،
ورأى أن واجبه الألزم يفرض عليه أن
يكون ممن يدعون إلى الخير ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ، فأعلن رأيه
في السياسة الطائشة ، وتزعم فئة من ذوى
الاتجاه الصائب والثقافة اللامعة ، والحفاظ
الغيور ، وهى اليوم بفضل الله تسيطر على
الأزهر ، وترسم له طريق التوثب والنهوض ،
فكافح بها البغى ما استطاع !! وقد دفعته
رجولته النادرة أن يعلن رأيه الصريح في
القصر الباغى والحزبية العمياء وهو شيخ

الموضوعات والمسائل ، الواحدة بعد الأخرى ،
مستعرضاً شتى الآراء ، ومختلف الصور
في كل مذهب من المذاهب ، مقررأ حكم
الشرع ، ذاكرأ رأى الأئمة المجتهدين ،
والفقهاء المؤلفين مسيراً روح العصر ،
منتقلاً من فن إلى فن ، وهو في ذلك كله
كالبهر المتدفق ، حتى إذا انتهى من جولته
العلية ، ومحاضراته الفقهية ، قامت اللجنة
بالبحث والتحصيص واستنباط الحكم الملائم
تمهيداً لإعطاءه الصفة النهائية ، !! وإن فقيهاً
علامة تكون له هذه الفتوح التشريعية لجدير
أن تيسر آراؤه للناس ، لتمد القانون الإسلامى
بفيض غزير .

على أنك لو وجدت من رجال الفقه
الإسلامى فى عصرنا الراهن من مائل الشيخ
فى إلمامه التشريعى كالسيد محمد رشيد رضا
والشيخ محمد نجيب المطيعى فلن تجد فى فقهاءنا
المعاصرين من مائله فى قوة الإيمان ، ومجاهدة
الباطل ، والاعتزاز بالله وحده !! وتلك
عجبية الرجل حقاً !! فقد كان حلقة ثمينة فى
سلسلة ذهبية تمتد من لدن سعيد بن المسيب
وسعيد بن جبير ، وتضم فى امتدادها أبا حنيفة
ومالكاً وابن حنبل وأحمد بن نصر وابن
السكيت والعز بن عبد السلام حتى تنتهى
إلى عبد المجيد ! فتجمع نخبة مؤمنة من رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه وأودوا فى سبيله

يدور على قضية غامضة تختلف حولها آراء الباحثين ، وليست مأساة معاصرة يعرفها الكبير والصغير على السواء .

ولم يكن القصر يجهل ما للشيخ من صلابة في الحق ، وإباء للضم ، فقد ذاق فاروق من حملاته السافرة قبل المشيخة وبعدها ما أرق مضجعه وأزعج هدهوه ، وأذكر أن مجلة المصور قد نشرت تحت عنوان مات الشيخ عبد المجيد سليم بتاريخ (١٤ أكتوبر سنة ١٩٥٤ م) مقالا منصفا عن الأستاذ الأكبر فألمت بكثير من مواقفه الرائعة ، وكان مما ذكرته أن الشيخ إذ كان مفتياً للديار المصرية تلقى سؤالاً عن حكم الشرع في رجل يراقص النساء ويشرب الخمر في الحفلات ، ويرتكب أعمالاً يحرمها الإسلام ، وقد أدرك المفتي أن المقصود بهذا السؤال هو فاروق . فقد كانت الجرائد آنشد تتحدث عن حفلات ماجنة تقيمها (شويكار) احتفالاً بمسمرته ، ولكنه لم يتراجع ، بل أصدر فتوى جريئة وصف فيها المسئول عنه وصفاً يشين ويحرج ، ويقول المصور : إن الدوائر الرسمية والسياسية قد اضطربت لهذه الفتوى واتصل الملك السابق بالشيخ المراغي فطلب إليه أن يطلع منذ الآن على كل فتوى يصدرها الشيخ عبد المجيد قبل السماح لها بالذيع !! .

ولم تكد الأيام تمر على تربص حذر من

للأزهر دون أن يحرص على منصب زائل ، أو يخاف مغبة متربصة ، فتمال من حديث طويل نشرته جريدة الأهرام في ذكرى الأستاذ المراغي تحت عنوان « إمام يحيى ذكرى إمام » .

« لقد كنت أنا والشيخ المراغي صديقين حميمين ، كلانا يحب صاحبه ، ويقدر فيه مواهبه ، ولم تكن هذه الصداقة عارضة بل كانت أصيلة ، ولكننا مع ذلك اختلفنا بعد لآى من مشيخته الثانية للأزهر ، وكان خلافنا معروفاً للخاصة والعامة من الأزهريين ، وسببه الجوهرى ميله رحمه الله إلى ناحية السياسة الحزبية ، وشدة نفورى من ذلك فإنى أرى أن الخير كل الخير أن يتجنب العلماء السياسة الحزبية ومتاعها التى تفضى إلى ما لا يحمد من العواقب . »

ومعنى هذا الكلام بصريح العبارة أن الأستاذ المراغي قد دفع بالأزهر إلى تأييد القصر ومعاونة من يرتضيه من رجال الأحزاب وليست تلك مهمة رجل الدين ، فالأجدد به أن ينأى عن مشايعة ذوى المآرب المريضة والأهواء المغرضة من الناس ، وقد هاج القصر وماج لذلك الحديث الجرىء ، وسلط من أذئاب الكستاب من يهاجمون الشيخ على صفحات الجرائد ويزعمون دون استحياء أنه يتجنى على سلفه الراحل !! وكأن الحديث

ثم خرج ساخطا دون استئذان ، ولم يأس
 القصر بعد . فأوفد إليه بعض رجاله يهدده
 بالعاقبة ويقول في صراحة : إن معارضة
 الملك خطر عليك ! فقال الشيخ في إيمان :
 أسيحول هذا الخطر بيني وبين المسجد ؟ !
 فجل رسول القصر ولم يجب ! ! وكان الشيخ
 جريئا حين أعلن نبأ هذه المحادثة بامضائه
 في بيان أصدره للناس ! وهى من الذبوع بحيث
 لا يجملها مصرى واحد عاصر هذه الأحداث .
 أما حملته على استهتار الملك ومجونه ، فقد
 كانت شديدة منكرة ، ففي الوقت الذى تسابق
 فيه الزعماء إلى تمجيد فاروق وتقديسه ، كان
 شيخ الأزهر يصيح صيحته الغاضبة ، تقتير
 هنا وتبذير هناك ، منددا بما ينفقه الملك
 فى كبرى من الكسوز على الخمر والقهار
 والنساء ! ! وكان رجال الحكومة إذ ذاك
 لا يسالمون الشيخ ، لا عراضه الصريح على
 تدخلهم المشكر فى شئون الأزهر ، وتعيينهم
 اثنين من أنصارهم فى مجلسه الأعلى ليقوما
 بتنفيذ رغباتهم الحزبية مهما أجحفت بالعلم
 والعدالة والمساواة ! ! فانهزوا الصيحة
 الغاضبة وطاروا بها إلى فاروق ، فاقبل
 الأستاذ من منصبه ، وقد ثبتت محبته فى القلوب
 وما ضره عزل دنى عن منصب رسمى يسمو
 بالشيخ دون أن يسمو به ، فهو من جلالته
 مكانه فوق المناصب دون استثناء ! !

القصر بالشيخ وآرائه حتى حاول فاروق
 أن يعين المخفور له الأستاذ مصطفى عبدالرازق
 شيخا للأزهر ، وكان القانون الرسمى للشيخ
 لا يسمح بذلك ؛ لأن الأستاذ عبد الرزاق على
 جلالة خلقه ووافر عليه وأدبه ، لم يكن عضوا
 فى جماعة كبار العلماء ، كما أن تعيينه فى هذا
 المنصب الخطير ، يعتبر دفعا جديدا للأزهر
 فى أتون السياسة الحزبية المتصارعة ! ! لأن
 الرجل عضو بارز فى حزب الأحرار
 الدستوريين ، ووزير ممتاز من كبار وزرائه ،
 وله فى السياسة هوى خاص يميل مع قوم
 دون آخرين ؟ فلا بد أن يكون عصره امتدادا
 محتوما لسياسة الأستاذ المراغى فى الانضمام
 إلى القصر وشيعته ! ! لذلك نجد الأستاذ
 عبد المجيد - نضر الله وجهه - يرفض فى عنف
 هذا اليقين ! ! وقد استدعاه النقراشى باشا كما
 ذكرت مجلة المصور وحاول أن يغريه بالمال ،
 إذ كان للشيخ عدة آلاف من الجنيهات بوزارة
 المالية ، مكافأة شخصية على مشيخته للأحناف
 بالأزهر مدة طويلة ، وقد تجمدت تلك
 المرتبات بالوزارة لاعتراضها على أن يجمع
 الشيخ بين مرتبتين فى وقت واحد ! ! فلوح
 له رئيس الوزراء بصرف تلك الألوف المتجمعة
 سريعا إذا وافق على تعيين مصطفى عبدالرازق ،
 فغضب الشيخ فى وجهه غضبة أزججته ، وصاح
 به فى انفعال : أتريد أن تساومنى فى الحق ؟ .

الحرص على أن تكون موارد رزقه طاهرة مطهرة ، حتى فيما ضؤل وهان ! فقد ذكر أستاذى الكبير أحمد حسن الزيات بإحدى أعداد الرسالة أن إدارة الترام قد أهدت إلى فضيلته تصريحين بالركوب فى الدرجتين الأولى والثانية ، أولهما للشيخ وثانيهما لخادمه ، خرم الأستاذ على نفسه أن يستريح شيئاً ما دون مجهود متكافئ وقد تسرع خادمه فاستغل التصريح مرة واحدة ! فغضب الشيخ وركب عربته حتى وصل إلى محطة الترام واشترى تذكرة ثم مزقها دون استعمال ؛ لتؤدى عن الخادم ثمن ما استهلك !! وللباحث النفسى أن يجد فى هذا التصرف المتحرز ما يكشف عن أطواء تلك الروح الطاهرة التى تتجنب الشهوات ، وتحرص على أن تكون مثالا مبررا للسلم الورع الآبى ، ونبراسا وضياا للحقيقة المؤمنة بشئى صفاتها الساحرة من جلال العلم وعظمة الحق وقوة الإيمان ... وبألها من صفات .

محمد رجب البيومى

المدرس بالمصورة الثانوية

تلك دروس مثالية يجب أن تلقن للناشئة من أبناء الإسلام؛ لتكون موضع الأسوة الحسنة والندوة المصطفاة ، وهى فى حاجة ماسة إلى من يتناولها بالدرس والتحليل فى مؤلف مبسوط فهيمات أن يتسع المقال الواحد لغير الرد السريع ! على أنه لا يحيط بكل ما كان ، بل ينتخب من الحوادث المتزاحمة ما يغنى عن سواه ، ولن أغفل هنا موقفه الخالد من الملك فؤاد ، فقد حاول أن يستبدل ببعض ممتلكاته الجديية ، أرضا مخصبة من أملاك الأوقاف ، وتلس الفتوى الميسرة من عبد المجيد فأعلن الأستاذ فى تحمس صادق أن الاستبدال باطل لأنه لا يجوز لغير مصلحة الوقف !! وهى هنا مفقودة ، بل إن الخسارة متحققة ، وقد ملأ رحمه الله فتواه الرائعة بنصوص ثابتة وافية قطعت كل اعتراض ، وتركت طاغية القصر من أطماعه المحرمة فى مأساة نكراء . إن الرجل الآبى الذى يحسقر الآلاف المتجمدة ، فى سبيل مبدئه ، ويضجى بالمنصب الرائع إذا جر إلى ضياع مثله ، ليحرص كل

العصر الذهبي للتصوف الإسلامي للدكتور محمد غلاب

يعتبر القرن الثالث الهجري عصر ازدهار لأشهر المدارس الصوفية إلى حد أن أطلق عليه المستشرقون اسم «العصر الذهبي». وفي الحق أنه بعد أن كانت الحركة التنسكية تتمثل في أفراد منعزلين، أو في مدارس ناشئة تأسست في الكوفة أو في البصرة، أصبحت في ذلك العصر قوة صوفية يحسب حسابها قد اتخذت عاصمة العلم والثقافة مركزاً لها جعلت ترسل منه أشعة فتوحاتها الربانية، وأنوار فيوضها الصمدانية إلى بقية الأصقاع الإسلامية فتضيء ظلماتها، وتبدد حنادسها. كان أعلام الصوفية في تلك الحقبة من مشاهير أهل الحديث، وكانوا يميلون جهودهم في أن يعيدوا الطقوس الدينية الظاهرية والحياة العملية للجماعة إلى المثل العليا التي تركها النبي الجليل والتي كانت مصابيح الأفكار والألباب والسلوك قبل أن تنشأ البدع، وتستقبط الفتن. وكانوا أساتذة لهلوم السنة ومعارفها، وكان لهم تلاميذ يجتمعون حولهم، ويقسمون حياتهم، ويتسابقون إلى خدمتهم. ولكنهم كانوا يمتازون عن بقية الأساتذة بالزهادة والانصراف عن أعراض الدنيا، وبقوة الشكيمة والصبر على المكروه.

غير أنهم إلى ذلك العهد لم يكن لهم قواعد خاصة ولا مذاهب سرية، ولا تعاليم مضمون بها على غير أهلها مما جعل التصوف منذ ذلك الحين ينشأ وينمو، ويتخذ أعماقاً رصينة، وأغواراً بعيدة، ويرتدى صوراً متنوعة تبدو تارة تحت اسم الأحوال، وأخرى بعنوان المقامات إلى غير ذلك مما كان له في تاريخ الحركة التنسكية العالمية شأن عظيم وأهمية قصوى كما سنشير إلى كل ذلك في مواضعه.

وقد شئنا أن نبدأ حديثنا اليوم عن هذه النماذج العليا بالمحاسب. وإليك عنه هذه الإلماعة:

المحاسب :

هو أبو عبد الله الحارثي العنزي، وقد ولد بالبصرة في سنة ١٦٥ هـ. ولما نشأ ارتحل إلى بغداد وفيها تلقى ثقافة واسعة، ودرس فقه الشافعية، فكان أحد أعلامهم الممتازين، ثم تبصر في علم الكلام. ومما يبدو جلياً للباحثين أن تكون عقلية الممتازة، ومعارفه الواسعة كان نتيجة لجهود عدد غير يسير من الأساتذة دفعتهم الأقدار إلى التضايف على تربية هذه العقلية. ولكن الذي يلفت النظر في دراسة شخصيته، هو أنه

ردحا من الزمن فيما هو مقبل عليه . وبيان هذا أنه اهتدى إلى التصوف بعد أزمة باطنية حدثنا عنها في كتابه « الوصايا » وهو نوع من الاعترافات السيكولوجية يشبه كتاب « المنقذ من الضلال » ، لأن حامد الغزالي ، إذ أنبأنا في ذلك الكتاب بأن القلق قد استولى على مشاعره النفسية حين رأى أن الجماعة الإسلامية قد انقسمت إلى اثنتين وسبعين فرقة دون أن يعرف أحد أيها على حق . وإذ ذاك جعل يتأمل في القرآن طويلا ، فقذفت به تأملاته العميقة ، وملاحظاته الدقيقة في بحر التنسك ، إذ أيقن بأنه هو الوحيد الذي يحول بين المرء وتلك اللذائذ الدنيوية التي هي منشأ الشرور ، ومصدر الأهواء التي مزقت جمع المسلمين ، وفترت صفوفهم . كما آمن بأن هذا التنسك هو الضمان الوحيد الذي يحتفظ بالشخص في إطار الحقيقة .

اشتهر المحاسبي بالزهد القاسي في عصره حتى لقد قيل إنه كان إذا انتهى لونا من الطعام ، ومد إليه يده تحرك في إصبعه عرق إنذاراً له فيمتنع عنه . وقد أطلق عليه لفظ المحاسبي لكثرة محاسبته نفسه على ما تأتيه من الأعمال . ولقد قال عنه القشيري : « إنه كان عديم النظير في زمانه علما وورعا ومعاملة وحالا » . غير أن هذا الزهد - حتى في عصر اعتزاله المجتمع - لم يحل بينه وبين استمرار الاستزادة من العلوم الظاهرية والارتواء منها ،

لم يحاك أحداً من أساتذته . ولقد كان من أنصار العقل ، ولكنه كان يهاجم المعتزلة في آرائهم المتطرفة . وكان يستخدم مفرداتهم ومنطقهم في حملته عليهم . ولعله بهذا هو الذي رسم الخطة البارعة التي سلكها الإمام الغزالي فيما بعد في هجومه على الفلاسفة بسلاحهم ومنطقهم وعباراتهم واصطلاحاتهم مع وجوب تسجيل فروق الزمن وانتشار الثقافة ، واتساع الأفق ، ولكن العناصر الأولية لا ينبغي أن تمر أمام الباحث مهمة ، أو أن تسحب عليها أستار التغاضي والنسيان . ولقد ظل يزاول التعليم والوعظ حتى نيف على الستين . وكان أول من تفرد بإخراز الاحترام العميق للوروثات الإسلامية والتنقيب الدقيق عن الكمال الخلقى الباطني ، والانشغال التام بالتعريفات الفلسفية المضبوطة ، وأنه لم يكن يرى بين هذه العناصر التي تبدو أمام العامة متعارضة ، أي تنافر أو اختلاف ، بل كان مؤمنا بأن اجتماعها وتضافرها هما الوسيلة المثلى لنصر الدين والرفع من شأن الكمال البشري الذي يجب أن يؤسس على العقل الذي وصفه الخالق جل وعلا بأنه أعز خلقه ، وعلى الوحي الذي هو تاج المعارف الإنسانية .

وأخير أجزى التعليم في سنة ٢٣٢ هـ واعتزل الحياة العامة زهاء أعوام ألقى بنفسه أثناءها بين أحضان التصوف بعد أن تأمل

والعمل بما فيه زمنا طويلا ، وظلت تعاليمه زاهية في البيئات الصوفية ، ولا سيما لدى الشيعيين عدة قرون رغم ما وجه إليه من حملات الخصوم المغرضين . ولقد وصفه الأستاذ ماسينيون بأنه : « مرشد جدير بالإعجاب للحياة الباطنية » .

أما آراؤه فمن أهمها وجوب العمل على تطوير القوة الباطنية للإنسان بوسيلة قاعدة مرنة تقتاد سلوك الحياة الخارجية ، وتخضع أنظمة أعمالنا الفردية وعلاقتنا الاجتماعية لذلك الواجب الأساسي الأول ، وهو العبودية لله وحده ، وتخمية القلب من كل من عداه وما عداه . ولا ريب أن قاعدة الحياة هذه إذا اتبعت كما ينبغي ، فإنها تولد في الروح أحوالا وفضائل يرتبط بعضها ببعض حسب نظام محدد .

أما تأثير مدرسته ، فقد كان قويا إلى حد بعيد ، وعلى الأخص في ترقية الوجدان البشري . وقد كان له عدد ضخم من التلاميذ المباشرين وغير المباشرين ، فقد استلهم الجنيد من معارفه ، واستضاء بأنواره ، وانتهل ابن عطاء من معين فتوحاته . ورأى الأشاعرة فيه طليعة إصلاح مدرستهم ، وداوم الغزالي على الالتجاء إلى تعاليمه ، وأكثر الاستشهاد بمنهجاته . وأخير أكان أحد الأعلام الثلاثة الذين انعقد لهم لواء زعامة الشاذلية .

بل إن مؤلفاته في علم الكلام قد احتوت من النظريات ما أحقق عليه فقهاء عصره ، كما أحقق عليه جميع علماء الكلام . وقد ظهر هذا الخلق في حملة أحمد بن حنبل وأنصاره عليه ، تلك الحملة التي كان من نتائجها أن اضطهد المحاسبي وانقطع عن المجالس العلمية العامة حتى توفي في سنة ٢٤٣ هـ .

ونحن لا نستطيع أن نقف صامتين بإزاء هذه المأساة التي كانت تمر ولا نزال نشاهدنا من حين إلى آخر مرتدية ثوب الدين ، والدين منها براء ، لأن ماصدره الساء يحل عن الفتنة والإيقاع . ويتعالى عن الأغراض الخاصة والأهواء الشخصية . ونحن - فيما يتعلق بالمحاسبي - إذا جز منا ببراء الإمام أحمد ابن حنبل لما نعلمه من نقائه وإخلاصه فيما يقول ويفعل ، ويرى ويحكم ، فإننا لا نستطيع الجزم ببراءة أشياعه ولو من التعصب والحدة وسرعة الغضب على أقل تقدير . وفوق ذلك فإن نزعة أولئك الأشياع كانت معادية للصوفية ميالة إلى المادية حتى وصلت بغلاتهم إلى منطقة التشبيه والتجسيم

أما مؤلفاته فمن أهمها كتاب « الرعاية لحقوق الله » ، وهو كتاب جليل في المبادئ التي يجب على المتصوفة اتباعها . ويعتبر منهجا كاملا للإرشاد النفساني . وقد عكف الغزالي قبل أن يؤلف كتاب الإحياء على دراسته

نساء المقامات ونموها:

علا سبيل إلى الريب فيه أن منهج الصوفي الحقيقي هو بحث باطنى شخصى ، وتأمل فى حكمة الأوامر الإلهية ليرزها فى صورتها الحقيقية الناصعة ، وليظهر عبادة الله فى كمالها الذى خفى على العامة والجاهير ، فأحاطوه بكثير من الخرافات والأساطير .

وقصارى القول أن قوة أفكارهم تتولد من تأملاتهم المتوحدة المستأنية العميقة المتحمسة العملية التى يديمونها فى تدبر معانى القرآن . ولا جرم أن الموفقين منهم يظنون عاكفين على هذا التأمل حتى لكأنهم يشعرون برنين القرآن يجلجل فى قلوبهم على صورة مصغرة مما كان يحدث للنبي صلى الله عليه وسلم .

ومما هو غنى عن البيان أن غاية أعلام الصوفية من بسط نظرياتهم ، وعرض عظائمهم هو العمل المستمر المؤسس على الفكر الدائم والصادر عن قوى النفس الثلاث : أى العقل والذاكرة والإرادة ، ولا شك أن العمل الذى هذا شأنه هو الذى يحقق اتجاه الفرد إلى ربه والسير نحوه من خلال الليل المظلم الخيم على الحياة المادية .

ومهما يكن من الأمر ، فإن هذا التأمل العميق من جانب صوفية المسلمين فى معانى القرآن ، وفى الحياة الروحية للرسول قد انتهى

بهم إلى الاستيقان بأن الزهادة التامة ، والإخلاص المطلق يلتقيان بقلب المؤمن على مسراج النقاء ، وأن الحالات السيكلوجية لهذا القلب تصير ثابتة ، وأن الوصول إلى هذه المرتبة يتحقق عن طريق التقدم المنظم المطرد الذى يؤلف المقامات المتتالية التى تسمح للسالك بأن يقتاد تأملاته فى نجاح حتى ينتهى إلى عتبة الاتصال المراد . ولا ريب أن هذه المقامات تختلف باختلاف أعمال الصوفية وثقافتهم الخاصة ، ونزعاتهم الشخصية ، واستعداداتهم الفردية ، ولقد كانت تلك المقامات فى مبدأ الحياة الصوفية الإسلامية قليلة العدد ، ولكنها - بوساطة التحليلات السيكلوجية المثابرة - جعلت تنمو وتتضاعف حتى لقد وصلت عند بعض أولئك الأعلام إلى مائة كما سجل ذلك عبد الله الأنصارى فى كتابه القيم : « منازل السائرين إلى رب العالمين » .

ولما كان هذا الكتاب من أروع الكتب التى عرضت لهذا الموضوع . فإننا نؤثر أن نقف عنده هنيهة قصيرة مجملين منه ما يعيننا فى هذا الموقف على النحو التالى :

يقسم الأنصارى المنازل الصوفية إلى عشرة أقسام يشتمل كل قسم منها على عشرة منازل أو عشر مقامات .

فالقسم الأول يدعى بالبدايات ، ويلج الأنصارى - كما يلج جميع رؤساء الصوفية -

أن سلوك الصوفي المخلص مع ربه ، ينتهى به إلى اكتساب أخلاق فاضلة . ومن مقاماته : الرضى والشكر والحياء والصدق والإيثاء والتواضع وما إلى ذلك .

والقسم الخامس هو الأصول ، ومجملها أن مجرد اكتساب الأخلاق الفاضلة يمنح الصوفي الرغبة الزائدة في شدة الاتصال بربه . وهو لتحقيق هذا يجب عليه أن يختار أحد تلك المبادئ العشرة التى هى مقامات هذا القسم ، وهى المقامات التى يؤسس عليها تقدمه فى طريقته الصوفية . وأهم هذه المبادئ : الإرادة ، التى بها يتم له الاختيار .

وهنا ينتهى الجانب الإيجابى من حياة الصوفى بوصف أنه مريد ، فيدخل فى إطار جديد ينتظر فيه الفضل الإلهى : أو الفيض الربانى .

وقد آثرنا أن نقف اليوم عند هذا الجانب الإيجابى ، وربما عدنا فيما بعد إلى الجانب السلبي الذى يكون فيه الصوفى مراداً بعد أن كان مريداً ، ومحبوفاً بعد أن كان محباً ، وإذا تقرب منى عبدى شبرا تقربت منه ذراعاً ، . وإذا تقرب منى ذراعاً تقربت منه باعاً ، . وما هذه المقاييس المادية إلا تقريب للأذهان . تعالى الله عنها علواً كبيراً .

الدكتور محمد غمريب

على ضرورة العناية بمقامات هذا القسم ؛ لأنها هى الأساس الذى عليه يقام البناء كله وبالتالي لا يكون هذا البناء متيناً إلا بمقدار متانة أساسه ، وهذه العناية تتلخص فى أنها يجب السالك أن يراقب نفسه فى دقة ونية طاهرة وعزيمة صادقة بإزاء تنفيذ أوامر الكتاب الكريم ، ومتابعة السنة الغراء . أى أن يكون مسلماً بالمعنى الكامل لهذه الكلمة ومن مقامات هذا القسم اليقظة وهى تهدف إلى دعوة القلب إلى هجران نوم الغفلة بأن يتنبه إلى النعم التى حباه الله بها . وأن يدرك خطورة الذنوب ونتائجها ، وأن يتأمل فى الأوقات الماضية الضائعة ، وفى ضرورة العمل على تعويضها بالعمل الصالح فى الحاضر والمستقبل . ومن هذه المقامات : التوبة والمحاسبة والإنابة والتذكر ، ومعناه مراقبة النفس والحيلولة بينها وبين النسيان .

والقسم الثانى هو المسمى بـ « الأبواب » ، وهى المنافذ التى يدخل منها السالك إلى الرحاب الأسمى ومنها الإشفاق والخشوع والزهد والرجاء :

والقسم الثالث هو المعاملات ومعناها الخطط التى يسلكها المريد فى تصرفاته لمتابعة طريقته الأولى بعد أن يجتاز الأبواب ومن مقامات هذا القسم التوكل :

والقسم الرابع هو الأخلاق ، ومؤداها

الإسلام في أستراليا لأننا أعطيت صمت

البعثات العلمية والاستكشافية تفقد إليها ، وتطلعت الأنظار من كل جنس ودولة إلى خيراتها البكر ، فتتابع سيل المهاجرين من الباحثين عن العيش والراغبين في الثراء . وكان نزول هؤلاء أولاً على السواحل ، فلم يستطيعوا المخاطرة بارتداد قلب القارة نظراً لوعورة الطرق وكثافة الغابات وعدم وجود الوسائل الكافية للانتقال .

وكان من هؤلاء المهاجرين جماعة مسلمون قدموا من الهند وأفغانستان وبلوخرستان حملوا معهم دين الإسلام لأول مرة إلى هذه القارة ، وكان ذلك في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر سنة ١٨٦٠ أو سنة ١٨٦٩ على اختلاف في الروايات ، وقد أرادت البعثات العلمية والاستكشافية أن تدخل قلب القارة ولكن وسائل الانتقال تنقصهم ، ففكروا في استخدام هؤلاء الأفغان الوافدين ، الذين مهرؤا بحكم طبيعة بلادهم في ارتياد الصحارى وتحمل مشاق السفر وتقلبات الجو ، فقاموا ومعهم دوابهم ولابلهم بتسهيل مهمة البعثات وانتقلوا معها في كل

في الجنوب الشرقى من خريطة العالم تقع قارة صغيرة نائية ظلت مجهولة للغرب آلاف السنين ، فلم يعرفها الأوروبيون إلا في القرن السادس عشر حين مر بها البرتغاليون ، وارتادها الهولنديون في القرن السابع عشر ، ثم بدأ الانجليز في استعمارها في نهاية القرن الثامن عشر عندما ضاعت ممتلكاتهم في أمريكا سنة ١٧٨٣ ، فألنشوا بها مستعمرات للجرمين الذين ضجت انجلترا من حوادثهم ، فأقلعت بهم إحدى عشرة سفينة في سنة ١٧٨٨ وأنزلتهم بهذا المنفى ، وبدءوا بالفعل استغلال هذه القارة التي يسكنها قوم من الجنس الماورى آخذون في الانقراض ، وإن كانت الجهود تبذل للإبقاء عليهم للإفادة منهم في دراسة النوع البشرى وتطور الحضارات .

ولم يكن أحد من سكان القارات الكبرى يرغب في السفر إلى هذه الأرض الجديدة . التي تمسكو أرضها الغابات وتمتد بها الصحارى وتقسو الطبيعة ، حتى كان اكتشاف مناجم الذهب سنة ١٨٥١ فبدأت

تحسينات في المساكن الملحقة به وغرسوا الأشجار في ساحته ، وأنشؤا دورة مياه بجواره يفيد منها المترددون على المسجد ، خصوصاً كبار السن، الذين يلازمونه في أغلب الأوقات .

كما أنشئ مسجد في مدينة « ماريه » ، غير أنه لسوء الحظ أصبح لا يؤمه المصلون بعد أن تصدعت جدرانه وأهمل شأنه ، وقد كان هذا المسجد آخر ما ينظر إليه الإنسان وهو يغادر جنوبي استراليا . وبعد سنة ١٩٥٢ أصبح عدد المسلمين المهتمين به قليلاً ، ولم يشأ الجيل الناشئ أن يعيد إليه سابق عهده ، بل تركوه للرياح وعوامل الطبيعة تقتص من أطرافه ، حتى اختفى إلى الأبد هذا المعقل الإسلامي العظيم .

وفي بداية القرن العشرين نزح بعض المسلمين إلى غربي استراليا، ووصلوا إلى ميناء « فريمانتل Freemantle » لينتقلوا منه إلى سهول « نولا يور » فوضعوا الحجر الأساسى لمسجد « برث » سنة ١٩٠٥ ، وما يزال هذا المسجد قائماً ، وقد ألحق به مسكن يأوي إليه المسلمون ، الذين يرفض الأهلالي إيوائهم بسبب التعصب العنصرى وهو يبعد عن ميناء « برث » بنحو نصف ميل ، وقد استطاع هذا المسجد ، الذى ظل مهجوراً عدة سنين أن يسترد نشاطه كسابق عهده ، بعد أن تعهده الأوروبيون الذين اعتنقوا الإسلام .

مكان ، وكانت هذه المهمة وسيلة لانتقال الإسلام وانتشاره من جوانب القارة من أدلريد Adelaide إلى داروين Darwin ومن برث Perth إلى سيدنى Sydney . وفي هذه الأماكن كلها نودى باسم الله فى كل أذان ، وذكر اسمه فى كل صلاة .

وكان من سياسة هذه الطليعة الإسلامية أن يجتمعوا حول الآبار ، متخذين منها مراكزاً لنشر الدعوة الإسلامية ، وما لبثت أن تكونت حول هذه النقاط مدن صغيرة مثل ماريه Marree ، أليس Alice ، ويلز Wells بردسفيل Dirdsville ، كاترين Katherine . واستدعى المسلمون أسرهم وكونوا جالية إسلامية اعترف بها رسمياً فى البلاد .

وأول مركز إسلامى أنشئ فى القارة فى مدينة « أدلريد » على الساحل الجنوبى ، فى سنة ١٨٨٩ اشترى الحاج « ملا ميرين » Mairbain وهو أحد مهاجرى الأفغان ، قطعة أرض أقام عليها مسجداً ساهم فيه المسلمون الذين كانوا يبلغون إذ ذاك ٤٠٠ مسلم وكان ذلك سنة ١٨٩٦ . وهو لا يزال إلى الآن تقام فيه الشعائر ويحمل اسم صاحبه ، وتشرف عليه الجمعية الإسلامية . وبعد وفاته وفد على المنطقة كثير من المسلمين واصلوا أعماله الخيرية فى الإشراف على المسجد ، فأنشؤا كثيراً من الممرات وعملوا عدة

وفي سنة ١٩٥١ كانوا ٧٠٢، وفي سنة ١٩١٦ قدر بعض الباحثين عدد المسلمين جميعا بنحو ٣٩٠٨ نسمة (١) . غير أن عددهم زاد بعد هذا التاريخ ، فقد هاجر إلى استراليا كثير من مسلمي الهند والملايا والصين وشرقي إفريقيا ، وفي سنة ١٩٢٤ عقب الحرب العالمية الأولى هاجر إليها عدد من مسلمي ألبانيا وشبه جزيرة البلقان . ثم أوقفت الهجرة سنة ١٩٤٥ ولم تأت سنة ١٩٤٨ أي بعد الحرب العالمية الأخيرة حتى بدأت الهجرة مرة ثانية فوفد المسلمون إليها من أوروبا والشرقين الأقصى والأوسط . ويوجد الآن مسلمون من بولنده وألمانيا وانجلترا وبلغاريا ويوغسلافيا وألبانيا ولبنان وفلسطين وغيرها . ومن بين هؤلاء طلاب من الملايا والهند وباكستان وأندونيسيا وسيلان . يعودون إلى بلادهم بعد انتهاء بعثاتهم . كما يوجد بحارة مسلمون يتصلون بالمسلمين في الموانئ . وبهذا يكون في استراليا حوالى خمسة آلاف مسلم من المقيمين وحوالى ألف من الطلاب . هذا ما يقوله رئيس الجالية الإسلامية في أدلبد (٢) . وقد زار أحد المصريين استراليا سنة ١٩٤٨ وألقى محاضرات في « ملبورن » ونشر بيانات عن الإسلام .

وعلى الشاطئ الشرقى للقارة يوجد مركز إسلامي ثالث في « بروكن هل Broken Hill » فقد أنشئ في سنة ١٩٠٨ مسجد صغير مازال يتردد عليه القلة الباقية من المسلمين والمسنين في هذه المنطقة ، كما هو الحال في مسجد « برسين » Brisbane

ويلاحظ أن كثيرا من المساجد تقام عند ما يحل المسلمون بالمنطقة . فإذا ارتحلوا عنها إلى حيث النشاط الاقتصادى كما كُتشف منجم أو غير ذلك . أهمل المسجد . وترك مأوى للضالين والحيوانات المتوحشة . أو استعمل لغرض آخر . كما أهمل مسجد « ماريه » سنة ١٩٣٢ . ومسجد « تاسمانيا » الذى اتخذته الجيش الأسترالى معسكرا له في الحرب العالمية الثانية ، ولم يستأنف نشاطه بعد .

ولا توجد إحصاءات رسمية دقيقة تبين عدد المسلمين في القارة ، نظرا لكثرة تنقلهم ، وعدم وجود رابطة تجمعهم ، كما أن عددهم يختلف من آن لآخر بالهجرة ، والبعثات التعليمية والتجارية لا تطول مدة إقامتها هناك كثيرا .

ففي سنة ١٨٨١ كان عدد المسلمين في جنوبى استراليا ٤٧٦٢ ، وفي سنة ١٩٣٣ كانوا ٤٤٩١ ، وفي سنة ١٩٤٥ كانوا ٦٠٠ وفي سنة ١٩٥٥ كانوا ٣٠٠١ كما كان عددهم ١٨٥٧ في فيكتوريا وتسمانيا ٢١٦ ، وفي سنة ١٩٠١ كانوا ٤٦٧ ،

(١) دليل العالم الإسلامى ، الطبعة الثالثة .

(٢) Islamic Rev Fe, 1956.

الخارج . فلما صرفوا عنها وقف تصديرها إلى البلاد الإسلامية . وبرز نشاطهم في أعمال الملاحة بالموانئ . فيوجد في ميناء «ملبورن» ٧٠ مسلماً من بين عمال الشحن والنقل والتخليص .

وقد نقلوا إلى البلاد زراعات لم تكن موجودة كاللح وأدوا خدمات جليلة للبعثات الاستكشافية ، وبرز منهم في هذا المضمار «بيجاه درويش» الذي كان سبباً في نجاة بعثة «ويلز» بعد أن أشرفت على الهلاك إذ ضلت الطريق ، فوجهها درويش بالبوصله واقتفاء الأثر وواصل بها السير في تحمل وصبر بالرغم من أن سنه جاوز التسعين ، فنجت من الهلاك

ومثله في ذلك ابنه «جاك بيجاه» الذي عبر ببعثة الدكتور «ماديغان» madigan سنة ١٩٣٩ مجاهيل صحراء «سيمبسون» إلى «أليس سبرنجس» .

وقد نقل الألبانيون إلى استراليا صناعة الدخان وإن كانوا هم قد انصرفوا عنها إلى الزراعة . وقام مهاجرو البلقان بإدارة الفنادق والمقاهي .

ومما يدل على آثار المسلمين الطيبة التي تركوها في البلاد ما سجل من الأسماء لبعض المدن والأماكن التي حلوبها . ولعل من أهمها اسم «خان» الذي أصبح يطلق على سكة

ويقول إن كثير من الأهلالي اعتنقوا الإسلام . ويقدر عدد المسلمين بنحو ١٢ ألفاً .

ومهما يكن من شيء فإن المسلمين هناك لهم جمعيات في الأماكن التي يكثرون بها فيكتوريا وسوث ويلز . وكوينزلند . وأهمها جمعية «أدليد» التي يرأسها مسلم انجليزي الأصل يدعى : حسين . ر . ل . بريستلي Pristly . اعتنق الإسلام سنة ١٩٤٧ عند ما زال من نفسه الشك الذي ظل يساوره منذ الصغر ولم يجد له جواباً شافياً في الديانات الأخرى حتى ألجأته الظروف إلى الانخراط في سلك الجندية في قوات الأمن بفلسطين واختلط بعلما المسلمين ووجد في الإسلام إنصافاً لجميع الأنبياء واعترافاً بهم فأسلم^(١) ونائب رئيس الجمعية بولندي وأمين الصندوق ألباني .

والجمعية تقيم الشعائر وتحتفل بالأعياد والمواسم الإسلامية وتلقن الكبار والصغار بعض الدروس الدينية وأصول العبادات . وقد اشتغل المسلمون أول ما نزلوا القارة بالزراعة والرعي والتجارة والعمل في المناجم وتعبيد الطرق . وبفضلهم اكتشفت مناطق مجبولة . وأمكن للبعثات أن تقوم بمهمتها في الكشف واستغلال موارد الثروة . وعند ما كان المسلمون يقومون بذبح الحيوانات راجت تجارة اللحوم المحفوظة وتصديرها إلى

و « عبد القادر » وهو من « ماريه » ، الذي أدخل زراعة النخيل إلى البلاد .

هذا والمسلمون متمسكون بدينهم ودينون بمذهب أهل السنة . ويؤدون الشعائر على مذهب الإمام أبي حنيفة الذي حمّله إليهم الأفغان كما يوجد نحو ٥٠٠ مسلم في غينيا الجديدة التي تقع تحت الانتداب الأسترالي ، قدموا من إندونيسيا ، ومذهبهم شافعي .

تلك نبذة عن الإسلام في ماضيهِ وحاضره ، فهل نستطيع أن تقدم للمسلمين في مهجرهم هذا شيئاً يفيدون منه في مستقبلهم ؟ أعتقد أن أية خدمة يؤديها الأزهر إليهم ؛ سيكون لها صدى بعيد الأثر في نفوس هؤلاء الذين ينظرون إلى الأزهر كمصدر إشعاع روحي وثقافي على العالم الإسلامي أجمع ، والله الموفق والمعين . ٢

عطية صفر

حديد « أدليد » منذ أن أدخل فيها القطار البخاري وطار الديزل ، كما يطلق على تل هناك اسم « تل بيجاه » نسبة إلى بيجاه درويش ، تخليداً لذكوره .

ومن الرجال الذين خدموا الإسلام في استراليا شيخ مسن يدعى « محمد علي » وهو انجليزى الأصل وكان كبير الجالية الإسلامية الموجودة الآن في جنوبى استراليا . و « محمد أيوب خان » الذى يرعى المسلمين فى ميناء « برث » والمرحوم الحاج ملا مريين السابق ذكره ، و « عبد الوديع الأفغانى » و « غلام ريزل » . و « سعيد نيز محمد » و « باهى خان » وقد عاد هؤلاء إلى بلادهم وتركوا الإشراف على الجمعية إلى ابن عبد الوديع الذى بقى هناك يواصل نشاطهم . كذلك من خدموا الإسلام « محمد علوم » الذى قام بطبع النشرات لصالح الدعوة الإسلامية فى « أدليد »

كسب المعاش

شكا الفقراء لأم الصديق فأكثر
صلات ذوى القربى له أن تنكرا
من الناس إلا من أعدّ وشمّرا
وكيف ينأى الليل من كان معسرا ؟

إذا المرء لم يكسب معاشا لنفسه
وصار على الأدينين كلاءً وأوشكت
وما طالب الحاجات من حيث تبتغى
فلا ترض من عيش بدون « ولا تتم

من شعراء الوصف : القاضي الفاضل للأستاذ علي المصاوي

٥٢٩ - ٥٩٦ هـ

- ٣ -

حياته :

هو عبد الرحيم بن علي بن الحسن ، ولقبه بجير الدين ، وكنيته أبو علي ، وشهرته القاضي الفاضل ، ولد بعسقلان إحدى مدن فلسطين ولذلك ينسب أحيانا إليها فيقال العسقلاني وتولى أبوه قضاء بيسان ، وهي من مدن فلسطين أيضا ، وكثيرا ما ينسب القاضي إليها ، فيقال عبد الرحيم البيسانى ، وبهذا الاسم سعى الشارع الصغير ، فى حى المنيرة بالقاهرة وينتهى نسب هذه الأسرة إلى لحم إحدى القبائل العربية ، ولذلك يقال فى نسبها (اللخمى) .

نشأ القاضي بعسقلان ، وتلقى بها علوم العربية ، وشدا شيئا من الأدب ، ثم أرسله والده القاضي الأشرف إلى مصر ليلتحق بديوان المسكاتب ، فى زمن الخليفة الحافظ الفاطمى وكان يتولى ديوان الإنشاء فى ذلك

الوقت الموافق بن الخلال الذى وصفه العماد الأصمهاى بقوله : « هو ناظر مصر وإنسان ناظرها ، وجامع مفاخرها ، وهذا الرجل يعتبر الأستاذ المباشر للقاضى الفاضل :

ويروى عبد الرحيم قصة وفوده إلى مصر فيقول : كان فن الكتابة بمصر فى زمن بنى عبید غضا طريا ، وكان لا يخلو ديوان المسكاتب من رأس يرأس مكانا وبياناً ، ويقوم أسطانه بقلبه سلطانا ، وكان من العادة أن كلا من أرباب الدواوين إذا نشأ له ولد وشدا شيئا من علم الأدب أحضره إلى ديوان المسكاتب ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع ، فأرسلنى والدى ، وكان إذ ذاك قاضيا بشعر عسقلان إلى الديار المصرية فى أيام الحافظ وهو أحد خلفائها ، وأمرنى بالمصير إلى ديوان المسكاتب ، وكان الذى يرأس به فى تلك الأيام رجل يقال له ابن الخلال ، فلما حضرت الديوان ومثلت بين يديه وعرفته

ثم كتب بعد ابن رزيك لأسد الدين شيركوه عم صلاح الدين الأيوبي ، ثم لصلاح الدين وأصبح وزير دولته ، وصاحب الأمر الأول فيها كما خدم ابنه العزيز ، ثم اعتزل في بيته وعكف على التلاوة وقراءة القرآن ، وبلغ العماد الأصهباني ، فيقول إنه كان يختم القرآن في كل ليلة ، وكان بينه وبين العادل أبي بكر بن أيوب وحشة ، وكان الفاضل يخشى أن يتولى العادل ملك مصر ، فلما بلغه مجيء العادل ملكا على مصر دعا الله على نفسه بالموت ، فمات قبل دخوله ، ويقال : إن العادل كان داخلا من باب النصر ، وجنازة الفاضل خارجة من باب زويلة ^(١) . وكانت وفاته في سنة ٥٩٦ هـ عن سبعة وستين عاما . وقد أجمع مؤرخو الفاضل أنه كان دميخ الخلقعة فكان أحذب أوقص ^(٢) قصيرا ، ويروى أنه دخل حماما ذا قبة فقال بيتين يصف فيها نفسه :

ما كان يكمل حرذا الحمــــــــــــــــام
حتى ازداد قبيــــــــــــــــة

[١] زويلة بكهينة أو كسفينة ، قبيلة من قبائل البربر الواصلين مع جوهر القائدين المغرب ، ويطلق على باب بناء بدر الجمالي ، وهو قائم إلى اليوم وتسميه العامة بوابة المتولى ، حيث كان يجلس في مدخله متولى حلبة القاهرة .

[٢] | الوقص بالتحريك : قصر العنق وفعله وقص كفرح ، وتواقص : تشبه بالأوقص .

من أنا وما طلبي رجب في وسهل . ثم قال : ما الذي أعددت له لفن الكتابة من الآلات ؟ فقلت : ليس عندي شيء سوى أني أحفظ القرآن العزيز وكتاب الحماسة ، فقال : وفي هذا بلاغ ، ثم أمرني بملازمته ، فترددت عليه وتدربت بين يديه ، ثم أمرني بعد ذلك أن أحل شعر الحماسة فخللته من أوله إلى آخره ، ثم أمرني أن أحله مرة ثانية فخللته ^(١) .

وبعد أن تخرج كتب لقاضى الإسكندرية ابن أبي حديد ، ولما ظهر فضله استدعى للعمل بديوان الإنشاء بمصر وكان الذى استدعاه الملك العادل بن رزيك ، وزير الخليفة الفاطمى (العاضد) ، وقد أثنى عمارة النبنى في كتابه (النكت) على الملك العادل فقال : « ومن محاسن أيامه وما يؤرخ به عنها ، بل الحسنة التي لا توازى ، واليد البيضاء التي لا يجازى ، خروج أمره إلى والى الإسكندرية بتسيير القاضى الفاضل الأجل أبى على عبد الرحيم بن على البيسانى إلى الباب واستخدامه في حضرته ، وبين يديه في ديوان الإنشاء ^(٢) » .

(١) الروضتان ج ١ ص ١٩٢ ، وقد نقله عن ابن الأثير في أول كتابه (الوشى المرقوم) حيث قال إن القاضى حدثه بهذا الحديث .

[٢] | النكت ص ٥٣ عن كتاب دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ص ٢٠٧ .

فكانني فيه خرو
خروف شوأ ومن فوق مكبة

مطامته :

هذا النحو الذي نجده في كتب معاصريه أو في الكتب التي نقلت عن معاصريه ، فالحقيقة التاريخية تقول إنه لم يبتدع هذه الطريقة التي نسبت إليه بل كان مقلداً لمن سبقه ، وأصل هذه الطريقة عنده الكاتب ابن عبد كان من كتاب الطولونيين^(١) .

قلت : ومن من هؤلاء الذين نسبت إليهم طرائق الكتابة كان مبتدعاً لها ، لم يكن ابن المقفع مخترعاً لطريقته ، وإنما كان مقلداً فيها ، ثم عرف بها لما أكثر منها ، وبرز فيها ، وكذلك كان الجاحظ ، وكذلك كان ابن العميد ، فالطرق الكتابية لم تعرف بمبتدعها ، وإنما عرفت بالذين برزوا فيها . وهكذا كان الشأن في القاضي الفاضل ، صحيح أن معاصريه امتدحوه وأشادوا به وغلوا في مدحه ، ولكن الرجل كان مع ذلك أهلاً لكثير ما امتدح به ، وقد بالغوا في عدد الرسائل التي أثرت عنه ، ومهما يكن من شيء فإأظن أن لأحد من معاصريه أو من سبقه هذا القدر من الرسائل ، ولقد شهد الفاضل أقوى فترة في تاريخ محاربة العرب للصليبيين ، وكان فيها اللسان الناطق ، والكاتب المؤرخ ، والرأي الرشيد وتكاد تكون رسائله تاريخاً دقيقاً

لا يكاد أحد شدا في تاريخ الأدب شيئاً يجهل القاضي الفاضل ، فهو يقرن بابن المقفع والجاحظ وابن العميد في أن لكل منهم طريقة في الكتابة الفنية عرفت باسمه ، والسمات البارزة في الطريقة الفاضلية هي الإكثار من المحسنات البديعية وخصوصاً الجناس والسجع والتورية والطباق ومراعاة النظر ، واختيار الألفاظ الجزلة ، والتلاعب بالألفاظ والإسراف في الصناعة حتى ولو أدى ذلك إلى التكلف والثقل ، وقد أشرت إلى هذه الطريقة في الحديث عن العماد الاصبهاني .

وطريقته امتداد لطريقة كتاب الدواوين في العهد الفاطمي ، وقد أصبحت هذه الطريقة موسومة في كتب الأدب باسمه ، ولكن بعض الباحثين المحدثين ينكر أن يكون فن القاضي الفاضل أهلاً لكل ما قيل عنه ، وعنده أن نسبة المذهب إليه لون من ألوان التعسف في الحكم النقدي والتاريخي وأن الذي حمل الناس على أن يرفعوا من شأن القاضي ، هو أنه كان وزير مصر الأول في الأيام الصلاحية ، ولو لم يكن هو صاحب السلطان الفعلي في البلاد ما كان المؤرخون والنقاد يشيدون بنفسه على

[١] دكتور محمد كامل حسن في كتابه [في أدب مصر الفاطمية] و [دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين] .

الأصهباني ، فقد ألف كتابه (الحريدة) وقال في أوله : (وقبل شروعي في ذكر أعيان مصر وأحاسنها ، ومزايا فضائلها ومزاياها ، أقدم ذكر من جميع أفاضل الدهر وأماثل العصر ، كالقطرة في تيار بحره ، بل كالذرة في أنوار فجره ، فهو كالشريعة المحمدية التي نسخت الشرائع ، ورسخت بها الصنائع) . وطريقة العباد في المبالغة واضحة ، ولكنها طريقة قديمة أيضاً ، شرعها الثعالبي في كتابه (القيمة) ، فكل كاتب عنده بكر الدهر ، وإنسان عين الفضل .

وقد كان صلاح الدين يحل الفاضل ، ويحرص عليه ، ويمثل هذا الحرص موقفه منه حينما أراد الفاضل الحج ، فقد استأذن من السلطان ، فكتب إليه السلطان بخطه توقيعاً (على خيرة الله تعالى ، يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيماً) ثم كتب السلطان إلى بعض النواب بخطه أيضاً : « وصلني كتاب القاضي الفاضل وهو يذكر أنه مصمم على الحج ، الله يجعله مباركاً ميموناً ، ولكن لا أفسح له فيه إلا بعد اثنتين ، واحدة ، أنه لا يركب بحر ، يسير من العسكر إلى أيلة ، ومنها يتوجه ويقوم العسكر على أيلة ليلة ، وعلى أرم ليلة ودون أرم ليلة ، وقاطع أرم ليلة ، فيكون هو قد بعد وما يبقى عليه خوف ، إن شاء الله تعالى ، وثانية تأخذ يده ، وتحلفه برأسي

مفصلاً لهذه الفترة من حياة مصر ، فمضى بها المؤرخون والأدباء في حين اندثرت أو كادت رسائل السابقين له وكتاباتهم ، فكان طبعياً أن تنسب إليه هذه الطريقة في الكتابة ، ولا يكون في ذلك إجحاف بأحد ، لأنهم لم يبالغوا فيها كما بالغ ، ولم يكتب لأدبهم الخلود كما كتب لأدبه ، وليست تعيننا الأسباب التي خلدت أدبه ، وإنما يعيننا أنه خلد . وقد جاء في كتاب طبقات الشافعية هذه العبارة : (أجمع أهل الأدب على أن الله تعالى لم يخلق في صناعة الترتل من بعده مثله ولا من قبله بأكثر من مائتي عام وهو بينهم كالشافعي وأبي حنيفة بين الفقهاء ، بل هم له أخضع) . قد يكون في هذه العبارة مبالغة لسبب أو لآخر ، ولكن الذي تقطع به الآن أنه لم يؤثر عن أحد من معاصريه ولا من السابقين له مثل ما أثر عنه ، وهذا يكفي في نسبة الطريقة إليه ، على أنها إذا كانت في عصره وظلت قروناً بعد ذلك شرفاً وفضلاً فإننا الآن نعيها وننتقصها ، ونعتبرها جناية على الأدب .

ولقد كان للقاضي الفاضل ، فضل على كثير من نوابغ الكتاب والشعراء في عصره ، وقد أظلمهم بجناحه ، ووصلهم بمعرفه ، ونفعهم بجاهه ، فامتدحوه ، وبالغوا في الثناء عليه ، ولعل أكثرهم امتداحاً وثناءاً للمعاد

للبحافضة على حياة وزيره ومستشاره ، فقد جرى في الطريق التي سلكها خطوب وشترن وأحاديث كلها شجون ، وتعرض لهم العدو . ولكن كانت العقبي إلى سلامة - كما يقول القاضى - ووصل إلى السلطان ، فوجده في الغزاة جاهدا ، وللعديو مجاهدا .

ولعل سر قوة هذا الرجل أنه كان معترفا بشخصيته ، محبا للخير ، مخلصا لبلاده وسلطانته مؤثرا للحق ، صادعا بالرأى الذى يراه ، ولولم يكن فيه هوى السلطان ، حدثوا أن صلاح الدين ضاق ذات مرة بكثرة الوفود التى تقف على بابه ، ومل وضجر من كثرة المطالب التى تقدم إليه فشكا إلى القاضى ، وذكر أن الملوك قبله كانت تخافهم الرعية ، وتتوقع منهم البلية ، فى حين أنه إذا ركب أو نزل تعاوره الناس بالقصص ، وساوروه بالغصص ، فنصحوه الفاضل بأن يشكر الله ، وأفهمه أنه كان بمصر خليفة كان يرتع الخلق فى رياض إنعامه ، وكان بالشام فى كل بلد وال له على أهله نعم ومواهب ، وقال له : أنت اليوم سلطان الجميع ، وقد اجتمع أولئك المتفرقون على بابك فعليه أن يكرمهم ، فبكى صلاح الدين وأقسم أنه ما عاش لا يرد قاصدا ولا يصد وافدا ، وكتب القاضى إليه مرة يعرض بأنه قطع رزق بعض الفضلاء فكتب السلطان بخطه : وقفت على رقعة الفاضل وما يقطع لأحد رزق إن شاء الله تعالى .

أنه لا يجاور ، وثالثة تعطيه من مال الجوالى ثلاثة آلاف دينار ، وتقول له لا بد أن يخرج هذا عنى لا عنك فى المجاورين بمكة والمدينة وفى أهلها ، هذا أمر لا بد منه ، فإن الناس لا بد لهم من الطلب . ولا بد لك من العطا ، وإن قال إن الشئ قليل فأنت تقرضنى مثل هذا المبلغ من مالك وتعطيه إياه ، فلا بد ، وإلا فلا إذن له فى الرواح إلى الحج إلا على هذه الشروط التى قد شرطتها ، وأما حجيمه فيجىء إلى الشام ، فأنا ما بقى لى دار إلا هى حتى يقضى الله بيننا وبين الفرنج وهو خير الحاكمين (١) .

فهذا الكتاب من أدل الوثائق على ما كان يحمله صلاح الدين من الإكبار والإجلال والحرص على القاضى الفاضل ، فهو يشترط عليه ، إذا سار إلى الحج ألا يركب بحرا ، خوفا عليه وضنا به ، ثم يؤمن طريقه فيرسم خطة إقامة العسكر حتى يبعد القاضى ويأمن ، وينجو من الخوف . وثانيا يشترط عليه ألا يبقى بمكة بعد الحج ، وألا يجاور فيها ، وما ذلك إلا لأن الدولة فى أمس الحاجة إليه .

أما إكرامه له ، وإعطاؤه من المال ، فواضح الدلالة ، حتى إن السلطان بذل ما عنده وطلب من نائبه أن يقرضه إذا احتاج الفاضل إلى أكثر مما أمر به .

ومع كل الاحتياطات التى اتخذها السلطان

شعره :

للقاضي الفاضل ديوان لا يزال مخطوطا ،
وفيه أشعار في مختلف الأغراض من مدح
ورثاء وهجاء وغزل ووصف ، وقد أخل
فيه وأحمض ، وهو في جملة ركيك الصياغة
قليل الرواء ، ضحل المعاني ، وربما ظفرت فيه
ببيت أو بيتين ، في الفينة بعد الفينة ، تكون
عليها مسحة من الجمال ، ولو كانت شاحبة ،
أما جمهرة شعره ، فلا خير فيها من الناحية
الفنية . وما يستحسن قوله في الشيب :

دام ولكنّه دام بلا ألم

شيب ألم برغم العين في اللمم
أما وقد قيل ضيف للشيب فلا

يلقاه - والله - وجهي غير مبتسم
إن تطلب العيش إن ولي الصبا قلن ؟
أو تنسك الهم إن فات الهوى فلم ؟
وقوله .

وأكثرهم المرء من أهل وده

ألم تر أن الخمر مظهر السر ؟
وقوله :

يقولون إن الصبر صفقة راج

فقلت ولكنني خسرت بها العمر !
وقد نسب إليه صاحب النجوم الزاهرة
هذان البيتان :

وإذا السعادة لاحظتك عيونها

نم فالتخاوف كلهن أمان

واصطد بها العنقاء فهي حباتل

واقصد بها الجوزاء فهي عنان
وذكر ابن خلكان أنه كان يتمثل بهما
وليسا له ، وأنا أرجح رأى ابن خلكان
فإن البيتين أعلى طبقة من شعره .

وقد استشهد علماء البديع بكثير من شعره
في أنواع كثيرة ، ولكن ذلك لا يدل على
أن الشعر جيد .

وله مدحة طويلة في شاور الوزير الفاطمي
وكان شاور قد طرد الصليبيين من بلبس
إبان وزارته الثانية .

وفي كتب المختارات بعض قصائده ،
ولكنها أيضا لا تصلح للاختيار ، كهذه
القصيدة التي اختارها أصحاب المنتخب والتي
مطلعها (قضى نحبه الصوم بعد المطال) .
وأحسن ما فيها غره بنفسه في قوله :

ولست لسانا لذل السؤا

ل وما زلت صبرا لعز السؤال
حديث يناجي فروع السحا
ب وأصل يناجي أصول الجبال

عمر في وصية اليهود :

سبقت الإشارة إلى مكانة الفاضل في
دولة صلاح الدين ، وإذا كان هذا السلطان
قد وحد البلاد ، وطرد الصليبيين ، ودانت
له مصر والشام واليمن وغيرها ، فإن القاضي

الخلافة يؤكد بها عمل صلاح الدين على لم
الشعث ، وتجميع المتفرق ، وقد كان
صاحب الموصل نازع في بعض الولايات
ووسط بينه وبين الفرنج جماعة من المارقين ،
فكتب الفاضل عدة كتب يتأسف على
الأوقات التي تضيع في جهات صاحب الموصل ،
وأولى بها أن تصرف في محاربة العدو : وقد
علم الله أنا لهدنتهم كارهون ، وفي مصلحة أهل
الإسلام وفي مصالحهم راغبون ، ولكننا
بلينا بقوم كالفراش وأخف عقولا وكالأنعام
أو أضل سبيلا ، إن بنى معهم فعلى غير
أساس ، وإن عدد الغدر منهم فهو أكثر
من الأنفاس .

قلت : والتاريخ يعيد نفسه ، وما أقرب
بغداد وعمان من الموصل .

وقد أعلن القاضى في هذه الأزمة موقف
صلاح الدين ، فقال : وما يريد إلا من تكون
عليه يد الله وهى الجماعة ، ولا يؤثر إلا ما
يتقرب به إليه وهو الطاعة .

ويمتنع صاحب اليمن عن دفع مال
للمجاهدين فيكتب إليه الفاضل كتابا يبين
له فيه مدى الضرر الذى يلحق بالمجاهدين
من احتجاز الأخوال عنهم ، ويقول له :
أنت مؤتمن على مال الله فأده إلى من يجاهد به
أعداء الله ، وقيم به كلمة الله ، وينصب
وجهه بين الهجير والزهرير عاما في إثر عام .

ويكتب إلى بغداد عن السلطان بعد فتح
حلب ، فيكون أهم ما يعنيه أن ينص على

للفاضل يزاحم في هذا الفضل بمنكب ضخم ،
فكل ما تم على يد صلاح الدين ، من الشئون
الداخلية والخارجية كان برأى وزيره
الفاضل ، وقد اعترف صلاح الدين نفسه
بهذه الحقيقة فكان يقول - كما روى صاحب
النجوم الزاهرة : « لا تظنوا أنى ملكت
البلاد بسيوفكم ، بل بقلم الفاضل ، وردد
أحد الشعراء وهو ابن الذرؤى هذا المعنى ،
فقال في مدحه :

لرأيتك هذا النصر للدين ينتهى
فلا ينتحله كل غضب ولهضم
وإن كان فيه للأسنة والظبي

مساعدة فالفضل للبتقدم

وكان صلاح الدين إذا هم بغزاة بدأ بزيارة
للفاضل يستضيء برأيه فيما يريد فعله ، وكان -
كما يقول أبو شامة في الروضتين - لا يأتى
أمر إلا من بابيه .

وأكثر الشعراء من مدح الفاضل بهذا
المعنى ، ومن ذلك ما تردد في شعر العباد من
أن قلم الفاضل يقوم مقام الكتائب .

والذى يطالع رسائل الفاضل ، وهى
كثيرة لو جمعت لكانت مائة مجلد ، تبدو له هذه
الحقيقة واضحة ، فقد كان يرسم الخطة للقتال
في بعض المعارك . وكان يرسل الكتب
للأقاليم تدعو إلى توحيد الصفوف ، ومواجهة
الأعداء بقلب متحد ، ويرسلها إلى دار

وحدة الأمة، فيقول: (والأمة بمجموعة الشمل
بإمامته جمع السلامة لاجمع التكسير). وكل
ذلك يدلنا على مدى شعور هذا الوزير الخطير
بخطر الوحدة، وما لها من أثر في جمع
الكلمة، وطرده الأعداء.

ويتخذ من يوم إعادة الخطبة للخليفة العباسي
عيداً، يترنم فيه بكلمة الوحدة، ويكون
أقوى ما يسب به الدولة الزائلة وأنصارها
لأنهم (تقطعوا أمرهم بينهم شيعاً، وفرقوا
أمر الأمة وكان مجتمعاً).

ويتجلى شعور الفاضل بالوحدة، وخطورتها
حين يكتب إلى الملك الظاهر معزياً في أبيه
صلاح الدين فيقول في آخر الكتاب: (وأما
الوصايا فما يحتاج إليها، والآراء فقد شغلني
المصائب عنها، وأما لا نفع الأمر فإنه إن وقع
اتفاق فما عديم إلا شخصه الكريم وإن
كان غير ذلك فالمصائب المستقبلية أهونها
موته وهو الهول العظيم. والسلام).

ولكن وقع ما كان يخشاه الفاضل واختلف
أبناء صلاح الدين فيما بينهم على تملك البلاد
وكان ذلك نذيراً بتشتت الشمل، وتفريق
الكلمة، فنهض الفاضل ليرأب الصدع،
ويحول دون الكارثة، ولكنه لم يفلح،
فلزم بيته واعتزل الناس.

وللفاضل شعر في مدح صلاح الدين
أكثره كان تهنئة بالفتوحات التي تمت على يده
ولكنه لا يبلغ درجة نثره، ومن ذلك قوله

في وصف أسياف صلاح الدين .
ماضيات على الدوام دواي
هي في النصر نجدة الإسلام
في يمين السلطان إن جردتها
أشبهتها صواعق في غمام
تنثر الهام كالحروف فما أشبه
هذي السيوف بالأقلام
في محارب حربته البيض صلت
وركوع الظبي سجود الهام
وجاع الأمر أن هذا الوزير الخطير ،
والأديب الكبير ، قد خدم الوحدة أجل
الخدمات ، برأيه الثاقب ، وأدبه البارع ،
وتمكنه من الدولة الصلاحية ، وبجمعه
حوله الشعراء الذين تغنوا بأناشيد الوحدة ،
وأشادوا بفتوحات صلاح الدين ، وكانوا
من أقوى العوامل في تحميس الجيوش
لاسترداد البلاد التي استولى عليها الفرنج .

وقد كتب العماد فصلاً رائعاً يذكر فيه وفاة
القاضي الفاضل ، وضمنه عظم الرزية فيه ؛
وذكر جلائل أعماله ، وإن كتابته كانت
كتائب النصر ، وبلاغته كانت ميزة العصر
الصلاحى ، وقد أشار إلى إقالته عثرات
الكرام وأن الكرام كانوا في ظله يقيلون ،
ومن عثرات النوائب بفضلته يستقيلون
رحمة الله رحمة واسعة . ٢

على العمارة

كيف نصلح النحو العزنى؟

للاستاذ عبداللہ درویش

وسوف تدهشون عندما أعرض عليكم بعض الآراء التي تعد جزئية في الموضوع وهي لعلماء أجلاء ، قد يشاء البعض من الذين يريدون أن يبقوا النحو كما هو أن يسميهم بالمحافظين .

وبعض هؤلاء العلماء الأجلاء تناول جانباً واحداً من المسألة وبعضهم تناول الأسس العامة لهذه المسائل . .

وأول محاولة جزئية كانت لابن مضاء في هجومه على نظرية العامل ، ولكنه استقبل العامل - وهو الفعل أو شبهه بعامل آخر وهو الله سبحانه وتعالى ولعله كان متأثراً بمذهبه في التوحيد وهو مذهب أهل الظاهر . . لدرجة أنه رمى من يقدرعون عوامل محذوفة في القرآن ، بالكفر ؛ لأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه . .

أولاً : أما صاحب إحياء النحو وهو الأستاذ إبراهيم مصطفى فقد نظر لنظرية العامل من زاوية أخرى فألغاه ولم يحل محله شيئاً . كما استعار اصطلاح أصحاب المعاني - المسند والمسند إليه للبتد أو الخبر والفاعل ونائبه . .

يكاد يكون هناك اتفاق على أن قواعد النحو في كتبه الموسوعة التي بين أيدينا ، وبأسلوب علمائها الذي كتبوه منذ قرون تقرب منا أو تتباعد في حاجة إلى تعديل ما وليس هذا يعني أبداً تغييراً في اللغة نفسها أو تعديلاً في نصوصها . . والكل متفق على ذلك . ولكننا نحاول أن نبعد الشبهة التي قد يفهمها البعض من أن تعديل النحو بوضع ما سيؤثر على اللغة العربية نفسها التي هي لغة القرآن والحديث والدين الإسلامي ، ولغة القومية العربية ويحاول أن يؤثر على عواطفنا بإدخال ما ليس من البحث فيه . .

والذي استرعى نظري أنني لم أجد بيئة معينة من البيئات العلمية اختصت بشيء واحد معين من إصلاح النحو . .

ففي الأزهر الشريف أكثر من رأى ، وفي داخل كلية دارالعلوم أكثر من رأى . وفي المجمع اللغوي أكثر من رأى ، وفي وزارة التربية والتعليم أكثر من رأى .

وليس تعدد الآراء في المكان الواحد أو الأمكنة المتعددة يعني التضارب دائماً .

- وكذلك تأثر باللغة الانجليزية والفرنسية فسمى المفاعيل والحال والتمييز مكملات . . . وهي ما يسميها النحويون - الفضلة وقد طالب صاحب إحياء النحو بالألا يقتصر الكلام على الإعراب بمعنى حركة أو آخر الكلمات ، بل يتسع فيشمل - إلى جانب هذا دراسة تأليف العبارة والتقديم والتأخير ، وجمع أساليب الكلام المتشابهة كالاستفهام والنفي والتأكيد لأن النحو عنده « هو قانون تأليف الكلام وبيان ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة . والجملة مع الجمل ، حتى تنسق العبارة ويمكن أن تؤدي معناها » .
- كما طالب باستبعاد الفلسفة الكلامية التي تطفلت على هذه الدراسة . والتي ساعد على توغلها ناس تأثروا بها وأعجبوا بأساليبها . . .
- وكانت المقومات الأساسية لمنهج الأستاذ إبراهيم مصطفى في كتاب إحياء النحو هي :-
- ١ - ليس الإعراب حكماً لفظياً خالصاً ، يتبع لفظ العامل وأثره ، بل هو إشارة إلى معنى وإلقاء ظل على صورته . . .
 - ٢ - الحركات أعلام لمعان ، فالضمة علم الإسناد والكسرة علم الإضافة والفتحة ليست علماً على شيء بل للتخفيف .
 - ٣ - ليس هناك علامات أصلية وعلامات فرعية . بل الكل واحد .
- ٤ - التنوين علامة التذكير .
- ٥ - التوابع تابعان فقط . النعت والبدل .
- فيدخل في النعت الخبر ، ويدخل في البدل التوكيد وعطف البيان . أما عطف النسق فليس من التوابع لأن المعطوف يشارك المعطوف عليه .
- وقد أدى التشابه في نظرية العامل بين إحياء النحو والرد على النحاة إلى القول بأن الأول مأخوذ عن الثاني .
- وقد قال الأستاذ على النجدي في ذلك بالحرف الواحد .
- « ليس « في إحياء النحو » ما يدل على أن مؤلفه رجع فيه إلى « الرد على النحاة » ، وإن كان لينحو منحاه ويستهديه في بعض المباحث وقد رد العلامة الأستاذ محمد عرفة على إحياء النحو ، وكان من أهم ما قال : إن أغلب ما ورد في إحياء النحو موجود في حواشي الكتب النحوية الكبيرة . . .
- ولكن الأستاذ إبراهيم مصطفى كان حريصاً في بعض الأحيان فذكر أن هذه المسألة من كتاب أو تلك موجود نظيرها في كتاب كذا من الكتب القديمة ، مما يعده النحويون رأياً مرجوحاً أحياناً . . .
- والباحث المدقق يرى رغم التشابه منهجين مختلفين تمام الاختلاف عند ابن مضاء وعند صاحب إحياء النحو .

وقد رد عليه العلامة الأستاذ محمد عرفه - النحو والنحاة - بين الجامعة والأزهر .
ثانياً : الأستاذ أمين الخولى فى بحث ألقاه فى مؤتمر المستشرقين بعنوان (الاجتهاد فى النحو العربى) واقترح فيه .

(ا) إعادة النظر فى جمع الثروة اللغوية ؛ لأن جمع القدماء إياها بالرغم مما بذلوه من جهود كان غير مستكمل كما صرح به القدماء أنفسهم .

(ب) الاستفادة من علم اللغة العام ومن فروعها الخاصة ، بحيث يضع الدارس دراسته اللغوية على درجة السلم التى تقف فيها الحياة اليوم .

(ج) التخلّى عن التعليقات النحوية ، والتخلّى عن الصيغ التلقينية فى الإعراب (الكلاشيات) كقولنا : « النور عوض عن التنوين فى الاسم المفرد ، وهذا لا ينصرف لعلتين هما ... » .

ولكن الأستاذ الخولى فى محاولة أخرى . طالب بتصحيح بعض اللهجات العامية وإدخالها ضمن الفصحى ، وقد اعتمد فى ذلك على بعض الآراء اللغوية التى تقول كل اللغات حجة ، فمثلاً هو يرى أن بعض العرب تعرب الأسماء الخمسة بالآلف وإنما قلنا نلزم هذا وكذلك المثنى والجمع فلنلزم فيهما الياء وباقي الكلمات يسكن آخرها .

ولكن هذا يتناول اللغة نفسها لا النحو وقد سبق أن قررنا أن النحو هو الجانب التحليلى للغة العربية - التى تتمثل فى القرآن الحديث ومأثور كلام العرب .

ثالثاً : محاولة ثالثة ظهرت فى كتاب النحو الجديد .

فقد ذكر المؤلف الفاضل فى آخر كتابه نموذجاً موجزاً قسم فيه الفعل إلى قياسى وسماعى . وأغفل تقسيم الكلم إلى معرب ومبنى ، وجعل المبتدأ ثلاثة أنواع . مرفوع دائماً منصوب دائماً مبتدأ يرفع وينصب . وهكذا سار على هذا النحو . جعل بعض المصطلحات عامة وألغى البعض الآخر . وكان ذلك فى ٢٨ صفحة من صفحات الكتاب .

وصاحبه هو العلامة الأستاذ عبد المتعال الصعدي . وكما قال زميله فى « النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة » ، قال الأستاذ الصعدي : إن إخوانه الأزهريين يسرهم أن واحداً منهم وصل إلى هذا التجديد فى النحو قبل أن يصل إليه غيرهم .

رابعاً : محاولة استطرادية فى كتاب « سيبويه إمام النحاة » ، هو للأستاذ على النجدى جاء فيها ... والآن مالى لا أنكر من النحو شيئاً كأنى عنه راض ، وإليه مطمئن . والواقع أنى عند رأى الذى قلت أننا فى

ونرجع النظر في علله لانبثق منها إلاما يتصل بالمعنى ويتفق مع طبيعة البيان الرفيع ، إلى أن قال ص ٤٢ :

فإذا خلصت الحالة واستقامت على ما نريد رجعنا إليها نسلكها في نظام التأليف الحديث ونجولها في معرض من لغته العتيقة عسى أن يكون بذلك سفر العصر في مكتبة النحو ، يدعو فيلبي الدعوة في غير إعنات ولا إضاعة وقت ، ونخلفه لمن بعدنا كما خلف لنا من قبلنا .

وهذا هو رأى الأستاذ على التجدى في كتاب سيبويه إمام النحاة ولكن عجب فقال هذا وغيره يكلف الجهد والمال .

أما الجهد فمن الممكن توفره .. وأما المال فعليه عند أصحاب أمره والقادرين على تديره .

خامسا : رأى للأستاذ عباس حسن (عالم جليل آخر معاصر) فقد نشر عدة بحوث في مجلة « رسالة الإسلام » ، بعنوان :

« صريح الرأى فى النحو العربى - داؤه ودواؤه » ، وقد نعى الباحث الجليل على النحاة تعدد الآراء النحوية فى المسألة الواحدة . واختلاف الأحكام فيها لدرجة أن من يسمع رأيا فى مسألة ما يمكنه أن يقول وهو آمن : إن هناك رأيا آخر يناقضه من غير أن يكلف نفسه مشقة الاطلاع الى أن قال : فلم يتفق أحكامهم على شئ من كليات النحو أو جزئياته فقد تصل فى بعضها الآراء إلى عشرة أو تزيد .

شواذب النحو . لا أنكرها ولا أضيق بها وإنما أنكر الإسراف فيها والافتتان بها ، كما تتمثل فى أسفار القرون الأخيرة ، قرون التزبد والتكرار فانهت المسائل واضطرب النظام ، وغمت المعالم والأصول .

فالذى علينا أن نصنع له أمران :

الأول : أن نرجع النظر فيه من جديد لاعلى أنه فاسد محتل ، يستحق الهدم ، ولكن على أنه صالح مشوب ، يغشاه غبار الزمن ، يختلط فيه الجوهر بالصدف ، والناقص بالزيف - حاجته أولا وآخرها أن ينفض عنه الغبار وتنقى عنه الشواذب ، ويعرض عرضا جديدا .

نرجع النظر فى أبوابه فنقدم منها ونؤخر ونضيف إليها ونحذف ، على نور من المنطق وتساق النسق ، ونرجع النظر فى مسائله فنلغى الشروط المنقوصة ونوحد الأساليب المكررة ، ونطلق الأصول المقيدة عند الحاجة المقتضية . وفى الحدود المرسومة . وعلى هدى من أقوال الأئمة .

ثم استطرد : . ونرجع النظر فى شواهدة فتمحصها ونحقق روايتها ونعززها أو نقبل بها غيرها أو نحذف منها ما نراه حقيقا بالحدف كشواهد اللهجات البائدة ، والزوائد اللاحقة .

الموافقة في تحديد عصر الاحتجاج بما قرره المجمع .

إن العرب الذين يوثق بعربيتهم . ويستشهد بكلامهم ، هم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني ، وأهل البدو إلى نهاية القرن الرابع . ثم انتقل إلى مشكلة القياسي والسماعي ذاكرًا عدم تحديد اللغويين لمصطلحات المطرد الشاذ القليل الكثير الشائع ٣ / ٢٨٤ ، من مخالفاته للقدماء قوله :

فأما النوع المطرد قياسا لا استعمالا فنذهب فيه مذهب أشباهه ونرده إليها ، سواء أكان العرب قد سبقونا للرد أم لم يسبقوا فنقول : أبقلت الأرض فهي مبقل ، وودعته ووذرتة من يدع ويذر . كما أنه صحح المطرد في الاستعمال دون القياس ، فيقيس عليه ما لم تنطق به العرب فنقول : استبيع واستصوب كما هو جار على ألسنة الناس في مصر ثم تناول مشكلة العامل وخلص منها إلى قوله :

لا يعيننا من العامل أن يكون هو المتكلم أو المعنوي أو اللفظ ظاهراً أو مقدراً أو محذوفاً فذاك أمر سطحي شكلي بحث . ولكن السهولة على المتكلم والقارىء تميل إلى اختيار العامل المعنوي واللفظي ونكتفي بهذا دون الخوض في التأويل الذي يستتبع الخوف أو التقدير فمثلاً :

« لمية موحشاً طلل » .

وقوله تعالى « وأن هذا صراطي مستقيماً » .

ومرد هذا التشعب في الآراء إلى أشياء منها كما يقول « ٣٨٩ » : إنهم عند جمع اللغة لم يتبعوا منهجاً سليماً ، فهم قد غفلوا أكثر القبائل وأهملوا أخذ عنها مع ما لها من تراث لغوي فياض . فهم قصرُوا القبائل الفصيحة على ست . وبدية أن لغات القبائل الست ولهجاتهم لا تحوى جميع اللهجات في باقي القبائل الكثيرة . فذلك يناقض طبيعة اللغة . ومن هنا ندت كلمات أصيلة وأساليب كثيرة صحيحة عما جمعه اللغويون .

ثم استطرد يقول :

إما أن نضع نحواً خاصاً لكل قبيلة ، ولكننا إذا استعملنا واحداً من هذه الأنحاء تفككت الروابط بين العالم العربي . وإما أن نضع نحواً موحداً للقبائل كلها . لا يحوى لهجاتها مجتمعة . ولا يضم في ثناياه خصائص كل لغة منها . وإنما يكون أساسه من لغة واحدة ممتازة يعترف الجميع لها بالسمو وليس لغة قريش هي المعينة .

ولإنما عني لغة القرآن الكريم التي لا تنتسب لقبيلة واحدة بعينها ثم الحديث ثم ما اشتهر من كلام العرب فنطلق بعض القيود مثلاً لا نشترط في المبتدأ حين يقع أول الجملة ألا يكون نكرة . وهذا يؤذن بوقوعه نكرة ومعرفة وكذلك الحال لا نذكر أنه يمتنع مجيئها من المصدر ، وهكذا ثم تعرض لأصالة الكلام العربي بعد ذكر الخلاف وانتهى إلى

فتحة مثلاً؟ ولم كان الاسم ممنوعاً من الصرف؟
ولم ولم... الخ.

واستشهد بأمثلة كثيرة تخالف تعليقات
النحويين في تركيب نعم وبئس ثم ذكر
ما يترتب على تعليقات النحويين من فهم
إجماع القراء السبعة على مرجوح في آية:
« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » .

إلى أن قال :

وكل التعليقات تنطق بأوضح بيان بما أصاب
اللغة والنحو من إساءات بالغة بسبب إخضاعها
للعلل والتعليقات واستبداد هذه بتلك . .
ومن تعليقات أوسعت الخلاف وعددت
الآراء تعديداً ليس مصدره لهجات العرب
ولكن مصدره المجادلات والمباحكات اللفظية .
وينبغي أن نستعرض التعليقات في مواطنها
ونبحثها في تودة ونصفه . ونقضي قضاء
مبرماً على ما لا خير فيه وما أكثره - غير
مترددين ولا هيابين . بهذا وذاك بما أشرنا إليه
نظهر النحو من عيب أى عيب ونصفه
من أدناس وأوشاب طغت عليه وأساءت إليه
وإلى المشتغلين به والراغبين فيه .

سادساً : ولنغادر القاهرة لندخل إلى دمشق

وبغداد .

١ - ففي دمشق : كتب الأستاذ سعيد

الأفغانى كتاب : « في أصول النحو » تناول
فيه أربع مسائل هي :

فوحشا ومستقيماً كل منهما حال منصوب
بالمبتدأ على رأى سيبويه ولا داعى للتقدير
كما هو رأى الجمهور .

وكا في قوله تعالى « وكانوا فيه من الزاهدين » .
إنى لكما لمن الناصحين ، لا داعى لتقدير محذوف
فلا تأول .

ومثل : « إذا السماء انشقت » . فهو يقول
النحويون يحرمون أن يكون المرفوع فاعلاً
مقدماً أو مبتدأ فلا ينبغي أن تأول « محمد
هند مكرها » خطأ عند البصريين إلى أن يقول
لعل فيما أوردناه من الأمثلة ما ينهض دليلاً
على أن العامل قد تجاوز حدود اختصاصه
حين أخرجه النحاة من دائرته المحمودة إلى
التحكم في الألفاظ والتراكيب مما يدعو إلى
الدهش بل السخط ؛ بما أساء إلى اللغة وجعلها
عسيرة على المتعلمين والراغبين فيها والناطقين
بها ، فيجب أن نتخلص من كل هذه الفكرة
السقيمة التى أوحى إلى بعض أصحابها قديماً
أن يقولوا : لولا الحذف والتقدير لفهم
النحو الخير .

مسئلة التعليق :

ناقش الأستاذ الجليل النحاة الأقدمين فيما
ذكروه في العلل الثوائى والثالث .

فمثلاً يقولون : لم نبحت هذه الكلمة ؟ ولم
بنيت على حركة ؟ ولم كانت هذه الحركة

٢ - أما في بغداد :

فهذا هو الدكتور مصطفى جواد عضو
المجمع اللغوي العراقي يعرض لمسائل جزئية
من صميم النحو ليحلها على ضوء الاستقراء
الذي قام به هو في كتب اللغة مثلاً .

النسب إلى فعيلة مثل طبيعة غريزة ، وفعيلة
مثل جهينة .

النسب للجمع دُولى - دولى - عمالى .

فهو يأخذ برأى ابن قتيبة أن الياء تحذف
عند الشهرة والعلمية مثل مدنى حنفى . أما سلبق
طبيعى غريزى فليست أعلاماً وقد استعمل
الملاحظ وأبو حيان كلبة الكرم الغريزى
أما الجمع فهو يقول : إن المعنى يختلف بين صحفى
وصحفى وبين عملى وعمالى إلخ مثلى الجوالقى .
كذلك ذكر تطور معانى الكلمات من عصر
إلى عصر . وذكر أيضاً أوزان المطاوعة
وقال : إنه لا يتوقف معنى المزيد على المجرد
وغير ذلك من المسائل الاستقرائية المهمة .

سابعاً : رجال التربية والتعليم .

وهؤلاء لهم غرض تربوى خاص . وهو
تيسير قواعد النحو ، بحيث تناسب مدارك
التلاميذ في مراحل التعليم المختلفة . فلا يصح
أن نلزمهم والحالة هذه ، بذكر الخلاقات
والشواهد والتعليقات ؛ لأن ذلك لا يدخل
في منهجهم وقد بدأ التيسير بصورة جدية
مثلاً في مؤلفات حنفى ناصف ، ثم على الجارم ،

الاحتجاج . القياس . الاشتقاق . الخلاف
بين السكوفة والبصرة فهو يرى أن عصر
الاحتجاج كما صورته الكتب القديمة في الانتهاء
به عند إبراهيم بن هرمة غير صواب .

وأخذ على جامعى اللغة ما يأتى :

(١) لم يصدروا في تنسيق شواهدهم
عن خطة محكمة شاملة . فهم خلطوا بين لهجات
القبائل ولم يميزوها ..

(ب) لم يدرسوا الرواة وأحوالهم ولم
يوثقوهم كما فعل رجال الحديث .

(ج) لم يحققوا من النصوص . ومن هنا
تعددت الروايات في الشاهد الواحد .

تناول في القياس مسائل المولد والمحدث
والدخيل والأصيل وانتهى إلى أن قرار المجمع
اللغوى في مصر بهذا الخصوص يعد مبتوراً
إذا لم تقيم طائفة من العلماء بتطبيق نظرياته ..
أما الاشتقاق فانهتهى إلى التوسيع فيه
حيث وردت من المادة صيغة أو صيغتان .

وعلى هذا فتأميم وتصنيع صواب وقد ذكر
مادة شق ق كنموذج واستعرض أوزانها .

أما مدرستا السكوفة والبصرة فانهتهى
إلى تقاربهما تقارباً كبيراً استمع إليه يقول :

ولا تظن أن ما مر بك من مشاحنات بينهم
كان يصرف بعضهم عن الانتفاع بعلم بعض
وحسبك أن تعلم أن الفراء - كوفى مات
وتحت رأسه كتاب سيويه .

أن يأخذ المجمع الموقر على عاتقه وضع الأسس والمبادئ لإصلاح النحو على مختلف أوضاعه ، ويقدم نموذجاً لذلك . كما فعل المجمع مشكوراً في « المعجم الكبير » .

كلمة صريحة :

إلى أين تصل بنا هذه المحاولات ؟ إن هدفها هو الإصلاح ولا شك ، ولكن ما موقف دار العلوم ، والأزهر ، والمجمع اللغوي ؟ . إنها وما يشبهها هي التي يجب أن تأخذ على عاتقها « النحو التحليلي » .

وما من شك في أنه قد جدت مذاهب في البحث اللغوي يعرفها أكثر من فرد في أكثر من هيئة . ومن الممكن تطبيق بعضها في النحو العربي ، فإذا لم تسعف النواحي الرسمية ، فلا أقل من أن يتكفل هؤلاء الأفراد ليتعاونوا على وضع منهج يصلح لتعديل ما اتفقوا عليه مما هو في حاجة إلى تعديل ، ولماذا لا نرى إحدى المحاولات الجزئية التي تطبق منها معينا على باب من أبواب النحو ، أو بعض مسائل متشابهة متفرقة في أبواب مختلفة .

وعلى سبيل المثال أذكر هناك نظرية المنهج الوصفي أو نظرية « النحو القالي » ، Formal Grammar . وقد ترجمها زميلنا الدكتور (بقية المقال في ذيل الصفحة التالية)

ثم في لجنة تيسير النحو ، ثم السكتب المقررة التي وضعها المدرسون ومفتشو اللغة العربية . ثم كتاب الأستاذ عبد الحميد حسن . الذي ألفه للدرسين . وآخرها النحو المنهجي والنحو الإعدادي للأستاذ محمد برائق وزملائه . ويتميز هذا المؤلف الأخير بالتعديل في بعض القواعد المتوارثة . وفي إدماج بعض المصطلحات في البعض الآخر .

وإذا أدخلنا في الاعتبار أن رجال وزارة التربية والتعليم لهم هدف تربوي خاص أمكننا أن نتركهم ليسيروا النحو حسب مراحل التعليم المختلفة ولكن دون إفراط في تعديل المصطلحات إلا بعد أن يبحث ذلك المختصون أو يقوموا هم ببحثه كمتخصصين . فهم يحمدون على مجهودهم في الوصول إلى هدفهم . أما المادة العلمية التي في « النحو المنهجي » أو الإعدادي ، فنخالفهم فيها بعض الشيء . ولنا معها مجال آخر .

ثامنا وأخيراً : محاولات المجمع اللغوي . فقد أصدر المجمع الموقر بعض قرارات في سبيل تعديل بعض القواعد النحوية . ولكنها جميعاً أخذت طابع التيسير الذي يخدم الغرض التربوي . وبعض البحوث القليلة العدد ، العظيمة القيمة كتبها أصحابها ونشرتها مجلة المجمع ، ولكنها ظلت كراي فردى لم يكتسب صيغة القرار . وكنا نأمل

أزهري في روسيا

للمؤلف الأستاذ عبدالموجود عبدالحافظ

ولد في إحدى قرى مديرية الغربية ونسب إلى عاصمتها (طنطا) ويقال إنه ولد حوالي سنة ١٨١٠ م كما أن نشأته غير معلومة تماما . ولما شب عن الطوق التحق بالأزهر وحضر على الشيخ حسن العطار الذي كانت له نزعات أدبية لم يألفها جل علماء الأزهر مما جعل كثيراً منهم يتعصبون عليه . ولما أتم الشيخ الطنطاوى دراسته في الأزهر وتصدى للتدريس فيه حسداً حذو

مصرى مغامر وأزهري جرىء خرج على الطريقة الأزهرية القديمة ومهد لتدريس الأدب والشعر فيه ، ثم ترك التدريس ، وغادر وطنه مرتحلاً إلى بلاد لم يكن الوصول إليها سهلاً ولا مبلغ علمنا عنها إلا قليلاً ، وهناك قضى بقية حياته يجاهد في سبيل نشر لغته وآدابها ، حتى أدركه الموت ودفن هناك في مقابر المسلمين .

ذاك هو الشيخ محمد عياد الطنطاوى الذى

أفعال لا فواعل وأن جوار وغواش في حالتي الجر والرفع مثل قاض . وأما في حالة النصب فقط فهي متنوعة من الصرف . وأن قضايا وزنها فعال كما قال الكوفيون . انظر نقد النحو للدكتور أيوب ، ودراسات في علم الصرف لكاتب هذا المقال : أما التفصيلات عن هذه النظرية وأضرابها فله مجال آخر . وبعد : لعلمنا بذلك نكون قد ألقينا ضوءاً على على المشكلة ونرجو أن تمكننا الظروف من الإسهام في حلها أو حل بعضها حللاً إيجابياً .

الراكتور عبد الله درويش

(بقية مقال كيف فصلح النحو العربى)

أيوب بالنحو الشكلى . ولكن كلمة الشكلى ، من معانيها ما يقابل الجوهر وكلمة From ، المنسوب إليها هذا اللون قد تكون التكوين أو الشكل أو القالب . فهذه النظرية يمكن أن تحل لنا كثيراً من المشاكل المعقدة . إذ أنها تنفي عن النحو « الشوائب والعلل والفلسفة » وغيرها مما شغصه الباحثون كأدواء للنحو . وقد ترتب على هذه النظرية أن نقول بأن المضارع مبنى مع نون التوكيد في حالة المفرد والجمع كذلك وأن أو اصل في الصرف وزنها

ولفصاحة الشيخ ولباقته وارتفاع ذوقه
أصبح أثيراً عند كل من اتصل بهم .

* * *

ولما كانت روسيا قد أنشأت فرعاً للغات
الشرقية وبدأ اهتمامها بهذه اللغات يظهر شيئاً
فشيئاً حتى إنه حوالى سنة ١٨٣٦ خصص
قسم كبير منظم في جامعة بتروغراد لتدريس
اللغة العربية بجانب اللغات الشرقية الأخرى
كالصينية والمغولية والتركية والفارسية ،
وذلك بفضل وزير المعارف في ذلك الوقت
(م . بوشكين) وقد رأى هذا القسم إتماماً
للفائدة ، ولتكون دراسة اللغات الشرقية
متشعبة مع دراسة تاريخ أقطارها ، أنه يجب
الاستعانة بأساتذة من الشرق نفسه فهم خير
من يقوم بتعليم اللغات الشرقية للطلاب
الراغبين من الروسيين وغيرهم من الأوروبيين .
لهذا كلفت روسيا قنصلها في القاهرة ليعوم
بالاتفاق مع من يعرف فيه القدرة على
القيام بهذه المهمة ، فاتصل بالشيخ وعرض
عليه الفكرة وطلب منه الموافقة ولكن
الشيخ تردد في أول الأمر . غير أن إلحاح
القنصل وسخاء عرضه جعل الشيخ طنطاوى
يوافق على السفر . وفي حوالى سنة ١٨٤٠
غادر الشيخ وطنه ليحتل مقعداً بين أساتذة
اللغات الشرقية في بطسبرج . وهناك قوبل

الطار ، فأخذ يدرس لطلابه مقامات
الحريري وديوان الحماسة لأبي تمام ويشرح
لهم غريب الألفاظ ويصبرهم بمواطن الجمال
والقبح فيها .

ولما كان الشيخ طنطاوى عربى الثقافة
لم يعرف شيئاً عن التيارات الأدبية الجديدة
التي وفدت على مصر مع أعضاء البعثات
الأزهرية العائدين من الخارج في ذلك الحين ،
فقد كان معتدلاً في نزعه ولذلك لم يلق
المعارضة الشديدة التي قوبل بها هؤلاء ،
ولكن قاومه بعضهم فاضطر إلى ترك الأزهر
إلى انتدريس في المدارس الأجنبية ، فاشتغل
بالتدريس في مدرسة (الإرسالية البروتستنتية)
بالقاهرة سنة ١٨٣٥ ، وهناك تعرف الشيخ
على كثير من المستشرقين الأوروبيين الوافدين
على مصر أمثال الدكتور (فراهن) الألماني
الذي كان أبوه مدرسا للشرقيات في كلية
قازان . والدكتور (برون) الفرنسي
الذي كان يقوم بتدريس الطبيعة والكيمياء
بمدرسة الطب المصرية وكان يجيد العربية
كتابة وقراءة وحديثاً . والأستاذ (فليانس
فرنيل) الفرنسي الذي ترجم لامية العرب
للشنفري إلى الفرنسية . و (جوستاف
ويل) الذي كان مدرسا لتاريخ المشرقيات
في كلية هيدلبرج .

ويعد الشيخ محمد عياد الطنطاوى من أعلام النهضة الأدبية فى القرن التاسع عشر للطريقة التى أنتهجها فى التدريس بالأزهر إذ اتجه إلى دروس الشعر والأدب واللغة .

وقد عده بعضهم من النحويين لأنه ترك بعض الكتب المخطوطة فى اللغة العربية مثل كتاب (حاشية على متن الزنجاني) فى الصرف وكتاب (حاشية على شرح الشيخ خالد على متن الأزهريه) فى النحو وكتاب (حاشية على كتاب الكافى فى علمى العروض والقوافى) . أما فى الأدب فلم يترك شيئاً على الرغم من أنه شرح لطلابه فى الأزهر كما ذكرنا مقامات الحريرى وديوان الحماسة كما ترك رسالة إلى صديقه رفاعه الطهطاوى . يذكر فيها إعجابه بحياة الأوربيين وطرق معيشتهم وحسن ترتيبهم وتربيتهم وجمال ريفهم بما فيه من أنهار وبساتين .

والزائر لمقابر المسلمين فى مدينة ليننجراد يشاهد قبراً قائماً (شاهد أعلى عربية وجلد وبأس شديد ، فى بلاد العجمة والجلاد والجليل) .

عبدالمو محمد عبد الحافظ
(أسيوط)

بالترحاب والتعظيم ورتب له مرتب سخى ، واشتغل بالتدريس فى المدرسة الكبرى وديوان الخارجية فى بطرسبرج .

قضى ما يقرب من سبع سنوات مجاهداً فى تدريس اللغة العربية ، ثم عين بعد ذلك فى سنة ١٩٤٧ تقريباً مدرساً أولاً لمادة اللغة العربية فى كلية بطرسبرج وعين المستشرق الروسى (نفروفسكى) مساعداً له .

وقد تخرج على الشيخ محمد عياد الطنطاوى عدد غير قليل من المستشرقين وعلى رأسهم المستشرق الفنلندى الأصل (فالن) الذى أسهم بنصيب كبير فى الأدب العربى هو وغيره ممن تعلموا فى جامعة بطرسبرج على يد الشيخ .

وبما يذكر أن المستشرق فالن قدم إلى بلاد العرب سائحاً فاتخذ اسم عبد الولى وتبذلت بينه وبين أستاذه عدة رسائل جمعها (فالن) وطبعها مترجمة إلى اللغة الإيسوجية كما أن هناك مجموعة أخرى مخطوطة فى مكتبة جامعة هلسنكفجور عاصمة فنلندا .

ولقد ظل الشيخ يقوم بعمله خير قيام حتى وافته المنية سنة ١٨٦١ تقريباً .

الدِّينُ فِي عَصْرِ الْحَضَارَةِ الصَّنَاعِيَّةِ

لِلأستاذ محمد فتحى عثمان

ووسائل النشر وسبل المواصلات، مستغلا فرص الفراغ وأزمات القلق، ولم يتحقق هذا في أول الأمر، ووقف في طريق الدين رد الفعل المباشر الذى حدث في بداية عصر النهضة...

وظن أناس أن العلم قد حمل معه الكفر، وأن المعابد لا بد أن تفسح مكانها للعامل والمصانع... وأنه لم يعد مجال في حضارة الآلة الأتقياء والقديسين !! واستفادت من تمهيد طرائق البحث والنشر والاتصال صرخات الإباحة والتحلل، والإلحاد والعريضة... لكن جاء الدمار الذى أحدثته الحروب قاضيا على كل ثقة في الآلة العجيبة وحضارتها الهائلة.

و يبدو أن بعض العلماء الاجتماعيين قد خلطوا بين ظاهرتين مختلفتين تمام الاختلاف وهما: الانحلال أو التمهقر، وظهور الفروق بين الوظائف التى كانت مختلطة في أول الأمر فظهور الفروق هو بحق قانون التطور الدينى، ومع ذلك فليس ثمة صلة بينه وبين التمهقر. فالدين يفقد بعض مناطق نفوذه، لأنه يتخلى

لم تكن الحضارة الصناعية كلها شرا على الدين والروح كما يظن البعض... لقد حملت الحضارة الصناعية في طياتها هذه المزايا بغير جدال!

تقدم المناهج العلمية في البحث النظرى والتجريبى.

رقى وسائل النشر والإعلام، من طباعة وصحافه وإذاعة... إلخ.

نهوض سبل المواصلات وتمهيتها الفرصة لتحقيق الوحدة العالمية ورفع الحواجز المادية والمعنوية التى تعزل الأمم عن بعضها.

كثرة الخدمات الآلية، التى توفر للإنسان جهده ووقته للبتعة النفسية والذهنية.

تقرير مبدأ التخصص وتقسيم العمل، الذى أعان على الإتقان والتجويد بأقل التكاليف والجهود.

ونتيجة هذا كله. يتوفر وقت فراغ للإنسان يتيح له الراحة كما يمنحه فرصة تنمية طاقته وشحنه قواه وإن كان قد تخلف عن الحضارة الصناعية تزايد في حساسية الإنسان للقلق.

وينبغي أن ينتفع الدين من هذا كله في تقديم نفسه للناس، مستفيدا من مناهج العلم

بها في حقول الهندسة والطب والطيران والبستول والذرة ... وإنما أتى الوحي بخطوط رئيسية في العقيدة والشرعية هي مفتاح الطريق وأساس السلوك وملاك الهدى ، لا يستطيع الماؤ من أن ينفصل عنها وهو يكبح في فجاج الأرض ويعمل على الانتفاع من نواميس الكون ، لكن هذه الخطوط العامة لا تسد عليه مسالك فكره ولا تجثم كابوساً على عقله ولا تعوقه عن بحثه وسعيه . . . وكما أودع الله سر الحياة في النواة والبويضة والبيضة ، لتولد عنها كائنات لها أجهزتها وأعضاؤها ووظائفها ، ثم لا تلبث تنتقل بين دور ودور ، حتى تترك وراءها سر الحياة في حلقة جديدة من سلسلة الأحياء ، وكما يتسع امتداد الخلق والحياة في الزمان والمكان ، فلا يأخذ من سر الخلق وبذرة الحياة إلا القوة الدافعة والخصائص الكامنة دون الشكل الظاهر والمظهر الخارج . . . كذلك الدين : انطلاق للحياة على الأرض ، يشع الدين خلاله على النفس والعقل والسلوك والتشريع ، دون أن ينحصر في مجموعة من الكلمات والتعاليم والمظاهر الجامدة المتناهية التي تضمها الأوراق وتناقلها الشفاهة !! . . . إن الدين يخلق حضارة في كل أرجاء الحياة ، حضارة تتجدد وتتطور كلما تابعت الأجيال وتطورت البيئات ، لا مجرد رسوم وتعايير هامة تكرر

عن بعض الميادين التي لا صلة له بها ، ولكن ما يفقده من جهة الامتداد يكتسبه من جهة العمق . حقا كان الدين يحتل مكانا كبيرا جدا لدى البدائيين ، ولكن ذلك يرجع إلى أنه كان مختلطا بعناصر أخرى اقتصادية وسياسية وأسرية ، ومن ثم كان مجراه متسعا ، في حين أن مياهاه كانت بحلة بالأورام فليس القانون الأكبر في علم الاجتماع هو السير إلى الفناء ، بل هو الاتجاه نحو استقلال الوظيفة الدينية التي تحقق اتصال المرء بربه .

تلك كلمات دقيقة ، وضع بها (باستيد) الأمر في نصابه .

وقد تحدث هذه الكلمات شيئا من لبس ، عند من يحبون أن يعرفوا الدين على أنه شامل لكل شيء ، وما فرط من شيء ، دين ودولة وعقيدة وشرعية وروح ومادة ومعاد الله أن يحصر الإله المعبود وهو رب كل شيء في نطاق لا تعداه ألوهيته ، وأحكامه وشريعته ، وليس من الصواب أن يجعل الإنسان أوزاعا وأشتاتا تتنازع السيطرة على أشلته الآلهة والأرباب .

إن الله الواحد يمنح الإنسان بكل قواه وطاقاته ونواذعه عقيدة شاملة كلية تجعله يراقب الله في اتصاله بالناس ، ويلتمس الآخرة طلب الدنيا ، ولكن هذا لا يعني أن الوحي قد أتى بخطة مفصلة للإنسان يعمل

من ظهورها . فعلى الناس أن يريحوا أنفسهم من تكلف تطبيق القرآن أو تفسيره أو احتوائه على مظاهر الكون ، فالكون كتاب والقرآن كتاب ، والقرآن يدفع بالناس إلى البحث عن مظاهر الكون وتقصى سنن الله فيه ، وليس من شأن الرسالات الإلهية سوى ذلك فلا تحملوها أكثر مما حمله الله ،^(١) .

وشريعة الإسلام القانونية كذلك قد أتت بالقواعد الكلية والأحكام الثابتة ، وترك للناس التأويل والاستنباط ، والاجتهاد والقياس في الفروع المتغيرة والجزئيات المتجددة . يقول ابن القيم في (إعلام الموقعين) : « قال ابن عقيل : السياسة ما كان من الأفعال بحيث يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد وإن لم يشرعه الرسول ولا نزل به وحى ... قلت : هذا موضع مزلة أقدام ومضلة أفهام ، فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود وضيعوا الحقوق وجروا أهل الفجور على الفساد ، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد ، وسدوا على أنفسهم طريقاً صحيحة من الطرق التي يعرف بها الحق من المبطل وعطلوها مع علمهم وعلم الناس بها أنها أدلة حق ظناً منهم منافاتها لقواعد الشرع ، والذي أوجب لهم ذلك نوع تقصير في معرفة حقيقة الشريعة والتطبيق بين الواقع وبينها ... »

نفسها دون جديد ١١^(٢) ولا أجد إيضاحاً لهذه الحقيقة أو في مما أدلى به الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر في حديثه لجريدة أخبار اليوم () عند ما سئل عن محاولات الوصول إلى القمر ، قال :

« هذا جانب بشري تركه الإسلام في ذاته وفي وسائله للعقل البشري ، ولم يحدده طريقاً ولم يبين له فيه حقيقة . نعم ، حث الإسلام بوجه عام على النظر في الكائنات وترك ما وراء ذلك للعقل البشري ، وليس من شأن الديانات السماوية أن تكشف الحقائق الكونية ، وأقرب مثال لنا أن القوم في زمن التنزيل حينما رأوا القمر يصغر ثم يكبر ويكبر ثم يصغر ويتخذ أشكالاً مختلفة وراعاهم هذه الظاهرة ولم يعرفوا عن أسبابها شيئاً اتجه بعضهم إلى النبي يسألونه ، فكان جواب الحكمة الإلهية أن أخذت بهم عن البحث في هذا الجانب إلى بيان الثمرة والحكمة المترتبة على صغر القمر وكبره « يسألونك عن الأهلة ، قل : هي مواقيت للناس والحج . وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى ، وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون » . والآية تشير إلى أن التوجه إلى بحث الكائنات أو تفسير الشرائع السماوية بالسنن الكونية لإتيان البيوت

في السماء لا في الأرض ، فلما عرف الإنسان أن الحل بيده اضطرب قليلا كرد فعل لفهمه السابق الساذج المعكوس ورد بصره عن السماء وتملكه الزهو ... ثم شرع يعود إلى توازنه من جديد .

والإسلام لم يقم نفسه في كل شيء ليحول بين الإنسان وبين أن يفكر أو يتدع في أى شيء . ربما يكون المسلمون قد تخلفوا فهيأت لهم أو هامهم شيئا من ذلك ، ولكن الحقيقة الصافية تسفر في بنايع الدين الاصيلية : من كتاب وسنة .

فالناس أعلم بأمر دنياهم في دين الإسلام ... إذا أردنا يوما أن نستحدث وجهة نظر دينية جديدة عن الحياة والعالم تحتل من جديد أذهان الأحرار وتوقف مشاعرهم . وأول التغييرات إقامة أسس أخلاقية إيجابية ، لا أسس تدعو إلى الخنوع والتسليم . أخلاق يتسامى بها الأمل ، لا أخلاق يرتكس بها الخوف . إن الإنسان لم يخلق في هذه الحياة ليسكون كل عمله فيها أن ينسرق منها حثيثا لكي يتجنب غضب الله ، إن الدنيا هي دنيانا نحن ، ويتوقف علينا نحن أن نجعلها فردوسا أو جحما ، والقوة اللازمة لذلك هي قوتنا . والحياة الدينية التي

يجب أن نجرى وراءها لن تكون شيئا من هذا الوقار العارض أو الحرمات الخرافية ،

وأفرط فيه طائفة أخرى فسوغت منه ما يناقض حكم الله ورسوله ، وكلا الطائفتين أتيت من قبل تقصيرها في معرفة ما بعث الله به رسوله . فإن الله أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض ، فإذا ظهرت أمارات الحق وقامت أدلة العقل وأسفر صبحه بأى طريق كان فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره ، والله تعالى لم يحصر طرق العدل وأدلتها وأماراته في نوع واحد وأبطل غيره من الطرق التي هي أقوى منه وأدل وأظهر ، بل بين بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة الحق والعدل وقيام الناس بالقسط ، فأى طريق استخرج بها الحق وعرف العدل وجب الحكم بموجبها ومقتضاها ، والطرق أسباب ووسائل لا تراد لذواتها ، وإنما المرادغاياتها التي هي المقاصد ، ولكن نبه بما شرعه من الطرق على أسبابها وأمثالها ... ولا نقول : إن السياسة العادلة مخالفة للشرعية الكاملة ، بل هي جزء من أجزائها وباب من أبوابها وتسميتها سياسة أمر اصطلاحى ، وإلا فإذا كانت عدلا فهي من الشرع ، .

الدين إذن لا يتراجع ولا ينحسر ، إلا عن مجالات كانت تظن البشرية في طفولتها أن حلها

لإنسان ومشاعره ، ولجميع علاقاتها بالآخرين . إنها تهى " الحلول لشكوكنا ... إنها تعيد الانسجام بين العقل والغريزة وترد" الشارد إلى مكانه في حياة الإنسانية . إن الذين لجؤوا يوما في عالم الفكر ليؤمنون بأن السعادة والسلام لا يمكن أن يعودا إلى هذه الدنيا إلا عن طريق الروح ، هـ . (نحو عالم أفضل) . تلك كلمات بصيرة هادية ... للفيلسوف الرياضى العملاق .

وعلماء الدين عندنا كانوا مندمجين مع الجماهير متفاعلين معهم ينطقون بآمالهم وآلامهم ... هكذا رأينا ابن تيمية والعز ابن عبد السلام وجمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده ، والكواكبى . وفى يوم من أيام ربيع الأول عام ١٢٠٠ هـ نهب حسين بك شفت وجنوده دارا لشخص ظلما وعدوانا فثارت ثورة الأهالى وانتفخوا على الانتجاع إلى الإمام الدردير فقال : أنا معكم وغدا تجمع أهالى الأطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة وأركب معكم ، فأرسل إبراهيم بك نائبه للدردير معتذرا ووبخ شفت وطلب حصرا بما نهب لردده ... وفى ذى الحجة سنة ١٢٠٩ هـ اشتكى فلاحو قرية من بليس إلى الشيخ عبد الله الشرفاوى من ظلم محمد بك الألفى ورجاله ، فبلغ الشيخ الشكوى إلى مراد إبراهيم فلم يفعل

لإنها لن تكون حياة حزن أو زهادة .. إنها يجب أن تستلهم الصورة التى يمكن أن تكون للحياة الإنسانية ، وأن تسعد بهجة الإنشاء مستروحة أنفاسها فى عالم شاسع حر قائم على البناء والأمل . إن أساس هذه الحياة ينبغى أن يكون محبة البشر لا مظهرهم ، ولكن لما يتوسمه الفكر من الخير . إنها لن تدين بسرعة بل توجه الشاء للعمل الإيجابى أكثر مما توجهه للبداءة السلبية من الذنب . إنها ستسبح بهجة الحياة وبالود الأصيل وبالبصيرة البناءة .

لقد قاست حياة الروح فى الأزمنة الحديثة بالجمع بينها وبين الدين التقليدى ، وبعداوتها الواضحة لحياة العقل ، وبما أخذ يبدو من أنها تتركز فى إنكار الذات . إن حياة الروح تتطلب الاستعداد لإنكار الذات حينما تتاح الفرصة ، إلا أنها فى جوهرها يقينية بقدر ما هى قادرة على إغناء الوجود الفردى ، شأنها فى ذلك شأن العقل الغريزى . إنها تجلب معها بهجة الرؤيا ، وما فى هذا العالم من بهجة الغموض والعمق وبهجة التأمل فى الحياة . وكل فوق شئ ، بهجة الحب العالمى ... إنها تحرر الذين يحصلون عليها من سجن العاطفة الشخصية الملحة والاهتمامات الدنيوية ، إنها تمنح الحرية وسعة الأفق والجسمال لأفكار

والضمير ، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والصيام جنة ، والحج لا رفق فيه ولا فسوق .

والأخلاق في الإسلام إيجابية ... دفا أظلم الصورة الشائعة بين الناس التي تحدد الأخلاق الدينية بأنها أداء الصلوات واجتناب الخمر والميسر ، والتي استفزت كتابا من العلماء حتى قال : إن الأخلاق الدينية لا تسكني أو لعلمها لا تصلح مطلقا كي تكون أساسا لتقدير الأشخاص وتقويم الرجال ... إن القيام بالشعائر واجتناب الخمر والميسر من أحكام الإسلام ، لكن ليست وحدها هي الأخلاق الدينية ... هناك أخلاق للفكر تأمر بالتعقل والعلم وتنفر من التقليد والتضليل ، ثم هناك أخلاق للنفس تأمر بالصدق والأمانة والإحسان ، وهناك أخلاق للسلوك وهي الآداب العامة وقواعد اللياقة ، (١) . والقرآن جعل من وصف المؤمنين ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم بشهاداتهم قائمون ، . والمؤمن مأمور دائما بأن يكون إيجابيا (٢) ،

(١) رسالة (الدين لواقع) .

(٢) مقال « الإيجابية الفعالة » مجلة الأزهر

شوال سنة ١٤٢٦ هـ .

شيئا ، فدعا إلى عقد اجتماع للعلماء بالأزهر فلبوا دعوته وأغلقوا أبواب الأزهر ، وأمروا الناس بغلق الأسواق والخوانيت استعدادا للبقاومة بالقوة ، وركب الشرفاوى ومعه العلماء وتبعهم الجماهير ... وتخرج الموقف ، وفي اجتماع بين العلماء و ابراهيم ومراد تقرر ألا تفرض ضريبة إلا إذا أقرها مندوبو الشعب وأن ينزل الحكم على مقتضى أحكام المحاكم وألا تمتد يد ذى سلطان إلى فرد من الأمة إلا بالحق والشرع ، وكان القاضى الشرعى حاضرا فخر حجة وقع عليها الأمراء وشعائر العبادة في الإسلام - وكما أوصت كتب الله المقدسة - كلها يقصد بها الجوهر لا المظهر . . . وفرائض الشعائر الأساسية محدودة معدودة ، وهى لا تخلو بعد ذلك من رخص تخففها عند قيام الأعذار ... وما يزيد على ذلك من قربات ونوافل متروك لتباين الأفراد والعصور ويرتبط كل الارتباط بمدى (الفراغ) والواجب في شغل الفراغ ، كما يرتبط بمستوى التكوين الأساسى للفرد . إنها دعوة للفلاح كما هى دعوة للصلاة ، أوصى بذلك الإنجيل كما أوصى القرآن ، (١) . والعبرة بما تسكبه الشعائر في أغوار النفس

(١) رسالة (الدين لواقع) .

على شعائر العبادة ، والاتقطاع عن الدنيا ، واعتبار كتابه المنزل مورد العلم الوحيد !! إنه لا يصرف الإنسان عن الدنيا ، ولا يحجزه عن العلم ، وشعائره لا تستهلك الوقت ، إنه يجعل طلب العلم فريضة ، ويجعل السعى والعمل فريضة ، ويلفت النظر دائماً إلى التدبر في الكون والنفس والتاريخ . أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون .

إن الدين يقدر العقل إذ هو نفحة من صنع الله ، والمؤمن يتعبد بأعمال عقله تحداً بنعمة الله ، ويقدر النتائج التي يتوصل إليها إخلاصاً في أداء الأمانة التي ائتمن عليها الله... والإسلام لا يفتأ ينمي طاقة العقل ويبارك ثمارها ، وكيف لا يكون هذا موقفه وقد ائتمن العقل على أخطر قضية في الوجود - قضية إدراك حقائق الدين الأساسية نفسها فهل تستغنى عن هذا الهدى حضارة رشيدة ؟ ؟

فسمى عثمان

في علاقته بالسكون وفي علاقته مع الناس : « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور . » كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . وأخلاق الإسلام الإيجابية هي أخلاق السماحة واليسر وليست انفعالات التعصب والتزمت « ولا يجرمكم شأن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان . »

والإسلام لا يسرق الإنسان من الدنيا... إنه يعلن أن الله جل وعلا قد استخلف الإنسان على الأرض وسخر الكون للإنسان « إني جاعل في الأرض خليفة ، » هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ، « خلق لكم ما في الأرض جميعاً ، » وسخر لكم ما في الأرض جميعاً منه ، « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . » والدنيا في ديننا هي معبد الآخرة « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً . » « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، ... والإسلام لا يجعل الصورة المثالية للؤمن هي العكوف

حول الخطوة الثانية

للاستاذ عبد الرحمن العدوي

والثانوى ، وعلى ما يكون من امتحان أثناء هذا التعليم ، وأن تكون الشهادة الثانوية التى يظفر بها التلميذ الأزهرى حين يتاح له أن يظفر بها صادرة من وزارة التربية والتعليم .

وقد رأى أن يحدد الاشتراك الفعلى بإعطاء الوزارة حق التفتيش والإشراف على الامتحان ، وحق إعطاء الشهادات والإجازات .

فأى شئ بقى للأزهر فى هذا الاشتراك ؟ . ألم يكن من الصواب أن يقول سيادته : « وإنما ينبغى أن تنفرد وزارة التربية والتعليم بالإشراف على التعليم الابتدائى والثانوى فى الأزهر كما انفردت به فى غير الأزهر .

فإذا كان الغرض هو توحيد التعليم الابتدائى والثانوى فى الدولة كلها ، وأن يكون التخصص فى الأقسام العالية فحسب ، فما معنى أن تفتش الدولة المدارس الإعدادية والثانوية الفنية التى تؤهل أبنائها للدراسة الفنية العالية ؟ ... وما معنى أن يكون فى المدارس الثانوية قسمان أحدهما على وثانيهما أدبى ؟ أليس معنى

نشر الأستاذ الدكتور طه حسين مقاله الثانى فى « الخطوة الثانية » . وهو ليس من الموضوعات التى يكتفى فيها برأى فرد . ذلك لأنه يتصل بكيان أقدم وأكبر جامعة إسلامية حملت لواء علوم الدين واللغة العربية أكثر من ألف عام بل يتصل اتصالاً وثيقاً بمستقبل الثقافة الإسلامية وعلوم اللغة العربية لا فى جمهوريتنا فحسب بل فى العالم الإسلامى الذى يوفد أبناءه لينهلوا من معين الأزهر ويبدى حاجته إلى علمائه يذهبون إليه مرشدين ومعلمين .

ولخطورة هذا الموضوع لا يكون من الخير أن نتسرع فى الحكم أو العمل قبل أن يدرس دراسة وافية تستبين منها مواطن الخطأ ،

يقول الدكتور : « ليس يكفى أن تكون الدراسة الابتدائية والثانوية فى الأزهر ملائمة للدراسة فى وزارة التربية والتعليم ، وإنما ينبغى أن تشترك وزارة التربية والتعليم مع الأزهر الشريف اشتراكاً فعلياً فى الإشراف الدقيق على التعليم الابتدائى

ولالأزهر برامجه الخاصة التي يعد بها أبناءه لغير ما تعد له الوزارة أبناءها ويهيئهم للون من العمل في الحياة غير ما تهيب الوزارة أبناءها له، ولا يعييه في ذلك أن هذا الإعداد يبدأ من سن مبكرة في حياة طالب الأزهر، كما أنه ليس من الحق أن يقال: إن طالب المدارس الثانوية قادر على أن يدرس في إحدى كليات الأزهر ليتخصص في علوم الدين، وكيف يمكن لفرد أن يتخصص في علم لم يسبق له دراسته وتحصيل شيء فيه؟ هل يكفي في تأهيله لهذا التخصص أن يكون لديه ميل لهذا العلم كما يذكر سيادة الدكتور؟ وأي ميل هذا الذي يدفع الطالب إلى الإنقال على نفسه وزيادة أعباء دراسته والاتجاه إلى طريق لا تؤهله له برامج مدرسته ولا يملك شيئاً من مقومات النجاح فيه؟ وهل تعتمد الكليات الأزهرية في بقائها على مثل هذا الميل بعد أن قطعت روافدها وفصات عنها معاهدها؟

لعله يقول: أنا لم أدع إلى تحويل المعاهد الدينية إلى مدارس ثانوية، بل دعوت إلى إشراف وزارة التربية عليها إشرافاً دقيقاً يتمثل في التفيتش والإشراف على الامتحان وإعطاء الشهادات باسم الوزارة لا باسم الأزهر، وهذا لا يمنع الأزهر من أن يضيف في معاهده من المواد ما يراه ضرورياً

ذلك أن الدولة تريد في وقت مبكر من سن التليذ أن تهيئه للدراسة العالية التي يرغب التخصص فيها، ولن تعطى عناية خاصة للواد التي سيكون فيها تخصصه فيما بعد، فيكون لهذه المواد وضع امتياز بجانب ما يأخذ التليذ من ألوان الثقافة الأخرى؟ وإذا كان الوضع كذلك في وزارة التربية والتعليم، فلم يعاب على الأزهر أن يهيئ طلابه للتخصص في علوم اللغة العربية والدين فيجعل لهذه المواد وضع امتياز بجانب ما يدرس لهم من العلوم المدنية الأخرى؟ وما يظن أحد أن الأزهر قصد أن يجعل من طلاب الثانوية الأزهرية نسخة مكررة لطلاب الثانوية العامة، فلأزهر رسالته التي هو حفيظ عليها ضنين بها مرابط في سبيل أدائها في صدق وإخلاص.

وهو يعد أبناءه لتحملها من أول يوم تخطو أقدامهم فيه عتبة الأزهر الشريف، وليس من الإنصاف أن نقول: إن صناعة ما أو حرفة ما يحتاج التخصص فيها إلى دراسة مبكرة تبدأ من التعليم الإعدادي ثم نقول في الوقت نفسه: إن التخصص في علوم الدين واللغة العربية لا يحتاج إلى مثل هذا التبكير في الدراسة، وليس من الرأي في شيء أن نقول: إن المتخصص في علوم الدين يكفي ما يقضيه من سنوات التعليم العالي بينما ذلك لا يكفي طالب الطب أو الصيدلة أو الهندسة مثلاً.

يقول ذلك أراه عائدا على «خطوته الثانية» ، بالنقض مطالبا أن يتاح للتخصص في علوم الدين أن يتخصص في العلوم المدنية متى أراد ، وذلك لا يكون قطعا بتحويل المعاهد الدينية إلى مدارس ثانوية ، بل رأى في ذلك أن تمكن وزارة التربية والتعليم أبناء الأزهر من الحصول على الثانوية العامة بعد أن تجرى لهم امتحانا فيما تراه من المواد التي لم يدرسوها في معاهدهم أو درسوها بمقدار لا تكفي به الوزارة ، على أن يتخذ الأزهر خطوة بمائلة بتمكين طلاب المدارس الثانوية الذين لديهم ميل للتخصص في علوم الدين من الحصول على ثانوية الأزهر بعد أن يجرى اختبارهم فيما يراه ضروريا لكياناته من علوم ، وبذلك تفتح الأبواب على مصاريعها بين الأزهر والجامعات ، ويتاح لرجال الدين أن يتخصصوا في العلوم المدنية كما يتاح لرجال العلوم المدنية أن يتخصصوا في علوم الدين واللغة . لو عدل الدكتور خطوته على هذا النحو لكانت أثبت وأقوى وأدعى إلى القبول .

عبد الرحمن العمري

من العلماء

لتهيئة طلابه للتخصص في كلياته إن أرادوا ذلك . ولكننا نسائل أيكون لما يضيفه الأزهر من علوم الدين واللغة اعتبار في نجاح الطالب ورسوبه وفي المجموع والترتيب والتقدير العام أم لا ؟ إن كان له هذا الاعتبار فقد أثقلنا كاهل طالب المعاهد الأزهرية بدراسة مزدوجة تقلل فرص النجاح أمامه وتزيد متاعب دراسته فتسوء نفسيته ويحسد زميله الذي انتسب إلى المدارس الثانوية ، ويرى في علوم الدين واللغة عبئا ما كان أغناه عن الارتباط به والانتساب إليه ، وهذا ولا شك وضع مهين لهذه الدراسة يأباه كل غيور على دينه ولغته . وإن لم يكن لعلوم الدين واللغة مدخل في النجاح والترتيب والتقدير فسينصرف الطالب عنها إلى ما يؤثر في نجاحه ، ويكثر درجات مجموعته ويأتي به في مقدمة الصفوف المستراصة أمام أبواب الجامعات .

وعندما يقول الدكتور : « وما الذي يمنع الطالب من أن يجمع بين الدراستين إن استطاع » ، ولم لا يتاح لرجال الدين من المسلمين ، إلى جانب إتقانهم لعلوم الدين ، أن يتخصصوا فيما يميلون إليه ويجدون القدرة على التخصص فيه من العلوم المدنية ، عند ما

قال شداد بن أوس : نصح لك من أسخطك بالحق ، وغشك من أَرْضَاكَ بالباطل .

الشرعة الإسلامية وحقوق الإنسان

للأستاذ عباس طه

أمرين : إما الإمساك بمخنةها بالحديد والنار وإما تركها وشأنها أشبه بحمّة هامة يؤول أمرها إلى ما يؤول إليه . هذا كان شأن الأمم الضعيفة عندما كانت تقع تحت براثن أمة فاتحة ، وهذا نفسه كان حال الشعوب التي حملت نير استعمار الرومان ، وهي الأمة التي كان لها الزعامة في الأرض قبل المسلمين مباشرة فقد كانت الشعوب تخضع لها رهبا لا رغبا وكانت كثيراً ما ثور عليها فتحدث بين الفريقين معارك تسيل الدماء فيها أنهاراً فلما أدرك الدولة الرومانية الوهن انفصلت تلك الشعوب عنها مكسنة في أعماق قلبها أقصى ضروب الحقد عليها ، حتى إنه لما داهمتها القبائل المتوحشة التي كانت نازلة في أطرافها من الهونيين والبلغار والفندالين وغيرهم لم تمتد إليها يد بمعونة ولا أمدها قلب بعاطفة ، وكان التاريخ أقسى عليها حكماً من الناس — فقد جاء في دائرة معارف لاروس الفرنسية عند ذكرها نظم الرومانين :

ماذا كانت نظم الرومان على وجه الإجمال ؟ كانت الوحشية والقسوة بعينيهما في صورة

الأمة الإسلامية بحكم الأعباء التي عهد الله بها إليها ، وهي جعل كلمته العليا في الأرض قدر لها أن تخالط من الأمم من يباينها أصلاً ولغة وعادات وديناً . وتلك الأمم لها نظم مقررة وقوانين وتقاليد خاصة ، فأخضاعها جميعاً لشرعة واحدة لا يعقل أن يكون إلا إذا كانت تلك الشرعة باللغة أرقى ما يدركه العقل من معنى العدل وما تطمح إليه النفس من نعمة المساواة وتهفو إليه الطبيعة البشرية من الحرية الصحيحة — وهذا ما لا سبيل إليه إلا إذا كان أساس تلك الشرعة الحقوق الطبيعية ، لا الحقوق التي تملها المصالح المادية وتحدّها الأثرة القومية وتثجيفها العوامل المحلية .

أجل : فإن تلك الشعوب لأجل أن تدخل في الوحدة يجب أن لا تجد في ذلك ما يثير حميتها ويهيج أنفقتها ويخرج كرامتها ويدفعها دفعا إلى التخلص مما وقعت فيه . لأنه متى تأثر كل شعب بمثل هذه الروح من التمرد نتجت من ذلك فتوق يتعذر على قاهريها رفقها فيضطرون للإيغال فيها قتلا وسلبا ثم يلجئون إلى أحد

البشرية ما يشبهه منذ تدوين التاريخ إلى اليوم؟ سببه سمو الشريعة الإسلامية سمو أذهل الشعوب عن قومياتها وتقاليدها وموروثاتها فألقت بنفسها بين يديها تستمدّها روحاً تحيا بها وتنعم بالوجود تحت سلطانها . ولم يكسب هذه الشريعة هذا السمو إلا قيامها على أساس الحقوق الطبيعية المجردة من كل صبغة قومية وجنسية وفردية ، الرئيس والمردوس فيها سيار ، والقوى والضعيف عندها متكافئان .

لم يحدث في تاريخ العالم الإنسانى أن أمة توخت العدل المطلق في سن تشريعها فنظرت إلى الناس من حيث هم أمثال في الإنسانية لا فضل لواحد منهم على آخر لآى اعتبار من الاعتبارات حتى ولو كان أجنبياً عنها يخالفها أصلاً وديناً ولونا ولغة . لم توجد أمة سلكت هذا المسلك في وضع شريعته حتى ولا بالنسبة لآحادها المؤلفين لمجموعها إلا في أخريات القرن الثامن عشر بعد الثورة الفرنسية وإعلانها حقوق الإنسان ومحوها الطبقات الاجتماعية .

انفردت الشريعة الإسلامية بميزة التعميم في حقوق الإنسان ، فهي تعتبره من حيث هو إنسان لا من حيث هو خاضع لسلطانها أو داخل في ملتها . وهذا من أجل الأدلة على أنها وحي إلهى لا وضع بشرى ، فقد دل

قوانين . أما من جهة فضائل روما القديمة عاصمة الرومان يومئذ مثل الشجاعة والمكر والنظام والإخلاص المطلق للشجاعة فهي بعينها فضائل قطاع الطرق واللصوص ؟ أما وطنيتها فكانت مكتسبة لباس الوحشية فقد كان لا يرى فيها إلا شره مفرط للبال ، وحقه على الأجنبي ، وتجرد من عاطفة الرحمة الإنسانية ، أما العظمة في روما والفضيلة فيها فكانتا مرادفتين لأعمال السوط والسيف في العالم ، والحكم على أسرى الحرب بالتعذيب والأسر وعلى الأطفال والشيوخ بجر عربات النصر ، انتهى .

قارن هذا بحكم المسلمين ، قال العالم الكبير جوستاف لوبون في كتابه « تاريخ العرب ، لم تر الأرض فاتحين أبر وأرحم من المسلمين » .

على أن لسان الحوادث في هذا الشأن كان أبلغ من لسان التاريخ فإن هذه الشعوب التي خضعت لحكم المسلمين فضلاً عن أنها لم تثر عليهم ، ولم تبطن نية الذكابة قد تهافتت على الدخول في دينهم فأصبحت بلادها معاقل للإسلام ولما يمحض عليها غير سنين معدودة حتى نبغ فيها حفظة للغة ، وأئمة لشريعته مما لم يحدث له مثيل في أى عهد من عهود البشر .

فما سبب هذا الأمر الجلل الذى لم تر

إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون .

فهو في هذه الآية لا يوصى بمعاملتهم بالعدل المطلق فحسب ، ولكن يوصى أيضاً ببرهم ، والبر هو أوكد الصلات التي تربط الناس بعضهم ببعض ، أمرها بالتوحيد بينهم في الوجهة والغاية ، وهذا أقصى ما يرمى إليه الفلاسفة والمصلحون ، وقد أصاب الإسلام هذا المرمى فكانت نتيجة ذلك أن انقلبت الأمم التي كانت تناجزه إلى أمم صديقة له ، بل مؤمنة به ، فشهد العالم لأول مرة في تاريخه تطوراً لم يحدث له شبيه في نفسيات الشعوب المتباينة أصولاً ولغات وتقاليده وعادات ، إذ تحولت كلها إلى أمة واحدة مؤلفة لا كبر امبراطورية عالمية تجرى وراء غاية واحدة هي المثل الأعلى لوجود إنساني كريم .

كل هذا كان بفضل العدل المطلق الذي جمهله الحق أساساً لشريعته العامة الخالدة ، فانظر كم كانت تنجو الأمم لو عومت تطبيق هذا العدل ، من ثورات أهلية . ومن كوارث استعمارية ، وكل كانت تقتصد من أموال لا تنفقهها اليوم إلا على التسليح بمبيدات للبشرية من قنابل ذرية ، وصواريخ موجهة وقنابل هيدروجينية خشية أن يبغى بعضها على بعض . إن الفيلسوف الانجليزي برناردشو لم يعد الحقيقة حين قال : « إن أوروبا لا تتأمل ولا

الاستقرار على أن الارتقاء في إقامة العدل لم يبلغ لدى البشر إلى حد أن يعاملوا الأجانب عنهم بمعاملتهم لأنفسهم ، ولا أن يطبقوا عليهم أصول الحقوق الطبيعية التي أدركتها عقولهم — ولكن الإسلام سبق العالم أجمع إلى تطبيق هذه الحقوق الطبيعية على السكافة ، ولم يستثن أحداً حتى الأرقاء فكان المثل الإلهي الأعلى الذي سينتهى إليه الناس كافة حين يبلغون من معارج الرقي إلى ذروتها العليا ، فقال الله تعالى يوصى المسلمين باتباع هذه المبادئ في معاملة الناس أجمعين « يأياها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً » .

وقد بين الله تعالى في آية أخرى بأن مراعاة أصول هذا العدل المطلق تشمل الخلق كافة إلا الذين يقاتلون المسلمين من أجل دينهم ، ويعملون على إخراجهم من ديارهم اضطهاداً لهم وعدواناً عليهم فقال : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على

ولا تبرأ من أوصابها التي تكاد تودى بها
إلا إذا أخذت بأصول الإسلام وعمات بها .
إن الإسلام لم يمد رواق سيادته على الأمم
التي تدن به اليوم إلا بالعدل المطلق الذي
أوصى شيعته بالقيام عليه ، فوجدت تلك
الأمم فيه ما تحلم به من حياة اجتماعية لا تشوبها
شوائب الجنسيات المتنافرة ، والعصبيات
المتناظرة والطبقات المتحاقدة ، بل ما آنتسته
في أصوله من مطابقة العقل ومسايرة الدليل
وفي آدابه من سمو ليس بعده غاية ولا وراءه
مذهب ، فألقت بنفسها في جماعته ، ورأت

الخير كل الخير في مناصرته والذود عن
بيضته .

ولا تزال الدعوة الإسلامية باقية حتى
يكسف القمران وتسكن هذه الأرض من
دوران ، ولا يزال ولن يزال الدليل قائما
على أن قبولها هو الدواء الشافي لأدواء الأمم
، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

عباس ط

القوة في التضامن

كان في أجمة أثوار ثلاثة : أبيض وأسود وأحمر ، ومعهم فيها أسد ، فكان لا يقدر
منهم على شيء لاجتماعهم عليه .

فقال الأسد للثور الأسود والثور الأحمر : لا يدل علينا في أجمتنا إلا الثور الأبيض ،
فإن لونه مشهور ، ولوني على لونكما ، فلو تركتاني آكله صفت لنا الأجمة .

فقالا : دونك فسكه . فلما مضت أيام قال للأحمر : لوني على لونك ، فدعني آكل
الأسود لتصفو لنا الأجمة . فقال : دونك فسكه .

تم قال للأحمر : إني آكلك (لا محالة) .

فقال : دعني أناذي ثلاثة . فقال . إفعل . فنأدي ألا إني أكلت يوم أكل الثور الأبيض .

لغويات

للأستاذ محمد علي النجار

فعل في معنى مفعول

يأتي فعيل في معنى مفعول جارياً مجرى الأسماء لا يجري على موصوف ، وذلك إذ لا يراد وقوع الفعل عليه ويتخصص في بعض المعاني فيخرج عن إبهام الأوصاف . وهذا الضرب في أغلب أمره تلحقه تاء النقل من الوصفية إلى الاسمية . ومن ذلك الذبيحة لما يعدّ الذبح من الحيوان ، وإن كان حيّاً لم يذبح ، ويستوى في ذلك الذكر والآثى . ومنه النطيحة للحيوان ينطحه آخر فيموت بالنطح وقد تخصص هذا بإضافة الموت إلى النطح فالتحق بالأسماء . ومنه لللقيطة في قول الشاعر الحماسي :

لو كنت من مازن لم تستبح ليلي

• بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

قال المرزوقي في شرحه (ص ٢٥) :

• ولقيطة ألحق بها الهاء وإن كانت فعيلة في معنى مفعولة لأنه أفرد عن الموصوف به

وجعل اسماً . وهذا كما يقال : النشيطة والذبيحة والبنية في الكعبة ، . والنشيطة ما يغنمه الغازي في الطريق قبل بلوغه الوجه الذي يغزوه . وكان هذا في نظام الجاهلية . وهي في الأصل وصف من نشط الشيء : اختلسه . وقد مجرد هذا الضرب من التاء كما قال ابن أحر :

تهدي إليه ذراع الجدى تكربة

إما ذبيحا وإما كان حلاما

فالذبيح : الجدى الذي كبر وصلاح أن يذبح والحلام : الجدى الصغير لا يبلغ أن يذبح .

فأما فعيل الذي لم يجر مجرى الأسماء وبقي على وصفيته فقد جاء عارياً من تاء التأنيث مع المؤنث إذا وجد في الكلام ، نحو امرأة قتيل وامرأة صريح . وقد اشتهر في هذا النوع أنه يستوى فيه المذكر والمؤنث : ويعلل ذلك بعض النحويين بأنه جاء على زنة

فقد جاء في الحماسة قول الشاعر يهجو بني أسد:
ولما رأيناكم لثاما أدقة
وليس لكم من سائر الناس ناصر
ضممناكم من غير فقر إليكم
كما ضمت الساق الكسير الجبائر
فقال ابن جني في كتابه التنبيه (١) على
مشكل إعراب الحماسة : « الكوفيون يقيسون
تذكير فعتل إذا كان في معنى مفعول وجرى
وصفا على مؤنث ؛ نحو امرأة قتيل وصرع
وجريخ ؛ فعليه جاء (الساق الكسير) .
وقياس مذهبنا نحن (يريد البصريين)
ألا يجوز قياسه ؛ بل يروى المسموع فيه
بحاله . » ويقول المرزوقي في شرحه (٢)
للحماسة : « وقال الكسير والساق مؤنثة لأنه
فعل في معنى مفعولة . وعن أصحابنا البصريين
هذا لا ينقص ، بل يتبع فيه المحكي عنهم . »
ويقول التبريزي في شرحه (٣) : « وقال :
الساق الكسير وهي مؤنثة لأن فعلا إذا كان
في معنى مفعول ووصف به المؤنث كان بغيرها
قياس مطرد عند الكوفيين . وعند البصريين
لا ينقص ، بل يتبع فيه المحكي عنهم . »

المصدر كالزئير والصهيل فالتحق به في التعرى
من التأنيث . وهذا التعليل غير صحيح ؛ فإن
فعيلا في معنى فاعل فيه هذا المعنى ،
ولا يستوى فيه المذكر والمؤنث . وإنما هو
استعمال العرب ، وسنتهم في الكلام . وهذا
كما أسلفت - إذا كان في الكلام ما يدل على
الموصوف المؤنث ، فأما إذا لم يكن فيه ذلك
فيؤتى بالتاء مع المؤنث دفعا للبس ، تقول :
هذه قتيلة بني فلان .

وهذا الحكم الذي أوردته نراه في كتب
متأخرى النحاة ، ولا يوردون فيه خلاف
البصريين والكوفيين وهذا يدل على اتفاقهم
عليه . ويقول سيبويه في الكتاب ٢ / ٢١٢ :
« وأما فاعيل إذا كان في معنى مفعول فهو في
المؤنث والمذكر سواء ، وهو بمنزلة فاعول .
وتقول : شاة ذبيح كما تقول : ناقة كسير . . .
وتقول : شاة رمى إذا أردت أن تخبر أنها
قد رميت . . . وقالوا : نعجة نطيح . » فترى
من هذا النص أن سيبويه إمام البصريين
يقول بتجريد فاعيل هذا من التاء إذا تبع
المؤنث قياسا لاحبا ، ومنهجا مطردا .

على أنه يروى أن ابن جني وشيعة له
ينسبون إلى البصريين القول بعدم التعرّبة إلا
فيما جاء وسمع عن العرب ، وأن القول
بالتعربة على الوجه السابق مذهب الكوفيين .

[١] انظر الورقة ١٧٠ من مخطوطة دار
الكتب .

[٢] ص ١٤٨٥

[٣] ج ٤ ص ٦٠ من طبعة الم-كتبة التجارية .

بمعنى فاعل قد يحمل عليه فيلحقه التاء مع ذكره الموصوف أيضاً ؛ نحو امرأة قتيلة .
والأصل في هذا قول سيبويه في الكتاب :
« وقالوا : نعجة لطيح ، ويقال : لطيحة ،
شبهوه بسمين وسمينة » .

وجاء في اللسان (ذم) في حديث الشؤم والطيرة
ذروها ذميمة أى ذروا الدار . فذميمة فعيلة
في معنى مفعولة وقد جاءت على التأنيث .
وجاء فيه (رأى) قول الشاعر :
وما ذاك من ألا تكوني حبيبة
وإن ربي* بالإخلاف منك صدود
وفيه في (جهم) قول الشاعر :

فيا جحمتى بكى على أم مالك

أكيمة قلوب بإحدى المذائب
الجحمة : العين والقلوب : الذئب ،
والمذائب : مجارى الماء . فانظر كيف جاء
التأنيث مع الموصوف المؤنث . وعلى هذا
ليس من الخطأ أن يقال : مصر الحبيبة ،
والفضيلة الصريعة .

ومن مباحث فاعل في معنى مفعول أنه
يثنى ويُجمع ، غير أنه يتجنب به جمع المذكر
السالم وجمع المؤنث السالم أى يجمع جمع
التكسير فقط . فيقال : هما صريعان وهم
صرعى . ولا يقال : هما صريع وهم صريع
ويقول سيبويه في الكتاب في شأن هذا

على أن التبريزى سرعان ما ينسى ما ذكره
هنا فيجعل التجريد من التاء هو القياس . فقد
جاء في الحناسة بعد القطعة السابقة قول
وضاح بن إسماعيل :

من مبلغ الحجاج عن رسالة
فإن شئت فاقطعنى كما قطع السلي
وإن شئت فاقتلنا بموسى رميضة
جيا فقطعنا بها عُقَد العُرا
فقال التبريزى في الشرح (١) : « رميضة :
حادة ؛ رمضت النصل إذا رقعته وحددته .
وكان القياس أن يقول : رميضا ، إلا أنه
جاء على الأصل المتروك ، مثل أعوز
واسفونق الجمل » .

وأذكر هنا أن تجريد هذا الضرب من فاعل
من تاء التأنيث ليس ضربة لازب ، فإن مالك
يجعله أمراً غالباً في قوله :

ومن فاعل كقتيل إن تبع
موسوفه غالباً التاء تمنع

ويقول الأشموني في شرحه : « وأشار
بقوله : غالباً إلى أنه قد يلحقه تاء الفرق حملاً
على الذى بمعنى فاعل ؛ كقول العرب : صفة
ذميمة وخصلة حميدة » . ويقول الرضى في
شرح (٢) الكافية : « ولشبهه لفظاً بفعل

وقد علمت من كلام سيويه الرد على مثل هذا الكلام ، وقد جاء في كلامه التمثيل بجرحى الذى يرده الأستاذ حفى ناصف تبعاً للخضرى .

وينزع الأستاذ حفى إلى الاستدلال على فتواه فى منع التثنية بأنها محمولة على جمع المذكر السالم . فإذا امتنع أن يقال : جريحون امتنع أن يقال جريحان . وهذا الاستدلال لا يقوم على النقد ألا ترى أنه لا يقال : أسودون ويقال أسودان ، والأسودان : التمر والماء عند العرب . وإنما يعنى النحاة بأن المثني وجمع المذكر السالم من باب واحد أنهما يعربان بالحروف .

وقد يذكر النحويون أن فعلاً يستوى فيه المفرد وغيره ذكر وذاك فى قوله :

خبير بنو لهب فلا تك ملغيا

مقالة لى إذا الطير مرت

وقوله تعالى : والملائكة بعد ذلك ظهير . والبيت الأول نزع البصريون إلى هذا القول فيه خروجاً مما ألزمهم به السكوفيون ، فهو جواب جدلى . وقيل فى الآية : إن المراد أن الملائكة فى إعانتهم له يد واحدة فهم كالظهير . وأيا ما كان الأمر فإنما قالوه فى فعيل فى معنى فاعل لا فى معنى مفعول .

على أنه جاء قول أبى ذؤيب الهذلى :

الوصف : « ولا تجمعهم بالواو والنون ، كما لا تجمع فعول ؛ لأن قصته كقصته . وإذا كسرت كسرتة على فعلى . وذلك قتيل وقتلى وجريح وجرحى وعقير وعقرى ولديغ ولدى . وسمعنا لأن العرب من يقول : قتلا شبهوه بظريف ؛ لأن البناء والزيادة مثل بناء ظريف وزيادته . »

وقد عرضت لهذا البحث لأنه سبق لأحد علماء العربية فى العصر الحديث الأستاذ حفى ناصف عليه رحمة الله أن منع تثنية هذا الضرب وجمعه . فجاء فى جواب (١) له عن بعض الأسئلة النحوية أنه لا يقال : جريحان ولا جرحى ؛ إذ كان جريح يستوى فيه الواحد وغيره كما يستوى فيه المذكر والمؤنث .

وقد استند فى ذلك إلى قول الخضرى فى حاشيته على ابن عقيل فى مبحث النعت : « محل مطابقة النعت للنعوت إذا لم يقيم مانع ككون الوصف يستوى فيه المفرد والمذكر وأضادهما ؛ كصبور وجريح . » ويقول (٢) الأستاذ حفى ناصف عقيبته : « وهو صريح فى أنه يقال بلفظ واحد للبذكر والمؤنث ، مع كونه لواحد أو اثنين أو جماعة . »

[١] انظر المجلد التاسع من المقتطف ص ٣٦٧ .

[٢] انظر المقتطف فى المجلد التاسع ص ٦٧٦ .

لا في معنى مفعول . وفي الحق أن العرب جعلت العدو والصديق في معنى الواحد إذ كانت العداوة والصداقة تتضمن التعاون والتوحد ، فأعداء المرء يجتمعون على عداوته كأنهم واحد ، وأصدقاؤه يتعاونون على نصرته ، فمن هذا جاء قوله تعالى : « فإنهم عدولي » ، وجاء قول رؤبة . فأما قريب فالأمر في تذكيره مع أنه في معنى فاعل أن المراد بالرحمة الغوث والعون أو نحو ذلك . والأحسن في تخريج بيت أبي ذؤيب أن يقال : إنه أراد تشبيه العبير بدم الظبي ، فإن المفرد يشبه بالمفرد ، فلما أعجزه الوزن أن يأتي بدم الظبي أتى بدماء الظباء وهو يريد دم الظبي وجاء الوصف (ذبيح) مفردا على ما نوى وقدر وهو دم الظبي . مثل هذا كثير في العربية ، ومنه ما يحتاج إلى تأويل في كلامهم .

وقد عقد لهذا ابن جني في الخصائص بحثا سماه شجاعة العربية ؟

محمد علي النجار

وسرب يُطلى بالعبير كأنه دماء ظباء بالنحور ذبيحُ وجاء عقبه في اللسان : ذبيح وصف للدماء ، وفيه شيثان . أحدهما وصف الدم بأنه ذبيح ، وإنما الذبيح صاحب الدم لا الدم . والآخر أنه وصف الجماعة بالواحد ، فأما وصفه الدم بالذبيح فإنه على حذف المضاف ، أي كأنه دماء ظباء بالنحور ذبيح ظباؤه (كذا والصواب : ظباؤها) ثم حذف المضاف وهو الظباء فارتفع الضمير الذي كان مجرورا لوقوعه موقع المرفوع المحذوف لما استتر في ذبيح .

وأما وصفه الدماء وهي جماعة بالواحد فلأن فاعلا يوصف به المذكر والمؤنث والواحد وما فوقه على صورة واحدة . قال رؤبة : (دعها فما النجوى من صديقتها) وقال تعالى : « إن رحمة الله قريب من المحسنين » . وهذا كلام لغوي أراد به تخريج كلام عربي جاء على خلاف المألوف والمعروف من أمرهم . وليس فيه دقة النحويين وحسن بصرهم ، ألا ترى أن ما استشهد به من كلام رؤبة والآية الشريفة فاعيل فيه في معنى فاعل

رَأْيِي فِي نَبِيِّ الْإِسْلَام بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ

لِلأَسْتَاذِ عَبَّاسٍ مُحَمَّدٍ الْعَقَّادِ

وأما المصلحون في مذاهبهم ففهم بولس ولوثر وليولا زعيم الطائفة اليسوعية .
ويظهر من آراء المؤلفين وتعليقاتهما أنهما يكتبان عن الأديان جميعاً كتابة المؤرخ الذي يحترم العقيدة الدينية ولا يتبع عقيدة خاصة منها ، لأننا إذا قابلنا بين كتابتهما عن محمد وكتابتهما عن موسى أو عيسى عليهم السلام ، كدنا نفهم منها أنهما أقرب إلى الإعجاب بنبي الإسلام وإن كانا قد ولدا وتريا على مطالعة التوراة والإنجيل ، ولكنه إعجاب تقدير واستحسان يتساوى فيه الإعجاب بالعظمة حيث كانت في مقامها الرفيع من قيادة بني الإنسان .

تبتدى ترجمة النبي العربي بالأساطير التالية :
« في القرن السابع ، حين بدا على الدنيا أنها قد أصيبت بالجفاف ، وحين فقدت اليهودية مولدها واختلطت المسيحية بموروثات الأمم الرومانية والبربرية ، نبع في المشرق - فجأة - يبيوع صاف من الإيمان ارتوى منه نصف العالم ... وإن حكمة الله لعجيبة ذات قوة في قضائها العجيب ، فإن هذا الينبوع الصافي قد انبثق من أجذب بقعة بين بقاع الأرض قاطبة : صحراء الجزيرة العربية ، .

من أشهر المطبوعات المتداولة عند الغربيين سلاسل التراجم والسير التي ينفرد كل كتاب منها بالترجمة لنخبة من قادة الإنسانية في ميادين الدين والحكمة أو ميادين العلم والفن ، أو ميادين الحرب والسياسة ، مشتملا على عظماء كل ميدان في المشرق والمغرب وفي الزمنين القديم والحديث .

وهذه التراجم تنتشر وتنفذ وتعاد طبعها من حين إلى حين ، وآخر ما أعيد منها في العام الماضي كتاب القادة الدينيين Religious loaders لمؤلفيه هنري ثوماس ودانالي ثوماس Henry Thomas and Danalee Thomas .

وفيه تراجم ثلاثة من الأنبياء الكبار وثلاثة من أئمة الديانات الكبرى في الهند والصين والمشرق ، ونحو عشرة من المصلحين الدينيين في المذاهب المسيحية أو البرهمية ، آخرهم « المهاتما غاندي » زعيم الهند السياسي الديني المعروف .

أما كبار الأنبياء فهم موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام .

وأما أئمة الديانات الشرقية فهم زرادشت وبوذا وكنفشيوس .

وذكر الكلمة المصطلح عليها قديماً لاشتهارها ويقول المؤلفان : إن صاحب الدعوة الإسلامية لم يبدأ المخالفين له بالحرب بل هم الذين بدأوه بها واضطروه لإيها ، وكان من خلائقه المعروفة أن يرحم الضعيف ويأمر بالرحمة ويرفق بالحيوان وينهى عن التحريش بين البهائم ويدعو أتباعه إلى إدخال السرور على قلوب المحزونين ، وهو القائل : «أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً أو تقضى عنه ديناً أو تطعمه خبزاً» . والقائل : «فسكوا العاني وأجيبوا الداعي وأطعموا الجائع وعودوا المريض» . وأشار المؤلفان إلى الخبر الذى ورد عن وقوف النبي لجنازة اليهودى ، وإلى الأخبار الكثيرة التى وردت عن أدبه عليه السلام فى معاملة الضعفاء والأتباع ، ومعاملة التامى والآبائى فقالا : إن هذا الأدب هو أدب النبوة الإسلامية فى لبائها ، وليس أدب القتال عنواناً لها كما حسب بعض الناقدين للإسلام على السماع . أما الجهاد فهو فريضة يؤمر بها المسلم ويتعلم معها من نبيه أن «أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه» .

ويشير المؤلفان فى هذا السياق إلى كلام كارليل عن استخدام السيف لنشر الدين فيعيدان قوله : إن شلمان لم ينشر الدين بين قبائل السكسون بالدعوة والموعظة ، وإن العبريين لم ينشروا بهما الدعوة بين قبائل

قال المؤلفان : «وتروى الأخبار الماثورة كثيراً من المعجزات والخوارق التى صحبت مولد محمد وطفوانه ... ولكن محمداً لم يذكر هذه المعجزات ولم يذكر قط معجزة تتصل بشخصه أو برسائله ، لأنه لم يأت كما قال بغير معجزة واحدة هى معجزة القرآن الذى تلقاه من وحى الله ... وقد جاء بالدين ليدعو إلى ملة إبراهيم وموسى والمسيح على هدى جديد» . قالاً : «وقد كان محمد محباً لإخوته من بنى الانسان ، بسيطاً فى معيشته يأكل خبز الشعير ويخدم نفسه وإن اجتمعت له أسباب الثراء ، ويتورع أن يضرب أحداً أو يسوءه بكلمة تقريع ... ولم يغتفر لنفسه أنه أعرض ذات مرة عن سائل ضرير ... وقد حاول أن يقابل كراهة أعدائه بالحب لأنه يعلم الناس أن أحب الخلق إلى الله أحبهم إلى خلق الله» ، ولكن عباد الأوثان بمكة لم يستمعوا لدعوة الحكمة والمحبة ونظروا إليه فلم يفهموا من قوله ولا عمله إلا أنه ثائر عليهم يسفه أحلامهم ويحطم أصنامهم ، فصادروه وتوعدوه واعتدوا على حريته وأوشكوا أن يعتدوا على حياته .

ويتأدب المؤلفان فى وصف الهجرة إلى المدينة فيختاران لها اسماً باللغة الإنجليزية غير الاسم الذى اصطلح عليه المبشرون والمترجمون للسيرة النبوية فى لغات الغرب وهو اسم الفرار أو الهرب Flight ... فقد سمي الهجرة باسم المفارقة أو الابتعاد Departure

الذى أسلم نفسه إلى الله لإسلام السمع والطاعة ، ولم يدع قط لنفسه صفة من الصفات الإلهية ، بل كل ما ادعاه وكرره أنه بشر يعلم الناس ما يستطيع كل إنسان أن يتعلمه لو ألقى السمع إليه ، ولا يصعب تلخيص تعليمه ببضعة سطور ، فإن المسلم لا يحتاج إلى الخوض في النظريات الكهنوتية ولا يحجل أن دينه دين عمل لتحقيق الحياة الصالحة وليس بمجرد نظريات وأقوال يطول فيها الجدل والمحال .

وبعد تلخيص الفرائض الإسلامية ختَمًا خلاصة الفرائض والعبادات بخلاصة السلوك العمل الذى يوجبه القرآن على المسلم فقال : « إن القرآن واضح في منهج السلوك الذى يتطلبه من المسلم ... فإن واجبه الأول أن يرتفع غاية الارتفاع الذى يعالو به إلى الاقتراب من صفات الله ، وقد عمل على إدماج النزاع بين الأفراد والقبائل فى إخوة إسلامية وتوسل إلى تحقيق هذه الأخوة بتعليم كل رجل ، وكل امرأة ، وكل طفل ، منهجه الكامل من السلوك المستقيم ، فجاء بتحريم السكر والقمار ، والحداع والآثرة ، والقسوة على أى وجه من الوجوه ، وألهم المسلمين أن يفرقوا بين حدود العبادة وحدود الأخلاق ، والنيات ، فليس البر أن يولوا وجوههم قبل المشرق والمغرب ، وإنما البر فى الإيمان والإحسان ... وعلى المسلم أن يدفع عن

كنعان . وأن من السخف أن يقال عن محمد إنه نشر دينه بالسيف ، لأن الذين يقولون ذلك يصورون لنا رجلاً واحداً قائماً وحده يحمل السيف ويشهره على أمة كاملة تعاديه وتنسك دعواه ، وهى صورة غير معقولة يرفضها خيال المتخيل قبل أن يرفضها إدراك التأمل ، ولا بد له من النظر قبل ذلك إلى الدعوة المقنعة التى آمن بها عدد من الناس كاف لحمل السيف والجهاد به للدفاع أو الإقناع ، وعبارة كارليال فى هذا السياق أن محمداً دافع عن نفسه دفاع الرجل ودفاع العربى ودفاع الرسول المستجيب لدعوة السماء .

ويلتفت الكاتبان التفاتة حسنة إلى المثل الأعلى فى الحياة الباقية كما وصفها القرآن الكريم ، فيذكر أن الحياة التى تصفو فيها القلوب « ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الأنهار » ، وأنها هى الحياة التى يتساوى فيها الناس « فلا أنساب بينهم يومئذ ولا هم يتساءلون » ، ومثل هذه القدوة السماوية لا توجد فى عقيدة تقوم على البغضاء وسفك الدماء ، ولكنها هى الصورة المنشودة لكل حياة يتحراها المسلم فى دنياه ، ويذكرها كلما ذكر الإله المعبود : باسم الله الرحمن الرحيم .

قالا : « إن من الحق أن يلاحظ أن صدق محمد لا يتجلى فى كتاب مقدس لحسب ، بل هو متجلى كذلك فى حياة مقدسة . لأنه كان بأصدق معانى الكلمة نعم المثل للمسلم الفاضل

ومنهم من يتقبل أخبار السوء بأضعف سند يلقاه بين يديه ، ولا يتقبل أخبار الحمد والخير إلا أن تفحمه بالأدلة والإسناد التي يحار فيها الأفكار والارتباب .

أما القليل النادر جداً بين هؤلاء الكتاب فهو الذى يبحث ويطلب البحث بين المصادر المجهولة ، ليستخرج منها شواهد الحمد والإنصاف ، وهذه هى مصادر الأحاديث وأخبار السيرة المتفرقة التى عنى الكتبان باستقصائها كما نرى من مواضع الاستشهاد بها فى الصفحات الموجزة التى خصصها لسيرة نبي الإسلام بين قادة الأديان ، وهى لا تزيد على عشرين .

* * *

إن رد التحية بمثلها ، أو بأحسن منها ، أدب من آداب الإسلام التى نوه بها الكتبان ، ولكنها تحية - مع هذا - تنبئنا عن شيء نحسبه فى عداد الأخبار التى لم نتكلف لها مؤنة الزويد ، فإن سلسلة هذه التراجم من مطالعات الجمهور القارىء على أوسع نطاق ، ووجود هذا الاستعداد فى طائفة متعلة من ذلك الجمهور علامة لا يغفلها المسلم الذى يعنيه على الدوام ، أن يقيس موقف الإسلام من العالم ، وموقف العالم من الإسلام .

عباسي محمود العقاد

نفسه ، وأن يقاتل من يقاتله ، ولكنه لا يعتدى لأن الله لا يحب المعتدين .

قالا فى ختام السيرة المحمدية : « فالإسلام لا يخالف الديانات الأخرى ، بل هو دين يجمع ويؤلف ، ولا يطرد أو يستثنى ، ومن أدب المسلم أن يحترم عقائد غيره وأن يؤمن بأن العالم أمة واحدة تدين لإله واحد : هو رب العالمين » .

هذه هى زبدة الفصل الذى جاء فى كتاب القادة الدينيين عن محمد عليه السلام ، ولا إخال أن القارىء المسلم يطلع فى كتابات الغربيين المعاصرين على كلام عن نبيه ورسالته هو أدعى إلى ارتياحه ، وحسن ظنه من كلام المؤلفين أو المؤلف والمؤلفة لهذا الكتاب .

فإن كتاب الغرب على درجات فى حسن الفهم وحسن النية ، وعلى درجات فى التعصب الدينى والشعور الإنسانى الذى يشعرون به نحو أبناء الديانات الأخرى ، ولا سيما الديانة الإسلامية واتباعها من الأمم العربية .

فمنهم من يطمس الحقائق ويأبى أن ينظر إلى خبر من أخبار التاريخ يستدعى الثناء على صاحب الرسالة المحمدية ، وينفى عنه زعما من المزاعم التى أشاعها الجهلاء المتعصبون فى ظلمات القرون الوسطى .

ومنهم من ينظر إلى حقائق التاريخ ويثنى حيث يلزمه الثناء كأنه ينصف فى الشهادة على كره منه .

في سبيل الوطن

مُرحِّية وطنيَّة في فصل واحد

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

المشهد الأول

« حجرة استقبال متواضعة ، تجلس فيها سيدة عجوز تمارس
أشغال الإبرة ... يدخل ابنها عصام وهو طالب أتم المرحلة
الثانوية ... الوقت ليلاً ... »

عصام : يقيقك أذى البرد ، والبرد قاس .
أمي ... سعدت مساء
الأم : يصب على الناس سوط البلاء
عصام :
سعدت في كل حين ولكننا لم نزل في الخريف ؟
عصام :
أراك منذ ليل
في الليل لا تهجين وقد صرت يا ولدي في المشيب
مشغولة بخيوط
من أجلها تسهرين وصارت يداي على حالة
ولست أدري لعمرى
ماذا بها تصنعين ؟ وعيناي قد كلتا بعدما
الأم : خبا في حياتي بريق الضياء
لأجلك أجعل هذي الخيوط
صداراً متيناً بديع الرواء
لهذا سيكمل بعد شهر
صدارك ... إن شاء رب السماء

عصام :
أماه حسبك إرهاقا يضيق به
عزم الشباب قوى المتن عملاقا
عصام : متصنعا الجد ، :
تشكك الإبرة ؟ .. هذا كثير !
هذا اعتداء ... هذه جرأة
من إبرة ليس لها من ضمير
أرهقت نفسك من أجل بلا ملل
فلا تضيقى إلى الإرهاق إرهاقا
أقسمت لن أترك ، تأديها ،
حتى أراها فى يدى تستجير
الأم :
من أجل عينيك يا نور الحياة ، ويا
سحر الوجود يهون الكد والتعب
أقسمت ما دام لى من صحى أثر
وفضلة من قوى تبدو وتحتجب
فسوف أهديك من كدى وصنع يدى
ما تبغيه ... وهذا بعض ما يجب
عصام :
تمتعت يا أمى بطول الحياه
وأسبغ الله عليك النعم
الأم :
ودمت لى ترعاك عين الإله
فأذكر النعمى ، وأنسى الألم
« تشكها الإبرة فتأوه ،
عصام : مزعجا ، :
مالك يا أماه ؟ ماذا جرى ؟
الأم :
لا تنزعج ... ذلك شىء يسيره
« وهى بتبسم ، :
شككتنى الإبرة فى إصبعى
عصام : فى حد ، :
أمى .. أعيربنى انتباهك لحظة
لاقول ما عندى من الأخبار
عصام : متصنعا الجد ، :
تشكك الإبرة ؟ .. هذا كثير !
هذا اعتداء ... هذه جرأة
من إبرة ليس لها من ضمير
أقسمت لن أترك ، تأديها ،
حتى أراها فى يدى تستجير
الأم :
من أجل عينيك يا نور الحياة ، ويا
سحر الوجود يهون الكد والتعب
أقسمت ما دام لى من صحى أثر
وفضلة من قوى تبدو وتحتجب
فسوف أهديك من كدى وصنع يدى
ما تبغيه ... وهذا بعض ما يجب
عصام :
تمتعت يا أمى بطول الحياه
وأسبغ الله عليك النعم
الأم :
ودمت لى ترعاك عين الإله
فأذكر النعمى ، وأنسى الألم
« تشكها الإبرة فتأوه ،
عصام : مزعجا ، :
مالك يا أماه ؟ ماذا جرى ؟
الأم :
لا تنزعج ... ذلك شىء يسيره
« وهى بتبسم ، :
شككتنى الإبرة فى إصبعى

الأم : ماذا لديك عصام ؟
 عصام : بلى ، واجتاز مرحلة الصعاب
 أمر حاسم
 نفذته ، وبه استقر قرارى
 « بعد لحظة »
 أمى .. اقد قدمت أوراقى الى
 كلية الأبطال والاحرار
 الأم « مصدومة » :
 تعنى بها الكلية الحربية ؟
 عصام
 أماء ... أعنى هذه الكلية
 الأم
 وكيف فعلت ذلك ، وأنت تدرى
 بما ألقاه من هول المصاب ؟
 فقدت أخاك فى يوم عصيب
 كئيب الوجه ، مسود الإهاب
 وكان أخوك نورا فى حياتى
 وكان شبابه زين الشباب
 عرفت بموته شكل الأيامى
 وذقت بفقدته نار العذاب
 ألم يك طالبا فيها ؟ أجبنى ؟
 عصام :
 أجيئك ؟ أنت أدرى بالجواب
 الأم :
 ألم يذكر صعاب العيش فيها ؟
 عصام :
 الأم :
 تذكر أنتى قاسيت وحدى
 من الأيام ما يعي الجبالا

أبوك مضى ، ولم يترك لقلبي
سوى الحشرات تشتعل اشتعالا
فناضلت الحياة ، ولم أحمل
شبابكما المشقة والنضالا
وحين مضى أخوك ، فقدت نفسي
وكدت أموت حزنا وانفعالا
ولكني صبرت على مصابي
لأجلك كي أجنيبك الوبالا
فماذا بعد فقدك سوف يبقى
لنفسى ، إن أطفقت له احتمالا ؟
عصام :

لديك بنى تفكير سليم
وعاطفة أرق من الضياء
عصا :
إذن وانقتنى ؟
الأم : مهلا فعندى حديث قد يريح من العناء
عصام :
فها أنى ما لديك
الأم : أأستبغى أداء الحق للوطن المفدى ؟
عصام : بلى
الأم :
فاعلم بأن الطرق شتى
تؤدى الحق أحسن ما يؤدى
فدع منها طريق الحرب ، واسلك
طريق السلم ، إن السلم أجدى
تريد بلادنا للحرب جندا
وتطلب غيرهم للسلم جندا
عصام :
أمى... قد اخترت الطريق ، وإنه
نعم الطريق لخدمة الأوطان
قد سار فيه أخى ، وإنى سائر
فيه إلى مجدى ورفعة شانى
إنى لأشعر حين أذكر صنعه
بالفخر يطفى جذوة الأحزان
الأم :
أفلا ترق لحسرة فى أضلعي
ملأت زمانى بالأسى ومكانى ؟

سوى الحشرات تشتعل اشتعالا
فناضلت الحياة ، ولم أحمل
شبابكما المشقة والنضالا
وحين مضى أخوك ، فقدت نفسي
وكدت أموت حزنا وانفعالا
ولكني صبرت على مصابي
لأجلك كي أجنيبك الوبالا
فماذا بعد فقدك سوف يبقى
لنفسى ، إن أطفقت له احتمالا ؟
عصام :

سابق خير ما يبقى لأم
تؤدى واجبات الأمهات
حياة بلادنا عزاء ومجدا
وفيها ينطوى معنى الحياة
وإن رسالتى عمل وبذل
لرفعة موطنى ، مهد الهداة
وإنى كى أرى وطنى عزيزا
تهون على كل التضحيات
فيا أمى بربك ساعدينى
لأمضى فى طريق المكرمات
فقلبك فيه إيمان عميق
يشيع النور فى تلك السمات
وحب الله والوطن المفدى
عميق فى قلوب المؤمنات
الأم :

أفلا ترق ، وقد عرفت فجيعتي
 « الأم تملك نفسها ، وتمسح دموعها ...
 وعرفت أن الحزن هده كياني ؟
 عصام ينظر في ساعته ثم يقول ، :
 « تبكي فيقترب منها عصام . ويربت
 عصام :
 كستها ثم يقول ، .
 والآن فلندع الحديث لفرصة
 عصام :
 أماء لا تبكي فدمعك في الحشا
 وأحب أن أحظى ببسمتك التي
 نار تهيج بمسها أشجاني
 أبدأ ففيض حبة وحنانا
 وتذكرى الأبرار من شهدائنا
 « الأم تبسم ،
 عصام :
 فصنيعهم أبقى من الأزمان
 أجل هكذا ... واحفظي بسمتي
 صانوا بحر دماهم وأوطانهم
 من كيد أهل البغي والعدوان
 فلمهم هنا ذكر ومجد خالد
 ولهم هنالك : جنة الرضوان
 وتذكرى الأحرار من أبطالنا
 وبهم عززنا بعد طول هوان
 حملوا على راحتهم أرواحهم
 وتسلموا بالعزم والإيمان
 وأتوا إلى الدنيا بأكرم ثورة
 هدمت صروح الظلم والطغيان
 عنوانها حرية وعدالة
 أكرم بما اتخذته من عنوان !
 أماء ... إن صنيعهم من أجلنا
 « بقبلها في جبينها ، فتقبله في خده . ثم يلوح
 لها بالتحية ، ويخرج مسرعا ،
 (للشهد الثاني في العدد القادم)

آراء وأحاديث

للمُستأذ الأكبر

المسلمون في الفلبين :

إليكم تحياتهم وخالص شكرهم . وشكر أولياء أمور الطلاب الذين يدرسون في الأزهر على العناية الفائقة التي يلقاها هؤلاء الطلاب من الأزهر .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن الأزهر حريص على طلاب البحوث الإسلامية ، وخاصة أبناء الفلبين الذين اعتبر نفسي والدًا لكل منهم .

ثم أضاف فضيلته : وإنى ربما أسافر إلى أندونيسيا هذا العام ، فإذا اتسع الوقت فيسعدنى أن أزور الفلبين أيضا لأتعرّف لإخوانى وأبنائى مسلمى الفلبين .

هذا وقد طلب السيد الزائر من فضيلة الأستاذ الأكبر أن يوفد الأزهر بعض علمائه إلى الفلبين ليعلموا أبناء المسلمين اللغة والدين . فوعد فضيلته بأن يعمل على تحقيق ذلك متى كان ذلك ممكنا .

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت بمكتبه السيد باراليداسان نائبا عن السيد ألتو زعيم المسلمين بالفلبين ، وكان يرافقه بعض طلاب الفلبين الذين يدرسون في الأزهر .

وقد رحب به فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا : إن بينى وبين مسلمى الفلبين رابطة قوية ، فأنا أميل إليهم بطبعى وأشعر بأنهم يحبوننى كما أحبهم .

فقال السيد الزائر : إنى ليسعدنى أن أزور الأزهر وأرى فضيلتكم وأحمل إليكم تحيات المسلمين فى الفلبين ، ثم قال : إننى أعبر باسمى وباسم السيد ألتو وباسم عامة المسلمين عن تقديرنا للجهود التى تبذلونها فى سبيل دعم الصلات الوثيقة بين الفلبين والجمهورية العربية المتحدة .

فى مدينة البحوث الإسلامية :

ثم زار سيادته مدينة البحوث الإسلامية حيث وقف على مدى تقدم الطلاب الفلبينيين

ولقد كان لاتصالكم بنا فى عيد الفطر وعيد الأضحى أثره العظيم فى نفوس المسلمين عندنا ، الأمر الذى دعاكم إلى أن يحملونى

في معهد الاعداد والتوجيه . على أن يقوموا بدورهم بالعمل على إدخال اللغة العربية في معاهد الصين وجامعاتها .

وكان يقوم بالترجمة السيد محمود ماويجي ، وهو أحد الذي درسوا في كلية الشريعة على يد الأستاذ الأكبر عند ما كان أستاذاً بها .

والبعثة الروسية :

كما استقبل فضيلته أعضاء بعثة الحج الروسية الذين حلوا إلى الأستاذ الأكبر تحيات المسلمين في روسيا ، وقد رحب بهم فضيلته قائلا : « إن الأزهر في خدمة الشعوب الإسلامية كلها يخدمهم في الدين وفي اللغة ويمدهم بالعلماء الذين يوجهونهم نحو طريق الإسلام الصحيح . ويسرنى أن ألتقي بإخواني المسلمين دائماً فهم إخوة في الله .

فقال السيد رئيس الوفد : إننا ليسرنا أن نستمع لهذا الكلام القيم الذي نحب أن يسمع إليه كل مسلم ، وإننا يوم أن وصلنا إلى القاهرة وشاهدنا التطور العظيم الذي شمل معالمها تأكد لنا مدى النهضة البالغة التي تمت في عهد الثورة المباركة . ثم انصرف الوفد شاكرين للأستاذ الأكبر حسن استقباله دعياً له بتمام الصحة والسعادة .

المسجون في سيام :

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه الحاج مروان أحمد صالح قاضي ولاية جالا -

ولمس بنفسه العناية الشديدة التي يلاقيها طلاب البعوث الإسلامية . وقد خطب فيهم قائلاً : « إنى ليسعدنى أن أقدم عظيم شكرى للسادة القائمين على شئون المدينة ، ثم وصاهم بأن ينهلوا من ينابيع الأزهر الفياضة ، حتى يعودوا إلى بلادهم وقد اكتسبوا علماً ومعرفة لينهضوا ببلادهم . كما أعلن استعداداه عن تنازله عن أربعة آلاف فدان هى كل ما يملكه لطلاب البعوث الإسلامية الذين يدرسون في الأزهر من الفيلبين . ولقد كان لهذا التشجيع أثره العظيم في نفوس الطلاب الذين بدا على وجوههم البشر والسرور ، ثم اختتم حديثه بشكر فضيلة الأستاذ الأكبر على جهوده المشكورة نحو أبناء الفيلبين ودعائه له بدوام الصحة والعافية .

بعثة الحج الصينية :

ثم استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه أعضاء بعثة الحج الصينية المكونة من السادة الحاج إيمانوف حامد والحاج ليوكافا والحاج حكيم شريف والحاج محمود ماديني ، وهم من أعضاء الجمعية الإسلامية في بكين .

وبعد أن رحب بهم فضيلته قال : « إن الأزهر حريص على خدمة الشعوب الإسلامية ويأمل أن تصير اللغة العربية هى اللسان الذى يتخاطب به المسلمون في جميع أنحاء الأرض . ثم وعدهم بأن يعمل على تدريس اللغة الصينية

الأزهر في سبيل نشر الثقافة الإسلامية في العالم وتقوية أواصر المحبة والصداقة بين شعوب العالم الإسلامي .

فقال الأستاذ الأكبر: إني لأشعر أن باكستان صنو الجمهورية العربية المتحدة في الدعوة إلى الله وإلى مبادئ الإسلام القومية فلها خطوات واسعة في القضاء على مظاهر التفرقة بين الأجناس المختلفة ، وقد سرنى منكم تحدثكم باللغة العربية مما يؤكد اتفاقنا في الهدف والغاية فوق ارتباطنا الديني والثقافي .

ثم انتقل الحديث إلى القومية العربية فقال سيادته : إن الجنرال أنوب خان رئيس الباكستان الذي سيزور القاهرة في نوفمبر القادم في طليعة من دعوا إلى الاعتراف بالقومية العربية بزعامة الرئيس جمال عبدالناصر فقال الأستاذ الأكبر : إننا لسعداء بهذه الشئمة سعادتنا بنأى هذه الزيارة التي ستقوى من الروابط الأخوية الدينية بين الشعبين الصديقين ، ثم أضاف : وإن تزاور رؤساء الحكومات من عوامل تأكيد المحبة والإخاء بين الشعوب والحكومات .

كما استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه السيد الدكتور محمد فضل الرحمن الأنصاري رئيس الوفاق العالمي للدعوة الإسلامية وأستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة كراتشي بباكستان . وبعد أن رحب به فضيلة الأستاذ الأكبر قال السيد الزائر : إنها لفرصة طيبة أنعم

جنوب سيام - الذي جاء يحمل تحيات المسلمين في سيام إلى الأزهر وشيخه ، وقد رحب به فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا :

إن الأزهر ليرحب بكم ويسعده أن يلتقي بأبناء سيام في شخصكم ، ثم أضاف : ويسرنا أن نحملك تحياتنا وتمنياتنا الطيبة إلى إخواننا المسلمين في سيام داعين الله لكم بالتوفيق . وقد طلب السيد الزائر من فضيلة الأستاذ الأكبر أن يعمل على إيفاد علماء من الأزهر إلى سيام ، وعلى قبول طلاب سيام الذين انتهوا من دراسة المرحلة الثانوية في كليات الأزهر أسوة بطلاب أندونيسيا ، فوعده فضيلته بالعمل على تحقيق رغبته متى كان ذلك ممكنا .

وسأل فضيلته عن التعليم الديني في سيام فأجاب السيد الزائر : إنهم يدرسون الفقه والنحو عن طريق الترجمة ، فأوصاه فضيلته بأن يعمل على تعليم اللغة العربية في سيام ، فهي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية ، ورابطة بين المسلمين فإذا تعلوها استطاعوا بذلك فهم القرآن والسنة وتعاليم الإسلام السمحة التي تفيض بالتوجيه السديد والإرشاد القويم .

وفى باكستانه :

ثم استقبل فضيلته السيد سفير الباكستان الذي حمل إلى فضيلته تحيات المسلمين في باكستان وتقديرهم للأعمال الجليلة التي يحققها

بهم فضيلته قائلاً . إن الأزهر لفخور بأن يلتقى بإخواننا أعضاء الاتحاد القومى بالإقليم الشمالى ، وبالروح الطيبة التى تسود أبناء الجمهورية العربية المتحدة الذين سلكوا طريقهم الصحيح للإسهام فى بناء مجتمع ديمقراطى اشتراكى تعاونى ، والأزهر يسره أن يضع يده فى أيديكم محييا هذه الروح التعاونية الصادقة .

ثم دار الحديث عن فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية ، ومدى إسهام الأزهر فى هذا الشأن فقام أحد أعضاء الوفد وقال : إن تصريحكم القوى فى هذا الموضوع ترك أثره الحميد فى نفوس المسلمين فى جميع أنحاء الأرض ، وخاصة أبناء الإقليم الشمالى الذين زاد هذا الأمر من رابطتهم ووحدتهم ، وإننا لنشكركم على هذا التوفيق ، وندعو الله أن يمنحكم الصحة والعافية لتمموا هذه الدعوة التى حققت الكثير على أيديكم .

فقال الأستاذ الأكبر : إننا لو اعتصمنا بحبل الله جميعا ، واتحدت وجهتنا استولى الدين على القلوب وفاضت بالإيمان الكامل ، فإن محمداً لم يستول على القلوب والمشاعر بالعصى أو السيف ، بل بالحق والدعوة إلى الوحدة ونبد الضغائن والبعد عن التفرقة ، وهذا هو فتح القلوب ، فإن الإسلام لم يفتح بلاداً أو أمصاراً بقدر ما فتح القلوب . وهذا هو المعنى الذى يتجلى فى قوله تعالى :

فبها بلقائكم وأنا أقوم بجولتى الثالثة حول العالم لتفقد شئون المسلمين فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، ويسرنى أن أبلغ فضيلتكم تحيات المسلمين فى باكستان ، الذين يحمدون لفضيلتكم جهودكم العظيمة فى العمل على نشر الثقافة الإسلامية والتقريب بين المذاهب الإسلامية .

فقال فضيلته : إنه لمن دواعى السرور أن أسمع منكم هذا التقدير العظيم الذى يعتبر صدقاً لمهمة الأزهر السامية التى تقوم على أساس كتاب الله وسنة رسوله ، كما يسرنا أن نلتقى فى الدعوة إلى الله ومبادئ الإسلام الخالدة .

ثم حمله فضيلته خالص تحياته وتمنياته الطيبة إلى مسلمى باكستان ، وكافة المسلمين الذين سيلتقى بهم عند قيامه بجولته حول العالم

من الإقليم الشمالى :

ثم استقبل فضيلته وفداً من الاتحاد القومى فى الإقليم الشمالى مكوناً من السادة عبد المجيد الطرابلسى نائب رئيس اللجنة التنفيذية بمحافظة حمص ومدير المعهد العربى الإسلامى ، ورفعت الدالاتى رئيس اتحاد نقابات الصناع وعضو الاتحاد القومى ، وعبد المجيد بالى عضو اللجنة التنفيذية بالاتحاد القومى لمحافظة حمص ، وعادل معمر وفضل الله الأنصارى ، ومحمد على مشعل أعضاء الاتحاد القومى فى حمص ، وقد رحب

وأهدافه وصلته بالعالم الإسلامي .
ولقد قال فضيلته : إن الدين الإسلامي دين
الآخوة ، دين التعاون ، دين المحبة والوفاء
دين التراحم والتعاطف . ولقد خلق الله الناس
ليتعارفوا ويتآلفوا ويتعاونوا ، يا أيها الناس
إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم ،
والإسلام لا يعرف العصية ولا الطائفية
كما لا يعرف التخريب ولا التدمير ولا البغي
ولا الطغيان ، وإنما يعرف التعمير والبناء
ويقرر مبادئ المساواة الصحيحة
والديمقراطية الأصيلة . وعلى هذا الأساس
يتعاون البشر جميعا على بناء الإنسانية ببناء
قويم . ثم أضاف فضيلته - ولأنه ليسرني
أن تعرفوا إلى الأزهر ، جامعة العالم أجمع ،
التي تركز القيم والمثل وتقيم المبادئ الصحيحة .
وقد عبر السيد الزائر عن شكره قائلا : إنني
لسعيد كل السعادة بهذه الزيارة وهذه الحفاوة
التي لقيتها منكم ، وأنا أذكر أننا قريبون
منكم ، ففي الوقت الذي اعتدت فيه الدول
الثلاث على مصر كانت « إيرلندا » من بين
الدول التي ساندت مصر وأيدتها . ويسرني
أن ألتق مع هذه العقلية الناضجة التي علنت
المبادئ القويمة في دقائق قليلة .

مفتي المالكية في الامعاء :

واستقبل فضيلته الشيخ محمد بن إبراهيم

« إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس
يدخلون في دين الله أفواجا ، فسبح بحمد
ربك واستغفره إنه كان توابا » .

ثم قام عضو آخر من أعضاء الوفد تخرج
في الأزهر - وقال : إنني باسمي وباسم إخواني
الذين تخرجوا في الأزهر من الإقليم الشمالي
نحيي فيكم الدعوة إلى وحدة المسلمين ويسرنا
أن تعملوا على أن تكون لنا رابطة أزهرية
في الإقليم الشمالي أسوة برابطة الإقليم الجنوبي .
فقال الأستاذ الأكبر : إن الأزهر ليس
في الإقليم الجنوبي فحسب ، وإنما هو في كل
مكان ، فالأزهر مؤسسة دينية - فهما وعلمها
وتقريبها وتخريجها - عندنا أزهر ، وعندكم
أزهر ، وفي كل بلد إسلامي أزهر ، وليس
طلاب الأزهر هم الذين يدرسون في الأزهر
فحسب ، وإنما يمكننا إطلاق ذلك على كل
من يدرس علوم الأزهر في العالم الإسلامي
جميعه - ثم حملهم فضيلته تحياته باسمه وباسم
الأزهر إلى أبناء الإقليم الشمالي داعيا الله
سبحانه وتعالى أن يوثق روابط الوحدة
وأن يديم على جمهوريتها العربية التوفيق
والرخاء بقيادة الشاب المؤمن القوى الرئيس
جمال عبد الناصر .

طبيب إيرلندي كبير :

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه
مستر باتريك أوكنر الكاتب الإيرلندي
الكبير . وقد دار الحديث حول رسالة الأزهر

في الإسلام والديمقراطية في نظر الشريعة الإسلامية .

وقد أفاض فضيلته في هذا الموضوع بما يدعم أسس الديمقراطية ونظامها ، وقد شكر السيد اللواء لفضيلته رعايته وعنايته لشأن المسلمين والإسلام .

وقد نشرنا حديث فضيلة الأستاذ الأكبر عن «الشورى» في مكان آخر من هذا العدد .

واستقبل فضيلته السيد محمد صادق فهمي مستشار النقص السابق ، ودار الحديث بينهما حول شؤون إسلامية وثقافية ، ثم قدم بعض مؤلفاته إلى فضيلة الأستاذ الأكبر ، كما أهدى إليه فضيلته بعض مؤلفاته .

ثم استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر السيد حسن عباس زكي وزير الاقتصاد التنفيذي ودار الحديث بينهما حول نواح عامة ، وبعض مسائل دينية عرضها السيد الوزير على الأستاذ الأكبر .

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد العزيز المسند ، المدير العام المساعد للكتليات والمعاهد الدينية في الرياض .

وقد دار الحديث حول الشؤون الثقافية ، كما طلب السيد الزائر زيادة العلماء المبعوثين من الأزهر إلى المملكة العربية السعودية . فوعده فضيلته بالنظر في ذلك .

المبارك ، مفتى المالكية في الأحساء بالمملكة العربية السعودية . وقد قال سماحته بعد أن رحب به فضيلة الأستاذ الأكبر :

إنني أدعو الله من كل قلبي كما يدعو المسلمون جميعاً أن يبقى الأزهر لخير الإسلام والمسلمين ، ونحن من ورائه أمة واحدة .

قال فضيلته : إنني لمسرور بإحساس المسلمين ومعرفة قدر جامعهم التي أشعت النور على العالم أجمع من مشرقه إلى مغربه . والسر في ذلك أنها تؤدي رسالة محمد بن عبد الله وتدعو إلى أسسها ومبادئها .

والأزهر ليس ملكاً لأحد وإنما هو ملك المسلمين جميعاً . فمن حق المسلمين عليه أن يتزودوا منه وأن ينهلوا من منهل العذب ، ولذلك فأبوابه مفتوحة لأبناء المسلمين . ورسله موفدة إلى جميع بلاد العالم ، وإن الجمهورية العربية المتحدة تعمل على ذلك وتقويه وتؤكدده ، عرفانا بحق المسلمين عليها .

وقد أهدى إليه فضيلته بعض كتبه ومؤلفاته ، وشكره السيد الزائر قائلاً : إن هذا الزاد الروحي يسرني أن أكون حامله وناقلاً معانيه إلى المسلمين في بلادنا .

ثم استقبل فضيلته السيد اللواء محمد كمال الدين عبد الحميد ، ودار الحديث بينهما حول الشورى

العالم الإسلامي يستنكر اعتراف السّاء بإسرائيل

من أسوأ الحوادث التي وقعت في العالم الإسلامي أخيراً اعتراف إيران المسئلة بإسرائيل المعتدية المغتصبة . فقد أعلن شاه إيران بنفسه في مؤتمر صحفي يوم آخر المحرم ٢٤ يوليو ١٩٦٠ ، اعتراف إيران القانوني بإسرائيل وقال إن إيران كانت تعترف بإسرائيل من قبل على أساس الأمر الواقع .

وكان هذا الاعتراف صدمة قاسية لشعور الدول العربية والإسلامية وإيمان شعوبها وإحساساتها . تبين مدى هذه الصدمة وإيلامها لجميع هذه الشعوب من تعليقات الصحف واجتماع الهيئات .

فقد بادرت الجمهورية العربية المتحدة باستدعاء سفيرها في طهران وقررت قطع العلاقات السياسية معها .

وكان فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر وكبار علمائه أول من أنكر على شاه إيران عمله هذا الذي أسخط به الشعوب الإسلامية والعربية كافة .

ففي اليوم التالي لاعتراف الشاه عقد اجتماع كبير بمشيخة الجامع الأزهر حضره كبار علمائه برئاسة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

وكان في مقدمة المجتمعين السادة أصحاب الفضيلة .

الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر .

الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضى مدير عام المعاهد الدينية .

الأستاذ الدكتور محمد محمد الفحام عميد كلية اللغة العربية .

د الشيخ محمد محمد المدنى عميد كلية الشريعة .

د عبد الله المشد مدير الوعظ والإرشاد .

د عبد الرحمن عيسى مدير التفتيش .

د أحمد حسن الزيات مدير مجلة الأزهر .

الأستاذ الشيخ إبراهيم جاب الله شيخ معهد القاهرة .

- ، ، محمد كرسون مدير الامتحانات .
- ، ، محمد الدينارى وكيل كلية أصول الدين .
- ، ، محمد شبانه مراقب تفتيش العلوم الشرعية .
- ، ، محمد عبد التواب مراقب الوعظ والإرشاد .
- ، ، عبد العزيز عيسى مراقب تفتيش العلوم العربية .
- ، ، محمد عبد التواب مراقب الوعظ والإرشاد .

وقد تولى سكرتارية هذا الاجتماع فضيلة
الأستاذ الشيخ محمد محمد المدنى عميد كلية
الشرعية .

ثانياً : إرسال البرقية الآتى نصها إلى جلالة

امبراطور إيران من فضيلة الأستاذ الأكبر

شيخ الجامع الأزهر باسم جميع علمائه .

صاحب الجلالة امبراطور إيران :

لمن موقف حكومتكم فى الاعتراف بعصا

إسرائيل لموقف هن شعورنا وشعور علماء

الأزهر المجتمعين بنا اليوم ، ونعتقد أنه هن

شعور جميع المسلمين فى مشارق الأرض

ومغاربها ، وإنه لموقف يتناهى مع موقفكم

السابق يوم هنا تمونا بما قتنا به من العمل

على توثيق عرى الأخوة العلمية والدينية

بين المسلمين فى مختلف طوائفهم .

ولما نسمع إليكم بهذا مؤملين أن تسارعوا

إلى إعادة النظر فى هذا القرار الخطير ؛ صونا

للوحدة الإسلامية ، وحرصاً على عدم إعطاء

الفرصة لأعداء الائتلاف ، والتقارب

بين المسلمين .

ثالثاً : إرسال برقية إلى سماحة العلامة

الإمام البروجردى كبير علماء إيران هذا نصها :

أخى فى الله سماحة العلامة الكبير الإمام

الحاج محمد حسين آغا بروجردى . قم إيران .

بدأ فضيلة الأستاذ الأكبر الاجتماع باسم

الله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، ثم

تحدث عن الحادث الجلل الذى فوجئ به

المسلمون وهو حادث اعتراف إيران بعصا

إسرائيل المتعصبة لحقوق جزء حبيب من

الوطن العربى الإسلامى وتشريد أهله . مبينا

أن الأزهر الذى عمل دائماً على توحيد عرى

الوحدة الإسلامية يبدى أسفه العميق لهذا

الامر ، ويستنكره أشد الاستنكار ، وأنه

يضع الامر فى يد المجتمعين ليتخذوا فيه

ما يرون من قرارات .

وبعد المناقشة وتقليب الامر على جميع

وجوه قرر المجتمعون ما يأتى : —

أولاً : استنكار موقف الحكومة الإيرانية

المسلبية فى الاعتراف بعصا إسرائيل واعتبار

هذا الاعتراف نوعاً من موالاة أعداء

المسلمين ، وتنافياً مع ما يجب عليهم من

صيانة الوحدة الإسلامية .

شيخ الجامع الأزهر مع كبار علماء الأزهر والمؤتمر الإسلامي للنظر في اقتراح اجتماع الهيئات الإسلامية بمشيخة الأزهر لتقرير ما يجب على المسلمين القيام به إزاء اعتراف إيران المسلمة بعصبة إسرائيل .

وكان في مقدمة المجتمعين برئاسة الأستاذ الأكبر السادة :

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف دراز عضو مجلس الأمة .

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر .

السيد الأستاذ سيد أبو المجد المستشار بالمؤتمر الإسلامي .

السيد الأستاذ الدكتور محمد ماضي المدير العام للبعاهد الدينية .

السيد الأستاذ الدكتور محمد البهي المدير العام للثقافة الإسلامية .

فضيلة الأستاذ الدكتور محمد الفحام عميد كلية اللغة العربية .

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد المدني عميد كلية الشريعة .

فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الله المشد مدير الوعظ والإرشاد .

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد كرسون مدير إدارة الامتحانات .

وقد افتتح الاجتماع فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا :

سلام الله عليكم ورحته وبركاته ، وبعد :
فإني وإخوانكم كبار العلماء بالأزهر ، المجتمعين بنا اليوم لشديدو الأسف على اعتراف إيران المسلمة بعصبة إسرائيل المقتضية لجزء محبب من الوطن الإسلامي الكبير .
ويرون أن الاعتراف بها نوع من موالاته الأعداء التي حرما القرآن الكريم بصريح نصه حيث يقول :

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء » .
ويرجون من سماحتكم أن تتدخلوا بما لكم في النفوس من مكانة دينية سامية لرد الأمر إلى نصابه ، والمحافظة على وحدة المسلمين ، ولذا ذكر قوله تعالى :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .
وإن لنا لأملا في أن جلالة الشاه — حين يبصر بما لهذا الأمر من عواقب خطيرة سيلبي دعوتنا ، ويعيد النظر في هذا القرار المفرق ، واضعاً نصب عينيه رضا الله ووحدة المسلمين .

والسلام عليكم وعلى جميع إخوانكم العلماء .
رابعا : موالاته الاجتماع حتى ينجلي الأمر .

الأزهر والمؤتمر الإسلامي :

ثم سجل بعد ذلك التليفزيون العربي اجتماعا لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

فضيلة الأستاذ عبد الله المشد .
 د . عبد الحكيم سرور
 وقد انفض الاجتماع في الثانية مساء على
 أن تنعقد اللجنة التمهيدية في الحادية عشرة
 من صباح الاثنين ١٩٦٠/٨/١ .

مؤتمر الهيئات الإسلامية :

وفي صباح يوم الأحد ١٤ من صفر
 ٧ أغسطس ، اجتمع مؤتمر الهيئات
 الإسلامية الذي دعاه فضيلة الأستاذ الأكبر
 للنظر في هذا الأمر الخطير .

وعقد الاجتماع في مكتب فضيلة الأستاذ
 الأكبر وبرئاسته ، واشتركت فيه سبع عشرة
 هيئة هي :

المؤتمر الإسلامي ويمثله الأستاذ سيد
 أبو المجد .

جمعية الشبان المسلمين ويمثلها فضيلة الأستاذ
 الشيخ محمد عبد اللطيف دراز .

دار تبليغ الإسلام ويمثلها المهندس محمد
 توفيق أحمد .

جماعة الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية
 ويمثلها الأستاذ عمر مرعى .

جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية
 ويمثلها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد المدني .

جماعة أنصار السنة المحمدية ويمثلها الشيخ
 عبد الرحمن الوكيل .

د لأنه ليسرني ويشرح صدرى أن نجتمع
 للمرة الثانية تمهيداً لاجتماع عام نبحث فيه
 هذا الأمر الخطير الذى اهتزت له مشاعر
 العالم العربى والإسلامى ، وهو اعتراف
 إيران المسلمة بعصبة إسرائيل . وقد اجتمعت
 بالأمس مع السيد الأستاذ الكبير صالح حرب
 رئيس جمعية الشبان المسلمين ورأينا دعوة
 مختلف الهيئات الإسلامية يوم ١٩٦٠/٨/٤
 لتقول كلمتها الأخيرة فيما اقتحم به شاه إيران
 قدسية القرآن الكريم ، وقدسية الوحدة
 الإسلامية وإننا لندعو الله أن يوفقنا ويوفق
 المسلمين جميعاً للقضاء على هذه الفتنة التى
 أثارها شاه إيران ، والتى تعتبر موالاة
 لأعداء الإسلام والوطن العربى ، ولا شك
 أن الاعتراف بإسرائيل يتضمن الإقرار
 بوجودها .

وقد وافق السادة المجتمعون على اقتراح
 فضيلة الأستاذ الأكبر وقرروا تأليف لجنة
 تمهيدية لوضع خطة الاجتماع الكبير الذى
 سينعقد يوم ١٩٦٠/٨/٤ .

وتألف هذه اللجنة من السادة :

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف
 دراز .

السيد الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضى

السيد الأستاذ الدكتور محمد البهى .

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد المدني .

كلمة الأستاذ الأكبر

إخواني العلماء ومثلي الهيئات الإسلامية :
سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . وبعد :
فقد ألفت الناس في مثل هذا الاجتماع
أن يتجهوا فيه أولاً : بالشكر إلى الله الذي
وفق لإليه ، وثانياً : إلى حضرات الذين
شرفوا بالحضور على تلبية الدعوة . ولكن
اجتماعنا هذا لم يكن تلبية لدعوة أحد إلى أحد
ولأنما هو تلبية لدعوة الضمير ، ودعوة
الإيمان ، دعوة الوحدة الإسلامية ، دعوة
النظر في مظهر من مظاهر التفرق اقتحم به
بعض المسلمين سباج الوحدة الإسلامية ، التي
قدسها القرآن وأمر بها وأعلى شأنها ، وهي
دعوة الإلهابة بهذا البعض للرجوع إلى خطة
إخوانه المسلمين ، وما انعقد عليه إجماعهم
أخذاً من الآيات القرآنية الكريمة ، التي
حذرت ونهت عن اتخاذ أعداء الله وأعداء
المؤمنين أولياء من دون المؤمنين ، والتي
أشارت إلى أن هذا الصنيع شأن مرضي
القلوب والمنافقين ، ولقد كنا نود أن يكون
الاجتماع عاماً يمثل جميع الهيئات والجماعات
الإسلامية في الوطن الإسلامي كله ، وسيكون
هذا الاجتماع بإذن الله كما يكون اجتماعنا هذا
بمثابة تمهيد له ، ونرجو من الله التوفيق

الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب
والسنة ويمثلها الشيخ أمين خطاب .

مشيخة الطرق الصوفية ويمثلها الشيخ محمد
محمود علوان .

جمعية مكارم الأخلاق ويمثلها الشيخ محمد
أحمد عثمان .

جماعة شباب محمد ويمثلها الأستاذ محمد
عطيه خميس .

العشيرة المحمدية ويمثلها الشيخ محمد زكي
إبراهيم .

جبهة علماء الأزهر ويمثلها الشيخ أحمد
فريد .

مركز التجمع القومي العراقي ويمثله
الشيخ أحمد الجزائري .

إدارة المساجد بوزارة الأوقاف ويمثلها
الشيخ محمد الغزالي .

جماعة الإصلاح الإسلامي ويمثلها الشيخ
محمود المدني .

جمعية التربية الإسلامية ويمثلها الشيخ
علي المنصوري .

إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف ويمثلها
الشيخ سيد سابق .

وافتح الجلسة فضيلة الأستاذ الأكبر
بهذه الكلمة :

السكلمة تدارس المجتمعون الموقف ثم أصدروا القرارات الآتية :

أولا — استنكار هذا القرار الخطير الذى اتخذته شاه إيران بالاعتراف بإسرائيل وهو الملك المسلم لشعب مسلم تقوم بينه وبين سائر الشعوب الإسلامية أواصر الأخوة الدينية المقدسة التى قررها القرآن الكريم حيث يقول « إنما المؤمنون إخوة » ود المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض .

ثانيا — إن هذا الاعتراف يخالف لنصوص القرآن الكريم التى تنهى عن اتحاد أعداء المؤمنين أولياء ، وإنه عمل من الأعمال التى من شأنها التفريق بين المؤمنين ، وإظهارهم أمام العالم بمظهر المختلفين الذين لا يرمون عن قوس واحد ، ونزع هيبتهم من صدور أعدائهم .

ولذلك يجب على شاه إيران وجوبا دينيا المبادرة بالرجوع عنه درأ لهذه الفتنة عن جماعة المسلمين .

ثالثا — يسجل المؤتمر أن الاسلام لا يرى فرقا بين الاعتراف على أساس الأمر الواقع والاعتراف القانونى بالنسبة لأعداء الله ، فكلاهما علاقة عملية بيننا وبين الأعداء لا يرضاها الله ورسوله والمؤمنون .

رابعا — يدعو المؤتمر جميع الشعوب العربية والإسلامية إلى الابتكار هذه الفعلة

وتسديد الخطى نحو الهدف الذى تتجه إليه قلوب المسلمين فى كافة الأقطار .

هذا وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إذا حزبهم أمر اجتماعوا له وتشاوروا فى شأنه على ضوء من كتاب الله وسنة رسوله . وقد حزب المسلمين اليوم أمر خطير هو اعتراف ملك مسلم لشعب مسلم بعصاة باغية طالما أوغلت فى الفتنة وأرقدت نيران العداوة ، ودبرت الكيد للمسلمين وألبت عليهم العالم بشتى الأساليب ، وإن وجود هذه العصاة نفسه إنما هو على حساب إخوة لنا كانوا فى فلسطين يعيشون آمنين مطمئنين فعزوه فى عقر دارهم ، لا بالحرب والفتح ، ولكن بالحتل والمكر ، والاستعانة بالمستعمرين .

إن اللاجئين من أهل فلسطين العزيزة يعانون ألوانا من البؤس والفقر والهوان يشيب لها الولدان ، فكيف يسوغ لمسلم مطلوب منه بحكم إسلامه أن يشترك فى إنقاذهم ونجدهم أن يؤيد ظالمهم وغاصبيهم ومشرديهم ؟ .

لهذا دعوتكم لتتشاوروا فى هذا الأمر الخطير ، وتتخذوا فيه مآثرون ، وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، فابدهوا على بركة الله موفقين راشدين .

وبعد أن ألقى فضيلة الأستاذ الأكبر هذه

سابعاً — تبليغ هذه القرارات وبيان المؤتمر إلى جميع الشعوب العربية والإسلامية عن طريق السفارات وغيرها وبمختلف الوسائل حتى يقف المسلمون على جلية الأمر ويعملوا على أن يقفوا صفاً واحداً أمام هذا الأمر الخطير .

ثامناً : دعوة جميع ممثلي الهيئات الإسلامية في الأمة الإسلامية جمعاء إلى مؤتمر يحدد فيما بعد تكون كلمته الكلمة الأخيرة القاطعة في هذا الأمر ويكون اجتماعنا اليوم تمهيداً لهذا المؤتمر الذي يعقد في القاهرة .

تاسعاً — التنويه بجهود علماء الوعظ والإرشاد وأئمة المساجد في تبصير المسلمين بتعاليم دينهم وشئون حياتهم .
وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل .
وقد قام بسكرتارية المؤتمر فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور مدير إدارة الشؤون العامة بالأزهر .

البيان العام :

من محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بعناية الله تعالى ، وإخوانه العلماء ، وممثلي الهيئات والجماعات الإسلامية المجتمعين اليوم في مؤتمر عام بمشيخة الجامع الأزهر .

إلى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، خاصتهم وعامتهم ، حاكبيهم ومحكوميهم .

استنكاراً تبدو فيه قوة الوحدة وشدة التماسك وعظمة الرأي العام الإسلامي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والغيرة على حدود الله تحقيقاً لقوله تعالى :

« لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ،

« إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

خامساً — توجيه بيان عام من فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وكبار علمائه وممثلي الهيئات والجماعات الإسلامية المجتمعين اليوم في هذا المؤتمر إلى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وحكامها ومحكوميهم ، خاصتهم وعامتهم يبين فيه حكم الإسلام فيمن يتولى أعداء المسلمين ، وأن القرآن الكريم قد سوى بين اليهود والمشركين في تسجيل عداوتهم للمؤمنين ، حيث يقول الله جل جلاله : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » ، وتوجه إليهم فيه الدعوة إلى محاربة روح التخاذل والضعف بكل سبيل .

سادساً — يستمر المؤتمر قائماً لمتابعة الجهاد ضد هذا الأمر الخطير ، حتى تنحسم الفتنة ويرجع شاه إيران عن هذا الاعتراف .

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم . »
 « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون . »
 إلى غير ذلك من الآيات المثبتة في كتاب الله تعالى .

وقد قرر القرآن الكريم في غير آية منه انطواء اليهود على الغدر والخيانة ، وابتغاء الفتنة للزومين ، وأثبت عداوتهم لهم ، وسوى بينهم وبين المشركين في هذه العداوة ، حيث يقول : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .
 ومن هذا يعلم أن اليهود هم ألد الأعداء للمسلمين .

وقيد قامت عصابتهم الباغية المسماة (إسرائيل) باغتصاب قطعة عزيزة غالية من الوطن الإسلامي هي (فلسطين) الشهيدة التي شتوا شمل أهلها ، وأخرجوهم من ديارهم ، وانتهبوا حقوقهم فلا يحل لمؤمن أن يوالى هذه العصاة الباغية المحاربة للإسلام وأهله ، ولا يسوغ له أن يقيم معهم أى لون من ألوان العلاقات ؛ لأن ذلك نصره لهم وتأيد على المسلمين وتثبيت لأقدامهم في البلاد الإسلامية

سلام الله ورحمته وبركاته عليكم أجمعين .
 أما بعد :
 فإن الله تعالى أمر المؤمنين أن يعتصموا بحبله المتين ، وهو كتابه العزيز ، في ظل الألفة واجتماع الكلمة ، وحذرهم التفرق الذى أودى بالأمم من قبلهم ، مذكراً إياهم بنعمته عليهم ، إذ كانوا أعداء . فألف بين قلوبهم ، فأصبحوا بنعمته إخوانا .

وقد قرر هذا الكتاب الكريم في شأن العلاقة بين المؤمنين أنفسهم ، وبينهم وبين غيرهم أمرين قطعيين لا خلاف عليهما بينهما : أحدهما : ما أثبتته الله جل جلاله بقوله : « إنما المؤمنون إخوة » ، و « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » . من أن الأخوة بين المؤمنين ، وتولى بعضهم بعضاً ، هما أساس العلاقة بين أفرادهم وشعوبهم ، وعليهم بحكم الإيمان رعاية هذا الأساس ، وتجنب الإقدام على أى شئ من شأنه أن يوهيه ، احتفاظاً بما جعله الله خاصة وشعاراً لهم .

والثانى : ما نهى الله عنه من اتخاذ الأعداء أولياء ، وقد ورد ذلك في كثير من الآيات الكريمة ومنها قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق » .

بسوء ما فعل ، وبما له من مغبة وخيمة ،
وبأنهم له مستنكرون .

وأول من يجب عليه ذلك هم شعب إيران
عامة ، وعلمائهم الكرام خاصة ، وإن للمسلمين
لأملاً كبيراً في أن يبينوا ما أنزل الله من
من الكتاب والحق ولا يكتموا ، وأن
يرعوا شجرة الألفة والقربى التي اشتركوا
في غرسها وإروائها استجابة لأمر الله ،
ونزولاً على حكم كتابه العزيز . إنهم إن
فعلوا ذلك - وهم إن شاء الله فاعلون - كانوا
بأمر الله قائمين وبالحق صادعين والمعروف
أمرين وعن المنكر ناهين وإخوانهم
مستجيبين وعلى البر والتقوى متعاونين .

نسأل الله جل جلاله أن يهب المسلمين
من لدنه رحمة وأن يهيئ لهم من أمرهم رشداً
إن الله سميع الدعاء لطيف لما يشاء وهو
حسبنا ونعم الوكيل . ٩ محمود ثلثون

قرارات المؤتمر

ولذلك أصدر المجتمعون القرارات السالف
ذكرها .

جبهة علماء الأزهر :

وأرسلت جبهة علماء الأزهر باسم عشرة
آلاف من علمائه برقية إلى الرئيس جمال
عبد الناصر أعربوا فيها عن استنكارهم
لموقف شاه إيران من وحدة المسلمين وحقوق
عرب فلسطين .

التي اغتصبوها وشردوا أهلها ، وليس للولاية
معنى سوى النصرة والتأييد والتثبيت .

وقد أقدم شاه إيران على الاعتراف
بإسرائيل وهو يعلم هذا كله ، ويعلم موقفها
من فلسطين ، وأنها ما زالت تصر على
اغتصاب حقوق أهلها رغم ما قرره هيئة
الأمم المتحدة نفسها من وجوب رد الحقوق
إلى أصحابها ، وإعادة اللاجئين إلى وطنهم ،
كما يعلم أنها أداة استخدمها الاستعمار لمناوأة
المسلمين ولتدمير المؤامرات ، وشن الغارات
على بلادهم الآمنة ، إقلاقاً لهم وإضعافاً لجهودهم
التي يبذلونها في سبيل التحرر وبناء الوطن ،
كما يعلم أنها كانت حجر الزاوية في العدوان
الذي شنه الاستعمار على مصر في سنة ١٩٥٦ .

في ظل ذلك كله اعترف شاه إيران
بإسرائيل ، ورضى بأن يوالى أعداء المسلمين
على المسلمين ، وأظهر الأمة الإسلامية بمظهر
التفرق والانقسام ، وأقدم على أمر من شأنه
أن يوهن العزائم ، ويحل الروابط ، وينزع
هوية المسلمين من صدور أعدائهم .

لذلك يجب عليه وجوباً دينياً أن يبادر
بالرجوع عن هذا القرار الخطير لينفي إلى
أمر الله ، وينزل على حكم القرآن .

فإن لم يفعل ، وجب على المسلمين حينما
كانوا ، في أدنى الأرض أو أقصاها خاصتهم
وعامتهم ، وحكامهم ومحكومهم ، أن يشعروه

المجلس الصوفي الأعلى :

واجتمع المجلس الصوفي الأعلى بالقاهرة وأصدر بياناً أرسله إلى الهيئات الصوفية في العالمين العربي والإسلامي أعلن فيه تأييده لبيان فضيلة الأستاذ الأكبر والهيئات الإسلامية باستنكار اعتراف الشاه واعتبار هذا الاعتراف مشاركة للصهونية في اعتدائها على المقدسات الإسلامية وأرض العروبة . كما أبرق المجلس إلى شاه إيران مطالباً بسحب اعترافه . فإن لم يفعل اعتبره العالم الإسلامي مرتداً عن الدين .

جماعة التقريب :

وأرسلت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية إلى سفير إيران بالقاهرة البرقية التالية :

نرجو أن تبلغوا جلالة امبراطور إيران شديد أسفنا واستنكارنا للحادث المحزن حادث اعتراف إيران المسلمة بإسرائيل الباغية . لقد حرصنا على جمع كلمة المسلمين والتقريب بين طوائفهم منذ اشتركنا في جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية مدى اثني عشر عاماً وعملنا على توطيد وحدة الأمة الإسلامية في مختلف شعوبها وطوائفها ، ثم جاء هذا

الاعتراف اليوم ضربة قاضية على جميع الجهود الشريفة التي بذلت ابتغاء مرضاة الله فلعل جلالة الامبراطور ينيء إلى أمر الله ويعدل عن هذا القرار خوفاً من وعيد الله الذي يقول : « إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين ، كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز - لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، .

وأرسل أئمة المساجد في الجمهورية العربية المتحدة إلى سفارات الدول العربية بالقاهرة احتجاجاً على حكومة إيران .

الجامعة العربية :

وقد عقدت الجامعة العربية اجتماعاً يوم ٢٥ يوليو للنظر في الأمر ، وقررت بالإجماع استنكار الاعتراف ، وبحث ما يمكن أن تقوم به الدول العربية من الإجراءات ضد إيران بسبب ذلك . كما قرر المجلس بحث الموضوع في المؤتمر الذي سيعقد في بيروت يوم ٢٢ أغسطس القادم ، على أن تجرى دول الجامعة اتصالات مستمرة فيما بينها قبل موعد المؤتمر .

فى لبنان :

وفى لبنان استنكر الاعتراف النائب اللبناني جعفر شرف الدين ، نجل المجتهد الأكبر السابق للشيعة فى لبنان وقال إن الشيعة تبرا منه ، وإنه نقض اليمين الدستورية التى أقسمها الشاه وأبوه من قبل على حماية مذهب الشيعة والمحافظة عليه .

وباكستان :

وأعرب السيد خاجا شهاب الدين سفير باكستان فى القاهرة عن أسفه الشديد لقرار حكومة إيران ، وأعلن أن ذلك لن يؤثر فى موقف حكومته تجاه إسرائيل .

واندونيسيا :

وأعلن فى جاكرتا أن حزب نهضة العلماء الإسلامى - وهو أكبر أحزاب أندونيسيا - أبدى أسفه الشديد لاعتراف حكومة إيران بإسرائيل ، وقال : إن هذا الاعتراف سيؤدى إلى زيادة أسباب التوتر فى الشرق الأوسط .

حكومة العراق تستنكر :

وقد نشرت صحف بغداد تصريحاً أدلى به ناطق بلسان وزارة الخارجية العراقية ننشره فيما يلى :

كان للتصريح الذى أدلى به جلالة الشاه حول اعتراف إيران بالدولة المزعومة لإسرائيل أثر

مؤلم فى نفوس أبناء الأمة العربية جمعاء . وقد استنكر فى جميع الأوساط الاجتماعية والسياسية فى الأقطار الإسلامية نظراً لصدوره من دولة مسلمة يعترز شعبها بإسلامه وبروابطه الدينية ببقية المسلمين فى العالم .

وقد تلقينا هذا النبأ هنا فى العراق بكثير من الدهشة والألم الشديد ؛ أولاً لعلنا أن إيران تدرك جيداً أن إسرائيل الدخيلة تجسم عدواناً صارخاً على حقوق العرب فى وطنهم فلسطين ، وأنها كانت ولم تزال وستبقى عاملاً رئيسياً لعدم الاستقرار فى الشرق الأوسط وسبباً أساسياً لتشريد مليون عربى من أوطانهم وبقائهم منذ اثنى عشر عاماً فى حالة بؤس وشقاء . وثانياً لأن إيران تعلم جيداً بأن جميع الدول العربية والعرب أينما وجدوا يعارضون بشدة وجود إسرائيل فى أرض الوطن العربى وتؤيدهم فى ذلك دول وشعوب كثيرة مسلمة وغير مسلمة وأن هذا ليجد صداه العميق من العطف والتأييد الواسعين فى أوساط الشعب الإيرانى المسلم . وثالثاً لأن الاعتراف بإسرائيل وتوطيد العلاقات معها مناقض تماماً لما تملبه روابط الدين والتاريخ والموقع الجغرافى والمصالح المتبادلة بين إيران والدول العربية .

إن هذا الاعتراف إنكار صريح لكل ذلك وتحد للعواطف الصادقة التى يتحسس بها

الإيرانية لإيضاح واقع الأمر . ولها وطيد الأمل بأن تستدرك إيران الخطوة التي اتخذتها بشأن اعترافها بإسرائيل بالأسلوب الذي من شأنه أن يعيد ثقة الأمة العربية بها ويرد إيران إلى حظيرة الدول الإسلامية التي يحدوها العمل من أجل إحقاق الحق وإقامة العدل في فلسطين علما منها بأن الشعب الإيراني لن يرتضى فصح عرى الأخوة الإسلامية التي تربطه بالمسليين من المسلمين من أجل شرذمة معتدية مارقة من اليهود الصهيينة .

الحزب الإسلامي في العراق

ونشرت جريدة « الحياذ » التي تصدر في بغداد بتاريخ ٣ صفر ٢٧ يوليو ، في صدر صفحتها الأولى بيانا عنوانه : « الحزب الإسلامي يؤيد موقف عبد الناصر من حكومة إيران » .

ثم نشرت بيان الحزب الإسلامي في العراق على لسان رئيسه السيد الأستاذ نعمان عبد الرزاق ، وهذا هو البيان .

الأعراق هربمة :

لا شك أن نكبة فلسطين تحز في قلب كل مسلم مخلص ، وعربي صادق لأنها اعتداء صريح على حقوق ثابتة ، وهي من وجهة النظر الإسلامية واجبة الرد حتى أن كل مسلم

العرب تجاه الشعب الإيراني المسلم وهو في الوقت نفسه يسعى لعرقلة الأهداف الوطنية التي تسعى من أجلها الأمة العربية والتي لا بد وأن يؤديها فيها الشعب الإيراني الجبار .

هذا بالإضافة إلى أن واقع الأحوال الاجتماعية والسياسية في منطقة الشرق الأوسط - وإيران جزء منها - يدل بوضوح على أن إسرائيل دخيلة فيها وستبقى مصدراً للاعتداء على استقلال العرب وحريتهم فآزرتها معنويا وتقويتها ماديا يجعلان من إيران شريكا في استمرار العدوان على الأمة العربية ومبعثا للقلق وعدم الاستقرار في بلاد الوطن العربي كافة

إن العراق الذي تصله بإيران أكثر من غيره من الدول صلات الجيرة التاريخية الطويلة وروابط الدين والمصالح المشتركة ليعز عليه خاصة هذا التبدل المفاجيء في موقف إيران من إسرائيل - التبدل الذي يمثل اتجاهها سياسيا غريبا ينطوي على نكران لجميع الروابط التاريخية والروحية والاقتصادية والذي لا ينسجم وموقف إيران من قضية فلسطين ذاتها في المحافل الدولية وخاصة في الأمم المتحدة .

ولهذا كله ونظراً لاعتقاد العراق بأن له موقعا خاصا بالنسبة لإيران تقوم الحكومة العراقية الآن ببذل الجهود لدى الحكومة

إن حكومة إيران قد خسرت سمعتها ومكانتها في الأوساط العربية والإسلامية وكشفت عن وجهه صفيق وقصر نظر باعتبارها عداً، لأنها قد صدمت الشعب الإيراني وأثارت غضب واستياء الشعب العربي والأمة الإسلامية، ولم تربح سوى رضا المـتـعـمـرين وبئسه من ربح .

ونحن نعتقد أن هنالك مجالا واسعا لسحب هذا الاعتراف وهذا أمر طبيعي في العرف الدولي، فإن هي أقدمت فسوف لا تحضر شيئا . بل العكس . فإنها سوف تتلافى هذه السقطة وتستعيد رضا جميع المعنيين بهذه القضية الخطيرة .

موقف الدول العربية :

أما بالنسبة للدول العربية ، فإن قضية فلسطين هي أخطر قضاياها ، ولذلك ينبغي أن تسارع إلى الاجتماع فورا لدراسة القضية واتخاذ موقف إيجابي موحد تجاه حكومة إيران فيما أن تسحب اعترافها ، وإلا وجب على الدول العربية جميعا أن تقاطع إيران وتسحب سفراءها ، وبهذه لا تكون متجاوزة الحدود المتعارف عليها دوليا .

موقف الحزب الإسلامي

وإن الحزب الإسلامي درس القضية وأولاهها كبير اهتمامه ، وقد أ برق إلى آية الله

لتأثم نتيجة بقاء هذا العدوان الآثم على حقوق العرب في فلسطين . فمن المعروف أن الجهاد واجب على المسلمين كافة : رجالا ونساء ، إذا ما اعتدى على شبر من أراضيهم أية أرض كانت . وأن المرأة لتخرج للجهاد في مثل هذه الأحوال دون إذن زوجها . ومن هذا التقدير للقضية . فنحن نعتبر الاعتراف بإسرائيل جريمة وكفرا بالاسلام ومبادئه التي توجب جهاد اليهود المعتدين ، وإخراجهم من الأرض المقدسة . ولا شك إن واقع الاعتراف كان أليما جداً ، كوقع تقسيم فلسطين .

إبراه وإسماعيل :

ومما لا شك فيه أن ارتباط حكومة إيران بالأحلاف الاستعمارية جعلها ترضخ للضغط الموجه عليها من قبل أولئك الذين أوجدوا إسرائيل ودعموها بالمال والسلاح والتأييد الأدبي . . ولا زالوا يدعمونها ، وما هذا الاعتراف إلا ثمرة من ثمار جهودهم الخسيسة في هذا الميدان . كما أن فقدان التأييد الشعبي لحكومة إيران جعلها تلتزم جانب المستعمرين وتنفيذ ما ربهـم لتبقى في الحكم . إذ لا سند لها من الشعب ... وأن الشعب الإيراني الشقيق لن يقبل هذا التصرف الشائن ... ونحن نتحدى حكومة إيران أن تستفتي الشعب في هذه القضية .

الأكبر في العمل على استنكار اعتراف إيران المسلمة بعصبة إسرائيل الباغية . فقد أ برق كل من السادة الامام الجزائري والامام السيد عبد الله الشيرازي وجماعة علماء النجف إلى السيد آية الله البروجردى ، كما أ برق السيد الامام محسن الحكيم إلى السيد محمد البهبهاني من علماء إيران ، مستنكرين اعتراف إيران المسلمة بعصبة إسرائيل الباغية .

وفيا بلى نص البرقيتين :

برقية الامام الجزائري ، إلى للسيد آية الله البروجردى .

اعتراف دولة إيران المسلمة بإسرائيل الباغية أوجب استياء كافة الطبقات . الكل ينتظرون من حضرتكم تدارك الأمر المسيء لعموم المسلمين .

عبد الكريم الجزائري

برقية الامام السيد عبد الله الشيرازي إلى الامام البروجردى .

اعتراف دولة إيران برسمية اليهود الغاصبين شق لعصا المسلمين وجرح في قلوبهم ، فالمسلمون كافة ينتظرون بلفهفة نهضتكم الجبارة وكفاحكم الصارم ضد هذا العدوان

عبد الله الشيرازي

البروجردى ، المرجع الديني الأعلى في إيران مستنكراً الاعتراف ، طالباً منه العمل لإحباطه وسجبه .

وإن الحزب ليأمل بأن الشعب الإيراني سيحبط هذا التصرف أو يطيح بالعملاء والمأجورين في أقرب وقت ...

برقية الحزب الإسلامي :

وهذه هي البرقية التي أرسلها الحزب الإسلامي في العراق إلى سماحة السيد آية الله البروجردى كبير علماء إيران .

إيران — سماحة آية الله البروجردى المحترم :

السلام عليكم .

لا شك في أن سماحتكم تعلون أن الاستعمار الكافر قد اقتطع جزءاً من بلاد العرب والمسلمين وسلمها لليهود وهذا ظلم وإجرام فاعتراف حكومة إيران بإسرائيل جاء تأييداً للظلم واسترضاء للمستعمرين وقطعاً لعري الإسلام فنحنضكم على التوسط لسحب هذا الاعتراف وإلا تكن فتنة وفساد في الأرض كبير وقطع للأخوة .

علماء الأزهر يستنكرون

وقد استجاب العراق لنداء فضيلة الأستاذ

بريد المجلة

أشد أثراً في تنوير القلب وقربه من الله سبحانه وتعالى . ولذلك قال الله تعالى - بعد أن ذكر هذه الأربعة الحرم - « ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم » . وظلم النفس محرم في كل شهر وفي كل وقت ، ولكنه في الأشهر الحرم أشد حرمة وأعظم خطراً .

السؤال الثاني :

لماذا اختيرت هذه الأشهر خاصة من بين اثني عشر شهراً لتكون أشهراً حراماً ؟

الجواب :

هذا شأن من شئون الألوهية ، فله تعالى أن يختار ويصطفى من خلقه ما يشاء ومن يشاء مفضلاً بعضها على بعض ، كما قال تعالى « وربك يخلق ما يشاء ويختار » .

وقد رأينا آثار هذا الاختيار والاصطفاء الإلهي واضحة في الأشخاص والأمكنة والأزمنة : ففي الأشخاص نقرأ مثل قوله تعالى « إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين » .

وفي الأماكن نقرأ قوله سبحانه « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مبارك ، وهدي

الأشهر الحرم :

وردت هذه الأسئلة على المشيخة الجليلة فأجاب عنها فضيلة الأستاذ الأكبر بهذه الأجوبة .

السؤال الأول :

ورد ذكر (الأشهر الحرم) كثيراً في القرآن الكريم والسنة النبوية ، فما هي هذه الأشهر ؟ وما عددها ؟ وما معنى كونها حراماً ؟

الجواب :

لقد قال الله تعالى : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم » . وهذه الأشهر الحرم أربعة : هي رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم . واحد فرد وثلاثة سرد (أي متوالية) وهذا بإجماع المسلمين .

ومعنى أنها حرم : أن الله سبحانه وتعالى جعل لها حرمة خاصة ، بحيث تعمد فيها السيوف ، ويقف فيها القتال ، وتحقق فيها الدماء . كما أن الله تعالى جعل الإثم والمعصية أشد أثراً في ظلية القلب وإبعاده عن الله عز وجل . وبالتالي تكون الطاعة وفعل الخير

وتسعى إلى إزالة التوتر والتدابير والتقاتل والخصام ، بوازع ديني تمتلي به القلوب ، وتخشى من مخالفته سطوة المالك للرقاب ، المهيمن بقوته وجبروته على كل قوى متجبر ، والمؤيد برحمته وعطفه لكل ضعيف مستعبد .

ومن غريب أمر هذه الهدنة أنها أقرت الأمن في هذه الأماكن حتى بالنسبة للأشجار الصامته والحيوان الأعجم الذي يغشاها وينتقل بين أرجائها ويطيّر في أجوائها ، يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم .

وقد جاء في السنة تحريم قطع أشجار مكة كما جاء تحريم قتل حيواناتها وصيده .
السؤال الرابع :

يجرى على السنة كثير من الناس - وربما حل عندهم محل العقيدة - أن عقدة الزواج في شهر المحرم أمر يمنعه الدين ويحرمه ، فهل لهذا الاعتقاد أصل من الدين ؟

الجواب :

لا يعرف الدين لشهر المحرم صفة سوى أنه مبدأ السنة الهجرية ، وأحد الأشهر الحرم المقدسة . وهو بهذين الاعتبارين يذكرنا بأمرين عظيمين .

أولهما : الهجرة المحمدية من مكة إلى المدينة وهي الحدث الفاصل في تاريخ الإسلام الذي فرق الله به بين الحق والباطل .

للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً . وفي الأزمدة نجد الأشهر الحرم ، وشهر رمضان .

وهكذا يؤتي الله فضله من يشاء وما يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . ويمكن أن نلّس بعض الحكمة في اختيار ذى القعدة وذى الحجة خاصة وهما يقعان في زمن الحج : أن في ذلك تأمين الطريق للحج ، وتوفير الأمن والطمأنينة على من يؤمّون البيت الحرام وفي هذا تيسير للحج وتشجيع عليه ، كما أن اختيار (رجب) وحده وسط العالم فذلك ليسكون مذكراً للإنسان ومتيحاً له فرصة أخرى للسمو الروحي وارتفاع الإنسان عن ظله لنفسه أو لأخيه الإنسان .

السؤال الثالث :

ما الحكمة التي يرمى إليها الإسلام من إفراغ القدسية والاحترام على بعض الأزمدة كالأشهر الحرم . وبعض الأمكنة كالبلد الحرام ؟

الجواب :

مبدأ احترام بعض الأزمدة وبعض الأمكنة مبدأ سام شرعه الله في القديم وأقره في الإسلام كيف لا وهو فرصة تعين المتخاصمين على حسن التفاهم وإقرار الأمن والسلام . هو بمثابة هدنة إلهية غرس الله احترامها في قلوب الناس لينحوها حتمها من الكف عن المظالم والعدوان ، فتشعر النفوس بلذة الأمن والطمأنينة ،

وهذا موضوع قد كثر الخوض فيه وأثار الدهشة في نفوس الناس ، وكاد بعض المسلمين يفتن حتى بعض المنتسبين إلى العلم . ووجه كثير من الناس اللوم إلى علماء الدين لأنهم لا يلبثون للناس وجه الحق في أمثال هذه المحدثات التي لم تظهر من قبل .
شرق الأردن

محمد عبد الرحمن الخطيب :

مفتي ومرشد السرك

« المجلة » : قال فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت :

الروح هي القوة التي تحدث الحياة في الكائنات الحية من نبات وحيوان وإنسان ، وقد غلبت على ما به حياة الحس والحركة والعقل والتفكير وأضيفت إلى الحيوان والإنسان .

ولم يرد في الدين نص واضح صريح يشرح حقيقة وجودها وكانت في نظر الدين كغيرها من سائر الأمور الكونية تركت للبحث البشري يبحث عنها ويصيب أو يخطئ على حد سواء .

هذا ولقد خاض الإنسان قديماً وحديثاً ملياً وغير ملي في البحث عن حقيقتها، وأثرت عنه أقوال فيها آراء . قال فيها الإمام الألوسي بعد أن ذكر جملة منها: وبالغ الناس

ثانها : إثارة الأمن والسلام المستمدة من الهدنة الإلهية - هدنة الأشهر الحرم .

وأعتقد أن شهراً هذا شأنه لا يمكن أن يضيق صدره بالأعمال الطيبة التي من أبرزها الزواج ، بل إن مثل هذا العمل في هذا الشهر الكريم يكون طالع يمن ، وبشير خير وبركة .

أما ما شاع بين بعض المسلمين من تلك الاعتقادات الفاسدة فهو من آثار البدع الضالة والأوهام الباطلة التي انحرفت بالمسلمين عن الطريق السوي في عهودهم الأخيرة .

وأولى لم أن يعودوا إلى ما كان عليه سلفهم الصالح ، وما جاءت به شريعتهم المطهرة ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

محمود شلتوت

مكرم الدببة في استحضار الأرواح :

ما حكم الدين الإسلامي في استحضار الأرواح ومخاطبتها للأحياء وكتابتها بخط يدها ما هي فيه وما جرى لها في دار الجزاء كما يزعم بعض الناس ، لأنهم عند مباشرتهم لهذا العمل السيئ يضعون قلباً وقرطاساً في سلتهم ثم يقرءون عليها فيبدأ القلم يتحرك ويكتب على لسان الميت ويخطه كما ذكرنا

الإنسان كما لم يدل عليه نص موثوق به أو تجربة صادقة ، وكل ما نسمعه ويعلمه بعض الذين يريدون أن يصرفوا الناس عن البحث عن الحقائق بالاشتغال بالترهات والأباطيل ، كل ذلك لا يخرج عن كونه خداعاً وإلهاءاً بالخيالات لا يلبث أن ينكشف أمره .

وما دامت الروح لا يمكن استغلالها ولا استحضارها فما يرى من حركة السلة أو اضطرابها فلا يخلو أن يكون اضطراباً لحاملها أو تأثراً بما امتلأ به خياله . أو هي حركة من حركات الجن وصلة الجن بالإنسان لا تعدو الوسوسة والتزيين على نحو ما يحدث للناس من الناس . يقول تعالى : في سورة الناس « من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس » . بل إن الشيطان نفسه يحدد ذلك في نص القرآن .

« وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم » . وإذن فليس للجن مع الإنسان شيء وراء الدعوة والوعد والوسوسة والإغراء والتزيين « فوسوس لها الشيطان » ، وقال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين » .

في القول إلى ما يزيد عن ألف قول ، ثم قال : والمعول عليه عند المحققين قولان ذكرهما واختار أولهما وهو أن الروح جسم نوراني علوي حى مخالف بالمادية لهذا الجسم المحسوس سار فيه سريان الماء في الورد لا يقبل التحلل ولا التفرق ، يفيض على الجسم الحيوانية وتوابعها ما دام الجسم صالحاً لقبول الفيض وقد أيدته ابن القيم ، وقال إنه الصواب ولا يصح غيره وعليه دل الكتاب والسنة .

والعلماء كما اختلفوا في البحث عن حقيقة الروح اختلفوا أيضاً في موتها ، وبقائها ، وفي مستقرها بعد مفارقة الأبدان ، والذي ترشد إليه الآثار الدينية أنها تخرج من بدن الإنسان فيكون الموت ، وأنها تبقى ذات إدراك ، تسمع السلام عليها ، وتعرف من يزور قبر صاحبها ، وتدرك لذة النعيم ، وألم الجحيم ، وأن مقرها يختلف بعد مفارقة البدن بتفاوت درجاتها عند الله .

وعلى رغم كل ما جاء فيها فلا تزال حقيقةها من الغيب الذي لم يكشفه الله للإنسان ، وهي في ذلك ككثير مما ينتفع الإنسان بآثاره دون أن يعرف كنهه . وباب البحث عن حقيقة مفتوح لم يمنع منه نص ديني .

وكما أنه لم يرد نص في شيء من ذلك كله لم يرد فيما يختص بتحضيرها وتسخيرها لدعوة

إلا - لامها وعلى رأسها ملك لا زال يعتبر الإسلام ديناً له ، وفلسطين الشهيد هي أرض مسلبة أولاً وقبل كل شيء ، والعجيب ان الشاه قرران إيران قد اعترفت بإسرائيل وبالامر الواقع - كما زعم - منذ سنوات ، ونعتقد نحن أن الاعتراف بدأ منذ أول يوم وقع فيه ميثاق بغداد المشؤم .

أن من حق شاه إيران ان يشغل صحافة العالم بأسره بمغامراته العاطفية ، وان يشغله شهوراً بزفافه الأخير ، ولكن بأي حق يملك أن يفرض على إيران المسلبة الاعتراف بإسرائيل اللقيط ؟ فنحن نعلم أن ثورة مصدق التي انتزعت من عرشه وألقت به في بغداد ، حركت الاستعمار الغربي لتعيده إلى عرشه وتلقى بالزعيم مصدق في قاع السجن ، وليلطف الشاه عميلاً وفيما خلاصاً متفانيا لرغباته ونحن نعلم أن الاستعمار كان وراء القضاء على جمعية فدائيان إسلام وشنق زعمائها ؛ لأنها الجبهة الوحيدة التي كانت تستطيع ان تقول للشاه ؟ « قف من أنت ؟ » وذلك أسدى الاستعمار لعميله أجل خدمة . . .

ونحن نقسم : ما موقف الإسلام من الشاه وحكومته بعد الاعتراف بإسرائيل رسمياً ؟ .

وهل يتكرم علماء المسلمين في كل بقاع العالم بإعلان رأى الإسلام في هذا الشاه ؟ .

هذا تحديد لما ابتلى به جماعة من الناس في هذه الأيام مما بلبل أفكار كثير من شبابنا فهدى كيان الفكر السليم وقوض أركان العمل المنتج وأضاع عليهم الوقت وقتل الزمن .

إن الذين يتأثرون بوسوسة الجن وإغوائهم إنما هم ضعاف العقول وضعاف الإيمان وأما أقوياء فهم يعقولهم وإيمانهم يعيدون عن التأثير بها وقد استثنى الله من المتأثرين بها عباده المخلصين قال تعالى : « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين » .

وأما ما وراء ذلك كله من استخدام الانسان لهم في جلب الخير ودفع الشر واستحضارهم كلما أراد ، ومن استطلاع الغيب وغير ذلك مما يقع في أوهام الناس فهذا كله مصدره خارج عن نطاق المصادر الشرعية ذات القطع واليقين .

ألبسى في إيران مسلموه

جاء في الصحف نبأ اعتراف إيران المسلبة بإسرائيل رسمياً ، وذكر انبأ أن الشاه قال في مؤتمر صحفى : إن إيران لم يكن اعترافها بإسرائيل شيئاً جديداً فقد اعترفت بالامر الواقع منذ سنوات .

أما الخبر في حد ذاته فقد عقد الألسنة عن الكلام ، فإيران مسلبة لم تزل متمسكة

على عائقهم تجاه دينهم ووطنهم ، إذن اكتسبت البلاد الخير الكثير .

ماء زمزم بين العرب والعلم :

جاء في مجلة « نور الإسلام » ، التي تصدر عن إدارة الوعظ بالأزهر ما يأتي :

١ — عقد البخارى فى كتاب الحج من صحيحه بابا فيما جاء فى ماء زمزم ، فلم يورد فى فضلها أو بركتها إلا حديث شق صدره عليه السلام وغسله من ماء زمزم ، وحديثا آخر فيه أنه شرب منه ، وليس فى الحديثين ما يدل دلالة صريحة على فضل أو بركة . وهذا ما نص عليه الحافظ فى الفتح حين شرحه للحديث ، قال : كأنه لم يثبت دنده فى فضلها حديث على شرطه صريحا . وفى باب سقاية الحاج روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى السقاية فاستسقى ، فقال العباس : يا فضل اذهب إلى أمك ، فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها . فقال صلى الله عليه وسلم : اسقني قال : يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه ! قال : اسقني . فشرب منه . ثم أتى زمزم وهم يستقون ويعملون فيها ، فقال : « اعملوا فإنكم على عمل صالح . » ثم قال : لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل

وأين الوعي العربى الإسلامى الذى هز أمريكا والغرب فى محنة الباردة كليبواترة ومحنة مصر خلال العدوان الثلاثى . ؟ .

وإذا لم نجد من يجيب ، فهلا كان فى إيران المسلمة مسلمون يتحركون ؟ .

محمد عبر الله السموات

القاهرة

مجاهد فى سبيل الله :

شاب يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاما يدرس مساحة المناجم بمعهد زيورخ بسويسرا مبعوثا من جامعة أسيوط . إنه المهندس محمد رجائي جودة الطحلاوى ، هاله أن يجد جهلا فاحشا بالدين الإسلامى ومبادئه . فأخذ على عاتقه مهمة الدعوة إلى الله ، فعكف على القرآن الكريم ، وما تيسر له من كتب الدين يقرأها ويتمثلها ، ويترجمها إلى القوم المتعطشين إلى المعرفة الإسلامية

وقد كان من نتيجة جهوده فى التعريف بالإسلام والدفاع عنه ، أن أعادت له الجامعات قاعات فسيحة لمحاضراته كما ساهمت الجرائد الألمانية بالنشر والشرح والدعوة إلى محاضراته .

فبذا لو قام شبابه فى الخارج بمثل ما قام به هذا الشاب المجاهد ، وقدروا الرسالة الملقاة

٢ — أما صحيح مسلم فأبرز ما ورد فيه عن زمزم حديث أبي ذر « أنها طعام طعم ، ومعنى « طعام طعم ، أى يشبع من تناوله .

٣ — وروى أحمد وابن ماجه عن جابر حديث « ماء زمزم لما شرب له . قال صيارفة الحديث : وفى إسناده عبد الله بن المؤمل ، وقد تفرد به وهو ضعيف ، وأعله ابن القطان به . وقد رواه البيهقي من طريق أخرى عن جابر وفيها سويد بن سعيد ، وهو ضعيف جداً ، قال فيه يحيى بن معين . « لو كان لى فرس ورحم لغزوت سويداه ، وذلك لما يرى من خطره على الحديث . وروايته للناكير .

٤ — روى الدارقطني عن ابن عباس حديث « ماء زمزم لما شرب له : إن شربته تستشفى شفاك الله . وإن شربته لشبع أشبعك الله . وإن شربته لقطع ظمأ قطع الله الحديث .. » والصحيح أن هذا الحديث من قول ابن عباس نفسه ، وليس مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وقد خطأ الحافظ فى التلخيص الراوى الذى رفع الحديث إلى الرسول ، وحكم على روايته بالشذوذ ، ومخالفة الحافظ الثقات . وإذا كان هذا قول ابن عباس رضى الله عنهما فهو مجرد رأى شخصى رآه ، لا يلزمنا اتباعه ، ولا الإيمان به معه ، ولا حجة فى أحد دون رسول الله .

على هذه ، يعنى عاتقه ، وأشار إلى عاتقه ، ؟ . وفى هذا الحديث نجد العباس - وقد كان يشرف على السقاية - أراد أن يسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء آخر يجي به ابنه الفضل من البيت ، وحجته فى ذلك أنهم يجعلون أيديهم فيه ، ولكن الرسول الكريم أبى إلا أن يكون أسوة للؤمنين فلا يتميز عليهم ، بل يشرب مما يشربون ، ولم يكن النبي يرى فى الماء ضرراً أو يتوقعه ، وإلا كان له موقف آخر ، إنما هو لون من التقزز أظهره العباس ، وكان عليه السلام أقوى على نفسه ، وأشد فى عزمه من أحاسيس المتقززين ، كما كان تواضعه بأبى عليه أن يفرد بشئ عن سائر المسلمين . وفى رواية للطبرانى فى هذا الحديث أن العباس قال له : إن هذا قد مرث (أى أصابته الأيدى) أفلا أسقيك من بيوتنا ؟ قال : لا . ولكن اسقنى مما يشرب منه الناس .

هل فى هذا الحديث شئ عن قدسية زمزم ؟ لا ، كل ما فيه ما قاله ابن حجر : فيه الترغيب فى سقى الماء ، خصوصاً ماء زمزم ، وفيه تواضع النبي صلى الله عليه وسلم ، وكراهة التقزز والتكبر للباكلات والمشروبات ، وأن الأصل فى الأشياء الطهارة لتناوله صلى الله عليه وسلم من الشراب الذى غمست فيه الأيدى .

من ماء زمزم بأحاديث شربه عليه السلام منها . ودفع هذا آخرون بأن ماء الشرب أمر جبلى ، فلا يدل على الاستحباب إذ لا تأسى فى الأمور الجبلى . ي . ق

النحو الجبريد :

جاءنا من الأستاذ صبح سالم صبح المدرس بالعباسية الثانوية ، بالإسكندرية تعقيب على مانشره الأستاذ على الهامى فى مجلة الأزهر حول الطريقة الجديدة فى دراسة النحو التى تسير عليها وزارة التربية والتعليم ، وبما جاء فى هذا التعقيب :
١ — يقول الأستاذ الهامى إن وزارة التربية والتعليم فرضت على التلاميذ دروسا فى النحو هى مجرد آراء فردية وكان الواجب ألا تليح الوزارة هذا حتى ترجع إلى المجمع اللغوية وإلى الهيئات العلمية التى تعنى بدراسة النحو العربى .

ولو قرأ الأستاذ المحاضرات التى جمعت فى كتاب (توجيهات حديثة فى النحو) لوجد فيها تاريخا أميناً للوضع .

٢ — يقىس الأستاذ النحو على الطبيعة والكيمياء ، ورأيه أنه كما لا يمكن أن يرى جماعة رأيا فى الطبيعة والكيمياء فىؤخذ به كذلك لا يمكن أن يتناول النحو على هذا النحو . ولست أدرى كيف يستقيم هذا القياس ؟

٥ — روى البزار عن أبى ذر حديث « زمزم طعام طعم وشفاء سقم » وصحح المنذرى إسناده ورواه كذلك الطيالسى فى مسنده

ولعل هذا هو الحديث الفذ الذى يمكن أن يستند إليه فى شأن زمزم ومائها وأنه طعام وشفاء ، ولكن هل يعنى هذا الحديث حمايتها من الخضوع للقوانين العامة فى الكون ؟ وهل ينبنى أن يعرض لها التلوث بسبب ما وفق سنن الله المطردة ؟ . وإذا أثبت التحليل العلمى الصحيح أن ماءها قد اعتراه تلوث يخشى ضرره على الشاربين ، فهل نكذب نتيجة العلم اعتقاداً منا أنه ينافى هذا الحديث ؟ والحديث ليس قطعى الدلالة ولا الثبوت ، وبخاصة أن كلمة « شفاء سقم » لم ترد فى أحد الصحيحين ولا فى كتاب من الكتب الستة المعتمدة .

وهنا أمران لابد أن نقررهما فى هذا المقام : أولهما : أن الشرب من ماء زمزم ليس من مناسك الحج أو سننه فى أى مذهب من المذاهب المعروفة لدى المسلمين بل قد نقل أن عبد الله بن عمر لم يكن يشرب من ماء السقاية فى الحج - مع شدة تمسكه بالسنن واتباعه للأثار - وقد علل هذا منه بأنه خشى أن يظن الناس أن ذلك من تمام الحج . وقد استدلل بعضهم على استحباب الشرب

على الحقيقة أن يقولوا مثل هذا القول، وأن الأستاذ صاحب النحو المنهجي بالذات يعترف بكل صحيح من البحث غير أنه يختار أنسب الآراء التي توافق عقلية الطلاب في مراحل الإعداد والتنشئة ويدع ما عدها لمن أراد التخصص .

ولا شك أن الأستاذ الناقد يعاني كثيرا من المشقة والمجد حين يتناول النحو العربي على طريقته القديمة .

المستقى بالله :

وجاءنا من الأستاذ على بن يحيى بحضرموت تعقيب على مقال الأستاذ محمد عضيمة (دراسات في أسلوب القرآن) . والمعقب يرى أن رفع المستثنى في الكلام التام الموجب وجه جدير بالتقدير لأنه هو الذي يخرج عليه ما وجد من الرفع بعد إلا في الكلام التام الموجب من صحيح الكلام العربي من غير تعسف، ومقاله تأييد لهذا الوجه ، وما جاء فيه : نحن تؤيد القول الذي يجوز إعراب ما بعد إلا مبتدأ في بعض الأحوال الظاهر فيها ونرجحه بما يأتي :

أولا - أن النحاة قد صرحوا بوقوع الجملة الاسمية بعد إلا ، وذكروا شواهد من الكتاب والسنة .

ومن قال : إن طبيعة النحو من طبيعة الكيمياء ؟ إن علم النحو علم نظري اجتهدى يقوم على الشواهد التي يقوى بعضها إلى حد الاعتماد عليه وتضعف بعضها ، ولذلك اختلف النحويون ، أما الكيمياء فعلم تجريبي يخضع للشهادة التي لا مجال فيها للشك أو القول .

٣ - يتحدث الناقد عن كتاب (إحياء النحو) باعتباره محاولة تجديدية قائلا : وكان على الوزارة أن تأخذ عبرة من كتاب إحياء النحو فإن هذا الكتاب أحدث دوبا في الأوساط العلمية ولكن أحدا لم يأخذ بالنظريات التي جاءت فيه ، ولم تستطع هذه النظريات أن تأخذ طريقها إلى أية هيئة علمية فتدرس فيها دراسة علمية .

والحقيقة أن هذا الكتاب يدرس ويعنى به في جميع الكليات الجامعية التي تعنى باللغة العربية ، وله قيمته التي لا يمكن أن يستهان بها .

٤ - وما يثير الدهشة قول الناقد : أما أن أستاذا أو مجموعة من الأساتيد يفرضون آراءهم على آلاف مؤلفة من المتعلمين الناشئين ليقولوا لهم : إن هذا هو العلم ولا علم سواه ، فذلك أمر خطير جد خطير . ذلك أني أعرف ويعرف الناس أن هؤلاء الأساتيد الذين يعينهم الناقد بمنعهم التواضع العلمي ، والحرص

ثانياً - ومن صرح بذلك ابن هشام في المفتى، حيث أضاف إلى الجمل التي لها محل من الإعراب الجملة المستثناة ومثل لها بقوله تعالى : «لست عليهم بمسيطر ، إلا من تولى وكفر» .

ثالثاً - قال ابن مالك في التوضيح على الجامع الصحيح عن المستثنى بإلا من كلام موجب أنه ينصب مفرداً أو مكملًا معناه بما بعده ، ولا يعرف البصريون إلا النصب ، وقد أغفلوا وروده مرفوعاً بالابتداء ثابت الخبر أو محذوفه ، فمن الأول قول أبي قتادة (أحرموا إلا أبو قتادة) فإلا بمعنى لكن ، وأبو قتادة مبتدأ ، ولم يحرم خبر ، ومن الثاني قوله صلى الله عليه وسلم كل أمتي معافي إلا المجاهرون .

رابعاً - يؤيد ما قلناه من وقوع الجملة الاسمية بعد إلا أنهم اعترضوا على تعريف المتصل بدخول مثل قوله تعالى : «لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى» مع أن الاستثناء منقطع ، لأنه لم تحكم فيها على ما بعد إلا

بنقيض ما قبلها كما هو حال المتصل . فقدروه لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا

خامساً : جعل المتأخرون ما بعد إلا في المنقطع مطلقاً مبتدأ خبره محذوف وإلا بمعنى لكن معنى وعملاً ونقل ابن الحاجب في ذلك الإجماع .

سادساً : حدد ابن هشام في المنفى القراءة السبعية في «إلا امرأتك إنه مصيها ما أصابهم» بالرفع ، وجعلها استثناء من أهلك ، وجملة من مبتدأ وخبر .

ملحوظتان :

الأولى : أن الأستاذ عزيمة ذكر نقلاً عن شرح الكافية للرضي (الناس كلهم هالكون إلا العالمون) على أنه حديث نبوي وهو ليس كذلك .

الثانية : جعل (ما للشياطين من سلاح أبلغ في الصالحين ... إلخ) . حديثاً نبوياً ، وقد رده ابن القيم في فوائده ، وهو من حفاظ السنة .

رابعاً - يؤيد ما قلناه من وقوع الجملة الاسمية بعد إلا أنهم اعترضوا على تعريف المتصل بدخول مثل قوله تعالى : «لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى» مع أن الاستثناء منقطع ، لأنه لم تحكم فيها على ما بعد إلا

أَنْبَاءُ الْأَزْهَرِ

وقد تلقى فضيلة الأستاذ الأكبر من السيد الرئيس جمال عبد الناصر البرقية التالية يشكره فيها على النهضة :

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد
فقد تلقيت البرقية المهربين فيها باسمكم وباسم السادة علماء الأزهر وطلابه عن أخلص المشاعر وأكرم التهاني بمناسبة رأس السنة الهجرية والعودة من اليونان ويوغوسلافيا ، وإني إذ أبعث إليكم وإلى الجميع بأصدق الشكر أرجو لكم موفور الصحة وأطيب الأمانى . جمال عبد الناصر

مول الطمون ونعمد الزوجات :

كان فضيلة الأستاذ الأكبر قد أرسل برقية للسيد الرئيس جمال عبد الناصر يشكر فيها لسيادته موقفه من موضوع الطلاق وتعدد الزوجات ، فتلقى فضيلته من سيادة الرئيس البرقية التالية :

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

الأستاذ الأكبر هدى السيد الرئيس :

بعث فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر بالبرقية التالية بمناسبة رأس السنة الهجرية وعودة سيادته من اليونان ويوغوسلافيا :

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد
فإن من يمن الطالع أن تقترن عودتكم المباركة بعد رحلتكم الميمونة بمطلع عامنا الجديد عام الهجرة التي أيدت الحق وأيد الله الحق بها .

وإني بهذه المناسبة وباسم الأزهر علمائه وطلابه أهنيكم بمقدمكم الكريم ، كما أهنيكم بالعام الجديد داعيا الله أن يديم لكم التوفيق وأن يجمع العالم على المحبة والوئام والسلام وأن يؤيد المسلمين ويقوى شوكتهم وينصر العرب في كل جولة من جولاتهم وفي خدمتهم لمبادئ العزة والكرامة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت

الشرقاوى مراقب كلية اللغة العربية سكرتيراً
لتحرير مجلة الأزهر .

قسم للصحافة بالأزهر :

قررت مشيخة الأزهر إنشاء قسم للصحافة
يلحق بكلية اللغة العربية ، وتقرر أن تبدأ
الدراسة في هذا القسم بكلية اللغة العربية
ابتداء من العام الدراسى المقبل ١٩٦١/٦٠
ومدة الدراسة فيه سنتان ، ويلتحق به خريجو
كلية اللغة العربية بعد اجتياز مسابقة نعقد لهم .

رؤساء الأزهر :

اتصلت الشؤون العامة بالأزهر بجميع
المعاهد الدينية لإرسال الكشوف الخاصة
بالسادة الرواد لتم الإجراءات المتعلقة بإعداد
المعسكر الذى سيقام بمدينة البعوث الإسلامية .

فى لجنة العادات والتقاليد :

وافق فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع
الأزهر على ندب فضيلة الشيخ عبد الله المشد
مدير الوعظ والإرشاد عضواً بلجنة العادات
والتقاليد بوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل .
وهى اللجنة التى تعمل على تنظيم الاحتفالات
الشعبية وخاصة الموالد ، بحيث تتفق وأهداف
مجتمعنا الجديد ، وللقضاء على البدع
والخرافات والعادات السيئة المنتشرة بالموالد
وتعمل على نشر وتثبيت العادات الحميدة
فى هذه الاحتفالات والموالد .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :
فانى أشكركم أصدق الشكر على برقيتكم
وقفقنا الله إلى ما فيه الخير والإسعاد لشعب
الجمهورية العربية المتحدة ويسرنى أن أبعث
إليكم بأخلص تمنيات الصحة والسعادة .
جمال عبد الناصر

فى العيد الثامن للثورة :

وتلقى فضيلة الأستاذ الأكبر من السيد
الرئيس البرقية التالية فى الشكر على التهنة
بالعيد الثامن للثورة :

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد
فإنه يسرنى أن أعرب عن أخلص الشكر
لكم وللسادة علماء الأزهر وطلابه على
ما تضمنته برقيتكم من كريم المشاعر وصادق
التهانى بمناسبة عيد الثورة داعياً الله أن يوفقنا
جميعاً إلى ما فيه رفعة الوطن العزيز ودعم
بنيانه ، كما أننى أبعث إليكم بأطيب تمنيات
الصحة والسعادة راجياً لكم وللجميع التوفيق
والسداد فى خدمة العروبة والإسلام .
جمال عبد الناصر

سكرتير تحرير مجلة الأزهر :

أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع
الأزهر قراراً بنسب السيد الأستاذ محمود

الكتاب

المؤلف: محمد عبد الله السمان

على عدم جدارتها بالبقاء ؛ لأن التاريخ الذي يقف دائماً في صف المنتصر حين سطر حكمه عليها لم ير من آثارها إلا أشلاء متناثرة وبيوتاً مهتمة .

ويرى المؤلف أيضاً أن الحركة الوهابية كانت نتيجة لازمة لمقدمات صحيحة اقتضتها حال المسلمين ودعت إليها ، فقد كانت العقيدة الإسلامية في الجزيرة العربية أشبه بالتقاليد والعادات فوق ما دخل عليها من الأوهام والباطيل . إلا أن هذه الدعوة أخطأت في أخذ الناس بالأسلوب الحاد العنيف ، دون أن تدخل في حسابها الأثر النفسي الذي يطغى على شعور المسلمين ، وفيهم جذور عميقة من موروثة وتقاليد لا يمكن أن ينفصل عنها المرء بين يوم وليلة .

كنت أرجو أن يتحدث باستيعاب عن حملة محمد على للقضاء على الحركة في الجزيرة العربية ليوضح لنا فكرة المؤامرة على الإسلام . بدافع الشره من جانب محمد على . وإن كان التاريخ سجل لمحمد على صفحة سوداء في قضائه على المماليك في مذبحة القلعة ، فإن هناك صفحات سوداء يجب أن تسجل عليه في قضائه على الحركة الوهابية .

١ - محمد بن عبد الوهاب :

بما لا ريب فيه أن الحركة الوهابية لم تزل بكرأ ، وأن وضعها في التاريخ لم يحدد بعد ، شأنها في ذلك شأن الحركات الفكرية التي لازمتها الثورات المسلحة ، والذين قدر لهم أن يكتبوا عنها إما أتباع لها متعصبون ، وإما أعداء لها منتطعون ، وإما أجاناب ذوو أهواء إزاء الحركات الإسلامية بأسرها .

وحين قرأت مؤلف الأستاذ الخطيب عن « محمد بن عبد الوهاب » من الغلاف إلى الغلاف وبدقة وإمعان أكبرت المؤلف والمؤلف ، فقد جاء الكتاب على ما فيه من إيجاز مركز صورة معبرة بصدق عن محمد بن عبد الوهاب وحركته ، وألم إلصاقاً شاملاً بمراحل حياتهما ، وكان الكاتب مؤرخاً نزيهاً أحاط بأدق المعاني وأعماقها ، وترك لقلبه العنان يصوغ لنا بحثاً تحليلياً عن الحركة الوهابية في غير تعصب أو تزمت أو مجاملة . والمؤلف يرى أن الحروب الوهابية معركة رأى ، وتعد من المعارك القليلة التي قامت على الرأى في التاريخ الإسلامى ، وأن هزيمة الحركة الوهابية في حروبها ليس دليلاً

لحساب فكرة متجسدة . كما يرى أن الغموض يكون العنصر الأساسي الذي يميز الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، وأن الاستعمار يبذل جهوده في إحاطة هذا الصراع بالغموض ويرى المؤلف ثالثاً : أن التاريخ السياسي الحديث في أي بلد مسلم سجل أن الاستعمار يستغل الأوضاع النفسية ، فهو يثير الغضب الأعمى عند الجماهير ، ويغذى شهوات القادة والمسؤولين ، وأن الاستعمار لإخصائين يشرفون على الصراع الفكري ، ويركبون أجهزة خاصة لتحطيم الأفكار كما يركب العلماء المختصون في علم المواد المشعة أجهزة لتحطيم الذرة ، وأن هذا الاستعمار قنان بارع في موسيقى الصراع الفكري ، فهو يبدع في سمفونية هذا الصراع ، إذ هو ينسجها من الخيال ، ثم يبلغ إيقاعها الساحر عن طريق الإيحاء ، وفي خاتمة الكتاب يتمنى الكاتب أن تقوم في بلادنا رابطة من المثقفين لكشف هجمات الاستعمار على الجبهة الفكرية . حتى لا تبقى الأفكار معرضة لتلك الهجمات دون نجدة ولا مدد .

هذا أول كتاب ينتجه المؤلف باللغة العربية فقد عودنا أن يكتب بالفرنسية ، وبعض الأخطاء اللغوية المعدودة لا تقلل من قيمة الكتاب الفكرية ، فالكتاب دراسة عميقة تخللتها النظريات الرياضية كسند لمنطق الأفكار .

وكنتم أرجو ألا يغفل الأستاذ المؤلف ، أن الحركة الوهابية بدأت حركة إسلامية عربية ذات مبادئ وأهداف .

٢ - الصراع الفكري في البلاد المستعمرة : كتاب الأستاذ مالك الجديد دراسة عميقة للصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، مستمداً براهينها من تجربة شخصية أصنام الموضوع من الداخل بضوئها الخاص ، وهو يرى أن بعض الأشياء لا يجدى الحديث عنها إن لم يكن برهانه مستمداً من تجربة شخصية ، ومن هذه الأشياء الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، وقد عودنا المؤلف العلامة أن تمتاز مؤلفاته بطابعين أصيلين :

أولها : التعمق في الدراسة والتحليل ، والعناية التامة بالإسلام كقضية ، يجب على كل مسلم أن يظل مدافعاً عنها .

جاء الكتاب في ستة فصول : عموميات عن الصراع الفكري ، في حلبة الصراع ، تركيب آخر لمرآة الكفاء ، مظاهر أخرى للصراع الفكري ، على هامش كتاب حياة الأفكار وقيمتها الرياضية ، ويرى المؤلف أن الصراع الفكري بدأ يأخذ طابعه في البلاد المستعمرة قبل نصف قرن على الأقل كعامل على امتصاص القوى الواعية في تلك البلاد حتى لا تتعلق بفكرة مجردة محاولاً تعبئتها

٣ - روائع إقبال :

الأستاذ أبو الحسن الندوى من الأعلام المبرزين والعلماء المسلمين العاملين في ميدان الفكر الإسلامى بالقارة الهندية ومؤلفاته الإسلامية باللغة العربية تعتبر في الطليعة ، وفي مقدمتها : ماذا خسر العالم بالخطا المسلمين؟ أما كتابه الأخير عن « إقبال ، فهو ترجمة أصيلة لبعض روائع إقبال الشعرية بالنثر وهو يختلف عن ترجمة المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام الذى ترجم الشعر بالشعر ، ويقول الأستاذ الندوى تعليقا على هذا : « إن ترجمة الشعر بالشعر يكاد يفقد شعر إقبال قوته وانسجامه ، وليس هذا راجعا إلى ضعف فى الترجمة فمقدرة الدكتور عزام لا تحتاج إلى دليل ، إلا أن ترجمة الشعر بالشعر تضفى على هذا العمل الأدبى نوعا من الغموض » .

والأستاذ الندوى التقي بإقبال وتعرف عليه عن كشب ، وتأثر بشعره كل التأثر ، ورأى أن ينقل روائعه إلى العالم العربى وفاء للرجل العظيم ، واختار من شعره : برلمان إبليس - إلى الأمة العربية - فى جامع قرطبة - فى أرض فلسطين - دعاء طارق - نياحة أبى جهل - رجعة الجاهلية - فى مدينة الرسول - ساعة مع السيد جمال الأفغانى

قدم لترجمة هذه الروائع بتمهيد تحدث

فيه عن صلته بإقبال وشعره ، وعن إقبال شاعر الإسلام وعن العوامل التى كوّنت شعر إقبال ومنها : مدرستا الثقافتين : العصرية والإسلامية ، والقرآن الكريم ، والغوص فى أعماق النفس ، واتصاله بالطبيعة من غير حجاب ، وفى هذا التمهيد تحدث المؤلف عن نظرة إقبال إلى التعليم العصرى ، وعن الإنسان الكامل فى نظره ، كما لم يفت الأستاذ الندوى أن يمد لكل قصيدة بملخص لفكرتها وهدفها ، مما يجعل القارئ يعيش مع الشاعر فى روحانيته الصافية .

والمؤلف يذكر فى مقدمته : « أن أعظم ما حمله على الإعجاب بشعر إقبال هو : الطموح والحب والإيمان ، حيث يحكى فى هذا المزيج الجميل فى شعره أعظم مما يحكى فى شعر معاصره . والشجاعة الأدبية التى عرف بها المؤلف ، جعلته يقول فى مقدمته : « إني لا أعتقد فى إقبال عصمة ولا قداسة ولا إمامة ولا اجتهادا فى الدين ، وقد كانت له أفكار فلسفية وتفسيرات للعقيدة الإسلامية لا نوافقه عليها . وإن جل ما أعتقد أنه إقبال شاعر أنطقه الله ببعض الحكم والحقائق فى هذا العصر . ونحن نقول : حسب إقبال عظمت أنه كان صاحب فكرة واضحة وعقيدة جازمة عن خلود الرسالة المحمدية وعمومها ، وعن خلود هذه الأمة وصلاحتها للبقاء والازدهار ، وهذا ما لم ينكره المؤلف المبجل فى نفس مقدمته ... !

إقبال :

الناس يجب أن يعودوا إلى ذاتهم فلا يحرصوا على الحياة وثانها أن عقيدتهم يجب أن تتحرر مما شابها ، وثالثها التحرر من الاستسلام ، والايمان بالخط ، واليأس والرهينة ، وخاتمة المطاف التهام ثقافة الغرب دون شخص أو تمحيص . وكان هدفه من فلسفته أن يكون للبسدين وجود .

والمؤايف يحدثننا عن : إقبال والفن ، وكيف أن إقبال تذوق الفن وآمن به كباعث للنور في دياجي الحياة ، وفي الفصل الخامس عن إقبال والمرأة ، وكيف اعتبرها مخلوقا بشريا له احترامه وتقديسه ، وليست حيوانا حقيرا كما زعم البراهمة ، وفي الفصل السادس والآخر : تحدث المؤلف عن النزعات الانسانية في شعر إقبال ، وكيف نظر إقبال بعين الحقيقة والواقع إلى العالم الحديث في أمراضه وأدوائه ، فوضع فلسفته الخالدة التي ارتأى أنها وقود الخلاص وروح البعث الانساني ، والتزم فيها جادة الاسلام ، واتخذها سبيلا إلى الحرية بعد أن درس وبحث وفكر

المؤايف شاب وأديب مطبوع . قدم للكتابة العربية مجموعة من البحوث والقصص نال معظمها جوائز وزارة التربية وغيرها . ومنها : كتاب إقبال الفائز بجائزة وزارة التربية عام ١٩٥٧ ، والعجيب أن المؤلف كتب جل بحوثه بين جدران السجن ، حيث الفراغ والعوامل النفسية لهما أثرهما في كل ما كتب ، وهو يقول في مقدمة كتابه من إقبال : (إنه سطر هذه الصفحات عن إقبال أول من دعا إلى إقامة باكستان الاسلامية ، لأن فلسفته وشعره ونمط حياته وقصة كفاحه ، كل أولئك جدير بأن يقرأه شبابنا وخاصة في هذه الفترة الدقيقة التي تجتازها بلادنا الحبيبة .

تحدث المؤلف عن الهند عام ١٨٧٣ حيث الصراع على أتمه بين الاسلام والبرهمية ، وحيث ولد إقبال ، وفي الفصل الثاني عن العلم والعمل حيث كان إقبال يلتقط الآراء السليمة والحكمة العالية والأفكار المستحدثة وغير المستحدثة . فينفدها ويفندها ويردها إلى أصولها . .

أما في الفصل الثالث فقد تحدث عن فلسفة إقبال التي نبعت في عقله ، وعن بواعث ودوافع هذه الفلسفة التي أشعلتها وجعلتها ملتهبة كالنار ، حمراء كالدم ، وأولها أن

إن الأستاذ الكيلاني قدم لنا دراسة شاملة عن إقبال وفلسفته ، صاغها في أسلوب أدبي رفيع .

الفهرس

صفحة	صفحة
٢٠٩ لغويات : « فصيل في معنى مفعول » :	١٢٩ ليس بعد الدين وازع
للأستاذ محمد علي التجار	للأستاذ أحمد حسن الزيات
١٢٤ رأى في نبي الإسلام بين الأنبياء	١٣٣ الشورى في الإسلام
للأستاذ عباس محمود العقاد	لإمام المسلمين الأستاذ الأبر الشيخ محمود شلتوت
٢١٨ في سبيل الوطن (مسرحة وطنية)	١٣٧ أوزان الشعر العربي
للأستاذ إبراهيم محمد نجما	للأستاذ عباس محمود العقاد
٢٢٣ آراء وأحاديث : لصاحب الفضيلة الأستاذ	١٤١ الاستعما في المشرق الأوسط
الأبر : المملون في الفلبين - [في مدينة	للأستاذ الدكتور محمد البهي
البعوث الإسلامية - بعثة الحج الصينية - والبعثة	١٤٧ السكرامة والعزة في القرآن الكريم - ٣ -
الروسية - المسلمون في صيام - وفي باكستان -	للأستاذ محمد محمد المدني
من الإقليم العمالي - كاتب إيرلندي كبير - مفتي	١٥٢ الدين وقرمية في إفريقيا الجديدة
المالكية في الأحساء .	للأستاذ محمود الصرقاوي
٢٢٩ العالم الإسلامي يستنكر اعتراف الشاه	١٥٩ الإمام عبد المجيد سليم « بقية السلف الصالح
إسرائيل : اجتماع كبير بمقبة الأزهر - الأزهر	في القرن العشرين »
والمؤتمر الإسلامي - مؤتمر الهيئات الإسلامية -	للأستاذ محمد رجب الليبوي
كلية الأستاذ الأبر - جبهة علماء الأزهر -	١٦٦ العصر الذهبي للتصوف الإسلامي
المجلس الصوفي الأعلى - جماعة التقريب - الجامعة	للدكتور محمد غلاب
العربية في لبنان - وباكستان - وأندونيسا -	١٧١ الإسلام في أستراليا
حكومة العراق تستنكر - الحزب الإسلامي في	للأستاذ عطية صقر
العراق - الاعتراف بجريمة	١٧٦ من شعراء الوحدة : القاضي الفاضل
٢٤٣ بريد الأزهر : تطور في العراق - الأشهر	للأستاذ علي الماري
الحرم - حكم الدين في استحضار الأرواح -	١٨٤ كيف نصلح النحو العربي ؟
مجاهد في سبيل الله - ماء زمزم بين الدين	للدكتور عبد الله درويش
والعلم - النحو الجديد - للمستثنى يلا .	١٩٢ أزهري في روسيا
٢٥٤ أبناء الأزهر : الأستاذ الأبر يعني السيد	للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ
الرئيس - حول الطلاق وتعدد الزوجات - في	١٩٥ الدين في عصر الحضارة الصناعية
العبد الثامن للثورة - سكرتير محرر بمجلة	للأستاذ محمد فتحي محمد عثمان
الأزهر - قسم للصحافة بالأزهر - في لجنة	٢٠٢ حول الخطوة الثانية
العادات والتقاليد	للأستاذ عبد الرحمن العدوي
٢٥٦ الكتب : محمد بن عبد الوهاب - الصراع	٢٠٥ القرية الإسلامية وحقوق الإنسان
الفكري في البلاد المستعمرة - روائع إقبال	للأستاذ عباس طه

have different points of view, unanimously agree that their nation should remain independent sovereign Arab state having its own ideals and values.

Thus when we borrow from others their way of thinking, their way of life and their means which leads to civilization and progress, we take only what we deem it good enough to help develop ours not to drag us away from our heritage.

Arab Nationalism thus is the framework of all our activities. It is not only a factor of awakening but also of outlining our obligations towards our society as well as our rights therein and of clarifying our relationships with others. It is not a provincial call which separates Arab people from the whole of mankind to make them superior to any other people. But it is a call to maintain the specific characteristics of Arab nation in order not to be melted in or absorbed by any nation. It is only meant to preserve the independence of Arab people, ascertain well understanding between them and others and urge them to uphold modestly

their glories. Arab nationalism therefore is a philosophical doctrine not a temporary political movement. It is an intellectual ideology and a mood of conduct simultaneously.

The more we are conscious of this ideology, the stronger is our resistance of imperialism. It is clear then that Arab Nationalism and imperialism can by no means be allies.

However, in our society as well as in our daily life there are still some remnants left over by imperialism which had been previously from amongst its main objectives. The more unity and brotherhood flourish, the use of the standard Arabic prevails and the faith in our spiritual values and ideals increase; the lesser these remainders become until they entirely vanish. On realizing this goal there will be no longer imperialism but comprehensive independence which preserves dignity and prestige of all individuals and facilitate the road for them to lead a course of dignified life in which mutual co-operation and good understanding prevail.

domination. This is simply because the Jews' main interest, which is nothing but the investment of their capitals, imposes on them to live scattered all over the entire world in order to employ their wealth in the different sections of the various countries. The easiest way to achieve such an aim is the non-concentration of their capitals on a limited land or a narrow area serving only the few millions of population. The history of the Jews as well as their psychological characteristics, which control their characters, show us without any doubt that their principal concern is thoroughly devoted to the increase of their wealths through the taking of usury not to maintain the sovereignty or the power or the dignity of the state.

The rôle of Arab Nationalism:

The role of Arab Nationalism might be conceived as the decisive factor which helped in the extirpation of seeds of sectarianism and fanaticism, and which diverted the attention of the Arabs into the characteristics which form the general structure of the Arab society and its peculiar personality. It is Arab Nationalism that aroused the Arabs from their slumber and referred them to their history with all its glories and heroisms, to their intellectual heritage throughout the ages and to

their spiritual and ever-lasting values as ordained by the Heavenly message. The impact of Arab Nationalism has not been undoubtedly a slight one. It has awakened a nation, integrated a people and proved that the Arab nation, from the Atlantic Ocean to the Arab Gulf, is an integral whole. It has expunged all traits of discord and the artificial demarcations which imperialists had made long time ago.

Therefore Arab Nationalism is to us a revival movement and a linking chain between our present and past. The philosophy of Arab Nationalism stipulates that we are only Arabs united and not influenced by fanaticism or sectarianism; and that our homeland includes all territories stretching from the Atlantic Ocean to the Arab Gulf.

Arab Nationalism as well defines the intellectual trends and noble objectives of the Arab society. According to this ideology our intellectual outlook should emanate from our traditions as well as our present existence, and our values, which enjoin unity and consolidation of our nation, should spring from our glorious history.

Arab nation, however, welcomes peace and opposes subjugation and aggression. All Arabs, though they

Moreover, imperialists search for other reasons which help increase dissensions and dissolution of the people. They search for the ideologies and doctrines in which people believe, go back to the past to look for the origins to which people belong and study history to find out successive civilizations which people had passed by in order to revive the tendency of ideological, tribal and cultural fanaticism. What imperialists were actually doing in the northern region of the United Arab Republic is good enough to prove this argument. Apart from their encouragement of the use of colloquial language and the negligence of the classical language, from their glorification of secular education and from looking sarcastically at religious tuition and at the institution wherein religious teachings are being studied i.e., Al-Azhar, Imperialists had been attempting to arouse Pharaonic fanaticism and disregard Arab Nationalism. Similarly they had been trying hard to arouse Assyrianism in Syria. Moreover, imperialists had been exerting unflinching efforts to awaken sectarian dissension between the Sunnis and the Shiis on the one hand, and to put a wedge between Muslims and Christians on the other hand.

They had been trying the same in Iraq - between the Sunnis and the

Shiis, and between the Arabs and the Kords - in Libya between the Sunnis and the Abadis, in Morocco and Algeria between the Arabs and the Barbers and in the Sudan between the followers of Al-Mahdi and those of Al-Marghani, and between the northerners and southerners.

Imperialists have realized lately that their treacherous conspiracies as well as their filthy trials were exposed to and foiled by the occupied countries as a result of their vigilance of the unifying factors such as Arab Nationalism in the domain of Arab world or as the call to Islam as a comprehensive way of life as is the case in Pakistan. Therefore colonialists have created a lot of disputes quite enough to consume a great deal of the political as well as economical activities of the occupied countries and which stand as a permanent source of peril threatening any country which seeks emancipation from the fetters of imperialism. To carry out its new plan imperialism has created many disputes; Israel in the middle east, for instance, and Kashmir in Central Asia.

However, Israel was not existed to be a nation but to be a lasting source of danger directed against all Arab nations if they ultimately attempt to terminate western trusteeship and get rid of foreign political and economical

the sublimity of human values.

This is simply because the human values emanate from man's moral standard and his sublime conduct as regards his relationship with other men which should be erected on co-operative, fraternal and amical foundations; whereas the advanced standard of industrial civilization is a mere result of machine and the mass production of industry. In spite of the fact that such machine is invented and directed by man, yet it is not necessary that this man should have a benevolent heart which is above selfishness and egoism.

Actually any people, when allured or instigated to quit their traditional past and believe in new ideas, are not at the same level. Some individuals have no resistance and consequently yield to such temptation and move heedlessly forward under the force of instigation; meanwhile some other individuals hesitate before they accept such propaganda and stick to their own traditions as an expression of their opposition to such an enticement.

The logical conclusion of such divergence of views is the disintegration of people's unity and the creation of two diverse trends; the traditional group which upholds the old values and the modern one

which embraces the modern ideas and shuns their old traditions.

The decomposition of the colonized people as such mentioned gives rise to conflict between the inconsistent parties. Imperialists then seize this opportunity to sow the seeds of dissension among people by supporting a party against another in a bid to widen the gap between them and thus stimulate sectarian conflict. Imperialists, when supporting their favourite stooges, employ them to carry out their imperialistic policy, while their antagonistic attitude towards the national elements means that they are no longer fit for modern life.

As soon as colonialists propagate their own language amongst their clients, the latter hasten to abandon their inherited language and use either this new imperialistic tongue or a mortal accent of their original language. This misuse of language leads to the weakening of bonds between the generations which rise and grow under trusteeship of imperialism and their initial language in such a way that makes it lose its characteristic as an outlet thereby the rising generations can overlook their past. And this is because it is no longer valid for such a purpose as long as the validity of any means lies in the possibility of making use of it.

intellectual and spiritual heritage, their language, their history their deep-rooted traditions and the foundations upon which their society is built in such a way that realizes severing the rising generations from such traditions, heritage and values, and weakening their grasps of their language and arts. By and By they will forget completely their past and abandon their traditional values. They will even feel ashamed to be related to such past or to mention such values or to use their own language. Consequently they will pay no attention to all these characteristics.

On realizing these ends, the imperialists step forward to win the people to the side of their principles, their way of life and their way of thinking. They as well circulate their own language, literatures and arts. As there is almost a gap between the colonists and the colonized countries in the field of economy and the standard of living of individuals, the imperialists always seize this opportunity to give evidence of their superiority as regards human values and degradations of human values amongst the colonized nation. Hence they create in the colonised countries an inclination to imitate their way of life and a desire to get rid of their own. This tendency in turn has an effect upon the past, legacy and

values of the exploited countries. They often look upon this past with a scornful glance and hold it responsible for their backwardness.

The impact of the industrial nations of to-day upon the backward nations in the field of industry is another example. It arouses a feeling amongst those nations that the superiority of industrialists is due to their advancement in the industrial civilization. Thus they are tempted to accept their values and ideals or at least they are conditioned to accept them. However, there is no tempting factor other than the said gap between the two parties. Such temptation has led so many Africans and Asians to fall under the ferule of such impact and to believe sometimes in the American civilization and thus stick to its human values, and to believe some other time in the Russian industry and therefore welcome the communist ideals. Their adherence to either side is not based on sound perception but they are only captured by the attraction of the industrial civilization in either party. Had they pondered a little and examined both Eastern and Western domains, they would have inevitably come to the conclusion that the advancement of the standard of industrial civilization does not necessitate

IMPERIALISM IN THE MIDDLE EAST

by

Dr. Muhammad El Bahay

Director General of The Islamic Culture
Administration

Imperialism in the Middle East, though it has various forms, usually serves one object that is the disintegration of peoples' unity in every country or provoking main disputes between one nation and another. Imperialism, though has revealed its aims since the beginning of the nineteenth century, yet its manoeuvres to concentrate and fulfil its aims in the middle east had been actually started in the seventeenth century.

The first form of imperialism is represented in the influence of capitalism through the establishment of firms or through trade and loans. Such foreign capitals, when settled in any of the middle eastern countries, are always accompanied by political influence as well as by intervention in the state's own affairs. Such intervention is almost followed by military occupation. The military occupation of India in 1856 and in Egypt in 1887, for instance, were preceded by the domination of foreign capital as well as by political intervention. They

were preceded too by acquiring certain authorities in directing the governmental affairs. The same was the case with the military occupation of Indonesia and North Africa from Morocco to Libya.

The imperialistic countries-to ensure their continual exploitation of the raw materials which they need to develop their national economy, of manpower to obtain these raw materials at low prices and of the local markets of the occupied countries to consume their own products-use another sort of imperialism characterized by its effective, far reaching, deep-rooted and long-termed effects. This sort of imperialism is meant to enable imperialists to achieve their goals or to subdue the exploited and occupied countries through guidance.

Imperialism in guidance.

Through such imperialistic guidance, the imperialists deal with characteristics of the people, their

Factual life shows us that nature always gives birth to more women than men. It treats men rather severely than it does with women. Societies too are naturally tending to become stronger. This is a fact which all ages prove its authenticity. Man too is destined by nature through the increasing of his effective power to lead a longer life than woman. Moreover man is always fit to carry out his sexual cravings while the woman on the other hand loses her suitability at certain periods. There are too certain men whose sexual drive is so predominant that a single wife could not satisfy his cravings. To be chaste and upright he has to marry another one. Richness and poverty are due to reasons other than marriage.

Let us again set a question to settle that problem. Which is more reasonable to admit: the banning of plurality or the limitation of it with its effects of the abounding of unmarried women who will be

obliged under the pressure of their numbers and their inhibitions to go astray and lose their honour, in such a manner as observed now a-days in the eastern countries after they had imitated the westerners in their way of life which allows the secret births and the concubinage or the permitting of plurality under no conditions other than those enjoined by God even when one marries in each city a new wife bringing forth from each legitimate sons who know their father perfectly well and whose relation to that father is known to all people.

I call upon those who propose the limitation to tell me with is just and sound diverse wiver with legitimate children or concubines who seek pleasure everywhere and with every passerby bringing forth loose children who have no fathers. Which of the two is more admissible you who seek the limitation if you are really well versed in this Question and have sound minds.. ?

in modern times. The heavenly wisdom never considered that the existence of machination amongst them and amongst their sons an obstacle in the way of approving polygamy. This attitude denotes that the aims of polygamy from the point of view of the law-giver is beyond these petty things caused by natural jealousy and conspiracy.

The hatred which prevails amongst the fellow wives happens as well between the wife and her mother-in-law. Such is permissible from the point of view of law for although it entails evil yet it is a slight one in contrast to the numerous good it realises.

Although God the Almighty had known in anticipation that jealousy is a natural craving in women, yet He made the plurality of wives a legal deed in both ancient and modern times. The heavenly wisdom never considered such jealousy between wives and their children a cause for prohibiting polygamy. Such tendency proves that the advantages aimed at in instituting such plurality by the Law-giver outweigh such drawbacks as visualized in the natural jealousy which crops out in the hearts of women.

However the hatred which occurs between wives, takes place too between the wife and her mother-in law

yet such hatred is overshadowed by legislation because although it is evil in itself yet it is nothing if it is weighed against the plentiful good which marriage realises.

The Islamic Law never neglects.

The Islamic law after all never neglects to mitigate such natural jealousy by giving wise counsels, right guidance and admonitions with a view to lessen the effects of human jealousy to enjoin the leaders of the nation to work laboriously for realizing means of living and good education for the poor and their children. It always puts the blame of any shortcoming in attaining such ends on the shoulders of the Islamic governments which fail to support the means for bringing up good and powerful children through extending the opportunities of work for their citizens and safe guarding the rights of the labour.

To add to the aforesaid grounds which support the permissibility of polygamy, the other reasons which every one sees plainly in factual life we will find it is incumbent upon us to submit to the decree of the Islamic law as ordained by God that is to permit plurality and never try to put conditions to limit it other than those enjoined by God as prescribed in the holy Qur'an is to satisfy the justice between wives in its proper sense as meant by the Law-giver.

in both social and moral fields leaving them to satisfy their cravings by resorting to illegitimate intercourse with those who fell into their hands and have none to look after or defend their chastity against such raping.

Another plunder to the supporters of limitation,

7 — The supporters of the proposed limitation have made the poverty and the inability to nurture their children and those whose expenses are their responsibility a basis for their demand of limitation of plurality of wives. This tendency means that they permit the rich to marry more than one wife as he wishes and ban the poor to marry another wife.

If it is feasible to make poverty and richness a basis for permitting plurality, the result ought to have been the very reverse of what they had concluded. It should be the permission of plurality to the poor and the banning of it to the rich, for the poor have sympathy with each other and are ready to co-operate in their search for attaining a living. The man as well as the woman spends every effort possible to contribute for realizing a good living to their family. The poor has nothing to give as a favour to one of his wives. On the other hand the

wives of the rich always look covetously to his wealth. He has the means which enable him to favour profusely any one of them. Such favouritism will lead to dissension and disintegration. So long the husband is rich and able he will be looked upon from the unfavoured wife as partial and turning altogether away from her. The poor's income and expenses are well known to his wives in detail and needs no suspicion.

The hatred which arises as a result of plurality amongst wives and their children is originated from a natural jealousy which can not be evaded. Such jealousy has existed in the upper classes of women i.e. amongst the mothers of the believers. Such existence had never stopped plurality for plurality realizes good deeds which outweigh the evils of such jealousy.

The ways of machination and conspiracies were practised amongst the children of the fellow wives in the higher classes. In this we can quote the example of Joseph and his brothers. However such natural tendencies could not be taken as a pretext to stop the enactment of legislation the advantages of which are great.

God the Almighty who realises that jealousy is a natural element in the souls of wives, has made plurality of wives legitimate in olden as well as

thinkers on facing such perilous situation with one exception that our call will find neither heed nor support.

That polygamy is continually decreasing is well attested by the census made by the Egyptian Administration of statistics in 1943. The table drawn by this administration showed that the percentage of men marrying two wives had dropped in a period of ten years from 4.49 % to 2.95 % and the percentage of men marrying three wives had dropped from 0.29 % to 0.17 % and that of those marrying four wives from 0.04 % to 0.02 %.

Such results imply a warning that polygamy is coming to an end and that the people are tending to give it up as a result of their disregard to marriage itself as a principle satisfying themselves through friendships and entertaining girl friends.

Our needs call reversal legislation.

6 — Such behaviour will lead the nation to moral deterioration from which the westerners had complained and from which an oriental nation had suffered. Their experience in that should urge the sensible people of our country to restrain from this tendency aiming at the limitation of polygamy or its abrogation to save

their country from the bad effect of demoralization. Instead they should think of a way to limit celibacy and to encourage marriage. In the meantime they have to plan for a legislation that aims at realising a reversal end to that preconceived by the supporters of the law prementioned. They should account for a plan to encourage polygamy by offering at least a premium to those who marry more than one to help them shouldering the expenses of life if they are not rich enough and to urge others to follow their steps.

However it is against common sense in the field of vital legislation to plan a legislation for prohibiting a deed which is in its way finality and non existence. A legislation is always resorted to as a means to prevent the rush of the citizens into actions which lead to troubles in their lives and expose them to fall in the meshes of evil. We never heard of a law issued with a view to help or to instigate people to fall into the abyss of evil. As well we never heard that such a law could find a supporter or a defender.

In the light of the proofs which we have previously mentioned we can judge that the legislation proposed to limit polygamy is a means to help people to rid themselves of the noble ties which have good effects

religions and legislations. So they turned to Islam to borrow its panacea and legislation.

It is unright however to take such narrow point of view when we are trying to make a legislation missing the other side which the nature of the two sexes dictates, and the law of God ordains and thus leaving both man and woman under the control of the cravings of nature and the traditions of the universe to be obliged to response to the call of nature and to indulge in adultery. To this effect God the Almighty has gently draw our attention by saying "You shall not force your slave-girls into prostitution in order that you make money, if they wish to preserve their chastity.

An admonition from the east:

To quote another example I will refer you to the life history of an oriental nation which was bred in the bosom of Islam. Then by time It was overcome by western tendencies to disentangle her from the ties of religion. It turned a deaf ear to Islam and adopted civil law under the ferule of which it issued a law in 1926 prohibiting the polygamy. It is astounding to state that eight years of issuing that law the government was appaled by the rise in the number of secret births, secret

marriages and hidden deaths of children. To prove this refer to the statistics issued by Ustaz Mohamed El Tabi the well known Egyptian writer in Akhr saa Magazine No. 556 published on the third of June 1945. He had collected these statistics personally while on a visit to Turkey.

Figures Speak :

Again if we refer to statistics concerning marriage lives and especially those of polygamy we will find out that the percentage of married people is decreasing as a result of the reigning of the idea of marriage avoidance in the minds of the young generation and as a result of their negligence to the rules of virtue. It is noteworthy to see that they not only had abandoned polygamy but they also had rid themselves of marriage itself as a rule. It is feared that if matters go ahead on such lines and I am sure it will; celibacy will then prevail and Polygamy disappear completely. By then the evils will increase and the situation will become very serious. Complaints will be incessantly raised. Thus we shall face the same situation which the French government had faced in 1901 and we shall be impelled to call for a reform as such which had been called for by the western

ed for its causes. Being a woman I always look at these girls with a heart rending from sadness and pity. But what will my pity and sadness even if they are shared by the whole nation do for them and contribute to lend a hand in saving them. No use of expressing only our sorrow for such miserable case. The situation needs action to prevent such abuses. God bless that great thinker Thomas who have realised the real cause and prescribed the effective panacea. It is the permission of plurality of wives. By such permission all evils could be evaded and our girls would become landladies and owners of homes. The root of all evils is the ban of polygamy and forcing upon the European citizen to marry only one. This restriction is the real cause for the going astray of our girls and the real motive that actuates them to share the men's jobs. The evil will abound and become more serious if plurality is not permitted.

Had polygamy been permissible such awful situations would have not happened.

She went on lamenting the misfortune of her sister girls whom the laws have prohibited their enjoying the home life by banning Polygamy.

This serious case which the French government had called for

its treatment and which that English writer had described is what we fear to become very serious in our country as a result of youths' avoidance of marriage and as result of banning the plurality of wives or its limitation.

It is the case the Premises of which and the motives of which are reigning the behaviour of the young generation to-day.

It is the case which the Holy Koran had aimed at its cure when it made plurality legitimate and expanded its practice. The Koran says with a view to urge people to marry.

"All women other than these are lawful to you provided you seek them with your wealth in modest conduct, not in fornication".

Again the Koran says with a view to urge the marriage of women.

"Marry them with the permission of their masters and give them their dowry in all justice, provided they are honourable and chaste and have not entertained other men.

Fornication and entertaining other men are the main spring of evil which befell the western nations leaving them unable to find out panacea arising from their own

prevalent causes such as poverty, mal-elevation of the parents, the severity of the master, the labourer and the remarriage of one of the parents after the death of the other the vicious society and the breakdown of the child's nervous system as a result of bad treatment and the ignorance of health preserving rules. It is the main duty of the governments alert to the needs of the nations and eager to raise their standards to combat such causes effectively. But plurality of wives has no effect in that direction to be counted as an effective cause to be combated by issuing a law with a view to either its abrogation or limitation. However if we compare this low percentage caused by plurality with the percentage of foundlings and children buried alive picked up by the police and the citizens from the lanes and back sheets, the main cause of which is the avoidance of marriage and the abundance of widows, we shall find out that in the light of such comparison, we have to shun completely such percentage of vagrancy and to unite all our efforts to rid our society of such foundlings by searching for their real causes and trying to eradicate them completely.

A warning from the West :

If we carry on such research we would be able then to recognise and confess as the western writers have already recognised and confessed that the law of plurality of wives has a great effect on the increase of the percentage of foundlings and the buried above children. The western thinkers have realised this fact since the beginning of this century. Both their reformers and speakers have confessed it and made it a subject of their speeches and sermons. In the conference held by the French government in the year 1901 to discuss the best ways to combat the spread of debauchery, the question was raised. In the debate it was said that the number of foundlings picked up from the county of Seine only and put into the county's asylums to be nurtured at the expense of the government was about 50 thousand. Such foundlings were raped by some of the tutors who looked after them. The foundlings themselves commit adultery with each other with no restraint.

An English writer had treated this question as well. She said : " The girls who are going astray in our country have abounded. It is a serious question leading to the spread of debauchery but no one has taken it into consideration or even search-

future and what chances are hidden for them.

Justice as referred to in the verse though absolute, yet it is mentioned to denote a special aspect of Justice that is the justice between wives. Such view is accounted for by the explicit declaration of the second verse "ye will not be able to deal equally between your wives". It is also backed by so many traditions of the prophet concerning the equal dealing between wives. No commentator or jurist has said that such justice comprises the ability to afford the expenses of the origins and offsprings and the ability to nurture his children.

The Justice meant by the Koran and by the traditions of the prophet is demanded in both richness and Poverty.

The rich is ordained to deal justly with his women in the light of the traditions of his own environment. The poor as well is ordered to deal fairly with his wives under the circumstances prevalent in his environment. The justice demanded by the verse means that the husband should not turn altogether away from one wife and turn wholeheartedly to another leaving the former as in suspense. It is clear thus that the explanation of justice as concei-

ved by the supporters of the limitation of plurality is a misconstruction and a deviation from the authentic meaning of the verse.

The factual causes of vagrancy.

As to vagrancy which they referred to as an effect of polygamy, it is enough to confute their plea by quoting what was mentioned in the statistics made by the office of social service concerning vagrancy; its causes and effects. Therein the office after minute research has come to the conclusion that the percentage of vgrancy caused by polygamy is only 3./ such percentage is equal to the percentage caused by the severity of home in treating the child and the severity of the master in treating his servant.

No doubt this is a low percentage which could not stand as a reason for deciding that vagrancy is an effect of polygamy and as a basis for demanding the limitation of such plurality which has on the other hand social and moral advantages that immensely overweigh the disadvantages entailed by such percentage.

It is beyond doubt that vagrancy is a social disease which should be cured with a view to its eradication if possible. This end could be realized by waging a war against its

advantages of polygamy and its *raison d'être*. They have deliberately shunned discussing the good points which support the need for such plurality. In fact it was incumbent upon them to deal fairly with the subject by weighing its good points against its bad ones and try comparing between its advantages and its disadvantages for this is the right way which should be followed to evaluate justly a subject matter with two opposing effects: good and bad. Such comparative study will help them to give the verdict to the dominant side.

It is a well attested fact that wherein the good overweighs the evil in any institution one should stick to such institution for the scarcity of evil compared to the plenty of good is always overshadowed in case of legislation. However there is no legislation whatsoever though abounding with good that has no scarce evils which exist side by side with the good ones. Life itself by nature is not rid of evils caused by abnormalities and eccentricities. Such abnormalities never stopped legislations which ensure plenty of good to all citizens.

The justice meant by the verse :

3 — The supporters of the plan have expatiated upon the explanation of the meaning of justice mentioned in the vers "And if you fear that

you can not do justice (to so many) then one only" by saying that the plurality is only permitted when there is no fear of injustice either to the wives or to any other of his kith and kin. By so saying they put into consideration that on permitting a man to having a second wife he should satisfy the condition of ability to afford the expenses of those whom he is responsible for their sustenance whether of his origin or offspring and to rear and educate his sons whom he will bring forth from his two or three wives. Plainly this tendency is rather strange for it is supposed that he who marries a second or a third wife is doing so to defend himself against the evils which he may be exposed to during the periods when the wife loses the adaptability to sexual intercourse and to defend his country against the evils entailed in the outnumbering of women to men as a result of the Pressure of life and the wear and tear of time. Undoubtedly such satisfaction to an urgent need with a view to save himself and his country, has a priority in consideration to the ability to afford the expenses of his origins and offsprings. It has nothing to do with the possibilities of inability to nurture and educate expected children who may come or not. However on coming no one could foretell what would be their

PLURALITY OF WIVES IN THE LIGHT OF SOCIAL CASES

A Plan for the limitation of Plurality

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

From time to time a controversy takes place concerning the plurality and its social drawbacks. Sometimes these controversies turn to be attacks implicitly waged against the permissibility of such plurality. Not only had plurality been attacked ostensibly but also motions have been raised to ask government to issue laws with a view to limit such right or even to abrogate it. The most conspicuous of such motions was that backed by the Egyptian ministry of social Affairs in 1945 when it had planned for issuing a law to the effect of restricting plurality by giving the right of permission to the judge in sharia courts who has to examine each case minutely and to investigate the behaviour of the man who applies for a permission to remarry and to inquire into his way of life to find out whether he can treat his second wife fairly and mannerly and whether he can afford the expenses of such wife over and above the expenses

of his first wife and his kith and kin.

Referring to the explanatory notes of such plan in its different stages one will come to the conclusion that all these motions were actuated mainly by one fixed idea that plurality disintegrates families, corrupts the offspring, shoulds the government with heavy burdens as a result of the increase of vagrants and delinquents and severs the family ties. These notes however concluded by stating that had plurality been only weighed by its bad effect on the education of the new generation and that it leads to the neglect of such education, it would have been enough to call for issuing a law to prohibit remarriage for those who cannot afford it.

The supporters of the plan overshadowed the advantages of plurality.

This Summary shows that the supporters of the idea of limitation of plurality have overshadowed the

with carelessness, his logic with obstinacy and his peaceful conduct with provocation. Thus he forced Al-Hussein to fight a desperate battle and cut off all access to the Euphrates, hoping to reduce him by thirst and killed him together with his family in such a barbrous way which makes one shudders when recalled.

— 3 —

The memories of two great events come to mind with the advent of Al-Muharram every year. The first is the memory of the Hegira of the Prophet which is celebrated in commemoration of the liberation of the Muhammedan Call from the siege of Meca, the upsurge of the heavenly message at Medina and the emancipation of humanity at large from the servitude of ignorance.

The second is the memory of Al-Hussein's assassination which is a great day of mourning over the filched right as well as over a unity which was split and is still so ever since.

Therefore Muslims recieve their new year of Hegira in two different ways and feelings. For some it brings with it the delightful memory of the victory of the first Great Immigrant i-e, Muhammad and so is an occasion for festivity and rejoicing while for others it is a sad and gloomy day when they recall the martyrdom of the noble striver i. e, Al-Hnssein and

thus regard it as a great day of mourning. Had our unity been comprhensive we would hav met this new year with one feeling and one heart, would have left aside this tragic calamity which seperated brethren and subdued faith and would have committed judgement between disputants, who no longer exist, to God, the Lord of resurrection to forgive or condemn. Such a stand is worthy of this monotheist nation whose leaders, whom God Almighty has chosen to renew His faith and unify His word, are on their way to realize the unity of all hearts in order to bridge the gulf between the different sects and reconcile all interests thus putting an end to disunity and starting a period of harmony and co-ordination.

However, this divergence of views and emotions had emerged from an old dispute between two of the prophet's companions; and it is not in the least wise for Muslims to-day to stick to such a dispute or behave according to its sordid spirit. Providence does not create evil but gives liberty and welcomes unity as well as amity, and if we misuse such a blessing or disregard this unity we are sure to suffer but have only ourselves to blame, and it is not in the least fair that fathers should eat sour grapes and the childrens' teeth are set on edge.

Mu'awiyah; a policy that favoured tribal kinship over Arab nationalism and preferred political interests to religious matters. It was largely due to his entrusting the caliphate to his reckless son Yazid, who was obsessed by prejudice, employing rather unsound and imperfect measures.

The children of Ali, having inherited from him the prophetic and apostolic gifts which he himself inherited, by virtue of his birth and training, took up opposition with the sincerity of the true believers. They led the reformation movement with the audacity of the warrior and followed their father's footsteps in their rule. They had neither fallen in the abyss of egoism nor tried to be separatists. They had never employed money to attain their aims or aroused tribalism or had they ever been opportunists.

The triumphant world, however, started to ignore piety and asceticism. Hence, religious incentives had no longer the power to restrain those who had been indulging in lavish and luxury in Syria and Iraq. The sons of Ali failed therefore as a result of the tyranny of the government as well as the deception of the people. It was painful then for Al-Hussein to see that the message of his grand-father had become nothing but propaganda; the caliphate of his

father a royalty and the unity of his people utter dispersion. Therefore he made a solemn pledge to settle forcibly this unjust deviation. Thus he appealed to the different tribes and clans to offer him their support, but unfortunately his appeal did not fall on favourable ground. Being disappointed he destined to seek support in another direction. Hoping that he might find such a help from the Shi'is of Iraq who had already given him their word through their messengers and messages as to pave the way for him and instigate the people to swear fealty to him. Al-Hussein thus intended to go there in person accompanied by not more than eighty of his people including his wives and children repeating to himself all the way the same words he wrote to his brother Muhammad in his bequest, : "I am not out for wealth but seeking reformation of my grand-father's people. I want to enjoin what is right and forbid what is wrong. He who accepts my plea I have nothing against him, but whosoever opposes me, I will exercise patience till God, who is the best Judge, decrees His decision between me and him."

But Yazid's army, which was entirely formed from the Iraqi people, blocked his way to Al-Kufah. Its commander; Ibn Zeyad, who had hostile feelings against Al-Hussein and his family met Al-Hussein's patience

the heavenly seeds had never grown, and a shifting from a people who kept off man from the way of God. The call of truth at Mecca was just like rain sent down by God on a sandy desert; part of which penetrated deep in the earth while the other was blocked by the solid rocks. Under the force of the great pressure it gushed forth from beneath these rocky barriers forming floods in valleys, streams in villages and rivers in towns and cities. It carried to all people fertility and abundance providing them with nourishment and prosperity. It awakened the dead earth, satisfied the peoples thirst and ensuing construction, civilization and good.

The immigration of the Messenger to Madinah meant the upsurge of Islam which pervaded the entire world offering guidance of the restless souls, peace to the belligerent universe and amity to the divided hearts. It realized the dream of man who had been victim of aggression and subject to oppression. It has realized for him the long sought dreams for a brotherhood that would emanate bliss, an equality upon which justice is erected and a freedom that nourished understanding. The "Hegira" or the era of the Hijra according to which the wise and great Caliph Omar had

made the Muslim calendar, was an epic that was inspired by God, that drove its very spirit from the morals of Muhammad and whose success was based on the truthfulness of the Arabs. It has echoed in the hearings of successive generations and centuries, and stood as a striking example to be followed by the leaders of humanity, to teach them how to be patient in times of hardships, steadfast in time of dissensions, courageous in face of tribulation and martyrs in the cause of the belief.

Moreover, the Hegira was the solid ground upon which the prophet had established the unity of the Arabs which was later on consolidated after the seizure of Mecca. It is noteworthy to state that the prophet's wise successors had proceeded on the same line and consequently ascertained this unity by linking all Arabs under a democratic and free system, as well as under an impartial theocratic rule. Thus mastery was based on religious foundations not tribal interests.

Soon afterwards this grand structure leaked profusely when the great dissension took place and strong disputation arose over the caliphate between Ali and Muawya, or let us say between the Hashimides and the Ommeyyads. It was also due to the policy of the first Ommeyyad

were really the darkest nights in the history of the call. The swords of treachery were raised in the hands of lads who had been chosen from amongst the tribes of Kuraish and who were watching over the dwelling place of the prophet with an open eye. Ali, the prophet's cousin, was inropped in the messenger's cloak in order to impose on the men outside that he was the wanted man i.e., the messenger, and thus keep them from looking for him elsewhere. The immigrant, who ran away with his message from the subjugation of blasphemy, was taking refuge in the cave in the remote end of Mecca, strengthening himself by the remembrance of God and reassuring himself by patience telling his companion who was trembling with fear and unable to control himself: "never grieve. There is no doubt that God is by our side".

Morning came and with it the trick was exposed to the plotters who began looking for him everywhere by all means until they reached a point where they could overtake the messenger and his companion. When God whose will was that His word would prevail and His religion survive. He blinded their eyes and shook the ground under their feet. Muhammed, his companion, his guide and his servant went away within sight of the dis-

believers taking the rough and deserted route until they reached Yathrib (Medina). In this sacred city the seeds of the call flourished and the light of God prevailed thanks to the exercise of patience, truthfulness, faith and manhood. The prophet united the scattering group, unified the bonds of religion and was preparing for the sacred struggle (Al-Jihad). He linked between the hearts of Al-Aws and Al-Khazrag tribes, made the immigrants and the companions brethren and held a peace treaty between the Muslims and the Jews. In Madinah God's army was formed which opened Mecca and the entire world.

The immigration of the messenger, however, was not a flight from death as it was maliciously held by the western writers. Had it been a matter of life the messenger could have given up the Call and stayed safe and secure amongst his people. But it was rather submission to God's command as the prophet had stated in his own words to his uncle: "I swear by God's name that if they put the sun in my right hand and moon in my left hand to give up this message. I would never do so until God makes it prevail or I am willing to die in it".

The immigration was a mere coming out from a land in whose soil

SOME MEMORIES OF AL-MUHARRAM

Immigration in the Way of God, martyrdom in the way of truth

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

God sent the messenger Muhammad after the break in the series of the prophets. This was truly the dark age of the world. Religion was corrupted; the standard of morals fell low; false beliefs and heresies arose. Poverty and ignorance were prevailing in the Arab Peninsula. The messenger, peace be upon him, was subjected to unlimited hardships through foolishness of the heathens, from the domination of materialism, from the plotting of the fanatics, from the yoke of poverty and lack of support. God only helped him to overcome such adverse circumstances. He provided him with a power of His Own and strengthened his faith as well as his morality.

Muhammad, though poor and weak, undertook the message of God, while Abou Gahl carried out the mission of the devil, meanwhile enjoying wealth and authority. There-

fore he made of Makkah a seat of dissension which obstructed the way in the face of the messenger and hindered the spread of his call and the proclamation of the word of God. Muhammad was moving on land full of agitation and troubles. Whenever he went Abou Lahab met him with persecution, humiliation and ill-treatment. Every Kuraishi then was following the steps of both Abou Gahl and Abou Lahab except those whom God had preserved.

The disbelievers of Mecca and Al-Taif inflicted all sorts of torture upon the prophet, his family and his companions in order to enforce him to give up the call. The prophet never gave way. So Iblis (the devil) obtained admission to their council (Dar Al-Nadua) and confirmed death to the messenger. But God Almighty delivered him.

The nights of the cave of Thawr

يَشْتَرِكُ فِي الْقَهْرِ
عَبَّاسٌ مَجْمُوعٌ لِعَقَّارٍ
بَدَلُ الْأَشْبَارِ
٤٠ فِي الْجُمْهُورِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَّحِدَةِ
٥٠ خَارِجَ الْجُمْهُورِيَّةِ
وَلِلْمُدَرِّسِينَ وَالطُّلَّابِ تَخْفِيفٌ غَالِصٌ

مَجَلَّةُ الْأَنْزَهَرِ

مجلة شهرية جامعة

مَدِيرُ الْمَجَلَّةِ وَرَئِيسُ الْقَتْرِ
أَحْمَدُ حَسَنُ الزَّيَّاتِ
الْعَنْوَانُ
إِدَارَةُ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ
بِالْقَاهِرَةِ
ت : ٤٦٤١٤

تَبْدُءُ عَنْ مَشِيخَتِ الْأَنْزَهَرِ فِي ذَوِّ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ

الجزءان الثالث والرابع — ربيع الأول وربيع الآخر سنة ١٣٨٠ هـ — المجلد الثاني والثلاثون

سَمَاءُ الْمَالِكِ الْمَرْمُومِ

شهر ربيع الأول في حياة الرسول

بقلم : أحمد حسن الزيات

من المواقفات العجيبة في حياة الرسول صلوات الله عليه أن شهر ربيع الأول كان شهره من بين الأشهر ، وأن يوم الإثنين كان يومه من بين الأيام ، فيوم الإثنين من الأسبوع الثاني من شهر ربيع الأول كان يوم استهلاله في مكة ؛ ويوم الإثنين من الأسبوع الثاني من شهر ربيع الأول كان يوم هجرته إلى المدينة ؛ ويوم الإثنين من الأسبوع الثاني من شهر ربيع الأول كان يوم انتقاله إلى الرفيق الأعلى . ولهذا المواقفات سر يعلمه من اصطفاه على خلقه واصطنعه لحقه ، واختصه برسالته . ومن همسات هذا السر أن شهر ربيع الأول هو شهر البين والخصب والجمال في العام ، وأن يوم الإثنين هو يوم القمر عند القدامي وللقمر شأن مذكور في الإسلام . فهو ميقات للناس والصوم والحج ، وشعار للأمة والمسلة والدولة . وعلاقة الأقدار والحظوظ بالفصول والبروج والأيام لاتزال من الأسرار المغيبة في فطرة الإنسان . فلو أن شهر ربيع الأول جعل بدءا للسنة الهجرية ، وأن يوم الإثنين جعل يوما للراحة الأسبوعية ، لكان ذلك متفقا مع تاريخ

لإنما العبادة لله ، والقيادة للرسول ، والسيادة للدين ، والحكومة للعرب ، والدنيا للجميع !

ثم درج يتيم الأيوين في دروب مكة وشعابها وأوديتها يتمرس بالحياة على أسلوب قريش ، فرعى على بعض أهله ، وسعى لبعض قومه ، ثم اتجر بمال زوجته . وكانت عناية الله ترعاه في كل طور وفي كل مرحلة . عاله وهو يتيم فقير . وكفله وهو راع صغير . ووقفه وهو تاجر أجير . ثم شاء الله لأمر يريده أن يصنعه على عينه . فأدبه بأدبه ، وعلمه من علمه ، وعصمه من أرجاس الوثنية وأوزار الجاهلية ، فلم يشرب الخمر ، ولم يأكل الربا ، ولم يلعب الميسر ، ولم يشهد اللهو ، ولم يعن وجهه لصنم ، حتى صار اليتيم العديم سيداً للجزيرة ، والراعى الصغير راعياً للعالم ، والتاجر المتجول فاتحاً للأرض ، والظاهر النزيه مهياً لتلقى الوحي وتبليغ الرسالة .

وحينئذ انفتح باب من السماء على غار حراء تنزلت منه الملائكة والروح على أهل الأرض ، وانبثقت فيه الشعاعة الأولى من وحى الله على قلب محمد : فهبط الصادق الأمين من فوق جبل النور يحمل المصباح بالهدى ، ويحمل على الشرك بالتوحيد ، ويحمل في سبيل الدعوة إلى الله أذى أئمة الكفر من قريش .

الهجرة ، وجلالة الذكرى ، ومكانة الرسول ، وقداسة الشهر .

— ١ —

ففي يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول للسنة الثالثة والخسين قبل الهجرة كان الفضاء الرب الصافي بين بيت إبراهيم بالمسجد الحرام ، ودار السيدة آمنة بشعب بنى هاشم بمكة ، مستبجحا لأجنحة الملائكة ومستبجحا لأرواح الأنبياء ، يمدون الله ويشكرونه على أن تدارك الخليقة من جديد ، باستهلال هذا العربي الوليد . وكان العالم قبل مولد محمد بن عبد الله يضطرب في الباطل ، ويتخبط في الضلال ، ويتبسط في المنكر

كبهيمة عبياء قاد زمامها

أعمى على عوج الطريق الأعوج
كان يسوق هذه البهيمة من الشرق الفرس على ما هم فيه من انحلال وفساد ، ويقودها إلى الغرب الروم على ما هم عليه من إباحية وفسوق . وكان إيوان كسرى وبلاط القيصر يتنازعان الولاية على الأرض ، بالكفران والطغيان والقهر . فلما قام بينهما في مكة مهد العربي اليتيم هزته يد الله فتصدع لهزته الإيوان ، وتطامن لهيبته القصر ، وهتف بالعاقلين العظميين من جانب الغيب هاتف يقول : أليوم ينتهى تاريخ ويبتدى تاريخ . ليس بعد اليوم ملك ولا كاهن ولا سيد .

— ٢ —

وفي يوم الإثنين الثامن من شهر ربيع الأول
للسنة الأولى من حادثة الفيل كان أذى قريش
لرسول الله قد بلغ حد الانتهار به ليقتلوه .
وكان صلوات الله عليه قد رأى قفار مكة
المشركة قد جفت على غرس الدعوة فلم يخرج
نباته إلا نكدًا توشك السموم أن تأتي عليه ،
فهاجر به تحت عين الله إلى البلد الطيب الذي
اختاره الله ليكون قاعدة لصرحه وحقلًا
لغرسه وجمعًا لقوته ومناراً لهده . وهناك
بالصبر والصدق والإيمان والثبات والجهاد
والخلق والرجولة ، أثمر الغرس وتم النور
واتحدت الكلمة واتسعت الرقعة ، فصارت
المدينة دنيا ، والقلة ملة ، والقرى ثلاث
وهي مكة والطائف ويثرب قارات ثلاثا هي
آسيا وأفريقيا وأوربا . وأصبح الإسلام الذي
بدأ بخديجة وعلى وأبي بكر وزيد دين الناس
ودنيا العالم ، يقف به في آخر المغرب عقبة
ابن نافع على شاطئ المحيط الأطلسي ويقول
وقد خوض جواده في الماء : « اللهم رب محمد !
لولا هذا البحر لفنحت الدنيا في سبيل إعلاء
كلمتك ، اللهم أشهدا . ويتجه به إلى آخر الشرق
قتيبة الباهلي ويأبى إلا أن يوغل في بلاد الصين
فيقول له أحد أصحابه مخدراً : « لقد أوغلت
في بلاد الترك يا قتيبة ، والحوادث بين أجنحة
الدهر تقبل وتدبر ، فيجيبه قتيبة : « بثقتي

بنصر الله أوغلت . وإذا انقضت المدة ،
لم تنفع العدة ، ؟ فرد عليه المشفق المخذر :
« اسلك سبيلك حيث شئت ، فهذا عزم لا يفله
إلا الله » .

* * *

كانت الهجرة المباركة حداً فاصلاً من نور الله
بين الإسلام والجاهلية ، وبين الوحدةانية
والوثنية ، وبين القومية والعصية ، وبين
الإنسانية والحيوانية ، وبين ليل مظلم طال
في الهول والويل والضلال ، وصباح مسفر
ضاء بالأمن والسلام والهداية .

تسنى بعدها للرسول بفضل الله أن يفطم
المشركين عن الشر بالحكمة والقوة ، وأن يربي
المسلمين على الخير بالموعظة والقدوة . فجادل
المنكرين بمنطق القرآن ، وجاهد المكابرين
بمنطق السيف ، حتى جاء نصر الله والفتح
ورأى الناس يدخلون في دين الله أفواجا
فسبح بحمد ربه ، واطمأن على مصير دعوته
وشعبه ، وأخذ يسن السنن ويوضح المعالم
ويبين للناس ما لو اتبعوه من بعده فما ضلوا
ولا ذلوا . فلم تمض عشر سنين على الهجرة
حتى كان الدين قد كمل ، والنعمة قد تمت ،
والقرآن قد ختم ، والعرب قد تهيأوا للولاية
الأرض وحكم الدنيا . فحج صلوات الله عليه
حجة التمام ، وخطب في عرفة خطبة الوداع ،
أشهد فيها الله على أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة
وخرج من العهدة .

وفي ذلك اليوم نزل عليه قوله تعالى :
 « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم
 نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ، فعمل أن الله
 قد نعى إليه نفسه واصطفاه لجواره .

— ٣ —

وفي يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع
 الأول للسنة الحادية عشرة من الهجرة لحق
 بالرفيق الأعلى . وكان قد حم عليه الصلاة والسلام
 منذ أسبوعين قضاها في برحاء الحمى بين
 وهجها وغشيتها لا يفتر عن ذكر الله ولا يغفل
 عن أمر دينه . وكان أشد عليه من وجعه أن
 ينقطع عن المسجد وأن يؤذنه بلال بالصلاة
 فلا ينهض لها . وفي آخر يوم من أيام المرض
 وجد صلوات الله عليه خفة في جسده فعصب
 رأسه وخرج من بيت عائشة متثاقلاً تحط
 قدماه الأرض وهو معتمد على علي والفضل
 ابني عميه ، حتى أتى المسجد والناس يقيمون
 الصلاة ، فلم يكادوا يرونه مقبلاً حتى أخذتهم
 هزة الفرح وفرجوا صفوفهم له نخطاً بينها
 حتى جلس إلى يسار أبي بكر وصلى قاعداً
 وراؤه . فلما قضيت الصلاة صعد المنبر ،
 وكان قد علم أن مرضه الشديد قد جراً بعض
 المنافقين على الانتفاض والردة فوثب الأسود
 باليمن ، ومسيلبة باليمامة ، وطليحة في بني أسد ،
 فقال بعد أن حمد الله واستغفر لأهل أحد :
 « أيها الناس : سعرت النار ، وأقبلت الفتن

كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها !
 ألا وإنكم لا تمكثون على شيئاً . إني والله
 لم أحل لكم إلا ما أحل القرآن ، ولم أحرم
 عليكم إلا ما حرم . ألا وإن عبداً من عباد
 الله خير به الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار
 ما عند الله . ثم أمسك . فأدرك الصديق
 أن الرسول يريد نفسه فأجهش بالبكاء وفداءه
 بالأنفس والبنين . ثم خرج من المسجد فدعا
 لأسامة بن زيد بالخير وأمره أن يسير بجيشه
 إلى غزو الروم . وارتد إلى بيته ففسكس النسكة
 التي انحزل عنها العلاج ، وانطفأ منها السراج ،
 وغام بعدها الأفق ، ونجمت في أرض السقيفة
 بذور الفرقة . فلم يبق بين أيدي الناس
 إلا كتاب الله يهتدى عليه الضال ، ويرجع
 إليه الشارد ، ويستقيم به الطريق .

هذا هو شهر ربيع الأول ، وهذه هي أثنائنه
 الثلاثة ، لخصت حوادثها تاريخ الرسول ،
 وسجلت مواقيتها أطوار الرسالة . فكانت
 إطاراً للصورة القدسية التي صاغت يد الباري
 المصور لتسكون جمالا للتاريخ ومنالاً للإكبار .
 ومشكاة للبصباح الإلهي السرمدي الذي يوقد
 من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية
 يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار .

من أجل ذلك وجب الاحتفال بذكرى
 هذا الشهر وهذا اليوم ، ومن أجل ذلك
 استحب في أيام الإثنين الصدقة والصوم .

أحمد حسن الزيات

موالاة الأعداء وموقف الإسلام منها لإمام المسلمين الأكبر الشيخ محمود سلتوت

إن الأمة الإسلامية شخصية قوية كونها الإسلام عن طريق محور التعصب للجنس والاعتصام بمبدأ الخير العام والرحمة الواسعة والعدل المطلق، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم، وبذلك تكون الجماعة الإسلامية مهما اختلفت أجناسها، وتباعدت أقاليمها، وتباينت ألوانها وألسنتها، تدور في اتجاهاتها وأعمالها في مدار المبدأ الثابت الذي لا يتغير ولا يزول، ولا يعثره نقص ولا أقول، فتسرى إليها روحه فتتشط في رفع شأنها والقيام بواجبها، تعمر ولا تحرب، وتصلح ولا تفسد، وتعديل ولا تظلم، وتعرف ما لها وما عليها من حقوق وواجبات، وبذلك تسمو الحياة، ويسعد الناس. وفي سبيل هذا المبدأ الذي يدعو إلى الترابط على أساس من الخير أمر القرآن بالتحضية في هذا السبيل بالنفس والمال والولد، وجعل الأخوة الإيمانية هي الأساس، يحس كل إنسان بإحساس أخيه كما تحس كل أمة بإحساس غيرها فيعم السلام الأرض، وبهذا كله تتحقق للمسلمين شخصية بارزة لها هيئتها ومكانها، ولها سلطانها وأثرها، وتحقق بها سعادة البشرية عامة.

وصونا لهذه الشخصية أن تتعرض للضعف والانحلال حرص القرآن على تقويتها وحذر التحذير كله من الميل إلى ما يضعفها أو العمل على ما يفسدها أو يقلل من شأنها.

ولقد كان من أبرز ما حرص القرآن على التحذير منه موالاة الأعداء الذين يكفرون بهذه الشخصية التي كونها الإسلام وبنائها ودعم بناءها في رباط قوى وتماسك متين، ويجدر بنا في هذا المقام أن نسوق بعض الآيات التي عرضت للنهي عن موالاة الأعداء وحثت على البعد عنهم وعدم الاقتراب منهم، يأياها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عندتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر، وتقديراً لهذه الشخصية واحتفاظاً بها

مصطرح الحياة ومعتركها وفي ترابط المسلمين وقوتهم ، وفي وحدة العروبة وتماسكها ، هذه الشرذمة الطاغية الباغية التي طألتا عاثت فسادا في الأرض وتذكرت للبيادى وهدمت القيم .

هؤلاء هم الذين أبوا الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين أوجدوا الطائفة الثالثة بين المسلمين والكفار فكانت عبثا ثقيلا في المجتمع ، هم نقضوا عهودهم مع الرسول وكفروا بالحسن وحرفوا الكلم عن مواضعه ، وما لاوا الأعداء وتحزبوا معهم إطفاء لنور الله وخانوا الرسول ، وهموا بقتله ، ودسوا له السم في الطعام فنبأه الله بنياتهم وعصمه من شرهم وسلطه عليهم فشردوا بما كسبت أيديهم وبما كانوا يفسقون . « إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون . فإما تثقفنهم في الحرب فشردهم من خلفهم لعلمهم يذكرون » . وكمن شر أصاب المسلمين على أيديهم . وما غزوة الأحزاب التي زلزل فيها المسلمون إلا أثر من تفكيرهم وسوء تدبيرهم .

وهكذا فعل بهم الرسول صلى الله عليه وسلم ،

ولإحياء لهذه المعاني السامية التي تظل بها الأمة الإسلامية مرهوبة الجانب شديدة القوة نهى عن هذه الموالاة ولو لمن كانوا آباء يجب برهم أو إخوة تلزم صلتهم ومودتهم فقال : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان » . « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » .

ولكن الأهواء الذاتية والمصالح الفردية قد تسد على بعض الأشخاص طرق الهدى فتعميهم عن مواطن القوة والإيمان وتصم آذانهم عن دعوة الخير ، وذلك حين يتخلون عن الاعتصام بالله واتباع هدايته ، فإن الاعتصام بالله دائما طريق الخير وسبيل الفلاح . فإذا ما طغت المصالح الفردية وسيطر الهوى على بعض النفوس ألقوا بأنفسهم بين أحضان الأعداء مسارعين إلى ما يرجون من تحقيق نفع خاص ، وبذا يتعاونون معهم على حساب دينهم وأمتهم . « فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين » .

إن من أشد الناس عداوة لنا اليوم في

الإسلامى العربى عزيزاً علينا ، أخرجوا منه أهله وسلبوا أموالهم وشردوهم فى الصحراء فأصبحوا بلا مأوى ، أيموا النساء ، ويتموا الأطفال ، فأضاعوا حياة الملايين وحرموهم متعة الحياة ، والغصب فى طبيعته عمل مذموم حرمة الشرائع الساوية ورفضته القوانين الوضعية ، فلا عجب أن يكون حكم الله فى موالاة هذه الشرذمة أو الاعتراف بها كدولة تقيم فى أراضينا المقدسة مهبط الوحى ، وموقع المسجد الأقصى ومصلى الأنبياء لا عجب أن يكون حكم الله فى مثل هذا العمل أنه لا يتفق وإيمان من يقدم عليه أو يقوم به ، وهو من أقوى أنواع الموالاة التى جاء القرآن بالنهى عنها وتحريمها والبعد عنها ضمانا لسلامة الأمة وحرصا على كيانها . إن المسلمين أمة واحدة تجتمع على رأى واحد وهدف واحد وغاية سامية واحدة ، وذلك مصدر قوتها فى كل حين تقوى فيه ويعلو شأنها ويتألق نجمها ، ويد الله مع الجماعة ، ومن شذ شذ إلى النار ، فلتن حاول إنسان أن يمد يده لفئة باغية يضعها الاستعمار لتكون جسراً له يعبر عليه إلى غاياته ويلج منه إلى أهدافه ، لو حاول إنسان ذلك لكان عمله هو الخروج على الدين بعينه والنكوص الممقوت : لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من

فشرهم وأدبهم ثم خلفه أصحابه فتعقبوهم وأغمدوا سيوف الحق فى رقابهم لأنهم عوامل شر ومثيرو فتن ومجامع أحقاد وأضغان ، فلا بد من كبتهم وقتل هذه النزعات الشريرة فيهم ؛ ليستقيم أمر الجماعة الإنسانية ويصلح شأنها ويسودها الأمن والاستقرار والسلام الذى تنشده الحكمة للبشرية جمعاء ، وإن يهود اليوم لأسوأ حالا من أسلافهم ، عادوا إلى أخلاقهم فتحركت كوامن الضغن فيهم فهم يحاربون الله ورسوله ويفسدون فى الأرض ، وإنهم ليجدون فى فترات متعاقبة من قوى البنى وعوامل الشر وسواعد الفساد ما يغريهم بقوى الحق والإيمان ، ولكن الله وهو الغيور على عباده وضعهم من حيث لا يشعرون بين شقى الرحى ، بين عوامل التهلكة من جانب ، وبين وحدتنا وتماسكنا وإيماننا بحقنا فى الحياة الكريمة من جانب آخر . إن القرآن الكريم ليسجل أن اليهود أشد الناس عداوة للؤمنين ويجعل عدوانهم للؤمنين فى مستوى عداوة المشركين الذين لا يعترفون بالخالق ولا يؤمنون به ، اقرأ قوله تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

ولقد اغتصب اليهود جزءاً من الوطن

الفسكرية أو المساعدة المالية ، أو ترويج سلهم بيعا وشراء ، فإن ذلك كله موالاة لهم تثبت أقدامهم ، وذلك كله خطر يهدر في حكم الشرع والدين دم القائمين به ويجعلهم في حكم الخارجين على الجماعة الإسلامية .

دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ، ، ويقول تعالى : « بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتنعون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا ، .

إننا اليوم في حاجة إلى طرد هؤلاء الغاصبين وعودة أصحاب الأرض إليها فكونوا أيداوا واحدة ولا تتشاقلوا فإن التشاقل عن رد عدوانهم أو مد يد المعونة العملية في كبح جماحهم موالاة للأعداء .

هذا هو ديننا يضع الخطط أمامنا واخوة والمعالن ظاهرة والصراط مستقيما ونحن اليوم نتبلى ونختبر فهل نحن مضيعون هذه الخطط وتلك المعالمن ؟

أيها المؤمنون : « قد تبين الرشد من الغي فمن يكسفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ، هداانا الله ووجهنا إلى الخير وحفظ أمتنا من دعاة الفرقة وموالاة الأعداء ، « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ، .

إن خصوم المسلمين اليوم هم خصوم دينهم ، حفدة اليهود الحائنين أخلاقهم من أخلاقهم ، كيد وإفساد . وقد ابتلانا الله بهم فخذوا حذركم منهم ولا تمدوا أيديكم لهم « ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين ، .

إن إسرائيل لا تقف أطماعها عند حد ، تمتد خططهم المدبرة فيما بينهم وبين الممالئين لهم إلى امتلاك البلاد العربية الإسلامية ؛ ولذا كان واجب المسلمين والعرب أن تجتمع كلتهم لدرأ هذا الخطر ، وأن يبتعدوا عن كل ما يقوى هذه العصية الطاغية سواء أكان عن طريق الاعتراف بها أم المعونة

محمود شلتوت

خاتمة الأنبياء

للأستاذ عباس محمود العقاد

السطوة أبواب الملك على من يليه من غير أهله أو من يصطفيه .

ولاحاجة في هذا المقام إلى مناقشة المنكرين في أمر الإيمان بختام النبوة دون غيره من أمور النبوات الدينية على تعددها واختلافها، فإنهم يبدون بإنكار كل نبوة فاتحة قبل أن ينكروها خاتمة، ولا يقولون بضرورة النبوة ولا بنفعها في زمن من الأزمان ، فلا فرق عندهم بين الزمن الذي يستجاب فيه للأنبياء والزمن الذي لا يستجابون فيه ، وكلاهما عندهم زمن يستمع فيه لشيء لا يجوز الإصغاء إليه .

لكن المتدينين الذين يستغربون ختام النبوة إنما يستغربون في الواقع أمراً ينساق إليه المصدقون بالنبوات سواء فطنوا إليه عن فهم وروية أو أخذوه مأخذ العادة التي لا تحتاج من معتادها إلى تعليل . فقد آمن بختام النبوة كل من آمنوا بنبوات التوراة ، وقد ختم بعض هؤلاء دعوات الدين جميعاً بما دانت به سلالة واحدة لا يوحى الله إلى غيرها ولم يوح إلى أحد من قبلها فيما اعتقدوه ويعتقدونه حتى اليوم .

محمد رسول الله وخاتم النبيين .

غاية يصدقها المسلم تصديقه بعقائد الدين ، ولكنه يفهمها كذلك فهم المرء للحقائق العلمية والقضايا المنطقية ، لأنه إذا فهم النبوة بصفاتها المقررة في الإسلام علم أنها نبوة تختتم بها النبوات وتفتح بها في التاريخ الإنساني رسالة الرشيد والضمير والإلهام .

إن ختام النبوات خاصة محمدية ، ولكنها خاصة لا يستأثر بها محمد عليه السلام لنفسه . لأن الخاصة التي يقتضيها تاريخ الأمم جميعاً نعم كل مؤمن بالدين وكل مجيب للدعوة ولا تخص صاحب الدعوة في حياته ولا بعد مماته .

وقد يفهم المسلم ذلك بغير مشقة ، ولكنه على وضوحه للؤمنين بالرسالة المحمدية يساق عند غيرهم من المتدينين ومنكرى الأديان مساق الغرابة ، ويسىء بعضهم فهمه ، كما يسىء أدبه ، فيزعم أنها أثره لصاحب الدعوة يغلق بها أبواب النبوة على سواء كما يغلق صاحب

الآحياء ، وخاصة الضمير المسئول الذي يحمل تبعته ولا تغنيه عنها شفاعاة ولا كفارة من سواه .

إنها نبوة فهم وهداية وليست نبوة استطلاع وتنجيم ، وإنما نبوة هداية بالتأمل والنظر والتفكير وليست نبوة خوارق وأهوال تروع البصر والبصيرة وتروع الضمائر بالخوف والرعبة حيث يعيها قبول الإقناع .

إنها نبوة مبشرة منذرة لا تملك لم نفعا ولا ضرا ولا تعمل لهم عملا غير ما يعملونه لأنفسهم - بمشيئتهم إذا اهتمدوا بهداية العقل المتدبر - والضمير السليم : د قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون .

نعم . ولا إغراء ولا مساومة على قربان أو جزاء بين الأخذ والعطاء : د قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلى . قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون .

وقد جاءت سمعة المعجزة ميسرة لصاحب هذه النبوة يوم مات ابنه إبراهيم وكسفت

وليس لإيمان المسلم بخاتم النبيين على نحو من هذه الغرابة في التصديق ولا في التفكير . لأن النبوة التي ختمت النبوات في عقيدة

المسلم هي الدعوة التي تدوم مدى الزمن ، لأنها تكل العقيدة إلى العقل وتقيم العقيدة على الإيمان برب واحد هو رب العالمين .

كانت الأمم - قبل البعثة المحمدية - تفهم أن النبوة استطلاع للغيب وكشف للأسرار والخبآت ، يستعينون بها على رد الضائع وإعادة المسروق أو الدلالة عليه ، ويستخبرونها عن طوابع الخير والشر ومقادير السعود والنحوس .

وكان من تلك الأمم من يحسب أن النبوة وساطة بين المعبود وعباده للتشفيع وتسليم القرابين .

وكانوا يطلبون وساطة الأنبياء دفعا للنوازل التي يستحقونها أو تنزل بهم لأنها قضاء مبرم يتوقعه الصالحون العارفون ويسألون المعبود في رفعه قبل نزوله .

فجاءت نبوة الإسلام بجديد باق لم تسبق له سابقة في الدعوات الدينية ، ولا حاجة بعده إلى جديد ولا استطاعة فيه للتجديد ، لأنه يخاطب في الإنسان صفته الباقية وخاصته الملازمة ، وهي خاصة النفس الناطقة بين

العقيدة ، ولكنك لو عرضتها على مؤرخ ينظر في أدوار التاريخ - كائنات ما كان معتقده في الدين - لم يستطع أن يختم دور الذوة في تاريخ الإنسانية بدعوة من تلك الدعوات على جلالة شأنها وبعد أثرها في العصور اللاحقة بعصرها ؛ لأنها جميعا قد بدأت و انتهت قبل أن توجد في أذهان الناس فكرة الإنسانية العامة وفكرة الإنسان المسئول المحاسب على أمانة العقل والضمير .

فنبوات بني إسرائيل لم تزل مقصورة على سلالة بشرية واحدة تنعزل بحاضرها ووعود مستقبلها عن سائر الأمم ، وعيسى عليه السلام قد نقل الرسالة ثقلة واسعة حين أدخل أبناء إبراهيم بالروح في عداد أبنائه بالجسد ولكنه أدى رسالته وبقى الإنسان بعده محتاجا أشد الحاجة إلى رسالة تخلصه من الاعتماد على غيره في النجاة من أوزاره والتكفير عن سيئاته والنهوض بتبعات صلاحه وتربية روحه ، ولن تفرغ أمانة النبوة في تاريخ الإنسانية قبل أن توجد للإنسانية فكرة عامة في نفوس أبنائها ، ولن تحتتم النبوات قبل أن يوجد الإنسان الذي يخاطب بخطاب العقل ويحاسب بحسابه ويحمل تبعاته على عاتقه ويشارك على سواء بينه وبين إخوته من البشر في عبادة إله واحد هو رب العالمين أجمعين ، وليس بالرب الذي

الشمس فظن الناس أنها كسفت لموته وأنى النبي الصادق أن يسكت عليها فتسكلم ليعلمهم (أن الشمس والقمر آيتان ... لا تحسفان لموت أحد ولا لحياته) .

وخليق بذوى العقل ، وأولى الأبواب ، أن يصدقوا هذا النبي حين يقول لهم : إن المعجزة لا تنفع من لا ينتفع بعقله وضميره ، ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ، لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون .

فإذا جاء النبي بهذه الرسالة التي تكل الإنسان إلى « خاصة إنسانية » ، لا تفارقه وتعطيه البيئة من شهوده فيما يراه حوله ولا يغيب عن حسه وفكره ، فأين تنتهى هذه الرسالة ؟ وماذا تعمل الرسالة التي تأتى بعدها لتنسحها وتخلفها ؟ ... إنها لا تعمل إلا أن تنسخ العقل أو تعود به كرة أخرى إلى القرون الأولى ، وليست هذه ولا تلك بدعوة يحتاج إليها إنسان من الراشدين بعد أن وكل إلى هدايته ، فمن لم يكن من الراشدين فحاجته إلى المعلم الذى يدلّه على ما فاته من هداية النبوة ألزم من حاجته إلى نبي جديد معيد لما تقدمه ، كأنه يسقط واجب التعليم .

ولقد تقدمت نبوة الإسلام دعوات كثيرة من أكبر الدعوات شأنًا في تاريخ

رسائله لا يحيلها إلى النبوة الإسلامية بقواعدها وأركانها .

* * *

إن اختتام محمد للنبوات عقيدة يصدقها المسلم بوحى إيمانه ، ولما كنهها كذلك حقيقة علمية يفهمها بفكره ويشهد دلائلها في العصور الغابرة كما يشهد بها في عصره مؤتمراً بأوامر دينه .

ولأنه لطيف للكثيرين من أبناء العصر الحاضر الفخوريين بعلومهم ومخترعاتهم أن يهتفوا قائلين : (نحن في عصر العلم . . نحن في عصر العقل . . نحن في عصر الحقائق الواقعة . . نحن في عصر آيات الطبيعة) .

فليهتفوا بذلك ما طاب لهم أن يهتفوا ، وليذكروه ويعيدوه تحدياً لما شاءوا من النبوات إلا النبوة التي ختمت جميع النبوات . لأنها هي قالت للناس قبل أربعة عشر قرناً ما يقولونه الآن ، وهي أوحى إليهم أنهم يعيشون بعد اليوم بهداية بصائرهم ، وما يبصرونه من آيات تلك الهداية في مشاهد الطبيعة ، وأسرار الخلق ، وبراهين العيان . وكل أعجوبة من أعاجيب العلم فهي جزء من معجزات هذا الدين ، الذي جاء به خاتم النبيين : « وأبصر فسوف يبصرون » .

عباس محمود العقاد

يخلق نعمته لسلالة واحدة من خلقه أولعشيرة واحدة يدركها الخلاص بفضل لم تفضله . وحساب لم تضعه في موازينها بعمل يمينها .

فلما جاءت نبوة الإسلام صح في حكم العقل أن تختتم بها النبوة لأنها حاضرة في كل وقت يحضره الإنسان العاقل المسئول وتحضره آيات الله لقوم يعقلون : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » .

ونقول : إن ختام النبوة - بعد الدعوة المحمدية - قد صح في حكم العقل . ولنا أن نقول كذلك : إنه قد صح في حكم الواقع والتاريخ ، فإن العالم الإنساني الذي تعاقبت فيه النبوات قبل محمد صلوات الله عليه لم تظهر فيه نبوة مسموعة بعده ، ولم يظهر فيه غير أدعياء النبوة الذين ذهبوا ولم يستمع إليهم أحد في حياتهم أو بعد مماتهم ، ولم يظهر فيه من أولئك الأدعياء أنفسهم من يستند إلى

موقف الإسلام من التطور الاجتماعي

وفقاً لمقتضيات العصر

للأستاذ الدكتور محمد البهي

بينهم يسعون جميعاً لتحقيق هدفه ، والتعاون جميعاً في سبيل بقائه .

إن الإنسان البدائي لا يكون مع إنسان آخر بدائي مثله ، مجتمعاً ، وإنما يتكون منه ومن نظيره ، مجموع ، تخضع العلاقات بين الأفراد فيه للانانية ، ولغريزتي حب البقاء ، والدفاع عن النفس دون سواهما من الغرائز الاجتماعية الكامنة في الإنسان والتي لم تبرز بعد بتأثير التوجيه والإيقاظ . ومن ثم لا تعرف هذه العلاقات السلم إلا عند مواجهة ضعيف لقوى بين الأفراد ، أمّا قاعدة التعامل فهي الاحتكاك عند السعي نحو ما يسد حاجة البطن أو ينفس عن شهوة الفرج . ليست هناك علاقات في واقع الأمر بين أفراد المجموع إلا بمقدار ما يقع بينهم من احتكاك واصطدام من أجل تحقيق ما أشرنا إليه من هدف : ليست هناك علاقات أسرية . أي ليست هناك علاقات أبوة وبنوة وأمومة ، وأخوة ... إلى بقية أنواع القرى في الأسرة ، التي تقوم على الدم المشترك ، والوراثة العقلية والمادية ، والوضع الذي لهذه الأسرة . نعم

لكي يتضح الكلام في هذا الموضوع يجب أن يشرح أولاً : معنى التطور الاجتماعي ، ويشرح ثانياً : مقتضيات العصر .

معنى التطور الاجتماعي :

والتطور الاجتماعي هو تطور علاقات الأفراد بعضهم ببعض ، بحيث يكون الجانب الاجتماعي ، أو بحيث تكون النظرة إلى رعاية الفرد للفرد لا تقل عن رعاية للفرد لنفسه . التطور الاجتماعي هو نمو علاقات الأفراد في دائرة المشاركة الوجدانية ، والتعاون في سبيل العمل المثمر والخير العام للجميع ، بدلاً من استمرار الفردية ، وتحكم الانانية التي توحى بها طفولة الفرد ، وطفولة المجتمع .

ولكي ندرك معنى التطور الاجتماعي إدراكاً لا لبس فيه نعود إلى الجماعات البدائية ، التي لم تع بعد العلاقات المشتركة ، ولم تقر بعد بالوجود المشترك بين الأفراد ، ولم تقر كذلك بالهدف المشترك الذي يصح أن يجتمع عليه فريق من الناس ، وجملة من الأفراد ، ويقيمون بسبب ذلك مجتمعاً ،

الأفراد - كلما برز المجتمع ، وكلما وضحت
الأمارات مع وجوده القوى .

فإذا أدرك أفراد الأسرة فعلا علاقات
بعضهم ببعض ، وارتبطوا فيما بينهم على
أساس من التعاون والرعاية المتبادلة عند
الالتزامات التي تجسد بينهم ، أو تطرأ عليهم
من غريب عنهم ، وعرفوا حدود ما يجب
أن يفعل ، وما يجب أن يترك في سبيل هذا
التعاون وفي سبيل تلك الرعاية ، ووقفوا
على أن لهم جميعا هدفا واحدا هو أن تبقى
أسرتهم ، وتبقى قوية عزيزة ، في مواجهة
غيرها من الأسر - هنا يكون الوعي الاجتماعي
قد تيقظ بين أفراد هذه الأسرة وأخذ طريقه
نحو غايته ، ينتقل من مرحلة إلى مرحلة
أقوى منها ، حتى يصل الأمر بينهم إلى تكتل
أو وحدة .

وإذا ما تجاوزت أسرة مع أسرة في
العلاقات ، وارتبطت معها في الهدف - هنا
يكون المجتمع الكبير قد تأسس . فإذا ما اتسع
نطاق العلاقات المشتركة ، والترابط إلى عدد
من الأسر ، أو إلى كثير من الأفراد - عندئذ
يكون المجتمع الإنساني قد قطع جملة من المراحل
في سبيل وجوده ، وفي سبيل بقائه أيضا .

وهكذا : النمو الاجتماعي يسير في اتجاهين:
بينما يتجه نحو الامتداد والاتساع ، يتجه
أيضا نحو العمق والغور . أى في الوقت

ينسل الأفراد بصلة الذكر بالأنثى بحكم التفاعل
الطبيعي بين الموجب والقابل . ولكن قلبا
يوجد الشعور بنوع القرابة الأسرية . على
معنى أنه قلما توجد هناك رعاية من أب لابنه ،
أو رعاية من ذكر لأنثى أنتج منها ولدا .
وعلى معنى أنه قلما يوجد هدف هو المحافظة
على الأسرة ، بالسعى في توفير العيش لها ،
وبالدفاع عن أفرادها ، إن احتاج الأمر إلى
الدفاع عنها ، وصيانتها من الإبادة أو الإفناء .
بل كثيراً ما يصطدم الذكر الأب بالأنثى
الأم ، أو يصطدم الأب بابنه ، والآخ
بأخيه في سبيل الحصول على لقمة العيش .
وكثيراً لا يعرف الذكر عند الاجتماع بالأنثى
حرمة لأمه ، ولا لأخته ، ولا للأخريات
اللواتي لا يقرن المجتمع ، نكاحهن من أفراد
معينين لأنهن محارم لهم . ولهذا ليس هناك
حد لتعدد الزوجات ، وليس هناك إطار للحل
والحرمة في الزواج . بل ربما لا يوجد رقم
معروف يحدد الأفراد الذين ينتمون إلى نسل
رجل واحد في علاقته بعدد من الإناث .

فإذا ما ابتدأ الأفراد يحددون علاقاتهم
بعضهم ببعض . ويدركون الإطار الذي
تدور فيه هذه العلاقات - هنا يبتدىء قيام
المجتمع ، وكلما تحددت علاقات الأفراد
بعضهم ببعض ، وكلما وضح الإطار الذي
تدور فيه هذه العلاقات ، وبالتالي وضحت
الأهداف والغايات التي يسعى إليها هؤلاء

وتحرير المرأة ، على معنى تمكينها من أداء وظيفتها فى الأسرة كأم ، وفى المجتمع كمضو يقع عليه عبء تملية طبيعته كأنثى - من مقتضيات العصر .

والدعوة إلى تعاون الزوجين ، وإلى منع التعسف ، والتحكم من القوى ضد الضعيف ، وإلى البر ، والتهذيب فى معاملة كل منهما للآخر من مقتضيات العصر .

والدعوة إلى عدم إساءة استعمال الحق ، فى الجوار والمعاملة - وبالأخص بين الزوجين - من مقتضيات العصر .

لكن الدعوة إلى تحرير المرأة ، على معنى أن تكون رجلا آخر فى صورة امرأة ، فذلك ليس من مقتضيات العصر ؛ لأنه ضد طبيعة المرأة نفسها ، وضد التطور الاجتماعى ذاته . إذ التآلف ، والتواد ، والمحبة بين الأفراد ، التى هى نهاية التطور الاجتماعى ، لا تتحقق إلا إذا وقع انسجام بين الأفراد وتحول فيما بعد هذا الانسجام إلى تآلف ، وتواد ، وتحاب . والانسجام لا يكون بين متشابهين تماما . بل كلما كانت هناك مفارقة بين الطرفين ، وكلما كان هناك خروج عن التشابه التام بينهما - كان ذلك أدعى إلى الانسجام بينهما . إذ عندئذ تكون حاجة كل منهما إلى الآخر أمراً واضحاً ، وبذلك يكون التعويض ، ، والتعويض مبدأ دورى

الذى يسعى فيه إلى جمع أفراد كثيرين ، يسعى أيضاً إلى تعميق العلاقات بين هؤلاء الأفراد ، وتقوية الروابط الإنسانية المشتركة بينهم . وعمق العلاقات بين الأفراد ، وقوة الترابط الإنسانى بينهم يبدو أولاً : فى التعاون المثمر ، وثانياً : فى المحبة والأخوة . وبعبارة أخرى يبدو هذا وذلك فى تحقيق أهداف الإنسانية وهى التحرر من السيطرة الحيوانية ، وسيطرة الغرائز ، وسيطرة الطفولة ، على العلاقات بين الأفراد .

مقتضيات العصر :

وإذا كان التطور الاجتماعى هو التحرر من سيطرة الحيوانية ، والغرائز والطفولة البشرية ، أى التحرر من سيطرة الفردية والانانية - فمقتضيات العصر إن كانت دافعة على هذا التحرر تكون من عوامله ويكون التطور عندئذ أخذ طريقه الطبيعى نحو غايته الأخيرة ، وهى الإنسانية فيما تتميز به من محبة ، وتعاطف ، وتواد بين أفرادها .

وبذلك تحدد مقتضيات العصر تبعاً لتحديد معنى التطور الاجتماعى نفسه ، وليس تبعاً لما يوضع من رغبات ، ويوجه المجتمع نحوها بعض الكتاب والمفكرين .

فالمثالية ، والحزبية ، والمذهبية ، والعصية ، والقبلية ، لا تعد من مقتضيات العصر .

عاطفة الأنوثة، وتكون لها الإرادة الصلبة التي للرجل، ذلك الإنسان الذي مارس الحياة، وارتاد صعابها وأزماتها؟ وأية امرأة تريد رجلاً له التكوين الرقيق الذي للأثني في عضلاتها؟ وأية امرأة تريد رجلاً تسيطر عليه العاطفة فيكون متردداً في قوله وفي تصرفاته؟ يميل حسباً تتجه به الرياح، وحسباً يكون التأثير عليه.

وهنا تكون «الرياسة» أو «القيادة» في المجتمع أمراً طبيعياً يقوم على طبيعة هذا المبدأ الضروري. على معنى أن يكون هناك راع، وتكون هناك رعية، وأن يكون هناك قائد أو رئيس، ويكون هناك من يتوجهون بتوجيهه، ويتبعون قيادته. ولو فرض أن الأفراد جميعاً أروداً أن يكونوا رؤساء لما كان إلا احتكاك بينهم. ولو فرض أنهم جميعاً مرءوسون بدون رئيس لما كان هناك مجتمع، ولما كان هناك سبب يحملهم على الانقياد في اتجاه واحد، وغاية واحدة. وعندئذ يكون الاحتكاك والاصطدام السائد على العلاقات بينهم إن كانت هناك علاقات.

وهنا ندرك: لماذا يعبد الله؟ ولماذا يجب على الناس جميعاً أن يخضعوا لقيادة موجه واحد، هو الله سبحانه وتعالى:

إن عبادة الله يفرضها هذا المبدأ الطبيعي للوجود. وهو مبدأ «التقابل» الذي هو

في الحياة، لأنه يتجاوب مع مبدأ آخر هو أصل الحياة نفسها وهو «الثنائية»: الفاعل والقابل. والموجب والسالب. فلولاً هذه الثنائية، ولولاً هذا التقابل بين القابل والفاعل، والموجب والسالب لما اجتمع أمران، ولما وقع انسجام في الحياة لإطلاقا.

إن «التشابه» التام بين شيئين سبب من أسباب الاحتكاك والاصطدام، وليس سبباً من أسباب الالتقاء والانسجام. إذ عندئذ كلاهما لا يشعر بحاجة إلى الآخر، أو كلاهما لا يرى أن به فراغاً يسده الطرف الآخر. فتساوى الرجل والمرأة في الإرادة أو عدم الإرادة مدعاة إلى الفارقة بينهما وليس إلى اللقاء والانسجام، رغم أن هناك مفارقة أخرى بينهما هي الذكورة والأنوثة. والتشابه في الصفات الجسمية وفي تكوين البدن، وفي ملامح الوجه بين الرجل والمرأة. سبب من أسباب الفارقة، وإن كانت هناك مفارقة أخرى هي الذكورة والأنوثة، فالمرأة تريد رجلاً. أي تريد إنساناً مقابلاً لها في الخصائص النفسية والبدنية. والرجل يريد امرأة، أي يريد إنساناً مقابلاً له في الخصائص النفسية والبدنية. عندئذ يكون اللقاء بينهما أمراً طبيعياً، ويكون الانسجام بينهما ظاهرة اللقاء الأول. أي رجل يريد امرأة تكون لها عضلات الرجل؟ وأي رجل يريد امرأة تتجرد عن

فإذا كان معنى الإنسانية الأخير — كما شرحنا — هو لقاء الإنسان بالإنسان ، ومودة الإنسان للإنسان ، وأخوة الإنسان للإنسان ، وتعاون الإنسان مع الإنسان ، ومحبة الإنسان للإنسان — فالإسلام جاء ليوقظ فى الإنسان هذه المعانى وينمىها فيه ، ويحثه على رعايتها وعلى أن يتمثلها فى سلوكه وتصرفاته .

الإسلام جاء ليدفع الإنسان إلى الخروج من الطفولة البشرية إلى الرشد الإنسانى ، أى أنه جاء لتطويع المعنى الإنسانى فى الإنسان جاء لتطويع المعنى الاجتماعى فى الإنسان ، فليس المعنى الإنسانى إلا ذلك الترابط الاجتماعى . وإلا تلك العلاقات بين الأفراد التى تؤسس على التعاون ، وعلى شتى أنواع الرعاية بينهم . وقد رأينا أن معنى البدائية هو التفكك فى العلاقات بين الأفراد ، أو هو سيطرة الأنانية ، والفردية ، أو بعبارة أخرى سيطرة الحيوانية والغرائز ، دون ما يتميز به الإنسان من خصائص وينفرد به عن بقية الكائنات الأخرى الحية التى لها الحركة والتى لها السعى فى سبيل حب البقاء .

الإسلام جاء فحث على التعاون فقال : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، حث على البر فقال : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق

أصل الانسجام فى الحياة ، ومطلوب الإنسان فى حياته أن يكون منسجما مع نفسه ومع من عده فى وجوده الخاص والعالم :

والتطور الصناعى فى وقتنا المعاصر إذا كان فى خدمة الإنسانية فهو فى خدمة التطور الاجتماعى ، وعندئذ يكون من مقتضيات العصر . ومعنى كونه فى خدمة الإنسانية أن يبقى الإنسان ذا سيادة ، وألا تكون الآلة هى السيد . معنى ذلك أن يستخدم الإنسان الآلة فى رفع مستوى معيشته ، وفى وضعه الاجتماعى وفى تخفيف المرض ، وفى إزالة الجهل والامية وفى التنوير والتبصير بالحياة والكشف عنها لا أن يكون عبدا ذليلا لها تفرض عليه الرق والعبودية ، ويكون مسخرا لها . إذ عندئذ تصبح مصدرا للقلق والاضطراب ، وبذلك تكون معوقا له عن أن يصل إلى الهدف الأخير للتطور الاجتماعى ، وهو التعاون ، والتواد ، والتحاب بين الناس جميعا .

الإسلام وموقفه من التطور

الاجتماعى وفقا لمقتضيات العصر :

الإسلام هو رسالة السماء إلى البشر على هذه الأرض ، هو رسالة الله للناس جميعا ، لافرق بين عربى وأعجمى ، أى لافرق بين فرد وآخر ، جاء ليهدى البشرية إلى الطريق الذى يصل بها إلى تحقيق معنى الإنسانية فى حياة الإنسان

فالإسلام إذ يقول: « ولقد كرّمنا بني آدم » . لا يقصد بتكريمهم إلا أنه ميزهم عن غيرهم بالخصائص الإنسانية . والله إذ أرسل الرسل برسائله لم يقصد إلا أن يمكنهم من الطريق الذي يهديهم إلى تحقيق هذه الخصائص في سلوكهم وتصرفاتهم .

وبهذا إذا فهم التطور الاجتماعي على نحو ما شرحنا ، وفهمت مقتضيات العصر في ظل التطور الاجتماعي - كان الإسلام مصدر دفع لهذا التطور ، مصدر تقدير لهذه المقتضيات التي من شأنها أن تدفع إلى هذا التطور .

أما إذا أريد بالتطور الاجتماعي مذهب سياسي خاص ، أو مذهب سياسي معين فالإسلام نظام مستقل يتلاءم مع ما يتفق معه في الهدف والخطوة ، ويتنافر مع ما يختلف معه في هذا وتلك .

وإذا أريد بمقتضيات العصر ضروب خاصة من التصرفات في المجتمعات القائمة - فقبل أن يحدد موقف الإسلام : سلبا أو إيجابا منها ، يجب توضيحها أولا .

والإسلام على كل حال ليس إلا ذلك النور الذي يهدي إلى الصراط المستقيم . وليس الصراط المستقيم إلا ذلك الطريق الموصل إلى غاية الإنسانية . وهي التواد ، والتعاون ، والتآخي ، والمحبة ؟

المكتور محمد البرهي

المدير العام للثقافة الإسلامية

والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون . . . حث على الإحسان في المعاشرة فقال : « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ، وعلى الأخص بين الزوجين فقال . « فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان ، حث على العدل فقال : « وإذا قتلتم فاعدلو ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ، حث على رعاية البشرية وصيانتها من الظلم والعسف فقال : « ولا يجسر منكم بشأن قوم على ألا نعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى . . .

كل هذا وغيره مما حث عليه الإسلام هو دفع نمو العلاقات الاجتماعية ، والتطور الاجتماعي . ورسالة الإسلام تكاد تنحصر في أمرين : ضغط الأناية وكبت العردية من جهة ، وإيقاظ المشاركة الوجدانية وتنمية العلاقات الاجتماعية من جهة أخرى . رسالة الإسلام هي إبعاد الطفولة الإنسانية عن تصرفات الإنسان ، وإحلال الرشد الإنساني محل هذه الطفولة ليبقى الإنسان متميزا ، ولتبقى له الكرامة والسيادة .

مقومات الروحية أمام المادية العالمية

للأستاذ محمد محمد المدني

- ١ -

والحياة لا يستقيم أمرها بالمادة وحدها ، ولا بالروح وحدها ، ولذلك لم يستخلف الله في الأرض ملائكة « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » ، أو - بعبارة أخرى - لم يستخلف هذا الخلق الروحاني الصرف ، كما لم يستخلف خلقا مادياً صرفاً ، وإنما استخلف هذا الصنف من المخلوقات وهو آدم ونسله ، بعد أن هبأهم على نحو ثنائي ، أو طبيعة مزدوجة من المادة والروح .

• • •

وقد اشتهر بين الناس : أن المسيحية تنجح إلى الروحية ، وأن اليهودية تنجح إلى المادية ، أما الإسلام فيجمع بينهما فإن كان المراد هذا : أن الأديان نفسها تختلف في سياستها نحو الإنسان ، فاستأقتد أن هذا صواب ، فإن الدين واحد ، والديان واحد ، وهو الذي خلق الإنسان ، وخلق الحياة ، وشرع للإنسان ما يتفق وطبيعته ، وما تستقيم معه شؤون الحياة .

ولكن ينبغي أن يصحح هذا القول فيقال : إن المسيحيين هم الذين تصوروا المسيحية هكذا ، روحاً فقط ، وذلك أن المسيح

إن مقوماتنا الروحية ومقوماتنا المادية ، كلاهما متماسك مع الآخر ، متعاون معه ، غير منفك عنه .

وهما بهذا التماسك وهذا التعاون ، يسيران وضعاً فطرياً طبيعياً في الإنسان وفي الحياة التي يجب أن يحياها ، ليؤدي الرسالة التي من أجلها خلق ، ومن أجلها جعل خليفة في الأرض .

وهذه ميزة تمتاز بها عن كل الذين يفصلون بين المادية والروحية ، فيجعلون ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله . إننا نجعل المادة والروح كليهما لله ، وفلسفتنا في الحياة قائمة على ذلك . فالإنسان من حيث الخلق مادة وروح : مادة عناصرها الجسم بجميع أعضائه وأجهزته تحتاج إلى روافد مادية تغذيها وتنميتها ، وتعيها على العمل والبقاء المقدر لها ، وروح عناصرها النفس والعقل والشعور . تحتاج إلى معان . تكون روافد لها أيضاً ، تغذيها وتنميتها وترضيها .

فليست حاجة الإنسان إلى المعاني التي ترضى جانبه الروحي ، بأقل من حاجته إلى المواد التي ترضى جانبه الجسمي .

يصدقني إلى أخاف أن يكذبون ، ويقول الله له ولأخيه : « لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى ، ومن قبل ذلك قال الله عن موسى : « فأصبح في المدينة خائفاً يترقب ، . إلى غير ذلك من الآيات التي تتحدث عن مواطن اشتد فيها الخوف نتيجة لما كان منبثاً من الظلم والطغيان . وقد اقتضى ذلك انصراف الناس عن المعاني الروحية ، واشتغالهم بالنواحي المادية التي من شأنها أن تقيهم غوائل الظلم والبغي ، فبرزت في حياة أمتاع موسى هذه الجوانب المادية التي جاءت في الأصل كتعويض ومقاومة ، فظن الناس أن اليهودية مادة صرف ، واشتهر هذا عند اليهود أنفسهم وعملوا به فاصطدموا بالعالم ، واصطدم بهم العالم ، فازدادوا خوفاً وتصوروا أنهم مظلومون وأن العالم عدو لهم ، ففقموا عليه ، وعملوا على حذق جميع الأساليب المادية التي قدروا أنها تحميهم من العالم ، وعملوا في الوقت نفسه على بث وسائل الحرب والتدمير والتخريب فكانوا هم تجار الأسلحة ، ودعاة الحروب ، وعناصر الفتنة في كل جانب من الأرض .

وما كانت اليهودية في أصلها كذلك ، وإنما كانت ديناً هادياً ، وكتاباً سماوياً يتضمن رسالة إلهية ، وفي القرآن الكريم : « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ، .

* * *

أما نحن - المسلمين - فقد فهمنا ديننا على ما هو

أرسل من الله تعالى في ظروف اقتضت أن يقاوم سلطان المادية العاتية السائدة في الناس ، فبرزت التعاليم التي تتمشى مع ذلك ، وجرت على لسانه الأقوال التي تصوره داعية للون خاص من التسامح ، وطلب المغفرة للذين يسيئون ، والتطلع إلى السلام والهدوء ، فظنوا أنه لا شيء في دينه إلا ذلك ، وأنه لاصلة للرسالات الإلهية بتنظيم الحياة المادية ، ورسخ هذا الظن في الناس حتى استقر عليه الأمر في فلسفة الغرب عامة . وبذلك فصل بين الكنييسة والدولة ، وقيل أتركوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله .

أما اليهودية فقد جاءت والخوف مسيطر على المجتمع الذي أرسل موسى إليه ، فقد كان فرعون يكتهم الأنفاس ، ويقتل الأبناء ، ويستحي النساء ، يزعم أنه هو الإله الذي يجب على الناس أن يعبدوه ويطيعوا أمره في إخلاص وصدق .

ولذلك نجد ألفاظ الخوف تتردد كثيراً في قصة موسى : فأما قد أصبح فؤادها فارغاً من شدة الخوف حتى قال الله لها : « فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخزي ، ولا تحزني ، وموسى حين يتلقى رسالة ربه يرى العصا تتحرك فيخاف فيقول الله له : « يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين ، « إلى لا يخاف لدى المرسلون ، ويقول لربه : « فأخاف أن يقتلون . فأرسله معي ردها

أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض
إن الله لا يحب المفسدين . فهذه الآية تذكر
نصيب الآخرة ، ونصيب الدنيا ، أى نصيب
الروح ، ونصيب المادة ، ولكنها تخرج
الأمر في ذلك على نحو من الإدماج بينهما
فتقول : « فيما آتاك الله ، فالمادة معبر عنها
بلفظ « ما آتاك » والروح هي في إسناد الإيتاء
إلى الله حيث قال : « فيما آتاك الله » .

وقوله تعالى : « وأحسن كما أحسن الله
إليك » هو أمر بالإحسان المادى ، سواء
أكان صدقة ، أم صدقا في الحديث ، أم حسن
معاملة أو سلوك . إلخ . ولكن في تسميته
« إحسانا » إشعار بالمعنى الروحى ، وكذلك
قوله تعالى « كما أحسن الله إليك » هو تذكير
بأن المحسن حين يحسن إنما هو مستند في
إحسانه إلى ما أحسن الله إليه ، شاكر له
تعالى على الإحسان بالإحسان .

وقوله تعالى « ولا تبغ الفساد في الأرض
إن الله لا يحب المفسدين » فيه نهى قوى
عن الفساد ، من حيث إنه قال « ولا تبغ »
أى لا تقصده ولا تحبه فضلا عن أن تفعله .
ومن حيث إنه سماه فسادا ليصرف عنه
النفوس ، ومن حيث إنه أعلن في تأكيد
أن الله لا يحب مرتكبيه ، ونفى الحب مؤذن
بشديد المواخذة ، دون أية رحمة .

فالآية تتحدث عن الجانبين ، ولكنها
لا تسمح بأن تنسرب إلى هذا الحديث روح

عليه من رعاية لجانبى الروح والمادة جميعا ،
فهمنا ذلك وأقررناه وسرنا في شئون حياتنا
عليه ، وأيدتنا تجاربنا التاريخية حيث رأينا كل
من أهمل الروح إلى المادة . أو المادة إلى الروح ؛
لم يصـ خيراً ، ولم يأت بإصلاح ذى بال .
أما الذين زواجوا بين الروح والمادة ،
وأخذوا من هذه بقسط ومن تلك بقسط ،
حسب تشريع الله وما استجبه لعباده ؛
فهم الذين نجحوا وأفلحوا وقادوا وسادوا ،
وأفادوا واستفادوا .

ولذلك كان السيد الرئيس جمال عبد الناصر
- أيداه الله تعالى - موقفاً تمام التوفيق حين
قال في بعض خطبه : « إننا نقيم صرح نهضتنا
على أساسين : هما المادة والروح ، ونعطى
كلا منهما حقه من الاعتبار ، فكما يجب علينا
أن نبني المصانع ، ونفتش عن الحديد والبتروكول ،
يجب علينا أيضا أن نبني الرجال ، ونفتش
عن الأخلاق ، ونعرف للدين منزلته ودوره
العظيم في بناء المجتمع .

إن هذا المعنى الذى أشار إليه الرئيس
جمال منبثق من القرآن الكريم ، وحسبنا
أن نقرأه لنجدده في مئات المواضع يقيم
الحياة على هذين الأساسين ، ويدعو المؤمنين
إلى أن يطيروا في آفاقها بهذين الجناحين ،
ولنضرب لذلك مثلاً في آية مشهورة ، هي قوله
تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ،
ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما

ثلاثة مقومات هي الينايسع التي تستقي منها
سائر المقومات :

(١) الإيمان بالله .

(٢) الإيمان بالنفس .

(٣) الإيمان بالمثل العليا .

وإننا عن كل واحد من هذه الثلاثة
حديث إجمالي :

(١) فالإيمان بالله قوة دافعة مثبتة ، فوق أنها
تمد الإنسان بالسعادة والطمأنينة .

إن بعض الناس يتصور أن الإيمان بالله
وما يقتضيه هذا الإيمان من التزام بالدين :
عقائده وشرائعه ، إنما هو تكبيل للنفس
وتقييد لها ، وأن الناس قد وجدوا ليكونوا
أحرارا ، ولينطلقوا في الحياة على طبيعتهم ،
فليس من مصلحتهم أن يقيدوا بقيد خارج
عنهم وعن آفاق تفكيرهم ومراحل تجاربهم ،
وإلا فما معنى أن نفرض على الإنسان ذاتا
يجب عليه أن يرهبها وأن يراقبها في كل صغيرة
من الأمر أو كبيرة ، أو أن يتعلمها ويترضاها
ويعمل من أجل ثوابها ؟ إن الرهبة مضعفة
للإنتاج والتشجيع ، وأن الرغبة والملق مفسدان
للشخصية مضعفان لها .

ولذلك يقول هؤلاء : اتركوا الناس
لأنفسهم ولا تحاولوا أن ترهقوهم بملاحظة
القوة الخفية المخيفة التي أعدت دار العذاب ،
أو القوة المانحة المنعمة التي أعدت
دار الثواب .

وإننا نقول لهؤلاء : لقد أثبت علماء

تشعر بالانفصالية حتى في الجملة التي تذكر
فيها المادة وحدها ، وفي الجملة التي تذكر فيها
الروح وحدها ! .

من هذا يتبين أن مركز الإسلام هو المركز
الوسط بين الانفصالية في هذا الجانب
أو ذاك .

وأنه هو المركز الطبيعي الفطري الملائم لخلق
الإنسان ، ولخلق الحياة على طبيعة الازدواج .
وأن الإسلام هو إصلاح في ذلك لما انتهت
إليه المسيحية ، ولما انتهت إليه اليهودية .
وأن مصلحة البشرية جمعاء في أن تأخذ
بالمبدأ الذي أتى به الإسلام ، دون أن يصرفها
عنه تعصب ديني ، فإن الإسلام في هذا مطابق
لغيره في الواقع :

« وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما
بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه ، فاحكم
بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما
جاءك من الحق » .

وبعد أن عرفنا حقيقة الوضع الفطري
والديني والحيوي للإنسان وأنه لا بد من
مادية بجانب الروحية ، أو من روحية بجانب
المادية ، فإننا نذكر « مقوماتنا الروحية »
موازنين بينها وبين ما عليه العالم من مادية
مظلمة تكاد تفضي به إلى الدمار .

ومقوماتنا الروحية يمكن إرجاعها إلى

وهذا تقرير لحقيقة ثابتة ، أو سنة من سنن الله التي لا تتحول ، وهي أن الذي يضل سبيل الله يقع من حيث يريد أو لا يريد في مهاوى التخطئ ويصبح كالحيوان الأعجم ، بل أضل من الحيوان الأعجم سبيلا ؛ لأن الحيوان الأعجم محكوم إلى حد ما بسنن فطرية فيه ، تجعله يقف عند حد في تلبية دواعي خلقته .

ثم إن المؤمن بالله يشعر بعزته وكرامته بين بنى جنسه ؛ لأنه مؤمن بأنه (لا إله إلا الله) وهذه قضية معناها : ليس في الوجود من يستحق أن يخضع له بحق دون شك ، ودون أية محاولة للعصيان ، إلا الله ، وليس في الوجود من يجوز أن يذل له الإنسان ، إلا الله . وإذا كان هذا هو معنى قضية التوحيد فلا يحد المؤمن بنفسه حاجة إلى أن يذل لما سوى الله ، بل يشعر بأنه هو وجميع المخلوقين عباد الله متساوون أمام ربوبيته ، خاضعون لألوهيته ، وبذلك يحتفظ بعزة نفسه ، وكرامته بين بنى جنسه .

ثم إن المؤمن الذي يشعر بأن عليه رقبيا يراه في كل حال ، ويعلم ما تنطوي عليه نفسه ، وما تؤديه جوارحه ، يندفع إلى العمل الصالح ، وينتهي عن العمل الضار ، وليس صحيحا أن هذا الاندفاع إلى العمل الصالح ، أو الانتهاء عن العمل الضار ، من شأنه أن يفسد شخصية الإنسان ؛ لأنه صادر

النفس عن طريق الملاحظة والتتبع أن الفراغ محال ، ومعنى ذلك أن العقل البشرى لا يمكن أن يفرغ ويخلو من الشيء وضده ، فإذا خلا من الإيمان بالله ، اشتغل تلقائيا بالإيمان بسواه ، فلا تصوروا أن الذي يخلو قلبه من الإيمان بالله بظل خاليا من الإيمان بشيء آخر ، ولكنه سيؤمن بنواح أخرى تضاد الإيمان بالله ، سيؤمن مثلا بهواه فيشبع هذا الهوى على نحو بهيمى ليس له ضابط ، وسيجر بذلك على نفسه وعلى غيره ألوانا من الشقاء والبلاء .

سيؤمن مثلا بالمال فيجعله إلهه المعبود ، فيكون كهؤلاء اليهود الذين يمتسحون في سبيل المال كل شيء ويهدمون في سبيل الحصول عليه كل معنى شريف .

سيؤمن باللذة ، فيشرب ويفسق ويتحلل فتضيع بذلك شخصيته ويصبح مصدر خطر على المجتمع أو مصدر ضعف وانحلال في هذا المجتمع .

والقرآن الكريم يشير إلى هذا المعنى فيقول : « فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ؟ » أى أنه لا فراغ ، ولا يمكن أن يرتفع النقيضان .

ويقول : « أرأيت من اتخذ إلهه هواه ؟ أفأنت تكون عليه وكيلا ؟ » أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا .

أحدهما غصب، وإلا كان وجوده نصفياً أعرج وأغلب الظن أن هذه الدعوة الانحلالية دعوة صهيونية هدفها تحطيم الإيمان بالقوى المعنوية، ثم جر الناس إلى المادية الإباحية ليسهل شراء الأفراد من حكام ومحكومين بالثمن البخس من المال أو المراكز أو الشهوات فإنه لا يقف أمام هذه الصفقات الخاسرة إلا الإيمان بالله، فإذا زال الإيمان بالله زالت جميع مراكز المقاومة في الإنسان أو تزلزلت وسهل انهيارها.

وكذلك شأن المجتمعات التي تقوم على المذاهب المادية حتى لو أحرزت تقدماً في ميادين العلم والصناعة.

ولا أقول ذلك تفضيلاً لمبادئ الرأسمالية، والدول الغربية، كلا فإن لها أيضاً عيوبها، ولكن عيوبها يمكن علاجها والتفاهم على تطهير العالم منها، وهو ما اتجه الناس إليه بعد الحربين العالميتين من محاولة لإيجاد رأي عام دولي تمثله هيئة الأمم أو ما يشبهها.

وهذا النظام قد سبق به الإسلام، إذ أمر بأن يصلح بين المختلفين، فإن بغى أحد على أحد كان على الجماعة كلها أن تتعاون على رده عن بغيه، فإذا فاء إلى الحق كان عليها ألا تتخذ فيئته سبباً في ظله واهتمامه: «وإن طائفتان من المؤمنين اختلفتا فاصحابهما بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلتا التي

(البقية على ص ٢٨٦)

عن رغبة أو رهبة، فإن هذه سطحية في التفكير؛ إذ الإنسان مخلوق مفطور بطبعه على الانسياق وراء عوامل الرغبة والرهبة، والذي خلقه وفطره عرف كيف يسوسه سياسة ملائمة لطبيعته، وماله من غرائز، وهؤلاء وأمثالهم إنما يتشدقون بمثل قولهم تضيق شخصيته، أو تتحطم إرادته، أو نحو ذلك، ولو تأملوا في أنفسهم، وخبروا أحوالهم، لعرفوا أن الواحد منهم لا يكاد يؤدي عمل بر إلا وهو منتظر عليه جزاء من الناس فإذا قطع بأنه لا جزاء عليه من الناس لم يفعله، أما المؤمن فإنه ينتظر في كثير من الحالات جزاء ربه فقط، لأنه يحسن في حالات لا يراه فيها إلا الله، وفي حالات لا يستطيع أحد أن يكافئه فيها إلا الله. وفي العالم الآن دعوة متحللة إلى مايسمونه (الوجودية) هدفها الخروج بالناس عن دائرة الإيمان بالله، على أساس ما ذكرناه من فلسفتهم الباطلة التي تريد من الإنسان أن يحيا للحياة، وألا يعترف إلا بوجود نفسه، وممتنضيات هذا الوجود المادى فقط، وقد تناسوا طبيعة الإنسان المزدوجة التي شرعناها، ولو كانوا منطقيين مع أنفسهم ومع ما يزعمون من مراعاة وجود الإنسان، لأخذوا هذا الوجود من الناحيتين كليهما، ولعرفوا أن الإنسان يجب عليه أن يلبي دواعي فطرته في كل من المادة والروح لاني

في ذكرى صاحب الرسالة: الإسلام حقيقة وجوه للأستاذ محمود الشقاوي

في قلوبهم ونفوسهم وأخلاقهم وضمائرهم .
وأن يحرصوا عليها ويلتزموا حدودها أمره
وناهية وملزمة ، ومهيمنة أسرة مسيطرة .
وأن تكون ضمائرهم وسرائرهم وراء أحاديثهم
وأقوالهم . وأعمالهم متساوقة متلائمة مع هذا
« الانتساب للإسلام » : « ومن أحسن قولاً
من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني
من المسلمين » (١) .

. . .

يحفظ المسلمون أو يتلون أو يسمعون قول
الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
وأولئك هم المفلحون » (٢) .

والآية الكريمة - في أقوم مفاهيمها -
لا تريد من المسلمين أن يكون « بعضهم » دعاة
إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر .
بل تريد أن يجعل المسلمون من أنفسهم جميعاً
هؤلاء الدعاة للخير ، الأمرين بالمعروف ،
الناهين عن المنكر . وأن يكون كل واحد منهم
على هذه الصفة وبهذه المثابة والمنزلة . كما يقول

في هذا الشهر : ربيع الأول يحتفل المسلمون
في بقاع الأرض بذكرى مولد الرسول الكريم
صاحب أعظم النبوات وآخر الرسالات
وأكرم الصفات .

وكان المسلمون إلى عهد قريب حين يحتفلون
بهذه الذكرى الكريمة الخالدة يرددون في ذلك
سيرة محفوظة تذكر انطفاء نار الفرس عند
مولده عليه السلام ، ونحو ذلك من العلامات .

ولعل بلاداً كثيرة من بلاد المسلمين ، ما يزال
أهلها يرددون ذكر هذه العلامات ويكتفون
بترديدها في ذكرى صاحب النبوة والرسالة
الذي بعث ليتم مكارم الأخلاق . ثم ظهر
بين علماء المسلمين والفاقيين منهم لدينه
ورسالته من أدرك أن الإسلام حقيقة وجوه
وأن المسلمين لكي يكونوا « مسلمين » يجب
أن يعرفوا حقيقة دينهم وجوهره ويتمسكوا
بأخلاقه ويتأدبوا بأدبه ، وأن يحققوا ،
في ذوات نفوسهم ، مبادئه وغاياته ومثله .

لكي يكون المسلمون « مسلمين » يجب
أن يتقنوا أن وراء « الانتساب للإسلام »
حقائق بعيدة المنال وعليهم أن يحصلوها

(١) فصل : ٣٣ (٢) آل عمران : ١٠٤ .

الرجل لابنه : سأحسن تربيتك ليسكون منك رجل أى رجل .

فهل يحاسب كل مسلم نفسه ، وهو يردد هذه الآية الكريمة أو يتلوها أو يسمعها ، هل يحاسب نفسه ويمتنحن طويته وضميره عن مدى صدقها عليه ؟.. وتحققها فيه ؟.. ويحفظ المسلمون أو يتلون أو يسمعون قول الله تعالى وهو يصف الذين كفروا من بنى إسرائيل وبلغهم على لسان داود وعيسى بن مريم : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » (١) .

فهل يحاسب كل مسلم نفسه ، وهو يردد هذه الآية الكريمة أو يتلوها أو يسمعها ، ليعرف أمانة أخيه وصديقه وجاره ومجتمعه فيؤدى لهؤلاء جميعاً حقهم ، بل واجبهم ، فى التناهى عن المنكر والتناصح بالخير .. ؟

والمسلمون يحفظون أو يتلون أو يسمعون من قول الله تعالى وصية لقمان لابنه وهو يعظه : « يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ، ولا تصغر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الخير » (٢) .

فهل يحاسب كل مسلم نفسه ، وهو يردد هذه الآية الكريمة أو يتلوها أو يسمعها ، على إيمانه بهذه الوصية واستمساكه بآدابها وفضائلها وما تلزم به نفسه وخلقه وضميره ؟..

والمسلمون يعرفون من قرآنهم الكريم أن عباد الرحمن هم : « الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما ، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ، إنها ساءت مستقراً ومقاما ، والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً » (١) .

فليضع كل واحد منا نفسه حيث تضعه المقاييس الصادقة من عباد الرحمن هؤلاء .

والمسلمون يحفظون أو يتلون أو يسمعون قول الله تعالى : « قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين » (٢) .

(١) الفرقان : ٦٣ - ٦٩ .

(٢) المؤمنون : ١ - ٦ .

(١) المائدة : ٧٩ .

(٢) لقمان : ١٧ - ١٩ .

من الصدقة يتبعها أذى أو منكر أو مكروه (١)
فهل يحاسب كل مسلم نفسه ويستفتي
سريره عن ذلك كله وعن مكانه منه
وحرصه عليه ؟ .

والمسلمون يحفظون أو يتلون أو يسمعون
قول الله تعالى وتأكيده : « إن الصلاة تنهى
عن الفحشاء والمنكر » (٢) .

فهل يجد كل مسلم نفسه ، وقد انقلت من
صلاته وأن صلاته تلك قد صفت بها روحه ،
وطهرت نفسه ، واستقام ضميره . وأنها
أصبحت له حاجزا عن الفحشاء والمنكر له
منه وقاء وحسن .

والمسلمون يحفظون أو يتلون أو يسمعون
آية في كتاب الله الحكيم تجعل الذي يدع
اليتيم ويزجره ويستضعفه ويخفوه ، والذي
لا يبذل ولا يطعم المسكين أو يحض غيره
على إطفائه . تجعل الآية الكريمة هذا وذاك :
« مكذبا بالدين » ، وتذذر بالويل من يصلون
وهم ساهون عن ذكر الله غير مستحضرين
خشيتة أو محبة . فلا يعرفون للصلاة حقها
وأدبها ولم تؤثر في قلوبهم وضمائرهم أثرها :
الذين هم يرامون ويمنعون المساعون .

فهل يحاسب كل مسلم نفسه ، وهو يردد
هذه الآيات الكريمة أو يتلوها أو يسمعها ،
وهل يستفتي سريره : أين هو من هؤلاء
المفلحين المؤمنين ؟ .

وهل هو من أولئك المؤمنين الذين إذا
ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم
آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ، (١)
فلا يخشون غير الله ولا ينافقون يميلون
أو يمالئون .

والمسلمون يحفظون أو يتلون أو يسمعون
نهي الله تعالى عن المن بالبر والصدقة . وأنه
يريد منهم أن يبروا ويتصدقوا مريدين وجه
الخير المطلق وحده ، فلا يتبعوا صدقاتهم
بالمن والأذى ، فهم عند ذلك قد أبطلوها
وجعلوها رياء أو كالرياء الذي يرده الله
فلا يقبله ولا يثيب عليه ولا يبقى منه لصاحبه
إلا كما يبقى من السراب على الصخر الأملس
قد غسله المطر الشديد المتدفق .

ويريد منهم أن يحفظوا الكرامة الإنسانية
حتى على السائل المحتاج الذي يطلب الصدقة .
فليردوه من غير صدقة ولا عطاء . ولكن
ليقولوا له قولاً معروفاً وليغفروا له الخافه
إن ألحف في السؤال ، وشططه إن شط في
الطلب ، لحفظ هذه الكرامة الإنسانية
والاستمساك بهذه الفضائل والآداب خير

(١) ٢٦٤ : البقرة .

(٢) ٤٥ : العنكبوت .

كما وصفهم الله في كتابه العزيز وكما توحى لهم به سيرة النبي الكريم وشمائله الطاهرة .

ولعل المسلمين ، وهم يحتفلون في بقاع الأرض بمولد صاحب أعظم النبوات وآخر الرسائل وأكرم الصفات ، أن يؤوبوا لنفوسهم ، وأن يفيئوا لأمر الله . فعملوا أنهم سيكونون مسلمين حقا حين يجدون في سرائرهم وقلوبهم وضمائرهم أثر هذه النبوة والرسالة والخلق ، كما أمرهم الله أن يكونوا : خير أمة أخرجت للناس .

حين يعرفون أن الإسلام حقيقة وجوه ، وحين يحرصون على هذه الحقيقة وهذا الجوهر فيحققوها - أو يحاولوا تحقيقها - في حياتهم ومجتمعهم .

د أفن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كهن وأعمى ، إنما يتذكر أولو الألباب (١) .

محمود الشرفاوى

سكرتير التحرير

(١) ١٩ : الرد

والمراون المنافقون في الدرك الأسفل من النار (١) .

فهل يحاسب كل مسلم نفسه ويستفتى سيرته وقلبه . . . ليعلم مكانه .

على المسلمين أن يحتفلوا بذكرى نبيهم ونبي الإنسانية في يوم مولده . ولكن عليهم أن يعملوا في كل يوم ، عمل أهل الإسلام

(١) يقول الأستاذ الإمام محمد عبده في تفسير هذه السورة : إن كثيرا من الناس ، بل الأغلب فيهم ، يقولون إنهم يعتقدون بالدين ويصدقون بالله وبما جاء به رسوله وبالحياة الآخرة ويتحلون لأنفسهم للزاي على غيرهم ويظنون أنهم المصطفون ، وأن من يخالفهم قد خفت عليه كلمة الشقاء ويكتفون في هذه الدعوة ببعض أعمال رسما الذين وإن لم يكن لها في قلوبهم أثر . . . مما لا ينقص ما لا ولا يجشم مشقة . ثم يقول . . . فإن الحكم واحد لا محابة فيه للأسماء المنتحلة التي لا قيمة لها إلا بما فيها الصحيفة فالأكذب بالدين هو المحقر الخوف الضعفاء كبراً وعتوا ، والذى يبخل بماله على الفقراء ويبخل بسميه عند الأغنياء لإغاثة أهل الحاجة : (ص ١٦١ - ١٦٤ من تفسير جزء عم ، المطبعة الأميرية ١٣٢٢)

(بقية مقال مقوماتنا الروحية)

تبغى حتى تنفء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين .

كما يتبين أن هناك شوائب تشوب إيمان هؤلاء (الرأسماليين) الذين يعبدون الدينار والدرهم ويريدون أن يستعبدوا الأمم والشعوب ويستلبوا خيراتها باسم الاستعمار أو التمدن

أو نحو ذلك ، فهو لاء أيضا فقدوا الإيمان بالله عمليا كما فقدوه أولئك نظريا . والعلاج الوحيد هو العودة إلى الله : عقيدة وعملا ، فإن العالم حينئذ يهدأ ، ولا يبقى محل لطغيان قوى على ضعيف ، ويكون صوت الرأي العام فيه حاجزا عن كل بغى وكل ظلم . والبحث ، وصول إن شاء الله .

محمد محمد المني

عميد كلية الشريعة

نَفَاحَاتُ الْقُرْآنِ

نُجْمَاتٌ حَلَوِيَّةٌ مِنْ جَانِبِ اللَّهِ إِلَى عِبَادِهِ لِلْأَسَازِ عِبْدِ اللطيف السَّبِكِي

- (أ) ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين .
(ب) ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها .
(ج) وادعوه خوفا وطمعا ، إن رحمة الله قريب من المحسنين .

(أ) هنا دعوة من جانب الله إلى عباده :
تألف من كلمات معدودة . ولكنها نمط
فسيح ذو توجيهات حيوية للإنسان في توثيق
صلته بربه ، وفي تنسيق مسلكه في الحياة بين
الناس ... وحينما يتاح للبر أن يكون على
الجدادة في حياته آخذا نفسه بالعدل والاعتدال
روحا ، ومسلكا ، وعزيمة ، وقصدا ؛
يكون حقا في وضعه اللائق به ، والكفيل
بأهدافه الإنسانية حاضرا ، ومآلا .
وذلك هو المسطح الذي ينشده الدين الحق
لمن استمع إلى دعوة الدين .
ولدينا أمر مقرون بالجزر مرتين ، وأمر
آخر مقرون بالوعد الصادق ، وبالحث على
انتهازه والتعلق بغاياته .

الأمر الأول : ادعوا ربكم تضرعا وخفية
فالمفروض أن للناس دعاء ينبعث في خواطرهم
ويجيش في صدورهم ، وهو وسيلة يتخذونها
إلى استيفاء ما تتعلق به آمالهم ، وإلى تحصيل
ما تكمل به رغباتهم .
فيكون الدعاء على هذا التحديد ترجمة عن
شعور الإنسان بنقصه عن الكمال ، وعجزه
عن الوصول ، وب حاجته إلى قوة عليا تدنيه
من غاياته ، وتحقق له ما يقعد عن تداركه .
وهذه ظاهرة طبيعية تتخالج كل امرئ منا
عندما تواجهه الأزمات ، أو تغريه المطامع
فيجد نفسه بين دوافع شرعية ، وموانع تحجبه .
فإنذا الذي ينقذه من أزماته ، أو يكفل له
تحصيل غاياته سوى ذى قوة قادرة على ما يعجز

عامة تكون قولاً ، أو عملاً ، فيثاب عليها صاحبها بما شاء الله من أضعاف مضاعفة وإذا كانت مجرد عزيمة على فعل الخير ولم تنفذ لسبب مانع فتوابه عليها تفضل من الله ونعمة وكذلك الخواطر النفسية حول أعمال سيئة ، إذ لم تتجاوز حديث النفس المستتر فيها فإن الله - سبحانه - لا يؤاخذنا عليها . وكأن الله تعالى يعتبر من الإيمان وسلامة الاعتقاد شفيعاً للإنسان في حديث نفسه العابر ، وفي هذا أفادنا النبي صلوات الله وسلامه عليه : أن تجاوز لأمته عما حدثت به أنفسهم .

هذا - ومن صفة الدعاء المنشود في الآية أن يكون في ضراعة وخفية ، ففي الضراعة : وهي المسكنة ، والأدب ، وفي الخفية : وهي عدم المجاهرة تمحيص للدعاء وبعد به عن الرياء ، وذلك هو الإخلاص المطلوب في الدين كله .

ومن هذا تكون الضراعة والخافة وصفين معتبرين في سلامة لدعاء من آفات الابتداع ، ومن وسائل قبوله عند الله .

وقد مر النبي عليه السلام يقوم يدعون الله في مجاهرة وإلحاح ، فقال لهم صلوات الله عليه « اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا أبكم ، وإنما تدعون سميعاً بصيراً ، أي :

عنه الإنسان ، وإن كان ذا جبروت ؟ هو الله وحده وتعالى شأنه !! .

غير أن المرء لسبب طارىء قد يضل عن جهة دعائه ، فيلقى برجائه في غير موضع الرجاء ويلتمس مبتغاه من غير سبيله : وهنا منزلة الفسك ، وخطأ التقدير ، وتبعات الضلال . لذلك : تفضل الله علينا فأمرنا أن نجعل دعاءنا ربنا وحده ، حتى لا نزل ، ولا نخطئ . ولا نكون في ضلال .

وفي التعبير بالرب غناء عن التعليل ، وعن الشرح ... إذ ما دامك الربوبية لله دون غيره وما دامت النعمة كلها من جانبه وحده ؛ فلا خير في دعاء غيره ، ولا أمل يرجى من سواه ولا صحة لما يعزى إلى من دونه من سائر خلقه .

وكل ما يجازف به الناس وراء هذه الدائرة فباطل مطروح ، وضلال محذور ، وأمل ضائع ، وإثم ولا جرم .

ومن تمام الرجاء وحسن الاتجاه به إلى رب الناس أن يسكون الدعاء ذكراً باللسان لا مجرد خاطر محبوس في النفس ، فإن الخاطر لا يتعلق به حكم الشريعة ، ولا يعتبر فيه ثواب ، ولا عقاب .

والدعاء بالخير عبادة ، بل هو كما قال الرسول - نوح العبادة - والعبادة بصفة

حتى يكون في هذا تأليف للقلوب وتمكين للذخبة ، وهذا ما أفصح عنه النبي صلوات الله عليه وسلامه - بقوله : إذا دعوتهم فعمموا ، فالتجاوز لهذه الآداب فساد ولا شك - والله لا يحب الفساد .

ومع هذا التوجيه إلى الخير ، ومع التحذير من مقارفة الشر ولو بمجرد الدعاء السلبي ، فهناك حالة ينبغي فعل فيها الإنسان ، ويستجمل الشر بالثأر لنفسه من الغير حينما يلاقى ظلما من سواء أو استهانة بحقه ، أو محاولة للإضرار به عن قصد .

وتلك حالة يقف المرء فيها بين طبيعة نائرة من الإساءة ، وبين دين يزجر عن دعوة السوء ، والجنوح إلى الشر ، فلا يكون أقرب إلى الإنسان حينئذ من اللجوء إلى ربه ، والاستعانة بقوته وعدله .

فالقرآن الكريم لا يحمل الإنسان على غير ما يطيق ، ولا يغفل أحاسيسه بما يتصل به ، بل يأخذه بما له وما عليه في حدود قدرته .

لذلك جعل الله للظالم أن يجأ إلى الله بدعوة السوء على من ظلمه ، وفي هذه تنفيس للضائقة ، وتخفيف للكربة ، وكف للنفس عن الثورة والانتقام الذي يفسح مجال الشر ، ويضرم نار الخصومة ، ويجعل الفساد مستشرياً في الأرض بعد إصلاحها .

أشفقوا على أنفسكم وخففوا الجهد فإن الله يسمع ويرى ويعلم وائس بحاجة إلى هذه المشقة .

وقد لا يكون الدعاء لاجتلاب الخير ، بل يكون شراً على أحد ، والنماسا المكروه ينزل بالغير دون سبب يليق ذلك ، وهذا اعتداء ، وتحامل غير مشروع ، وحيث أمرنا بالدعاء تقرباً إلى الله في ضراعة فلا ينبغي أن نتحرف به عن بغية الخير . ونستخدم أمر الله به في طلب التثكيل الذي هو وليد الخصومة ومظهر السخط ، لذلك جاء الأمر بالدعاء في هذه الآية مقروناً بالزجر مرتين إحداهما : الإعلان بأن الله لا يحب المعتدين فهذا خبر فيه نهى وهديد على الاعتداء كله وعلى الاعتداء في الدعاء خاصة .

(ب) والزجر الثاني قوله تعالى عقيب هذا ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها يعني إذا كان الدعاء مطلوباً لالتماس الخير فلا نصرفه عن هذه الناحية ، ولا تجعلوه مجلبة للشر فإن هذا يكون فساداً وإفساداً لما بينكم والفساد كله منهي عنه فإن الله يجمع بينكم على دينه الحق ، وشرع لكم روابط الإخاء ورسم معالم المجتمع الذي يعيش في ضوء الدين وآدابه ، وجعل من أسباب الألفة بينكم أن يكون دعاؤكم بالخير عاماً ، ورجاؤكم شاملاً

مبتغاه ودون طمع وثقة في الله وطاعة له فيما طلب ، فذلك هو الأمل الكاذب الذي لم يقيم على أسبابه ، والذي لم تتوافر له مؤهلات القبول كما شرط الله في قوله : « إنما يتقبل الله من المتقين » .

نعم ! ! قال الله : « ادعوني استجب لكم » وهذا إطلاق في الطلب دون تقيد فيه ، ولكنه محمول على الطلب المشروط بأن يكون الداعي غير ملوث بالحرام في مطعمه ومشربه وملبسه وإلا كان دعاؤه هباء ، وقد قال النبي صلوات الله عليه : يقول أحدكم : يارب ، يارب ، ومطعمه من حرام وملبسه من حرام فأني « يستجاب له ؟؟ » فالأصل أن يكون دعاء ، والشرط أن يكون صحيحا إذا راعينا الأوصاف المذكورة في آية الموضوع وجدناها أربعة :

التضرع والخفية .. وهذان يتعلقان بوصف الدعاء وصورته شكلا . ثم الخوف والطمع . وهذان يتعلقان بمنبع الدعاء ومبعثه وجوهره ؛ وإذا اكتمل للدعاء وصفه الكامل في شكله وحقيقته كان - بحق - عبادة ، بل كان من العبادة كما تحدث الرسول ؛ وكان دعاء المتقين وهو المقبول وسياق الآية واضح في أن سرية الدعاء أحب من الجهرية . إلا إذا كان دعاء مشتركا بين إمام ومأمومين أو في حالة

والدعاء بالسوء على الظالم أخف الضررين فأباحه الله للمظلوم ، بل أباح له الجهر به ، مع أن الجهر بدعاء الخير مرغوب عنه « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم » فهذا استثناء من النهي ، وهو تنصيص على تحويل المظلوم حق المجاهرة بدعائه على ظالمه : ترضية لنفسه ، وإيضاحا لشكواه ، ولعل في المجاهرة بذلك زجرا للناس عن تماديهم في ظلم بعضهم بعضا ، ويؤكد هذا قول النبي صلوات الله عليه (اتقوا دعوة المظلوم ، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب) .

(ح) وفي الآية أمر آخر أن يكون الدعاء كله تابعا من قلب خائف وطامع « وادعوه خوفا وطمعا » . وفي الخوف معدلة عن الشطط ، وعن شغل الإنسان نفسه بما يلهيه عن جانب العمل ، والاكتفاء بالتمنى كما كان يفعل السفهاء من قبل ، وفي الطمع المأمور به ثقة بالله ، وإيمان بقدرته على الاستجابة ، وبين الخوف والرجاء مقام الاعتدال ، وحسن القصد ، وترويج للدعاء في باب القبول : إذ المفروض أن الطمع في القبول يكون مسبوقا بالطاعة ، والاهتداء ، ما أن يدعو الداعي دون خوف وخشية من جانبه أن يسرف ويتكاسل ، ويحرم من

الليل وعقب إدبار النجوم من مطالعها ،
وهذه أوقات تكاد تكون أوقات خلوة
والدعاء فيها مناجاة لله وحده .

وكذا قوله تعالى في سورة طه : د وسبح
بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك
ترضى . إلخ وهكذا نجد الكثير من التوجيهات
إلى أدب الدعاء والإسرار به .

• وليس حتماً أن يكون القبول بتحقيق
نفس المطلوب فقد تكون حكمة الله في تحقيقه
بالمزات . وقد تكون في تحقيق شيء غيره
لمصلحة العبد ، وقد تكون نتيجة الدعاء ثواباً
عليه ، أو تكفير ذنب بسببه ، والعبد لا
يدري من أمر نفسه ما يكون خيراً له والله
هو الأعلّم بأمورنا ، ثم قد يكون الدعاء من
إنسان لإنسان والله تعالى يستجيب للصالحين
من عباده ويحقق رجاءهم ، ويثيبهم على ذلك
ولكن هذا لا يجعل الادعية بضاعة وتجارة
بصطنعها المحترفون للدين ، فإن الله لا تخفى
عليه خافية ؟ .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

عامة ، أو كان مقصوداً معه تعليم من يتعلم ،
فإن ذلك كله يكون الجهر به خيراً من السرية ،
والاشتراك في الدعاء من وسائل قبوله عند
الله ... وحين لا يكون مقتض للجهرية
تكون السرية عن أسماع الغير تنزهها عن
الرياء ، وما دام الدعاء حينئذ مناجاة لله ،
وضراعة إليه فلا حاجة بنا إلى إعلانه وقد
نرى في آيات أخرى ما يشعرونا بترجيح
السرية في الدعاء وفي التسيبحات عامة : مثل
قوله تعالى (سورة ق) د وسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقبل الغروب . ومن الليل
فسبحه وأدبار السجود . . فهنا توجيهات إلى
التسبيح لله قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
وهذه أوقات يغلب فيها الصمت قبل أن ينهض
الإنسان إلى عمله الدنيوى ، وبعد أن يفرغ
من يومه ، ويخلد إلى الراحة آخر النهار ،
وكذلك أوقات الليل وعقب سجدة
الصلوات كلها ساعات خشوع والتسبيح فيها
أقرب إلى السكال ، ومظنة القبول .

وكذا قوله تعالى في سورة الطور د وسبح
بحمد ربك حين تقوم . ومن الليل فسبحه
وإدبار النجوم ، فالعبادة بالصلاة أو بالتسبيح
مطلوبة حين القيام من نوم الليل وفي جوف

المَدَامُحُ النَبَوِيَّةُ فِي شَعْرِ شَوَيْقِ لِلْأَسْتَاذِ عَلَى الْعَمَارِ

هذا الشعر يفعل في كل نفس صافية سليمة
الفطرة فعل السحر .

وأنا ما نظرت في أشعار المديح ألا بكيت
مع هذا الصوفي المحب ، الصادق الصباية ،
عبد الرحيم البرعى ، وكثيراً ما استوقفتني
آيات الشهاب محمود التي يصف فيها رحلته
إلى الحجاز ، ويعبر أجمل تعبير عن شوقه إلى
لقاء الرسول :

وصلنا السرى وهجرنا الديارا
وجئناك نطوى إليك القفار
أتيناك سعيًا ننادى البدا
ر إلى سيد المرسلين البدار
ولما نزعنا شعار الرقا
د لبسنا الدجى وادرعنا النهار
نميل من الشوق فوق الرحا
ل كأننا سكارى ولسنا سكارى
ونسرى مع الشوق أنى سرى
وتتبع حادى السرى حيث سارى
ونسأل والدار تدنو بنا
عن الدار فى كل يوم مرارا

لعلها من أسعد اللحظات تلك التي نعطرها
بقراءة المدامح النبوية ، وأن الرجل المؤمن
ليجد في هذه الأشعار لذة ومتعة ، وكلنا مضى
في القراءة نسي شيئاً فشيئاً هذا العالم المادى
الذى يعيش فيه ، وعاش في ذكريات مجيدة ،
وماض جميل ، يحس فيه بصفاء الروح ،
وهدوء النفس ، ويقظة العواطف ، ومغالبة
الاشواق .

وإن أشد ما يأسرنى ، ويبلغ من نفسى
في شعر المديح ، هذا الحنين المشتاق للوئاب
إلى زيارة الرسول في طيبة ، أو إلى مشاهدة
الأمم كن المقدسة في مكة .

والناس يختلفون في تذوق الأشعار ،
والتأثر بها ، فمنهم من يتصباه الغزل ، ومنهم
منهم من يستميله شعر الجود والكرم ، ومنهم
من يستغزه شعر الحماسة والشجاعة والحروب ،
وقد يكون في المديح الصادق ، وفي الشكوى
الآلئمة ما يحرك بعض النفوس ، ولكن الذى
لا أشك فيه أن شعر الحنين إلى الأحبة ، وإلى
مشاهدة الديار التي حلوها ، والبقاع التي
طيبوا ثراها بعير أنفاسهم ، لا أشك أن

وما ذاك أنا مللنا السرى
ولكن دنونا فزدنا انتظاراً
وكيف القرار إلى أن نرا
ك وتدنى المطى إليك المزارا
ومن كان يأمل منك الدنو
و ، أيملك دون اللقاء اصطبارا
ترى تنظر العين هذا البش
ير يربنى على البعد تلك الديارا
لأعطيه روحى سروراً بها
وأوطيه طرفى وخدى اعتذارا
وأمسح عن أرجل اليعملا
ت بأجفان عيني ذاك الغبارا
وأهدى على القرب منى السلا
م وحسبى بها رتبة وافتخارا
ترى هل أناجى هناك الرسو
ل جهارا كما أرتجى أو سرارا
وأعلم أنى على باب
وقفت وقبلت ذاك الجدارا
ولفتة وامضة إلى الوراء ترينما ما كان يلاقيه
زوار الرسول عليه الصلاة والسلام من الصعاب
والمشاق وخوف انقطاع الطريق ، والقلق
من فوات الأمل الحبيب . ومن هنا ندرك
صدق هذا الشاعر وأضرابه ، بمن جاشت
عواطفهم ، ووقفوا بين اليأس والأمل ،
ما ملوا السرى ، ولكن دنوا فزاد انتظارهم
وهذا من أدق وأروع ما يعبر به عن قرب

الحبيب الذى يخشى أن تحول الحوائل
دون لقاءه .
أما الشاعر البرعى عبد الرحيم فلا أعدل به
أحداً فى صدق العاطفة ، وإشراق النفس
إلا عمر بن الفارض ، ولعل البرعى هو الشاعر
الوحيد الذى صور لنا أبلغ تصوير وأتمه
عواطف المحب الصادق حين تضعه الحياة
بين الرجاء واليأس .
بعد هذه المقدمة القصيرة ، نأخذ فيما أردناه
من كتابة هذا المقال ، وهو الحديث عن مدائح
شوقى ، وربما كانت هذه المقدمة التى أسلفناها
ذات صلة وثيقة بما نريد أن نشير إليه من رأى
فى مدائح شوقى .
لشوقى ثلاث قصائد طوال فى مديح الرسول ،
وهى - على حسب ترتيبها فى ديوانه - الحمزية
النبوية ، ومطلعها :
ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء
الروح والملا الملائك حوله
للدين والدنيا به بشراء
وثانها (ذكرى المولد) ومطلعها :
سلوا قلبى غداة سلا وتابا
لعل على الجمال له عتابا
ويسأل فى الحوادث ذو صواب
فهل ترك الجمال له صوابا
وثالثها (نهج البردة) ومطلعها :

الأدب - : يتعين على الناظم أن يحتشم فيه
فيتأدب ويتضام ، ويطرح محاسن المرد
والتغزل في ثقل الأرداف ورقة الخصر
وبياض الساق وحمرة الخد . وخضرة العذار
وما أشبه ذلك ، وقل من يسلك هذا الطريق
من أهل الأدب .

وهذا التقليد - كما هو معروف - ليس قصرأ
على المدائح النبوية ، بل هو تقليد جاهلي قديم ،
صحاب الشعر العربي منذ نشأ إلى يوم الناس
هذا ، وقد ثار عليه الحسن بن هاني في أول
العصر العباسي ، ولكن ثورته لم تمنع شعراء
عصره ولا الشعراء الذين جاءوا في عصور
بعد عصره أن يتغزلوا في بدء قصائدهم ،
وقد سخر من هذا التقليد المتنبّي أيضا فقال :

إذا كان مدح فالنسيب المقدم
أكل أديب قال شعراً متبم
ولكننا لم نر القصيدة العربية تتحرر
من هذا القيد إلا في أيامنا هذه ، وربما وقع
لأفراد من الشعراء في العصور السابقة أن يتخلوا
عن هذه السنة ، ولكن ما زال في الأقطار
العربية وفي مصر من يلتزم هذا التقليد في بدء
القصائد ولا سيما قصائد المديح ، وشعراء
السودان بصفة خاصة مولعون بالغزل في بدء
مدائحهم .

وهنا ملاحظة عابرة ، هي أن شوقي بدأ
ميميته بالغزل كما فعل البوصيري في البردة ،

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمي في الأشهر الحرم
رمى القضاء بعيني جوذر أسدا
يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجم
وقد عرض للإسلام كمحادث تاريخي
في قصيدته (كبار الحوادث في وادي النيل)
بمطوعة مبدؤها :

أشرق النور بالعوالم لما
بشرتها بأحمد الأنبياء
بالميتيم الأمل والبشر المو
حي إليه العلوم والأسماء
وقصائد شوقي هذه طويلة وجيدة ، وقد
ابتدأ اثنتين منها بالغزل ، وهو - في ذلك -
يرسم خطى شعراء المديح منذ كعب بن زهير
إلى البارودي ، وشوقي وإن لم يصرح بأنه
يتغزل متابعة للقدامى فقد صرح بذلك أستاذه
البارودي فقال غير موارب ولا متخف :

صدرتها بنسيب شف باطنه
عن عفة لم يشنها قول متهم
لم أتخذ جزافا بل سلكت به
في القول مسلك أقوام ذوى قدم
تابع كعبا وحسانا ولى بهما
في القول أسوة بر غير متهم
ويشير البارودي بكلمة (في عفة)

إلى ما يراه العلماء في الغزل الذي يتبدأ به المدائح
النبوية - كما قال ابن حجة الحموي في خزانة

وكنت لمت البوصيري على هذا في كتاب
الموازنة بين الشعراء ثم تبين أن اختارتك
المواطن لصلتها بمولد الرسول ، وخاصة إذا
لاحظنا أن النسب لم يقصد لذاته حتى يتحدث
الشاعر عن هواه في بلبس أو فاقوس وإنما
هو نسب وقع موقع التهيد لقصيدة دينية ،
ولولا حرص الشاعر على متابعة القدماء
في افتتاح القصائد بالنسب لما كان للتغزل
في مثل هذه القصيدة مكان .

وأحب هنا أن أجهر برأى طالما راودني
أن أعلنه ذلك أن صنيع الجاهليين في ابتداء
القصائد بالنسب إنما هو أجل تقليد شعري
وأن هذه الفطرة الجاهلية هي أهدى سبيلا ،
وأصنى موردا ، وأقرب إلى طبائع النفوس
من كل أولئك الذين عابوا على العرب تقليدهم
الجميل ، والشعر تعبير عن خطرات النفس ،
وأشواق الروح ، وليس شيء يهيئ النفوس
لتلقيه بالرضا أجل من استثارة عواطفها ،
وهذه مشاعرها ، ومن من الناس ليس له
هوى ؟ !

فلست أعيب العرب ، ولست أعيب
شوق بأن ينتهج هذه الطريقة ، ويسير على
هذا الدرب الجميل المفروش بالورد والريحان .
وعندي أن العربي في باديته الأولى أشف
روحاً ، وأصنى نفساً ، وأقوم فطرة من
ألف أبي نواس !

وابتدأ بانيته بالغزل أيضاً كما فعل البوصيري
في بانيته المنصوبة القوافي وإن لم تكن
القصيدتان من بحر واحد ، ومطلع قصيدة
البوصيري :

أزعموا البين وشدوا الركابا

فاطلب الصبر وخل العتابا
في حين أنه لم يبتدىء الحمزية بالنسب
كما فعل البوصيري أيضاً في همزته فإنه ابتدأها
بقوله :

كيف ترقى رقيق الأنبياء

ياسماء ما طاولتها سماء
فهل بلغ حب التقاليد بشوق هذا الحد ؟
وملاحظة ثانية وهي أن شوقي لم يختص
المدائح النبوية بهذا الصنيع بل نراه يفتتح
قصيدته في مشروع ملنر المشهور بهذه الأبيات :

أثن عنان القلب واسلم به

من ررب الرمل ومن سربه
ومن ثثنى الغيد عن بانه

مرتجة الأرداف عن كشه
ظباؤه المشكرات الظبا

يغلبن ذا اللب على لبه
وقد بدا لبعض الكتاب أن يعلل افتتاح
الشعر بالنسب بأنه نوع من الرياضة لقراء
الشعراء ويعتذر الدكتور زكي مبارك عن
النسب في قصيدة البوصيري فيقول : والنسب
في البردة يتصل بالشوق إلى المعالم العربية ،

كما إنى أعد من هذا النوع - أعنى المدائح التى مصدرها العقل - هذا الشعر الذى تتجلى فيه قوة الشاعرية ولكنه يفقد الروح الدينية الخالصة العميقة ، وكثير من قصائد المديح من هذا القبيل ومن ذلك مدائح شوقي. وهذا رأى الذى يشاركنى فيه كل ذواقة للشعر ، وكل ذى إحساس صادق بمواطن الصدق والتزييف فى العواطف ، يريحنا من خبط النقاد والساكنين فقد أرادوا أن يوفقوا بين انكباب شوقي على الملاهى والملاذات ، وأخذه منها بالنصيب الموفور ، وبين قوله فى مدح الرسول ، أو فى الأغراض الدينية بعامة ، فقال قائل إن ذلك من ازدواج الشخصية ، يريد أن لشوقي شخصيتين ، فهو قد يخرج من الحان إلى المسجد ، ثم يعود من المسجد إلى المقصف ، وهو - فى زعمهم - صادق العاطفة فى الحالتين .

وقال آخرون : إن شوقي قال هذه القصائد بعد أن ودع طيبات الحياة وتقدمت به السن وهذا فيما أعتقد جهل بالتاريخ ، فما أعرف أن هذا الشاعر تخلى عن طيبات الحياة ، وأعرف أن بعض هذه القصائد قالها وهو يغذى شاعريته بالصغير والكبير .

ولست أستبعد أن يتوب المذنب وأن تصدق توبته ، ولا أن يكون الإنسان بشخصيتين ، ولكن شعر شوقي لا يضطرنا إلى هذه الافتراضات ، فهو لا يدل على أن

وقد أطلت النظر فى المدائح النبوية وأطلت التفكير فى مسالك الشعراء فيها ، وقد اهتديت إلى أن هذه المدائح ترجع إلى منبعين أساسيين فمنها مدائح مصدرها العاطفة الصادقة المشبوبة بالقوية الدافقة ، وآية ذلك هو ما نحسه فيها من الطبع والصدق ، وقوة الانفعال وجيشان المشاعر ، وترك النفس على سجيته ، وأمرأ هذا اللون من المدائح ثلاثة شعراء هم عندى على هذا الترتيب . عبد الرحيم البرعى ، والبوصيرى ، والشهاب محمود ، ومنها مدائح مصدرها العقل . وفى هذا اللون تتجلى الصنعة والتكلف كما نراه فى مسالك الشعراء الذين اتخذوا من المديح وسيلة لإظهار براعتهم فى النظم كمن ينظم قصيدة يلتزم فى كل بيت منها حروف المعجم أو يلتزم أن يكون أول حرف فى كل بيت كحرف القافية ، أو يلتزم أن تكون جميع القصيدة من حروف مهملة .

ومن ذلك الصنيع المشهور فى اتخاذ المدائح وسيلة لإظهار القدرة على الإتيان بالمحسنات البديعية وأبعد من ذلك فى التكلف ، وكذب العاطفة أن تتخذ هذه المدائح وسيلة لتسمية فنون البديع فيشتمل البيت على النوع البديعى مثالا وتسمية ، ومن أبطال هذا الفن صنى الدين الحلى ، وابن حجة الحموى ، ولهذا الأخير بديعية شرحها بكتابه خزانة الأدب وهى فى اثنين وأربعين ومائة بيت وهذا العدد هو عدد ما عرضه من ضروب البديع .

الرجل متدين ، وإنما كان شاعراً كبيراً
يمجد بطلا عظيماً .
لو لم تقم ديننا لقامت وحدها
ديننا تضيء بنوره الآناء

وبائية شوقي في ذكرى المولد نحو السبعين
بيتاً ليس منها في هذا الغرض إلا خمسة عشر
بيتاً ، ولم يبتدى فيه إلا في البيت السابع
والأربعين ، ولو كان شاعراً صادق الحب
لعجل بذكر المولد ، وذكر صاحبه ولكنه
استغنى أكثر قصيدته في الغزل ، والحديث
عن الدنيا وعن الإحسان إلى اليتامى ، فلما
جاء إلى ذكر الرسول سماه نبي البر ، وأشار
إلى قربه من الله حين عرج به ، ووصفه بأنه
صاحب البيان الذي هدى الناس إلى سواء
السييل ، وصاحب الخيل التي كانت ملجأ
للحق ثم تحدث في خمسة أبيات عن المولد
النبوي ، وبلغ ذروة الإجادة الفنية في قوله :

لما دعوت الناس لبي عاقل
وأصم منك الجاهلين نداء
أبوا الخروج إليك من أوهامهم
والناس في أوهامهم سجناء
ومن العقول جداول وجملامد

ومن النفوس حرائر وإماء
وقد كان المداح الأقدمون يضمنون
مدائحهم السيرة النبوية وشمائل الرسول
والحنين إلى زيارته والتوسل به ، والشكوى
من الذنوب ورجاء العفو والمغفرة ،
والحديث عن القرآن ، وعن الصحابة ، وقد
قال شوقي في كل ذلك ما عدا الحنين إلى زيارة
الرسول ، ولكنه زاد أموراً على جانب كبير
من الأهمية .

فمدائح شوقي يشيع فيها الحديث عن
الأخلاق ، كما يشيع هذا الحديث في كل شعره
ويشيع فيها الحديث عن الفقراء ، وعن
الزكاة ، ويمتدح الشريعة الإسلامية بأنها

أبا الزهراء قد جاوزت قدرى
بمدحك بيد أن لي انتساباً
فما عرف البلاغة ذو بيان
إذا لم يتخذك له كتاباً
مدحت المالكين فزدت قدراً

فحين مدحتك اقتضت السجابا
أما الحمزية ، فقد ضمنها شمائل الرسول ،
وأشار إلى نسبه الطاهر الشريف وإلى يوم
مولده وإلى الإرهاصات التي صحبت هذا المولد
الكريم ، وقد أبدع وأجاد في قوله :

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا
منها وما يتعشق الكبراء

كما يتحدث شوقي عن أسرار الشريعة الإسلامية ، ويقف بصفة خاصة عند سر حروب النبي ، ويرد على أولئك الذين يعيبون الإسلام باتخاذ الحرب وسيلة لنشر الدعوة ، ويطيل في ذلك ، ومن قوله :

قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا
لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم
جهل وتضليل أحلام وسفسطة
فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
والشر إن تلقه بالخير ضقت به
ذرعا وإن تلقه بالشر ينحسم
وفي معنى هذا البيت الأخير جاء قوله
في الهمزية .

الحرب في حق لديك شريعة
ومن السموم الناقعات دواء
هذا ، وقد امتد بنا نفس القول وموعدنا
بالنظر في نهج البردة على حدة حديث يأتي إن
شاء الله ، وأصدق ما نختم به هذا الحديث
قول شوقي يخاطب الرسول :

أنت الذي نظم البرية دينه
ماذا يقول وينظم الشعراء
وقول البوصيري :

إن من معجزاتك العجز عن وصفك
إذ لا يحسده إحصاء
ليس من غاية لوصفك أب
غيبها وللقول غاية وانتهاء
وأفضل الصلاة وأطيب التسليم على صاحب
الذكرى .

على العمري

راعت حق الفقراء ، ولكن الناس
لا يستجيبون لداعي الله :

عجبت لمعشر صلوا وصاموا
ظواهر خشية وتقى كذابا
وتلفهم حيال المال صما

كأن الله لم يحص النصابا
ويبلغ ذروة الإجادة في هذا المعنى حين يقول :

الاستراكيون أنت إمامهم
لولا دعاوى القوم والغلواء
داويت متبدا وداوو طفرة

وأخف من بعض الدواء الداء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى
فالكل في حق الحياة سواء

فلو أن إنسانا تخير ملة
ما اختار إلا دينك الفقراء

والشكوى من حال المسلمين وتأخرهم
وتفكك الروابط بينهم والاستغاثة بالرسول
أن يدعو الله أن يهدي قومه ويصبرهم طريق
السداد من الجوانب النبيلة التي عرج عليها
شوقي في مدائحه :

ما جئت بآبك مادحا بل داعيا

ومن المدح تضرع ودعاء
أدعوك عن قومي الضعاف لأزمة

في مثلها يلقي عليك رجاء
متفككين فما تضم نفوسهم

ثقة ولا جمع القلوب صفاء
رقدوا وغرهم نعيم باطل

ونعيم قوم في القيود بسلا.

الدين حُرِّيَّة

للمؤلف محمد فتحي عثمان

(يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم)

أعلى حقائق الإنسانية ... الحرية !
فإن الإنسان لا يسير وفق نواويس آلية مطردة كالجماد ، ولا يسير بتوجيه الغريزة وحدها كالحيوان .
الدستورية ، بعد أن استخلصتها دماء غالية وأرواح عزيزة ... في كفاح ما أقدمه من كفاح !!!

والدين ... ما باله في هذه القضية الكبرى ؟
الدين ... لا يذكر إلا ويذكر الانقياد والخضوع ، والطاعة والاستسلام !
فهل يكون للدين شأن في قضية الحرية ؟
شأن الدين في مزاعم قوم ، أن يسد منافذ الحرية ، وأن يطبع الإنسان على المهانة والاستكانة ويكون أفيون الجماهير !
والدين الصحيح براء ... من هذا الهراء !
لكن الإنسان يتمتع بإرادة ... تتجلى مظاهرها في الاختيار ، ومن هنا قد تتوفر مقدمات بعينها في ظروف بعينها ولكنها لا تعطي النتائج نفسها بالنسبة لتصرفات الإنسان !
وأداة ممارسة الاختيار ومباشرة الإرادة هي العقل والتفكير ... وهذه الأداة من خصائص الإنسان المتميزة .

فإذا أردنا أن نعرعن الإنسانية بخصيصة واحدة مفردة تكون علما على الإنسان وصورة لطبيعته لقلنا : إن الإنسانية حرية ...

* * *

تلك حقيقة قررها الفلاسفة بمنطقهم ، وتغنى بها الفنانون بمختلف أساليبهم وألوانهم ... وهي حقيقة سجلتها الوثائق
إذا كانت حقيقة الإنسانية هي الحرية ، فإن مهمة الدين هي تقرير هذه الحقيقة وتقديسها ... إنه يعمق مشاعر الحرية في مسالك النفس والعقل ، وفي أغوار الفرد والمجموع ، وفي جذور الأمة والدولة ، وفي أصول العقيدة والشرعية ... فتجاوب فطرة الله في نفس الإنسان مع دين الله المنزل

تسكروه الناس حتى يكونوا مؤمنين .
 « أنلزمكموها وأنتم لها كارهون » ،
 « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » ...
 ونزل الله العظيم آيات كتابه يناقش ويبرهن
 ويورد الاعتراضات ويرد ، سبحانه تقدرست
 أسماؤه وجل في علاه

تقرأ قول الله العظيم : « قل هاتوا برهانكم
 إن كنتم صادقين » ...
 وتقرأ قول الله العظيم : « أفلم ينظروا إلى السماء
 فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ،
 والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا
 فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكري لكل
 عبد منيب » ...

وتقرأ قول الله العظيم : « وفي أنفسكم أفلا
 تبصرون » ...

وتقرأ قول الله العظيم : « أم خلقوا من
 غير شيء ، أم هم الخالقون » ، « أخسبتم أنما
 خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ، !!!
 وتعجب من هذا النقاش الرائع الأمين ،
 والجدل الذي يجريه رب العزة مع مخلوقه
 العزيز ، وتطرب لهذا المنهج الرباني الأقدس
 في تربية المؤمن المفكر الحر

وتسمع في كتاب الله العظيم تسجيلاً دقيقاً
 لكل دعاوى المنكرين والمتشككين « وقالوا
 ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما
 يهلكنا إلا الدهر » ، « قال الذين كفروا

على رسله والمودع في كتبه ، وتتجاوب
 نوااميس الله السكونية مع نوااميسه الشرعية ،
 ويتجاوب كتابه المشهود مع كتابه المقروء !
 إن الله يريد أن يستخلص النفس الإنسانية
 حرة كريمة عزيزة كما برأها ... وهو يؤكد
 هذه الحرية والعزة والكرامة أيما تأكيد ...
 يؤكد لها في قصة خلق الإنسان أصلاً ...
 فإن فيه من روح الله مالا ينبغي أن يذل
 أو يهون ، بل ما استوجب من أظهر خلق الله
 الإجلال والتكريم « فإذا سويته ونفخت فيه
 من روحي فقعوا له ساجدين » .

حتى إذا ما خلق الإنسان وهبط إلى الأرض
 أكد الله مكانه في الكون بين المخلوقات ،
 « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » ،
 « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر
 ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن
 خلقنا تفضيلاً » .

والله يؤكد حرية الإنسان واختياره ،
 « وهديناه النجدين » ، « بل الإنسان على
 نفسه بصيرة » ، « فمن شاء فليؤمن ومن شاء
 فليكفر » ...

وعلى أساس هذه الأصول الكبرى عرض
 الإسلام نفسه على الناس ... فدعا بالحكمة
 والموعظة الحسنة ، وجادل بالتأييد هي أحسن ،
 ونقي - أقطع نقي - أن يكوم الإلزام والإرغام
 طريقاً لسوق العقائد إلى القلوب « أفأنت

المذهلة ، فيتصاغر المخلوق الحر العزيز أمام الشمس التي تبعث الضوء والحرارة والحياة ، أو أمام القمر الذي ينشر النور والجمال ، أو أمام أعاصير الرياح ، أو غيث المطر ، أو أمام ما يسخر بين يدي الإنسان من نقائات وذريات وصواريخ الفضاء !!

ويشفق الدين على الإنسان من أن تستعبده الأهواء ... من أن يسليه إيمان الأفراد ، أو استهواء المجموع ... من أن يجرى المخلوق الحر العزيز الكريم خلف مطالب جزء منه ، فيجر جر كيانه كله تبعاً للقمة ، أو شهوة ، أو انقياداً لإنسان سواء من عباد الله !!

ويفجر الدين الطاقة الإنسانية العارمة البناءة ، حين يربط الإنسان - في استعلامه واستسلامه بالله الواحد القهار !! .

إن الله وحده - هو الذي ليس كمثل شيء ، ولم يكن له كفواً أحد ، ...

والله - وحده - هو الذي له الحكم والأمر ، وهو - وحده - إذا قضى أمراً فلا يكون لمؤمن خيار من أمره ، بل عليه الطاعة والامتثال ...

والله - وحده - هو الذي لا يسأل عما يفعل ، وهو - وحده - الذي يحمد على السراء والضراء ولا يحمد على مكروهه سواء ... والناس ... ؟؟ .

الناس جميعاً - أيا كانت منازلهم - أنداد

للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ، و طائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون : هل لنا من الأمر من شيء ؟؟ قل إن الأمر كله لله ، يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك ، يقولون : لو كان من الأمر شيء ماقتلناها هنا ... ، !! .

ثم تقرأ بعد ذلك آية الآيات في أدب الخطاب والجدال ، فنرى التحدى الذي لا يتخلى عن الذوق السامى الرفيع ، قل لا تسألون عما أجرمنا ، ولا نسأل عما تعملون ، ! .

* * *

هذا الإنسان الحر الكريم ... هل يكون غنياً عن العالمين ؟؟

إنه مخلوق يأنس ويستوحش ، يقوى ويضعف ، يستكبر ويستخذى ... فتحريره وإطلاق قواه لن يلغى طبيعته ك مخلوق ...

إنه دائم الإحساس بالحاجة إلى استمداد العون والتماس السكينة ، وتحرير الإنسان يبلغ أقصاه حين يرضى الدين فيه احتياجاته جمالا لا ينال من قوته وطاقته وحقيقته الكبرى .

والدين هنا ينقذ الإنسان من أن تستهلكه الشكوك والأهواء الباطلة ، ويعلمه : من يعبد ، ومن يستعين ! .

إنه يشفق على الإنسان من أن تستعبده الطبيعة الجميلة الجليلة بنواميسها الصارمة البديعة

ترضى فى الإنسان أشواق الروح للإيمان بالغيب ، فى الوقت الذى تطلقه فى عالم الشهادة يعبد الله بالتجانس مع الكون والناس ...

إنها لا تتطلب من الإنسان (أناوة) خضوع ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، . لا تتطلب عصبية هوجاء ولا أحقاداً عمياء ، قاله ابن يزيد ملكه بطاعة الطائعين ولن ينقص بمعصية العصاة . فليس الخضوع لله إعلاء لدكتاتورية فرد ، أو سيطرة حزب ، أو احتكار طبقة ، أو تغلب جنس أو أمة ، أو تحكم قبيلة أو أسرة ...

وليس فى الخضوع لله محاباة للخاضعين كطائفة ، ولا تحامل على المنكرين كطائفة ، ولا يجر منكم شأن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، ولا يجر منكم شأن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، .

هذا هو رب العالمين بحق ، رب المؤمن والكافر على السواء ، رب كل الأفراد والأجناس والأقوام والطبقات والطوائف على السواء .

لا عجب أن كانت قوته ... أنزه قوة كبرى يخضع لها الإنسان ، وأكرم قوة كبرى يخضع لها الإنسان ، فضلاً عن أن تكون أجدر قوة بأن يخضع لها الإنسان ...

وأمثال وأشباه ، فالعباد سواء لا يستعلى عليهم إلا الإله المعبود ، والخلق سواسية يتعاونون ويتحاسبون - وهم يسيئون ! -

هذه هى الحرية فى أبعد أعماقها ، ومن هنا تنطلق الطاقة الإنسانية فى أضخم إمكانياتها . إن الحرية عند المؤمن لم تعد صرخة بشرية ونداء فطرته فحسب ، إنها دينه الذى يعبد الله به ويلقاه عليه ، فيرضى نزعته فى الانقياد والاستسلام لقوة كبرى فى الوقت الذى ينطلق فيه إلى أرحب الآفاق ...

إسلام الله ... بالانطلاق فى الكون . وتعبد لله ... بالتححرر من كل سلطان سواه . وهكذا يكون نداء الكون هو نداء الدين ، ونداء الخضوع هو نداء العزة ، ونداء الإنسان هو وحى الله ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبدل لخلق الله ، ذلك الدين القيم - ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، . ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ، .

هذه القوة الكبرى التى يدين لها المؤمن فيعتز ، ويسلم فيتحرر ، هى أكرم قوة وقدرة يخضع لها الإنسان ، فضلاً عن أن تكون أجدر قوة وقدرة بوجوب الخضوع لها والتسليم .

إنها قوة الغيب ... علت عن كشافة الحس ومطالبه ، ونطاقه العاجز القاصر !!! إنها

وَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرَ أُمِّ اللَّهِ
الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ .۶۶۴۱۱۱.

قد يمس التشريع مال الفرد لصالح
المجموع ... فلا يكاد ميزان العدل يستوى
حتى تعود للفرد حرمانه وحرياته
« وإن تبتم فلکم رؤوس أموالکم ،
لا تظلمون ولا تظلمون » .

هذا الإله العظيم الذى يدين له الإنسان
الحر العزيز فتطلق طاقاته المندخورة من مكانها
دون أن يتبذل فى مراسم خضوع تمسخ
بشريته وتشوه معاملته وتبدد قواه ...

هذا الإله العظيم الذي يرضى الناس جميعاً
والخلق جميعاً برؤيته الرحيمة ، يعلم أنه
ما من فرد أو جمع يطيق أن يعيش منفرداً
في الكون ، فلا بد لرعاية حرية فرد أو مجتمع
من تمكين كل الأفراد والمجتمعات من ممارسة
حرياتهم ، ومن هنا كان لا بد أن تقابل

الحقوق والواجبات وأنت شريعة الإسلام
تنظم ما جرت عليه عقيدة الإسلام من طاقات
الإنسان وقواه ... جاءت عقيدة الإيمان تعز
الضعيف بعزة الله ، وتطامن القوى أمام
جلال الله وجاءت شريعة الإسلام ترعى حق
المجموع ولا تهدر اعتبار الفرد ، وتقرر
المساواة ولا تغفل الحرية .

وقال الخليفة المسلم الصديق (والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه) .

« إن الله لا يغفر أن يشرك به ... ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » . ٢

فإذا ما دعت الضرورات التنظيمية إلى
المساس بحرية الفرد من أجل حريات

فنی عثمانہ

من القيم الإنسانية في الإسلام :

صرّة العقل والفكر والإرادة

للدكتور محمد يوسف موسى

مستشار الشؤون الدينية والثقافية بوزارة الأوقاف

لا أريد أن أتجنى على التازيخ أو الواقع في شيء ، ولا أن أذكر على الله أحدا ، ولكنه سبحانه وتعالى - وهو العليم الخبير بمن خلق ، والحكيم فيما قضى وقدر - هو الذى يقول فى كتابه العظيم عن العرب المؤمنين : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ؛ تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » .

ولهذا جعل الله البلد العربى الأمين مهداً للإسلام ، وجعل العرب - بعد أن هدوا إلى الحق - حماة رسالته العظمى ، ومبلغها وناشريها للناس جميعا عبر المكان والزمان ؛ وذلك لما يعلوه سبحانه وتعالى من سلامة فطريهم ، وكريم خلاصهم ، وقيامهم بالقسط ، ونصرتهم للحق .

ومن ثم ، كانوا أهلا لحل هذه الأمانة ، أهلا للقيادة والإمامة ، أهلا لأن يقول العليم الخبير فيهم : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا ؛ لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

وقد صار العرب الذين آمنوا بالله ورسوله ، حاملى النور إلى العالم كله ، والهداة إلى الحق والخير فى كل زمان ومكان ؛ وذلك بفضل القرآن الذى أنزل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، وبفضل ما فى الإسلام من قيم إنسانية نبيلة ، هذه القيم التى أوفت على الغاية وبلغت أرقى مراتب السمو والكمال .

وهذه المعاني والنزعات الإنسانية التى قامت عليها دعوة الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، ودعت إليها ، وعملت على تحقيقها بمختلف الطرق والوسائل ، لا سبيل إلى حصرها ، ولا إلى الإشارة إليها جميعا فى هذه الكلمة .

وإذن ليس لنا فى هذا المقال إلا أن نكتفى

يريد أن يكون حراً ألا يخاف أو يرجو شيئاً يملكه غيره ، وإلا فلن يكون حتماً لإلزاماً .

ولكن الحرية تشمل أيضاً ، بجانب تلك المعاني ، تحرير العقل من الضلالات والتقاليد الباطلة التي ترين عليه وتمنعه من الانطلاق ، وتشمل تحرير الإرادة والعمل فيما لا يتعارض والصالح العام ، وتحرير المستضعفين من سلطان الأقوياء المستبدين وظلمهم وجبروتهم وتحرير المرء نفسه من أسر شهواته وهواه .

وهذا وذاك كله نراه ماثلاً في نزعة الحرية العامة الشاملة التي جاءت بها دعوة محمد صلوات الله وسلامه عليه . فقد جاء الإسلام بقرار للناس جميعاً ، على اختلاف أجناسهم وأزمانهم ، هذه الحرية على اختلاف أنواعها وضروبها : حرية العقيدة ، وحرية العقل والفكر ، وحرية الرأي والإرادة والعمل ؛ وكل ذلك لم يكن للإنسانية عهد به من قبل ، مع أن الحرية أمر طبيعي ، وأول حق إنساني نبيل يحرص عليه كل إنسان .

* * *

بدأ الاسلام بتحرير العقل من سلطان ما توارثه الناس من العقائد الباطلة ، هذا السلطان الذي دفعهم إلى عبادة ما يصنعون بأيديهم من أوثان وأصنام ، ويقدمون لها

بالكلام عن بعض هذه القيم الإنسانية التي جاء بها الإسلام ، فكرم بها الإنسان ، وأتار السبيل للناس جميعاً ، بادئين منها بالحرية والمساواة على اختلاف معانيها ، وتعدد مجالاتها وتطبيقاتها .

* * *

الإسلام هو دين « الحرية » ، بلا ريب بكل ما لهذه الكلمة من معان ومدلولات ، سواء في ذلك الغربيون والشرقيون ، وقد أعطى لهذه الكلمة من المعاني ما لم يسبق إليه ، كما قدرها تقديرأ لم يقاربه فيه دين أو نظام فلسفي اجتماعي سبقه أو جاء بعده .

ذلك بأن « أوجست كونت » ، الفيلسوف الاجتماعي المعروف . يقول في بيان معنى الحرية : إن أحسن ما يكون لنا من حرية هو أن نعمل بقدر ما نستطيع لتسود العواطف والميول الطيبة على العواطف والميول السيئة .

ويرى « هيمون Hemon » أن الحرية هي سيادة الإنسان لنفسه ، وسيطرته على شهواته وهذا يكون بعمل العقل المفكر والإرادة الطيبة ضد الشهوة والهوى .

وفي العصر القديم ، يقول « إيكستيت » ، الفيلسوف الرواقى المعروف : إن على من

الحريص الحرص كله على أن يؤمن جميع من توجه إليهم برسائله بقوله تعالى : « أفأنت تسكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، !

وكذلك بأمره صلى الله عليه وسلم ، في آية أخرى ، أن يقول : « قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ، فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ، وما أنا عليكم بوكيل .

* * *

وبعد هذا ، إن للبعض أن يتساءل : لماذا إذا كانت الحروب بين المسلمين والكافرين ، ألم يكن الدافع إليها إكراه هؤلاء على الإسلام فيكون الإسلام قد علا أمره وانتشر بحد السيف لا بالإقناع والدليل ؟ .

الجواب عن ذلك كله يجب عند الباحث المنصف أن يكون بالسلب لا بالإيجاب . فإن الذي يستعرض آيات القتال في القرآن ويستقرئ التاريخ الثابت الصحيح ، يتبين له بلا ريب أن القتال كان لحماية الدعوة حتى تأخذ سبيلها من الذين يكيدون لها ويقفون ظالمين في طريقها .

كما كان للدفاع عن المستضعفين من المؤمنين الذي آذاهم المشركون أذى كبيرا ونالهم منهم بلاء شديد ، وذلك رغبة في فتنهم حتى يرتدوا عما آمنوا به من الدين الحق بعد أن

من القرابين وشعائر العبادة ما يعرفه التاريخ الصادق الأمين .

يعبدون هذه الأوثان والأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنهم شيئا ، وإنما يعبدونها بحكم التقليد للأباء والأسلاف الذين لم يكونوا في هذه الناحية يعقلون شيئا ولا يهتدون ، حتى إنهم كانوا إذا سمعوا القرآن يقول « اتبعوا ما أنزل الله » ، كانوا يقولون : « بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، !

حتى إذا رفع هذا الحجاب عن قلوبهم ، وعرفوا بطلان ما كانوا عليه في ناحية العقيدة وظفروا بحرية العقل والفكر ، هدوا بفضل ذلك إلى الحق الذي جاء به القرآن وأصبحوا يدخلون في دين الله أفواجا ، وصاروا بعد هذا هم الهداة للحق الذي عرفوه وآمنوا به .

والإسلام حين حرر العقول من الأساطير والأوهام . وحرم عبادة الأوثان والأصنام وأمر بعبادة الله وحده ، قرر حرية العقيدة للناس جميعا بعد أن بين تماما ما هو حق في هذه الناحية ، وبين ما يكون للبؤس وغير المؤمن من جزاء عند الله في الدار الآخرة .

ولهذا نجد القرآن العظيم يقول : « وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر » ، ويقول : « لا إكراه في الدين ؛ قد تبين الرشد من الغي » ، ويخاطب رسوله

المقنع والموعظة الحسنة ، لا بالشدّة ، والغلظة
فما كانت الشدة ولا القتال في أى عصر سيباً
في تثبيت ما ليس صحيحاً أبداً .

ولتسمع في هذا قوله تعالى : « ادع إلى
سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ،
وجادلهم بالتى هي أحسن ؛ إن ربك هو أعلم
بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين » .

ومن المثل الرائعة للدعوة إلى الحق
بالحكمة والموعظة الحسنة ، هذا المثال الذى
نجدّه في هذه الآية التى أمر الله رسوله أن
يتوجه بها لأهل الكتاب الذين اتخذوا
أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله
وصموا آذانهم وقلوبهم عن دعوة الحق ،
وهى :

« قل يا أهل الكتاب ، تعالوا إلى كلمة
سواء بيننا وبينكم ؛ ألا نعبد إلا الله ولا نشرك
به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من
دون الله . فإن تولوا ، فقولوا اشهدوا بأيماننا
مسلمون » .

ومع هذا وذاك ؛ نرى الإسلام يقرر
حرية الفكر والرأى بأوسع معانيها ، ويفتح
باب المعرفة والعلم على مصراعيه ؛ فالرسول صلى
الله عليه وسلم يقول : طلب العلم فريضة على
كل مسلم ومسلمة ، وآيات كثيرة من القرآن

استقر في عقولهم ، وامتثلت به نفوسهم
وقلوبهم . ويكفى أن تذكر في هذا أو ذاك
هذه الآيات من سورة البقرة (١٩٠-١٩٣)

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ،
ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، واقتلوا
حيث ثقتهم ، وأخرجوهم من حيث
أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا
تقاتلوا عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم
فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوا كذلك جزاء الكافرين ،
فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم ، وقاتلوا
حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فإن
انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » .

إن في هذه الآيات من الصراحة ما لا يحتمل
اللبس ، وهى دليل - أى دليل ١ - على أن
الإسلام جاء بحرية الاعتقاد ، وأن ما كان
من قتال بين المسلمين وأعدائهم إنما كان
بعد أن بدأ هؤلاء بالعدوان الشديد الذى
كان لابد من رده ، ولهذا يقول الله تعالى بعد
ذلك في سورة الأنفال : « وإن جنحوا للسلم
فاجنح لها وتوكل على الله » .

إن الإسلام هو دين السلام ، ودين العقل
والفكر ، فليس به من حاجة إلى القوة لحمل
الناس عليه ؛ ومن ثم جاء بالحرية بأوسع
معانيها ، ومنها حرية الاعتقاد والرأى ولهذا
أمر الله رسوله بالدعوة إليه بالدليل الصحيح

إلى بعض الآراء التي لا تتفق والمذهب الرسمى كما هو معروف فى التاريخ .

* * *

وبعد ! إن مجال القول ذو سعة فى الحرية التى جاء بها الإسلام ، الحرية العامة الشاملة . ويسكنى أن نشير بعدما تقدم إلى حرية رأى فى شئون السياسة العامة والحكم التى كانت من الصحابة رضوان الله عليهم أيام الرسول نفسه ، وبخاصة فى الأمور التى لم يحجى فيها الوحي الإلهى بالرأى الحاسم والقول الفصل ، وذلك أيام غزوة بدر وغزوة أحد وغيرهما كما نشير إلى قوله سيدنا عمر بن الخطاب إلى سيدنا عمرو بن العاص : يا عمرو ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ هذه القولة التى لا تزال تدوى أبدا الدهر ، ومنها نعلم أن الإسلام هو الذى وضع أسس الحرية والإخاء والمساواة لا التوراة الفرنسية كما يزعم الجاهلون بالإسلام وتاريخه ، أو المغرضون الذين يكذبون عليه وهم يعلون . بهذه القيمة الإنسانية النبيلة ، أحس الإنسان بأنه إنسان حقا ، وعرف لنفسه منزلتها وكرامتها ، وصار آمنا مطمئنا عزيزا كريما فى كل حال .

(الحديث موصول إن شاء الله)

محمد يوسف موسى

تختتم بأمثال هذه الجمل : « إن فى ذلك لآيات لأولى الأبصار » ، « لقوم يعقلون » ، « لقوم يتفكرون » ، « لقوم يذكرون » .

والقرآن أيضا يبين لنا فى كثير من آياته أنه سخر لنا فى السموات والأرض ، ويطلب منا أن نعمل عقولنا وحواسنا فى فهمه . بل ويجعل من يهمل فى ذلك ولا يستعمل عقله وحواسه فى سبيل المعرفة أدنى من الحيوانات وذلك إذ يقول الله تعالى :

« ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ؛ لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » .

ومن شأن طلب القرآن العلم والمعرفة بكل سبيل ، أن يجعل حرية الفكر والرأى أمرا لا بد منه ، لأن ذاك يستلزم هذا ، ولا يطلب من الباحث إلا بذل الوسع فى استعمال عقله وحواسه كما ينبغي ، ولا عليه بعد ذلك من بأس إذا أخطأ فى بعض ما يصل إليه ، بل إن لكل مجتهد بحق نصيب من الأجر .

وفضلا عن هذا ، فإن تاريخ الإسلام لم يعرف (محاكم للتفتيش) ، (ولا مجامع مقدسة) ، تحجر على العلم والمعرفة ، وتحكم على آلاف وآلاف من العلماء بالحرق وهم أحياء ، أو بالإعدام شنقا ؛ لأنهم وصلوا

تأليهة القرن الثامن عشر

وهل معقدوها مؤمنون؟

للدكتور محمد غلاب

تاريخ العقائد البشرية . ولكي يتيسر لنا القيام بهذه المهمة ينبغي أن نضع على بساط البحث هنا ثلاث معضلات :

أولها كيف نمت التأليهية في القرن الثامن عشر إلى حد أن اختصمت معها المسيحية وجعلت تناورها مناورة الند للند ؟ وثانيها كيف خلط بعض المؤلفين بين التأليهية والإلحاد ؟ .

وثالثها كيف كانت تلك التأليهية في حقيقة أمرها ؟ وما هي المبادئ التي كانت تمثلها إذ ذاك وهل يعتبر معتنقوها من المؤمنين أو من الملاحدة ؟ .

ولكي نتيسر الإجابة على هذه الأسئلة ، ينبغي إلقاء شيء من الضوء على الناحية العقلية في القرن الثامن عشر ، وإبانة الاتجاهات التي لعبت فيه أدوارا هامة كان لها في العقائد وغيرها آثار بارزة ، وإليك البيان :

مما لا ريب فيه أن القرن الثامن عشر هو الذي منح التطورات الغربية تلك الصور المتجلية التي نشاهد اليوم نتائجها واضحة المعالم

من بين العبارات المشهورة في البيئات العقلية قول أحد الباحثين الغربيين : (كان القرن السابع عشر مؤمنا ، والقرن الثامن عشر ملحداً . والقرن التاسع عشر مرتاباً ولا ندرى كيف يكون القرن العشرون ؟)

ولقد نزلت هذه العبارة من المثقفين في الشرق منزلة الحقيقة اليقينية التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها . ونحن حين نتمعن في دراسة إنتاج ذلك القرن المفترى عليه من جهة ، وفي البحوث التي كتبها الأدقاء من معاصرينا عن إنتاجه وروحه

وأهدافه من جهة ثانية ، تبين لنا في وضوح أن تلك العبارة سطحية أو عاتمة ، وأن الملحدين في ذلك القرن لم يكونوا سوى عدد ضئيل وأن الأكثرية الساحقة من أعلامه وأفذاذ مفكره ، كانت مؤلهة . وقد حملنا هذا التباين في الحكم على أن ندرس هذه المفارقات ، الهامة آملين أن فصل من وراء ذلك إلى الكلمة الحاسمة في هذه المرحلة الخطيرة من

السعادة غير ممكنة الاقتناص وقد زعموا أنهم هم الذين سيجدون العلاج الناجع المبرأ من كل هذه الأدوية الخطيرة . وأنهم سيلاحقون السعادة حتى يستولوا عليها بمعونة العقل وحده — ولكن سعادة بشرية فقط تلك التي يعدون وراءها ذلك العدو المتواصل . غير أنه ينبغي أن نشير هنا إلى أن تعقلية

القرن الثامن عشر ، تختلف كل الاختلاف عن تعقلية المدرسة الديكارتية التي لم تكن تعتمد إلا على الجانب الأسمى من العقل ، أى أنها لا تسمح لغير النظر المحض بأن يتدخل في تشييد قضايها ، بينما أن تعقلية القرن الثامن عشر كانت تعول — فى استخراج قواعد الفكر والعمل — على التجربة والاستنباط الفرديين ، وفى هذا يقول دلوكة الذى كان يعتبر أستاذ العصر : (إن أفكارنا بل عقلنا نفسه هو نتيجة الأحاسيس التي تسجلها النفس وثمرة العمل الذي تجر به على ذاتها ، أى أنه ليست هناك أفكار فطرية فى النفس) .

ومعنى هذا أن الإنسان بجهوده الخاصة ، هو الذى يجب أن يكون مرشد نفسه فى وسط هذا الخليط المظلم وأن ينشئ معارفه وينظمها وأن يختار تصرفاته حسب ما يريد ويستطيع . ولقد نجم عن هذا المبدأ الصريح الذى

وأن تلك الحقبة من تاريخ أوروبا ، هى الآونة الحاسمة التى فصلت بين ماضيها ومستقبلها ومن ثم كان من المؤلف أن يقرأ الباحث فى منتجات المؤلفين المحدثين — سواء أكانوا من العلماء أم من النقاد أم من المرتابين أم من الماديين — هذه العبارة (نحن الورثة المباشرين للقرن الثامن عشر)

وفى الحق أن عددا ضخما من المؤلفات قد خصص لدراسة اتجاهات المدنية الغربية فى تلك الحقبة ، وأنها جميعها عنيت بأن تقف وقفة المتمعن عند تلك الثورة العقلية والدينية التى سبقت الثورة السياسية وأعدت لها النفوس والعقول ، والتى كانت شعار ذلك القرن الذى أطلق عليه أعلام مفكره اسم (عصر الأنوار) لأنهم كانوا يهدفون إلى « تبديد تلك الكتلة الكبرى من الظلام الذى غمر الأرض ، على حد تعبير ديدرو ، .

وفى الواقع أننا نرى فى جلاء أن ذلك القرن كان عصر العقلين وذوى الحجج المقنعة والفلاسفة التجريبيين أى أن أفذاذه كانوا أرباب عقول حادة قاسية ونفوس جافة لا تعرف سوى المكائلات والمناضلات ، والنقد الحازم الحاسم ، وأنهم كانوا يأخذون على أسلافهم أنهم ورثهم مجتمعاً سيئاً رديئاً اضطهد الطبيعة واستهان بالعقل ، وجعل

وفكرة الإنسانية . ومنها ما قدمه إلى البشرية في محيط العلوم التجريبية التي جعلت تخطو نحو السكال خطوات متمهلة حيناً ، وسريعة أحياناً .

أما فيما يتعلق ببحوثهم الدينية ، فإننا نعتقد أن أكثرها قد أخفق ، بل كان عنصر فناء مذاهبهم كما يسجل الأستاذ (بول هازار) هذه الحقيقة فيقول : (والآن نصل إلى أخطر أنواع سوء التفاهم الذي فسكك مذاهبهم مادام أن الأمر فيه يتعلق بالصلوات بين الإنسان والإله) .

كان هذا الخصام أو سوء التفاهم الذي أشار إليه ذلك العالم السالف الذكر ناشئاً من حلة المفكرين على المسيحية لأعلى الألوهية من حيث هي ، إذ أنهم كانوا على الضد من ذلك يكادون يجمعون على أن العقل الذي يدينون به ، يحتم أن يكون لكل فعل فاعل ، ولكل نظام منظم حكيم . وفي هذا يقول فولثير : (كنت أتأمل في هذه الليلة وكنت منغمساً في مشاهدة الطبيعة ، وكنت أعجب بعظم وسير وعلائق هذه الكرات غير المنتهية التي لا يعرف الدهماء كيف يعجبون بها وكنت أعجب أكثر من ذلك أيضاً بالعقل الذي يرأس تلك المحركات الواسعة ، وكنت أقول لنفسى ينبغي أن يكون المرء أعنى لكي لا يبهره

قويت حوله الدعايات ، أننا رأينا أولئك الجراء - منذ طليعة ذلك القرن - قد بدءوا أعمالهم بحملة قاسية من التقذ اللاذع تناولوا فيها كل شيء ، فلم تنج من أقلامهم وخطبهم ، بل من هدمهم وتقويضهم أية ناحية من تراث أسلافهم ، فهاجموا العلم والفلسفة والأخلاق والمسيحية والسياسة والحقوق واضعين نصب أعينهم هدم ما هو مألوف من كل تلك الجوانب وإعادة بنائه على أسس جديدة يزعمون أنها غير قابلة للزلزل ، وإن كانت الأيام قد أثبتت فيما بعد أن كثير منها ممكن الزلزل ، بل قد تزلزل فعلاً وسقط خاوياً على عروشه . وما أبدع تصوير الكاتب العصري الفرنسي (بول هازار) لهذا الغرور في كتابه القيم : (الفسك الأوربي في القرن الثامن عشر) إذ يقول :

(سنعالج هنا أوضح ما وجد من العقول المستنيرة وإن كانت قد خلفت في فلسفتها الشفافة متناقضات سيفيد منها الزمن عند ما تقع هذه الفلسفة تحت فعله القارص) .

ومهما يكن من الأمر ، فإن إنتاج القرن الثامن عشر مشتمل - ككل نواحي الحياة - على الخير والشر ، والحسن والسوء . فمن محاسنه أنه سما بحقوق الإنسان ، كالعدالة والمساواة أمام القانون ، والحرية والتسامح

لم يهروا في الإلحاد إلا بسبب شرفهم الطبيعي
ولسكنهم رضعوا الخرافات مع ابن مراضعهم
وحينئذ خلطوا بين الخرافات والدين وذلك
سوء فهم خليق بالصفح ، ومع ذلك فإن
إصلاح الملحد أيسر من إصلاح المتحمس
أو المتعصب .

غير أن المسيحيين قد نظروا إلى هذه الرحمة
على أنها تودد إلى الملاحدة وانعطاف نحوهم
(وشبهه الشي. منجذب إليه) كما يقولون .
وقد آمن أولئك المتدينون في اتهام هؤلاء
الأعلام إلى حد أن أعلنوا في صراحة أن
التأليهية ليست سوى إلحاد مقنع ، وأنه لا فرق
بين معبودي المؤلهين والماديين إلا في التسمية
فالأول يدعى بالآله ، والثاني يدعى بالطبيعة .

ومما لا ريب فيه أن هذا الخلط بين الحق
والباطل والافتئات على أولئك المفكرين ،
والنهم الجزافية التي صوبت إليهم بغير حساب
كل ذلك يدفعنا إلى أن نقف هنيهة عند هذه
التأليهية المظلومة ، لتبين الفرق بينها وبين
الإلحاد إحقاقا للحق ووضعاً للأمور
في نصابها وسكن ينبغي قبل ذلك أن نشير
إلى أن الملاحدة والماديين والمؤلهين -
وإن اختلفت عقائدهم وتباينت مبادئهم .

كانوا جميعاً متفقين في شيء واحد وهو
الهجوم العنيف على المسيحية ، ولعل أهم

هذا المظهر ، وينبغي أن يكون غيباً لسكى
لا يقر بمنشئها ، وينبغي أن يكون مجنوناً
لسكى لا يعبد (١) .

من هذا النص وأمثاله يتبين جلياً أن أولئك
المفكرين لم يكونوا ملاحدة ، وأنهم كانوا
في جميع المناسبات يدفعون عن أنفسهم بكل
مالديهم من قوة تهمة الإلحاد . غاية ما في الأمر
أن غلبة روح التسامح عندهم قد جعلتهم
أقل من معاصريهم قسوة على الملحدون الذين
كان الرأي العام حتى ذلك الحين يعتبرهم
مفسدين مجرمين . وسر هذا التسامح هو أنهم
- بدلاً من اعتبار الملحد كأنه مجرم - كانوا
يغتبطون بأن يمنحوه شيئاً من (الظروف
الخفيفة) كأن يقولوا مثلاً : قد لا يكون
الملحد إلا رجلاً مخدوعاً .

على أنه إحقاقاً للحق ، كان هناك نوعان
من الملحدون ، أولهما الملحدون الفاسقون الذين
لا أخلاق لهم ، والذين هم ضد الدين ؛ لأن
الدين يشهد ضد حياتهم ، وهؤلاء يستحقون
الذم . وهناك أيضاً ملحدون فضلاء يحبون
ما هو خير ومعقول وجميل . وكان هؤلاء
يعزون الإنسانية ، ويبدون اجتماعيين ، وهم

(١) انظر مادة الدين من « أسئلة حول دائرة
للمعارف » في سنة ١٧٧١ . تأليف فولتير .

العريضة التي رسمها أولئك المفكرون ،
لإلههم إذ يقولون : في الواقع إن نظرة واحدة
تلقى على الخلق تكفي لملاحظة نتائج جديدة
بالإعجاب . ولما لم يكن من المستطاع تصور
نتائج بلا علة ، فإنه ينبغي إذن فرض علة
أولى ، ولأنه لا توجد ساعة بلا (ساعاتي)
وأن لدينا أمام أعيننا ساعة جيدة الضبط
فإنه يوجد إذن عامل ماهر قد صنعها ، وأنه
هو الذي ينظم ضبطها وهو الإله :

لآية غاية انتزع الإله العالم من العدم ؟ حقاً
إن الإجابة محيرة ، ولكنه يكون أشد مدعاة
للحيرة أيضاً أن يقر الإنسان فرض عالم
لم ينشئه أحد ، وهو يسير بالمصادفة ، ولا
يتجه نحو أية غاية . ولا جرم أن هذا يساوي
القول بأن كائنات عاقلة يمكن أن تخلق بلا
تدخل العقل . وإذن فيجب علينا حسب
المنطق القويم ، أن نفضل العسير على المستحيل ،
وأن نقر العلل الغائية ، وذلك حل يمكن
أن يكون مرضياً .

إن التأليه يحقق نوعاً من التطهير ، ففي
الواقع أننا إذا محونا كل ما يبدو لنا خرافياً
في كل مذهب ، فإنه في نهاية هذه الانمحاءات ،
سيبقى الإله ، ولكنه إله غير معروف وغير
يمكن المعرفة . ومن ثم فإنه لا يكاد يحتفظ
له بغير الكينونة ولا يعطى من بين جميع

الأسباب الدافعة إلى هذه الحملة هو أن
المسيحية في ذلك العهد لم يكن لها مدافعون
عابرة كأولئك الأعلام الذين استطاعوا
في القرن السابع عشر أن يسحقوا خصومها
من الملاحدة والزنادقة والمتحليلين ، وأن
يأخذوا بيدها إلى عرش الغلبة والانتصار
أمثال : باسكال ، وبوسويه ، وفينيون ،
وماسيون ، وبوردالو ، ومن إلههم .
وهذا الضعف من جانب المدافعين هو الذي

سمح للتأليهية بأن تقوى وتقف من المسيحية
موقف المحاصمة ، وبالتالي هذه هي الإجابة
على سؤال المعضلة الأولى كما أن تعبير
المتدينين بأن (التأليهية إلحاد مقنع) هو سر
الخلط بين المبدئين ، وهذا كله يدفعنا إلى
إلقاء الضوء على التأليهية كما وعدنا بذلك آنفاً
وإليك البيان .

كان المؤلهون من أعلام القرن الثامن عشر
يرتفعون بإلههم عن أن يكون محلياً
أو موضوعياً ، أو خاصاً بجنس معين من
البشرية ، ويجزمون بأن أولى خصائص
الألوهية الصحيحة هي العمومية ، وأن
الدين الحق هو الذي لا يبتذ أحد ولا يدين
طائفة ، والذي يسمح لجميع أفراد البشرية
بأن يسهموا في الإيمان به وإليك الخطوط

الاستاذ پول هازار وإليك هذا التلخيص :
 (الواقع أنه - بدلا من العمومية التي كان
 يراد الوصول إليها - قد انتهت الحالة إلى
 التشتت ، وإلى العزلة وإلى تباينات قابلة
 للإلتقاض حتى إزاء الجزم البسيط وهو (إننى
 أومن بالإله) لأنه كان يذبح معرفة أى إله
 ذلك الذى يجب الإيمان به ، إذ أن المرء
 حين ينظر عن كسب ، يلاحظ أنه لم توجد
 تألهية واحدة ، بل تألهيات متعددة متباينة ،
 بل متعارضة ، بل متنازعة . فمثلا : تألهية
 پوب ليست هى تألهية فولتير ، وتألهية
 فولتير جد بعيدة عن تألهية ليسينج .
 وحيث كان الأمر كذلك ، فإن وحدة
 الإيمان كانت قد انقضت قطعا . .

والآن - لإيضاح هذا كله ، ولإبانة كل
 من تلك التألهيات المختلفة فى حقيقتها وشرح
 مبادئ كل منها على حدة ومعرفة الفروق
 الدقيقة بينها وتوضيح النقاط الأساسية التى
 تبعد صاحبها عن الدين الموحى به يجب أن
 نمر ولو مسرعين ، بتألهيات أولئك
 المفكرين ، وموعنا العدد المقبل إن شاء الله .

دكتور محمد غلوب

النعوت الممكنة سوى أشدها إبهاما وأكثرها
 إجلالا ، وقد دعى بالموجود الأسى ، وهو
 لا بد من إجلاله ، ولا يمكن إجلاله إلا
 بالعبادة الباطنية التى تشوى فى النفس .
 وقصارى القول : إن إقرار المرء فى العموم
 بوجود أول ، وتوجيه قلبه من وقت إلى
 آخر نحوه ، وامتناعه عن الأفعال التى تخل
 بالشرف فى البيئة التى يقيم فيها ، وتأدية بعض
 الواجبات فى المجتمع ، هذا هو الضرورى
 الوحيد ، وكل ما يبق بعد ذلك هو عرضى .

ذلك هو يحمل العبارات التى صور بها
 المؤلهون إلههم العام ، وهى كسفية بإبراز
 الفرق الواضح بين التألهية والإلحاد .
 وصريحة فى الإيمان بإله هو قمة السمو ، وإسكن
 هل حسبنا هذه النتيجة الضئيلة ؟ وهل كان
 من الممكن حقاً أن تسكتنى الإنسانية بدين
 عام أجرد بلا وحى ولا أوامر ، ولا نواه ،
 ولا تعاليم ولا طقوس ، ولا معابد ؟ بل
 هل وصل أولئك المفكرون إلى الهدف
 الذى كانوا يرمون إليه من تحقيق دين عام ،
 أو وحدة اعتقادية شاملة للإنسانية جمعاء ؟
 إننا سنجد الرد الشافى الذى يلخص إجابات
 أدق الباحثين على هذه الأسئلة فى كتاب

إفريقيا الجديدة والإسلام

للدكتور جمال الدين الرمادى

الذى حل) يضم السنغال والسودان الفرنسى الذى كان أهم مستعمرة لفرنسا فى غرب إفريقيا ، وقد كانت فرنسا لا تألو جهداً فى سبيل نحو الثقافة العربية فى هذه البلاد ومنع البعثات الدينية من السفر إلى القاهرة لطلب العلم فى الأزهر الشريف . كما كانت تحارب الجزائريين بجنود هذه البلاد فيحارب المسلم أخاه المسلم .

استقلال نروم :

كما استقلت توجو و توجولاند سابقا ، فى أبريل عام ١٩٦٠م ورفعت الوصاية الفرنسية عنها ، وقد احتلت توجولاند منذ تسعين عاما وظلت السيادة الألمانية عليها حتى الحرب العالمية الأولى حيث استطاعت إنجلترا وفرنسا احتلال جزء منها وأقرت عصبة الأمم حكم الأمر الواقع وأصبح لكل من الدولتين الحق فى الحكم فى ظل الانتداب الذى تحول إلى الوصاية بعد الحرب العالمية الثانية . وجرى استفتاء شعبى فى توجولاند البريطانية وتم بعد ذلك انضمام القسم البريطانى ومساحته ١٣ ألف ميل إلى غانا . أما القسم الفرنسى فقد اقترح إجراء انتخابات جديدة تحت إشراف الأمم المتحدة وتمت الانتخابات بفوز حزب الوحدة الذى تزعم حركة الاستقلال

أصبحت إفريقيا تضم بين جنباتها دولا مستقلة كثيرة بعد أن كانت قارة المستعمرات التى يستغلها الأجانب استغلالا رهيبا ويستولون على ثمراتها ويستأثرون بخيراتها ويستعبدون الأحرار فيها ، فقد شهدت الشهور الماضية استقلال غانا وتوجولاند والسكونغو والكيريون وصوماليا واتحاد مالى وغيرها من المستعمرات القديمة فى القارة البيضاء التى أطلق عليها الدخلاء اسم القارة السوداء . وقد استقلت فى ٢٦ يونيو الماضى جزيرة مدغشقر القريبة من الساحل الشرقى لإفريقيا وأصبحت تعرف باسم جمهورية ملجاس وعدد سكانها خمسة ملايين ومساحتها ٧٤ ألف ميل مربع ، كما أعلن استقلال داهومى وساحل العاج والنيجروفولتا العليا وسيملى فى أكتوبر المقبل استقلال نيجيريا ويجرى قبل مارس عام ١٩٦١ استفتاء بين أهلها الذين يبلغ عددهم مليون وربعائة ألف نسمة ، يقررون فيه ما إذا كانوا ينضمون إلى نيجيريا المستقلة أم جمهورية الكيريون ، وفى سبتمبر الحالى تنال تنجانيقا الحكم الذاتى كما تتطلع أوغنده نحو هذا الحكم .

اتحاد مالى :

أما اتحاد مالى (فكان قبل الخلاف

البعثات فيها على نشر الكاثوليكية . وبين سبعين ألف أوربي يعيشون هناك يوجد عشرة آلاف من هذه البعثات ، وهذا يدل دلالة قاطعة على خطورة مهمتها وليس من شك في أن الإسلام سوف يعود إلى صولته القديمة باستقلال هذه البلاد .

والكمبروه :

وقد استقل كذلك الكيرون في أوائل هذا العام وهو الجزء الأكبر من مستعمرة الكيرون الألمانية القديمة التي حصلت عليها ألمانيا عام ١٨٨٤ ثم تقاسمتها بريطانيا وفرنسا فيما بينهما في أعقاب الحرب العالمية الأولى ونالت فرنسا الجزء الشرقي وبريطانيا الجزء الغربي ثم وضع الجزء الشرقي تحت وصاية الأمم المتحدة منذ ١٣ عاما .

استقلال الصومال :

انتهت الوصاية الإيطالية على الصومال وانتهت الحماية البريطانية قبلها في شهر يوليو على الجزء الثاني من الصومال وأعلن ميلاد اتحاد جديد في إفريقيا هو اتحاد الصومال الذي يبلغ عدد سكانه مليونين .

أما اتحاد الصومال الكبير فيشمل ثلاثة أقاليم أحدها يخضع لفرنسا والآخر ضم إلى كينيا والثالث هو إقليم أوجادين بأثيوبيا

وفشل اتباع الانضمام إلى فرنسا، وتقع توجولاند بين نيجيريا وغانا ومساحة الجزء الفرنسي حوالي ٢٢ ألف ميل مربع ، ويعيش في توجولاند مليون إفريقي إلى جانب ألف أوربي والعاصمة هي لومي وعدد سكانها ٧٠ ألف نسمة وبها ثروة كبيرة من الحديد والفوسفات وكثير من المعادن غير منتجات غرب إفريقيا الزراعية مثل الكاكاو والبن وجوز الهند . وقد كان المستعمرون يحاولون أن تدفع إفريقيا ثمن تعمير أوربا وما خربته الحرب وأن تقدم مواردها من أجل هذا التعمير

والكونغو :

أما الكونغو فقد استقل في ٣٠ يونيو سنة ١٩٦٠ بعد أن ظل فترة طويلة تحت حكم بلجيكا منذ أن اكتشفه ستانلي الرحالة البريطاني عام ١٨٨٢ وهو يعمل في خدمة الملك ليوبولد الثاني ملك بلجيكا باستقلال الكونغو وتحطم سلطة بلجيكا على هذه البقاع بعد أن ظل الملك ليوبولد مالكا شخصيا لأرض الكونغو ثم آلت ملكيته إلى الحكومة .

والكونغو من أكبر البلاد الإفريقية وأغناها إذ تبلغ مساحتها ٩٠٠.٠٠٠ كم أي مثل مساحة الهند كلها وأكبر من مساحة غرب إفريقيا وسها نهر الكونغو سادس نهر في العالم طولاً وأوسعها على الإطلاق وتعمل

الجنوب والجنوب الشرقى ، ولما آل الملك إلى ساندبانا استطاع أن يجعل من مملكته الصغيرة امبراطورية عظيمة هي « امبراطورية مالى » ، وقد اتسعت رقعة هذه الامبراطورية وبلغت درجة كبيرة من الجاه والسلطان فى عهد الخليفة منسى موسى الذى استطاع قواده أن يستولوا على تمبكتو وأن يضموا جوا فى أواسط النيجر ، كما امتدت مملكته من بلاد التسكرور غربا إلى ولدى شرقا ومن ولاتا فى الصحرا . إلى قوتاجالون جنوبا وكانت القوافل الآتية من مراكش وبرقة ومعدتزرور مالى بانتظام وكانت زيارة « منسى موسى » للأراضى المقدسة تحدث دويا كبيرا وصدى عظيما لأنه كان يحج مع عدد كبير من أتباعه ويصحب معه نخبة كبيرة من العلماء نذكر منهم أبا إسحاق الساحلى أو السهلى من أهل غرناطة فى الأندلس وقعد بنى مسجدا فى جوا ومسجدا آخر فى تمبكتو ويقول ابن بطوطة : إن المسلمين من أهل مالى يحافظون على أداء صلواتهم ويرتدون الثياب البيض يوم الجمعة ولو لم يكن لأحد إلا قميص خلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة كما أنهم يعتنون بحفظ القرآن الكريم ويضعون لأولادهم القيود إذا قصرُوا فى حفظه ولا تفك عنهم القيود حتى يحفظوه . كما أنهم يواظبون على الصلاة ويلتزمون أداءها فى الجماعات ويضربون أولادهم إذا انصرفوا عنها ، وإذا

وهذا الإقليم كانت بريطانيا قد أهده إلى الحبشة مكافأة لها على اشتراكها فى إخماد ثورة المهدي فى الصومال ، ثم عادت فأكدت هذه المكافأة بمعاهدة ١٨٩٧ وقد اعترفت فيها بالمصالح الحبشية فى أوجادين وهو إقليم يضم ٣٠٠٠٠٠ صومالى كلهم من المسلمين ويعد أغنى جزء فى الصومال ، من الناحية المعدنية وثروة الغابات ، كما يقال إن به بعض آبار زيت البترول وقد بدأ الاستعمار الإيطالى بالصومال منذ ٧٢ عاما بالاتفاق بين سلطان زنجبار وإيطاليا على تأجير موانئ بنادر لمدة خمسين عاما وبعد عشرين سنوات ، تقريرا احتاج السلطان إلى مال فباع هذه الموانئ لإيطاليا مقابل ١٤٤٠٠٠ رجنيه وكانت هذه هى بداية الاستعمار الإيطالى وقد أيدت إنجلترا فكرة الوحدة على شريطة أن تتم بين الصومال الإيطالى والبريطانى فقط وتعتبر فرنسا الصومال الفرنسى جزءا من الاتحاد الفرنسى وقد تمت الوحدة فى الصومال على هذا الأساس .

نسبة كبيرة من المسلمين :

ومما يثلج صدر المسلمين أن هناك نسبة كبيرة من المسلمين فى هذه الدول وأن الإسلام وصل إليها منذ أبعد الحقب والأزمان ، وقد اعتنق ملوك الماندونجو الإسلام فى كنجابا وفى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى ، ثم بدوا يوسعون مملكتهم فى

ابن عبد الله بشن الحرب ضد الانجليز ، فالتف حوله نفر كبير من الصوماليين ، وانضمت إليه قوات ضخمة من الدراويش الذين تدفقوا من المناطق الشرقية والجنوبية الشرقية ومن مناطق الصومال الخاضعة للإيطاليين وأهل الحبشة ، وأعلن نفسه خليفة للطريقة الصالحية وهي إحدى الطرق الصوفية التي اعتنق مبادئها أثناء تأدية فريضة الحج ، فالتف حوله عدد كبير من الصوماليين وتحمسوا لها تحمسا شديدا وأصبحت شوكة في جانب البريطانيين الذين أرسلوا الحملات تلو الحملات لإخمادها فكلفتهم كثيراً من الأرواح والأموال ، وقد انتشر التعليم الإسلامي في الصومال في القرن العشرين ، وقام المشايخ بتأسيس جميع أنواع المدارس في المراكز الإسلامية ويطلق على المعلم شيخ أو فقيه .

ويملك بعض الشيوخ قطعاً من الأراضي يوقفونها على هذه المدارس ، وعلى تحفيظ الصبئية القرآن الكريم والحديث الشريف ، ولتخريج عدد من علماء الدين .

ولكن هذه الدول الجديدة لا تزال في حاجة ملحة لرعاية الإسلام فيها بإرسال البعثات لنشر الدين وبث التعاليم الصحيحة التي تخرج الناس من الظلمات إلى النور .

دكتور جمال الدين الرمادي

جاء يوم الجمعة هرعوا إلى المساجد لأداء الصلاة فلا يجد المصلى مكاناً له إلا إذا بكر بالذهاب إلى المسجد .

الإسلام في الصومال :

ويوجد في الصومال عدد كبير من المسلمين ويقال إن عربياً عريقاً في الأصل أجبر على أن يغادر بلاده فعبر البحر إلى (عدل) وأخذ يدعو للإسلام في تلك البلاد ، وفي القرن الخامس عشر الميلادي جاءت من حضرموت جماعة مكونة من أربعة وأربعين عربياً نزلوا في بربرة على البحر الأحمر ، وتفرقوا في بلاد الصومال وأخذوا ينشرون الإسلام ، وقد شق أحد هؤلاء اللاجئين وهو الشيخ إبراهيم أبو زباي طريقه إلى هرر في حوالي سنة ١٤٣٠م واستطاع أن يجعل كثيرين من أهلها يدخلون في الإسلام ، ولا يزال قبره موضع إجلال وتعظيم من أهل هذه المدينة ، وبالقرب من بربرة جبل سمي جبل الأولياء تخليداً لذكرى هؤلاء الدعاة الذين يقال إنهم كانوا يجلسون هناك في خلوة قبل أن ينتشروا في هذه البلاد للدعوة إلى دين الله ، وفي أوائل القرن السادس عشر كان كل سكان الصومال قد تحولوا إلى الدين الإسلامي عن طريق استقرار العرب من اليمنيين وغيرهم في المراكز التجارية الساحلية .

مجاهد مسلم :

وقد قام أحد الزعماء الصوماليين وهو محمد

كَلِّدْ ، لَا يَنْتَفِعُ الْمَيِّتُ بِعَمَلِ الْحَيِّ

لِلْأَسْتَاذِ عَمْرِو بْنِ الْجَنْدَرِ الْبَهْتَمِيِّ

نشرت مجلة الأزهر في عدد رجب من سنة ١٣٧٩ هـ مقالا للأستاذ محمد عبد الحميد البوشى رداً على كلمتي التي نشرت في عدد جمادى الأولى بعنوان (هل ينتفع الميت بعمل الحى ؟) وقد أيد فيه رأى القائل بأن الميت ينتفع بعمل الحى .

وللأستاذ البوشى العذر لأن البدعة إذا اعتيد العمل بها تمسكنت في النفوس وصارت ملكة يصعب تركها فتكون هي السنة .

واليوم أعود للكتابة في هذا الموضوع متناولا الأمر من ناحيتين :

أولا : الرد على الدعوى التي اقتبسها الأستاذ البوشى من كلام بعض المتأخرين المقلدين من الفقهاء .

ثانيا : النظر في أدلته التي استند إليها في تأييد دعواه .

أما عن الناحية الأولى فأقول : إن الشريعة ليست إلا ما بينها النبي عليه الصلاة والسلام بقوله (تركت فيكم ما إن تمسكتم به إن تصلوا بعدى كتاب الله وسنة رسوله) والكتاب والسنة ينفضان هذه الدعوى على ما سنبينه بعد : وقبل أن أبين ما قرره القرآن والسنة

العملية أبين ما قرره الفقهاء وأئمة الحديث من القواعد المسألة التي ستكون أساساً للرد وهي أولا : قرروا أن الرأى والقياس العقليين وهما اللذان لا يستندان إلى دليل شرعى لا يكونان في العقائد والعبادات لأنها لا تعلم إلا من الشارع .

ثانيا : قرر أئمة الحديث بأن من علامات وضع الحديث مخالفته لظاهر القرآن مع عدم إمكان التوفيق بينهما بتأويل تجيزه القواعد الشرعية والأوضاع اللغوية .

ثالثا : المقرر عند الفقهاء أن العبادات البدنية المحضة كالصلاة والصوم لا تصح فيها النيابة في الحياة ولا بعد المات .

رابعا : ثواب العبادات يكون لفاعلها ولا ينتقل منه إلى غيره بأى نوع من أنواع التملك لأنه معنى من المعاني غير معلوم المقدار لاعتنا من الأعيان التي تملك وتعين . وهاك ما قرره القرآن : قرر القرآن قاعدة عامة من قواعد الإسلام ، هي مسئولية كل إنسان عن عمله : قال الله تعالى ، أم لم ينبا بما في صحف موسى ، وإبراهيم الذى وفى ، ألا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس

وأما عمل القرب للأموات من غير الأولاد كقراءة القرآن والصدقة والذكر فلم يرد بمشروعيته نقل عملي ولا حديث صحيح . ولو كان عمل القرب للأموات غير الدعاء والصدقة من غير الأولاد لو لديهم مشروعا لفعله النبي عليه الصلاة والسلام ولو مرة تشريعا لأمته ولتوفرت الدواعي على نقله والعمل به بمن شاهده من الصحابة وانتشر ذلك في سلف الأمة .

كما أن جعل الإنسان ثواب عمله لغيره لا يكون إلا بالهبة أو الإهداء وكلاهما يقتضي وجود المهدى له أو الموهوب له حتى يتحقق القبول والقبض اللازمان للهبة أو الإهداء والمهدى له أو الموهوب له وهو الميت معدوم فلا يتحقق القبول والقبض ولا التسليم والتسلم ولو شرعت الهبة أو الإهداء في الثواب لصح بيعه وشرأؤه ولتسابق الفقراء إلى بيعه للأغنياء ، ولم يقل بذلك أحد .

ثم ننتقل إلى الناحية الأخرى . وهي الأدلة التي اعتمد عليها الأستاذ في رأيه : أما تضحية النبي عليه الصلاة والسلام بكبش عن فقراء أمته الأحياء في زمنه فقد أقام النبي نفسه نائبا عنهم في أمر عيني تجوز النيابة فيه في الحياة وبعد المات جبراً لحاظهم ورفعاً لشأنهم أمام الأغنياء فالنبي عليه الصلاة والسلام ثواب التضحية والفقراء شرف

للإنسان إلا ما سعى . الآية وقال تعالى : « هل تجزون إلا ما كنتم تعملون » وقال : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » إلى غير ذلك من الآيات الدالة بطريق أدوات الحصر التي هي أقوى الدلالات على أن الإنسان لا ينفعه ولا يضره إلا عمله لنفسه دون عمل غيره ، وهذا هو ما فهمه الصحابة رضي الله عنهم من نصوص القرآن حتى قال ابن عباس لا يصلي أحد عن أحد ولا يصوم أحد عن أحد ، وقالت مثله السيدة عائشة وهذا هو ما تقتضيه العدالة الإلهية وتستسيغه العقول السليمة ، وقد استثنى الشارع من هذه القاعدة عمل البر من كان الشخص سببا في وجوده وهم الأولاد بالنسبة للوالدين ، فعمل البر من الأولاد للوالدين مشروع في أمرين متفق عليهما وهما الدعاء لهما والصدقة عنهما وأمور تختلف في مشروعيتها لهما وهي الصلاة والصوم والحج وغيرها من العبادات التي كانت عليهما لله ولم يؤدياها في حياتهما كما يعلم ذلك من وقائع فتاوى النبي عليه الصلاة والسلام لمن سألوه فإنها كلها كانت منه للأولاد عن والديهم وهذا لا ينقض القاعدة العامة التي قررها القرآن .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينفع به أو ولد صالح يدعو له) .

النيابة عنهم . على أن هذه واقعة حال بما
اختص به النبي عليه الصلاة والسلام .
وحديث عائشة رضى الله عنها (من مات
وعليه صوم صام عنه وليه) يتعين أن يراد
من الولي الولد جمعا بين الروايات لأنها
القائلة لا يصلى أحد عن أحد أى من غير
الأولاد كما قال ابن عباس رضى الله عنه
فهى من المسائل المستثناة من القاعدة العامة
التي قررها القرآن وشتمتها آية د وأن ليس
للإنسان إلا ما سعى . فلا احتجاج به ساقط
وحديث إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه
المروى عن ابن عمر قال الأستاذ : إنه إذا
كان الميت يعذب ببكاء أهله عليه أفلا يسر
وينعم بقراءة القرآن له ؟ وهذا
فضلا عن كونه قياسا عقليا فى أمر تعبدى
فقد أنكرت هذا الحديث السيدة عائشة
وخطأت ابن عمر فى سماعه للفظه أو فهمه
لمعناه وقالت وفى القرآن ما يكفيناكم ولا تزر
وازرة وزر أخرى ، وحديث اقرءوا يس
على موتاكم قال الدار قطنى هذا الحديث
ضعيف الإسناد والمتن وفيه جهالة أبى عثمان
وأبيه وقد قال ابن العربى : كل ما روى من
الأحاديث مرفوعا فى سورة يس لا أصل له .
ثم يقول الأستاذ : قال العلماء (إن قضاء
الدين عن الميت يسقطه من ذمته ولو كان من
أجنبي أو من غير تركته وإذا كان الميت
ينتفع بإسقاط الدين عنه من الحى وإبراء

ذمته منه فكذلك ينتفع بإهداء الثواب
أو هبته له ولا فرق بينهما وهذا مردود
بأمرين أحدهما أن هذا قياس عقلى فى أمر
تعبدى . ثانيهما : قوله ولا فرق بينهما غير
مسلم لأن الدين من الأعيان الموجودة المعلومة
المقدار كالذهب والفضة فتصح النيابة فيه
فى الحياة وبعد المات بوصية وبدونها من
تركة الميت أو من تركته غيره بخلاف الثواب
فإنه عدم وغير معلوم المقدار إلا الله فالفرق
بينهما ظاهر ، وما نقله من كتاب الروح
لابن القيم من أن ثواب القراءة ملك للقارى
يتصرف فيه كيف يشاء فإذا أهداه إلى الميت
يصل إليه كما يصل ثواب الصوم والحج ،
خطأ ابن القيم فيه العلماء بأن هذا ، على فرض
تسليم وصول ثواب الصوم والحج إلى الميت ،
قياس عقلى فى الأمور العقلية وبأن ثواب
الصوم والحج لا ينتقل إلى غير فاعله بأى
نوع من التصرفات التى تفيد الملكية لأنه عدم
وبأنه ليس عينا حتى يملك . وبأن هذا القول
مخالف لظاهر القرآن فلا يعول عليه - انظر
تفسير القرآن الحكيم لآية ولا تنكسب كل
نفس إلا عليها من سورة الأنعام - وما نقله
عن الشوكافى من أن أهل السنة قالوا إن
للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره مردود
بما قررناه من أن السنة العملية التى جرى
عليها النبي عليه الصلاة والسلام وسلف الأمة
على خلاف ذلك وأن الثواب عدم فلا ينتقل
(البتة على صفحة ٣٢٦)

النحويين التجديد والتقليد للأستاذ عبد الخالق عظيم

قواعد النحو ثمرة لجهود صادقة موفقة
بذلها النحويون في سبيل استقرار كلام العرب
ومشاهدة الفصحاء .

وقد حرص كل واحد منهم على أن
يستدرك على سابقه وما زال باب الاجتهاد
في النحو مفتوحاً على مصراعيه لم يزعم أحد
أن النحويين فوق مستوى الشبهات أو أن
قواعدهم لها قداسة وحرمة .

فهذا أبو الفتح يقول في الخصائص في باب
القول على إجماع أهل العربية متى يكون
حجة ١ - ١٨٩ : لم يرد من يطاع أمره في
قرآن ولا سنة أنهم لا يجتمعون على الخطأ

كما جاء النص عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قوله أمتي لا تجتمع على ضلالة ...
ولإنما هو علم منتزع من استقرار هذه
اللغة فكل من فرق له عن علة صحيحة وطريق
نهجة كان خليل نفسه وأبا عمرو فكريه .

ويقول أبو حيان في كتابه البحر المحيط
٢ - ٣١٧ : وليس العلم محصوراً
ولا مقصوراً على ما نقله وقاله البصريون

ويقول أيضاً ٤ - ٢٧١ ولسنا متعبدين

بأقوال نخاة البصرة وينبغي أن يكون نقد
النحو قائماً على الاستقرار والاستقصاء
فيكشف عما في قواعده من قصور وما وقع
فيه النحويون من تقصير أما المهاجمة عند
سنوح أول خاطر أو عروض نزوة من
نزوات الفكر فهذا مما ينبغي ألا يكون
عرض لنقد النحويين ابن مضاء القرطبي
المتوفى سنة ٥٩٢ هـ في كتابه الرد على النخاة^(١) .

ولم ينفذ في نقده إلى جوهر النحو وإنما
أدار حديثه في كتابه على أمور ثلاثة
لم يتجاوزها وهي العوامل - التعليقات -
التمارين الفرضية .

والعوامل في صناعة النحو إنما هي أمارات
ودلالات فوجود إن في الكلام يحمل المتكلم
على نصب الاسم ورفع الخبر وهكذا غيرها ،
هذا هو اعتبار النحويين لتأثير العوامل
في الكلام .

وقد بالغ ابن مضاء في تصوير العوامل
عند النحويين ونسب إليهم ما لم يصدر عنهم

^(١) نقدت هذا الكتاب في مقال سابق .

بالإشراف على تأليف كتب القواعد في وزارة التربية والتعليم . ففرض هذه التسمية فرضاً في كتب الابتدائي والإعدادي، ونحن لا نقول: إن هذه التسمية خطأ ولكننا نقول : إنها لا تناسب المبتدئ في النحو .

الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر أوضح وأدل على المراد من المسند والمُسند إليه ولو كان هذا الجمع يوحد أحكام البابين ويزيل ما بينهما من فروق لقلنا هذا تيسير طريف يجب أن نترسمه .

ولكننا نرى أن الفعل إذا تقدم على الفاعل تجرد من علامتي التثنية والجمع ، وإذا تأخر عن الفاعل لحقته ضمائر التثنية والجمع .

فالتعبير بالمسند والمُسند إليه ليس فيه غناء عن دراسة أسلوب الفاعل ومعرفة أحكامه . والأساتذة مؤلفو النحو الابتدائي قد طالبوا التلميذ المبتدئ بمعرفة هذه الأحكام في تمريناتهم وأغفلوا الإشارة إليها في قواعدهم وهذه هي تمارينهم .

(١) ابدأ بالآية بالمسند إليه .

خرج الصديقان في رحلة - يفوز الملتفون إلى دروسهم - أمسك الشرطيان اللص .

(٢) ابدأ بالآية بالمسند .

المصلون وقفوا صفواً - القاريان يتسابقان

كما نسب إلى ابن جني أنه أنكر العوامل وكتب ابن جني تنطق بغير ذلك .

على أن ابن مضاء قد اعترف في مقدمة كتابه بأن النحويين قد بلغوا الغاية فيما أرادوا قال :

وقد وضع النحويون صناعة الكلام لحفظ كلام العرب من اللحن وصيائنه عن التغيير فبلغوا من ذلك الغاية التي أموا ، وانتهوا إلى المطلوب الذي ابتغوا .

ثم ألف الأستاذ إبراهيم مصطفى كتابه إحياء النحو سنة ١٩٣٧ ، وسلك طريق ابن مضاء في نقد نظرية العوامل .

ولما وجد أن "إن" تنصب المبتدأ وترفع الخبر وهذا يخالف أصوله قال : إن نصب الاسم بعد إن . جاء عن طريق الوهم والغلط ، وهذه عبارته في إحياء النحو ص ٧٠ .

لما أكثرنا من إتباع إن بالضمير جعلوه ضمير نصب ووصلوه بها وكثر هذا حتى غلب على وهمهم أن الوضع للنصب ، فلما جاء الاسم الظاهر نصب أيضاً .

كما رأى الأستاذ إبراهيم مصطفى أن يجمع الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر في باب واحد يسمى باب المسند والمُسند إليه ص ٥٣-٥٤ محتجاً بأن سبويه فعل ذلك في كتابه .

ثم سنحت الفرصة للأستاذ إبراهيم مصطفى

- في الماء - المسافرون يعودون اليوم -
الزهرتان تفتحتا .
- وسيويوه كما عبر بالمسند والمسند إليه عبر
بالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر في مواضع
كثيرة جدا من كتابه .
- بل لو التزم سيويوه هذا التعبير لم يكن صنيعه
هذا ملزما لنا ، إذ في كتاب سيويوه من
الاصطلاحات ما لا يناسب المبتدئ ولا
غير المبتدئ .
- فقد سمي سيويوه الحال خبرا (١ / ٢٠٣ -
٢٤١ ، ٢ / ٢١٦) .
- وسمى التوكيد نعتا (١ / ١٤٠ - ٢٧١) .
وسمى النسق بدلا (٢ / ٢١٦) .
وسمى المقصور منقوصا ٢ / ٩٢ .
- فهل من تيسير النحو أن نأخذ عن سيويوه
مثل هذه المصطلحات . وقد يما سئل رجل بكم
اشتريت هذه السمكة؟ فقال بدرهمان فقيّل له:
لم قلت بدرهمان ولم تقل بدرهمين؟ قال : لأن
سيويوه قال في كتابه ثمنها درهمان .
- ألزم هؤلاء الأساندة أنفسهم التعبير بالمسند
والمسند إليه في كتب الابتدائي والإعدادي .
عبروا عن فاعل نعم وبئس بقولهم الاسم
التالي لنعم أو بئس وقالوا يسمى الخبر عنه
مسندا إليه كما يسمى الخبر مسندا .
- ثم جاءوا في الثانوي وتسكّموا عن حذف
الفاعل وأغراضه .
- وحذف المبتدأ جوازا ووجوبا .
وحذف الخبر جوازا ووجوبا .
وتقسيم الخبر إلى مفرد وجملة .
- ٢ - جعلوا ضمائر الرفع المتصلة حروفا
فقالوا : -
- تلحق بالفعل إشارات تدل على النوع
والعدد وهي التاء للتكلم أو المخاطب - ونا
الدال على المتكلمين ، والالف للشئ - الواو -
لجميع الذكور - الياء للمخاطبة - النون لجماعة
الإناث - الجزء الثاني من الإعدادي ص ٦٣ .
- وقد نسب إلى المازني أنه خالف النحويين
وقال : إن الألف والواو والنون وياء المخاطبة
حروف . ووافقه الأخفش في الياء (ابن يعيش
٣ / ٨٨ مع الهوامع ١ / ٥٧) .
- وبالرجوع إلى تصريف المازني نجد يصرح
بأن التاء فاعل . قال : وإن كانت التاء التي تجيء
فاعلة فالجيد إظهارها ، نحو فحست عنه وفحست
برجلي .
- (المنصف شرح تصريف ^(١) المازني ٢ - ٣٢٢) .
والسادة المؤلفون لم يقفوا عند رأى
المازني ولكنهم توسعوا فيه وقاسوا عليه .
وأنا إن أرد عليهم بما رده النحويون
على المازني .

« ١ » نشرته إدارة إحياء التراث القديم بتحقيق
الأستاذ إبراهيم مصطفى وزميله .

والمصدر العام إذا كان على فعلة لا يدل على الهيئة إلا بقرينة إضافة أو غيرها ، فإذا أردنا الدلالة على الهيئة في الألفاظ المذكورة قلنا : ما أجمل عزة الكريم وأقبح ذلة اللئيم . وزينة العروس ، وخبرة المحرب ، وغير ذلك . وهذا محل اتفاق من النحويين لانعلم فيه خلافا . ولكنهم أغفلوا هذا الشرط فخطوا بينهما ذكروا في مقدمة كتبهم : تيسير العربية وتقريب قواعدها قد رسمت لها بعض الآراء ولكن تحقيق هذه الأمنية كان يثير بعض التردد والخشية ، لأن الرجوع عن المؤلف أمر غير يسير إلى أن جاءت الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ ومعها العزم الصادق على الإصلاح والرأى الماضى على تذليل الصعاب فهي السبيل للتنفيذ .

كل ما صنعه الأساتذة من تجديد في النحو لا يتجاوز إطلاق المسند والمُسند إليه على الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر وأن ضمائر الرفع المتصلة إشارات .

فهل كان التعبير بالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر واسمية ضمائر الرفع المتصلة من آثار العهد البائد؟

لا تظنوا الثورة يا سادة ، فالثورة شعارها البناء والإصلاح والتعمير .

ودعوتها للقومية العربية دعوة منطلقة مدوية قرعت جميع الآذان ، وتفتحت لها الآذان ،

ولنما أرد عليهم بما وقع في كلامهم . قالوا إذا كان المسند جملة فلا بد أن يشتمل على ضمير يربطها بالمسند إليه ويطابقه في النوع والعدد (٢ - ١٨٩) .

وإذا كان النعت جملة ، فلا بد أن تشتمل على ضمير يربطها بالنعوت ويطابقه في النوع والعدد (٢ / ٢٠٠) .

وإذا كانت الحال جملة فلا بد أن تشتمل على رابط يربطها بصاحب الحال وهذا الرابط قد يكون الضمير أو الواو أو هما معا (٢ - ٢٠٨) ثم أعربوا الواو إشارة إلى الجمع في قولهم :

الشبان يرفعون شأن الوطن (٢ - ١٢٣) . وقالوا في سئلت المسند إليه المخاطب (٣ - ١٢٢) لو سألتهم أين رابط جملة الخبر في قولهم الشبان يرفعون شأن الوطن وفي أنت سئلت وأنا تكلمت لقد اشترطوا في الرابط أن يكون ضميرا ولا ضمائر عندهم في هذه الأساليب . وكذلك الأمر في جملة الحال والنعت . إن في هذا الكلام شيئا من البلبلة ما كان أغنى تليذ الإعداى عنها . وهل هذا هو التجديد والتيسير والتقريب ؟

٣ — في المصدر الدال على الهيئة جاءوا بأثلة من المصدر العام ولا تدل في أسلوبها على الهيئة . قالوا .

ما أجمل العزة وأقبح الذلة ! ثم ذكروا زينة - خبرة - رشوة - محنة .

استثقلها أحد ، حتى جاء مؤلفو كتب
البلاغة للثانوى فقالوا عنها إنها ثقيلة الظل
متنافرة الحروف مثل مستشزرات !
ويا بعد ما بين قين ومستشزرات .

إن في القرآن الكريم كلمة بمعنى قين وعلى
وزنها وهي قوله تعالى : وحقيق على أن لا أقول
على الله إلا الحق ، .

فلو ترفعنا إلى أذواق هؤلاء الأساتذة ،
واحتكنا إلى قواعدهم لكانت كلمة حقيق
في القرآن الكريم أكثر ثقلًا وأشد تنافرًا ؛
لأن فيها ، قافين والقاف من حروف القلقلة .
هل يرضى مثل هذا أساتذة جامعاتنا
المؤلفين للكتاب وبينهم عميد لكلية الآداب ؟
وماذا يقول عنا إخواننا في الأقطار
الشقيقة ؟ .

محمد عبد الحامد عظيم

مدرس بكلية اللغة العربية

في كل مكان على حين أنكم استفتحتم التأليف
في كتب العربية بشرشر ومشمش وملء
حشوها اللغة العامية . إننا نريد تفسيراً ينفذ
إلى الصميم . أما أن يكون غمغمة لا تبين ،
ومجمجة لا تتضح - فذلك ما لا نرضاه لكم
في عهد الثورة البناءة .

وقالوا أيضاً : ولكن راعينا أن يكون
أيسر وأسهل لتناول التلميذ وأكثر اتصالاً
بالنظريات النفسية والتربوية الحديثة .
اللهم - إن كانت هذه البلبلة من وحى
النظريات النفسية والتربوية الحديثة فإنني
أحمدك على أني لم أعرف عنها شيئاً .

ويؤسفني أن أقول : إن هذه البلبلة قد سرت
إلى مقاييس البلاغة . وسأكتفي هنا بمثال واحد :
قين بمعنى جدير كلمة خفيفة على اللسان
مقبولة في الإسماع جاءت في حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي كلام العرب ، فما

(بقية مقال كلا لا يتنفع الميت بعمل الحى ؟)

فأجاب الإمام بقوله يرجى أن يقبل ولم يحزم
بالجواب .

هذه كلمة عمادها الكتاب والسنة وما جرى
عليه سلف الأمة وكل تشريع يخالف تشريعها
يخشى أن يرجع بالأمة إلى الوثنية التي جاء
الإسلام لمحوها وعبادة الله وحده ؟

عمر الجندى البهنسي

شيخ معهد دسوق الأسبق

بأى نوع من أنواع التصرفات التي تفيد
التملك (انظر باب القرب المهداة إلى الموتي
في الجزء الرابع من نيل الأوطار) .

وقال الأستاذ البوشى أن الإمام أحمد
ذهب إلى أن ثواب قراءة القرآن يصل إلى
الميت وهي دعوى غير صحيحة ، بل المروى
أن سائلاً سأل الإمام أحمد أن الرجل يفعل
الشيء من الخير فيجعل نصفه لأبيه أو أمه

معركة بيت المقدس وأثرها في الأدب للأستاذ الدكتور محمد بن محمد بن عبد الوهاب

أنه لا قبل له بالجيش الزاحف ، فاستكان ، وطلب الأمان ، وفتحت المدينة أبوابها لاستقبال صلاح الدين يوم الجمعة ، السابع والعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة هجرية .

وكان لاستعادة بيت المقدس ، بعد أن ظل في يد العدو زهاء تسعين عاما — رنة فرح تجاوزت أصدائها في أرجاء العالم الإسلامي كله ؛ وبجل الأدب شعره ونثره ما نبضت به قلوب المسلمين لدى هذا الفتح المبين .

— ١ —

وأول ما بدا من ذلك هذه الرسائل التي تألق فيها كاتبوها ، يذيعون أنباء هذا النصر المؤزر ويسجلون قيمته ، ويروون أحداثه .

وكان لسان الدولة يومئذ القاضي الفاضل متأخرا بدمشق لمرض عرض له ، فكتب إليه السلطان يخبره بذلك الفتح ، ويقول له في رسالة : « أما الفتح ... فإن الله تعالى سهل ما يجعل أهل الدهر بأنه صعب ، وهب نسيم

كانت وحدة مصر وسورية تحت لواء صلاح الدين فاتحة عهد جديد في سبيل استرداد فلسطين المغتصبة ، فإن هذا البطل لم يكند يوحد البلاد تحت لوائه ، حتى أرسل إلى جميع أجزاء امبراطوريته يستنفر الناس لقتال العدو ، ويحثهم على الجهاد ، ويأمرهم بالتجهز له . وكانت هذه الوحدة بين المسلمين سببا دفع الحماسة في صدور الجند ، فأقبلوا من كل حذب يريدون أن يستخلصوا وطننا طال اغتصابه ، ومضى صلاح الدين على رأس جيشه ، فالتقى بالفرننج عند حطين ، ودارت عندها معركة لم يذق الفرننج مثلها ، منذ قدموا من ديارهم غازين بلاد الشام ؛ فقد مضوا بين أسير وقتيل لم ينتظر صلاح الدين حتى يجمع العدو شمله المبدد ، بل مضى يتابع انتصاراته ، وأخذت مدن العدو تسقط في يده ، الواحدة تلو الأخرى ، حتى إذا سقطت البلاد المحيطة بالقدس ، شمر عن ساعد الجد ، وذهب إلى بيت المقدس يريد فتحه ، وهنا رأى العدو

لسان صلاح الدين ، وبعث بها إلى خليفة بغداد يصف له فيها الفتح وأثره ، وقد تأق القاضى الفاضل بكل ما استطاع أن يتأق ، ولقد كانت الصناعة والزخرف أساس الأعمال الأدبية في ذلك الحين ، وكان الذوق يومئذ يستسيغ هذه الصناعة ويعدها المثل الأعلى للكتابة الفنية والشعر ، فلا غرابة إذا رأينا رسالة الفاضل مغرقة في استخدام ألوان البديع ، لا تكاد تفلت ما يقع تحت يديها من هذه الألوان الزخرفية .

بدأ القاضى الفاضل رسالته بالدعاء للخليفة يومئذ الناصر لدين الله ، وكان هذا الدعاء متفقا مع الظرف الذى أنشئت من أجله الرسالة ، إذ كان دعاء بالنصر على العدو ، والتوفيق إلى اقتناء المحامد .

وأخذ القاضى الفاضل بعدئذ في الحديث عن الهدف الذى كتب من أجله رسالته ، فبين النتيجة التى ترتبت على هذا الفتح المبين إذ قال : (... وكان الدين غريبا فهو الآن فى وطنه ، والفوز معروضا فقد بذلت الأنفس فى ثمنه ... وجاء أمر الله وأنوف أهل الشرك راغمة ، فأولجت السيوف إلى الآجال وهى نائمة ، وصدق وعد الله فى إظهار دينه على كل دين ، واستطالت له أنوار أبانف أن الصباح عندها حيان الحين ، واسترد المسلمون تراثا كان عنهم آبقا ، وظفروا

النصر أيان يقال : ليس له مهيب ، وخصنا بهذا الشرف ، وألحقنا فى هذه الفضيلة بصالحى السلف ... وفتحت بهذا الفتح من بيت الله المقدس أبواب الجنان ... وغسلت الصخرة المباركة من أوضارها بماء العيون الفائض الفائق غزارة الأمواه ، وقبلت الشفاه ، وبوشرت بالآفواه ، وطهرت بأهل العلم والحلم من أدناس أهل الجهل والسفاه ، والحمد لله ، ثم الحمد لله

والكتاب ناطق بتسجيل نظرة المسلمين يومئذ إلى فتح بيت المقدس ، وأنه كان أملا بعيدا يصعب تحقيقه ، فما إن تم حتى بهر الأبصار وملا الصدور .

ومن كتاب آخر كتبه إليه أيضا : نصرنا الله بملائكته المسومين ، وأوليائه المؤمنين ... وهذه موهبة مذهبة ، ومنقبة لا يبلغ إلى وصفها بلاغة موجزة ولا مسهبية ، ونوبة ما بعدها للإسلام نبوة ، وحظوة فى مذاق أهل التقوى والمغفرة حلوة ، وبشرى تجلو الوجوه ببشرها ... وتقر عين المؤمنين فى البعد والقرب بأنوار قربها ... والحمد لله على هذا الإحسان ، حمدا مستمرا على مر الزمان ، .

وهكذا مضت الكتب تحمل هذه البشرى إلى القاصى والدانى من رجال الإسلام ؛ فلما برى القاضى الفاضل كتب رسالة على

في الجهاد ، ولا يرعى به حق الله في العباد ، ولا يوفى به واجب التقليد ^(١) الذي تطوقه الخادم من أئمة قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون ...) .

ويعلم صلاح الدين ظفريه بالعدو الذي استقرت قدمه طويلا في الأرض المقدسة ، وكثر بها عدته وعديده ، وكتاب الخادم هذا . وقد أظفر الله بالعدو الذي تشظت قناته شققا ^(٢) ، وطارت فرقته فرقا ^(٣) ، وفل سيفه فصار عصا ، وصدعت حصاته وكان الأكثر عددا وحصى ... وعثرت قدمه وكانت الأرض لها حليفة ، وغضت عينه وكانت عيون السيوف دونها كثيفة ... فبيوت الشرك مهدومة ، ونيوب الكفر مهتومة ، ... وقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وبذل الله مكان السيئة الحسنة ، ونقل بيت عبادته من أيدي أصحاب المشأمة إلى أيدي أصحاب الميمنة .

ورأى القاضي الفاضل أن يتحدث عن المعارك التي دارت قبل معركة بيت المقدس ، وكيف حاز فيها النصر على أعدائه ، (وقد كان الخادم لقيهم للقاء الأولى فأمد الله بمداركة وأنجده بملائكته ، فكسروهم كسرة ما بعدها جبر ، وصرعهم صرعة لا يعيش معها بمشيئة

يقظة بما لم يصدقوا أنهم يظفرون به طيفا على الناي طارقا ، واستقرت على الأعلى أقدامهم ، وخفقت على الأقصى أعلامهم ، وتلاقت على الصخرة قبلهم ، وشفيت بها ، وإن كانت صخرة ، كما تشفى بالماء غلهم .

ويستمر القاضي الفاضل مبينا أن صلاح الدين لم يكن يحارب العدو من قبل إلا لكي يصل إلى هذه الغاية التي كان يرنو إليها ، وكان الخادم لا يسعى سعيه إلا لهذه المنقبة العظمى ، ولا يقاسى تلك البؤسى إلا رجاء هذه النعمى . لأنه كان مؤمنا بأن التقصير في حرب العدو يزيد ضراوة ، ويشجعه على حرب المسلمين ، فضلا عن أنه تقاعس عن أداء فرض الجهاد ، ونكوص عما يجب لهؤلاء الذين اغتصبت أرضهم وديارهم وأموالهم ، وتقصير من الحاكم فيما وكل إليه من وجوب استرجاع الوطن السليب ، دفن طلب خطيرا خاطرا ، ومن رام صفقة رابحة تجاسر ، ومن سما لأن بجلى غمرة غامر ، وإلا فإن القعود يلين تحت نيوب الأعداء المعاجم ^(١) فتعضها ، ويضعف في أيديها مهر ^(٢) القوائم فتقضها ^(٣) ، هذا إلى كون القعود لا يقضى فرض الله

(١) للمعاجم مفعول به يلين جمع معجم كقعد :

اسم مكان من عجم بمعنى لأكه للخبرة .

(٢) المهر : الضاريف .

(٣) قض الشيء دقه .

(١) أى ما يوجب تقلده للحكم .

(٢) تمظت : انفتحت . والشفق : الخوف .

(٣) الفرق : الخوف

فنزلت بعرصته ، وهان عليها مورد السيف
وأن تموت بغصته ، فزاول البلد العصى من
جانب فإذا أودية عميقة ، ولجج وعرة غريقة ،
وسور قد انعطف عطف السوار ، وأبرجة
قد نزلت مكان الواسطة من عقد الدار ، فعدل
إلى جهة أخرى كان للطامع عليها معرج ،
وللخيل فيها متوج ، فنزل عليها وأحاط بها ،
وقرب خيمته بحيث يناه السلاح بأطرافه ،
ويزاحم السور بأكتافه ، وقابلها ، ثم قاتلها ،
ونزلها وبرز إليها ثم بارزها ، وحاجزها ،
ثم ناجزها ، فضمها ضمة ارتقب بعدها الفتح ،
وصدع أهلها فإذا هم لا يصبرون على عبودية
الجد عن عتق الصفح ، فراسلوه ببذل قطيعة
إلى مدة ، وقصدوا نظرة من شدة ، وانتظار
النجدة ، فعرفهم في لحن القول ، وأجابهم
بلسان الطول ؛ فقدم المنجنيقات التي تتولى
عقوبات الحصون عصيها وحبالها ، وأوترهم
قسما التي تضرب سهامها ولا يفارق سهامها
إنصالها .

وفي الحال خرج طاغية كفرهم ، وزمام
أمرهم ، ابن بارزان ، سائلا أن يؤخذ البلد
بالسلم لا بالعنوة ، وبالأمان لا بالسطوة . .
وطرح جبينه في التراب وكان حينئذ لا يتعاطاه
طارح ، وبذل مبلغا من القطيعة لا يطمح
إليه طرف أمل طامع ، وقال : ها هنا أسارى
مؤمنون يتجاوزون الألوف . وقد تعاقد

الله كفر ، ... وكان اليوم مشهودا ، وكانت
الملائكة له شهودا ، وكان الضلال صارخا وكان
الكفر مفقودا والإسلام مولودا ، وجعل
الله ضلوع الكفار لنار جهنم وقودا ... !
ويقص القاضي الفاضل في هذه الرسالة قصة
فتح بيت المقدس ، كيف أراد صلاح الدين
أن يستولى عليه عنوة ، فجمع حوله العدة
والعديد ، ثم رأى العدو أنه لا قبل له بالجيش
الزاحف ، فعرض على صلاح الدين أن يؤخذ
البلد صلحا لا عنوة ، مبينا أنه إن أصر
صلاح الدين على أخذه بالقوة فسوف يقضى
العدو أولا على أسرى المسلمين وهم في المدينة
يتجاوزون الألوف ؛ فرأى صلاح الدين
أن يوافق على تسلم البلد صلحا .

كما صور القاضي الفاضل ماحولة الصليبيون
من خداع صلاح الدين حتى يكسبوا زمنا
تصل إليهم فيه نجدة ربما كسبوا بها المعركة ،
ولكن صلاح الدين لم ينخدع بهم .

ولنصنع إلى القاضي الفاضل بصور قصة
الفتح بعد أن ذكر المعارك التي تعد مقدمات
له ، فيقول : (ولما لم يبق إلا القدس وقد
اجتمع إليها كل شريد منهم وطريد ، واعتصم
بمنعتها كل قريب منهم وبعيد ، وظنوا أنها
من الله مانعتهم ، وأن كنيستها إلى الله شافعتهم .
فلما نازلها الخادم رأى بلدا كبلاد ، وجمعا
كيوم التناد ، وعزائم قد تألبت على الموت

قيلت عقب فتح صلاح الدين بيت المقدس ، ولعلها أُلقيت يوم الجمعة رابع شهر شعبان . كما حدثتنا بذلك رسالة القاضي الفاضل ؛ قال ابن خلكان : « لما فتح القدس تطاول إلى الخطابة يوم الجمعة كل واحد من العلماء الذين كانوا في خدمته حاضرين ، وجهاز كل واحد منهم خطبة بليغة ؛ طمعا في أن يكون هو الذي يعين لذلك ؛ فخرج المرسوم إلى القاضي محي الدين^(١) أن يخطب هو ، وحضر السلطان وأعيان دولته ، وذلك في أول جمعة صليت بالقدس بعد الفتح^(٢) .

افتتح محي الدين خطبته بجميع تحميدات القرآن الكريم : استفتح بسورة الفاتحة ، وقرأها إلى آخرها ؛ ثم قال : « فقطع دابر القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين » ، ثم تلا ذلك بتحميدات سور القرآن . وكان المقام يستدعي هذا الحمد الكثير ، فقد فتح بيت المقدس بعد أن ظل في أيدي مغتصبيه

(١) هو أبو المعالي محمد بن علي بن محمد ، كان فقيها أدبيا نظما وخطبا رسائل ، وتولى القضاء بدمشق ، وكذلك آباءه من قبل ، وكان له عند صلاح الدين منزلة عالية . ولد سنة ٥٥٠ هـ وتوفي سنة ٥٩٨ هـ .

(٢) خطب محي الدين هذا أربع خطب متوالية في أربع جمع ، ولكن لم يبق من خطبه إلا هذه الخطبة التي نعرضها . ونصها بكتاب وفيات الأعيان ٩ : ٤٦٨

الفرنج على أنهم إن هجمت عليهم الدار ، وحملت الحرب على ظهورهم الأوزار ، بدى بهم فجعلوا ، وتنى بنساء الفرنج وأطفالهم فقتلوا ، ثم استقتلوا بعد ذلك فلم يقتل خصم إلا بعد أن ينتصف ، ولم يسلم سيف من يد إلا بعد أن تنقطع أو ينقصف ، وأشار الأمراء بالأخذ الميسور من البلد المأسور . وبرغم طول الكتاب لم يره القاضي الفاضل كافيا لتصوير الفتح ، فأرسل مع الكتاب رسولا يشرح كيف تم النصر المبين .

وقد أعجب كتاب عصره بكتاب القاضي الفاضل ، فأخذوا ينشئون كتباً على غرارهِ في موضوعه ، كما فعل ابن الأثير .

وإذا كان هذا الكتاب قد ظفر بإعجاب الكتاب في عصره فإننا نراه اليوم غير واف بالغرض الذي أنشئ من أجله ، ونرى التزام الكاتب للحسنات قد أضرب ضرراً بليغاً بالهدف الذي يقصد إليه الكتاب ، إذ قتلت هذه المحسنات حيويته ، وأعجزته عن التصوير الصادق الواضح الذي تبدو فيه العاطفة نابضة بالحياة .

— ٢ —

ومن الطبيعي أن يكون لهذا الفتح أثره في الخطابة ، وبخاصة تلك التي تلى على المنابر يوم الجمعة ، ولعل أهم نص لخطبة بقيت لنا من عصر الحروب الصليبية هو الخطبة التي

الله على أيديكم : من استرداد هذه الضالة ، من الأمة الضالة ، وردّها إلى مقرّها من الإسلام ، بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريبا من مائة عام .) .

ثم أخذ يعدد فضائل المسجد الأقصى :
(فهو موطن أبيكم إبراهيم ومعراج نبيكم محمد عليه السلام ، وقبلتكم التي كنتم تصلون إليها في ابتداء الإسلام ، وهو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء ، ومدفن الرسل ومهبط الوحي ، ومنزل به ينزل الأمر والنهي ، وهو في أرض المحشر ، وصعيد المنشر ، وهو البلد الذي بعث إليه عبده ورسوله ، وكلته التي ألقاها إلى مريم وروحها عيسى الذي كرمه برسالاته ، وشرفه بنبوته ، . . . وهو أول القبليتين ، وثاني المسجدين ، وثالث الحرمين ، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه ، ولا تعقد الخناصر بعد المواطنين إلا عليه) ، وهو بذلك يمين لهؤلاء الذين كان لهم شرف فتحه مقدار ما قدموه من فضل يحمدون عليه ؛ ولذا قال بعد ذلك : (فلولاً أنكم ممن اختاره الله من عباده ، واصطفاه من سكان بلاده ، لما خصكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها مجار ، ولا يباريكم في شرفها مبار ، فطوبى لکم من جيش ظهرت على أيديكم من المعجزات النبوية ، والواقعات البدرية ، والعزمات الصديقية ، والفتوحات

زهاء تسعين عاما . وكان المسلمون قد يؤسوا من استعادته .

ولم يكتف بتحميدات القرآن ، بل أنشأ هو حمدا قدمه إلى الله . ووصفه بما يناسب هذه النعمة العظيمة ، فقال : « الحمد لله معز الإسلام بنصره ، ومذل الشرك بقهره ، ومصرف الأمور بأمره . ومديم النعم بشكره ، ومستدرج الكفار بمكره ، الذي قدر الأيام دولا بعدله ، وجعل العاقبة للبتقين بفضله ، وأفاء على عباده من ظله ، وأظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده فلا يمانع ، والظاهر على خليفته فلا ينازع ، والأمر بما يشاء فلا يراجع ، والحاكم بما يريد فما يدافع . »

ثم عاد مرة ثالثة إلى حمد الله قائلا :
« أحمده على إظفاره وإظهاره ، وإعزازه لأوليائه ونصره لأنصاره ، وتطهير بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره . »

وبعد ذكر الشهاداتين محاطتين بما يناسب المقام غير ناس عند ذكر محمد أنه أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى - اتجه إلى هؤلاء الذين تم على أيديهم هذا النصر المؤزر ، فأثنى على جهدهم الموفق قائلا (أيها الناس ، أبشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى ، والدرجة العليا ؛ لما يسره

ما بقي من آثار الغاصبين للديار ، فقال :
(فاحرسوا ، رحمكم الله ، هذه النعمة عندكم
بتقوى الله التي من تمسك بها سلم . ومن اعتصم
بعروتها نجا وعصم ، واحذروا من اتباع
الهوى ، ومواقعة الردى ، ورجوع القهقري
والنكول عن العدا ، وخذوا في اتهاز
الفرصة ، وإزالة ما بقي من الغصة ، وجاهدوا
في الله حق جهاده ، ويعبوا عباد الله ، أنفسكم
في رضاه ، إذ جعلكم من خير عباد ، وإياكم
أن يستزلكم الشيطان ، وأن يتداخلكم
الطغيان ، فيخيّل لكم أن هذا النصر بسيفكم
الحداد ، وخيولكم الجياد ، وبجلادكم في
موطن الجلال ، لا والله ما النصر إلا من عند
الله العزيز الحكيم ، فاحذروا عباد الله بعد
أن شرفكم بهذا الفتح الجليل ، والمنح الجليل
وخصكم بنصره المبين ، وأعلق أيديكم بحبله
المتين ، أن تقترفوا كبرا من مناهيه ، وأن
تأتوا عظيما من معاصيه ، فتكونوا كالتى
نقضت غزوها من بعد قوة أنكاثا . والجهاد
الجهاد ، فهو من أفضل عباداتكم ، وأشرف
عاداتكم .

ومضى يذكى فيهم نازا الحاسة ، كي يستمروا
في جهادهم ، مهونا من شأن عدوهم ، شادا
عزائمهم ، مؤملا أن ينتهزوا هذه الفرصة
كي يلقوا بعدوهم إلى البحر .

وفي الخطبة الثانية من هذا اليوم مضى

العمرية ، والجيوش العثمانية ، والفتكات
العلوية ، جددتم للإسلام أيام القادسية ،
والملاحم اليرموكية ، والمنازلات الخيبرية ،
والهجمات الخالدية ، فجزاكم الله عن نبيه :
محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الجزاء ،
وشكر لكم ما بذلوه من مهجكم في مقارعة
الأعداء ، وتقبل منكم ما تقر به إليه من
إهراق الدماء ، وأثابكم الجنة فهي دار
السعداء) .

وإذا كان الله قد أجرى على أيديهم هذا
الفتح المبين فإنه نعمة كبرى يجب أن يقدروها
حق قدرها ، ويقوموا لله بواجب شكرها .
وهنا يتحدث عن فضل بيت المقدس مرة
أخرى ؛ ليبين نعمة الله عليهم في فتحه ،
فيقول : (أليس هو البيت الذى ذكره الله
في كتابه . ونص عليه في محكم خطابه . فقال
تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » .
أليس هو البيت الذى عظّمته الملل ، وأثنت
عليه الرسل ، . . . فاحمدوا الله الذى أمضى
عزائمكم . . . ووقفكم لما خذل فيه أمم
كانت قبلكم من الأمم الماضين ، وجمع لأجله
كلبتكم وكانت شتى ، وأغناكم بما أمضته كان
وقد ، عن سوف وحتى . . .) .

وبعدئذ أمرهم بحراسة هذه النعمة بالتقوى
وترك العجب والغرور ، وبالاستعداد لإزالة

وأصلح به أوساط البلاد وأطرافها ، وأرجاء البلاد وأكنافها ، اللهم ذلّل به معاطس الكسفار ، وأرغم به أنوف الفجار ، وانشر ذوائب ملسكه على الأمصار . .

وإن هذا الدعاء الحار الصادر من قلب الخطيب ليعبر أصدق تعبير عما كان يشعر به المسلمون في عصر صلاح الدين من حب وإجلال لهذا القائد الموفق ، وما كانوا يحملونه من كبار الآمال فيه . وإن موازنة بين هذا الدعاء الحار المليء بالأمل والقوة والتفاؤل ، وبين ما كان يدعى به لنور الدين محمود ، وهو : (اللهم أصلح عبدك ، الفقير إلى رحمتك ، الخاضع لهيبتك ، المعتمد بقوتك ، المجاهد في سبيلك ، المرابط لأعداء دينك : أبا القاسم محمود بن زنكي . . ناصر أمير المؤمنين) .

إن هذه الموازنة لتدل على الخطوة الواسعة التي خطاها المسلمون نحو تحقيق جزء من أهدافهم في إجلال الصليبيين عن أرضهم ، فبينما نور الدين كان مجاهداً في سبيل الله ، مرابطاً لأعداء دينه ، إذا بصلاح الدين سيفه القاطع ، وشهابه اللامع ، جامع كلمة الإيمان ، وقامع عبدة الصليبان .

ولو أن الخطب التي قيلت يومئذ بقيت لدلتنا على ما خفق به قلوب المسلمين من فرح وابتهاج بهذا الفتح المبين .

يدعو لقائد المسلمين في هذه المعركة ، وهو صلاح الدين ، دعاء حاراً ، ولا عجب ، فقد كانت روحه المعنوية التي بثها في صدور جنده سبباً لهذا النصر المبين ، فقال الخطيب : (اللهم وأدم سلطان عبدك ، الخاضع لهيبتك الشاكر لنعمتك ، المعترف بموهبتك ، سيفك القاطع ، وشهابك السامع ، والمحامي عن دينك المدافع ، والذاب عن حرملك المانع ، السيد الأجل الملك الناصر ، جامع كلمة الإيمان ، صلاح الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، مطهر البيت المقدس ، أبي المظفر يوسف بن أيوب محيي دولة أمير المؤمنين . اللهم ، عم بدولته البسيطة ، واجعل ملائكتك براياته محيطة ، وأحسن عن الدين الخنيقي جزاءه ، واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاهه . اللهم أبق للإسلام مهجته ، ووق للإيمان حوزته ، وانشر في المشارق والمغارب دعوته . اللهم كما فتحت على يديه البيت المقدس بعد أن ظننت الظنون ، وابتلى المؤمنين ، فافتح على يديه داني الأرض وقاصيها ، وملسكه صياصي الكفر ونواصيها ، فلا تلقاه منهم كتيبة إلا مزقتها ، ولا جماعة إلا فرقها ، ولا طائفة إلا ألحقها بمن سبقها . اللهم ، اشكر عن محمد صلى الله عليه وسلم سعيه ، وأنقذ في المشارق والمغارب أمره ونهيّه ،

- ٣ -

أما الشعر فقد تدفق على ألسنة الشعراء
يصف المعركة حيناً ، ويتحدث عن
نتائجها حيناً ، ويصور بهجة المسلمين بها مرة
وحزن الفرنج على فقدائها أخرى ، وتغنى
الشعراء وأطالوا فمن ذلك قول الشريف
محمد بن أسعد نقيب الأشراف بمصر ، وقد
بدأها بما ينم عن الدهشة والذهول للذين ألما
بالعالم الإسلامى . لدى سماع خبر فتح القدس ،
إذ قال :

أترى منأما ما بعينى أبصر

القدس يفتح ، والفرنجة تكسر ؟
ومليكهم فى القيد مصفود ، ولم
يُرَ قبل ذاك لهم ملك يؤسر
قد جاء نصر الله والفتح الذى
وعد الرسول فسبحوا واستغفروا
فتح الشَّام ، وطهر القدس الذى
هو فى القيامة للأنام المحشر
ثم يصف الشاعر إعجابه بالبطل الذى تم
على يديه هذا الفتح ، فيقول :

من كان هذا فتحه لمحمد

ماذا يقال له ، وماذا يذكر
ملك غدا الإسلام من عجب به
يحتال ، والدنيا به تدبخر
نثر ونظم طعنه وضربه
فالرح ينظم ، والمهند يثر

حيث الرقاب خواضع ، حيث العيو

ن خواضع ، حيث الجباه تعفر
أما أبو على الحسن بن على الجوينى فيرى
الملائكة قد أعانت فى هذا الفتح ، بعد أن
مضى على سقوط القدس فى يد العدو أزمان
متطاولة ، لم يستطع ملوك المسلمين فيها
استرجاعه ، فكأنما كان الفتح مدخراً
لصلاح الدين ، فلا غرو أن أخذ الشاعر يدعو
لصلاح الدين أن يبقى للإسلام حارساً ،
إذ يقول :

جند السماء لهذا الملك أعوان

من شك فيهم فهذا الفتح برهان
متى رأى الناس ما نحكيه فى زمن
وقد مضت قبل أزمان وأزمان

هذا الفتوح فتوح الأنبياء وما
له سوى الشكر بالأفعال أثمان
أضحت ملوك الفرنج الصيد فى يده

صيداً . وما ضعفوا يوماً وما هانوا
تسعون عاماً بلاد الله تصرخ والإ

سلام أنصاره صم وعميان
للناصر ادخرت هذى الفتوح ، وما

سمت لها هم الأملاك مذ كانوا
فى نصف شهر غدا للشرك مصطلحاً

فظهرت منه أقطار وبلدان
لو أن ذا الفتح فى عصر النبى لقد

نزلت فيه آيات وقرآن

فإنه يقيقك للإسلام تحرسه
من أن يضام ، ويلقى وهو حيران
إذا طوى الله ديوان العباد فما
يطوى لأجر صلاح الدين ديوان
ويرى أبو الحسين بن جبير الأندلسي أن
السعد قد أقبل بوجهه على الإسلام بمقدار
إدباره عن الصليبيين ، وأن هذا الفتح مؤذن
بزوال ملكهم عن الشام ، فيقول :
أطلت على أفقك الزاهر
سعود من الفلك الدائر

— ٤ —

فأبشر ؛ فإن رقاب العدا
تمدد إلى سيفك الباتر
وكم لك من فتكة فيهم
حكمت فتكة الأسد الخادر
كسرت صليبهم عنوة
فلله درك من كاسر
وغيرت آثارهم كلها
فليس لها الدهر من جابر
وأ مضيت جدك في غزوه
ففعسا لجدهم العاثر
وأدبر ملكهم بالشأ
م ، وولى كأمسهم الدابر
جنودك بالرعب منصوره
فناجز متى شئت أو صابر
فأرت لدين الهدى في العدا
فأثرك الله من ناثر

وقت بنصر إله الورى
فساك بالملك الناصر
فتحت المقدس من أرضه
فعادت إلى وصفها الطاهر
وللشعراء إنتاج غزير من الشعر يطول بنا
وجه عرضه ، فقد عقد صلاح الدين مجلسا
استمع فيه لما أنشده الشعراء ، وقرضوه
في عودة القدس إلى أحضان الإسلام ، ومن لم
يكن حاضراً هذا المجلس أرسل قصيدته إلى
البطل الفاتح .

وكان لهذه المعركة أثرها في بعض الأدباء ،
فأرخ لها بأسلوب أدبي مؤثر ، وألف كتابا
يضع حوادث التاريخ ، مصوغة في أسلوب
أدبي مؤثر ، يراعى في صوغها ما يراعى
في الكتابة الفنية : من الالتجاء إلى الخيال
في التصوير ، والاعتماد في التوضيح على
التشبيه والمجاز والاستعارة ، والتشبيث بأذيال
الزخارف ، والزينة اللفظية والمعنوية .

وأظهر كتاب أرخ لهذا (الفصح القسى
في الفتح قدسى) لمؤلفه عماد الدين
الكاظم المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، وسماه كاتبه
بذلك مشيراً إلى أنه نفحة من نفحات قس
ابن ساعدة الإيادى الخطيب الجاهلى المشهور
بالفصاحة . وقد ذكر المؤلف في أوله الخطة

والعيان يشهد أن أمنع السورين ما عمر بعد أن نغر... .

ويؤكد العباد : أنه لم يسجل في كتابه إلا ما شاهده وعينه ، ثم بدأ بالحوادث التي تتعلق بغزوات صلاح الدين ، وجرت منذ أول عام ثلاثة وثمانين وخمسمائة ، وارتضى العباد طريقة السجع منهاجاً له في كتابه ، فلم يحذف عنه من أول سطر في الكتاب ، إلى آخر سطره . ولنعرض نموذجاً لمزجه

الحقائق التاريخية بالعواطف والانفعالات ، وللتعبير عن ذلك تعبيراً فنياً ، فيه صياغة وصناعة ، قال : « دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وكتب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الأقطار والبلاد ، يستدعى من جميع الجهات جموع الجهاد ، وأهل الاستدعاء أهل الاستعداد ، واستحضر للغزو ، من الحضرة والبدو ، وبرز من دمشق يوم السبت مستهل المحرم قبل استنجد الجنود واستحثاد الحشود ، وإصحار الأسود ، وإحضار البيض والسود . مضى والعز ماضى العزم ، صائب السهم ، ثاقب الفهم ، ثابت السعود ، كابت الحشود ، وخيم على قصر سلامة من بصرى ، وكفت يدرعه الطولى من الفرنج اليد القصرى ، وأقام على ارتقاب الحجاج ، وقد رتب الفرنج من الأرصاد أفواجا على تلك الفجاج ، لاسيما لبرنس (البقية على صفحة ٣٥١)

التاريخية الأدبية التي انتهجها في كتابه إذ قال : « هذا كتاب أسهمت فيه بين الأدباء الذين يتطلعون إلى الفرر المتجلية ، وبين المستخبرين الذين يستشرفون إلى السير المتحلية ، يأخذ الفريقان منه على قدر القرائح والعقول ، ويكون حظ المستخبر أن يسمع والأديب أن يقول ..

ولما كان المؤلف قد سار على نهج لإيراد الحوادث متتابعة على حسب السنين ، وكان قد بدأ بإيراد الحوادث منذ سنة ثلاثة وثمانين وخمسمائة ، وهى السنة التي فتش فيها بيت المقدس ، قال معللاً سبب اختياره البدء بهذا العام : « وأنا أرخت بهجرة ثانية ، تشهد للهجرة الأولى بأن أمدتها بالقيامة معذوق ، وبأن موعدها الموعد الصحيح غير المدفوع والصريح غير الممدوق ، وهذه الهجرة هى هجرة الإسلام إلى البيت المقدس ، وقائمها السلطان صلاح الدين أبو المظفر ، يوسف بن أيوب ، وعلى عامها يحسن أن يبنى التاريخ وينسق ، وتسفر عن أهلها دأدى المداد ونشق .. وهذه الهجرة أبقي الهجرتين ، وهذه الكرة بقوة الله أبقي الكرتين ، فإن العرب كانت إذا تناهت فى وصف الرجل بالقوة قالت : كأنه كسر ثم جبر ، والحق أن نقول : إن أطول الحياتين حياة المرء إذا مات ثم نشر ،

الملامتية أو الملامية

للاستاذ أحمد عبد الجواد الدوي

الملامتية : غصن طيب قوى من أغصان
التصوف المباركة امتد وأورق وأثمر بنيسابور
في النصف الثاني من القرن الثالث الهجرى
على يد مشايخ ثلاثة هم :

١ - جاء في عوارف المعارف للسهروردى
أن الملامتى هو الذى لا يظهر خيراً ولا يضمّر
شراً
٢ - قال حمدون القصار : « طريق الملامة
هو ترك التزين للخلق بحال ، وترك طلب
رضاهم في نوع من الأخلاق والأحوال ،
والأياخذك في الله لومة لائم » .

أبو حفص النيسابورى ، حمدون القصار ،
أبو عثمان الحيرى ...
دعاني إلى الكتابة عنهم : قسوة منهاجهم ،
وعمق تفكيرهم ، وطول مراقبتهم للحق
تبارك وتعالى ، وتحقيرهم للنفس واتهامهم لها
على طول الخط ، لأنها - في نظرهم - ملتبقة
الخبائث والرزائل ، ومبعث كل الشرور ...
ولا شك أن هذا سلوك عنيف ، يحتاج
في تطبيقه إلى يقظة تامة ، وهمة عالية ، ومثابرة
ومصابرة ١١ .

٣ - وقال أبو حفص : « أهل الملامة
قوم قاموا مع الحق تعالى على حفظ أوقاتهم ،
ومراعاة أسرارهم ، فلاموا أنفسهم على جميع
ما أظهروا من أنواع القرب والعبادات ،
وأظهروا للخلق قبائح ما هم فيه ، وكتّموا
عنهم محاسنهم ، فلامهم الخلق على ظواهرهم ،
ولاموا هم أنفسهم على ما يعرفونه من
بواطنهم » .
كان الملامتى أو الملامى يخفى حسنته ،
أى أعماله الحسنة ، كما نخفى نحن أعمالنا السيئة ،
وكان يظهر نقائصه بالوضوح والجلاء والقوة
التي يظهر بها الكثير من الناس فضائلهم
والجليل من الأعمال .

وهناك تعريفات ثلاثة للملامتى وطريقته ،
تلقى الضوء الكاشف على هذه الفرقة العجيبة :

وأول ما يكشف عنه الضوء هنا : اللوم
أو الملام الدائم الموجه من الملامتى إلى نفسه ،
فلا يبيح لها أن تستريح لثناء ، أو إعجاب ،
كما لا يقرها بحال من الأحوال إذا اشتّم منها
رائحة العجب ، أو ريح الخيلاء ١١ .
ومداخل النفس - كما سيأتى الحديث عنها -

هو ما رواه الحسن عن حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فيما رواه عن ربه عز وجل :

« الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادى » .

ارتكز الملامتى على هذا الحديث وذاب في معناه ومدلوله وفاق في هذا جماعة الصوفية وعامة السالكين ، حتى عد ابن عربى هذه الفرقة في أعلى الفرق وجملها في قبة الهرم الصوفى ، ثم تنبسط الطرق وتترتب بعد ذلك !! بل لقد تجرأ ابن عربى وأطلق على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أنه « ملامتى » ، وفي وصف الله جل وعز له بالنبوة والرسالة والرحمة ، الغنى عن كل وصف وبيان .

يقسم ابن عربى السالكين إلى ثلاثة أقسام :
« أولاً : العباد الذين غلب عليهم الزهد وأفعال الظاهر المحمودة وتطهير النفس من مرذول الأفعال ، وهؤلاء لا علم لهم بالأحوال والمقامات .

ثانياً : الصوفية الذين يرون الأفعال كلها لله ، وأنهم لا فعل لهم أصلاً ، وهم مثل العباد في الورع والزهد والتوكل ، أهل خلق وفتوة ، يظهرون في العامة بما ينالونه من الكرامات وخوارق العادات ، وهم بالنسبة إلى الملامتية أهل رعونات وأصحاب دعاوى .

مداخل مظلة ، وملتوية الدروب ، غامضة المعالم ، تحتاج إلى ضوء قوى جداً ، يكشف عن خباياها وخفاياها ورزاياها ... وذلك لا يكون إلا بنور الإخلاص الوهاج ، وسطوع الإشراق الربانى الفياض !! .

ولن يتوهج نور ، ويسطع إشراق - في نظر الملامتى - إلا إذا فتيت النفس ، وماتت جذورها وانجلت غيومها ...

ولذلك كان الرباء في الأفعال والأحوال ، هو العدو اللدود للملامتى ... لا يطيقه ولا نتسعر رثائه له لا من قريب ولا من بعيد ... فهو يفر من مواضع المديح كما نفر نحن من مواضع الذم ، وينفر من أماكن الاستحسان ، كما ينفر الناس من أماكن الاستهجان !! .

طبيعة قاسية غريبة ولكنها - فيما أرى - لذيدة ، ولعلمهم يجدون ظلاً ظليلاً في كلمة الصديق التى كان يقولها عندما يسمع أطراء أو مديحاً :

« اللهم اجعلنى خيراً مما يظنون ، واغفرلى ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون » .
فلا عجب إذن أن ينشغل الملامتى عن الخلق بالحق ، وعن الظاهر بالباطن ، وعن السطحيات بالعمق ...

واقعد ذكر السهروردي في عوارف معارفه أن أكبر دليل يرتكز عليه الملامتية في طريقهم

من الجماعة لأن الأحوال أمانات عند أهلها ،
 فإذا أظهروها فقد خرجوا من حد الأمناء :
 من سارروه فأبدى السر مشتهراً
 لم يأمنوه على الإسرار ما عاشا
 وجانبوه ولم يسعد بقربهم
 وأبدلوه مكان القرب إيمحاشا
 لا يصطفون مديعاً بعض سرهم
 حاشا ودادهم من ذلكم حاشا

وإذا كان لبعض الناس أو لأكثرهم
 أن يصرح أو يلجح عن أفعاله فليذكر الملامتي
 هذه الحقائق ليسد على نفسه هذا الباب :
 « ليعلم من أين جاء هو وأين هو ، وكيف
 هو ، ولمن هو ، ومن هو ، وإلى أين هو » .
 وأنا قد أبديت دهشتي من قسوة هذا المنهاج
 بادئ ذي بدء ، ولعلك تشاركني ، ولكن
 قصور عزائمتنا اليوم ، أو استغرابنا لهذا
 المنهاج العظيم لا يجعلنا نشك في أن جماعة
 وجدت فعلاً وطبقت هذه الأصول على أفرادها
 ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ووصلت في ذلك ،
 إلى الشأو البعيد !!

وإذا وجد جيل لا يستطيع صعود الأهرام ،
 فليس معنى هذا استحالة الصعود في سالف
 الزمان ولا مستقبل الأيام !!
 والمشاركة في الوفاء والبكاء والصبر والسخاء
 وغيرها مشاركة وجدانية نسبية ، ليست

ثالثاً : الملامتية ، وهم رجال قطعهم الله إليه ،
 وصانهم صيانة الغيرة عليهم ، لئلا تمتد إليهم
 عين فتشغلهم عن الله ، قد انفردوا مع الله
 راسخين ، لا يتزلزلون عن عبوديتهم طرفة عين ،
 لا يعرفون للرياسة طعماً لاستيلاء الربوبية
 على قلوبهم ، وليس ثم من حاز مقام الفتوة
 والخلق مع الله سوى هؤلاء .

وقد يكون ابن عربي مدفوعاً بعاطفة الحب ،
 أو ناظراً بعين الرضا وهي كيلة عن كل عيب .
 ولكن المتتبع لسلوك كثير من مريدي هذه
 الطريقة يعجب حقاً بما أخذوا به أنفسهم ،
 وفرضوه على نظام حياتهم !!

هل هناك في عالم المناهج أقصى من منهاج
 الملامتية ؟

لننظر منهاجهم ثم نحكم . وهو كاجاء في رسالة
 الملامتية لأبي عبد الرحمن السلمي :
 « الملامتي هو الذي يجمع بين اعتذار آدم ،
 وصلاح نوح ، ووفاء إبراهيم ، وصدق اسماعيل
 وإخلاص موسى ، وصبر أيوب ، وبكاء داود ،
 وسخاء محمد صلى الله عليه وسلم ورأفة أبي بكر ،
 وحمية عمر ، وحياء عثمان ، وعلم علي ، ثم هو
 مع هذا كله يزدري نفسه ويحتقر ما هو فيه
 ولا يقع بقلبه خاطر مما هو فيه أنه شيء
 ولا أن حاله مرضي .. فإذا ما ظن أنه شيء ،
 أو أذاع سراً مما هو عليه ، فليطرد فوراً

وهناك خلقتان لللامتى ينبغى الإشارة إليهما :
١ — فاللامتى يحقر نفسه ويصغر من شأنها
ولكنه يحترم غيره من الناس ويقدره أعظم
تقدير .

قال أبو عبد الرحمن السلى : سئل بعض
مشايخهم عن أول طريقهم فقال :

« تذليل النفس وتحقيرها ومنعها عما تسكن
إليه أو يكون لها فيه راحة أو إليه ركون ،
وتعظيم الخلق وحسن الظن بهم ، وتحسين
قبائحهم » .

٢ — واللامتى لا يحقر الدنيا ولا ينظر
إليها نظرة سوداء ، رأى أبو حفص أحد
الملامتية يذم الدنيا وأهلها فقال له : « لاتجالسنا
ولا تصاحبنا بعد ذلك » .

ويعتبر هذا الخلق الثانى من أهم الفروق
بين الملامتى والصوفى ، إذ أن الصوفى لاتحسن
صوفيته أو لا تستقيم طريقته إلا إذا احتقر
الدنيا ومتاعها الفانى القليل . وهذا شأن الكثير
الأغلب من الصوفية ... وبعضهم يرى تعديل
هذه النظرة ، وتقوية الحياة تقويما إيجابيا
أكثر من هذا ، ولهذا المقال ، مجال غير هذا
المجال !!

كما أن من الفروق الهامة أن الصوفية فيها
جذب وفناء وشطح وإباحة بالسر ونشر
للكرامة ، والملامتية ليس فيها إلا الصحو
وكتان الأسرار وعدم الميل البتة إلى إظهار

على قدم المساواة طبعاً فى أى صفة من الصفات ،
فالمطلوب إيجاد شخصية تلتزم هذا المنهاج وتحاوله
وتترسم خطاه ، « ومن سار على الدرب
وصل » . وكانت هذه الصفات فى نظر الملامتية
هى أهم الفضائل ، وأعظم الخلال .

وحاول بعض العلماء أن يوجدوا صلة بين
الملامتية وبين آية المائدة « يجاهدون فى سبيل
الله ولا يخافون لومة لائم » . وبين آية القيامة
« ولا أقسم بالنفس اللوامة » .

وأرى أن صلة الآية الثانية باللامتية أقوى
وأشد تماسكا من الآية الأولى ، فإن اللوم
هو أهم ما يشغل بال الملامتى - لومه لنفسه
على الصغيرة قبل الكبيرة ، ولوم الناس إياه
على هذا التشدد والتعنت - فاللام منهن وإليه ..
وإن كان المقصود فى الآية هو النوع الأول
بدهيا !! .

والآية الأولى فيها المبدأ الذى أشار إليه
حمدون القصار فى التعريف الثانى كما سبق !!
ولو فتحنا الصفحات الأولى لطليعتنا المؤمنة
المجاهدة لوجدنا الكثير من سلفنا الصالح
كان يهتم بإنكار ذاته وإخفاء عمله ورد ثناء
الناس ، فإنه يقطع العنق ، ومحاربة الرياء ،
والعمل فى جوف الليل ... وما قصص صاحب
النقب ، وتنافس أبى بكر وعمر على خدمة
المقعدة العجوز ليلاً ، وأمثالها عنا ببعيد !! .

أن البيئة الزرادشتية ليست هي كل شيء ، بل في الإسلام وأصوله وفروعه ، الثروة الهائلة للتحذير من النفس ، لأنها « أمارة بالسوء » وأعدى أعدائك . . .

ففي البيئة الإسلامية نفسها أصل التوجيهات ، والذي زاده الملامية الحساب المفروض ، والتعمق العنيف ، مما جعل الغصن يطول ويطول حتى احتاج إلى تشذيب وتهذيب ! . نعم : طال الغصن حتى التوى واعوج ! . فهناك مفهوم غامضة للملامية ، نذكر منها ما فهمه شيخهم أبو حفص في قوله جل وعز : « أو لم يسيروا في الأرض فينظروا » ، من أن السير لغير حج أو غزو أو رؤية شيخ أو طلب علم ، ترك للطريق . وإضلال للبريد . وواضح أن هذا تقييد من غير مقيد لعموم الآية الكريمة ، فكم للأسفار البريئة من فوائد ، وكم فاء الرحالة بالآيمان العميق ، والكشوفات الخارقة ! ! .

وكذلك يفلسف الملامية الخشوع فلسفة غامضة ، نقف عندها طويلا ! ! .

سئل بعضهم عن توضيح هذه الفلسفة فقال : « أوه من مفهوم بعدت عن حقائق المعاني . . . الخشوع هو اطلاع الله على الأسرار فتخشع ، فتأدب الظواهر بذلك الاطلاع ، ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى إذا تجلى إلى شيء خشع له . أريت كيف تخشع الأسرار ؟ .

الكرامات ! ! فإذا جاءت الكرامة لأحدهم دون شعور حاول فيها والتبرؤ منها ... وهو خلق - لعمرك - حميد ... إن جاز القسم ! ! وهناك فروق أخرى بطول بها المقال ! ! ومع هذه الفروق فإنى أعتبر الملامية غصنا طيبا قويا من شجرة التصوف المباركة - كما ذكرت .

وقد تشابك هذا الغصن بين الحين والحين بغصن الفتوة « الصوفية » .

فالقارىء لباب الفتوة في رسالة القشيري يجد تشابها كبيرا هنا وهناك .

ويرجع الدكتور أبو العلا عفيفي في كتابه « الملامية والصوفية وأهل الفتوة » ، ذلك التشابك إلى أن الفتوة الصوفية نشأت في فارس حيث نبذت الملامية وترعرعت ! ! . وقد تكلم الدكتور كلاما طيبا وقيما عن الملامية وهو الذى نشر رسالة « الملامية » لآبى عبد الرحمن السلبى وأضاف بهذا النشر إذا كان مفقودا في المكتبة العربية ! ! وحلل مذهب الملامية تحليلا لطيفا . . . خرج منه إلى أن الباعث على هذا المنهاج هو تشاؤم الملامية من النفس وجعلها مقابلة لله عز وجل . وأن البيئة الزرادشتية كان لها أكبر الأثر في هذه التوجيهات ! ! .

ولو عبر الدكتور بكلمة « العمق في التفكير » بدل التشاؤم كان خيرا عندى ، كما أننى أرى

وطاعته تستجلب عطاءه . وأن عطاءه يقابل فضله . .

« تقابل عبد الله الحجام مع حمدون القصار وسأله : أأتترك عملي لأعبد ربى ؟ فقال حمدون : لأن تدعى عبد الله الحجام أحب إلى من أن تدعى عبد الله العارف . »
« حسن الظن بالله غاية المعرفة ، وسوء الظن بالنفس أصل المعرفة بها ، »

« لا تكن عبادتك لربك سبيلا لأن تكون معبودا ، واجعل عبادتك له لإظهار رسم الخدمة والعبودية عليك ، »
« وهكذا تنتقل من زهرة إلى أخرى ، فتشم أريجها أنفذ وأزكى ! »

لقد تمتعت خراسان بهذه الجماعة أول ظهورها ، ثم انتشرت بقدر في العراق وما حولها ...

وجزى الله السلى والسهورردى والدكتور أبا العلا عفيفي على ما قدموا خيرا ...
« كم وددت أن أجمع بين اعتذار آدم وصلاح نوح ووفاء إبراهيم وصدق إسماعيل وإخلاص موسى وصبر أيوب وبكاء داود وسخاء محمد صلى الله عليه وسلم ورأفة أبي بكر وحمية عمر وحياء عثمان وعلم على ... ثم لا أقنخر ولا أزهو ! »
« هل إلى ذلك من سبيل ؟ »

أحمد عبيد الجواد الرومي

ومن قبيل هذه الفهوم والفلسفات أنهم يرون أن النفس كف من عجب في قالب ظلية مربوط بشواهد العامة ، وأنها كف من جهل في قالب الرعونة مربوط بحبال الأطناع ، ولذلك يرون ملامها واجبا ، وإظهار شيء من أفعالها شركا ، وإظهار شيء من أحوالها ارتدادا ...

والفهم الأخير على الأخص فهم شاط وسقيم ...

وعندى أن تعريف الصوفية للنفس بأنها لطيفة ربانية مودعة في جسم الإنسان وينبعث منها الشر ، خير بكثير من كف العجب وكف الجهل ...

ومن هنا قلت : إن الغصن في حاجة إلى تشذيب !

ذكر السلى في رسالته عن الملامتية خمسة وأربعين أصلا من أصولهم . والحق أنها كلها جديرة بالبحث والتعليق ... ولقد هزنى وأعجبني منها الكثير . ولنقرأ سويا :

« أصل العبودية شيثان : حسن الافتقار إلى الله عز وجل وهذا من باطن الأحوال ، وحسن القدوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى ليس فيه للنفس نفس ولا راحة . »

« أفل العبد معرفة بربه ، عبد ظن أن فعله

مَنْ رَوَّاعِ شَاعِرِ الْإِسْلَامِ "إِقْبَالُ"

ترجمته الأستاذ حسن الأعظمي ونظم الأستاذ الصادق محمد علي

الأرض لله :

يخلق إقبال بجناحيه مطالاً على الكون
بنظرات العقاب ، فإذا الدنيا تبدو أمامه
مجلوة الحسن بارعة الصور . هذه هي البذور
تلقى في ظلمات الأرض وتحت طيات ترابها
فما تمضي غير أيام حتى ترى الأرض قد
اهتزت وأورق نبتها الجميل ، من الذي صنع
هذا ؟ وتلك أمواج البحر الصاخبة . من
الذي أحالها بخاراً ورفعها في الفضاء ثم رفع
بها سحباً ركماً وساقها إلى الصحراء المجردة
القاحلة تحمل الماء إلى أرض ميتة مغضبة
فتنبت فيها الحياة وتخرج لسكان الصحراء
فاكهة وأبا متاعاً لهم ولأنعامهم . وهذه
الورود المفتحة بين الجنات والعيون . من
الذي أرسل إليها نسيم الصبا تداعب أوراقها
فتميل في دلال وتميس في عجب . من هذا
الذي أنبت السنابل في الحقول فبدت تشبه
الأغنياء الأقزام الذين ملأوا جيوبهم
بالذهب الأصفر . تلك السنابل التي تتم قصة
حياتها في أخريات الربيع وبداية الصيف . من

الذي قسم العام إلى فصول يتجدد بها الزمن
وتتقلب عليها أدوار الحياة في مركزها من
الكرة حول الشمس ؟ ومن الذي خاق هذه
الشمس أيضاً . تحتجب فإذا الدنيا ظلام .
وتشرق فإذا الحياة موكب وزحام ؟
أيها الأحياء : هذه نعم الله وقدرته الباهرة
في الكون . ولكن لا تغتروا ولا تتخذوها
جبروتا وملكا طاغيا . إنكم لا تملكون
منها سوى ما يملك المتفرج من الفلم الذي
يشهد فيه قصة معروضة ما يكاد ينتهي منها
حتى يلقي الستار وتبقى العبرة . هل يملك
الإنسان تراب هذه الأرض وهو ترابها .
هكذا يصور إقبال الحقيقة ثم يقول : إن
الأرض ليست لي وليست لكم . « إن الأرض
لله يورثها من يشاء . من عباده والعاقبة للمتقين » .

من أسكن الحب ظلام التراب
فأورق الزرع نضير الإهاب
من رفع الأمواج من بحرها
تسقى عطاش القفر برد السحاب
من قلبد الورد نسيم الصبا
ومن أعاد الشمس بعد احتجاب

وما قصره إلا متاحف سارق
وما السارق الجاني سوى صاحب القصر
تمتع من فقر الخلائق بالغنى
ومن عسرهم جمعا تفرد باليسر
إلى صدقات الناس أو لخراجهم
يمد يد المحتاج فى صولة الكبر
تسول من يعينه عد كنوزه
ولم يتسول مؤمن فى لظى الفقر

(٣) قبر بنعمت الى رفيعه :

يا أيها الشيخ الملم بحفرتي
وعليه ميسم ذلة وصغار
من أى ألوان الخليفة جئتني
عبدا مهينا أم من الأحرار
فعساك قبل القبر كنت معودا
موت الضمير وقبر الاستعمار
يشكو التراب إلى حين حلته
خللت من مشواك دار بوار
فبظلم نفسك زاد ليلى ظلة
يطوى دجاها صفحة الأنوار
وتكاد أرض الله تلفظ جثة
جعلت ثراها مسكنا للعار
رحماك إسرافيل دعه ولا تعد
فى الحشر صورته إلى الأنظار
إن تحي هذا العبد يخلد شره
فخذار ثم خذار ثم خذار

من أنبت السنبيل حتى غدت
جيوبه تحوى النضار العجاف
من قسم العام فصولا لها
بكل دور فى الزمان انقلاب
أيملك الحى تراب الثرى
وجسمه عما قريب تراب
ليست لى الدنيا وليست لكم
فالعمر فيها مثل ومض الشهاب
الأرض لله وسكانها
الكل منه وإليه المساب

(٢) متسول

سمعت قى بالليل من خلف حانة
محدث عن صحو وإن كان فى سكر
يقول لقد أزرى بنا متسول
على عرشه يختال بالنهى والأمر
يتيه على الشعب الذى قد سما به
إلى العز من سلطانه وهو فى أسر
وقلده تاج العلاء وهو لم يجد
قلنسوة تحميه فى وقدة الحر
وقد نسجت أيدى العراة قباة
حريرا واسكن فى خيوط من التبر
عصير دم الزراع يملأ كأسه
بأجل ألوان الشقيق من الخمر
وقد بات من حقل رحلتك يحتوى
كنوز الثرى فى كيمياء من المسكر

(٤) صرعة من جهنم :

ها هنا معبد يضيق زحاما
بضحايا الأطباع صرعى الأمان
ذكروا الله عند ما فقدوا الآو
ثان في ظلة الوجود القاني
ليس بدعا تعذيب من عبدوا الأص
نام في مارج من النيران
إنما حيرتى لهذا المصلى
ماله حاد عن طريق الجنان
عله عاش بالثناء غنيا
عن ثواب المهيمن الديان
وفقير يستنزف العين تسكبا
وقيضا من النجيع القاني
ياكل الهم قلبه وهو طاو
ويعانى مرارة الأشجان

ما القصور التى بدت كالرواسى
تصحب الذيل فى ذرى كيوان
ما القلاع التى تظاول ركن
الشمس قدرا وروعة فى المباني
غيرهم قد محا الزمان بقاياها
ويروى حديثه المدوان
وبشير العمران فى هذه الدنيا
نذير الخراب للعمران
شق فرهاد نهره العذب لكن
عاد منه بلوعة الظمان

هذه الحكمة التى تجمع الشهد
إلى السم من فم الثعبان
والسياسات حين تطوى الرزايا
خلف ستر من زخرف الألوان
والعلوم التى بها يحفر الإنسان
قبر الهلاك للإنسان
كلها حزمة الطغاة التى لم
تبكر مثلا يد الشيطان
ليس فى أرضى انتداب ولا
استعمار أرض ولا تحكم جان
لا ولا الغادرون من دول الفر
ب ولا السارقون للأكفان
إنما يصلح الفرنج وقودا
يا إلهى فاملا بهم نيرانى

(٥) أسرار المحرقة فى معانى الطبيعة :

أذاعت فى الربى سر الجبال
مصاييح الشقائق فى الجبال
طلائع نورها نور لقلبي
ونفخ عبيرها مسرى خيالى
وفى ألوانها الياقوت يزهى
على حلل الزمرد فى اختيال
ترى الأزهار صفا بعد صف
مسبحة بقدرة ذى الجلال
يحار لها الفؤاد وقد تجلت
فنون الحسن فى تلك الجمالى

تعمق في ضمير الكون واشهد
صنوف الحسن باهرة الجلال
وعش في عالم الروح انطلاقاً
تري الإقدام يأتي بالمحال
فدنيا الروح فيها ربح مجد
ودنيا الجسم فيها ربح مال
وإن المال قد يأتي ويمضي
وأنت وما ملكت إلى ارتحال
ودنيا الجسم لإفساد وختل
وإغراء يصير إلى ضلال
ودنيا الروح سكر بالمعاني
وصحو بالرق وبالمعالى
فعرش للروح في دنيا وأخرى
قفز بالعالمين بلا زوال
وإن أمسيت للأغيار عبداً
فقدتهما معا في كل حال
وإن أصبحت في الأكوان حراً
فأنت من الكمال إلى كمال
وكسب المال للخلق حق
ولكن لا تبسح شرفاً بمال

محمد حسنى الزمر

عراس من حسان الورد تحكى
قوام الحور في ثوب الدلال
وقد نظمت يمين الطل فيها
عقوداً من لآلها الفوالى
ومن شمس الصباح بدا شعاع
يسيل بها النضار على اللآلى
وفي الغابات أسرار القهارى
سرت بين النسائم والظلال
تحرصنى أغانيها فأشدو
ليفصح عن معانيها مقالى
أطارحها الهوى شدوا بشعر
فتسبقتنى إلى السحر الحلال
وجدت الحسن في الصحراء حراً
طليقا كالنسيم فما يبالي
يطالعى بجلوته صباحاً
ويذهب ضوءه ظلم الليالى
كمثل النيرات بلا نقاب
وكالعيش الهنى بلا احتلال
يفر من المدائن وهى قيد
وينشد في الربى رجب المجال
أكان يعلم الإنسان سعيها
إلى حرية ونعيم بال

اللهجات العربیة فی آسیا الوسطی

للأستاذ ج. تزییریتلی

ولی عهد قریب نسبیاً أفلح العلماء السوفیاتیون فی أن یردوا إلى الأسرة السکبيرة للألسنة العربیة ، لهجات جدیدة ضائعة فی ظلام القرون و فی سهوب آسیا الوسطی المترامية الأطراف

وعلى أثر تنقیب خاص ثبت أن فی آسیا الوسطی الیوم لهجتین عربیتین مستقلتین : لهجة بخاری ولهجة قشقاداریا . والفرق بینهما کبیر إلى حد أن عرب بخاری وعرب قشقاداریا لا یفهم بعضهم بعضا ، فهم یؤثرون التخطاطب فیما بینهم باللغتين الطاجیکیة أو الاوزبکیة .

إن العثور فی آسیا الوسطی على لهجات عربیة كانت مجهولة من قبل هو أمر ذو أهمية کبيرة فی علم اللهجات العربیة وعلم تاریخ اللغات المقارن بین اللغات السامیة . ولم یعد أی بحث فی هذا المیدان ، وأیة دراسة للألسنة العربیة ، منذ الآن ، یرتفع الاستغناء عن الوثائق المتعلقة باللهجات العربیة فی آسیا الوسطی .

لقد تطورت هذه اللهجات طوال قرون فی بیئة لغات أخرى ، فتأثرت بالطاجیکیة

تعود المعلومات عن العرب فی آسیا الوسطی إلى عهد الفتوح السکبيرة . ویقول الجغرافیون والمؤرخون العرب من القرنین التاسع والعاشر أن السكان العرب كانوا یكونون منذ القرنین السابع والثامن نسبة ما فی بعض مدن ما وراء النهر وخاصة فی بخاری و سمرقند . وقد وردت ، منذ القرن الخامس عشر معلومات عن العرب البیدو ، فی وثائق مختلفة (فرامانات) لأمراء بخاری . وفی مطلع القرن التاسع عشر کان عرب بخاری وآکتشی یؤلفون وحدات إداریة خاصة یقوم على رأسها « أمراء هزار ، (ولاة الألف) .

وابتداء من القرن التاسع عشر ، أخذ كثیرون من المسافرین ، الذین زاروا إمارة بخاری ، ینقلون أخباراً مفصلة نوعاً ما عن عرب آسیا الوسطی . فكانت تعطى معلومات عن عددهم ، وتجرى أبحاث تتعلق بعلم الشعوب وعلم تاریخ أصل الإنسان . غیر أنه حتی الآونة الأخيرة لم یکن معروفاً إلى أی حد احتفظ هؤلاء باللغة العربیة ، وما كانت علیه من الناحیة اللغویة فیما إذا كانوا قد احتفظوا بها .

هذه اللغة تصادف في اللهجة السورية واللهجة المصرية وحتى في لهجات بعيدة عنها جغرافيا كاللهجة السودانية والمالطية .

وقد احتفظت لهجات آسيا الوسطى ، في بعض الحالات ، أكثر بكثير من الألسنة العربية الأخرى ، ببقايا جوهر آراى - عبرانى .

واحتفظت هذه اللهجات بمعظم الأصوات العربية ، ولم تفقد سوى الأحرف الساكنة التى تلفظ ما بين الأسنان وبعض الأصوات المفخمة .

أما الضمائر والأعداد وظرفا الزمان والمكان والأدوات والأفعال ، التى احتفظت بأشكالها القديمة ، فهى ذات أهمية كبيرة ، وظهرت بالإضافة إلى ذلك صيغ لغوية جديدة .

فيمكن أن نلاحظ ، فيما يتعلق باسم الموصوف ، بقاء صيغة النكرة (دون تمييز فى الحالات) . وفى اجتماع اسم الموصوف والصفة ، يلحق التنوين باسم الموصوف وحده كما فى لهجات بدو الجزيرة العربية ، مثال ذلك : فرس أبيض . ومن جهة أخرى ، إن التنوين لا وجود له مع أشكال ظروف الزمان والمكان فى لهجة بخارى . فبعكس ما نلاحظه فى ألسنة عربية عديدة ، نجد هنا كلمة السلام ومرحبا ، بدلا من مرحبا ، وهكذا دواليك من الأشكال

والأوزبكية ، كما تأثرت جزئيا بالأفغانية والتركانية . وبالنظر إلى ذلك حصلت تغيرات هامة فى هذه اللهجات من حيث تركيب الأصوات والصرف وكذلك النحو . وظلت هذه اللهجات طوال مرحلة مديدة دون اتصال باللغة العربية الفصحى ولا باللهجة عربية أخرى ، مما جعلها بعيدة عن التأثير بهما . وإلى هنا يعود السبب فى أن التراث السامى الذى كان يميز عرب آسيا الوسطى فى عهد ظهورهم فى وطنهم الجديد ظل محفوظا لديهم بشكل قريب من شكله الأصلى .

إن اللهجات العربية فى آسيا الوسطى تختلف عن جميع اللهجات العربية المعروفة (سواء من حيث تسرب لغات أخرى إليها ومن حيث التراث السامى الصرف) اختلافا كبيرا يجعلها تؤلف مجموعة مستقلة كل الاستقلال تحتل كالمالطية ، مكانة على حدة بين اللهجات العربية المعروفة .

ولغة عرب آسيا الوسطى تشبه ، تاريخيا ، شها قويا اللهجة العراقية ، كما تشبه نوعا ما لهجة بدو القسم الأوسط من الجزيرة العربية . ويثبت لنا ذلك سواء من المعطيات المتعلقة بعلم اللغة أو المصادر التاريخية .

ثم إن لغة عرب آسيا الوسطى بعض الملامح التى تجعلها مشابهة لبعض اللهجات العربية الأخرى ، وهذا أمر طبيعى . فبعض أشكال

(المضاف والمضاف إليه) ما زال باقيا ، مثال ذلك . أم البنيت ، بيد أننا نصادف في كثير من الأحيان تركيبا غريبا عن اللغات السامية : نجد المضاف إليه قبل المضاف ، مثلا : « حطب مبيع » (أى بائع الحطب) .

واتسع استعمال الإضافة كما هي في التركية اتساعا كبيرا ، وهنا يوضع المضاف إليه أولا ثم يتبعه المضاف متضمنا صيغة الضمير في آخره مثال ذلك : « كتابات صاحبين » (لهجة بخارى) ، (ومعناه أصحاب الكتب ، وترجمته حرفيا : كتب - أصحابها) .

أما المفردات فهي بالأساس سامية . ومن هذه الناحية تقترب لهجات آسيا الوسطى من اللهجة العراقية ونوعا ما من لهجات جزيرة العرب ، ويظهر الفرق أيضاً بين لسان بخارى ولسان قشقاداريا في ميدان الصرف . فكلمة « خلاف » (وخلافة) مثلا الدارجة في لهجة بخارى ، لا وجود لها في لهجة قشقاداريا حيث تستعمل مكانها كلبة « او كوب » . وكذلك لفظة « ايزاب » (حيث) في لهجة بخارى ، ولفظة « ايزكو » في لهجة قشقاداريا وكلبة « ماد » (ذهب) في لهجة قشقاداريا هي غير معروفة في لسان بخارى . وكلبة « غاداك » (ذهب) الدارجة في لهجة بخارى تشير الهزم لدى عرب قشقاداريا .

المطابقة لأشكال الكلام عند البدو ولا نجد الشكل الظرفي مع التنوين إلا في لهجة قشقاداريا ، ولكن بشيء من التخفيف مع ذلك .

وقد احتفظت الأسماء بالجمع السالم المنتهى بـ « ين » ، مع مد الصوت ، مثال ذلك « موكلين » ، ويغلب الجمع حسب علامة جمع المؤنث السالم أى المنتهى بـ « ات » ، بدلا من جمع التكسير ، مثال ذلك « إيدات » (الأيدي) ، حتى في الكلمات المذكورة ، مثل « كتابات » (كتب) . ويستعمل كذلك جمع التكسير مثل « رجل » (الأرجل) وهم جرا .

واحتفظت أسماء الموصوف أيضاً بصيغة المثني : « ايدين » (اليدين) و « عينين » (العينان) الخ .

أما المقصود بلفظة « واحد » بمعنى النكرة فقد أصبح « فاد أو فرد » ، وهى لفظة دارجة في اللهجة العراقية ، كما أنها تستعمل في كلام البدو .

وتغير تركيب الجملة العربية تغيرا محسوسا فقد طرأت على لهجات آسيا الوسطى طاهرات نحوية غريبة عن العربية وغيرها من اللغات السامية ، وهذا ما يفرق بين هذه اللهجات واللسنة العربية الأخرى .

فالتركيب السامى القديم المعروف «بالإضافة،

عن هاتين اللهجتين اللتين يشكل اكتشافهما ودرسا هما - كما قال الأكاديمي أ. كراتشكوفسكي المستعرب الروسي المعروف - صفحة مجيدة في تاريخ الدراسات العربية المعاصرة وأشياء جديدة كثيرة في كنز العلوم العالمي (١) .

ج . ن. برية. بلي

عضو أكاديمية العلوم في جمهورية جورجيا

(١) أ . كراتشكوفسكي — محاولة في تاريخ الدراسات العربية في روسيا .
موسكو لينفرد . ١٩٥٠ . الصفحة ٢٥٣ .

إن هذه النظرة الحافظة إلى الخصائص اللغوية للهجات العربية في آسيا الوسطى يدل على مقدار جودة هذه اللهجات .

وقد أعد الاتحاد السوفياتي نشر مصنف في أربعة مجلدات عن لغة عرب آسيا الوسطى والمجلد الأول الذي سيصدر قريباً يتضمن نصوصاً من لهجة بخارى مع ترجمتها إلى الروسية . وسيحتوي المجلد الثاني نصوصاً من لهجة قشقاداريا مع ترجمتها إلى الروسية ، وسيكون المجلد الثالث قاموساً للهجتين ، أما المجلد الرابع فسيتضمن التحليل الغراماطيقي للهجتين العربيتين في آسيا الوسطى . إن نشر هذه الوثائق سيعطي المستشرقين فكرة كاملة

(بقية مقال معركة بيت المقدس)

الكرنك ، فإنه كان حريصاً على الدرك ، ناصباً شر الشر ، فلما شم ذلك الذئب رائحته الأبد ، عاود دخول حصنه حذار خروج روحه من الجسد .

فأنت ترى الحقيقة التاريخية وهي خروج صلاح الدين من دمشق مترقباً عودة الحاج قد لونت بشعور الكاتب إزاء هذا الخروج واستدعاء الجنود ، وإزاء إبرنس الكرك ، من أنه كذئب شم رائحة الأسد .

وعلى هذا المنوال يجرى الكاتب في كل

ما أورده من حقائق تاريخية ، يضيف عليها شعوره وإحساسه ، ويتقل من عام إلى عام ، متنبهاً حوادث الفتح وما تلاه من محاولة استرداد الفرنج لبيت المقدس إلى أن انتهت هذه الحروب بصلح الرملة سنة ٥٨٨ هـ .

وبعد ، فقد كان لمعركة بيت المقدس أثر كبير في الأدب شعره ونثره . وكانت هذه المعركة من أكبر المعارك أثراً باقياً إلى اليوم .

أحمد الأحمر بروي

وكيل كلية دار العلوم

محمد والفتران

في رأى المستشرق الانجليزي نيكلسون

للأستاذ راشد رستم

إلى شعر أوربي أصيل ، لا يظهر فيه أثر الترجمة فضلاً عن المحافظة على الأصل في سياق شعري لطيف صحيح . وكنا قد أذعناله ترجمات إنجليزية من عيون الشعر للمثنوي وابن العربي وابن الفارض وغيرهم ، في البرنامج الأوربي للإذاعة المصرية عند ما كنا نتولاها منذ عشر سنوات .

وفي سنة ١٩٠٧ أصدر كتابه الكبير - تاريخ الأدب العربي - الذي هو عمدة في ذلك في العالم الغربي من حيث الإحاطة بالموضوع ومن حيث منهج البحث والتنسيق (١) .

(١) أشار علينا أستاذنا الجليل المرحوم الشيخ محمود أحمد البطاراوى ترجمة هذا الكتاب وقد قنا بترجمة قسم كبير منه صيف سنة ١٩١٤ م وكان الشيخ أستاذاً للأدب العربية بمدرسة المعلمين العليا . وكان رحمه الله متمكناً من مادته كما كان محباً للتجديد المعصرى الأصيل في منهج تدريس الأدب العربية . وهو ما حدهاه إلى طلب ترجمة الكتاب . وكما أفاد الأستاذ تلاميذه الكثيرين علماً وفضلاً وخلقا .

الأستاذ رينولد نيكولسن Nicholson Reynold المستشرق الإنجليزي من أبرز علماء الغرب معرفة بروح الشرق ، فقد عكف وهو لا يزال مجاوراً بجامعة كمبرج على التمكن من اللغتين الفارسية والعربية حتى صار أعرف بهما من غيره ، كما تولى تدريسهما فيما بعد ، غير أنه تخصص في الآداب العربية ، وقد تولى كرسي الأستاذية فيها منذ سنة ١٩٣٩ إلى أن توفي سنة ١٩٤٦ في جامعة كمبرج (١) ، وكان إلى ذلك متصوفاً ، ألف كثيراً عن التصوف الإسلامى وجعله قابلاً لمنهج البحث العلمى . كما أنه ترجم كثيراً من آثار المتصوفين الإسلاميين . وقد حباه الله بموهبة نادرة هي قدرته على نقل الشعر الفارسمى والعربى

(١) تولا به ، ولا يزال يتولا إلى يومنا هذا ، تلميذه وصديقنا الأستاذ أربرى Arberry صاحب البحوث والمؤلفات الكثيرة عن الآداب العربية وعن التصوف الإسلامى ، وقد أصدر أخيراً ترجمة للقرآن هى أحدث ما صدر من ترجماته المصرية بالإنجليزية .

ولا من خلفه) وإنه لكتاب عزيز ، أى فريد في بابه نستخرج منه مادة من الحقائق لا نزاع فيها ، كما نعرف منه الأصول والتطورات التي مر بها الإسلام في أول عهده . وإنها لميزة لهذا الدين لانجدها لغيره من الأديان الأخرى كالבודהية والمسيحية واليهودية وغيرها .

٢ - الأحاديث

لم يكن للنبي رفيق يلازمه في غدواته وروحاته يدون عنه كل ما يفعل أو يقول . على أنه ما وقف محمد يوماً لينخطب أو يجلس ليتحدث إلا وتوجهت إليه البصائر والأبصار - ذلك لأنه لم يكن رجلاً عادياً . - وإن كل كلمة ينطق بها أو حركة يفعلها يلتقطها أصحابه وصحابته ومريدوه - بل وأعداؤه - يقيمون لها الوزن والتقدير والاعتبار .

وقد عرف عن كثير من أصحابه أنهم «المحدثون» أى الذين أخذت عنهم الأحاديث بالرواية ، وقد وضعوا لكل حديث أصليين أساسيين - المتن والسند - ولكل من هذين الأصليين فروع ليس هذا موضعها .

٣ - التفاسير

إن محمداً نفسه قام بتفسير بعض الآيات . ولكن الفضل في وضع علم التفسير يرجع إلى ابن عباس وهو ابن عم النبي .

ويلاحظ أنه ليس من مستشرق غربي وأوربي ، مهما كانت ناحية تخصصه في الاستشراق إلا ويعكف على دراسة حياة نبي الإسلام محمد عليه السلام . ولا غرابة في ذلك فإن محمداً هو النبي العربي والقرآن هو الكتاب العربي .

وقد خصص الأستاذ نيكولسن في كتابه عن الأدب العربي فصلاً قياً عن «محمد والقرآن» ، نعرض هنا كثيراً من آرائه وتعليقاته فيه ، دون ذكر ما جاء فيها مما يستوجب البحث والمجادلة إذ ليس هذا مجاله .

يقول إنه لم يكذب محمد يظهر حتى زالت الغشاوة الكشيفة ورفع ذلك الستار السميك عن ذلك العصر الذي تقدمه ، ثم نجد أنفسنا قد وقفنا فجأة على حقائق وتقاليد تاريخية صحيحة ثابتة .

ولكى نفهم أسباب ذلك التغير المفاجئ لابد من ذكر المصادر الرئيسية التي نستمد منها ما نأخذ من معلومات عن حياة النبي وتعاليمه .

١ - فالقرآن هو لاشك أول المصادر ، وهو السجل الإنساني الكامل البنيان والبيان ، الذي نقف منه على جميع أطوار شخصية محمد ، وعن مختلف العلاقات بينه ، في حياته الخاصة ، وبين الحياة العامة . وهكذا نجد بين أيدينا هذا الكتاب (لا يأتية الباطل من بين يديه

ثم أخذ أنصاره يزدادون ولكنهم وجدهم في عنت كبير من أهل مكة الكفار فأمرهم بالهجرة إلى الحبشة ، حيث يدين ملكها وأهلها بالمسيحية السمحة ، فوجدوا عندهم ترحيباً وتكريماً .

هذا ومن الأدلة على إخلاص هذا الرجل (محمد ..) أنه لما رأى استحالة الاتفاق الحقيقي مع أهل مكة عبدة الأصنام خشى أن يكون اتفاقه معهم دليلاً على اعترافه بوضعهم وتنازلاً منه عن مبادئه التي أرسله ربه من أجلها - عند ذلك عدل عن اتفاقه مع قريش وأخذ في شن الحرب على كل صنم أو صورة أو رسم أيا كان شكله وموضوعه ، وجعل يبحر منادياً مكرراً - لا إله إلا الله - لا إله إلا الله .

وهكذا أخذ محمد يوجه كل قوته لهدم الوثنية وعبادة الأصنام والشرك بالله . ثم كان إسلام عمر بن الخطاب (رجل الدم والحديد) مبدءاً للقيام بانقلاب جديد . فلم يعد عبادة المسلمين سرا بل جهروابها وأخذوا يتجمعون جماعات حول الكعبة تصلون ويقومون بشعائر دينهم . واثقين من أنفسهم ، ظاهرين بشجاعتهم .

وهنا تولى قريشا الرعب والخوف من العاقبة ، فبيتوا لمحمد أمرا . ولكنه أفسد

ولقد كانت سوق الأحاديث النبوية الموضوعية رائجة في العصر الأول وقد اغتنمت الأحزاب ذلك واتخذوها أسلحة يستعملونها في أغراضهم السياسية والدينية والاجتماعية .

* * *

ولما بلغ محمد من العمر الأربعين جاءه الملك في غار حراء وقال له اقرأ .. فقال ما أنا بقارى .. وقيل إنه قال للملك : ما أقرأ أو ماذا أقرأ ؟ (١)

ثم تولاه الخوف والرعب وخشى أن يكون به مس من الجن لولا أن زوجته المخلصة الصالحة (خديجة) قامت برعايته وهونت الأمر عليه وجعلته يعتقد جازما بأنه لا سلطان للشيطان عليه بل إنه النبي المنتظر المرسل بالحق والهدى .

غير أن الوحي انقطع زمنا طويلا كاد يتولاه فيه اليأس . وما هي إلا فترة ، امتحان حتى عاد فرأى الملك فزال عنه الشك وتولاه اليقين واعتقد بصحة رسالته وهو يقول له - يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فسكب ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر (٢) الخ .

(١) فلا عن ابن هشام ! !

(٢) يعتقد كثير من المستشرقين المعصبين إن كلمة « الرجز » هنا هي بمعنى عبادة الأصنام .. كما أنهم يفسرون قوله تعالى : « ووجدك ضالا فهدى » بأن الضلال هنا بمعنى عبادة الأصنام .

هذا ولم يكن محمد خيالاً دون أن يكون عملياً . ففي دينه من الشعائر والفروض ، ما فيه مشقة للنفوس والأجسام كالصوم والحج والجهاد وما إلى ذلك . غير أنه أضفى بروحه وروحانيته على كل هذه الأنواع من المشاق روحانية عظيمة عليها مسحة من الزهد والخضوع والنظام لا تزال رغم القرون تحتفظ بها إلى يومنا هذا .

إن محمداً بما أظهره من أول عهده من آيات العظمة النفسية ليدعونا إلى الإعجاب العظيم به . إذ هو مؤمن بيقينه مدفوع بأسمى فكرة يستطيع الإنسان أن يبشر بها بالحق الذي أوحى إليه به .

على أن محمداً كاد يكون في تلك الحال منفرداً ، ولكنه شجاع لا يعرف الخور ولا الخوف ولا الوجل أمام أقوى صرح للخرافات والمعتقدات الباطلة فلم يستسلم أبداً للتهديد والوعيد والاستهزاء ... بل أوعده وهدده وهزى هو من أعدائه ، وتحداهم في صميم عقائدهم رابط الجأش هادئ البال ، لا يبالى بما يفعلون .

* * *

ذلك ما كان من عهد محمد في مكة . فلما هاجر منها إلى المدينة كان قد خلاص من مهمة إرساء القواعد الأساسية للدعوة ، وصار الرجل السياسى .

عليهم أمرهم وقام ومن معه بالهجرة إلى المدينة ذلك الحدث العظيم .

وفي شهر سبتمبر سنة ٦٣٢ ميلادية دخل محمد المدينة ، فاستقبله أهل العصبة من قومها استقبال الفاتحين الظافرين بالقلوب قبل الأجسام .

وقد صار هذا الحدث العظيم رمزاً على زوال صولة الجاهلية وابتداء عهد محمد ، وقيام دولة الإسلام .

* * *

أما التعليم والمبادئ الأولى التي دعا إليها محمد في الحقبة التي عاشها بمكة فتتلخص فيما يلي : أولاً : لا إله الا الله .

ثانياً : محمد رسول الله - وأن القرآن كلام الله أنزله على رسوله ،

ثالثاً : البعث يوم القيامة حيث الحساب لكل امرئ بما قدمته يده في هذه الحياة . رابعاً : الجنة للصالحين وجحيم للطالحين .

* * *

إن محمداً منذ اللحظة الأولى عرف أنه سيلتقي ربه يوم اللقاء . مسؤولاً عما فعل بالرسالة فصار يدعو الناس وهو على يقين بعقيدته ، فجعلت من ضعفه قوة ، ومن خوفه أمناً ، ومن جزعه صبراً ، كما تحمل في سبيل الرسالة ما تحمل من الأعباء والأرزاء والمصاعب والاضطهاد بقلب سليم ويقين ثابت

واسمه دوجوج de goeje قوله : إننا نرى في محمد ذلك الإدراك الذى تكسوه الرزانه المعهودة في عشيرته ، كما نرى فيه الشرف وعزة النفس والحصافة وصحة التقدير والتغلب على النفس - تلك الصفات التى لا يختص بها إلا أولو العزم وأرباب القوة في العقل السليم والجسم السليم .

ولقد نقلته ظروف الحوادث ومقتضيات الأحوال من نبى إلى مشرع إلى حاكم . غير أنه لم يعبأ لنفسه بشيء من ذلك بل هو لا يبغي ولا يزيد إلا أن يكون رسول الله رب العالمين إذ في هذا التعريف شمول للإسلام كله .

ولقد كان محمد ، مثل كل عرب أصيل ، سريع التأثر حتى بلغت به الحال أيام كان يجاهد النفس الجهاد الأكبر ، إلى درجة أزجته هو نفسه قبل الدعوة ، غير أنه لم يتأثر بالآوهام ولم يكن خيالياً يهيم وراء الأحلام ، وإنما وقف يدفع عن نفسه بالبراهين المقدسة ، الهمة التى قيل فيها : إن ما يراه محمد هو أوهام وخيالات من الحواس .

ثم يسأل ويقول : والآن لا أدرى لماذا لا تؤمن به ؟ .

أما نحن فنقول : الله أعلم ؟

راحمه رستم

وعما لاشك فيه أن هجرة محمد أفادت الإسلام فائدة عظمى ، وكانت أكبر عامل في انتشاره وعلو كلمته وتوطيد دعائمه - ذلك أن محمداً لجأ إلى قوم ليس بينه وبينهم قرابة وإنما تربطه بهم جامعة الدين ووحدة العقيدة . وقد قام بذلك خير قيام في كياسة عظيمة وحنق كبير ، وليس من شخص آخر على الإطلاق كان أكثر من محمد قدرة على التأثير في أمته وتكييف أحوالها ، ففي عشرين عاماً زرع كل بذور التطور السياسى والعقلى التى يمكن أن يمر بها العرب عبر القرون .

هذا ومهما تمض السنون وتوسع فرجة الزمن بين محمد وأتباعه من المسالين ، ومهما تتوال العصور ومهما يتقدم المسلمون حضارة وتمديننا ، فإنهم لا يزالون يرجعون إليه إماماً في كل شيء وهادياً يهديهم سواء السبيل . وإذا كانت الأحكام قد تضاربت والآراء

قد اختلفت فإنى أنا (رينولد نيكولسن) أعتقد يقيناً بأن محمداً ليس دجالاً ولا مريضاً بأعصابه ، وليس مجرد مصلح اجتماعى كما يريد بعضهم أن يصفوه ، وإنما هو رجل ، من أول أمره وفى كل شأنه وأحواله ، مخلصاً متحمساً لدينه ، ملهماً به عن حق ، مثل كل نبى من أنبياء العهد القديم .

وقال نيكولسن نقلاً عن أحد الكتاب

أضواء على ناسخ أديب : صورة من سماحة الإسلام للأستاذ محمد رجب البيومي

يقرأ المؤمن المتدبر قول الله عز وجل :
 « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون
 أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون » ،
 فيستشعر إجلالا مهيبا لما يوحى به هذا
 الص الكريم ، فهو في نبلة الإنسانى يشف
 عن سماحة حميدة تتسع حتى تشمل المماونين
 من أعداء الدين ، وإن لنا في آيات الكتاب
 وأحاديث لرسول ، وسير الصفرة من قادة
 الإسلام لنماذج كثيرة تنحو هذا النحو
 الرائع ، وتسمو بالمشاعر المسلبة إلى أفق
 إنسانى ودود . ولم تقتصر هذه الساحة
 البالغة مع أهل الكتاب عن أن نجادلهم بالنهى
 أحسن ، وندعوهم إلى كلفة سواء بيننا وبينهم
 ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، بل شملت
 غيرهم ممن لا يرجون إقاء الله وكذبوا بما
 لم يحيطوا به حتى ليدعونا الكتاب العزيز أن
 نبرهم ونقسط إليهم إن الله يحب المقسطين ١١ .
 وقد أفاض الكتاتون من دعاة الإسلام في
 إيضاح هذه الصفحة الوضيئة من صفحات

الإسلام بما لا يدع مزيدا المستزيد ، وأنا
 هنا لا أحاول أن أكرر معادا ألفته الأسماح
 وأطمأنت إليه العقول ، ولكنى أعرض على
 ضوء هذا الهدى المشرق سيرة أديب صابى
 من عبدة السكواكب ، وسعته سماحة الإسلام
 عن صدر رحب ، وبشر متהל ، فبلغ في
 دنيا الأدب - كتابة وشعرا - وهو يومئذ
 عربى يفتدى بعذوبة القرآن وسلاسته -
 مكانة رفعتة إلى أسنى المراتب ، وهيات له
 أن ينوب عن الوزير فيما يصرف من مهام .
 ويقرر من شئون ، وكفى في تاريخ الإسلام
 من أمثال له وسعته إنسانيته العادلة فبلغوا
 الأوج الشاهق دون أن تطمس لهم كفاية
 مقسورة ، أو يجحد لعبقريتهم فضل
 ملبوس !! وإذا كان كل هؤلاء من أهل
 الكتاب ، فإن العجيب حقا أن يصل إلى
 هذه المنزلة في دنيا الإسلام صابى لا يعترف
 المسلمون بشرعية دينه ، حتى لقد حاول
 المأمون أن يرجع تعاليمهم إلى وحى سماوى

وعلى البشر تعظيمها وإجلالها، لأنها الآلة المدبرة المتصرفة والفرق بين الفرقتين واضح، إذ أن الأولى تنسب الخلق والإيجاد للأشياء لا لله، والثانية تجعلهما للكواكب، وأرجح أن أبا إسحاق كان ممن ينتمون إلى الفرقة الأولى، فمثله في عقله الثاقب واطلاعه الواسع على أديان عصره أكبر من أن يعتقد هذا الاعتقاد البدائي !! حقا لقد كانت الكواكب مؤهلة عند أكثر الناس في طفولة البشرية حين كانوا ينظرون فيجدون للشمس والقمر والنجوم من العظمة والإشراق والعلو قدرا كبيرا، ولكن تطور الخليفة، واكتمال النظر، وتتابع الرسالات جعل من هذه العقيدة أسطورة مضحكة لا يجدر بكاتب مفكر أن يعتنقها في القرن الرابع الهجري. على أننا مع هذا التقدير لا نستبعد شيئا على الإطلاق فالأمر في العقائد يخضع لتأثير العاطفة والبيئة خضوعا تنهافت دونه أدلة العقل، وللترقية الأولى في عهد الطفولة أثرها المحسوس في تحديد المذهب وتعيين الاتجاه.

ولقد نشأ الصابي في عهد يزخر بأئمة البلاغة وأمرأ الأدب ممن تسنموا ذرى الرئاسة والسياسة عن طريق البيسان والإفصاح، فلو كان الرجل فذا مفردا لاشريك له في أدبه وثقافته لقلنا: إن دوله الإسلام قد احتضنته

حرف فيه الحكم عرب مواضعه فلم تسعفه عباداتهم وطقوسهم بما يريد ! إن العجيب حقا أن يصل أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي الحرائي إلى مثل هذه المسكاة في دنيا بني العباس، وبغداد يومئذ حاضرة الدنيا وعاصمة الإسلام.

ونحن حين نبحث عن الصابئة في القرن الرابع الهجري - عصر أبي إسحاق - لا نتلبس تعليمها بما كتبه الكتّابون عنها في القرن العشرين !! فأكثره مشاهد شخصية لباحثين متجولين رحلوا إلى أماكنهم المنتشرة في العراق، فأخذوا من تعاليمهم المستحدثة وأوضاعهم المستجدة ما حسبوه ديننا أصيلا للصابئة ! قد انحدر إليهم من أزلم السحيق، ولكننا نرجع إلى ما كتب عنهم أيام أبي إسحاق أو بعده بقليل فنجد مؤرخي الملل والنحل قد جعلوهم فرقتين مختلفتين؛ فرقة تقول إن خالق الكون هو الله سبحانه وتعالى ولكنه خلق الكواكب كالشمس والقمر والنجوم لتكون قبلة للدعاء ومركزا للصلاة، فهي دلائل وجوده، ووسائل نفعه وضرة، وفرقة ثانية ترى أن الله خلق الكواكب وحدها فقط، ثم تركها تخلق ما أرادت من إنسان وحيوان ونبات وجماد، وهي المدبرة لما في الكون من صحة ومرض، وخير وشر،

على نشوز دينه حين افتقرت إلى سداد بلاغته وسحر مقالته ، أما وقد تألق نجمه في سماء بزغت بها شمس وضاءة في النثر والشعر معا مثل ابن العميد والصاحب بن عباد وأبي حيان التوحيدي وأبي الفرج الأصفهاني وأبي بكر الخوارزمي وأبي الطيب المتنبي وأبي فراس الحمداني والشريفين الرضى والمرضى وغيرهم ممن لا يحيط بهم الحصر ، ومع هذا التزامهم الشديد على السبق في مضمار الأدب فقد شق الصابي طريقه ووجد من أعيان الخلفاء ووجهاء الوزراء من وضعه في مكانه المرموق ؛ فإن ذلك وحده لينهض دليلا على سماحة بيئته التي نشأ فيها ، ويعطى البرهان الأكيد على أن المسلمين بعيدون عن التعصب بعداً يدعو إليه القرآن وتشيد به أحاديث الرسول .

لقد كان الوزير المهلبى ، وهو ببغداد صاحب السكلمة العليا في دولة الخلافة صديقا حميا لأبي إسحاق ، يحن إليه إذا غاب فيستدعيه كما يأنس به إذا حضر ويستشيريه ، وكثيرا ما أقامه مقامه في الوزارة إذا ارتحل عن العاصمة في تسكين نائرة أو تضميد نائرة ، فلا يجد أحد حرجا من إقامة صابي منبوذ مقام وزير مسلم في خلافة سنية تستهدى كتاب الله فيما تقوم به من الأوامر والأحكام ، ولم يكن الوزير المهلبى ضيق الأفق قصير النظر ،

فيرمى بالغفلة والحق في إسناد الوزارة إلى الصابي ، واسكنه كما يقول الثعالبي نقلا عن اليتيمة ج ٢ ص ٢٢٣ دكان من ارتفاع القدر واتساع الصدر ونبل الهمة ، وفيض الكف وكرم الشيمة ، على ما هو مذكور مشهور ، وأيامه معروفة في وزارته لمعز الدولة ، وتديره أمور العراق ، وانبساط يده في الأموال مع كونه غاية في الأدب والمحبة لأهله ، وكان يرسل ترسلا مليحا ، ويقول الشعر قولا لطيفا يضرب به المثل ، ولا يستحلى معه العسل ، هذا الوزير السياسي الأريب وجد من سماحة دينه وسمو إسلامه ما اصطنع به أبا إسحاق عن دربة واختباره فكان كما يقول الثعالبي في موضع آخر ج ٢ ص ٢٤٣ « لا يرى الدنيا إلا به ويحن إلى براعته ، وتقدم قدمه ، ويصطنعه لنفسه ، ويستدعيه في أوقات أنسه ، وظل وافيها لصادقته حتى قتل في إحدى الفتن بعمان نقطع الموت مودة حلوة هنيئة وخسر الصابي بفقده ذخرا ثميناً وكنزاً لا تنفى بقيمته كنوز .

ولم يكن الوزير المهلبى فريدا في اصطفاؤه أبا إسحاق ، فقد كانت تأتيه هذا ياسيف الدولة الحمداني ، وتحف عز الدولة بختيار بن بويه ، حتى لقد عرض عليه الوزارة نفسها إن أسلم فما استجاب لعرضه ، ولم يشأ أن يحيره على ما لا يريد ، وظل يؤثره بنفائسه وألطفه ،

على نشوز دينه حين افتقرت إلى سداد بلاغته وسحر مقالته ، أما وقد تألق نجمه في سماء بزغت بها شمس وضاءة في النثر والشعر معا مثل ابن العميد والصاحب بن عباد وأبي حيان التوحيدي وأبي الفرج الأصفهاني وأبي بكر الخوارزمي وأبي الطيب المتنبي وأبي فراس الحمداني والشريفين الرضى والمرضى وغيرهم ممن لا يحيط بهم الحصر ، ومع هذا التزامهم الشديد على السبق في مضمار الأدب فقد شق الصابي طريقه ووجد من أعيان الخلفاء ووجهاء الوزراء من وضعه في مكانه المرموق ؛ فإن ذلك وحده لينهض دليلا على سماحة بيئته التي نشأ فيها ، ويعطى البرهان الأكيد على أن المسلمين بعيدون عن التعصب بعداً يدعو إليه القرآن وتشيد به أحاديث الرسول .

لقد كان الوزير المهلبى ، وهو ببغداد صاحب السكلمة العليا في دولة الخلافة صديقا حميا لأبي إسحاق ، يحن إليه إذا غاب فيستدعيه كما يأنس به إذا حضر ويستشيريه ، وكثيرا ما أقامه مقامه في الوزارة إذا ارتحل عن العاصمة في تسكين نائرة أو تضميد نائرة ، فلا يجد أحد حرجا من إقامة صابي منبوذ مقام وزير مسلم في خلافة سنية تستهدى كتاب الله فيما تقوم به من الأوامر والأحكام ، ولم يكن الوزير المهلبى ضيق الأفق قصير النظر ،

وما زاده تمسكه بدينه لإلرافعة وسموا في عينه ، وهو بعد دين منبوذ لا يقوم عند غير الصابئة على أصل ولم يأت به نبى تذكره الأديان .

وكان الصاحب بن عباد تياها نخورا يرى نفسه بالحل الأعلى من السياسة والبيان معا ، ولكسكه كان يدخر لأبي إسحاق ودا كريما وتقديرا رائعا ، فهو يحرص على مودته متلطفا ويستدعيه إليه متحجبا ، فيقدم تارة ، وبجهم تارة ، وما كان للصاحب وهو الوزير الرئيس التياها أن يتحمل إحجام فرد ما عن تلبية ندائه ، لو لم يكن يقدره قدره ، ويزن قيمته في دولة البيان ، ومع أن الصاحب قد جافى أبا حيان التوحيدى المسلم ونابذه لفرط اعتداده بنفسه ، فلم تشأ له سماحته الحساسة أن يجافى أبا إسحاق الصابى لإحجامه ، بل أخذ يعترف صراحة يفضلته وعقله ، ويقول : « كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة : الأستاذ ابن العميد ، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، وأبو إسحق الصابى ، ولو شئت لذكرت الرابع ، ، ويعنى به نفسه ، فتراه يذكر أبا إسحاق ، ويترك أبا حيان ! ! » والتوحيدى باعتراف أساتذة النقد سيد الجميع ، فلو أن تعصبا دينيا طاف بنفسه الصاحب لأسقط أبا إسحاق كما أسقط من هو أفضل منه من أبناء ملته ، ولكنه التسامح

والمعتدل يفرضه القرآن ، وتوجيه الأخلاق ، وبهما يعيش أبو إسحاق قرير العين مطمئن الفؤاد .

وأطرف ما يروى في حياة الصابى هو صداقته للبيت العلوى في بغداد ، فقد كان نقيب الطالبين الشريف الموسوى والد الرضى والمرضى من أصدقائه المحضين بأدبه وذكائه . ولم يجد الزعيم العلوى غضاضا ما فى أن يتأثر وده بأديب صابى ، يفد إلى داره بين الفينة والفينة فيؤاكلة ويحادثه ، ويصادق شبليه الناشئين لأن الاسلام فى لبابه يحرص على مودة محالفيه ، ويعلم كتابه الصريح أن لا إكراه فى الدين فقد تبين الرشد من الغى ، وقد امتدت صداقة أبى إسحاق للبيت العلوى حتى مات الوالد وترعرع الشريف ليؤكد الصلة ويعرق المائة ، فكانت صداقة الفتى اليافع والكهل الفانى مضرب المثل بين الناس حتى خرج الصابى عن طوره فرشح الشريف فى بعض أبياته لإمارة المؤمنين ، ولم يجد من الخلفاء من يغفل له الحساب على وعورة المسلك وخطر المركب ، وظلت المطارحات الشعرية يتجاوب صداها بين الصديقين أمد غير قصير ، فتفصح عن إخلاص متبادل وتقدير مشترك . ورواة الأدب يذيعونها فى كل مجلس فتعطر بها الأندية ، وتحلو بترديدها الأسمار ، حتى مات

على أن الصابيء كان متشدداً في اتباع تعاليم الصابئة ، فلم يكن ليتحلل بعض الشيء كما نلاحظ في سير أناس من الأدباء ترهقهم ملزمات الدين فيطلقون لشهواتهم العنان .

وكثيراً ما اشتهروا ببغداد على عهد أبي إسحاق وفيهم شيوخ الدين كالقاضي التنوخي وابن معروف وابن قريعة وأضرابهم ، ولكن الصابيء راعى حدود الدين مراعاة تحسب له لا عليه ، فقد حضر يوماً مأدبة الوزير المهلبى فامتنع عن لون محرم من ألوان الطعام لدى الصابئة ، فقال له المهلبى : كل ولا تبرد ، فأجاب في أدب : لا أحب أن أعصى الله في مأكول ، وذكر بعض مؤرخيه أن عز الدولة بختيار بذل له ألف دينار على أن يأكل الفول وهو مما حرم في دينه فرفضها عن تعفف ، وله شعر جميل نلّس فيه هذه الزعة الدينية المتحرجة كأن يقول :

حتى لذى رتب المعالى

وضنى بالمرودة والوقار

ودين ضاق فيه مجال فتكى

لخوف عقوبة وحذار نار ولم يزد هذا التشدد إلا إكباراً في نفوس النصفين ، فما قرأنا فيما كتب عنه على كثرتة أن أحداً من خلصائه قد ضاق بشدده ، بل تركوه يؤدي فرائضه الدينية ، ومقدساته الشرعية ، وحسبهم منه أن يحازيهم وفاء بوفاء .

(البقية على صفحة ٣٧٠)

أبو إسحاق فجزع عليه الشريف الرضى جزعا نال منه كل منال ، ورثاه بقصيدة فريدة بعدها بعض النقاد من أبلغ مراقى الشريف إن لم تكن أبلغ ما قال !! ثم عاود رثاه مرة ثانية وثالثة ، حفظ ديوانه الذائع ثلاث مرثيات خوالد للصدوق الراحل ، مع أنه رثى والده الشريف الموسوى بقصيدة واحدة ! فإى وفاء حتى عاش في مهجة الشاعر لصاحبه الفقيد ! إن الدنيا لتضيق في عينيه بعده فيكرر الرثاء مرة ومرة ليستريح ، فما ينعم ببعض ما يريد بل يكون ما له كما قال في إحدى مرثياته :

رثيتك كى أسلوبك فازددت لوعة

لأن المراثى لا تسد المرازيا وهو بيت صادق لا يقل روعة عن قوله في مرثائه الأولى :

سلوا من الأبراد جسمك وانثنى

جسمى يسل عليك فى الأبراد

وقوله في مرثيته الثالثة :

أمضى وتعطفنى إليك نوازع

بتهد كصبابة العشاق

وإن صابئاً ينال هذا التقدير من رئيس ديني وزعيم علوى كالشريف الرضى وأبيه لدليل على أن أبناء الإسلام يعتنقون حكمه المسلزم فى المساواة والعدالة بين الأجناس والأديان دون تفريق .

الإسلام والمدنية المثالية

للأستاذ عباس طه

الجهود التي يبذلها الإنسان لتحسين حياته المادية وتسهيل محاولاته المعيشية والذهاب في ترقية وسائله الحيوية وحاجاته الأدبية والفنية إلى أبعد ما يمكن أن تصل إليه تحت ضوء العلوم والصناعات المختلفة .

ليس في المدنية الصحيحة ما يعاند الدين الحق أو يقف في سبيله إذا استثنينا ما تشره من مذهب فلسفي يرى غير ما يقرره الدين في مسائل الاعتقادات ، وهذا الخلاف مرده العلم ، والعلم الصحيح لا يعاند الدين الحق في شيء ، فلا يلبث هذا الخلاف العارض أن ينحسم ، أو يبقى مقصوراً على طائفة لا يؤثر شأنها على سواد الناس .

إذن فما الذي استحدثت هذه الهوة السحيقة بين الدين والمدنية في نظر بعض الآخذين بمبادئ الحياة العصرية الآلية اليوم ؟ .

أوجدها خطأ جليل تسرب إلى عقولهم ولم يفتنوا إليه ، وهو أنهم خلطوا بين المدنية على وضعها الصحيح وبين ما استحدثه أهل الإباحة على العلم والفلسفة والأخلاق الفاضلة تحت ظل الحرية الشخصية وأصقوه بالمدنية

الدين الحق والمدنية السامية يتفقان في المبدأ والغاية ، ولما كان أمر المدنية من الشؤون التي تعتبر في الدرجة العليا من الخطورة ، لافتتان الناس بها افتتاناً يسلبهم إرادتهم ويدفعهم في سبيل مخوفة بالأخطار ، ونظراً لما يفهمه بعض الناس من معنى المدنية وطرائقها وجب علينا أن نوفي هذه الناحية حقها من البحث والتحقيق والتمحيص ، وفي عرضنا لهذا الموضوع المتشابه الخلفات ، نتوخى تحليل أمهات الشبهات تحليلًا علميًا ، لأن بقاءها ماثلة في بعض الأذهان على حالة شبهات لا تقبل الدحض ، وكامنة في نفسية الدهماء وإن لم يستطيعوا الإفصاح عنها بأطراف ألسنتهم ، يجعل كل محاولة لإنقاذهم من سلطانها ضرباً من ضروب العبث واللغو فما اتهم المدافعون عن الأديان بأشد من كراهتهم مواجهة الاعتراضات وانقائهم بالحيد عن طريقها ، وتركها تفتك بالنفوس والقلوب فتكا ذريعاً .

ما الذي أوجد ما يتخيله البعض من التناقض بين الدين والمدنية ، إذا كانت المدنية ثمرة

السطحيون مدنية ، محكوم عليها بالتلاشى ، أو ببقائها موصومة بأنها خروج على العلم ، وعدوان على الحكمة .

، وهناك مدنية تتفق والعلم ، ومتى انفتحت والعلم فقد انفتحت والدين ، لأن العلم الصحيح لا يجافى الدين الصحيح ، بل يؤامه ويماشيه . فالنزاع القائم الآن هو بين المدنية والعلم ، أكثر مما هو بين المدنية والدين وموضوعه :

لو ألزم الناس وصايا العلم من كبس جماح الأهواء النفسية ، والإباحات البهيمية ، والاعتدال في توفية المطالب الجسدية ، ألا يؤثر ذلك في إضعاف العوامل الحافزة للبدنية ؟ لأن الناس متى لزموا حدود الحكمة في مطعمهم ومشربهم ، وامتنعوا عن كل ما يقرر العلم لإضراره بصحتهم وعقولهم ، ولم يخرجوا في ملاهيمهم وملاعبهم واجتماعاتهم عما رسمه من آداب وتقاليدهم ، بطلت المعارقة والمقامرة والمخاصرة والمكاثرة ، هذه الأمور كلها التي تستنزف الأموال ، وتبيد الآداب والأخلاق ، وتفسد القلوب ، وتهتك الأعراض ، ويظن البعض - جهلاً - إلا أنها تدفع الصنائع للإتقان ، والفنانين للإبداع ، والكتاب والشعراء للإنتاج ، وتلهب النفوس كافة إلى التبارى لنيل النشب الذي يوصلهم إلى استيفاء ضروب المشتريات ، والنشب الذي هو المال لا يوصل إليه إلا بالعمل والدأب والإتقان والابتكار

ومرد هذا الخطأ الشنيع هو ما يراه الناس بأعينهم اليوم من جرى الأمم المتمدينة قاطبة وراء المتع النفسية من مأكّل ومشرب وملبس .

غير مقيدين فيها بغير ما توجه عليهم تقاليد تواضعوا على مراعاتها في المشية والقعدة والسلام والكلام وتناول الشراب والطعام ، أما ما وراء ذلك من مخالفة ما يأتونه لأصول الآداب الصحيحة فلا يأبه له أحد .

فالعلم يحرم كل ما يحرمه الدين على مقتضى وجهة نظره الخاصة ، فيحرم الخمر والميسر والتبرج والتهتك والزنى والمناظر المشيرة للشهوات ، والسباع المميت للقلوب والتواضع على تقاليد تعتبر أدبية وليست من الآداب الصحيحة في شيء .

ولكن الذين يعتبرون أنفسهم متمدينين لا يقيمون للعلم وزناً ، ولا يعتمدون على مقرراته فيما هم مدفوعون إليه من إشباع أهوائهم النفسية ، وملاذم اجتماعية . فهذه المدنية على هذا الضرب ليست علمية ، ولا هي ثمرة أى مذهب فلسفى حتى ولا المذهب المادى نفسه ، فإن الملاحدة وإن كانوا يكفرون بالقضايا الاعتقادية إلا أنهم لا يديحون لأحد أن يخرج على مقررات العلم .

فهذه الانحرافات الخلقية التي يسميها فيكون من وراء هذا النهم الثائر لتحصيل

إن الذين يرفعون صروح المدنية ويشيدون معالمها ليسوا هم من تقع عليهم العين من المترفين الإباحيين الذين يأكلون ويشربون ويتمتعون كما تتمتع الأنعام ، ولكنهم طبقة من الناس شغلهم ما هم فيه من العمل المتواصل لا أقول عن اللهو والقصف ، ولكن عن حاجاتهم الضرورية ، فهم يصلون الليل بالنهار دأباً كأن قيسم الوجود سخرهم له ، فهم قانون فيه لا يستطيعون عنه تحولا . لجمهور الذين يضعون العلوم ويرتأون النظريات ويقررون المبادئ الأولية من العلماء والفلاسفة لا يكادون يجدون في عمرهم وقتاً للاشتغال بغير ما هم فيه ، وأكثرهم عاشوا في فاقة مضنية ، أغنياء بما اختار الله لهم من الأعمال الخالدة . وجميع العباقرة الفنانين الذين وضعوا المثل العليا للفنون الجميلة والآداب العالية كانوا مرضى لا يكادون يسيغون طعاماً ولا شراباً ، ولا يستطيعون لأنفسهم لهواً وهولاء جميعاً مدفوعون بقوة قاهرة لعمل ما يعملون ، وكثير منهم بذل في عمله ماله كله وبات محتاجاً إلى شروى نكير أولئك هم الأغنياء بقلوبهم الاتقياء بمبادئهم .

فالمدينة ليست مدينة للذين يتمتعون بطيبتها ويسرفون ، ولكنها مدينة لتلك الطبقة من الأفاضل الانعزاليين الذين يبدعون فيها يعملون ، ولا يعبتون بالمعجبين واللاهين ،

المآرب المنوعة ، دوافع حافزة للتقدم في جميع نواحي النشاط العقلي والعمل .

ولكن لو اكتفى الناس بتحصيل العيش في حدود الاعتدال ، ووقفوا من المشتبهات عندما هو مقرر منها في العلم خمدت في نفوسهم جذوة هذه النار المتأججة وراء المآرب المفرطة ، وتبع خمودها تصوح زهرة المدنية ، وبطلان سحرها الغان الخلاب ، وربما أدى ذلك كله إلى ارتكاس النوع البشري إلى عهد الظلام .

ويندون على هذا أن العلماء والفلاسفة أنفسهم لا يعملون بما ينصحون به الناس ، فهم يعاقرون الصهباء ، ويقامرون ويفسقون ويرتكبون كل ما يرتكبه الجاهلون من العدوان على الآداب العلية الصحيحة ، والأخلاق الفلسفية السليمة . يقول المعارضون : أتريد دليلاً بعد هذا على أن العالم لا يرقى إلا مدفوعاً بحوافز من الشهوات مطلقة العنان ، راكبة رأسها لا تبالى في غلواتها بقانون أدبي ، ولا ترتبط بعهد على على النحو الذى هو عليه الآن ؟

هذه شبهة يثيرها الإباحيون على كل من يتصدى للإصلاح باسم العلم والفلسفة والدين ، وهى شبهة مبنية على قصر باع وفتور نظر ، وإنا نبين ذلك فيما يلى فمقول :

بنفس الكرة الأرضية لو استطاعت إلى ذلك سبيلا . ألم يقل الفيلسوف الكبير روبرت (١) دوهارتمن خليفة شوبنهاور زعيم المذهب التشاؤمي : إن الحياة الأرضية ما دامت لا تعدو لفساد تركيبها هذه الحالة البشعة فليس لها إلا حل واحد وهو أنه متى وصل الإنسان في مستقبل الأيام إلى ابتكار مادة مدمرة قوية تصلح لنفس الكرة الأرضية ، فإنه ناسفها بها لا محالة ليخلص العالم من حياة كلها شرور وآثام ، ومصائب وأهوال ، وكان الفيلسوف الألماني نظر بعين الغيب إلى أن العلم في عصرنا الراهن قد يتمخض عن القنبلة الذرية والقنبلة الهدروجينية والصواريخ الموجهة والعابرة للقارات .

إن مدنية تولد مثل هذا القول على لسان قطب من أقطاب الفلسفة في مدنية في حاجة إلى مثل أعلى ينظم حركتها ويرأب صدوعها ، وإلا لحقها ما لحق سواها وأصبحت أحاديث في الغابرين . والمثل الأعلى للمدنية هو آداب الإسلام .

عباس طه

(١) روبرت دوهارتمن فيلسوف وعالم ألماني ولد سنة ١٨٤٢ في راين ووفى بها سنة ١٩٠٦ .

بل إنهم يدأبون على ما هم فيه ولو لحقهم أذى من الجامدين والمتعصبين أولئك قوم يختارون العفاف ويعافون الإسفاف ، يدعون الطعام طاوين ويدرون الشراب صادين ، جوف خال ، ومجد عال ، وثوب بال وراه عز وجمال ، وعقب مشقوق وذيل مفتوق يحجره فتى مغبوق .

لله تحت قباب العز طائفة أخفاهم في رداء الفقر لإجلالهم السلاطين في أثواب مسكنة استعبدوا من ملوك الأرض أقبالا

غبر ملابسهم شم معاطسهم جروا على قلل الخضراء أذبالا فالذين يزعمون أن المدنية لا تزدهر إلا بحوافز من الميول الإباحية التي تعارفها الناس في هذه العصور القائمة الحافلة بصنوف الرزايا والنكبات يخطئون أخش الخطأ ، ويحتملون شططا زريا . إذا كان يخطف أبصارهم زبرج الحياة ولآلائها إن في المدنية من المناعة ما يقيها من توالى أمثال هذه الكوارث عليها فإنهم يغفلون عن تاريخ المدنيات البائدة .

فإذا سلطنا لهم بقدرة هذه المناعة ، فأى هدف للتنوع البشري في أن يبقى على هذا النحو من الحياة والميول المضطربة ، والسأم الذي أصبح يغري بعض النفوس المريضة

محضر رسول الإنسانية

للأستاذ أحمد عبد المنعم البهي

فأخذها، والظلم أن يغير على جارى فيستردها . وهذا هو فهمه وفهم غيره من شيوخ القبائل لفضائل الأمور ورذائلها . والشعر العربى يصور لنا جانباً مما كان يسود هذه الحياة من اضطراب وفوضى ، والتباهى بامتهان حقوق الناس واستباحتها ، ونذبح هذا واخفا فى شعر عمرو بن كلثوم أحد شعراء الجاهلية الفحول الذى كان يفاخر بظلمه وظلم قومه للناس فيقول :

لنا الدنيا ومن أمسى عليها
ونبطش حين نبطش قادرينا
بغاة ظالمين وما ظلمنا
ولكننا سنبدأ ظالمينا
إذا بلغ الرضيع لنا فطاما
تخر له الجبابر ساجدينا
حتى المعتدين من الشعراء كان هذا
شأنهم أيضا ، فزهير بن أبى سلى الشاعر
المشهور بالاعتزان والدعوة إلى الحكمة
لم يتخل عن عادة قومه فى الإشادة بالظلم
وامتداحه فيقول .

الإنسانية مدينة لمحمد بن عبد الله بالمعاني السامية التى رفع بها شأنها ، وأوجد بها كيانهما ، ذلك أن الحياة قبل بعثته صلى الله عليه وسلم لم تكن رتيبة ندية ، يتمتع الناس فيها بالهدوء ، وينشدون فيها الاستقرار والطمانينة ، ويشعرون بقيمتهم فيها .

لم يكن هناك شيء من ذلك ، كما أنه لم تكن هناك نظم ولا قوانين ترعى حقوق الإنسان وتحميها من عبث العابثين ، أو تمنع عنه كيد الكائدين والمعتدين ، وكل ما فى هذه الحياة هو الاعتزاز بالقوة ، والسيطرة على الناس بها ، فما دمت قويا ، لا تبالى بشيء من حقوق الغير وحرماته ، وفى هذا الجو المضطرب كانت مقاييس الخير والشر ومفاهيم الفضائل والرذائل تخضع للرغبات والشهوات ومعايير الصالح العام تمضى حسبما تتجه إليه الأهواء .

سئل شيخ قبيلة عن معنى العدل والظلم فى نظره فقال : العدل أن أغير على غم جارى

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
العقيدة والدعوة إلى عبادة الله باري السموات
والأرض .

على هذا النحو من الفساد والاضطراب
واستباحة الحرمات كانت الحياة في المجتمع
العربي قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم .
ولم تكن الحياة في المجتمعات الأخرى خيراً
مما كانت عليه في هذا المجتمع ، ذلك أن الفوضى
والاضطراب والبغى والفساد في الأرض
بغير الحق كانت مسيطرة بصورة أعم وأشمل
على المجتمعات الأخرى التي كانت تخضع لحكم
دولتين عاتقتين هما دولتا فارس والروم
اللتان كانتا تتنازعا على السيادة على العالم
في ذلك العهد ، لا بنشر مبادئ الحق والعدل
والدفاع عن كرامة الإنسان ، ولا بالاعتراف
بحقه في الحياة ، ولا بإعادة حريته المسلوقة
إليه ، ولكن بالقهر والغلبة والجبروت
وتكليم الأفواه ونكران الحقوق .

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم
إلا على صنم قد هام في صنم

ولقد بعث محمد بن عبد الله ليخلص
الإنسانية من آلامها ، وليرفع عنها إصرها
ويحطم الأغلال التي كانت عليها ، وفي هذا
يقول الله تعالى : « الذين يتبعون الرسول
النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في
التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم
عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم
الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم ، والأغلال
التي كانت عليهم فالذين آمنوا به ، وعزروه
ونصروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه
أولئك هم المفلحون » .

ومن هذا البيان الإلهي نعرف أن رسالة
محمد بن عبد الله لم تكن قاصرة على مجرد
تصحيح العقيدة وعبادة إله واحد دون
اقتلاع أسباب الفوضى ، والقضاء على الفساد

وليت الأمر كان قاصراً على الاضطراب
والفوضى اللذين شلّا الحياة الاجتماعية فقد
تعداهما إلى شتى النواحي حتى شمل العقيدة
وضلل الرؤساء الناس عن عبادة إله واحد
ليعبدوا أوثاناً وآلهة نحتوها وصنعوها
بأيديهم ، وذلك كله رغم جهود الموسوية
والمسيحية اللتين سبقتا الإسلام لتصحيح

حطم الأغلال التي كانت مضروبة على عقولهم فارتقى بالعقل البشرى وحشه على التعليم والاستزادة من العلم، وتفهم أسرار الكون وأرشدته إلى السير في مناكب الأرض واستغلال ما فيها وتوجيه كل ذلك لخير الإنسانية « قل انظروا ماذا في السموات والأرض، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون، ويقول سبحانه وتعالى: « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

هذه بعض الجوانب من تعاليم الإسلام التي انتشل بها الإنسانية من وهبتها، ورفع بها قدرها، وإنه مما يذكر في مجال الإشادة بهذه التعاليم أن نقرر أن الإسلام جعل للفقراء من أهل الذمة حقاً في الزكاة التي تجمع من أغنياء المسلمين، شأنهم في ذلك شأن فقراء المسلمين .

وبهذه الحقوق والمبادئ التي جاء بها الإسلام وجسد الناس بغيثهم في العدالة التي افتقدوها، ووجدوا حقوقهم التي طالما تمنوا أن ينالوها، ولم يكن بدعاً وتلك تعاليم الإسلام، وهذه بعض جوانبها أن يدخل الناس أفواجا في هذا الدين الإنساني .

وأن تنتشر دعوته بمثل هذه السرعة التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ الدنيا وأن تستجيب لدعوته أمم وطوائف ما كان العقل يتصور أن تقوم الألفة بينها أبداً، وأن ترفرف رايته في أقل من قرن من الزمان على الأماكن

الذي استشرى في كل مكان ، ودون إقامة نظام شامل للحياة ، يقوم على العدالة والإنصاف ، ودون تسكريم الإنسانية والنهوض بها وإعلان حقوق الإنسان .

فلقد شملت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كل هذا وكانت رسالة عامة للناس جميعا : أجناسا وشعوبا ، فالحرية في دينه للجميع ، والمساراة عنده للجميع لا فرق بين سيد ومسود ، والابيض والأسود والأصفر أمام تعاليمه سواء يتمتعون جميعا في ظلاله بالحقوق التي جاء بها ، والأخوة التي دعا إليها ، والأمان المنشود أضحى حقيقة واقعة بعد أن كان سرايا بقية يحسبه الظمان ماء . فأمنك الإسلام على نفسك وعرضك ومالك فلا يجوز لأحد أن يعتدى على هذه الحرمات مهما كان قويا ومهما كان جبارا ومهما كنت ضعيفا لا حول لك ولا طول لإزائه ، حماك وجعل حمايتك حقا عليه يدافع عنك ، ويذود عن عرضك ومالك ويردع الظالمين والمتكبرين عن أن تمتد يدهم إليك بل فرض أقصى العقوبات على من يحاول العبث بشيء من ذلك ، قال جل شأنه : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » . وكما حطم محمد الأغلال التي كانت مضروبة على الناس في حياتهم وعقيدتهم وتصرفاتهم ،

ينشد التعاون العالمى والوسائل التى يمكن أن تحققة فيقول : « لا بد لكى نصل إلى تعاون عالمى من وجود نظام مستمر ثابت ، ولا بد من إيجاد نظم ديمقراطية واشتراكية تكافح الفقر والجهل والمرض ، وتنمى فى نفوس الأجيال الجديدة نوعاً من الولاء العالمى وتوفق بينه وبين ولائنا للجماعات القومية ، ولا بد قبل ذلك من أن تقضى على أسباب العدوان » .

وما ينشده هذا الفيلسوف نجده واضحاً مفصلاً فى تعاليم الإسلام . فقد حققت هذه التعاليم الخير كله للعالم يوم أن كانت أوروبا فى ضلالة الجهل والتأخر ، ويوم أن كانت عالة على ثقافة الإسلام وتعاليمه فتزودت منها بخير زاد وكان هذا الزاد هو النور الذى أضاء جوانبها ، ولكن خصومة علماء الغرب للإسلام نفسه هى التى تحول دون التماس وسائل الإصلاح من تعاليمه . يقول الدكتور محمد حسين هيكى فى كتابه « حياة محمد » : « إن الغرب يستكبر أن يجد النور الجديد فى الإسلام ويلتمس هذا النور فى « ثيوزوفية الهند وفى مختلف مذاهب الشرق الأقصى » .

هذا ومع تمسك الغرب بهذا العناد ، فإن هناك من ينصف الإسلام ، فالمستشرق الفرنسى « رينيه جينو » يعترف بفضل الإسلام على الغرب فيقول : « إن الغربيين لم يدركوا قيمه

التي رفرفت عليها وأن ينهار ملك كسرى ، وأن تتحطم دولة الروم بفضل تعاليم الإسلام وسماحته .

ولم يكن انتشار الدين الإسلامى بمثل هذه السرعة عن طريق السيف ، ولا عن طريق الاستعمار كما زعم بعض خصومه وإنما كان عن طريق مبادئه وتعاليمه ، وهذه شهادة عالم من علماء الغرب هو « جوستاف لوبون » يقول هذا العالم المنصف « لم ينتشر الإسلام بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها ، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التى قهرت العرب مؤخراً كالترك والمغول » .

هذه بعض تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم للبشرية منذ أربعة عشر قرناً تقريباً ، واليوم ونحن فى عصر الذرة وغزو الفضاء ، نجد أعرق الدول فى الديمقراطية لم تصل بعد إلى القضاء على الفوارق اللونية فى شعبيها .

بينما قد حل الإسلام هذه المشكلة وفرغ منها منذ قامت دعوته . وما نسمعه اليوم عن تصرفات هذه الشعوب ضد الملونين مما يندى له جبين الإنسانية خجلاً لهذا الانحطاط والفهم لمعنى الإنسانية .

واليرم وبعد مرور أربعة عشر قرناً من دعوة الإسلام التى حققت للإنسانية مجدها نجد الفيلسوف المعاصر « برتراند راسل »

لا نكون مبالغين أبدا حينما نقول : إن الإنسانية مدينة لمحمد بن عبد الله برفع شأنها وأنه بفضل تعاليم الإسلام وصلت إلى ما وصلت إليه من هذا الرقي الذي فتح الآفاق أمامها . ومهد لها ، ووجهها للعلم والكشف والاستزادة من الخير ، وكل منصف لا يمارى في هذا ، وتلك حقيقة اعترف بها منصفو الغرب وقرروها وفاخروا بها .

أحمد عبد المنعم البهري

ما اقتبسوه من الثقافة الإسلامية . ذلك لأن الحقائق التي تلقى إليهم حقائق مشوهة حظها من الصحة قليل ، فالمؤرخون يبالغون كل المبالغة في الخط من شأن الثقافة الإسلامية ، مثال ذلك ما هو شائع معروف من أن أسبانيا ظلت تحت الحكم الإسلامي عدة قرون بينما لا يذكر التاريخ الغربي قط أن صقلية والجزء الجنوبي لفرنسا كانا تحت حكم الإسلام . . ويخلص السكاتب من بحثه هذا إلى أن الغرب مدين لثقافة الإسلام ومدنيته بهذا التقدم الملبوس ويعزى لإنكار الاعتراف بذلك إلى تعصب المؤرخين الغربيين .

(بقية ص ٣٦١)

وطاح به مع الطامحين .
ولن نختم هذا المقال دون أن نشير إلى أن السكاتب البليغ قد حفظ القرآن الكريم حفظاً تاماً مجوداً ، فارتقى به معارج البيان والسحر ، واتخذ مودداً لهامه ومناط احتدائه . أفيعتبر بذلك الآن قوم من المسلمين يرون في جزائره الفصيحة وأسره القوي ما تضيق به عقولهم الواهنة فيحاربون إعجازه الساحر بأسفافهم الشائن ، وتهاقهم الركيك ! أم يكون الصابي أكثر منهم احتفالاً بروعة الكتاب واعتقاداً بأسلوبه الرصين .

محمد عبد الباقى

ولا ننكر في هذا المجال أن أبا إسحق الصابي تعرض في حياته الطويلة وقد جاوزت التسعين إلى نكبات سياسية قدفت به في ظلمات السجن والاعتقال ، ولم يكن لدينه الناشز أثر ما في اضطهاده ، ولسكنها السياسة - لحاها الله - دفعته إلى مناصرة فريق على فريق ثم جاءت الريح بما لا يشتهي ، فتم الأمر لخصومه فنسكلوا بجميع أعدائهم ومنهم أبو إسحاق ؛ بل إننا نذكر أن غريمه الحاقد عضد الدولة قد اكتفى بحبسه واعتقاله ، استجابة لشفاعته بعض ذوي الأدب في شأنه ، على حين قتل من خصومه المسلمين عدداً غير يسير ، ولو كان أثراً للتعصب الديني في نفسه لاهتبل الفرصة

مجلد القومية العربية

للأستاذ عبد الرحيم فوده

ولكنه مع هذا أقوى من كل نسب وسبب لأنه فوق عمله على التقريب بين الأذهان والتوحيد بين الاتجاهات يبرز بوجودان معتنقيه والمؤمنين به ويعقد مشاعرهم وضمائرهم بمعان ترتبط بها حياتهم ويختلط بها وجودهم أنهم ما يكون الارتباط والاختلاط .

لأنه عقيدة ، والعقيدة كما يفهم من اسمها فكرة يقتنع بها العقل ويؤمن بها القلب . ويطمنن إليها الضمير وينعقد عليها العزم والتصميم ، وهي بهذه المثابة قوة نافعة وطاقية دافعة وراية جامعة ، وهذا الذي قلته منذ عدة سنين وجدته فيضاً من فيض مما يمكن أن يفهم من قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولم منكم فأولئك هم الظالمون ، قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فاقربوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ، .

القومية في عبارة محررة محدودة هي الشخصية المعنوية للقوم والجماعة ، وشخصية القوم تتكون من الروابط والأواصر الجامعة . والخصائص المشتركة ، وهذه الروابط بعضها يدخل في مفهوم القومية من أصغر دائرة وهي الأسرة أو العشيرة إلى أكبر دائرة وهي الدولة والأمة ، كرابطة الدين في دولة يجمعها أو يجمع كثيرها الغالية دين واحد ، أو في أمة تجتمع شعوبها المختلفة على دين واحد ، وبعضها يدخل في مفهوم القومية إلى حد لا يتعداه ولا يتجاوزه كرابطة الوطنية أو المصالح المشتركة في وطن واحد ، أو ما إلى ذلك من وحدة اللغة والآمال والآلام وسائر الروابط التي تجتمع عليها الأفراد فتكون منهم قوماً أو جماعة منيعة .

وقد قلت في بعض ما كتبت « إن إطار الدين أوسع من إطار البيئة واللغة والتاريخ والمصالح المشتركة لأنه كالعلم لا وطن له ولكنه ضروري لصلاح الفرد والجماعة ، وقد يلتقي على الإيمان به والحرص عليه أقوام مختلفون لا يجمعهم نسب أو سبب من الأسباب الاقتصادية والمصالح المشتركة ،

بعض ما يفهم من قوله تعالى : « وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم » .

وأعود إلى الحديث عن القومية العربية ومدى تأثيرها بالرائد الأعظم الذي قاد هذه الأمة إلى أعلى مراتب المجد والخلد فأعرض على القراء أول خطبة ألقاها بمكة ودعا فيها قومه إلى الإيمان ، فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد أن حمد الله وأثنى عليه : إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم ، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحسانا ، وبالسوء سوءا ، وأنها للجنة أبدا أو النار أبدا .

فهذه الخطبة يستشف منها بل يستفاد منها صراحة أنه أرسل إلى العرب خاصة وإلى الناس عامة .

وقد كانت رسالته كما يقول الله « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور » ، ولكنه مضى بها على النهج الطبيعي فبدأ بأهله وذوى قرباه امثالا لقول الله : « وأنذر عشيرتك الأقربين » ، وهذا ما يفهم من قوله (إن الرائد لا يكذب أهله) ولم يكن بدؤه بذلك مما يحول بينه وبين دعوة

قد يقال مع هذا كيف يتحم اسم محمد في الحديث عن القومية العربية وقد أرسل صلى الله عليه وسلم للناس كافة وكان كما يقول الله فيه « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ؟ وقبل الإجابة على هذا السؤال أحب أن ألفت الأنظار إلى أن الله نعماءة ينتفع بها الناس جميعا ، كالماء والهواء والشمس والقمر والأرض والسماء ، ولكن حظوظ الناس في الانتفاع بها تختلف ، تبعا لاختلاف الظروف والأحوال والمدارك والقوى العقلية ، فالشمس نعمة عامة ولكن انتفاع الناس بها يختلف بحسب قربهم منها أو بعدهم عنها ، وبعضهم يستخدم طاقتها الحرارية في عدة أعمال صناعية ، وبعضهم لا يزال انتفاعه بها قاصرا على الطريقة البدائية . وما يقال في الشمس يقال في الماء والهواء وغيرها من النعم العامة التي تفضل بها الرحمن جل شأه ، وقد جاء الإسلام نعمة عامة للعرب وغيرهم ورحمة من الله للناس أجمعين . فكان طبيعيا أن يكون العرب وهم أقرب الناس إلى تلقيه أول المنتفعين به وأكثرهم حظا من خيره وبره ونوره وهده ، بل كان طبيعيا وقد نزل القرآن بلغتهم . وكان رسول الإسلام منهم أو يكون لهم السبق والصدارة بين عامة المسلمين . وأن يتحملوا أكثر من غيرهم عبء الدعوة إليه والجهاد في سبيله ، وهذا

وظلوا محصورين فيه مضيقاً عليهم أشد
التضييق نحو ثلاث سنين كما هو مشهور .
لا يخرجون من الشعب إلا من الموسم إلى
الموسم ، ولا يصلهم طعام إلا ما كان يأتيهم
بين الحين والحين خلصة وبعيداً عن عيون
أهل مكة ، فقد كان حكيم بن حزام بن خويلد
تأتيه العير تحمل الخنطة من الشام فيوجهها
نحو الشعب ويضرب أعجازها فتدخل عليهم
فيأخذون ما عليها من الخنطة . وقد ظل
أبو طالب مع بني هاشم وبني المطلب على
ولاثمهم ولإبائهم مع ما عانوه وقاسوه حتى
استجاب لهم نوازع الأرحام ، وانتصر
صبرهم على ما كان من عمل الشيطان ، فسعى
في نقض الصحيفة أقوام من قريش كان
أحسنهم بلاء في ذلك - كما يذكر المقرئ -
عمر بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن جذيمة
ابن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، وهو
يلتقى - كما نرى - مع بني هاشم في سلسلة
الآباء والأجداد ، فقد مشى في ذلك إلى زهير
ابن أمية ، وأبي مطعم بن عدى بن نوفل
ابن عبد مناف ، وإلى أبي البحتري بن هشام
وأبي زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد
ومشى كذلك سهيل بن بيضاء الفهرى إلى
هؤلاء واتعدوا على أن يجتمعوا في مكان
بأعلى مكة يدعى « خطم الحجون » ، وتعاهدوا
هناك على أن يقوموا بنقض الصحيفة .

غير أنه حيثما وجد استجابة لهذه الدعوة
لأنه أرسل كذلك للناس عامة ، ومن ثم كان
إسلام سلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب
الرومي في بدء الدعوة إلى هذا الدين القويم .
ومما يؤكد أن الدعوة كانت تتجه في أول
أمرها إلى العرب خاصة أن أبا لؤي عقيب
على هذه الخطبة بقوله لمن سمعها « خذوا على
يديه قبل أن تجتمع عليه العرب ، فإن أسلمتموه
إذن ذلتم ، وأن أبا لؤي كان يخشى أن يكثر
أشياعه وأتباعه ويجتمع على الإيمان به
والانضواء تحت لوائه العرب جميعاً
فلا تستطيع قريش أن تواجههم مجتمعين ،
فإن أسلمت محمداً لإلهم عاد بهم لحربهم ، وإن
منعته قوتلت عليه وقتلت من أجله ، وإن
أبا طالب أنى أن يجيب أبا لؤي إلى ما طلب
وكان في موقفه من ابن أخيه وإصراره على
حمايته والدفاع عنه متأثراً بهوانف القومية
في دائرتها الصغيرة وهي الأسرة والعشيرة
وقد ظل أبو طالب على وفائه وإبائه فأبى
أن يسلمه أو يخذله حتى ائتمر به أهل
مكة وتعاهدوا على « ألا يناكحوا بني هاشم
وبني المطلب ولا يبايعوهم ولا يكلموهم
ولا يجالسوهم حتى يسلبوا إليهم محمداً
« وكتبوا بذلك صحيفة مختومة ثم علقوها
في سقف الكعبة ، وانحاز بنوها ثم بنو
المطلب مؤمنهم وكافهم في شعب أبي طالب

ومعها في جذوعها وفروعها ويمتلئ الحقل نضرة
وثمارا وأزهارا ، وهذا ما كان من عمل
الإسلام في الأمة العربية وفي قوميتها ، فقد
دخل العرب جميعا في حياة جديدة على
اختلافهم شعوبا وقبائل وصارت القومية
العربية من المنعة والقوة والجمال في القمة
العالية من القوميات ، وكان ذلك كله بفصل
النبي الأسمى الذي بعثه الله فيهم « رسولا منهم
يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ، وآية ذلك من واقع التاريخ انه كان
صلى الله عليه وسلم يغادر هذه الدنيا ويلحق
بالرفيق الأعلى حتى استيقظت عوامل الشقاق
والفرقة بين العرب وكاد يعود إليهم الداء الذي
فرقهم شيئا تقطاحن وتتشاحن وهو داء الفرقة
والمنافسة على الرياسة . فقد انقسم المسلمون
في شأن الخلافة ، بعد رسول الله إلى ثلاث
فرق بل ظهرت بوادر هذا الخلاف على الخلافة
قبل أن يدفن عليه السلام ، فقد بلغ عمر
ابن الخطاب والمسلمون لا يزالون مشغولين
بتجهيز الرسول أن الأنصار مجتمعون
في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة منهم
فأنهى الخبر إلى أبي بكر وتوجها مع أبي
عبيدة بن الجراح إلى مكان الاجتماع .

ثم دخل الثلاثة على الأنصار وقد أوشكوا
أن يجتمع رأيهم على تعيين سعد بن عبادة
الخزرجي خليفة للمسلمين ، وهم عمر أن يتكلم

وما زالوا بها حتى شقوها فإذا الأرض
قد أكلتها إلا ما كان من جملة « باسمك اللهم ،
وإذا عمل الله قد سبق عمل هؤلاء .

ومضى النبي صلى الله عليه وسلم يدعو قومه
إلى الإسلام ، ويتحمل في ذلك من ألوان العناء
والبلاء ما لا تتحمله رواسي الجبال ، حتى
اجتذب إلى دينه كثيرا من الأنصار وتألف
من هؤلاء قومية جديدة ، لا تلغى القومية
العربية ، ولكنها تحررها وتطهرها وتعمل
على تزكيها وتنميتها وتقويتها لتقوم بدورها
الذي ينتظرها في خدمة الإنسانية ونشر مبادئ
الإسلام ، وقد تحقق ذلك بالفعل ، وصدق
فيهم وصف التوراة والإنجيل لهم قبل وجودهم
مما يحكيه القرآن بقوله : « محمد رسول الله
والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم
تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من ربهم
ورضوانا سيأثم على وجوههم من أثر السجود
ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الإنجيل
كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى
على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » .

نعم ، كان هذا العدد القليل ما زال يكثر
زرا حتى عم الإسلام جميع الأحياء
والأنحاء جزيرة العرب كالنبات يظهر قليلا
في الحقل ثم تنبت إلى جانب سيقانه فراخ
تنمو وتعلو وتمتد وتشدد وتستمد غذاءها
من الأصول التي تنبت حولها حتى تستوى

فمنعه أبو بكر ، وتولى بنفسه الكلام فقال
بعد أن حمد الله وأثنى عليه . نحن المهاجرون
أول الناس إسلاما وأمسهم رحا برسول الله
صلى الله عليه وسلم ، أسلمنا قبلكم ، وقدمنا في
القرآن عليكم ، فأنتم إخواننا في الدين ،
وشركاؤنا في الفىء ، وأنصار على العدو ،
أوتيم وواسيتم فجزاكم الله خيرا ، نحن الأمراء
وأتمم الوزراء ، لاندن العرب إلا لهذا الحى
من قريش ، فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين
ما فضلهم الله به ، ولكن هذا المنطق السليم
الحكيم لم يكن كافيا لإطفاء شعلة الحماصة للرياسة
عند بعض الأنصار - ولهم قدرهم وعذرهم -
فقد قام الحباب بن المنذر يعقب على خطاب
أبي بكر فقال الأنصار : أبي هؤلاء إلا
ما سمعتم ، فمنا أمير ومنهم أمير ، وهاج ذلك
ثائرة عمر فقال : هيهات ، لا يجتمع اثنان
في قرن ، والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم
ونبها من غيركم ، من ذابنا زعنا سلطان محمد
ونحن أولياؤه وعشيرته . . ؟ وقام الحباب
بين المنذر مرة أخرى يهدر ويزجر حتى
وصل الموقف إلى أعلى درجات التوتر . فتدخل
أبو عبيدة ليطفه وقال : يا معشر الأنصار ،
إنكم أول من نصر وآزر ، فلا تكونوا
أول من غير وبدل ، ووقعت هذه الكلمة
من قلوب الأنصار موقعا عميق الأثر ، وكان
أكثرهم تأثرا بها بشير بن سعد الأنصارى

فقام يقول لقومه : يا معشر الأنصار . إنا
والله وإن كنا أولى فضيلة في جهاد المشركين
وسابقة في هذا الدين ، ما أردنا به إلا رضا
ربنا وطاعة نبينا ، فما ينبغي أن نستطيل على
الناس ، ونبتغى من الدنيا عرضا ، ألا . .
إن محمدا من قريش وقومه أولى به ، فاتقوا الله
ولا تخالفوه ، وبهذا انطفأت نار الفتنة وبويع
أبو بكر بالخلافة ، ولكنه ما كاد يتولاها
حتى اندلعت ألسنة الفتنة في جهات أخرى .
فاضطر إلى أن يسير الجيوش لردعها وقمعها ،
فقد امتنعت بعض القبائل عن الزكاة وتمردت
على خلافة أبي بكر ، وارتد البعض عن
الإسلام ، وروى لنا التاريخ موقف أبي بكر
مع معارضته أصحابه في أول الأمر - في حرصه
وإصراره على قتال مانعي الزكاة مهما كان
قدرها ، وقوله المشهور في ذلك : والله
لو منعوني عقال بغير كانوا يؤدونه للنبي صلى
الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ، ويلوح من الأقوال
التي أثبتتها الرواة لبعض هؤلاء المتمردين أنهم
لم يتمردوا على الإسلام ، ولم يرتدوا عنه ،
ولمّا أنفقوا من الخضوع لحكومة موحدة
يديرها أبو بكر كقول شاعر منهم .
أطعنا رسول الله إذ كان بيننا
فيا لعبا والله ما لأبي بكر
أيورها بكرا إذا مات بعده
وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم طيرا أبابيل : ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ما كول ،

كان مولده صلى الله عليه وسلم في هذا العام ، فكان طالع يمن وخير وبركة على العرب ، بل كان قبل أن يولد ويوجد هو الأمل المرتقب ، منذ رفع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قواعد هذا البيت وقالوا يدعوان الله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت السميع العليم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ، فإن كل ما وصلت إليه هذه الأمة من مجد وقوة وعلم وحكمة كان التفسير الكبير لقوله تعالى وهو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل في ضلال مبين ، وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

عبد الرحمن بن قنبر

وكقول مالك بن نويرة لخالد بن الوليد حين ظفر به في إحدى هذه الحروب ، إنه لا يزال على الإسلام لكنه لا يؤدي الزكاة لصاحبه « يعني أبابكر » .

كانت الدولة العربية إذا قد أوشكت أن تنهار وتعود إلى حياة الجاهلية الأولى بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله عصمها به حيا وميتا ، وقرن باسمه كل ما وصلت إليه من خير منذ عرفته وآمنت بدينه ، بل إن مولده عليه السلام كان بشيرا بعهد جديد مجيد للأمة العربية ، فقد كان في عام حادث الفيل ، وهو الحادث الذي هز جوانبها بنشوة الفرح وملأها ثقة بعون الله ، والأمل في نصره وتأيبه ، فقد أقبل أبرهة الأشرم من اليمن بجيش كثيف ليهدم الكعبة ويصرف أنظار الحجاج عنها إلى المعبد الذي بناه بصنعاء ، ولكن الفيل الذي أحضره معه لم يطاوعه في التوجه إلى الكعبة ، فكان كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح ، وإذا وجهوه إلى غيره من الجهات هروا وأسرع ، ثم أرسل الله على المغيرين أسرابا من الطير ترميهم بحجارة صغيرة فانكسرت مهلكة ، وكان ما يحكيه القرآن بقوله « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل

مَائِقَاتُ الْعَزْلِ سِلَاحُهُ

الشرق الأوسط في العصر الإسلامي

للاستاذ عباس محمود العقاد

لمؤلفه سدني فيشر Sydney Fisher

فلا ينساق إلى الخطأ حبا لترديده ومرضاة لشهوة من شهوات الحفيظة في نفسه، ومعظم أخطائه من قبيل المطاوعة لحركة التواتر المطبق الذي يحتاج إلى الجهد الجهد لمقاومته. وربما شق عليه هذا الجهد الجهد فلم يتكلف له ما هو أهله من الصبر والدأب والارتفاع بالتاريخ فوق حجاب الحوائل التي تغطي ما وراءها من الأسانيد البينة؛ وإنما لبينة جداً لو استطاع الناظر إلى تلك الحوائل أن يتخذ له منفذاً منها إلى الحقيقة.

يقول في كلامه على صفة الإله: إن الوحداية المنزهة هي أجل مطالب الإيمان عند النبي عليه السلام، ويوصف الإله مع الوحداية بصفات العلم المحيط والقدرة المحيطة والرحمة والكرم والغفران.

ولا يستطرد المؤلف إلى شرح الصفات الإلهية قبل أن يقول: إن توكيد صفات البأس

كتاب في نحو سبعمائة صفحة، موضوعه تاريخ بلاد الشرق الأوسط وتاريخ العوامل الفعالة التي يرجع إليها تطور الشعوب والحوادث في هذه البلاد، وأولها الإسلام.

ومؤلف الكتاب هو الدكتور سدني فيشر أستاذ التاريخ بجامعة (أوهيو) الأمريكية وصاحب الدراسات المتعددة في شؤون البلاد الشرقية التي يدين الأكثرون من أبنائها بالديانة الإسلامية.

ويبدل أسلوبه في عرض الآراء والوقائع على تورع عن العصبية واجتناب للتشهير. فهو يروى ما يفهمه من المصادر المتناقضة ويحاول أن يجردها من نزعات الأهواء ودسائس الأحقاد المذهبية والقومية، وإذا وقع في الخطأ المتواتر فإنما يقع فيه لأنه في حكم الحقائق المجمع عليها بين المؤرخين،

في نواحيه كما تتجلى في أوامره فلا يجوز للسلم أن يشرب الخمر ولا أن يقامر ولا أن يعتدى ولا أن يستسلم للترف والرزيلة ، ثم يختم كلماته قائلاً : « إننا إذا نظرنا إلى مجال الإسلام الواسع في شؤون العقائد الدينية والواجبات الدينية والفضائل الدينية لم يكن في وسع أحد إلا أن يعتبر محمداً - عليه السلام - نبيا مفلحا جدا ومصلحا موفقا ، لأنه كما قال بعض الكتاب وجد مكة بلدة مادية تجارية تغلب عليها شهوة الكسب المباح وغير المباح ويمتلي فراغ أهلها بمعاقرة الخمر والمقامرة - والفحشاء - ويعامل فيها الأراذل واليتامى وسائر الضعفاء كأنهم من سقط المتاع ، فإذا بمحمد - عليه السلام - وهو فقير من كل ما يعتز به المسلم قد جاءهم بالهداية إلى الله وإلى سبيل الخلاص وغير مقاييس الأخلاق والآداب في أرجاء البلاد العربية . »

إلا أن الخطأ المتواتر يتسلل إلى هذا الكتاب ، وإلى سائر الكتب التي في موضوعه . من مجازاة العرف وإحجام العقول عن اختراق الحجب المتكاثفة مع الزمن حتى لا يحسب أحد أنه بحاجة إلى اختراقها ، ولعله لا يرتاب في قدرته على اختراقها لو أنه قد خطر له أنها تستر وراءها ما هو حقيق بالنفاذ إليه .

ولجبروت في كتاب الإسلام إنما تقدم في أوائل الدعوة التي واجه بها النبي جماعة الكفار الملحد من الملأ المسكي المتعطر المستطيل بالجاء والعزة ، ولكن المسلم يعلم من صفات الله أنه واسع الرحمة وأنه أقرب إلى الإنسان من جبل وريده ، وأنه هو نور السموات والأرض ، وهي الصفة التي بثت عقائد الصوفية ، بين المسلمين وكان لها أبعد الأثر في اجتذاب العقول إلى معانيه الخفية .

ويقول المؤلف كما يقول غيره من كتاب العصر الغربيين : إن القرآن « صوت حي » ، يروع فؤاد العربي وتزداد روحته حين يتلى عليه بصوت مسموع ، ولكن لا يفهم هذه الروعة كما لم يفهمها زملاؤه الذين سبقوه إلى الاعتراف ببلاغة القرآن اعتماداً على أثره البليغ في قلوب قرائه وسامعيه ثم يقفون عند تقرير هذه البلاغة بشهادة السماع .

وبعد بيان مجمل عن بلاغة القرآن وأحكامه وعباداته يضيف المؤلف بيانا آخر في مثل هذا الإجمال عن الفضائل الإسلامية التي احتواها الكتاب فيقول ماخوفاً : إنه كتاب تربية وثقيف ، وليس كل ما فيه كلاماً عن الفرائض والشعائر ، وإن الفضائل التي يحث عليها المسلمين من أجل الفضائل وأرجحها في موازين الأخلاق ، وتتجلى هداية الكتاب

والأمر لا يحتاج إلى عناء لإظهار وجوه الخطأ فيه، فإن مراجعة التوراة أيسر مراجعة ترينا أن اليهود تلقوا أهم العقائد الكونية وأهم التعاليم الشرعية من تقدم أنبياءهم في الزمن، بل من الشعوب التي عاشوا بينها وكان فيها أناس من أنباغ الرسل الأقدمين.

فإلى أى نبي من أنبياء بني إسرائيل يسند اليهود عقائدهم في سفر التكوين وهو جماع عقائدهم الكونية؟

إن التوراة الباقية إلى اليوم تبتدىء بسفر التكوين ولا تسنده أحد من أنبياء بني إسرائيل، ولا حاجة بعد ذلك إلى القول بأن عقائده سابقة للنبوءات الإسرائيلية وأن اليهود تعلوه من حيث يستطيع كل من شاء أن يتعلمه أو ينقله عن مصادره الأولى، سواء كانت من وحي الأنبياء الأسبقين أو من تراث الشعوب الموروثة عن الأسلاف.

وتأتى أسفار الشريعة بعد سفر التكوين وليس منها ما هو مسند إلى نبي قبل موسى عليه السلام، ولكننا نقرأ في هذه الأسفار أن الكليم كان يتعلم التبليغ من نبي عربي تسميه التوراة يثرون، فيقول الإصحاح الرابع من سفر الخروج إنه: «رجع إلى يثرون وقال له: أنا أذهب وأرجع إلى أخوتي في مصر».

وشفيح المؤلف في هذا السكسل، أو هذا الاستسلام العقلي، أنه ينساق إلى تلك الأخطاء المتواترة في كلامه على المسيحية وعلى الإسلام بغير تفرقة بين دياناته التي يؤمن بها والديانة التي يفهمها من مصادره الغربية أو مصادرها الشرقية المسيرة للغربيين.

يقول بعد الإشارة إلى بعض المشابهات بين آيات القرآن وآيات الزبور على حسب فهمه: «والواقع أن اليهودية وفرعها المنبثقين منها - المسيحية والإسلام - مشتركات في كثير من الأمور وإن كان معظم التشابه في العبارة دون الجوهر والمعنى».

هذا الخطأ المتواتر هو الذي يميننا في هذا المقال من موضوعات ذلك الكتاب، لأنه واجب التصحيح، وسهل التصحيح، مع إطباقه على أذهان المؤرخين الغربيين ذلك الإطباق الذي يوشك أن يشل تلك الأذهان عن الحركة المهمة لها في غير هذا الموضوع.

وأساس الخطأ كله اعتقادهم أن اليهود هم مصدر العقائد الدينية التي احتوتها التوراة، وأنهم هم الذين تلقوا وحيا لأول مرة من أنبيائهم غير مسبوقين إليها فيما سلف... وقد سلف قبلهم، وفي عهد أنبيائهم، كثير من الرسائل والعقائد مذكورة أو ملحوظة في القرآن الكريم وليس لها ذكر في أسفار التوراة.

إن الله عند بنى إسرائيل إله قبيلة واحدة يختصها بمحظوته ، ولكن الله فى الإسلام هو إله الخلق أجمعين لا يفضل أحدا منهم على أحد بغير التقوى والصلاح .

وإن النبوة عند بنى إسرائيل صناعة خوارق وكشف عن الخفايا والمفقودات ، ولكن النبوة فى الإسلام رسالة هداية وتعليم ، وبلاغ إلى العقل والضمير ، يقنع الناس بالبينات والآيات ولا يجعل الإقناع موكولا إلى التهويل بالخوارق والمعجزات .

وإن الحساب عند بنى إسرائيل يأخذ الأبناء بذبب الآباء ويلحق الجزاء بالخلف البعيد انتقاما من جنائيات الأجداد والأسلاف ، ولكن الحساب فى الإسلام لا يأخذ إنسانا بجريرة لإنسان ولا تزر وازرة وزر أخرى .

وليس فى الإسلام سلطان للعبد وكرامته على العباد الذين يصلون إليه فى كل مكان تحت السماء ويعلمون أنهم أينما كانوا فثم وجه الله ، ولكن الهيكل ، فى اليهودية هو الذى يتقبل قربان من عباده فلا يحسب لهم قربان بغير وساطة الكهان والاحبار .

فكيف تكون هذه العقائد فرعا على تلك الشجرة وهى تخالفها تلك المخالفة فى أصول الديانة وحقائق الإيمان بالربوبية والنبوة

البقية على ص ٣٨٥

ويقول الإصحاح الثانى عشر إن يثرون كان يصلى ببنى إسرائيل فى عهد موسى ومنهم اخوه هارون : « وإن يثرون أخذ محرقة وذبائح لله ، وجاء هارون وجميع شيوخ إسرائيل ليأكلوا طعاما مع حمى موسى أمام الله ، . . . فقد كان يثرون - إذن - يقرب القرابين ، ويقدم الشعائر ، ويدعو الله بدعائه الذى دان به قبل بعثة الكليم ، ويتبعه موسى وهارون وشيوخ إسرائيل وصفوة الشعب الإسرائيلى أجمعين .

فأعجب العجب بعد ذلك أن يقرأ المؤرخون هذا فى كتب التوراة ثم يلج بهم الإصرار على أصالة اليهودية ، واعتبار المسيحية والإسلام فرعين من هذه الشجرة لا ينبتان على غير جذورها ، وهى كما رأينا فرع من أصل قديم بل فى عدة أصول .

على أننا نرجع إلى العقائد الإسلامية فلا نرى بينها عقيدة واحدة تتفرع على عقائد اليهود ، كما دانوا بها من قبل ، ويدنون بها إلى هذه الأيام .

وليس أبعد من الفارق بين العقائد الإسلامية والعقائد اليهودية كما تناقلوها عن التوراة والتلود فى كل أصل من أصول الإيمان عن الله أو عن النبوة أو عن الحساب والعقاب .

فِي سَبِيلِ الْوَطَنِ

مَسْرُوحَاتُ وَطَنِيَّةٍ فِي فَيْصَلٍ وَاحِدٍ

لِلأَسْتَاذِ إِبْرَاهِيمَ مُحَمَّدِنَا

بِقَبْلَةِ مَا نُشْرُ فِي الْعَدَدِ الْمَاضِي

الْمَشْهُدُ الثَّانِي

« نفس الحجره السابقه . . . الأم تستأنف عملها . . . يطفأ المسرح
رويدا . . . موسيقا تصور انتقال الأم من البقعة إلى النوم . . . في الحلم
يظهر طيف ابنها عادل » .

الأم :	الطيف : أماء
حدا له . . الآن تذهب حسرتي	الأم : من ؟
وتنام أحزاني ، وتهدأ نارى	الطيف : أنا عادل
الطيف :	الأم : رباء . ابني عادل !
أماء جئت الآن أعلن رغبتي	« تتقدم إليه لتعانهقه ،
في أن ينال أخى الذى يبغيه	الطيف : أماء لا تتقدمى إني خيال مائل
الأم : أو قد سمعت حديثه ؟	الأم : ولدى
الطيف : وعرفت رغبته	الطيف : نعم أماء
بتنه ، ويرضىنى الذى يرضيه	الأم : كيف تعيش فى
ولكم يسر أخى إذا وافقته	تلك العوالم ؟
ولكم أسر ببسمة من فيه	الطيف :
الأم :	عيشة الأبرار
ولدى حسبتك ناصرى فى محنتي	فى ظل نعماء الإله وبره
وحسبت أنك لا تريد شقائى	وجسواره الفياض بالأنوار

فأتيت تطلب ما يزيد فجميعي

الأم :

نارا، وما يغرى الأسى بىكأنى

أبنى إن أخاك منذ قتلت لم

« تنهار باكية »

يسعد بلذات الحياة وينعم

مازال يطلب عند أعداء الحمى

الطيف :

إنى لأعلم أن ذلك موقف

نارا . لمصرعك الممض المؤلم

الطيف :

صعب على قلب كقلبك مرهف

أماه لسنا إذ نحارب نبتغى

ولقد حزنت لمصرعى وبكيتنى

نارا لمن قتلوا من الأبطال

بالدمع كالنار التى لا تنطفى

إنا ندافع عن مبادئنا التى

حتى تذكرت الإله وعدله

نبنى بها حرية الأجيال

فرجعت للصبر الكريم المنصف

أشخاصنا تفنى ؛ ليسعد بعدها

ووهبت نفسك للصلاة ، وعندها

بخلوده الوطن العزيز العالى

تنجاب غاشية الهموم وتختفى

الأم :

الأم :

إنى لأشفق أن يكون مصيره

ولدى ... تذكر أننى أم لها

حق على أبنائها لا يُنكر

ما ذقته من عصبة الأوغاد

الطيف :

وتذكرى أماء أنا أمة

قتلوك

تبنى الحياة كما تريد ، وتعمر

الطيف :

لكنى قتلت جموعهم

بجهود أبناء كرام ، عزهم

يملى على التاريخ وهو يسطر

فعميت من بغى اللثام بلادى

جعلوا الحياة رخيصة من أجلها

قتلوا وما نالوا سوى إخفاقهم

فاستبسلا يوم النضال وكبروا

وقتل منصورا فقلت مرادى

لولا همو لعنت لبغى عداتها

وأثروا من الدنيا بميسم خزيهم

ولظل يحكمها الفساد الأكبر

وأيت أحمل شارة استشهادى

الأم :

فلقيت عند الله حسن جواره

أنا لست أطلب منه غير وسيلة

أخرى تؤدى الواجب المطلوب

كرما ، وباءوا منه بالإبعاد

حاشاي أن أرضي له بنقيصة
تمضي ؛ لنبلغ علما مجهولا
يبقى بها طول الزمان معينا
فإذا بلغناه التقت أرواحنا
الطيب : .
لكنه أدري بما يختاره
والآن يا أمي وداعا ، ولتكن
وبما يلائمه من الأعمال
نعمى اللقاء من الفراق بديلا
وهيبه أثر ما أردت ، وأقبلت
د يختن الطيف ... يضاء المسرح رويداً
زمر الفساد ، وعصبة الضلال
رويدا .. الأم تستيقظ من نومها ...
أترينه متخلفا عن حربهم
ثم تلتفت حولها وتهتف ، .
مهما يكن فيها من الأهوال ؟
الأم :
إني لأعرفه يريد حياته
رباه .. هل أبصرت ما أبصرته
ملائي بكل عزيمة ونضال
في يقظة ، أم كان طيف منام ؟
هو من شباب عاش أروع حقبة
يدخل عصام في هذه اللحظة ،
من عمره مع ثورة الأبطال
الأم :
فدعيه يصنع ما يريد ، فكم له
ولدى عصام .. وجدت رأيك صائبا
في صنعه من قدوة ومثال
وعرفت أنك فوق كل ملام
الأم :
سرف في طريق أخيك . إن طريقه
لك ما تشاء ، ولي رجاء صادق
مجد الحياة ، وعزة الأيام
ألا تسير في الحياة طويلا
بالأمس يا وطني سمحت بعادل
فيجئني النبأ المروع مرة
في اليوم أسمع بالوحيد عصام
أخرى ليقتلني أمي وعويلا
(ستار) .
الطيب :
أماه ... إن حياتنا هي رحلة
ابراهيم محمد نجما

من وحي المولد :

نور على الصحراء ينساب في الظلالم
 كرنه القيثارة
 معطر الأنعام كأنه أحلام
 سحرية الأسرار
 حنت إليه البسند كطائر غريد
 يهفو إلى ينبوع
 واهتز قلب الوجود من سحر هذا النشيد
 وسار فيه الربيع
 من أين جاء النور؟ من عالم منظور؟
 أم عالم في الخفاء؟
 من روعة البدر وطلعة الفجر
 على الربا الفيحاء
 من كل شيء جميل كالروض عند الأصيل
 والبحر عند المغيب
 لما أراد الإله إشراق وجه الحياة
 بعد الظلام الرهيب
 ألقى إنيها الضياء من عالم في السماء
 ومن مكان طهور
 أهده مهدي الحياة من نوره ما اشتها
 ليهدي الأرواح
 شريعة غراء الناس فيها سواء
 لا سيد أو مسود
 لا ظلم... لا ظالمين وتردع
 إذا تمادوا.. حدود
 لكل داء دواء فيها ، وفيها العزاء
 لكل روح شروء

وعاد سر النور لافقه المسحور
 فى ظل أسى مكان
 فجددوا ذكره فى كل يوم نراه
 وليس فى كل عام
 واستمسكوا باليقين وفى الضياء المبين
 سيروا مع الأيام
 لعلنا أن نعيد أجدادنا من جسد
 بعد البلى والفناء

ابراهيم محمد نجا

(بقية المنشور على ص ٣٨٠)

وموازن الحساب والتكليف وحرمان العبادة والتقدس .
 إن جاز التشبيه بالأصول والفروع فقد يجوز أن يقال إن الإسلام شجرة أخرى تحمل الثمرات التى حملتها اليهودية بعد تهذيب وتجويد ، وإن ثمرات الشجرة الإسلامية لا تحملها تلك الشجرة ولا يتأتى أن تحمل فيها محل الفروع من الجذور .
 ولكن لا يجوز أن يقال إن اليهودية كانت جذرا أصيلا للعقائد الإسلامية ولو كانت هى المصدر الوحيد للعقائد المشتركة بين الديانتين ، فإذا علمنا أنها قد تفرعت على ما تقدمها ولم تكن جذرا لما تلاها فلا ندرى ما هو وجه التأصيل هنا والتفريع بأى معنى من معانى الأصول أو معانى الفروع وهذه هى طبيعة الأخطاء المتواترة فى بقائها

ولإطباقها على العقول ، وهى كذلك طبيعتها فى سهولة الاهتداء إلى موضع الشبهة منها إذا أعيدت إلى طبقتها الأولى ، ولا داعية إلى الأمان فى العودة إلى ما هو أبعد من الصفحات الأولى فى أسفار التوراة .
 إن المؤرخ الغربى ، وهو على اعتقاده الدينى ، لا يطالب بإيمان المسلم فيما اعتقد من ربوبية أو نبوة أو تكليف ، ولكنه مطالب عند البحث فى التطور الطبيعى أن يمسك عليه عقله وأن يرفع به عن قبول الباطل البين فى جلائل المسائل ، وهى مسألة العقيدة والإيمان .
 وليس من الحلال فى شرعة العقل ، كائنا ما كان دين العاقل ، أن يقم الشجرة الباسقة على منبت الفرع المبتور ؟

عباسى محمود الهفاد

الكتاب

نقد وتعرّيف

١ - تفهيم الفكر الديني وصلة بالقومية العربية

من مطبوعات مكتبة الأنجلو بالقاهرة

مؤلف الكتاب هو الأستاذ محمود الشرقاوى سكرتير تحرير مجلة الأزهر

قدم الأستاذ الشرقاوى بتمهيد لكتابه تناول فيه أسس القومية العربية كما يجب أن تقوم، والعلاقة بين مصر والحضارة الأوربية كما أرادها الخديو إسماعيل، ثم كتب الورق الأصفر، كينبوع من الينابيع الحلوة الفياضة وركن من أركان ثقافتنا وقوميتنا ثم جاء الكتاب بعد ذلك في فصلين طويلين : في الأول منهما عرض لسير التشريع منذ الدولة العثمانية وفي عهد إسماعيل، ثم في مصر الحديثة ثم في القرن العشرين، وكيف حدثت فيه تطورات استلزمها تطورات المجتمع نفسه وحاجياته، ثم عقب بأن هناك طريقتين لا ثالث لهما : المسايرة أو المكابرة، والنهاية التي ينتهي إليها كل طريق واضحة، وليس أمام رجال الدين إذن إلا أن يسيروا مع الحياة مع الاحتفاظ بجوهر رسالاتهم وغاياتها - لأن يحاولوا تعويقها أو التصدي لها .

وأكد أن التقليد لا يمت إلى الإسلام بصلة، وعن الحجر والحرية، وأنه لا خطر على الدين والدولة من الحرية وإنما الخطر كل الخطر من الحجر على التفكير، كما أن الحرية لا يمكن أن تضعف العقيدة لأن حرية التفكير مقوم من مقومات العقيدة، ولكن هناك فرقا بين الحرية المطلقة والحرية المعتدلة، فالأخيرة تتفاعل في حدود المنطق والعقل وليست كذلك الأولى .

أما الفصل الثاني : فقد ناقش فيه الأستاذ الشرقاوى قضايا التطور وروح الشريعة، والاجتهاد كبداً مقرر في الشريعة، وأنه باب لم يقفل وسيظل مفتوحاً على مصراعيه إلى الأبد، وقضية المرأة والأسرة . وضرب أمثلة كثيرة من الشريعة في مسايرتها ومطاوعتها، وفي نهاية الفصل عقد بحثاً عن محنة العقيدة، وأنها كانت ولم تزال معرضة للأخطار، واهتم بالعقيدة المسيحية ما لاقته وما تلاقيه

وفي هذا الفصل تحدث عن المذهبية والتقليد .

لها . . . فإنها في هذه الحال ستخطأهم
وتتركهم . . .

الأستاذ الشرقاوى يقصد برجال الدين :
رجال الفكر الدينى ، ولكن الذى أتساءل
عنه : ماذا يقصد بأن « يسير رجال الدين مع
الحياة مع الاحتفاظ بجوهر رسالاتهم
وغاياتها » كنت أود أن يضيف كلمة
« الصحيحة » إلى كلمة « الحياة » ، أما الحياة
بمجردة وفي هذه الانفلاحة الهوجاء فلا يمكن
لرجال الفكر الدينى أن يسيروا معها مع
الاحتفاظ بجوهر التشريع وغاياته .

وفي التمهيد للبحث ذكر الأستاذ الشرقاوى
« إن القومية العربية من الممكن أن تكون
وسيلة للوحدة الإسلامية » ، وفي الظروف
القائمة الآن من الاعتبارات ما يجعل تحقيق
الوحدة الإسلامية أمراً بعيد التحقيق في
المستقبل القريب ، ونحن نعتقد أن الوحدة
الإسلامية التى يريد الإسلام قائمة على أسس
متينة ليست أمراً بعيد التحقيق ، والمسألة
لا تحتاج إلى أكثر من أن يحسن النيات من
بأيديهم نواصى الأمور فى شتى البلاد
الإسلامية ، أما الاعتبارات التى لم يوضحها
المؤلف فمشهورة وهى مجرد وهم لا يمت إلى
الحقيقة بصلة .

وفي نهاية الكتاب تحدث الأستاذ الشرقاوى
عن محنة العقيدة ، ولكنه لم ينبؤ إلا بالعقيدة

من الأهوال ، ما لاقته على أيدي أمثال
فولتير ونيتشه وجراثيما على مقدساتها ،
وتوماس بين من قبل فى كتابه عصر العقل ،
وأوجست كونت فى فلسفته التى أقامها
على أن المسيحية قد استنفدت أغراضها ،
ثم ما تلاقيه الآن على أيدي الشيوعية فى أوطانها
والإلحادية فى شتى البلاد .

والذى لاشك فيه أن الأستاذ الشرقاوى
فى كتابه هذا أجهد نفسه وذهنه وقدم لنا
خلاصة من الثقافة الفكرية الإسلامية لاسيما
حين تعرض لحرية التفكير وقضية الاجتهاد
والتقليد ، وحين قدم أمثلة حية لمسيرة
التشريع الإسلامى لحاجيات المجتمع ، وأمثلة
حية من فقه أعلام الفكر الإسلامى .

ولكننا نود أن نتساءل : لم أراد أن يكون
عنوان كتابه (تقويم الفكر الدينى . .
وصلته بالقومية العربية) مع أن الكتاب
لم يتناول القومية العربية إلا فى بضع صفحات
فى أوله ، ومع أن مهمة تقويم الفكر الدينى
يجب ألا تكون إقليمية ، حيث أن هذا التفكير
الدينى فى حاجة إلى التقويم فى شتى بلاد
المسلمين .

وفى صفحة ٤٠ قال الأستاذ الشرقاوى :
ليس أمام رجال الدين إذن إلا أن يسيروا
هم مع الحياة - مع الاحتفاظ بجوهر رسالاتهم
وغاياتها - لا أن يحاولوا تعويقها أو التصدى

المسيحية السابقة والحاضرة ، وموجات الإلحاد التي سلطت وتسلط الآن عليها ، ولست أدرى هل لا يعتبر الأستاذ أن العقيدة الإسلامية مرت وتم الآن بمحنة حتى في بعض في بعض البلاد الإسلامية نفسها ، وإلا فالمحنة التي أصابت وتصيب الآن العقيدة الإسلامية

من الشهرة والوضوح بحيث لا تحتاج إلى مجرد ذكرها ..

هذه مجرد ملاحظات ، ويبقى الكتاب بعد ذلك دراسة طيبة صال وجال فيها الأستاذ الشرقاوى مساندا حرية الفكر وسعة الأفق .

* * *

٢ — منهج التربية الإسلامية . مطبوعات دار الفلم بالقاهرة

قدم الأستاذ محمد قطب لكتابه يبحث موجز عن الوسائل والأهداف في مناهج التربية ، وذكر أن منهج التربية الإسلامية منهج متميز منفرد في وسائله وأهدافه بشكل ظاهر لافت للنظر .

إلى جانب ذلك خطوطا دقيقة أو قل أوتارا دقيقة ، والإسلام يوقع عليها جميعا أنغامها المناسبة في آن واحد ، ليستخلص منها « السيمفونية » البشرية الكاملة المتناسقة الألحان ، هذا وقد ذكر من هذه المتقابلات :

الخوف والرجاء ، الحب والكره . والواقع والخيال ، والحسية والمعنوية ، والفردية والجماعية ، والإلزام والتطوع ، ثم السلبية والإيجابية .

وفي الفصل الثالث تحدث عن وسائل التربية وذكر ألوانا منها : القدوة والموعظة والعقوبة والقصة والعادة ، وتفريغ الطاقة وملء الفراغ والأحداث ، وفي الفصل الرابع تحدث المؤلف عن المجتمع السليم وأنه الهدف الأخير من التربية الإسلامية ، وأنه الأداة الموصلة إلى تثبيت المفاهيم الإسلامية ، وفي الفصل الخامس تحدث عن ثمرة التربية وأنها تتلخص في إيجاد إنسان صالح يعيش

ثم في الحديث عن خصائص المنهج الإسلامي وأنها : الشمول للكيان البشري كله ومسيرة الفطرة والتوازن والإيجابية السوية والواقعية المثالية ، ولتوضيح وشرح هذه الخصائص قدم دراسة عن منهج العبادة وتربية الروح والعقل والجسد . وأوضح في هذه الدراسة ترابط الكامل بين جوانب الكيان البشري في حقيقة الواقع وفي منهج الإسلام .

وفي الفصل التالي تحدث الأستاذ محمد قطب عن الخطوط المتقابلة في النفس البشرية ، فالروح والعقل والجسد خطوط عريضة واسعة المدلول ، ولكن في النفس البشرية

للتربية الإسلامية ، بذل المؤلف فيها جهداً مشكوراً إلا أن هذه الدراسة كانت في حاجة إلى الدقة في التخطيط والتنسيق لإبراز عناصر البحث الفرعية ، كما أن المؤلف في بعض الأحيان كان يعتمد إلى عدد عديد من الآيات استغرقت في بعض الأحيان صفحات دون أن يكلف نفسه محاولة الربط بينها .

بأقصى طاقته في عالم الواقع ويحاول في الوقت ذاته أن يحقق المثال . ثم ختم الكتاب ببحث موجز عن الواقع والمثال . فالإسلام لا يلزم الناس بصورة مثالية معينة ، وإنما يطلب إلى كل إنسان أن يبلغ حدود السكال الممكن في حدود الإطار المثالي العام . والكتاب بعد ذلك في مجموعه دراسة شاملة

٣ — جهود المسلمين في الجغرافيا مطبوعات المؤلف كتاب :

أثر هذه الجهود في النهضة العلمية الحديثة في الغرب .

إن الذي يقرأ هذا الكتاب يسر من جانب ، ويتألم من جانب آخر : يسر حين يقرأه لأنه يضم إلى ثقافته وإلى مكتبة لونا من المعرفة جديداً . ولأن جوانحه ستمتز طرباً وغفراً ، حيث إن للمسلمين السابقين جهوداً في ميادين الفكر اعترف بها الغرب على ما فيه من اعتداد وغرور .

ويتألم القارئ ويتأسف لأنه يرى أن جهود المسلمين السابقين في ميادين الفكر لم يهتم بها إلا علماء الغرب ، وهذا الأسف أبداه المؤلف نفسه في فاتحة كتابه حيث يقول : ولا يزال تاريخ الفكر الجغرافي عند المسلمين في حاجة لأن يكتب ، وإن تعددت المحاولات للتعرف على مدى الجهود التي بذلها المسلمون في ميدان الجغرافيا وتقديرها ، ونذكر في هذا الصدد أعمال بعض المستشرقين الغربيين

مؤلف الكتاب هو أستاذ الجغرافيا بالكلية الإسلامية بكلية كندا بالهند ، وقام بالترجمة الأستاذ محمد فتحي عثمان أحد كتاب مجلة الأزهر ، وكتب بحثاً تمهيدياً في المقدمة ثم عن سعة اطلاع وتوافر الإلمام بالموضوع الذي ترجم له ، جاءت هذه المقدمة في صفحات عشر ولكنها كانت — بحق — مفتاحاً لدراسة موضوع الكتاب ، وأبانت أن للمسلمين السابقين جهوداً في شتى ميادين العلم ، ولكن الجيل الإسلامي المعاصر لا يكاد — إلا القلة النادرة — يفهم أو لا يحاول أن يفهم عنها شيئاً . والكتاب يقع في فصول خمسة . في الأول نظرة عامة على الموضوع وفي الثاني سجل للجغرافيين المسلمين ومدى ما أحرزوه من تقدم في المفاهيم الجغرافية ، وفي الثالث معرض لفن الخرائط الجغرافية لدى المسلمين ، وفي الرابع مآثر المسلمين في الجغرافيا الفلكية ، وفي الخامس والآخر

من هم في مستوى (رينو ودي جويه ونالينو وسخاو وبارتولد ولي سترينج وكريمو ومينورسكي) فقد أعان هؤلاء على كشف الجوانب المتعددة مما قدمه المسلمون في سبيل التقدم العام للفكر الجغرافي والمعرفة الجغرافية. السكابي والكسندى والخوارزمي واليعقوبي والمروزي والبلاذري وابن رسته وقدامة ابن جعفر وأبو دلف والأصطخري والبلخي والمهلب البيروني والعبدري وابن جبير والإدرسي وياقوت الحموي وعشرات من أمثال هؤلاء العلماء المسلمين الأفذاذ أسدوا إلى العلم والفكر جهودا مشكورة مرموقة ولكن آثارهم لم يعن بها ويكشف عنها إلا علماء الغرب ، والذي ندعو إليه ونعتبره واجبا مقدسا على إدارة الثقافة الإسلامية بالأهر أن تؤلف لجنة لإحياء هذا التراث العلي الضخم ، ليكون في متناول الجميع ، ودليلا على أن للمسلمين الأولين في شتى ميادين العلم والفكر جهودا ضخمة لها أثرها في الشرق والغرب ، وقد ساهمت إسهاما فعليا في تقدم الإنسانية. إن تقديرنا لهذا الكتاب ومؤلفه الذي بذل جهدا مشكورا ، يجعلنا نقدر جهد الأستاذ فتحي عثمان المترجم ، لأن تعليقاته على الكتاب كانت ضرورية ، أضفت إلى معلومات الكتاب وضوحا ، أو زادت عليها معلومات جديدة .

٤ - التشريع الإسلامي وأثره في الفقه الغربي

منشورات المكتبة الثقافية بوزارة الإرشاد

أستاذنا الدكتور محمد يوسف موسى المستشار الديني لوزارة الأوقاف من الأعلام المبرزين في موضوع هذا البحث . تناول الدكتور نشأة التشريع الإسلامي وتدرجه فقال إن عماده كان القرآن والسنة خلال سنوات البعثة وما بعدها إلى نهاية القرن الأول الهجري ، حيث أضيف إلى هذين الأصلين : الإجماع والقياس ، وفي دور النضج والكمال منذ أوائل القرن الثاني نشأ الاجتهاد ونشأت معه المذاهب الكبرى ، وأقبل بعد ذلك باب الاجتهاد في منتصف القرن الرابع وبدأ دور التقليد ، واستطاع ابن تيمية وتليذه ابن القيم أن يشورا عليه ، ويفتحا معا باب الاجتهاد من جديد ، ثم من بعدهما أبو محمد بن عبد الوهاب الذي ظهرت حركته في نجد في القرن في الثاني عشر . ثم تناول الدكتور أصول التشريع وأسسها العامة وطبيعته وخصائصه ، كما تناول وضع التشريع الإسلامي بالنسبة للقانون الروماني ودحض الفرية القائلة بأن التشريع الإسلامي

فتح باب الاجتهاد في الفقه ، لأن الجود على القديم من سمات الموت) .

إن أستاذنا الدكتور قدم في هذا البحث خلاصة قيمة عن التشريع الإسلامى ، ولا ريب في أن القارىء سيجد نفسه أمام بحث مركز يفيد منه كثيراً .

إلا أننا كنا نود من أستاذنا أن يكون بحثه تطبيقاً لعنوان كتابه الذى اختاره له ، وهو عنوان يحتاج إلى مجلد ضخم ، نحن في مسيس الحاجة إليه ، ولكن الذى حدث أن نصيب العنوان من البحث كان بضعا وعشرين صفحة من مائة وثمان وعشرين صفحة .

محمد عبد الله السمان

تأثر بالقانون الرومانى مستعيناً بآراء بعض المستشرقين المنصفين من أمثال «فيزجيرالد» وبعد ذلك تناول الدكتور وضع القانون الفرنسى بالنسبة للتشريع الإسلامى حيث أكد تأثر الأول بالآخر ، وساق حججا من القوة يمكن .

وفى آخر البحث تحدث الدكتور عن مستقبل التشريع الإسلامى : حاله بالأمس القريب ، وحاله اليوم ، وكيف فصل إلى ما نريد ، وهل أصبح الاجتهاد ضرورياً ؟

يقول الدكتور : إن كل ما نريده هو أن يكون التشريع الإسلامى مصدرا أول لتشريعائنا الحديثة ، ولا علينا أن نفيد من كل خير نجده في التفكير القانونى لأية أمة أخرى ، ثم قال عن الاجتهاد : (لا بد من

ملاحظات على كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار

بل سأكتفى بأهم الملاحظات التى وجدتها وذكر الأخطاء فى التعليق .

١ - ص ٤ - س ١٧ - تعليقة الدكتور رقم ٢ (الحرمان) صوابها (الحرمين) .

٢ - ص ٧ - تعليقة رقم ٥ - ذكر الناشر أن (أيام التشريق) هو الاسم الذى تعرف به الأيام العشرة الأولى من ذى الحجة .

نشرت كلية الآداب بجامعة الإسكندرية كتاب (الاستبصار في عجائب الأمصار) لمؤلف مجهول . نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد مدرس التاريخ الإسلامى بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية فى (٢٥٢) صفحة غير المقدمة والتصويبات . وألحقت به ترجمة فرنسية فى (٩٠ صفحة) ولا أريد هنا أن أعرض لجميع ما فى الكتاب من مأخذ .

ولذلك سمي الحجر) وهذا خلط عجيب
فكلمة (حجر) بفتحتين لا علاقة لها
(بالحجر) بكسر فسكون . والذي في
معجم ياقوت هو (وحجرت على الموضع
(يعني قريشا) ليعلم أنه من الكعبة فسمى
حجراً لذلك) وفرق كبير بين هذا وبين
ما زعم الناشر أنه منقول عن ياقوت .

٨ - ص ٢٣ - س ١١ وفي المسجد
الحرام (أربع أئمة) صوابها (أربعة)
بزيادة التاء المربوطة فهم رجال .

٩ - ص ٢٤ تكلم الناشر في الهامش ٤
عن الميل الأخضر باعتباره يبين حدود
الأرض الحرام مع أن الميل المذكور في
الصلب هو الخاص بابتداء الهرولة في السعى
ولا شأن له بحدود الحرم .

١٠ - ص ٢٤ ذكر المؤلف أن أبواب
الحرم (١٧ بابا) وعند بيانها لم يذكر
سوى (١٤) وكان ينبغي للناشر الإشارة
إلى ذلك في أحد هوامشه الكثيرة .

١١ - ص ٣٠ هامش ٣ - قال الناشر
(فالملك جبريل الخ) والذي في اللغة (فالملك)
بدون الألف .

١٢ - ص ٣٠ هامش ٤ - ذكر
الناشر ما نصه (وإلقاء الحصيات من مناسك
الحج والعمرة الرئيسية) قلت : هذا وهم
فرمى الجمار من مناسك الحج فقط - وأما

٣ - ص ٩ - هامش ٦ - ذكر
الدكتور ما نصه عن الصفا والمروة (فيبينهما
يجرى طقس من أهم طقوس الحج والعمرة
ألا وهو السعى) ولست أدري ماذا كان
يضير الدكتور لو استعمل تعبير القرآن
الكريم فقال (شعيرة من أهم شعائر الحج)
هذا مع ملاحظة أن كلمة (طقس) لم ترد
لا في لسان العرب ولا في تاج العروس
شرح القاموس .

٤ - ص ١٠ هامش ٥ - كلمة (المسجد)
صوابها (البيت) فالكلام عن الكعبة
المشرفة وليس عن المسجد الحرام وقد تكرر
هذا في ص ١٥ - هامش ٢ .

٥ - ص ١١ - س ٧ - (٢٩ ذراعا)
صوابها (١٩) فقد مر أن طول الجدار
الخارجي ٢٧ ذراعا في الصفحة السابقة وأنه
من الداخل ينقص مقدار السلم ، فيجب
أن يكون (١٩) لا (٢٩) ولا يمكن اعتبار
هذا من الأخطاء المطبعية فقد ورد نفس
الرقم الخطأ أي (٢٩) في ص ٧ من النص
الفرنسي .

٦ - ص ١٨ - س ٢ (اللهم إيماننا بك) .
٧ - ص ١٨ - هامش ٢ - ذكر
الأستاذ نقلا عن ياقوت في معجم البلدان
عند الكلام على الحجر (بكسر فسكون)
ما نصه : (ولقد أحاطوه بحائط من حجر

- العمرة فهي طواف وسعى بلا رمى جمار .
١٣ - ص ٣١ - س ٤ (ولا ذم عليه) صوابها (دم) بالدال المهملة أى ذبيحة ولا شأن بالذم ضد المدح هنا .
١٤ - ص ٣١ هامش ٢ - عند الكلام على (مزدلفة) ذكر الناشر ما نصه (وهو المكان الذى يقف فيه الحاج ليلة وقفه عيد الأضحي) وهنا خطأ : أولها مان الحجاج يبيتون ليلة الوقفة فى (منى) لمن أراد السنة ومنهم من يبيت فى (عرفة) رأساً : والثانى أنهم لا يقفون فى (مزدلفة) وإنما يبيتون بها ليلة العيد فإذا صلوا الفجر فى أول وقفته وقفوا إلى الإسفار ثم أفاضوا إلى (منى) فالوقوف فى (مزدلفة) هو بعد صلاة فجر عيد الأضحي .
١٥ - ص ٤٠ - س ٧ - (والشمس وضحاها) صوابها (وضحاها) وفى هامش ٤ أخطأ الناشر فى رقى السورتين .
١٦ - ص ٤٢ ، ص ٤٣ - ورد لفظ (قبا) خمس مرات بالقصر والصواب (قباء) بالمد كما نصت كتب اللغة .
١٧ - ص ٤٦ فى هامش ٢ ذكر الدكتور الناشر (نهر الإندوس) قلت : ماذا عليه لو قال (السند) .
١٨ - ص ٤٩ س ٦ قال المؤلف إن (الغطاس ليلة ١٠ يناير) وسكت الناشر وكان يجب أن يقول إن الصواب ليلة (١١ من شهر طوبه) وذلك يوافق غالباً ليلة (١٩ يناير) .
١٩ - ص ١٤٢ - س ١٧ ضبط لفظ (مذحج) بضم أوله وفتح الجيم قبل الحاء والصواب (مذحج) بفتح الميم وبكسر الحاء وبعدها الجيم .
٢٠ - ص ١٩٤ ، ورد ذكر (مدينة سكوما) وفى الهامش ما يفيد أنها عن معجم البلدان لياقوت ، والذى فى ياقوت (سقرى) بفتح القاف وسكون الراء ، وفرق كبير بين اللفظين .
٢١ - ص ١١٨ ، وأخيراً : ذكر المؤلف (قصر لخم) بالحاء المعجمة - قلت فات الناشر أن يقول إنه (قصر الجم) بالجيم وهو مسرح روماني قديم يقع على الطريق الرئيسى بين «سوسة» و«سفاقس» بقطر تونس ، وفى منتصف المسافة بين البلدين ولا يزال شامخاً ضخماً كما شاهده منذ سنتين ، ويوجد تحت الأرض فى وسطه سراديب لحبس الوحوش بها أيام الرومان .
هذا بعض ما وجدته من الملاحظات ، أما أخطاء الطبع وأخطاء أرقام سور وآيات القرآن ، فقد أعرضت عنها خيفة الإطالة ، وحبذا لو كان الناشر استعان فى كلامه عن المناسك ببعض العلماء بدل مصدره الإفرنجى إذأ لعصمه ذلك من هذه الأخطاء ، والله ولى التوفيق .
عبد السلام النجار

بريد المجلة

العربية لغة إفريقيا :

عقد في شهر أغسطس الماضي في ليوبولدفيل عاصمة الكونغو ، مؤتمر وزراء الخارجية لدول إفريقيا المستقلة كلها ومن القرارات التي أصدرها المؤتمر اختيار لغة ثلاثة تقرر للتعليم والمحاذة بين سكان تلك البلاد تشمل الدول الإفريقية المستقلة كلها إلى جوار اللغتين الإنجليزية والفرنسية اللتين أرغم الاستعمار الأوروبي سكان تلك البلاد على استعمالها .

وأول ما يتبادر إلى الذهن عند مطالعة هذا القرار أن تكون اللغة العربية هي تلك اللغة الثالثة ، فشعوب شمال إفريقيا لغة التعليم والتخاطب فيها هي اللغة العربية . وهي لغة الثقافة والعلم فيها أيضا وما بقي في تلك البلاد من أثر للغة الفرنسية خلفه الاستعمار ، سيقضى عليه ، ويمحى أثره في زمن قصير ، بحكم سيطرة الوعي القومي العربي عليها ، واستلام أبنائها مقاليد الحكم فيها .

واللغة العربية هي لغة السودان ، والجمهورية العربية المتحدة ، تعليما وتخطبا وثقافة . وفي الجمهورية العربية المتحدة الأزهر ووزارة

التربية والتعليم ، وكلاهما يضم مئات من المحندين لخدمة اللغة العربية وتدريسها وإذاعة ثقافتها في البلاد الإفريقية التي قررت لأهلها لغة ثلاثة .

والمسؤولون عن الأزهر وغيره من الهيئات الثقافية في الجمهورية يسرهم أن يبادروا بتلبية رغبات هذه الدول . في سبيل تعليم أبنائها وتشقيفهم . وأن تبذل هيئاتهم في هذا السبيل كل ما تستطيع من جهد .

وعند ما تكون اللغة العربية هي لغة سكان إفريقيا ، في شمالها كله ، ووسطها وغربها سيجد سكان هذه الدول الإفريقية الجديدة أنه قد تيسر لهم عامل من أهم المؤثرات الثقافية والتعليمية . ومن أهم أسباب الزواج الاقتصادي أيضا ، وسنفيد من ذلك فوائد كبرى .

م . الشرقاوي

١ - حول معركة المنصورة :

سيدى رئيس تحرير مجلة الأزهر الغراء لقد كان لمقالكم القيم ، المعركة التي أنقذت الإسلام والعروبة ، الذي نشر في عدد

على الأحلام التي كانت تراود البابوية بنشر نفوذها مستعينة بدول فارس المغولية . ولما كانت دمشق قلب العروبة النابض مركزا لهذه المؤامرات تحت حكم المغول فإن بقظة الظاهر جعلته يستطيع أن يرد للأمة العربية قلبها الخفاق سنة ٥٦٥٩هـ - ١٢٦٠م . وبين عامي ٦٦٠هـ - ٥٦٧٠هـ ، ١٢٦١ - ١٢٧١م اتسمت سياسة الظاهر بيبرس إزاء الإمارات الصليبية بالقوة والعنف ولا عجب فإن الحديد لا يفله إلا الحديد . فقد أخذت إغاراته العنيفة تتوالى على المدن والإمارات الصليبية . وخرب الظاهر عدة مدن بعد الاستيلاء عليها مثل قيسارية وأرسوف مخافة أن تتخذ معاقل للصليبيين مرة أخرى .

وليس هنا مجال الحديث عن الظاهر بيبرس وسياسته العربية إزاء القوى الدخيلة على الشرق الأدنى ولا مدى شجاعته وإقدامه فإن هذا كله تذخر به كتب التاريخ بل وبه تفخر .

ولنتساءل ماذا كان من أمر لويس التاسع وهو يرى توالى الهزائم على الصليبيين بالشام ؟ أجل . كان لابد للويس التاسع الذي تعزز به البابوية أن يقسم بعمل إيجابى إزاء تلك الانتصارات وأن يبحث عن ميدان جديد للقتال يثق فيه من نصر مؤكد أو على حد تعبير رجال الحرب كان لابد من فتح جبهة جديدة ومن ثم قام لويس بحملة على تونس .

(شعبان - فبراير) الماضى أثر كبير فى نفسى وخاصة تعليق سيادتهم على قصيدة جمال الدين ابن مطروح بقولكم الكريم . وقد أجاب الله دعوة الشاعر فعاد حفدة لويس إلى ديارنا يرتكبون الجرائم ، وانتقلت دار ابن لقمان وقيدها وطواشها من مصر إلى الجزائر ، .

فغنت لى بعض خواطر أوردتها فيما يلى :
أولا: مؤامرات لويس التاسع ضد سوريا :

قد يتوهم البعض أن لويس التاسع قد رحل يجر أذيال الخيبة والفشل إلى وطنه فرنسا الذى كان النظام الإقطاعى ينخر فى عظامه وأنه أخذ يبذل الجهد لجمع شتات مقاطعات بلاده المتفرقة، ويجمعها تحت حكمه وسلطانة . ولكن شيئا من ذلك لم يحدث . فقد ولى

لويس التاسع وجهه شطر الإمارات الصليبية بالشام واستقر بإمارة عكا الصليبية . وأخذ يتحين الفرص للنيل من وحدة الأمة العربية ويحتضن كل حركة ترمى إلى تفريقها بالاشتراك فى المؤامرات ولكن خاب أمله . فقد قيض الله للأمة العربية رجالا عاهدوا أنفسهم على الجهاد والكفاح . فهذا قطز يهزم التتار فى موقعة عين جالوت ، رمضان سنة ٥٦٥٨هـ - أغسطس ١٢٥٩م ، وهذا الظاهر بيبرس السلطان المملوكى يرسى دعائم سياسته العربية على طرد الصليبيين من الشرق الأدنى .

وقد استطاع الظاهر بيبرس أن يقضى

ثانياً :

وتدخل القدر فأصيب جيش لويس

بالطاعون ، بل وتوفي لويس نفسه بالطاعون في ١٨ أغسطس سنة ١٣٧٠ م ، واضطرت الحملة الفرنسية إلى رفع الحصار عن تونس والجلأ عنها ، بعد أن تأكدت أن مصيرها الهزيمة المحققة وبعد أن عرفت بوصول الجيوش والإمدادات العربية إلى تونس الشقيقة .

وهكذا كانت سياسة مصر في عهد الظاهر بيبرس سياسة عربية خالصة تتوخى العمل على حماية الأقطار العربية ضد أى اعتداء أجنبي . وهى نفس السياسة التى يسير عليها السيد الرئيس جمال عبد الناصر حفظه الله بعد أن حطمت مصر أغلالها ، واستعادت عزتها وكرامتها .

٢ - مول إبراهيم به أدبهم :

نشرت مجلة الأزهر في عدد شهر المحرم مقالاً للأستاذ الدكتور محمد غلاب عنوانه :
دراسات في التصوف ، نورد عليه الملاحظات الآتية :

مجرى البحث عن هذا العارف بالله لم يكن يعتمد في لبه على نقل صحيح بل إن الكاتب - سأل الله - حين يقعد لهذا الصوفي الكبير مقامه في التصوف يقول : (إن إبراهيم ابن آدم لا يعرف ما بين أيدينا من تاريخ الحركة التنسكية الأولى عن مبدل حياته شيئاً

حملة لويس على تونس وموقف مصر منها :

وبرغم تقدم لويس في السن فقد حشد حشوده وولى وجهه شطر تونس العربية . وقد اختار تونس لعدة أسباب فهى قريبة إلى حد ما من فرنسا مركز الإمدادات ثم إن أحوال تونس الداخلية كانت تشجع على التدخل فقد كان النزاع محتدماً بين أفراد الأسرة الحفصية . فإن الحاكم على تونس في ذلك الوقت وهو المستنصر بالله أمير المؤمنين أبى عبد الله محمد ابن الأمراء الراشدين كان قد اعتلى العرش بعد أن لطم يديه بدماء عميه . ووصلت الحشود الفرنسية إلى تونس . فماذا كانت النتيجة ؟ . هل يترك

الظاهر بيبرس - السلطان المملوكى في مصر تونس وهى قطعة عزيزة من العالم العربى فريسة لأطباع الفرنسيين الذين هزمهم أبطال المنصورة ؟ .

يحدثنا المقرئ عميد المؤرخين المصريين فى العصور الوسطى فى كتابه السلوك فى معرفة الدول والملوك عما أعده الظاهر بيبرس من استعدادات لمعونة حاكم تونس ، وكيف أنه كتب إليه بأنه أعد جيشاً سيصل نجدة له . كما استنفر عربان برقة وبلاد الغرب بالمسير إلى نجدة .

٣ - نشر الصور بالمجلة

وبعد فقد ظهر العدد الأخير من مجلة الأزهر
« صفر » وقد سررت من المباحث المهمة
التي نشرت في هذا العدد .

وفي العدد مقالة عن المرحوم الأستاذ
الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم ، تمتعت
لو صحتها صورة للشيخ الإمام الراحل كي
يستعيد القارىء ملامح الراحل إذا كان قد
رآه ، ويعرفه من لم يره . ومعروف أن فكرة
بعض الناس عن الصور من جهة التحليل
والتحريم غير واضحة ، مع أنها أصبحت
اليوم ذات قيمة ، سواء من جهة وسائل
الإيضاح أو في تحقيق الشخصية .

وقد قرأت في مذكرة التفسير بكلية الشريعة ،
أثناء دراستي فيها في شرح أوائل سورة ص ،
ما يفيد إباحة مثل هذه الصور ولذا جئت
مقترحاً أن تنشر مجلة الأزهر بعض الصور
التي تعين في إيضاح الأمور . أو في التعرف
على أشخاص الكائنين وخصوصاً المقالات
التي تتناول مواضيع عن بلاد نائية عنا ؟

عزت عبيد الرعاس

المدرس بإعدادية سعيد العاص بمحرم
الاقليم السوري

ذا بال إذ هو يحدثنا أنه حين رغب في التزهد
اتخذ . . .) على أننا لو رجعنا إلى كتاب
واحد من كتب التصوف المعتمدة ككتاب
(حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) للحافظ
أبي نعيم الأصبهاني نجد أنه قد خسر هذا
الصوفي في كتابه بما يقارب التسعين صفحة (١)
يتحدث فيها عن أصله ونشأته وتنسكه
وكراماته ومروياته .

ثم أريد أن أصحح جملة واحدة - إن سمح
لي - من جمال الدكتور غلاب وذلك حين
يقول : (إذ هو يحدثنا أنه حين رغب في
التزهد) ونصحح هذا الكلام (أنه حين
حبب إليه التزهد) لأن إبراهيم رضى الله عنه
لم يرغب في التزهد عن طوعية وإنما بتوفيق
المولى سبحانه وتحييه إليه وذلك عن طريق
الاجتناب الذي حصل له أو بعبارة أخرى عن
طرق - الجذب - الذي ألم به وصدق الله
العظيم إذ يقول . والله يجتبي إليه من يشاء
ويهدي إليه من ينيب .

سعد المبرمة إبراهيم الفطيميني

خريج كلية الشريعة من الأزهر

(١) أواخر الجزء السابع وأوائل الجزء الثامن
من المرجع نفسه .

٤ مول نشأة النحو العربي :

قرأت ما كتبه الفاضل الدكتور تمام حسان في الجزء الأول من المجلد الثاني والثلاثين من مجلة الأزهر الغراء الصادرة في محرم سنة ٨٠ هـ بعنوان (نشأة النحو العربي) وقد أعجبت ببحثه القيم وعرضه الممتع ومع هذا فإن هناك بعض الملاحظات على ما جاء في بحثه .

(١) جاء في صفحة ٤٨ س ١٣ (ولسنا نعرف منهم من طلب العلم حقيقة إلا الحارث ابن كلدة الطيب الذي تلقى العلم في جنديسابور وأدرك الإسلام وداوى سعدا بأمر النبي . والحارث هذا سيد سمية أم زياد وأبو النضر ابن الحارث الذي أمر النبي بقتله) .

ولكن الصحيح بإجماع ثقات المؤرخين أن النضر بن الحارث بن كلدة من بني عبد الدار قرشي بينما الحارث بن كلدة الطيب ثقيفي^(١) .

(٢) ثم نقل الدكتور تمام عدة روايات لنشأة النحو العربي عن أبي البركات الأنباري في كتابه (نزهة الألباء في طبقات النحاة والأدباء) فقد استعرض الروايات التي ذكرها الأنباري ، وإليك خلاصة تعليقه في

صفحة ٥١ قال : (تقول أولاهها وآخرتها : إن غيرة على على لغة العرب دفعته أن يكلف أبا الأسود بوضع النحو ورواية أخرى تنسب ذلك إلى عمر وغيرها إلى زياد بينار ورواية أخرى تنسب فكرة نشأة النحو إلى عبد الرحمن ابن هرمز الأعرج وغيرها إلى نصر بن عاصم . وقد ناقش رواية نسبة النحو إلى علي ابن أبي طالب وجزم بأن تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف يحمل دعوى ضمنية بنسبة قدر من المران العلوي والممارسة للبحث إلى علي ، وتلك أمور تقتضي فراغا وعدم انشغال وتلقى دراسة ثم أوضح أن عليا كان طوال وقته مشغولا في مكة والمدينة بالدعوة ثم الجهاد . وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وتولى أبي بكر وبعده عمر ثم عثمان شعر بشيء من الظلم في تحطى شخصه وقد انعكس هذا الشعور في تقاعسه عن نصره عثمان ، ثم شغله معاوية عن كل شيء . إلا التفكير في استئثار الأمن الداخلي .

ولقد راجعت كتاب أبي البركات الأنباري (نزهة الألباء في طبقة النحاة والأدباء) وأرى أولا أن نستعرض تعليق الفاضل الدكتور على الروايات التي نقلها كما أسلفنا فقد ذكر أن أولاهها وآخرتها تقول إن غيرة على على لغة العرب دفعته أن يكلف أبا الأسود بوضع النحو إلخ . وواضح أن هذا ليس إلا شقا واحداً ، مما تقول الروايتان

(١) نسب قريش لأبي عبد الله المصعب الزبيري ٢٥٥ ص سيرة بن هشام تحقيق الأستاذ مصطفى السقا وأصحابه ج ١ ص ١٢١ - ٣٢٥ وجمهرة ابن حزم ص ١١٧

لم يكن أحد أوفر سهماً منه في إنشاء هذا العلم . وقد أمر أبا الأسود الدؤلى حين شكا إليه اللحن في السنة العرب فقال اكتب ما أملئ عليك . ثم أملاه صوراً منها أن كلام العرب يتركب من اسم وفعل وحرف . ثم قال وهذه الرواية تخالف روايات شتى تسند إلى المقابلة بين اللغات الأخرى في اشتقاق أصولها النحوية ولا سيما السريانية واليونانية ولكن الروايات العربية لا تنتهى بنا إلى مصدر أرجح من هذا المصدر (٢) .

كما أن الأستاذ محمد سعيد العريان في تعليقه على تاريخ آداب العرب للرافعى رجح نسبة نشأة النحو إلى علي بن أبي طالب (٣) أما الافتراضات التي ذكرها الفاضل الدكتور في عدم نسبة المران العلوى إلى علي وعدم فراغه للبحث إلى آخر ما ذكره فإن هذه مجرد افتراضات لا تستند إلى مصدر يوثق به وكما هو معلوم أن التاريخ (نقل) وإننا نكتفي بما كتبه الأستاذ العقاد في هذا الموضوع (يقول لقد لبث علي بن أبي طالب زهاء ثلاثين سنة منقطعاً أو يكاد أن ينقطع عن جهاد الحكم والسياسة متفرغاً أو يكاد

والشق الآخر أن علياً وضع حدود النحو وأسس قواعده وهذا هو الأكثر أهمية بالنسبة لموضوع بحثه كما أنه إذا كان للفاضل الدكتور تمام كامل الحرية في تكوين رأيه الخاص عن نشأة النحو أو ترجيح رأى معين فإن أمانة النقل تقتضى أن ينقل رأى أى البركات الأنبارى كاملاً . إذ أن العلامة أبا البركات بعد أن استعرض روايات نشأة النحو قال : (فأما من زعم بأن أول من وضع النحو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج أو نصر بن عاصم فلليس بصحيح لأن عبد الرحمن أخذ عن أبي الأسود ويقال عن ميمون الأقرن والصحيح أن أول من وضع النحو على بن أبي طالب رضى الله عنه لأن الروايات كلها تسنده إلى أبي الأسود وأبو الأسود يسند إلى علي فإنه روى عن أبي الأسود أنه سئل فقيل له من أين لك هذا النحو ؟ فقال لقفت حدوده من علي بن أبي طالب (١) .

٣ — ولنعد إلى إثبات نسبة وضع النحو إلى علي التي ينفيها الفاضل الدكتور تمام يقول الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد (وإذا قيل في قضائه لم يكن أفضى منه بين أهل زمانه صح أن يقال عن علم النحو أنه

(١) نزهة الألباء في طبقات النحاة والأدباء لابن البركات الأنبارى ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

[٢] عبقرية الإمام للأستاذ ذ عباس محمود العقاد ص ١٨٢ ط دار الهلال

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية للأستاذ مصطفى الرافعى الهامش للأستاذ محمد العريان ج ١ ص ٣٣ .

الذى أخذوه عن اليونان بل وأطروا ثقافة بعض من علماء السريان مثل حنين بن إسحاق. ثم ما هو المانع لمؤرخي السريان أنفسهم أن يسجلوا هذا الاقتباس أو النقل ويفخروا به لو كان صحيحا ؟؟ .

نعم إن بعض المستشرقين أشاروا إلى هذا الاقتباس أو النقل من النحو السرياني إلى النحو العربي ولكن الكلام معهم كالكلام مع الدكتور تمام مع أن منهم من يقول إن نشأة النحو عربية وإن تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف تقسيم عربي خالص . وليت الفاضل الدكتور تمام دعم ظنه بشاهد من نحو اللغة السريانية وحدد وجه التشابه بينه وبين مثيله من النحو العربي . وأحب أن أوضح أن البحث عن نشأة النحو في الصدر الأول عصر على وأبي الأسود ومن في طبقتيهما . ولإثبات أن تقسيم الكلام إلى ثلاثة أقسام تقسم عربي وأن نشأة النحو في الصدر الأول نشأة عربية نستدل بما يلي عن أحد كبار المستشرقين .

يقول الأستاذ ليمان Littmann اختلف العلماء الأوربيون في أصل هذا العلم ففهم من قال إنه من اليونان إلى بلاد العرب وقال : آخرون ليس كذلك وإنما كما تنبت الشجرة في أرضها ، كذلك بلت علم النحو عند العرب وهذا الذى روى في كتب العرب من زمن

يتفرع لفنون البحث والدراسة يتأمل كل ما سمع ويراجع كل ما قرأه بمن يلقاه ويستطلع أنباءه وآراءه وقضاياه ومهما يكن قسط الثقافة العالمية قليلا في بلاد الإسلام على تلك الأيام ففيه ولا ريب الكفاية للعقل اليقظان والبصيرة الواعية (١) ومما سبق نرى أن ما ذكره الفاضل الدكتور تمام من افتراضات يكتنفها الغموض ولا تستند إلى مصدر ثبت . والقول بأن نسبة النحو إلى على بن أبي طالب من وضع الشيعة لم ولن يكفى لنفى ما سجله التاريخ من قيام على بأوفر سهم في نشأة النحو العربي .

بقي لدينا مدى تأثير النحو العربي بالنحو السرياني وقد أخذ هذا قدراً كبيراً من بحشه فقال في صفحة ٥٥ (والظن عندي أن واضعى النحو قد أخذوا التقسيمات السريانية أو قلدها فجعلوا كلامهم اسماً وفعلًا وحرفًا كما جعله السريانيون قبلهم) .

ومع تقديرى لهذا الظن أحب أن أسأل هل يوجد مصدر عربي أو سرياني يؤكد هذا الظن ؟ أما المصادر العربية التى راجعتها فلم تشر إلى شيء من هذا النقل أو التقليد . ومن المؤكد أن المؤرخين العرب كانوا على جانب كبير من دقة الملاحظة وأمانة النقل . ولقد أشادوا بفضل الطب والفلسفة والمنطق

هكذا في كتب الفلسفة لا في كتب النحو .
أما الكلمات اسم وفعل وحرف ، فإنها
اصطلاحات عربية ما ترجمت ولا نقلت (١) .
وهذا الرأي يؤكد أن نشأة النحو العربي
وتقسيم الكلام إلى ثلاثة أقسام عربية محضة
وهو يتفق مع ما ذكرته المصادر العربية ،
وموضوعنا هذا هو نشأة النحو كما أسلفنا ،
فأما ما قد يكون اتفق لبعض النحاة بعد
الصدر الأول من الاطلاع على بعض اللغات
القديمة وتأثير ذلك في آرائه في النحو العربي
فلا ننفيه

وآخرأ وليس أخيراً فإن الفاضل الدكتور
تمام قد أفادنا بمعلومات قيمة في بحثه وسيكون
من المصادر المهمة عن نشأة النحو العربي .

هارون أصمر العطارى

ونحن نذهب في هذه المسألة مذهبا وسطا
ونقول كما أثبتته العالم (Josph, Blanc)
وهو أن العرب أبدعوا علم النحو في الابتداء
وأنه لا يوجد في كتاب سيبيويه إلا ما اخترعه
هو والذين تقدموه ، ولكن لما تعلم العرب
الفلسفة اليونانية من السريان في بلاد العراق
تعلموا شيئا من النحو، وهذا النحو هو الذى
كتبه ارسطاطاليس الفيلسوف ، وبرهان
ذلك أن تقسيم الكلمة يختلف عما قاله سيبيويه
فالكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس
باسم ولا فعل .

وهذا التقسيم أصلى ، أما الفلسفة فتقسم
الكلام إلى اسم وكلمة ورباط . أى الاسم
هو الاسم والكلمة هى الفعل كما فى اللغات
الأوربية (verb) والرباط هو الحرف كما
يقال فى اللغات الأوربية . هذه الكلمات
اسم وكلمة ورباط ترجمة عن اليونانى
إلى السريانى ومن السريانى إلى العربى وسميت

(١) ضحى الإسلام للدكتور أحمد أمين ج ٢
ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

أبناء الثقافة

أشرفت على إصداره ، ٩١٤ صفحة ،
جميعه المستشرقين الألمانية وقام على تحقيقه
الدكتور محمد مصطفى .

وكان في الإمكان إخراج الكتاب على تحقيق
أكمل وبعناية أتم من الصورة التي أخرج بها .

* يقوم المستشرق الألماني الدكتور
رومر بنشر سلسلة من المخطوطات التي تبحث
في تاريخ مصر في العصور الوسطى .

* نشر المجمع العلمي العربي في دمشق ،
بتحقيق الدكتور شكرى فيصل ، كتاب
« فريدة العصر » للأصبهاني .

* تقوم وزارة الثقافة في إقليم الجمهورية
العربية المتحدة بإصدار دائرة معارف تقع
في خمسة عشر مجلداً ، في كل مجلد منها ألف
صفحة .

* يصدر الأستاذ سعد عفرة كتاباً مصوراً
عن الآثار الفرعونية والقبطية والإسلامية
في الإقليم الجنوبي من الجمهورية العربية
المتحدة ، يضم ٤٠٠ صورة ملونة عن
هذه الآثار .

وسيطع الكتاب في سويسرا باللغات
العربية والانجليزية والفرنسية والألمانية
والإيطالية .

من أبناء الجزائر أنه عشر على أصغر
مصحف في العالم ، وجد في زجاجة صغيرة
ملقاة على رمال الشاطئ في مدينة الجزائر .
وحجم هذا المصحف سنتيمتران طولاً في
سنتيمتر ونصف عرضاً

* يشغل الأستاذ بطرس البستاني الآن
بترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية ، عن اللغة
اليونانية مباشرة . وقد أوشك على الانتهاء
من الترجمة ، وراعى في ترجمته استخدام
الكلمات والتعابير المتداولة الآن في اللغة
العربية .

* أصدرت دار الكتب المصرية قائمة
ببليوجرافية - مكتبية - القومية العربية
الاستعمار ، الصهيونية ، الشيوعية . مع
ملحقات بأسماء المؤلفين لكل موضوع على
على حدة مرتبة على الحروف الهجائية .
وتشمل القائمة أسماء المراجع الموجودة
في الدار بمختلف اللغات .

* صدر في القاهرة الجزء الرابع من تاريخ
ابن إياس المعروف باسم « بدائع الزهور
في وقائع الدهور » يتضمن هذا الجزء تاريخ
مصر من سنة ٩٠٦ إلى ٩٢١ (١٥٠١
١٩١٥ م) .

الأزهر رسالة من الدكتور عبد الله العقيل المقيم في هامبورج بألمانيا الغربية يشكو فيها من أزماته النفسية ويرجو من فضيلته أن يرسل له مؤلفاته . فأمر فضيلته بإرسالها له .

وتلقى فضيلته بعد ذلك رسالة شكر من الدكتور العقيل يقول فيها إنه شفى من أزماته النفسية بعد قراءته كتب فضيلته .
* انتهت من عملها اللجنة التي سافرت إلى المملكة العربية السعودية لوضع منهج جامعة الملك سعود ، فيها .

كانت اللجنة مكونة من الدكتور مديري جامعات القاهرة ، والإسكندرية ، وعين شمس ، ودمشق ، وعميدى كليتي الحقوق والتجارة بالقاهرة .

* من أنباء الكويت أنه تتخذ فيها العدة الآن لإنشاء جامعة كبرى بها تسير على أحدث النظم العلمية .

* تشغل بعثة دانمركية بالبحث عن الآثار في البحرين ، وقد عثرت في منطقة قلعة البرتقال ، بالمنامة على آثار ترجع إلى عهد إسكندر المقدوني .

* طلب عدد من الدول الإفريقية التي استقلت حديثا إلى الجمهورية العربية المتحدة أن تهدي إليها عددا من المصاحف . وقد بادرت الهيئات المختصة بتلبية رغبتها .

* يقوم المستشرق الألماني فاجنر بتحقيق ديوان أبي نواس ، وتصدر في ألمانيا ، طبعة جديدة من الديوان .

* صدر ، بالفرنسية ، مؤلف يجمع مختارات من الآداب القديمة والشعبية لثقافات العجم والعرب والهند والصين واليابان وتايلاند وكبوديا وأندونيسيا .

قام بتأليف هذا الكتاب الباحث الهندي ألدون هينجرا وتصدر له طبعة أخرى بالانجليزية في الولايات المتحدة

* بدأت وزارة التربية والتعليم في الهند تضع برامجها لتنفيذ مشروع يجعل التعليم إجباريا لجميع أبناء البلاد من الجنسين حتى سن الحادية عشرة .

* أعلن المجمع العلمي في العراق عن عدة جوائز لأحسن المؤلفات في بعض الموضوعات . منها : « تقريب العامية من الفصحى » و « أصول الأدب العربي » .

* صدر في بيروت كتاب جديد للأستاذ لبيب الرياشي هو : « نفسية الرسول العربي » .

* أنشأت حكومة غانا معهدا في العاصمة : « أكرا » . وقررت إنشاء مركز آخر

في كوماس ، عاصمة الإقليم الأوسط من الجمهورية ، والمعهدان يقومان بتدريس اللغة العربية لأبناء غانا .

* تلقى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع

الوسطى بأندونيسيا إلى وزارة الثقافة بعض الكتب عن الثقافة العربية المعاصرة والقديمة لترجمتها إلى الأندونيسية .

* تصدر الإدارة العامة للثقافة بوزارة الإرشاد في الإقليم الجنوبي سلسلة كتب جديدة عن الحضارة المصرية ، يصدر منها جزء كل شهر وتتناول الحضارة المصرية من مهدا حتى العصر الحاضر .
* يعقد في دمشق بين ١٣ - ١٩ نوفمبر القادم مهرجان الإمام حجة الإسلام الغزالي لمناسبة مرور ٩٠٠ سنة على مولده (ولد في سنة ٤٥٠ هـ ١٠٥٨ م) .

وقد اختارت مشيخة الأزهر الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود أستاذ الفلسفة في كلية أصول الدين لتمثيل الأزهر في المهرجان .

* يقام ما بين أيام ٤ - ١٠ أكتوبر القادم في مدينة القيروان بالمغرب احتفال بذكرى مرور ألف ومائة سنة على إنشاء جامعة القيروان .

وقد أجابت مشيخة الأزهر الدعوة التي وجهت إليها للاشتراك في الاحتفال ، وتقرر أن يمثلها فيه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيل الأزهر والأستاذ الدكتور محمد البهي المدير العام للثقافة الإسلامية .

* يصدر قريباً كتاب : « تاريخ الفاطميين في مصر » ، لأن الدواويرى السورى المصرى يشرف على تحقيقه وطبعه الدكتور صلاح المنجد مدير معهد المخطوطات بالجامعة العربية .
* عقد في موسكو يوم ١٩ أغسطس الماضى

ومن هذه الدول : النيجر ، والصومال ، وتوجلاند ، والسنغال .

* صدرت عن إدارة الثقافة بوزارة الثقافة والإرشاد بالإقليم الجنوبي سلسلة كتب هدفها تبسيط الثقافة العربية وتقدم للقارىء في أسلوب عصري وعنوان هذه المجموعة هو « مختارات من تراثنا » وتشمل الكتب الآتية : مقدمة ابن خلدون لإخراج رضوان إبراهيم وكتاب الصناعتين لإخراج محمود أبو ريه ، وثمرات الأوراق لإخراج يعقوب عبد النبي ، وحسن المحاضرة لإخراج محمد محمود صبح ، والمستطرف لإخراج محمد عبد اللطيف الخطيب ، وولاية مصر وقضاتها لإخراج إبراهيم العدوى .

* * *

* صدر في دمشق كتاب : « ملخص أبطال القياس والرأى والاستحسان » ، لابن حزم الأندلسى ، بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغانى الأستاذ في جامعة دمشق .

* صدر الجزءان الأول والثانى من كتاب « الدين الخالص للسيد محمد صديق حسن القونجى البخارى ملك بوهبال وصاحب المؤلفات الكثيرة » ، بالربية والهندية والفارسية . المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ .

وقد طبع هذان الجزءان على نفقة صاحب السمو الشيخ على بن الشيخ عبد الله آل ثانى حاكم قطر .

* طلبت لجنة التأليف والترجمة بجاوة

إنشاء المعهد على أن يوضع ذلك تحت إشراف الأزهر .

وسيحضر من طلبة السنغال عدد لتلقى العلم في الأزهر على أن يقوموا بعد ذلك بالتدريس في المعهد الجديد الذي يقبل الطلبة من جميع الدول الأفريقية ويعلمهم بالبحان .

* بدأ في ٢٠ سبتمبر الحالى امتحان طلبة معهد الإعداد والتوجيه التابع لإدارة الثقافة الإسلامية في الأزهر .

والمعهد يضم خمسة أقسام تدرس فيها اللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية والأردية والانندونيسية لطلبة الأزهر وخريجيه . والمتخرجون في المعهد يرسلون في بعثات ثقافية أو تعليمية .

* أقيم فيما بين يومى ١١ ، ١٧ من شهر سبتمبر في دمشق مهرجان الشعر العربى الثانى برئاسة السيد كمال الدين حسين رئيس المجلس الأعلى للآداب والفنون واشتركت فيه طائفة من شعراء إقليمى الجمهورية وباحثيها .

وألقيت كلمة للأستاذ عباس محمود العقاد تضمنت دفاعا عن الشعر التقليدى ودعوة للحرص على قافية الشعر العربى وأوزانه .

واشترك في المهرجان من الدول العربية مندوبون من السودان والجزائر وفلسطين والمغرب واليمن .

مؤتمر المستشرقين ، وقدم الأستاذ أمين الخولى إلى المؤتمر بحثا عن الصلات التاريخية والثقافية بين نهري النيل والفولجا .

ويتضمن بحث الأستاذ الخولى آراء جديدة في تاريخ حكام مصر من المماليك وأصلهم وجنسياتهم .

* نشر المجمع العلمى العربى في دمشق الجزء الأول من كتاب « الإبدال » لأبى الطيب اللغوى ، بتحقيق الأستاذ عز الدين علم الدين التنوخى . كما نشر : « رحلة أحمد ابن فضلان إلى أرض الروسيا والبلغار ، بتحقيق الدكتور سامى الدهان .

* قررت حكومة مالى - الدولة التى نالت استقلالها حديثا في غرب إفريقيا - تدريس اللغة العربية إجباريا في المدارس الثانوية ، واختياريا في المدارس الابتدائية .

* نشرت مجلة : « دعوة الحق » المغربية أنه قد افتتح في استامبول معهد عال للدراسات الإسلامية ، مهمته تخريج مدرسين لتدريس الدين الإسلامى في المدارس التركية ووعاظ وأئمة في المساجد .

* ينشأ في خلال العام القادم معهد للدراسات الإسلامية والعربية في السنغال ، بعد استقلاله ، وقد اتصل المسئولون في السنغال بالجمهورية العربية المتحدة للمساعدة في

satisfied with external acts of devotion. He believed that the real faith lies in the spirit. He cites for instance that a grain of genuine piety is better than a thousand weight of fasting and praying.

Rabaa El-Adawia, a woman, is another sufi whose words are still remembered despite the centuries that separate us from her. Her sufism was an unbounded and enduring love for God, a love neither prompted by the promise of heavenly reward nor sought out of a dread of eternal fire, but pure and untainted, inspired only by his eternal beauty.

Muhyi Eldin El-Arabi who lived in Spain and was the author of several works on sufism, namely the "Ifada" or information, speaks of the fundamental branches of knowledge, God, the rational world, and the world of senses.

In 1201 he published a collection of poems under the title "Turguman El Ashwaq" or Interpreter of love". Later he wrote a commentary on the same work in order to refute the

accusation of extolling the pleasures of the flesh in the place of divine love.

On the Persians sufism had a stronger appeal than on the Arabs, and indeed its influence on Arabic literature, though great, is not to be compared with the extraordinary hold it has exercised on Persian thought from the IIth century to the present day.

Ibn El Farid, for example, earned the title of "Lord of all lovers" among the suffis of Persia, and many of their teachings can be traced to him, as well as to Muhuy Eldin El Araly. Awhad Eldin El Karamany in the seventh, and Abdel Rahman El Agamy in the ninth, century, owe a great deal to them.

Sufism, as Sahrawardi says " is neither the creed of poverty nor that of ascetism. It embraces both and something else besides. It introduced a spirit of exaltation in Arabic literature, a spirit that purifies the heart while at the same time it sustains the soul against all earthly pollutions.

THE INFLUENCE OF SUFISM ON THE HUMAN LITERATURE AND THOUGHT

BY

Dr. Gamal Addin Arramadi

Sufism is a form of pantheistic mysticism within Islam. The word "Sufi" is derived from the word "Suf" which means wool. Sufistic people were accustomed at the dawn of sufism to be clad in wool. The quintessence of sufism is to take the way of truth, and salvation, to be assiduous in piety, to be indifferent to all the pleasures and follies of mankind, to renounce wealth, power, and ambition, and to pick the threads of a lonely life, thinking of nothing but heaven and leading calmly a life devoted utterly to the service of God.

Some researchers noticed the roots of sufism in the life of Mohamed the prophet. In reality Mohamed was not a sufi, but he led a spiritual life which met in many respects with the mottos of sufism. For instance he says: "Be indifferent to the world to be beloved by God, and be indifferent to that in the hands of people to be beloved by them.

In this way the point of view of Mohamed meets with that of sufic people, but it is essential to refer to the fact that sufism is not only an Islamic Feature. It is known in Christianity and other religions. Vaughan in his book: "hours with mystics" noticed many resemblances between the beliefs of sufic people and those Christianity such as Tauler, Eckhart, and St. Therese.

Nicholson sum up the sources of sufism in christianity, New platonism, Gnosticism, and Buddhism. He adds that the speculative and philosophical side of sufism, spread out through Egypt and Syria bore remarkable signs of Hellenistic influence.

Hassan of Basra was one of the famous suffic people who left to the Arabic Literature and thought an immortal inheritance. He attached much importance to spiritual righteousness and paid no heed to the follies of life. He was not merely

being governed by human infancy and to subjugate these actions to the guidance of maturity to keep for man his peculiarities and to save his dignity and superiority.

When Islam says "we have honoured the sons of Adam." it doth really mean that it has give man significant human traits to distinguish him from all other creatures Really God on sending his messengers to the peopls, He was aiming at enabling the people to seek the right path by their help, the path which leads them to follow these traits in their personal behaviuor and in their dealing with others.

If it is admitted that the meaning of social development is such as that we have previously mentioned, and if the requirements of the age is looked upon in the light of social development we undoubtedly shall find out the Islam is a source of drive to the advancement of social development and a source of appreciation to the requirements of the age which shall push forward the wheels of progress.

But if social development is meant to be a call to a certain political institution or to back a certain political ideology, Islam has nothing to do with such trends. It is an independent institution which fits in with any other iustitution which agrees with it in the aim and the plan to realise that aim. It does not accept as well any other institution wich doth differ from it in both the aim and plan.

If on the other hand, the requirements of the age are taken to be ce ta- in behaviours and actions as uisualised in certain societies which are existing to-day it will be more appropriate befor announcing the judgement of Islam and its attitude towards such tendencies to discuss fully the aims and obgectives of such tendencies.

In a word Islsm is the light which guides to the right path. The right path is the road leading to the realisation of humane objectives such as love, bratherhood. co-opration and mutual friendships.

them in both his behaviour and actions.

Islam came to raise man from the stage of infancy and ignorance to the stage of maturity and knowledge. It came to develop the human sense in man as well as the social sense. The human sense is nothing but the social solidarity, the co-operative relations amongst individuals based upon love and sympathy. We have already seen that primitiveness doth mean the disintegration of all ties binding the individuals together or doth mean the predominance of egoism and individuality or doth mean in other words the rule of animality and instincts over all the other traits of man which distinguish him from the other creatures which are living, moving and struggling for existence.

Islam came to urge people to co-operate "Help you one another in righteousness and piety, but help you not one another in sin and rancour." (Surah. 5, Vs. 3). It also came to urge people to be righteous "It is not righteousness that ye turn your faces to the East and the West; but righteous is he who believeth in Allah and the Last Day and the angels and the scripture and the prophets; and giveth his wealth, for love of Him, to his kinsfolk and to orphans and the needy and the way-

farer and to those who ask and to set slaves free. It urges people to be good in their treatment to each other "If you did well, you did well for yourselves. If you did evil (you did it) against yourselves." (Surah, 17, Vs. 7). It order people to be righteous and just in their dealings with their wives "Either take them back on equitable terms or set them free on equitable terms." [Surah: 2, V. 231]. It urges people to stick to justice "Whenever you speak, speak justly, even if a near relative is concerned; and fulfil the covenant of God." (Surah. 7, V. 152). It stresses the importance of safeguarding humanity against tyranny and injustice "And let not the hatred of others to you make you swerve to wrong and depart from justice. Be just: that is next to piety" (Surah. 5, Vs. 9).

By so doing Islam was pushing forward the social relations and social development towards maturity. However the message of Islam is nearly limited in realising two ultimate ends: the curbing of egoism and the inhibition of individuality on one hand and the awakening of the common feeling and the development of social relations on the other hand. The message of Islam aims at saving human actions from

Such reasoning makes it quite clear to our minds why we worship one God and why it is incumbent upon all people to submit to the guidance of one leader the guidance of God.

This natural principle, the principle of contrast guiding our existence makes it incumbent upon us to worship one God. We all seek to complete ourselves and we can only achieve that end by applying that principle which is the origin of harmony in life. No doubt it is the ultimate wish of man to be harmonious with himself and with all the folk around him whether in his own domain or in the public domain.

The industrial development in our time if it is in the service of humanity it will be as well in the service of social development. Thus if it realises both ends, it will be one of the requirements of the age. To be in service of humanity means to allow man to keep his mastery and not to be enslaved by the machine. This implies that man should make use of the machine to raise his standard of living, to better his social status, to mitigate the maladies, to combat ignorance and illiteracy and to propagate enlightenment and knowledge of life. He should not be at all a submissive slave to the machine, subjugated to its influ-

ence and reduced to slavery and bondage under its impact. If he fails to keep his mastery and liberty as a result of its interference in his life then it will be a source of choos and anxiety and it will stand as a stumbling block in his way hindering the realisation of the ultimate aim of social development which is co-operation, love and friendship between all people.

The attitude of Islam towards social development according to the requirements of the age.

Islam is a heavenly message revealed to human beings living on this earth. It is the word of Allah sent to humanity at large without any discrimination between arabs and non arabs. It is a message for all people. It is adressed to everyone without any distinction to guide humanity to the right path leading to the realisation of the full sense of humanity in man's life

If the ultimate aim of humanity in its full sense is, as we have mentioned before, to make people join one another love one another, be brothers and co-operate with one another it is the message of Islam to awaken these good points and to develop them and to convince man to keep these ideals and to follow

be in need of the other. None of them will feel that he lacks something which the other can satisfy. Thus the equality in the will between man and woman is a reason for separation and disunity and not a reason for agreement and attraction although there is a contrast between them from the point of view of manliness and womanhood.

The similarity between man and woman in the form of the body corporeal features and physiognomy is another cause of disunity in spite of the contrast between them as a male and a female. The woman doth want a man who stands in psychological and physical traits in contrast to his.

Their meeting on that basis will be then natural. The mutual sympathy will of course emanate as a result of such natural meeting. I wonder if there is a man who wishes to marry a woman with a manly muscles or who likes to have as his wife a woman who is deprived of all feminine emotions and who has the iron will of an experienced man who has gone through the ups and downs of life and who has been trained by facing the situations and hardships of life. I wonder as well if there is a woman who aims at having a husband whose physical constitution is womanly and frail, a husband who is gover-

ned by his whims and who is always hesitant in all his acts and deeds, prejudiced unsteady and easily moved like a feather in the face of wind.

The idea of having a president or a leader in the society to guide and to lead the society is in fact a natural consequence to the application of the principle of contrast. This principle emanated to satisfy a necessity for whenever there is a herd there must be a shepherd to look after them and whenever there is a leader or a president there must be subjects to be guided by his directives and to follow his leadership. If it happened that all the individuals yearn to be heads and leaders then there would be no order and nothing would reign but chaos and struggle and if it happened that all the individuals admitted to be followers without a leader to plan and direct there would be no society and there would be no common cause to unite their efforts add to make them march towards one target and to make them work to attain a common purpose. As such there would be no relations to tie them together and there would be nothing but friction, war and struggle.

subject to the wishes proposed by certain writers or thinkers who endeavour to guide the society towards realising them.

Thus sectarianism, partisanship, fanaticism, bigotry and tribalism could not be considered as requirements of the age.

The emancipation of woman in the sense of enabling her to fulfil her duties as a mother in the family and as a member in the society who is shouldered with certain responsibilities derived from her natural status in the society, is no doubt one of the requirements of the age. The call to the co-operation of both husband and wife, to the prevention of tyranny and the subjugation of the powerful to the weak, to righteousness and good behaviour in their dealing with each other, is as well a requirement of the age. The call to curb from misusing one's rights in treating one's neighbours or in dealing with them is also one of the requirements of the age.

On the contrary the call to the emancipation of woman in the sense that it would be treated as a man in the guise of a woman is not a requirement of the age because it is against the nature of the woman itself and against the aims of the social development. It is against the aims of social growth because

love, friendship and co-operation amongst individuals which are the ultimate ends of social development can not be realised except when there is harmony or agreement between the individuals at first. Such harmony will be developed by the lapse of time into friendship, love and co-operation. The harmony however does not happen between two who are completely similar. The more they differ, the more there is certain points of contrast between them the more they are liable to sympathise with each other and to harmonise with each other. That is simply because every one of them will be then in obvious need of the other. Everyone of them has something which the other lacks. By coming in touch they will complete each other. This asserts the principle of compensation which is a recurring principle in life because it responds with another principle that is the principle of dualism which is the origin of life itself: the doer and the done, the active and passive. But for this dualism and but for the contact of the doer and the done, the passive and the active, none would have met in life at all and none would have shown harmony with each other.

The close similarity is in fact a cause to friction and combat and not a cause to attraction and harmony. On being Similar none of them will

bind them and begin to work together collectively with a co-operative sense and mutual care and love for each other, to unite in face of any danger or crisis from within or without, to differentiate between what should be done and what should be left to make such co-operation effective and if such family is full aware that it has a common purpose that is to keep their family strong and united in the face of other families, that will mean that the social conscience of such family has arisen and is paving the way to realise its end gradually and through stages. At every stage such conscience becomes stronger until it reaches maturity wherein they become one block or unit.

If a mutual response takes place between two or more families in their relations and if in the meantime they agree to work for one purpose then the big society will be created. As well when such mutual relations extend to embrace numerous families and so many individuals and when they are bound with a common tie, the human society at large will be going ahead in the way of asserting its existence and revival.

The social development in the light of the aforesaid premises paves its way in two directions : It aims

at extension and enlargement at one-hand and at attaining depth on the other hand. The social growth while it aims at embracing so many individuals it seeks to deepen the relations amongst the individuals and to strengthen their mutual human ties. The depth of individual relations and the strength of human ties appear in their fruitful co-operation and in love and brotherhood. In other words they appear in their endeavour to realise the human aims which are the freedom from the ferule of animality, the command of instincts and the Predominance of infancy.

The requirements of the age.

However, if the social development is the liberation from the rule of animality, instincts and human infancy is the freedom from the command of individuality an egoism, the requirements of the age will be another factor in the social growth if they prove to be helpful and inciting to such liberation. Hence the development will be considered as pushing through normal paths to attain its end that is the assertion of humanity with all its known traits of love, sympathy and mutual friendship amongst its individuals.

Thus the definition of the requirements of the age is subject to the definition of the meaning of social development. It is by no means.

guidance and education. Thus their relations never tend to peace except when a weak individual faces a strong man. They never come in contact with each other in their dealings except by sheer coincidence when they meet in their search for sustenance to keep them alive or in their hankering after pleasures to satisfy the call of the flesh. In fact there are no relations whatsoever amongst the individuals of such a group except in their struggles and contacts to attain the aforesaid ends. They have no family relations. No fatherly or motherly or filial relations exist among them. They have no other ties as such which depend upon common blood, mental and material inheritance and the status of the family. Although, the individuals give birth to children as a result to sexual indulgence between the male and female which is a natural reaction between the two different sexes, they are so doing without the innate feeling of familial kinship. In other words they never feel that it is incumbent upon them to look after their sons and their wives. They are deprived of any sense of sympathy. They are aimless and have no common purpose to live for such as the maintenance of the family by trying hard to supply it with food,

to defend its individuals against famine and annihilation and to keep its existence by all means. On the contrary the father almost attaches the mother as well as the son in their search for food. In a likewise manner the brother wages war against his brothers. In his sexual indulgence he never knows any limit or any forbidden degrees of consanguinity. He marries his mother, his sister, as well as any other woman without any heed to the illegality of such deed and without paying any care to the traditions of the society which forbid such intercourse. Thus polygamy is practised without any limit and there is no any degree of forbidden marriage. We can go too far to say that the offsprings of a certain from the so many women he marries are countless and hardly recognisable.

When individuals begin to set limits for their mutual relations and to feel conscience of the scope within which they display such relations. Then it is the beginning of the rise of a society. The more the relations are limited, the more the scope of its displayment is clear, the stronger the society becomes - for under such circumstances the aims and purposes become likewise so clear.

If the members of a family realise the common relations that

ISLAM AND SOCIAL DEVELOPMENT

by

Dr. Muhammad El Bahay

Director General of The Islamic Culture
Administration

It seems appropriate before dealing with such a subject to explain what is meant by social development in the light of the requirements of the age.

The meaning of social development.

The social development is the development of the mutual relations amongst the individuals in a way to ensure that social welfare is no less in the individual's consideration than his own or in other words that the care the individual takes for his fellow individual is no less than his care of himself. Thus the social development is the growth of the mutual relations amongst individual in the fields of reciprocal sympathy and co-operation in fruitful deeds which realise the common weal of the people at large instead of letting loose the individualism and egoism to guide the affairs of the people for individualism and egoism are the characteristics of the childhood of both the individual and the society.

To understand the real meaning of social development we have to pay a retrospective glance upon the status of the primitive peoples who are unconscious of the mutual relations and mutual co-existence amongst the individual. Those primitives who have not yet realised the common purpose at which the people should aim and to which they should work to establish a society to unite them all. To maintain such a society they have to work together to realise its aim and to co-operate to keep it alive.

However, a primitive man never co-operated with his fellows to build a society. He is only looked upon as one in a group wherein the relations amongst the individuals are governed only by egoism and the instincts of self existence and self - defence. They have nothing to do with the social instincts inherent in man because they have failed to develop them through lack of

as well as its own discoveries not to stick altogether to what predecessors had bequeathed. So they pondered, searched, verified, chose and ultimately invented. By so doing they had been masters of all scholars and were worthy of God's description : " you are the best of peoples, evolved for mankind, enjoining what is right, forbidding what is wrong ", (Surah, 3, V. 110).

Our hope for a new scientific renaissance.

This is the rôle of Knowledge in the construction of society as ordained by the holy Qur'an. Therefore I earnestly hope that time would bring the Muslims once again to an era of vigilance and awakening ! an era full of progress and good understanding in order to make up for the sordid past, lead a course of dignified life as set by their fore - fathers

and realize that Knowledge has been the first and foremost element in their mastery and strength. They must Know that their humiliation and backwardness are due to ignorance and the wasting of time in false theories, illusive hypothesis, fancies and superstitions.

I strongly feel that scientific renaissance would take place through the unflagging efforts of the sincere and persistent individuals who devote their life to extirpate the seeds of illiteracy and realize the welfare for their people in a bid to live prosperous and happy, and never feel the pains of adversity or develop a sense of inferiority. Thus dignity and honour will be as God wished them to be : " For God and His messenger and the believers " (Surah. 63, Vs. 8).

Thus God equalizes the blessing of man's creation and that of knowledge as a hint that the ignorant man has no real existence in this life. To exalt *the pen* and its rôle in the field of knowledge. God the Almighty has sworn by the pen when He refuted the grievous charge that God's messenger was mad. In this connection He says : " Nun. By the pen and by the (record) which men write, - You are not, by the grace of your Lord, mad or possessed" (Surah. 68, Vs. 1 — 2).

The Pen is not confined only to the knowledge of religion.

As God demands reading as such He also demands knowledge as such without any limitation to certain branch of knowledge; " Are those equal; those who know and those who know not." (Surah. 39, V. 9). This unlimitedness guides us that *knowledge* from the Qur'anic point of view is not confined to that of religious injunctions. It goes to any branch of information that may benefit man and help him in the great mission he is shouldering since his creation. He was appointed viceregent on earth to inhabit it, to extract its treasures and explore God's secrets therein.

Knowledge, however, comprises all branches of science such as botany, agronomy, veterinary, economy

and investment of properties. It also includes industry and industrial resources, medicine and its implications, warfare and so forth. The Qur'an has ascertained this attitude and made knowledge as such a principal element in the life of the Muslims.

Our ancestors conceived the value of knowledge in all its aspects.

The early Muslims had conceived the value, significance and inevitability of knowledge and the role it can play in the creation of individual as well as universal happiness. Though they had been an illiterate people yet they were so ardent to expunge all signs of illiteracy that they released any prisoner who could teach certain number of the children of the Muslims how to read and how to write. Furthermore they considered the memorization of the holy Qur'an as a dowery in marriage.

It is advisable to say that Knowledge has elevated and honoured the ranks of those who have no social background or wealth or authority. And if we go back to the past to consult history we will find books of outstanding merit, Islamic and non - Islamic alike. These bear witness that early Muslims were characterized by their profound academic concentrations and that each generation had had its own method

lutes the bonds of co-operation and terminates dignity and authority other than ignorance and illness. These two defects are the sources of all evils and the omen of destruction and annihilation.

Islam launches a war against ignorance :

This is simply why Islam has taken great interest in all means which purges society of ignorance and illness. It combats ignorance in all its aspects. It combats the most heinous form of ignorance represented in polytheism by means of implanting the seeds of monotheism in men's hearts, of drawing their attention to its signs and evidence and of urging them to think of and scrutinize in these signs to believe that greatness is God's only and to proceed on the way leading to perfection without being hindered by any false greatness.

Islam also combats another form of ignorance that is blind imitation and therefore it has denied man's dependence on any authority other than his own mind and will, and has blamed him for his stagnant attitude towards dogmas, knowledge, illusion and superstition bequeathed by his forefathers.

Learning of writing and reading:

It tackles illiteracy by recomm-

ing the learning of reading and writing, and by exalting the status of education. Here we should stop for a short while just to see to what extent Islam cares for putting an end to illiteracy. It is quite enough for us to assure this argument to observe that the first Qur'anic verse sent down from God to His messenger Mohammed was this glorious verse which reads as follows : "Read in the name of your Lord and Cherisher, Who created-created man, out of a (mere) clot of congealed blood : Read ! And your Lord is the Most Bountiful, He Who taught (the use of) the pen." (Surah. 96, Vs. 1-5).

In this verse God the Almighty commands His messenger to read. And it is noteworthy to state that reading is the means by which man can attain glory and knowledge. Next He guides him to pray in the name of the Lord for succour because He is the Bestower of education and its means on all human beings. Then man can realize that knowledge has a significant status in life. Finally He mentions man's creation and of what he was made combining this with the blessing of knowledge as He says : " Who taught (the use of) the pen. Taught man that which he knew not." (ibid V. 5).

and wisdom. Many Qur'anic verses guide us to such wisdom such as the following verse which deals with the initiation of man. This respective verse reads as follows: "Behold, your lord said to the angels: 'I will create a viceregent on earth.' They said; 'will you place therein one who will make mischief therein and shed blood? Whilst we do celebrate your praises and glorify your holy (name)?' He said: 'I know what you know not.' And He taught Adam the nature of all things; then He placed them before the angels, and said: 'Tell Me the nature of these if you are right.' They said: 'Glory to you: of knowledge we have none, save what You have taught us: in truth it is You Who are perfect in knowledge and wisdom.' He said: 'O Adam! tell them their nature.' When he had told them, God said; 'Did I not tell you that I know the secrets of heavens and earth, and I know what you reveal and what you conceal?'" (Surah 2, Vs. 30-33).

Through such a logical discourse, the wisdom of man's creation was clearly conceived by the angels and they recognised man's superiority over all creation. In this connection God the Almighty says: "It is He Who has made you (His) agents, inheritors of the earth: He has raised you

ranks, some above others: that He may try you in the gifts He has given you." (Surah. 6, Vs. 165).

"Believe in God and His messenger, and spend (in charity) out of the (substance) whereof He has made you heirs." (Surah. 57, Vs. 7); "O David; We did indeed make you a viceregent on earth: so judge you between men in truth and (justice)." (Surah. 38, Vs. 26).

Knowledge and Health:

If what we have just mentioned has been the mission of man in life, the wisdom of his creation, of bestowing on him faculties of knowledge and action and of rendering the universe subservient to him, then he should fortify himself by knowledge-to distinguish good from evil, the useful from the harmful and the constructive from the destructive - and protect himself by sound health to integrate his mind, maintain his activities and render his efforts fruitful.

Knowledge and health thus are two elements inevitable for men to lead a perfect life in order to realize the wisdom of the Creator in His creation. All beings, however, are dependent on and in need to both knowledge and health. In as far so we are concerned there is nothing on earth that destroys happiness, disso-

Islam ordains and what the Qur'an calls for; so they reflected, reacted, reasoned, sought evidence and rejected blind imitation. Consequently they became masters of the world and all nations under their rule enjoyed justice, equality and prosperity. By the elapse of time they diverted into the vicious extreme, abandoned the sound teaching of Islam and fell under the ferule of imitation. They ignored the essence of man, of the universe and of life. They dissected the integral religion of God, became scattered groups and cancelled God's authorization on His creation, and assumed to be the only authorities in God's religion and law.

They related infallibility to their father's opinions as to place them above criticism. Thus religion was represented through different and inconsistent interpretations. Consequently this divergence of views gave rise to the spread of innovations and superstitions which aroused dark clouds over the firmament of religion in such a way that made people so disgusted and sick of it that they accused it of having no straight attitude and of being fluctuated between permissible and forbidden, between sound and unsound and between strength and weaknees. Eventually they began to seek salvation from this desperate situation as an expression of their vengeance on

the religions factions who seperated religion from life.

Such groups have to realize that life is so wide and dynamic that it can by no means be confined to narrow opinions of short-sighted individuals or to the fetters of old legacy.

They ought to consider carefully the land on which they are standing and the method which they are using in order to preserve the law of God and remain steadfast in His commandments.

Man's regency on earth.

Man was neither created just to make fun or rejoice nor to exercise tyranny and despotism. But he was endowed with the faculties of knowledge, conception and the tools of action. The universe as well including earth, sky, water and air was rendered subservient to him for sublime wisdom that is manifestation of God's glorification and beauty. By such an endowment man was prepared to be God's regent on earth to inhabit it and to bring about its reformation, the development of its civilization, the exploration of God's secrets and the maintenance of good and prosperity therein. By an achievement it will be a demonstration of God's mercy to His bondmen and a great sign of His power

Immutability hinders the principle of evolution.

Thus the Qur'an tells us that such People had been sticking to the inherited thoughts and dogmas and had been regarding such abstract ideas as the inheritance of land or of any other material property. Those people were completely satisfied of what they had inherited without causing themselves any trouble to evolve or promote their standard of both knowledge and action. There is no doubt that such an attitude contradicts the nature of the universe as well as the nature of every being which is basically characterized by growth and generation.

However, the intellectual reproduction like that of man, animal and plant is inevitably needed in life. And if the intellectual faculties of man stop functioning, he will be confronted and puzzled by the copious reproduction of other organisms and, in sequence, will be unable to organize or make use of these creatures which were principally created to be in his service. Consequently he would fail in his mission for which he has been chosen since the dawn of humanity; that is to be God's regent on earth.

Sticking to old opinions is a plunder to man's specific quality.

Sticking to the old opinions is a manifest plunder to man's specific characteristic i.e., mind which differentiates between right and wrong, and between the proper and the improper. Such plunder puts man in a state of indifference; so he does what he likes and abstains from what he dislikes without any religious background. Man, accordingly, has no choice but only submits to the images of his fathers and his fore-fathers which always drag him back without having any intrinsic energy to make him advance but is only whirled by the current flood of life; 'When they do ought that is shameful, they say: (we found our fathers doing so)' (Surah. 7, V. 28).

In fine sticking to the old opinions of the fore-fathers, to what they have had of knowledge and to their way of thinking is an offense against human nature, a plunder to the dynamism of mind which is man's specific characteristic, a flagrant misrepresentation of God's signs to His bondmen and a false belief which God absolutely disregards.

It is noteworthy to state that the first Muslims had followed what

n the third category after God and Angels; "God bears witness that there is no God but He-and the angels and men possessed of knowledge upholding justice." (Surah. 3, Vs. 18); and confined the fear of God only to them because they have conceived God's power and greatness; "only those of His servants fear God who have knowledge." (Surah. 35, Vs. 28). Being as such depicted Islam has prohibited the following of conjecture and instead has erected faith on an unequivocal proof as well as on conclusive arguments; say: 'have you any (certain) knowledge? If so, produce it before us. You follow nothing but Conjecture you do nothing but lie (S. 6, Vs. 148 "But most of them follow nothing but fancy: truly fancy can be of no avail against truth". (Surah. 10, V. 36);

"But they have no knowledge therein. They follow nothing but conjecture; and conjecture avails nothing against truth." (S. 53, V. 28) and "And pursue not that of which you have no knowledge; for every act of hearing or of seeing, or of (feeling in) the heart will be enquired into (on the Day of Resurrection). (Surah 17, V. 36).

To ascertain the importance and value of knowledge, Islam has called it authority in many Qur'anic verses; "Those who dispute concerning the signs of God, without any authority come to them, very hateful is that in the sight of God and the

believers." (Surah. 40, Vs 35) and "Those who dispute about the signs of God without any authority bestowed on them - there is nothing in their hearts but (the quest of) pride, that they shall never attain" (Surah. 40, Vs. 56).

The Qur'an opposes imitation and blames the imitators:

There are too many verses in the Qur'an which denounce blind imitation and imitators whose chief interest is only to follow the same course of their fore fathers and to inherit their old dogmas and tradition without any merits save they are only fathers or ancestors as if priority of time gives holiness to the old systems, beliefs and interpretations of texts. Accordingly they stick to the old opinions depriving themselves of men's specific characteristic; that is mainly searching and meditation. In this respect God says: "When it is said to them: 'follow what God has revealed' they say: 'nay! we shall follow the ways of our fathers; what! even though their fathers were void of wisdom and guidance'" [Surah. 2, V. 170] and also says: "When it is said to them 'come to what God has revealed; come to the messengers, they say: 'enough for us are the ways we found our fathers following., what! even though their fathers were void of knowledge and guidance.'" (Surah. 5, V. 104).

ISLAM: THE RELIGION OF MIND AND KNOWLEDGE

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout
Rector of Al-Azhar University

The strong appeal of the Qur'an to reflect on the dominion of the heaven and the earth is a handsome demonstration of the status of both mind and knowledge from Islam's point of view. This is simply because mind is the means of thinking which produces fruitful knowledge. Accordingly all the Qur'anic verses instigating the believers to such reflection are meant to declare the value of the mind and draw the attention of the people to elevate and strengthen it. These verses also declare the value of knowledge and the importance of acquiring it in order to enable man to conceive facts, to rid himself of the fetters of ignorance and to emancipate himself from the servitude of fallacies and superstitions.

By so doing Islam has been the religion of thinking, mind and knowledge. The attitude of the Messenger of God is quite satisfactory to account for this argument. He did not prove his message through

supernatural signs as vehemently demanded by his people, but only through reasoning and sound reflection. In this respect God the Almighty says;: " Yet they say : ' why are not signs sent down to him from his Lord ? ' Say : ' the signs are indeed with God : and I am indeed a clear warner ; And is it not enough for them that We have sent down to you the book which is rehearsed to them ? Verily, in it is Mercy and a reminder to those who believe. " (Surah. 29, Vs. 50-51).

Moreover, Islam has honoured the mind and stated that whoso neglects it will be punished on the day of Resurrection. It narrates what would be the discourse of those who disregard their mind and missed the straight path by saying : " They will further say : ' had we but listened or used our intelligence, we should not (now) be among the companions of the blazing fire " (Surah. 67. Vs. 10). It as well has honoured knowledge and classified its possessors

bless as well the cave of Hirraa for it was the place of the Solu's inspiration. No wonder for Thor is in the mount of salvation and Hirraa is in the mount of glorifications.

The world was before the birth of Mohamed suffering from the disintegration of morals and manhood, and the reigning of egoism and falsehood. The force was subduing justice, relationship was subjugating rights, the authority of capital was degrading humanity and the excess of luxuries was annihilating bravery. Commercial dealings were most unfair. Breach of faith was prevalent. People were behaving like beasts of prey. They were always waging wars, and disputes. Their deads were governed by deceit, prejudice and avarice. But when the great hero and the perfect man had appeared, his manners and good deeds became a striking example of perfect behaviour. He behaved in compliance with religious institutions to teach people by the force of example, to train them by practice and to regulate their instincts by offering the model. His character and call impressed his people and reformed their ways of life. After indulgence in sanguine deeds, animosity and disunity they were reduced to love, friendship and unity. He guided them by the light of the Koran and ruled them by his traditions. He moved them to

attack the corruption and immorality of the world. Therein they succeeded in reforming a corrupted world, in civilizing and educating its people.

Such are the trains of thought which the memory of the birth-day of the prophet excite in the minds of true and grateful believers. Such memory moves us in the meantime to ask what is now remaining in the hearts of moslims, of the spirit, liberty and moral of Mohamed peace and blessings be upon him! Alas Moslems are now leading a life of no importance. They are no more than playthings. They are no more than the serfs of the land. They are no more than the barbarians of the age of ignorance! Could that be their status if they had followed the teachings of their religion and made it their guidance in life and if they had made the sayings of the prophet their directive and the life of their forefathers their example?

The memory of the birth-day of the prophet is the memory of the liberation of humanity from the bondage of illusions, tyranny, and ignorance. As such it would be incumbent upon the free and conscious hearts to bow in reverence and to glorify the memory of the prophet of monotheism and unity, the messenger of democracy and freedom and the propagator of peace, love and brotherhood.

Mohamed was either the annihilation of the soul or the annihilation of the body. It was either the judgement of God or the judgement of man. It was either the predominance of religion or the predominance of the temporal life. But to institute a relation between the subjectivity and the objectivity, between the lamp and the light, between this world and the hereafter and between the human will and the divine will was in fact the real purpose of Mohamed's mission to this universe and its realization was Mohamed's duty as ordained to him by God.

Before the advent of Mohamed the world was crippled by an intellectual slavery which killed initiative and deprived man of his right to think and a corporeal slavery which deprived him his right to act. There was no system to govern family affairs. Neither was there any law to govern the tribe nor any constitution to govern the nation, nor any legislation to regulate the creed. It was an oppressive tyranny which had exceeded all bounds and to which both the society and the individual submit. It was up to the father to decide the life and death of his sons as a rule of nature. The head of the clan had by traditions the right to enforce his people to do or to abstain from doing according to his will. The king as well had the right to subjugate his people in the name of religion. The priest too was allowed to mislead the people de-

pending upon their ignorance. Those four only were the leaders who enjoyed their rights while all others were followers, slaves and neglected.

When Mohamed had been sent by God to guide the people to the way of Allah and to be a mercy to the whole universe, he gave birth to liberty, set minds free and ordered people to vie with each other in doing good, to co-operate in the welfare of the society and to compete to win priority by piety. He strengthened the ties amongst people by encouraging love and friendships. He instituted equality to realise fair dealing. He had won the hearts of his people by love and justice in a way that made the weak feel that he is supported by all the powers of God, the poor that all the wealth of the government is at his disposal and the lonely that all the moslems are his brethren. The prophet too obliterated all racial distinctions and territorial demarcations. He made the whole world one country for all the people and all the nations one united family governed by mutual love and directed by equality and justice. In such family every member has the right to see his Caliph at any time without intervention or permission. As well he is free to pray and to perform his religious duties without any interference.

God bless the cave of Thor for it was the birth place of liberty. God

THE MEMORY OF THE PROPHET'S BIRTH-DAY

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

The memory of the birth-day of our prophet Mohamed - peace be upon him - is in fact the memory of the rise of the spirit, the birth of liberty and the establishment of the morals. His birth was the first resurrection that purified the souls, constructed the world and initiated the rights of man. In that it acts as well as the last resurrection which will save the spirit, commence the hereafter and announce the sovereignty of God.

The world was then in a turmoil wherein people were enslaved by materialism, subjected to lust and ruled by force. It led a life without ideals, a life void of noble impulses, human values and heavenly guidance. As such it was reigned by the animal side in man. Bestiality was the dominant factor. Conquering was man's aim in life. Lust was his guidance. Egoism was his law. He was nothing but, lust, prejudice and animality. Sifted to ears in lust he went too far to make intercourse with any woman permissible to any man. Conquered by materialism he deified stone and wood. Driven by Egoism he went to the extent of killing his sons in fear of poverty and need.

Such was the world before the advent of Mohamed - peace be upon him. By his advent a door leading to heaven was opened through the cave of Hirraa. From whence the angels of God have descended and the word of God has been revealed to such disintegrated and misguided world. Consequently the secret of life, the meaning of immortality and the truth of God were instilled into man's mind. Hence the man of the world felt that he has affinity with Heavens which was cut down by a long period of neglect and that he is promised a better life which he was unable to look for because of his ignorance. Being enlightened in such matters he looked to the far horizon, aimed at coming to the high summit to realise his hopes in a better life through heavenly guidance. This led him to follow the guidance of the prophet revealed to him in the silence of Hirraa at the top of the hill, to ponder upon the secrets of the universe as shown in the inspiring valley and the dreadful space, to praise and glorify the existing grandeur and to dissolve in the absolute existence.

The creed before the advent of

مجلة الانهر

مجلة شهرية جامعة

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المصنوع
إدارة اجماع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٩١٤

تصدر عن منشأة الانهر في اول كل شهر جمادى

الجزء الخامس — جمادى الاولى سنة ١٣٨٠ هـ — أكتوبر ١٩٦٠ المجلد الثاني والثلاثون

لسم الله الرحمن الرحيم

ثورتنا الثلاثية

معلم : أحمد حسين الزيات

فالبلاد كلها من أسوان إلى القاهرة على عزمه
لا تقي ، وحركة لا تفر ، وزحف لا يقف .
ولكن هذه القوى الثائرة المعمرة لا تستطيع
وحدها مهما تنشئ وتنتج أن تكفل لابن آدم
المجتمع الذي يجدر به إلا إذا اعتبرناه حيوانا
له معدة وليس له قلب ، وله شهوة وليس
له عقل ، لا إنسانا ينزل بين خلق الله في المنزل
الوسط بين البهيمة والملك ، يكون بماديته
مرتبطة بالأرض ، وبروحته متصلا بالسما .
نعم ، تستطيع الثورات الثلاث بقواها
المادية والفكرية أن تلين الحديد ، وتزرع
الصخر ، وتقهقر النيل ، وتنتشر المعرفة ،

تعيش الجمهورية العربية المتحدة اليوم
في ثورات ثلاث كما قال بحق وفعل بصدق
مثيرها العظيم جمال عبد الناصر : ثورة سياسية
تحقق الحرية وثبتت الاستقلال على الوحدة
والحيادة . وثورة اجتماعية تحقق الديمقراطية
وتبني المجتمع على المساواة والتآخي . وثورة
اقتصادية تحقق الاشتراكية وتقيم الثروة
على العدل والتعاون .

وهذه الثورات الثلاث هي جماع القوى
العاقلة العاملة للشعب أخرجتها من السكون
والكمون والتعطيل يد مصرفة حازمة ، تحكم
لتصلح ، وتهدم لتبني ، وتحث لتزرع .

المفهوم الجديد للثورة نريد ثورة الدين .
والدين بطبيعته وحقيقته ثورة مستمرة :
ثورة على الفساد والشر ، وحرب على البغى
والعدوان وما دامت هذه الكيما في الأرض
فالثورة دائمة والحرب قائمة ؛ إنما نريد إذكاء
شعلتها وإعلام سناها لتجد فيها ثورتنا العامة
القبس الذي يحبها بحرارته ويهديها بنوره .
والمصلح الذي أرسله الله على فترة من المصلحين
ليجدد ما اندرس ويبين ما انطمس ويقم
ما انهار ، هو الذي يستطيع أن يرفع الإجماع
عن كلمة الله ، ويدفع الإبهام عن رسالة محمد .
وهو يدرك فيما أدرك من فساد الحكم وعيب
السياسة وبغى الإقطاع أن الوازع الديني
قد ضعف في نفس المسلم ، لأن نور الإسلام
قد انكفأ في قلبه أو انطفأ في ضميره ، فلم يعد
إسلامه إسلام الصدر الأول الذي فتح الدنيا
في عهده وأضوى العالم إلى كنفه ؛ وإنما أصبح
خلطاً عجيباً من العقيدة السالفة والصوفية
الزائفة والأساطير الموروثة والتقاليد الدخيلة ،
يوهم معتقديه أن الإسلام ليس من شأنه
الدنيا ، وأن المسلم ليس من همه المادة ،
وأن ما هم عليه من رتق العقيدة وظلام
الفسك وخدر الشعور إنما هو روح الدين
ورضا الله وطريق الجنة . ثم لا يعدمون
أن يجدوا مصداقاً لما يتوهمون في بعض
ما يسمعون أو يقرأون من الأحاديث
الموضوعة والأخبار المصنوعة والآراء الملتفة ؛

وتبسط الرخاء ، وتيسر الأداة للحياة للعامل
والفلاح ، وتوفر القوة والعدة للجيش
والشرطة ؛ ولكنها لا تستطيع أن تضع
التقوى في القلب الأغلف ، ولا أن تبعث
الحياة في الضمير الميت ، بدليل أننا أصبحنا
في مدى ثمانى سنوات أمة على وجه الدنيا
وفي جبهة الركب ، نقول فنسمع ، ونطلب
فنجاب ، ونعمل فنجد ، ونزرع فنحصد ،
في ظل حكم ديمقراطي عادل ، ونظام اشتراكي
معتدل ، يضمنان للفرد مساعدة الكل ،
ويكفلان لكل مساندة الفرد ، ثم لا يزال
فيما المراتشي والمختلس واللص والمزور والمستتر
والهدام والمنافق والخائن ، ومن يستحب
العمى على الهدى ، ويؤثر منفعة نفسه
على منفعة الناس . لا بد إذن لهذه الثورات
الثلاث من ثورة رابعة تقوم لمن مقام الروح
الملمهم والشعاع الهادي : هى الثورة الدينية !
ولعل الذوق التقى لا يستسيغ ذكر الثورة
بجانب الدين ، لأن مفهومها الذى استقر
طويلاً في الأذهان يتضمن التمرد والتهور
والاستبداد والاضطهاد والقتل ؛ ولكن
هذا المفهوم قد غيرته الثورة الناصرية - وهى
الثورة الأولى في بابها من تاريخ الإنسان -
فلم يبق منه إلا التحرير والتطهير والتعمير
والتطوير والإصلاح . لذلك لم تخضب صحائفها
البيضاء بالبقع الحمر ، ولم تسبل على منكرات
العهد الذاهب غير ستار المعروف . وعلى هذا

المقدسة دفاعا عن عروبتنا وقيمنا الروحية -
تمسكه بضرورة العمل على دعم هذا المعهد
الإسلامي الجليل حتى يستمر منارة ترسل
أشعتها العلمية والروحية إلى أرجاء العالم ،
- وتمسكنا له من مسامرة تطورنا المعاصر -
يوصى المؤتمر بضرورة العمل على أن تؤمن
للأزهر الوسائل ليكون أداة صالحة لخدمة
أهدافنا الروحية والقومية من تحرير الوطن
العربي ، وتحقيق وحدته الشاملة في إطار
مفاهيم القومية الحقيقية .

أما رسالة الأزهر فجماعها حفظ التراث
الإسلامي وتنقيته من العقائد الواغلة والمذاهب
الباطلة والبدع الضارة ، ثم نشره على العالم
عن طريق التعليم والتأليف والترجمة والدعوة .
وسيله إلى ذلك - فيما أرى - أن يمكن
من جمع هذا التراث المنفرد المشوش في ثلاثة
أسفار : سفر في التفسير تشرح فيه الآيات
الكريمة على ضوء الرواية الصحيحة والعلم
الثابت ، ويجمع بين ما صح من أقوال السلف
وما صالح من آراء الخلف . وسفر في الحديث
يدون به ما لا ريب فيه من الكتب الصحاح
ويستعان على شرحه بعلوم التاريخ والاجتماع
والأخلاق والفلسفة ، وسفر في الفقه يشمل
ما تواتر من الأحكام وصح من المذاهب
وسلم من الآراء ؛ ثم يوضع منه مواد كالقانون
ويشرح شرحا فنيا يستوعب أصوله ويستقصى

فإن من محن الإسلام حين ضعف أهله
وزال سلطانه أن امتزجت به كل نحلة ،
وسرت إليه كل علة ، وترامت فيه كل حالة .
فكل امرئ واجد فيه ما يلائم استعداده
ويناسب فهمه . فالثورة الدينية بالمعنى الذي
ذكرته هي تحرير العقل من الاقتداء العاجز
والمتابعة المسلمة ، وتطهير السنة من الأحاديث
المكذوبة والأقوال المشوبة ، وتطوير
الفقه في حدود ما أنزل الله وبلغ الرسول ،
ليطابق مقتضيات العصر ، ويجابه مشكلات
الحضارة ، ثم عرض هذا الإسلام الصادق
الصافي على الناس في معرض واضح ومظهر
جاذب ومنهج قويم .

ذلك ما يجب أن يدخل في تخطيط الجمهورية
للسنين العشر القادمة ؛ فإن النص في الدستور
على أن الإسلام دين الدولة لا يحقق معناه
إلا إذا كان للدين الأثر الفعال في التربية
والتعليم والتشريع والسلوك . والأزهر بفضل
ما مكن الله له في التاريخ ، وهياً له من الموضع ،
وأتاح له من الكفاية ، أقدر وراث النبوة
على تبليغ الرسالة العظمى وتوجيه الأمة
الكبرى إذا تسنى له أن يؤدي رسالته على
المرسوم الذي رسمته الثورة ، وبالمفهوم
الذي أعلنه المؤتمر العام للاتحاد القومي
إذ قال : يعلن المؤتمر - إيماناً بالدور الخطير
الذي يؤديه الأزهر الشريف في معركتنا

ثم لا ينههم نقاد الحديث إلى أن ما نقلوه منحول أو مدخول إلا بعد أن يكون الرأي قد سار والكتاب قد انتشر ! فلو أن هذه الأحاديث المفتراة لم تكن منشورة على العيون يقرأها من لا يميز بين ما اتصل منها وما انقطع لما طارت الشبه والظنون حول العقيدة . فالثورة الرابعة غرض من أغراض الثورة ، وضرورة من ضرورات الإصلاح ، وطبيعة من طبائع الدين ، ووجيبة من وجائب الأزهر ، فإنما شبت مع الثورات الأخرى فكسحت الغشاء ونفت الخبث وطهرت شريعة الله من سموم البدع ، ونقتها من شوائب الفرق والشيع ، فوردها الناس صافية كقطرة المزن خالصة كقطرة الله ، كانت جديرة بأن تبنى للعرب المجتمع المثالي الذي يسير على صراط الله بقيادة الحق ورعاية العلم ورقابة الضمير ، فلا تجد فيه متى يكتمل بناؤه المخازي التي تقترف في الدواوين ، ولا المآسي التي تمثل في البيوت ، ولا المهازيل التي تشاهد في الطرق ، ولا المساويء التي تحدث في التعامل . ويومئذ يغتبط المصلحون بفتح الثورة ، ويعتز المواطنون بعز الوطن ، ويفرح المؤمنون بنصر الله ؟

أحمد حسن الزيات

فروعه في غير حشولا استطاردولا تعمية . هذه الأسفار الثلاثة ستكون مادة الدراسة ومرجع القضاء ومصدر الفتوى ، ثم يجرد منها مختصرات تدرس في المدارس وتشر في الجمهور وترجم مع المطولات إلى أكثر لغات الشرق وأشهر لغات الغرب ، ثم ترسل إلى كل بلد يعرف الإسلام أو يريد أن يعرفه . أما ما عدا ذلك فما كان صحيحا بقي في المكتبات ليرجع إليه المتخصص والمؤرخ ، وما كان زائفا صنع به ما صنع عثمان في كل مصحف غير مصحفه ، فإن الإبقاء على الزيف من الأحاديث والآراء كلبس للحق بالباطل ، وطمس للنور بالظلام ، وتعمية للطريق على السالك .

أذكر أن أحد الأساتذة الكبار عليه رحمة الله قدم رسالة بالفرنسية إلى (السربون) عن (حال المرأة في الإسلام) نال فيها من خلق الرسول وشرعه وسلوكه . فلما أنكر عليه من أنكر استبدل على كل ما ادعى بأحاديث مروية في (طبقات ابن سعد) وفي الشفاء للقاضي عياض . ولما ردوا حججه بأن هذه الأحاديث موضوعة قال : وما يدريني أنها موضوعة والكتب التي نقلت عنها معتمدة متداولة ؟ وأشباه هذا الأستاذ ممن ضللهم النقول وخدعتهم الكتب يخرجون على الناس كل حين بالرأي المجازف أو الكتاب المخالف

صَدَى جَامِعَةِ الْقُرَوِيِّينَ

فِي الْجُمْهُورِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَحِدَةِ

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد نور الحسن
وكيل الجامع الأزهر

[الكلمة التي ألقاها صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيل الأزهر في الاحتفال الذي أقيم في مدينة (الرباط) بمناسبة مرور ١١٠٠ سنة على إنشاء جامعة القرويين في شهر أكتوبر الحالي]

أبرزها المادة :

وعلى مقومات الثقافة الإسلامية والعربية .

(أ) هناك التشابه بين الأزهر الذي قام بالقاهرة وجامع القرويين الذي قام بفاس في نقطة البداية . كل منهما قام على أنه مسجد ، ثم أصبح بعد ذلك مسجدا جامعا لفترة من الفترات ثم مقر للدراسات الإسلامية والعربية . (ب) وعند ما صار كل منهما مقرا للدراسات الإسلامية والعربية تناولت الدراسة فيهما جميع فروع المعرفة المختلفة التي يتسوق منها التراث الإسلامي والعربي .

فبجانب علوم اللغة والفقه وعلوم التفسير والحديث والعلوم الأخرى الدينية كانت الطبيعة وكان الطب وكانت الرياضة وكانت الفلسفة ، كل منها يكون جانبا من جوانب فروع المعرفة التي عني بها الأزهر وجامع القرويين . وكان لكل فرع من هذه الفروع

أحمل لحضراتكم من القاهرة تحية الجمهورية العربية المتحدة ، وتحية الأزهر ، وتحية شيخه الأكبر وعلائه ، وأحمل إلى المغرب وعلماء القرويين بالذات تهنئة علماء الأزهر وعلى رأسهم شيخهم : الشيخ محمود شلتوت بمناسبة الاحتفال بمرور قرابة أحد عشر قرنا على إنشاء جامع القرويين ، الذي أصبح فيما بعد مركزا في المنطقة الغربية من العالم الإسلامي لدراسة التراث الإسلامي والعربي .

والقاهرة - عاصمة الجمهورية العربية المتحدة ومقر الأزهر - تذكر لجامع القرويين كثيرا من أوجه الشبه التي تربطه بالأزهر ، وتجعله من ذلك صنوا له ، في تاريخه وفيما حدد له من رسالة ، وفيما واجهه من أحداث ، وفيما له من مواقف إزاء العدوان الأجنبي على الوطن العربي

أسلوباً لتربية العقل ، وتخطيط طريق التفكير والوصول إلى الحق في ذاته . وما كان للجامع الأزهر وللجامع القرويين من أسلوب في البحث إذ ذلك هو ما للجامعات المعاصرة اليوم في منهج البحث .

(د) وهناك التشابه فيما طرأ على التعليم في كل منهما من تغيير وما أصابه من تقلبات ، تبعاً للعهود السياسية التي مرت على كل من القاهرة وقاس : فنجد تشابهاً في طابع التعليم أيام أن حكم الفاطميون في مصر والأدارسة في المغرب ، وتشابهاً في طابع التعليم أيام أن حكم الأيوبيون بمصر والموحدون بالمغرب . كما نجد تشابهاً في إطار المعرفة نفسه : اتسع فترة فشمّل جميع الفروع المختلفة التي يضمها اسم التراث الإسلامي والعربي ، وضاق في فترة أخرى فلم يشمل علوم الرياضة والطبيعة والطب والفلسفة .

(هـ) وهناك تشابه كذلك بين الأزهر والقرويين فيما مر على التعليم في كل منهما من مراحل الإصلاح والتطور : سواء في طريقة التعليم أو في نظام الاختبار أو في تعدد المراحل أو في منهاج المواد ، أو في تغيير الكتاب : فقسمت مراحل التعليم في كل منهما إلى ثلاث ، وأخذ بنظام المحاضرة بجانب نظام الحلقة في طريقة التدريس ، ورتبت كتب التعليم

علماء مبرزون هنا وهناك يرحل إليهم طلاب العلم ويقيمون لديهم فترة طويلة أو قصيرة للتلمذة عليهم في موضوع المعرفة والتعرف على منهجهم في البحث . وكان من أشهر العلماء في الأزهر الأئمة العلماء : ابن الحاجب ، و خليل والخرشي ، والزرقاني ، والعدوي ، والدرديري والأمير ، والبناني ، وابن السبكي ، وجلال الدين الحلي ، والبسيوطي ، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، وابن حجر ، والعيني ، والأسنوي ، والأشثوني ، والصبان ، والملوي ، وابن الهيثم الذي وضع الأسس العلمية لنظريات نيوتن في علم الطبيعة . وكان من أشهرهم في القرويين : الأئمة العلماء الحافظ أحمد بن علي بن قاسم الزقاق ، والمفتي محمد بن قاسم القصار ، والفقيه أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي ، والمتكلم أبو عمرو السلاجلي وهو من طبقة أبي المعالي الجويني في الشرق ، والحدث ابن رشيد السبتي والحافظ أبو العلاء العراقي ، واللغوي ابن زاكور ، والرياضي ابن البناء المراكشي ، والطبيب أبو القاسم الوزير .

(ج) وكان هناك تشابه بين الأزهر وجامع القرويين في طريقة الدرس وفي منهاج البحث : فكانت هناك الحلقة ، وكانت هناك المناقشة ، وكانت هناك المحاضرة والتعقيب عليها ، وكان أسلوب الدراسة في واقع أمره

(ز) وهناك التشابه بين الأزهر والقرويين في حفظ التراث الإسلامي والعربي وصيانه من التبديد والضياع ، فلم تفتقر عناية كل منهما عن رعاية حفظ القرآن الكريم ودرسه وتفهم معانيه ولم تفتقر رعاية كل منهما عن نقل ما كان للأولين العرب والمسلمين إلى خلفائهم من بعد جيلا بعد جيل من أفهام في القرآن ، ومن حلول لمشاكل الحياة ومن معارف كانت تدور في محيطهم الثقافي . وقد كانت صدور علماء وطلاب كل من الأزهر وجامع القرويين مقرأ للقرآن الكريم ، وكانت عقولهم مرجعاً لتفكير المسلمين ، وكانت ألسنتهم تنطق بأسلوب كتاب الله ، وهو الأسلوب العربي المبين ، لحفظوا القرآن من التحريف ، وحفظوا التفكير من الضياع .

(ح) وهناك التشابه بين الأزهر والقرويين في تأثر الأزهر بعلماء بغداد الذين وفدوا في عهد المالك إلى القاهرة في سنة ٦٥٦ هـ بعد سقوط بغداد ، وفي تأثر القرويين بعلماء الأندلس الذين وفدوا إلى المغرب بعد سقوط الأندلس في القرن الرابع عشر الميلادي .

(ط) وهناك التشابه في حركة الإصلاح القوية التي قام بها محمد عبده في الأزهر في نهاية القرن التاسع عشر والشيخ أبو شعيب الدكالي في القرويين في أوائل القرن العشرين .

على حسب ما بينها من اختلاف في الحجم وفي أسلوب التعبير ، وعلى أية حال لم ينتقل التعليم في كل منهما طفرة إيساير الوضع الغربي سواء بسواء بسبب ما لكل منهما من طابع المحافظة على ما ورثناه من تراث روحي وفكري وعلمي ، وما لهما من طابع التسك بالقيم التي خلفها آباؤنا في حياتنا وتوارثناها جيلا بعد جيل . وربما كان لهذا الطابع الذي للأزهر وجامع القرويين على السواء دخل كبير في مقاومة الغزو الفكري ، والغزو السياسي والاقتصادي للوطن العربي .

(و) ويسوقنا من أجل ذلك الحديث عن ونجه التشابه بين الأزهر وجامع القرويين في موقف كل منهما تجاه المستعمرين الغازين ، وفيما قام به كل منهما من حمل راية الجهاد والكفاح ضد المستعمر الأجنبي ، وفيما أصاب كلا منهما من نقمة المستعمر وعنته ، وفيما سببه المستعمر لخدمة التراث الإسلامي والعربي في كل منهما من أذى وأضرار مادية وأدبية في المجتمع العربي الخاص والعام ، وفيما ضيقه من خنق على هؤلاء وأقامه من عقبات في سبيل سعيهم في الحياة ، وفي الحصول على وضع في المجتمع يجعل منهم مواطنين لهم ما لمواطنيهم الآخرين من حقوق ، وعليهم ما عليهم من واجبات .

وإن الاستقلال الذى حظى به المغرب ، وحظيت به مصر يرجع كثير من الفضل فيه إلى جامع القرويين هنا والأزهر هناك . ومن أجل هذا كان على جامع القرويين وعلى الأزهر على السواء مهمة جديدة بعد هذا الاستقلال وهى الاستمرار فى حفظ مقومات المجتمع الإسلامى والعربى بحفظ تراثنا الروحى ولغتنا العربية الإسلامية ، ولكن بصورة تجعل من أبناء الجيل المعاصر مؤمنين أقوياء بعروبيتهم وبإسلامهم فى مواجهة ما يتحداهم من غزو فكرى وثقافى .

والأمل كبير هنا وهناك فى أن يقوم الأزهر ويقوم جامع القرويين بهذا الدور بعد الاستقلال ليضيفا مجدا إلى أمجاد وموقفات تاريخيا إلى مواقف تاريخية أخرى .

ونحن هنا اليوم نحتفل باسم الأزهر معكم ، وفى بلدكم الطيب بمرور أحد عشر قرنا على إنشاء جامع القرويين ولنا أمل كبير أن تحتفلوا معنا غدا بقاهرتنا العزيزة بمرور عشرة قرون على جامعنا الأزهرية الخالدة .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

محمد نور الحسن

وكيل الجامع الأزهر

(ى) وهناك التشابه بين الأزهر وجامع القرويين فى تربية الحماس القومى ، وتنمية الروح الوطنى ، والقيام بالحركات المعبرة عن مخطط الوطن وتكوين الرأى العام ، والدفع إلى بقاءه فى النضال بين الدخلاء الغاصبين وبين أصحاب الوطن المعتدى عليهم .

كل هذه الأوجه من التشابه بين الأزهر وجامع القرويين تجعل لجامع القرويين فى القاهرة صدق قويا لا يتضاءل ولا يضعف مهما فرق الاستثمار فيما مضى بين أجزاء الوطن الواحد ومهما حاول بأساليبه المختلفة أن يضعف من الصلات الثقافية والترابط الروحى بين فاس والقاهرة ، ومهما حاول وبذل فى وضع العقبات المادية والمعنوية فى طريق لقاء العربى القاهرى بالعربى المغربى .

وإن احتفال اليوم بمرور أحد عشر قرنا على جامع القرويين سوف يترك صداه وأثره فى القاهرة ، وسوف يذكر بتلك المواقف التاريخية التى وقفها جامع القرويين فى صيانة الوطن العربى وتراثه الروحى والثقافى وصيانة لغة الإسلام وهى اللغة العربية .

وسوف تذكر القاهرة بالفخر لجامع القرويين هذه الأمجاد كما تذكر للأزهر سواء بسواء هذه المواقف والأمجاد نفسها فى تاريخ الوطن العربى فى المنطقة الشرقية منه .

الأدب العربي القديم

أدب رسالة وميثاقها

للأستاذ عباس محمود العقاد

نية حسنة فلا يستر وراءه باطنا غير الظاهر المتكشف للأبصار والاسماع ، ومنها ما هو من قبيل المكيدة المبينة لترويج مذاهب الهدم ، وتقويض الدعائم التي تقوم عليها المجتمعات الإنسانية .

والغالب على الدعوات الصالحة أنها إحياء للقواعد السليمة يزيدها قوة ومنعة ولا يمسها في أساسها بغرض من أغراض الهدم والتقويض ، فهي في جوهرها محاربة للجمود وخروج بالعقول الإنسانية من سنن الآلات إلى سنن الأحياء الذين يطبقون القواعد في زمانهم على بصيرة وعلم بما يقتضيه اختلاف الأزمنة والأحوال وكل دعوة من هذه الدعوات الصالحة ، خليقة أن تترك بعدها قواعد قائمة تضيف إلى ما تقدمها أو تعززه وتقويه ، فهي من عوامل التدعيم والتقويم وليست من معاول الهدم والتقويض .

أما الدعوات المتعجلة ، فإنها تحمل على وجهها طابع العجلة الذي يكشف عن حقيقتها لايسر نظرة وأقرب روية ، ومثلها في كل عصر مثل الأزياء التي يقبل عليها طلاب التغيير والتسلية ويعرضون عنها ، كما أقبلوا

كثرت في العصر الحاضر دعوات التغيير والتبديل في مذاهب الفن والفكر والعقيدة وسائر المذاهب التي تشترك فيها الجماعات البشرية .

وعمت هذه الدعوات أقطار العالم ، وأجناس الأمم ، ولم نخصنا نحن في بلادنا الإسلامية أو العربية .

ولا يستغرب انتشار هذه الدعوات في العصر الحاضر لأن أسبابه كثيرة منتظرة قد نجمها في سببين جامعين : أحدهما ، تلك الرجة العنيفة التي زلزلت أركان العالم بعد الحربين العالميتين ، فلم تدع أمة من أممه على حالة كانت عليها ، ود ثانيهما ، شيوع حرية الرأي بين مئات الملايين من الخلق ، بعضهم حسن الثقافة ، ومعظمهم جهلاء في حكم الأميين ، ولكنهم جميعا يزعون إلى الاستقلال بالرأي والذوق ، ويقابلون التعليم أحيانا بالتحدى والمقاومة إلى أن يبلغ منهم مبلغ الإقناع أو الطاعة والقبول .

وليست دعوات التغيير كلها نهجا واحداً أو سواء في قيمتها ، فمنها الصالح المستحسن ، ومنها المتعجل المردود ، ولكنه يصدر عن

على أبعد احتمال ، ولكن الحملة على لغتنا نحن حملة على كل شيء . يعيننا وعلى كل تقليد من تقاليدنا الاجتماعية والدينية وعلى اللسان والفكر والضمير في ضربة واحدة ؛ لأن زوال اللغة في أكثر الأمم يبقها بجميع مقوماتها غير ألقاظها ، ولكن زوال اللغة العربية لا يبقى للعربي أو المسلم قواما يميزه من سائر الأقوام ، ولا يعصمه أن يذوب في غمار الأمم فلا تبقى له باقية من بيان ولا عرف ولا معرفة ولا إيمان .

* * *

آخر هذه الدعوات التي تعجل بها المتعجلون ودسها معهم الدسائسون أن الأدب العربي القديم أدب عتيق لا يصالح للبقاء لأنه كان أدبا « شخصيا » ، ولم يكن أدبا اجتماعيا يخدم الأمم ومثل حياتها لها أو لمن يقرأ تاريخها من بعدها .

ويكفي أن نعلم أثر الأخذ بهذه الدعوة لنعلم أنها لا تبرأ من شبهة البكيد والنفاق ، وإن تعجل بها أناس من المخدوعين بها على غير علم بعقباها أو على استخفاف بهذه العقابة . فإن انقطاع الصلة بيننا وبين ماضينا في اللغة والأدب أشبه شيء . بتجريد الإنسان من الذاكرة وتركه في أيدي المسخرين له أداة طيعة منقادة لكل ما تنقاد إليه ، بل الأمر أخطر من ذلك وأوخم عقبي ، لأن فاقد الذاكرة يبقى

عليها بغير سبب مقنع غير « اتباعهم كل ناعق » ، وإيثارهم الناعق الطارىء على الناعق المألوف ، وليس أهون من شأن هذه الدعوات المتعجلة على ناقد يعرفها ويعرف أمثالها ، ويستطيع أن يبطل لغوها بمجرد الإشارة إليه ؛ لأنه من السخف والتهافت بحيث تدفعه إشارة عارضة تنبه الأذهان إلى مواضع الخطأ فيه .

وأصعب من هذه الدعوات علاجا دعوات الهدم والتقويض التي تترامى للناس في أبواب النفاق ، وتموه عليهم المكيدة باسم الدعوة إلى الحق والغيرة على الإصلاح . فإن مهمة الناقد هنا مضاعفة مشتبكة ؛ لأنها مهمة الكشف عن الخطأ ، ومهمة الكشف عن سوء النية ، ومهمة التغلب على الأهواء النفسية التي يثيرها دعاة الهدم والتقويض لتخدير العقول ، واجتذاب الأسماع للإصغاء والاقتران .

وليست هذه الدعوات خاصة بنا في بلادنا الإسلامية أو العربية ؛ لأن مذاهب الهدم تلقى شباكها حول العالم كله ، ولا ترى أنها تنجح في بلد واحد ما لم تتردد وتتجاوب في غيره من البلدان .

ولكن الأمر الذي يخصنا نحن أن الحملة على اللغة في الأقطار الأخرى إنما هي حملة على لسانها أو على أدبها وثمرات تفكيرها

نما يذكره الرواة في أحاديث الجوائز والهبات .
فلولا أن المجتمع يستفيد شيئاً من القصيدة
ويحفظها لهذه الفائدة لما احتفى بها الممدوح
ولاجاشت بها ملكة التعبير في الشاعر :

إن المجتمع يستفيد من القصيدة أنها تحي فيه
أخلاقاً لا قوام له بغيرها في قيادته وسياسته
ومعاملاته المتبادلة بين أفراده ، وتلك هي
أخلاق الشجاعة والرأى والحزم والكرم
والمرورة والحياء ، وشمائل النبيل والفداء ،
ولم يخطئ أبو تمام حين قال :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى

بناة العلا من أين توثى المسكارم

فهذا على التحقيق هو « دور ، الشعر في
بناء المجتمع والمحافظة على قوامه وأسس
تكوينه والدفاع عنه ، وإنه لمن الفهاهة أن
يقال : إن الشاعر قد يمدح من لا يستحق المديح
وقد يسكت عن إسداء الثناء إلى من يستحقه .
فهكذا يمكن أن يقال عن الخطأ والانحراف
في تطبيق القانون ولا يقول أحد - من أجله -
بالغاء المحاكم وإسقاط القوانين .

وربما سلم الناقد المتعجل بدور المدح في
المحافظة على قوام المجتمع ولم يسهل عليه أن
يسلم بمثل ذلك لشعر الهجاء ، فإنه أقرب إلى
سقط القول من شعر المديح باستحقاق أو
بغير استحقاق .

إلا أن الناقد المتعمق في دراسة المجتمعات

له قوام آدمي ينتفع به على حسب استعداده
للمنو والتعلم ، ولكن فقدان اللغة والأدب
عندنا يشل ذلك الاستعداد ولا يبقى بعده
« قوماً لإنسانياً لهم قوام » .

أما جانب التعجل من هذه الدعوة فخطبه
هين كما تقدم ، وخطؤه ظاهر لا يحتاج إلى
أكثر من سطر واحد للإشارة إليه ، وليس
له بعد الإشارة إليه من قدم يثبت عليها .

فمنقول أولاً وآخرأ : إنه لا يوجد في العالم
أدب يثبت بين قومه جيلاً بعد جيل دون أن
يكون فيه ما ينفعهم ويعبر عن حياتهم ولو كان
مداره كله على الموضوعات التي يسمونها
بالشخصيات ، وهي لا تقبل الثبات بعد جيلها
لوم تكن من صميم « العموميات » .

أى موضوع - يبدو أنه من مواضيع
« الشخصيات » ، ألصق بها من موضوع المديح
أو موضوع الهجاء ، أو موضوع الغزل
أو الرثاء ؟ .

قد يبدو المتعجل أن قصيدة المدح كلام
لا يعنى أحداً غير السيد الممدوح والشاعر
المادح ولا فائدة فيها لأحد بعد ذلك غير
كاسب المدح وكاسب العطاء .

وليس أظهر من هذا الوهم عند أقرب نظرة
فإن قصيدة المدح لو كانت كذلك لما
استحققت من الممدوح نفسه أن يبذل فيها
درهما واحداً ، ودع عنك المثات والآلوف

التوسل بالوسائل المقبولة أو المحظورة لاستدراار الرزق واستحقاقه من المدوحين ، جزاء للبلاغة والإجادة وحسن التقدير أو خوفا من البذاء وحياء من لا يبالي الحياء .

* * *

ولو كلف نقادنا المتعجلون أنفسهم مؤنة النظر إلى أقوال النقاد الغربيين الذين ينتحلون آراءهم لعرفوا شيئا عن أثر الغزل العربي الذي زعموه لغوا ذاهبا بغير أثر ، ولغضا كاذبا لا يعبر عن عاطفة إنسانية صادقة ، ولا عن حياة اجتماعية صحيحة . فإن مؤرخي الآداب الأندلسية قبل الفتح العربي وبعده قد أوشكوا أن يتفقوا على أثر هذا الغزل في تحول آداب الفروسية وشئون المرأة والبيت التي تقتصل بهذه الآداب ، وقد نسبوا إلى الغزل العذري والغزل الصوفي آثارا متغلغلة في تقاليد القوم وخواطرم الدينية ، ويتواتر هذا الرأي في كتبهم فلا يتكلف ناقدنا المتعجل جهدا في مراجعته حيث التسه من توارخ الآداب الأندلسية التي تعد بالعشرات . وفي وسعهم ، بغير الرجوع إلى أولئك النقاد الغربيين ، أن يدركوا أن غزلنا العربي يعلنا - بين الكثير مما نتعلمه من الشعر البليغ - كيف كان ناظموه ومنشدوه ينظرون إلى محاسن المرأة الجسدية والنفسية وكيف كان الرجل في العصور المتوالية يكسب عطف

قد يحكم على شعر الهجاء حكمه « الأخلاقى » كما يشاء ولكنه لا يستطيع أن يهمله في الاستدلال على المجتمع وأخلاق خاصته وعامته وأخلاق شعرائه وأدبائه ووظيفة الأدب والثقافة المعترف بها بين جملة أبنائه .

فن شعر الهجاء نعرف الصفات التي تحقر صاحبها بين أبناء عصره ، ومن الاعتدال في الذم أو المبالغة في الفحش نعرف كيف كان المجتمع سليما يكفى فيه القليل من اللوم للساس بمنزلة الملوم ، أو نعرف كيف كان المجتمع موبوءا ملوثا بالعيوب لا يهان فيه المهجو بما دون الإغشاش البالغ في اتهامه بالذائل والشبهات ، فلا يكفى فيه اللوم القليل لإسقاط الرجل الرفيع في أنظار عامة قومه ، بل لا بد من الهبوط بذلك الرجل إلى الحضيض ليزدرية من يوقره ويرعاه ، وقد نعرف من الهجاء هل يهان الرجل لاتصافه بالذائل المنسوبة إليه أو يهان لاجترأ الشاعر عليه واستخفافه بسطوته وقدرته على الانتقام والتشكيل بأعدائه ؟ ونعرف - بعبارة أخرى - أن استبداد الحاكم أهم عند هذا المجتمع من صفاته الصحيحة أو المكذوبة في معايير الأخلاق .

ولاريب أن وظيفة الأديب تتمثل لنا من مقدار تعويله على المدح والذم في تحصيل رزقه ، ومن مروءته أو سقوط مروءته في

خلق يتجلى في موقف الفراق الأخير ويحمده الناس في مقام العزاء والوفاء ، ولا تبين دلالة الرثاء العربي على الحياة العربية ، من شيء . كما تبين في تخصصه بالناطقين بالضاد وقلة المشابهة بينه وبين أشعار الأمم في رثاء موتاه ، وإن كان الموت قضاء على الأحياء في كل أمة وكل لسان .

فالأدب الذي يصح أن يسمى بالأدب « الشخصي » ، لا وجود له حيث يعيش الأدب جيلا بعد جيله ولا تقول جيلين ولا ثلاثة أجيال ، وقد عاش الأدب العربي كما نعلمه الآن أكثر من خمسين جيلا إذا حسبنا أن الإنسان الواحد تتلاقى في حياته ثلاثة أجيال . ومن فضول القول أن نزيد على فضائل الأدب العربي أنه دروس لغة تقوم للسان وتهدي إلى أساليب التعبير عن خواج النفس ومعاني الأفكار ، ولا تزال هذه الفضيلة بغية الحكماء والمرشدين إلى هذه اللحظة من القرن العشرين قرن العلوم والصناعات والمنافع المادية والمذاهب التي لا تبالى جمالا في القول ولا جمالا في الأخلاق ، فإننا نكتب هذه المقال وأمامنا قوائم بأسماء أشتات من الكتب تبحث في السيمية Semantics وفي معاني المعاني والألفاظ ، وفي تصحيحات قضايا المنطق الواقع التي تقوم على تعديل الأداء اللفظي في عرض

المرأة وإعجابها ويكسبها عطفه وإعجابه ، وكيف كانت خلائق الجنسين في علاقات التحية ، وعلاقات المعيشة ، وكيف كانت علاقات البيت والزواج إلى جانب علاقات الجنسين في الحياة العامة . وكيف كانت عواطفهم القويمة وعواطفهم المنحرفة بين عهود الفطرة وعهود الترف وعهود الاختلاط بالأمم الأجنبية . ولا يطلب من فن من فنون الشعر في اللغة العربية أو سواها أن يصور لنا العالم الذي يشيع بين أبنائه تصويرا أصدق من هذا التعبير .

ومن لم يفهم من شعر الرثاء في اللغة العربية إلا أنه شعر بكاء ينتهى باتهاء مأتمه فليس له أن يتصدى لفهم أدب ولا أن يستخلص أحوال الناس عامة من أقوال الشعراء أو أقوال المؤرخين .

فنحن قد ننسى أسماء الموتى المبكين في دواوين شعرائنا الأقدمين ثم نخرج منها بالفائدة الأدبية والفائدة الاجتماعية التي تستفاد من كلام جدير بالاطلاع عليه كيفما كان .

فن هذا الشعر تبين قيم الحياة الفانية وقيم الحياة الباقية عند ناظميه والمستمعين إليه ، ومنه تبين عواطف الحزن ودواعيه التي تتم عن مآثر الأموات والأحياء ومنه تبين كل

الفروض والبراهين ، وكل أولئك خلاصته أنه تعليم لغة وتعبير ، لا يستغرب الإنسان أن يوليه العالم المتحضر هذه العناية إلا إذا نسي هذا الإنسان أنه « حيوان ناطق » قبل كل شيء .

إن خطاب النقد المتعجل هين كما أسلفنا في صدر هذا المقال ؛ لأنه يحمل طابع الخطأ على وجهه فلا يحتاج إلى أكثر من الإشارة إليه ، وهذه الإشارة تقول في كلمات معدودات : إن الأدب الذى يعنى شخص قائله ومشتريه بالمال لن يعيش يوماً واحداً في عمر

أعجابه ، فإن عاش خمسين جيلاً فهو أدب أناس آخرين غير القائلين والمشتريين . وخطب الناقدين المغرضين عسير لما يبديه من ظاهر خادع وباطن مستور ، ولكنه قد يكون في هذه القضية أهون من نقد المتعجلين ؛ لأن الغاية منه تحقق مآرب العاملين عليه خفية وجمهرة ، ولا شك في وجود هؤلاء العاملين عليه ولا في الغاية التي يقصدون إليها وحسبنا هذا وذاك من تحذير غنى عن التوكيد والتكرير .

عباسي محمود العقاد

لا قطع ! وغرم ابن حاطب الضعف !

[أو [ادرءوا الحدود بالشبهات]

رؤى أن غلبانا لابن حاطب بن أبى بلتعة سرقوا ناقة لرجل من مزينة ، فأتى بهم عمر ، فأقروا ، فأمر كثير بن الصلت بقطع أيديهم ، فلما ولى رده ، ثم قال أما والله لولا أنى أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه لحل له ، لقطعت أيديهم . ثم وجه القول لابن حاطب بن أبى بلتعة فقال : وايم الله إذ لم أفعل ذلك لأغرمك غرامة توجعك ، ثم قال : يامرنى ، بكم أريدت منك نافتك ؟ قال : بأربعمائة . قال عمر لابن حاطب : « اذهب فأعطه ثمانمائة » .

الإيمان بالله

للدكتور محمد البهي

تحدث الناس واختلفوا في حديثهم حول الإيمان بالله .
أو الخروج على الأقل عما يسمى تبعية ووصاية .

والذي يعرف أن الإيمان بالله احتسركته في أوروبا هيئة دينية معينة ، وكانت تمارس عن طريق احتكارها للإيمان بالله سلطة في فهم الدين ، وفي توجيهه الناس : في تفكيرهم ، وسلوكهم على السواء .
وحديث الناس عن الإيمان بالله ، وعن قيمته ، واختلافهم في هذه القيمة ليس حديث اليوم ، ولا حديث الأمس القريب أو الأمس البعيد ، وإنما هو حديث يتكرر وسيكرر الحديث عن الإيمان وقيمه ، طالما الإنسان هو الإنسان ، يختلف في تفكيره ، وما يراه منطقاً اليوم يراه غداً وهما أو باطلاً .

إن بعض الناس يرى ضرراً في الإيمان بالله وبعضاً آخر يرى عدم ضرورته في الحياة . وهناك من يرى ضرورته ووجوبه ، كي يصلح الفرد ويسعد المجتمع .

وهؤلاء الناس الذين يرون ضرراً في الإيمان بالله هم في واقع الأمر لا يريدون رفع الإيمان من حياة الإنسان ، وإنما يريدون نقل الإيمان من دائرة الإيمان بالله إلى دائرة الإيمان بشيء آخر ، والسبب الذي حملهم على نقل الإيمان من دائرة الله إلى دائرة شيء آخر ، هو الاستئثار بالسلطة في التوجيه والقيادة ،

وهذا الوضع أثار بعض المفكرين وأثار فيما بعد بعض رجال السياسة فأنسكروا على تلك الهيئة المعينة سلطتها في فهم الدين وبالتالي سلطتها في التوجيه ، وعندئذ رغبوا في التخلص من هذه التبعية التوجيهية ، ونادوا بالتححرر من سلطة هذه الهيئة ، وهنا نادى بعض رجال الفكر بنقل الإيمان من الله إلى العقل الإنساني ، ثقة في قدرة هذا العقل ، وفي استقلاله في التوجيه ، دون حاجة إلى أن يتلقى التوجيه من سلطة أخرى أجنبية عنه ، وهي تلك السلطة التي تمارسها الهيئة الدينية ، وعندما دعا هذا البعض إلى الإيمان بالعقل ، بالغ في قيمته ، وجعل له خالقية في حياة الإنسان .

ومع ذلك لم تسلم هذه الدعوة من نقد ؛ لأن العقل الإنسانى مهما سما ، ومهما تجرد عن الهوى والغرض فى الحكم والتخطيط والتوجيه ، فإنه يتأثر بظروف الإنسان .

وهى ظروف متقلبة ومتغيرة ، فالإنسان يشعر بطمأنينة فى لحظة ، ويقلق فى لحظة أخرى تالية ، ويشعر بالصحة فى آن وبالمرض فى آن آخر ، ويشعر بمتعة فى وقت ، وبمرارة فى وقت آخر . . . وهكذا فهو موجود غير

ثابت ولذا تفكيره - وهو عملية عقله - غير مستقر كذلك ، ولذا ما يأتى به من أحكام ، أو تصورات وإدراكات لا يخلو من هذا الاضطراب ، وعندئذ لا يصلح أن يكون تفكير الإنسان قانونا يصلح لتوجيه قوم معينين ، فضلا عن أن يصلح لتوجيه البشرية كلها .

وإزاء هذا الاعتراض على قيمة العقل واستغلاله فى التوجيه ، نادى بعض المفكرين فى عهد آخر لاحق بنقل الإيمان من دائرة الله ومن دائرة العقل الإنسانى معا ، إلى دائرة الحس والواقع ، وبرر ما دعا إليه على هذا النحو بأن الدين الذى هو مصدر الإيمان بالله لا يخرج عن كونه مصدر تحرير للإنسان ؛ لأنه فهم الدين من تصرفات رجال تلك الهيئة الدينية المعينة التى احتكرت السلطة فى تفسيره والسلطة فى توجيه الإنسان معا ، كما برره بأن

العقل إذا استقل عن الحس والواقع ، فهو مخدر خداع للإنسان ؛ لأن العقل كثيراً ما يض ، وكثيراً ما يتوهم ، وثبت بعد ذلك بتثبيت الإيمان فى دائرة الحس والواقع .

ورأى أن الواقع هو كل شيء فى حياة الإنسان ، وأن على الواقع أن يملئ ، وأن على الإنسان أن يطيع ، وما يأتى به الواقع هو قانون الحياة ، وأن ليس الإنسان إلا طبيعة منفصلة بقوانين الحياة .

وكما لم تسلم دعوة نقل الإيمان من دائرة الله إلى دائرة العقل الإنسانى من نقد ، لم تسلم هذه الدعوة الأخرى ، التى تنادى بنقل الإيمان من دائرة الله والعقل معا إلى دائرة الحس والواقع من تعثر كذلك . وربما كان ما يوجه من نقد إلى هذه الدعوة أعنف وأشد ، أو أوضح وأبين . لأن الحس والواقع إذا كان من طبيعته أن يملئ ، فالإنسان هو أيضا من الحس والواقع . ولذا فهو يملئ كذلك . فإذا أملئ غيره فى الحس والواقع عليه فهو يملئ على غيره فى هذا الحس والواقع كذلك ، وإذن هو متفاعل مع الحس والواقع ، وليس منفصلا فقط ومعنى ذلك : أنه يعطى ويأخذ ، ويوجه ويتوجه ، ويؤثر ويتأثر ، وليس شيئا سلبياً يفعل بغيره دوما .

ومعنى ذلك أيضا أن للإنسان إيجابية ،

هل الفلسفة هي مصدر تكوين الضمير ؟ .
أية فلسفة هي التي تكون مصدر تكوين الضمير .
وأى فيلسوف هو صاحب هذه الفلسفة
التي تكون الضمير ؟ . وهل هذا الفيلسوف
إنسان تجرد عن ظروف الإنسان العادي
وتقلبه ، وعن عوامل البيئة والوراثة ؟ .
هل هو لا يمرض ولا يصح ؟ هل هو
لا يقلق ولا يطمئن ؟ .

هل هو لا يشور ولا يغضب ؟ هل هو
صاحب مزاج واحد لا يتقلب فيه بين
متعة مرة ومرارة أخرى ؟ وأين يوجد
هذا الفيلسوف ؟ وفي أى قوم يوجد ؟ ولأية
جماعة ينسب ؟ أين تنسب جماعة البيض أم لجماعة
السود ؟

إذا لم يكن الفيلسوف على هذا النحو ،
فلفلسفته لا تصلح أن تكون مصدراً لتربية
ضمير إنسانى يعلو على الحزبية والهوى
ويسمو عن الغرض ، ويفعل الخير للناس جميعاً .
ولكن حتى هذه اللحظة لا نعرف مقر
هذا الفيلسوف .

وإذن فإن مصدر تكوين الضمير لدى الإنسان
لا بد أن يكون مصدراً عاماً للبشر جميعاً ،
فوق الهوى وفوق الغرض ، فوق ألوان
البشر وفوق أجناسهم . وليس هذا المصدر
إلا رسالة الله . لأن الله هو خالق الناس جميعاً
ومدبر السكون كله وهو بالناس رؤوف رحيم .

كما أن للواقع إيجابية . فدعوى نقل الإيمان
من دائرة الله ومن دائرة العقل إلى دائرة
الحس والواقع وحده دعوى قائمة على
المبالغة وعلى الخداع بالحس والواقع ،
كما قامت تلك الدعوة الأخرى التي نادى
بنقل الإيمان من دائرة الله إلى دائرة العقل
على المبالغة والخداع والعقل .

ومعنى هذا أن قصر الإيمان على العقل
وحده ، أو على الحس أو الواقع وحده ،
فيه الضرر كل الضرر ؛ لأنه قائم على المبالغة
والخداع ، وليس الأمر على نحو ما أراد
بعض هؤلاء المسفكرين من تصويرهم الإيمان
بالله بأنه ضرر على الإنسان .

والفريق الآخر الذى يرى عدم ضرورة
الإيمان بالله فى حياة الإنسان — يذكر
أنه ما دام فى الإنسان ضمير ، يوجهه
نحو الخير فلا حاجة إلى إيمان بالله ؛ لأن
الغاية من الإيمان بالله حمل الإنسان على
فعل الخير ، وعلى اجتناب المنكر والضرار

ومع ما يبدو فى هذه الدعوة من مظهر
الإقناع ، فإنها لا تلبث أن تكشف عن وهم .
إذ أن لسائل أن يسأل : هل كل إنسان عنده
ضمير يدفعه إلى الخير ؟ فإذا كان الجواب لا ،
فيسأل مرة أخرى : ما هو مصدر تكوين
الضمير عند الإنسان ، إذا لم يكن الضمير
أمراً فطرياً ولا زماً عند كل فرد ؟ .

الذى إذا سلمه الإنسان استقام الفرد والمجتمع معاً ، وهذا التخطيط للصراط المستقيم هو وحى الله ، أى وحى ذلك الموجود المتفوق على الدوام ، ذلك الموجود المرتفع فوق الأجناس البشرية وألوانها ، وفوق الأغراض والهوى ، وفوق الحاجات وفوق التقلبات والأزمات ، لأن المتفوق دائماً لا يفتقر ولا يحتاج ، ولا يتقلب ولا يتطور ، وإنما هو متفوق لأن ذاته متفوقة . وإذا آمن الإنسان بهذه الرسالة ، وهى رسالة التوجيه الخير ، عندئذ يفيد نفسه ، ويفيد غيره معه فى مجتمعه . لأن فائدة الإنسان ليست إلا لأنه مستقر مطمئن . ولا يكون الإنسان مستقراً مطمئناً إلا إذا عرف منزلة نفسه ومنزلة غيره فى وجوده معه ، واعتان فى علاقته به ، وأدرك أخيراً أنه وهو أخوان ، وإن غايتهما الخير والسلام . ولا يخشى أن يؤدى الإيمان بالله - وهو لصالح البشرية جمعاء - إلى التعصب .

لأن التعصب فيه معنى الاعتداء ، أما قوة الإيمان فمن مظاهرها سهولة فهم الحياة ، والتسامح فى معاملة الناس . والتعصب مظهر الطائفية ، أما التسامح فليس دليلاً على التراخي فى الإيمان وإنما هو دليل على حسن المعاملة والتهذيب فيها . وتلك غاية الدين ورسالة الإسلام ؟ .

المكتور محمد البهى

المدير العام للثقافة الإسلامية

وإذن لا مفر من الإيمان بالله ، إذا أردنا ضميراً فى الإنسان يدبغه نحو الخير . ومن خداع أنفسنا أننا نعتد على العقل وحده ، كما نعتد على الواقع وحده .

والواقع أن الإيمان بالله ضرورة بشرية ، يحتملها وجود الإنسان ، وتحتملها طبيعة الإنسان ، إن من طبائع الإنسان أن يطيع وأن يعصى ، أى أن من طبيعته أن يختار التبعية ، أو الانفصال عنها . وهو إذا أطاع لا يطيع إلا من هو متفوق عليه فى القوة ، فى الاستغناء وعدم الحاجة ، فى المنح والإعطاء ، فى حسن التدبير وحكمة المعالجة . إلى غير ذلك من أسباب التفوق . وإذا أطاع الإنسان إنساناً غيره لمعنى من معانى التفوق ، فإنه لا يلبث أن يتوقف عن هذه الطاعة له ، إذا أصبح هو متفوقاً مثله ، أو إذا انكشف نقص فى ذلك الذى كان يطيعه . والإنسان هو الإنسان ، لا يتفوق إطلاقاً ، ولا يستمر اعتقاد التفوق فيه .

ولذا كانت الطاعة الدائمة لذلك الموجود الدائم فى تفوقه ، وليس هناك فى الوجود متفوق على الإنسان تفوقاً دائماً إلا الله .

فالإيمان بالله إذن تلمية طبيعة الإنسان . وإذا كان الإيمان بالله تلمية طبيعة الإنسان ففائدته تتجلى فى أن الإيمان بالله أساس الإيمان بالرسالة التى يأتى بها الرسول ورسالة الرسول ما هى إلا تخطيط للصراط المستقيم ،

مَقُومَاتُ الرُّوحِيَّةِ أَمَامَ المَارِيَّةِ العَالَمِيَّةِ

للأستاذ محمد محمد المدني

— ٢ —

مؤمناً بنفسه ، خير من ألف شخص تبعين ،
ومن هنا أيضاً كان القادة عادة قلة وأفراداً ،
بينما المقودون التابعون آلافاً وملايين .

وهذا المعنى كما يلاحظ في الأفراد يلاحظ
في الأمم ، فهناك أمم تعيش لتقود ، وهناك
أمم تعيش لتقاد ، وما كان هذا وذاك إلا
بأن الأولى آمنت بنفسها ، ووثقت بأن لها
رسالة في الحياة هي مخالفة بأدائها مخلوقة لها ،
وبأن الثانية أخذت عن نفسها ، واستقر في
نفوس أفرادها أنها مجرد تكرار لموجودات
خلقت لتكون تابعة .

وقد ربط القرآن الكريم بين خسارة
النفس وخسارة الإيمان حيث يقول الله
عز وجل : « الذين خسروا أنفسهم فهم
لا يؤمنون » ، فجعل عدم إيمانهم مترتباً على
خسارتهم لأنفسهم ، ذلك بأن الذي يخسر
نفسه لم يعد له وجود معنوي وإن كان له
وجود جسماني ، فتراه يعيش ويأكل ويشرب
ويتمتع ويتحرك حركات الأحياء ، ولكنه
في واقع الحال ميت معنوياً لأنه لا تأثير له

الإيمان بالنفس :

وإذا كان الإيمان بالله هو أول مقوماتنا
الروحية ، وأعظمها أثراً في توجيه حياتنا
توجيهاً إيجابياً جامعاً بين مطالب النفس ،
ومطالب الجسم ، كل منهما في حدود الفطرة
السليمة ؛ فإن هناك مقوماً هاما آخر له
توجيهه الإيجابي ، وتأثيره الفعال في حياة
الفرد والمجتمع :

ذلك هو الإيمان بالنفس .

فقد دلت الدراسات النفسية قديماً وحديثاً
على أن الفرد إذا آمن بأن له كيانه معنوياً
خاصاً وأنه ليس مجرد تكرار لغيره ممن
يشاركه في بعض أحواله ؛ فإنه ينبعث في عمله
انبعاثاً قوياً ، ويشعر ثمرات مبتكرة كثيرة ،
أما إذا أحس بأنه شخصية ثانوية في وجودها
أو فيما ترتكن عليه ، أو في قدرتها على
الإنشاء والتميز ، فإنه حينئذ يكون قوة
متراحية نزاعة دائماً إلى التخلف والتبعية ،
ولإلى الاكتفاء بالتقليد والتشبه ، ومن ثم
يقولون : إن شخصاً واحداً معتداً بكيانه ،

تحرص على وجود رأى عام قوى مهيب فيها يأمر أفرادها بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، أى يكون مجتمعهم قادراً على محاربة الفساد ، وإشعار أهله بغضبه عليهم ، وإنكاره لفعالهم ، وعلى تأييد الإصلاح والمعروف ، وإشعار أهلها برضاه عنهم ، وتأييده لهم .

وهذا يعنى أنهم أمة قادرة على إصلاح نفسها فى داخل نفسها ؛ لأن ما لا يكون صالحاً فى نفسه لا يكون صالحاً لإصلاح غيره . آمن المسلمون بأنفسهم على هذا النحو ، فقادوا وسادوا وشادوا ، وكان الفضل فى تلقى الغراس القرآنى وتعهده بالنماء للعرب ، لأنهم هم الذين تلقوا الرسالة الأولى ، وفيهم جعلها الله : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » حيث يجعلها فى فرد يختاره من بين قومه ، وحيث يجعلها فى أمة يختارها من بين الأمم ، ولا يمكن أن يكون هذا التشريف للعرب بحمل الرسالة ، وتلقى غرسها الأول وصيانتها وتعهده ، قد وقع من قبيل الصدفة ، فإن هالك قانوناً عاماً قرره القرآن الكريم هو ما يرشد إليه قوله تعالى : « الله يخلق ما يشاء ويختار ، فخلق على وفق المشيئة ، واختياره على وفق المشيئة ، وكلاهما يدل على نقي المصادفة ، وعلى إثبات غاية الحكمة ، لأن مشيئة الله تعالى متعيدة بنواميسه وتتمام حكمته .

فى شىء مما به تكون النفوس نفوساً ، وبذلك لا يكون صاحب ذات توصف بأنها مؤمنة أو غير مؤمنة .

وتاريخنا - نحن المسلمين - خير مثل تطبق لهذا الذى قررناه فى ناحية الإيجاب والسلب .

فقد نهض المسلمون الأولون نهضة قوية حولت العرب من أمة بدوية صغيرة منطوية على نفسها ، إلى أمة ذات حضارة وقوة وتأثير فى غيرها وقيادة عالمية فى مختلف النواحي ، وشئى الميادين ، وسر ذلك أنهم كانوا مؤمنين بأنفسهم وبأن لهم رسالة هياهم الله لحملها وتبليغها ، وقد فهموا القرآن الكريم على هذا الأساس ، وطبقوا مبادئه على هذا الأساس :

سمعوا القرآن الكريم يقول لهم : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » . ففهموها على أنهم أمة مطلوب منها أن تكون أمة داعية ، لا أن تكون مجرد أمة مدعوة : وإذن فهى أمة يجب أن تكون قائدة ، ويجب أن تحتفظ دائماً بجميع المزايا التى هياها لهدى القيادة من العلم ، وإعداد العدة والعدل والألفة والاجتماع . وفهموها على أنهم أمة من واجبها أن

كذا ، وقرر الدستور البلجيكي كذا ، ووضع البروتوكول الإنجليزى كذا ، أى أنهم يستضيئون بما يقتبسونه من مدنية غيرهم . وفقه غيرهم ، مع أن لهم فقهًا وعلما وحكما جعلهم الله بها أمة وسطا لغاية معينة هى أن يكونوا شهداء على الناس أى : مراجع للعالم يستهدى هو بهم وينظر إليهم ويقتبس منهم . ولقد كانت ثمرة هذا الانكاس فى الإيمان بالنفس ثمرة مرة ذاقها العالم الإسلامى صابا وعلقا ، حينما من الدهر ، حتى أذن الله بانكشاف الغمة ، وأراد أن يمن على الذين استضعفوا فى الأرض ويجعلهم أئمة ، فبعث فيهم من بعث ثقمتهم فى أنفسهم ، فكان ذلك عودا إلى السلسلة من ذات الحلقة التى كنا تركنا الإمساك بها .

فواجهنا الآن أن نحرص على إيماننا بأنفسنا ، وأن نعلم علم اليقين أن أعداءنا ليسوا بأقوى منا هما ، ولا بأصبر منا على جهاد ، ولا بأولى منا بقيادة وتوجيه ودعوة ، فعن هذا الإيمان انبثق نورنا يوما ما ، وعن هذا الإيمان صدرنا فى نهضتنا الحاضرة ، فاكتمسبنا فى أعوام قليلة ما كنا خسرناه أحقابا طويلة .

وينبغى أن ندرك أن المادية الطاغية الباغية فى هذا العالم - وهى تتمثل تارة فى الصهيونية ، وتارة فى الاستعمار ، وتارة فى الشيوعية - تقف

هذا الإيمان بالنفس هو الذى نفع العرب أولا ، وقد سرى منهم إلى المسلمين من كل جنس فانتفعوا به أيضا ، فكان للإسلام دولة وصولة ودعوة وتوجيه وقيادة فى كل مجال : فى العلوم والبحث ، فى النظر العقلى ، فى الإنشاء والاختراع ، فى السياسة والحكم ، فى فقه الحياة ووضع الحلول السليمة لمختلف المشكلات ، فى معالجة النفوس وسياساتها الروحية ، فى رسم مناهج الحكم ، وإقرار موازين العدل ، فى وضع قواعد التعامل الدولى بين الأمم بعضها وبعض ... وهكذا أثمر الإيمان بالنفس مدنية وحضارة ازدهر بها العالم ازدهارا ، بل لم يعرف العالم ازدهارا عمليا حقيقيا إلا فى ظلها ، حتى العالم الحاضر الذى لا تسيطر عليه دولة الإسلام ؛ تسيطر عليه أمهات مبادئ الإسلام وإن زعموها من صنعهم ومن ثمرات تفكيرهم ومدنيتهم . ثم دار الزمان دورته حين فقد المسلمون إيمانهم بأنفسهم : دار عليهم فأصبحوا تابعين بعد أن كانوا متبوعين ، وأصبحوا موجهين ، بعد أن كانوا موجهين ، وصارت المقاييس والمثل مقاييس غيرهم ومثل غيرهم ، ونسوا قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، فصاروا يحكمون أوضاع غيرهم وتقاليدهم غيرهم . فيقول قائلهم مثلا : « لقد جرى الفقه الفرنسى على

إلى أرض العروبة ، وإنما هو الآن يعاني أعراض التصفية وينزع النزاع الأخير إلى حيث لا رجعة له إن شاء الله . وذلك نفسه هو شأن الشيوعية : إنما هو شأن اليأس من أن تجد مبادئها في أرض العروبة بيئة صالحة لنماء بذرتها . ولذلك حسبها أن ترضى منا بمبدأ « التعايش السلي » ، ليس إلا .

ولست إخصائياً في السياسة ، ولا أحب الخوض فيها ، ولكني إنما أتحدث من ناحية ما كسبناه حين آمنا بأنفسنا ، وأحذر قومي من الإنصات إلى الذين يحاولون تشكيكنا فيما آمنا به ، حرصاً على زلزلتنا ، وثقة بأننا إذا زلزلنا سهل غزونا ، وسهلت هزيمتنا .

إن أشد الغزو هو غزو الأفكار والقلوب ، وليس هو غزو البلاد والأوطان بالسيف والمدفع ، فينبغي أن نضع أمام أعيننا تلك الحقيقة ، وقد قررها القرآن الكريم لنا حيث يقول : « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً ، حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » ، وحيث يقول : « إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ، وودوا لو تكفروا » .

البحث موصول إن شاء الله .

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

منا موقف الذى يعمل على تشكيكنا فى أنفسنا ، وتشكيكنا فى مبادئنا ومثلنا : فقد كنا نسمع - والاستعمار الإنجليزى جاثم على صدورنا - أن المصريين لا يمكن أن يتفقوا ، ولا يمكن أن يستغنوا عن يسنهم فى المجال الدولى ، وأنه لابد لهم من محالفة الإنجليز ، والآن رأينا هذه الدعاوى تزيف ، ورأينا كيف استطاع جمال عبد الناصر أن يجمع كلمة المصريين ، ثم كلمة السوريين ، بل أقول كيف استطاع أن يجمع كلمة العرب أجمعين ؛ لأنى أقصد الشعوب العربية التى تتألف من أبناء العروبة ، لا من الحكومات المجلوبة ، ولا من الملوك المستخرة ، وكيف استطاع جمال عبد الناصر أن يقضى على خرافة الاستناد إلى حليف من الغرب ، وأن يكون هذا الحليف هو الإنجليز أو غير الإنجليز ، بل كيف أصبح مبدأ الحيادة الإيجابى مبدأ عالمياً أخذه عنا غيرنا .

وقد قالوا لنا يوماً : إنكم فراعنة ولستم عرباً ، فصدقنا ، وقطعنا صلاتنا بإخواننا فى العروبة ، أو جمدنا هذه الصلات وذلك ليفيدوا الصهيونية من تفرق الشعوب التى حولها وعدم التفافها حول جامعة تجمعها ، لتخلوها هذه الشعوب فرادى فتأكلها واحداً بعد الآخر .

والآن لا يقلق الصهيونية شيء كما بقلقها مصيرها المحتوم أمام إيمان العرب بعروبتهم ، واتسلافهم حول قوميتهم ، وإذا كانت الصهيونية يداخلها هذا القلق العظيم على مصيرها ؛ فإن الاستعمار قد يئس أن يعود بعد اليوم

فتح القُرآن

موقف الناس بين الدعوة إلى الهداية والمجنون إلى الغواية

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

- ١ - ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره
- ٢ - وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره
- ٣ - وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره
- ٤ - وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره

بين أجناسها في إطار العبودية لله ، فالشرائع الميثوقة بين الناس في أزمانهم المختلفة تجمع بينهم كذلك من ناحية الاتجاه إليه بالطاعة في أي لون من ألوانها المشروعة ، ولا تعتبر الشرائع مفرقة بين أهلها كما يزعم الخاطئون الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا .

فما كانت الديانات إلا توجيها للناس نحو الخير ، وإن اختلفت من بعض نواحيها أساليب التوجيه : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم ، وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه . » هذا مع قوله سبحانه : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا . »

ولو أن الناس استطاعوا أن يتألفوا على الأخذ بالدعوة الدنية في أصلها وجوهرها الصحيح لوجدوا أنفسهم في نظام متناسق ،

هذه آيات أربع تتفق في مبنائها ومعناها ، وكل منها تعتبر مطالعاً لقصة نبي من الأنبياء مع قومه ، وقد اتفقت كلها - كما وافقتها آيات أخرى - على أن الدعوة كانت إلى عبادة الله وحده ، وكانت للتخصيص على أنه الإله الواحد ، وليس هناك إله غيره

وهذا هو الأصل الذي تنعقد به صلة الناس بربههم ، وهو الوثيقة التي تكفلت رسالات الأنبياء بتبليغها ونشرها بين شعوبهم ، وامتدت في سائر العصور المديدة .

وليس في هذا الأصل تفاوت بين قوم وقوم مهما تراخت بينهم فترات الزمن .

وراء هذا الأصل الثابت شرائع يختلف بعضها عن البعض في شيء من مناهجها وتفصيلاتها .

وإذا كان جانب العقيدة وهو الأصل الأول يؤلف بين الأمم المتنوعة ، ويقارب

وقد نبه القرآن في غير موضع منه على أن سنة الله في خلقه سواء . وأن عدله فيهم قائم وأن من تريثت به الأحداث فليس بنجوة منها دائماً ، ومن قبيل التهديد بهذا قوله تعالى ناصحاً لنا : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليم .

وأنت ترى فيما يقصه علينا القرآن من شأن الأمم السالفة أنها كانت في الضلال متتابعة ، وأنها كذلك في الهلاك والدمار سواسية ، وإن اختلف كفرها فنونا ، أو اختلف هلاكها أنواعا : ما بين قحط في الأرزاق ، ثم إحراق بالصواعق ، أو غير ذلك من ضروب العذاب .

وعلى أي نوع كانت من العصيان فهي أمم مسخوطة ، وكانت عاقبة أمرها شؤماً وبوراً . « فكلما أخذنا بذنبه : فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً : ربحا ترميهم بالحجارة - ومنهم من أخذته الصيحة : صوتاً ترتجف له الدنيا ، ويهلك من فيها - ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

وهذا جانب محدود مما ورد في القرآن بشأن المتجبرين وما حاق بهم من عذاب الله ، وهو جانب يكفى لإيقاظ المشاعر نحو موقفنا من دعوة الدين وهدايته ، وجنوحنا إلى العصيان والغواية .

وعاشوا في غير شقاق ، وتبينوا في يسر وارتياح . أن اتحاد الأصل الذي وافقهم الله به في العقيدة يأبى عليهم أن يكونوا خصوما . . وتبينوا ثانياً أن الشرائع السماوية لم يخالف بعضها بعضاً فيما اختلفت فيه من فروع لغرض التشقيق بين الناس ، وتوزيعهم شيعاً متباذلة ، بل كان التمايز بين الشرائع تطويراً لهم ، وتطويراً لعقلياتهم ، وتمهيداً لتنظيم صفوفهم ، ولجمعهم على طابع يتناولهم من الناحية الروحية ، وهي ناحية الدين ، كما تناولهم جميعاً الطابع الإنساني الذي انبثق بهم عن أب واحد ، وأم واحدة .

ولكن لحكمة ومشية علوية تشعب الناس في تلقيهم لدعوة الدين ، وانقسموا حولها قديماً ، وحديثاً ، واتسعت بهم جولات الخلاف ، فلقيت كل دعوة من أهلها عنتاً ، ولقيت الدنيا من وراء ذلك شقاقاً وتناحراً ، وأصاب أهلها سلفاً ما أصابهم بسبب ما جنوا على أنفسهم ، ولم يكن للناس في شططهم عذر يشفع لهم ، قد بين الله لهم سبيل الهداية ، وحذرهم عواقب المخالفة عن أمره ، ثم لما لم يستجيبوا ، أخذهم بذنوبهم ، وجعلهم سلفاً ومثلاً للآخرين .

نعم ، كانوا ضحية إصرافهم في العصيان والانحراف ، وكانوا قصصاً يحكيه القرآن لمن بعدهم حتى لا يعيش الخلف في غفلة ، ولا يكونوا على جهالة بالمصير .

وكان هامسا يقول . إن الطمع في ثوب الناس جميعاً إلى هدام يعتبر إسرافاً في الأمل بل التعلق بالرجاء في استقامة الجميع يبعد عما أفصح به القرآن : حيث يقول الله تعالى : « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها » ، ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ، فالهداية لم تكن في تقدير الله حظاً للجميع الناس ، بل فريضة هدى . وفريقاً حققت عليهم الضلالة لماذا نحاول نحن من حديثنا عن الهداية والغواية ، ومن تعرضنا للوازنة في ذلك بين أناس وأناس ؟ ؟ .

والجواب أن المقدور محبوب عنا ، وأنتا أمام ، التكليف سواء ، لا يدري أحدنا من شأن نفسه : أهو من المقربين ، أم من المبعدين ، والمطلوب منا جميعاً أن نأخذ في الطاعة ونوجه ميوئلتنا ، وإرادتنا نحو الخير ونروض أنفسنا على صالح العمل ، وأن نتجنب إلى الله بالكف عن الحرام ، وعن مطاوعة الهوى ، وذلك هو جهاد النفس وهو الجهاد الأكبر في مشقته ، وفي عظم ثوابه كما أفادنا كلام الرسول عليه الصلاة والسلام . وهذا الاتجاه يملكه المرء عن نفسه ، وهو مناط التكليف الذي نسأل عن تنفيذه أو محاولة تنفيذه « فاتقوا الله ما استطعتم » ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

ومن المسلم به أن التدرج في الأمر يجعله عادة مألوفة إلى أن يصير في حكم الخلق المطبوع ومن قبيل ذلك أن الدين يطلب

وقد يرين على بعض القلوب شيء من الغفلة فتخال أن ذنوبنا لم تبلغ ما بلغته ذنوب الغابرين أو أننا معصومون بما يشاء الله لو أراد بنا سوءاً ، أو أن النجاة ميسورة لنا بتوبة نذكرها يوماً ما . وهذه أمانى مكذوبة ، يرددها في خواطرنا إيهام الشياطين . وتستجيب لها النفس في غمرة لهوها ، وفي غفلة الضمير .

تلك الأمانى كانت ولا تزال شباك الشيطان ومفاتيح الانفس ، ومصرع الحق ومبعث الباطل ، وضیعة الأمل الصادق ولو كانت حقاً كما تنوهم لآتیحت لمن سبقونا إليها وتعلقوا بها ، ثم خذلهم الأقدار ، وسخرت منهم الدنيا وخرجوا منها دون أن يأخذوا بالحرص من أوله ولم يدركوا الأمر في آخرياته . وما برح القرآن يذكرنا بتلك السوابق . وبما يحذق بالناس من أحداث كريمة ، وينبهنا إلى أن الناس يحنون على أنفسهم بما تكسب أيديهم ... فنحن الذين نتعثر في الطريق المعبد ، ونحن الذين نتخطى الصواب فيلاحقنا الضرر ولا بد ، لأننا لم نترقب بأنفسنا فيما نسلک ، ولم نرجع إلى توجيهات الدين فيما أقام لنا معالم ، وفيما أوضح من أهداف وما يمكنك أن تعرض للناس غابة يتبنون إليها في انحرافهم وانحذارهم ، ولا يمكنك أن تفرض لهم يوماً ينصرفون فيه عن غيهم ، فقد عاشوا على ذلك ، وما زال الشأن هو الشأن ! .

وإن كانت كلها في هذا الصدد على وفاق معنا فيما نقرره استدادا من القرآن الكريم ، واقتباسا من توجيهاته إلى العمل بأحسن ما نسمع ، وإلى تحاشي الضلالة وأسبابها وألا نقرب الفواحش ما ظهر منها وما بطن وأن نتحاشى الفتن ، ولا نوقظها لنظل نائمة بين الناس .

ولنا شاهد من واقع الأمر المشهود ، فحيثما نجد الغواة مسرفين في غوايتهم ، ونراهم يتعاملون بالمعذرة عن أنفسهم بأن العبد مسير لا مخير كما يزعم بعض المبطلين من دعاة البحث المذهبي نجد من المسرفين من يقلع اختيارا عن غيه ، ويتدارك نفسه بالتباذ تلك المساقط ، والتعوذ بالله من مفاتن الشياطين ، والأخذ بالعروة الوثقى فيصبح يقظا بعد غفلة ، وجادا بعد مهزلة ، ويبصر برشده ما كان محجوبا عنه في ظلمة السفه .

وإذا كان مقررا أن المرء يملك توجيه نفسه في مجال الاقتصاد كما أشرنا فكيف لا يملك مثل هذا التوجيه في الجانب الأدبي كما طلب إليه الدين .

والذى أريد الاقتناع به هو أن دعوة الدين إلى الاعتدال ليست دعوة تعسفية ، ولا يقف في سبيلها إلا أن يقلع المرء عن عادات مستهجنة ، يأخذ بدلا منها بعادات مستحسنة ، وإن كانت في أول أمرها غير هينة ، فإن الطاعة وعمل الخير مجال الحرب

منا تعويد الصبيان أن يصلوا ويصوموا لتنشأ فيهم الطاعة كمادة متأصلة فلا يرهقهم أخذهم بها بعد أن يشبوا على المخالفة والتمرد فالسنة فيما نحاوله بعيدة عن التشبث بما قدر لنا أو علينا ، بل المطلوب أن نحرض وأن نسدد ، ونقارب ما نستطعن ، فليس لأحدنا أن يتسكأ ويقول : صنعت ما قدر على فعله . إذ ليس لنا علم سابق بما قرر كما أسلفت ، وإنما الأمر موجه إلى مغالبة النفس على هواها وترويضها على الامتثال في جانب الخير وكل امرئ ذى عزيمة يلبس من شأن نفسه القدرة على التحكم في ميله كما هو واقع في شئون المال والنفقات ، والاقتصاد ، والمأكل ، والملبس ونحو هذا مما يتصرف فيه فيمسك أو يسرف كما يحب فكيف لا يقدر على الاتجاه نحو الطاعة ، وقسر النفس على الاستجابة ؟

إن تجارب الحياة وما يملأ سمعنا من القصص عن الغير يفيدنا في تأكيد أن أبواب الغواية انحدروا إليها في هودة ، وظلوا حتى كانوا ضحايا العادات التي جرفتهم ، وبفيدنا أن أهل الطاعة والمثاليين في أخلاقهم أبناء عادات طيبة تركزت فيهم وصارت خصائص يعرفون بها ، ولا يرضون سواها .

ولسنا بحاجة في هذا السياق إلى الاستشهاد بنظريات الفلاسفة ، ولا بأقوال الحكماء

يحاول المرء أن يتجه إلى وجهات الخير ويلبس من نفسه تراخيا وأناة فليطرق مع عمله باب الدعاء إلى الله أن يعينه على مقاصده .

وباب الدعاء مفتوح ، والله يحب من عبده أن يلتمس الخير عنده ، ويلوذ بدعائه .

وقديما تخلت الأقوام عن دعائه كما تخلفوا عن تلبية رسله في طاعة ربهم فكان إحجامهم هذا جفاء شرا من تغافلهم حتى في ساعات البلاء النازل بهم وقد أخذ الله عليهم ذلك الجفاء ، واعتبره قسوة منهم على أنفسهم ، وجنوحا إلى عدوهم الشيطان .

وفي هذا يقول سبحانه « ولقد أخذناهم بالبأساء والضراء ، فما استكانوا لربهم وما يتضرعون » .

« فلولاً إذ جاءهم بأسنا تضرعوا !! ولكن قست قلوبهم ، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » .

فهنالك جمود وجود. وهنالك حاجة وعناد ، وعند الله هداية ، ورجاء ، ولكن الناس أعرضوا وعاندوا ، ونسوا الله فيما يعملون فأفساهم أنفسهم فيما يرجون ويسألون . ونحن نسأله من فضله ، ونضرع إليه بكرمه وجلاله أن يجعلنا من أوليائه لامن أولياء الشيطان ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

مع الشيطان ، والحرب كلها بحاجة إلى الجلال والمصابرة ولكل امرئ من دهره ما تعودا . وهنا تتفاوت مراتب المجاهدين لأنفسهم ، وتتفاوت منازل الناس أمام دعوة الدين « وما منا إلا له مقام معلوم » .

وإذا كان حديثنا هذا صدى لما ينبثق في الآيات السابقة عن الأمم الخوالى فمن مواصلة الخير بين المسلم والمسلم أن نثير العبرة ، وأن يذكر بعضنا بعضا بوجوب التآزر في النهوض بمستوانا من كل ناحية حتى تتوازي جوانب المجتمع كلها .

فإذا رجع شأنه من ناحية الاقتصاد ، والتصنيع ، والسياسة ، والتعليم وبدا المجتمع كما هو اليوم في نشاط يبعث فينا الفخار والنبظة وجب أن يكون كذلك في ناحية الخلق ، والآداب ، والتدين حتى يكون قوام المجتمع على دعائم قوية تكفل بقاءه ويسلم كيانه من الهزات التي كثيراً ما صدعت بنيان أقوام آخرين .

وهذا هو الكيان الذي تهدف إليه ثورتنا المباركة ، وتهافت عليه جمهوريتنا الواثبة ، ووصلت إلى مطالبه جهودنا الموفقة .

وما أهل القرآن وسيلة تصل بنا إلى مبتغائنا إلا دفعا دفعا قويا إلى تناولها ، والاستزادة من ثمراتها .

فالعمل ، وتدريب النفس على الجهد ، والترفع بها عن السفساف : كل ذلك من الوسائل الكفيلة بالغايات النبيلة وحينما

من القيم الإنسانية في الإسلام

المحبة

للدكتور محمد يوسف موسى

ومن هذه العاطفة السامية القوية ، تنبع عواطف أخرى لا قوام للإنسانية بدونها ؛ من الرحمة ، والعطف ، والتعاون ، والإيثار ؛ ومن ثم ، يكون الإنسان المحب لغيره ، والذي يسارع إلى تفريج كربته ونفقه بما يستطيع حين الحاجة إليه ، أثيراً لدى الله سبحانه وتعالى ، ومحبوياً منه ، وناهيك بسعادة من يحبه ربه .

وفي الحديث : « أحب العباد إلى الله أنفعهم لعياله ، أى عبيده ، كما رواه عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنهما . وفي أحاديث أخرى ، يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم الإيمان لا يتم ويكون كاملاً لإنسان إلا إذا كان يحب أخاه الإنسان ، ومنها قوله : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وذلك لما يعلبه الصادق الأمين من جلال أثر المحبة متى كانت صادقة . فإنها تدفع بقى المحبوب السوء ، وسبب لوصول البر والخير إليه ، وعامل للتعاون بين المتحابين فى سبيل الخير العام لهم وللأمة والناس جميعاً .

إذا كانت « الحرية » هى التى تجعل المرء إنساناً حقاً ، فلا قوام لحياته ولا كرامة له إلا بها ، فإن المحبة هى التى تربط بين النفوس وتؤلف القلوب . وتجعل المجتمع والأمة والعالم كله يعيش فى أمن وسلام وهناء . ولهذا ، نراها من القيم الإنسانية النبيلة التى جاء بها الإسلام ، وأكدها وحث عليها ، وجعلها الرباط المتين الذى يجمع بين الناس جميعاً ، لا فرق بين جنس وجنس وأمة وأمة .

إن رابطة الدم تؤلف بين أفراد الأسرة الواحدة ، ورابطة الوطنية تؤلف بين أبناء الوطن الواحد الذى له حدوده مهما كان امتداده وسعته ، ورابطة الدين تجمع بين بنيهِ وإن تعددت أقطارهم وتنامت بلادهم واختلفت أجناسهم .

ولكن رابطة المحبة أمر وراء ذلك كله ، فهى التى - متى صحت وصدقت - الحبل المتين الذى يلف العالم كله من أدناه إلى أقصاه ، وتجعل الناس جميعاً إخواناً يألم بعضهم لبعض ويفرح بعضهم لبعض ، وهنا تذوب فوارق الجنس والوطن والدين .

وأسر المادة وفتنتها ، وتحمله على التضحيات الجسام في سبيل الدين والوطن .

يروى ابن هشام في سيرة النبي ، عليه الصلاة والسلام ، أن امرأة من الأنصار رزئت يوم «أحد» ، بأعظم ما يصاب به إنسان ، فقد قتل زوجها وأبوها وأخوها وهم يحاربون مع الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه المعركة .

ولكنها لإخلاصها في محبة الله ورسوله والجهاد في سبيل نشر دينه ، لم ينهلهما هذا الرزم القادح ، فقد كان همها أن تسأل : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : خيراً ، هو بحمد الله كما تحبين ، فقالت : أرونيته انظر إليه . فلما رأيته قالت : كل مصيبة بعدك جليل ! أي صغيرة .

هذا . والمحبة غريزة فطرية في الإنسان ، بل وفي الحيوان أيضاً ، فلا بد أن تجدها متنفذة . وموضوعاً تنصرف إليه ، وحينئذ يكون لها أثرها الطيب أو الخبيث بحسب هذا الموضوع الذي تعمل للوصول إليه . والمحبة التي يدعو الإسلام إليها ، ونعبرها بحق من القيم الإنسانية النبيلة التي بلغ موضوعها من السمو والنبيل مكاناً علياً .

وإن المرء منا لا يكاد يستطيع تصور إنسان أو مجتمع أو عالم خال من الحب أو المحبة ، اللهم إلا أن يكون إنساناً لا حقيقة له ، ومجتمعاً مفككاً لا رابطة له ، وعالمًا كله خواء لا قوام له ولا بقاء .

إن الواحد منا إذا تجرد من هذه العاطفة الإلهية لم يكن إنساناً حقاً ، بل يكون كائناً من لحم ودم ، ويغدو ولا صلة تربطه بغيره ، وما أبأس شخصاً يكون على هذا النحو ! وإذا تجردت منها أمة صارت قطعاناً من حيوانات مفترسة متعادية ، وكذلك الأمر في عالم لم تجمع المحبة بين أئمة وشعوبه .

بل إن مدرسة أو جامعة ، أو أى مؤسسة من نوع آخر ، لازراعة أو الصناعة أو التجارة مثلاً . لانسود المحبة بين أفرادها والقائمين عليها ، كان عاقبة أمرها خسراً بلا ريب .

وجملة القول في هذه الناحية ، أن الحياة ، حياة أى إنسان أو مجتمع أو أمة ، إذا خلت من المحبة انطفأت شعلتها ، وجمدت القرائح ، واختفت المواهب ، وأجذبت العقول .

نعم إن المحبة الصادقة ذات الموضوع الطاهر النبيل ، هى التى تدفع الأعمال العظيمة ، وتؤلف بين قلوب الأمة ، وتنسى العامل الناصب ما يلقى من تعب وعناء ، وتجعل الإنسان بنجوة من إغراء الهوى والشهوات

فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، ،
وتوعد من يعرض عن الإسلام ويرتد عنه
بأن يأتي بقوم يحبهم ويحبونه .

* * *

ولكن علينا أن نتساءل : ما معنى محبة الله
ورسوله وحقيقتها ومامدى أثرها ونتيجتها ؟
للإجابة عن هذا وذاك يجب أن نكون صرحاء
وشجعانا ، وأن نتذكر معنى ما يطلبه منا الدين
من الإيمان بالله ورسوله .

إن الإيمان قول وعمل ، وليس بمؤمن
بالدين الذى رضىه الله لنا وللناس جميعاً من
لا يهتدى بهدى هذا الدين ولا يعمل بما
جاء به ؛ فكذلك ليس محباً لله ورسوله من
يعلم عن ذلك بلسانه فى كل حفل وناد ومناسبة
أو فى غير مناسبة ، ومع هذا فهو لا يجد
حلاوة الإيمان فى قلبه ، ولا يعمل بما جاء به
من عقيدة وشريعة وخلق ، بل ربما كان
فى سلوكه على النقيض مما جاء به .

وهنا يحق لنا أن نتذكر قول الشاعر :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه

هذا لعمري فى الفعل بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته

إن المحب لمن يحب مطيع
إن الله هو - كما نقول جميعاً - القادر على
كل شئ . ، وكل شئ سواه عدم ، فقلوب
العباد كلها بين يديه يصرفها كيف شاء ،

المحبة ، إذأ ، درجات بعضها فوق بعض ،
وفى الذروة منها محبة الله تعالى الذى أنعم علينا
بما لا يحصى من صنوف النعم والآلاء ، ثم
محبة رسوله العظيم الذى جاءنا بالهدى والنور
ثم محبة المثل العليا تمثلها فى حياتنا ونعمل
للوصل إليها أو الاقتراب منها ، ثم محبة
الدين والوطن ورجاله العاملين المخلصين وأبنائه
جميعاً ، ثم محبة الإنسانية جمعاء ممثلة فى كل
أناس وقبيل وأمة .

والمحبة متى كانت صادقة قوية ، يكون من
شأنها أن تمثل لصاحبها محبوه ، فلا يتخيل
إلا إياه ، ولا يرى إلا وجهه ، ولا يلذه إلا
حديثه . وقصارى القول ، يبلغ به الحال ألا
يسمع إلا له ، ولا يطيع إلا أمره ، ولا يبصر
أحدًا غيره ، ولا يتكلم إلا فى سبيله .

ولنبيل هذا الحب وشرفه ، نرى الله سبحانه
وتعالى يصف نفسه به ، فقد جاء فى كتابه
الكریم أنه يحب التوابين ، ويحب المتطهرين
ويحب المتوكلين ، ويحب الصابرين ، ويحب
الشاكرين ، ويحب المتصدقين ، ويحب
المحسنين ، ويحب الذين يقاثلون فى سبيله صفاء
كأنهم بنيان مرصوص .

كما طلب منا أن نحبه ؛ فقال فى التوراة :
« يا ابن آدم ، إني وحيى لك محب ، فبحق
عليك كن لى محباً » ، وأمر فى القرآن
الكریم أن يقول رسوله : « إن كنتم تحبون الله

من الإعراض عن الله ، ومن عصيانه في كثير مما يفعلون !

إن المحبة الصحيحة الصادقة تدفع المحب حتما إلى أن يكون في كل حالاته على ما يرضى المحبوب ، وإلى بذل غاية جهده في هذه السبيل فكيف إذا كان المحبوب هو الله مالك الأمر كله ، ورسوله الذي أخرجنا الله بفضله من الظلمات إلى النور ، وصرنا أعزاء بعد ذل ، وسادة بعد أن كنا مسودين ! .

إن حجة الله ورسوله تقتضينا ، إذا كنا محبين صادقين ، أن تفهم الإسلام على حقيقة وأن نزل على أحكامه في كل ما نأتى ونذر ، وأن نطيعه في المنشط والمكروه ، وأن نبلغ هذا الدين العالمى الخالد إلى الناس جميعا عليهم يستضيئون بنوره ، فيسعدون باتباعه .

وإن هذه المحبة تجعلنا أن نتخذ الرسول العظيم قدوة لنا في كل أمورنا ، فهو بنا رؤوف رحيم كما وصفه الله تعالى في كتابه ، وفيه لنا في عامة أحوالنا وفي كل جيل وزمان أسوة حسنة كما نطق بذلك القرآن .

وإن هذا العامل النبيل السامى ، أى هذه المحبة الصادقة لرسولنا العظيم ، وكذلك محبة الإنسان لإخوته في الدين والوطن ، حرية أن تنقى قلوبنا من الغل والحقد والحسد ، ومن البخل والجشع ، فهو لذى يقول في بعض أحاديثه : (لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ،

ولا حول ولا قوة إلا به ، ومن ثم كان وحده هو المستحق للإجلال والإعظام والعبادة على اختلاف ضروبها .

وهو مع هذا كله ، هو المنعم المتفضل علينا بالنعم التي لا نستطيع إحصاءها ، وهو الذى أرسل رسوله بالكتاب المبين الذى هدانا به الطريق المستقيم ، وجعلنا به خير أمة أخرجت للناس ، وسخر لنا الأرض وجعلها لنا ذلولا إلى غير ذلك مما هو معروف .

فهو إذا أهل للعبادة والحب ، وأهل لأن يكون وحده من نرجو ونخاف ، وأهل وحده لأن يكون معقد الرجاء والأمل ، وأن نطيعه في كل ما أمر ، وأن ننتهى عن كل ما نهى عنه .

ومع ذلك كله ، فالكثير منا يعرض عن أداء ما افترضه علينا ، ويقع في كثير مما حذر منه ونهى عنه ، ويتوجه إلى غيره بالرجاء معتمدا على هذا الغير وحده ، متناسيا أن الناس جميعا لو اجتمعوا على أن ينفعوا واحدا منهم بشئ لم يردده الله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، ولو اجتمعوا على أن يضروا أحدا بشئ لم يردده الله لعجزوا عن هذا عجزا بينا .

كل هذا نحسه ونعرفه في كثير من الناس فكيف يكونون محبين لله وهم على هذه الحال

في فضل ، أى فيما يفضل عن حاجته .

* * *

وأخيرا ، لماذا يعيش الناس اليوم في كرب وضيق ، وفي خوف من حرب عامة لا تبقى ولا تذر ، وتنال الناس بويلاتها في الشرق والغرب ؟ الجواب واضح ، إنه محبة الإنسانية التي انتزعت من القلوب ، والرغبة في الغلب والاستعلاء ، واستشعار الدول الكبرى أن بعضها عدو لبعض .

لكن لو نزعنا عن القلوب والنفوس ما ملأها من هذا كله ، وأحب كل منا إخوانه في الإنسانية ، ولم يصرفه عن هذا الحب أثره أو اختلاف دين وجنس ، لوسعنا العالم جميعا ولأمكن تعاون الجميع ، على استخراج كنوزه واستغلالها ، والانتفاع بخيراته ليعم الأرض بمن عليها من ناس ، وأمن كل محل الخوف وقام سلام حقيق يحول بيننا وبين الحرب إلى الأبد .

ذلك كله حرجى أن يتحقق ويكون بفضل حب الإنسانية ، والتعاون على البر والتقوى والعمل للخير العام المشترك ، ولعل ذلك يكون قريبا إن شاء الله تعالى ؟

المكتوب محمد بن يوسف موسى

ولا تدابروا ، ولا تقاطعوا ، وكونوا عباد الله إخوانا) ، كما يقول في حديث آخر (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام) .

بل إن هذه المحبة الصادقة هي التي تدفعنا إلى التعاون حتى لا يكون بيننا جائع أو محتاج بل تدفعنا إلى الإيثار ولو كان بنا خصاصة ؛ فإن مجرد الإيمان ، بل هذه المحبة ! ، يبعث بلا ريب على هذا التعاون والإيثار .

فالله تعالى يقول : « وتعاونوا على البر والتقوى » . ويقول في مدح قومه من المهاجرين والأنصار : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » ، ويقول في شأنهم أيضاً : « يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » ، ثم يقولون لهم : « إنما نطعمكم لوجه الله ، لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » .

وبجانب هذه الآيات ، نحمد الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من كان معه فضل ظهر فليعده به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد فليعده به على من لا زاد له » . وهنا يقول الراوى وهو أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه : فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا

مشكلة الخط العربي

للدكتور تمام حسان

الاجتماعى العام ، وانزوى فى دور المطابع
وآثر الإصلاح ألا يكون إصلاح الكتابة ،
بل أن يكون إصلاح الطباعة .

ولست هنا بصدد التعليق على انحراف
الإصلاح من الكتابة إلى الطباعة ولا بصدد
تحديد العوامل التى عملت على إيجاد هذا
الانحراف ، ولكننى أريد أن أعرض
لمسألة الكتابة العربية من أساسها ، فأشير
إلى مواضع النقص فيها ، وإلى مطالبها من
الإصلاح ، ثم أحدد الصعوبات التى تقوم
فى سبيل الإصلاح ، ولكنها ربما كان من
السهل أن يتغلب عليها المصلحون .

لقد لاحظ الأولون أن الخط العربى
بصورته التى كان عليها لم يكن وافياً بالغرض
المقصود منه لسببين : أولهما أن صور بعض
الحروف تشبه بصور بعضها الآخر ولم يكن
ثمة ما يميز أحدهما من الآخر ، ومن أمثلة
هذا ما كان من صورة واحدة هى اللباء والتاء
والتاء والنون والياء المتوسطة . وقد عالج
العرب الأقدمون ذلك التشابه بوضع نقط
فى أوضاع وأعداد مختلفة ملحقة بهذه الصورة
الواحدة لتمييز المقصود بها . والسبب الثانى

منذ زمن ليس بالقصير ، أحس الناس
وجود صعوبات معينة فى استعمال الخط العربى
ونما هذا الإحساس فى نفوسهم حتى أصبح
شعوراً ، ثم قوى هذا الشعور فى عقولهم
حتى بدءوا يحيطون شيئاً فشيئاً بجوانب مسألة
الكتابة العربية بل إن هذه المسألة قد تعدت
إقليم المسائل وتجاوزته إلى عالم المشاكل ،
وأصبحت كما وصفناها بعنوان هذا المقال :
« مشكلة الخط العربى » . وولج الناس باب
النقاش جادين يحاولون أن يجدوا حلاً يذللون
به صعوبات الكتابة العربية ، ولبثوا حيناً
من الدهر يقترحون الاقتراحات ، ويهيئون
المشروعات التى يمكن بها القضاء على هذه
المشكلة وكانت هذه الاقتراحات والمشروعات
فردية الطابع حيناً ، ورسمية الدافع حيناً
آخر ، ولكنها فى كلتا الحالتين كانت مناط
الأمل ومعقد الرجاء . وظن الناس وأملوا
أن الخط العربى سيدخل فجر تاريخ جديد ،
وأن إصلاحاً جديداً لهذا الخط يوشك أن
يكمل جهود أبى الأسود والحجاج . ولكن
سرعان ما غاب الرجاء ، وتظامنت الآمال
حين انسحب إصلاح المصلحين من الحقل

وسرى ذلك من مجال الكتابة اليدوية إلى مجال الطباعة فلم تعد المطبعة تعنى بالشكل إلا في القرآن الكريم ، وكتب تعليم الأطفال .

وبهذا عاد الخط العربي إلى نفس القصور الذى لاحظته الأولون وفطن المعاصرون من علماء العربية والقائمون على أمر تعليمها ودراستها إلى أن هذا النظام الكتابي يتسم بالنقص من النواحي الآتية :

١ - أنه إذ يهمل الحركات يصرف عنايته التامة إلى الحروف الصحيحة حتى أصبح من الممكن أن نصف الكتابة العربية بوصف « الكتابة المقطعية » لأن الحرف الصحيح فيها يدل على مقطع مكون من حرف وحركة لا على حرف واحد فقط . وهنا نجد تطرفاً من الإيملائين والصرفيين في اتجاه ، وتطرفاً مثله من العروضيين في اتجاه آخر . فأما الأولون فقد جملوا من الحركات علامات إضافة على الحروف الصحيحة وجعلوا ألف المد في صورة الياء أحياناً وحذفوها من الكتابة أحياناً أخرى . وجعلوا الصحاح أصول الكلمات دون العلل ، وبنوا دراسة التصريف والاشتقاق على الصحاح دون الحركات وأجازوا في العلل والإعلال والإبدال ولم يكادوا يرضون ذلك في الصحاح . وأما العروضيون وهم ألصق بالموسيقى والإيقاع فقد انصرفوا إلى العناية بالعلل والحركات

أنه برغم اشتغال اللغة على الحركات لم يكن الخط في صورته حينئذ يهتم بالدلالة عليها في الكتابة ، ومن ثم خلت الكتابة العربية بما يدل على الحركات . وكان لا بد مع عدم تمثيل الحركات في الكتابة أن يتجه الخطأ باللحن اتجاهين مختلفين أحدهما صرفي يتمثل في الخطأ في نطق الحركات التي في البنية كخطأ بعض الناس في نطق كلمة « تبعة » و « موظف » و « منطقة » والآخر نحوي يتمثل في عدم صحة الحركات الإعرابية التي في أواخر الكلمات . وكان علاج الأقدمين لهذا السبب الثاني من أسباب قصور الخط العربي بإضافة نقط في مبدأ الأمر يختلف لونها عن لون المداد الذى كتب به النص ، ثم صوروا الحركات بصورها الحاضرة فيما بعد .

ولكن هذا النوع من الإصلاح لم يكن عملياً بالقدر الكافي في الأزمنة اللاحقة ولا سيما في عصرنا الحديث فلقد ازدادت حاجة الناس إلى الكتابة وأصبح المرء يكتب أكثر مما كان أجداده يكتبون وأصبحت الكتابة عنصراً هاماً لا في التجارة والتدوين والرسائل فحسب كما كانت في القديم وإنما أصبح الفرد العادى مضطراً إلى الكتابة حتى في أخص أموره البيتية والشخصية ، وطغت الرغبة في السرعة على طابع الكتابة فاطرح الناس كتابة الحركات ، وإن أبقوا على النقط

وحيث على علاج هذه المشكلة ثم قدر لهم في النهاية أن ينحرفوا بإصلاح الخط من إصلاح الكتابة إلى إصلاح الطباعة . والحق أن إصلاح الخط العربي بصفة عامة تجاهه عقبات وظروف من أنواع مختلفة منها المالية والقومية والنفسية والاجتماعية والثقافية ، وسوف أشرح كل أولئك بالترتيب بادئاً بالعقبات المالية :

وأقصد بالعقبة المالية ضرورة إعادة طبع الكتب العربية جميعها بالخط الذي يأتي وليد الإصلاح . فإذا علمنا عدد الكتب العربية التي تم طبعها حتى الآن أدركنا المبلغ العظيم من المال الذي يجب أن ينفق على إعادة الطبع سواء أكان ذلك متصلاً بإعادة تكييف آلات الطباعة حتى تناسب النظام الجديد ، أو متصلاً بنفقات طبع هذه الكتب . وسواء أكان الإصلاح تحويلاً أو تحويلاً لصور الرموز الحاضرة أم كان استخدام الرموز مستحدثة . ولا شك أن الاقتصاد القومي في حالته الحاضرة موجه إلى نواح من الاستغلال وإلى مشروعات مدروسة هامة تهدف إلى رفع مستوى معيشة الفرد وإلى تقوية الدولة وإرسائها على قواعد اقتصادية ثابتة ومن الخطأ أن تنصرف عن هذا الجهد المبارك إلى جهد آخر غير مضمون النتائج . المسألة إذن ليست مسألة تحمس للإصلاح الهجائي

فجعلوها جوهر دراستهم لما فيها من إمكان ضبط الكمية طولا وقصراً أى ضبط الإيقاع ولما فيها كذلك من الوضوح السمعي إذا ووزنت ، بالصحاح ، وهذا الوضوح الذي فيها يرتبط بفكرة الموسيقى في الشعر . وأنت تستطيع أن تطيل في ألف المد مثلاً فتغني بها نغمت مختلفة يطرب لها السامع ، ولكنك لا تستطيع أن تفعل ذلك بسين مشكلة بالسكون . ومن هنا تطرف العروضيون في إهمال الصحاح والعناية بالحركات والعلل كما تطرف الإملائيون والصرفيون في عنايتهم بالصحاح وإهمالهم الحركات .

٢ — والناحية الثانية من نواحي قصور الخط العربي أن هذا الخط باستخدامه العلامات الإضافية التي هي النقط والشكل في الكتابة لا يبدع فرصة الانسياب ليد الكاتب ، وإنما يجعله بعد فراغه من كتابة الكلمة يعود إلى هذه الكلمة مرة أخرى ليكملها نقطاً وشكلاً . ولو كان كل حرف من حروفها متميزاً بشكله الخاص لا بما يضاف إليه من نقط وعلامات إضافية لكان أولى بالكاتب أن يحس بسهولة لا نظير لها في الكتابة ، ولكانت الكتابة عند المجيدين لها عملاً من أعمال المتعة الحركية كالرياضة والسباحة واللعب .

وهكذا نشأ إحساس الناس ثم شعورهم بمشكلة الخط العربي فعملوا أفراداً وجماعات

المستعمر بنفس الدرجة التي توجد الآن ،
لأننا إن وصلنا إليهم عن طريق الإذاعة
وفهمونا فلن يفهموا ما نكتبه موجها إليهم
في صحافتنا ومطبوعاتنا الأخرى . خير الأمور
إذن أن يبقى الخط العربي الحاضر كما هو حتى
يتم توحيد الأمة العربية كافة وعندئذ نستطيع
أن نفكر جدياً في إصلاح هذا النظام الخطي
المعيب .

ثم انظر بعد ذلك في موقف بعض الأمم
الإسلامية التي ارتضت أن تكتب لغاتها
بخطنا العربي حين تجدنا أصبحنا لا نحترم
هذا الخط الذي احترمونا من أجله فاستخدموه
قرونا طويلة . إن هذه الأمم ستحس بشيء
من الأسى يشبه شعور المخذول الذي خاب
أمله في عزيز لديه .

وكلنا يذكر سخطنا على الأتراك حين نبذوا
الحروف العربية واستبدلوا بها الحروف
اللاتينية . لقد كنا نحس أن الأتراك بعملهم
هذا كانوا يتسكرون لبعض مقدساتهم
ويقطعون أنفسهم عن التركة الثقافية التي
اغتنوا بلبانها وأعانتهم بعد حياة الرعي على
أن يكونوا أمة ذات حضارة وثقافة . ولعل
الأتراك لو حوروا الخط العربي الذي كانوا
يستخدمونه إلى صورة أخرى لا تبعد به عن
حاضره لكانوا قد وصلوا إلى حيث هم الآن
ولكن بدون أن يشعر العالم الإسلامي نحوهم

وكفي وإنما هي مسألة تتصل أوثق الاتصال
بمستقبلنا أفراداً وأمة .

أما من الناحية القومية فهدفنا الآن هو
التجمع في أمة عربية واحدة حدودها المحيط
الأطلسي غرباً والخليج العربي شرقاً وجبال
طوروس شمالاً وخط الاستواء جنوباً .
وإن مظاهر وحدة هذه الأمة هي الوحدة في
الإحساس والشعور والأمان واللغة والموقع
الجغرافي والتكامل الاقتصادي وأمور
أخرى أحدها دون شك — وأرجو ألا
يسخر القارئ من ذلك — هو الوحدة في
النظام الكتابي والإملائي . والمعروف أن
بعض أقطار هذه الرقعة العربية مستقل
وبعضها محتل ؛ بل إن أقطارها المستقلة في
ظروفها الحاضرة لا تجمع على سياسة موحدة
فبعضها يهجم سياسة عربية خالصة وبعضها
الآخر يهجم سياسة عربية د على عينها نقطة ،
فإذا بدأ أحد هذه الأقطار بإصلاح خطي
كان مخاطراً في ذلك أكبر مخاطرة . فهو إما
أن يصير على هذا الإصلاح وتخالفه في ذلك
أقطار عربية أخرى مستقلة فينقسم العرب
إلى شيعتين ويضرب بينهم بسور إملائي ليس
له باب وإما أن تتفق كل الأقطار العربية
المستقلة على ذلك ، ويبقى العرب المحتملون
بمعدين عن هذا التيار الجديد . ولن يكون
في طوقنا حينئذ أن نعينهم على الخلاص من

أما المسنون فسوف يشورون فيما بينهم وبين أنفسهم على هذه البدعة ويرفضون رفضاً باتاً أن يتعلموها أو يعملوا بها . فإذا كان الأمر كذلك أفلمست ترى في هذا الموقف النفسى والاجتماعى عرضاً من أعراض الاضطراب مهما كان مؤقتاً ؟ وما أغناها في هذه الفترة من حياتنا القومية عن إضافة اضطراب جديد إلى ما نحس به من اضطرابات يعود كلها إلى النزاع الذى فى نفوسنا بين الرغبة فى الاتجاه إلى الحضارة العالمية الحديثة والرغبة فى الاحتفاظ بطرق الحياة الإسلامية التقليدية .

وإن أجرينا إصلاحاً أبجدياً وفى المكتبة العربية مخطوطات عظيمة العدد فسيضيف ذلك صعوبة جديدة إلى صعوبات نشر المخطوطات وتحقيقها لأن ذلك النوع من النشاط سيصبح لا يقبل عليه إلا قلة بالنسبة لعدد المحققين الآن ، لأن الذى يندب نفسه لتحقيق أية مخطوطة فى الوقت الحاضر إنما يقرأ النص ذا الخط الردىء لتعوده بعد المران الطويل على الطرق التى يمكن أن يلتوى بها الخط العربى ومن ثم يجد سهولة نسبية فى قراءة النص . فإذا نشأ هذا المحقق على خط عربى غير الخط السائد الآن فسيضيف ذلك صعوبة إلى عملية تحقيق النص . وإن مثل هذه الصعوبة لا بد أن يصرف بعض الراغبين (البقية على صفحة ٤٥٤)

شعور المرارة . كانوا إذن يستطيعون أن يصلوا بتحويل الخط العربى إلى مثل هذا الاستقلال بنظامهم الكتابى دون هذه القطيعة بينهم وبين ماضيهم الثقافى ولكن الصدمة التى شعر بها العالم الإسلامى حينئذ كانت تخف وطأتها . أفن قطعنا نحن بيننا وبين ماضينا الثقافى على هذه الصورة أفلا يكون صدق ذلك حسرة وحيرة أيضاً فى صدور بقية الشعوب الإسلامية ؟

على أننا إن فعلنا ذلك فسوف يكون مجتمعنا العربى أشبه برجل منشق الشخصية . فإن أطفال هذا المجتمع سيتعلمون النظام الكتابى الجديد وسيجهلون القديم جهلاً تاماً ، وإلا فما الداعى الذى يدعو إلى تعليمهم نظامين كتابيين للغة واحدة ! . وسوف يتعلم البالغون من أعضاء هذا المجتمع ذلك النظام الجديد ويضيفونه إلى ما تعلموا من النظام القديم وسوف يكون هدفهم من تعلم النظام الجديد أرضاء حاجات الحياة على حين يكون احتفاظهم بالنظام القديم إرضاء لموقف نفسى . وستذكر عنوانك لصديقك حينئذ فيبدأ فى كتابته بالهجاء الجديد ويتعثر قليلاً فى هذه الكتابة التى تعلمها فى رجواته وستراه حينئذ ينتسكس بشئ من الضيق إلى النظام القديم الذى ألفه منذ طفولته يكتب به العنوان بالسرعة التى تعودها من قبل .

المصطلحات العروضية

للككتور عبد الله درويش

وهذا ما دعانا إلى أن نسمى الدوائر باسم أول بحر فيها أو باسم البحر الذي اتخذت تفاعيله ، أى أسبابه وأوتاده ، أساسا للدائرة نفسها .

وعلى ذلك أصبحت مصطلحات الدوائر كالآتي :

- ١ — دائرة المختلف — دائرة الطويل
 - ٢ — دائرة المؤتلف — دائرة الوافر
 - ٣ — دائرة المختلَب — دائرة الهزج
 - ٤ — دائرة المشتبه — دائرة السريع
 - ٥ — دائرة المتفق — دائرة المتقارب
- أما البحور التي تستخرج من كل دائرة فهي نفس البحور التي استخرجها الخليل من الدوائر .

وتعديلنا لاسم الدائرة إنما وضعناه بناء على الواقع وهو أن البحر الأساسي في كل دائرة قد استنبط منه إخوته من البحور التي تشترك معه في الأسباب والأوتاد .

وينبغي التنبيه إلى حقيقة هامة وهي أننا بذلك لا نتال من عبقرية الخليل في شيء بل إنما نقف لها إجلالا وإكبارا ، وما كان الخليل ليحتم على الأجيال من بعده أن تقف

لقد أوردنا في كتابنا دراسات في العروض والقافية ، أنه من الممكن تعديل بعض المصطلحات العروضية ^(١) ونضيف هنا أن هذه المصطلحات التي استقر العرف عليها يمكن أن تعدل إذا ما نظرنا في الأساس الذي استنبط منه الخليل بحوره ، وهو الدوائر العروضية .

فهذه الدوائر ^(٢) التي انتظمت جميع بحور الشعر اعتمدت على الأوتاد والأسباب وعلى ترتيبها ترتيبا معينا ، فكل ترتيب بوضع خاص ينتج دائرة خاصة .

ولنا أن نقسال هل رتبت المقاطع أى الأسباب والأوتاد على أساس منطقي معين فتكونت منها الدوائر ؟ لقد حاولت جهد المستطاع أن أكشف عن ذلك ولكني لم أستطع .

وإذا حللنا هذه الدوائر تحليلا علميا وصفيا فإننا نجد أن كل دائرة إنما رتبت فيها الأسباب والأوتاد على أساس بحر واحد معين ، ثم استخرج من هذه الدوائر المعينة عدد آخر من البحور .

(١) المقدمة ص ١١ .

(٢) دراسات في العروض ص ١٥٤ وما بعدها .

ويمكن معرفته دون الحاجة لمعرفة الدوائر. بل إن كثيراً ممن يعرفون بحور العروض لا يعرفون هذه الدوائر. إذن ماذا يحدث لو لم نربط بين الدوائر والبحور؟

لو فصلنا العلاقة بين الدوائر وبحور الشعر لتوصلنا إلى اختصار بعض المصطلحات العروضية. ولوفرنا بعض الجهد والوقت على طلاب العروض والباحثين فيه.

وقد ذكرنا آنفاً أن ربط البحور بالدوائر قد ترتب عليه بعض نتائج ذكرنا أهمها وعلى هذا لو تغاضينا عن نظام الدوائر لأمكن أن نصل إلى النتائج الآتية :

أولاً — الاستغناء عن التفعيلتين ذواتي الوند المفروق وهما مستفع ان ، فاع لاتن ا كتفاء بالتفعيلتين مستفعان وفاعلاتن. ثانياً — البحور التي لم ترد أعاريضها أو أضرهها صحيحة يمكن الاستغناء عن ذكر مصطلح العلة في العروض أو الضرب. فمثلاً الوافر يفرض نظام الدوائر أن كلا من عروضه وضربه. مفاعلتين ثم يدخلها القطف الذي هو اجتماع العصب مع الحذف فتصبح "فعولان"، وعلى ذلك يمكننا أن نقول بادي ذي بدء: إن بحر الوافر وزنه.

مفاعلتين مفاعلتين فعولان

مفاعلتين مفاعلتين فعولان

جامدة عند آرائه واستنتاجاته ، والمسائل العلمية تتضح وتنمو بالتعليق عليها أو الإضافة إليها أو التعديل في مصطلحاتها ، وإننا نحاول بهذا البحث المتواضع أن نستهدى بقبس الخليل فيما وضعه من مسائل لا أن نقف جامدين عندها .

وعلى هذا الأساس نلاحظ أن نظام الدوائر قد أدى إلى الأمور الآتية :

١ — النص على استعمال بعض البحور مجزوءة فقط لأنه لم يرد منها قصائد على وزنها الكامل الذي تقتضيه الدائرة. مثال ذلك : المزج - المضارع - المقتضب - المجتث .

٢ — بعض التفاعيل وإن تشابهت في النطق . تكتب بصور مختلفة مثل : مستفعان ومستفع لن ، وكذلك فاعلاتن ، وفاع لاتن .

٣ — بعض البحور لم تستعمل أعاريضه أو أضره على الصورة الأساسية في الدائرة مثل الوافر ، السريع .

٤ — ويتبع ذلك كثرة مصطلحات الزحاف والعلل .

فإذا عرفنا أن الدوائر ما هي إلا وسيلة لحصر البحور فقط فهلا يمكننا أن نستغنى عنها إذا ما عرفنا حصر البحور بطريقة أخرى ؟

إن عدد البحور العربية المستعملة قليل

بتحريك العين وضربها إما مثلها وإما فعلن
بإسكان العين .

وهكذا يمكننا أن نطبق هذا على كل
بحر لم يستعمل فيه عروضه أو أضربه على
الصورة التي افترضتها الدوائر فنتخلص من
بعض المصطلحات العروضية التي تؤدي
كثرتها إلى صعوبة علم العروض ودقائقه
على طلاب موسيقى الشعر العربي . على الأقل
عند من يتعلم العروض ليعرف أوزان
الشعر . أما البحث العلمي فيطلب الإحاطة
بشكل ما فيه من مصطلحات ثم إذا عرض
للباحث أن يختصر أو يزيد فلا مانع من قبول
ذلك متى أقام عليه الدليل ، ومتى ما كان له
غرض يهدف إليه .

واختصار الأصل الافتراضى أو التخيلي
للتفعيلة لا يضر العروض العربي في شئ بل
بالعكس يخدم هذا العلم حيث يخفف من
صعوبته التي جعلته أشبه شئ - « باللوغاريتمات »
ولكن ينبغي أن يكون كل تعديل مبنياً
على أساس علمي . .

وأساسنا هنا هو المنهج الوصفي
Descriptive Approach وهو ما استعملته
المدرسة اللغوية الحديثة في فروع مستويات
البحث اللغوى .

ثالثاً - يمكننا أن نربط الزحاف
بالبحر لا بالتفعيلة فنجعل زحاف البسيط

وكذلك بحر السريع الذى يفرض نظام
الدوائر وزنه على هذا الوضع :

مستفعلن مستفعلن مفعولات

مستفعلن مستفعلن مفعولات
فشكل من عروضه وضربه لم تستعمل
صحيحة بل يدخلها التغيير فيحذف رابعها
وسابعها وبعبارة أخرى يدخلها الطي مع
الكسف فتصبح مفعلاً وتنقل إلى فاعلن .

ونلاحظ بمراجعتنا لأعاريض السريع
وأضربه^(١) أن السريع له أكثر من عروض
ومن ضرب بخلاف الوافر الذى له عروض
واحد ولها ضرب واحد كذلك . وتعدد
أعاريض السريع وأضربه يمكن أن يبنى على
أساس « فاعلن » فنقول : إنه أحياناً يكون
« فاعلن » ، وأحياناً « فاعلن » ، وأحياناً فعلن
بتحريك العين وسكونها .

ويمكن تطبيق هذا أيضاً على بحر البسيط
الذى يعتبر أصله بحسب نظام الدوائر .

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

ولكن عروضه وضربه لا يستعملان
صحيحين بل يغيران إلى فعل أو فاعل
ويمكننا حين نتخلص من الدوائر أن
نعتبر أن عروض هذا البحر تكون فعلن

(١) دراسات في العروض بحر السريع .

ولكن العروضيين افترضوا أن أصل كل منها ست تفعيلات بناء على نظام الدوائر ، ولذا قالوا : إن مثل هذه الأبحر يقال له مجزوء وجوبا .

ولكن إذا تخيلنا عن فكرة ربط البحور بالدوائر أمكننا أن نقول : إن موسيقى الشعر العربي تستعمل بعض البحور ثمانية التفاعيل دائما وبعضها سداسية التفاعيل دائما . وبعضها رباعية التفاعيل دائما . وأحيانا تستعمل للثاني والسداسي صورة أخرى مختصرة فتجعل الأولى ست تفاعيل والثانية أربع تفاعيل ، أو بعبارة أخرى نقصر اصطلاح « الجزء » على ما استعمل منه أصله التام . أو بتعبير آخر نبتعد عن الأصل الخيالي الافتراضى . ونظل فى دائرة ما ورد به الشعر فعلا وهو ما تقتضيه طبيعة المنهج الوصفى .

خامسا : يمكننا أن نتوسع خطوة أخرى فى تعريف المجزوء فلا نكتفى كما يقول العروضيون بأنه ما حذف منه عروضة وضربه بل نقول : إنه يشمل ذلك ، ويشمل أيضا ما حذف منه صدر كل من شطريه أى التفعيلة الأولى من كل منهما وسوف لا يؤدي هذا إلى فرق عملى فى مثل السكامل أو الرجز لكنه يؤدي إلى فرق عملى فى مثل الخفيف الذى أصل شطره .

الخبث والطنى . منفردين أو مجتمعين فى مستفعلن . ونجعل زحاف الخفيف مثلا الخبن فى مستفعلن دون جواز طيها ، مع ذكر زحاف فاعلن فى حشو البسيط وفاعلاتن فى حشو الخفيف .

وعلى هذا لا داعى لكتابة مستفعلن فى الخفيف بوتد مفروق وكذلك فى المجتث . وكذلك يمكننا أن نجعل التذييل والتسبيغ شيئا واحدا فنكتفى باصطلاح واحد منهما ، صحيح أن أحدهما داخل على تفعيلة آخرها وتد مجموع والثانى داخل على تفعيلة آخرها سبب خفيف . ولكن هذه التفرقة لا تنافى توحيد التسمية . فيكشفنا أن نقول : إن متفاعلن قد تصبح متفاعلاتن ، وإن فاعلاتن قد تصبح فاعلاتان . وسوف يسمح هذا باطراد القاعدة وعدم اضطرابها . والذى حمل العروضيين على التفرقة بينهما أنهم ربطوا الزحاف بالتفعيلة ففسر قوا بين التفعيلة التى آخرها سبب ضعيف وبين التفعيلة التى آخرها تد مجموع . ومثل هذا يقال فى القصر والقطع . ولكن إذا ربطنا الزحاف بالبحر نفسه فلا يحتاج لهذه التفرقة (١) .

رابعا : إن بحور الهزج أو المجتث أو المضارع أو المقتضب يتكون كل منها من أربع تفعيلات فقط كل اثنتين فى شطر .

(١) دراسات فى العروض ص ١٤٦ وما بعدها .

فاعلاتن مستفعِلن (١) فاعلاتن .
 فيكون له مجزوءان :
 الأول ما يعرفه العروضيون بمجزوء
 الخفيف وهو :

فاعلاتن مستفعِلن .
 فاعلاتن مستفعِلن .
 والمجزوء الثاني يكون على هذه الصورة .

مستفعِلن فاعلاتن
 مستفعِلن فاعلاتن
 وهو ما يعرفه العروضيون باسم المجتث
 وإذا أضفنا إلى ذلك التخلص من الدوائر
 أمكننا أن نستغنى عن كلمة المجتث في العروض
 اكتفاء بإدماجه في مجزوء الخفيف بعد
 تعديل تعريف المجزوء .

فهذه خطوط عريضة لبعض الاصطلاحات
 العروضية التي يمكن تعديلها . والتي أوحى
 بفكرتها تطبيق المنهج الوصفي اللغوي على
 قواعد علم العروض . وعلى أساسها وأساس
 المشروع الذي وضعه أستاذنا الدكتور
 إبراهيم أنيس (١) يمكن للباحث أن يضع
 مشروعا آخر شاملا لتفصيلات البحور
 ولزحافات من جهة وللصطحات العروضية
 بصفة عامة ، ولعل المستقبل كفيل بتحقيق
 ذلك .

الدكتور عبد الله درويش

(١) كتاب موسيقى الشعر للدكتور إبراهيم
 أنيس فصل « مولد مشروع » .

فله مجزوءان . الأول ما عرفه العروضيون
 باسم مجزوء المنسرح وهو :

مستفعِلن مفعولات
 مستفعِلن مفعولات
 والمجزوء الثاني يكون على هذه الصورة .

مفعولات مستفعِلن
 وهو ما يعرفه العروضيون باسم المقتضب
 وبهذا نكون قد اختصرنا أسماء البحور

(١) آثرنا عدم كتابة مستفع لن .

الشيخ عبد الجواد رمضان

للأستاذ على العمري

وقد علل الأستاذ العقاد هذه الظاهرة في كتابه (شعراء مصر وبيئاتهم) بأن القدوة لشعراء الأزهر - في هذا المذهب - ما يروى عن الإمام الشافعي ، إذ يقول :

ولولا الشعر بالعلماء يزى

لكننت اليوم أشعر من لبيد ويرى غيره أن رسالة الأزهريين دينية خلقية ، فلم يكن من الجائز في نظرهم أن يسرفوا في قول الشعر هجاء وملاحاة ، أو يمعنوا في قرصه خوضا في عرض أو تأريثا لعداوة ، ورأوا من كرامة العلماء أن يعفوا عن المبالغة في المدح والإطراء ، والتدلى إلى الكذب ، والتجنى على الناس ... والشعر في رأى الشاعر الذى لا يتزمت ولا يتعمف ، خيال وتصوير واقتنان ، لا تخرج فيه ولا تصون .

ويرى فريق ثالث أن الأزهرى حائر بين حياته الواقعية وحياته المثالية ، فهو مثالا له عواطف وانفعالات ونزوات ، فلو رغب أن يعبر عنها رأى من حوله نظرة الناس إليه فيمسك .

وأدق تعليل رأيته في ذلك هو ما قاله صاحب الترجمة : إن الموهبة الشعرية - عند

تحت هذا العنوان كتب أستاذنا المرحوم الشيخ عبد الجواد رمضان فصولا رائعة في مجلة الأزهر عن شعراء أزهريين . كان منهم المشايخ حسن القاياتي وأحمد الزين ومحمد الأسمر . وقد رأيت أن أعيد فتح هذا الباب ، حتى يتسنى أن نوفي النابغين من شعرائنا حقهم ، ونرفع عنهم بعض الظلم الذى لحقهم في حياتهم ، وليس أولى من مجلة الأزهر أن تكون سجلا تخلد فيه مآثر هؤلاء .

والإنصاف يقتضىنى وأنا أعيد فتح هذا الباب ، وأستأنف الحديث عن شعراء الأزهر ، أن أبدأ بصاحب الفضل في هذا المجال فأتريجم له ، وأعرف به ، وأسوق طائفة من آرائه وشعره ، ولعلنى بذلك أؤدى بعض الدين ، الذى قلده به عنق كل متخرج في كلية اللغة العربية ، أؤديه بمناسبة الذكرى الأولى لوفاته وقبل أن أمضى إلى الغرض أعرض لظاهرة لاحظتها كثير من الراصدين للحركة الثقافية في العصر الحاضر ، وعلل لها بعض كتابنا ومفكرينا ، هذه الظاهرة هى قلة النابهين من الشعراء بين الأزهريين بالنسبة إلى عدد المتخرجين فيه .

إن في بردى جسماً ناحلاً
لو توكتأت عليه لا نهدم
خرج إلى القاهرة ليطلب العلم في الأزهر ،
ثم عاد منذ عام ، إلى بلده نفسها ، ليرقد
في ثراها رقدته الأخيرة ، - وكان كثير الحنين
إليها - . وفي هذه الحقبة الطويلة التي قضاهـا
في خدمة العلم والدين والأدب ، طالباً
في الأزهر ، ومدرساً في الأوقاف الملكية ،
ومدرساً في معهد القاهرة ، وأستاذاً في كلية
اللغة العربية ، كان الصديق الوفي لأصدقائه ،
والأب الرحيم لأبنائه ، واليد الحانية العاطفة
على من تنسك لهم الزمن من معارفه .

كان أستاذاً يتسم بأصالة الرأي ، وسماحة
الخلق ، وعفة النفس ، لم تكنه دنية من الدنايا
عن رأى ارتآه ، ولم يخذعه أمل من الآمال
عن موقف عزة وكرامة ، ولم يتخل في يوم
من أيام حياته عن فضيلة التواضع .

كان كما يتحدث عن نفسه (إنساناً في طبيعته
العزوف عن الزحام ، ولو أنه على الحياة) .
وهذا يفسر لنا سر إحجامة عن نشر كتاب
أو ديوان شعر ، إلا ما تطلبه عمله ، أستاذاً
في كلية اللغة .

عرفته منذ أكثر من عشرين سنة كاتباً
في الصحف المصرية ، يشارك في الأدب والنقد ،
ويناضل عن مكارم الأخلاق ، ثم تلمذت
عليه ، فرأيت العلم الغزير ، والعقل الكبير ،
والخلق الفاضل .

الأزهرى - يساورها فيقهرها ما ركب
في طبيعة دراسته من النهج العلى القوى العميق
المعلل المحدود بالاصطلاحات الفقهية ، والأدلة
العقلية ، والأساليب الدقيقة المحكمة وتغلغل
هذا النهج في شعاب تفكيرهم واتجاهات
بحوثهم ، وإنما يخدم المواهب الشعرية
ويربها ، ويباغ بها إلى غاياتها من الجمال الفنى ،
الثقافات الأدبية التي تعم ولا تنحصر ، وتلم
ولا تتعمق ، وتجمل ولا تفصل ، وتتوخى
المقدمات الخطابية لتنتقل منها إلى الأقيسة
الشعرية التي تخلق في آفاق الخيال ، وترضع
سما الأدب ، وتبرز الجمال في صور بهيجة
رائعة موفقة ، تروق المشاعر وتوقظ
العواطف ، وتطرب النفوس ، متهدية إلى
سحرها وفتنتها وخلودها ، بفيوض الأذواق
الشفافة الذواقة ، لأبأوامر العقول الصارمة .

على أننا نستطيع أن نقول: إن لكل سبب
من هذه الأسباب ضحاياها من وجهة نظر الفن
الشعرى ، وقد تكون هذه الأسباب مجتمعة
هى السر في هذه الظاهرة التي حرمت الأدب
من عبقریات كثيرة كان يمكن أن تخلف
لنا الروائع .

في أوائل هذا القرن خرج من بلده
(شدموه) من أعمال الفيوم شاب صغير
ناحل الجسم ، ضعيف البنية ، كما وصفته -
فيما بعد - بعض الصحف ، فتمثلت بقول بشار:

يعم ، وينفع ويعيش ، فأما التجديد المرادف
للفوضى فلا يبعد الله غيره .

ويشعر بعبد وفاة صديقه وصنوه الشاعر
محمد الأسمر أن حركة التجديد قد طمعت وعمت
وأن أمثاله من المحافظين قد قلوا ، فيرسل
هذه النغمات الحزينة الباكية :

لا تأس ، هذا عالم محدث
مبالغ في التيه ، مستكبر
ضاق ، فلم يبق لنا موضع
فيه ، ولم يبق لنا معشر
أحيائنا فيه كأموائنا
ليس لهم في القرن ما يؤثر
د سلامة ،^(١) يحقر آدابنا
ولا يني من شعرنا يسخر
هذا الغليظ الأعجمي الذي
بكل عرف فاضل يكفر
أليس في الموت لنا راحة
من موقف في الهون يستنكر
ينالنا البغي ولا دافع
ويشتفي منا ، ولا نشأ

ولم يكن يرى أن الأزهر متخلف — كما
يشيع كثيرون — بل يرى أن حركة التجديد
والإصلاح في الأزهر إن بدت بطيئة جداً
فليس ذلك لأنها ضعيفة بل لأن الحركة إنما
تبدو بوضوح فيما خف من الأجسام ، فأما

كان الشيخ في مقدمة الأزهرين الذين يعلنون
عن رأيهم بصراحة، لا التواء فيها ولا غموض،
ويدافعون عنه بحجج لا مخادعة فيها ولا تمويه ،
وينازلون خصومهم في أدب مقال ، ونصاعة
بيان ، وقد يلجأ إلى النكتة اللاذعة أحياناً .

ولم يدع يوماً أنه مجدد، وإن أعلن أنه يرحب
بالتجديد ، فيقول في صراحة : « ولقد نشطت
حركة النقد في هذه الأيام نشاطاً بارزاً ،
واستفاضت فيه البحوث ، واتسع مجال
النشر في المؤلفات والمجلات والصحف اليومية
وأخذ اتجاهه في الأعم الأغلب على ضوء
من الثقافات الغربية وآدابها وأدبائها ،
وبأقلام مجددة ناثرة في أغلب الأحيان ، وهي
حركة نلقاها - نحن المحافظين - كما تعودنا
أن نلقى كل علم وفن ، بصدر رحب ،
وتعطش إلى المعرفة وشوق إلى الاستفادة ، .
» بيد أن كل أولئك لا يلميناعن أدبنا الخالد

ما خلد القرآن الكريم ، ولا نرضى أن ندفع
من التنكر له أو الانحراف عن سنته منواجه
ثمناً لما نغمه من مذاهب النقد الحديث ،
فنسكت على هزيمة ، أو ننام معه على ضمير .
ويقول في موضع آخر : « إنني - على
الرغم من رجعتي - لا أبغض التجديد ولا
أنعى على المجددين ، ولا أثبط من همهم ،
ولها أريد أن يكون للتجديد حدود تعينه
ورسوم تضبطه ، وعلامات ترشد إليه حتى

(١) يريد الأستاذ سلامة موسى الكاتب الصحفي المعروف .

شاعرين في مصر ، لولا أن أولهما انصرف إلى الكتابة والتأليف فوهبهما صفوة عنايته ، وفورة جهوده وأبقى للشعر في نفسه ركناً مهجوراً ، وأن الآخر استبد به الزجل الذي يحجده ببراعة لا تحارى .

ويناقش الذين يجعلون إيليا أبا ماضى شاعراً خلا ، قائلين : إن شعره يعد نموذجاً كاملاً للشعر الجديد يحوى عناصره الفنية جميعاً ، فلا ينكر أن أبا ماضى شاعر موهوب يمضى شعره بحظ عظيم من الرقة والعذوبة ، ولكنّه يعود فيرميه بأن الجزالة التي هي ملاك الشعر العربي ، وقوام روعته وصولته تعوز هذا الشاعر ، ويرى أن شعر أبي ماضى لا يعدو - على أسنى حالاته - طبقة النوع النازل من شعر البحترى .

وعنده أن إمام النقد في الشرق العربي هو الدكتور طه حسين ، وسر ذلك - فيما يرى - أن الدكتور لم يدرس الأدب الغربي إلا بعد أن قتل الأدب العربي بحثاً ونفذ إلى أسراره من جميع شعابها ومداخلها .

ويعزو إلى الصحافة المشاركة في كثرة الشعر التافه وشيوعه بما تسديه إلى من لا يحسنون الشعر ، فكل من استطاع أن يركب كلمات توازن تفاعيل بحر من بحور الشعر ، وجد مجلة أو صحيفة تنشره ، مع فقدان الموهبة الشعرية ، أو ضعفها ضعفاً لا يستقيم عليه شعر .

ذلك المحيط الزاخر فإن حركته وإن كانت أثبت وأرسخ هي في مرأى العين دقيقة خفية ، وأسرع عقارب الساعة حركة هو عقرب الثواني كما أن أثبت الخطا خطوة المترىث المتأنى .

على أن الأزهر لو أراد الحركة السريعة ما استطاعها ؛ ذلك بأن مجده منوط بالمحافظة على قديم الإسلام فالتجديد الثائر فيه بقلب حقيقته ، وإنما ينجح فيه التطعيم الثقافى التدريجى الذى يعمل فى التقريب بين الجديد والقديم ، ويوائم بين عناصرها فى أناة ورفق وكم نود - بمجدع الآنف - أن تنقش السكتب ، وتهذب أساليب الدراسة ، بيد أننا نعد من أشنع ضروب الإفلاس أن نترك ما فى أيدينا من قديمنا قبل أن يحصل فيها ما يغنى عنها من الجديد .

أما آراؤه فى الأدب ، فكشيرة . وهو لا يوافق بعض النقاد فى أن الشعر العربى قد وقف بعد شوق وحافظ ، وأضرابهما ، بل يرى أنه ما يزال بين بنى العروبة شعراء لا يدافعون عن حياض الشعر ، ولعل الأدنى إلى الصواب - كما يرى - أن الذى انتضى إنما هو عهد قول الشعراء .

وعنده أن أهم الأسباب التى وقفت بالشعر عجز الخيال عن التحليق فى أفق أرفع من الآفاق التى اخترقتها الحقائق العلمية فى هذا العصر ، ويعد العقاد ويبرم التونسى ، أحل

روض زها نبته وصبح
يعقبه الجذب والضباب
يا لك من طارق غريب
عن الهوى والصبا لوانى
أحياه عيشة الحريب
بلاخيال ، ولا أمانى
يا لهف نفسى على شباب
من المني ، والحياة أحلى
الظرف، والفصف، والتصابى
يوم تولى الشباب ولى
عوجو على ربعه ركابى
أحط من ذى الهموم ثقبلا
أسبح فى أفقه الرحيب
وأنشق الترب فى المغانى
وأملأ الجو بالنحيب
أسى وحزنا على زمانى
وكان وفيأ لأصدقائه ، يفارقون هذه الدار
فبيكسهم أحر بقاء ، وآخر ما قرأناه له فى
الرثاء قصيدته الرائعة ، فى شاعر الأزهر ،
محمد الأسمر ، وفى هذه القصيدة يذكر أياما
التي كانت تزخر بالصفاء .
يا صاحبي ؛ معسذرة ؛ إننى
غادرنى خطبك لا أشعرا
ذكرنى ففسدك أيامنا
تلك اللواتى بالصفاء تزخر
رعى الرفاق الغرّ روض المني
ففيها ، وحيا الصبا الأنضر

وأستاذنا الشيخ عبد الجواد شاعر مطبوع
له شعر جيد من الشعر الجزل الذى يذكرنا
بشعر البحترى والشريف الرضى ، ليس فيه
كلمة نائية فى موضعها ، أو زائدة على المعنى ،
وقد شرف كثيرا من شعره بمدح الرسول
عليه الصلاة والسلام ، وفى ذلك يقول :
وقفت على أبى الزهراء فنى
كأنى حين أمدحه أغنى
ليروها لسان الدهر عنى
فرادى - كالقلائد - أو توأما
ويقول فى موشحة جميلة رائعة يخاطب
رسول الله صلى الله عليه وسلم :
إعطف على بانس أديب
مروع فى الحياة عان
قل لى - إذا خفت من ذنوبى -
لا تبتس ، أنت فى ضمانى !
وقد لاحظت أنه كان كثير الحنين إلى أيامه
الاولى ، وقلبا تأتى مناسبة لا يترحم فيها على
ما مضى من أيام الشباب ، وكلما ذكرها ،
أتبع بقوله : (وما أوجع الذكرى) .
ولما تقدمت به السن بكى الشباب بدمع
هتون ، من ذلك قوله فى مطلع الموشحة التى
أشرت إليها آنفا :
أف لهذا المشيب يمجو
أجل ما خطه الشباب
يغنى الفتى غفوة ويصحو
إذا زمان الصبا سراب

يدور فيما بيننا عندها
ما يسكر الروح ، وما يسحر
حال حماها ، وانقضى أمرها
إلا حديثا قلبا يُذكر
ولعله يشير بذلك إلى الأيام التي كان يجتمع فيها
نخبة من الشعراء ، في قهوة (عم حسين بشارع
محمد علي) هم : أحمد الزين والمراوى والأسمر
ورمضان وغيرهم من الشعراء ، وكثيرا ما
كان يذكر هذه الأيام ، ثم ينشد :
لله أيا منا المواضي
لو كان ماض لنا يعود

ثم يختم قصيدته في الأسمر بهذين البيتين
الرائعين :
نم هائثا ، إنا على موعد
يطول من بعدك أو يقصر
لا يبعدك الله من راحل
بالظرف والإحسان يا أسمر !
وقد جاء الموعد ولم يطل ، ولحق شاعر
الأزهر الشيخ الوقور ، بشاعره البلبل الغريد .
رحم الله الشاعرين الكبيرين ، وأجزل لهما
المثوبة ؟

على العمري

(بقية المنشور على صفحة ٤٤٣)

في التحقيق . أضف إلى ذلك أن أوضح
ما في تحقيق المخطوطة من جهد إنما يتجه
إلى ادعاء شكل معين لكل كلمة في هذه المخطوطة
في ضوء نسخها المتعددة التي عثر عليها المحقق
فلان تكون الطباعة بعد ذلك بصورة الخط
الذي في هذه المخطوطة خير ألف مرة من
أن تكون النسخة المطبوعة مكتوبة بنظام هجائي
مختلف عن النظام الهجائي الذي في المخطوطة .
تلك إذن هي العقبات التي تقف دون
إصلاح الخط العربي . وإن أدنى تغيير في هذا
الخط لابد أن يستتبع كل الذي شرحناه من
مصاعب وليست هذه العقبات هي كل ما
يعترض طريق إصلاح الخط سواء أكان ذلك

في الكتابة أم الطباعة . ولست أدري
ما الذي جعل المصلحين يتجهون إلى إصلاح
الطباعة دون الكتابة أفكان ذلك ليسر هذا
النوع من الإصلاح بالنسبة لعسر الإصلاح
الآخر ، أم كان لأن المخاطب هنا بالإصلاح
عدد من المطابع والمخاطب به هناك عديد
من ملايين العرب ؟ لست أدري ولكن أي
إصلاح كما قلت لا بد أن يؤدي إلى ما ذكرته
من المصاعب . وعلى المصلحين أن يفكروا
في التغلب عليها .

دكتور

تمام مصاد

أستاذ مساعد بكلية دار العلوم

الشباب العربي والحياة المعاصرة

للأستاذ محمود الشرفاوى

عنها ، عن عقيدة أو عن مجارة ومدارة ،
وتقية ومنفعة ، كما هو الشأن فى كل مجتمع
بمائل .

ولكن مدارسنا ومعاهدنا وصحفنا وإذاعاتنا
وكتبتنا وتفكيرنا ، كثير منها ومنهم يدعو
شبابنا دعوة جهيرة خلافة قوية مؤثرة لأن
يتركوا قديم أوطانهم ويقبلوا على الثقافة
المعاصرة - كما يراها الغربيون - فهى التى
سودت لهم وحققتم لهم القوة والسيطرة على
الأرض ، وجعلت غيرهم من البلاد والناس
تبعاً لهم ، أو دونهم فى المنزلة والقوة والثروة .
وأصحاب هذه الدعوة يقولون : إن ثقافتنا
التقليدية نفسها تدعونا إلى ذلك ، ويعتقدون
صدق مقالة الجاحظ من قبل : « إذا سمعت
رجلاً يقول : ما ترك الأول للآخر شيئاً .
فاعلم أنه لا يريد أن يفلح » .

وأصحاب المذهب التقليدى ينادون شبابنا
أن يلتزموا فى آدابهم وسلوكهم وعواطفهم
ما كان يلتزمه آبائهم وأجدادهم من التحفظ
والتصون والتحرز ، فذلك أكرم لهم وأليق

لأعتقد أن شباباً لقي أوباقاً من الاضطراب
والبلبلّة الفكرية والنفسية والثقافية مثل ما
يلقى شبابنا العربى الآن .

وقد لقينا نحن فى السنوات الثلاثين الماضية
شيئاً غير قليل من ذلك ، ولكنه كان أيسر
وقعا على أفكارنا وأهون محملاً على نفوسنا
من هذا الذى يلقاه شبابنا المعاصر .

تفتتح عقول الشباب العربى على تيارات
متباينة ، بل متعارضة ، من التفكير والتعليم
والثقافة ، كما تفتتح نفوسهم كذلك على
إيماءات ومناهج متعارضة متناقضة للسلوك
والعمل . تفكيرنا التقليدى فى التعليم والثقافة
قائم على تقديس الماضى والتزام حدوده ،
وعدم الخروج عنه إلا بقدر ، أو عدم الخروج
عنه إطلاقاً . وهذا القدر نفسه يحدده بعض
أصحاب المذهب التقليدى أنفسهم ، وقد
لا يرون الخروج عن شئ منه أبداً ؛ لأنهم
لا يزالون يعتقدون صحة القول القديم :
« ما ترك الأول للآخر شيئاً » .

وهذه دعوة لها وزنها وخطرها والمدافعون

هينة ولا ضعيفة الأثر ، من الصحافة والكتب والإذاعة والسينما ، والسفر والخطبة ، كما تعززها وتوازرها مظاهر الحياة الجديدة ، بما في الجديد من إغراء وفننة وخلابة وتأثير وسطوة . وهي تلك القاعدة الصادقة التي قررها عالم المغرب العظيم ، ابن خلدون : قاعدة أن كل ضعيف مغلوب . مغرم بتقليد القوى الغالب . بقوة المتابعة التي ينساق إليها الناس وراء القوى الظاهر المسيطر .

وشبابنا حائر الفكر مضطرب العاطفة موزع القلب ممزق النفس بين هذه الدعوة وتلك .

فكيف نريد من شبابنا أن يكون موقفه

من هاتين الدعوتين ، أو القوتين . ؟
أعتقد أن خير ما ندعو إليه شبابنا العربي هو أن يتخذ موقف الشجاعة أمام كلتا الدعوتين ، أو القوتين . الشجاعة القائمة على الفهم والإدراك والبصيرة . عليه أن يكون شجاع القلب متفتح الذهن أمام دعوة التقليد والمحافظة والمتابعة ، وأن يخضع هذه التقاليد لعملية « فرز » وتمحيص ، وأن ينقدها نقد الصير في الفاحص المتشدد ، فيقبل منها ما لا يتعارض مع أهداف الحياة المفيدة القوية المنتجة التي توائم روح عصره ولا تعوقه عن السير مع شباب العالم الذي يقتحم ويسود ويسعد . يبقى هذه التقاليد التي لا تعوقه

بحياتهم الشرقية وآدابهم وتقاليدهم أو طائفتهم ، ومن قبل ذلك دينهم .

والداعون للحياة الجديدة ، أو الحياة المعاصرة ، بمقاييسها وقيمتها — يدعون الشباب لأن يصبغوا عواطفهم وأخلاقهم ، وقيموا آداب سلوكهم على القواعد التي يسير عليها ويلتزمها أهل السيادة والقوة في هذا العصر . فذلك أقوم لحياتهم وأبهج لنفوسهم وأسعد لأرواحهم وأكثر نفعا لهم في الحياة وأجدي إفادة لتربية ذواتهم ونماء مواهبهم ومعارفهم ، فهو يحقق لهم متعة الحياة وتربية الشخصية ، ويسلكهم في سلك العالم المعاصر المتحضر .

هاتان دعوتان متعارضتان تريد كل واحدة منهما أن تسيطر على الشباب ليقنع بها ويؤمن بخيرها وجدواها فيتبعها في التفكير والثقافة ويسير على نهجها في الآداب والسلوك والعمل . والدعوة الأولى — دعوة المحافظة والالتزام تساندها قوة من سواد الرأي العام وكثرته ، ومعاهد الثقافة التقليدية في الشرق ، وبعض القوى الرسمية أو كثير منها .

والدعوة الثانية — دعوة التجديد والانطلاق تساندها فئة قد تكون قليلة العدد — ولكنها بمكانتها وثقافتها ، وقوتها ، بالغة الأثر . يعززها كثير من نظمنا العامة في الحكم ، ومناهجنا في التعليم ، ومؤثرات أخرى غير

والبصيرة ، فينقدها بعين نافذة واعية متجردة
ثم يقبل منها ما يعتقد أنه لا بد منه لسيادته
وسيادة وطنه ، ولسعاده وقوته .

• • •

تيار الحياة المعاصرة ينحدر الآن كله من
الغرب إلى الشرق ، إلينا نحن ، وهو ليس
غالياً من الأناية والانحراف والزلل ،
وكثير من فلاسفة الغرب ومفكره ينقده
ويفنده ويخوف من عواقبه وخطره على
الإنسانية والحضارة . فعلى شبابنا حين
يتلقى رأياً ، أو مذهباً ، أو فكرة جديدة ،
ألا يخذعه بريقها ، وأن يأخذها مأخذ الجد
والبحث الفاحص المتزن المستقيم المجرد .
لا مأخذ الانحياز والافتقار والمتابعة
الساذجة . لأنها جاءت من الغرب أو من
الشرق . فهذه هي التبعية التي تنتهى بهم إلى
التلاشي وتنتهى بأوطانهم إلى الاحتلال
أو الاستعمار المذهبي والفكري ، وهو شر
أنواع الاستعمار .

صحيح أن الحضارة الراهنة ليست حضارة
الغرب وحده ، بل هي حضارة الحياة
المعاصرة كلها ، والعالم القائم كله ، وحضارة
الإنسانية جميعها ، كما كانت حضارة العرب
وحضارة اليونان يوماً ما .

ولكن هذا لا يضعها فوق النقد وفوق
المحاسبة ، ولا يبرؤها من الشر والزيف ،

ولا تصده ، والتي تربطه بوطنه ويثبته بل
يفخر بهذه التقاليد كظهر من مظاهر العراقة
في التاريخ ، والأصالة في الحياة البشرية .
ويرفض من هذه التقاليد ما يرى أنه يؤخره
ويعوقه ويحول بينه وبين مسيرة الحياة
المعاصرة بما فيها من قوة وسطوة ومتاع
مباح للنفس وبهجة للروح وقوة للجسد .
وديننا ، في فهمه القويم ، وثقافتنا التقليدية
نفسها يدعوان إلى ذلك : يقول أثرنا القديم :
« اعمل لدينك كأنك تعيش أبداً ، واعمل
لآخرتك كأنك تموت غداً » ، ولن تستطيع
أن تعمل للدين كأنك تعيش أبداً ، إلا إذا
سلكت فيها مسلك الأقوياء السعداء الذين
تضمن لهم قوتهم وسعادتهم أكبر قسط من
ذخيرة الحياة والبقاء والسيادة . وليس البقاء
هو طول العمر وامتداد الأجل ، فالحياة
تقاس بعرضها وعمقها ونوعها وقيمتها ،
لا بطولها وامتدادها . فدعوتنا لأن نعمل
للحياة كأننا نعيشها أبداً ، هي في جوهرها
وصميمها دعوة لأن نسلك سبيل الأقوياء الذين
يسيطرون على الحياة ويتحكمون فيها
ويسخرونها .

على شبابنا أن يكون شجاعاً بصيراً أمام
ما يسمع ويرى من آراء وأشياء تقدمها له
الحياة المعاصرة . وأن يلتزم في ذلك أيضاً
تلك الشجاعة القائمة على الفهم والإدراك

وعواطفنا المميزة لنا ، والثانية مذاهب الحياة المعاصرة في العالم الجديد ، تلك المذاهب القائمة على الحرية والعلم ، وعلى أخلاق الشجاعة والحكمة والبصيرة المستشرقة والقوة المسيطرة والحياة السارة البهيجة المقتحمة .

قرأت كلمة لغاندى أعتقد أنها يجب أن تكون نبراسا يضيء طريق شبابنا ودستورا ندعوه لالتزامه ، بل يجب أن تكون كذلك بالنسبة لحياتنا جميعا في سيرنا نحو مستقبل أكرم وأنفع وأفضل . هذه الكلمة هي : (لا أريد لبقى أن يكون محاطا بالأسوار من كل جانب ، ولا أريد أن تكون نوافذه مغلقة . بل أريد أن تهب على بيتى ثقافات كل الأمم ، بكل ما يمكن من الحرية ، ولكنى أنكر على أية واحدة منها أن تقتلعنى من أقدامى) . (١)

محمود الشرفاوى

سكرتير التحرير

ولا يجعلها مقبولة لنا على إعلانها كما هى ، فأهل هذه الحضارة أنفسهم والمفكرون منهم على الأخص ، لا يضعونها فوق النقد والمحاسبة ، بل يجرحونها في مواطن كثيرة . إنى أدعو إلى الحرية والشجاعة . ولكنى مع ذلك ، أو قبل ذلك ، أدعو إلى الثقة بالنفس ، والثقة بالقومية ، والثقة بالوطن ، والثقة بتاريخنا - مهما يكن فيه - وبمقومات حياتنا الخاصة ، مهما رأينا فيها ، وأن تكون نظرنا إلى حياتنا الخاصة هذه وتاريخنا ومقومات شعوبنا ووطننا العربى ، نظرة الإعزاز والتمحيص والتقويم القائم على الفهم والمحبة والاحترام . لا نظرة التوجس والازدراء والاستخفاف والهدم القائم على المقت والزراية والتهوين والمتابعة .

حياة شبابنا ، الذى سيحكم أوطاننا فى المستقبل القريب ، يجب أن تقوم على ركيزتين ، وأن تسير على قدمين : إحداهما الصالح المفيد المعقول المستساغ من تقاليدنا

حق الجوار

كان عدى بن حاتم الطائى يفتت الخبز للنمل ويقول :
لنهن جارات ، ولنهن علينا حق الجوار .

(١) أذيعت من إذاعة المغرب .

قراء معاصرة حول

التفسير العلمى للقرآن

للاستاذ محمد رجب البيومى

| قرأت مانشره الباحث الحر الأستاذ محمود الشرقاوى فى عدد المحرم من هذا العام حول هذا الموضوع ، فرأيت أن أعرض على القراء هذا البحث السريع لتكتدل وجهات النظر المختلفة فى هذا الموضوع الدقيق | .

الدينية تضخما لا يمنع مستقبلا من اطراد البحث ، ومواصلة الاستنتاج ، ! ! إذا كنا نرى ذلك ونقرؤه دارسين متفهمين ، فإننا نرحب بكل مجهود بصير يبذل فى شرح الحقائق القرآنية ، وتفسيرها تحت أضواء هادية من التاريخ والعلم والفلسفة والمنطق ، ونرى كتاب الإسلام فى حاجة دائمة إلى عقول مستنيرة منصفة تستشف أسرارها ، وتؤيد إعجازه ، ليتم نور الله فى الآفاق ، فهلك من هلك عن بينة ويحيا من آمن عن اقتناع . ونحن الآن فى عصر تقدمت فيه الفتوح العلمية تقدما مذهشا ، فى كل يوم جديد طارف تحمله انتصارات العقل البشرى ، فتسير به الصحف اليومية مقرظة مادحة ، والمجلات العلمية مفصلة شارحة ، وقد تطوع رهط من أولى العلم والثقافة ، فأخذوا يدرسون آيات الكتاب الكونية دراسة هادية ، ويحاولون أن يستشفوا من خلالها أقباساً

ليس كثيراً على القرآن الكريم وهو كتاب الإسلام الخالد ومعجزته النادرة أن تتضافر الجهود المخلصة على تفسير إعجازه ، وإيضاح هديه ، وإن مرور الزمن لا يعفى الباحثين فى كل عصر من تبيان آياته ، وتحليل مراميه ، بل إن تقدم العقل الإنسانى مما يزيد فى ضرورة هذا التحليل والبيان على نحو تطمئن إليه البصائر المخلصة ، والضوائر المنصفة ، وإذا كنا نرى النصوص الدينية فى أوربا تؤلف لها المجامع المختلفة من ذوى الثقافات المتعددة ، فيقومون بتوضيح ألغازها وتفسير مضمونها ، كل حسب اختصاصه ومنحاه ، فهذا مؤرخ يستعرض ماجاء فى التوراة والإنجيل من قصص وأنباء ، وذاك طبيب يستنبط من شتى النصوص ما يؤيده تقدم الطب ، وتفوق التشريح ، وذلك اجتماعى يستخلص مما بين يديه قواعد ثابتة لازدهار العمران وانقراضه ، وارتفاع الأمم وانخفاضها ، حتى تضخمت المكتبة

وضيئة، تشير إلى ما جد من مخترع واستحدث من مكتشف، على حين قام فريق آخر من أولى العلم أيضاً يناهض هذا الاتجاه ويحاربه ويرى أن تظل نصوص القرآن بعيدة عما يراد لها من التوجيه والاستدلال، ولا تريد أن نعجل بالحكم في هذه القضية الدقيقة، قبل أن نستعرض أدلة أولئك وهؤلاء، ليطمئن القارىء إلى وجه يرتضيه! يذهب الذين يريدون أن يفسر القرآن الكريم تفسيراً علمياً، تؤيده النظريات المستحدثة إلى أدلة واضحة محددة، فهم يرون أن القرآن ليس للعرب فقط حتى يكون إعجازه بلاغياً يلسه الفصحاء وحدهم، ويدركه من فهموا أسرار البيان العربى من ذكر وحذف، ووصل وفصل، ولكنه إعجاز بشرى يشمل الناس كافة من آسيويين وأوربيين وأمريكيين وإفريقيين، وهؤلاء العجم من غير العرب يستطيعون أن يفهموا نواحيه العلمية والنفسية والاجتماعية! فلو اقتصر الإعجاز القرآنى على الوجه التشريعى أو البلاغى لفات هؤلاء جميعاً أن يروا أقباساً وضيئة من نور الله، كما أن القرآن ليس خاصاً بجيل واحد من الأجيال، فنحصر تفسيره فيما يروى عن الصحابة والسلف من أقوال، ولكنه ذخيرة الأجيال المتلاحقة، ومن حق كل جيل أن يفهم منه ما يمتد إليه بحشه العلمى والنفسى

والاجتماعى من استنباط وقياس!! فإذا حاول أبناء القرن العشرين أن يجدوا فى بعض آياته تعصيماً لماسطعت به الفتوح العلمية من حقائق، فإنهم بذلك يزدادون إيماناً و يقيناً، وهذا كسب كبير للنصوص الدينية فى عهد يفيض بالشكوك ويمتلئ بالإلحاد!! على أن هؤلاء الملاحدة المتشككين لا يجدون حجة يستطيعون بها على المؤمنين إذا وجدوا الحقائق العلمية تؤيد ما يتشككون فيه من هدى كريم، فتخرس ألسنتهم أمام الحجج الساطعة، ويجد كتاب الله له من النظريات الثابتة أسساً تدعمه، وأركاناً وطيدة تقويه وتعليه!!

هذه أهم ما يحتاج به أنصار التفسير العلمى للقرآن من أقوال، وقد بسطها العالم المتمكن الغيور الأستاذ محمد أحمد الخمراوى غير مرة فى أعداد مختلفة من الرسالة (١)، وجاء كتابه العلمى النفيس (فى سنن الله الكونية) تطبيقاً عملياً لما يرتثيه، وقد احتاط احتياطاً مفيداً حين وضع القيود المحكمة لهذا التفسير العلمى فقال تقلاً عن الرسالة (٢).

د وقبل أن نورد بعض الأمثلة التوضيحية، يجب أن ننبه إلى أمرين مهمين، الأول أنه لا ينبغي فى فهم القرآن الكريم أن نعدل

(١) الرسالة : الأعداد ٧٠٥، ٧٠٦، ١٤٦،

(٢) الرسالة العدد ٧٠٥ .

في ضوء هذه التوجيهات الصريحة ، قطع العلماء من المتفهمين شوطاً حميداً في تفسير بعض الآيات الكونية والطبية - فضلاً عن النفسية والاجتماعية - فجاءوا بما يعجب ويروق بما لا يتطرق إليه التعسف والافتعال ، وأصبح القارئ المثقف يجد تفسيراً علمياً شافياً لأمثال قول الله تعالى : « قل أنتمم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ، ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ، وقوله « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي » .

وإذا كانت بعض الآيات الكونية لا تزال في دور التطبيق الصريح فإن أكثر الآيات الطبية قد وجدت من العلم نصيراً مجبداً ، فأصبح من الإعجاز العلمي للقرآن أن نقرأ قول الله عز وجل : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » ، وقوله « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » ، وقوله « ويسألونك عن المحيض قل هو أذى ، فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن » ، وقوله « فلينظر الإنسان مم خلق ؟ خلق من ماء ذافق يخرج من بين الصلب والترائب » ، ونحو ذلك مما

عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا قامت القرائن الواضحة تمنع من حقيقة اللفظ ، وتحمل على مجازه ، لأن مخالفة هذه القاعدة الأصلية قد أدى إلى كثير من الخلط في التفسير .

أما الأمر الثاني فهو أنه ينبغي ألا تفسر كونيات القرآن إلا باليقين الثابت من العلم ، لا بالنظريات ولا بالفروض ، لأن الحقائق هي سبيل التفسير الحق ؛ هي كلمات الله الكونية ينبغي أن يفسر بها نظائرها من كلمات الله القرآنية ، أما الحدسيات والظنيات فهي عرضة للتصحيح والتعديل ، إن لم تكن للإبطال في أي وقت .

وإذن فهذان قيدان مفيدان وضعهما الأستاذ الغرراوي ليحول دون الشطط في التأويل ، والجوحد في التطبيق وقد جاء الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغي بقيد ثالث نضيفه إليهما حين قال « يجب ألا نجر الآية إلى العلوم كي نفسرها ، ولا العلوم إلى الآية كذلك ، ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها ^(١) ، ويمكن القارئ أن يأخذ هذا القيد مستشفاً من خلال القيدتين السابقين ، إلا أنني آثرت أن أسجله صريحاً واضحاً ، ليسكمل التوجيه المختوم لمن يتعرض إلى كتاب الله بتفسير علمي رشيد .

نجعله ميدانا للتأويل المتناقض المضطرب ،
حتى ليجوز أن نتخذ من الآية الواحدة دليلا
للإثبات في زمن ، وللنفي في زمن آخر ،
ومثل ذلك عبث بالغ يجب أن يتنزه عنه
كتاب السماء .

وعما جعل الآذان تصغى كثيرا لهذا الفريق
أن أناساً ممن لا يجمعون بين النظر الصائب
والعلم الصحيح ، قد دفعهم حب الابتكار
إلى تفسير بعض الآيات تفسيراً بدائياً
لا يستند إلى دليل ، حين يظهر مكشفاً ما
من المكتشفات يسارع هؤلاء السطحيون ،
فيقتطعون من كتاب الله ما يؤهم صاحب النظر
المتسرع أنه يسير مع المكتشف الحديث ،
ثم يملئون الصحف هراءاً بتمحلاتهم الكاذبة ،
واقنياتهم المقيتة ، ويدعون عند ذلك أن
كتاب الله قد ألقى إليهم بأسراره ، فهم
قد يرون على أن يستنبطوا منه قضايا العلم
الحديث ، وينسون أنهم في تمحلهم الكاذب
يخطون خبط عشواء ١١ .

تجد أحد هؤلاء يتحدث عن التصوير
الشمسي فيستدل بقول الله : ألم تر إلى ربك
كيف مد الظل ، ولو شاء لجعله ساكناً ، .
أو يتحدث عن الأثير فيستدل بقول الله :
ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها
والأرض اثريا طوعاً أو كرها ، أو يتحدث
عن القمر الصناعي فيستدل بقول الله :

انبسط فيه مجال القول للمتخصصين ، فكان
إحدى معجزات القرآن الكريم .

أما الفريق الآخر ممن لا يرون أن نجذب
التفسيرات العلمية إلى آيات الكتاب ،
فيذهبون إلى أن القرآن قد خاطب العرب
أول من خاطب من الناس ، وهم قوم أميون
لا يحتاجون في فهم النصوص الصريحة إلى
التغلغل في العلوم الكونية ، والرياضيات
الهندسية ، وقد واجههم القرآن بما في
مقدورهم أن يستوعبوه من الكلام ، فأدى
رسالته معهم على أحسن وجه يتاح ،
إذ فهموا مبادئه ودرسوا شرائعه دون أن
تكون بهم حاجة إلى نظرية علمية ، أو فلسفة
كونية ، فعلى المفسرين أن يفهموا من القرآن
ما فهمه العرب الأوائل ، إذ أن كتاب الله
لسان هداية ، ومنار توجيه ، أنزله الله على
نبيه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ،
لا ليتحدث عن أسرار البرق والرعد والمطر
والرياح ، ولا ليحدد مواضع الشمس والقمر
والنجوم والبحار والجبال .. ثم إن النظريات
العلمية في الكون لا تستقر على حال ، فقد
تثبت القضية الكونية لدى جيل من الأجيال ،
حتى تصبح أمراً بديهياً لا يحوز فيه
الاختلاف ، ثم يدور الزمن فيجسد من
النظريات ما يقبّل الأولى رأساً على عقب ،
فاذا فسرنا القرآن بمنتهى النظر العلمي فإننا

فاحصة فلا يربطون الآيات بعضها ببعض ،
أو يلتفتون إلى أسباب النزول وأسرار البيان
أو يحكمون السياق الأسلوبى للقرآن ، بل
يندفعون وراء الحدس الظنى والخيال الوهمى
ثم يجترئون فيطبقون ويقولون !! أما من
يقيدون بالنهج الصحيح فى التزام اليقين الثابت
من العلم ، والصريح الواضح من الآية دون
أدنى تكلف يدعو إلى الاعتساف والشطط ،
فما ظن إلا أن الأستاذ الأكبر يوافق سلفه
الأستاذ المراعى على منحاه فى تفسير ظاهر
الآية بالحقيقة العلمية دون تكلف أو افتعال ؛
لأن كتاب الله كما يقول الأستاذ شلتوت
« لم يصادم ولن يصادم حقيقة من حقائق
العلوم تطمئن إليها العقول ، !! »

هذان رأيان متقابلان وبالنظر إلى أدلة
كل رأى على حدة ، نجد أن الذين ينادون
بابتعاد القرآن عن التفسير العلمى مصيبون
كل الإصابة ، إذا كان التفسير قائماً على الظن
الوهمى ، أو التعسف التأويل ، أما إذا كان
مستنداً إلى الصريح من القول معتمداً على
اليقين الثابت من العلم ، فلا نمنع إطلاقاً أن
نستضىء بشعاع العلم فى إيضاح حقائق الذكر
الحكيم ، وإذا كان القرآن كتاب هداية
وإرشاد ، فإن آياته العلمية لا تحول دون هذه
الهداية المبتغاة ! بل تؤكد لها وتدعو إليها
الجاحدين ، أما من يقول : إنه نزل فى أمة أمية

« اقتربت الساعة واشتق القمر ، ! أو يلم بآلة
التسجيل الهوائى للأصوات فيستشهد بقول
الله : « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ،
أو يشير إلى تحطيم الذرة فيقرأ قول الله :
« وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مرة
السحاب ، . وربما تجرأ هؤلاء الأدعياء
فكتبوا المؤلفات المتتابعة تحت عنوان
(بين العلم والقرآن) وظنوا أنهم بتسرعهم
العاجل يقاربون بين العلم والدين !! وأذكر
أن فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت
قد كتب (١) بالرسالة ردّاً مسهباً ضافياً يفند
فيه ما ذهب إليه هؤلاء الأدعياء من تعسف
مقيت ، فبسط الحجج المقنعة على فساد نظريتهم
الطائش واستدل بالنقل والعقل على شططهم
السكرية ، ثم قال فى ختام حديثه : « فلندع للقرآن
عظمته وجلالته ، ولنخلع عليه قدسيته
ومهابته ، ولنعلم أن ما تضمنه من الإرشادة
إلى أسرار الخلق ، وظواهر الطبيعة ، إنما
هو لقصد الحث على التأمل ، والبحث والنظر
ليزداد الناس إيماناً مع إيمانهم ، وحسبنا أن
القرآن لم يصادم ولن يصادم حقيقة من
حقائق العلوم تطمئن إليها العقول ، .

وكلام الأستاذ الأكبر - كما هو واضح جلي -
موجه إلى من يهجمون على التأويل دون دراسة

وإن في هذه العلوم الحديثة على اختلافها لعونا على تفسير بعض معاني القرآن ، والكشف عن حقائقه ، وإن فيها لجاما ودربة لمن يتعاطى ذلك ، يحكم بها من الصواب ناحية ، ويحرز من الرأى جانباً ، وهى تفتق له الذهن ، وتواتيه بالمعرفة الصحيحة على ما يأخذ فيه ، وتخرج له البرهان وإن كان فى طبقات الأرض وتنزل عليه الحجة وإن كانت فى طباق السماء ١١ .
وبما يدور حول هذه المعانى ما كتبه الأستاذ المراضى فى مقدمة كتاب « الإسلام والطب الحديث » لعبد العزيز إسماعيل وكنت أوشر أن أنقل بعض حديثه لولا أنه ليس تحت يدى الآن .

على أن هذه الدعوة المخلصة إلى النظر فى كتاب الله على ضوء من العلم الحديث يجب أن ننتفع انتفاعاً واعياً بما اصطدمت به عند التطبيقات الأولى فى الغابر والحاضر من أخطاء لتحديد عنها فى دورها التطبيقى الجديد ، فنحن نجد أن تفسير الفخر الرازى قد أثقل إثقالاً بالآراء الكونية والعلبية التى فاض بها القرن الخامس من الهجرة . فجاء فى كثير من صفحاته بعيداً عن الجو القرآنى حتى قال فيه بعض الباحثين : إنه يجمع كل شئ . غير تفسير القرآن !! وأنا أعتقد أن الرازى قد كتبه لخاصة تلاميذه فأنخمه إلتخاماً حال دون ازدهاره بالقياس إلى غيره ، على جودة حكمه وصائب رأيه ، كما

لا تعرف النظر العلى فنحن نرد عليه بأنه لم ينزل لأمة واحدة أو قرن واحد ، بل نزل لجميع الأمم فى شتى القرون المتعاقبة ليأخذ كل جيل من هديه ما يناسب استعدادة الذهني والنفسى ، ولن يضير النهر المترقق أن يرتوى منه غلام ناشئ أو شاب مكتمل ، ولن تجد حجة لمن يدعون تناقض العلم واضطرابه لأننا فى هذا التفسير المرتقب لن نأخذ بغير اليقين الثابت بما صححته الأجيال المتعاقبة دون أن نكر عليه بالنقض والتفنيد ، وسنتمسك بالقيود الملزمة التى فرضها العلماء على أنفسهم وسجلناها مركزة فى صدر هذا المقال ، وقد التفت المرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعى إلى هذه الناحية من الإعجاز العلى ، فأيد مذهب إليه العالم التركى مختار باشا فى كتابه « سرائر القرآن » ، ونقل قدراً منه فى الجزء الثانى من تاريخ أدب العرب (١) ، ثم قال الرافعى (٢) .

ولعل متحققاً لهذه العلوم الحديثة لو تدبر القرآن الكريم وأحكم النظر فيه ، وكان بحيث لا تعوزه أداة الفهم ولا يلتوى عليه أمر من أمره ، لاستخرج منه إشارات كثيرة تومئ إلى حقائق العلوم وإن لم تبسط من أنبائها ، وتدل عليها وإن لم تسمها بأسمائها ، بلى ،

(١) ص ١٢٧ ط سنة ١٩٥٣

(٢) ص ١٢٥ ط ٣ سنة ١٩٥٣

الجامدون من تحريمه له ، أو صده عنه ، فهو لم يعن ببيان معاني الآيات كلها ، وما فيها من الهدى والأحكام بقدر ما عنى من سرد المسائل العلمية وأسرار الكون ونجائبه ، ولا يمكن أن يقال : إن كل ما أورده فيه يصح أن يسمى تفسيراً له ، ولأنه مراد الله تعالى من آياته ، وما أظن أنه هو يعتقد هذا) اه وإن ما وجه إلى المتبحرين في مسائل الفلسفة والعلم لأدنى مناسبة واهية كالفخر الرازي والشيخ طنطاوى جوهرى من ناحية ، وإلى المتكلفين أوجه التأويل عن طريق الكناية والمجاز من ناحية ثانية ، ليدعونا دعوة صادقة إلى أن تتجنب كل خطأ وقع فيه أولئك وهؤلاء ، حتى يكون التفسير المنتظر صائب النظر صادق الإقناع . فيشفي النفوس المريضة ويرشد الأبصار الحائرة ويدعو إلى صراط مستقيم؟.

محمد رجب البيومي

نجد أن المسألة قد كررت في صورة مكبرة مجوفة حين جاء الأستاذ طنطاوى جوهرى - رحمه الله - فحلاً لتفسيره الضخم بمئات الصفائف العلمية التي تتحدث عن مظاهر الكون حديث الكيمياء والطبيعى والفلكى والجغرافى والنباتى ، فهو يتميز كلفة عابرة كالرعد أو الأرض أو النحل أو النمل ليفيض في دقائق علمية تعرض خواص هذه الأشياء دون أن تدعو إليها حاجة التفسير المعقول للكتاب الكريم !! وقد انتقده صاحب المنار السيد محمد رشيد رضا تليحاً في مقدمة الجزء الأول من التفسير ، وتصريحاً في مجلة المنار (١) حيث يقول عنه من حديث طويل : « ثم توسع المؤلف بوضع هذا التفسير الذى يرجو أن يجذب طلاب فهم القرآن إلى العلم ، ومحبي العلم إلى هدى القرآن في الجملة ، والإقناع بأنه بحث على العلم لا كما يدعى

(١) مجلة المنار شعبان سنة ١٣٤٨ هـ .

حق الأمة لا يورث . . !

خطب الخليفة العادل عمر بن العزيز الناس أول جمعة ولى فيها أمر المسلمين فقال : « أيها الناس . إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأى كان منى فيه ، ولا طلبه له ، ولا مشورة من المسلمين . وإني قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى . فاختراروا لأنفسكم ، فقال الناس : يا أمير المؤمنين ، قد اخترناك ، ورضيناك . فل أمر المسلمين باليمن والبركة ، ، وهكذا رد عمر بن عبد العزيز أمر المسلمين إليهم ، وأثبت أن حق الأمة لا يورث . . !

جَامِعَةُ الْقُرَوِيِّينَ

بين الماضي والحاضر

للاستاذ أسعد حني

تطورها بالقادة والعلماء والمرشدين الروحانيين
طوال القرون الماضية .

* * *

وتاريخ جامعة القرويين بالذات يرتبط
أوثق ارتباط بتاريخ مدينة فاس ، التي
كانت منذ إنشائها عاصمة للدولة المغربية في عهد
الآدالسة ومن خلفهم إلى مستهل القرن الهجري
الحالي ، حيث أخذ الاستعمار يتسلل إليها .
وقد سارت هذه الجامعة في تاريخها الطويل
العامر ، ككل كائن حي ، تنهض وتنمو آنأ ،
وتجمد وتتعثر آنأ آخر . . . ولكن الأمر
الذي لا يمكن أن ينسكه أحد عليها ، أنها
ظلت - في كل الأحوال - تحمل علم الدراسات
الإسلامية وما يتصل بها عن جدارة ، في هذا
الجزء الهام من وطننا العربي الكبير . واستطاعت
أن تثبت حقاً أنها منارة الهدى والعرفان ،
وأساس الارتكاز الروحي عند المسلمين كافة
في المغرب العربي .

والفصول الأولى لقصة إنشاء القرويين ،
تبدأ - كما يجمع المؤرخون - مع هجرة ثمانمائة

مرت بدنيا العرب والمسلمين - في منتصف
ربيع الآخر - ذكرى من أجدد ذكرياتهم
التاريخية . . إذ احتفل في المغرب العربي رسمياً
بمرور ١١٠٠ سنة على إنشاء «جامعة القرويين»
في مدينة فاس .

وجامعة القرويين هي أقدم جامعات العالم
على الإطلاق ^(١) . ويعزى إليها - وإلى
شقيقتها : «الزيتونة» في تونس ، و«الأزهر
الشريف» في القاهرة ، أكبر الفضل في نشر
الإسلام الحنيف والحفاظ على تعاليمه السمحة
وحماية لغة القرآن وآدابها والعمل على إثرائها
في جميع فروع المعرفة . . . بالإضافة إلى
ما قامت به هذه الجامعات الإسلامية الكبرى
من تزويد شعوبنا العربية خلال مراحل

(١) هذا الحكم يجانب الحق لأن مسجد القرويين
لم يتحول إلى جامعة للتدريس إلا سنة ٥٣٨ هـ كما ذكر
الاستاذ الكاتب ، أما الأزهر فبدى لتدريس الفقه
والعلوم في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري .
وعلى ذلك تكون الجامعة الأزهرية أقدم جامعات
العالم على الإطلاق . (المحرر)

« مريم » ، في بناء مسجد « الأندلس » ، في شرق المدينة . وبدأت « فاطمة » ، في بناء مسجد « القرويين » ، في جنوبها . وكان ذلك في يوم سبت - وهو يصادف غرة رمضان من سنة

٢٤٥ الموافق ٣٠ نوفمبر من سنة ٨٥٩ - أى منذ ألف ومائة سنة كاملة وهو المسجد الذى عرف بعد ذلك باسم « جامعة القرويين » . ولقد كانت الطريقة التى سلكها البناءون فى البناء أنهم التزموا أن يأخذوا كل حاجتهم من الرمال والحجارة من نفس البقعة دون غيرها . كما أنهم عثروا على عين ماء غزيرة تجاوز الموقع الذى اختير لإقامة المسجد . وكان ذلك كله تحرياً من المشرفين على البناء كي لا تدخل فى بناء المسجد شبهة - على ما يقول « ابن أبى زرع » ، فى كتاب « الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى » . وظلت « فاطمة » صائمة منذ أن شرع فى بنائه ، إلى أن تم واكتمل وأقيمت فيه الصلاة .

* * *

وقرويين الأمازيغ ، ليست هى قرويين اليوم . . . إذ لم تكن القرويين عند نشأتها الأولى ، تشتمل إلا على أربع صحون وعلى محراب وفناء غرست فيه بعض الأشجار . . . وحينما بنيت لم تكن بها حلقات للدرس كما أصبحت فيما بعد ، بل كانت مجرد مسجد يحضره الناس الذين يؤدون فيه صلاة الجمعة ،

عائله أندلسية ، تبعها هجرة ثلاثة آلاف عربى من القيروان بتونس ، إلى مدينة فاس ، واتخاذهم لها وطناً ثانياً فى أوائل القرن الثالث للهجرة .

وقد استقر المغتربون من الأندلس فى شرق المدينة بضاحية عرفت فيما بعد ، باسم « عدوة الأندلسيين » . أما المغتربون من القيروان ، فقد استقر بهم المقام فى الجهة المقابلة بضاحية على الضفة اليسرى كانت تسكنها القبائل ، وسميت أيضاً باسم « عدوة القرويين » ،

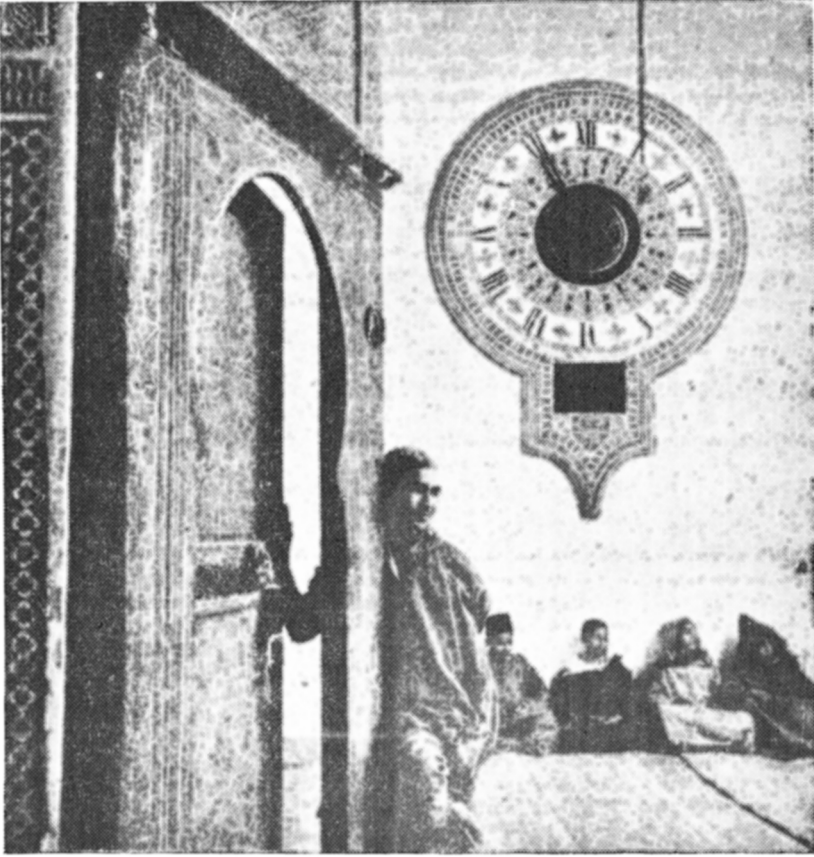
وكان بين المغتربين التونسيين رجل ورع ، يعيش فى بسطة من الرزق بسبب ما حمله معه من المال ، هو « محمد بن عبد الله الفهرى القيروانى » . وقد توفى عقب فترة وجيزة من وصوله إلى فاس . وخلف ثروة طائلة لابنته « فاطمة أم البنين » ، وشقيقتها « مريم » .

وعقدت الشقيقتان العزم على إنفاق جزء كبير مما ورثاه عن أبيهما فى بناء مسجد يخلد اسم أسرتهما واسم البلاد التى نزحتا منها . وكان من أهم الدوافع لها على ذلك عليهما بحاجة الناس الملحة فى كل « عدوة » من فاس إلى مساجد يؤدون فيها الصلاة ، نظراً لضيق المسجدين القديمين القائميين فيها بالناس .

ولم يطل تفكير الشقيقتين ، فشرعت

وكانت الفسكرة في إنشائها — كما يروى
 د أبو الحسن علي الجزنائي، في كتابه د زهرة
 الآس في بناء مدينة فاس، — هي ضيق
 المساجد التي يصلى فيها أهل العدو وافتقارهم

يتشددون كثيراً في منع الناس من القراءة
 والتدريس في بيوت الله، ويحظرون على كل
 فرد أن يمارس أى شىء بالمساجد غير شعائر



بعض الطلاب في جامعة القرويين وقد جلسوا تحت الساعة التاريخية ينتظرون أستاذهم

إلى مسجد جامع يلم شعهم ويجمع شتمهم العباد، عملاً بقوله تعالى: د فإذا قضيت
 وتلقى من فوق منبره الخطبة الرسمية . الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من
 وكان علماء فاس — في ذلك العهد — فضل الله .

ولقد تطلب تزايد عدد السكان واتساع نطاق المدينة إدخال إصلاحات جمة على مباني القرويين القديمة واستحداث مبان وصحون مؤلف كتاب « القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس » . وكان من أوائل الذين لهم فضل السبق في



جانب من مدخل القرويين ويشاهد فيه إلى جانب النقوش البديعة عدد من الساعات أهديت من ثروة الشعب .

جديدة ألحقت بها ... فلم يكف ينقضى إلا نحو قرن حتى أصبحت مساحتها أربعة أضعاف ما كانت عليه بعد بنائها . كما ذكر الخليفة عبد الرحمن الأموي الذي أسهم بمال كثير في تجديده ، وكان شديد الشغف بالمباني

الآفاق عدداً كبيراً من العلماء الأجانب من أنحاء أوروبا ومنهم الرحالة «جيريريتا» والبابا «سلفستر» الذى نقل الأرقام العربية إلى الغرب ، كما نقل نظريات الفقه الإسلامى واستخدمها فى تطوير القانون الرومانى ، وكثير غيرهم من العلماء الأوربيين الذين توافدوا على مر السنين - على القرويين - للإفادة من خزانها التاريخية المملوءة بالمؤلفات والكتب والمخطوطات النفيسة النادرة ، فى مختلف فروع العلوم والمعرفة ، وأطلعوا العالم بعد عودتهم إلى بلادهم على الحضارة التى تغمر البلاد الإفريقية والمغرب العربى بنوع خاص !

• • •

ولعل أزهى عهد تحقق فيه للقرويين ما كانت تصبو إليه من أسباب النمو والتقدم ، كان عهد السلطان «أبى عنان المرينى» ففيه أنشأت الجامعة أضخم مكتبة مزودة بالمخطوطات النادرة ، وشيدت مساكن خاصة للطلاب الذين يردون عليها من أطراف البلاد ، كما أجرى السلطان عليهم «جرايات» شهرية تسكفهم ليتفرغوا لطلب العلم . . . كما كان للعلماء دور خاصة لسكنائهم ، وخدم معينون يوفرون لهم كل وسائل الراحة حتى يستطيعوا التوفر على إداء رسالتهم نحو طلابهم على أكمل وجه .

والمنشآت ، وكذلك السلطان على بن يوسف ابن تاشفين ، وغيرهما من الأمراء الذين عملوا على توسعة رقعته بشراء الأملاك والأراضي المجاورة له وضماها إلى القرويين ، حتى صار أعظم مسجد فى أفريقيا الشمالية ، وبدأت مع حلول سنة ٥٣٨ هجرية ، تعقد فيه حلقات التدريس فى علوم الفقه والشرعية على أيدي علماء أجلاء وفدوا من القيروان ونقلوا معهم جل العلوم الدينية ، وإليهم يعزى الفضل فى تحقيق هذه الخطوة التى تأخرت قرنين أو يزيد !

* * *

وتدور عجلة الأيام دوراتها السريعة ويزداد ازدهار القرويين فى عهد المرابطين الذين بنوا فيها للعلم أمجاداً وصوراً شاحخة خلدها التاريخ . واستطاعت الجامعة أن تخرج عظاماً وعلماء أحالوا المغرب فى مدى قصير من «دويلة» كانت تنهوى من الضعف ، وأمة يشيع فيها التأخر والجهالة ، إلى دولة يحكمها دستور السماء الكريم الذى أنزل على محمد عليه السلام .

وظلت القرويين معهد دراسة وعلم ، وتخرج فيها ملايين من المغاربة فى أجيال مختلفة . وظلت على مر القرون حصناً للعروبة والإسلام . واجتذبت شهرتها التى طبقت

ويزدان تاريخ الحركة الوطنية في المغرب
بأنصع الصفحات التي سجلها كفاح علماء
القرويين وطلابها ضد القوى الاستعمارية...
ودورها في تحرير المغرب يماثل تماما دور
الأزهر الشريف في ثورة سنة ١٩١٩
وما بعدها . . .

ويبلغ الآن عدد طلاب القرويين حوالى
سنة آلاف طالب . ولها فروع تتمثل في
المعاهد الدينية المنتشرة في أنحاء المغرب ،
سواء في «تطوان» أو «طنجة» أو «مراكش»
أو منطقة «سوس» . . . على أن مجموع
طلاب هذه المعاهد يناهز ثلاثين ألفاً .

هذه هي «جامعة القرويين» التي ظلت عبر
القرون الطويلة معقلا للتراث الإسلامى
والحضارة العربية ، في شمال إفريقيا . . .
إن فضل بقاء هذه البلاد الشقيقة على صيغتها
العربية الإسلامية ، يرجع إلى هذه الجامعة .
ويرجع أيضا إلى المعاهد الدينية الإقليمية
التي تغذيها هذه الجامعة بالعلماء والأساتذة
والمرشدين الروحيين الذين انتشروا في كل
مكان من بلاد المغرب ينشرون رسالة العروبة
ورسالة الإسلام ! !

أسماء

وكان علماء القرويين من أغنى طبقات
الشعب، بسبب ما كان يسبغه عليهم الملوك من
الهدايا وما يجرونه عليهم من الرواتب الضخمة !

* * *

واستمرت جامعة القرويين تقوم بواجبها،
في حرية تامة . . . إلى أن ابتلى المغرب
بالاستعمار الفرنسى ، وأوجس الفرنسيون
منها خيفة . . . أرادوا في مبدأ الأمر أن
يوصدوا أبوابها أمام الطلاب ، أو يحددوا
عددهم ، زاعمين أن في ذلك ترقية للبلاد . . .
ولكنهم اصطدموا بمعارضة شديدة . . . إذ
فطن «المولى يوسف» الجالس على عرش
البلاد لغرض المستعمرين من ذلك . . وأدى
الصراع بينه وبينهم إلى انتباه جماعة من العلماء
واتجاههم إلى بعث الحركة السلفية ومحاربة
الجمود ، وتطوير الدراسات لتساير روح
العصر . . وكانت الخطوة الإيجابية لتحقيق
ذلك الغرض ، عندما عين جلالة الملك محمد
الخامس في سنة ١٩٣٧ ، الأستاذ محمد
الفاسى ، وهو من علماء القرويين ، ومن
الذين استكملوا دراستهم في جامعة باريس ،
مديراً للقرويين فأدخل العلوم العصرية واللغات
الأجنبية في مناهج التعليم ، إلى جانب المواد
الدينية ، كما أنشأ قسماً خاصاً بالقرويين لتعليم
الفتيات ، وقد تخرجت فيه إلى الآن عشرات
منهن يحملن شهادة «العالمية» !

البرق الساطع في المنصورة

للدكتور عبد الحليم محمود

« وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ،

إذا عدنا إلى أواخر النصف الأول من القرن السابع الهجري ، وذهبنا بخيالنا نرتاد أرجاء مدينة المنصورة ، رأينا ظاهرة لا عهد لمن مارسوا الحروب الحديثة برؤيتها إلا نادراً ١١ .

تلك هي ظاهرة الإيمان والثقة المطلقة بالله : إنه من الطبيعي أن تكون مدينة المنصورة في حركة لا تهدأ ، إنها الحرب ، والمصريون يستعدون لملاقاة العدو المغير الذي احتل دمياط ، ويحاول التغلغل في البلاد بالاستيلاء عليها .

الاستحكامات تقام ، والمؤن ترد ، والجيش يتوالى وترتب ، والأوامر تصدر في حزم وثبات . والظاهر يبهرس لا يكاد يغمض له طرف ، ولا يذوق النوم إلا غراً . وفي جانب آخر لويس التاسع ملك فرنسا يقود الجيوش الجرارة من الصليبيين ينازل

وبين موقعة المنصورة وغزوة الخندق تشابه في بعض النواحي : وفي كل منهما أتى الشرك بكل ما يملك وبكل ما يستطيع من عتاد ومن عدد يقضى على التوحيد في عقر داره :

فقد اقتحم الشرك الأول حرم مدينة الرسول وحاصرها ، أما الشرك الثاني فقد اخترق الحدود وتغلغل في البلاد ، واحتل بعضها ، حتى وصل إلى أطراف المنصورة !!

سراقة ، ومجد الدين الإخيمى ، وأبو الحسن الشاذلى ، وغيرهم من خيرة العلماء .

لم يستقر هؤلاء العلماء فى دورهم البعيدة عن الخطر ، وإنما هبوا جميعاً للجهاد فى سبيل الله ، لقد هاجروا إلى المنصورة ليكونوا بين المجاهدين ، ورغم أن العارف بالله أبا الحسن الشاذلى كان فى آخر حياته ، وكان قد كف بصره ، فإنه كان فى مقدمة الداهيين إلى المنصورة ١١١١ .

هاهم أولئك العلماء بسمتهم الملائكى ، ويأيمانهم الذى لا يتزعزع ، يسرون وسط الجند ، يحثون ويشجعون ، ويرشدون ، ويذكرون بالله ، ويبشرون - كما وعد الله - يأخذى الحسنين : النصر أو الجنة ، وإذا لزم الأمر عملوا مع العاملين . ولقد كان مجرد سيرهم فى الحواري والشوارع تذكيراً بالنصر أو الجنة ، وكان حفزاً للهيم ، وتثيلاً للإيمان ، وتأكيذاً لصورة الجهاد الإسلامية التى قادها فى عصور الإسلام الأولى رسول الله صلوات الله عليه ، وخلفاؤه الراشدون ، رضوان الله عليهم .

حتى إذا اطمأنوا إلى الأسباب والوسائل المادية الظاهرة ، والمعنوية الباطنة ، وحتى إذا ما جهنم الليل ، اجتمع هؤلاء الأعلام فى خيمة من خيام المعسكر - نعم فى خيمة من خيام المعسكر - يتجهون إلى الله بصلاتهم

وفى كل منهما كان المسلمون - رغم رؤيتهم للخطر المحدق بهم - ثابتى الجنان ، مؤمنين كل الإيمان بنصر الله ، مطمئنين إلى قضائه . وإذا أردنا تعليل هذه الثقة فى الله عند المسلمين فى غزوة الخندق ، فتعليلها سهل واضح : لقد كان على رأسهم رسول الله ، وفيهم أبوبكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وكبار الصحابة ١١ وهؤلاء - لثقتهم المطلقة فى الله - يعيشون - بطريق التأسي - الثقة فى نفوس الآخرين ١١ .

أما فى واقعة المنصورة ، فإن تعليل الثقة والإيمان والاطمئنان الذى كان يسود إذ ذاك ، ويسيطر على قلوب المجاهدين الأبطال ، ويبعث فيهم الجد والنشاط ، وتحمل التعب والسهر ليلاً والعمل نهاراً ... أقول : إن تعليل ذلك ليس بالأمر الهين على من يقرأ التاريخ على أنه ساسة مدنيون وقواد حربيون ، وجنود تزيد أو تقل فى العدد . إذا نظرنا إلى التاريخ بهذا المنظار ، فإن تعليل هذه الظاهرة فى موقعة المنصورة لا يتيسر ولا يستقيم .

وحقيقة الأمر أن مصر إذ ذاك كانت تضم بين أركانها نخبة ممتازة من العلماء الدينيين الذين أخلصوا جهادهم لله وحده ، فلم تغرم الدنيا بزخرفها وزينتها .

كان فى مصر إذ ذاك العزيز عبد السلام ، ومجد الدين القشيري ، ومحيى الدين ابن

ودعائهم ، يلتمسون منه النصر ، فإذا ما فرغوا من ذلك أخذوا يتدارسون كتابا من الكتب ١١١ .

لقد كانوا يتدارسون ، في إحدى الليالي ، الرسالة القشيرية : تقرأ عليهم وهم يسمعون ويشرحون ١١١ .

ماذا كانوا يقرءون ؟ أكانوا يقرءون باب الفتوة ؟ أم كانوا يقرءون باب الحرية ؟ أم كانوا يقرءونها في تتابع مبتدئين من أولها ؟ كانت تقرأ عليهم ويشرحون ، وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي صامتا يستمع ، فلما فرغوا طلبوا إليه - وهو من أعلام هذا الميدان - أن يتحدث ، وألحوا في الطلب ، فسكت الشيخ فترة ، ثم تسكلم ، في انطلاق وفي قوة ، وفي روحانية لا يمكن التعبير عن وصفها ، بأسمى من كلمة الشيخ عز الدين بن عبد السلام الذي قال لأصدقائه وزملائه ، حينما سمع أبا الحسن يتحدث .

« اسمعوا هذا الكلام الغريب ، القريب العهد من الله ، ولا يقدر هذه الكلمة حق قدرها إلا من يعرف من هو العز بن عبد السلام ! ! »

« الكلام الغريب ، لأنه ليس مأخوذاً من الكتب ، ولا محرراً في الأسفار ! ! »

« القريب العهد من الله ، لأنه إلهام الساعة وروحى الزمن الراهن ! ! »

وشغل أبو الحسن بأمر المسلمين ، فكان ليله ونهاره مشغولا بالله في أمرهم حتى إذا ما أخذته سنة من النوم في ليلة من الليالي ، رأى فيما يراه النائم ، رؤيا تتعلق بحالة المسلمين في المنصورة ، ومن هذه الرؤيا : ما حكاه صاحب كتاب « درة الأسرار » قال :

« قال الشيخ أبو الحسن : كنت بالمنصورة فلما كانت ليلة الثامن من ذى الحجة ، بت مشغولا بأمر المسلمين وبأمر الثغر ، وقد كنت أدعو الله وأضرع إليه في أمر السلطان والمسلمين ، فلما كان آخر الليل ، رأيت فسطاطا واسع الأرجاء ، عاليا في السماء ، يعلوه نور ويزدحم عليه خلق من أهل السماء ، وأهل الأرض عنه مشغولون ، فقلت : لمن هذا الفسطاط ؟ فقالوا الرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فبادرت إليه بالفرح ، ولقيت على بابه عصابة من العلماء والصالحين نحواً من السبعين ، أعرف منهم الفقيه عز الدين بن عبد السلام ، والفقيه مجد الدين مدرس قوص والفقيه الكمال ابن القاضي صدر الدين ، والفقيه المحدث محي الدين بن سراقه ، والفقيه عبد الحكيم بن أبي الحوافز . ومعهم رجلان لم أعرف أجمل منهما ، غير أني وقع لي ظن في حالة الرؤيا : أنهما الفقيه زكي الدين عبد العظيم المنذرى المحدث ، والشيخ مجد الدين الإخيمى ! ! »

وإذا كانوا يقرءون ؟ أكانوا يقرءون باب الفتوة ؟ أم كانوا يقرءون باب الحرية ؟ أم كانوا يقرءونها في تتابع مبتدئين من أولها ؟ كانت تقرأ عليهم ويشرحون ، وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي صامتا يستمع ، فلما فرغوا طلبوا إليه - وهو من أعلام هذا الميدان - أن يتحدث ، وألحوا في الطلب ، فسكت الشيخ فترة ، ثم تسكلم ، في انطلاق وفي قوة ، وفي روحانية لا يمكن التعبير عن وصفها ، بأسمى من كلمة الشيخ عز الدين بن عبد السلام الذي قال لأصدقائه وزملائه ، حينما سمع أبا الحسن يتحدث .

« اسمعوا هذا الكلام الغريب ، القريب العهد من الله ، ولا يقدر هذه الكلمة حق قدرها إلا من يعرف من هو العز بن عبد السلام ! ! »

« الكلام الغريب ، لأنه ليس مأخوذاً من الكتب ، ولا محرراً في الأسفار ! ! »

« القريب العهد من الله ، لأنه إلهام الساعة وروحى الزمن الراهن ! ! »

ونصر الله المسلمين نصرا مؤزرا ، وأسر
الملك لويس ، وأسر الكثيرون من قواده ،
وأشاد الشعراء بهذا النصر :
ومن قصيدة مشهورة لابن مطروح :
نقتطف مايلي : قال يخاطب لويس :

وكل أصحابك أودعتهم
بحسن تدبيرك بطن الضريح
سبعون ألفا لا يرى منهمو
إلا قتيل أو أسير جريح
وقل لهم إن أزمعوا عودة
لأخذ ثأر أو لفعل قبيح :

دار ابن لثمان على حالها
والقيد باق والطواشي صبيح
ولسنا هنا بصدد تأريخ هذه الموقعة
الحربية ، وما أردنا مما سبق ، إلا أن تلقى
ضوءاً واضحاً على اشتراك أبي الحسن
الشاذلي في الجهاد ، رغم أنه كان
يعتذر له عن التخلف لكبر سنه ، ولأنه قد
كف بصره ، ولكن أبا الحسن لا يتخلف
عن فرض ، وما كان يتأني له أن يتخلف عن
مؤازرة المسلمين .

هذه الصورة نضعها أمام أنظار علماء
المسلمين في العصر الحاضر ، وأمام رجال
التصوف الإسلامي ، لعل فيها لهؤلاء
وأوائك ذكرى كريمة ومثلاً يحتذى !! ؟

الدكتور عبد الحليم محمود
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

وأردت أن أتقدم لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فألزمت نفسي التواضع والأدب
مع الفقيه ابن عبد السلام ، وقلت : لا يصلح
لك التقدم قبل عالم الأمة في هذا الزمان ؛ فلما
تقدم وتقدم الجميع ، ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يشير إليهم يمينا وشمالا : أن اجلسوا
وتقدمت ، وأنا أبكي بالهم وبالفرح . أما
الفرح فمن أجل قربى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالنسب ، وأما الهم فمن أجل المسلمين
والشعر ، وهم طلبي إليه صلى الله عليه وسلم
فقد يده حتى قبض على يدي ، وقال : لا تهتم
كل هذا الهم من أجل الشعر ، وعليك
بالنصيحة لرأس الأمر — يعني السلطان —
فإن ولي عليهم ظالم فما عسى ؟ ! وجمع أصابع
يده الخمسة في يده اليسرى كأنه يقلل المدة .
وإن ولي عليهم تقى فد الله ولي المتقين ،
وبسط يده اليمنى واليسرى . وأما المسلمون
فحسبك الله ورسوله وهؤلاء المؤمنون — أي
العلماء والفقهاء والصالحون الذين بالجلوس —
وقال : د ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا
فإن حزب الله هم الغالبون . . وأما السلطان
فيد الله مبسوطه عليه برحمته ما والى أهل
ولايته ، ونصح المؤمنين من عباده ؛ فانصحه
واكتب له وقل في الظالم عدو الله قولا بليغا :
د واصبر إن وعد الله حق ، ولا يستخفك
الذين لا يوقنون . .
فقلت : نصرنا ورب السكعبة ، وانتهت .

تأليهية القرن الثامن عشر

وهل معنقدوها مؤمنون؟

للدكتور محمد غلاب

- ٢ -

الطبيعة إلهام مهندساً دقيق التنظيم ينتج ويحفظ في الكون نظاماً جديراً بالإعجاب ، ولكنها تأتي أن تقر إلهام يمكن الإنسان من المقدرة على الخطيئة وعلى قلب النظام ، وإنما الإله في رأيها هو الطبيعة أى في تلك العجائب التي يحلمها علماء الكائنات الحية والطبيعيون ، وليس في النفس البشرية مع أحاسيس الخطيئة ومع السقوط أو الغوث والعناية الربانية التي تصحب تمثل الإله في النفس الإنسانية . ومعنى هذا أن التأليهية تدع للإنسان العناية بمصيره الخاص .

التأليهية الانجليمية :

غير أن هذا التناظر بين التأليهية العقلية والمسيحية لم يكن مفهوما دائماً في النقاش الذي كان يدور بين معتققيهما . وهنا ينبغي أن نسجل أن المدافعين عن المسيحية من الانجلاز كانوا قد تأثروا بروح العصر فأنحازوا إلى صفوف الفسك ولم يعودوا يعارضون ادعاءات العقل الإنساني على

قبل أن نستعرض الصور المختلفة للتأليهية في إنجلترا وفرنسا وألمانيا في القرن الثامن عشر ، ينبغي أن نعيد إلى الأذهان هذا الوصف المحدد الدقيق الذي سجله ذلك الأسقف الشهير ، والمفكر الخطير « فينيلون » والذي يقول فيه : « مما يشرف المؤلهين أنهم يعترفون بإله خالق نهر العيون حكمته الممثلة في أفعاله ، ولكن هذا الإله في رأيهم لا يكون حكيماً ولا خيراً لو أنه كان قد منح بني الإنسان حرية التصرف أى القدرة على الإثم والابتعاد عن الغاية المثلى ، وقلب النظام ، والضلال الأبدي ... ولا جرم أن المؤلهين - بهذا المذهب الذي ينتزع من الإنسان كل حرية واقعية - يتخلصون من كل جدارة وكل ذم وكل عقاب أى أنهم يعجبون بالإله دون أن يخشوه ، ويحيون بلا وازع تحت سلطان أهوائهم . من هذا يتضح أن التأليهية قد قدمت عن الإنسان فكرة لا تتفق البتة مع فكرة الأديان الموحدة ، إذ أن تلك التأليهية لا تزيد على أنها قد استكشفت من خلال

إزالة تلك الحدود والحواجر العائقة للاتفاق. ومن آيات ذلك أن شردمة منهم كتوماس شوب وتوماس مورجان كانت تقدر أن المسيحية الأولى أو التعاليم المسيحية الأصيلة - قبل أن تختلط ببدع اللاهوتيين المتأخرين - كانت تعاليم للحقيقة الأساسية شبيهة بتعاليم سقراط ، وأنها كانت تمثل الدين الطبيعي الحقيقي المشترك بين جميع بني الإنسان . وفي هذا يقول أشهر المؤلّفين النظريين : « ما يتوتا اندال ، (١٦٥٦ - ١٧٣٣) : « إن الدين الطبيعي والوحي الظاهري متجاوبان تماما دون وجود أى فارق بينهما غير الطريقة التي اتصلا بها ، (١) .

ولا ريب أن هذا النوع من الخلط بين الدين المنبثق من المعرفة الفلسفية والوحي المسيحي ، ذلك الخلط الذي هو الطابع المميز للتألفية الانجليزية ، قد اتخذ أشهر صورته على يدى الشاعر الانجيزى الكبير « بوب ، (١٦٨٨ - ١٧٤٤) الذى أطلق عليه اسم هو ميروس انجلترا والذى كانت صداقته مع المؤله « بولينبرك ، سببا فى أن يصير أحد مشاهير دعاة التألفية الانجليزية . ولقد نالت قصيدته الفلسفية الرائعة التى عنوانها « محاولة على الإنسان ، والتى ظهرت فى سنة ١٨٣٣ ، نجاحا كبيرا .

(١) انظر صفحة ٣٢٥ من الجزء الثانى من تاريخ الفلسفة تأليف الاستاذ إميل برهبيه .

الصورة التى رسمها له الفلاسفة أى بوصف أنه مقصور على معرفة الوقائع ، وغير قادر على الارتفاع إلى الموجود المفارق . ولقد كان جميع أولئك المدافعين من أنصار ذلك الدين الطبيعى الذى برهن عليه ذلك العقل الفلسفى ، وإن كان هذا الإجماع يشوبه شيء من التفاوت فى درجات الإيمان : ومن ثم فإنهم كانوا جميعاً متفقين فى غاية واحدة هى التدليل على أن الدين الطبيعى - إذا فهم على حقيقته - ينتهى قطعاً إلى الدين الموحى ، ومن أمثلة ذلك أن « شيرلوك ، أحد رجال اللاهوت الانجيزى ، يعلن فى إحدى مواعظه فى سنة ١٧٠٥ أن دين الإنجيل هو الدين العنصرى للعقل والطبيعة ، وأن تعاليمه هى التى تعرفنا الدين الطبيعى الذى هو قديم بقدم الخلق .

وإذن فقد كانت المناقشات فى إنجلترا تنحصر فى العلاقات الممكنة بين التألفية والمسيحية . ولهذا كثيراً ما يعثر الباحث بوجه عام على مشابهة بين التألفية الانجليزية والكتب المقدسة . وسر ذلك أن أكثرية المؤلّفين الانجليز كانت من بين المتضلعين فى الثقافة ، أو من الرواة ، وكلا الفريقين لا يستطيع إزدراء الوحي أو الاستغناء عنه ، فكانوا يقفون عند الحدود الفاصلة بين العقل والعقيدة ، ويبدلون جهوداً جبارة فى

مرتعدة ، وهى حساسية نفس لم ترض نهائيا عن القواعد التى يعلما عليها العقل ، والتى على أثر قولها لنفسها إنها مقتنعة ، تكون فى حاجة إلى الاقتناع من جديد ... ومن الممكن ألا يكون فى العالم شعر تعليمي ينتقش فى الذاكرات بصورة أكثر يسراً . فمن ذلك مثلاً : الإنسان يجب أن يقبل ، الإنسان يجب أن يسكتفى . الإنسان فى منزلة الدقيقة من الكون . الإنسان يجب أن يقر بوجود عقل أسمى من عقله سمو لا يتناهى ، وبأنه يجيد معرفة ما يعرف ، وبأنه يجيد عمل ما يعمل . الإنسان يجب أن يؤمن بوجود كائن أعلى لا يمكن أن يكون قد نظم العالم لغاية أخرى غير الخير العام .

وعلق الأستاذ پول هازار على هذا فيقول : إنها تأليهة شعرية ، تأليهة فى حالة التكوين . فتدأراد بوب أن يسبح بين أطراف المذاهب المتعارضة فى الظاهر ... وأن يؤلف - مستعيراً منها جميعها - مذهباً أخلاقياً يكون معتدلاً دون أن يكون غير صلب ، وقصيراً دون أن يكون غير كامل . ولكنه خليط غير صلب ، ذلك الذى نجح فى إنتاجه ، لأن النقص قد استكشف عنده بحق ، وثنية ، وحلولية ، وجبرية ، وكاثوليكية ، لأنه كان يتحدث عن حالة الطبيعة التى كانت فى أصلها سعيدة تماماً ، والتى فسدت ، وذلك ما يجعلنا نفترض الإيمان بالخطيئة العنصرية .

بيد أن هذا النجاح الباهر لم يمنع من أن يشتعل حول هذه القصيدة لهيب نقاش حاد شغل القارة كلها وآلم بوب إيلاماً شديداً . ولكي يتخلص من هذا الحرج أعلن أن مبادئه متفقة مع مبادئ باسكال وفينيلون وهما من أشهر مشاهير المتدينين ، ولم يكتف بهذا فى دفاعه عن نفسه بل نشر كدليل على برأته وسلامته عقيدته نشيداً عنوانه الصلاة العالمية ، جزم بأنه صورة أمينة لروح الإنجيل ولكنه كاد يخفق فى مشروع التهذبة لأن الإله الذى كان يدعوه ، كان هو أباً كل شئ ، وأنه قد وجد قبل الخلق ، كما كان هو الإله الذى عبده القديسون والمتوحشون والحكماء ، بلا أى تفريق ، وإن اسمه كان فى الوقت ذاته جيوثا وزوس والمسيح .

وهكذا لم يزد على أنه أثار العقول أكثر من ذى قبل ، وقد أطلقوا على نشيده اسم « صلاة المؤله » .

كانت قصيدته اعترافاً بالعقيدة وكانت صلاة ، وكان القارىء يعثر فيها على كل تعاليم بولينبرك تقريباً ، ولكن كم كانت فى مجموعها متباينة وعلى الأخص فى اللهجة . وكما كانت الفكرة ذاتها غير يقيينية ، ومضطربة .

لا تزال محاولة على الإنسان ، تؤثر فىنا رغم تغير ذوقنا ، لأننا نشعر فيها بحساسية

فرنسا هو جان جاك روسو .
والآن إليك الصورة الأولى التي رفع
فولتير لواها .

تأليهية فولتير :

يعرف المشتغلون بالحركة العقلية أن فولتير
لم يكن له مذهب فلسفي خاص ، وأنه لم يفعل
أكثر من أنه أذاع أفكار لوك ونيوتون
في صورة واضحة محددة ، وأنه كان ينزع
منها في أكثر الأحيان نتائج منطقية لم ينته
إليها ذاك المفكران الانجليزيان . ولا جرم
أن منشأ شهرته وخلوده ، هو أنه فهم وأفهم
الآخرين ذلك التعارض العنيف الذي وجد
بين النقطة التي قادت الفلسفة إليها العقل
البشري ، وطريقة التفكير والحياة لدى
أكثر بني الإنسان الذين رزحوا تحت إرهاق
الأوهام والجهل والإفراط . وما هو جدير
بالتسجيل هنا أن طموح فولتير كان يهدف
إلى التسامى بالحياة العقلية والدينية والخلقية
والاجتماعية عند معاصريه إلى مستوى
الفلسفة ، وأنه كان يعتمد في كل هذا على نور
العقل لا على التغيرات الباطنية للإنسان
الذي سيبقى دائما كما هو بسبب أنايته وأهوائه
التي لم تكن ضارة إلا بوساطة جهله وأوهامه .

وما هو غنى عن البيان أن المحيط الديني
يشغل أهم الأمكنة لدى ذلك الداعية المتحمس

وفي هذا يعلن توماس دوكانسيه : « أن
ذلك هو تحقيق الفوضى ، ويصرح تين بأنه
« مزيج من فلسفات متناقضة ، وبصفه لويس
كزاميان بأن « أقوى بحوثه الفلسفية - وهو
« محاولة على الإنسان » - مصنوع من
مطروقات محددة مزدانة بإلهامات عصرية ...
إنها لتأليهية غير نقية ، تأليهية كانت تقطن
فيها بضعة من عناصر المعرفة السيكلوجية
التي كان يراد بالضبط إقصاؤها . إنها كانت
مجهود إرادة ، أكثر منها يقينا عقليا ، وكانت
قبولا للسر (١) » .

التأليهية الفرنسية :

تتمثل التأليهية الفرنسية في صورتين مختلفتين
كل الاختلاف عن الصورة الانجليزية . فأولى
هاتين الصورتين فلسفية منبثقة عن العقل ،
ولكنها تتميز بعدائها العميق للمسيحية التي
تدبان مع مبادئها كل التباين . وهذا النوع
الذي ذاع في كل أنحاء القارة هو من إنتاج
فولتير .

أما الصورة الثانية التي لم تظهر إلا في النصف
الثاني من القرن الثامن عشر أي حين جعل
العقل ينهزم أمام نظرية الحساسة ، فإنها
يمكن أن تدعى بالتأليهية العاطفية ومبدعها في

(١) انظر صفحتي ١٥٠ ، ١٥١ من الجزء الثاني
من كتاب الف-سكر الأوروني في القرن الثامن عشر
قأليف الأستاذ بول هازار ترجمه الدكتور محمد غلاب .

من الشيع التي تتناقض كلها . ودينه أقدم
الاديان وأكثرها اتساعا لأن العبادة البسيطة
لإله ما ، قد سبقت جميع مذاهب العالم ،
وهو يتكلم بلغة تفهمها جميع الشعوب ،
في الوقت الذي لا تفهم فيه فيما بينها . وله
إخوة من يسكنين إلى كايين ، وهو يعد جميع
أحكام إخوة له . إنه يؤمن بأن الدين
لا ينحصر في آراء ميتافيزيقية غير قابلة
للتعقل . ولا في أجهزة عابثة بل ينحصر في
العبادة والعدالة .

كان فولتير إذن مؤمناً بوجود الله ولسكنه
لم يلح في التذليل على وجوده إلا من حيث
كونه علة غائية ، إذ يعلن أن هذه التحفة الفنية
التي هي الكون ، تقتضي وجود إله أزل أبدي
مهندس . ومعنى هذا أن إله فولتير هو إله
الطبيعة لا الإنسانية أي أنه إله يطلب منه
ضمان نظام الكون ، لا إنقاذ الإنسان لأن
هذا الأخير لم يكن قط في خطر ، وأن دينه
طبيعي لا يرى في الإله إلا منشأ حكيم لطبيعة
نافعة للإنسان . وإذن فتأليهته متعارضة مع
المسيحية . ومن ثم فإنه يسدد سهام المهاجمة
العنيفة إلى باسكال الذي - يوصف بأنه فيلسوف
مسيحي - يمثل بالنسبة إليه الخصم الأساسي .
ولقد ظلت عاطفة كراهية المسيحية تنمو عنده
شيئاً فشيئاً حتى ظفرت في شيخوخته بالسيادة
على كل ما عداها ، وجعل يعبر عنها بمغالة
(البقية على صفحة ٤٩٩)

للأفكار الجديدة التي ترى إلى اقتلاع الآراء
القديمة والحلول محلها .

ولما كان من أشياع الدين الطبيعي فإنه كان
في أوروبا كلها هو المؤله النظري الأول ،
وأنه هو الذي وضع القواعد المحددة للتأليهية
في « القاموس الفلسفي » تحت مادة المؤله
حيث قال ما نصه : « المؤله هو إنسان مقتنع
بوجود الكائن الأسمى الذي هو خير كما هو
قادر ، والذي كون الكائنات المتمددة والنامية
والحساسة والناطقة ، والذي يديم أنواعها ،
والذي يعاقب الجرائم بلا قسوة ، ويثيب
الأفعال الفاضلة بخيرية .

لا يعرف المؤله كيف يعاقب الإله .
ولا كيف يمنح الخطوة ، ولا كيف يصفح ،
لأنه ليس متهوراً ليتباهى بمعرفة كيف يعمل
الإله . ولكنه يعرف أن الإله يعمل ،
وأنه عادل . إن الصعوبات التي تنتصب ضد
وجود العناية ، لا تهزه في عقيدته ؛ لأنها
ليست سوى صعوبات كبرى ، وليست
براهين . إنه خاضع لهذه العناية لا يلح منها
إلا بضعة نتائج ، وبضعة ظواهر ، وبما أنه
يحكم على الأشياء التي لا يراها حسب الأشياء
التي يراها ، فإنه يعتقد أن تلك العناية تمتد
في جميع الأمكنة وجميع القرون .

ولما كان متحدا بهذا المبدأ مع بقية
الكون ، فإنه لا يكون عضواً في أية شيعه

جلال الدين السيوطي

للاستاذ حسن الشيخ

هو الحال الآن ، ثم ذكر لنا كيف كانت أحوال أبيه بعد قدومه إلى القاهرة . حيث درس على كبار الشيوخ علوم الفقه والأصول والكلام والنحو والإعراب والمعاني والمنطق والحديث ، ثم يقول (وأنقن علومًا جمة ، وبرع في كل فنونه . وأقر له كل من رآه في صناعة الإنشاء وأذعن له فيه أهل عصره كافة . بل كان شيخنا قاضي القضاة شرف الدين المناوي في أوقات الحوادث يسأله في إنشاء خطبة تليق بذلك ليخطب بها في القلعة ثم يقول عن والده من الناحية الخلقية :

وكان على جانب عظيم من الدين والتحرى في الأحكام وعزة النفس والصيانة ، يغلب عليه حب الانفراد وعدم الاجتماع بالناس . ثم عدد تأليفه في مختلف العلوم .

فقال :

وله من التصانيف حاشية على شرح الألفية لابن المصنف . ، وحاشية على شرح العنصر كتب منها يسيرا ، ورسالة في الإعراب وأجوبة على اعتراضات ابن المقرئ على الحاوي وله كتاب في التصريف ، وآخر في التوقيع . هذه خلاصة وافية لما كتبه الشيخ جلال في ترجمة والده ، وقد أسلفت أنه تركه بالموت

عالم جليل ، أملى على التاريخ آيات عبقريته بمحصوله العلي الذي قد يكون فيه منقطع النظر بين أقرانه ولداته ، وبتأليفه التي زادت في كثرتها عن كل ماله في آفاق التأليف والتصنيف .

ترجم الشيخ لنفسه ترجمة وجيزة في كتابه (حسن المحاضرة) فأغنانا بذلك عن كثير . وأقيم بحجى هذا على أربعة أسس :

الاول — تأثير سيرة والده فيه .

الثاني — بيئته العلمية وحالة الأزهر في أيامه الثالث — عبقريته .

الرابع — مؤلفاته .

والده وأثره في حياته :

ترجم الشيخ لو والده فقال : هو الشيخ كمال الدين أبو المناقب السيوطي ، الذي توفي وسن ولده جلال الدين ستة أعوام . وقد تأثر الولد بسيرة أبيه ميتا أكثر مما كان يتأثر بها حيا .

اشتغل ببلده أسويط وتولى القضاء قبل قدومه إلى القاهرة ، وهذا يدلنا على أن مدارسة العلم في هذه الحقبة لم تكن قاصرة على الأزهر وإنما كانت في كثير من عواصم البلاد . كما

الشئون - بعث الأزهر بعثاً جديداً بترميمه بعد التهدمة ، وبإعداده ليكون معهداً علمياً تدرس فيه العلوم الدينية ، كما تدرس فيه العلوم العقلية مثل (المنطق - آداب البحث والمناظرة) أما علوم التاريخ والجبر والمقابلة والإنشاء والأدب ، فلم يكن لها نظام معين تدرس به . فقد تدرس وقد لا تدرس ، وإذا رغبها طالب لم يرغب فيها طلبة .

لم يكن هناك مناهج ولا أوقات تضبط الدروس وتحدد أوقاتها . كما أن الطلبة كانوا أحراراً في كل شيء : في العلم الذي يختارونه . وفي الشيخ الذي يحضرون عليه ، هذه الحرية في التحصيل هي التي مكنت الرعيل الذي كان فيه السيوطي من الإجابة والإتقان والتبحر في مختلف أنواع العلوم والفنون . فكانوا أعلاماً ناهيين . أمثال السيوطي ، والعز بن عبد السلام ، والقرافي ، وابن هشام والسبكي وأبناؤه ، وزكريا الأنصاري وغيرهم :

كما كان الزهد في المال ، طابعاً للطلبة يقول العلامة ابن دقيق العيد :

لعمري لقد قاسمت بالفقر شدة

وقعت بها في حيرة وشتات

فإن بحث بالشكوى هتكت مروءتي

وإن لم أبح بالصبر خفت عمتي

وأعظم به من نازل بملة

يزيل حياتي أو يزيل حياتي

وهو في سن السادسة . فكيف - وهذه هي الحال - كتب ترجمة أبيه المتوفى ، وكيف تأثر بحياته ؟ .

لأنه لم يشاهد من حالات والده إلا حالة واحدة ساعده على مشاهدتها أنه كان يقوم بها في منزله . أما غير هائل يشاهده فيها . هذه الحالة هي التي حدثنا عنها بقوله :

« ... مواظبا على قراءة القرآن ، يختم كل جمعة ختمة ، ولم أعرف من أحـواله شيئاً بالمشاهدة إلا هذا ، .

وقد وجد عند والده كل آثاره العلمية والأدبية فحبه ذلك في الانقطاع لطلب العلم والأدب .

الأزهر في عهده :

ننتقل بعد ذلك إلى بيئة جلال الدين العلمية وحالة الأزهر وطلبته في عهده .

الحقبة التي انتسب فيها جلال الدين إلى الأزهر هي منتصف القرن التاسع الهجري .

وكان الأزهر في ذلك الوقت قد قطع في بعثه الجديد أشواطاً فإنه بعد أن عطله عن الحياة حساً ومعنى

- السلطان صلاح الدين الأيوبي ، أيزيل بذلك

كل أثر للفاطميين . واستبدل به مدارس

تدرس فيها المذاهب الأربعة - بعد هذا جاء

عهد السلطان الظاهر بيبرس من ملوك

الجزا كسة . فقد ولي هذا السلطان ملك مصر

عام ٦٥٨ هجرية وكان - أول ما عني به من

عبقريته السيوطي :

إذا لم يكن الشيخ قد حدثنا في ترجمته لنفسه عما يدلنا على عبقريته - فإننا نستطيع الحكم عليها من غزارة مادته العلمية، ووفرة مؤلفاته.

تحدث عن قوة حافظته فقال :

« حفظت القرآن ولى دون ثمان سنين . ثم حفظت العمدة ومنهاج الفقه والأصول وألفية ابن مالك ، حفظ كل هذه المحفوظات قبل أن ينقطع إلى طلب العلم بالأزهر كما حدثنا . وتحدث عن تبجره فى العلوم وتعمقه فى فهمها .

« ورزقت التبحر فى سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعانى ، والبيان ، والبديع ... والذى أعتقده أن الذى وصلت إليه من هذه العلوم السبعة - سوى الفقه - والنقول التى اطلعت عليها فيها لم يصل إليه ، ولا وقف عليه أحد من أشياخى ، فضلا عن هو دونهم ... ولو شئت أن أكتب فى كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها الفعلية والقياسية ، ومداركها ونقوضها وأجوبتها ، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله ... » . ويقول أيضا : « وقد كملت عندى آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى » .

ثم يقول فى مقدمة كتابه (المزهر فى علوم اللغة) .

« هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه ، واخترعت تنويعه وتبويبه ، وذلك فى علوم اللغة وشروط أدائها وسماعها ، حاكيت به علوم الأحاديث فى التقاسيم والأنواع ، وأثبت فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع ، وقد كان كثير من تقدم يلم بأشياء من ذلك ، ويعتق فى تمهيدها ببيان المسالك ، غير أن المجموع لم يسبقنى إليه سابق ، ولا طرق سبيله قبلى طارق » .

هذا ما كتبه الشيخ متفرقا فى ترجمته لنفسه ، وفى مقدمات بعض كتبه .

مؤلفات الشيخ :

يقول السيوطي - « وقد بلغت مؤلفاتى الآن ثلثمائة كتاب سوى ما غسسته ورجعت عنه » .

ومن هذا العدد الكبير نعرف أنه كان سريع الكتابة إلى حد كبير ، وهو فى ذلك يشبه إمامنا الجاحظ فى السرعة لا فى إشراق الأسلوب ، ولا فى متانة التعبير ، ولا فى إجادة الإنشاء .

إن الثلثمائة كتاب التى ألفها السيوطي تدور فى مدار العلوم الآتية كما ذكرها هو بتعبيراته :

١ - فن التفسير وتعلقاته والقراءات .

٢ - فن الحديث وتعليقاته .

٣ - فن الفقه وتعلقاته .

٤ - الأجزاء المفردة (وهى المؤلفات التى يتناول كل منها مسألة واحدة) .

لقد شبهت جلال الدين السيوطى بالملاحظ
فى سرعة الأداء والكتابة ، ولكننى فرقت
بينهما من حيث طلاوة الأسلوب ، وإشراق
الديباجة . والآن أشبه مرة أخرى السيوطى
بالملاحظ فى كثرة الاطلاع ومتنوع
الدراسات ، فلقد كان الملاحظ يستأجر
دكاكين الوراقين ليطلع على ما فيها من كتب
وربما كان يقضى فيها الليالى بأكملها لهنمه
فى القراءة والاطلاع . وكذلك الشيخ
السيوطى فإنه لم يترك كتابا فى زمانه إلا قرأه
واستفاد به .

رحلات الشيخ السيوطى :

وقد كانت له رحلات ، ولكنه لم يكشف
لنا عن الدافع إليها ، فقد قال فى ترجمته .
« وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام
والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكروور ،
وهى رحلات بعضها شاق طويل ، وأى رحلة
أبعد من الهند ؟ وأى متاعب أقسى فى زمنه
من الجمع بين الرحيل إلى الشام
والحجاز واليمن والهند والغرب والتكروور ؟
إنه طوف فى ذلك بأكثر أجزاء نصف
الكرة الشرقى . »

وقد ولد السيوطى عام ٨٤٩ هـ وانتقل إلى
رحمة الله عام ٩١١ هـ

عن الشيخ

٥ - فن العربية وتعلقاته .

٦ - فن الأصول والبيان والتصوف .

٧ - فن التاريخ والأدب .

هل درس السيوطى كل هذه العلوم فى
الأزهر؟ إذا صح أنه درس التفسير والحديث
والأصول واللغة العربية وبقية ما عرف
من العلوم الأزهرية فى وقته ، فهل درس
أيضا التاريخ والأدب على الصورة التى رسمها
لنا فى تعداد الكتب التى ألفها ؛ إنه لم يترك
طبقة من الطبقات إلا ألف فيها كتابا :
(الصحابة - الحفاظ - النحاة كبرى ووسطى
وصغرى - المفسرين - الأصوليين - الكتاب -
الشعراء - الخلفاء) .

كما أنه ألف فى التاريخ العام والخاص
والرحلات كتباً كثيرة مثل (حسن المحاضرة -
رفع الباس عن بنى العباس - ياقوت الشماخي
فى علم التاريخ - رفع شأن الحبشان ...
الرحلة الديمياطية) .

فهل درس الطبقات والتاريخ وكتب اللغة
والأدب فى الأزهر فأهله المدارس ليؤلف
فيها بهذه الغزارة كما ألف فى العلوم الأزهرية ؟
إن السيوطى كانت له صوفية علمية تجعله
يدرس التاريخ والسير والمغازى على نفسه ،
ولم يكن فى الأزهر حلقات لمثل هذه العلوم .

الإسلام في أمريكا الجنوبية

للككتور جمال الدين الرمادي

ما لا يأخذه عد ولا تحصيل ، وهي سارحة لا راعي لها ولا ناظر إليها ، فقصدا الجزيرة فنزلوا فيها ، فوجدوا عين ماء جارية وعليها شجرة تين برى ، فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها ، فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحد على أكلها فأخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب اثني عشر يوما إلى أن لاحت لهم جزيرة فنظروا فيها إلى عمارة وحرث فقصدا إليها ليروا ما فيها فما كان غير بعيد حتى أحيط بهم في زوارق هناك فأخذوا وحملوا في مركبهم إلى مدينة على ضفة البحر فأنزلوا بها ، فرأوا فيها رجلا شقرا زعرا ، شعورهم مسبطة ، وهم طوال القدود ، ولسانهم جمال عجيب فاعتقلوا فيها في بيت ثلاثة أيام ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربي ، ثم سألم عن حالهم وفيما جاءوا وأين بلدهم ، فأخبروه بكل خبرهم ، فوعدهم خيرا ، وأخبرهم أنه ترجمان الملك ، فلما كان في اليوم الثاني ، أحضروا بين يدي الملك ، فسألم عما سألمهم الترجمان عنه فأخبروه بأنهم اقتحموا البحر ليروا ما فيه من الأخبار والعجائب فietفقوا على نهايته ، فلما علم الملك ذلك ضحك .

يقال: إن العرب حاولوا اكتشاف أمريكا الجنوبية في القرن العاشر الميلادي أو أوائل القرن الحادي عشر ، ويستند أصحاب هذه الرواية إلى ما كتبه الإدريسي المؤرخ المعروف في كتابه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » فقد ذكر عند الكلام على جغرافية الأندلس أن جماعة من مسلميها من أهل « الحامة » على مقربة من لشبونة يعرفون بالمغرورين وهم ثمانية فتيان إخوة أو أبناء عم أنشئوا لهم مركبا كبيرا وشحنوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر ، ثم خرجوا إلى بحر الظلمات من ثغر لشبونة عند مهب الريح الشرقية وساروا نحو الغرب نحو أحد عشر يوما ، وفي ذلك يقول الإدريسي : فوصلوا إلى بحر غليظ الموج كدور الروامح كثير « التروش » (١) قليل الضوضاء ، فأيقنوا بال تلف ، فردوا قلاعهم باليد الأخرى وجرؤوا مع البحر في ناحية الجنوب اثني عشر يوما فخرجوا إلى جزيرة الغنم وفيها من الغنم

(١) هكذا في نسخة مختصر : « نزهة للمشتاق » المطبوعة في روما سنة ١٥٩٦ ويظهر أن المقصود : « الفروش » وهي نوع من السمك للفرس .

أو العثمانية أو الخاضعة لحكم العرب ، إنما كانت إلى الأمريكتين حيث الطموح إلى الرزق السابغ والعيش الوارف والحياة الحرة الطليقة من التقاليد والقيود الاجتماعية والسياسية ، ولابد أن المقيم كان يشجعه على الهجرة نجاح أخيه المغترب فيرحل قسم كبير من أفراد الأسرة أو القرية أو المدينة بالتدريج وقد يتوجهون لنفس المنطقة أو البلد .

وقد علقتم مجلة « الجديد » التي تصدر في سان باولو بالبرازيل على الهجرة قائلة : « وإن المهاجرين الذين استدانوا أجرة السفر في أدنى الدرجات ونالهم ما لا يتحمله البشر من سماسة بيروت ومرسيليا وشراسة بحارة البواخر الأجنبية التي كانت تقلهم إلى هذه الديار ، أصبجوا اليوم والكثيرون منهم أصحاب المعامل الكبرى والتجارات الواسعة والمزارع المترامية الأطراف ، وهؤلاء يسكنون اليوم القصور الفخمة المزدانة بأفخر الأثاث والرياش والمجهزة بأحدث أسباب الراحة والرفاهية ولا يعرفون غير السيارات البديعة مركبا ، »

ونجح السوريون في مختلف الأعمال بالجد والنشاط والأمانة وطلاوة اللسان حتى ضربت بهم الأمثال في البرازيل فجاء في المثل البرازيلي « إنني أعمل كسوري » وأقبل بعض

وقال للترجمان أخبر القوم أن أبي أمر قوما من عبيده بركوب هذا البحر وأنهم جروا في عرضه شهراً إلى أن انقطع عنهم الضوء وانصرفوا بغير حاجة ولا فائدة تجدى .

ويقول الإدريسي بعد ذلك إن الملك اعتقلهم ثم أمر بتقييدهم وتركوا على الشاطئ حتى أنقذهم لفيف من البربر وأعلوهم أن بينهم وبين الأندلس مسيرة شهرين وأن المكان الذي رسوا فيه يقع في أقصى المغرب ولا يستبعد أن يكون الشاطئ الذي رسوا فيه جزيرة سان بول أو إحدى جزر فرناند الواقعة في مياه أمريكا الجنوبية على قيد نحو مائة وخمسين ميلاً من شرق البرازيل . فإن مثل هذه المدة التي قطعوها تحمّلهم إلى هذه المنطقة ولا يستبعد بعد ذلك أن يكون هؤلاء العرب قد استوطنوا في هذه الجزيرة ثم توغلوا في القارة الجنوبية ونشروا دين الإسلام هناك بين طائفة محدودة من الناس .

ولقد ازداد تيار الهجرة في العصر الحديث إلى الأمريكتين ولم تكن إذذاك قائمة على جماعات منظمة ذات برامج معينة تهدف إلى تأسيس مستعمرات أو إنشاء مدن جديدة كما كانت عند الفينيقيين .

ولم تتجه الهجرة إلى بلاد ومناطق تضمها الإمبراطورية أو الحكومة الواحدة كما كانت هجرة السوريين إلى بلاد الإمبراطورية الرومانية

لم يعن هذا الشعب أنى شاعر
 حر ... يحب بسلاده متفاني
 بل كل ما يعنيه هل أنا مسلم
 لله أم أنا لم أزل نصراني
 إني على دين العروبة ... وأقف
 قلبي على سيجانها ولساني
 إنجيلي الحب المقسم لأهلها
 والذود عن حرمتها فرقاني

يا مسلمون ويا نصارى ... دينكم
 دين العروبة ... واحد لا اثنان
 وقد كان من أعضاء هذه الجمعية بعض
 الشعراء المسلمين كما كان منهم ولا يزال بعض
 رجال الأعمال في أميركا الجنوبية في
 الأرجنتين والبرازيل وكولومبيا وفنزويلا
 وأكوادور وغيرها من أقاليم أميركا
 الجنوبية وهم يقومون بدور كبير في ميدان
 الحضارة والتقدم ويعيشون جنبا إلى جنب
 مع أهالي البلاد في مودة وإخاء .

ويقوم المسلمون بأداء شعائرهم الدينية في
 المساجد والجوامع المنتشرة في أحياء متفرقة
 من أقاليم أميركا الجنوبية وهناك عدد كبير
 من الزوج الذين أسلموا نتيجة لحركة التبشير
 الديني التي قام بها العرب الوافدون من أسبانيا
 وبلاذ المغرب ومن الوطن العربي ، إلى جانب
 تأثرهم بحركة التبشير الديني بين الزوج التي
 ذاعت في حى هارلم بأمركا الشمالية .

جمال الدين الرمادي

المغتربين على شراء العقارات مثل عبد الله
 الحداد الذي اشترى ١٩١٢ مليون متر مربع
 من الأرض في نواحي سان باولو في البرازيل
 وقسم الأرض إلى مربعات وشق فيها
 الشوارع ومد الأسلاك الكهربائية واستطاع
 بعد سنوات أن يبعث العمران فيها ويضيف
 إلى خريطة « سان باولو ، حياً جديداً عامراً
 بالسكان يخترقه شارع كبير يسمى شارع
 سوريا وأدخلت المطابع العربية في البرازيل
 وأنشئت مدارس للبرصيات وطبع كثير
 من الكتب العربية وصدرت هناك
 مجلات عربية كثيرة وتعاون المسلمون
 والمسيحيون هناك على رفع مستوى العربي
 بعدما كان كثير منهم يئن هو وأبؤه وأجداده
 من الحكم العثماني ومن العثمانيين الذين كانوا
 يطلقون على العربي « كلب عربي » ، أمهانا
 لكرامته وتحقيرا لشأنه ، وقد ألفت في
 أميركا الجنوبية رابطة للأدباء والشعراء تسمى
 رابطة العصبة الأندلسية وقد قامت في أميركا
 الجنوبية بعد قيام الرابطة التعليمية في أميركا
 الشمالية بنحو خمسة عشر عاما وكان أول
 رئيس لها ميشال معلوف عام ١٩٣٥ .

وقد حاولت هذه العصبة الأندلسية أن
 تزيل الفوارق بين المسلمين والمسيحيين ونظم
 شعرائهم قصائد شتى في هذا الميدان ومنهم
 الشاعر رشيد الخوري المعروف بالشاعر
 القروي الذي يقول في إحدى قصائده :

من روائع الفكر الروحي

الانفعال الخلاق

عند الفيلسوف الفرنسي برجسون

للاستاذ محمد فتحي عثمان

، الحكمة ضالة المؤمن

أنى وجدها فهو أحق بها ،

هو فيلسوف الروح في القرن العشرين ... وهو صاحب البدائع والروائع (الطاقة الروحية) ، (التطور المبدع) ، (الزمان والحرية) ؛

لقد أبرز برجسون معالم (الانفعال) في أغوار الإنسان ، وسجل أرسادا دقيقة في جنبات الوجدان ... وقدم في كتيبه نتيجة دراساته ، فحاول إيضاح حقيقة الانفعال ليشير عن غيره من سائر الأحاسيس : في طبيعته ، وفي نتيجته ، وفي وسيلته .

وهنا نتذكر الطابع الانفعالي للنظرية البرجسونية ، فالفكرة الخالصة لا يمكن أن تنتهي وحدها إلى فعل ، والتصور لا يمكن أن يؤدي إلى غير تصور . إن تجربتنا الفكرية وحدها لا تنبت الحركة ما لم تكن ثابته فيها من قبل !

ويمكن أن نشبه اعتراض برجسون على المذهب العقلي بالاعتراض الذي وجهه شلبنج

إلى هيغل : إذا بدأنا بالتصور ، فهمنا توسعه ونضخمه ونمدده - فلن نحصل أبدا إلا على تصور ! !

فالعقل كما بين برجسون في (التطور المبدع) شرطي ، ومن شأنه أن يقيم العلاقات بين الأشياء ... أما الاختيار الفعال لممكن من الممكنات العديدة فهذا ما لا يمكن تفسيره بالعقل ، ولن يفسره إلا الانفعال ! .

فبدون الانفعال لا تكون غاية ، ولا يكون (سبب كاف) ، بل تكون كل الممكنات سواسية ! .

إن الانفعال هو الذي يبت في أفكارنا الشوق إلى الوجود ... ! ! ! .

هكذا قدم الأستاذان الدروبي وعبدالدايم ترجمتهما لنحفة برجسون الذهنية الرائعة (منبع الأخلاق والدين) ، وهو كتاب

إن الخلية تعيش لذاتها وتعيش للكائن الحي كله تمده بالحياة ، وتستمد منه الحياة ، وإذا اقتضى الأمر ضحت بنفسها في سبيل المجموع ، ولعلها تقول لنفسها حينذاك - لو كانت تعي - إنها تفعل ذلك من أجل ذاتها !!

إن الإلزام يتضمن في الأصل حالة يكون فيها ما هو فردى وما هو اجتماعى مختلطين لا يتميز أحدهما عن الآخر ، والنفس لكونها في هذه الحال فردية واجتماعية معاً تدور في دائرة ... فهى مغلقة !! ، ، لأن التضامن الاجتماعى لا يكون إلا فى أن تنضاف فى كل منا (أنا اجتماعية) إلى (الأنا الفردية) ...

فلنستمع إذن مع برجسون بجولة فى آفاق الأخلاق الحقيقية العليا ... إن هذه الأخلاق تصدر عن انفعال مغاير متميز ، إن الانفعال الجديد هو الذى تصدر عنه عظام مبدعات الفن والعلم والحضارة ، لا باعتباره حافزاً يهيب بالعقل أن يعمل ، ويهيب بالإرادة أن تدأب - فحسب - فالأمر أبعد من هذا . فهناك انفعالات خلاقة للفكر ، والابتكار - وإن كان عقلياً - فإن الانفعال جوهره

الثاوى فى أعماقه !

يجب أن نتفاهم على مدلول هذه الكلمات : انفعال ، عاطفة ، حساسية ... الانفعال هزة عاطفية فى النفس ، ولكن شتان بين رجة

تقدم منه لمحات تبرز أهميته بالنسبة لدعاة الفكرة الدينية فى هذا العصر .

* * *

يقدم برجسون لدراسته بتبصير الإنسان بنزعاته الاجتماعية ...

« المجتمع - إنسانيا كان أم حيوانيا - إنما هو نظام ، لأنه ينطوى على اتساق وترتيب ، ويقتضى بوجه العموم خضوع العناصر بعضها لبعض : إنه جملة من القواعد والقوانين : إما أن يحياها المجتمع من غير أن يشعر بها - وهذا هو شأن المجتمع الحيوانى ، وإما أن يحياها ويمثلها - وهذا هو شأن المجتمع الإنسانى ...

وإن مجموع الواجب كان يمكن أن يكون غريزيا ، لو أن المجتمعات الإنسانية لم تكن مزودة بعقل واستعداد للتبدل ، هو غريزة كامنة كذلك التى تكن فى عادة الكلام ، .

ومثل هذه النزعات الاجتماعية الضرورية ليست هى الأخلاق فى أفقها السامق الشاخ الرفيع !! إنها امتداد للأناية الشخصية وإن بدت فى قالب غير شخصى !!

ولأن الفعالية العقلية التى قد تخيرنا فى الواقع

بين المصلحة الشخصية والمصلحة الغيرية يربض تحتها جوهر أصيل هو الفعالية الغريزية التى أقامتها فنيا الطبيعة منذ البداية ، ويكاد فيها أن يختلط ما هو فرى بما هو اجتماعى !!

الانفعال انعكاسا غامضا للتصور . أما
الانفعال الثاني فنحن نقول عنه إنه (فوق
عقل) ، ولا يفهم من هذا القول العلو
بالقيمة فحسب ، بل السبق في الزمن أيضا ،
والنسبة بين ما هو مولد وما هو مولد !

إن الانفعال الذي يمكن أن يكون مبدعا
لأفكار إنما هو هذا النوع الثاني ... إن علم
النفس لما يزل فريسة لخداع اللغة ، فإنه يسمى
باسم واحد أنما طاشت من الانتباه تختلف
باختلاف الحالات ، يفترض أنها من نوع

واحد ولا يرى فيها إلا اختلافا في الشدة
والمقدار !! .. أما نحن فلن نتكلم في الاهتمام
بوجه عام ، بل نقول إن الأمر الذي يثير
الاهتمام امتثال مبطن بانفعال . والانفعال
- وهو هذا المزيج من حب الاطلاع والرغبة
والفرح الذي يسبق حل مسألة معينة - إنما
هو فريد كالامثال ، وهو الذي يدفع بالعقل
إلى أمام ، ويحطم الحواجز والصعوبات .
وهو الذي ينعش العناصر العقلية التي يتحد
بها ، بل يحياها ويروح يلتقط كل ما يمكن أن
ينتظم معها ، حتى تتفتح معطيات المسألة .
والأثر العبقري في الأدب والفن إنما هو
نتاج انفعال فريد في نوعه .

كل من توفر على التأليف الأدبي قد عرف
ماهنا لك من فرق بين العقل الصرف ، وبين
العقل الذي يحرقه انفعال أصيل فريد ناشئ

تقوم على السطح وبين زلزال يعصف في
الاعماق ! الأثر في الحال الأولى يتبدد ، أما
في الثانية فيمكث لا يتجزأ ، هو في الأولى
اهتزاز الأجزاء من غير انتقال أما في الثانية
فالسكل مندفع إلى أمام ... !!

هنالك نوعان من الانفعال ... ضربان
من العاطفة ... شكلان من الحساسية ...
لا يشترك الواحد منهما مع الآخر إلا في أنه
حالة انفعالية مختلفة عن الإحساس لانرد مثله
إلى الانعكاس النفسى لمنبه مادي .

. الأول : العاطفة التي تلي فكرة أو
صورة متمثلة ... فتكون الحالة الانفعالية
ناجئة عن حالة عقلية لا تدين لها بشيء بل
تكتفي بذاتها ، وإذا تأثرت بها على صورة
غير مباشرة خسرت أكثر مما تربح ... فهذا
هو ارتجاج الحساسية بتأثير تصور يقع على
صفحتها .

. أما العاطفة الأخرى: فليست ناجمة عن
تصور فتعقبه وتبقى متميزة عنه ، بل هي سبب
للحالات العقلية التي تستعقبها - لا نتيجة لها !!
فهى حبل بالامثالات ، وهذه الامثالات
وإن لم تكن تامة التكوين إلا أن العاطفة
ستنشلها من بذرتها بتطور عضوى .

الانفعال الأول (تحت-عقلى)، وهو مايعنى
علم النفس بصورة عامة وهو ماإليه يقصدحين
يوازن بين الحساسية والعقل ، أو حين يعتبر

الإنساني ، وعلة الثاني المبدأ الذي أوجد هذه البنية . والإلزام في الأول هو ضغط عناصر المجتمع بعضها على بعض بغية الإمساك بصورة المجموع ، ونتيجة هذا الضغط مرسومة في كل منا بحملة من العادات نأخذ بها أنفسنا وهذه الآلية هي في عناصرها عادات ، ولكنها في مجموعها شبيهة بالغريزة وقد هيأتها لنا الطبيعة . وفي الثاني ثمة شيء سموه إن شئتم إلزاما ، ولكن هذا الإلزام هو قوة تطلع أو وثبة ، بل هو قوة هذه الوثبة نفسها التي أوجدت النوع الإنساني وأوجدت الحياة الاجتماعية ، وأوجدت مجموعة من العادات تشبه الغريزة بعض الشبه ، ولكن الحافز يتدخل تدخلا مباشرا فلا يتخذ وسيطا تلك الآليات التي عبأ لولها ووقف عندها مؤقتا .

وقد نتساءل الآن عن مكان الإيمان في تصنيف برجسون لعالم المشاعر المتباينة ؟ ؟ إنه يجب د قالوا : إن الدين حين ينزل على الناس بأخلاق جديدة فإنما يفرضها بالفلسفة

الميتافيزيقية التي يجعل الناس يسلون بها وبما يأتي به من آراء في الله وفي الكون وفي صلة أحدهما بالآخر .

وأجاب بعضهم : لا بل إن الأمر على عكس هذا ، فالدين إنما يستميل نفوس

عن اتحاد المؤلف بموضوعه - أي ناشئ عن حدس الذهن في الحالة الأولى يعمل في برود: فيؤلف بين أفكاراً قد اندرجت منذ القديم في ألفاظ وأسلها إليه المجتمع جامدة متصلبة ، أما في الحالة الثانية فكأن المواد التي يقدمها العقل تنصهر في بوتقة الانفعال ، ثم تخرج منها وقد صُبت أفكاراً جديدة يعلنها الفكر ، وإذا وجدت هذه الأفكار ما يعبر عنها من الألفاظ الموجودة كان هذا حظاً غير مأمول ، ولا بد في الواقع من أن تساعد الحظ وتفسر معنى اللفظة حتى تتكيف على حسب الفكرة ، والجهد هنا شاق مؤلم والنتيجة تابعة للصدفة فليست مضمونة . ولكن هنا فقط يشعر الفكر أو يوفق أنه مبدع ، فهو لا يتناول عناصر موجودة متعددة ثم يؤلف بينها فينتهي

بها إلى وحدة قد رقت فيها العناصر ترتيباً جديداً ، إنه ينتقل دفعة واحدة إلى شيء واحد فريد يحاول أن يعرض نفسه في تصورات متعددة عامة مصبوبة سلفاً في ألفاظاً !.

* * *

على أساس هذا التوضيح لسيمات الانفعال الاصيل ، وهذا التمييز بينه وبين غيره ، يقيم برجسون تفرقة بين نوعين من الأخلاق : وعلى هذا فإن الأخلاق قسماً متميزان : الأول علة وجوده البنية الأصلية للمجتمع

المسيحية وأسمتها بالمحبة : إنها إذا استولت على النفوس تبعها سلوك معين وانتشرت في إثرها عقيدة معينة ! فلا هذه الفلسفة هي التي فرضت تلك الأخلاق ، ولا تلك الأخلاق هي التي جعلتنا نفضل هذه الفلسفة ... وإنما كلنا الفلسفة والأخلاق بعبر عن شيء واحد :

- * الأولى تعبر عنه بلغة العقل ...
- * والثانية تعبر عنه بلغة الإرادة ...

ونحن نسلم بكلا التعبيرين متى أحسنا بالمعبر عنه .

إلى هنا أوضح برجسون فلسفته في تكييف الانفعالات وتصنيفها ، وطبق أصولها على مشاعر الأخلاق والدين ...

وهذا العرض محاولة لإبراز تفكير برجسون - التي تهر روعته أشد مخالفه ججوداً !! - وسوف يظفر القارىء بالمتعة الكبرى حين يصاحب برجسون مباشرة وحين يتابع كلامه في أى موضوع - ولو كان (الضحك) - فستذهله دقة العالم في الملاحظة والمشاهدة والاستقراء ، وعمق الفيلسوف في الاستبصار والاستنباط والحدس ...

ولبرجسون نظرات موفقة في الآثار الاجتماعية للانفعال الأصيل الخلاق وفي الأدوات والوسائل التي تهى لهذا الانفعال مجال الانطلاق من مكانه ... موعداً معنا عدد تال - بتوفيق الله .

فتيمى عثمان

الناس ويهيئها لنظرة جديدة في الوجود بأفضلية الأخلاق التي ينزل بها ... وفي اعتقادنا أن كلا الرأيين خطأ !!!

فكيف يمكن للعقل أن يدرك أفضلية الأخلاق التي تعرض له ، وهو لا يقدر تفاوت القيم إلا بالموازنة بينها وبين قاعدة أو مثل أعلى - هما بالضرورة ما تقدمه الأخلاق الموجودة !!! ؟؟

وأما النظرة الوجودية التي يأتى بها الدين فلمست إلا فلسفة جديدة تضاف إلى ، نعرف من فلسفات ، وهب العقل سلم بها فلن نرى فيها إلا تفسيراً نظرياً يفضل على غيره من سائر التفاسير ! بل هبنا لفرط انسجامها مع ذاتها تأمر ببعض القواعد الجديدة في العمل ، فإن بين القبول العقلي والانتقال الإرادى

لشقة بعيدة !!

* لا الفلسفة من حيث هي امتثال عقلى محض تجعلنا نأخذ بالأخلاق أو نعمل بها .
* ولا الأخلاق من حيث هي مجموعة من القواعد يدركها العقل تجعلنا نفضل العقيدة تفضيلاً عقلياً ...

فقبل الأخلاق الجديدة ، وقبل الميتافيزيقا . هنالك الانفعال !! يتجلى من جانب الإرادة في وثبة ، ويتجلى من جانب العقل في تصور مفسر !!!

انظر إلى هذه العاطفة التي بشرت بها

الدعوى الجنائية في التشريع الإسلامي

للأستاذ محمد عطية راغب

المدعى عليه وعييه وسبه ، وقال بعضهم (١) يوجب قصد أذيته أم لم يقصد . على أن هناك خلافا في جواز سماع الدعوى في هذه الحالة بمجرد قول المدعى بدون يمين ، فقيل : إن كان حقا لآدمى ففيه قولان مبنيان على سماع الدعوى فإن سمعت الدعوى حلف لها وإلا لم يحلف ، والمشهور أنه لا تسمع الدعوى في هذه الصورة ولا يحلف المتهم لثلاث يتطرق الأشرار إلى الاستهانة بأهل الفضل .

وأما إذا كان المتهم مجهول الحال لا يعرف ببر أو فجور فهذا يحبس حتى ينكشف حاله عند عامة علماء المسلمين ، والمنصوص عليه عند أكثر الأئمة أنه يحبس القاضى والوالى ، وإذا كان المتهم معروفاً بالفجور كالسرقة ، وقطع الطريق ، والقتل ، ونحو ذلك ، فمضى جاز حبس المجهول فحبس هذا أولى فيحبس حتى يتثبت القاضى من أمره .

وقد ثبت أن الشريعة الإسلامية قد عرفت تقسيم الدعاوى الجنائية إلى دعوى جنائية عامة ودعوى جنائية خاصة ، وسوف نتكلم فيما بعد عن مباشر الدعوى سواء أكان الفرد أم الدولة ، ولكننا نود أن نذكر هنا أن

لبحث موضوع الدعوى الجنائية في التشريع الإسلامى ، سنقسم بحثنا هذا إلى مبحثين ، أولهما لتقسيم الدعوى الجنائية ، وثانيهما لمن يباشر هذه الدعوى في الشريعة .

تقسيم الدعوى :

يمكن القول بأن الدعاوى بحسب الشريعة الإسلامية تنقسم إلى دعوى تهمة ودعوى غير تهمة ، فدعوى التهمة أن يدعى فعلا محرما على المطلوب يوجب عقوبته مثل قتل ، أو قطع طريق ، أو سرقة ، أما غير التهمة فكالدعوى المدنية والتجارية المتعارف عليها اليوم في القوانين الحديثة .

ويقسم الفقهاء دعوى التهمة إلى ثلاثة أقسام ، فهم يرون أن المتهم إما أن يكون بريئا ليس من أهل تلك التهمة ، أو فاجرا من أهلها ، أو مجهول الحال لا يعرف والى أو الحاكم حاله ، فإن كان بريئا لم تجز عقوبته انفاقا ، واختلفوا في عقوبة المتهم له على قولين أرجحهما يعاقب صيانة لتسلط أهل الشر والعدوان على أعراض الأبرياء ، وهنا قول لمالك وأشهب ألا أدب على المدعى في مثل هذه الحالة إلا أن يقصد أذية

(١) وهو قول ضعيف .

ولو بعد صدور الحكم فيها ، ومثال الجرائم التي تترتب عليها هذه الدعوى الجنائية الخاصة بجرائم الأموال ، وجرائم القتل ، والجرح .

من يباشر الدعوى ؟

إن مباشرة الدعوى الجنائية العامة في الشريعة الإسلامية هي حق للفرد من جهة وللدولة من جهة أخرى . ويمكن الإشارة إلى كل من الفرد والدولة في هذا الصدد على التوالي في مطلبين اثنين :

الفرد :

أسلفنا أن الشريعة الإسلامية قد عرفت التفرقة بين الجريمة العامة والجريمة الخاصة وعلى ذلك فقد عرفت فيها الدعوى العامة والدعوى الخاصة ومفهوم عمومية الدعوى الجنائية أنها ملك للجماعة ، فللدولة باعتبارها ممثلة للجماعة وكذلك للفرد باعتباره عضواً في الجماعة وباعتباره الأصل فيها ، أن يباشر لكل منهما هذه الدعوى معا أو على استقلال .

ونظرة الشريعة الإسلامية إلى حق الفرد في إقامة الدعوى الجنائية إذا لم يكن مجنياً عليه مباشرة فيها ، هي نظرة إلى واجب ألقاه عليه الشارع ، ومن مستلزمات القيام به أن يمكن من حق إقامة الدعوى الجنائية والوصول بها إلى العقاب .

ويمكن القول هنا بصفة عامة

الدعوى الجنائية العامة إنما تتأثر بالعفو أو النزول عنها ، فليس من شك في أن الفرد لا يملك النزول عن هذه الدعوى ، إذ أن إقامته لها أو مباشرته إياها إنما هي نوع من أداه واجب ألقاه عليه الشارع ، والواجب بطبيعته لا يقبل من المكلف به النزول عنه ، وإن ساغ منه تركه لهذا الواجب .

وكذلك قيام ولي الأمر بتحريرك الدعوى الجنائية العامة هو واجب عليه ، بل إن ولي الأمر في ذلك تقسّم على الفرد في الوجوب ، إذ أن ضرورة الفرض على أفراد الناس عينا إنما يأتي نتيجة ترك ولي الأمر لهذا الواجب المقصود هو به أصلا ، وعلى ذلك فالمرجح أنه ليس لولي الأمر ، ولو لولي المظالم ، ولا للبحسب ، النزول عن دعوى أقامها أى منهم ولا أن يطلب إلى القاضي وقفها أو الامتناع عن النظر فيها ، فإن مقتضى ولاية القاضي من رفع إليه النزاع هو أن يفصل فيه بحكم الله .

أما الدعوى الجنائية الخاصة ، وهي طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية ، لكل دعوى ترتبت على جريمة نالت الفرد المجنى عليه مباشرة وعلق الشارع قيامها على طلبه ، فببشرتها رهن بمشئته المجنى عليه فيها أو وليه إن شاء أقام الدعوى وإن شاء أوقفها أو أنهاها ، أو عفا عن العقوبة ، أو صالح عليها ،

وظاهر أن ولاية المظالم داخلية حسب أصولها في القضاء وهي من الوظائف التي تمتزج فيها سطوة السلطان بنصفه القضاء ويطلق على متوليها صاحب المظالم ، وقد عاشت الوظيفتان جنباً بجنب ، ولم يبين لكل منهما اختصاصه ، ولم تجدد الأمور التي تدخل أولاً تدخل في كل منهما تحديداً دقيقاً ، فكانت الأمور المتعلقة بالحدود ينظرها أيضاً صاحب المظالم كما ينظر الخصومات ولقد كانت ولاية المظالم تعقد برئاسة الخليفة نفسه ، أو الوالي ، أو الأمير أو الوزير أو القاضي أو أحد كبار الموظفين بتفويض من الخليفة .

وهناك فرق بين نظر المظالم ونظر القضاة ، ويتضح ذلك من عشرة أوجه : أولها أن لناظر المظالم من فضل الهيبة وقوة اليد ما ليس للقضاة في كف الخصوم عن التجاحد ومنع الظلمة من التغالب والتجاذب ، وثانيها : أن نظر المظالم يخرج من ضيق الوجوب إلى سعة الجواز فيكون الناظر فيه أفسح مجالا وأوسع مقالا .

وثالثها : أنه يستعمل من فضل الإرهاب ، وكشف الأسباب بالآمارات الدالة وشواهد الأحوال اللائحة ما يضييق على الحكام فيصل به إلى ظهور الحق ومعرفة الباطل ورابعها : أن يقابل من ظهر ظلمه بالتأديب ويأخذ من بان عدوانه بالتقويم والتهذيب .

أن طرق الاتهام في الشريعة الإسلامية على نوعين ، أولها طريق اتهام شخص يسلكه كل إنسان وقع عليه أو على ماله أي تعد ، فيرفع الدعوى مباشرة أمام القاضي الذي يقبلها متى استوفت الشرائط المطلوبة وبصرف النظر عن كون هذا التعدي يعتبر تعدياً على حق من حقوق الله أو من حقوق العباد ، وثانيهما اتهام عمومي جائز لكل إنسان في حالة واحدة ، وهي حالة حصول تعد على حق من حقوق الله ولو كان هذا التعدي لم يلحق بالمدعى أي ضرر شخصي .

الدولة :

من الثابت أن الدعوى الجنائية العامة كان يباشرها عن الدولة في ظل نظام الشريعة الإسلامية جهتان : الأولى منها والى المظالم ، والثانية المحتسب . ونتكلم فيما يلي عن كل من هاتين الجهتين في الفرعين الآتين :

ولاية المظالم :

ولاية المظالم هي قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة .

ويذهب البعض إلى أن مهمة النظر في المظالم هي خطة حدثت لفساد الناس ، وهي كل حكم يعجز عنه القاضي فينظر فيه من هو أقوى منه .

لما أن يقترن بها ما يقويها ، أو يقترن بها ما يضعفها ، أو تخلو من الأمرين .

ويمكن أن فصل إلى أن وإلى المظالم إنما كان يدخل في اختصاصه تحقيق التهمة ، فإن رجحت لديه الإدانة رفعها إلى الناظر في القضاء ليفصل فيها بحكم الله ، ويرى البعض أن هذه كانت هي الصورة الغالبة في إقامة الدعوى العامة ، وكان لولى الأمر بما له من الولاية العامة ولاية النظر في المظالم كذلك ، فكان له أى لوالى المظالم إذا لم يكن حاكماً حق مباشرة الدعوى الجنائية العامة بتحريكها أمام القاضى وإقامة البينة على ما يدعونه من وقوع الجريمة ، وكانوا في مباشرتهم لهذه الدعوى يعتمدون على ما يصل إلى علمهم من رجال الحفظ أو من أفراد الناس شأنهم شأن ما تفعله النيابة العامة طبقاً للنظم الحديثة .

المحكمة :

لم يكن وإلى المظالم هو الذى يباشر عن الدولة الدعوى الجنائية العامة في ظل الشريعة الإسلامية فحسب ، بل كان كذلك يباشرها المحتسب .

والحسبة هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله ، فهي وظيفة من الوظائف الدينية الهامة ؛ لأن قوامها الأمر بالمعروف ، والنهى عن

وخامسها : أن له من التأتى في تردد الخصوم عند اشتباه أمرهم واستبهام حقوقهم ليعين في الكشف عن أسبابهم وأحوالهم ما ليس للحكام إذا سألهم أحد الخصمين فصل الحكم فلا يسوغ أن يؤخره الحاكم ، ويسوغ أن يؤخره وإلى المظالم .

وسادسها : أن له رد الخصوم إذا أعضلوا وساطة الأمناء ليفصلوا التنازع بينهم صلحا عن تراض ، وليس للقاضى ذلك إلا عن رضا الخصمين بالرد ،

وسابعها : أن يفسح في ملازمة الخصمين إذا وضحت أمارات التجاحد ، ويأذن في إلزام الكفالة فيما يسوغ فيه التكفل لينقاد الخصوم إلى التناصف ويعدلوا عن التجاحد والتكاذب .

وثامنها : أنه يسمع من شهادات المستورين ما يخرج عن عرف القضاة في شهادة العدلين .

وتاسعها : أنه يجوز له إحلاف الشهود عند ارتيابه فيهم إذا بدلوا إيمانهم طوعاً ويستكثر من عددهم ليزول عنه الشك ، وينفى عنه الارتياح ، وليس ذلك للحاكم .

وعاشرها : أنه يجوز أن يتبدى باستدعاء الشهود ويسألهم عما عندهم في تنازع الخصوم وعادة القضاة تكليف المدعى إحضار بيئته ولا يسمعونها إلا بعد مسألته .

على أن الدعوى لم يخل حالها عند الترافع فيها إلى وإلى المظالم من ثلاثة أحوال :

وإيساره فيلزم المقر الموسر الخروج منها ودفعها إلى مستحقها لأن في تأخيرها لها منكرًا هو منصوب لإزالته .

وأما الوجهان في قصور الحسبة عن أحكام القضاء ، فأحدهما قصورها عن سماع عموم الدعوى الخارجة عن ظواهر المنكرات من الدعاوى في العقود والمعاملات وسائر الحقوق والمطالبات ، فلا يجوز أن ينتدب لسماع الدعوى لها ولا أن يتعرض للحكم فيها لا في كثير الحقوق ولا في قليلها من درهم فما دونه إلا أن يرد ذلك إليه بنص صريح يزيد على إطلاق الحسبة ، فيجوز ويصير بهذه الزيادة جامعا بين قضاء وحسبة فيراعى فيه أن يكون من أهل الاجتهاد وإن اقتصر به عن مطلق الحسبة ، فالقضاة والحكام بالنظر في قليل ذلك وكثيره أحق ، والوجه الثاني أن الحسبة مقصورة على الحقوق المعترف بها فأما ما يتدخله التجاحد والتناكر فلا يجوز له النظر فيه ؛ لأن الحاكم فيها يقف على سماع بينة وإحلاف يمين ، ولا يجوز للبحسب أن يسمع بينة على إثبات الحق ولا أن يحلف يمينًا على نفي الحق والقضاة والحكام بسماع البينة وإحلاف الخصوم أحق .

وأما الوجهان في زيادة الحسبة على أحكام القضاء ، فأحدهما أنه يجوز للناظر فيها أن يتعرض لتصفح ما يأمر به من المعروف وينهى عنه من المنكر وإن لم

المنكر ، وغرضها الإصلاح بين الناس ، الذى هو فرض على القائم بأمور المسلمين .

والحسبة واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم فأما ما بينها وبين القضاء فهى موافقة لأحكام القضاء من وجهين : ومقصورة عنه من وجهين ، وزائدة عليه من وجهين ، فأما الوجهان في موافقتها لأحكام القضاء فأحدهما جواز الاستعداد إليه وسماعه دعوى المستعدى على المستعدى عليه في حقوق الآدميين وليس هذا على عموم الدعاوى ، وإنما يختص بثلاثة أنواع من الدعوى أحدها أن يكون فيما يتعلق ببخس وتطيف في كيل أو وزن ، والثاني ما يتعلق بغش أو تدليس في مبيع أو ثمن ، والثالث فيما يتعلق بمطل وتأخير لدين مستحق مع الممكنة ، وإنما جاز نظيره في هذه الأنواع الثلاثة من الدعاوى دون ما عداها من سائر الدعاوى لتعلقها بمنكر ظاهر هو منصوب لإزالته واختصاصها بمعروف بين هو مندوب إلى إقامته ؛ لأن موضوع الحسبة إلزام الحقوق والمعونة على استيفائها وليس للناظر فيها أن يتجاوز ذلك إلى الحكم الناجز والفصل البات ، فهذا أحد وجهى الموافقة ، والوجه الثاني أن له إلزام المدعى عليه للخروج من الحق الذى عليه وليس هذا على العموم في كل الحقوق وإنما هو خاص في الحقوق التى جاز له سماع الدعوى فيها وإذا وجبت باعتراف وإقرار مع تمسكه

المظالم أن يوقع إلى القضاة والمحاسب ، ولم يحز للقاضي أن يوقع إلى والى المظالم وجاه له أن يوقع إلى المحاسب ولم يحز للمحاسب أن يوقع إلى واحد منهما ، فهذا الفرق الثاني أنه يجوز لوالى المظالم أن يحكم ولا يجوز لوالى الحسبة أن يحكم .

ولقد كان يشترط فى المحاسب أن يكون فقيها عارفا بأحكام الشريعة الإسلامية التى سيأمر وينهى بتعاليمها ، عفيفا عن أموال الناس متصفا بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة . ولا يكون قوله مخالفا لفعله ؛ لأن فى اتصافه بكل هذا وبغيره من الصفات الحميدة صونا لمرضه وأقوم لهيبته وبعداً له عن الشبهات .

ويمكن القول هنا بأن المحاسب كان عليه إلى جانب ولايته القضائية للقاصرة واجب مباشرة الدعوى الجنائية العامة فيما خرج عن اختصاصه ودخل فى اختصاص القاضى ، والأصل فى ولايته هذه هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شأنه فى ذلك شأن الفرد العادى ، إلا أن مباشرة المحاسب لهذه السلطة أو أدائه لهذا الواجب كان فرض عين لا كفاية فلم يكن له أن يتشاغل عنه بغيره ، كما أن الأصل فى المحاسب أنه منصوب للاستعداد لإليه فيما يجب إنكاره ، فتلزمه إجابة من استعاده وليس على الفرد المتطوع ذلك ، وقد ترتب على أن المحاسب صاحب وظيفة

يحضره خصم مستعد ، وليس للقاضى أن يتعرض لذلك إلا بحضور خصم يجوز له سماع الدعوى منه ، فإن تعرض القاضى لذلك خرج عن منصب ولايته وصار متجاوزاً فى قاعدة نظره ، والوجه الثانى أن للناظر فى الحسبة من سلطة السلطنة واستطالة الحماة فيما تعلق بالمنكرات ما ليس للقضاة ؛ لأن الحسبة موضوعة للرهبنة فلا يكون خروج المحاسب إليها بالسلطة والغلبة تجاوزاً فيها ولا خرقاً . والقضاء موضوع للنفاضة فهو بالأناة والوقار أحق وخروجه عنهما إلى سلطة الحسبة تجاوز وخرق ؛ لأن موضوع كل واحد من المنصبين مختلف فالتجاوز فيه خروج عن حده .

ويوجد شبهة مؤلفة بين الحسبة من جهة والمظالم من جهة أخرى ، يتمثل هذا الشبه الجامع فى وجهين أحدهما أن موضوعها مستقر على الرهبة المختصة بسلطة السلطنة وقوة الصرامة ، والثانى جواز التعرض فيهما لأسباب المصالح والتطلع إلى إنكار العدوان الظاهر .

بيد أن الحسبة تختلف عن المظالم من وجهين أحدهما أن النظر فى المظالم موضوع لما عجز عنه القضاة ، والنظر فى الحسبة موضوع لما رفه عنه القضاة ، ولذلك كانت رتبة المظالم أعلى ورتبة الحسبة أخفض وجاه لوالى

ط ١٣١٧ هـ ، عبد الوهاب العشماوى . الاتهام
الفردى ط ١٩٥٣ .

علاء الدين السكاسانى بدائع الصنائع فى توقيت
الشرائع ج ٧ شمس الدين السرخسى . المبسوط
ج ٩ ، أحمد ابراهيم القصاص فى الشريعة
الإسلامية وفى قانون العقوبات المصرى
ط ١٩٤٤ ، محمد حسنى رحى . . القصاص .
ط ١٩٤٦ ، الماوردى . محمود محمد عرنوس .
تاريخ القضاء فى الإسلام اسماعيل حقى فرج .
القضاء الإسلامى وتاريخه ط ١٩٤٩ .
الخطط المقرينية ج ٢ القلقشندى .
صبح الأعشى . ج ٥ .

عامة أن أضحى له أن يتخذ على إنكاره أعوانا
وأن يؤجر من بيت مال المسلمين ، ولم يكن
الأمير كذلك بالنسبة للفرد العادى .

محمد عطية راعب
المحامى

(١) مراجع البحث : أحمد إبراهيم .
المرافعات الشرعية . ط (١٩٢٥) ، على
قراءة . الأصول القضائية ط ١٩٢١ ؛ محمد
زيد . الشيخ سلامة . مباحث المرافعات .
ط ٢١ محمد زيد الإبيانى مباحث المرافعات .
ط ٣ ، شمس الدين بن القيم الجوزية .
الطرق الحكيمة فى السياسة الشرعية .

(بقية المنشور على صفحة ٤٨٠)

معادة الإكليروسية ، وقد اتخذ من هذه
المعادة برنامجا الوحيد ، وحسب أن هذه
المعادة تكفى لإعادة تكوين الحكومات ،
ولجعل المجتمعات كاملة ولقيادتها إلى السعادة
وأن هذا الجنس من البشر قد تتابع ، وهناك
مستولون كثيرون عن هذه الواقعة ، وليسوا
جميعاً من معسكر الموسوعيين كما يقال غالباً ،
ولكن لا يوجد أحد مسئول عن ذلك بدرجة
فولتير) ٩ .

دكتور محمد غلوط

انتهت بأن أملت أصدقاؤه بل أفرعتهم ، وقد
أطلق عليه ديدرو اسم « المسيح الدجال » .
وأكثر من ذلك أن الأستاذ بول هازار
فى دراسته لتأليهية فولتير ينقده ألذع النقد
لأسلوبه الساخر ، وطريقته المسفة التى لا تليق
بمفكر عالمى مثله والتى تقتاد القارىء إلى
الإلحاد أكثر مما تقتاده إلى التأليهية . ثم
يختتم نقده إياه بقوله : (هناك واقعة ثابتة
بجملها أنه قد وجد فى القرن الثامن عشر جنس
من البشر لم يعدله من الغناء الروحى سوى

(١) انظر صفحة ١٧٦ من نفس الكتاب .

الوازع الديني و الثقافة العلمية

للأستاذ راشد رستم

أبناءؤه الصغار الذين يشبون في معاهدهم الأولى
حيث التعليم في الصغر كالنقش في الحجر .
وفي الحق أن العناية بأطفال الأمة هي
العناية بمستقبل الوطن جميعه .

ورثنا المجد عن كبرى نزار

فأورثنا مآثرنا بنينا

ومنذ ثمانين عاما وقد كانت البلاد في مهب
الرياح العاصفة ، ترجو النجاة على أيدي
عقلائها في ثورتها السياسية الجاحقة ، وتنشد
الاستقرار في حياة حرة مستقلة تقدمية ،
والزعماء يتخذون مختلف الوسائل في سبيل
تحقيق الأمان والآمال - اتفق الوزير الخطير
والقاضي الكبير على أن يتخذوا سبيلهما في
النهوض بأبناء البلاد إلى حيث يجلس الصغار
على مقاعدهم في معاهدهم - يضعان بين أيديهم
كتابا^(١) لا شك في عظيم قيمته ونفوذ أثره
لو كان قد كتب له الاستمرار ، جيلا بعد
جيل ، آباء لأبناء وأبناء لآباء .

(١) كتاب من جزئين - عن الهجاء والتمرين
ثم القراءة في اللغة العربية . مساهرات علمية خفيفة
لتحلية الأذهان بعلوم أدبية أخلاقية دينية -
عن المطبعة الأميرية ببولاق مصر المصرية ١٨٨٠ م .

« إن مصائب النوع البشري ناشئة عن
علتين - حب الشهوات والجهل بالحقائق -
وإن علاج ذلك عن وسيلتين : الوازع الديني
والثقافة العلمية ، .

هذه الحقيقة الواقعية كانت تدور في خلد
وزير خطير مع قاض كبير^(١) عند ما استقر
عزمهما على التوجه معاً الوجهة المثلى للقيام
بنصيبهما من الواجب الوطني المقدس لتحقيق
غرضهما النبيل .

وقد كان محور قصدهما وموضع اهتمامهما
لبلوغ هذا المأرب الحميد المشكور يتركز على
ذراى مصر ، الناشئين في حى الوطن ، فهم

(١) على باشا مبارك ، أبرز وزراء المعارف
(التربية والتعليم) في تاريخ النهضة العلميه المصرية
منه القرن الماضى - مصرى من أذكاء المصريين
وعقلائهم وعلمائهم ، بعثوه يافعا إلى فرنسا فعاد منها
وجلا يخدم البلاد عالما وعملا .

والقاضي صالح بن مجدى من كبار الأدباء والقضاة
في ذلك العهد ، ومن عمدة النهضة المصرية ، وله
مؤلفات كثيرة كما اشتهر بالترجمات المختلفة مع
المصطلحات العربية في الفنون والعلوم مما يصح
الرجوع إليها للاستعانة بها في نهضة المصطلحات
العربية الحديثة .

والفقير والغنى ، فى العدل ومهدت الثروة والسعادة لكل ، وقد اتسعت دائرة الرفاهية والمنفعة العمومية بواسطة المخترعات الجديدة كالمطبعة وآلات البخار والكهرباء والمواد النافعة للزراعة . . . إلى آخر ما كان معروفاً فى ذلك الوقت . . . فما بالك اليوم وبين أيدينا البنسلين ومشتقاته واللاسلكى والراديو والتلفزيون والسينما والقمر الصناعى والصاروخ « والذرة » .

على أن التجارب الإنسانية فى كل العصور أثبتت أن الإنسان فى حاجة إلى عقيدة تنجيه من الشطط الذى يحاول دائماً شيطان عقله فى تحويله عن الصراط المستقيم المرسوم للحياة النافعة والذى تسهل له السعادة وتحميه من الضلال وتمنعه كذلك من التضليل .

والعلم لا يقيم وحده كياناً ، ولا ينبجج وحده لإنساناً ، بل لابد أن يعتمد على عقائد نفسية خلقية وصفات طبيعية يستمد منها من عقيدته مثل الصبر والصدق والجلد والجهد والاجتهاد والمسؤولية وحب الخير وما إلى ذلك من وسائل الإنتاج والتشييد والبناء وكذلك النجاح الذى هو غرض كل إنسان فى هذه الحياة .

ولن ينال المرء تلك العقائد والصفات التى يتوقف عليها نجاحه فى الحياة إلا إذا تأصلت فيه من الصغر ، ومن شب على شيء شاب عليه ، وهى بدورها تنبع من معين الدافع والوازع الدينى . كما أنها تحميه من

نعم . لا يزال للكلمة المكتوبة أثرها القوى الدائم ، فهى التى يستسيغها الطالب فى نشأته صغيراً ، ويستبقيها معه فى حياته كبيراً .

هذا واليوم تفخر هيئات التعليم فى المدارس والمعاهد والجامعات بأن معلومات طلابها من العلوم والفنون تفوق ما كان يعلمه أمثالهم من طلبة الجيل السابق أو الجيلين الماضيين .

والحق فى هذا الشأن هو أن الإنسان ازدادت معلوماته واتسعت معارفه ؛ لأن علماء نشطوا فى البحث والاستقراء ومعرفة المجهول بكل مجهود ، وبما توفى لهم من اختراع الوسائل والآلات التى تزيدهم علماً بما يريدون أن يعلموا وما يريدون به أن يتقدموا .

هذا ما لا شك فيه من حيث تقدم العلم وارتقاء الإنسان فى معلوماته فى الخمسين سنة الأخيرة بأكثر من الخمسين قرناً السابقة ...

ثم انظر كيف يغرى الكتاب الذى نحن بصدده على الاستزادة من العلم مع القوانين الشرعية والسياسية فيقول ، « لا شك أننا من السعداء لوجودنا فى هذا العصر المتمكن (سنة ١٨٨٠) ، ولم لا وإنه يسوغ لأغلب أبناء المسكاتب . . (أى المتعلمين . .) أن يفخر بماله من المعارف على كثير من مشاهير الملوك فى القرون الحالية ! . لأن القوانين الشرعية والسياسية الجارية عليها العمل الآن فيما بيننا قد ساوت بين الضعيف والقوى ،

ولا سيما في هذا الزمان . . . فالاعتصار على الزوجة الواحدة ما أمكن هو من باب الأمر المستحسن لفقد العدل المشروط للجمع بين الزوجات المتعددة ، ولتدارك ما يترتب على تعددهن في حسن نظام الأسرة والمنزل من كبير المفسدة .

« والزواج أهم المهمات وأتم أعمال الحياة، وعقدته عقدة محترمة مباركة - على الخصوص وإن ملائكة الرحمن تحضره كما ورد في بعض النصوص وقد روى عن النبي أنه قال - لارهبانية في الإسلام - والزواج نصف الدين وسنة القوم المهتدين كما ورد في الحديث الشريف. ومتى تم يجب معرفة قيمته ومراعاة حرمة وعدم التهاون في حل عقدته لأدنى سبب أو لمجرد تحكم الغضب ، فلا ينبغي فك عروته . اللهم إلا للضرورة . والضرورات معلومات . . . »

ليت شعري ما أعظم هؤلاء الصغار الذين يكتب لهم هذا الكلام . وقد جئنا به مثلاً . أما عن موضوعات الكتاب ويسمى المؤلفان « المسامرات » ، وفي التسمية طرفة ، فهي شاملة لأغراض الحياة كلها كثيرة وكبيرة - أركان الدين مع الشرح الواضح اليسير ، وعن قوانين الصحة الفردية والاجتماعية والرياضات الجسمية والفكرية ، وأنواع الصناعات والحرف والمهن ، ومعاملة الناس وصلة الأرحام والرأفة بالحيوان والإحسان

التشكك وتبلبل الأفكار فيما يقال عنه بالتفكير الحرو والسلوك العلى . . ذلك المرض الخلقى والعدوى اللادينية التي تضييع معها التقاليد الأخلاقية التي تحفظ كيان الأمة .

وإذا كان العلم له معاهده فإن ناشئتنا في حاجة إلى التلقين الديني من الصغر على أساس حمايته من شطط العقول وسطوة الشيطان . ومنذ جيلين وهذا الخطر الشديد الذي نكاد نشعر به اليوم ونخشاه - قد تنبه إليه وزير معارفنا الخطير ومعه زميله القاضي الكبير إذجما بين تلقين العلم والتسكين في العقيدة ، جاء كتابهما سهلاً يسيراً ، وأكد أجزم بأن شباباً لنا اليوم في معاهده العالية هو أحوج إلى ذلك النوع من الكتب أكثر من أمثاله الشباب منذ جيل أو جيلين .

انظر كيف يشرح في سهولة وإيجاز فضل ضبط النفس في تعدد الزوجات فيقول - من ألزم أنواع القناعات وأكرم مراتب التعفف ضبط النفس والاقتصاد في الزواج عند الإنسان^(١) .

« إن تعود الزواج وإن كان من الأمور التي تألفها الطبيعة ولا تأبأها الشريعة ، إلا أنه يامعان النظر في أحوال هذه المادة ، والاتباع فيها للطريقة الجادة ، ينبغي أن نعلم أن تعدد الزوجات قد يكون من مجرد اتباع الشهوات ،

(١) وبالنسبة لغيره من سائر أنواع الحيوانات يقال له السفاد وهذا استطراد من المؤلف قد يكون لا موجب له وإنه يريد زيادة المعلومات .

المأمورات واجتناب المحظورات ، وضدها الاستهتار وهو اتباع الهوى وعدم المبالاة ، وهو من أرذل الرذائل وكفاه ذما قوله تعالى : « أفأرأيت من اتخذ إلهه هواه ... » .

وإننا لنجد بيننا من يقول بالفرقة بين علم المرء وخلقه ، وإنه له ما يخصه فى نفسه ولكن هانحن أولاء نسمع ونرى كيف يضل ذوو العقول بعلمهم لحاجتهم إلى سياج النفوس من الفضيلة المستمدة من العقيدة ، إنهم يفسدون فى الأرض ويحدثون فى كيان المجتمع هزات اجتماعية من الانحراف ومن التشكك والتجسس والاختلاس والجنيات .

وهكذا منذ جيلين تنبه إلى هذا الخطر الشديد الوزير الخطير وزميله القاضى الكبير فكان كتابهما التعليمى لتدريسه للصغار فى نشأتهم الأولى فيثبت فى نفوسهم وعقولهم .. وما أحوجنا اليوم إلى اليقظة الفكرية والدينية ، فقد كثرت المبادئ الهدامة ، وتشكلت فى أشكال من الإغراءات النفسية والعقلية ، والمادية والاجتماعية .

قالى « الديببان الأعظم » ، هذا الجامع الأزهر . فهو القائم على حفظ العقيدة السمحاء التى لا بد لها من الصحة والعافية والديوبع والبقاء .

رأسه رستم

والحنان والعفة والوفاء بالعهد وبالوعد والقناعة والكرم والصدق والصدقة ووضعها مواضعها والشجاعة والهمة والنزاهة والتواضع والصفح والنشاط وعدم الكسل ، وفضل العلم والعدالة واجتناب الظلم وما إلى ذلك من هذه « الخصال » كما يسميها الكتاب وكما يشرحها شرحا يسيرا لطيفا مقنعا

انظر ما يقول عن العدل : إن العدل والعدالة متحدان فى الاشتقاق والأصل . العدل هو تصرف الإنسان فى حقه بوجه الحق بحيث يودى منه لكل ذى حق حقه ويضعه فى مواضعه . ويرادفه الإنصاف . وضده الجور والظلم ويرادفهما الإجحاف ، وهو التصرف فى حق الغير بغير حق أو مجاوزة الحد المستحق . وقد انفقت جميع الملل والنحل على أن العدل فضل أى فضل . وعلى أنه واجب بالشرع وبالعقل ، فى حق الآحاد وسائر العباد . وهو من الملوك وأرباب النفوذ أوجب وأفضل . قال تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، والفرق بينهما أن العدل هو أن تعطى ما عليك وتأخذ مالك من غير زيادة ولا نقصان . وأما الإحسان فهو أن تعطى أكثر مما عليك ، وتأخذ أقل مما لك ... برضاك » .

ثم انظر ما يختم به كلامه إذ يقول : رأس الحكمة مخافة الله ، أى اتباع الشرائع المشرفة وما يليها من سنن الأنبياء المتبعة بمعنى امتثال

دور الكتب وأثرها في الثقافة الإسلامية

للأستاذ سعد توفيق حمدي

يهتمون بالكتاب اهتماماً جدياً ويعتنون به
عناية عظيمة ويولونه من اهتمامهم حظاً كبيراً
وإن ما خلفوه لنا من آثار أشادوا فيها
بفضل الكتاب وعظيم فائدته لتدل دلالة
قاطعة على اهتمامهم به وإيثارهم له . . يقول
المتنبي :

أعز مكان في الدنيا سرج ساج

وخير جليس في الزمان كتاب
وهذا آخر^(١) يشيد بفضل الكتب واصفاً
متعها معدداً أفضالها ومنافعها فيقول :

هم مؤنسون وألاف غنيت بهم

فليس لي في أنيس غيرهم أرب
لله من جلساء لا جليسهم

ولا عشيرهم للسوء مرقب
لا بادرات الأذى يخشى رفيقهم

ولا يلاقيه منهم منطق ذرب
وهكذا نرى أن الكتاب أخذ يتسلل شيئاً

فشيئاً إلى حياة المسلمين حتى أصبح ذا قيمة
عظيمة في حياتهم وأخذوا يختلفون على دور
الكتب يطلبون العلم والمعرفة من بين رحابها
الفسيحة التي كانت تتكون من حجرات كثيرة

(١) هو محمد بن بشير من شعراء الدولة الأموية .

للكتاب فضل على الأمم عظيم ودور
في حياتها خطير وإن الأمم الراقية حقاً لم
الأمم التي تهتم بالكتاب وتؤثره وتنزله
من نفسها منزلة رفيعة سامية . . وسيظل
الكتاب أبداً نبراساً للباحثين ونوراً يضيء
الطريق أمام الشعوب وزاداً روحياً جميلاً
يبتفع به الناس وسائر البشر أجمعين . .

ولقد لعب الكتاب دوراً في الإسلام
خطيراً وكان أثره في حياة المسلمين
عظيماً حتى أضحى شيئاً هاماً في حياتهم
فانكبوا عليه يطلبون العلم من بين صفحاته
والمعرفة من خلال سطورهم فظهرت طبقة
من العلماء والفلاسفة الأفذاذ الذين أمدوا
حياتنا الثقافية بمعين من العلوم لا ينضب
ولم يقتصر أثرهم على العرب وحدهم بل شمل
العالم أجمع وطارت شهرتهم إلى الآفاق
لما قدموه من خدمات لا تحصى ، وأفضال
لا تعد ، ومنافع عظيمة ما زالت الإنسانية
تنتفع به إلى الآن . . ولقد عنى المسلمون
بالكتاب عناية عظيمة بعد أن استتب لهم
الأمور وبعد أن تلاشت الفتن وتبخرت
الاحقاد من الصدر . حينئذ فقط بدءوا

ما نظرنا إلى القاهرة نجد أن الحاكم بأمر الله الفاطمي قد أنشأ فيها داراً عظيمة هي دار الحكمة ،^(١) وكان هدفه من ذلك أن ينافس بها بيت الحكمة ببغداد فأتى لها بكل ما تحتاج إليه من نسخين وخطاطين وزودها بالورق والمحابر والأقلام فأخذ الناس من جميع الطبقات يحتفلون إليها للتعلم وظلت دار الحكمة قائمة حتى عهد صلاح الدين الأيوبي الذي أقام مكانها مدرسة للشافعية ... أما الأندلس تلك المدينة الجميلة فقد ازدهر فيها العلم ازدهاراً عظيماً وانتشرت فيها المعرفة انتشاراً كبيراً حتى أضحت طلب العلم شيئاً مألوفاً في الأندلس وأخذ أهلها ينهلون من مناهل العلم فنبتت في أرضها ثقافات كان لها أثر كبير على الثقافة الغربية .. وكان الأندلسيون ينظرون إلى الجاعل في اشبزاز ، أما العالم فقد كان له في قلوبهم مكانة عظيمة . وكان للحاكم المستنصر مكتبة ضخمة ضمت ما يربو على الأربعمائة ألف كتاب^(٢) .

فقد كان مولها بالكتب ولها شديدا وكانت له آراء صائبة وتعليقات مفيدة على الكتب

ثبتت على جدرانها رفوف من الخشب جميلة عليها كتب كثيرة ومخطوطات ومجلدات عظيمة^(١) وكانت تلك الدور مزودة بعدد وافر من المترجمين والنساخ والأمناء والمساعدين وكانوا يأخذون على عملهم هذا العطاء الجزيل كما كانت لهذه الدور فهارس دقيقة منظمة حتى يسهل على الدارس الاهتداء إلى الكتب التي يريد الرجوع إليها وكانت هذه الدور كثيرة ومتعددة ، ففي بغداد كان يوجد بيت الحكمة ذلك البيت الذي أقامه الخليفة هارون الرشيد والذي ظل يشع العلم من بين رحابه فترة طويلة من الزمن وأخذ الخليفة يزود بيت الحكمة بنفائس الكتب وروائع المجلدات حتى بات مقصد الطلاب والعلماء يأتون إليه من شتى الأقطار ، وظلت المعرفة تتدفق من بيت الحكمة حتى أفل نجمه وكسفت شمسُه عندما انقض التار على بغداد فحولوا جبالها الفاتن إلى خرائب ثم امتدت يدهم الباطشة إلى بيت الحكمة لتلقى بمائيه من كتب ومجلدات في نهر دجلة فتحول بيت الحكمة إلى رفوف خاوية لا يحوى بين جدرانه سوى الظلام الدامس ... فإذا

(١) أنشئت هذه الدار في جادى الآخرة

سنة ٣٩٥ .

(٢) وقيل أيضا إنهم عندما تناولوا قضا في نقلها سنة أشهر كاملة .

(١) وقيل أيضا : لأنه كان بهذه الدور حجرات للموسيقى كان الدارس يختلِف إليها كلما شعر بالكل أو ران عليه السأم والللال .

بها جمع كثيرا من كتبها فاستطاعت الفلسفة في عهده أن تنشط وأن تزدهر ازدهارا عظيما إلا أنها عادت فانتكست مرة أخرى عندما قبض ابنه يوسف يعقوب المنصور على الفيلسوف العظيم ابن رشد وأودعه السجن ثم جاء قتل الفيلسوف ابن حبيب فزاد من خمولها . وهكذا عادت الفلسفة كما كانت من قبل مضطهدة لا تجد من يهتم بها ، على أننا نستطيع القول بأن هذا العصر كان من أخصب العصور التي موت بها الفلسفة الإسلامية . فقد ظهر فيه فيلسوفان من أعظم من جادت بهما أرض الأندلس ألا وهما : ابن طفيل وابن رشد (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ) . كان ابن طفيل فيلسوفا عظيما حقا استطاع أن يؤلف عدة كتب في الطبيعيات والإلهيات وغير ذلك كما استطاع أن يبين الصلة بين العقل والدين كما هو واضح في رسالته المشهورة « حي بن يقظان » (١) .

وأراد ابن طفيل أن يبين في هذه الرسالة أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى معرفة الله ولو نشأ في جزيرة نائية . . . أما ابن رشد فقد كان من أعظم فلاسفة الإسلام . . عرفه الغرب عن طريق شروحه الرائعة لفلسفة

التي كان يطالعها وكان يأتي لمكتبته بالسكتب من البلاد والأقاليم مهما كلفه ذلك من ثمن . وعند ما سمع بكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني أرسل إلى مؤلفه ألف دينار ثمنا لنسخة منه فأرسلها أبو الفرج إليه فظهر كتاب الأغاني في الأندلس قبل أن يظهر في العراق . لقد كانت الأندلس هي قلعة العلم حقا فقد ازدهر فيها وانتشر وكان له فيها النصيب الأكبر من العناية والاهتمام فكان من جراء ذلك أن ظهرت طبقة من العلماء كان أثرهم عظيما على الثقافتين الشرقية والغربية ، ظهر علماء نبغوا في الطب والرياضيات والفلك والنجوم وغير ذلك من ميادين العلوم ، أما الفلسفة فلم يكن لها في العصر الأموي بالأندلس نصيب كبير بل كانت مضطهدة وكان الفلاسفة غالبا ما يهتمون بالزندقة فكانت تجمع كتبهم ثم تحرق ويذكر ابن سعيد : « أن الفلسفة علم بمقوت في الأندلس لا يستطيع صاحبه إظهاره فلذلك تخفى تصانيفه » . ولكن هذا الجو الخائق الذي كانت الفلسفة تنفخ فيه لم يمنع ظهور فلاسفة أفذاذ أدوا خدمات لا تنسى في الفلسفة (١) . على أن الفلسفة لم تزدهر ازهارا حقيقيا إلا في عهد أبي يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن فقد كان محبا للفلسفة شغوبا

(١) ترجمت رسالة « حي بن يقظان » إلى اللغة الانجليزية في القرن السابع عشر .

(١) مثل محمد بن عبد الله بن مسرة (٢٦٩ - ٣١٩ هـ) وسعيد بن فتحون السرقسطي .

عظيماً وشارحاً كبيراً ، وفتحها له آراء صائبة في الدين والشريعة ، فكان بحق من أعظم فلاسفة الإسلام ، وكان جديراً بما وصفه به أحد العلماء حيث قال إنه « أنبل وأعظم مثال للفلاسفة » (١) .

لقد كان للثقافة الإسلامية فضل أى فضل على الثقافة الغربية ، ولقد ترجمت معظم كتب فلاسفة الإسلام إلى اللغة اللاتينية وإلى غيرها من لغات أوروبا ، وما زالت هذه الكتب تدرس في جامعات أوروبا إلى الآن فما أعظم فضل الكتاب وما أجل أثره ذلك الذى وصفه الجاحظ وصفاً جسيماً فقال : الكتاب وعاء مليء علماً وظرف حشى ظرفاً وبستان يحمل فى ردن وروضة قلب فى حجر ينطق عن الموتى ويترجم كلام الأحياء .

سمر صمدى

الفيلسوف الإغريق « أرسطوطاليس » ، فذاعت فى الغرب شهرته وارتفعت مكانته حتى سماه داتى « بالشارح الأكبر » ، ومن شروحه لكتب أرسطو كتاب الأخلاق ، وكتاب البرهان ، وكتاب السماء والعالم ، وكتاب السماع الطبيعى ، وكتاب الحس والمحسوس (١) على أنه لم يقتصر فى شروحه على فلسفة أرسطو وحدها بل شرح أيضاً كتاب الأسطقصات (أى العناصر والأصول) وكتاب القوى الطبيعية ، وكتاب العلل والأعراض وكلها من مؤلفات جالينوس ، وقد ارتاد ابن رشد جميع الميادين ، فله فى الطب كتاب « الكليات » وله فى الفقه رسالة بعنوان « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » وله عدا ذلك رسالة قيمة هى : « تهافت التهافت » أراد بها الرد على رسالة « تهافت الفلاسفة » للإمام الغزالى . هكذا كان ابن رشد فيلسوفاً

(١) هو « جيرمو دى أوفرينا » وكان عالماً كبيراً كما كان يعرف الكثير من الفلاسفة الإسلامية إذ قرأ لكتبه من فلاسفة الإسلام أمثال ابن رشد وابن سينا والفارابى وغيرهم .

(١) لخص ابن رشد فلسفة « أرسطوطاليس » فى كتاب سماه كتاب الجوامع .

ويعقروا طيبة لله

حول "أسامة بن زيد"

للأستاذ عباس طه

إذا تكلم الكتاب عن حياة من سادوا
الناس وبلغوا درجة الإمامة فيهم من الموالى:
أمثال بلال ، وسلمان ، وصهيب ، وأسامة
ابن زيد ، فإنما يتكلمون عن قاعدة المساواة
ومبدأ الإخاء الذى جعله الحق سبحانه وتعالى
أول لبنة بنى عليها صرح المجتمع العالمى
الإسلامى وأمر المؤمنين بدينه بالجرى
عليها فى هدم ما أقامته الجاهلية من الفروق التى
كانت موجودة بين طبقات الناس والقبائل ،
فأجابه الكل بالسمع والطاعة ، حتى قال
عمر بن الخطاب : أبو بكر سيدنا ، وأعتق
سيدنا يريد بلالا . وقال سلمان الفارسى لمن
سأله عن أبيه : « الإسلام أبى » ! .

وعلى ذلك المبدأ الإسلامى أتكم على
حياة أسامة فأقول :
أسامة رضى الله عنه
هو أبو محمد أسامة بن زيد بن حارثة
ابن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن زيد
ابن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر
ابن عبد ود بن كنانة بن بكر بن عوف
ابن عنزة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور
ابن كلب بن وبرة السكبي :

وأمه أم أيمن بركة الحبشية ، كنيته بولدها
أيمن أخى أسامة لأمه . وكانت فى الجاهلية
مملوكة لعبد الله بن عبد المطلب ، فلما ولد
سيد البشر بعد موت أبيه كانت هى مربيته
وحاضنته حتى كبر ، ولم تزل فى شرف خدمته
حتى تزوج بخديجة فأعتقها وأنكحها مولاه
زيداً ، فولدت له أسامة بن زيد .

مولده ونشأته :

ولد رضى الله عنه بمكة المكرمة ، ونشأ بها
النشأة الدينية العالية التى تعجز البراعة
عن تقديرها ، وتقتصر العبارة عن تصويرها

وأما ما يؤثر عن سيد التابعين سعيد
ابن المسيب من رفضه مصاهرة عبد الملك
ابن مروان ، فليس ذلك لأن ولده هجين
بل لأنه قد اتخذ من الجبارين عمالاً أمعنوا
فى الظلم وأسرفوا فى القتل بغير الحق على علم
ورضا منه ، وبذلك خلع لباس التقوى التى
جعلها الله شعاراً لأوليائه ، فلم يره أهلاً
لمصاهرته .

حازوا قصب السبق في تلك الحلبة الدينية المباركة ، وقد رفع الإسلام أسامة كما رفع أباه زيدا حتى قال فيه سيد البشر ، إن أسامة لأحب الناس إليّ ، أو لمن أحب الناس إليّ ، وقد سمته الصحابة ، حب رسول الله وجعلوا ذلك اسماً خاصاً به ، وكانوا يستشفعون به عند الرسول في المطالب الهامة التي لا يتقدم فيها سواه . حدثنا البخاري في صحيحه قال : عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة من بني مخزوم سرت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فلم يجزأ أحد أن يكلمه ، فكلمه أسامة بن زيد فقال : إن بني إسرائيل كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه ، لو كانت فاطمة لقطعت يدها .

إن عدالة الإسلام قد رفعت بالكفاية الدينية أسامة بن زيد فوق رجل من صميم قريش ومن كتاب الوحي كان أبوه رئيس العرب في الكفر ثم كان هو رئيساً عليهم في الإسلام : هو معاوية بن أبي سفيان .

حدثنا بدر الدين العيني في شرحه على البخاري قال : جاءت فاطمة بنت قيس القرشية النهرية إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له : يا رسول الله إن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطبائي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أبو جهم فلا يضع عصاه

لأن أدبه وثقافته حصل له من أعظم معلم وأكبر مرب هو سيد البشر صلى الله عليه وسلم وقد كان عطفه عليه فوق عطف الآباء على الأبناء ، حتى إنه كان لا يكاد يفارقه ، وقد يردفه خلفه إذا ركب لزيارة قريب أو عيادة مريض ، روى عن عائشة رضي الله عنها قالت : عثر أسامة بأسكفة الباب (أي عتبه) فشج وجهه حتى سال الدم ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمصه بفمه ثم يمجه ويقول : لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته حتى ينقه ، . وكان رضي الله عنه أسود اللون أبوه أبيض ، فظعن أهل مكة في نسبه حتى مر عليهما قائف ، وقد بدت أقدامهما من تحت الغطاء ، فأقر النسب . حدثنا البخاري في صحيحه قال : عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها مسروراً تبرق أسارير وجهه فقال : ألم تسمعي ما قاله المدلجى لزيد وأسامة ورأى أقدامهما : إن بعض هذه الأقدام من بعض .

شرفه ومنزله في قوم

إن سيد البشر صلى الله عليه وسلم قد نسخ بقانون الإسلام مبادئ الجاهلية ، وجعل ميدان التنافس بين البشر بالتقوى والعمل الصالح ، فكان أسامة رضي الله عنه ممن

نظعنون في إمارة أبيه من قبل ، وأيم الله إن كان لخليقا للإمارة ، وإن كان لمن أحب الناس إلى ، وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده .

على أن هذا الجيش قد تخلف عن مهمته ولم يسافر به أسامة ، لأن الرسول قد اشتد عليه المرض ، ولكنّه أوصى أن يقوم تحت إمرة أسامة ، فلما توفي الرسول وتمت البيعة لأبي بكر كان أول ما بدأ به هو إنفاذ ذلك الجيش وعاد بعض القوم إلى حديثهم فلما علم أبو بكر بذلك وأدرك ما في نفوسهم من الانانية والكبرياء الباقيين من تراث الجاهلية قام إلى الجيش حتى شيعه ما شيا على قدميه وأسامة راكب ، فقال أسامة : (يا خليفة رسول الله لست ركبنا أو لا نزلنا ، ؟ فقال أبو بكر : والله لا ركبنا ولا نزلنا ، وما على أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله ، ثم قال له : إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل ، فلما رأى القوم أبا بكر ماشيا في ركاب أسامة وسمعوه يستأذن في تخلف عمر ، لم يجدوا بدا من الخضوع للأمر فساروا مع قائدهم أسامة بن زيد حتى نزلوا بأرض العدو ، وهناك أيدهم الله وآزرهم حتى فازوا بالغنيمة ، وعادوا بالنصر بعد أربعين يوما .

عباسي

عن عاتقه ، وأما معاوية فصعلوك لا مال له ، انكح أسامة بن زيد ، فكرهته ، ثم قال : انكح أسامة ، فنكحته ، فجعل الله فيه خيرا كثيرا .

وقد فرض عمر بن الخطاب لأسامة في العطاء خمسة آلاف وفرض لولده عبد الله ألفين فقال له : يا أبت أراك قد فضلت على أسامة ابن زيد وقد شهدت ما لم يشهد ، فأجابه عمر بقوله : إن أسامة وأباه كانا أحب إلى رسول الله منك ومن أبيك ، !

إمارة:

كان النبي صلى الله عليه وسلم خبيراً بأحوال الذين يقلدهم الأعمال فكان يسند إليهم ما يتفق وكفافة كل منهم ، وقد نشأ أسامة بن زيد مدرباً على الفروسية مبرزاً في الشؤون الحربية ، فلما بلغ عمره ثمانى عشرة سنة قلده الرسول إمارة الجيش في السنة الحادية عشرة لأربع بقين من صفر ، وأمره أن يسير إلى الشام حيث قتل والده زيد . وكان معه من كبار المهاجرين والأنصار أبو بكر وعمه وسعد . حدثنا البخاري في صحيحه قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثاً وأقر عليهم أسامة بن زيد ، فظعن بعض الناس في إمارته فقال صلى الله عليه وسلم : إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم

مَائِقَةُ الْعَزَلِ وَالْإِسْلَامِ

عقيدة الذات الإلهية في الإسلام

للأستاذ عباس محمود العقاد

بين وجهات الاعتقاد والتفكير منذ القرون وبين هذه الوجهات منذ أوائل العصر الحديث ، مع التناقض بينهما من بعض جوانبها والتشابه بينهما من الجوانب الأخرى . ولكن هذه الفوارق جميعا تنتهى عند المؤلف إلى فارق أساسى واحد : وهو فارق الإيمان بالربوبية فى ذات إلهية والإيمان بها فى معنى غير ذات ، كالمعنى الذى يقول إنه متمثل فى العقائد البرهمية الأولى .

ويحسب المؤلف أن الإيمان بالربوبية فى ذات إلهية من شأنه أن يدفع الأمم إلى طلب الغلبة على غيرها ، وأن طلب الغلبة ليس بالشعور الأصيل عند المؤمنين بالربوبية فى معنى ليست له ذات قائمة تريد وتنفرد بالسلطان المطلق فى الوجود كله منذ القدم ، فإن نزعت الأمم إلى طلب الغلبة لم يكن منزعها هذا من قبل العقيدة الدينية ، بل يعرض لها من قبل الدوافع الحسوية الأخرى أو البواعث السياسية .

ورد البحث فى عقيدة الذات الإلهية عند أمم العالم خلال كتاب مطول ألفه الأستاذ نورب Northrop وجعل عنوانه ملتقى الشرق والغرب The meeting of east and west متحرّيا فيه تقريب وجهات النظر فى المسائل الجوهرية المختلف عليها بين أمم الحضارة العصرية وأمم الحضارات الموروثة . ويرى من عنوان الكتاب أنه مقصور على الملاقاة بين الشرق والغرب جملة واحدة من وجهة عامة ، ولكنه عند تفرع البحث يتحقق من صعوبة هذه الملاقاة قبل الملاقاة بين أمم المغرب على حدة ، وأمم المشرق على حدة فى أمور كثيرة تبرز بتلك المسائل الجوهرية . فلا بد قبل الملاقاة بين الشرق والغرب من التوفيق بين الحضارتين اللاتينية والسكسونية فى القارة الأوروبية ، ولا بد بعد ذلك من التوفيق بين قوى التفكير الديمقراطى وقواعد التفكير المطلق بين أمم تلك القارة ، ولاغنى فى هذه الحالة عن التوفيق

الإسلامية هي أصلح العقائد لإيمان الإنسان بالله في عصر التجارب الحسية والقوانين التي يسمونها أحيانا بالقوانين العلمية .

فلا نعرف ضلالا في التفكير يذهب بالإنسان من مقدماته إلى نقيضها المقابل لها في الطرف الآخر ، كما ذهب هذا المؤلف من مقدماته الطويلة إلى نتيجته المعكوسة .

وأول ما يؤخذ عليه أنه ظن أن الإيمان بالربوبية معنى بغير ذات فكرة مستطاعة في الضائر الإنسانية أيا كان تعبيرها عن تلك الفكرة بكلمات العبادة أو مصطلحات الفلسفة .

فربما قال الفلاسفة الأقدمون من البراهمة أن الإله فكرة مجردة بغير ذات تقوم بها ،

ولكنهم لا يبدون الكلام في الخلق إلا ظهر من كلامهم أن هذا الإله ذات تريد وتقدر وتقبل الأرواح المطيعة وترفض الأرواح العاصية ، وتتجلى تارة على مثال الرب الخالق وتارة على مثال الرب الحافظ ، وتارة على

مثال الرب المهلك أو المبيد ، وقد نقل عنهم أبو الريحان البيروني الذي اطلع على كتبهم بلغتها القديمة تفصيلات عقائدهم في الربوبية فأحسن نقلها كما ظهر بعد ذلك من ترجماتها إلى اللغات الأوروبية الحديثة بأقلام الثقات من علماء تلك اللغات هنودا وأوربيين ، وما نقله عنهم أنهم يؤمنون بالإله برهمن ويعتقدون أنه المطلق الذي لا يوصف ، ولكنه يتجلى على أشكال من الآلهة والمخلوقات ، وأن بشن

والآله التي تؤمن بالذات الإلهية هي عند المؤلف مجتمعة في أتباع الديانات الأربعة الكبرى : وهي الموسوية والمسيحية والإسلام والشتية Shintoism ديانة اليابان .

ويكاد المؤلف أن يجعل الإسلام قبل غيره مثلا للديانات التي تؤمن بالربوبية في ذات إلهية ؛ لأن إيمان المسلم لم تتم فيه الملاقاة بالروح العلمية التي تولدت مع الزمن من إخضاع الحقائق للتجارب الحسية كما حدث في معظم الأمم الغربية ، ولا بد من تعديل هذه النظرة ليؤمن المسلم بالله على ضوء الأصول العلمية ولا يحتفظ بإيمانه كما كان في عهد النبي محمد صلوات الله عليه .

ويتساءل قائلا : هل من المعقول أن ينتظر من ثمانين مليون مسلم في الهند على هذه العقيدة أن يلاقوا جيرانهم على وفاق يطول أمده ، لمجرد استقلال الهند عن سلطان الدولة البريطانية ؟

نقول : إن ضلال التفكير عند هذا المؤلف على سعة اطلاعه وكثرة شوااعده يتراعى من ملاحظة واحدة يخرج بها القارى من كتابه ولا يحتاج إلى سند غير الأسانيد التي اعتمد عليها .

فلو أن المؤلف حجب النتيجة التي وصل إليها عن القارى ولم يصرح بها في بحوثه المتابعة مرة بعد مرة لجاز للقارى أن يفهم أن صاحبنا ألف كتابه ليثبت أن العقيدة

برجسون وسواهم ممن يتفلسفون أو يستخلصون القوانين العلمية والنواميس الطبيعية .

وفي هذا العصر — على التخصيص — قد ثبت للعلماء أن التجربة العلمية لا تستطيع أن تقرر قانونا ينبئنا عن تصرف الكهرباء كيف يكون في اللحظة التالية . فهذا الجزء الصغير الذى تألف منه المادة كلها وترتب حركاتها جميعا على حركته داخل الذرة وخارجها مجهول الحركة كل الجهد ولا يمكن الحكم عليه إلا على وجه التقريب قياسا على إحصاء المصادفات ، وليس هناك من قانون على معروف غير المقابلة بين هذه المصادفات ، وأخذها بالظن غدا كما أخذوها بالظن أمس وقبل أمس إلى نهاية الرصد المعلوم .

والعلماء القائلون بذلك أمثال ايسنر وهايزنبرج وشروينجر وغيرهم وغيرهم يضربون الأمثال لهذه القوانين الإحصائية ببعض المشاهدات اليومية التى تصور لنا كيف تتفق المصادفة مع التحقيق .

يقولون: مثلا إن شركة التأمين تستطيع أن تبني حسابها وتنظم عملها وتجنح أرباحها من تقدير نسبة البيوت التى ستعرض للحريق بواحد فى الألف من جملة البيوت ، ويصدق حسابها على وجه التقريب فيحترق أثناء السنة مائة بيت أو نحو ذلك ، ولكن هذه الشركة لو سئلت عن بيت واحد معين بين هذه البيوت لم تستطيع أن تدل عليه قبل

Vishnu جعل نفسه أرضا وجعل نفسه ماء وجعلها نارا وجعلها قلبا تنبض فى صدور الأحياء .

فليس هناك من فارق بين أصحاب العبادات فى تحقيق الذات للبعنى الإلهى إلا أن الإسلام واضح متفق العقائد وأن القائلين بالمعنى الإلهى الذى لا تقوم به ذات مريدة يقررون بالرأى ما ينقضونه بالشرح والتفصيل .

فإذا انتهينا من الإيمان بالذات الإلهية إلى الاختلاف على صفاتها فالإسلام يعطينا الصفات التى توافق حاجة الضمير إلى الدين فى جميع العصور ، وأخصها عصر القوانين العلمية بل عصر القوانين العلمية كما انتهت إليه عند أحدث المحدثين .

إن الضمير الإنسانى لا يطلب الإيمان ليتحول به مع كل تجربة علمية إلى معنى من المعانى الإلهية ملفق على قياسه ومنواله .

فليس من شئ يملأ العقل والضمير بالحيرة والاضطراب كما تملؤه تلك المقررات التى يلغى بعضها بعضا أو تتوقف صحة بعضها على صحة سواه ، فكلها من المعارف المضافة أو المعارف النسبية التى لا يقوم عليها ركن ثابت من أركان الإيمان والثقة بالوجود المطلق والحياة السرمدية .

إن الضمير لم يذهب فى طريقه الطويل إلى الثقة بمعنى الوجود ليفسر تارة بمذهب داروين وتارة بمذهب كوبرنيكس وحينما بمذهب كارل ماركس وحينما آخر بمذهب

فماذا ينفع الناس بين هذه القوانين من إله « نسي » يتحول مع التجارب الحسية والفروض التي يسمونها بقوانين الطبيعة ؟ إذا كان للناس أن يحسوا بالحاجة الخاصة إلى الإيمان بالربوبية في ذات إلهية لها كمالها المطلق ومشيتها الباقية فاجتهدوا في هذا العصر إلى تلك العقيدة أمس وأقوى من حاجتهم إليها في عصر الدعوة المحمدية ؛ لأن تزعم الأساس الذي يسند قوانين العلوم الطبيعية لم يثبت - عليا - كما ثبت في عصرنا هذا الموسوم بسمه التحقيق والتقرير .

هنا يشعر الضمير الإنساني بالحاجة إلى الإيمان بالكمال المطلق والحكمة الخالدة بين أشتات من المعارف والفروض كلها مضاف إلى غيره وبعضها ينقض بعضها في مدى عمر الإنسان . والإسلام يأذن للسلم أن يبدل فروضه الحسية كيفما شاء وشاء له تجارب الحس وضرورات الحياة الموقوتة ، ولكنه لا يأذن له ولا يضطره إلى تبديل إلهه كلها خرجت له تجربة جديدة من هذا المعمل أو ذاك وكلها قال قائل باسم العلم إنه يثبت هذا وينسكرك ذاك ، وليس وراء كل ثابت ومنسكرك إلا قلق الضمير ثم اعتماده على الوجود المطلق بين هذه النسب والإضافات

« قل هو الله أحد الله الصمد ،

ألا إنه بكل شيء محيط .

والله الذي يحيط بكل شيء ، وبكل زمن ،

هو إله الإيمان ، وطلبة الإنسان ؟ .

عباس محمود العقاد

احتراقه . وهكذا يفعل العالم الطبيعي حين يقرر نسبة السكهارب التي ستتحول من جسم معلوم مع المؤثرات الطبيعية الخاضعة للرصد والإحصاء ، فإن ذلك الجسم يحتوى ملايين الملايين من السكهارب التي ترصد حركاتها على ذلك المقال فتعرف بالنتيجة النسبية ولا تعرف على التعيين والتحقيق في كل واحد منها ، وتلك هي القوانين الطبيعية كما يفهمها أساطين العلوم الطبيعية في هذا العصر الذي يظن الأستاذ نورثروب أنه جاء بالقوانين المصححة للدين .

مصادفات نسجها بموافقات الإحصاء على حسب العادة ، وليس فيها حقيقة واحدة تقيم الإيمان على قرار مكين ، وأين من طبيعة الإيمان قضية تقوم على مصادفات شركات التأمين ؟ . ونذع القوانين الطبيعية وننظر إلى القوانين الاجتماعية التي يدعى لها أصحابها أنها محور التقدم والجمود في حياة الشعوب .

منذ خمسين سنة كان الأكثرون بين أصحاب هذه القوانين ينعون على الإسلام أنه دين جهود لأنه يعوق المعاملات الاقتصادية ولا يسمح بتنظيم المصارف والشركات لتجريمه قروض الربا وإنكاره لكل ربا الجاهلية على كل صورة من صورته البينة أو الخفية (١)

فلم يمض جيل على هذه الصيحة حتى سمعنا أصحاب قوانين أخرى يصيحون بأن رأس المال كله نكبة على الإنسانية وعائق من عوائق الحرية الكريمة والعمل النافع .

(١) انظر في : « بريد المجلة » من هذا العدد فتوى فضيلة الأستاذ الأكبر عن الدين .

مَحْنَا بُرْزُ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

أَبْوَةٌ وَ بَنُوَةٌ

لِلأَسْتَاذِ عَمْرِو بْنِ الدِّينِ الْأُمَيْرِيِّ

« كان الشاعر مع أولاده الثمانية ، وعدد كبير من
أفراد أسرته في مصيف « قرنايل » ثم سافروا
جميعا ، بسبب افتتاح المدارس ، وبقي وحده ، في خلوة
شعرية خصبة ، كانت طليعتها القصيدة التصويرية
الوجدانية التالية »

أَيْنَ الضَّجِيجُ الْعَذْبُ وَالشَّغَبُ ؟	أَيْنَ التَّدَارِسُ شَابَهُ اللَّعَبُ ؟
أَيْنَ الطَّفْوَلَةُ فِي نَوَاقِدِهَا	أَيْنَ الدَّمَى فِي الْأَرْضِ ، وَالْكَتُّبُ
أَيْنَ التَّشَاكُوسُ دُونَ مَا غَرَضِ	أَيْنَ التَّشَاكِي مَا لَهُ سَبَبُ
أَيْنَ التَّبَاكِي وَالتَّضاحُكُ ، فِي	وَقْتُ مَعَا ، وَالْحُزْنُ وَالطَّرَبُ
أَيْنَ التَّسَابُقُ فِي مُجَاوِرَتِي	شَغَفًا ، إِذَا أَكَلُوا وَإِنْ شَرَبُوا
يَتَزَاوَحُونَ عَلَى مُجَالَسَتِي	وَالْقُرْبِ مِنِّي حَيْثُمَا انْقَلَبُوا
يَتَوَجَّهُونَ بِسَوْقِ فِطْرَتِهِمْ	نَحْوِي ، إِذَا رَهَبُوا وَإِنْ رَغَبُوا
فَنَشِيدُهُمْ : دَبَابَا ، إِذَا فَرَحُوا	وَوَعِيدُهُمْ : دَبَابَا ، إِذَا غَضِبُوا
وَهَنَافُهُمْ : دَبَابَا ، إِذَا ابْتَعَدُوا	وَنَجِيهِمْ : دَبَابَا ، إِذَا اقْتَرَبُوا

بالأمس كانوا مِلَّةَ مَنْزِلِنَا
وكانما الصمتُ الذي هبَّتْ
إغفاءةُ المحمومِ ، هدأتها
ذهبوا ، أجل ذهبوا ومسكنهم
لاني أراهم أينما التفتت
وأحسُّ في خلدي تلاعبهم
وبريق أعينهم ، إذا ظفروا
في كلِّ ركنٍ منهم أثرٌ
في النافذات ، زجاجها حطموا
في الباب ، قد كسروا مزاجه ،
في الصحن ، فيه بعضُ ما أكلوا
في الشطيرِ من نفثاحة قضموا
لاني أراهم حيثما اتجهت
بالأمس في د قرنايل ، نزلوا

واليوم - ويح اليوم - قد ذهبوا
أثقاله في الدار إذ غرّبوا
فيها يَشيعُ الهم والتعبُ
في القلب ، ماشطوا وما قرّبوا
نفسى ، وقد سكنوا ، وقد وثبوا
في الدار ، ليس يُصييهم نصب
وذموع حرقتهم إذا غلبوا
وبكلِّ زاوية لهم صخبٌ :
في الحائط المدّهون ، قد نقّبوا
وعليه قد رسموا وقد كتبوا
في علبه الحلوى التي نهّبوا
في فضلة الماء التي سكّبوا
عني ، كأسراب القطا ، سربوا
واليوم قد صمتتهم د حلب ،

* * *

ذمى الذى كتّمته جلدأ
حتى إذا ساروا وقد نزّعوا
ألعتنى كالطفل عاطفة
قد يعجب العذال من رجل
هيئات ما كلُّ البكا خور
لما تباكوا . عندما ركبوا
من أضلعي قلباً هم يجب
فإذا به كالغيث ينسكب
يبكى ، ولو لم أبك فالعجب
لني ، وبني عزم الرجال ، أب

عمبرياء الدببة الأُميرى
حلب

الكتاب

نقد وتعرّف

نار وأصفاد

(ديوان شعر للأستاذ محمود حسن إسماعيل)

بقلم الأستاذ محمد إبراهيم الجيوشى

على صاحب الديوان ، فقد رأينا له هذا الاتجاه من قبل ، فى ديوان « أغاني السكوخ » الذى صدر سنة ١٩٣٤ وهو يصور حياة الريف والفلاح والطبيعة ، وفى سنة ١٩٣٨ صدر له ديوان « هكذا أغنى » وفيه يتحدث عن الرق الاجتماعى الذى اتخذه مظهراً فى ذلك الوقت فى الصراع الحزبى وسيطرة الإقطاع ، وفى سنة ١٩٤٨ صدر له ديوان « ابن المعز » وفيه يتحدث عن الرق الإنسانى. إذن فليس بغريب على صاحب « نار وأصفاد » أن يجعل من ديوانه وحدة متكاملة تدور فى فلكها قصائده كلها .

والديوان مقسم إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : نبي الحرية

القسم الثانى : فى معارك الحرية .

منذ أشهر صدر ديوان « نار وأصفاد » يؤكد من جديد أن الشعر لم يتخلف عن ركب الحياة ، وأن القصيدة لم تترك معارك التحرير والبعث ، وتنغمس فى الآهات وتضل بين الشكوى والأنين كما رى الشعر بذلك أناس ؛ بل إن ديوان « نار وأصفاد » جاء ينفى هذه التهمة ويرد عن الشعر المعاصر مسبة التقصير عن المشاركة فى معاركنا الوطنية .

وقد اتخذ صاحب الديوان من الحرية وحدة تدور حولها قصائد ديوانه بأسرها .

فهو لم يكتف بأن يجعل من القصيدة وحدة حتى تخطى ذلك إلى ما هو أعم مدى بأن جعل الديوان كله وحدة تدور فى فلكها قصائده كلها ، وليس هذا الاتجاه بجديد

الحبيسة التي كانت تضطرم بها النفوس فلا تجد لها منفذاً فترتد ضراماً يحرق المشاعر ويفرى الأفئدة .

ولما تشاكى القيد خولى وأعولت
من الرق أياى وضجت سلسلى
وأخرس جلاد الطغاة قياثرى
وشلّ حديد المستقبل أناملى
ودوخ أرضى ظالم فخصاها
بكففيه أحزان الربى والجداول
وجئت حوالى الحياة فدمعة
تقول لأخرى : ذاب فى التيه ساحلى
وحرب على القضبان غنى عذابه
وأخر حرب فى قيود المجاهل
ومزق أقوامى غريب فأصبحوا
وهم غربة تشقى بحزن المنازل
وأطرق غابى من زهول وأوغلت
أفاعى الأسى ، ترى بسم المقاتل
تلفت فانساب الهدجى من مزاهرى

مزامير ليل عن خطا الفجر غافل
والذى يلفت المتصفح للديوان أن الشاعر
حينما يتناول موضوعاً من موضوعاته كثيراً
ما يكون غيره من الشعراء قد تناوله ، نجده
قد انفرد بجانب لم يلتفت إليه غيره من
الشعراء ، ولأناخذ مثلاً على ذلك حديثه عن
النبي العربى ودعوته إلى الحرية والثورة على
الجنود ، وكثيراً ما أنشد الشعراء فى هذا المعنى

القسم الثالث : فجر الحرية .

القسم الرابع : أغانى الحرية .

وقبل أن نمضى مع قصائد الديوان نجب أن نشير إلى أنه كان من الأوفق لصاحب الديوان - ما دام قد اتخذ من الحرية فكرة لديوانه - أن يجعلها عنواناً له كأن يسميه « فى موكب الحرية » ، أو يسميه ببعض أجزائه « أغانى الحرية » ، أو غير ذلك ، فإن هذه التسمية فيما أظن أوفق وأدل على مقصد الشاعر وأهدافه . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنك حينما تستعرض قصائد الديوان ترى الشاعر فى القسم الثانى الذى سماه « معارك الحرية » جاء بقصيدة اسمها « هادم الظلم » أنشدها فى المولد النبوى ، وتحدث فيها عن صاحب الرسالة وجانب من كفاحه . وكان الأولى بهذه القصيدة أن تضاف إلى القسم الأول ، نبي الحرية ، فإنها به ألصق ، فإذا ما أوغلت فى الديوان حتى القسم الثالث رأيت قصيدة بعنوان « عصا المعرى » ولم أستطع أن أهتدى إلى رابط يربط هذه القصيدة بقصائد القسم الذى جاءت فيه وكما تتحدث عن معارك الحرية .

وتستطيع أن تدرك أى عاطفة كان يجمع بها صدر الشاعر وهو ينفث قصائده ، حينما تقرأ له فى مطلع الديوان هذه الأبيات الثائرة المنطلقة كالحم المعبرة أصدق تعبير عن الثورة

من حياة الوطن ، ولهذا تراه يلف كثيرا
ويدور ، ويتغلف بغلاف من الرمز يجعله
يجمع ولا يبين ، وترى ذلك في قصيدته
الموءودة ، ويقصد بها الحرية ، تلك التي أغلقت
كل السبل دونها .

هلكت كل طريق نحوها
وانتهى بحثي عنها للعدم
قيل لي فوق الشرى مسكنها

فضربت التيه واجتحت الظلم
وهو لهذا يسأل عنها كل مظاهر الحياة
عله يجد لها أثرا فيعجزه ذلك أيما عجز حتى
مظاهر الطبيعة أيضا فقدت حرمتها مثل
الريخ والنجم والطير . استمع إلى جانب من
تساؤله هذا :

كم سألت الريخ عنها فشكت
برحها وانسربت فوق الجبال
ثم قالت : إننى طوافة
هكذا منذ تعلت الرجال
وخطاى فى يد مجنونة
تنهب الأفق ، ولا تدرى المآل
وعصا عمياء تغتاب الصدى

لم تزل تنشد فى أرض الزوال
وهو وإن لم يستطع أن يبكى حرية
الإنسان الضائعة خشية البطش والعسف
فهو يبكى حرية الطبيعة الضائعة وينطلق
مع هلال شوال المبشر بالعيد يرى فيه ذلك

واتخذوا من هجرة الرسول نقطة انطلاق
لقصائدهم وخيالهم وطافوا بأحداثها ولكن
صاحب الديوان يقف عند حادث من أحداث
الهجرة ويستغله استغلالا يدلّ حقا على
الخلق والإبداع . استمع إليه حين يتحدث
عن نسج العنكبوت على فم الغار ، إنه يأبى
إلا أن يكون الحديث على لسان العنكبوت
فيقول :

أنا نسّاج الحصون الشم
من أوهى الستور
وقف الدهر على بابي
مذعور الضمير
وحجاب الشمس لا قانى
بأجفان الضير
والضحى خزر كليل
فوق أعتابى أسير
أنا شك جاء يحمى
كل إيمان الدهور
ولا يملك المرء أن يمسك دهشته من هذه
الصور المتتابعة فى قوة وتماسك تتدرج فى
السمو حتى تبلغ الغاية فى قوله :

أنا شك جاء يحمى
كل إيمان الدهور
ومن السهل أن تدرك أن الشاعر فى القسم
الثانى من ديوانه كان كالمقيد المغلول حينما
يتحدث عن الحرية ، وضياها فى هذه الفترة

الأحادب النشوان يطل مبتسماً ساخراً بما يعاينه
 الشرق من قيود ، ويدفعه خوف البطش إلى
 الحديث عن الهلال حديثاً معجباً شائقاً .
 من الأحادب النشوان طاف العوالم
 وأوما إلى الشرق المصفد باسماء ؟
 يدب على ساق من النور لم تدع
 على الأرض ركناً مظلم الأفق واجماً
 ويمشى كما يمشى نبي مبشر
 بوحي ، يزف الخطو كالطيف حالماً
 ويرنو كما يرنو إلى الله عابداً
 يكاد من الإصغاء يحسب نائماً
 له قامة أحنت يد الدهر عودها
 فهل كان شيخاً من حي الخلد قادماً ؟
 وهذا الباب من الديوان يتنقل مع معارك
 الحرية في الشرق العربي كله من المغرب
 والجزائر إلى ضفاف النيل وبطاح فلسطين
 وهو وإن خص معارك النيل مع المحتلين
 بفيض من قصائده إلا أنك تلح فيها كما قلنا
 الخوف من عصا البطش والعسف . ولكن
 يزايله هذا الخوف إن تحدثت عن فلسطين
 أو الجزائر . استمع إلى بعض ما قاله في
 قصيدة خيمة البهتان التي يتحدث فيها عما يعاينه
 اللاجئون من قسوة هؤلاء الذين يتظاهرون
 بالعطف عليهم وتقديم يد المعونة إليهم .
 هنا في كبوة الأقدار بين السيل والويل
 وبين عواء شيطا ن طريد الجن مختل

يقعقع للرعود السو دماً خوذاً من الهول
 سمعت فخيح ثعبان على رثي منسل
 تدقق جسمه المقرو ر بين حفائر السل
 وبين شتاء بستان بدفء الموت مخضل
 وإذا ما انتقل الشاعر إلى القسم الثالث من
 ديوانه ، ذلك الذي يتحدث فيه عن فجر الحرية
 وتهزج قوافيه مع ثورة البعث تراه ينطلق
 في قوة ووضوح تلح في قوله لإصرار الحر
 وأنطلاقه فيقول :
 وإذا صوت على الوادي له
 فجأة الصور وإصرار القدر
 من دموع السكوخ ، من أشجانه
 ولياليه ، الضريبات البصر
 من حديد الفأس ، من نقرتها
 وهي تروى عن مأسيا العبر
 من أسى الفلاح في إطراره
 في الثرى وهو شق مصطبر
 من فم المظلوم ، من دعوته
 وهي كالغيب إلى الله تفر
 من جراحات الضحايا ساقهم
 نافخ للحرب كذاب أشر
 من كفاح الشعب ، من وقفته
 بين إقطاع تمطى وفجر
 زار الصوت الذي هز الوري
 ومضى للقيد حراً فانكسر
 وكما كانت الثورة نقطة انطلاق رعى الشاعر

كنت إشعاعه الضحي ، وهو جاح
راكع العقل ضارع لقنات
إلى أن يقول :

ردنى فارس العروبة للشمس
ودك الحدود من طرقات

ومضى ينسج الضياء لوجهي
ويخوض المعارك الداميات
والقصيدة متمسكة أخذ بعضها بحجز بعض
بحيث يصعب عليك كثيراً أن تأخذ بعضها
وترك البعض الآخر .

ولاشك أن الديوان زاخر بالآيات
الفنية التي تدل على رسوخ قدم الشاعر
وعلو كعبه ، وقد كان الشاعر يطالع
الناس بين وقت وآخر من خلال المجلات
التي كانت تقود الحركة الأدبية في العقد الماضي
من هذا القرن وفي مقدمتها الرسالة ، فلما حيل
بين الرسالة وقراءتها ، أحس عشاق الأدب
والشعر بفراغ كبير في حياتهم الأدبية وتعال
الهمسات بتخلف الشعر عن الركب ، ولكن
الديوان كما قلنا جاء ردا قاطعا على هذه الفرية ،
وأن القضية قضية النشر لا قضية الشعر .

وبعد : فإن كان لنا من ملاحظة نبديها
على بعض ما ضمه الديوان من قيم فنية ،
فهو حشد الشاعر لطائفة ضخمة من الصور
بمالا يتحملها الموضوع الذي قيلت فيه ،
وأما وأنا أبدى هذه الملاحظة قصيدة ..

(البقية على صفحة ٥٢٩)

فيها قيود الرمز وجابه الشمس في مثل قوتها
ووضوحها ، كانت كذلك الوحدة ، فقد غناها
أجل الأغنيات وأعذبها وأقواها ، وانطلق
يتغنى بالأجناد العربية ويقف في ساحتها
الخالدات يعدد مواقفها ويشيد بأيامها .
وقد وجد في مؤتمر الأدباء بالسكويت
في ديسمبر سنة ١٩٥٨ مجالا رحبا يعبر فيه عن
آماله وأجناد أمته في حلبة كلها تهتف بمجد
العرب ، فأشدد قصيدته .. راية الوحدة :

وإذا راية تمس يد الشمس
وتمضي لسدة النيرات
نفضت عن جبينها حسرة الذ
ل وداست على جبين الطفلة
قلت : من أنت ؟ فأنبرت تحصد
الصمت : وتروى العظام الخالدات

أنا بنت الوليد ، بنت صلاح الدين
بنت الملاحم الخالدات
البطولات نورت بين كفي
وشع الضياء من عتباتي
والنبوات أشرقت فوق أرضي
وأضاءت بنورها قسماي
وقف الغرب خاشعا عند بابي

واستمد الوجود من راحاتي
ورمت خيمتي على الكون فجرا
صد عنه الغواشي الخالسات
أنا بنت النجوم والغرب يدري
قصتي من عصوره المظلمات

بريئة الجلالة

بيوع الرئيس جمال عبد الناصر
والاستاذ الأكبر :

أرسل فضيلة الاستاذ الأكبر إلى السيد
الرئيس جمال عبد الناصر البرقية التالية لمناسبة
رحلته في سبيل السلام :

السيد / الرئيس جمال عبد الناصر
رئيس الجمهورية العربية المتحدة

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد :
فسرّجو لسيادتكم التوفيق في السفر
والإقامة والحل والترحال ، وأن يجعل الله
من هذه الرحلة المباركة خدمة للإنسانية
وإقراراً للسلام العالمي تحقيقاً لدينه القويم
ففي رعاية الله وحصانه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمود شلتوت

وقد تلقى فضيلته الرد الآتي من سيادة الرئيس :

فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد :
فقد تلقيت بسرور برفيتكم التي حملت إلى
جميل مشاعركم ، وصادق تمنياتكم بمناسبة سفرى
لحضور دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة .

راجياً أن يوفقنا الله جميعاً في كل عمل

يعود بالخير والرفاهية على البشرية . ودعم
السلام العالمى .

واننى لأبعث إليكم بأطيب تمنيات الصحة
والعافية ؟ جمال عبد الناصر

وأرسل فضيلته إلى سيادة الرئيس البرقية
التالية لمناسبة عودته من هذه الرحلة الموفقة :

السيد / الرئيس جمال عبد الناصر

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد :
فقتقبلكم أملك الحنون الجمهورية العربية
المتحدة بعد أن نشرت في الأمم المتحدة كلمتها ،
ورفعت رايها وأعلنت رسالتها مدوية
في الغرب تطلب للإنسانية السلام والطمأنينة
والتعاون على التعايش السلى ، بحمد الله
تستقبلك على سلامة وصولك ، ونرجو لك
دوام التوفيق حتى تأخذ بيد الإنسانية العامة
إلى أقصى درج السلام .

ولنى أتهنئ هذه الفرصة باسم الأزهر علمائه
وطلابه وموظفيه فأبعث إلى سيادتكم بالتهنئة
على هذه النهضة الكبرى التى هى الله لسيادتكم
سبلها . دمت مدافعا عن حقوق الإنسانية
ورائداً للعروبة وقوة دفاعة لفضائل السلام

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت

ممسوخة تقبل الزيف وتحقق الباطل وتموه
على الناس دين الله بالآراء الضالة والسدع
الدخيلة ، حتى هجموا في هذه الأيام على ضمائر
المسلمين بنحل إلحادية هدامة إذا غفلت عنها
الدولة الإندونيسية ولم تنهض لها الجامعة
الأزهرية تكشففت عن خطر كبير يصيب
الإسلام والمسلمين في هذه الأمة العزيزة .
فقد جاءنا من سفارتنا في إندونيسيا
مذكرتان تعلنان هذا الخطر بظهور أديان
جديدة أضلت بعض الناس وأحدثت بعض
الحوادث نلخصها فيما يأتي : -
ظهر في إندونيسيا في الآونة الأخيرة
دينان جديدان :

الدين الأول (سايتا دهارما) :

ومعناه الالتزامات السبعة وهي الولاء
للبانتشاسيلا الإلهية وأن الله سام في كل شيء
وخالد ، ومن عقائد هذا الدين عدم خرق أى
قانون للدولة والاشتراك الإيجابي في صيانة
الدولة والأمة ، والاستعداد الدائم لمزيد
المساعدة للآخرين والقدرة على الاعتماد على
النفس ، واليقين بأن الظروف الدنيوية ليست
خالدة الصفات وإنما تتعرض دائماً للتغيرات .
ولهذا الدين تعاليمه الخاصة بالزواج والوفاة .
وصرح السكايتن سوسميارتو أحد الداعين
إلى هذا الدين أنه لا يجب قمع عقائد هذا الدين لما

وتلقى فضيلته الرد التالى من سيادة الرئيس :
فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :
فإننى أبعث إليكم بأخلص الشكر على
برقيتكم التى حملت إلى كريم التهانى وصادق
المشاعر بمناسبة العودة من الخارج ، وإنا
لنحمد الله العلى الكبير على ما أفاء علينا من
فضل ، إذ وفقنا فى الجهاد من أجل السلام
ونصرة الحق ، وحرية الشعوب وسيادتها .
وإنى لأعرب لكم عن أطيب التمنيات
بموفور الصحة والسعادة راجيا للسادة علماء
الأزهر وطلابه وموظفيه كل توفيق
وسداد .

جمال عبد الناصر

موجة من الاغمار في إندونيسيا :

الإسلام هو دين الأمة الإندونيسية إلا فئات
قليلة منها تدين بالبوذية والمسيحية والهندوكية .
والذى نعلبه أن هذه الأمة العظيمة وعلى
رأسها الرجل المؤمن الصالح أحمد سوكانو
تؤمن بدينها كل الإيمان وتحرص عليه كل
الحرص ، ولم يستطع الاستعمار الهولندى
على طول مدته وشدة كيدته أن يفتنها عنه
ولا أن يشككها فيه . ولكن بعض الناس
هناك قد اعتقدوه من غير يقين وتلقوه من
غير فهم خال في نفوسهم المريضة إلى عقيدة

شوهدهوا في أوضاع مخجلة يزعمون بذلك أنهم يتقربون إلى الله .
وقد أعلن رئيس هذه الجماعة ويدعى « نواوى » نفسه نبياً .

وقد حدث صدام بين أتباع هذا الدين ورجال الجيش حين أوفدت القيادة قوة منها للتحقق مما بلغهم عن هذا الدين فهاجمها أتباعه بالعصى والسكاكين حتى قتل قائد القوة ، وفي اليوم التالى أرسلت القيادة قوة أكبر قوبلت بمقاومة شديدة من أتباع هذا الدين وإن كانت قد تمكنت فى النهاية من تشتيتهم فى الجبال بعد أن قتل منهم ٢٢ شخصاً من بينهم نبيهم نواوى ، وقتل خمسة من أعضاء القوة ، كما سلم ثلاثون شخصاً من معتنقى هذا الدين أنفسهم للسلطات .

* * *

كذلك ظهرت بالقرب من « باندونج » نخلة من بين المراسم التى يقوم بها أتباعها أعمال تمس الدين الإسلامى كوطء القرآن الكريم بالأقدام ، ويدعى زعيم هذه النخلة الشريرة أنه إله قدير مقدس يشفى المريض ويبرىء الصم والبكم . ولا بد أن يتعرض المتقدم لعضوية هذا المذهب لبعض اختبارات قاسية كوضع أسلاك كهربائية محملة بالتيار الكهربائى فى مواضع مختلفة من جسمه ، فإذا تحملها قبلت عضويته . ويؤدى أتباعه مراسيمهم مساء كل يوم جمعة وأحد وسط

فى إندونيسيا من حرية دينية ، وإذا ارتكب أحد أتباع هذا الدين جرماً فلا يجب اعتبار ذلك الجرم متصلاً بمذهبه الدينى ، وإنما يجب اعتباره عملاً فردياً خاصاً ، وأن عقائد هذا الدين لا تخرق قوانين إندونيسيا ولا تخل بمبادئ الأخلاق .

وصرح هذا الكاتبين بأن عدد أتباع الدين الجديد حتى الآن عشرة آلاف ، وقد طلبوا من الحكومة الموافقة على قانونية قيامه . وقد أعلن رئيس الشؤون الدينية فى جنوب سومطرة أن إمكانياته لا تمكنه من الوقوف فى وجه هذا الدين ، مما يدل على سرعة انتشاره .

والربيع التالى : حقيقات :

وقد ظهر هذا الدين فى منطقة سوكابوى بجاوة الغربية وشوهد بعض أتباعه فى مدينة بوجور على بعد نحو ستين كيلومتراً من العاصمة الإندونيسية ويوجب هذا الدين على معتنقيه أن يؤدوا فروضهم الدينية فى المسجد فى عرى تام إذا ما أرادوا التقرب إلى الله .

وقد اكتشف أمر هذا الدين الجديد فى ليلة عيد الأضحى من هذا العام (٦٠ / ٦ / ٤) حين نعى إلى قيادة الفرقة الرابعة أن هذا الدين منتشر فى قرية « شى روبروم » بمنطقة سوكابوى وأن ثمة جماعة مجتمعة فى مسجد القرية وهم عراة - رجالاً ونساء - وأنهم

في غرب جاوه بأن أكثر من مائة حركة دينية انتشرت خلال عام ١٩٥٩ وأن كثيراً منها يعتبر حركات ضارة يأتي أتباعها بأعمال منافية للنظام العام والآداب ، من ذلك أن أحد زعماء إحدى هذه الحركات تسبب في وفاة بعض المرضى وإلحاق كثير من الأذى بآخرين بادعائه القدرة على شفاء الأمراض ، وأن بعض هذه الحركات يقتضى القيام بأداء طقوس تتنافى مع الأخلاق ، ويسبب البعض الآخر تشويشاً لأفكار العامة .

وذكرت الإدارة أن تحرياتها أثبتت أن هذه الحركات الدينية تنبع من أحد المصادر الآتية : —

(أ) الرغبة في فرض شيء من النفوذ الشخصى على الأفراد .

(ب) العمل على زيادة الشعور بخودين معينين .
(ج) نشاط بعض الأحزاب السياسية تدفعها مؤثرات خارجية للعمل على نشوء حركات دينية هدامة .

(د) الرغبة في الحصول على ربح مادي .
وانتهى المتحدث من تصريحه إلى أن الإدارة أرسلت إلى وزارة الشؤون الدينية بجاكرتا اقتراحات لمواجهة هذه الحركات الدينية الهدامة لإحالتها إلى مكتب المدعى العام لاتخاذ الوسائل التنفيذية للحد منها . كما أن الجيش اتخذ خطوات هامة في هذا الشأن .

الصيحات المنفرة ، ثم يتبعون ذلك بشرب الخمر حتى يغيبوا عن وعيهم . وقد انضم لعضويته بضع مئات من أهالى المنطقة ولم يعرف اسم رئيس هذه الطائفة بعد .

وقام طبيب يدعى الدكتور د صالح ، في جاوة الوسطى بالإعلان عن مذهب ديني جديد يزعم أنه تفسير جديد للإسلام مؤداه أن المسلمين طبقتان : طبقة العلماء وطبقة الشعب وأن العبادة مفروضة على الطبقة الأولى فحسب ، أما الشعب فيكفيه أن يقوم بأعماله التي يتعيش منها ، وأن مجرد قيامه بهذه الأعمال عبادة .

وقد هاجم السيد وهيب وهاب وزير الشؤون الدينية في إندونيسيا أحد الأديان الجديدة التي ظهرت تحت اسم الإسلام الأبيض ، وصرح بأن الهولنديين كانوا يعملون على إيجاد مثل هذه المذاهب وأبدى عجباً من سكوت الجمعيات الإسلامية عن مهاجمة مثل هذه المبادئ والحركات الدينية ، وتهكم عليها قائلاً : إنها ربما كانت مشغولة عن الدين بالشؤون السياسية وأضاف أن من واجب هذه الجمعيات العمل على نشر التعاليم الإسلامية الصحيحة ، وأن على المدعى العام أن يتخذ من الإجراءات ما يراه كفيلاً بالقضاء على هذه المذاهب ومنع ظهورها مستقبلاً .

كما صرح المتحدث باسم إدارة الشؤون الدينية

من البنوك بفائدة محددة يتقاضاها البنك هل هو من الربا المحرم . ؟ وما حكم اقتراض الدولة شرعا من بنك أو من دولة أخرى بفائدة؟ وما حكم النظام المالى المعروف بالأسهم والسندات والفرق بينهما ؟ .

وقد أجاب فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر عن هذه الأسئلة بما يلي :

لا شك فى أن القرآن عندما حرم على المؤمنين التعامل بالربا حددده بالعرف الذى نزل فيه القرآن ، أى بالدين يكون لرجل على آخر ، فيطالبه به عند حلول أجله فيقول له الآخر: أخر عني دينك وأزيدك على مالك فيفعلان ذلك (وهو الربا أضعافا مضاعفة) فنهام الله عنه فى الإسلام .

وواضح أن هذا الصنيع لا يجرى عادة إلا بين معدم غير واجد ، وموسر يستغل حاجة الناس غير مكترث بشئ من معاني الرحمة التى يبنى الإسلام مجتمعه عليها ، والتى لو عذمت فى المجتمعات لأصبحت كبقية الحيوانات المفترسة . وهذا النوع من الربا لا تقبل إنسانية فاضلة الحكم بإباحته . وقد قابل القرآن الكريم حرمة فى جميع الآيات التى وجد فيها بالصدقة التى تبذل فى مساعدة الفقير المحتاج ، وتشير هذه المقابلة إلى أن تلك الحالة كان جدير بها أن تجرى فيها الصدقة ،

وصرح الدكتور جواندا الوزير الأول أنه نظراً لما للدين من دور هام فى حياة إندونيسيا فإن كل ماله علاقة بالدين سوف يخضع لعناية الدولة .

هذا وقد تقرر إعادة تنظيم الرقابة على النشاط الدينى حتى تعمل على الحد من انتشار هذه الحركات التى تظهر تحت اسم الدين وتسمى إلى النظام العام وقواعد الأخلاق . والتى تعتقد أن الغرض الأساسى منها هو النيل من الإسلام ومحوه من هذه البلاد - وقد نيظت رئاسة هذه الرقابة إلى مساعد النائب العام د كاداروسمان ، ويتكون أعضاؤها من ١٨ عضواً من ممثلى الهيئات المدنية والعسكرية ، وستقوم بإصدار مآراء من قرارات خاصة بمنع انتشار هذه الحركات وحماية الشعب من أضرارها .

ومن المعلوم أن الحكومة لاتقف ضد انتشار المذاهب والأديان الجديدة إلا إذا صدر عن هذه الحركات ما يخل بالآداب والنظام والأمن ، أو إذا كان فى وجودها خطر على الحكومة وذلك استناداً إلى الفقرة الثانية من المادة التاسعة والعشرين من دستور عام ١٩٤٥ المطبق حالياً والتى تكفل حرية الأديان والعقائد .

الربا الذى نزل فيه القرآنه :

يسأل السيد محمد ناجى المهندس عن حكم تحديد الربا وعن الاقتراض

كما نعلم ، تشتد حاجتهم في ذراعتهم وإنتاجهم إلى ما يهيئون به الأرض للزراعة ، والحكومة ، كما نعلم ، تشتد حاجتها إلى مصالح الأمة العامة ، وإلى ما تعد به العدة لمكافئة الأعداء المغيرين ، والتجار تشتد حاجتهم إلى ما يستوردون به البضائع التي تحتاجها الأمة وتعمرها الأسواق . ونرى مثل ذلك في المصانع والمنشآت التي لا غنى لمجموع الأمة عنها والتي يتسع بها ميدان العمل فتخفف عن كاهل الأمة وطأة العمال العاطلين . ولا ريب أن الإسلام الذي يبنى أحكامه على قاعدة اليسر ورفع الضرر والعمل على العزة والتقدم وعلاج التعطل ، يعطى للأمة في شخص هيئاتها وأفرادها هذا الحق ، ويبيح لها - ما دامت مواردها في قلة - أن تقرض بالربح ؛ تحقيقاً لتلك المصالح التي بها قيام الأمة وحفظ كيائها .

تقدير الحاجة :

غير أني أرى أن يكون تقدير الحاجة والمصلحة مما يؤخذ عن (أولى الرأي) من المؤمنين القانونيين والاقتصاديين والشرعيين ويكون ذلك في ناحيتين : ناحية تقدير الحاجة ، وناحية تقدير الأرباح ، واختيار مصادر القروض ، فلا يكون قرض إلا حيث تكون الحاجة الحقيقية ، ولا يكون قرض إلا بالقدر المحتاج إليه ، ولدفع الضرورة والحاجة ،

وهي التبرع المحض ، فإن لم تكن صدقة فلا أكثر من الرد بالمثل ، ومن النظرة إلى الميسرة : « يحق الله الربا ويربى الصدقات ، لا تظلمون ولا تظلمون ، وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون ، أما الزيادة والمضاعفة فيها فهما ظلم وعدوان ، وهما من موجبات المقت والغضب عند الله : « واتقوا النار التي أعدت للكافرين » .

والفقهاء تمشيًا مع توسيع نطاق الزاحم والبعد عما يفتح على الناس باب الزاحم المادي في الضغط على أرباب الحاجات ، توسعوا كثيراً فيما يتناوله الربا ، وكان لهم في ذلك مشارب مختلفة وآراء متعددة ، ورأى كثير منهم أن الحرمة فيما يحرمون تتناول المتعاقدين مع المقرض والمقرض ، وإنى أعتقد أن ضرورة المقرض وحاجته مما يرفع عنه إثم ذلك التعامل لأنه مضطر : أو في حكم المضطر ، والله يقول : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » .

وقد صرح بذلك بعض الفقهاء فقالوا : يجوز للبحر الاستقراض بالربح .

وإذا كان للأفراد ضرورة وحاجة تبليح لهم هذه المعاملة ، وكان تقديرها مما يرجع إليهم وحدهم وهم مؤمنون بصيرون بدينهم فإن للأمة أيضاً ضرورة أو حاجة ، كثيراً ما تدعو إلى الاقتراض بالربح ، فالمزارعون

على أن المقال قد أثار في صدرى لاجئاً من الأسى ، إذ ذكرنى بمالم أنسه بعد من تهجم منسكراً قام به مدرس للأدب فى ثانوية رسمية من الإقليم الشمالى على اسم صلاح الدين ..

وما أحسبنى لإلامعذوراً إذا أنا . أسيت لمثل هذا التناقض العجيب يقع بين ما قرأناه فى مقال الدكتور بدوى عن عظمة صلاح الدين ، وما نطقه ، هذا الأستاذ من الإضرار بمقام صلاح الدين ...

ولعل مما يثير الدهشة أن حديث هذا التهجم قد ملا أسماع المثقفين والمدرسين ، حتى إن موظفاً غير صغير قد فأنحنى بأنه تلقى خبره وهو فى دمشق .

ولقد رأيت من واجبى الأدبى والشعبى أن ألقت نظر المسئولين إلى الموضوع رجاء أن يوضع حد لمثل هذه الشعوبية السامة ، يحصن طلابنا المساكين من ضرورها ، ويصون لمقدساتنا القومية الشائخة مكاتنها فى تلك القلوب الغضة .

وها أنذا أضع قضية هذا التهجم المنسكراً بين يدى هيئة الأزهر ، وشيخها الأكبر ، ومجلتها الموقرة ملتصقاً بنشر هذه الكلمة ليطلع عليها الرأى العام بعد الرأى الرسمى .

أبو هسان

مدرس للأدب العربى
اللاذقية -- الإقليم الشمالى

ولا يكون قرض إلا من جهة تضرر استغلالنا واستثمارنا ولو أن الأمم الإسلامية تكافقت على وضع أساس اقتصادى يحقق مصالحها ، ويقبها شر التحكم الأجنبى لوجد من مبادئ الإسلام الاقتصادية ما يجعلهم فى مقدمة الأمم اقتصاداً وقوة وحضارة . أما الفرق بين الأسهم والسندات فهو أن الأسهم من الشركات التى أباحها الإسلام باسم المضاربة ، وهى التى تتبع الأسهم فيها ربح الشركة وخسارتها ، وأما السندات ، وهى القرض بفائدة معينة لا تتبع الربح والخسارة ، فإن الإسلام لا يبيحها إلا حيث دعت إليها الضرورة الواضحة التى تفوق أضرار السندات التى يعرفها الناس ويقررها الاقتصاديون .

محمود سلتوت

معركة بيت المقدس :

اطلعت على المقال الممتع الذى كتبته الدكتور أحمد بدوى عن (معركة بيت المقدس وأثرها فى الأدب) وذلك فى عددى الربيعين من عام ١٣٨٠ هـ فكان لذلك أثره العميق فى نفسى إذ وصلنى من جديد بماضى الجهاد العظيم الذى ينهض به بطل الإسلام أبو المظفر صلاح الدين الأيوبى رضى الله عنه وأرضاه ، وجزاه عن أمة محمد حتى تقوم الساعة خير ما يجزى عبقرى وقف مواهبه على صيانة دينه واستنقاذ مقدساته .

أَنْبَاءُ الثَّقَافَةِ

- * بوجه فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر الدعوة إلى علماء المسلمين وأهل الرأي فيهم لعقد مؤتمر إسلامي عام في القاهرة في شهر يوليو من سنة ١٩٦١ .
- * وتشترك وزارة الأوقاف في تنظيم المؤتمر والدعوة له .
- * تطبع قريباً « آيات الدعاء في القرآن » وهي تجريد الآيات القرآنية السكرية الواردة في الدعاء والتوجه إلى الله . وقد قام بتجريدها فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر . ويطبع منها عدد كبير يوزع على الهيئات في البلاد الإسلامية والعربية والإفريقية .
- * وضع مشروع لإنشاء دار جديدة للكتب الإسلامية والعربية على أن تكون أضخم دار في البلاد العربية كلها .
- * قبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود

(بقية المنشور على صفحة ٥٢١)

- « الله والشرق » التي يتحدث فيها عن ملهامة الاستعمار ومحاولته صرف الناس عن قضيتهم ببعض المظاهر الخادعة ، والشاعر يبدأ القصيدة بالاستغاث بالله من إطباق الدجى :
- رباه ضاع السر من يديّنا
وأطبق الليل على عينينا
ولم أجد فوق الحياة شيئاً
يطفي العذاب الهادر الخفياً
إلا ندائى فى الدجى يارب
وقد تعجب حينما تراه يعقب ذلك بمزج هذا الجو الصارخ من ظلم الحياة بحديث الأنعام
- والرحيق والأكواب والشراب فيقول :
طرقت بالأنعام كل باب
وطفت بالرحيق والأكواب
ولم أدع أفقا بلا شراب
وعدت لا أحمل فى عباي
غير الأسى يسقى الأسى فى قلبي
وبعد : فهذا ديوان « نار وأصفاد »
للشاعر الكبير الأستاذ محمود حسن إسماعيل
جاء يؤكد من جديد رسالة الشعر ويحفظ له مكانته .

محمد إبراهيم الجبوسى

في معرفة الأواخر ، بلوغ المنى في تراجم أهل الغنى ، ذيل سلك الدرر ، عنوان الزمان في تاريخ الشيوخ والأقران ، معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب ، لإعلام الورى بمن ولى نائباً عن الأتراك بدمشق الكبرى ، تاريخ أعيان حلب ، نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر .

* في الأسبوع الأول من شهر أكتوبر الماضى احتفلت الأوساط الثقافية في العالم بذكرى مرور ٩١ سنة على ميلاد غاندى .

* يصدر الاتحاد السوفيتى دائرة معارف عالمية لمناسبة مرور ٢٥ سنة على وفاة مكسيم جوركى . يشترك فيها كبار الأدباء والسياسيين فى العالم والجمهورية العربية المتحدة .

* أرسل أربعة عشر طالبا من تايلاند إلى مشيخة الجامع الأزهر يطلبون إلحاقهم بكليات الأزهر ومعاهده . وقد أمر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر بقبول طلباتهم .

* يعقد بالقاهرة فى يناير القادم المؤتمر الدولى الثانى للدراسات الجغرافية فى إفريقيا وآسيا .

* يقام فى شهر مارس المقبل بالقاهرة مهرجان

شلتوت رئاسة الشرف للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى أنشأته وزارة الأوقاف .

وقد استقبل فضيلته السيد أحمد عبد الله طعيمة وزير الأوقاف وبعض كبار رجال الوزارة لوضع الأسس التى يقوم عليها عمل المجلس . وأصدر السيد الوزير قرارا بتعيين أمين عام للمجلس يعاونه سكرتير عام وسكرتير مساعد .

* يتقدم بعض رجال التعليم الذين عملوا فى الباكستان بمذكرة إلى الجهات المختصة فى شأن توثيق العلاقات الثقافية بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة .

ومن المقترحات فى هذا الشأن إنشاء مراكز إسلامية وثقافية فى كل من كراتشى ولاهور ودكان ، واختيار نحو خمسين من مدرسى اللغة العربية للإشراف على تدريسها فى مدارس الباكستان . واختيار عدد آخر من العلماء لشرح أصول الدين لأهل البلاد ، واستقدام النابهين من أبناء باكستان لإتمام دراستهم فى الأزهر وجامعات الجمهورية العربية المتحدة .

* يعمل المجلس الأعلى للفنون والآداب على تحقيق ونشر مجموعة من الكتب التاريخية القديمة منها : ارتياح الخواطر

- * يستمر أسبوعاً لمناسبة مرور مائة سنة على إنشاء المجمع العلمي المصري. وتشارك في المهرجان الهيئات العربية العلمية والأدبية ويدعى إليه ممثلون لأكاديميات العلوم في شتى أنحاء العالم. ويناقش في المهرجان مائة وعشرون بحثاً يعدها العلماء المختصون.
- * يفتتح في شهر يناير القادم في إندونيسيا مركز ثقافي عربي يقوم على نشر هذه الثقافة في إندونيسيا والبلدان الأخرى الغير العربية التي يدين أهلها بالإسلام وترغب التوسع في دراسة الثقافة العربية. وتقع معظم هذه البلاد في جنوب شرق آسيا.
- ويقوم المركز بإنشاء وحدة ثقافية متنقلة بين بلاد إندونيسيا للاتصال بأكبر عدد ممكن من السكان.
- * يوجد في المملكة المغربية ٦٨ مدرسة لليهود تملكها الطائفة الإسرائيلية تضم حوالي ٣٢ ألف طالب ويشرف على تعليمهم ٤٧٠ مدرساً يهودياً.
- وقد قررت حكومة المغرب إلغاء هذه المدارس تدريجاً وإدماجها في المدارس الوطنية. على أن تبدأ فوراً في تدريس اللغة العربية لغة أساسية.
- * عقد في موسكو في شهر أغسطس الماضي مؤتمر المستشرقين الخامس والعشرين واشترك فيه ممثلون وعلماء من الجمهورية العربية المتحدة والمغرب ولبنان والعراق والجامعة العربية وأعضاء أوروبيون كثيرون من المستشرقين.
- وعندما اقترح وفد الجمهورية العربية المتحدة عقد الدورة القادمة في الإقليم المصري وقف ممثلو العراق وأعلنوا أن العرب كلهم أمة واحدة. وأن عقد الدورة القادمة يستوى عندهم أن تعقد في دمشق أو القاهرة أو بيروت لأنها كلها عواصم الأمة العربية وأيدهم في ذلك ممثلو المغرب ولبنان.
- وقد قررت هيئة المؤتمر طبع البحث الذي أعده الأستاذ أمين الخولي وألقي خلاصته في الدورة عن : « صلات بين النيل والفولجا » ونشرت جريدة برافدا الروسية بحثاً طويلاً عنه.
- وقد تقرر أن تعقد دورة المؤتمر القادمة في مدينة دلهي بالهند.

الفهرس

- صفحة
- ٤٧٦ تأليمة القرن الثامن عشر وهل معتقدها
مؤمنون ؟ - ٢ - للدكتور محمد غلاب
- ٤٨١ جلال الدين السيوطي
للأستاذ حسن الشبخة
- ٤٨٥ الإسلام في أمريكا الجنوبية
للدكتور جمال الدين الرمادى
- ٤٨٨ من روائع الفكر الروحى : الانفعال الخلاق
عند الفيلسوف برجسون
- للأستاذ محمد فتحى عثمان
- ٤٩٣ الدعوى الجنائية فى التشريع الإسلامى
للأستاذ محمد عطية راغب
- ٥٠٠ الوازع الدينى والثقافة العلمىة
للأستاذ راشد رستم
- ٥٠٤ دور الكتب وأثرها فى الثقافة الإسلامىة
للأستاذ سعد توفيق حمدى
- ٥٠٨ ديمقراطىة الإسلام : تحول أسامة بن زبد
للأستاذ عباس طه
- ٥١١ ما يقال عن الإسلام : عقيدة الذات الإلهىة
فى الإسلام . للأستاذ عباس محمود العقاد
- ٥١٥ أبوة وبنوة (قصيدة تصورىة)
للأستاذ عمر بهاء الدين الأمبرى
- ٥١٧ الكتب : نار وأصفاد (ديوان شعر للأستاذ
محمود حسن إسماعيل) للأستاذ محمد إبراهيم الجىوشى
- ٥٢٢ : بريد الحلة : بين الرئيس جمال والأستاذ الأكبر
موجة من الإلحاد فى إندونيسيا : الربا الذى
نزل فىه القرآن - الضرورات والحاجات -
تقدير الحاجة والمصلحة لأولى الرأى - معركة
بيت المقدس .
- ٥٢٩ أنباء الثقافة
- ٤٠٧ ثوراتنا الثلاث تعوزهن رابعة !
للأستاذ أحمد حسن الزيات
- ٤١١ صدى جامعة القرويين فى الجمهورية العربىة المتحدة .
لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر
- ٤١٥ الأدب العربى أذى رسالته ويؤدها
للأستاذ عباس محمود العقاد
- ٤٢١ الإيمان بالله
للأستاذ الدكتور محمد البهى
- ٤٢٥ مقوماتنا الروحية أمام المادية العلمىة - ٢ -
للأستاذ محمد محمد المدنى
- ٤٢٩ تفحات القرآن : موقف الناس بين الدعوة إلى
الهداية والجنوح إلى الغواية
للأستاذ عبد اللطيف السبكى
- ٤٣٤ من اقيم الإنسانىة فى الإسلام : الحجة
للدكتور محمد يوسف موسى
- ٤٣٩ مشكلة الخط العربى للدكتور تمام حسان
- ٤٤٤ للمصطلحات العروضية
للدكتور عبد الله درويش
- ٤٤٩ الشيخ عبد الجواد رمضان
للأستاذ على العمارى
- ٤٥٥ الشباب العربى والحياة المعاصرة
للأستاذ محمود المرقاوى
- ٤٥٩ آراء معاصرة حول : التفسير العلمى للقرآن
للأستاذ محمد رجب البيوى
- ٤٦٦ جامعة القرويين بين الماضى والحاضر
للأستاذ أسعد حسنى
- ٤٧٣ أبو الحسن الشاذلى فى معركة للصورة
للدكتور عبد الحليم محمود

The minarets should be enlightened, and the Qur'an should be read every where.

The Fatimid government took the necessary steps to keep discipline and to avoid disturbance.

For this reason the Wali and his assistants stood at the top of the crowded streets to prevent the people from rioting and brawling.

The Moslems during the Ayubid, and Mameluke periods stuck to celebrate this day.

Till now the Moslems in Egypt consider it as a day off, and the government work becomes suspended.

People congratulate one another upon Mohamed birthday, and invoke a blessing on one another.

Palaces, Mosques, streets, are all enlightened on that night, and nearly all the shops are packed with sweets, sweet dolls, and horsemen for the children.

Benevolent, and philanthropic deeds are widely spread in the course of this day.

The rich spend from their affluence, and wealth on the poor, and the strong show their mercy to the weak, and the old cite the noble ends, and honourable intentions of the prophet to the young.

In these last aspects appears the quintessence of this glorious memory.

donors grasp this opportunity to show their generosity.

The first of Ramadan, the Persian new year's day, and the memory of birth day of the prophet, and the memory of the birthday of the caliphate were anniversary official feasts during that period held in high respect

The first prince who celebrated
Mohamed's birthday.

The prince Abu Said Mozafar Eldin Elerbely died 630 Higra was the first caliphate who celebrated that day throughout the Islamic orient. Many people from Baghdad, Mosel, Nassibine, and Persia associated with him for this purpose.

Many of them dropped at "Irbel" from the beginning of Moharam and remained till the end of the feast.

This prince set up numerous sects for the singers, musicians, and the people passed across them to join the rejoicings.

Moreover he spread many tables provided with different sorts of food for the people.

Instantly the prince comes with his royal procession riding his horse and handling candles, then he returns

to his palace where a gerat festival is set on the occasion of this day.

Orators begin to narrate the "Sirah" of Mohawed and the story of "Mirag".

In Egypt the Fatimids paid much attention to religious feasts amongst which the memory of Mohamed's birthday, the memory of the day of Higra, the memory of Ali birthday, and his sons El Hassan and El Hossayn the memory of the birthday of Fatma Elzahraa, the first day of Ragab, and Shaaban, and the middle of Ragab and Shaaban.

The Fatimids insisted on giving Mohamed's birthday what it is due to its glory and religious importance.

They were accustomed to set dining tables and distrilbute thousands of loaves and "dinars" on their subjects.

Numerous tons of sugar were prepared to make many sorts of sweets which were distributed on the judges, readers, orators, and the employees of the mosques.

The ways leading to the caliphate's palace or Azhar mosque should be swept and sprinkled with water.

he was inspired with. He gathered his relatives and asked them whether he was once a liar. They replied to him that he was never this creature.

Then he informed them that he is the God's messenger to them especially, and to all people generally, but his message fell on deaf ears. On the contrary they insulted him invoked evil upon him, left no stone unturned to torment him. and put him to extreme pain.

Thirteen years of suffering.

Mohamed spent about thirteen years suffering this tremendous torture, hearing all sorts of bad names. His opponents accused him of being a quack, or a wizard or an outstanding liar.

They all launched an attack and opened hostilities against him, but in the end he was able to overwhelm all these obstacles, entered Medina, and spread Islam everywhere.

But this is not the time to demonstrate this glorious stiefe of our prophet. To sum up he was able to surrender all the Arab tribes to Islam, planted amity and fiendly relations, among the hearts of the Arab tribes. He abolished vengeance, and fanaticism, and bigotry.

He was capable to establish a

central respective government. Owing to Islam the pre-Islamic morals were changed, and virtue found its way to the hearts of people.

No wonder, therefore, that the Moslems celebrate Mohamed's birthday. But it is a matter of fact that the Moslems did not congregate on that day during the life of Mohamed.

No word is uttered in "Hadith" concerning this habit, and no official ceremony was made on this occasion at the beginning of Islam.

Many pious people considered the ceremonies and festivals a sort of novelty in Islam, but on the other side other people devoted to Godliness and righteousness found it necessary to celebrate that day to recollect it along the days.

Kargy who was one of the ascetic people offered his life to religious devotion during the fourth century of Higma was accustomed to break his fast only in the Lesser Bariam, the greater, or corban Bairam, and Mohamed's birthday.

Since that time the moslems celebrated that day.

The Abassids spare no effort to attract the attention of their peoples. They distributed gifts, offers, alms, and charities amongst the poor. The

These people were known as Honafaa. The word is derived from the word "Hanif" which was the religion of the prophet Ibrahim.

Across these environments wrapped up in the darkness of idolism God sent Mohamed with God's message to the world to teach the people the immortal fact that there is no God except our single God, who knows alone what is hidden in the hearts of the people, the meaning of every sight, and God deals with everybody by his own coin, whether it is good or evil.

The birth of light:

The Prophet Mohamed received the light of life on the 12th of Rabie El Awal as it is stated in the majority of the Arabic references.

Mohamed's father died before Mohamed's birth. He gave his infant to a bedouin nurse whose name was Halima to suckle him as it was the dominated habit among the noblemen of koraish tribe.

The baby grew up in the bedouin sphere and was able to master the Arabic language in a short space of time.

His mother died when he was si years old, and Mohamed was accustomed to go out with his foster brothers to graze goats and sheep.

For this reason his heart became filled with mercy, kindness, and bounteous qualities.

Mohamed, worked after that as a merchant, made for Yemen and Syria several times. Consequently he widened his talents, deepened his experience, and became aware of the ways of treetment and the characters of people.

Moreover he was utterly versed in the various styles of buying and purchasing. He was known by his truth, fidelity which was his slogan from the very begining of his life.

He became celebrated amongst his tribe for his modesty, patience, clemency, long suffering, and generosity.

Mohamed loathed the worship of idols, and hated all sorts of wine, and declined earnestly to eat what was slaughtered on the signposts.

He refused to attend the assembly of follies, and evils, preferred solititude, and praying. When he reached the age of forty God communicated the secret to him, God inspired him with the new religion on the 17th of Ramadan, the month of fasting.

A message to an illiterate prophet.

Notwithstanding Mohamed was illiterate, and did not attend any school, he was able to read what

THE BIRTHDAY OF MOHAMED THROUGH HISTORY

BY

Dr. Gamal Addin Arramadi

On the twelfth of last Rabie El Awal festivals were held on the celebration of the memory of the prophet Mohamed's birthday. This induce us to speak about this glorious day through history.

In fact the birth of Mohamed was the exordium of a new life and the preface of blessed days in the history of the Arabs and Islam.

Fortunately for Islam that this happy event occurred in the elephant year through which Abraha Al Ashram the representative of Nagashy on Yemen was overcome and expelled from kaaba. Therefore Mecca was saved from the tremendous peril of Abyssinia.

For this reason the elephant year was a nice beginning for a new century, generally in the history of the Arabs and especially in the history of Koraish tribe.

Religions before Islam :

Idolism before the birth of the

prophet spread throughout the Peninsula. The idolists were accustomed to offer sacrifices to their gods and to walk Collectively around their temples.

The Jewish religion spread throughout Yemen, Alkira Vally, Yathreb, Khayber, and Taymae.

Christianity spread amongst the tribes of Taghleab, Hassan, and kodaa, in the north, and in Yemen in the south.

Persian religions were well known in Yemen, Haran, and the north of Iraq.

Among the Arabs there were enlightened people who perceive the corruption of the religious conditions, and attempted to rescue themselves from idolism to some high beliefs.

Some of them disdained the worship of idols and were convinced of a single God, and the day of judgement. They came to the conclusion that God will award everybody on his deeds whether they are good or evil.

We deceive ourselves if we depend on the mind or on actuality alone.

Actually, belief in God is a necessity for the existence and nature of man. It is man's inclination to obey that is, by nature he chooses to follow or separate. He only obeys the one whom he considers superior in authority, in wisdom, etc. Once he surpasses the one he believed superior in certain qualities, or discovers some defect in him, he ceases his obedience towards him. Man is man, however, he will never surpass ultimately, nor will the belief of surpass last in him.

Therefore, continuous obedience should be to an ever-surpassing being. It is God alone who is the ultimate surpasser throughout the universe.

Thus, belief in God is dictated by the nature of man. As belief in God is dictated by the nature of man, its value is manifested in the fact that belief in God is the basis of the belief in the message, transmitted by the messenger. The message of the messenger is nothing but laying out the straight road which, if followed by man, will lead to perfect individuals

and to society. The planning of the straight road is the revelation of the ultimate superior being, above human partiality to one race or another, beyond all needs and changeability. God is the ultimate, self-sufficient, superior being.

If man believes in this message, the message of the straight road, he himself will benefit, and will benefit others in his society. The happiness of man is achieved when he is satisfied and has gained tranquility. He cannot attain this tranquility unless he realizes his position and that of his fellow men, and cooperates with them as a brother, working for peace and the good.

There is no fear that belief in God, which is for the good of all nations, may lead to fanaticism. Fanaticism bears the connotation of aggression, but the power of belief is manifested in understanding life and tolerance in dealing with people. Fanaticism is a sign of partiality, but tolerance is not a sign of leniency in belief, but a sign of good interaction and discipline.

This is the ultimate goal of religion and message of Islam.

and actuality just like the doctrine of transferring of beliefs from the circle of God to that of the mind.

This means confining belief to the mind alone, or to senses and actuality alone, is most harmful since it is based on exaggeration and deception. Their argument is not, as some thinkers tried to put it, to picture belief in God as harmful to man.

The other group, that sees no necessity for belief in God in the life of man, states that so long as there is a conscience in man to guide him towards the good, there is no need for belief in God. They contend that for people the ultimate value of believing in God is to persuade man to do good and avoid evil.

This point may sound convincing, but in fact it reveals some deception. One may ask. "Is there a conscience in every person to lead him toward the good?" If the answer is in the negative, he will ask again: "What is the source of the formation of conscience in man if it is not naturally implanted in him?"

Is philosophy the source of the formation of conscience? And which philosophy is it? Who is the philosopher, or the father of this philosophy?

Is he a human being stripped from the ever-changing conditions of

man and from the effects of environment and heredity?

Does he not fall sick, or become unfit? Does he not worry and feel restless? Is he never angry or emotionally upset? Is his life so monotonous that he does not sometimes feel enjoyment of life and at some other times sadness?

Where is this philosopher? Among what nation is he to be found? To what society does he belong? Does he belong to the white or to the black race?

If this philosopher is not above human emotions, his philosophy will not suffice as foundation to bring forth the conscience in man, pure and inclined to do good towards all people.

Up to this moment, we do not know where to find this philosopher. Consequently, the source of the formation of conscience in man must be a general source for all people, regardless of colour and race. This source is nothing else but the message of God, for God is the Creator of all people and He is the organizer of the universe. He is merciful to men.

So there is no other way but to believe in God if we acknowledge the necessity of conscience in man as a motivator towards doing good.

capability by assigning to it a creative function in the life of man.

However, this doctrine did not escape criticism. The human mind, even if freed of all subjectivity in judgement, planning and guidance, is influenced by ever changing circumstances of man. Man feels secure at one time and worries at another, he is healthy today and sick tomorrow, happy now and unhappy the next moment an ever-changing, unstable creature. Thus man's thinking, the function of his mind, cannot be taken as foundation for a code of laws for a nation, not to speak of humanity in general.

In the light of this objection to the value of the mind and its sufficiency in guidance some thinkers, later on, advocated the transfer of belief from the scope of God and the mind of man to the circle of senses and actuality. Their justification was derived from the claim that religion as the source of belief in God is but a source of deception for man, because man may understand religion from the behaviour of the people of that certain religious organization, who monopolized its interpretation together with the authority in guidance. They also justified their doctrine by asserting that, if the mind was independent from senses and actuality, it would be as deceiving

as opium. The mind very often goes astray and very often imagines. Therefore, their circle of belief centered around senses and actuality.

They saw that actuality was everything in man's life: actuality dictates and man has to obey. What is understood by actuality is the law of life and man is part of nature, influenced by the laws of life.

Again, this doctrine like the preceding one, raised criticism, which was probably even stronger and clearer. The criticism goes that if the nature of senses and actuality is to dictate, man is made up of senses and actuality; consequently he also dictates. When man is being dictated, he himself dictates someone else: thus he is acting by means of senses and actuality and not merely reacting. This means that he gives and takes, directs and is directed influences and is influenced. He is not just a receiver, always influenced by others.

This means also that man has positiveness as well as actuality. The doctrine of transferring belief from the circle of God and that of the mind to the circle of God and that of the mind to the circle of senses and actuality is based on exaggeration, being deceived by senses

BELIEF IN GOD

by

Dr. Muhammad El Bahay

Director General of The Islamic Culture
Administration

People have always discussed belief in God and have differed in their opinions.

Their discussion of belief in God, its value, and their different ideas on this subject are not today's topic, nor that of the recent or far past. There are repeated discussions, which will be repeated so long as man is man, ever changing in his way of thinking, and what he believes today to be sound and logical will tomorrow be uncovered as false imaginations.

Some people see harm in believing in God, some consider belief unnecessary for life, while others regard it as a necessity for the good of the individual and the happiness of society.

Those who see harm in believing in God do not actually mean to abolish belief from the life of man but to transfer it from the circle of God to some other circle. The reason for this is to monopolize authority

in guidance and leadership, or at least to free themselves from so-called subordination and trusteeship.

It is known that in Europe a certain religious organization monopolized belief in God and in doing so assumed authority to know religion and direct people, in their thoughts as well as conduct.

This situation stirred up some thinkers, and later on some politicians, who denied this organization authority for monopoly over religion and consequently over people. They called for freedom from monopolized religious guidance exerted by the authority of that organization. At this point some thinkers even called for the transfer of belief in God to belief in the human mind, believing in the capability of the mind and its independence in guidance without having to rely on any outside authority such as the authority exercised by this religious organization. But this doctrine of belief in the capability of the mind exaggerated its

original message they all referred to the Islamic prophecy, that is, to its regulations and principles.

Mohammed, being the seal of all prophets, is acceptable to a Muslim through his faith, and furthermore, because it is a scientific fact which he can perceive through his reason and can witness its evidence in past ages as well as in his own age; in doing so he is obeying the orders of his religion.

It may be a pleasure to many in modern times, proud of their achievements in science and their inventions, to say : "We are living in the age of science. It is the age of Signs of Nature."

Let them say as they Please.
Let them say it again and again in challenge to all prophecies; but not in challenge to the prophecy that sealed all prophecies, the prophecy that, 14 centuries ago, stated what they are saying now. The one that showed them that they are to live guided by their own insight, and by what they witness of these Signs of Guidance in nature, by secrets of creation and visual proofs. Every miracle of science to-day is but a part of the miracles of the religion Mohammed conveyed to us :

"And thou wilt see and they will see."

Such Calls began and ended before the development of the general principle of humanity and the principle of Man being responsible for the honesty of reason and conscience.

The prophecies of the Sons of Israel are still confined to one human descent, isolated by its past and present from other nations.

Jesus christ made a wide shift when he accepted his spiritual sons of Abraham as his physical sons. He conveyed his Message, but left Man after him badly in need of a message to help him to be self - dependant in trying to escape his own errors and to redeem his bad deeds and be responsible for his own goodness.

The role of the prophecy in the history of humanity will not end unless it succeeds in planting a general meaning of humanity in the souls of human beings.

Prophecies will not be sealed unless Man can be addressed mentally and is accordingly responsible within this scope, and unless Man participates being on the same footing with his fellow men — in worshipping One God, the Lord of the whole universe.

He is not the God who bestows

his blessing on one descent in return of naught of their own making.

When the Islamic Prophecy came. it was mentally accepted as a seal of all other prophecies as it is present in all times with the sound-minded responsible Man.

“Do! in the creation of the heavens and the earth, and the difference of night and day, and the ships which run upon the sea with that which is of use to man, and the water which Allah sendeth down from the sky, thereby reviving the earth after its death, and dispersing all kinds of beasts therein, and (*in*) the ordinance of the winds, and the clouds obedient between heaven and earth: are signs for people who have sense.”

Again we say, the sealing of prophecies has been accepted by reason after the Mohammedan Call. It can be added that it is acceptable if judged by reality and history. The human world which experienced so many successive prophecies before Mohammed, did not experience one sound prophecy after him.

Those who came after Mohammed were but imposters with no followers either in their life or after their death. No one of them had an

I knowlege of the Unseen, I should have abundance of wealth, and adversity would not touch me. I am but a warner, and a bearer of good tidings unto folk who believe.”

True. There is neither temptation nor bargaining for a sacrifice or penalty and reward in give and take :

“ Say : I say not unto you I possess the treasures of Allah, nor that I have knowlege of the Unseen ; and I say not unto you : Lo ! I am an angel. I follow only that which is inspired in me. Say : Are the blind man and the seen equal ? Will ye not then take thought ? ”

The opportunity came to rumour a miracle of the prophet when the sun eclipsed on the death of his son Abraham ; the people thought it had eclipsed for his death ; but the True prophet would not admit it and said : “ The sun and the moon are two Signs of God. They never eclipse on the death or the birth of any one. ”

Men of understanding are apt to believe this prophet when he tells them : “ The miracle is no avail to those who do not benefit from their mind and conscience :

“ And even if We opened unto them a Gate of Heaven and they kept mounting through it. They

would say : Our sight is wrong — nay, but we are folk bewitched. ”

So if the Prophet came with this Message, which leaves Man to a “ human characteristic ” and provides evidence through what he sees for himself, and what is not absent to mind and thoughts, where to does this Message end ? and, what is felt for the next message that might come to abolish and succeed Mohammed’s Message ?

The only thing left for a new message to do is to abolish the reason or take it back again to early centuries. Such a call is not needed by those sound-minded believers who have been already guided. Those who are not sound-minded are actually in need of a teacher to uncover to them what they could not see of the guidance involved in prophecy, rather than a new prophet to repeat what was established before him.

The Islamic prophecy was preceded by many of the great Calls which had great bearing in the history of faith. If those Calls were given to a historian who studies the developments of history — whatever his religious belief is — he could not possibly seal prophecies in the history of humanity with one of them, despite its eminence and bearing on its succeeding ages. This is because

consider sealing of the prophecies a queer thing, actually do so to a fact which believers in prophecies accept either through understanding and contemplating, or accept it conventionally as something which does not need rationalization. All those who believed in the prophecies of the Bible, also believed in the sealing of prophecies. Some of those sealed religions calls altogether by the religion of one Particular descent (*descendants of Abraham*) who was the only descent to receive His Revelation. That was what they believed in the past and what they still believe in at present.

The Muslim's belief in the seal of the prophecies does not involve any queerness either in acceptance or in contemplation. To the Muslim, the prophecy which sealed all prophecies is an everlasting call as it makes Faith a mental conception and establishes it on the basis of the belief in One God, the Lord of the whole universe.

Nations, before the Moham-medan Call, took the prophecy as a means of prediction and uncovering of secrets, by which they could restore what was lost or stolen and to tell of omens of good and evil.

Among the nations were those who took prophecy as a mediation

between the worshipped and the worshipper to plead and offer sacrifices.

They asked for the mediation the prophets in order to prevent catastrophes which they deserved or which inevitably befell them.

The Islamic Prophecy came along with an everlasting new thing that had no equivalent in the Calls of the past. It needs nothing new or innovated as it addresses the soul and the responsible conscience in Man, to which neither begging nor redemption is of any avail.

It is a prophecy of understanding and guidance, not a prophecy of prediction and astrology. A prophecy of guidance through contemplation, scrutiny and thinking, not a prophecy of supernatural elements and catastrophes which frighten both sight and insight and plants fear and dread in the conscience when it fails to attain acceptance through persuasion. It is a prophecy that bears good tidings as well as warnings, having no power to benefit or to hurt, it does nothing for the people other than what they do themselves through their own free will, guided by their mind and sound conscience :

“ Say : For myself I have no power to benefit, nor power to hurt, save that which Allah willeth. Had

THE SEAL OF THE PROPHETS

BY

Abbas Mahmoud El Akkad

Mohammed is the Messenger of Allah and the Seal of the Prophets.

It is a belief the Muslim accepts in the way he accepts the doctrines of the religion; furthermore, he understands it as he understands scientific facts and logical proposition; because, as long as he perceives Prophecy with its defined characteristics in Islam, he will certainly know that it is a prophecy which seals all prophecies and paves the way in the human history for the message of sound reason, conscience and inspiration.

Sealing of the prophecies is a Mohammedan characteristic, but it is not solely confined to Mohammed, Peace be upon him. This characteristic, being necessitated by the history of all nations, includes every believer and every one who accepts the call; it is not something confined to Mohammed either during his life or after his death.

It is something that a Muslim perceives without trouble, but, des-

pite its vividness in the eyes of the believers, it is taken as something queer by others, pious people and non-believers all the same. Some misunderstand it, and some are rather impertinant and assume that it is an act of selfishness on the part of Mohammed by which he denies others the right to convey their prophecies, in the way a king denies others the right to come to power and confines it to his own folk or those he chooses.

It is needless to argue with those non-believers about this particular case of sealing of prophecies, apart from other various and different cases relating to religious prophecies, as they do not believe in prophecy itself from first to last. They never admit its necessity or utility in all times. To them there is no difference between the time in which People respond to the call, or the time in which they do not; both are times wasted in listening to a thing where it is unbecoming to listen.

But those pious people who

the Hijria, the Prophet joined the Highest Companion. Before his death he had suffered a severe fever for two weeks during which he never ceased to mention God's name and abide to His religious instructions. To be absent from the mosque when Bilal called for prayer was more painful for him than his sickness. On the last day of his sickness, when his body felt light, he wrapped his head and with great effort leaning on his two cousins, Ali and Al Fadl, left the house of aisha for the mosque. Upon seeing the sick Prophet the people were startled with joy and cleared the way for him. So he stepped inside and sat to the left of Abi-Bakr where he performed his prayers after Abi-Bakr. Finishing his prayers the Prophet ascended the tribune, and knowing that his severe sickness had given some hypocrits the chance for infidelity towards Islam, for the Osud in Yemen, Musaylama in Yamama and Tulayha in Bani -Asad had encouraged their people to rebel against Islam, he thanked God and addressed the people saying: " You people, the fire has spread and hypocrisy overshadowed like the darkest. I shall not allow except what Qu'ran has allowed, and shall not forbid except what Qu'ran has forbidden. A slave of God was given the liberty to choose between the world and what God had, and he chose what God had."

Then he stopped. faithful His friend realized that the Prophet meant himself and he burst into tears. When leaving the Prophet prayed for Osama-Ibn-Zay and instructed him to prepare his army to defeat the Romans.* The Prophet returned to his house with a relapse from which he did not recover. Seeds of disunity were sown in the land of Saqifa. The book of God was the only thing left to guide the people, to bring back the ones gone astray and to straighten the road.

This is the month of Rabi Al-Awal, and these are its three parts, the events of which have been summarized as the history of the Prophet. Its times recorded in the various stages of the message. These formed the frame for the holy picture drawn by the hand of the Creator as a beauty for history, or a shade for the divine lamp lit by the holy olive tree, neither Eastern nor Western, whose oil would light without being touched by fire.

In memory of all these events that took place during the month of Rabi Al-Awal in general and on Monday in particular, we should celebrate this month and this day. This is why Monday is the popular day for charity and fasting.

* The Romans, at that time, occupied a part of Arabia.

and strong personality the plant bore fruit, the light became bright, people united in one belief, the area extended; therefore, Medina became a world, the minority a majority and the three villages, Mecca, Tayef and Yathrib, became three continents, namely Asia, Africa and Europe. Islam, which started with Khadiga, Ali, Abi Bakr and Zeid, became the people's religion, the earth's world, called for at the extreme West, on the shores of the Atlantic Ocean, by Oqba-Ibn-Nafi, who drove his horse to the water saying: "O God, Lord of Muhammad, had it not been for this sea. I would have conquered the whole world to raise Your word." God be my witness. At the extreme East, Qutayba El Bahily decided to penetrate China and a fellow of his warned him saying: "You have penetrated Turkey, oh Qutayba, events are between the wings of days, come and go." Qutayba answered: "Being sure of God's victory I penetrated, if one loses the chance, the equipment will be useless." The friend answered: "Go your way as you please, no one can break this determination except God."

The blessed migration from Mecca to Medina was the separating Line between Islam and the pre-Islamic era, monotheism and idolatry, nationalism and tribal fanaticism, humanity and beastness and between a long dark night and a bright morning promising security, peace and guidance.

After that the Messenger could, thanks to God, with wisdom and power prevent the unbelievers from doing evil and bring up the Moslems by means of preaching and being himself example. He debated with the disbelievers, using the Logic of Qu'ran the opponents he fought with the sword, until God's victory was obtained, and he saw multitudes of people entering into God's religion; he rejoiced and thanked his Lord, and he was sure of the fate of his message and his people. He worked on the codification of the Laws showing the people the road which will give them assurance of Leading to their ultimate goal. Before ten years had elapsed since the migration, God's Religion and His grace had been completed and the Qu'ran had been completely revealed while the Arabs were ready to take over the reign of the earth. Muhammad then performed his Last pilgrimage and delivered the welfare speech at Arafat, in which he asked God to be his witness that he had conveyed the message and accomplished the task. On that day was revealed to him: "Today I completed your religion, gave you all My blessing and chose for you Islam as Religion." Then the Prophet knew that God was calling him to rest at His side.

On Monday, the 12th of Rabi Al Awal of the eleventh year after

world, using force and injustice. So when in Mecca the cradle of the Orphan Arab was touched by the hand of God, both Throne and Court collapsed, and a whisper from the unseen said to the two great leaders: "Today history ends and history begins. Never after this day will there be a king, or a master, worship shall be to God, leadership to the Prophet, and sovereignty to religion, government to the Arabs and the world for all."

Mohammad was brought up, an orphan, in the midst of Mecca with its hills and valleys, leading his life in the same way as the Qureish. He worked as a shepherd for his relatives and his people, then started trading, with the help of his wife's money. The care of God was upon him in every step and every stage. God cared for him when he was a poor orphan, when he was a young shepherd. When he was a hired merchant God gave him success. It was God's will to prepare him for His message. He disciplined and taught him, and protected him from the uncleanness of idolatry. He never drank wine nor took usury, nor gambled; he never witnessed places of amusements nor turned his face towards an idol. The poor orphan became the master of the Island, and the young shepherd a shepherd of the world, and the wandering

trader a conqueror of the earth; the pure and honest became ready for receiving the inspiration and for conveying the message of God.

Then a door opened from heaven to the cave of Hira and angels and the Holy Spirit descended to the people on the earth, and the first radiation of God's inspiration burst forth to the heart of Muhammad. So the truthful and honest descended from the mountain of light carrying the torch of guidance and attacking polytheisms with monotheism; for the sake of spreading God's call, he suffered the hardship of the atheistic leaders of the Qureish.

On Monday, the 8th of Rabi Al-Awal of the first year after the "Incident" of the Elephant the hostility of the Qureish towards the messenger of God had reached its utmost, to the degree that they conspired to kill him.

Muhammad-peace be upon him - had seen that the deserts of polytheistic Mecca had become so dry for implanting the message and therefore the fruit was rotten, the poison of which was about to destroy his effort. He then migrated, under the care of God, to the good town chosen by God to be the base for his tower, a field for his seed, a center for his power and a light house for his guidance. There with patience, truth, faith, firmness, good manners

THE MONTH OF RABI AL AWAL IN THE LIFE OF THE PROPHET

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

It is a surprising coincident in the life of the Prophet that among all the months Rabi Al Awal was his month, and among the days Monday was his day. Monday of the second week of Rabi Al Awal was the day on which he appeared in Mecca, and Monday of the second week of Rabi Al Awal was the day on which he immigrated to Medina. Monday of the second week of Rabi Al Awal was the day he passed away. There is a secret in these coincidents known to those chosen among mankind for God's message. A whisper of this secret is the Rabi Al Awal is the month of prosperity, fertility and beauty, and that Monday was the day of the moon for the ancient people. The moon in Islam is of particular importance: for the people it constitutes a time measurement for fasting and pilgrimage, for the nation as well as the congregation it is the symbol of the banner. The relation between cosmos and fate, i.e. seasons, zodiacs and days, is still a secret to man. If Rabi Al-Awal was the beginning of the Hijra

Year, and Monday was the weekly day of rest, this would have agreed with the date of immigration, the glory of the incident, the position of the Prophet and the sanctity of the month.

On Monday, the 12th of Rabi Al Awal, the fifty third year before the immigration, the vast area between the house of Ibrahim, near the mosque and the house of Sayeda Amnah, at Beni Hashem Lane in Mecca, was a place for the angels and the souls of the prophets to sing, thanking God for having relieved the world by the birth of that Arab. Before the birth of Muhammad, Son of Abdulla, the world was indulging in sin and bad deeds, like a blind-beast being led by a blind on an uneven road. This beast was led from the East by the Persians who were in a great state of corruption, and from the West by the Greeks who were in a great state of meanness and wickedness. The Throne of Kisra and the Court of Caesar were quarrelling over the sovereignty of the

مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مجلة شهرية جامعية

يشترك في التحرير
عباس محمد العقاد
مدير التحرير
محمود الشرفاوي
بدل الاشتراك ٦ ج

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المستشار
إدارة أجمع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦١٤

تصيده عن مشيخة الأزهر في أول كل شهرين بحري

الجزء السادس — جمادى الآخرة سنة ١٣٨٠ هـ — نوفمبر ١٩٦٠ م — المجلد الثاني والثلاثون

الفهرس

- صفحة
- ٥٣٤ الشعب الذي تحدى القدر وقدر !
للأستاذ أحمد حسن الزيات
- ٥٣٧ نداء من الأستاذ الأكبر إلى العالم الإسلامي
في أ-بوع الجزائر
- ٥٤١ تيسير على قاعدة للأستاذ عباس محمود العقاد
- ٥٤٤ جامعة القرويين وإسهامها في حفظ التراث الإسلامي
للأستاذ الدكتور محمد البهي
- ٥٥٢ مقوماتنا الروحية أمام المادة العالمية - ٣ -
للأستاذ محمد محمد المدني
- ٥٥٦ طالعوا السائق بما أمر به الله
للأستاذ عبد الجليل عيسى
- ٥٥٩ نفحات القرآن : عداوة الأغنياء للمصلحين من آفات المجتمع
للأستاذ عبد اللطيف السبكي
- ٥٦٤ الثورة الرابعة ضرورة محتومة
للأستاذ محمود الشرفاوي
- ٥٦٩ تطوير الفقه الإسلامي
للدكتور محمد يوسف موسى
- ٥٧٦ صاحب الألفية : محمد بن مالك
للأستاذ الدكتور أحمد أحمد بدوي
- ٥٨٣ كتابة المصحف بالإملاء الحديث
للأستاذ محمد رجب البيومي
- ٥٩٠ نهج البردة
للأستاذ علي العماري
- ٥٩٦ الإسلام في السكونف
للأستاذ عطية صقر
- ٦٠١ هدنة البقط
للأستاذ عبد المنعم محمد الشيخ
- ٦٠٤ جامعة النجف الأشرف للأستاذ محمد رضا المظفر
- ٦٠٨ القرآن والقومية العربية
للأستاذ عبد الرحيم فودة
- ٦١٣ النظرية العامة للإثبات في الحدود
للأستاذ محمد عطية راغب
- ٦١٧ العدالة الاجتماعية في الإسلام
للأستاذ أحمد علي منصور
- ٦١٩ أدب الجنس جريمة في حق الدين والمجتمع
للأستاذ إبراهيم محمد نجا
- ٦٢٣ العاطفة الدينية وأثرها في الأدب العربي
للأستاذ محمد إبراهيم الجوشي
- ٦٢٧ لغويات
للأستاذ محمد علي النجار
- ٦٣١ الإسلام في تركيا للدكتور جمال الدين الرمادي
- ٦٣٥ رسالة الدين وأثرها في الروح البشرية
للأستاذ عباس طه
- ٦٣٩ مايقال عن الإسلام : ديبات العالم السبع العظمى
للأستاذ عباس محمود العقاد
- ٦٤٣ بحية الضيف العظيم رئيس جمهورية باكستان
« قصيدة »
للأستاذ علي الجندي
- ٦٤٦ الكتب : للأستاذ محمد عبدالله السمان : العلم - صيد الخاطر - دعوة الإسلام - نظرية الإسلام الاقتصادية - لماذا أسلمت - دراسات في اللغة العربية
- ٦٥١ أبناء الثقافة
- ٦٥٣ برید المجلة : من الأستاذ الأكبر إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر - من الأستاذ الأكبر إلى نخامة الرئيس محمد أيوب خان - الأستاذ الأكبر يستقبل الواعظ الخاص للرئيس أيزنهاور - محمد الأزهرى الأمريكى - لفنة كريمة من الرئيس الباكستاني - حول معنى « فصلا » - تصويب لوبيا .

اسم الله المزمع المزمع

الشعب الذي تحدى القدر وقدر!

”كَمْ مِنْ فُتَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فُتَّةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ“

بِقَوْلِهِ: لَمْ يَحْسَنْ النَّبِيُّاتِ

زعماء الثورة الجزائرية أحمد بن بيلا ورفاقه وهم في طريقهم إلى تونس ، نهب الجزائريون هبة الإقصاء العاقى فزلزلوا الأرض الطيبة تحت أقدام الغزاة والغوازي فطاشوا طيش الفرائش وألقوا بأنفسهم في نار الثورة . فلما أكلتهم أمدتهم (جى موليه) ومن بعده (ديجول) بثلاثة أرباع المليون من جنود فرنسا ، يشد أزرهم حلف شمال الأطلسي بالسلاح والعتاد والمال ، ويقوى أمرهم خمسمائة مليون من الناس بالتعصب والهوى والرأى . كل هذا العدد وتلك العدد لقتال عشرة ملايين من الجزائريين لم يلق (لاكوست) منهم غير عشرة آلاف من الثوار العزل . فماذا كان مصير الجيش الجرار . المسلح بالحديد والنار ؟ . تخطفته المناسيا من كل جانب ، وأدركته الهزائم في كل مكان ، حتى قال قائلوهم : لا يمكن أن يكون هؤلاء الشياطين هم الآدميين الذين عرفناهم هنا منذ قرن وثلاث ، فربينا هم على الاستكانة ، ودربناهم على الطاعة ، وقتلنا

دائى إن استطعت بالعيان أو بالخبر ، فيمن بقى أو فيمن غبر ، على شعب غير الشعب الجزائري الباسل الحر ألح عليه الاستعمار الفرنسى الكافر الفاجر الأهوج بالقهر والفقر ، والعذاب والخراب ، وسلب الاستقلال ، وسوء الاستغلال . وفساد التعليم ، ونسخ اللغة ومسح العقيدة ، طوال ثلاثين ومائة عام ، ثم لا تزال في رأسه نخوة العروبة ، وفي نفسه حمية الإسلام ، وفي يده سيف الفتوح . يذكر ولا ينسى أن له وطننا يحتله الغريب ويستغله المستعمر . على ظهره الولد والبلد والرزق والأمل وفي بطنه الآباء والأجداد والأجداد والذكرى ، فجاهد بالسيف ، وصابر بالعزم ، ورباط بالقوة ثم ابتلاه العدو في ماله وفي نفسه بالتقتيل والتفكيك والأذى ، فما وهن لما أصابه في سبيل وطنه ودينه وماضعف وما استكان ! فلما أراد الله لمأساة الجزائر أن تبلغ فصلها الأخير سول الحق والطيش لرئيس الحكومة الفرنسية (جى موليه) أن يختطف من الجو

الذين أصلوها النار والعار وهى تحسبهم من أرض غير الأرض فإذا هم حفدة الأبطال الذين قهروا جيوشها سبعة عشر عاما بقيادة الأمير عبد القادر، وأربعة عشر عاما أخرى بقيادة من خلفوه، لا يزالون يحجرون على أعراقهم من البطولة والصبر والتضحية لم تستطع أن تقتل فيهم الروح العربية بالتعليم المسموم والإبادة المنظمة والفتنة الشديدة والعزلة التامة والاحتلال الطويل، ولم تستطع أن تفصلهم عن قوميتهم العامة بالحواجز المادية والمعنوية، ولا أن تخفت في دمائهم أصوات القرون الأربعة عشر من التاريخ المشرق بأضواء النبوة الهادية والخلافة العادلة والفتوح المحررة والحضارة الممكرة. فما هو إلا أن فعلت فعلتها الحقاء باختطافها الزعماء حتى ثارت في نفوسهم حمية الجنس وطغت في رؤوسهم حفيظة الدم، فغضبوا وغضب لهم خمسة وثمانون مليوناً من بنى عمومهم من مراكش إلى الكويت. وكان مظهر هذه الغضبة إضراباً عاماً شل الحركة في جميع البلاد العربية يوماً من الأيام! ولم نعلم فيما وعاه التاريخ انتفاضة لإجماعية كهذه الانتفاضة من أمة زعم الاستعمار أنه مزقها دولا وأوطانا، لكل دولة رسوم، ولكل وطن نخوم.

إن ثورة الجزائر التى ظلت ست سنين

في نفوسهم الإسلام، وأمتنا على ألسنتهم العربية، وجهدنا بالظهير البربرى أن نجنسهم بالبربرية، وأن نبشرهم بالمسيحية، وأن نفصل بينهم وبين العرب في الإفطار الأخرى، فنحننا دخول الكتب والصحف والمجلات، وقطعنا أسباب المواصلات والمعاملات، وأردنا أن نجعلهم قلة مستضعفة في البلاد، فهلنا الهجرة للفرنسيين، وأسكنهم أطيب البلاد، وأقطعناهم أخصب الأرض، وملكنهم مقاليد الأمور، حتى أصبح الجزائريون في رأينا مسوخاً من غير جنس ولا لغة ولا دين ولا تاريخ ولا تقاليد! لا بد أن يكون هؤلاء المردة من جنس غير الجفس ومن بلد غير البلد، واتجهت وسوسهم نحو جمال عبد الناصر، ثم أداروا عيونهم الزائفة في البحر وفي الجو فرأوا سفينة تحمل السلاح إلى الجزائر فصادروها، وأبصروا طائرة تقل الأبطال فاقتنصوها، ثم فركوا أكفهم من السرور وصاحوا: لقد كسبنا المعركة! عرفنا من أين يأتي السلاح، وقبضنا على من يضربون به! لا سلاح ولا ضرب بعد اليوم! ثم بالغوا في الحيلة وغالوا في الحذر، فنقلوا ابن بيلا وإخوانه الأربعة إلى فرنسا في حراسة خمسة آلاف من الجنود الشداد كل رجل يحرسه ألف. وحملت فرنسا في وجوه المخطوفين المخوفين

غير لقيات لا تكاد تمسك الرمح . فلما أعيانهم النصر على هذه الفئة الصابرة المتفرقة على شعاف الجبال ومخارم الأودية ومكامن الطرق ، عادوا إلى الشيوخ والنساء والأطفال فسحقوهم بالقنابل ومزقوهم بالرصاص ، ولا ذنب لهؤلاء وأولئك إلا أن لهم كيانا متميزا يحافظون عليه ، ووطناً خاصا يدافعون عنه .

وأما ضمير العالم فإنه لو كان حيا لما سكن سكوت الجناد وقرقرار الحجر في رجفة من الصراع الحيوى الدموى دام ست سنين بين دولة كبيرة تريد أن تسمن وتطيش ، وأمة صغيرة تريد أن تأمن وتعيش ! .

لقد قتل الفرنسيون فيها مليوناً من شباب العرب الأبرار على حين ظل العالم الغربى يتفرج بمشاهد الدماء والأشلاء في ساحه الجزائر ، كما يتفرج الأطفال بصراع الدمى على مسرح العرائس ! .

ولكن قل لى بربك : هل كان الضمير العالمى حيا يوم رضى أن يخرج الاستثمار مليون عربى من ديارهم وأمواهم لينجحها عدوة الله وعدوة الناس اسرائيل ؟ .

إن ضمير العالم احتضر فى فلسطين ثم قبر فى الجزائر ، فلم يبق للجهاهدين الجهاهدين إلا روح الله وعون الأحرار ونخوة العرب ! .

أحمد حسن الزيات

مستعرة الأوار تأكل الأرض وما عليها من إنسان وحيوان وعرمان وزرع ، هى كما ذكرت الفصل الختامى لمأساة ظلت تمثلها فرنسا على مشهد من العالم أربعة أجيال كوامل . وعما قريب سينسد الستار على أشلاء الاستعمار وأطلاله وأوزاره فى أرض الفاتح العربى عقبة بن نافع ، وسيرى الجزائريون أن وطنهم بفضل ما بذلوا فى سبيله من أنفس وأموال قد تطهر من المحتلين المتطفلين الذين رتعوا فى مرعاه الخصب ثلاثين ومائة عام يخضمون أرزاقهم خضم الخنازير ، ويحتلون بلادهم احتلال الصراصير ، ويفسدون أخلاقهم إفساد الجرائم ، على أن النفوس التى قتلت ستعوضها الولادة ، والديار التى هدمت ستجدها العمارة ، والزروع التى أهلكت سيعيدها الغراس ؛ ولكن قتيلين مز قتل هذه الحرب الطحون لن يعوضا لا بالولادة ولا بالعمارة ولا بالغرس ، هما شرف فرنسا وضمير العالم ! أما شرف فرنسا فإنه لو كان باقياً لما استجاز بنوها الذين يزعمون أن آباءهم كانوا أول من ثار على الطغيان وأعلن حقوق الإنسان أن يغيروا بسبعمائة وخمسين ألفاً منهم مسلحين بأفتك الأسلحة وأحدث العتاد على عشرة آلاف من لا يملكون سلاحاً غير الإيمان ، ولا عتاداً غير الصبر ، ولا زاداً

جهاز الجزائريتين في سبيل الله نداء من الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت إلى العالم الإسلامي في أسبوع الجزائر

الأبرياء ، وما نعموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله
العزیز الحمید . الذي له ملك السموات
والأرض ، والله على كل شيء شهيد . فهم
بهذا لا يؤمنون بدين ولا يحترمون أخوة
ولا يتجاوبون في المبادئ .

إن ست سنوات مضت ، وها هو ذا العام
السابع يبدأ مسجلا صراع الحق للباطل ،
وفضال الإيمان في سبيل الحق وفي سبيل
الحرية ، التي خلق الله الناس عليها ، هذا الصراع
إنما هو صراع الجزائر المجاهدة صاحبة
الحق في العيش والحياة ، صراعها لطغمة
من البشر ادعوا أنهم حماة مبادئ ودعاة
حقوق ، وأن حقوق الإنسان أولى برعايتهم
مع أن هذه الحقوق قد يئست منهم ، فلوت
رأسها وأعرضت عنهم ، وتبرأت منهم ،
ولو صدق منهم العزم وصحت الإرادة لكانوا
مصادر نزعات طيبة .

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم
من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث
منهما رجالا كثيرا ونساء . . يا أيها الناس
إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا

إخواني في الإنسانية :

السلام على من اتبع الهدى ، وسلك مسلك
السلم ، وهدى إلى صراط مستقيم .

وبعد : فما أحوج البشرية إلى آذان صاغية
وقلوب واعية تعي الدعوة إلى السلم والسلام
والأمن والاستقرار ، حتى تسود المحبة بين
الناس أجمعين ، وينتشر في الأرض نور يضيء
لساكنتها طريقهم ، فيخلصوا إلى العمل
المنتج والفكرة المثمرة وتقوى روابط الود
والإخاء بينهم . ويومئذ لا ترى بغضا ولكن
محبة تسود المجتمع الإنساني ، ولا ترى فرقة
ولكن وحدة واتحادا . ما أحوجنا نحن
البشر - إلى ذلك كله ، ولكن الداهية التي
تضرم الأحزان في الأفئدة وتقضى على النفس
القوية ، إنما هي استمرار الطاغين في طغيانهم
والباغين في بغيمهم ، يلغون في دماء البشرية
التي خلفتها أسلحة الإثم والعدوان بما تقشعر
لهوله الأبدان ، بل تجمد لها القلوب ،
فراحوا يقصون أصحاب الأرض عن أراضيهم
يرملون النساء ويقتلون الشيوخ ويشردون

بما يسخرون من أدوات وآلات وصلوا إليها عن طريق ما علمهم الله وأنعم عليهم فلم يشكروا نعمة الله ولا يتيقظ الوعي في نفوسهم. وبذا كله جعل هؤلاء مستقبل العالم مظلمًا يكتشفه الشر ويحيط به الشؤم من كل جانب ما لم يشد كل على يد دعاة السلم، حتى إذا ما ترابطوا جميعًا وتذكروا معالم الإنسانية الصحيحة ومبادئها السليمة، وعاد الأمن إلى الأرض ورحم الله البشرية بما نزل وينزل بها من نيران الاختراع الذي وجهه هؤلاء جميعاً إلى الشر وقد كان في مكنتهم أن يجعلوا من ناره نورا، ومن شره خيرا، إنما لا يؤمن بالقوة التي تجانب الحق فإنه لا قيمة لها ولا خير فيها؛ ذلكم أن قوتنا إنما هي قوة الحق الذي تنشده البشرية فهو الحق الطبيعي والطريق السوي، إنه الحق الذي نريد أن نتكاتف به ونتضامن مع محبي السلام في الأرض، فنضع أسسا سليمة ونرسي به قواعد حضارة نطمئن إليها ونسعد البشرية بها. فيألي الضمير العالمي الإنساني نتجه مخاطبين أولئك الذين كثر حديثهم عن الرحمة وهم لا يطبقون ما يقولون، إلى رجال الأديان على مختلف ألوانها ومذاهبها، إلى الساسة جميعا نحرك فيهم معاني الإنسانية، فيتخذون الطريق الإيجابي لعمل حازم يكف ظلم الظالمين ويمنع قطع الطريق على الإنسانية،

وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم. فكيف يسوغ لإنسان أن يعتدى على أخيه الإنسان، وأن ينسى ما بينهما من هذه الأخوة التي تربط بين كل الناس وتوثق علاقاتهم، ولكنه الاستعمار العاشم الذي تفيض نفسه بالأحقاد وتمتلئ قلوب أصحابه بالأطباع، يحرص دائما — وعلى الأخص في البلاد الإسلامية — على أن يفسد الضيائر، وأن يضل العقول وأن يهدم الأفكار حتى إذا عجز عن ذلك لقوة المبادئ والمثل في نفوس أصحابها قام يمزق الأوصال ويأتى على الأخضر واليابس غير مبق على مبدأ ولا راع لمثل.

وبذا أصبحنا اليوم، ونحن في بداية السنة السابعة لكسفاح الجزائر التي عاشت في حرب هوجاء عمياء ذات همجية مأفونة وعقلية مجنونة، لا نريد أن نقف عند حد، وإنما نحرص على طحن الأجسام والأرواح، بل نريد أن نقضى على ما للإنسانية من نور وما منح الله الإنسان من حرية ومن حق في الحياة وحق في العيش.

وأمثال هؤلاء المعتدين لا يؤمنون بدين، فدينهم السطو على الأنفس والأموال والأعراض، كما لا يعرفون مبادئ فبادتهم فتنة يشيعونها بين الناس أو تخريب

وأبناءؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ، ،
« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

أما أتمم، إخواننا المجاهدين اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . والله مؤيدكم وناصركم : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، وثقوا أن عون الله معكم ورياسته تحوطكم » إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سأتقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ، .

إن الجزائر المسئلة ستكون مصدر قوة للسلمين بما يقدم أبناؤها للإسلام وما يضحون به من أجل حقهم وحياتهم .

إخوانى المجاهدين إن النصر والغلب ليس عن كثرة فى العدد ولا قوة فى العدد فحسب ، إنما هما بالصبر والتقوى - والصبر والتقوى معولان إلهيان أودعهما الله قلوب المؤمنين بهما يذبيون الحديد ويطفئون النيران « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » . واعلموا أن عدوكم لمعانده ، وأن

فتظفر الجزائر بحقها فى الحياة والحرية ، ويعود اللاجئين إلى أرضهم فى فلسطين ، فلحساب من يقتل فى الجزائر هذا العدد الكبير وهىئة الأمم تقف مكتوفة اليدين لا تحرك ساكنا ولا تكشف عن حق ، ولحساب من يظل مشردو فلسطين تتربص بهم الأيام . وتمر عليهم الأعوام وهم شرود عن أوطانهم وأراضهم التى خلقها الله لهم .

إلى كل مسلم يملأ قلبه الإيمان بالله ويحس بإحساس أخيه ويشعر بشعوره ويدرك أن الأمة الإسلامية جسم واحد ، وأن المسلمين أمة واحدة - إلى هؤلاء وهؤلاء أوجه القول فإنه لا منطق ينبغى أن يسمع إلا منطق السلام والأمن والاستقرار ، ومنطق يحق الحق ويبطل الباطل ، ونحذر به رقاب الأمم المستعبدة لنهض نهضتها ، وتعيش فى أمنها وسلامتها والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ، ومظهر هذا التواد أن نكون من وراء إخواننا المجاهدين فى سبيل الله بأموالنا وأنفسنا نسترخص فى سبيل الحق كل غال ، ونستعذب الموت فى سبيل نصرة الحق ، فإنه لا بد للحق من قوى تسانده وتوازره : « قل إن كان آباؤكم

الثاني عشر من جمادى الأولى ، والاول من نوفمبر - عمر الجهاد الجزائرى فى سبيل الله فإننا نذكر باليوم التالى غدا فلسطين المجاهدة وإخواننا اللاجئين الذين شردوا من بلادهم وتركوا أموالهم وتأيمت نساؤهم ويتمت أطفالهم فكلم لنا من هذا وذاك من عبر تحفزنا إلى ربط القلوب وإلى جمع الكلمة وإلى التعاون فى السراء والضراء ، وأن نضرب جميعا على يد عدونا بيد من حديد حتى يعود اللاجئين إلى أوطانهم هنا وهناك ، وحتى تعود الحرية إلى أهلها وتخلص البلاد من شر الطغاة البغاة الذين أفسدوا فى الأرض بعد صلاحها يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين - كتلوا البشرية على بغاة البشرية .

كتلوا أعوان الحق ضد الباطل ، كونوا مع الحق يكن الله معكم ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . جمع الله قلوبنا على الحق وأيدكم بروح منه .

محمود مخلوت

شيخ الجامع الأزهر

قوتكم المعنوية وروحكم الفتية وإيمانكم بالله كل ذلك هو القوة التى ينصر الله بها عباده ، فاشتدوا عليهم ولا تهنوا ولا تضعفوا ، فإن حققنا قوى ونحن من ورائه والله من ورائهم محيط : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم » .

ولله لمن يمين الطالع أن تقبل الذكرى السابعة لبداية جهادكم ، وقد عاد زعيم العروبة والبطل الإسلامى « جمال عبد الناصر » من الولايات المتحدة منصوراً ، أرسى قواعد السلام . وأتار معالم الطريق للذين ينشدون الحق ويبغون الخير ، ويحرسون على أن يسعدوا البشرية ، ويحققوا للإنسانية ما تريد من صلاح وسداد .

فليستبشر كل مجاهد بمن وضعوا رءوسهم على أكفهم مجاهدين فى سبيل الله بأن الباطل مهما طال أمده واشتدت وطأته فهو أمام الحق والعزم وإيمان بالله خائر القوى ، واهى العزيمة مهدم البنيان . فاللهم أحص أعداءنا عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا .

ونحن إذ نذكر بيومنا هذا - وهو اليوم

تيسير على قاعده

للأستاذ عباس محمود العقاد

والعروض كالنحو في تيسير الملكة المطبوعة
بوسائل الصناعة ، وبلحق بهما التعريب -
في إجرائه للكلام الأعجمي مجرى الكلام العربي
بلفظه أو بمعناه .

فلا مشاحة في التيسير ، ولا يعذر قادر
على التيسير يتركه لغير ضرورة ليتجشم الصعب
العسير وهو مكثوف الدين .

لكن التيسير في هذه المطالب الواسعة لن
يتيسر على غير قاعدة ، وإنما هو جهد ضائع
أو طريق مضلة لا تعرف لها حدود ولا تنضح
لها غاية ، إذا أخطأ الوجهة من فاتحة الطريق .

ومن علامات الانحراف البعيد عن الوجهة
أن يحسب المجددون أنهم يقتنون يوما إلى كتابة
لا تحتاج إلى التعليم أو كتابة تكفي وحدها لتيسير
القراءة الصحيحة بمعزل عن اللغة ، أو بلغة
خالية من القواعد والأصول التي يجتهد فيها المعلم
والمتعلم في كل مرحلة من مراحل التدريس .

وقد تجسمت علامات هذا الانحراف
في أقوال فريقين من طلاب التجديد أو طلاب
التبديل :

فريق يقول : إنه يتعنى اللغة العربية أن تصبح
كاللغات الغربية يقرؤها الطالب المبتدئ
كما تكتب بغير حاجة إلى الحفظ والاستذكار .

من مقاصد اللغة التي يشتغل بها دعاة
الإصلاح ، ودعاة التجديد ، تيسيرات كثيرة
نذكر منها تيسير الكتابة ، وتيسير النحو ،
وتيسير العروض ، وتيسير التعريب .

والتيسير مطلوب لذاته حينما تيسر ،
فلا يحسن بنا أن نستصعب وبين أيدينا باب
من أبواب اليسر نظرقه على أمل ، قل أو كثر ،
فما هو أيسر وأقرب إلى الإمكان ، وإنه
على حب الأنفس له لأدب من آداب الإسلام
في أمور الدنيا والدين ، ويحق لنا أن نذكر
أن الكتابة والنحو والعروض والتعريب إنما
هي جميعا في أصل وضعها تيسير لمطلب لم يكن
بالتيسير ، وربما كان عمل الأقدمين في تيسير
الكتابة بالنقط تارة ، والشكل تارة أخرى ،
وتقسيم الخطوط وقواعد الرسم تارات
متتابعات ، أعظم كلفة وأبعد أمدا مما تنسكفه
الآن لتيسير الرسم والهجاء . أو تيسير أشكال
الكتابة والطباعة ، أو تيسير كل ما يستصعب
من بقايا المشكلة القديمة إلى العصر الحديث .
أما النحو فهو في أساسه صناعة تيسر

كسب السليقة ، ونجاحه في هذا المركب
الصعب أمر لا يختلف فيه من يطلبون له اليوم
مزيداً من النجاح .

أصوات كحرف (T) الذى ينطق (تاء)
كما فى كلمة to و ثاء كما فى كلمة Think و ذالا
كما فى كلمة this وشينا كما فى كلمة Mention
وسينا كما فى هذه الكلمة نفسها بالفرنسية .
وكذلك حرف الـ (S) ينطق زايًا فى is
ورصادًا فى Salt وشينا فى sure وجيا معطشة
فى pleasure .

وكذلك حرف (g) ينطق جيا قاهرة كما
فى God وجيا قرشية كما فى gem وجيا معطشة
كما فى Religion وقد يكتب ولا ينطق كما
فى right .

وبعض حروف العلة تقترن فتنتطق على
أربعة أصوات كما فى هذه الكلمات
blood door و food moon .

أما قواعد النحو والصرف فالطالب
مضطّر إلى حفظ مئات الأفعال لشذوذها فى
التصريف بين المضارع والماضى واسم المفعول
ولإلى حفظ مئات الأسماء لشذوذها عن
قواعد الجمع ، ولإلى حفظ مئات الصفات
والظروف ؛ لأنها لا تجرى على قاعدة مطردة
فى اشتقاق الصفة والظرف من الاسم أو من
الفعل أو من صفة أخرى .

ولا حيلة للطالب فى التفرقة بين صيغ
الكلمات المنقولة إلى الإنجليزية من اللاتينية
أو من الإغريقية أو من السكسونية أو من
سائر اللغات القديمة أو الحديثة ، والغربية أو
الشرقية فإن طريقة الانجلىزى (نجازة) الإعلام
والكلمات أصعب من طريقنا فى التعريب .

وفريق يقول على مذهب بعض فلاسفة
التربية فى العصر الحديث: إن العلم كله ، سواء
علم اللغة أو علم الطبيعة أو سائر العلوم
الإنسانية ، ينبغى أن يساق إلى التليذ كأنه
تجربة يتلقاها من وحي البيئة المدرسية
ومن جهوده المكتسبة ، لينتج أثر المعلم
ويحتجى تكليف التعلم وتأتى المعرفة إليه طواعية
فى مرحلة بعد مرحلة من معاهد التعليم

والفريق الأول ينظر إلى صعوبات اللغة
العربية فلا يراها فى اللغات الأجنبية فيحسب
أن هذه اللغات خلو من جميع الصعوبات ،
وهو غير الواقع كما نرى من أقرب نظرة
إلى « الأبجديات ، الأوربية ، وهى ثلاث
على الإجمال : لاتينية يكتب بها سكان أوربة
الغربية على الأكثر ، وغوطية يكتب بها
الجرمان على الأكثر وكيرالية يكتب بها
مشاركة القارة على الأكثر ، ولا يتفق فيها نطق
الكلمة المكتوبة على أسنة أمتين ولو كانت
لها أبجدية واحدة من هذه الأبجديات الثلاث .
وأظهر ما يظهر ذلك فى كتابة الإعلام .
فإن اسم جيمينز Jimenez مثلا ينطق بالخاء
فى الأسبانية وبالياء فى الألمانية وبالجميم
المعطشة فى الإنجليزية .

واسم Franklin بنطق فرنكلن بالانجليزية
وينطق (فرانكلن) بالفرنسية .

واسم Guilliam ينطق جليوم بالألمانية
وجيوم بالفرنسية ووليام بالانجليزية .

أما الحروف فمنها ما يلفظ على خمسة

تذليل الصعاب أو يخطر له أن تذليلها مطلوب في كل مقصد غير تثقيف العقل والاعتراف بالفضل لمن يتولى تثقيفه ومعونه على تنمية عقله وهو أحوج ما يكون إلى تلك المعونة . وإلى أمثال هذا الرأي الوخيم يرجع اللوم في مقال من يسأل مثل هذا السؤال : هل يتعلم الإنسان ليتكلم ؟ هل يتعلم لينطق ؟ هل يتعلم ليقرأ ما هو مكتوب أمام عينيه ؟ . فإن السائل الذي يفوه بهذا السؤال يخيل إليه أنه سؤال غني عن الجواب ، وأن جوابه إذا تكلف أحد أن يجيبه هو : كلا . بكل تأكيد .

ومن سخرية المفارقات أن يفوت سائلا أن الإنسان لا يطلب منه أن يتعلم شيئاً قط كما يطلب منه أن يتعلم ليتكلم ، وأن يتعلم ليحسن الكتابة فيحسن القراءة بغير عناء ، وأن يؤمن بواجب التعليم على الحيوان الناطق ، ليكون حقاً حيواناً ناطقاً يحسن النطق بجميع معانيه .

وسيضيق كل جهد يبذله طلاب الإصلاح والتجديد إن لم يكن معلوماً من خطواته الأولى أن التيسير مطلوب حيثما استطاعه المستطيع ، ولكنه لا يستطيع بعد طول العناء أن يسقط واجب الاجتهاد في تعلم اللغة ، وأن يحسب الجهد فيها أكثر مما تستحقه من المعلمين والمتعلمين . ؟

عباسي محمود العقاد

فمن ضياع الجهد إذن أن تحاول التيسير بمحاكاة الأبجديات الأوربية ، أو بمحاكاة قواعدها في التركيب والاشتقاق والإعراب . ولا بد أن نسلم . أولاً وآخراً ، أن معرفة الحروف وقواعد الإملاء لا تغني الطالب عن الحفظ والاستدكار .

أما طريقة التربويين في تيسير التعليم بإخفاء عمل المعلم أو إسقاط الشعور بواجب التعلم فهي في الواقع تجاهل لحقائق الحياة وهدم لمعنى الواجب في أول الواجبات المقدسة التي تصادف الطفل منذ نشأته الأولى .

فمن وقائع الحياة التي لا سبيل إلى محوها أن التعلم ضرورة لازمة من ضرورات الحياة لكل فرد ينشأ بين أبناء نوعه ولا يستطيع - مهما يبلغ من جهده - أن يستوعب محصول المعارف النوعية خلال الأجيال المتعاقبة ، وليست له مصلحة في جهل هذه الحقيقة وهو يتوجه إلى المدرسة لينفي عنه الجهل بما هو أبسط من هذه الحقيقة ويدرك عمل العقل والفهم وحدود الفكر الإنساني بين الفرد الواحد والنوع الكامل من ماضيه البعيد إلى مستقبله البعيد .

وشرزاد يزوده الطالب الناشئ من معاهد التعليم أن يتعلم منها الاستخفاف بواجب التعلم وهو أول واجب يصادفه في حياة الطفولة ، وإن يستقر عنده رأى هو أسوأ أثراً في تربيته وتكوين أخلاقه من أن يستكسر الجهد على المعرفة ، وأن يسقط عن كاهله

جامعة القرويين وإسماعيلها في حفظ التراث الإسلامي للأستاذ الدكتور محمد البقي

تمهيد :

وعلى الوطن معا . وليست هناك خصائص
للإنسان يتميز بها عن إنسان آخر إلا فيما
يتصل بلغته ، وبفكره ، ومنطقه ، وقلبه
وعقيدته وسلوكه في الحياة .

جامع القرويين وصلته بالمقومات

الثقافية للموقع العربي في المغرب :

ونحن إذا انتقلنا - بعد الآن - إلى تحديد
الرسالة التي وكلت إلى جامع القرويين منذ
إنشائه في سنة ٢٤٥ هـ بفاس وقام بها أجيالا
عديدة متعاقبة ، وحل عبثها منذ أنصف
الأول من القرن الرابع الهجري حتى الآن ،
وأثقلت كاهله مرة فأبطأ السير بها ، وخفت
عليه مرة أخرى فساد بها قدما إلى الأمام -
إذا انتقلنا إلى تحديد رسالة جامع القرويين
وجدنا أنها ترتبط باللغة العربية ، وبالإسلام
وبالمعرفة العربية الإسلامية المتوارثة ،
وعلى العموم بما يسمى بالتراث العربي
والإسلامي . وإذا انتقلنا إلى المغرب كوطن
وجدنا أنه وطن عربي ، وأن لغة سكانه
هي العربية ، وأن دينهم هو الإسلام ، وأن
تاريخهم الثقافي ، وتاريخهم في المعرفة يتصل

إن المقومات الثقافية لأي مجتمع ، أو لأي
شعب ، تتمثل في اللغة وفي الدين السائد ،
وفي المعارف الإنسانية الموروثة المشتركة .
فاللغة تحمل بألفاظها وعباراتها القيم العليا
التي يعنى بها دين المجتمع أو دين الوطن ،
كما تحمل قضايا المعرفة الإنسانية التي يتوارثها
أفراد هذا المجتمع أبناء عن آباء ، وآباء
عن أجداد والقيم العليا التي لدين المجتمع
أو الوطن هي التي تحدد توجيه أفراده ، وتحدد
العلاقات بين الأفراد بعضهم مع بعض ،
كما تحدد أخيراً الهدف العام الذي يهدف إليه
أفراد المجتمع في سعيهم ، وفي نضالهم في هذا
السعي في الحياة .

وبغير لغة ، وبغير دين ، وبغير معرفة
متوارثة لا يقوم مجتمع ، ولا يتميز مجتمع
عن مجتمع ، ولا تتحدد معالم وطن ويتميز
بهذه المعالم عن وطن آخر . فالمجتمع الذي
نعنيه هنا هو مجتمع الإنسان ، والوطن الذي
نريده هو وطن الإنسان . وبهذا الاعتبار
لا بد أن يضمن الإنسان من خصائصه على المجتمع

المدافعين بمنطقهم وتفكيرهم عن قيمه ،
وكانوا الملقنين بالسنتهم للأجيال الجديدة
هذا التراث - وبذلك كانوا هم العمدة الذين
قامت عليهم حياة هذا التراث ، واتصل
بوجودهم وجوده وبقاؤه فمن مقال كتبه
Lévi - Provençal Imtiation au Maroc
في كتاب (١) .

وقد وجهت الأنظار إلى فاس بعد أن
أصبحت مركزاً هاماً من مراكز الثقافة منذ
بدء القرن الرابع عشر على وجه الخصوص
أي بعد أن هاجر إلى مراکش كثير من
العلماء الذين يحملون علم الثقافة الإسلامية
بعد أن وقعت شبه جزيرة أيبيريا (أسبانيا
والبرتغال) في أحضان المسيحية من جديد ،
وذلك تقريبا في القرن الرابع عشر - فأضفى
ذلك عليها ثوبا عليا يرجع الفضل فيه إلى تلك
الجامعة العريقة : جامع القرويين .

الآزما والعقبات :

وجامع القرويين في تاريخه الطويل ، أشبه
بكائن حي قد يكون سبب تعويق نموه في عهد
من العهود أمر داخلي يتصل بكيانه نفسه ،
وقد يكون سبب تعويقه أيضا أمر خارج
عن كيانه ؛ طارئ وقادم عليه مع دخيل
أجنبي يتحداه ويقاومه إن أراد أن يعبر
عن حياته ووجوده . وقد تعرض جامع

بأسلافهم الذين شاركهم في هذا التراث سواء
أكانوا في هذا الوطن ، في هذه الرقعة ، أو في
رقعة أخرى من الوطن العربي والإسلامي .
وإذن ، من هذا ترى أن جامع القرويين
في رسالته حمل مقومات الثقافة للجمع العربي
والوطن العربي في المغرب . وهو من أجل
ذلك يعد مركز هذا التراث القومي أو مركز
هذا التراث الأصلي الذي تدور على أساسه
حياة العرب في توجيهم وفي سعيهم في الحياة
في المغرب .

فإذا ما اضطلع جامع القرويين بهذه الرسالة
وحفظها على الأقل من الضياع ، فقد أدى
خدمة جليلة لهذا الوطن العربي ، وفي الوقت
نفسه أدى خدمة جليلة للتراث الإسلامي
والعربي بوجه عام . ولا يعيب جامع القرويين
بعدئذ أن يكون قد تعثر في السير ، أو يكون
قد جمد في مكانه فترة من الزمن ، أو يكون
قد اصطدم بعقبات أو أزمات وغالبا ،
فغلبته حيناً وانتصر عليها أحيانا - لا يعيبه
ذلك لأنه على كل حال ما أبطأ في سيره ،
وما جمد في حركته . وما انهزم في مغالبتها
إلا من أجل هذا الوطن العربي . ومن أجل
هذا التراث الإسلامي . لا يضير رجاله أن
وجهت إليهم سهام النقد وكثير من النقائص
والمعائب ، فإنهم كانوا القوة لجامع القرويين
يغالب بها فيغلب أو ينتصر ، وكانوا الحافظين
في صدورهم لأصول هذا التراث ، وكانوا

المسلمين من علوم دينية وكونية ، طبيعية وفلسفية ورياضية فضلا عن اللغة وعلومها ، وما يتصل بها من دراسات . وبذلك عدت هذه الفترة في تاريخ جامع القرويين فترة ذهبية . دلت من جانب على قوة الحياة العلمية ، ومن جانب آخر على سعة الفهم فيما يسمى بالتراث الإسلامي ، وفي مسائل حفظه والإبقاء عليه .

ولكن جد على جامع القرويين قبل الاحتلال الفرنسي في سنة ١٩١٢ م ما أصاب هذه الحياة العلمية من ركود وضيق في فهمها ولم يكن السبب في هذا هو ضعف المجتمع العربي الإسلامي في المغرب وحده ، وإنما كان السبب الأول - كما أشرنا - هو عزلة علماء القرويين عن الحياة وأحداثها . وربما كان لهم العذر في ذلك بحكم ما لوظيفتهم العلمية وما لرسالتهم الفكرية من صلة وثيقة بخصائص طبيعة الدين .

فمبادئ الدين كمبادئ نظام للحياة - من شأنها أن يكون لها طابع الثبات . إذ أن المبدأ - كمبدأ - لم يكن مبدأ إلا لأنه انتهى إلى وضع معين عد بذلك نموذجاً من جانب وهدفاً يسعى الإنسان في حياته لتطبيقه والاقتراب منه من جانب آخر . ولذا فالعلماء الذين تدور رسالتهم العلمية والفكرية في إطار المبادئ الهامة الثابتة التي لها قداسة يكون

القرويين الأمرين معا : تعرض للضعف الذاتي وتعرض للهجوم الخارجي . وإذا كان المجتمع العربي في المغرب الذي عاش فيه جامع القرويين بوجه عام في فترة من الفترات دخل في ضعفه الذاتي ، فإن الأمر في هذا الشأن يرتبط أكثر بالقرويين أنفسهم من العلماء والموجهين فيه ، وضعف تأثيرهم بأحداث الحياة ، وإيثارهم العزلة عما يدور في المجتمع الصغير وهو المجتمع العربي في المغرب أو المجتمع الكبير وهو المجتمع العالمي من أحداث وثورات اجتماعية أو فكرية . فنحن نعرف أنه بعد القرن الرابع عشر الميلادي وبعد سقوط الأندلس في أحضان المسيحية هاجر إلى جامع القرويين عدد كبير من مشاهير العلماء الإسلاميين في شتى العلوم وأنواع المعرفة وفي مقدمتهم الفيلسوف ابن باجة والأطباء : لسان الدين بن الخطيب الوزير المعروف ، وأبو العلاء زهير ، وأبو محمد القاسم بن محمد الغساني ، والجغرافي النبائي الشريف الإدريسي (١) . وإنه بسبب لقاء هؤلاء العلماء الوافدين بالعلماء والطلاب في جامع القرويين ، تزايدت حيوية الحركة العلمية في التراث الإسلامي ، وتنازلت تقريباً جميع جوانبه التي عرفت للسابقين من علماء

(1) Lévi - Provonçal Initiation au Maroc.

القرويين - لأنه مسجد ، ولأن فروع المعرفة المختلفة التي كانت تدرس فيه لها صلة بالدين - كان العامل القوي في حفظ التراث الإسلامي والعربي ، وإن ابتعد رجاله في عهد من عهوده عن التأثير بالأحداث الخارجية ، ومن ثم لم يجاروا العالم الخارجي في تطورات الفكرية وفي أساليب التأليف وفي مناهج البحث ، وفي صور العرض ، لحفظ التراث الإسلامي والعربي لازم وخصيصة لطبيعة جامع القرويين في كل ما مر عليه من عهود وعصور ، وإن اختلفت صور هذا الحفظ أو اختلف تركيز العناية فيما يحفظ منه .

بعد الاحتلال الفرنسي سنة ١٩١٢ :

إن الاستعمار منذ القرن التاسع عشر ، إن اعتمد مبدئياً على أن يخلق فوضى اقتصادية في البلد الذي يريد احتلاله كتمهيد للتدخل في الشؤون الداخلية - وإن اعتمد على إنزال قوات برية يحتل بها المواقع الاستراتيجية في البلد المحتل ، ثم على مباشرة تصريف الأمور في المراكز والقطاعات الحساسة في جهاز حكومة البلد المحتل باختيار بعض رجاله ، وكذا بعض أعوانه من أهل الوطن المحتل - فإنه يعتمد في استمرار الاحتلال ، وفي تيسير استغلال موارد البلد المحتل الاقتصادية واستخدام الطاقات البشرية لسكانه ، على قطع الصلات بين الماضي

تأثرهم بالحياة التي تحيط بهم وبأحداثها التي تقع فيها ليس على نحو تأثير الذي يعيش في ذات الأحداث أو يتفكر ليرصدها ويعبر عنها أو يحكم عليها .

ولذا لو وجدنا علماء القرويين قد لفظوا الجوانب الرياضية والفلسفية والطبيعية من محيط التراث العربي الإسلامي ، خارجاً عن إطار تفكيرهم ومدارسهم ومناقشاتهم فإن ذلك ربما يعود إلى فهمهم الخاص في ذلك الوقت للحياة ولالدين ، كما يعود إلى إيتارهم البقاء في دائرة المعرفة الدينية وحدها ، توفيراً للوقت في سبيل العناية بها ، وحفظها من الضعف أو الضياع .

ومع ذلك ، فلولا قداسة الدين ، ولوطبيعة الإيمان به لما بقيت العناية بعلوم الفقه والحديث والتفسير ، وما يتصل بشرح الدين ، ولما بقيت عناية كذلك بعلوم اللغة العربية التي هي وسائل فهم نصوص الدين . وإذا كانت طبيعة الدين توحى بثبات المبادئ ، ومن ثم قد يتأثر بثباتها هذا بعض المشتغلين بها فلا يتأثرون في فترة من الفترات كثيراً بالتطورات والتغيرات الخارجية في المجتمع الخاص أو العام - فإن طبيعة الدين نفسها وما تقوم عليه من قداسة وإيمان هما السبب في الإبقاء على العلوم التي تتصل به ، وعلى علوم اللغة التي تعد وسيلة له . وإذن جامع

تنشأ بعد الاحتلال إلى قبول التبعية للمستعمر المحتل ولأنها تجهل ما لها من ماض لا تجد لها عندئذ سنداً تستند إليه إذا ما أرادت أن تخفف من هذه التبعية ، أو إذا ما رغبت أن تعود إلى الاستقلال في الشخصية والتوجيه وقتاً من الأوقات .

وهذا الذي يصنعه المستعمر منذ القرن التاسع عشر لا يفتقر فيه مستعمر عن مستعمر إلا بمقدار ما يغلو أحدهما في الأمر ، أو يسرع في تنفيذه . فالذي وقع في المغرب بعد احتلال فرنسا في سنة ١٩١٢ وفي تونس سنة ١٨٨١ يشبه الذي وقع في ليبيا بعد الاحتلال الإيطالي في سنة ١٩١٢ ويشبه ذلك الذي وقع في مصر بعد الاحتلال الإنجليزي في سنة ١٨٨٢ م . فلم تعد بعد الاحتلال هنا وهناك عناية باللغة العربية ، ولا بمقومات الثقافة الإسلامية والعربية ولا بتلك المثل والقيم التي سادت حياة المسلمين والعرب ، وتميز بها مجتمعهم عن المجتمعات الأخرى .

ولما كان هناك إهمال لكل ذلك في الوقت الذي بدأت العناية باللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الإيطالية ، وبدأت العناية كذلك بقيم الحياة الغربية ومثلها ، وبالفكر الأوروبي ومنهجه تزداد يوماً بعد يوم ، حتى كاد العربي هنا وهناك ينسى ماضيه ويتركز الفخر بحضاره

والحاضر : بين الأجيال التي تنشأ في الوطن المحتل ، وبين ما لأسلافهم من قبل من تراث عقلي وروحي ، وأجداد في تاريخهم الماضي وما كان سائداً بينهم من قيم ومثل عليا في الحياة ويتخذ المستعمر لقطع هذه الصلات بين الماضي والحاضر وسائل عديدة :

(أ) يعتمد أولاً إلى إضعاف اللغة القومية بأهمال تقييدها وتدريسها للناشئة وبالإستخفاف بخصوصياتها وبازدراء أولئك الذين يتحمسون لها في الحديث والنطق ، وفي الكتابة والتأليف .
(ب) ويعتمد ثانياً إلى تتبع الأخطاء أو نقاط الضعف في تفكير السابقين ، ويتخذ من ذلك وسيلة إلى الغرض من شأن التراث كله .
(ج) ويعتمد ثالثاً إلى إعادة كتابة تاريخ هؤلاء الأسلاف ويسقط منه قصص البطولة ، وما هو موضع غر واعتزاز بالإضافة إلى ما يضيفه إليه من أحداث مختلفة ، أو تفسيرات مشوهة لبعض الأحداث التي وقعت .
(د) وفي الوقت نفسه يعتمد إلى تقديم ماله من لغة وتراث عقلي ، ومنهج في التفكير وتاريخ ، في صورة تشجع على الاحتفاء به والعناية بأمره ، والارتباط بقيمه ونتائجه .
ويخطط مناهج التعليم في المدارس التي ينشأها بعد احتلال البلاد على أساس دفع ماله من قيم ومثل ، وسلوك في الحياة دفعا قويا في حياة الناشئة . وبذلك تتجه الأجيال إلى

ولم يكن هناك إهمال لحسب اللغة العربية والتراث العربي والإسلامي الروحي والعقلي وإنما كانت هناك سخرية واستخفاف بها ، وسخرية واستخفاف بالقائمين على أمرها . وسخرية واستخفاف - إن همسا ولمزا وإن علانية - بمن يردد قيمها كما هي في واقع أمرها ، أو يعتز بالانتساب إليها والتمسك بها .

وهنا كان على جامع القرويين في المغرب ، وجامع الزيتونة في تونس ، والزاوية السنوسية في ليبيا ، وجامع الأزهر بالقاهرة ، أن تواجه هذا التحدى المقنع حيناً والسافر أحياناً ، وكان عليها أن تقاوم هذا التخريب الموجه إلى أعز ما تملكه الأمة العربية والذي عليه وحده تقوم نهضتها يوم تواتها الظروف للنهضة ، وهو الذي يمثل تراثها الروحي والعقلي ، وقيمها ومثلها في الحياة ، ويمثل لغتها وتاريخها الحافل بالأبجداد والبطولات والملىء بأسباب الفخر والإعزاز .

وكان على رجال القرويين والزيتونة والزاوية السنوسية والأزهر أن يحملوا عبء الكسفاح وأن يتحملوا مرارة الاحتقار والسخرية التي توجه إليهم باسم التقدم حيناً ، وباسم المدنية والحضارة الغربية حيناً آخر ، وكان عليهم أيضاً أن يتحملوا فيما بعد عبء الطائفية التي حدثت وقويت ، والتي خلقها المستعمر باسم الجديد في مقابل ما هو قديم ينتسبون هم إليه ويعيشون في ظله .

ولسكن الذي واجهه جامع القرويين من تحدى المستعمر ومحاربة القيم الممثلة في التراث العربي الإسلامي الذي كان يعنى به ويقوم على صيائمه ، كان أعنف وأشد مما واجهه غيره من نظائره في بقية أجزاء الوطن العربي: وكذلك الذي واجهه علماء القرويين وطلابه من مرارة السخرية بهم واحتقار ما ينتسبون إليه ، وواجهه أولئك أيضاً من مرارة الطائفية التي خلقها المستعمر باسم الجديد في مقابل القديم - كان أوضح وأعق في مرارته ، بما واجهه إخوانهم في بقعة أخرى من بقاع الوطن العربي . فالمسيو كولينز مندوب الحماية الفرنسية يصف بنفسه تلك الخطة التي اختطها المستعمر للتحدي الذي أشرنا إليه ولتخريب القيم والسخرية بحاملها أو المعترين بها في قوله : « عند إمضاء عقد الحماية وجدنا أنفسنا أمام حالة واقعة إذ وجدنا أمامنا بفاس جامعة القرويين التي زودت دول الإسلام الإفريقية طوال عشرة قرون بقيادة الفكر كما وجدنا أيضاً في الحواضر والبوادي عدداً كبيراً من الكتاتيب القرآنية يدها السلطان أو الأوقاف أو مطلق الناس بما تحتاج إليه . نعم وجدنا أنفسنا أمام مجموعة زاهرة بدیعة من المدارس كبرى وصغرى تعمل تحت ظل الأحياء الحضرية أو تحت خيام المداشر . لقد سلطت الحماية حربها على هذه المنظمات الثقافية المغربية

«إن الفرنسيين والأسبان ما لبثوا أن أخضعوا لإدارة التعليم الأهلى للإدارة الاستعمارية بحيث أصبح أداة من الأدوات السياسية ، ولذلك أصبح محدوداً مراقباً ، مستغلاً «لأن السلطة الجديدة أصبحت ترى فى انتشار التعليم تهديداً لها فى الصميم ، وبذلك بات التعليم فى البلاد يسير طبقاً لمبادئ استعمارية تهدف إلى :

١ - خلق طبقة من الموظفين محدودة العقلية يصلحون لأن يكونوا أدوات لا للتفكير .
٢ - يجب أن يتلقى الطلاب فى المدارس ثقافة محدودة لكي لا ينقلب من يتلقاها إلى مخلوق مفكر يحسن فهم الحياة المدنية على حقيقتها .

٣ - يجب أن يخلو من اللغة العربية إلا بمقدار ضئيل لا يشترط أى حد لضآلته ، ومن كل ما من شأنه أن يخلق العزة القومية أو يبعث على التفكير فيها من تاريخ وأدب ولكن يجب أن يترع بأعجاد الفرنسيين ، والأسبان ، بصفة تثير الدهشة .

٤ - إنشاء المدارس الفرنسية والأسبانية .
٥ - تقوية اللغة البربرية وجعلها أداة صالحة للكتابة .

٦ - منع الاتصال بمصر وقطع الاتصال الثقافى بين البلدين (١) .

فأغلقت عدداً كبيراً من المدارس التى بقيت من آثار هذا التعليم القديم ، كما نصبت عداها المستمر على جامعة القرويين وفروعها فى مراكش ومكناس ، والرباط وطنجة ، ووجدة . وعلى كل المؤدبين القراءيين (١) .

أما ما يتصل بأهداف المدارس التى ينشئها المستعمر وبالأخص الفرنسى ، فيقول الأستاذان الدكتوران عمر فروخ ومصطفى الخالدى ما يلى : إن المدارس الفرنسية تتبع سياسة واحدة دائمة وقيادة واحدة فى الأكثر هذه المدارس الفرنسية لا تسعى إلى استغلال النشاط القومى فى تعليم أهل البلاد ، ولا هى تسعى إلى إبراز الخصائص الوطنية حيث تفتح أبوابها لأبناء البلاد التى تكون فيها ، ولسكنها تجتهد فى أن تجعل من أبناء البلاد الذين تعلمهم سواء أكانت تلك البلاد مراكش أو مصر أو إيران أو الهند الصينية أشباهاً لأبناء فرنسا نفسها فى المظهر واللغة وأسلوب التفكير والتعلق بفرنسا المستعمرة (٢) .

والسيد عبد المجيد بن جلون فى كتابه : « هذه هى مراكش » ، ويصف خطة المستعمر بشقيها فيما نقله هنا من نص ، وعبارته :

[١] المغرب العربى منذ الحرب العالمية الأولى
علال الفاسى ص ٦٩ ، ٧٠ .

[٢] التبشير والاستعمار فى البلاد العربية :
لدكتورين عمر فروخ ومصطفى الخالدى ص ١١٤ .

[١] هذه هى مراكش : عبد المجيد بن جلون
ص ١٤١ ، ١٤٢ .

الناشئة في ظله على نسيان مقومات مجتمعهم الأصيل . كما يعتبره صدرا صان عوامل البعث العربي الإسلامي ، ودفع بها اليقظة العربية في وقتنا الحاضر إلى أن تسعى لسيادة العرب على أنفسهم وسيادة القيم الإسلامية في مجتمعهم وبذلك تحقق استقلال المغرب كما تحقق استقلال مصر وليبيا وتونس وستستقل الجزائر اليوم أو غدا ؛ لأنها جزء من الوطن العربي ؛ ولأن مقومات مجتمعها اللغة العربية والإسلام ، والتاريخ العربي المشترك ، وهذه هي عوامل النصر والتحرر من سلطة المستعمر وتحدية التي استعان بها العرب المسلوبون في نصرهم وتحررهم . إن جامع القرويين لم يصن التراث الروحي والعقلي للعرب والمسلمين ، ولم يحفظ اللغة العربية من الضياع خسر وإنما حفظ الأمة العربية نفسها في المغرب من الذوبان والتبعية والتلاشي .

إن علماء القرويين لهم الفخر — مهما سخر بهم الساحر واستخف بهم المستخف ، ومهما رماهم الرامي بالجوذ أو الرجعية أو التأخر في وقت ما — فإنهم الجنود البواسل الذين حرموا ترف العيش ، ومتعة الحياة الرخية في سبيل عزة الوطن العربي وبقاء الرسالة الإسلامية خالصة خالدة ؟

المكتور محمد البهي
المدير العام للشقافة الإسلامية

وإذا اختلف الفرنسيون عن غ-يرهم من قوى الاستعمار الغربي في محيط الدول العربية في أنهم أوسع وأسرع خطى في تنفيذ خطة الاستعمار المشتركة - فربما ذلك يرجع إلى كثير من الأحقاد التي خلقتها الحروب الصليبية . والشيخ محمد عبده إذ يقول : « إنه لا توجد أمة تبغض المسلم لأنه مسلم لا لأمر آخر إلا فرنسا لما كنت أجتمع مع أحد الفرنسيين للذاكرة في أحوال الشرق امتعض وبنتنفض أو يرتعد جسدي كله ، ، « إن الفرنسيين إذا مدح الإسلام وذكر شيئا عن مزاياه فلا بد أن يكون غرضه من ذلك منعة فرنسية . « إذ يقول ذلك فإنما يصف العقلية الفرنسية التي تأثرت أكثر من أية عقلية غربية أخرى بالهزائم التي منى بها الصليبيون في الشرق طوال القرون الثلاثة على يد المسلمين .

وجامع القرويين لذلك إذا وقف في وجه التحدى الاستعماري وفي وجه التحدى الاستعماري الفرنسي على وجه خاص ، وحافظ طوال هذا التحدى على وجوده ، وبالتالي حافظ على ما عني به طوال تاريخه من رعاية التراث الإسلامي والعربي — فإنه يعتبر في واقع الأمر قلعة تحطمت على صخورها الصلدة محاولات الاستعمار الفرنسي في الفصل بين ماضى المجتمع العربي في المغرب وحاضره وفي حمل الأجيال

مقوماتنا الروحية أمام المادية العالمية

للأستاذ محمد محمد المدني

- ٣ -

البر بمانه بالمثل :

يأتى بعد هذين المقومين من مقوماتنا الروحية ، أمر ثالث له أهميته القصوى فى حياة الأمم والأفراد ، ذلك هو الإيمان بالمثل ، والقرآن الكريم يسمى ذلك بالتصديق بالحسنى ، حيث يقول : « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ، فسنيسره للعسرى ، ويسمى مقابله وهو الكفر بالمثل التكذيب بالحسنى ، وذلك حيث يقول : « وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى » . وللوجوديين صلة بهذا الجحود فى جانب المثل ، كصلتهم بالجحود فى الجانب العقيدى فهم يقولون : لا داعى لأن نعتبر شيئا من الأشياء فضيلة ومقابله رذيلة ، فإن كلا من الفضيلة والرذيلة ، أو ما نسميه بهذا وذاك إنما هو حقائق اعتبارية أوجدناها نحن واصطلحنا عليها ، ولو أننا اصطالحنا فى شأنها اصطلاحا آخر لكان لنا هذا ، ولأصبح ما نستحسنه قبيحا ، أو ما نستقبحه

حسنا ، ويمثلون لذلك بالزواج والمخادعة فيقولون : ما الفرق فى واقع الأمر بين رجل وامرأة اتفقا على الزواج ، ورجل وامرأة اتفقا على أن يفعلا ما يفعله الأزواج ، بدون عقد زواج ؟ إننا نحن الذين اصطالحنا على أن الأول فضيلة ، والآخر رذيلة ، دون مسوغ لهذه التفرقة ، ولو أن مجتمعا انقلب فيه الوضع واستمر زمانا حتى ألفه الناس لما كان هذا المجتمع بمنأى عن الفضيلة ؛ لأن له اعتباره واصطلاحه ، وبعضهم يمثل بالرقص ، فيقول : إن بعض المجتمعات ينظر إلى مراقبة الرجل والمرأة على أنه رقى ومدنية ، ويتخذ منه دلالة على علو الذوق ، وتهذب النفس ، مع أن مجتمعات أخرى تراه خروجا على الآداب ، وهتكا لصيانة المرأة واعتداء على الفضيلة ، فهذا شيء واحد تختلف الفطرة إليه هذا الاختلاف ، فنفهم من ذلك أنه لا صلة له بالفضيلة والرذيلة فى واقع الأمر ، وإنما هو مجرد اصطلاح جماعى أو اجتماعى .

فإننا نقول لهم : إن الذى يحاول إنكار الخير والشر ، والفساد والصلاح ، والحسن والقبح ، وزعم أن هذه كلها أمور اعتبارية لا وجود لها فى الواقع ، ولا حقيقة لها بالذات ، إنما يكابر فيما تحس به الفطر ، وتحققه بالبدهيّات التى لا تحتاج إلى دليل .

وقديما وجد قوم عرفوا باسم «السوفسطائية» مذهبهم أنه لا حقائق للأشياء ، ولم يقفوا فى هذا الإنكار عند حد المعانى والأشياء المعقولة ، ولكنهم أطلقوا إنكارهم حتى فى الأشخاص المحسوسة ، وقد ذكر - كطرفة من الطرف - أن الإمام أبا حنيفة تجادل مع أحدهم فى المسجد طويلا ، فكان يلتزم جانب المكابرة واللجاج بالباطل ، فأوعز أبو حنيفة إلى أحد تلاميذه بأن يخفى دابة هذا السوفسطائى ، فلما خرج من المسجد ولم يجدها ، سأل : أين دابتي ؟ فقال له أبو حنيفة : وما دابتك ؟ وهل هناك حقيقة لشيء يسمى الدابة ؟ وبهذا يحقر منه وأضحك منه الناس .

وهذا الشعور الفطرى المركز فى الطباع الذى يؤمن بأن فى الوجود الخير والشر ، والحسن والقبيح ، والصالح والفساد ، هو الشعور الذى يعتمد عليه القرآن الكريم فى تقرير الجاحدين للبعث والجزاء ، فإن القرآن الكريم يحتاج لهذه القضية التى هى من

ويقولون مثل ذلك حتى فى العفاف والحصانة فليس على المرأة ولا على الرجل من بأس فى إطلاق العنان للشهوات الطبيعية الجنسية ، ولا لزوم للتمسك بما يسمونه للطهارة أو البكارة أو الحصانة أو نحو ذلك ، فقد خلق الذكر والأنثى على حالة لا بد لها من هذا الاتصال المعروف ، وهى مسألة طبيعية لاصلة لها بالمجتمع ، بل هى تخص أصحابها فقط ، كتلبية داعى الفطرة بالتغذى عند الإحساس بالجوع ، وبالتدثر عند الإحساس بالبرد ، وبالتبرز عند الإحساس بالحاجة إلى التخلّى وهكذا ...

ويقولون مثل ذلك فى الصدق والكذب والوفاء والغدر ، والشجاعة والجبن ... إلخ فكلها حقائق اعتبرناها ، وليس لها وجود ذاتى ، ولو عكسنا الاصطلاح فيها لانعكس أفلا يكذب بعضنا على بعض باسم المجاملة فيحسن الكذب ، أفلا ينافق بعضنا بعضا لمثل ذلك فنسمى هذا كياسة ولباقة ولا تعطيه اسم النفاق ؟ .

هكذا يقول الوجوديون أو - كما يسميهم القرآن الكريم - المسكذبون بالحسنى ، أى الذين لا يؤمنون بأن هناك مثلا عليا وفضائل تحمد ، ورذائل تدم .

والواقع أن هذا كله ما هو إلا سفسطة ومغالطة :

الظلمات والنور ، وبين الظل والحرور ،
وبين الأحياء والأموات ، فكأنها بذلك
كله تقول : إن الجزاء على الأعمال بعد
المصير إلى الله ، أمر تقتضيه الحكمة والعدل
وإلا كان ذلك تسوية بين ما لا يستويان .

ويقول الله تعالى :

« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما
باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين
كفروا من النار ، أم نجعل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كالمفسدين في الأرض ، أم نجعل
المتقين كالفجار ؟ » .

فالذى يسوى بين المؤمنين والمفسدين ،
أو بين المتقين والفجار ، مخالف لقضية الفطرة
والعقل السليم ، والذي ينسب إلى الله التسوية
بين هؤلاء وهؤلاء ؛ عمليا بترك الحساب
والجزاء ، يكون ناسبا إليه جل وعلا ما ينافي
حكيمته وعدله ، أو جاهلا به سبحانه .

قال صاحب الكشف في تفسيره لهذه
الآية : « لما كان إنكارهم للبعث والحساب ،
والثواب والعقاب ، مؤديا إلى أن خلق السماء
والأرض وما بينهما عبث وباطل ؛ جعلوا
كأنهم يظنون ذلك ويقولونه ؛ لأن
الجزاء هو الذى سبقت إليه الحكمة في خلق
العالم ، فمن جحدته فقد جحد الحكمة
من أصلها ، ومن جحد في خلق العالم فقد
سفاه الخالق ، وظهر بذلك أنه لا يعرفه ولا

عقائد الإيمان الأساسية بأنه لا يجوز في
منطق العقول التسوية بين الخير والشر ، وبين
ما هو حسن وما هو قبيح ، وأن انتفاء
البعث والجزاء يؤدي إلى التسوية بينهما ،
وحكمة الله تعالى تتنافى مع هذا .

يقول الله عز وجل :

« إنما ننذر الذين يخشون ربهم بالغيب
وأقاموا الصلاة ، ومن تزكى فإنما يتزكى
لنفسه وإلى الله المصير ، وما ويستوى الأعمى
والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل
ولا الحرور ، وما يستوى الأحياء ولا
الأموات . » .

فهذه الآية الكريمة تقرر أولا : أن
الذين تنفع فيهم نذارة الرسول إنما هم
المؤمنون بالله ، وإن غابوا عنه فلم يروه
بأبصارهم ، وهم الذين يقيمون الصلاة التي
هى فرع عن الإيمان بوجود الله ، وتقرر ثانياً :
أن من تزكى بعمل الخير والصالحات فإنما
يتزكى لنفسه حيث يفوز بجزائها عند الله ، الذى
آمن به ، وتقرر ثالثاً : أن المصير والمرجع
إنما هو إلى الله وبذلك تقرر الألوهية وتقرر
المثل التى يتزكى بها من يتزكى قاصداً نفع نفسه
ونجاتها ، وتقرر المصير بالرجوع إلى الله ،
ثم تأتى بعد ذلك بقضية تسوقها مساق
الحقائق التى يسلم بها جميع أرباب العقول ،
إذ تنفى المساواة بين الأعمى والبصير ، وبين

أحد الخائنين ، أو أن يكون له صديق من الغادرين ، أو رئيس من الظالمين ؟

* * *

والله تعالى قد تسمى بالآسماء الحسنى، وهو رب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، وكل اسم من أسمائه الحسنى مؤذن بحبه لمعناه ، فهو الرحمن الرحيم ، الذي يحب الرحمة ويعامل بها عباده ويحب منهم أن يتعاملوا بها ، وهو المؤمن ، وهو الغيور ، وهو الغفور الودود وهو الصبور ، وهو الحكم العدل . . إلى غير ذلك من أسماء الجلال التي توحى إلى الناس بالمثل العليا وترغبهم في أن يتمثلوها ويتعشقوها ويتخلقوا بأخلاق الله فيها ، فمن سوغ لعقله أن يسوى بعد هذا بين الجلال والقبح ، فقد سوى بين صفات الله الحسنى وغيرها من صفات السوء ، والنقصان ، وأجدر به أن يكون مطرودا من فضل الله ، محروما من توفيق الله ! والله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .

محمد محمد الهدوي

عميد كلية الشريعة

يقدره حق قدره ، فكان إقراره لكونه خالقا كلاً إقرار ، و (أم) منقطعة ومعنى الاستقهام فيها الإنكار ، والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله أحوال من أصلح ومن أفسد . ومن اتقى ومن فجر ، ومن سوء بينهم كان سفيها ولم يكن حكما .

وبهذا يتبين أن منطق القرآن الذي يخاطب به العقول ، إنما هو منطق الذي يتحدث عن التفاوت بين الأفعال ، كحقيقة ثابتة تعرفها العقول وتخاطب بها دون احتياج إلى إقامة الدليل عليها ، وهل يقام الدليل على الوجدانيات التي نغسها ! هل أنا بحاجة إلى أن أقيم الدليل لنفسى على أنى جوعان أو ظمآن ؟

وأبو حنيفة رضى الله عنه قد رسم الطريق للرد على هؤلاء ، أو إلزامهم بحكم منطقهم الأعوج في أنفسهم ؛ فمن حقنا أن نقول لهم بأسلوب أبي حنيفة : أيرضى الواحد منكم أن تنطلق زوجته أو أخته أو ابنته تفعل الحنا ، وترتكب الزنا ، وتأتى بولد من الحرام فتنسبه إلى غير أبيه ؟ أيرضى أحدكم أن يأتمن على أعماله

عَالِجُوا السَّارِقَ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ

لِلْإِسْتِاذِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْجَلِيلِ عَيْسَى

روع قرى وبلاداً بأسرها يفرض على أهلها الإتاوات، ويقتل من لا يستجيب لأوامره. ذلك الذى دوح رجال الشرطة، ورمى نساء، ويتم أطفالاً، وأذل رجالاً، وابترأموالاً، وأما حوادث «سويلم» و«هاشم» وأمثالها فلا تزال ماثلة فى الأذهان.

ولو نظرنا فى أمر هؤلاء وأمثالهم لوجدناهم نشئوا لصوصاً أغرام ضعف القانون من حيث عقوبته الهزيلة. قتلوا واستفحل شرهم. وأوغلوا فى إيذاء الخلق، واستهانوا بما توعدهم به القانون من حبس شهر أو بضعة شهور يخرجون بعدها ليسكروا المأساة. وماذا استفاد الموظف الذى نشل مرتبه فى أول الشهر ودخل على أولاده والحسرة تحيطه من كل جانب؟ ماذا استفاد من حبس السارق شهراً أو شهرين؟ وماذا فعلنا للجمع؟ إن هذا السارق سيعود ليمسرق مرة ومرة ومرات. كما قال الأستاذ جريشه.

ولست أدري لم لا تنفذ حدود الله ولو فى هذه الجريمة: جريمة السرقة. وهى التى كثرت واشتد خطرها. وهى أكثر

اطلعت فى بعض الصحف الصادرة يوم الخميس ١٤/٤/١٩٦٠ على كلمة الأستاذ على جريشه وكيل النائب العام، وعلى تعليق الأستاذ ميخائيل مكرم عازر بتاريخ ٢٧/٤/١٩٦٠.

ومع إعجابى بما أشار إليه الأستاذ على جريشه من أن قوانين بلادنا التى جلبت إليها من بلاد عدة أصبحت كالثوب الخلق المؤلف من رقع مختلفة، كلما هبت الريح طارت برقعة منها، أقول مع إعجابى ببحته القيم إنى سأعرض على أولى الأمر رأي من الوجهة التى ارتضاها الخالق سبحانه وتعالى لمعالجة بعض أمراض عباده الذين يعلم سرهم ونجواهم وعللهم ودواها. أقول يجب علينا أن نعتبر بالحوادث، ولا ندعها تمر بنا دون أن نكثرت بها. فيصيبنا فى الغد سهمها كما أصابنا بالأمس.

فهذا «اللص القاتل» الذى استفحل شره. وتعددت جرائمه. فأنزع الآمنين وقتل الأبرياء. وشغل الشرطة بل جهاز الأمن كله حتى سقط صريعاً، ومنذ زمن ليس يبعد كان «خط الصعيد» ذلك المجرم الذى

على تخفيف ويلات المصابين من أبنائها في بعض الحوادث ، فتعمل له رجلا أو يدا صناعية ... فكيف نقدم نحن على تشويه الناس ... ؟ وأنا أقول : إن هذا علاج لا تشويه . كالعلمية الجراحية التي يترهبها الطبيب رجلا أو يدا مصابة بالسرطان ، فالاجتماع جسم واحد والعضو الفاسد منه يجب أن يجري عليه مبضع الجراح ، وكما يسر المجتمع أن يتخلص من أمراضه حتى لا تفتك به ، ومن علله حتى لا تقضى عليه . . .

وقد يقول قائل : إن الأمم تعمل على تقليل عدد المتعطلين من أبنائها . كما تعمل جاهدة أن يكون كل فرد منها منتجا فكيف نزيد نحن عدد المتعطلين من أبنائها . كما نمنع أبناء الأمة من الإنتاج بقطع الأيدي : وستضطرب الدولة للإئفاق على من قطعت يده دون أن يقوم بعمل أو ينتج شيئا . رب قائل يقول ذلك فنقول له : إن السارق الذي تقطع يده لم يكن منتجا ولكنه كان معول هدم في الأمة يروع المنتجين . ويقلق العاملين . وأما ما تنفقه الدولة على هؤلاء ، فلا يعدو أن يكون نوعا مما تنفقه على الوعظ لإرشاد الناس . أو شيئا مما تنفقه في سبيل الإعلان والدعاية لشيء يفيد الناس ويوجههم لما ينفعهم ماديا أو أدبيا أو اجتماعيا . وهل قطع يد السارق والإعلان عن ذلك بين الناس وإذاعته عليهم ومشاهدتهم

الجرائم ترويعا للناس وشعلا للجهاز الأمن في الدولة .

لعل أكثر من نصف القضايا التي تنظرها المحاكم الجنائية هي قضايا السرقة . وأن قطع يد واحدة لكفيل أن يريح الناس من هذا الشر المستطير . فهذه أرض الحجاز التي كانت في يوم من الأيام مباءة للصوص وقطاع الطرق ، وقد ذاع بين ربوعها السلب والنهب . ما أن نفذت فيها حدود الله ، وقطعت فيها يد السارق ، حتى عم الأمن وأصبحت تضي الشهور بل والسنون دون أن نسمع بجادث واحد من حوادث السرقة ، وانتهى هناك عهد قطاع الطرق .

ورب قائل يقول : إنها لقسوة أن تقطع يد آدمي ... ولكني أقول هل من القسوة أن نفتص من الظالم الباغي ... ؟ وهل من الرحمة أن نرفق بوحش كاسر شرير يعدو على الأبرياء من الرجال والنساء ، من الشيوخ والأطفال ، يروعهم ، وينتهك حرمتهم ، ويسطو على أموالهم ، بل وعلى أرواحهم يزهد منهم من يعترض طريقه ... ؟ .

وهل من القسوة أن تقطع يدا ؛ لئلا يرمي مئات من بطشها ... ؟ وهل من الرحمة أن نصون هذه اليد لتسفك دماء وتعيث في الأرض فسادا ... ؟ .

ورب قائل يقول : إن الأمم الراقية تعمل

وأنشئ بها الوعظ ، هل أصلحت من اللصوص
أحداً . . . ؟ - كما قال الأستاذ جريشه - إن
صحف السوابق تشهد أنه ينذر أن نجد لصا
ليس له عدد عديد من السوابق ومعنى ذلك
أنه كلما أطلق سراحه عاد لما كان عليه فلم
ينفعه وعظ ولا إرشاد . صدق الله العظيم
حيث قال في أمثالهم : « ولو ردوا لعادوا لما
نهوا عنه » .

وهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم يقول :
« لو سرت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها »
وهناك علاج آخر جاء في القرآن الكريم
نضعه تحت أنظار المسؤولين من رجال الأمة
لعلهم يجدون فيه غوثا ينقذ الأمة من هذا الشر .
ذلك هو قوله تعالى : (إنما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض
فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم
وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض
ذلك لهم جزاء في الدنيا ولهم في الآخرة
عذاب عظيم) آية ٣٣ من سورة المائدة .
فإذا علمنا أن هذا هو تشريع العليم الخبير
بطبائع الناس وما يصلحهم نعلم فساد رأى
القائلين : إن الأمم تتجه إلى إلغاء بعض
العقوبات الشديدة . فكيف بنا نشدد
العقوبة .

ولا شك أننا يجب أن نعمل ما يصلح به

(البقية على ص ٥٦٣)

له مقطوع اليد ، إلا نوع من الدعاية للأمانة
والبعد عن السرقة وإيذاء الناس في أموالهم
بل هو أعظم رادع ، وأقوى زاجر لمن تحدته
نفسه أن يمتن السلب أو يفكر في العدوان
على الآمنين .

ولا ريب أنه إذا اطمانت النفوس
فسينصرف الناس إلى أعمالهم آمنين مجدين
لا يشغلهم شاغل ولا يلهمهم آثم وتوفر
على الدولة أموال طائلة مما تنفقه على جهاز
الامن ويمتنع قطع اليد كما قال العربي الأول
« القتل أنفى للقتل » ، وكما قال الله عز وجل
« بأبغ من ذلك » . ولستم في القصاص حياة
يا أولى الألباب .

ورب قائل يقول : ولم لا نعالج المجرم
بالإصلاح والتهديب . والواقع أن هذا كلام
في جملة نظري أقرب إلى الخيال منه إلى
الحقيقة . ولست أنسى ما ذكرته الصحف
منذ بضع سنين عن ولد بلغت سنه
أربع عشرة سنة ولما اطلع مأمر قسم السيدة
على صحيفة سوابقه هاله أن وجد له أكثر من
١٥ سابقة ، فما كان من الولد إلا أن قال
ببراءة الفطرة : « لا يمكنني أن أمتنع عن
السرقة . فإن يدي تمتد ولا أستطيع أن
أمنعها ، إن شئت يا سيدي ألا أسرق فاقطع
يدي » .

ولم نذهب بعيدا وهذه السجون منذ أنشئت

نفاية القرآن

عداوة الاغنياء للمصالحين من آفات المجتمع

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

نوح عليه السلام ١١ قال الملائكة لئن لم يأتك في ضلال مبين ، .
وكذلك قيل لبقية المرسلين من بعده .

محمد بن عبد الله ، صلوات الله وسلامه عليهم
أجمعين .

وما كان الانبياء ، ولا واحد منهم ليتهم
بالضلال ، أو يرى بالسفه وهم المبعوثون
للهداية ، أو ليوصفوا بالكذب أو غيره
من معابة وهم أرشد الراشدين المرشدين .

٣ - وحينما يتحدث القرآن عن الرسائل
وتطورها ، وما لقيته دعوته من شطط
في الخصومة والعنت يبدأ بذكر نوح عليه
السلام ، كما في آيات الأعراف التي سقناها
في المقال السابق ، والتي اقتطفنا أولها
في مطلع حديثنا اليوم .

فسياق الكتاب العزيز في هذا الشأن يفيد
جانبيين - أحدهما - أن دعوة نوح هي نفسها
دعوة الرسل من بعده في أصولها ، ومقتضياتها
حتى كانت خاتم الرسائل بالنبي محمد خاتم
النبيين صلوات الله وسلامه عليهم جميعا .

١ - كما تشابهت دعوة الانبياء لأنهم
في مقاصدها الخيرة ، ومنهاجها البين :
تشابهت خصومات الأمم في المكابرة بالباطل ،
والتطاول في غير حياء ولا وعى .

فحينما يتبلج الحق ، وتنهض حجته لا يعدم
خصومة تثار في وجهه ، ويتشبث بها غبي
حاقد زاعما أنه على فطنة ورشد ، وما هو
إلا غبا . يسد منافذ الدعوة إلى عقله ويحجب
نور الهداية عن قلبه .

وكم من عائب قولا صحيحا

وآفته من الفهم السقيم

٢ - وهذا نوح عليه السلام ، دعا قومه
إلى الهدى فلم يكفهم أن تغاضوا عن إجابته ،
بل عارضوه ورموه بالضلال المبين .

وكذلك قيل لهود من بعده . وقيل لصالح
ولشعيب . ونحوهم من الانبياء إلى خاتمهم

بالحديث عن الكافرين حتى يسبقوه في
الحكاية عنهم كما سبقوه في التاريخ ثم :
ماذا حصل ؟؟ .

قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله
غيره ، قالوا : إنا لنراك في ضلال مبين .
ناداهم بالقومية ، والنداء بالقومية ينبه
عاطفة الإخاء القريب أو يثير مشاعر الود
ويجذب إلى الوحدة والتضامن ، ويطمن إلى
الإخلاص وتوثيق الروابط .

والناس بحاجة إلى كل هذا التجمع في
حياتهم الخاصة والعامة إذا قدرُوا معنى
الحياة ، ولم يفهم أنها في أول مراتب
الاعتبار بالنسبة للإنسان .

ولذلك الذى نقوله : ترى خطاب النبيين
- لأنهم فيما عهدناه من قصصهم - كان دائماً
بـيا قوم أو ما هو بمعنى هذا . عدا النبي محمد
صلوات الله عليه وسلامه فقد قال (يا أيها
الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) .

وقد ظل نوح يكرر عليهم نداءه هذا ،
ويتدفق عليه جيلاً بعد جيل ، وما يسمع
منهم إلا تقييلاً له واستهجاناً لدعوته . يا نوح
قد جادلنا فأكثر جدالنا .

وهو يلاطفهم فمرة يقول يا قوم ليس بـ
ضلالة ، ولكنى رسول من رب العالمين .
ويقول : « أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم
وأعلم من الله ما لا تعلمون » ، فآله يوحى إلى بأمر

« إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح
والنبيين من بعده - شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا » .

الجانب الثانى أن رسالة نوح كانت في قومه
الذين ينتمى إليهم ، ويعيش فيهم ، وهم
العارفون لشخصيته ، والشاهدون بكريم سمعته
كما هو الشأن في كل نبي يبعث . وما أرسلنا
من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ، الآية .

وطبعى أن يكون الاختيار لمن لا تعلق به
نقيضة ، ولا تحوم حوله شبهة ، حتى يؤتمن
على التوجيه ، ويصلح للقدوة . . فالمفروض
أن يلاقى إقبالا ويواجه تأييدا ، وخاصة إذا
بعث بعد أن عاش بينهم أمدا طويلا وناهيك
بنوح الذى بعث بعد زمن قيل إنه مائتان
وخمسون عاما قبل الرسالة .

٤ - وهل كان نوح أول من أرسل
حتى يعتبره القرآن مضرب المثل في الوحي
إلى محمد والنبيين من بعد نوح ؟؟ .

قال أولوا العلم كان من قبله آدم ، وشيث ،
وأوريس ، ولكنهم ما بين نبي فقط كآدم
وما بين رسول لم يشا فقهه ويكفر به قومه
كما فعل قوم نوح معه .

فنوح أول رسول اختلف عليه أغبياء
قومه فكانت ذكراه في قصص القرآن
مطلع الذكريات ، وكانت العبرة بما جرى
معه أول العبر ، وليس لمن سبقه اتصال

وأن من الخير للإنسانية أن يحتاج الله أولئك الكافرين ، لنظهر الأرض من مآثمهم ، وتستقبل الدنيا عهدا قد يكون خيرا من عهدهم . فكان بعد المصابرة يعلن شكواه إلى الله « رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا . فلم يزدني دعائي إلا فرارا . وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم ، واستغشوا ثيابهم ، وأصروا واستكبروا استكبارا . ثم إني دعوتهم جهارا ، ثم إني أعلنت لهم ، وأسررت لهم إسرارا . رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزد ماله وولده إلا خسارا ، وأخيرا ، وبعد أن جأر بالشكوى من متبوعهم وتابعهم نفث ما بنفسه من سخط ، وقال « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا - أحدا - إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ، .

وهذه دعوات نبي مستجاب الرجا ، ومكروب من ظلم قومه له ، وتحذيم بالكفر لرسالة الله إليهم فكانت لحياتهم الطويلة عاقبة وخيمة ، وكان لدعائه عليهم مغبة مشؤمه ، حيث أذن الله لنوح أن يصنع السفينة لينجو بها من غرق ماحق ، وأذن له أن يحمل في السفينة من آمن به ، ويحمل أزواجا من الحيوان والطيور ثم أنفذ الله أمره فيهم ، وبغتهم بالطوفان العارم ، يهطل عليهم من السماء ، ويتدفق تحتهم من الأرض ، ونوح ومن معه في السفينة تجري بهم في موج

الغيب ، وأنا لكم مخلص وأمين ، والأمانة والإخلاص من مقتضيات الأخوة الصادقة والقومية الأكيدة ، فضلا عما تقتضيه رسالتى إليكم من ربى . . . فإن لم يكن بكم وفاء ، ولا ولاء تخافوا عذاب ربكم في يوم عظيم الهول ، شديد الهوان على من خالف . تصدى له في دعوته الملائ من قومه ، والملائ هم أصحاب المسكنة فيهم ، ودأبوا على مقاومته وصدد الغير عنه من أتباعهم والمستضعفين فيهم .

والملائ في كل جماعة يغيظهم أن يظهر عليهم من يخشون سيادته ، ويكبر في أنفسهم أن يسيروا وراء غيرهم ، ويتخلفوا عن الصدارة ليتابعوا سواهم ولو كان مرسلًا إليهم من رب العالمين .

فلم تكن شغلة نوح بأمر التبليغ فقط ، بل شغلوه بالماوأة والانهام بالضللال حتى كان يحاول الدفاع ، ويترفق ثم يترفق . . . حتى أخذ منه الغضب مأخذه ، وساوره اليأس منهم ، وعرف أكيدا أن أذاهم له ولن آمن به غير مقطوع عنهم ، ولكنه لم يكن ليفتر عن نشاطه فيهم حتى صارحه الوحي بقطع الرجا منهم « وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ، وهنا أيقن أن تركهم على ضلالهم بعد مطاولته لهم عشرة قرون إلا قليلا سيمكن لهم في الفساد أكثر ،

وهكذا تحقق وعد الله في قوله لنوح عليه السلام حين نجاته من الغرق : « وقلنا يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك ، وعلى أمم ممن معك ، وأمم ستمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم » .

وكذلك حققت كلمة ربك على الذين كفروا ، وللكلام بقية عن ذلك في مناسبة آية .

وبعد : فهذه مقتطفات أجملناها من قصص القرآن ، وهي تمثل ألوانا من حياة المجتمع في قديمه ، وتعرض لنا صورا من عقليات كانت تسيطر على أتباع وكانت لها جولات في توجيهه أقوامهم ، ولكنها توجهات الغباء ، والجهالة ، والجمود ، حتى ذهبت المشأمة الناجمة عن تخطيهم بالمجتمع كله ، وحتى ذهبت أمجادهم التي غرتهم ، وانطمست النعم التي أبطرتهم ، وأصبحوا حديثا تتقزز منه الإنسانية ويتوارى من ذكرها التاريخ .

هذه مقتطفات تسوق لنا العبرة فيما جرى لأولئك الأسلاف للاستفيد منها ، ولا تناسي بهم ، ولنعرف عنهم ، ولا نخطئ خطأهم ، وقد أتاحت لهم الفرص في نعمة سابعة ، وحياة طويلة ، وتذكير حق من رسل الله ، ولكن الغواية تمكنت منهم . والحقد على الأنبياء استحوذ عليهم ، وتعشروا في غرورهم حتى كان من أمر الله فيهم ما كان .

نعم : تعب الأنبياء ، وكم تعبوا . وتعب من

كالجبال ، حتى استأصل الغرق من كفروا جميعا ، ولم ينج منه إلا نوح مع المؤمنين به « وما آمن معه إلا قليل » .

فهذه قصة واقعية ، كانت الفصل الأخير للرحلة الأولى من مراحل الحياة الدنيا .

وهكذا انتهت ثورة الملائكة على نوح . وانتهت بدنيهم سورة الجهل الذي زين لهم خصومته ، وعاقهم عن الأخذ برسالاته ، وكذلك تكون العاقبة للبفترين على الحق ، كما كانت عاقبة أسلافهم في كل أمة خلت بعد نوح ولهم عند ربك في الآخرة مواقف أنكى وأشد ، وسيتنكر الطغاة بعضهم لبعض ، ويتبرأ المتبوع من التابع ، ويلقى كل منهما وزره على صاحبه ، وأخيرا يقول قائلهم في وهج النار وبعد اليأس من رحمة الله : « إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد » .

فهل تحققت عبرة لمن ورثوا الدنيا بعد قوم نوح ، ذهب الطوفان ، وعمرت الأرض ثانيا بنوح ومن معه ، ومكث فيها نوح أمدا طويلا ، ثم تطورت الحياة وتغيرت الوجوه ونشأ في الدنيا قبيلة عاد التي وصفها الله بما وصفها من بأس ، وقوة ، ومال ، وتعمير ، فكانوا شر خلف لشر سلف وأخذهم الله بالريح العاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام ، بحر ها وبردها ، حتى تركتهم أخيرا كأعجاز نخل خاوية .

وتستجيب للصدق ، وعند ذلك تلتقي وجهات على الخير ، النظر فإن الحق بطبعه ناهض وناطق ، وإن الباطل بطبعه خافت وزاهق . وتلك أو هذه إحدى الغايتين اللتين ينتهي إليهما الأمر بين الداعين والمدعويين .

وكانت غاية الأنبياء خيرا لولا المسأله ونفوذهم في الضعفاء ، فإن تكن الدنيا حافلة بهذا النوع من المستكبرين فإن شؤمهم سيحقيق بهم ، وبمن يرضى عنهم وهذه سنة الله ، والله غالب على كل شيء وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون ؟ .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

بعدهم مصلحون آخرون في أقوامهم وكم تعبوا وماذا يعمل الداعي إلى الخير سوى إبداء النصيح في إخلاص ، وسوى التحذير من سوء العاقبة في هدى الدين ، وهدى البصيرة ، والإخلاص ، والأمانة .

وماذا يساعد الداعي في دعوته أكثر من الوحي إن كان نبيا ، وسوى الاعتماد على الأفهام في تقدير ما يطلب إليهم الأخذ به ؟ الأهداف الطيبة تبدو عادة في منهاج المصلحين ، ويعززها دائما ما يقترن بها من شواهد الصدق في مسلكهم ، وما يعرف من خصوصياتهم .

والعقول من وراء ذلك تحكم بالحق ،

بقية المنشور على صحيفة ٥٥٨

هكذا ما رأيناه تأييدا لكلمة الأستاذ جريشه . أما كلمة الأستاذ ميخائيل فإنها لا تستحق تعليقا لأنها أقرب إلى النظريات الخيالية منها إلى الحقائق العلمية .

عبد الجليل عيسى

على هؤلاء اللصوص أنهم لم يرض على إخراجهم من معتقل الطور سوى بضعة أيام .
الآن يكفي كل هذا أن يكون حافزا على البحث عن علاج ناجح بعد أن فطمت كل هذه المحاولات المحلوبة من الخارج .

أمرنا ويأمر به ديننا لا يعيننا من أمر سوانا ما لا غناء لنا فيه . (١)

(١) ومن عجيب تصاريف القدر أن يقدم لنا برهانا على صدق خطورة إهمال الصرص ذلك أن ثلاثة لصوص من الخطرين حارلوا تقب جدار حانوت قاتورة تحت المسكن الذي أسكنه بشارع العباسية رقم ٩٢ في الساعة الثانية بعد منتصف ليلة السبت ٢٢ أكتوبر ١٩٦٠ ولولا يقظة رجال الشرطة لقتل البواب وتمت الجريمة .
ومكان العبرة في هذا الحادث أنه تبين به النبض =

الثورة الرابعة ضرورة محتومة

للأستاذ محمود الشرفاوى

كان المقال الافتتاحى فى العدد السابق من هذه المجلة مقالا موجها ، ملهما ، منيرا . ودعوة الإصلاح والتجديد للفكر الدينى دعوة طامسا صحنها ، بل صرخنا ، منذ ثلاثين سنة ، فى كتبنا^(١) وعلى صفحات الأهرام ، و « الرسالة » ، ومن قبلها « البلاغ » ومن قبلها « السياسة الأسبوعية » . وكان كثير من ذلك قبل الثورة . فإذا جاء الأستاذ الكبير « الزيات » اليوم يحدد دعوته ودعوتنا هذه . ويقول إن : (ثورتنا الثلاث تعوزهن رابعة) فحق لنا أن نغتبط ، وأن نلبي وأن نساند .

هذه الثورة الرابعة ضرورة محتومة . ولسكننا نريدها ثورة بناءة لا هادمة ، مخلصه حكيمة ، قائمة على الشجاعة لا على التهور ، على الفهم لا على المتابعة ، على الإخلاص والصدق لا على التهميش والمباهاة ، على البصيرة المهتدية الهادية لا على الاندفاع الطائش الخرب .

[١] انظر على وجه الخصوص فصلى : « تاريخ له دلالة » و : « المسيرة والكابرة » من كتابنا الأخير تقويم الفكر الدينى وصلته بالقومية العربية .

نريدها ثورة لتقويم الفكر الدينى نفسه . ثورة من الدين لا على الدين . له وليست ضده . هدفها وغايتها أن تعود بالعقيدة إلى ما أراد الله لها من الصفاء والنقاء . وأن ترجع بالشريعة إلى حيث وضعها الله من الطهر واليسر .

والثورة إلى جانب الدين - كما قال أستاذنا الزيات - إضافة قد تنكرها بعض النفوس ولكننا ، بعد التأمل ، سنسكن إليها وترضى عنها فتألفها ولا تأنفها . والدين نفسه ثورة على الأوضاع الفاسدة والأفهام الضالة التى كانت قائمة ، وكتاب الله الكريم ذم المشركين وعابهم لأنهم كانوا يقولون : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون »^(٢) .

فى الفكر الدينى : عقيدة وشريعة ، أشياء كثيرة تحتاج إلى تقويم ، بل إلى ثورة ، و « النص » فى الدستور على أن الإسلام دين الدولة لا يحقق معناه إلا إذا كان للدين الأثر الفعال فى التربية والتعليم والتشريع والسلوك كما جاء فى مقال الأستاذ الزيات . وهذه

[١] الآية ٢٢ من سورة الزخرف .

فعلت في العبادة كذا وكذا وصليت كذا وصمت كذا . فيقول الله لعيسى : أرأيت ثواب هذا العبد؟ . فيقول نعم ، فيقول الله : إن ثوابه لا يعدل ثواب رجل من أمة محمد يصلي في ليلة النصف من شعبان ركعتين .

وقد تحدث بهذا الحديث رجل من الذين يحدثون الناس باسم الدين في مسجد من مساجد القاهرة (١) .

ونجد في بعض هذه الكتب أن راعيا كان يرعى غنمه فرأى ذنبا يثب على شاة ليأكلها ، فخال الراعي بينه وبين الشاة ، فأقعى الذئب على ذنبه وقال : يا عبد الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلى (٢) .

ونجد فيها أن حديثا يروى عن النبي عليه السلام يقول : أدخلت الجنة فرأيت فيها ذنبا فقلت : أذنب في الجنة . . ؟ فقال أكلت ابن شرطي . ثم يزيد القائل إن ابن عباس علق على ذلك فقال : أكل الذئب ابن الشرطي ، فلو أكل الشرطي نفسه لرفع إلى عليين (٣) .

ويقول من كتب هذا بعد ذلك : إن هذا الحديث موضوع ، ومع ذلك يرويه ويكتبه

[١] انظر جريدة «الأخبار» في ٢٠ مايو سنة ١٩٥٥
[٢] و [٣] ص ٣٣١ من كتاب : « حياة الحيوان الكبير للمدبري » ج - ١ - الشرفية ١٣٠٦ و « حياة الحيوان » لبس من كتب الدين ولكن ألوان الثقافة العربية القديمة كانت متشابهة غثولطة . وهذا الكلام يذكر على أنه من الدين فيلصق به .

أمور ، كما ترى بعضها يمكن أن يمكن الأزهر من القيام به - بوصفه المهيمن على الفكر الديني والتوجيه العقيدى بين المسلمين - وبعضها تقوم به الدولة الحريضة على تقويم هذا الفكر الديني حرصها على تقويم كل أمر آخر .

وعندما أتحدث عن الفكر الديني لا أنظر له نظرة ضيقة تحدها حدود الجمهورية العربية المتحدة . بل أنظر له نظرة شاملة كاشفة محيطه تشمل ألوانه وأنماطه في البلاد الإسلامية كلها فهي تشترك في كثير ، وتفترق في كثير .

وكثير من هذا وذاك منحرف عن الفهم الصحيح للدين . ومن ثم يحتاج إلى التقويم . كثير من الكتب التي يطالعها الناس ويتلقون ما فيها على أنه من « الدين » ، كثير مما في هذه الكتب لم يحى به الدين ، بل لعله يحاويه وينكره ، كما ينكره العقل ، وينكره العلم . في بعض هذه الكتب أن نوحاً سفينته من عظام حيوان يبلغ طوله مسافة ما بين السماء والأرض ، ويبلغ عرضه مسيرة عام كامل .

وفي بعض هذه الكتب أن عيسى عليه السلام مر ذات يوم على جبل وبه صخرة في بياض اللبن الحليب ، ولما ضربها ، انفلقت وخرج منها عبد صالح وبجانبه عذقود من الغنم ، فسأله عيسى ما هذا ؟ فقال : هذا رزقي يرسله الله جزاء عبادتي السنين الطوال فيقول له من أنت ؟ فيقول : أنا فلان الذى

حين كان المسلمون يشتغلون بالطب ويعرفون التشريح ، وينشرون ، بالفهم والفلسفة ، دعوة العقل والإدراك والتأمل ، ويبشرون بفهم جديد هو الذى ساد الحياة الإنسانية فيما بعد ، ويسودها فى العالم الحديث ، يقوم على البحث والعلم والمطالبة بالدليل .

وما يزال بعض من القوم ، البون بين الحياة المحيطة بهم وبين ما يشغلون به عقولهم وتفكيرهم ، شبيه بما كان من البون بين رهبان القرون الوسطى ورواد البحث العقلى من المسلمين ، من أمثال ابن رشد وابن الطفيل والرازى وابن سينا وابن حزم وأمثالهم . ما يزال بعض من هؤلاء يقضى عاما كاملا يتناقشون فى « حملة العرش » ، وما صفتهم وهل هم أوعال أو غير أوعال ! (١) .

وقد يكون هذا الوضع قد انتهى من الأزهر ومن جمهوريتنا العربية أو هو يوشك أن ينتهى ، ولكنه ما يزال باقيا فى بعض البلاد الإسلامية والعربية وفى بعض بيئاتها الدينية . فأى شئ أكثر من ذلك يدعو إلى الثورة ويجعلها ضرورة محتومة ؟ .

فاذا انتقلنا إلى كثير من الكتب التى وضعت فى الشريعة أو « الفقه » نجدها كذلك تجعل الثورة الرابعة ضرورة محتومة : وذلك

(١) العدد : ٣٥ من مجلة الرسالة : مقال الأستاذ الشيخ محمد محمد المدنى .

ويتداوله الناس على أنه من « الدين » . ولا بد لنا كاتبه على الوزر الذى استحق به ذلك الولد البرى أن يأكله الذئب ، ثم يثاب الذئب على أكله الطفل فيدخل الجنة . وما ذنب ذلك الطفل فى أن يكون أبوه شرطيا ؟ وهل كل شرطى يستحق أن يغتال ابنه ذئب فيدخل الجنة . أو يأكله الذئب نفسه فيرفعه الله ، كما يقول المؤلف ، إلى عليين فى جنة الأبرار . ؟

فأى شئ أكثر من ذلك يدعو إلى الثورة ويجعلها ضرورة محتومة . ؟ .

وكان الرهبان ، فى القرون الوسطى ، يعكفون على أبحاث عجيبة يظنونها مقدسة . كانوا يبحثون عن قيمة رقم (٧) فى الدنيا والآخرة ، وعن عدد الملائكة التى يمكن أن تقف على رأس الإبرة ، وعن مكان الروح من الجسد ، هل هو الرأس أم القلب . وكان أمثالهم من قبلهم ، يبحثون ويتجادلون فى إثبات أن المرأة لها روح كما للرجل روح أو ليس لها . ويعقدون المؤتمرات لذلك .

كان هؤلاء وهؤلاء يشغلون أذهانهم ويجهدون عقولهم ، ويصرفون أوقانهم وأوقات معاصريهم فى مثل هذه الأمور وهم يزعمون أنهم يشتغلون بمباحث مقدسة لها أعظم الخطر فى حياة الناس : حياتهم فى الدنيا وحياتهم فى الآخرة .

كان الرهبان يفعلون ذلك فى القرون الوسطى

موصوف بصفات السلم فهو يبيع للدعاة من المدعى لغريمه ، أو إجارة لها بغيرها منه . لغريمه ، أو لغريمه ، أو لغريمها بها من غريمه له ، (١) .

ومثل ذلك الذى جاء فى كتب : « نحن مع الدراهم قلة وكثرة ، (٢) ونأمل ما فى هذا القول من إيحاء ومن دلالة ومن جرأة » .

ونجد فى مقالة من مقالات هذا العدد (٣) بعض هذه الكتب يدرس فى جامعة النجف الأشرف بالعراق ، كما يدرس فى جامعة القرويين بالمغرب ، وقد درسناه نحن فى الأزهر ، فهو محنة تحتسوى طلاب الثقافة الدينية فى بلاد الشرق العربى كله . فأى شيء أكثر من ذلك يدعو إلى الثورة ويجعلها ضرورة محتومة ؟

ونحن لا ندعو لإعدام هذه الكتب أو إلغائها دراستها ، ولا نريد أن تناقش أولئك الذين يقولون إن فيها فوائد من شحذ الذهن ومران الفكر وتنمية الملمكة العقلية للاستنباط والجدل .

[١] ص ٤ من الجزء الثالث من حاشية البجيرى على شرح المنهج فى فقه الإمام الشافعى باب الصلح - الاميرية سنة ١٣٠٩ - .

[٢] حاشية المدابغى على الخطيب فى فقه الشافعية - باب الطلاق - .

[٣] مقال : - جامعه الأشرف - للسيد الأستاذ محمد رضا المظفر عميد كلية الفقه بالنجف .

شئ واضح بين يعرفه الدارسون والقارئون لهذه الكتب ، ويعرفه أكثر من ذلك أمثالنا الذين درسوا « الفقه » فيها أيام الطلب فى الأزهر ولكنى أذكر طرفاً يسيراً منها لمن لا يعرف .

أذكر من ذلك هذا السؤال الذى يقول : « ما رأيكم فى إمام صلى بالناس صلاة العيد ، ثم ضحى به الناس بعد الصلاة ؟ » .

قالوا فى الجواب : يكون هذا الإمام أبوه رجل وأمه نعجة ، فخرج لأمه ! .

نجد هذا السؤال وهذا الجواب ، بينما نجد فى سيرة الإمام مالك أنه سئل عن أمر ليس مستحيلاً كهذا الإمام الذى ولد من رجل و « نعجة » بل كان أمراً ممكننا ولكن لم يقع ، فقال مالك : هل وقع ذلك . . ؟ قال السائل : كلا ، لم يقع . فقال له مالك إذا وقع فاسأل .

وأذكر لهم مثل ذلك السؤال الذى يريد صاحبه أن يعرف حكم الجنبانة على الرجل إذا دخل ، فى رحم امرأة ! .

ومثل ذلك القول الفقهى الذى يفنى بأن رجم البهيمة إذا زنى بها زان ، ويروى فى ذلك حديثاً عن النبي عليه السلام يقول : « اقتلوا البهيمة ومن أتاها » (١) .

وأذكر لهم مثلاً من أمثلة الصياغة والتأليف فى هذه الكتب هو هذه الفقرة « .. أو ثوب

[١] ص : ٣٦ من - الأحكام السلطانية - لماوردى ، - طببع دار السعادة سنة ١٩٠٩ -

مُأَنِيَا :

(١) بوضع مؤلفين يجمع أحدهما تفسير القرآن تفسيراً سهلاً التناول يوافق أصول الدين وقواعد اللغة العربية مع التنبيه على ما في كتب التفسير المتداولة من الإسرائيليات والآراء التي لا تتفق وأصول الدين العامة وقواعد اللغة . ويجمع الآخر الأحاديث التي تصلح للاحتجاج والتي لا تصلح مع بيان درجاتها المختلفة .

(ب) التنقيب عن الكتب الإسلامية التي يعظم نفعها في مختلف العلوم والعمل على إخراجها لإخراجاً صحيحاً متقناً .

هذه خلاصة مشروع تقدم به ، قبل عشرين سنة ، كبير من شيوخ الأزهر ولعل ما لم يمكن الأزهر منه من قبل ، يمكن الآن منه في عهد الثورة التي قامت لتصلح الفاسد وتقيم المسائل وتقوم المعوج .

واحدة من اثنتين : إما أن يكون الدين أمراً لا بد منه لتنظيم مجتمعنا والهيمنة على سلوكنا وتنوير بصائرنا وتهذيب ضمائرنا ففي هذه الحالة نجد أن هذه الثورة ، الرابعة ، ضرورة محتومة ، وإما أن يكون الأمر على غير ذلك . فنحن عندئذ لا نملك إلا أن نردد قول الله تعالى : « والأمر يومئذ لله » ،

محمود الشرفاوى

سكرتير التحرير

فكتب الشريعة والفقه لم تخلق لمثل ذلك بل يراد منها معرفة الأحكام الشرعية بالدليل من كتاب الله وسنة رسوله . وشتان بين ما نجد في موطأ مالك مثلاً أو الأم والرسالة للشافعى أو الموافقات للشاطبى أو المحلى لابن حزم وأمثالها .

لا ندعو لإعدام هذه الكتب أو إلغائها دراستها . بل يجب أن تدرس دراسة تاريخية على أنها نمط من أنماط التأليف في عصور خاصة تأثرت بمؤثرات خاصة . ولهذا الدراسة رجالها وموطنها ، وليس من هؤلاء طلاب الفقه ، ولا من هذه دراسات الشريعة .

السبيل ، أو بعض السبل ، لتحقيق هذه الثورة الرابعة بعد إصلاح النفوس والقلوب والضماير - أجده في مشروع بحث ودرس قبل عشرين سنة ^(١) . تقدم به يوم ذاك كبير من شيوخ الأزهر إلى شيخه الأكبر ، وهو :

أن تقوم جماعة من كبار العلماء بما يأتى :

أولاً :

(١) لإيضاح ما قد يخفى من أصول الدين .
(ب) بيان ما هو بدعة وما ليس بدعة .
(ج) بيان أحكام الشريعة في المعاملات التي جدت وتجد .

[١] محضر جلسة - جماعة كبار العلماء - المنعقدة يوم ١٥ من شوال سنة ١٣٦٠ - ٤ نوفمبر ١٩٤١ .

تطویر الفقه الاسلامی

للدكتور محمد يوسف موسى

ولذلك نجد فقهاءنا الأئمة الأعلام ، ومن جاء بعدهم من المجتهدين في القرون الأولى ، كانوا حريين حقاً بهذا الوصف الجليل ، وصف الفقهاء ، فكانوا يعيشون في أزمانهم ، وفي خضم الحياة ، لا على هامشها كما هو دأب الكثير منا هذه الأيام ، وكانوا يتعرفون مشاكل العصر ومسائلة التي تجد وتتغير من زمن إلى آخر ، ويعملون لمعرفة حكم الله في كل منها ، وبهذا أدى كل منهم رسالته — باعتباره فقيهاً — كاملة غير منقوصة .
لأنهم درسوا الكتاب والسنة الصحيحة دراسة جادة عميقة ، وأيقنوا أن الله لا يشرع أمراً عبثاً ، بل لعله اقتضته ، فبحثوا عن علل ما جاء في هذين المصدرين من أحكام شرعية ، وقاسوا ما لم يرد له حكم على ما ورد حكمه إذا اتحدت العلة .

وكذلك عرفوا أن الحكم يتبع العلة وجوداً وعدماً ، ولهذا لم يجدوا بأساً في تغيير حكم الأمر الواحد في زمن عنه في زمن آخر إذا انعدمت العلة التي استوجبت الحكم الأول ، وكان قدوتهم في هذا فقه الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم جميعاً .

الإسلام هو خاتم الأديان السماوية بلا ريب ، وقد جاءنا بالعقيدة الحققة بعد أن اشتد الخلاف فيها ، وبالشرعية الأصلية العادلة الصالحة لكل زمان ومكان حتى آخر الدهر ، وبالنظم التي تقوم عليها الأمة وتكون حقاً خير أمة أخرجت للناس ، ومن هذا وذاك ما نعرفه اليوم باسم الفقه الإسلامي .
فليس لنا أن ننتظر عقيدة أخرى تتفتح بها السماء ، ولا شريعة ينزل بها الوحي الإلهي غير ما جاء به القرآن الكريم وسنة الرسول الصحيحة صلى الله عليه وسلم ، ولا « فقهاء » آخر غير ما يرجع إلى هذين المصدرين الرئيسيين المقدسين ؛ ففيهما الأساس الصالح المتين لكل ما يحتاج إليه هذا العصر ، وكل عصر آخر يأتي بعده ، من تشريعات عادلة حكيمة .

والفقه ، كما يذكر الغزالي في كتابه المستصفى من علم الأصول ، وابن خلدون في مقدمته : هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين ، بالوجوب والحظر والنسب والكرهية والإباحة ، وهي متلقة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفة من الأدلة .

والفقه الإسلامى وهو يعيش على هامش الحياة فى هذا العصر ، بل أن يتدخل فى صميمها وجميع أعمالها ، وذلك حتى نكون على بينة من أمرنا فيما نأخذ ونعد .

لقد عمل أسلافنا الأجداد فى هذه الناحية كل ما فى وسعهم ، فأظهروا لنا ببحوثهم وجهودهم وسعة آفاقهم أن الشريعة الإسلامية صالحة حقاً لكل زمان ومكان، وأنها بأصولها تسير كل عصر ، وتقبل التطور مع الزمن ، هذا التطور الذى يجب حتماً أن يكون فى حدود كتاب الله المحكم وسنة رسوله الصحيحة .

ولكن الذى حصل بكل أسف أننا ظللنا عاكفين على ما تركوا لنا من تراث قيم لا يُقدر قدره ، ولم نحاول أن نفعل كما فعلوا من النظر إلى مشا كل العصر فنعمل على إيجاد حلول لها تتفق والكتاب والسنة وروح الإسلام .

وبذلك تقدم الفقه الغربى وازدهر، وتأخر الفقه الإسلامى وجمد ، وصار طلاب هذا الفقه ورجاله يعيشون فى حلقة لا يُدرى أين طرفاها ، حلقة لا تتصل بالعصر الذى نعيش فيه إلا بقدر محدود يكاد لا يتجاوز العبادات والأحوال الشخصية والمعاملات على النحو الذى كان معروفاً فى العصور الوسطى .

ونرى من الضرورى أن نقرر هنا أنه يجب ألا نخشى شيئاً من الدعوة إلى تطوير الفقه

ومن ثم . نجد هذا التراث الضخم المجيد فى الفقه والتشريع ، هذا التراث الذى لا نجد ما يقاربه فى أمة أخرى فى هذه الناحية ، والذى تناوله من جاء بعدهم بالشرح والتحشية والتقرير، دون أن يضيفوا إليه شيئاً كثيراً، وكان ذلك أمانة التقليد والجمود . والجمود أمانة الموت كما نعلم كما أن الحركة أمانة الحياة.

* * *

إن الزمان يا قوم لا يعرف الوقوف ، والفلك دائم الدوران وأنماط الحياة تغيرت إلى حد كبير ، وجدت نظم لم تكن معروفة من قبل فى المعاملات ، على اختلاف ضروبها وأنواعها ، وفى طرق تنمية المال واستغلاله بواسطة الأفراد أو المؤسسات والشركات العديدة .

ذلك كله وما إليه . فضلاً عن أعمال المصارف المختلفة ، كان يقتضى منا منذ زمن طويل أن نعمل من أجل « تطوير الفقه الإسلامى » ؛ لنستطيع أن نجد منه أحكاماً تحكم هذه الأعمال والشئون، سواء أكانت هذه الأحكام بالحِلِّ أم بالحرمة ؛ فإننا لا نريد من هذا التطوير الذى دعونا إليه منذ سنوات فى كثير مما كتبنا ، أن نجعل شريعة الله ورسوله تجهز كل هذه الأعمال التى نضطرب فيها فى حياتنا الاقتصادية .

ولنما الذى ندعو له ونريده هو ألا يبقى

الأمثلة الآتية ، وغيرها كثير لانرى ضرورة للتعرض له ، وكلها مأخوذة من فقه الصحابة والتابعين أنفسهم :

١ - إسقاط عمر نصيب المؤلفه قلوبهم : جعل الله هؤلاء المؤلفه قلوبهم نصيبا من الصدقات ، وذلك بآية سورة التوبة ، وهم نفر معروفون منهم ، من حسن إسلامه فيما بعد ، ومنهم من لم يحسن إسلامه ، ومن هؤلاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن ، وقد قسم الرسول غنائم خيبر ، فأعطى كلا من هذين مائة من الإبل .

وقد أبان الرسول صلى الله عليه وسلم العلة في هذا الصنيع ، وذلك إذ قال لمن أحس بعض الألم من الأنصار فيما رواه أبو سعيد الخدرى : « أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة (١) من الدنيا تألفت بها أقواما ليسلوا ، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام ، !

وقد ظهر أثر هذه السنة النبوية الحكيمة في عهد الرسول نفسه ؛ فإن صفوان بن أمية ، فيما يرويه سعيد بن المسيب . قال : أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه لا بغض الناس إلى ، فما زال يعطينى حتى إنه لأحب الخلق إلى ، ولذلك جرى سيدنا أبو بكر عليها زمنا من خلافته .

مادمننا نسير في هذا على هدى القرآن والسنة ، وما دمننا نفيد من تراث فقهاء الأجلاء الماضين . بل إن الأمر على العكس من ذلك ، فإن تطویر هذا الفقه ، على النحو الذى ندعو إليه جادين منذ سنوات ، يجعله فقها حيا ، ويجعلنا فى غنية عن الأخذ من الفقه الغربى ، بل عن التبعية له فى كثير من أحكامنا التشريعية والقانونية ، وبخاصة أن الاستعمار الفسكرى ليس أقل ضرراً من الاستعمار العسكرى الذى تخلصنا منه نهائيا بفضل الله تعالى فى هذا العهد المجيد الذى نعيش فيه .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نرى أن التطور سنة من سنن الله تعالى التى لا نجد لها تبديلا ، ومع هذا فالتطور قانون من قوانين الحياة التى لا مفر منها ، والتى تجرى علينا وإن لم نرد ، فالتخير إذن أن نريد هذا التطور ونعمل له جادين .

على أن هذا التطور فى الفقه والأحكام التشريعية بدأ فى فجر الإسلام ، أى بعد أن لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى بسنوات قليلة ؛ وذلك لأن الحاجة حين ذاك دعت إلى هذا التطور ، فكيف بنا اليوم وقد مر على ذلك الحين أكثر من ثلاثة عشر قرنا من الزمان !

ويكفى فى التدليل لما نقول أن نذكر

(١) اللعاعة بضم اللام : الشيء القليل

وسلم^(١)، وليس هذا إلا تطوراً في الأحكام التشريعية يقتضيه الزمن الذي تغير، وهو تطور وفق أصول الفقه وصناعته، ولا يعارض في شيء ما جاء في الكتاب والسنة. إن الذي كان من عمر ووافقه عليه الصحابة ليس فيه نسخ ولا معارضة لحكم ثبت بالقرآن والسنة، بل إن فيه تقريراً لصنيع الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة؛ فإن الرسول كان يقصد بالإعطاء إعزاز المسلمين ودفع الضرر عنهم، وهذا ما قصده الفاروق ولكن من وجه آخر.

إن إعزاز المسلمين، وهو علة الإعطاء، كان أيام الرسول بالدفع إليهم، ولكن بعد ما صار المسلمون إليه من القوة والمنعة صار هذا الإعزاز بالمنع؛ وهذا معناه إشعار أولئك المؤلفة قلوبهم بأن الإسلام لم يبق في حاجة لهم، كما أن فيه تقوية لقلوب المسلمين أنفسهم ورفعاً لروحهم وتأييداً لعزتهم ومنعتهم.

٢ — مسألة زيادة حد شرب الخمر:

روى أبو هريرة رضى الله عنه أنه جرى.

(١) راجع كتاب المعارف لابن قتيبة، وفتح القدير وشرح النهاية على هامشه > ١٤ - ١٥، وأحكام القرآن للجصاص > ٣ : ١٥٢ - ١٥٣، السنن الكبرى للبيهقي > ٦ : ٣٣٩، طبقات ابن سعد > ٥ : ٥٢٨، الأموال لأبي القاسم بن سلام ص ٦٠٦ - ٦٠٧.

ولكن عمر بن الخطاب لم يكن من رآيه أن يستمر هذا الحكم بعد ذهاب علته، ولهذا محا الكتاب الذي اقتطع به أبو بكر الأقرع وعيينة أرضاً زعماً أنها سبخة ليس فيها كلاً ولا منفعة، وعندئذ غضب هذان وقالوا قولاً قبيحاً، فقال لهما: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتألفكما والإسلام يومئذ قليل، وإن الله قد أغنى عنكما؛ إذ هبما فاجهدا جهديكما، لا يرعى الله عليكما إن رعيتما!

وفي رواية أخرى أنه كان فيما قاله لهما عمر: أما اليوم فقد أعز الله الإسلام وأغنى عنكم؛ فإن ثبتتم على الإسلام، وإلا فبيننا وبينكم السيف....

ومهما يكن، فإن الصحابة لم ينكروا على عمر ما فعله بعد أن فهموا ما أراده؛ فإنه لم يرد نسخ الحكم الثابت بالقرآن والسنة، وما ينبغي لأحد أن يرى هذا في أية حال. وإنما رأى أن هذا الحكم ذهب بذهاب علته، وأنه قد يعود إذا وجدت علته في زمن آخر كما حدث أيام الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز.

هذه هي مسألة سهم المؤلفة قلوبهم، وكيف أسقطه بعد أن كان يعطيه لهم أبو بكر اتباعاً لسنة الرسول صلى الله عليه

وهذا ليس استحداثاً لحكم جديد ، وإن كان هذا ما يظن في بادئ الرأي ، كما أنه ليس فيه مخالفة لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم . فإن الرسول قصد أن تكون العقوبة رادعة زاجرة عن اقتراف هذا المنكر ، وذلك ما يختلف في زمن عنه في آخر ، وكان الحد الذي رآه عمر والصحابة هو المناسب في زمنه وفي هذا دليل ، أى دليل ، على وجوب تطور الأحكام التشريعية ، لتكون مناسبة لكل زمن ، على أن تكون دائماً في حدود كتاب الله وسنة رسوله ، ومحقة للغرض المقصود منها .

٣ — حكم الطلاق ثلاثاً :

كان الطلاق الثلاث بلفظ واحد يعتبر طلقة واحدة رجعية ، وذلك في عهد الرسول وعهد أبي بكر ، ثم استمر على هذا صدراً من إمارة عمر ؛ ولكن الفاروق راعه جريان الطلاق ثلاثة على السنة كثير من الناس فقال : إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيها عليهم ، فأمضاه عليهم ثلاثاً بعد مشورة منه للصحابة رضي الله عنهم .

وفي هذا يروى عن ابن عباس : أن الرجل كان إذا طلق زوجته ثلاثاً جعلوها واحدة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وصدرأ من إمارة عمر ، فلما رأى عمر

لرسول صلى الله وسلم برجل قد شرب ، فقال : اضربوه قال أبوهريرة : فمنا الضارب بيده ، والضارب بنعله ، والضارب بشوبه ، إلى آخر ما قال (١) :

ثم كان بعد هذا أن ارتفع حد الشرب إلى أربعين جلدة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذلك جرى الأمر أيام خليفته أبي بكر ، ثم زاد في عهد عمر إلى ثمانين جلدة بعد أن كتب إليه خالد بن الوليد بأن الناس قد انهمكوا في الخمر وتحاقروا العقوبة ، كما يروى الإمام البيهقي في سننه الكبرى .

وفي هذا أيضاً يذكر الإمام مالك أن عمر ابن الخطاب استشار في الخمر يشربها الرجل ، فقال على بن أبي طالب : نرى أن نجلبده ثمانين ؛ فإنه إذا شرب سكر ، وإذا سكر هذى ، وإذا هذى افتري ، وحد المفتري ، ثمانون ، أو كما قال : فكان من ذلك أن جلد عمر رضي الله عنه ، في الخمر ثمانين (٢) .

والآن ، لنا أن نقول : إن الغرض من العقوبة هو الردع والزجر ، فتقديرها بحد معين يجب أن يختلف باختلاف الزمن ، ولذلك لم تكن مقدرة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم كما رأينا ، ولهذا جعلها عمر في زمنه بعد استشارة الصحابة ثمانين جلدة .

(١) سنن أبي داود ، ج : ٤ - ٢٢٦ . ٢٢٧

(٢) الموطأ ، ج : ٢ - ٧٨ .

تتابع الناس على هذا الطلاق ثلاثاً ، قال : أجزأهم عليهم (١) .

إن الخليفة عمر لم ير هذا الرأي الذى أمضاه إلا لأنه خاف أن يعود الناس إلى ما كانوا عليه فى الجاهلية من الإكثار من الطلاق لغير سبب يرضاه الله ورسوله ، وبخاصة أن الطلاق أبغض الحلال إلى الله كما يقول الرسول ، فرأى بعد استشارة فقهاء الصحابة أن يجعله ثلاثاً حقاً تقع به البينونة الكبرى زاجراً لمن يصير إليه .

وهو بهذا لم يخالف عن أمر الله ورسوله ، بل كل ما فيه أنه منع من « الرجعة » وهى مباحة شرعاً ، إذا أراد الزوج ، ولولى الأمر المنع من بعض المباحات درءاً لمفسدة تربي على المصلحة فى فعل هذا المباح

٤ — حكم اللقطة وضالة الإبل :

أجاز الرسول صلى الله عليه فى أحاديث صحيحة كثيرة التقاط اللقطة من الذهب أو الفضة أو الغنم ونحوها ، وأمر الملتقط بحفظها لديه حتى إذا جاء صاحبها وعرفها دفعها إليه ، وإلا كان له الانتفاع بها إن كان محتاجاً أو يتصدق بها على محتاج .

ولكنه نهى عن التقاط ضالة الإبل نهياً شديداً ، حتى إنه لما سئل عنها غضب

واحمر وجهه وقال : مالك ولها إدعها ، إن معها حذاءها وسقماءها ، ترد الماء وتأكل الشجر ، حتى يجدها ربها ، (١) .

وجرى الأمر على هذا طوال عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم عهد الشيخين رضى الله عنهما ، فكانت الإبل الضالة تترك حتى يجدها صاحبها ؛ وذلك اتباعاً لأمر الرسول ، ولأنها قادرة على الدفاع عن نفسها ، وعلى السير فى المفاوز ونحوها ، وتستطيع أن ترد الماء وتحترن منه فى بطونها ما يكفيها مدة طويلة .

ولكن اختلف فيها فى زمن عثمان وعلى رضى الله عنهما ، فكان الأول يأذن بالتقاطها ويبيعها إن لم يعرف صاحبها ، فإذا ظهر أعطى ثمنها . وكان الآخر يأذن أيضاً بالتقاطها ، ثم بالإنفاق عليها من بيت المال حتى إذا جاء صاحبها أخذها بأعيانها ، وربما كان هذا خيراً له من ثمنها .

ومهما يكن فقد كان فى إذن كل منهما بالتقاط ضالة الإبل مخالفة عن أمر الرسول ونهيه ، ومعنى هذا تغيير لما حكم به . فلماذا ؟ .

الواقع هو أنه فى عهد الرسول لم يكن أحد يتحدث نفسه بأخذ ما ليس له ، ولكن الحال

(١) راجع مثلاً فى كتب الحديث ، نيل الأوطار للشوكاني ٢ : ٣٣٨ .

(١) سنن أبى داود ، ٢ : ٣٥١ وراجع أيضاً إعلام الموقعين لابن القيم ، ٣ : ٢٥

والثورة الاقتصادية ، والثورة الاجتماعية ،
تعوزهن - كما قال الأستاذ الكبير أحمد حسن
الزيات فى مفتتح العدد الماضى من هذه المجلة ،
ثورة رابعة هى الثورة الدينية ، هذه الثورة
التي يكون ميدانها للتفسير والحديث والفقه .
وهذه الثورة الأخيرة هى التى تمكن للفقه
الإسلامى وأطوره ، وتجمعه يدخل الحياة
من أوسع أبوابها ، وذلك ليعمل على إيجاد
حلول شرعية معقولة ومقبولة لكل مشاكلنا
الاقتصادية ، ومن الله العون والتوفيق ،
وربما كان لهذا الحديث تنمة وتفصيل
فى العدد الآتى إن شاء الله تعالى ؟

الدكتور محمد يوسف موسى

(١) راجع الموطأ للإمام مالك ج ٢ : ١٢٨ -
١٢٩ ، السنن الكبرى للبيهقى ج ٦ : ١٨٥ المتنق
لأبى الوليد الباجى ج ٦ : ١٤٣ - ١٤٤ .

تغير فيما بعد بدخول كثير من غير العرب
فى الإسلام ، ومنهم من لا يتورع عن تملك
ماليس له ، فكان الإذن بالتقاط ضالة الإبل
وحفظها أو حفظ أثمانها هو الطريق الموصل
لأداء الحق لصاحبه ، وهذا هو ما قصده
الرسول نفسه حين نهى عن التقاطها ، فلا
مخالفة إذن عن أمر الرسول ونهيه ، وتغير
الحكم اقتضاه تغير الزمان والناس .

* * *

من هذه الأمثلة ، وغيرها كثير فى كتب
السنة والفقه والتاريخ ، نرى أن الفقه
الإسلامى أخذ فى التطور بعد وفاة الرسول
بسنين معدودة ، فكيف بنا نقف جامدين
إلى هذا القرن الرابع عشر من الهجرة !

حقيقة إن الثورات الثلاث التى ننعهم هذه
الأيام بشراتها ، وهى الثورة السياسية ،

الاجتهاد

إن استطاع العلماء سد باب الاجتهاد المطلق فلن يستطيعوا سد باب الاجتهاد الخاص ،
وإن استطاعوه ، فلن يستطيعوا سد باب الاجتهاد فى المذهب لاختيار رأى يلائم عرفا عاما
أو خاصا ، أو رأى قضت به ضرورة عامة أو خاصة ، أو لاستنباط رأى فى حادثة
لم يكن منصوبا عليها . والحق أن الاجتهاد فى المذهب لم ينقطع فى أى عصر من العصور
الماضية وهو باق إلى الآن ، وفى كل يوم نجد للقضاة والمفتين حوادث لا عهد للكتبة بها ،
فيستنبطون لها أحكاما طبقا للقواعد العامة ؟

من كتاب الاجتهاد فى الإسلام

للإمام محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأسبق

صاحب الألفية :

محمد بن مالك

للأستاذ الدكتور أحمد بدوي

جاء إلى المشرق انتقل من مذهب مالك إلى مذهب الشافعي .

كان الهدف الأول لابن مالك في دراسته أن ينبغ في اللغة والنحو ، وقد وصل في تحقيق هذا الأمل إلى مدى بعيد ، حتى صار مضرب المثل في معرفته بدقائق النحو ، وغوامض الصرف ، وغريب اللغة ، وأشعار العرب ، والتحرى في النقل ، وتحريه لما يرويه .

أخبر الشهاب محمود : أن ابن مالك جلس يوما ، وذكر ما انفرد به صاحب المحكم عن الأزهري في اللغة ، وقال الشهاب : هذا أمر معجز ؛ لأنه يحتاج إلى معرفة جميع ما في الكتابين .

وتعمق ابن مالك في دراسة الحديث ، واستكثر من معرفته ؛ لأنه كان أكثر ما يستشهد بالقرآن ، فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى الحديث ، فإن لم يجد فيه شاهداً عدل إلى أشعار العرب .

وساعد ابن مالك على تفوقه العلمي ما منحه من ذكاء ممتاز ، وصبر على البحث ، وقدرة على العمل ، ومثابرة دائبة ، وما اتصف به ، من أمانة النقل ، وصدق التحرى ، ودوام

كان للألفية ابن مالك في النحو العربي والصرف أثر كبير في دراسة هاتين المادتين ؛ فقد سهل نظمها على الدارسين تذكر قواعدهما ، وكانت مركز نشاط واسع في التأليف ، فكتبت عليها الشروح مختصرة ومطولة ، ووضع على هذه الشروح حواش موجزة ومسببة ؛ وعهد حفظها ضروريا لمن يريد التبحر في دراسة نحو العربية وصرفها .

وصاحب هذه الألفية هو محمد بن عبد الله ابن مالك . ولد في مدينة « جيان » بالاندلس سنة ستائة هجرية (١٢٠٣ — ١٢٠٤ م) ، ويقول بعض المؤرخين : إنه ولد قبل ذلك بعامين ، ويقول بعض آخر : إنه ولد بعد ذلك بعام أو عامين .

ودرس في مسقط رأسه ، على نخبة من علماء بلده - القراءات ، والنحو ، والفقه على مذهب مالك ، ثم رحل إلى المشرق ، فدخل دمشق ، ودرس هذه المواد ، كما درس الحديث على بعض أعلام العصر كالسخاوي وابن الحاجب ، وغيرهما ؛ وانتقل إلى حلب ، وتلقى النحو على ابن يعيش ، شارح المفصل في النحو للزحشرى ، وعلى تليذه ابن عمرو . ولما

وغيرهم ، ولم يأخذ عنه أبو حيان ، مع أنهما تعاصرا زهاء ثلاثين عاما ؛ لأن أبا حيان كان يتعصب على ابن مالك .

ومن المؤكد أن ابن مالك درس لطلبته مؤلفاته في اللغة والنحو ، والقراءات ، ولما كان النظم سهلا عليه رأينا كثيرا من مؤلفاته منظوما ، وكان وقته مباركا فيه فوضع كثيرا من المؤلفات التي تربي على الثلاثين ، نظمها بعضهم في أبيات ، وذيلها السيوطي بما بقي من مؤلفاته ، ومن تلك المؤلفات :

١ - الكافية الشافية ^(١) ، وهي أرجوزة نحوية ، في ثلاثة آلاف بيت ألفها كما قلنا ، في مدينة حلب ، وأولها :

قال ابن مالك محمد ، وقد

نوى إفادة بما فيه اجتهد :

الحمد لله الذي من رقه

توفيق من وفقه لحده

ثم شرحها شرحاً سماه الوافية ^(٢) ، وعلق عليه ببعض الفوائد النحوية وشرحها كذلك ولده : بدر الدين محمد .

٢ - الخلاصة ، أو الألفية ، وهي : أرجوزة في ألف بيت تجمع النحو والصرف اختصر فيها الكتاب السابق . قال بعض المؤرخين : إنه صنفها لولده : تقي الدين محمد

المراجعة ؛ فما كان يكتب شيئا من محفوظه ، حتى يراجعه في موضعه ، وهذا دأب ثقات العلماء . قالوا : وما كان يُرى إلا وهو يصلي أو يتلو أو يصنف ، أو يقرأ .

تصدرا بن مالك للتدريس في مدينة حلب ، بعد أن أتم دراسته اللغوية ، وكان إمام المدرسة السلطانية بها ، فأخذ يلقي بحلب دروسه في النحو ، ويؤلف ، وهناك نظم الكافية الشافية . ثم انتقل إلى حماة ، حيث تصدر بها مدة ، وتابع هناك دروسه في النحو ، ونظم ألفيته المشهورة ، وهي خلاصة الكافية الشافية ثم مضى إلى دمشق ، حيث ألقى بها عصا التسيار ، وتصدر بالجامع الأموي ، وبالمدرسة العادلية الكبرى ، التي عين إماما لها .

وكان أكثر ما يلقيه على تلامذته النحو ، كما كان يدرس القراءات أيضا ، وبما كان يدرسه في النحو ألفية ابن معطي ، ومن درسها عليه أحمد بن عبد الرحيم ابن شعبان . وأقبل الطلبة عليه ، ينهلون من علمه ، وتخرج منهم عدد ضخم ، صاروا أئمة ممتازين ، نذكر منهم ابنه : بدر الدين ، الذي شرح الكثير من كتب أبيه النحوية ، وبدر الدين بن جماعة قاضي القضاة ، وبهاء الدين بن النحاس أستاذ التفسير في المدرسة المنصورية ، وأبا زكريا النووي الفقيه المشهور ، وأبا الحسين اليوناني

(١) مخطوطة بدارالكتب رقم ٢٣٦ و ٢٤٦ نحو .

(٢) مخطوط بدارالكتب رقم ٣٢٦ نحو .

بشرح ابن المصنف^(١) ، خطأ فيه والده في بعض المواضع ، وأورد الشواهد من الآيات القرآنية ، وفورغ من تأليفه في محرم ٦٧٦ هـ قال الصفدي : ولم تشرح الخلاصة بأحسن ولا أسد ، ولا أجزل منه ، على كثرة شروحها .

وقد ظفرت الألفية ، كما قلنا ، بعناية كبرى من العلماء ، فوضعوا عليها الشروح والحواشي ، مما ندر أن يظفر بمثله كتاب ، كما اختصرها عمر بن الوردي في مائة وخمسين بيتا ، ولا تزال إلى اليوم أساس دراسة النحو والصرف .

٣ — كتاب الفوائد ، وهو الذي لخص منه كتابه : تسهيل الفوائد^(٢) ، وتكمل المقاصد .

وكتاب التسهيل يقول عنه صاحب كشف الظنون : هو كتاب جامع لمسائل النحو ، بحيث لا يفوته ذكر مسألة من مسائله وقواعده ؛ ولذلك اعتنى العلماء بشأنه ، وصنفوا له شروحا ، منها شرح المصنف^(٣) وصل فيه إلى باب المصادر ، ثم أكمله ولده بدر الدين .

(١) مخطوط بدار الكتب رقم ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٩٦٥ ، ١٤٤١ نحو .

(٢) بدار الكتب رقم ٧٠١ و ٣ مجاميع شين مخطوط ، و ١٦٠٧ مخطوط ، و ١٠٩١ مطبوع .
(٣) بدار الكتب ، نحو رقم ١٠ شين .

المدعو بالأسد ، ولكن الراجح أن الذي ألفه لهذا الابن هو مقدمة في النحو ، تدعى : المقدمة الأسدية . أما الألفية هذه فقد ألقت في حلب ، برسم القاضى شرف الدين ابن البازي .

ولما كانت الألفية مختصر الكافية ، كان كثير من أبيات هذه بنصه في الألفية . وقد استن ابن مالك سنة جمع قواعد النحو والصرف في ألف بيت ، بعالم نحوى قبله ، هو ابن معطى ؛ الذي اعترف له ابن مالك بفضيلة السبق ، وإن قرر أن ألفيته أفضل من ألفية ابن معطى ، وذلك في مقدمة الألفية إذ يقول ابن مالك :

وأستعين الله في ألفية

مقاصد النحو بها محوية

تقرب الأقصى بلفظ موجز

وتبسط البذل بوعد منجز

وتقتضى رضا بغير سخط

فائقة ألفية ابن معطى

وهو بسبق حائز تفضيلا

مستوجب ثنائى الجميلا

والله يقضى بهبات وافرة

لى وله فى درجات الآخرة

وقام ابن مالك بشرح ألفيته ، كما شرحها ولده بدر الدين محمد ، شرحا منقحا اشتهر

بيتاً ، في أبنية الأفعال ، شرحها ولده بدر الدين أيضاً^(١) . وله منظومة واوية في المقصور والممدود في اثنين وستين ومائة بيت ، ضمنها معظم الكلمات التي تنتهي بألف مقصورة أو ممدودة ، ووضع عليه شرحاً دعاه : تحفة المودود^(٢) . وألف مختصراً في الإبدال ، دعاه الوفاق .

٨ — وجمع له بعض طلبته فتاوى في العربية .

٩ — ووضع كتاباً ، سماه : شواهد التوضيح والتصحيح ، لمشكلات الجامع الصحيح^(٣) . شرح فيه المشكل من إعراب ما ورد في صحيح البخاري من الأحاديث ، وعلق على هذا الكتاب ناظم مؤلفاته بقوله :
ويكفيه ذا بين الخلائق رفعة

وعند النبي المصطفى متوسلاً

١٠ — وله في اللغة منظومات وأراجيز : ككتاب الإعلام في مثلث الكلام^(٤) . وهو أرجوزة في نحو ثلاثة آلاف بيت ، أهداها إلى الناصر حفيد صلاح الدين ، ذكر

وكتاب الفوائد هو الذي مدحه بعضهم بقوله :

إن الإمام جمال الدين فضله
إلهه ، ولنشر العلم أهله
أملى كتاباً به يسمى : الفوائد ، لم
يزل مفيداً لذى لب تأمله
فكل مسألة في النحو يجمعها

إن الفوائد جمع لا نظير له
٤ — كتاب نظم الفوائد ، وهو ضوابط وفوائد منظومة ، ليست على روى واحد . ولعلها في اللغة والنحو ، ولعل منها نظمه في خيل سباق الحلبة :

خيل السباق : المجلى ، يقتفيه مصل
والمسلى ، وتال ، قبل مرتاح .
وعاطف ، وحظى ، والمؤمل
واللطيم ، والفسكل : السكيت بإصاح .
٥ — وألف كتاب عدة اللافظ ، وعمدة الحافظ ، وهو مقدمة في النحو أيضاً ، سار فيها على طريقته الموجزة ، ثم شرحه .

٦ — وشرح مقدمة الجزولى في النحو ، والمفصل للزمخشري ، ونظمه في كتاب دعاه الموصل ، ثم حل هذا النظم في كتاب آخر ، سماه : سبك المنظوم ، وفك المختوم .

٧ — ووضع في الصَّرف : كتاب التعريف وشرحه ونظم لامية الأفعال ، وهي منظومة لامية من بحر البسيط في أربعة عشر

(١) بدار الكتب ، علم الصرف رقم ٣ و ٩ .

(٢) بدار الكتب ، لغة عربية رقم ٣٨٩ و ٣٩٠ شين .

(٣) طبع بالهند سنة ١٣١٩ هـ معجم المطبوعات ج ١
نهر ٢٣٤ .

(٤) بدار الكتب . لغة عربية رقم ٣١٠ و ٣٨٩

و ٣٩٠ ، ١٩ شين ، في ١٥٤ صفحة .

كاد ينازع سيديوه شهرته . وكان هو يؤمن بعبقريته في هذا الفن ، حتى يستصغر الزمخشري فيه ، فكان يقول عن ابن الحاجب : إنه أخذ نحوه من صاحب المفصل وصاحب المفصل نحوى صغير ، وقدم قصته لصاحب دمشق ، يقول له : إنه أعلم الناس بالعربية والحديث . هذا ، ومؤلفات ابن مالك لم توضع للبتدئين في هذا الفن ، ولكن للتوسطين ، يرقون بها إلى درجات النهاية .

ويضم مؤرخو ابن مالك إلى نبوغه في العلم وعبقريته ، وصفه بالدين ، والورع ، والتقوى ، وكثرة العبادة ، وصدق اللمحة . وينسبون إليه شعرا غير نظمه التعليمي ؛ ومن أحسن ما روه له قوله ، وتغلغل فيه روح الفقيه :

إذا رمدت عيني تداويت منكم
بنظرة حسن أو بسمع كلام
فإن لم أجسد ماء تيممت باسمكم

وصليت فرضي ، والديار أُمّى
وكان ابن خلكان يعظمه ، ويضمّر له أكبر الإجلال ، فكان إذا صلى معه في العادلية ، في عهد إمارة ابن مالك بها ، شيعه قاضي القضاة : ابن خلكان إلى بيته ؛ تعظيما له ؛ ولذلك انتقدوا المؤرخ على إغفال ابن مالك من تاريخه ، مع ما يحمله له من هذا التعظيم .

فيها الألفاظ التي لكل منها ثلاثة معان ، باختلاف حركاتها ، ورتب تلك الألفاظ على الأبجدية ، فهي كالمعجم للثلاث . وله منظومة في الضاد والطاء ، وأخرى في الصاد والطاء ، وثالثة في كلمات وردت ذات شكل مختلف وصورة مختلفة ، بدأها بقوله :

تثليث (با) لمصعب مع شكل همزته
بغير قيد ، مع الأصبوع قد نقلا
١١ — ونسب إليه في دائرة المعارف كتاب في العروض .

١٢ — ونظم في القراءات قصيدتين : أحدهما دالية ، يقول فيها :
ولا بد من نظمي قوافي تحتوى
لما قد حوى حرز الأمانى وأزيد
والأخرى لامية أولها :

بذكر إلهى حامداً ومبسلاً
بدأت ، فأولى القول يبدأ أولاً
وآخرها :

وزادت على (حرز الأمانى) إفادة
وقد نقصت في الجرم ثلثاً مكسلاً
و (حرز الأمانى) هو قصيدة الشاطبي في القراءات قال في غاية النهاية : وقد أخذ عنه العربية غير واحد من الأئمة . غير أنى لا أعلم أحداً قرأ عليه القراءات .

صار ابن مالك يضرب المثل بنبوغه في النحو ، قيل عنه في دائرة المعارف : إنه

استطعنا أن نلبس تقدير الراي لعلم ابن مالك
ونبوغه في علم النحو ، وتفرد في زمانه
باحاطته بعلم الإعراب ، وإفادته لطلبته الذين
تصدروا للتعلم والإفادة .

وهذا آخر يرثيه ، ويعدد مآثره ، ويذكر
آثاره التي ألفها ، فيقول :

سقى الله رب العرش قبر ابن مالك

سحاب غفران تغاديه هطلا
فقد ضم شمل النحو من بعده شته

وبين أقوال النجاة ، وفصلا
بألفية تدعى الخلاصة ، قد حوت

خلاصة علم النحو والصرف مكلا
وكافية مشروحة أصبحت تقي

لعمري بالعلبين فيها تسهلا
ومختصر سماه عمدة لافظ

يضم أصول النحو لا غير مجلا
وبين معناه بشرح منقح

أفاد به ما كان لولاه مهلا
ويمضي الراي معددا كتب ابن مالك ،

واصفالها على هذا النحو ، حتى يكمل عدتها
ثمانية وعشرين كتابا ، إذ يقول :

خملتها عشرون تلو ثمانيا

فدونكها نسخا وحفظا تنبلا
ويلحظ بعض مؤرخي ابن مالك أن له كتباً

أخرى لم يذكرها رائيته ، فيذيل الآيات
بأخرى من وزنها وقافيتها ، يكمل بذلك عد

وبعد عمر حافل بالإفادة والاستفادة -
مات بدمشق ليلة الأربعاء الثالث عشر من شعبان
سنة ٦٧٢ هـ . ورثاه بعض العارفين بفضله ،
فمن هؤلاء شرف الدين الحصني ، رثاه بقصيدة
شعر فيها بالمشاركة الوجدانية بين مسائل علم
النحو والصرف وبين ابن مالك ، فوري
في القصيدة باصطلاحاتهما ، واجتهد في أن
يملأها بهذه الاصطلاحات ، إذ يقول :

يا شتات الأسماء والأفعال

بعد موت ابن مالك المفضل
مصدراً كان للعلوم يا ذن الله

من غير شبهة ومحال
عدم النعت والتعطف والتوكيد

مستبدلاً من الإبدال
ويمضي على هذا النسق ، مستخدماً تلك

الاصطلاحات ، حتى يقول :

يا لسان الأعراب ، يا جامع
الإعراب ، يا مفهما لكل مقال

يا فريد الزمان في النظم والنثر ،
وفي نقل مسندات العوالي

كم علوم بثنتها في أناس
علوا ما بثت عند الزوال

وبرغم أن القصيدة متكلفة ضعيفة النسج
قال عنها الصلاح الصفدي : ما رأيت مرثية

في نحوى أحسن من هذه المرثية .
وإذا قطعنا النظر عما فيها من التكلف

- ٩ — المختصر في أخبار البشر ٤ : ٨ .
 ١٠ — دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الأول الجزء الرابع ص ٢٧٢
 والخامس ص ٢٧٣ .
 ١١ — غاية النهاية ٢ : ١٨٠ .
 ١٢ — شذرات الذهب ٥ : ٣٣٩ .
 ١٣ — نفح الطيب ٧ : ٢٥٧ طبعة
 فريد رفاعي .
 ١٤ — كشف الظنون ج ١ نهر ٨٢
 و ١٥١ و ٢٠٢ نهر ١١٦٦ ، ١٢١٩
 و ١٣٠١ و ١٣٦٩ و ١٣٩٦
 ١٧٧٤ ، ١٨٠٠ ، ١٩٦٤ .
 ١٥ — البداية والنهاية ١٣ : ٢٦٧ .
 ١٦ — مفتاح السعادة ص ٣٥ .
 ١٧ — طبقات محمد أمين بن حبيب
 ص ٢٣٦ ب .
- المكتور أحمد أحمد بروي
 وكيل كلية دار العلوم
- مؤلفات للرجل . ويبلغها ثلاثة وثلاثين كتاباً .
 أما تلميذه بهاء الدين بن النحاس فسيرته
 أستاذة بقوله :
 قل لابن مالك : إن جرت بك أدمي
 مرا يحاكها النجيع القاني
 فلقد جرح القلب حين نعت له
 فتدفقت بدمائه أجفاني
 لكن يهون ما أجن من الآسى
 على بنقلته إلى رضوان
 مراجع ابن مالك :
- ١ — كتبه .
 - ٢ — فوات الوفيات ٢ : ٢٢٧ .
 - ٣ — بغية الوعاة ص ٥٣ .
 - ٤ — النجوم الزاهرة ٧ : ٢٤٣ .
 - ٥ — طبقات الشافعية للسبكي ٥ : ٢٨ .
 - ٦ — معجم المطبوعات ج ١ نهر ٢٣٢ .
 - ٧ — السلوك ١ : ٦١٣ .
 - ٨ — الدرر الكامنة : ٣٠١٧٠ : ١٩٥٠ .

لا إكراه في الدين

قال إبنين دينيه في كتابه « أشعة خاصة بنور الإسلام : إن القرآن - دون الكتب المقدسة
 الأخرى - هو الكتاب الوحيد الذي يأمر بالرفق والإحسان في الدين . جاء إلى الرسول
 أحد بني سالم بن عوف واسمه الحسن ، وقال له يا رسول الله . إن لي ولدين مسيحيين يا بيان
 الدخول في دين الله وإني لجبرهما على ذلك . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لا إكراه
 في الدين » .

رَأَيْتُ لَهُ مَا يُبَرِّرُهُ

كُتَابَةُ الْمُصَحِّفِ بِالْإِمْلَاءِ الْحَدِيثِ

لِلْأَسْتَاذِ مُحَمَّدِ رَجَبِ الْبَيْتُومِي

طحون ، وتسكثر النقول والشواهد من تراث حافل مديد ، وتزاحم أسماء الفقهاء تواجها مذهلا ، حتى لتجد الرأي ونقيضه معا لعالم واحد !! والناس من وراء ذلك كله في حيرة مقلقة وأمر مريب .

وكتابة المصحف الشريف بالإملاء الحديث تصلح أن تكون مثالا مجيبا لهذا الاختلاف الحائر في الأمر الواضح ؛ إذ أننا نرى فريقا من الفضلاء يحرصون على الرسم العثماني حرصا شديدا يلتمسون له الأدلة ويتكلفون له البراهين ، فإذا حاولت أن تواجه دليلا بدليل ، أو تدحض حجة بحجة ، لا تجد من معارضيك من يستمع إلى رأيك المنصف ، بل تبصر حشدا هائلا من النقول الفقهية يسدد إلى منطقك كما تسدد القذائف الصاعقة دون إهمال ، فمن قائل يقول : إن الإمام مالهكا رضي الله عنه سئل : هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ، فقال لا ، إلا على الطريقة الأولى !! ومن قائل : إن الإمام أحمد بن حنبل يقول : تحرم مخالفة خط عثمان في ياء أو ألف أو واو أو غيره ،

من نسكد الأقلام أن تتصارع في غير ميدان ، فقد يكون الرأي واضحا تطمئن إليه العقول المنصفية عن يقين ، وتهدى إليه الفطر السليمة عن بديهة ، ثم تجد من يعمد إليه بتوهين مفتعل يعوزه السداد والتؤدة ، فيحسك حوله غبارا نائرا يلتبس به وجه الصواب ، وقد يجد أسماء تصغي إليه فيتمادي في توهينه ونقضه ، حتى يصير البدهي الواضح أمرا معضلا يتطلب الحل ، ويستدعي الجلد والمعاناة .

ولقد حفل تراثنا الفقهي المجيد ، بمسائل كثيرة تختلف فيها المذاهب ، وتتعدد حولها الآراء . فكان هذا الاختلاف العلمي في كثير من أموره باب رحمة تلحق الناس ، ووسيلة توسعة تفسح الطريق ، ولكسبه كان في بعض الأمور أيضا مدعاة شطط وجوح ، ودفع وجذب ، واختلاف الآراء حول المسألة الواضحة يطمس ملامحها الزاهية ، ويفعل بها ما يفعل السحاب الداكن بصحيفة البدر الزاهر ، وإذ ذاك تتطلب من ينهض سريعا لإزاحة ما تلبد من غمام ، فتدور رحى معركة

شرح وحفظه في دروس التربية الدينية ، فإذا تهيأ الطالب للقراءة لاحقه اللحن في كل آية إذ يجرد من اصطلاحات الرسم العثماني ما لا يعهده في جميع ما لديه من كتب الدراسة ، فإذا انبرى المعلم لتصحيح اللحن مرة بعد مرة ، وجد الأفهام الغضة لا تسيع أن تنطق بغير ما ينبت عنه ظاهر الرسم ، فإذا سأل السائلون عن خط المصحف وطريقة كتابته لم يجدوا في الإجابة المنرخة ما يقنعهم بفائدة القراءة في المصحف الكريم ، فإذا أصر المدرس على ذلك غرق في خضم من اللحن المنكر ، والخطأ المرير ، فيضطر مستسلماً إلى كتابة النص القرآني على السبورة بالإملاء المتعارف لدى التلاميذ ، ويسارع هؤلاء فينقلون الآيات في أوراقهم ، كما دونها المدرس ثم يطوون المصحف الوزاري وقد اعتقدوا أن القراءة به مدعاة الخطأ المعيب ! وهكذا يصبح كتاب الله نائياً مجفوا لا ينتفع به غير من حفظوا القرآن على معلى الكتاتيب ، وهؤلاء كانوا منذ زمن قريب كثرة كاثرة في المدن والريف ، أما الآن فقد اكتسحت المدارس المدنية أكثر أبناء الشعب ، تاركة لجماعات تحفيظ القرآن عددا لا يذكر بالقياس إلى ما كان !! حتى أشفق الحريصون على كتاب الله من يوم قريب يحشون فيه عن الحفظ فلا يجدون غير النذر القليل ! .

ومن قائل : إن البيهقي قد صرح بأن على من يكتب المصحف أن يلتزم رسم المصحف الإمام !! وهذه أقوال أئمة من كبار الفضلاء ، ولكنها ليست آيات من القرآن أو أحاديث من كلام الرسول ، ولك أن تلمس نقائصها عند أئمة آخرين ، فقد قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام : لا يجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى ، وباصطلاح الأئمة لثلا يوقع في تغيير من الجهال ، كما ذكر أبو بكر الباقلاني أن الرسم العثماني لا يلزم أن يتبع في كتابة المصحف الشريف ، أما العلامة ابن خلدون فقد أفاض إفاضة مليئة في الدعوة إلى ترك الرسم العثماني عما سبسته لأهميته بعد قليل !! وإنما ذكرت هذه الآراء المتضاربة لكبار الأئمة والمفكرين ، ليعلم القارئ أن أقوال العلماء وحدها لا تحسم الخلاف إلا إذا وجدت ما يساندها من البرهان والتعليل ، فلنمر بها الآن مروراً سريعاً لننقل المسألة إلى مجال هادئ تختفي فيه سيطرة الأسماء اللامعة ، ويقف الدليل أمام الدليل ! .

نحن في عصرنا الحاضر - ولندع غيره من العصور - أمام مشكلة حقيقية يصطدم بها آلاف المدرسين من رجال التربية والتعليم ، إذ أن آلاف المصاحف القرآنية توزع على الطلاب كل عام ، ليقرءوا بها ما تقرر عليهم

الأولى في مطلع هذا القرآن إلى كتابة المصحف الشريف بالرسم العثماني حين هم الحديوي عباس بكتابة نسخة منه بالإملاء الحديث إذ كان يخطأ كثيراً في تلاوته فتزعم حفي بك ناصف فريق المتأثرين لهذا الرأي وقاد حملة أدبية في المؤيد واللواء حتى انتصر رأيه بلباقته وحميته ، ثم عهد إليه مع زميله الأستاذين أحمد الإسكندري ومصطفى عناني بالإشراف على طبع المصحف الحكومي وتصحيحه وفقاً للرسم العثماني فقام ثلاثتهم بمجهودهم المشكور في هذا المضمار الكريم ، أقول إننا نضيف إلى قول اللجنة الموقرة ما يقوله الأستاذ حفي ناصف نقلاً عن مجلة المقتطف من بحث نشر^(١) بعد وفاته رحمه الله :

« ومن هذا يعلم أن المحافظة على رسوم المصاحف العثمانية أمر واجب لمعرفة القراءة المقبولة والمردودة ؛ لأن هذه الرسوم صارت أصلاً من أصول القراءة ، ودعامة من دعائم الإسلام وفي هذه المحافظة احتياط شديد لبقاء القرآن على أصله لفظاً وكتابة ، فلا يفتح فيه باب الاستحسان ؛ لأنه إذا فتح باب الاستحسان في الرسم فقد لا يلبث أن يفتح في اللفظ ؛ ويطرق إليه التغيير والتبديل ، فسدوا هذا الباب بإبقاء كل

نسأل بعد هذا الموقف المحرج عما يدعو إلى تمسكنا الحريص بالرسم العثماني في عصرنا الحاضر فنجد لجنة الفتوى الموقرة بالأزهر الشريف تقول نقلاً عن مجلة الرسالة^(١) وأما طبع المصحف الكريم على قواعد الرسم العثماني العادي المتبع الآن ، فاللجنة ترى لزوم الوقوف عند المأثور من كتابة المصحف وهجائه ؛ وذلك لأن القرآن الكريم كتب وقت نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم وقد مضى عهده (ص) والقرآن على هذه الكتابة لم يحدث فيها تغيير ولا تبديل ، وقد كتبت بها مصاحف عثمان ووزعت على الأمصار لتكون إماماً للسليين ، وأقر أصحاب النبي عمل عثمان رضي الله عنه ، ولم يخالفه أحد فيما فعل ، واستمر المصحف مكتوباً بهذا الرسم في عهد بقية الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والأئمة المجتهدين في عصورهم المختلفة ولم ينقل عن أحد من هؤلاء جميعاً أنه رأى تغيير هجاء المصحف عما رسم به أولاً إلى تلك القواعد التي حدثت في عهد ازدهار التأليف في البصرة والكوفة بل ظل مصطلح القرآن قائماً مستقلاً بنفسه بعيداً عن التأثير بتلك القواعد ، هاك ما قالته اللجنة الموقرة ونضيف إليه ما قاله البحاثة المتمكن الأستاذ حفي ناصف رحمه الله وهو صاحب الدعوة

(١) مجلة المقتطف يوليو سنة ١٩٣٣ م .

(١) مجلة الرسالة العدد ٢١٦ سنة ١٩٣٧ .

أسماء السور كما نرى الآن في طبعات الوزارة التي أشرف عليها الأستاذ المتشدد حفي ناصف ولكنها ألحقت به نقلا عن نسخ متأخرة صدرت بعد العهد العثماني بأجيال فتغير بذلك المصحف الكريم مرة ثالثة عن هيئته يوم كتب في عهد عثمان ، وأنت تعلم أن أرقام الآيات مستحدثة لا تكاد تتجاوز القرن الأخير ومع ذلك فقد ألحقت بالمصحف العثماني فتغير بها مرة خامسة عن هيئته يوم كتب في عهد عثمان ، أما حروف الهجاء نفسها فقد تغيرت شكلا في أكثرها ، فقد حرف في رسمه ، وصغر ثانيا في حجمه ، واستدار ثالث في هيئته . ولديك بدار الكتب المصرية صورة شمسية لصحيفة من مصحف أثرى . جع عهده إلى القرن الأول فلو تأملت بها لرأيت عجبا أي عجب في اختلاف رسوم الحروف !! فإذا كان المصحف العثماني قد طرأ عليه ما أسلفنا من التغيير المتعدد أفلا نستجير الآن تغييراً جديداً في رسمه ؛ فنسكتبه بإملائنا الحديث تفاديا مما يقع فيه الطلاب من خطأ مؤلم ، ولحن شائن كرهه !! على أننا نعلم أن المصحف العثماني قد كتب في عهد أمي . ومن تولى كتابته كزيد بن ثابت وأبي بن كعب وغيرهما كانوا من البدائية الساذجة في رسم الكلمات إلى حد أفصح عنه العلامة ابن خلدون حين تعرض لهذا الموضوع

شيء على أصله ، حتى ما هو مخالف لقانون الرسم المعتاد .
نقرأ النصين السابقين فنعرف أن لجنة الفتوى الجليلة ترى أن المصحف قد استمر مكتوبا من عهد عثمان دون أن يلحقه تغيير وتبدل ، وقد تطورت قواعد الإملاء في عهد ازدهار التأليف بالبصرة والكوفة ، وظل مصطلح القرآن قائما مستقلا بنفسه بعيدا عن التأثير بتلك القواعد فأولى به أن يظل على بعده الآن .

وأنت تعلم أن المصحف الذي كتب في عهد عثمان كان غير منقوط إذ أن أول من وضع نقط الإجماع في العربية نصر بن عاصم الليثي ، مستعينا بأستاذه يحيى بن يعمر العدواني بناء على رغبة الحجاج بن يوسف الثقفي ، فأدخل هذا النقط إلى المصحف الشريف وتغير بذلك عن هيئته يوم وضع في عهد عثمان للمرة الأولى ، ! وأنت تعلم أن المصحف العثماني كان غير مشكول إذ أن أول من وضع الشكل في العربية هو أبو الأسود الدؤلي بأمر من زياد ابن أبيه في عهد معاوية ، وذلك ما كان بعد كتابة المصحف العثماني ، فأدخل هذا الشكل إلى المصحف بعد قليل من اختراعه ، وتغير بذلك للمرة الثانية عن هيئته يوم وضع في عهد عثمان ! وأنت تعلم أن المصحف العثماني لم تذكر به

وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن في ذلك تنزيها للصحابة عن توهم النقص ، في قلة إجادته الخط ، وحسبوا أن الخط كال فنزهوم عن نقصه ، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته ، وطلبوا تعليل ما خالف الإجابة من رسمه وليس ذلك يصحح ، اهـ .

وقد اتضح أن جمهور الأئمة من صدور هذه الأمة قد أذنوا للمصحف الشريف أن يتطور منذ عهد عثمان هذا التطور شكلا ونقطا ورقا وكتابة لأسماء السور ، وتعديلا لأكثر رسوم الحروف ، فإذا نادينا اليوم بتخليصه من الحروف الزائدة ، واتجاهه إلى الإملاء الصحيح ، فنحن نسير خطوة لاحقة لها سوابقها الماضية ، ولا نأني ببسطة مستحدثة ، وحسبنا أن نتقذ آلاف القراء من لحونهم المنكرة واضطرابهم المشين ١١ . وإذا كانت لجنة الفتوى قد سلكت في إجابتها مسلك المستريب المحتاط ، فإنها لم تدع ما ادعاه الأستاذ حفي ناصف من أن هجم المصحف بضبطه العثماني يمنع القراءة بلغة مردودة غير لسان قریش ، إذ أن الاملاء المعاصر لا يجيز للكلمة أن تنطق نطقا آخر غير ما تعارف عليه الناس فكيف نحمله إذا ما لا يطبق ؟ وإذا كنا نعلم أن عثمان الشهيد قد جمع الناس على لسان قریش ، ففقط بذلك السبيل على من يقرءون بلهجات قبلية مختلفة

في مقدمته الرائعة فقال من حديث طويل (١) .

وكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا إلى متوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش ، وبعدهم عن الصنائع ، وانظر ما وقع من أجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الإجابة بخالف الكثير من رسمهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها ثم اقتنى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركا بما رسمه أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم وخير الخلق - من بعده ، المتلقون لوجيه من كتاب الله وكلامه كما يقتنى لهذا العهد خط ولي تبركا ويتبع رسمه صوابا وخطأ ، وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه ؟ فاتبع ذلك ، ونبه العلماء بالرسم على مواضعه ولا تلتفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط .

وإن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل ، بل لكل وجهه ، يقولون في زيادة الألف في لا أدبجنه إنه تنبيه على أن الذبح لم يقع ، وفي مثل زيادة الياء في بأبيد أنه تنبيه على كمال القدرة الربانية ، وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض

ناصر أم أن هجاء المصحف بوضعه الراهن يُعطى قارىء القرآن العشرين مالا تقصده معاني الكتاب العزيز ١٤ على أن العجيب المذهل أن تجد مَنْ يتبرعون بتفسير كل خطأ فجع أفرادهم المكتب الخاصة برسم القرآن يزعمون أن رسم الكلمة لا أذبحه بألف بعد اللام يفيد امتناع الذبح ، وأن زيادة الياء في قوله تعالى بأيد تنبه إلى كمال القدرة ١١ مما وضعه ابن خلدون في مقدمته ، وتعجب منه أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات فكُتب في مجلة الرسالة ^(١) يقول : تعقيباً على فتوى اللجنة د بقى أن لجنة الفتوى لم تذكر الحكمة في الاستمرار على الرسم المضلل في كتابة قوله تعالى : « ولا تقولن (لشيء) لشيء إني فاعلٌ ذلك غدا ، والسماء بنيناها (بأيد) بأيد ، (وبأيكم بأيكم المفتون ١٠ هـ ، وأبدى الأستاذ رأيهِ صريحاً في محاضرة ألقاها بالمجمع اللغوي ونشرها بالرسالة في ٩ يناير من عام ١٩٥٠ قال : « قالوا لا بد أن نكتب القرآن بالرسم الذي كُتب به في زمن عثمان ، فنكتب الصلاة بالواو ونلفظها بالألف ، ونكتب والسماء بنيناها بأيد ، بياءين ونلفظهما ياء واحدة ، ونكتب (لشيء) بألف زائدة بين الشين والياء ونلفظها بدونها . ولو كان هذا الرسم موحى به من الله على

فإن مرور الزمن قد مكن لهذا اللسان القرشي أن يصبح منطق القرآن الوحيد ، وإذا أتيح لكتاب الله أن يطبع بالهجاء المعاصر فلن تصله صلة ما باللهجات المنقرضة ، والألسنة البائدة ، وللقارىء أن ينظر معي إلى هذه الفقرات كما رسمت في مصحف عثمان (١) ولقد جاءك من نبأ المرسلين (٢) أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم (٣) فسقبص ويصرون بأيكم المفتون (٤) سأوريكم آياتي فلا تستعجلون (٥) وما دعاؤ الكافرين إلا في ضلال (٦) اهبطوا مصر (٧) لا تأيسوا من رحمة الله (٨) لكننا هو الله ربى (٩) أقلم يائس الذين كفروا (١٠) رسولاً من الله يتلوا صحفاً مطهرة (١١) لا أذبحه أو ليأتيني بسلطان مبين (١٢) وتظنون بالله الظنونا (١٣) والسماء بنيناها بأيد (١٤) وثموداً فما أبقى (١٥) إنا اعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً (١٦) ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك . للقارىء أن يتأمل هذه الكلمات ذات الهجاء المضطرب - وأمثالها كثير كثير - ثم ليتصور أنها كتبت في المصحف الجديد هكذا على التوالي ، نبأ ، أفان ، بأيكم سأريكم ، دعاء - مصر - تياسوا - لكن - يياس - يتلو - لا أذبحه - الظنون - بأيد - وثمود - سلاسل - لشيء ، ثم ليسأل معي : أهذا الهجاء الحديث الميسر يشير إلى لهجة قبلية بائدة كما توهم حفنى

أكثر مما يفهمه دعاة الرسم العثماني أو أقل !!
ذلك وهم بعيد !!

نحن نعرف أن الغيرة الشديدة على كتاب الله وحدها تدفع حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة وسواهم إلى المعارضة ، كما نعرف أن محاربة الجديد شيء طبيعي يلاحظه دارسو التطورات الاجتماعية والثقافية في كل جيل ، ولكننا نعرف أيضا أن هذا التشدد لن يغني شيئا من الأمر الواقع ، فسيقرأ أحفادنا القادمون كتاب الله بإملائهم المعاصر مستريحين إلى سلامته ويسره ! ولنا أن نأخذ عبرة واضحة من تاريخ الرسم العثماني فقد كان الإمام الأوزاعي يعارض النقط حين أدخل على المصحف حتى قال في شأن كتبه المجتهدين « وددت أن أيديهم قطعت !! » ، كذلك كان الحسن البصري وابن سيرين في بعض ما يروى عنهما يكرهان النقط والشكل في المصحف الشريف ، ومع ما هوؤلا. الأعلام من المسكاة الفقهية ، فقد أجز شكل المصحف ونقطه ، وتداوله الناس بهذين أجيالا بعد أجيال !! فإذا عارض فريق من علماء اليوم كتابة المصحف بالهجاء المعاصر فلن يقف ذلك أمام حاجة ماسة يلبسها المربون من الأساتذة ، ويجأرون إزاءها بالشكوى الصارخة والضجيج الملحاح ، وللايام أن تنضج الرأي الصائب على مهل فيعتنقه الناس مقتنعين !! وإذ ذاك يقرءون قول الله تعالى « ولقد يسرنا القرآن للذكر فيعلون أن الإملاء السهل من أدوات التيسير .

محمد رجب البيومي

رسوله لآمننا به وحرصنا عليه ، ولكنه من عمل قوم كانوا قريب عهد بالخط فوق فيه الخطأ والنقص والإشكال . والغرض من كتابة القرآن أن نقرأه صحيحا لنحفظه صحيحا فكيف نكتبه بالخط لنقرأه بالصواب ، وما الحكمة في أن نقيّد كتاب الله بخط لا يكتب به اليوم أي كتاب ؟ ،

وقد كان الأستاذ سعيد جمعه الشرباصي أحسن تخريجا ممن نقل عنهم ابن خلدون تفسيرهم العجيب لأمثال كتابة قول الله بأبيد بياءين لا ياء واحدة ، إذ ذكر في كتابه (تطور الكتابة العربية) أن بعض هذه الحروف الزائدة من ألف أو واو أو ياء محاولة بدائية لاستعمال الحروف بدل الشكل إتماما للضبط !! وكنا على وشك أن نصدق الأستاذ سعيدا في تعليقه ، ولكننا وجدنا من يتمسكون بهذه الحروف الزائدة وأمثالها في العصر الحاضر يتمسكون أيضا بالشكل فيجمعون بين البدل والأصل معا !! وما أظن ذلك يستقيم في منطق مصيب ، وقد اندفع الأستاذ ناصف اندفاعا خطايا حين زعم أن التغيير في الرسم يفتح المجال للتغيير في اللفظ فتستبدل كلمة بكلمة !! وأنا لا أدري كيف يوحى الإملاء الحديث بنطق جديد ، ونحن نرسم آيات القرآن في مقالاتنا الصحفية وأبحاثنا العلمية بهجائنا المعاصر ، يفهم منها القارى

نهج البردة

للأستاذ على العمّار

أنشد كعب بن زهير أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته المشهورة (بانت سعاد) فلما وصل إلى قوله :

إن الرسول لنور يستضاء به

مهند من سيوف الله مسلول

ألقى عليه النبي برده ، وقد بقيت هذه البردة عند آل زهير حتى اشتراها منهم معاوية ابن أبي سفيان بعشرين ألف درهم ، وأخذ الخلفاء يتوارثونها ، ثم انتقلت من الأمويين إلى العباسيين ، وفي مأثور الشعر العباسي ما يدل على أن الخلفاء كانوا يلبسون هذه البردة الشريفة في المناسبات الدينية العامة ، وقد سمج بعض الشعراء وسخف حين قال يمدح المتوكل العباسي :

ولو أن برد المصطفى إذ لبسته

يظن ، لظن البرد أنك صاحبه

وقال وقد أعطيته ولبسته

نعم ، هذه أعطافه ومناكبه

ومن حين أنشد كعب قصيدته ارتبطت هذه القصيدة ببردة النبي ، ولكن القدماء لم يطلقوا اسم البردة ولا غيره على قصيدة كعب ؛ لأن تسمية القصائد لم تكن من الأمور المتداولة بينهم حينذاك .

فلما جاء القرن السابع الهجري نشأ فيه رجل كان في أول أمره موظفا حكوميا ، عمل في مباشرة الشرقية ، ثم انتهى به الأمر إلى التصوف ، وقد خلف للتاريخ مدائح في النبي ، مشهورة ، ومن هذه المدائح القصيدة المعروفة باسم البردة ، هذا الصوفي هو شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد ، وكان أبوه من بلدة دلاص - على الراجح - وأمه من بلدة بوسير ، وكناتهما من أعمال مديرية بني سويف ، ولكنهما نشأ في بلدة أمه ، لذلك اشتهر بالبوصيري .

وتقترن قصيدة البوصيري بكلمة (البردة) أيضا ، وذلك أنه - فيما روى - أن البوصيري رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فأنشده قصيدته فخلع عليه النبي برده ، والشاعر سمي قصيدته (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) ولكنها عرفت بالبردة ، وقد كتب عليها واحد وعشرون شرحا .

وفي سنة ١٣٢٧ هـ حج خديو مصر عباس الثاني ، فاستقبله شاعر القصر آنذاك أحمد شوقي بقصيدة في مدح الرسول ، سماها (نهج البردة) وقد شرحها شيخ الإسلام الشيخ سليم البشري في كتاب سماه (وضع

(النهج) . والمشهور عند الأدباء أن هذا الشرح من وضع الشيخ عبد العزيز البشري ، وفي ذلك يقول الدكتور زكي مبارك: (وكنا نسمع في مجالس أهل العلم بالأدب أن الشيخ سليم البشري لم يشرح نهج البردة ، وإنما الشرح لابنه الشيخ عبد العزيز البشري) . ثم قال في الهامش : (وهو - يعني الشيخ عبد العزيز - يؤكد أن أباه رحمه الله صاحب الشرح ، ونحن نؤكد من جانبنا أن الشيخ عبد العزيز هو الذي كتب ذلك الشرح)^(١) . والقصيدة معارضة واضحة لبردة البوصيري وقد اعترف بذلك شوقي في كلمته التي قدم بها شرح البردة حيث قال : (رأى الله لهذا العبد الخاضع شاعر بيتك الكريم أن يمشي بنور العلم الفرد المغفور له البوصيري صاحب القصيدة الشهيرة بالبردة في مدح خير الأنام عليه الصلاة والسلام ، وجعلتها يا مولاي لحجتك المبرورة تذكراها) . وأما قول شوقي :

المادحون وأرباب الهوى تبع
لصاحب البردة الفيحاء ذى القدم
مدحجه فيك حب خالص وهوى
وصادق الحب يملئ صادق الكلم
الله يشهد أني لا أعارضه
من ذا يعارض صوب العارض العرم

(١) كتاب للوازنة بين الشعراء ص ٨٣ ، ٨٤ .

ولنأنا أنا بعض الغابطين ومن
يغبط وليك لا يذمم ولا يلم
فإنما يريد أنه ليس أهلاً لمعارضة البوصيري ، وإن كانت قصيدته على الوزن والقافية ، لأن البوصيري أجل وأسمى من أن يعارضه شاعر آخر .

وقد عارض شوقي جماعة من الشعراء المتقدمين ، عارض البحري بسينيته ، وأشار إلى هذه المعارضة بهذا البيت .

وعظ البحري إيوان كسرى
وشفتني القصور من عبد شمس
وعارض نونية ابن زيدون بقصيدته التي مطلعها .

يا نائح الطلح أشباه عوادينا
نشجى لواديك أم تأسى لوادينا
وعارض قصيدة الحصري (يا ليل الصب)
بقصيدته (مضناك جفاه مرقده) .

والمعارضة اتباع ، وهي محاكاة في كثير من سمات الشعر . محاكاة في الغرض ، ومحاكاة في بعض المعاني ، ومحاكاة في الوزن والقافية . ولا يزال النقاد يتحدثون عن تقليد شوقي وتجديده ، ومن رأى الدكتور طه حسين ، أن شوقي بدأ مجدداً وانتهى مقلداً ، ويرى آخرون أنه كان مقلداً أيام أن كان في الأندلس يعارض الرائع من قصائد المتقدمين ، ثم صار مجدداً بعد أن عاد من النفي ، وشارك

يعارض المتقدمين لا يقع دونهم ، بل ربما بزهم ، حقيقة لم يبلغ في نهج البردة مبلغ البوصيرى ، ولسكنه في السينية - مثلاً - فاق البحرى ، وفى النونية بز ابن زيدون ، بما ضمنها من فنون القول ، وبما أشاع فيها من موسيقى عذبة ، وأخيلة رائعة .

ولعل تحلفه عن البوصيرى يرجع إلى سببين أساسيين أولهما : أن البوصيرى نظم بعاطفة دينية قوية تتجلى في كل أبيات قصيدته .

وثانيهما : أن شوقى حاول أن يساير البوصيرى في كل خطواته في القصيدة ، وأن يأخذ كثيراً من معانيه وهذا أفقده فضيلة الاستقلال .

والنقاد يختلفون في تفضيل أى الشاعرين في المعاني التى اشتركا فيها ، فمثلاً الأمير شكيب أرسلان يفضل قول شوقى :

يا أحمد الخير لى جاه بتسميتى
وكيف لا يتسأى بالرسول سمي
على قول البوصيرى :

فإن لى ذمة منه بتسميتى
محمداً ، وهو أوفى الخلق بالذم
وعندى أن بيت البوصيرى أقوى معنى ، وأجمل أسلوباً ، فإن البوصيرى جعل له بتسميته محمداً ذمة عند رسول الله ، والرسول أوفى الخلق بالذم ، فالبوصيرى بما من بسبب هذه التسمية ، وتركيبه ذو ألفاظ حزلة محكمة

الشعب في ثورته السياسية ، وتحدث فريق ثالث عن معارضة شوقى بخاصة ، فيرى هذا الفريق أن معارضات شوقى لم تمنح شخصيته ، فبالرغم من تأثره فى ألفاظه وأساليبه ومعانيه بكبار الشعراء (إلا أن شخصيته القوية ظلت مهيمنة على شعره فليس فيه روحه وعصره وثقافته الواسعة وخياله المرنج وموسيقاه العذبة (١) .

وللدكتور أحمد زكى أنى شادى كلمة عن المعارضة وردت في الجزء الثانى من مجلته (أدبى) أحب أن أنقلها هنا لما لها من صلة بموضوعنا هذا قال : (ليس تعمد معارضة الشعر من الفن الصحيح فى شيء ، بل هو محض صناعة ، والشعر قبل كل شيء عاطفة فكرية عميقة الجذور ، لا بهرج سطحي زائف وقد نقرأ عن بعض الشعراء الممتازين أنه حاول محاكاة شاعر آخر بقصيدة معينة ، ولكن الحقيقة أنه تأثر بموسيقاه أو بموضوع القصيدة فأثار ذلك نفسه الشاعرة ، مثال ذلك معارضات البارودى للشعراء المتقدمين ، ومعارضة كيتس لسبنسر ، وقد كانت تلك المعارضة أول تجربة شعرية لكيتس فإن تلك المعارضات نتيجة الإعجاب بالآثار السابقة ، وأثر وحيا فى النفس) .

على أنه لا يفوتنى أن أقول : إن شوقى حين

ورابعا : هذا التكرار (لم تعذل ولم تلم) والفرق غير واضح بين العذل واللوم ، ولم يدع إلى هذا التكرار إلا الوزن والقافية (١) .
وما يلفت النظر في نهج البردة أنها بدئت بالغزل كما بدئت البردة ، وكما كانت تبدأ قصائد آخر ، وقد أشرت إلى هذه في كلمتي السابقة ، واعتذرت عن شوقي وعن الشعراء - بعامة - في ابتداء قصائدهم بالغزل ، ولكن بقي هنا كلام .

ذلك أن الغزل الذي نسوخ الابتداء به ينبغي أن يكون غزلا طبيعيا لا صناعيا ، فأنا ألوم شوقي من هذه الجهة ، لا من جهة أنه ابتداء بالغزل .

فالتقليد واضح في أول بيت في القصيدة (ريم على القاع) فأين من يذكر من الغزليين الآن كلمة الريم ، أو معناه ؟ إن تشبيه المرأة بالظبية قد مضى عهده ، أما البان والعلم ، فهما كذلك لفظان لا وجود لهما في قاموس الشعر المصري الحديث ولا في عواطف شعرائنا و (الأشهر الحرم) كذلك بقية من خيال الأعراب - كما يقول زكي مبارك .

والجؤذر والأسد ، وساكن القاع ، وساكن الأجم ، كلها كلمات قديمة لا تثير عند

أما شوقي فقد اكتفى بالجاء ، والتعالى على الناس باشتراكه مع الرسول في الاسم ، ثم (تسميتي ويتسامى وسمي) وقصد الطباق مما يضعف النسيج .

والدكتور زكي مبارك يفضل قول شوقي :
بالأئمة في هواه - والهوى قدر -

لو شفقك الوجد لم تعذل ولم تلم
على قول البوصيري :

بالأئمة في الهوى العذرى معذرة

منى إليك ، ولو أنصفت لم تلم
وقد أعجب الناقد بقول شوقي (والهوى قدر) ويبدو أن الموسيقى - وهي قوية في الشطر - صرفت الناقد عن حقيقة المعنى ، وعندى أن قول البوصيري أدق ، وبيته أصنى ، ومعناه يكاد يكون له ، فالبوصيري وصف هواه بأنه عذرى ، ومع ذلك اعتذر إلى لائمه ، ثم قال : إن مجرد الإنصاف يكفي في ترك الملام ، فجعل مثل هذا الهوى أمراً سائغاً عند المنصفين ، ولو لم يعشقوا . أما شوقي فقد ألقى - أولا - التبعة على القدر ، ولاندرى لماذا كان الهوى وحده من أعمال القدر ، وثانيا جعل الذي يترك لوم العاشق إنما هو الذي شفه الوجد ، وهذا بطبيعة الحال يعذر بل كل من يرتكب جرماً ويبالغ فيه يعذر الآخرين ، وثالثا : المعنى مسروق وواضح السرقة (وإنما يعذر العشاق من عشقا)

(١) من الضروري أن أقول هنا : إن الدكتور زكي مبارك فصل القول في القصيدة في كتاب الموازنة وكل ما أكتبه هنا إنما نرد به على ما كتبه ذلك الأديب .

هذه المدحة أنه يجيد حين يتحدث عن الدنيا وعن الأخلاق ، وعن أحوال المسلمين ، فأنا - مع بعض النقاد - من المعجبين بهذه الآيات :

يا نفس دنياك تخفى كل مبكية
وإن بدا لك منها حسن مبتم
لا تحفلى بجناها أو جنايتها
الموت بالزهر مثل الموت بالفحم (١)
كم ضللتك ومن تحجب بصيرته
إن يلق صابا يرد أو علقها بسم
وكذلك تعجبنى هذه الآيات :

يارب هبت شعوب من منيتها
واستيقظت أمم من رقدة العدم
سعد ونحس وملك أنت مالكة
تديل من نعم فيه ومن نعم
رأى قضاؤك فينا رأى حكمته
أكرم بوجهك من قاض ومنتم
فالطف لأجل رسول العالمين بنا
ولا تزد قومه خسفا ولا تسم
يارب أحسنت بدم المسلمين به
فتم الفضل وامنح حسن محتتم

المحدثين عاطفة ولا تحرك لهم شعوراً ، ولست مع الدكتور زكي مبارك في استطرافه هذا البيت :

رمى القضاء بعينى جوذر أسداً
ياساكن القاع أدرك ساكن الأجم
فإن بناءه ومعناه بعيد عن مشاعرنا ، وسواء قال شوقي رعى الجوذور الأسد ، أو رعى القضاء بعينى جوذر أسداً ، فإن رأى لن يتغير ؛ لأن الجوذور والأسد غابا عن حديث الحب والصبابة ، والتشبيه بهما أو استعارتهما أصبح من الأمور المتأكلة .

وليس حديث السهم والبان والقنا وال آرام ، ومضرب الخيم ، والغصن والصمصامة الذكر بأفضل من حديث الجوذور والأسد ، فكلها من وإد واحد ، ولاداعي لإيرادها إلا الخطب فى حبال المتقدمين . والتشبيه فى قوله (من الموائس باناً) و (السفارات كأمثال البدور) من التشبيهات القديمة المبتدلة .

وخلاصة رأى عندى : أن ابتداء القصائد بالغزل أمر لاغبار عليه ، ولكن المعيب أن يكون الغزل بعيداً عن أجوائنا ، وأن يكون غزلاً متكلفاً لا صدق فيه

وشوقى - فى هذه القصيدة - مغرم بالمحسنات البدعية ، وقد أكثر - بخاصة - من الطباق ، مما غض من قيمة المعانى فى بعض الأحيان . والذى ألاحظه بعامة على مدائح شوقي ، ومنها

(١) يريد أن كليهما قد ينشأ عنه الاختناق ، وهذا معنى علمى يحتاج إلى معرفة أن الزهر يمتص الأوكسجين من الهواء كما يمتص الفحم . ولكنه جيسل .

فهذا الشطر الأخير أسير ؛ لهولته ،
وصفائه من قول شوقي (نموا إليه فزادوا
في الورى شرفا) .

ثم تطرق الشاعر إلى ذكر بحرى الراهب ،
وحراء ، وذهاب النبى إليه ، وأنسه بالعزلة
فيه ، يسامر الوحى قبل مهبطه ، وأشار
إلى ما يعرف فى حياة الرسول بالخوارق
الكونية من فيض الماء من بين يديه
الشريفتين وتظليل الغمامة له ، ثم ذكر بدء
الدعوة ، وحيرة قريش حينذاك ، وجهلهم
على الرسول ودعوته ، واستطرد إلى ذكر
معجزة الرسول الخالدة وهى القرآن الذى
لا تزال آياته جددا ، مع انصرام آيات
الأنبياء السابقين ، وإلى حديث رسول الله ،
وأنه صلى الله عليه وسلم أفصح الناطقين
بالضاد ، وقد جاء فى هذا المعرض هذا البيت :

حليت من عطل جيد البيان به

فى كل منتشر منه ومنظم
وعندى أن هذا البيت غير دقيق ، فما
يرفع من قدر حديث الرسول أنه جاء لقوم
لا يحسنون البيان ، وهو كذلك يتجافى مع
الواقع ، فإن العرب عند بعثة الرسول لم يكن
بيانهم عاطلا ، والفخر للنبي أنه جاء لقوم
فصحاء أئنياء ، يعدون فرسان الكلام ،
فبزم فصاحة وبيانا .

ولم يفته أن يذكر بشائر المولد ، وأن

(البقية على صفحة ٦٠٠)

والقصيدة تبتدى - كما هو معروف -
بالنسيب ، فيشغل منها أربعة وعشرين بيتا ،
ثم تنتقل فى رفق إلى الحديث عن الدنيا
ووصفها والتحذير منها ، وعن النفس
ورغبتها فى اللذات ، وتنخلص تخلصا جميلا
رائعا إلى الغرض منها :

والنفس من خيرها فى خير عافية

والنفس من شرها فى مرتع وخم
تطغى إذا مكنت من لذة وهوى

طغى الجياد إذا عضت على الشكم
إن جل ذنبى عن الغفران لى أمل

فى الله يجعلنى فى خير معتصم
ألقي رجائى إذا عز المجير على

مفرج الكرب فى الدارين والغم
ويمضى الشاعر يمدح رسول الله صلى الله
عليه وسلم بأنه صفوة البارى ورحمته ، وأنه
صاحب الحوض يوم القيامة ، ويذكر شرف
نسبه ، وكرم محتده ، وأن آباءه شرفوا به :
نموا إليه فزادوا فى الورى شرفا

ورب أصل لفرع فى الفخار نمدى
وأصله الذى أخذ منه أقوى وأوضح ،
وهو قول ابن الرومى :

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم
كلا لعمرى ولكن منه شيبان

وكم أب قد علا بابن ذرا شرف

كما علت برسول الله عدنان

الإسلام في الكونغو

لأستاذ عطيّة صفر

كانت هذه المنطقة الاستوائية معروفة للعرب والمسلمين قبل أن يعرفها الغرب بعدة قرون ، وقد قرر ذلك « ستانلي » في خطابه الذي ألقاه في حفل التكريم ، الذي أقامه له المصريون مساء الاثنين ٢٠ من يناير ١٨٩٠ ، وذلك عندما تحدث عن وادي « سميلك » قرب بحيرة البرت ، فقال مانصه : - واتضح لي لدى مراجعتي ما كتب عن تلك البلاد أن جغرافيا عربيا اسمه شياد الدين (كذا) ، وعصره القرن الرابع عشر لليلاد ، وصف هذا النهر وصفا بديعا ، ودقق فيه بما لم يبعد عن الحقيقة ... إلى أن قال : والغريب أننا نكشف الآن ما كان معلوما عند الخلفاء والبطالسة والفراعنة قبلهم ، وحفظ في آثارهم التي توارثها الخلف عن السلف ، حتى اتصلت بجغرافي العرب في زمانهم ، ثم عفت آثارها وطمست أخبارها ، حتى عدنا فكشفناها في زماننا (١) .

ومهما يكن من شيء فإن الإسلام دخل منطقة الكونغو من عدة منافذ من الأقطار التي تحيط بها ، جاء من السودان وأوغندا (١) ص ٤٦٦ من مجموعة الطوائف لسنها الرابعة سنة ١٨٩٠ .

في المنطقة الاستوائية من القارة الإفريقية ، وفي حوض نهر الكونغو ، ثالث أنهار إفريقيا ، تعيش عدة قبائل متناثرة أهمها مجموعة قبائل الهانتو Bantu الذين يحترفون الرعي والصيد ويعملون في مناجم التماس والماس والذهب واليورانيوم التي يزخر بها إقليم « كانتنجا » في الجنوب .

وقد ظلت هذه المنطقة مجهولة زمنا طويلا ، لم يعرفها الغربيون إلا في القرن التاسع عشر ، عندما نشطت الرحلات الاستكشافية والتبشيرية ، التي انتهت بتنافس الدول على استعمارها .

وأكبر رجل يرجع إليه الفضل في كشف هذه المنطقة حديثا هو « هنري ستانلي » (١٨٤١ - ١٩٠٤) الذي نبه الدول إليها ، ومكن للبلجيكيين منها . وقد عمل المستعمرون على طمس معالم التاريخ القديم لهذه البلاد ، كما هي عادتهم في كل بلد يستولون عليه ، وذلك ليصنعوا هم تاريخها وينسبون الفضل في تقدمها إليهم ، ولولا شذرات ترد عرضا في تقارير الرحالة والمكتشفين ومذكراتهم لظل أمر هذه المناطق مجهولا لمن يريد أن يكتب التاريخ .

لرجل عربي نزحت قبيلته من جزيرة العرب واستوطنت شرقي إفريقيا ، وهو « حامد بن محمود » الملقب بـ « تيبوتيب » . ولد هذا المجاهد من جزيرة « زنجبار » ، حوالي ١٨٣٣ ، واحترف التجارة كأبيه وغامر بالتوغل داخل القارة ، واجتاز بقافلته حدود تنجانيقا ووصل نهر السكونغو ، وجعل ينشئ على ضفافه مراكز ومخازن للتجارة ، أهمها :

ريبا ريبا ، نيانغو ، كازونغو . وأنشأ مزارع منظمة رقب لها العمال ، وحكم هذه المنطقة ما يقرب من خمسة وعشرين عاما .

وإلى هذا المجاهد الكبير يرجع الفضل في تمكين الرحالة المكتشفين من أداء مهمتهم ، فساعد « لفنجستون » سنة ١٨٦٧ ، ورافق الرحالة « كاميرون » سنة ١٨٧٤ إلى ما وراء نهر السكونغو ، وكانت له اليد الطولى في تمكين « ستانلي » من كشفه العديدة وعثوره على لفنجستون المفقود ، وإن كان هو لم يعترف بهذا الفضل ، ووصف « تيبو » بأقبح الصفات في حفل التكريم المذكور .

وفد خشي المستعمرون من قوة هذا البطل ، وأوجسوا خيفة أن تقوم في قلب القارة دولة إسلامية تقف دون أطماعهم ، فوقفوا ضده وحاربوه في عدة معارك ، لم يستطع أن يصمد فيها بجيشه الصغير الأعزل ، أمام جيوش العدو المسلحة ، وظل أصحابه في مقاومة باسلة

وتجانيةقا ومن الدول التي تقع إلى الشمال الغربي من حوض النهر وكان دخوله سلبيا هادئا على يد تجار العرب الذين توغلوا في هذه البلاد ، وكان لبسطة العقيدة الإسلامية ، وسهولة تكاليفها ، ونظرتها الواقعية للحياة ، وتجاولها مع مقتضيات الزمن ، وأهليتها لأن تملأ الفراغ النفسى عند الزنجى الذى يطلب إليه أن يتخلى عن الوثنية ، واكتساب صاحبها معنى أدبيا لم ينله فى ظل الديانات الأخرى وهو المساواة واحترام الحقوق - كان لذلك كله أكبر الأثر فى عدم توجس الزنجى خيفة من هذا الدين الجديد .

ولم يظهر أمر الإسلام واضحا فى هذه المنطقة إلا فى القرن التاسع عشر ، عند ما قامت الحركات التحررية التى قاومت العدو المستعمر ، والتى بدأها هم ثلاثة من عظماء الرجال « الزبير باشا » فى حوض النيل الأعلى من ١٨٥٦ - ١٨٧٥ ، و « رابح بن فضل » فى حوض تشاد من ١٨٧٧ - ١٩٠٠ ، و « الحاج عمر تال » الذى كون جيشا من مسالى « غابون » من بلاد السكونغو « إفريقيا الاستوائية الفرنسية الآن » وظل يحارب الوثنيين وينشر دعوة الإسلام حتى توفى سنة ١٨٦٥ .

وكان الفضل الأكبر فى إنشاء مراكز إسلامية فى السكونغو ، وفى تأسيس دولة فيها

عربي مولود في الكونغو أن عددهم ٣٣ ألفاً^(١) كما يقدر عددهم بعض الصحفيين الذين زاروا البلاد أخيراً بنصف مليون .

أكثر هؤلاء المسلمين وافدون من شرقي إفريقيا ومن سلالة المجاهدين الأولين ، كما وفد إلى الكونغو جماعات من السنغال ومن السودان ومن الهند وفارس . وامتزج هؤلاء الوافدون بالوطنيين وأصبحوا لا يكادون يفترون عنهم . والمركز الرئيسي للمسلمين هو « كازونغو » ، ويوجد منهم عدد كبير في « ستانلي فيل » ، « بودوان فيل » . وبالرغم من سيطرة العادات التي تفرضها طبيعة البلاد وعقائدها ، ومن حرص الاستعمار على بقاء الأوضاع الفاسدة ، التي يرى أنها تفيده في السيطرة والسلطان ، كالخرافات المنتشرة ، والإفراط في تناول المسكرات ، وشيوع الدعارة بشكل غريب لا يكاد ينجو منه إلا النادر القليل من النساء ، وتعدد الزوجات الذي لم تؤثر فيه المسيحية شيئاً ؛ إذ أن بعض المنتصرين لا يستطيعون التخلص من هذه العادات لأنها مقياس غنى الرجل ، إذ أنه يشتري الزوجة من أهلها فإذا أعجبه ضمها إلى نسائه ، وإن لم تعجبه ردها إلى أهلها واسترد الثمن ، أو باعها لرجل آخر . بالرغم من كل ذلك فإن المسلمين متمسكون بدينهم إلى

طوال ستة أعوام انتهت بسقوط آخر معقل إسلامي وهو « كازونغو » ، وتوفي البطل في أوائل القرن الحالي .

والكونغو الذي كان تحت حكم بلجيكا واستقل أخيراً ، والذي يعاني اليوم أزمات خطيرة ، يبلغ عدد سكانه نحو ثلاثة عشر مليوناً ، ينتشرون في مساحة تبلغ ٩٠٠ ألف كيلومتر مربع ، وهي تقرب من مساحة الهند ، من هؤلاء السكان أكثر من ١٠٠ ألف أوروبي ، ٨٠٪ منهم بلجيكيون . ويوجد هناك نحو ١٠ آلاف من المغتربين العرب الذين هاجروا من سوريا ولبنان خلال النصف الأول من القرن الحالي . وهم يشتغلون بالتجارة وفيهم أطباء ومحامون ومهندسون .

والدين الغالب في هذه البلاد هو الوثنية المسماة Fetichisme يدين بها حوالي عشرة ملايين ، وقد استطاعت الإرساليات التبشيرية أن تدخل في المسيحية ما يقرب من ثلاثة ملايين ، وذلك بعد بذل الجهود الجبارة ، التي تعرف مقدارها إذا علمت أن من بين كل ٧٠ ألف أوروبي يوجد ١٠ آلاف مبشر . وليست هناك إحصاءات رسمية دقيقة عن عدد المسلمين هناك ، وتقدر وكالات الأنباء التبشيرية عددهم بنحو ١٣٠ ألفاً^(٢) . ويذكر

(١) مجلة العرب بكراتشي عدد ربيع الأول

والثاني ١٩٧٩-٨١

(٢) نشرة Fedes في ١٧ / ١٢ / ١٩٥٥ ،

١٣ / ٧ / ١٩٥٧ .

من السنتال ، لم تنضج ثقافتهم ، ويعيشون على الصدقات التي ترد إليهم من الميردين ، وهؤلاء جميعا يتلقون التوجيهات من المراكز الإسلامية الموجودة في الأقطار المجاورة ، وأهمها «كيبالا» في أوغندا ، و«يوجي» في تنجانيقا . وهي كلها تنقصها الثقافة الصحيحة السليمة اللازمة لمن يتصدى للدعوة الإسلامية

وإذا عرفنا أن التعليم في هذه المنطقة متأخر جدا ، لدرجة أنه يقتصر على المرحلة الابتدائية ، ولم يسمح إلا بإنشاء ثلاث مدارس ثانوية وهي ملحقه بمصانع الحكومة أو الشركات ، وقد فتحت جامعة كاثوليسكية سنة ١٩٥٤ قوامها ٢٨ طالبا عدد أساتذتهم أكبر منهم ، والمبشرون هم الذين يسيطرون على التعليم بكافة أنواعه — إذا عرفنا ذلك أدركنا سوء الحالة العلمية عند المسلمين ، وأدركنا شدة حاجتهم إلى من يخلصهم من سلطان القاديانية ، وجعل الدعاة المرتزة ، ويزودهم بالمعارف العامة التي حالت بينها وبينهم سياسة المستعمرين وعصية المبشرين . وأعتقد أن استيفاء عدد من طلاب الكونغو وتزويدهم بالثقافة الدينية الكافية وإعادتهم إلى وطنهم يرشدون المسلمين بالأسلوب الذي يجدونه مفيدا ، ورعايتهم من الناحية المادية ، أجدي وأنفع من إرسال

حد بعيد ، يؤدون واجبه ويحاولون أعمالهم في أمن وسلام . والمرأة المسلمة هناك تلبس الملابس الطويلة الساترة ، وتقوم بقسط كبير في خدمة زوجها وتشاركه أعباء حياته ، كما هي العادة المتبعة في البلاد ، إذ أن المرأة تقوم بمهمة الرعى والصيد والزراعة وجلب القوت وإعداد له لزوجها ، وليس من اللائق أن يساعد الزوج في شيء من هذه الأعمال .

وأكثر المسلمين يتكلمون اللغة السواحلية السائدة في شرقي إفريقيا ، وإن كان في البلاد أربع لغات رئيسية تنفرع إلى ٣٨ لهجة محلية إلى جانب اللغة الفرنسية وهي اللغة الرسمية . وهم يقرءون القرآن باللغة العربية ، ولكن نطقهم غير سليم ، ولا يفهمون ما يقرءون . وهم في حاجة ماسة إلى من يرشدهم إلى الدين الصحيح ؛ ذلك لأن أكثرهم ينتمي إلى جماعة القاديانية القادمين من الهند ، وهؤلاء لهم عقيدتهم الخاصة التي تنافي الإسلام الصحيح ، ويعرفون هناك باسم موليدي Mulide ، وقد أمكنهم بثقافتهم وراثتهم أن يسيطروا على الناس ، وهم يحاولون إنشاء المدارس والجمعيات لنشر مذهبهم ، ولهم في «كيجوما» بتنجانيقا مدرسة من الطبقة الثانية كما يقول المبشرون ^(١) . وهناك جماعة فرضوا أنفسهم على العامة في الإمامة والإرشاد ، أكثرهم

دوامة عاتية من الفتن الدينية والسياسية ، وأن تتعاون الدول المتحضرة في إفريقيا على الأخذ بيد هذا الشعب المسكين ، وذلك لنثبت جذارتنا بالحياة ، ولنحبط قول الكاتب البريطاني ن . دافيدسون : ليس الشيء العجيب في إفريقيا أن سكانها متأخرون ، ولكن العجيب هو أنهم ما يزالون على قيد الحياة .

عطية صقر

من علماء الأزهر

مبعوثين يجب أن يلبوا باللغة الفرنسية إلماما وافيا ، وأن توفر لهم الإمكانيات المادية والأدبية ليستطيعوا أن يجدوا لهم مكانا بين المبشرين الذين ينفقون عن سعة ويتمتعون بامتيازات ، حبلت إليهم الإقامة في هذا المغرب ، الذي لا يجدون فيه وحشة ولا تبرما .

والواجب يحتم علينا أن نعمل شيئا لإخواننا المسلمين ، الذين يعيشون هناك في

(بقية المنشور على صفحة ٥٩٥)

ويستهين بكسرى وفرعون ، لأن مظهر الملك في نهضة العدل لا في نهضة الهرم ، ويفضل بغداد على روما ، وخلفاء العباسيين على قياصرة الرومان ويستطرد إلى ما أثر هؤلاء الخلفاء .

خلائف إن جلوا عن موازنة

فلا تقيس أملاك الورد بهم

ويذكر الخلفاء الراشدين ، وحسن بلائهم في الإسلام ، ثم يصلي على النبي وآله . وأخيرا يطلب من الله اللطف بالمسلمين ، وأن يتم الفضل عليهم بحسن الختام ؟

على العمري

يصف حال العرب عند بعثته صلى الله عليه وسلم ، وحال غيرهم من الأمم ، الذين يفتك أقوام بأضعفهم ، كما تحدث عن الإسراء والمعراج . وعن الهجرة ، ثم عاد يفضل الرسول على البدر حسنا وشرفا ، وعلى الجبال والأنجم والليث ، ثم يشبه وجهه تحت النقع بيد الدجى ، ويذكر يتمه صلى الله عليه وسلم ، وزهده في الدنيا وجوده ، وأثر شريعته في الناس ، ويعمل حروب الرسول في أبيات قوية صافية ، ويستطرد إلى مقام النبي في الحروب ، ومقام أصحابه ، وبعد ذلك يتحدث عن الإسلام وأن جوهره التوحيد ، وأن العلم والعدل أساسان من أسسه

هَدَنَةُ الْبَقِطِ

لِلْأَمِيرِ عَبْدِ الْمَنَعِمِ مُحَمَّدِ الشَّيْخِ

ولا ننصب لكم حرباً ولا نغزوكم ما أقمت
على الشرائط التي بيننا وبينكم ، على أن تدخلوا
بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه ، وندخل بلدكم
مجتازين غير مقيمين فيه ، وعليكم حفظ
من نزل بلدكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد ،
حتى يخرج عنكم . وأن عليكم رد كل آبق
خرج إليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه
إلى أرض الإسلام ، ولا تستولوا عليه ،
ولا تمنعوا منه . ولا تتعرضوا لمسلم قصده
وجاوزه حتى ينصرف عنه . وعليكم حفظ
المسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ،
ولا تمنعوا منه مصلياً ، وعليكم كفسه
وإسراجه وتكرمه ، وعليكم في كل سنة
ثلاثمائة وستون رأساً ، تدفعونها إلى إمام
المسلمين ، من أواسط رقيق (١) بلادكم ،

لما مات الخليفة « عمر بن الخطاب » ،
دأب أهل النوبة على مهاجمة بلاد الصعيد
ونهب تصل إليه أيديهم ، فسار إليهم
« عبد الله بن سعد بن أبي سرح » ، على رأس
جيش هاجم به عاصمة مملكتهم « دنقلة العجوز »
وضربها بالمنجنيق وكان ذلك في عام ٣١ هـ
(٦٥٢ م) في عهد خلافة « عثمان بن عفان » .
ولما رأى ملك النوبة « قليدورون Kalidürün »
أن لا قبل له بجيش المسلمين طلب الهدنة ،
فأجابه « ابن أبي سرح » ، إليها وعقد معه
في رمضان من سنة ٣١ هـ (٦٥٢ م) هدنة
عرفت في التاريخ الإسلامي باسم « البقطة » .
والصيغة التي تواترت في المراجع لهذه
الهدنة هي :

« عهد من الأمير عبد الله بن سعد ابن
أبي سرح ، لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته .
عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة
من حد أرض أسوان إلى أرض علوة .
أن عبد الله بن سعد جعل لهم أماناً وهدنة
جارية بينهم وبين المسلمين من جاورهم من أهل
صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة .
أنكم يا معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان
رسوله محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ألا نحاربكم

(١) واضح من النص أن هذا العدد كان
من الرقيق الأصليين القدين يباعون . ويلاحظ
أن أهل النوبة في ذلك الوقت لم يكونوا مسلمين ،
بل كان كثير منهم وثنيين . وكانت الدولة الرومانية
في ذلك الوقت ، ولزمن طويل قبله ، تلقى بالرقيق
والأسرى إلى السباع الجامعة لتفترسهم ، وتقيم لذلك
الحفلات العامة . ولم يكن مجتمع ذلك العصر ينكر
الرق في أي بلد من بلاد العالم المعروف يوم ذاك .
أما الإسلام فقد أمر بحسن معاملة الرقيق ، وحث
في كل مناسبة على عتقه (التحرير) .

المسلمين استطاعوا في هذه السنين المبكرة من سنوات الفتح الإسلامي أن يصلوا إلى دققة . وتدل عبارة « وعليكم حفظ من نزل بلكم » الواردة في الوثيقة على تبادل تجارى قديم بين النوبة ومصر ، وعلى أن العرب حريصون على استمرار هذا التبادل والتعاون وتنميته وتنظيمه . كما تدل عبارة « حفظ المسجد » على مبلغ حرص المسلمين على ديارهم وتكليف أهل النوبة برعاية هذه العقيدة الإسلامية في بلادهم المسيحية .

وكما هو واضح لم يرد بوثيقة البقظ شيء عن « العوض » الذى يدفعه المسلمون مقابلاً لما فصلته الوثيقة من الالتزامات التى ألزمت النوبة بدفعها إلى إمام المسلمين . ويقول المقرئى فى خطه بصدد هذا « العوض » : إن « عبد الله بن أبى سرح » وعدم ملك النوبة بعد أن شكاً إليه قلة الأرزاق فى بلاده ، بحبوس يهديها إليه ، وفعلاً أهدى إليه « ابن أبى سرح » قنحاً وشعيراً وعدساً وثياباً وخيلاً ، ثم أصبح ذلك تقليداً ، لزم على العرب سدادهم عند دفع البقظ فى كل عام .

وجدير بنا أن نعرض الآن لما ينتظره القارئ من إيضاح للفظ « البقظ » . وقد عرض لذلك المقرئى مفترضاً أن الكلمة عربية فقال : إنها إما أن تكون من قولهم فى الأرض بقظ من بقل وعشب أى نبذ

غير المعيب ، يكون فيه ذكران وإناث ، ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم ، تدفعون ذلك إلى والى أسوان وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولا منعه عنكم من حد أرض علوه إلى أرض أسوان ، فإن أوتيم عبداً لمسلم أو قتلتم مسلماً أو معاهداً ، أو تعرضتم للمسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم ، أو منعتم شيئاً من الثلاثمائة رأس والستين رأساً ، فقد برئت منكم هذه الهدنة والأمان ، وعدنا نحن وأنتم على سواء حتى يحكم الله بيننا ، وهو خير الحاكمين . علينا بذلك عهد الله وميثاقه ودمته وذمة رسوله محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ولنا عليكم بذلك أعظم ماتدينون به من ذمة المسيح وذمة الحواريين ، وذمة من تعظمونه من أهل دينكم وملتكم . الله شهيد بيننا وبينكم على ذلك » .

كتبه عمر بن شرحبيل فى رمضان عام ٥٣١ هـ وتنص هذه المعاهدة على أن : بملك النوبة المسيحية التى عقد معها المسلمون معاهدة البقظ هذه تمتد من أرض أسوان إلى سد أرض علوة ، أى من أسوان إلى الخرطوم الحالية ، ويتضح من هذه الوثيقة أنها عبارة عن معاهدة صداقة وحسن جوار . ولم تكن تتم عن غالب قاهر يملئ شروطاً على مغلوب مقهور . والشئ الذى يسترعى الانتباه أن

وجاء بدائرة المعارف الإسلامية حول كلمة « بقط » مايلي : « وهى الجزية التى كانت تدفعها النوبة ، وربما كانت كلمة مصرية معناها عبد » ، ظهرت فى المصنفات العربية اصطلاحاً على جزية النوبة منذ سنة ٣١ هـ (أبريل — مايو سنة ٦٥٢م) وليست جزية حقيقية لأن المسلمين كانوا يدفعون فى مقابلها ألف أردب من القمح ومثلها من الشعير ... وعلى هذا كان البقط صورة من صور التبادل السياسى ، فالبقط إذا لم يكن جزية ، لأننا لم نر المسلمين يدفعون عوضاً عن جزية فى أية معاهدة عقدوها ، وكان « الإمام مالك بن أنس » يعد البقط صلحاً بين النوبة والمسلمين . وأما « يزيد بن أبى حبيب » وهو عالم مصرى أصله من بلاد النوبة ، فقد قال عن البقط « ... إن هى إلا هدية بيننا وبينهم على أن نعطيهم شيئاً من قمح وعدس ويعطونا رقيقاً ، فالبقط إذا معاهدة سلام وتجارة بين طرفين متساويين وليس جزية بوجه من الوجوه » .

ويقول المقرئى عن مكان دفع البقط « كان البقط يؤخذ منهم فى قرية يقال لها القصر مسافتها من أسوان خمسة أميال ... والقصر أول بلد النوبة وبه مسلحة وباب لبلد النوبة » .

(البقية على صفحة ٦١٢)

من مرعى فيكون المعنى نبذة من المال وإما أن تكون من قولهم إن فى بنى تميم بقطاً من ربيعة أى فرقة أو قطعة فيكون المعنى فرقة من المال أو قطعة منه ، ومنه بقط الأرض أى فرقة منها ، وبقط الشيء أى فرقه ... ويستطرد المقرئى فيقول : إن البقط أيضاً هو ماسقط من التمر إذا قطع فأخطأ المخرّف ويكون المعنى على هذا الأساس : بعض ما فى أيدى النوبة . وهذا جهد كبير من المقرئى فى تحميل اللفظ فوق ما يحتمل ، وهو شبيه فى تخريجاته هذه بما يحاوله عامة عصرنا من تفسير لبعض أسماء البلدان كالفيوم ودمهوز على أساس أنها كلمات عربية .

أما الحقيقة التى تلقى ضوءاً على ما تعنيه كلمة « البقط » فهى أن بلاد النوبة وخاصة القسم الشمالى منها تأثرت إلى حد كبير بالثقافات الهلينية والرومانية والرومية ، وقد سبق للنوبة أن عقدت معاهدات بينها وبين الروم منها هدنة عام ٤٥١م التى عقدها مع « مكسيمينوس Maximinus » فى عهد الإمبراطور « ثيودوسيوس Theodosius » الثانى ولا بد أن يكون النوبيون قد عرفوا وقتئذ من الرومان اصطلاح Pactum بمعنى « عقد » أو « اتفاق » ولا ريب فى أن لفظ « بقط » مأخوذ من الكلمة اللاتينية « Pactum » .

جامعة النجف الأشرف

”مناسبة الاعتقال مروراً ألف ومائة سنة على جامعة القرنين“

لأستاذ محمد رضا المظفر

عميد كلية الفقه بالنجف

الحديث للإمامية ، هما : كتاب التهذيب ، وكتاب الاستبصار . وكفى أن يكون له تأسيس المركز العلي للنجف .

أعود فأقول : إن تاريخ النجف العلي ومركزها الحساس عند الإمامية يبتدىء من ذلك العهد واستمرت معهداً للدراسات الإسلامية بين مد وجزر حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجري حيث أُلقت المرجعية العامة عصاً ترحالها في النجف وذلك بنبوغ المجتهدين الكبارين السيد محمد مهدي بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء بعد أن جابت عدة بلاد في فترات متباعدة كبغداد والحلة وكر بلاء وأصفهان .

ومن هذا العهد الأخير كثرت البنايات ، لسكنى الطلاب المهاجرين إليها من مختلف البلاد النائية ، التي تسمى بالمدارس وهي أشبه ما تكون بالأقسام الداخلية . ويبلغ الموجود منها الآن قرابة ٣٠ مدرسة كبيرة وصغيرة ، بعد أن كانت بناية صحن الحرم العلوي هي المأوى الكبير لهم من أبعاد العهود . وفي النجف اليوم حوالى خمسة آلاف طالب من مختلف الأقطار الإسلامية . وتقوم المرجعية العامة بتعيين جرايات شهرية لكل طالب ،

جامعة النجف الأشرف صنو جامعة القرويين في قدم عهدها ، فقد تأسست أول بناية لها في القرن الثاني الهجري ، وهي بناية القبر المطهر ، قبر سيدنا أمير المؤمنين على ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، بأمر الخليفة العباسي هارون الرشيد ويظهر أن هذه البناية ما أسرع أن اجتذبت إليها قلوب المؤمنين من زائرين ومجاورين الذين يتعطشون إلى الانتهال من روحية صاحب هذا القبر والاستلham من عقيدته الإسلامية العالية ، وقدسية نفسه الجبارة برغم جفاف هذه البقعة وبعدها عن العمران .

ولكن الحقيقة التي يجب أن نقال : إنه لم يكن لها ذلك الشأن الذي يذكر في مركزها العلي المرموق ، إلا في أواسط القرن الخامس الهجري وذلك بعد ما هاجر إليها من بغداد سنة ٤٤٨ هـ الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المظالم المعروف بشيخ الطائفة ، صاحب الموسوعات والمؤلفات الخالدة في الحديث والتفسير والفقه وغيرها . إن هذا الرجل من عظماء التاريخ فما ألف وأسس . وكفى أن يكون له أصلاً كبيراً من الأصول الأربعة في

لا يتجاوزونها إلا نادراً كشرح قطر الندى وشروح ألفية ابن مالك ومعنى اللبيب في النحو، والشمسية في المنطق، وهذه الكتب التي ذكرناها هي نفسها التي تدرس في الجامع الأزهر وجامعة القرويين - فيما نظن - وتختص النجف الأشرف بكتب أخرى في بعض هذه العلوم، لا سيما المتون الفقهية كالشرائع للتحقق الحلي . وشروح هذا الكتاب كثيرة .

ونوعية الدراسة في هذه المرحلة دراسة فردية على الأكثر وربما اشترك فيها أكثر من طالب واحد فيشكلون حلقة صغيرة ، وللطالب الحرية في اختيار المدرس بل الكتاب وليس عليه رقيب إلا نفسه أو ولي أمره كما أن للطالب والمدرس في هذه المرحلة كما في المرحلتين الآتيتين، حرية التقدير والمناقشة وطبعاً تكون الحرية في هذه المرحلة محدودة بالقدر الذي يسعه أفق الطالب وتفكيره ، والغرض منها التوجيه والتدريب على قوة الملاحظة .

وكثيراً ما ينضم إلى هذه المرحلة دراسة علم الكلام والعلوم الرياضية وبعض العلوم العربية الأخرى كعلوم العروض والقافية . والبدیع والنصوص الأدبية، وهذا كله حسب رغبة الطالب واستعداده في المشاركة في المعارف ونحوها .

المرحلة الثانية :

مرحلة دراسة (السطوح) كما نسميها وهي

وتعتمد في مواردها المالية على الحقوق الشرعية التي يدفعها المؤمنون في مختلف الأقطار، وبعض التبرعات من المحسنين، وليس للرجعية أي مورد حكومي ولا علاقة لها بالحكومات على اختلافها في شئونها الخاصة والعامة مادية أو غيرها .

النجف لا تختلف عن الجامعات الإسلامية:

وأهم شيء يحسن ذكره بهذه المناسبة بعد الإشارة إلى تأسيس النجف هو نوع دراستها وأسلوبها لتسهيل المقارنة بجامعة القرويين الجليلة . فإنها لا تختلف كثيراً عن سائر الجامعات الإسلامية القديمة في نوعية التدريس للعلوم العربية وما إليها ، في كونها دراسة خصوصية لا وصفية وكذلك في اختيار الكتب ولاتزال على الأسلوب القديم في ذلك . وإنما تمتاز جامعة النجف بطريقة تحصيل الاجتهاد في الفقه الذي تختص بفتح باب الإمامية وغاية الطالب الديني القصوى أن يبلغ هذه الدرجة العليا التي لا ينالها إلا ذو حظ عظيم .

أنواع الدراسات :

ولذلك تمر على الطالب ثلاث مراحل تدريسية لبلوغ هذه الغاية :

المرحلة الأولى :

مرحلة دراسة (المقدمات) كما يسمونها . والمقصود بالمقدمات النحو والصرف وعلوم البلاغة والمنطق وهي تقرأ في كتب

المرحلة فوجدنا أن من الجدير بنا أن نسعى إلى فتح كلية منظمة لتتلافى بها كثيراً من النواقص التي يشتكى منها ، وذلك بتبسيط بعض الكتب ، وتنظيم المناهج والدروس ، والامتحانات . وهكذا تم لجمعية منتدى النشر أن تفتح (كلية الفقه) لتخرج طلاب لهم الاستعداد الكافي لحضور مجالس دروس كبار المجتهدين بالإضافة إلى القيام بواجب الدعوة إلى الدين الإسلامى ، وتبليغ مبادئه على منابرهم وأقلامهم . وقد أضيف إلى دروس المعارف الإسلامية المعروفة دروس فى الاجتماع وعلم النفس والتربية والفلسفة الحديثة ، والتاريخ الحديث والفقه المقارن ، والأدب وتاريخه والتاريخ الإسلامى بالإضافة إلى لغة أجنبية واحدة . ومن سنتين تم اعتراف وزارة المعارف العراقية بنظام هذه الكلية ودرجتها العلمية (درجة الليسانس) . وهذه الكلية لا يدرس فيها إلا حملة إجازات الاجتهاد من كبار المجتهدين أو حملة الشهادات الجامعية من الجامعات المعترف بها .

المرحلة الثالثة :

مرحلة (بحث الخارج) : وهى حضور مجالس دروس كبار المجتهدين فى الفقه وأصوله وهذه هى آخر مراحل الدراسة التي بها قد يبلغ الطالب درجة الاجتهاد وهى أعلى ما فى التجف من دراسات عالية ، وبها امتياز هذه الجامعة عن جامعات العالم الإسلامية فى أسلوب

دراسة متون الكتب الموضوعة فى الفقه الاستدلالي وأصول الفقه ويتبع فيها محاكمة الآراء ومناقشتها بجرية كاملة ، وعلى الأكثر تجرى هذه المرحلة على أسلوب الحلقات حيث يجتمع أكثر من طالب واحد فى مجلس أحد المدرسين المعروفين ، ويختلف عدد الطلاب فى كل حلقة حسب اختلاف شهرة المدرس فى تفوقه فى أسلوب التدريس وسعة اطلاعه .

المراهق :

أما الكتب الاستدلالية فى الفقه فأشهرها شرح اللمعة دمشقية الذى هو كتاب ابتدأ فى الاستدلال ، وبعده كتاب رياض العلماء والمسالك ، ثم المكاسب للشيخ الأنصارى . وهناك مراجع أخرى كثيرة أوسع دائرة وبحث لا يستغنى عنها الطالب الباحث .

وإذا انتهى الطالب من هذه المرحلة يأتقان استحق أن يسمى (مراهقاً) أى مقارباً لدرجة الاجتهاد . وقد ينضم إلى هذه المرحلة دراسة علم الكلام ، والحكمة ، والفلسفة الإلهية ، والتفسير ، والحديث ، وأصول الحديث ، وعلم الرجال .

وهذه المرحلة وما قبلها قد يجتازها الطالب فى عشر سنين فأكثر فى جد متواصل مضى وهى مرحلة شاقّة يرهق فيها كثير من الطلاب فيتوقف عن الركب .

وقد لمس كثير من المفكرين صعوبة هذه

وإلى هذا النهج الدراسي يعزى السر في تطور الدراسات الفقهية والأصولية في هذه الجامعة عبر القرون . ومن يقرأ كتابا في الفقه وأصوله لأحد أعلام القرن الرابع والخامس مثلا ، ثم يقرأ كتابا فيها لأحد أعلام هذا القرن يلبس مدى التطور الذي بلغه البحث في دقته وأسلوبه .

ولإيضاح هذه الجهة قدمت نماذج من الكتب التي تدرس ويقرأ في هذه الجامعة إلى السادة العلماء في جامعة القرويين ليطلعوا عليها ولنعكس المراحل التطورية لهذين العليين .

وحسبنا في ختام هذه الكلمة أن نسجل لجامعة القرويين وأخواتها الجامعات الإسلامية نضالها في الحفاظ على لغة القرآن الكريم وآدبه وعلومه بعد أن مرت البلاد الإسلامية بقرون مظلمة كادت تقضى على الإسلام واللغة العربية من الأساس .

وإني لمفتائل جداً بهذا الوعي الإسلامي العام في هذا الظرف بالذات ، وهذا النجاح بالمشعور بالحاجة إلى التأخي والاتفاق والنهوض بأمتنا إلى المستوى اللائق بها في هذه الأرض التي أخذت علينا من أطرافها . « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

محمد رضا المظفر

رئيس منتدى النشر

وعيد كلية الفقه بالنجف الأشرف

التدريس ، وفي حرية المناقشة والرأي ، وفي درجتها العلمية العالية .

تكون هذه المرحلة عادة في دورات يتولاها كبار المجتهدين ، ويبتدى المدرس منهم في دورة أصولية أو فقهية يلقيها بشكل محاضرات يومية فيشرح المسألة شرحا وافيا بعرض الأقوال ومناقشة الآراء فيها وأدلتها ويختار ما ينتهي إليه رأيه مع الدليل ولكل مدرس طريقته الخاصة في أسلوب البحث وسعة المنهج والأسس العلمية التي يعتمدها .

وهذه الدورات لا تكون إلا جماعية يحضر فيها عدد كبير من الطلاب قد يزيد في بعض الظروف على ألف طالب وذلك تبعاً لشهرة المدرس في تفوقه العلمي ودقة منهجه وأسلوب تدريسه .

وسميت بـ (بحث الخارج) نظراً إلى أن التدريس فيها لا يعتمد على رأي خاص ولا عبارة كتاب معين إلا ما قد يتخذ منها للبحث ، لتسهيل على الطلاب المراجعة للتخصير قبل الدرس . وعلى كل حال فإن ميزة هذه الدورات عمق البحث ودقته وسعة أفقه والحرية الكاملة في نقد الآراء ومناقشتها مهما كان صاحبها . وبهذا الأسلوب يغذى الطلاب ليتمكنوا من الاعتماد على آرائهم والثقة بنفوسهم ليصبحوا مجتهدين يرجع إليهم الناس وتقدم الأمة أمورها ويقودونها إلى الخير والسعادة .

القرآن والقومية العربية

(ولأنه لذكرك ولقومك وسوف تسألون)

للأستاذ عبد الرحيم فوده

وأرسله وقال له : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم ، ثم انقطع الوحي وارتفع الملك ، وعاد عليه السلام يرجف قلبه ، ويقصر على زوجه خديجة رضى الله عنها ما عاناه وقاساه وشاهده ورآه . ثم يقول لها « لقد خشيت على نفسى » فتجيبه فى لهجة الواثقة : « كلا ، والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق » .

ويمكن للتأمل فى هذه القصة أن يلدح من خلالها تباشير الصبح الذى فاض على الأمة العربية خاتمة والإنسانية عامة بضياء الإسلام الغامر ، وسناه الوضىء الباهر . فإن فى قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » ما يشعر بأن قراءته عليه السلام ستكون بقدرة الله التى صدر عنها خلق الإنسان وما تفضل به عليه الرحمن ، لا عن خبرته فى القراءة أو قدرته على اكتسابها وتعليلها ،

كان من حكمة الله - وهو جل شأنه « أعلم حيث يضع رسالته » - أن تكون المعجزة التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم للعرب وغير العرب معجزة عقلية وأدبية وإصلاحية ، وأن يكون دليله على صدق رسالته هو هذا الكتاب الذى « لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ، وأن يكون هذا الكتاب بما تتألق به آياته من بينات العلم والحكمة والسمو الأدبي ، هو حجته البالغة على أنه - عليه السلام - مبلغ عن الله ، ولا يدلّه فيما يتلوه منه « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذ أَلارتاب المبطلون » . وقد كان مفاجأة للنبي عليه السلام أن يهبط عليه جبريل وهو يتعبد فى غار حراء - ولم يكن قد ألفه أو عرفه من قبل - ثم يضمه إليه فى عنف وقوة ويرسله ويطلب منه أن يقرأ وهو لم يتعلم القراءة والكتابة ، فيرد صلى الله عليه وسلم بما عهد فيه من صدق وأمانة ويقول « ما أنا بقارىء » . وظل صلى الله عليه وسلم مع ما كان يعانيه من ضعف وخوف أمام جبريل يرد بقوله : « ما أنا بقارىء » ، حتى ضمه جبريل مرة ثالثة

العربية : « خير أمة أخرجت للناس ، وأن يحولها في مدى لا يحسب له حساب في عمر الأفراد بله الأمم إلى الصورة المثالية التي لم يعرف لها التاريخ مثيلاً في كل الأمم والمجتمعات البشرية ، وأن يضع في يدها مقادة العالم في كل شيء كان يعرفه العالم ، فلم يمض قرن حتى كانت الكعبة - وهي في أرض عربية - قبلة الملايين من أبناء الشعوب ، التي شرح الله صدرها للإسلام ، وحتى كانت اللغة العربية - لأنها لغة القرآن - هي اللغة السائدة في كل الشعوب التي دانت بالإسلام ، وكان ذلك وما إليه مما تزخر به الكتب والأسفار من مختلف ألوان العلوم والفنون هو تفسير البشرى الكبرى التي تألق بها قول الله لنبيه في أول لقاء له مع جبريل « اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » . بل إن حياة العرب قبل الإسلام وما صارت إليه في ظله من قوة ومجد ، وعلم وحكمة ، وزعامة وإمامة يجمعها على طولها قوله تعالى : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

وليتأمل القارىء معنى قوله تعالى : « وإن

فليس بعزیز عليه سبحانه أن يقرئه وقد خلقه وخلق كل إنسان غيره من علق . ثم جعل منه السمع والبصر والفؤاد . ونفخ فيه من روحه وسواه في أحسن تقويم ، بل إنه جل شأنه كما يقول : « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » ، ولعل مما يؤيد ذلك ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك . فقد كان يخشى أن ينسى شيئاً مما يوحى إليه فنزل عليه قوله تعالى : « سنقرئك فلا تنسى » ، وكان يحرك لسانه بما يسمعه قبل أن ينقطع الوحي عنه حتى لا يفوته شيء منه فنزل عليه قوله تعالى : « لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه » ،

وهكذا شاء الله أن يقرأ الامي ، وأن تكون معجزته كتاباً « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ، وأن يكون هذا الكتاب دستور أمة أمية لم تكن تقرأ وتكتب ، وأن يكون هذا الدستور أكمل وأمثل نظام عرفته البشرية . وأن يكون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها معجزة الإنس والجن في كل دهر وعصر كما يقول الله ويشهد الواقع : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

وكان عجبا أن يصنع هذا الكتاب من الأمة

أرضاً مطهرة محررة تبسط ظل زعامتها على أولئك وهؤلاء جميعاً ، ثم انساح العرب في ظل لوائه يفتحون البلاد شرقاً وغرباً ، ويفتحون قلوب أهلها بهداية هذا الكتاب حتى دانت لهم الشعوب عن طواعية واختيار ، ولانت ألسنتها بلغة هذا الكتاب الذى أنزله الله بلسان عربى مبين .

ثم امتحن المسلمون والعرب بالمحن الشداد والخطوب الثقالة فصار أمرهم إلى غيرهم ، ثم صاروا هدفاً لحملات الغزو التترى والاستعمار الأوروبى . صاروا قطعاً وشيعاً يتحكم فيهم الدخلاء أو الأجراء للدخلاء . فذابت أو كادت تذوب كل مقومات قوميتهم لولا هذا الكتاب الذى حفظ لهم لغتهم ، وتناجت به ضمائرهم ومشاعرهم وتلاقت عليه مذاهبهم ومواكبهم ، فقد بقى مرفوخ اللواء مسموع النداء عربياً غير ذى عوج ، ينطق فتخفق من حوله القلوب ، وتفتح له الآذان والأذهان ، وتقوى به الهمم والعزائم ، وبذلك الكتاب وبالعلوم العربية التى نبئت على شاطئيه ، وبالإيمان الذى كان ولا يزال يشد العرب والمسلمين إليه ، بقيت اللغة العربية ، واللغة أهم مقومات كل قومية ، سليمة قيمة لم تنسخ ولم تمسخ على كثرة ما زاحمها وداهمها من لغات الطائرين من الأجانب والمستعمرين ، وعلى كثرة ما بذل

كانوا من قبل لى ضلال مبين ، . ثم يذكر ما كان عليه العرب قبل الإسلام فسيجد أن كلبة ضلال مبين ، تصور حيرة هذه الأمة وضيعتها والظلام الذى كانت تعيش فيه ، والجهالة الرعناء التى كان يضرب بعضها بعضاً ، والتى تمزقها شيعاً تتشاحن وتتطاحن ، وتستمر بينها الحروب لأوهى الأسباب ، حتى تمكن الفرس والروم من احتلال جوانبها واعتلاء منابها ، وانتقاصها من أطرافها ، ثم ليتأمل معنى قوله تعالى : « ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » ، فسيجد هذه الكلمات تصور على إيجازها ما صارت إليه هذه الأمة من نماء وذكاء وقوة ، وما ينطوى تحت مفهوم الكتاب والحكمة من ألوان العلم والثقافة والمعرفة ، وقد كان ذلك كله بفضل الله . وبفضل هذا الكتاب الذى أنزله الله كما يفهم من قوله تعالى : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

كان هذا الكتاب - كما قلت فى بعض ما كتبت - ولا يزال مصدر هداية للناس جميعاً ، ولكنه مع هذا هو كتاب القومية العربية منذ كانت للعرب قومية قوية ، فقد كانت لغتهم عدة لغات ولهجات فصارت به لغة واحدة . وصاروا به أمة وحدة . وكانت أرضهم محتلة الأطراف يخضع بعضها لسلطان الفرس وبعضها لسلطان الروم ، فصارت به

الأزهر وعلى تعليم القرآن ، وأنشئت المسكاتب في كل مدينة وقرية لحفظ القرآن ، وكان هذا بصورة قوية باهرة في الوقت الذي كان فيه دذلوب ، يعمل على أن ينتزع من حلق المصريين ، ألسنتهم العربية ويضع فيها ألسنة

صناعية انجليزية

وانجلي ليل المحتلين وبقيت مصر عربية إسلامية تتأهب للنهوض بدورها التاريخي الذي عرفت به في خدمة العروبة والإسلام ، وبقى التراث العربي والإسلامي سليما ينتظر أن تمتد إليه الأيدي الطاهرة لتعيد إليه رواده وبهائه ، وتنفض عنه ما علق به من غبار ، فإن هذا التراث الفكري يحتل من القومية العربية موضع العمود الفقري ؛ لأنه يمثل خصائصها وسماتها وملاحمها . بل هو روحها التي تدفعها إلى تحقيق أهدافها ورسالتها ، ولا شك أن هذا التراث يدور كله أو جله حول القرآن وعلومه ، فإن العلوم العربية كان الباعث على تدوينها وتقنينها هو المحافظة على صلة العرب والمسلمين بهذا الكتاب ، وقد نبعت علوم الفقه وأصوله والتوحيد والحديث والتفسير من هذا الكتاب ، وتفرعت عن النظر فيه ، واستجلاء حقائقه ومعانيه ، وبذلك كسب العرب بين عامة المسلمين مكانة الإمامة والزعامة .

ومعنى هذا بعبارة موجزة قصيرة ما يلي :

أولئك وهؤلاء من محاولات لنسخها ومسحها ، وقطع الأسباب التي تصل العرب والمسلمين بها ؛ لتقطع صلتهم بهذا الكتاب الذي جمعهم على الإخاء ودفعهم إلى المجد ، ورفعهم إلى السماء ويمكن لهم في الأرض .

لقد حطم التتار بغداد وأحرقوا نفائسها العلمية ، وأطاحوا بخلافتها الإسلامية ، وروعوا علماءها وأدباءها ، فأبقت القاهرة أن تدع العلم بين أقدام الغزاة ، وتلقته بكلتا يديها لتحملة وتحميه ، ثم أقامت من أزهرها معقلا شامخا للقرآن وعلوم القرآن يفد إليه المروعون من شتى البقاع والأصقاع فيجدون فيه مثابة وأمنا ، وحتى الزمن الذي كانت تعزبه بغداد وهو الخلافة أبقت القاهرة أن يصبح مجرد ذكرى مجرد دارس ، فأحيته وجعلته شعارها وشرعت تكافح به ميدانين ، تلتقي في أحدهما بالتتار ، وفي الثاني بدول الاستعمار ، نجحت في قهرهما . وحفظت لمصر مكائنها وعروبيتها . ثم بقيت تحافظ على ما ورثت من مقدسات الإسلام ومقومات العروبة حتى نكبت ونكب الشرق معها بالغزو الفرنسي . ثم بالاحتلال الإنجليزي ، ومع طول ما قاست وعانت خلال تلك الحقبة والعصور لم يضعف حرصها على مقدسات دينها وعروبيتها . بل أخذ كفاحها الشعبي يتجه اتجاهها آخر ، فوقفت الأموال على

- ١ — أن اللغة العربية - وهي أهم مقومات القومية - مدينة ببقائها وسلامتها للقرآن .
- ٢ — أن ثروتنا التشريعية وعلومنا العربية تنبع من القرآن .
- ٣ — أن جميع الشعوب الإسلامية تلتقي معنا على الإيمان بالقرآن وضرورة المحافظة عليه وعلى علومه .
- ٤ — أن عروبة القرآن من حيث لغته - لا من حيث موضوعه وتشريع فإنه عام لكل الخلق - تضع الأمة العربية في مكانة الزعامة بين عامة المسلمين ، ولعل هذا بعض ما يفهم من قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم
- أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .
- ٥ — أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي يثمر في إذكاء روح النهضة العربية لإيمان العرب مسلمين وغير مسلمين بأنه كان ولا يزال أقوى مؤثر في هذه الأمة ، أو في كثرتها الغالبة .
- نسأل الله أن يصلنا به ويجمعنا عليه ، وأن ينفعنا به ويهدينا إليه ، فإنه كما يقول جل شأنه فيه : « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » .
- عبد الرحيم فوده**

(بقية المنشور على صفحة ٦٠٣)

وتخفيفا عن أهل النوبة أمر المهدي العباسي أن يؤخذ منهم بقط سنة واحدة عن كل ثلاث سنين . وبقيت الصلات بين النوبة والمسلمين طيبة أو على الأقل سلمية : طوال المدة التي كانت مصر فيها تحت سيطرة ولاية من العرب ، ولم يتخلل هذه المدة إلا احتسك يسير عندما كانت النوبة تمنع البقط ، فلما تولى أمر مصر حكام من غير العرب تبدلت الحال غير الحال . ويقول بعض المؤرخين : إن البقط استمر يدفع بشيء من الانتظام حتى

دخول الفاطميين مصر . ولقد أرسل د جوه الصقلي ، عام ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) رسولا من قبله إلى أهل النوبة يدعوهم إلى الإسلام ويطالبهم بدفع البقط على اعتبار أن الدولة الفاطمية هي ورثة الدولة العباسية في مصر . ولما جاءت الدولة الأيوبية تبدلت علاقة المودة بين مصر والنوبة إلى علاقة جفاء وعداء .

عبد المنعم محمد الشيخ
مدرس بكلية الشريعة

النظرية العامة للإثبات في الحدود

للأستاذ محمد عطية راغب

المبحث الأول - في الشهادة :

أجمع الفقهاء في التشريع الإسلامي على أنه إذا استجمعت الشهادة جميع شروطها ، وجب على القاضي العمل بمقتضاها .

وللشهادة شروط منها العامة ، ومنها ما يجب توافرها في الشاهد . ولذا سنتكلم أولاً عن الشروط العامة للشهادة ، وثانياً عن الشروط الواجب توافرها في الشاهد ، وثالثاً سنبحث في مراتب الشهادة .

أولاً : في الشروط العامة :

يجب أن تؤدي الشهادة بلفظ أشهد دون غيره عند فقهاء الحنفية ، والشافعية ، والحنابلة .

ولذا إذا لم يذكر الشاهد هذا اللفظ وقال أعلم . أو أتيقن ، لا تقبل شهادته عند هؤلاء الفقهاء ؛ لأنهم يرون أن النصوص القرآنية قطعت باسئراطها ولم يعدل عنها مع كثرة ذلك وتعددته في مواضع شتى من القرآن الكريم ؛ ولأن في هذا اللفظ زيادة توكيد لأنه ينفي عن المشاهدة والمعاينة والامتناع عن الكذب .

الحد لغة : هو المنع . وقد عرفه الفقهاء بأنه العقوبة المقررة التي يجب حقا لله تعالى . فالعقوبة غير المقررة لا تسمى حداً كالتعزير فإنه قد يكون بالضرب وقد يكون بالحبس ، وقد يكون بغيرهما ، والعقوبة المقررة التي يجب حقا للعبد لا تسمى حداً أيضاً كالقصاص فإنه حق للعبد يجوز فيه الصلح والعفو بخلاف حق الله تعالى فإنه لا يجوز العفو عنه ولا يصح استبداله ، أو الزيادة عليه أو النقص منه ، ولا يقبل القياس ولا الإسقاط بعد ثبوت سببه عند الحاكم ، وعلى ذلك لا تجوز الشفاعة فيه .

والحدود في الشريعة الإسلامية هي : الزنى ، والسرقة ، والقذف ، وشرب الخمر ، وقطع الطريق .

ومن المتفق عليه في الفقه الإسلامي أن الحدود تثبت بالشهادة وبالإقرار ، وأنها لا تثبت بعلم القاضي ، ولا بالشهادة على الشهادة ، ولا بكتاب القاضي للقاضي .

ولذا سنقسم بحثنا هذا بحثين : أولهما سنبحث فيه شروط الشهادة ، وفي ثانيهما سنبحث شروط الإقرار .

الخالصة لله تعالى كحد الزنى والسرقه وشرب الخمر ؛ هذا إذا لم يمنع من أداء الشهادة البعد عن القاضى ، أو مرض الشاهد ، أو خوف الطريق . ذلك لأن الشاهد إذا عين الفعل فى هذه الحدود ، ولم يشهد على الفور حتى تقادم العهد دل ذلك منه على تفضيله الستر على أداء واجب الشهادة ، ولأنه إذا شهد بعد ذلك دل فعله هذا على أن الضغينة هى التى دفعته على أداء الشهادة ، هذا فضلاً عن أن التأخير منه فى أداء الشهادة يورث التهمة .

والأصل فى الشهادة القائمة على حقوق العباد أن تكون من المدعى نفسه أو نائبه ، لأن الشهادة هنا شرعت لتحقيق قول المدعى ولا يتحقق قوله هذا إلا بدعواه إما بنفسه وإما بنائبه .

أما حقوق الله فلا يشترط فيها الدعوى ، وإن كانت الدعوى مع هذا قد شرطت فى حد السرقه ؛ لأن كون المسروق ملكاً لغير السارق شرط لتحقيق كون الفعل سرقه شرعاً ، ولا يظهر ذلك إلا بالدعوى فشرطت الدعوى لهذا .

كما يجب أن تصدر الشهادة فى مجلس القاضى ، ولذلك لا اعتداد بالشهادة الصادرة خارج مجلس القضاء ، حتى ولو كان المجلس مجلس تحكيم .

وفى جرم الزنى أوجب الفقهاء أن نسأل الشاهد عن الزنى ، ما هو ؟ وكيف هو ؟

أما الراجح فى مذهب المالكية فيرى أنه يصح الأداء بهذا اللفظ أو بغيره مما يفيد معناه كالأعلم وأتيقن ، لأنه لا فرق عندهم بين لفظ ولفظ ، ولا خصوصية لواحد منها على الآخر ؛ لأن مقصود الشهادة هو إخبار القاضى بما تيقنه الشاهد ، ولا يتوقف هذا على لفظ معين ، وهذا هو ما نراه أيضاً ، ذلك لأن النصوص التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم أبعد ما تكون عن اشتراط لفظ الشهادة فى الأداء . هذا فضلاً عن أن ترك الأمر فى هذا إلى اصطلاح الناس وما جرى به عرفهم أيسر لهم وأقرب .

كما يجب أن تكون الشهادة عن علم و يقين ، لا عن ظن وحسبان ، فلقد أجمع الفقهاء فى التشريع الإسلامى على أن الشاهد لا يجوز له أن يشهد إلا بما علمه و ييقن منه تيقناً لا يبق معه ريبه فى حصول ما شهد به .

وللاعتداد بالشهادة أيضاً يجب أن تكون موافقة للدعوى فيما يشترط فيه الدعوى فإن خالفها لا تقبل إلا إذا وفق المدعى بين الدعوى وبين الشهادة عند إمكان التوفيق لأن الشهادة إذا خالفت الدعوى فيما تشترط فيه الدعوى وتعذر التوفيق انفردت عن الدعوى . والشهادة المنفردة عن الدعوى فيما يشترط فيه الدعوى غير مقبولة .

كما أوجب الأحناف عدم التقادم فى الحدود

على شهادتهم استيفاء حد غير الزنى، متى تبين أنهم تعمّدوا الكذب، أما إذا رجع الشهود قبل استيفاء الحد، فإنه يجب نقض الحكم وعدم نفاذه، لحرمة الدم وخطره، ووجود الشبهة، ولأنه لا يمكن فيها الجبر بإيجاب مثله على الشهود، لأن ذلك ليس جبراً، ولا يحصل لمن وجب له منه عوض، وإنما شرع للزجر والتشني لا للجبر، بخلاف المال فإنه يمكن فيه الجبر بإلزام الشاهدين عوضاً.

ثانياً: الشروط الواجب توافرها في الشاهد:
أوجب الفقهاء في التشريع الإسلامي أن يتوافر للشاهد وقت الأداء: البلوغ، والعقل، والذكورة، والنطق، والبصر، لكي يعتدوا بشهادته.
كما أوجبوا أيضاً أن يتوافر للشاهد: الإسلام، والحرية، والعدالة، للأخذ بشهادته.

ولذا لا تقبل الشهادة عندهم من صبي لم يبلغ بعد، ولا من مجنون، ولا من معتوه، ولا من النساء، ولا من أخرس ولو فهمت إشارته، ولا من أعمى، ولا من كافر، ولا من عبد، ولا من مستور حال لا تعلم عدالته، لجواز أن يكون فاسقاً.

كما أوجب الحنفية ألا يكون الشاهد محدوداً في قذف وإن تاب، وهم يستندون في ذلك إلى قوله تعالى: «والذين يرمون

وأين وقع؟ وبمن زنى؟ ومتى زنى المشهود ضده؟.

وفي جرم السرقة يجب أن يسأل الشاهد عن ماهية السرقة، وكيفيتها، وعن مكان وقوعها، وعن زمانها، وكم هي؛ وبمن سرق المشهود ضده؟.

وفي جرم القذف يجب أن يسأل الشاهد عن القذف ماهو، وكيف هو، ومتى وأين وقع؟.

وفي جرم الشرب أوجب بعض الفقهاء أن يسأل الشاهد عن ماهية الفعل الذي شاهده، وكيف هو، ومتى، وأين وقع؟ ولكن دون حاجة لأن يسأل هل شرب المشهود عليه المسكر مختاراً عالماً به وبتحريمه أو لا؟ وإن كان الجمهور من الفقهاء لم يطلب من القاضي كل هذه الأمور.

وإذا رجع الشهود عن شهادتهم قبل الحكم بطلت الشهادة، ولا يجوز الاعتماد عليها، لوجود التناقض في كلامهم، كما أنه لا ضمان في هذه الحالة على الشهود؛ ذلك لأن سبب وجوب الضمان هو إتلاف النفس أو المال، ولا إتلاف هنا.

أما إذا رجع الشهود بعد الحكم والاستيفاء، فلا أثر للرجوع في القضاء، بل يبقى الحكم نافذاً بعد الاستيفاء، وواجب النفاذ قبله، ويؤدب الشهود على رجوعهم إذا ترتب

صلى الله عليه وسلم في قوله: (أكرموا الشهود ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون ، .
 أما الشافعية ، والجعفرية ، والمالكية ، والحنابلة ، فيقبلون شهادة المحدود في قذف بعد التوبة ، وحجتهم في ذلك أن الاستثناء إذا تعقب جملة بعضها معطوف على بعض فينصرف الاستثناء إلى الكل ، وقد ورد الاستثناء بعد الآية « إلا الذين تابوا » ، وعلى ذلك فتقبل شهادة المحدود بقذف إذا تاب .
 وللاعتداد بشهادة الشاهد أوجب الفقهاء الإسلاميون أيضا ألا تكون هناك صلة قوية بالمشهود له ، وألا تجر شهادته إلى نفسه مغنا وألا تدفع عنه مغرما ؛ ذلك لأن شهادته إذا تضمنت معنى النفع أو الدفع فقد صار متهما ولا شهادة في الأصل لمتهم .
 كما أنهم لم يقبلوا شهادة العدر على عدوه للتهمة ، وذلك تطبيقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (لا تقبل شهادة خصم ولا ظنين ، ولا ذى لحنة ، لأنه متهم في شهادته بسبب منهى عنه) .
 فإذا ما توافرت في الشاهد كل هذه الشروط وهذه الصفات أدى شهادته بدون يمين عند بعض الفقهاء الذين يرون أن تحليف الشاهد اليمين ينافي إكرامه الذي أمر به الرسول

صلى الله عليه وسلم في قوله: (أكرموا الشهود فإن الله يحبهم الحقوق) ، كما أن لفظ الشهادة في نظرهم يتضمن معنى اليمين ، وإن كان البعض الآخر من الفقهاء يرى أنه مع توافر الشروط والصفات السابقة في الشاهد لا مانع من تحليفه اليمين ، وذلك زيادة في التأكيد لصدقه ، كما أنهم يرون أن قول الرسول عليه الصلاة والسلام السابق الإشارة إليه لا يمنع من تحليف الشاهد ، ذلك لأن تحليف الشاهد ليس فيه إهانة له ، بل فيه مصلحة للناس ونحن نرى هذا الرأي أيضا لنفس الحجة التي يستند عليها أنصار الرأي الثاني .

ثالثاً : في مراتب الشهادة :

أجمع الفقهاء في التشريع الإسلامي على أن جرم الزنى لا يثبت عندهم إلا بشهادة أربعة من الشهود العدول ، على رجل أو امرأة بالزنى على الأقل ، وذلك تطبيقاً لقوله عز وجل : (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) ولقوله تعالى أيضا : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) .
 ومن أجل هذا لا يثبت هذا الجرم عندهم بشهادة شاهد واحد ، أو بشهادة شاهدين ، أو بثلاثة من الشهود . ولذلك إذا شهد ثلاثة بالزنى ، اعتبروا مقترفين لجرم القذف ، (البقية يحلى صفحة ٦٣٠)

المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون ، .
 أما الشافعية ، والجعفرية ، والمالكية ، والحنابلة ، فيقبلون شهادة المحدود في قذف بعد التوبة ، وحجتهم في ذلك أن الاستثناء إذا تعقب جملة بعضها معطوف على بعض فينصرف الاستثناء إلى الكل ، وقد ورد الاستثناء بعد الآية « إلا الذين تابوا » ، وعلى ذلك فتقبل شهادة المحدود بقذف إذا تاب .
 وللاعتداد بشهادة الشاهد أوجب الفقهاء الإسلاميون أيضا ألا تكون هناك صلة قوية بالمشهود له ، وألا تجر شهادته إلى نفسه مغنا وألا تدفع عنه مغرما ؛ ذلك لأن شهادته إذا تضمنت معنى النفع أو الدفع فقد صار متهما ولا شهادة في الأصل لمتهم .
 كما أنهم لم يقبلوا شهادة العدر على عدوه للتهمة ، وذلك تطبيقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (لا تقبل شهادة خصم ولا ظنين ، ولا ذى لحنة ، لأنه متهم في شهادته بسبب منهى عنه) .
 فإذا ما توافرت في الشاهد كل هذه الشروط وهذه الصفات أدى شهادته بدون يمين عند بعض الفقهاء الذين يرون أن تحليف الشاهد اليمين ينافي إكرامه الذي أمر به الرسول

صلى الله عليه وسلم في قوله: (أكرموا الشهود فإن الله يحبهم الحقوق) ، كما أن لفظ الشهادة في نظرهم يتضمن معنى اليمين ، وإن كان البعض الآخر من الفقهاء يرى أنه مع توافر الشروط والصفات السابقة في الشاهد لا مانع من تحليفه اليمين ، وذلك زيادة في التأكيد لصدقه ، كما أنهم يرون أن قول الرسول عليه الصلاة والسلام السابق الإشارة إليه لا يمنع من تحليف الشاهد ، ذلك لأن تحليف الشاهد ليس فيه إهانة له ، بل فيه مصلحة للناس ونحن نرى هذا الرأي أيضا لنفس الحجة التي يستند عليها أنصار الرأي الثاني .

صلى الله عليه وسلم في قوله: (أكرموا الشهود فإن الله يحبهم الحقوق) ، كما أن لفظ الشهادة في نظرهم يتضمن معنى اليمين ، وإن كان البعض الآخر من الفقهاء يرى أنه مع توافر الشروط والصفات السابقة في الشاهد لا مانع من تحليفه اليمين ، وذلك زيادة في التأكيد لصدقه ، كما أنهم يرون أن قول الرسول عليه الصلاة والسلام السابق الإشارة إليه لا يمنع من تحليف الشاهد ، ذلك لأن تحليف الشاهد ليس فيه إهانة له ، بل فيه مصلحة للناس ونحن نرى هذا الرأي أيضا لنفس الحجة التي يستند عليها أنصار الرأي الثاني .

صلى الله عليه وسلم في قوله: (أكرموا الشهود فإن الله يحبهم الحقوق) ، كما أن لفظ الشهادة في نظرهم يتضمن معنى اليمين ، وإن كان البعض الآخر من الفقهاء يرى أنه مع توافر الشروط والصفات السابقة في الشاهد لا مانع من تحليفه اليمين ، وذلك زيادة في التأكيد لصدقه ، كما أنهم يرون أن قول الرسول عليه الصلاة والسلام السابق الإشارة إليه لا يمنع من تحليف الشاهد ، ذلك لأن تحليف الشاهد ليس فيه إهانة له ، بل فيه مصلحة للناس ونحن نرى هذا الرأي أيضا لنفس الحجة التي يستند عليها أنصار الرأي الثاني .

العدالة الاجتماعية في الإسلام

للأستاذ أحمد علي منصور

الإسلام هو - بلا منازع - دين العدالة الاجتماعية ، ودين الإحسان والإنصاف ، ودين العمل والإخلاص ، ودين التعاون والإخاء ، ودين الدفاع ورد العدوان بالعدوان ، ودين التوبة والاستغفار .

وهذه المميزات جميعها تلتقى في النهاية بأبرز ناحية من نواحي الإسلام الخفيف ، وهي أنه دين الكرامة، وعزة الفرد والمجتمع، الذي يدينان به، ويستمدان عزتهما من عزته .

وأول جانب مشرق يطالعنا من عزة الإسلام أنه دين ودولة ، الحكم فيها لله ، وقانونها شرع الله ، وليس للإنسان فيه إلا الفهم وحسن التطبيق ، ولقد صان الإسلام عزة الفرد في الجماعة الإسلامية ، بما قرره من مبدأ المساواة بين الناس ، على اختلاف

ألسنتهم وألوانهم ، وبما أقامه من ميزان العدالة الاجتماعية ، ورفع منار الحق ، والإنصاف في الأحكام .

فالقوى في الجماعة الإسلامية ضعيف ، حتى يؤخذ الحق منه ، والضعيف فيها قوى ، يؤخذ الحق له ، أكد ذلك الخليفة الأول -

رضوان الله عليه - في دستوره الهادي الرزين ، وأرسلها صيحة مدوية بأذن التاريخ ، واستهل بهذا أول خطبة خطبها في خلافة الراشدة . وليس ذلك مبدأ وضعه الصديق أبو بكر - نضرا لله وجهه - ولكنه أصل من أصول الحكم في هذا الدين العظيم ، نطقت به آيات التنزيل الحكيم ، وأعمال الرسول الأعظم ، وأقواله - صلوات الله وسلامه عليه ، ولا ريب أن عزة الفرد في الإسلام ، أساس عزة الجماعة الإسلامية ، وقد أحاطها هذا الدين المجيد ، بسياج منيع من النظم والأحكام ، التي تكفل للمسلمين استمرار العزة وازدهارها ، على وجه الزمن ، إذا أخذوا بهذه النظم ، وعملوا بتلك الأحكام . وعدالة الإسلام الاجتماعية ، حقيقة ملبوسة ، واقعية ، في ميزان التاريخ وميزان الاتجاه العالمي ، وميزان الاقتصاد ، وميزان الأحداث الإنسانية .

فقد أعطى الإسلام كل ذي حق حقه ، وسوى بين الرجل والمرأة في العقيدة ، والتكاليف الدينية ، وحرية الرأي والعمل ،

السعادة للزوجين : أحدهما أو كليهما ، فلا بد من التفريق بينهما حينئذ بالطلاق . وليس في شيء من ذلك ما يناقض العدالة الاجتماعية .

ولقد كان كثير من غير المسلمين ، يعيرون نظام الطلاق ، في الشريعة الإسلامية الغراء ، حتى كشفت الحوادث عن سداذه ، وأظهرت لهم الأيام حكمته ، والحاجة الماسة إليه ، فصاروا يطلقون ، ولا يرون في هذا غضاظة ، بل ذهبوا إلى أن إباحته ضرورة لصالح المجتمع الإنساني ، وهذا اعتراف منهم بفضل الإسلام ، وأنه الدين الملائم للطباع الإنسانية ، والنظم الاجتماعية .

وأما نفقتها فواجبة على زوجها ، وعلى بنينا الكبار ، ولم يزج الإسلام بها في معترك الحياة ، ومضمار العمل ، رحمة بها ، وبعداً عن المشقات والمتاعب ، وأجلها على عرش المنزل ، ترعى شئونهم ، وتدبر أمورهم ، وتملؤه - بإخلاصها - سعادة ونعياً .

وسيكون قريباً ذلك اليوم ، الذي يشيد فيه القاصي والداني ، بفضل الإسلام ومبادئه السامية ، وتعاليمه الحكيمة ، وأنه الدين الحق الخالد ، الصالح لكل زمان ، ولكل مكان ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

أحمد علي منصور

المدرس بمعهد شيبين الكوم

وجعل لها نصيباً مفروضاً في الميراث ، ولم يسو بينهما فيه ؛ لأنه جعل نفقتها على الرجال ، رحمة بها ، وإبعاداً لها عن مشقات السعي ، ومتاعب الحياة .

وإنه لمن المؤسف حقاً ، أن يظن بعض الناس أن الإسلام لم يعن العناية الكافية بالمرأة ، ولم يحلها المكانة اللائقة بها ، وأباح للرجل تعدد الزوجات والطلاق ، وميزه عنها في الميراث . على حين أنه الدين السماوي الوحيد ، الذي خلص المرأة مما كانت تن تحت من أثقال ، ونهض بها إلى المستوى اللائق لها ، وأعطاه كثيراً من الحقوق التي أعطاه للرجل ، ولم يفرق بينهما إلا في أمور يسيرة ، راعى فيها طبيعة كل منهما ، ونفع الجماعة الإنسانية . ولقد وجه الإسلام عنايته للأسرة ؛ لأنها الخلية الأساسية التي يتركب منها ومن أمثالها جسم المجتمع ، فحث على الزواج ، وأظل الزوجين بظله الوارف ، وعطف الإسلام على المرأة في الزواج أوضح وأظهر ؛ لأنها تتحمل من تبعاته ونتائجه أكثر مما يتحمل الرجل .

والإسلام أباح تعدد الزوجات ؛ لأغراض نبيلة ، وحكم سامية ، زادت حوادث الأيام وضوحاً وجلالاً . واشترط بجانب ذلك على الزوج ، أن يعدل بين زوجاته في كل ما يمكن العدل فيه ، فإن آانس من نفسه العجز عن العدل ، وجب عليه أن يقتصر على واحدة . وقد تخفف الحياة الزوجية في تهمة أسباب

أدب الجنس

حريته في حق الدين والمجتمع

للأستاذ إبراهيم محمد نجما

ما الذى نعلمه بأدب الجنس الذى نتحدث عنه فى هذا المقال ؟ .

هل نعى الأدب الذى يتحدث فيه الأديب عن الجنس الآخر حديث العاطفة الفياضة ، والحب الصادق ، مع شرف القصد ، ونبل الغاية ؟ من غير شك . . ليس ذلك ما نعلمه بهذا الأدب الذى نريد أن نقوض أركانه ، ونزيل دعائمه ، لنحفظ للدين مبادئه السامية ومثله العالية ، وللمجتمع وجهته الصالحة ، وحياته الكريمة .

إنما نعى بأدب الجنس ، ذلك الأدب الذى يكشف الغطاء ويزيح الستار ، عما ينبغى أن يكون طى الحفاء ، من صلة الرجال بالنساء ، لا يبتغى بذلك إثارة الغرائز ، وإطلاق الشهوات ، واستجلاباً للشهرة الكاذبة ، والربح الحرام .

ومما يثير الألم ، ويبعث على الأسف ، أن نرى هذا الأدب ينتشر فى هذه الأيام ، وتتسع أسواقه وتزداد ، ويقبل عليه الأدباء

وأشباه الأدباء . ليمثلوا جيوبهم بالمال من أسير الطرق ، ويجعلوا لأسمائهم البريق فى أسرع وقت ! .

وهذا اللون من الأدب لا يكلف صاحبه مشقة ، ولا يطلب منه جهداً ، فحسبه أن يعرض صوراً فاضحة ، ويصور علاقات شائنة بكلمات قد تخلت عن الذوق طلباً للإثارة ، وعبارات قد تعرت من الحياء لتلبس الوقاحة ، فحسبه أن يفعل ذلك ليكون قد كتب أدباً فى رأى نهائى الفرص الدنيئة من الناشرين وطلاب المتع الرخيصة من المراهقين ! .

ثم يأتى دور الناشر ، فيطبع الكتاب الطبعة الأنيفة ، ويحلى الغلاف بالصورة المثيرة ويفرض على القارىء الثمن الباهظ . . . وليس بعد ذلك غير الرواج الأكيد . والربح المضمون .

وليس على القارىء ليتحقق مما نقول ، إلا أن يلقى نظرة على الكتب المعروضة فى واجهات المكتبات فيجد أكثرها قصصاً

الذى ينبغي أن تسلم نظمه ومقوماته . هذه هى المشكلة ! .

وإذا كان لكل مشكلة علاج ، فماذا عسى أن يكون علاج مشكلتنا هذه ؟ فى رأينا أن خير علاج لهذه المشكلة يتضمن مقترحات عدة : أولها وأبعدها خطراً ، وأقواها أثراً ، التربية الدينية ... أجل ، التربية الدينية التى تخلق فى الشباب حسن الإدراك للأشياء ، وتعينهم على التسامى بالغرائز ، وتجعل نفوسهم من الصفاء ، وقلوبهم من النقاء ، بحيث تنأى عن كل ما يחדش الحياء ، ويخرج الفضيلة . والجهازان اللذان يشرفان على التربية الدينية فى وطننا العربى ، هما الأزهر أولاً ، ووزارة التربية بعد ذلك . وهذا الإشراف يظهر أثره فى مجالين هما : المنزل والمدرسة .

أما الأزهر فإنه يمد المجتمع بالعلماء الذين يبينون للناس تعاليم الدين ، ويمهدون لهم سبل الخير ، وبالمدرسين الذين يغرسون فى نفوس الناشئة من الجنسين ، تقوى الله ، ومحبة الفضيلة ، وبالكاتب والمجلات التى تنشر الثقافة الدينية على أوسع نطاق ، وتمتد بها إلى أبعد الآفاق . . وذلك جهد مشكور لا ينكره إلا من فى قلوبهم مرض ، وفى نفوسهم غرض ، وفى عقولهم زيغ . وأما وزارة التربية ، فقد جعلت للدين فى مدارسها منهجاً إن يكن من حيث الكيف لا بأس به ،

من قصص الجنس ، لكل قصة عنوان يفتح باب « الموضوع » ، وغلاف يمهّد الطريق للسير فيه . وليس من الضروري أن تكون صورة الغلاف قد وردت فى موضوع القصة ، فذلك أمر ليس من الأهمية بمكان ، مادامت الصورة فى ذاتها تحفز على شراء الكتاب ، وقراءة القصة ! .

وبهذه المناسبة أذكر أننى استمعت إلى مسرحية مذاعة من أحد المسارح ، ثم وجدت هذه المسرحية مطبوعة ومعرضة فى إحدى المكتبات ، فعجبت كل العجب حين رأيت على الغلاف صورة فيها من الإباحية ما يؤذى الذوق ، ويחדش الحياء ، دون أن يكون لها صلة بأحداث المسرحية ووقائعها التى استمعت إليها ، واشتريت المسرحية لأعلم حقيقة الأمر فى هذه الصور الفاضحة التى تبرز فوق أغلفة الكتب ، كما تبرز أنوار « النيون » فوق واجهات المحلات ، فما وجدت لهذه الصورة أثراً فى أحداث المسرحية ! فالمسألة إذن عند بعض الأدباء والناشرين مسألة إغراء تحشد له كل الوسائل الممكنة ، أيا كانت طبيعتها ، ومهما تكن نتائجها ، اغتصاباً للشهرة ، واستلاباً للبال ، من جانب أولئك وهؤلاء على السواء .

والجنى عليه بعد ذلك ، إنما هو الدين الذى يجب أن تصان تعاليمه ومبادئه ، والمجتمع

فإنه من حيث السكم ليس كما ينبغي أن يكون ، ثم جعلت له درساً واحداً في الأسبوع ، وقد يضيع هذا الدرس لعارض من مرض أو طارئ من عطلة ، ومن ثم تصبح دروس الدين غير وافية بما يتطلبه المنهج من الإكمال مع حسن العرض ، وجودة الشرح وضرب الأمثلة .

تدريسه كما ينبغي أن يكون التدريس ، وأن تجعل شأنه في الامتحان شأن اللغة سواء بسواء . وما أشك في أن وزارة التربية والتعليم حريصة كل الحرص على أن ينشأ هذا الجيل نشأة تجعله أقوم أخلاقاً ، وأصلح أعمالاً ، وأهدى سبيلاً ... وما أشك أيضاً في أنها تعرف حق المعرفة أن الدين هو خير الوسائل إلى هذه النشأة الكريمة الصالحة .

وأشهد - وأنا أزاول التعليم منذ سنوات أنني بالتجارب الكثيرة قد وجدت ارتباطاً وثيقاً بين التربية الدينية ، والمبادئ الأخلاقية في نفوس الطلاب ، فما رأيت طالباً تعجبني أخلاقه ، ويرضيني سلوكه ، إلا وجدت أنه قد تلقى في منزله تربية دينية صالحة ، إن لم تكن بالتعليم والتلقين ، فبالقدوة والمثال .

وأنا واثق بأننا لو هيأنا لهذا الجيل مثل هذه التربية الدينية الصالحة ، فلن نجد فيه الأديب الذي يجعل هدفه من الأدب إثارة الغرائز ، والناشر الذي يجعل غايته من النشر ابتزاز الأموال ، والقارئ الذي يجعل غرضه من القراءة إرضاء الشهوات .

وثاني هذه المقترحات : الإشراف الدقيق الحكيم على دور النشر بحيث لا يسمح للناشر بأن ينشر أى كتاب إلا بعد الاطمئنان

ثم يأتى بعد ذلك دور الامتحان في مادة الدين التي ينبغي أن تكون مادة أساسية قبل غيرها من المواد ، أو مثلها على الأقل . . . ويؤسفنى أن أقرر أن الامتحان في هذه المادة صورى في سنوات النقل ، وأن النجاح فيها مضمون ، دون جهد مبذول ، أما الشهادات فليس فيها امتحان في مادة الدين !! وقد وضعت الوزارة منهجاً جديداً للدين يدرس في الصف لأول من المرحلة الثانوية ، وهذا المنهج يكاد يكون ملائماً للغرض من حيث السكم والكسيف ، ولكن الوزارة جعلت لهذا المنهج درساً واحداً في الأسبوع مع أن دراسته تتطلب درسين إن لم يكن ثلاثة دروس ... والنتيجة ؟ . . . النتيجة هى اختصار هذا المنهج إلى النصف أو الثلث ، ليلائم الوقت ، ويوائم الدروس ! .

فهل لنا أن نطالب الوزارة بأن تجعل منهج الدين في مدارسها أوسع وأشمل بما هو الآن ، وأن تمنحه من الدروس ما يكفل

الذين يتملقون غرائز الشباب بالتبذل والتحلل
والإسفاف ، بل عليهم أن يجعلوا هذه
الكلمات تصفعهم بالأيدي وتركهم بالأقدام
ليرجعوا عن الغي والضلال ، ويشوبوا إلى
الهدى والرشاد .

إن الدعوة إلى الأدب المنحل ، لن تخلق
لنا عملاقة من أمثال الزيات والعقاد وطه
حسين والحكيم ، ولكنها سوف تخلق أقزاما
من أمثال من لا يستحقون أن ترد أسماءهم
على لسان .

وإننا نبني الآن مجتمعنا العربي على أسس
قوية ، ودعائم ثابتة . والقيم الروحية ،
والمبادئ الأخلاقية ، المستمدة من روح
الدين ، وجوهر الإيمان ، هي أقوى تلك
الأسس ، وأثبت هذه الدعائم ، فلنحارب
هذا الأدب الخليع الوضع ، فإنه دعوة سافرة
فاجرة ، إلى التحلل من مبادئ الدين ،
وقواعد الأخلاق ، وهو لذلك جريمة في حق
ديننا المنزه عن الضلال ، ومجتمعنا المتطلع
إلى السكال ، وأمتنا التي تسعى إلى الأجداد
والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

ابراهيم محمد نجما

إلى أن هذا الكتاب يخلو من كل إثارة
جنسية ، أو استهانة بالمبادئ الأخلاقية ،
وتقوم بهذا الإشراف لجان أعضاؤها من
المشهود لهم بصحة الإيمان ، وسلامة العقيدة ،
وسعة الفكر ، ووفرة الثقافة . وليس في ذلك
تقييد للفكر ، وحجر على الحرية ، كما يخيل
إلى الخادعين والمخدوعين من الدعاة إلى
الفوضى باسم التحرر ، والثائرين على التقاليد
باسم التجديد ، ولكن فيه توجيه للفكر إلى
غاياته السامية ، وفهما للحرية على وجهها
الصحيح .

وثالث المقترحات : أن ترصد الدولة جائزة
سنوية قيمة للناشر الذي يفوق غيره في كثرة
ما ينشره على الناس من أدب يهيئ لهم صفاء
القلوب ، وبقاء الأرواح ، ويملأ حياتهم
بالخير والفضيلة والمحبة . ولا شك أن هذا
يجعل الناشرين يتنافسون في تقديم الإنتاج
القيم من الفن الثمين ، والأدب الرفيع .

وأخيرا يأتي دور نقاد الأدب ، ولبعضهم
أثر كبير في الترويج لهذا الأدب المنحرف ،
والدفاع عنه ، والدعوة إليه . وإني لأطالب
هؤلاء النقاد بأن يتقوا الله في دينهم وأمتهم
وإنسانيتهم ، فلا يجعلوا كتاباتهم تصفق للأدباء

العاطفة الدينية وأثرها في الأدب العربي

للأستاذ محمد إبراهيم الجيوشي

ذلك الوتر السحري فيعلو بالنفس إلى ما تأمله من نعيم في جوار الآلهة وصحبة الأرباب . وهذا هو الأدب المصري القديم ما وصل إلينا منه ليس إلا تضرعا إلى الرب ، وتنصلا مما يكون قد بدر في الحياة الدنيا من نزوات النفس ونزغات الهوى ، فظلمت أو جارت أو اعتدت فيهم صاحبها ؛ ليعد دفاعه ، وبقيم حجته حينما تنصب الموازين ، ويقام موكب الحساب :

والأدب العربي ليس بدعا من هذه الآداب ؛ بل إن العربي بما وهب من حدة العاطفة ورهافة الحس وصفاء الوجدان أشد تأثرا بالعاطفة الدينية من غيره وأكثر انقيادا لها وتسليما . لهذا عرف الأدب العربي الشعر الديني منذ الجاهلية ، حينما عرف الله واهتدى إلى قدرته ، وأدرك عظيمته ، لما فكر في صنعه البديع ، وملكوته الذي لا يحد ، وظهر هذا الاتجاه على أسنة المتحنفين من العرب وغيرهم ممن اطلعوا على السكتب السماوية من يهودية ونصرانية . فهذا قس بن ساعدة الإيادي . خطيب يخران يشير إلى ذلك في خطبته المشهورة ، حين يقول : « ليل داج وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، إن في السماء لخبرا ، وإن

للعاطفة الدينية من قديم سلطانها على الإنسان ، وأثرها البين في تفكيره وتصوره وإحساسه ؛ ولا زال للعاطفة الدينية هذا السلطان القاهر وذلك الأثر البعيد في النفوس على الرغم من تقدم العلم وازدهار الحضارة التي قامت أسسها على العلم وتجاربه .

هذا السلطان الذي فرضته العقيدة الدينية على الإنسان كان له الأثر البين في كثير مما أنتجه من أدب وفن منذ عصور عميقة الجذور في القدم ، نرى ذلك فيما وصل إلينا من أدب الإغريق واتجاهاته .

فقد كانت العاطفة الدينية العامل الأول في نشأة المسرحيات اليونانية إذ قامت على رضى الآلهة وغضبهم ، واتخذت من معاركها أساطير ترمز إلى ما يتحكم في نظام الحياة من صراع بين الخير والشر .

وحروب الآلهة كانت الباعث الذي دفع « هوميروس » إلى أن ينسج « إلياذته » التي صور فيها الصراع الدامي بين الآلهة وأنصاف الآلهة ، ونسج خياله الخصب من أساطيرها ذلك البناء الفني الذي لا زال حتى اليوم المثل الأعلى لفن الملاحم .

ولو تتبعنا الآثار القديمة لوجدناها كلها تستقي من نبع العاطفة الدينية وتضرب على

القوى الطبيعي بأنه حر طليق لا تقيده أرض ولا تعرقل تفكيره تلك القيود والعوائق التي تحد من حريته الشخصية (١) .

غير أن ما أورده الأستاذ عمر الدسوقي غير مسلم ؛ فإن كان العربي حقاً لم يعرف نظام الهيكل ، ومنح الغفران إلا أنه لا يمكن أن نتجاهل ما كان لسكران العرب من سلطان على مصائر الناس وأظمة حياتهم ، وكتب التاريخ والأدب حافلة بأخبارهم وارتحال العرب إليهم ، وتلفق الأخبار والفصل في معضلات الأمور من أفواههم .

إلا أن الحقيقة الثابتة أن العربي لم يكن يحمل لهذه الأصنام في نفسه تقديساً وإجلالاً أو على الأقل لم يضمن شعره هذه المعاني ، بل روى عنه ما يحقرها ويزري بها ، ومن ذلك قول عمرو بن الجوح ، وقد رأى صنمه في موطن القذارة مقترنا إلى كلب .

واقه لو كنت إلها لم تكن

أنت وكلب وسط بر في قرن

أف للملأك إله مستدن

الآن فتشناك عن سوء الغبن

الحمد لله العلي ذي المنن

الواهب الرزاق ديان الدين

هو الذي أنقذني من قبل أن

أكون في ظلمة قبر مرتهن (٢)

(١) الفتوة عند العرب ص ١٠٤ — ١٠٥ .

(٢) أصداء الدين في الشعر المصري الحديث

في الأرض لعباً . . . ، والخطبة كلها من هذا النمط الذي يحاول أن يوجه الأبصار إلى ما في الأرض والسماء من آيات تذل على عظمة الخالق سبحانه وقدرته .

ولقس وغيره من المتحنفين العرب كثير من هذه المعاني الدينية التي تلقوها من أهل الكتاب في رحلاتهم وأسفارهم إلى اليمن والشام وربما كان عدم اقتناع العربي الجاهلي باستحقاق الأصنام للعبادة والتأليه دافعاً نفسياً له ألا يقدم بين يديها آيات التمجيد والحمد زلني وينسج حولها الأساطير ، وينسب لها خوارق العادات كما فعل اليوناني القديم ، وقد يكون ذلك سبباً في خلو الشعر العربي أول الجاهلية من الأهازيج والأناشيد الدينية ، ويعلل لنا الأستاذ عمر الدسوقي هذه الظاهرة فيقول : « سعة العقل ورجاحته قديمة عند العربي ؛ لأنهم أمة تعشق الحرية ، ومن العسير عليهم أن يقبلوا التحكم في عقائدهم ، .

ولهذه الحرية لم يعرف في دياناتهم الجاهلية نظام الكهنوت والعبودية للهيكل ورجاله يتحكمون في عقائدهم ، وسائر شؤونهم الدينية والدينية ، ويتوسطون بينهم وبين آلهتهم ويفرضون عليهم الجزية والطاعة العمياء ، ويمنحونهم الغفران إن أرادوا أو يطردونهم من رحمة الله إن سخطوا ، وأنى للعربي أن يقبل هذا أو مثله ، وقد ألفت نفسه الفضاء الفسيح ، وامتنلاً فزاده بهذا الإحساس

فينا فتح الشاني بشعره مع سيفه في المعارك
بين الكفر والإسلام ، ويمدح كعب النبي
صلى الله عليه وسلم في قصيدته المشهورة
« بانت سعاد ، وفيها يقول :

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة

القرآن فيها مواعظ وترتيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم
أذنب وقد كثرت في الأفاويل
إن الرسول لنور يستضاء به

مهند من سيوف الله مسلول
ويمضى الشعر الديني في طريقه حائا على الجهاد
محبيا في الغزو والشهادة طيلة الدولة الأموية .
وتظهر الفرق الإسلامية من شيعة وخوارج ،
ويكون الشعر لسانها الناطق في التعبير عن
آرائها ومعتقداتها والاحتجاج لها ، ويعرف
لكل من الفرق شعراؤه من أمثال «الكيت»
شاعر الهاشميين ، وقطرى ابن الفجاءة
وعمر بن الإطنابة من شعراء الخوارج .
وتقوم الدولة العباسية في القرن الثاني

الهجري ، وتتسع مدينة العرب ، ويغمرهم
الترف ، ويستمرى خلفاؤها وأمرؤها
النعم ، وتجري في قصورهم قصص هذه الحياة
الناعمة التي تفوق حد الخيال ، فيرتفع في هذا
الجو الغارق في الملذات الرافل في الطيبات
صوت النذير المخوف بالآخرة ، المحذر من
استمرار هذه الحياة ، ويهتف أبو العتاهية بقوله :
أنلهم — و — وأيامنا تذهب

ونلعب والموت لا يلعب

وغير ذلك كثير مما يشير إلى تحقير
الأصنام والزراية بها ، مثل : الشطر الأول
من غير البحر .

أرب يبول الثعلبان عليه

لقد ذل من بالث عليه الثعالب

فلما جاء الإسلام ، ونقى عقول العرب
من الشرك وطهر نفوسهم من الوثنية ،
وأبطل ما كانوا عليه من ضلال ، وسفه
عقائدهم ، اشتد الصراع بين الدعوة الجديدة
وبين المتمسكين بدين الجاهلية المدافعين عن
سلطانهم وجاههم إزاء هذه الدعوة الفتية التي
توشك أن تدمر ذلك السلطان المتوارث
والجاء القديم .

وخاض الشعر المعركة يدافع عن صاحب
الرسالة ويشيد بمبادئه ويهاجم أعداءه ،
ويرميهم بالضلال والكفر ، وينذرهم عاقبة
عنادهم ، ويحمل حسان اللواء ، ويدفعه
النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « قل وروح
القدس يؤيدك » ، فينشد :

إن الذرائب من فخر وإخوتهم

قد بينوا سنناً للناس تتبع

ويمدح صاحب الرسالة فيقول : —

له همم لا منتهى لكبارها

وهمة الصغرى أجل من الدهر

له راحة لو أن معشار جودها

على البركان البر أندى من البحر

ويتابعه كعب بن زهير ، وطاب راحة ،

ذلك المجد الآفل ويرثون هذه الديار التي فقدها
الإسلام ، فأشأوا القصائد الطوال يستغيثون
فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ويستهضون همهم الملوك والأمراء من المسلمين
ومن أشهر القصائد التي تنتهج هذا النهج قصيدة
أبي البقاء صالح الرندي التي يقول فيها :

لشكل شيء إذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش لإنسان
هي الأمور كما شاهدها الدول
من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبق على أحد

ولا يدوم على حال لها شأن
وانتهت هذه الظاهرة باستيلاء الفرنج على
الأندلس وانقطاع أمل المسلمين في العودة إليه .
وظلت المدائح النبوية بعد ذلك هي المتنفس
الوحيد للعاطفة الدينية في الشعر العربي ،
واتخذها الشعراء تسكاً للبديع خلال العصرين
المملوكي والتركي حتى كانت تسمى بالبديعيات
وظلت وبقيت كذلك حتى جاء العصر الحديث
وتفتحت آفاق النهضة ، وانتبه العرب من
سباتهم ، فأروا أرضهم مضيفة وسلطانهم
بأيدي سواهم من المحتلين الغاصبين ، فانطلقت
العاطفة الدينية تنطق الشعراء وتدمم بصيحات
يوقظون بها النيام .

محمد إبراهيم الجبوشي

المشرف على الشؤون الدينية بالاداعة

عجبت لذي لعب قولها
عجبت ومالي لا أعجب
وتسود المجتمع العربي ظاهرة التصوف ،
ويصبح للتصوف أصول وقواعد ولرجالها
أحوال ومقامات ، ويتناقل الناس سير
المتصوفة ويقفون عندها في دهشة وإعجاب ،
وكيف لا يعجبون من هذه النفوس الكبيرة
التي رفضت ملذات الحياة ، وركلت نعيمها
ووقفت عالية شائخة ، لا تخدعها الدنيا
ولا تستهويها زخارفها ، فتطلع الناس إلى هذه
الأنماط الفذة من البشر ، وألموا برحابها ،
ويعلموا ساحتها كما يتجه السائرون في المحيط
نحو شعاع المنارة يأبسون به من أهوال الموج
وأخطار المحيط .

وتفنى القوم أشواقهم ، وهتفوا بحبهم
لله ، وتهاكوا على أعتابه يسألونه الوصول
إلى بابه والفوز برضاه ، وينعمون بالفناء
في ذاته ، ولهم في ذلك الكثير من المنظوم
والمنثور تفيض به رسائلهم ودواوينهم .
وانتقل الشعراء إلى المدائح النبوية وراج
ذلك أيام المماليك والعثمانيين وبردة للبوصيرة
ومعارضاتها مشهورة وكذلك همزته .
واتخذ الشعر الديني في الأندلس مظهراً
جديداً أيام ملوك الطوائف ، تساقط مدنيهم
واحدة إثر الأخرى في أيدي أعدائهم من
الفرنج الذين استغلوا فرقتهم وتنازعهم ،
وظفق الشعراء ليكون هذه المدن الضائعة ،

لغويات

للأستاذ محمد علي التجار

نور العلاقات بين الدولتين :

يقال في هذا العصر: توترت العلاقات بين الدولتين أو بين البلدين إذا ضعفت الصلات بينهما ومالت إلى الانقطاع .

ويرى اليازجي في مجلة (١) الضياء أن هذه العبارة تفيد عكس المعنى المراد ؛ فإنه يقال : وتتر القوس إذا شدد وترها ، وتوتر العصب ونحوه إذا اشتد فصار مثل الوتر . فهي تدل على قوة الصلات وماتنها لا على ضعفها . والصواب أن يقال : استرخت العلاقات بينهما في هذا المعنى .

ويمكن تخريج العبارة بما يصح معه المعنى المراد . ذلك أن توتر العصب واشتداده إذا أفرط فيه يشرف به على الانقطاع ؛ وكذلك القوس إذا أفرط في شد وترها أو شك أن ينقطع الوتر .

فأما تراخي الوتر أو العصب فينأى بهما عن الانقطاع والانقصام . ويروى عن معاوية رضي الله عنه أنه قال : (٢) ، وإني

(١) المجلد ٨ ص ٣٣٨ .

(٢) انظر العقد الفريد في أوائل كتاب السلطان .

لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني . ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت . فقليل له : وكيف ذلك ؟ قال : كنت إذا مدوها أرخيتها ، وإذا أرخوها مددتها . وأيضاً فإن توتر القوس يكون ليصيب به الرامي صيداً أو عدواً . ويقال : وترت قوسي لفلان إذا آذنته بالحرب ، ويقول الشاعر :

ألم تر أنني وترت قوسي

لا بقع من كلاب بني تميم
فتوتر العلاقات بين البلدين يعني أنها مشدودة غير مسترخية ولا لينة وهي مشرقة على الانقطاع .

أكرم العالم طائناً منه :

وقع السؤال عن إعراب هذا الأسلوب . والجواب أن (كائناً) حال من (العالم) وفيه ضمير هو اسمه . و (من) نكرة موصوفة خبر (كائناً) و (كان) إن كانت تامة فهي مع فاعلها المستتر في محل نصب صفة لمن وإن كانت ناقصة فاسمها الضمير المستتر وخبرها محذوف أي كأنه ، والجملة أيضاً

صفة لمن وسأسوق نصين في هذا المقام قال الرضى في شرح الكافية : « وقولك : لأقتلنَّه كائناً من كان ، ولأفعلنَّه كائناً ما كان (كائناً) فهما حال من المفعول ، و(من) و (ما) في محل النصب على أنهما خبران لكائناً . وهما موصوفان والضمير الراجع إليهما من الصفة محذوف أى كائنه . وفي (كائناً) و (كان) ضمير راجع إلى ذى الحال ، أى كائناً أى شيء كائنه ، فترى أنه جعل (كان) ناقصة .

ويقول الصَّبَّان في كتابته على الأشموني في مبحث كان وأخواتها : «واعلم أن أقرب ما قيل في لأضربنَّه كائناً ما كان أن (ما) نكرة خبر كان ، واسمها الضمير المستتر فيها ، و (كان) تامة صفة لما ، أى لأضربنَّه حالة كونه شيئاً كان أى كائناً أى شيء . ووجد ، فهو يخالف الرضى فيجعل (كان) تامة وكلا الوجهين محتمل صحيح .

زَرار القميص - زرابر :

الزَرار لفظ عامي محرف عن الزر ، وجمع الزر أزرار ويقول الشاعر :

لا تعجبوا من بلى غلاته

قد زر أزراره على القمر

وقد تناول التحريف لفظ الزر من قديم فأهل الأندلس في عهدهم العربي السعيد تركوا

الزر واستعملوا مكانه الجميع (أزرار) وجمعوا الأزرار على أزررة . وهذا كما يقول الناس المصران للبعى الواحد ، ويجمعونه على مصارين ، وإنما المصران في اللغة جمع المصير كالكشيب والكشبان .

ويقول الزبيدي الأندلسي المتوفى سنة ٨٣٧٩ هـ في كتابه « ما تلحن فيه العامة » : « ويقولون أزرار القميص يريدون به الواحد ، ويجمعونه على أزررة . والصواب : زر القميص والجمع أزرار ، وقد ورد جمعه على أزررة في قول نزهون الغرناطية الأندلسية :

البسدر يطلع من أزرنه

والغصن يمرح من غلاته

وكان الزرار في عاميتنا نشأ من أزرار بحذف الهمزة وتحريك الزاى للابتداء بها وجعلها بزنة غراب ، وهذا كما قالوا في إحرام لكساء يلبس في الإحرام بالحج حرام ، ويعرفونه فيقولون : الحرام : لما جعلوه ككتاب ، فالزرار محرف عن أزرار المحرف عن زر . ومثل هذا كثير في ألفاظ العامة .

المِيضَة - المِيضَاة :

المِيضَة معروفة في المكان الملحق بالمسجد يعد للوضوء والطهارة للصلاة . واللفظ محرف عن المِيضَاة ، وأصلها الموضأة من

والنسيم مذكر ، فيقال : نسيم عليل
لا هليلة ، وفي الرحانة للخفاجي ٢١٥ :

يا نسيما من نحو طيبة سارى
مهدياً عطر ندها والعرار
وفيها من النثر ^(١) : « قصر معال يرد
الطرف كيلا ، ونسيم الشمال عيلا ، وفي
ص ١٩٤ :

وسرى نسيم نجد فابتسمت
له ثغور النور والكائم
وإذا كان النسيم مذكراً لا ينقاس جمعه على
النسائم ؛ فإن فعائل مخصوص بالفرد المؤنث
كما هو معروف ، وقد قال عبد الغنى النابلسي
المتوفى سنة ١١٤٣ هـ :

أحن لو مض البرق من جهة الحى
وأشفاق إن هبت على النسائم
وقد انتقد اليازجى في مجلة ^(٢) الضياء هذا
الجمع على النابلسي ، وانتقد هو بيتا قاله قبل
أن يقف على خطأ هذا الجمع ، وهو قوله :
نسائم نجد هل تحملت من نجد

إلى سوى حر الصباية والوجد
وكان من جمعه على نسائم ذهبوا فيه إلى
الريح والريح مؤنثة . ولكن مثل هذا إنما

الوضوء . فقلبت الواو ياء . وحذف العامة
الهزمة على غير قياس فقالوا : الميضة .

وهذا التحريف قديم . فقد قال الزبيدي :
« ويقولون للطهرة : ميضة وبعضهم يقول
ميضة والصواب : ميضة بالهمز ، والجمع
مواضى » .

وترى أنه فسّر الميضة بالطهرة والمطهرة
إناء يوضع فيه الماء يحمله المسافر للطهارة
وغيرها ، وتعرف بالزمزية ، فهذا أصل
وضع الميضة . وقد استعملها المولدون في
المكان الذى يهيم فيه الماء للطهارة . ويقول
المقرئى في الخطط في الكلام على جامع
ابن طولون : « وفي سنة اثنتين وتسعين
وسبعمائة جدد الرواق البحرى الملاصق
للبدنة الحاج عبيد بن محمد بن عبد الهادى
الهويدى البازدار مقدم الدولة ، وجمدد
ميضة بجانب الميضة القديمة » .

النسائم :

يكثر استعمال النسائم في جمع النسيم .
والنسيم رقة الريح وضعفها وأن تهب هبوبا
لينا ويقال أيضا للريح الضعيفة اللينة بالهبوب
ومن ثم يقال : نسيم عليل كأنه مريض
لضعفه وهذا يستجبه الناس ويستروحون له .

(١) ص ١٧٨ .

(٢) المجلة ٨ ص ٥٨١

فلما أن نحمل أطاح على طوح ؛ إذ كانت
الهمزة والتضعيف يشتركان في التعدية . وقد
ورد أيضا علوحه ، فكما جاز طوحه وطوح
به فيسعدنا أن نستعمل أطاحه وأطاح به .

ومما يذكر هنا أن العائمة تقول : فلان
يطوح أى يضطرب في مشيه ذات اليدين وذات
الشمال . وهذا المعنى جاء في اللغة ، ففي اللسان :
« وتطوح إذا ذهب وجاء في الهواء ؛ قال
ذو الرمة يصف رجلا على البعير في النوم
يتطوح أى يحىء ويذهب في الهواء :

ونشوان من كأس النعاس كأنه
بحيلين في مشطونة بتطوح
والمشطونة : البثر .

محمد علي النجار

يقبل من العرب ، فالأولى ألا يجمع على
النسائم ، وإنما قياسه النسم كالكشيب
والكشب .

أطاح به سوء خلقه :

يقال في هذه الأيام : أطاح به الشيء أى
أهلكه أو نال منه وأدخل عليه نقصا وضيا .
والذى في المعاجم أطاحه الشيء متعديا
بنفسه لا بالباء وفي القاموس : « أطاح شعره
أسقطه ، والشيء : أفناه وأذهب ، والاقيس
أن يقال : طاح به من الثلاثي ، فإنه يقال :
طاح الشيء : هلك ، نأذا قيل طاح به الشيء
قالبا للتعدية ومعناه : أطاحه ، كما يقال :
ذهب به في معنى أذهب .

على أنه ورد تطوح به في معنى أطاحه ،

(بقية المنشور على صحيفة ٦١٦)

أما بقية الحدود ، وكذلك القصاص ،
فقد اتفق الفقهاء الإسلاميون فيما بينهم على
الاكتفاء في إثباتها بشهادة شاهدين فقط .
أى أنهم اكتفوا بشهادة شاهدين فقط
لإثبات جرم السرقة ، وجرم القذف ، وجرم
الشرب ، وجرم قطع الطريق .

« للبحث بقية ،

محمد عطية راغب

ووجب إقامة حد القذف عليهم ، وإن كان
هناك رأى يذهب إلى عدم إقامة الحد عليهم
يؤدى إلى ألا يشهد أحد بالزنى خوفا من أن
يقف الرابع عن الشهادة فيحدوا بحد القذف
وبذلك تبطل الشهادة عن الزنى .
والعلة في اشتراط شهادة الأربعة من الشارع
الإسلامي في إثبات هذا الجرم هو تحقيق
معنى الستر ، إذ أن وقوف الأربعة على هذه
الفاحشة أمر نادر ، ذلك لأن الشيء كلما كثرت
شروطه قل وجوده .

الإسلام في تركيا

للدكتور جمال الدين الرمادي

كانت تركيا منذ عدة قرون أرضاً خصبة للإسلام ، وكانت اللغة العربية لغة القرآن الكريم موضع تقدير ورعاية من أهلها بيد أنها لم تلبث أن حادت شيئاً فشيئاً عن تعاليم الإسلام وشرائعه ، حتى أوشك أن يتلاشى من أرضها لولا هذه المآذن الشاخخة والقباب العالية التي تضرب في عنان السماء ، وتشهد على جهود الأولين في نشر الإسلام وإقامة الصلاة . ولولا هذه الانبعاثات الخافتة التي تتصاعد من هذه المساجد العريقة وتلهج باسم الله ورسوله ، وتشوبها لسكنة غريبة في أغلب الأحيان . وتحتاج إلى معونة هذه القلوب المؤمنة التي تنبض في الجمهورية العربية المتحدة قلب العالم الإسلامي حتى تقال من عثرتها وتنفض من كبوتها وتهتدي إلى سواء السبيل .

كانت تركيا تحاول تحقيق فكرة الجامعة الإسلامية في مستهل القرن العشرين . تلك الفكرة التي دعا إليها السيد جمال الدين الأفغاني إذ كان أول مسلم أبقن بخاطر السيطرة الغربية المنتشرة في الشرق الإسلامي وتمثل عواقبها ، فيما إذا طال عهدها ، وامتدت حياتها ، ورسخت في تراب الشرق ، وأدرك شؤم المستقبل

وما سينزل بساحة المسلمين من الغائبة الكبرى إذا لبث الشرق الإسلامي على حال مثل حاله التي كان عليها ، فهب جمال الدين يضحي نفسه ويفنى حياته في سبيل إيقاظ العالم الإسلامي وإعداده لمواجهة الخطر إذا أذنت الساعة ودق ناقوس الخطر فكان يقول والعالم النصراني على اختلاف أممه وشعوبه عرقاً وجنسية هو عدو مناهض للشرق على العموم وللإسلام على الخصوص ، فجميع الدول النصرانية متحدة معاً على ذلك الممالك الإسلامية ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً . والروح الصليبية لم تنزع كامنة في صدور النصارى كمن النار في الرماد . وروح التعصب لم تنفك حية معتلجة في قلوبهم حتى اليوم كما كانت في قلب بطرس الناسك من قبل . فالنصرانية لم يزل التعصب مستقر في عناصرها متغلغلاً في أحشائها وتمشيا في كل عرق من عروقها ، وهي أبداً ناظرة إلى الإسلام نظرة العداء والحقد والتعصب الديني الممقوت .

وبين السيد جمال الدين الأفغاني في موضع آخر سبب كره الدول النصرانية وهجومها وعدوانها على الممالك الإسلامية فقال إن هذه

المخلوع استغل منصبه تكليفة في إصدار الفتاوى الشرعية ضد الحركة ورجالها حتى آلى مصطفى كمال على نفسه أن يطيح برأس كل خليفة يحاول أن يتدخل في أمور الدولة كما اعتبر كل فكرة ترمى لسكى يكون للخليفة أى تدخل في شئون البلاد أو تعرض لشئونها الخارجية أو الداخلية خيانة عظمى. والطريف أن بعض أنصار منصب الخلافة من الذين كانوا يعتقدون بضرورة بقائه اقترحوا على الغازى مصطفى كمال المناداة بنفسه خليفة ليجمع رئاسة الدولة التركية ورئاسة المسلمين - وأخبره أحد أتباعه الوافدين من الهند أن الهيئات الإسلامية ذات العقد والحل في تلك البلاد قد وكلته بمبايعته على ذلك ولكن الغازى مصطفى كمال رفض هذه الفكرة برتها .

وأصدر مصطفى كمال أوامره بإلغاء الوزارة الشرعية ووزارة الأوقاف وربط جميع المؤسسات العلوية والمكاتب والأوقاف الخصوصية من مدارس ومعاهد بوزارة المعارف ، كما إصدار أوامره بإغلاق ما كان موجوداً من الزوايا والتكايا وحرم الاشتغال بالطرق الصوفية ، وأفقرت تبعاً لذلك كلية الإلهيات ، التي كان يدرس بها الدين الإسلامى والشرعية الإسلامية والتفسير والحديث وما إليها من علوم إسلامية .

الدول تزعم أن الأمم الإسلامية هذه إنما هى من الانحطاط والتدلى بحيث لا تستطيع أن تكون قوامه على شئون نفسها بنفسها ، وفوق جميع هذا ، فهذه الدول النصرانية عينها لم تفتأ تعمل هذا من ناحية وتتذرع بألوف الذرائع من نواح أخرى حتى بالحرب والحديد والنار ، وللقضاء على كل حركة حاولها المسلمون في بلادهم وديارهم في سبيل الإصلاح والنهضة .

وقد تلقف السلطان عبد الحميد دعوة الأفغانى وبني عليها سياسته في بناء الجامعة الإسلامية وتشيد أركانها ، وظلت هذه الدعوة تتردد نحو ثلاثين عاماً حتى خلع عبد الحميد عن الحكم . بيد أن الشيء المؤكد أن عبد الحميد لم يكن يقصد وجه الله ولا وجه الإسلام في هذه الدعوة إذ كانت دعوة من ظاهرها الرحمة ومن باطنها العذاب . فهو يتخذ من الدين ستاراً يخفى وراءه نواياه الخبيثة ومطامعه الاستبدادية . وسرعان ما كشف الشعب أمره بخلعه من الحكم .

وفي الشهور الأخيرة من عام ١٩٢٣ جرت الانتخابات في تركيا وانتخب الغازى مصطفى كمال حاكماً على تركيا ، ولم يكديتسلم مقاليد الحكم حتى فسك في إلغاء الخلافة - وقد طافت هذه الفكرة بذهنه لما قام به جيش الخلافة أثناء الثورة السكالية من دور مضاد حتى إن الخليفة

والسكوت على هذه الحال - إنما يجب أن نمد يد المعونة إلى المسلمين هناك حتى يتبصروا بأمور الدين ، ويتقنوا تعاليمه - ويتمكنوا من هذه اللغة العربية التي نزل بها هذا الكتاب المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فالمساجد التركية لا تزال تحكى عظمة الإسلام في هذه البقاع ، ويكفى أن نعرف أن بمدينة الآستانة ما يزيد عن ٤٨٠ جامعاً منها ٨٩ كنيسة حولها العثمانيون إلى مساجد ، وأشهرها جامع « أيا صوفيا » الواقع على الحضبة الأولى من هضاب استنبول - وكان هذا الجامع قبل الفتح كنيسة تعرف باسم القديسة « صوفيا » بناها قسطنطين الكبير عام ٣٦٠ م ووسعها ابنه « قونستانس » من بعده - واحترق بعضها عام ٤٠٤ م ثم رميها ثيودسيوس ثم احترقت برمتها فأعيد بناؤها على يد الإمبراطور يوستنيان الذي استخدم في بنائها ٥٢ قنطاراً من الذهب وقال في حفل تدشينها « المجد لله ، لأنه جعلني أهلاً لإتمام هذا العمل العظيم فقد غابك يا سليمان » .

ويشاء الله العليّ القدير أن ينتصر الإسلام ، ويغلب المسلمون ، ولما فتح العثمانيون الآستانة عام ١٤٥٢ م دخلها محمد الفاتح على جواده حتى إذا وطىء سجنها وحده الله تعالى وقال « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ومنذ ذلك

وأصدر الغازي مصطفى بعض القرارات الخاصة بزي علماء الدين وجعل العلامة المميزة لزيهم عمامة بيضاء وجبة سوداء ، والعلماء مخبرون في طريقة السلام داخل الأبنية أو خارجها بين رفع غطاء الرأس أو الإشارة بأيديهم غير أن تطبيق القانون في مراسم عييد الجمهورية الرسمي واجب فيجي العلماء العييد مكشوفى الرؤوس .

أما الحج إلى بيت الله الحرام فقد أصبح شبه ممنوع في عهد الغازي مصطفى كمال ، وألغى لقب « الحاج » ضمن الألقاب التي ألغيت كما منع عرض الصور التقليدية للكهبة والمدينة ومكة ، وشدد في عقاب من يطبعها أو يبيعها . وألغى الحروف العربية وأمر باستخدام الحروف اللاتينية وقال في هذا الصدد « إن لغتنا الجميلة تبرز ساطعة بالحروف الجديدة ، وإن من الضروري التخلص من إشارات لا تفهم حبست عقولنا من عصور في نطاق ضيق من حديد » .

وهكذا أساء مصطفى كمال فهم الإسلام ولغة القرآن واندفع متهوراً يحطم تلك القيم الإسلامية الكبرى دون وازع من عقل أو رادع من ضمير .

ومنذ ذلك التاريخ قل إقبال الأتراك على الإسلام - وضعت سطوة المسلمين في هذه البلاد ، بيد أننا يجب ألا نسكت أو نطيل

مذهب ، وتلاحق بالجامع مكتبة نفيسة ،
وبجواره مدفن السلطان سليم الأول وأولاده
قتلهم مراد الثانى لما تولى الملك ، وقبور
مراد الثانى وتسعة عشر من أولاده قتلهم
محمد الثالث لما تولى الملك .

ويوجد جامع « السليمانية » وقد بناه
السلطان سليمان القانونى ويشغل معظم الحضنة
الثالثة من استنبول ، وله ملحقات من
المدارس والمنائر والتكيات والأضرحة
والمسكنات والحمامات ، وقد تم بناؤه عام
١٥٦٦ م وتدلّى من القبة فى وسط الجامع
ثريا كثرية الشكل تتعلق بدائرتها المصابيح
البراقة .

ويعتبر جامع أبى أيوب من أشهر الجوامع
فى تركيا ويسميه بعضهم جامع السلطان أيوب
وهذا خطأ لأنه مقام أبى أيوب الأنصارى
أحد كبار الصحابة وكان النبى صلى الله عليه
وسلم قد نزل فى داره يوم جاء المدينة ، وكان
قد دخلها على ناقته ، فأمسك بها بعضهم ،
وطلب إليه النزول عند أهله أو غيرهم -
فقال النبى صلى الله عليه وسلم « دعوا الناقة
فإنها مأمورة » فبركت على باب أبى أيوب
والمشهور أن أبى أيوب جاء لغزو القسطنطينية
مع يزيد بن معاوية عام ٥١ هـ فمات خارج
سورها ، ودفن هناك ، وما زال قبره
مهملا حتى جاء الفتح العثمانى فبنى محمد الفاتح
(البقية على صفحة ٦٣٨)

التاريخ تحولت الكنيسة إلى مسجد ، وبنى
فيها محمد الفاتح مئذنة وبنى غيره بعده سائر
المآذن ومحمد الفاتح جميع المظاهر المخالفة
للإسلام ، إذ كانت على جدران هذا المسجد
وهو كنيسة صور لبعض القديسين والملائكة
فحما المسلمون بعضها منها وغطوا البعض الآخر
ببعض آيات من القرآن الكريم .

وعلى باطن القبة الكبرى للمسجد كتابة
بالذهب طول الحرف منها تسعة أمتار تبدأ
بالآية الكريمة « بسم الله الرحمن الرحيم » .
« الله نور السموات والأرض » الخ وتدلّى
من القبة ثريا كبيرة فيها المصابيح الكثيرة
وفى صدر الجامع المحراب وقد نقش عليه
بالذهب فى أعلاه آيات تنقش فى أكثر
المساجد مع تغيير قليل ، فى المحراب « كلاً
دخل عليها زكريا المحراب ، وتحت « لا إله
إلا الله محمد رسول الله » ، « وأن المساجد لله
فلا تدعوا مع الله أحدا » ثم « وليطوفوا
بالبيت العتيق » ثم « ونادته الملائكة وهو
قائم يصلى فى المحراب » وبين يدي المحراب
شمعتان كبيرتان على قواعد ثابتة ، وإلى جانبي
المحراب من أعلى « الله » و « محمد » و وراء
ذلك أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ،
والحسن ، والحسين ، وإلى يسار المحراب
المقصورة التى كان السلاطين يقفون فيها
للصلاة ، وإلى اليمين المنبر ، يصعد إليه بسلم

رسالة الدين وأثرها في الروح البشرية

للأستاذ عباس طه

حاسم لقيام لها بعده من طريق العلم الطبيعي نفسه لا من طريق الدين ، فقد توصل العلم إلى إحالة المادة إلى قوة أى إلى إثبات أن لا وجود لها ، وأنها عرض من أعراض القوة . ويزاول هذه العقبة السكاداء من طريق العقل الإنسانى انفتحت أمامه ساحة لا حد لها إلى عالم القوة التى هى مصدر كل موجود فى عالم الشهادة . نعم : إن زوال هذه العقبة لم يخرج العلوم من مجالها الطبيعي ، ولكن كان من آثار زوالها اتساع هذا المجال بحيث لا يتصور العقل له نهاية ، وهذا وحده كان ذا أثر بعيد فى تأديب الإنسان وردعه عن البت فيما ليس من شأنه أن يبت فيه ، وفى تشكيكه فى كل ما أسسه من الأصول العلمية ، وإعادة وضعها فى الميزان تحت ضوء النقد الصارم والتحيز الدقيق . فسقط بذلك العجب الذى كان يوهم العلماء بأنهم أدركوا حدود كل شيء . وأصبح لهم الحق فى الحكم بالوجود أو بالعدم على كل ما يعرض لهم البحث فيه ، حكماً لا يقبل المراجعة ولا يحتمل التشكك

إن فسرنا واجب الإنسان نحو ربه ، كان معنى ذلك واجبه نحو الكمال المطلق والخير المحض والمثل العليا فى كل أمر ، فإن الله جل وعز لم يكلفنا إلا بما فيه صلاحنا وفلاحنا ، وتسكليفه أيا كانت عبادات أو معاملات أو آداباً بمعناها العام ، المقصود بها تربيته تربية قوية ، وإعدادنا لرجولة صحيحة ، وإيصالنا إلى الحقائق التى ترتبط بها سعادتنا الموجودة من طريق العلم والعمل والفضيلة . مضى الزمن الذى كان يعتبر الدين فيه سخرة ، أو تقييداً للحرية الصحيحة ، أو حرماناً للنفس من مشتهياتها فى الحدود العلمية ، وهذا زمان تجلّى فيه بالدليل القاطع أن الدين حاجة أولية للروح لا معدى لها عنه . وإذا قلنا الدليل القاطع قصدنا به الدليل العلمى المؤسس على علم النفس . ولا يتسع المجال الآن لبيان ذلك على وجه يوفى بالحاجة العقلية من كل نواحي هذا الأمر الجمل ، ولكنى أستطيع أن أقول على عجل : إن الفلسفة المادية التى حاولت فى خلال قرون ثلاثة أن تقطع كل صلة بين الإنسان وما فوق المادة ، قد منبت بفشل

يقول قائل : وما تأثير كل هذا في تقوية عاطفة الدين ؟

نقول له : في ذلك أبلغ تأثير ، فإنه بعد أن كانت المادة تعتبر مبدأ ومرجعا لكل مخلوق ، انتقل هذا السلطان للقوة ، وعالم القوى أرفع من عالم المادة بما لا يقدر ، ونواميسه أعلى وأعم بقدر هذا التفاوت بينهما والمحتملات التي تنشأ من هذا الانتقال لا تقف عن حد ، وإذا أردت أن تقف على مبلغ التحول الذى طرأ على مذاهب العلماء من حدوث هذا الاكتشاف ، فأليك على عجل : قال الدكتور (فيلبون) فى مجلة (العلم والحياة) ص ٤٥١ سنة ١٩١٧ :

« لقد حلت كلمة (القوة) محل كلمة (المادة) فما يدرينا هل تحل كلمة (روح) محل كلمة قوة ؟ وهذه المسألة المحيرة لا تزال سرا من أسرار المستقبل . »

وقال العلامة (جوستاف لوبون) فى كتابه تحول المادة :

« دامت العقيدة فى صحة المقررات الكبرى للعلم العصرى حافظة لقوتها إلى أن حدثت فى الأيام الأخيرة مكتشفات غير منتظرة قضت على العلم العصرى أن يكابد من الشكوك ما كان يعتقد أنه قد تخلص منه نهائيا ، فإن الصرح العلمى الذى كان لا يرى صدوعه

إلا عدد قليل من العقول العالية قد تزعزع فجأة بشدة عظيمة . وصارت المتناقضات والمحاولات الكافية فيه ظاهرة للعيان بعد أن كانت من الخفاء بحيث لا تبلغها الظنون ، فأدرك الناس على عجل أنهم كانوا مخدوعين ، وأسرعوا يتساءلون : هل الأصول المسكونة للمقررات اليقينية لمعارفنا الطبيعية لم تكن إلا فروضا واهية تحجب تحت غشاها جهلا لا يسبر له غور ، ؟

ثم نقل الأستاذ (جوستاف لوبون) قول العلامة الرياضى (لوسيان بوانكاريه) وهو : « لا توجد لدينا نظريات كبرى الآن يمكن قبولها قبولا تاما ، ويجمع المجهربون عليها إجماعا عاما ، بل يسود اليوم عالم العلوم الطبيعية نوع من الفوضى . »

وعقب عليه الأستاذ (جوستاف لوبون) بقوله : « من حسن الحظ أنه لا شيء أكثر ملاءمة للترقى العلمى من هذه الفوضى ، فالوجود مفعم بمجهولات لا نراها ، والحجاب الذى يحجبها عنا منسوج غالبا من الآراء الضالة ، أو الناقصة التى توجبها علينا تقاليد العلم الرسمى ، فلا يمكن الإقدام على خطوة للأمام إلا بعد أن تتفكك عرى الآراء السابقة . »

نقول : يظهر مما قدمناه أن تأثير سقوط صرح المادة كان بليغا إلى أقصى ما يمكن تخيله

روحية تتميز بعضها عن بعض ، أو أنه كائن واحد عام لا يقبل الانقسام ومستمر على الدوام ، وأنه العلة والمعلول العام ؟
نقول : إن أثر تدهور الصرح المادى كان بعيداً ، وقد حلت الروح محلها فى التعليقات العلية الطبيعية كما ترى ، فهل بعد هذا إهابة بالعاطفة الدينية إلى اليقظة والعمل فيما خلقت له ؟.

الإنسان يتألف من جسد وروح ، ولكل منهما مطالب ، فكما يألم الجسد إن قطع عنه المدد المادى . كذلك تألم الروح إن قطع عنها المدد الروحانى . وحرمان الجسد من مقوماته يفضى إلى تعطل وظائفه وإلى تحلله ، وحرمان الروح من مقوماتها يؤدى إلى الخيولة بين إشرافاتها وبين صاحبها وفى تلك الخيولة كل ما يتخيل من اضطراب النفس ، وفساد القلب ، وغلظ الشعور ، والسقوط إلى الحيوانية البحتة ، بل إلى ما هو أسفل منها . فتجد المبتلى بهذا الحرمان من المدد الروحانى يستسيغ ارتكاب القبائح ، ومقارفة الدنايا والانغماس فى الخسائس ، والخوض فى المقاذر ظناً منه أن فى هذه الإباحة الجنونية سكناً لنفسه الجائعة ، ومتنسماً لقلبه المحترق ، ولكنه لا يزداد إلا هلعاً على هلع ، ولا يزال يعالج هذه النيران المستعرة فى باطنه حتى ينتهى أمله ، ويذهب إلى حيث يذهب التائهون .

وثمرة هذا الهدم فى مصلحة الروح من كل وجه . هذا ما يبدو صريحاً من أقوال أقطاب العلم ، فقد جاء فى دائرة معارف القرن العشرين الفرنسية تحت كلمة (مادة) بعد أن عرضت جميع المذاهب ما يأتى :

« على هذا لجميع الفروض التى فرضت لأن تعجز عن حل تناقضاتها الذاتية ولا تنطبق على الحوادث فماذا نستنتج من هذه الحال غير أن مدركاتنا العلية عن المادة ، وهى متفاوت فى صلاحيتها كوسائل للترتيب والتحليل ، لا نستطيع أن نزعم أنها الحقيقة المطلقة . وهذه الفروض باعتبار أنها لا وظيفة لها إلا تسهيل وتعميم صفات وعلاقات الظواهر المحسوسة ، لا يمكن أن تكون حتماً إلا رمزية وخداعة كهذه الظواهر نفسها . »
ثم ختمت الدائرة الفرنسية هذا الفصل بقولها :

« وعلى هذا فلو صرفنا النظر عن المذهب اللاإرادى الذى هو عبارة عن رفض أى محاولة لتفسير الحوادث ، فإن المذهب الذى يذهب إليه علماء العلل الأولية هو : أن المادة باعتبار أصلها تنحل - كما فكر فى ذلك (لبتز) - إلى وجود روحانى ، طبيعته كطبيعة الوجود الذى يتجلى لوجداننا ، والمسألة التى تبقى بعد ذلك غير محققة هى أن نعرف : هل الوجود مؤلف من ذرات

ماذا تتطلب أعصى العقول على الدين بعد أن ألقى الإلحاد سلاحه كما يرى على رموس الأشهاد ؟ وماذا تنتظر أن نرى من أعلام الحق بعد أن صرح العلم بأن المادة تنتهى إلى روح ، وأن الروح هى أصل الخلق ومنتهاه ؟ .

فلم تنتقد أنفسنا من سيادة المادة علينا ، لا باحتقارها ولا بالهرب منها ، ولكن بإخضاعها لسلطان الروح حتى لا تطغى علينا فتقودنا من شہواتنا إلى حيث نفقدنا كرامة (بقية المنشور على صفحة ٦٣٤)

الإنسانية ، وشرف العمل على إقامة دولة المدنية الفاضلة فى الأرض . عمل الإنسان لإقامة دولة الروح هو فى الحقيقة خدمة لنفسه والإنسانية وللعلم والبلدية . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ، فإن الله غنى عن العالمين . فإن كلفنا الله بطاعته فإنما يكلفنا بما يحيننا ويرقينا ويشرفنا ، ويتناسب وغرائزنا الفطرية . ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون .

عباس ط

(بقية المنشور على صفحة ٦٣٤)

على قبره مقاما ، وشيد بجانبه جامعاً ، وجعل أن لا يتولى سلطان عثمانى إلا تقلد سيف عثمان رسمياً فى جامع أبى أيوب ، ويقع الجامع وسط منطقة محفوفة بالأشجار والمنازل ، وقبة الجامع قائمة على ستة أعمدة وكتب على الباب الخارجى للجامع بحروف كبيرة « دعوا الناقة فإنها مأمورة ، فبركت على باب أبى أيوب ، ويجل الضريح بالمخمل الأسود المطرز بالذهب . وعليه آيات وأدعية ، وحول الضريح وراء الشبكة الفضية وعند قاعدته مساند من الخشب عليها مصاحف خطية ، كل منها ملفوف بجوخ أخضر . وإذا كان جامع السلمانية يمتاز بالمتانة فإن هنالك جامعاً آخر يمتاز بالزخرفة واللطافة

يسمى جامع « السلطان أحمد » الذى بناه عام ١٠٢٦ بالقرب من « أتميدان » وهى البلد التى قتل فيها الانكشارية ، ويمتاز عن سائر المساجد بكثرة مآذنه فإنها ستة ، وسائر المساجد لا تزيد منائرهما على أربع ، ومساحة المسجد نحو مساحة جامع السلمانية . ويوجد هناك (مسجد نورى عثمانية) وغير ذلك من المساجد التى تمتاز بالفخامة والضخامة . وفى حاجة إلى علماء دارسين ، ووعاظ قادرين وقراء مقتدرين ، وليس معنى هذا أن الأتراك لا يدركون حقيقة أمور دينهم بل هناك مئات قادرة من العلماء قد تمكنتم من أمور الدين تمكننا عظماء يدعو إلى العجب والإعجاب حقاً ؟

دكتور جمال الدين الرمادى

مَائِقَاتُ الْعَمَلِ فِي السَّيِّئَاتِ

ديانات العالم السبع العظمى

للأستاذ عباس محمود العقاد

معترك الخصومات السياسية والمذهبية التي تثير العداء له في كثير من علاقاته بالدول والشعوب .

وأطيب ما في تلك الفصول من هذه الوصية أن كاتبها يورد الاعتراضات الشائعة عن الدين الإسلامي ويرد عليها أحيانا بما ينقضا ويحلو حقيقتها ، ويوفق إلى رأى الصواب في معظم أقواله .

بدأ بقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم : إنه لا يسمى نفسه المخلص ولا يقول : إنه المسيح المنتظر ، ولكنه بشر يبلغ الناس رسالته الإلهية ، وليس في نشأة هذا الدين غموض ولا مجال للخبط بالظنون ؛ لأنه انبثق في ضحوة التاريخ الساطعة وانتشر بين أمم الأرض بقوة الإعصار ، وسر انتشاره ودوامه أنه عقيدة سهلة واضحة متمكنة فيما تثبته للناس من أصول الإيمان ، وهو أكثر من دين شعائر وعبادات ،

أخرى بهذا الكتاب أن يسمى معرضا دينا على الورق ؛ لأنه يجمع أكثر من خمسين ومائتي صورة فنية لمناسك الأديان في أنحاء العالم ، حيث يقيم أتباع الديانات السبع المشهورة : وهى البرهمية والبوذية ديانتا أهل الهند ، والطاوية والكنفوشية ديانتا أهل الصين ، والإسلام والمسيحية واليهودية .

ألف الكتاب لمجلة الحياة (Life) المصورة طائفة من المتخصصين للباحث الدينية تناول كل منهم البحث في ديانة يدرسها ويطلع على مراجعها ، واستغرقت بحوثهم أكثر من سنتين زيدت عليها تقييحات وتصحيحات استغرقت بضعة أشهر ، ثم ظهر الكتاب أخيراً على صورة طيبة في شكله وموضوعه وجاءت فصوله التي كتبت عن الإسلام على أطيب ما ينتظر من الباحث غير المسلم حين يتصدى لكتابة عن هذا الدين وأهله في

بهداية الأفكار التي بثها الإمام الغزالي - وهو عمقري ديني ولد بإحدى قرى فارس سنة ١٠٥٨ ميلادية - ويحسبه المسلمون اليوم في عداد الأولياء القديسين ؛ ويبلغ عدد المتصوفة بين المسلمين نحو ثلاثة في المائة ينتمون إلى طرق متعددة مختلفة الدرجات ، ثم وصف الكاتب أذكار بعض الدراويش المنتسبين إلى الصوفية بصفات منكرة ، يشاركه في إنكارها جملة المسلمين ، ولكنه عاد بأكثر التقاليد الصوفية إلى العادات المستعارة من غير المسلمين .

واستطرد إلى التبشير بالدين الإسلامي بين غير المسلمين فقال : « إن الإسلام ، إلى زمن متأخر ، لم يكن له جماعات منظمة للتبشير ، لأن هذا الدين الذي جعل المسلم في غنى عن الوساطة بينه وبين ربه قد جعله كذلك داعياً إلى دينه حيث كان وإن لم تكن له جماعة ينتمى إليها ويتقيد بنظامها لنشر الدعوة ، إلا أن الدلائل تشير إلى عناية حديثة من جانب المسلمين بأنظمة التبشير المسيحية ، وقد أصبح الجامع الأزهر - ذلك المعقل الثقافي الذي صمد للتيارات الغربية وحال بين مؤثراتها وبين العالم الإسلامي - ينشط الآن

لتدريب فئة قليلة من أبنائه كل سنة للعمل في هذا الميدان ، ولاحت علامات النشاط لهذا العمل من جانب بعض النحل المتشعبة

لأنه إلى جانب ذلك ، أدب حياة وشريعة سلوك تنظم معيشة الإنسان على مثال لا نظير له في الحضارة الغربية .

ومن أسباب قوة هذا الدين أنه عند اتباعه الكلمة الأخيرة من وحى الله ، وهو يتقبل الديانات الكتابية التي سبقته ولكنه يعلم أتباعه أنها اجتمعت صحيحة خالصة من الحواشي والأوشاب في آيات القرآن ، ولم ينشئ القرآن كهانة ولا مراسم هيكلية تلجئ المسلم إلى وساطة زمرة من الأحبار والرؤساء ؛ لأن فرائضه المعروفة الواضحة مما يؤديه كل مسلم بينه وبين الله بغير حاجة إلى الوسطاء .

يقول كاتب فصول الإسلام في الكتاب : « إن بعض عادات العرف في البلاد الإسلامية تحسب من دلائل الرجعية عند الغربيين ، ولكن النبي نفسه رفع شأن المرأة ولم تكن قيودها الثقيلة مما يفرضه القرآن ، وإنما جاءت من توليدات بعض المتأولين في عصور النكسة والوجود ، وقد أنكر الإسلام وأد البنات ووضع الحدود لتعدد الزوجات بعد أن كان مستباحاً في أيام الجاهلية بغير حدود .

وتكلم المؤلف عن نحل الصوفية فأشار إلى بعض نحلها التي يعترض عليها أهل السنة ثم قال : « إن الصوفية انتعشت واستقامت

من شعور القلق من جراء الاحتكاك الدائم بالحضارة الغربية وقدما كان المسلمون يقابلون الحضارات المخالفة بقلة الاكتراث حيناً وبالنفور حيناً وبالانطواء في جملة الأحيان أما في الآونة الحاضرة — فالإسلام مجتهد في التوفيق بينه وبين مستحدثات الحضارة — ولا يجمد على القديم المفقود غير العدد الزر من المتعصبين المتشبهين بالتقاليد المهجورة ، وبين الفريقين طائفة ثالثة ترى أن إحياء الإسلام من داخله عمل مستطاع للوقوف حيال الغرب وموقف الأنداد الأكفاء ، متعاونين على شرعة التعاون والاستقلال . . .

ويعرض المؤلف بعد ذلك للدور المنتظر من الإسلام بين الديمقراطية والشيوعية ، لأنه وسط في الموقع ووسط في العقيدة ووسط في المصلحة بين المعسكرين ، ثم يؤكد قيام الفوارق بين مبادئ الثقافة الإسلامية ومبادئ الديمقراطية ، ولكنه يخطط في تقديره فيخيل إليه أن المسلم غير بعيد من الشيوعية إذا عز عليه أن يجد في الديمقراطية رضاه .

ويختتم كلمته عن الدعوة الإسلامية بقوله : ولا ريب أن الوجهة التي سيتجه إليها الإسلام سيكون لها أثرها العميق في مصير العالم الإنساني ، وتتوقف هذه الوجهة على مقدار

في الإسلام . ومنها نخلة الأحمدية التي تبعث الرسل إلى أوربة والشرق الأقصى وأقطار إفريقيا الشرقية . .

قال الكاتب : « إن في القارة الإفريقية اليوم نحو ستين مليون مسلم من نيف ومائتي مليون عدة أبناء القارة وإذا تراحم المبشرون من المسلمين والمسيحيين كسب التبشير الإسلامي عشرة كلما كسب التبشير المسيحي واحداً من الوثنيين ، ويشيع بين سكان إفريقيا الغربية — ولا سيما نيجيريا — أن الإسلام دين الرجل الأسود ، وأن المسيحية دين الرجل الأبيض ، وأجدر من ذلك بالاتفات أن المسلمين في الهند وباكستان حيث تزيد عدتهم على عدة إخوانهم في كل مكان آخر قد تحول أكثرهم عن العقيدة التي تقضى بنزله بعض الطوائف إلى العقيدة التي تبسط سنة المساواة بين جميع المؤمنين ، وهناك علامات شتى على أن الإسلام يتحرك من سباته الطويل ، ففي كل أمة إسلامية دعوة إلى إحياء الإسلام سياسياً وروحياً وثقافياً بمختلف الأساليب ، وقد أعيد بناء مئات من المساجد في البلاد التركية بعد مصادرة أماناتورك للتحاليم الدينية وزادت نسبة الطلبة الدينيين في إيران بمقدار أربعين في المائة بين سنة ١٩٥١ وسنة ١٩٥٥ ، وتراءى في إفريقيا الشمالية علامات من هذا القبيل ، ولا يخلو بلد بين بلاد المسلمين اليوم

تخفى على أناس من المقلدين بين أتباع هذا الدين ، فلا يزال هذا المؤلف وغيره ممن يحسنون القول في الإسلام إجمالاً يتوهمون أن النعيم الموعود لا يعدو أن يكون ألواناً من لذات الحس ومتعة من متع الطعام والشراب ، ثم يتوهمون أن الإسلام قد انفرد بتصوير النعيم على هذه الصورة بين الأديان الكتابية ، ويتناسون أوصاف الكتب الأخرى من القرون الأولى إلى ما بعد القرون الوسطى لكل متاع موعود في عالم الجزاء والثواب ، وقد يابون أن يفهموا أن الإجماع منعقد بين العارفين بالكتاب على اختلاف الصفات والموصوفات بين الدنيا والآخرة ، ولكنهم سواء وقفوا بالفهم دون معنى التنزيه الواجب ؛ لأنهم يحملون أولاً أنهم يستنrichون إلى المعنى القريب المبذول - قد بلغوا طاعتهم من إحسان النية وإحسان المقال .

عباسي محمود العقاد

نجاح المسلمين في التوفيق بين عقيدتهم ومقتضيات الزمن والتاريخ ، ومن ثم يدرك المسلمون أن قضيتهم العظمى هي قضية العقيدة الروحية ويذكرون كلمة النبي حين قال لأصحابه بعد مرجعهم من إحدى الوقائع : إنهم عادوا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، وهو جهاد الضمير .

وبلى هذا الفصل عن الدعوة صفحات من ترجمة القرآن الكريم ، يخصصها الناقل للسور والآيات التي تعرف القراء الأوربيين بأداب الكتاب ووصاياه المميزة له بين وصايا الأديان الكتابية ، ويغلب عليه في جملة ما ينقله أن ينحو بالمقارنة بينها جميعاً منحي الإنصاف ولا يعتمد فيها أن يستر الشواهد للإيحاء بالمغازم والشبهات .

إلا أننا نترقب كثيراً ونغلو في الثقة بفهم القوم لحقائق هذا الدين إذا ترقبنا من منصفهم أن يصبحوا مسلمين متخرجين في تنزيه العقائد الإسلامية عن المظان التي قد

فضيلة الصمت

سأل رجل عمر بن عبدالعزيز قائلاً : متى أتكلم ؟ فقال له الخليفة : متى انتهيت أن تصمت . قال الرجل : فمتى أصمت ؟ قال عمر : إذا انتهيت أن تتكلم .

هذا كلام حكيم . فإن الرجل متى أحب أن يتكلم واندفع في القول جمع إلى بعض الصواب كثيراً من الخطأ ، ولكنه إذا انتهى أن يصمت ثم تكلم اقتصر على قول ما يجب قوله ، فلم يقع في الخطأ .

تحية الضيف العظيم رئيس جمهورية باكستان

للاستاذ على الجندى

رق مدحى كأنه أشليبُ
وكأين من الرجال لهم سحرُ
وجمالُ الوجوه . أجلُ منه
ولأيوب - صاف ربي أيو
شغقتني حيا على السمع والسمعُ
تعشق الأذنُ مثلها تعشق العينُ
ثم إنى ملأت عيني منه
وعرفناه مخبراً فعرفنا
قلت للشعر : قد وجدت مكانا
فترنم ما شئت لا لوم فيما
إنما الشعرُ - حين يصدق - وحى
فأجاب القريضُ فوق مدحى
رمت تقليده عقود ثنائى
المعلّى خلايقا والمعنّى
عزّ بأساً ورقّ نفساً وطبعاً
وهو بالجد والسيادة كاس
أحكته إلى المدى تجرباتُ
ومن الدهر منبرٌ منه تلقى
جامع الحسينين : عزم المواضى
فوق عرينه سمات من الثّيل
وأخو الصبر فى عراك العوادي
والمسمى من اسمه مُستفيدُ

ومدحُ الأحباب عندى نسيب
كبا دونه الغزالُ الريب
خلق طاهرُ نأته العيوب
ب - خلالُ تصبو إليها اللوب
طريق إلى الهوى ملحوب
كذا قرر الحكيم اللبيب
فاستوى فيه مشهد ومغيب
ملكاً عنصراه : حُسن وطيب
فيه يحلو الإنشادُ والنطريب
تغنى به ولا تثرىب
من سماء علوية مجلوب
عبقرى فذُ الصفات أريب
فثنائى جلاله المرهوب
بالمعالى ، والقائدُ الموهوب
فوسيفُ غضبُ وزهر رطيب
وهو من وصمة العيوب سليب
عائيات وضرسته الحروب
بالغات العظمت والتهذيب
وندى الغيث . والسكّالُ ضروب
بها يُعرف الأغر النجيب
وإلى الصبر ينتمى أيوب
وله منه سُهمة ونصيب

ساس شعبيه بالكياسة والحز
وتولى بالود جيرانه الأذنين
م فلم يبق فيهما مُستريب
فاخضوضر الصفاءُ الجديب
دولة شادها د نجاحٌ ، لها العزُّ*
ورآها د إقبالٌ ، في عالم الحلم*
فتغنى بها وغنى لها لحنا*
فرسا أصلها وطال لها فز
وأناها فعزها ورعاها
بعد ما عاث فوقها الشُّهر وردُّى
كان إلْبساً مع الخطوب علينا
لم يَزعه دينٌ ولا عطفته
فرماه من حالق الحُكم شعبٌ
من سُيوف الإسلام للسمح البيض
ملك الدين لبته وهواه
سأه أن يرى الأخوة في الدين
ألفت يبتنا أوامر شتى
إخوة ما وادنا حين بُنديه
إخوة كلنا إلى الشرق يُعزى
إخوة في السلاح . فينا كُلوُم
كم ليالٍ مرت علينا طوال
تنزى في قبضة الظلم . والظلم
خيرنا للغريب يعرف منه
إن بكى النيلُ شجوه فزع السندُ
لم نزل نرتمي على النار حتى
رحل المعتدون عنا وعنكم
غالبونا على حمانا - فلم نُغلب -

ع على النجم ذيلُه مسحوب
وحمها د أيوبها ، المحبوب
فسادا والشهر وردُّى ذيب (١)
حين حطت على حمانا الخطوب
د بور سعيد ، وثغرُها مخضوب
عربيُّ الهوى مُحِبُّ حبیب
من أرضه جنابٌ خصيب
فهو إن يدعه سميع مجيب
وفي الشرق جبلها مقضوب
ليس يرقى إلى سناها الغروب
مريبٌ ولا الولاء مشوب
وإلى دين أحمد منسوب
من قراع العدا وفينا ندوب
فجرُها عن عيوننا محبوب
علينا رواقه مضروب
بيديه وحقنا مغضوب
إليه ودمعه مسكوب
باخ منها لحيها المشبوب
وطوى رحله الزمان العصيب
ومن غالب الهدى مغلوب

(١) كان السهروردي رئيساً لوزراء الباكستان وقت العدوان الثلاثي فخذلنا وقد انتقم الله منه

فزع به في السجن بعد ثورة أيوب خان واتهم بالرشوة .

ومضى أشعبُ المطامع مقمو
وحنا الليثُ رأسه في خُشوع
لا ينالُ الحقوقَ من نامَ عنها
والأمانى عرائسُ مهرها غا
كتب الله أن يعزَّ ويرقى
كلُّ شعبٍ في الثنائيات صليب

* * *

يا أخوا الموطن الطهور لك الإجلا
لست ضيفاً على العروبة لكن
ود جمال ، يُضيفك ودَّ شقيق
فارسُ السلم والنزال الملقى
رُزق البسطين جسماً وعقلا
همّة في عزيمة في قضاء
وهو غيثٌ لقومه وغياثٌ
ذوقنوني في حكمه وابتكار
رائدٌ شامت العروبة منه
وتلافي به الإله حمانا
قد عزنا به وكُننا نهابا
حاش لله أن تضيع بلادٌ

* * *

فأبقيا للعُلا . ودوما على الود
وانصرا السلم على من يطلبُ الحر
واحدرا الخضم أن يدب إلينا
ذو اقتدار على الأذى وله كيدٌ
بارك الله في جمال وأيو
فبالود شمسنا لا تغيب
بُ إلى الرشد والصواب يثوب
فهو أفعى . وللأفاعى ديب
وفخ من حولنا منصوب
بَ وحيتهما الصبَا والجنوب

على الجندى

عميد كلية دار العلوم السابق

الكتاب

نقد وتعرّيف

المؤلف: شاذ محمد عبد الله السمان

١ - اللع :

لأبي نصر السراج الطوسي المتوفى عام ٥٣٧٨ هـ هذا الكتاب من التراث الصوفي ، قام بتحقيقه الأستاذان : الدكتور عبد الحليم محمود أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين ، والأستاذ طه عبد الباقي سرور .

ذكر المحققان في تقديمهما للكتاب ومؤلفه : « أن مدرسة الجنيد الصوفية في بغداد ، كانت تقابلها هناك في نيسابور مدرسة أبي نصر السراج الطوسي ، وكلا المدرستين اعتصمت بالكتاب والسنة ، واتخذت من سيد المرسلين إماماً وقدوة ، وجعلت من أشواق الحب الإلهي ومن إلهامات الروح القرآني ومن مثاليات الخلق المحمدي منهجا في المعرفة ، وطريقا في السلوك ... » .

كما ذكرنا أن كتاب اللع قد رسم المبادئ الصوفية النقية ، وقد استهدف في كل حرف

فيه ، غاية قصد إليها ، وحرص عليها ، وقد كان مؤلفه فيه العالم النفساني والحكيم الرباني ، وهو مبصر ببصيرة علوية يتسلل بها إلى خفايا الصدور ، وخفقات القلوب ، كما يتسلل إلى دقائق المعرفة ورقائق الذوق . أما الكتاب فهو عرض للتصوف والمتصوفين ، والأحوال والمقامات ، وأهل الصفوة ، وآداب المتصوفة ، والسباع والوجد والكرامات ، ثم دفاع عن الشطحات الصوفية . والكتاب كمعظم الكتب الصوفية ، لا تخلو من اهتزازات في التفكير ، وتكلف في التأويل ، وشطط في المعاني ، فللصوفية مستنبطات في علوم مشكلة على فهم الفقهاء والعلماء . . والعلم المستنبط هو علم الباطن ، وهو وقف على الصوفية ، كما أنه أهم من علم الظاهر وهو الشريعة . كما يزعم المؤلف .

وليس المجال مجال تعداد لما تضمنه الكتاب من شطحات لا يقرها الشرع ، ولكن الذي أثار عجب أن الأستاذين المحققين

يحتاج إلى كثير من الجهد الذي يمتزج
بالإنصاف والنزاهة .

٢ - صبر الخاطر :

للإمام ابن الجوزي .

ضبط هذا الكتاب وحققه الشيخ محمد الغزالي :
وابن الجوزي ليس في حاجة إلى تعريف فهو
من العلماء القلائل ، الذين أسدوا إلى الفكر
الإسلامي زاداً طيباً خالصاً من الثقافة العالية .
والكتاب كما يقول الشيخ الغزالي في تقديم
له : طراز فريد في الأدب الديني . . وبحث
نفسى يتسم بصديق الفكرة وحسن البيان ،
ويستعرض من قضايا السلوك الإنساني والتأمل
الوجداني ما لا تبلى جدته ، أو ينتهى أمده .
والحق أن ابن الجوزي المتوفى عام ٥١٠ هـ
من وهب الله لم القدرة على مخاطبة الجماهير ،
وتقصي أمراض المجتمع لعلاجها . والجرأة
في مواقف تستلزمها لتوازر الحق .

تناول الكتاب ٣٧٣ موضوعاً ، دينياً
 واجتماعياً ونفسياً ، وإنسانياً ، ولم يغلب على
ابن الجوزي في تناوله لهذه الموضوعات الطابع
الإنشائي ، بل ناقش وجدل ، وأيد منطقته
بالقرآن وصحيح السنة ، والمعتمد من أقوال
السلف الصالح . وإن كان الأسلوب الوعظي
قد بدأ واضحا .

ولقد تعقب الأفكار الصوفية المنحرفة ،
تعقبا عنيفا فاسيا لا هوادة فيه ، وماذا كان يفعل

يذكران في مقدمتهما من مناقب المؤلف ،
أنه وفد في رمضان إلى بغداد ، فأفردت له
غرفة خاصة في جامع « الشونيزية » ، وكان
الخادم يحضر له رغيفا كل ليلة ، فيضعه في
غرفته ، وفي يوم العيد وكان السراج قد رحل ،
وجد الخادم الثلاثين رغيفا دون أن تمس ١٠٠ .
ولنا وقفة سريعة مع الأستاذين المحققين ،
فالذي يعد من حسناتهما ، أنهما قد قدما
طبعة جديدة كاملة للكتاب ، حيث كان
في طبعة المستشرق الانجليزي نيسكلسون
الأوربية قسم مفقود ، وبهذا نشر الكتاب
كاملا لأول مرة .

ولكن كنا نود أن يكون لمجهودهما أثر
أكبر في تحقيقيهما للكتاب ، فكل ما في
الكتاب تخريج لما تضمنه من أحاديث
نبوية ، قد اضطلع بها شيخ الطريقة التيجانية
السيد محمد الحافظ التيجاني ، الذي بذل جهدا
مشكورا ، غير أنه لم يذكر درجة بعض
الاحاديث ، ومنها ما بلغ درجة المنكر ،
كحديث علي : علني رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك أحداً غيري .
وكنا ننتظر من الأستاذين أن يعنينا
بتحقيق موجز لأعلام الكتاب ، ومناقشة
منصفة لما تضمنه من شطحات وألا يقبسا
قيمة كتاب صوفي بتركية بعض المتصوفين له ،
فهذا الجانب القلق من الفكر الإسلامي

٣ - دعوة الإسلام :

لفضيلة الشيخ سيد سابق .

هذا كتاب جديد جاء في أربعة أبواب هي :
مصادر دعوة الإسلام :

الوحي - معجزة الإسلام - القرآن - السنة .
فسر الوحي وأنواعه تفسيراً طيباً ، وذكر
أنه جاء ليحل مشكلات أعضلت الناس قديماً
وحديثاً ، منها ما يتعلق بالعقيدة ، ومنها
ما يتعلق بالمجتمع والإنسان والحياة .

ثم ذكر أن الوحي (أى القرآن) هو معجزة
الإسلام الكبرى ، فالآيات الحسية كانت
صالحة يوم أن كان العقل البشرى فى الطور
الذى لم يبلغ فيه الرشد بعد ، أما وقد بدأ
الإنسان يدخل فى سن الرشد ، وبدأت الحياة
العقلية تأخذ طريقها إلى الظهور ، لم تعد الآيات
الحسية هى الأدلة الوحيدة على صدق الرسالة .
وعرض فضيلته القرآن كنهجاً للتربية بشئى
ألوانها ، والسنة كصدر - يأتى بعد القرآن -
للتشريع الإسلامى ، وروابط المجتمع
فى صورها المتعددة ، تثبت بناءه ، وتدعمه ،
وتصونه من عواصف الشر .

حين تعرض المؤلف للقرآن كمعجزة كبرى
للإسلام ، كان فضيلته مناقشاً منطقياً على مستوى
أعلى ، وكنا نود أن يسير إلى النهاية فى بحوثه ،
لولا أنه قدم لنا موضوعات تكاد تكون
مرتبطة فحسب ، بالعناصر الرئيسية التى
اختارها لكتابه ، ومستقلة استقلالاً ذاتياً
من الداخل . .

غير هذا ، وقد سبقه أبو نعيم فى حلية الأولياء
والقشيري فى رسالته ، والشعراني فى طبقانه ،
فأساءوا إلى الإسلام بما قصوه من أحوال
الصوفيين ، وانضم إليهم أيضاً الطوسى فى
لمعه . وهوى ذكر لنا أن أحد الصوفيين تزوج
وظلت زوجته معه ثلاثين عاماً وهى عذراء
لم تنفض بكارتها ، وإخوانه يقصون علينا ، أن
عطاء السلى من المتصوفين قضى أربعين عاماً
على سريره لم يغادره من شدة خوفه من الله ؟؟ .

ولنا كلمة مع الشيخ الغزالى محقق هذا
الكتاب ، فهو يذكر فى تقديمه له ، وهو
تقديم جيد فيه غيره على التراث الإسلامى
المهم ، يذكر أنه خلال قراءته للكتاب ،
شعر بأن النساخين والطابعين قد شوهوا
نبذاً منه ، وكادت بعض أفكار المؤلف تخفى
أو تطمس مع كثرة هذه الأخطاء ، فرأى
أن يخدم المعنى الصحيح جهد الطاقة ، واختار
لموضوعاته عناوين قريبة منها .

وهذا جهد يشكر عليه الشيخ الغزالى ، إلا
أن تحقيق أى كتاب دينى يستلزم :

أولاً : تحقيق الأحاديث النبوية .

ثانياً : تحقيق الأعلام .

ثالثاً : مناقشة الأفكار التى تحتاج إلى
مناقشة ، ولم يخل كتاب ابن الجوزى منها ،
وهذا ما لم يفعله الشيخ الغزالى :

إن تحقيق التراث الإسلامى إحياء لها ،
والجهد الذى يتكبده العالم فى تحقيق أى كتاب
يجب أن يكون شاقاً مضمناً .

وفي الباب الثاني ، عرض للوسائل ، فعرض جانباً من النظريات الاقتصادية ، واعتبر أن وسائل التنفيذ هي : القرض الحسن ، والمشاركة برأس المال على الربح والخسارة ، ثم قيمة الأرض للزراعة ، ولكن هذه الوسائل في المجتمع الحديث هي : الفائدة والشركة المساهمة والتخطيط العلي والضرائب والتأمين والبنوك ، وأسسها على ضوء فلسفة الإسلام ، وضمان الدولة لرأس المال ووعي الشعب والحكومة .

وفي الباب الثالث عرض للتوزيع ، فتحدث عن أهداف تقييم الجهود وتبادلها ، والقيمة في ظل الأنظمة الحديثة ، ثم في فلسفة الإسلام . بذل المؤلف جهداً مشكوراً في كتابه هذا - واستطاع أن يجمع نصوصاً إسلامية واضحة - وهو المتخرج في كلية التجارة ، وكان حسناً منه أن يجمع النصوص الإسلامية في موضوعها ويتولى التعليق عليها وربطها بالموضوع إلا أن المؤلف كان عليه أولاً ، أن يدرس النصوص التي ساقها في كتب الفقه ، وهو يعرض لموضوع دقيق له خطورته وأهميته ، وألا يكتبني بتجميعها وحصرها ، ثم الضغط عليها لتساير منحنى تفكيره في هذا البحث . . . وحسن نية المؤلف وإخلاصه للإسلام واضحة في الكتاب ، وهو يقدم أول إنتاجه ، ولا زال الطريق أمامه فسيحاً .

والواقع أن مثل هذه الموضوعات مكررة ، إلا أن فضيلة الشيخ سيد سابق ، أضفى عليها لونا من المناقشة الأدبية التي اتسمت بجانب من المنطق والأسلوب الجذاب ، وإن كان القارئ المثقف أصبح في حاجة إلى فكرة تناقض ، وتقارن بينها من الفكر القديمة والحديثة ، التي لم يخل - ولن يخلو - منها عصر من العصور ، أصبح في حاجة إلى الدعوة الإسلامية تقدم إليه كدراسة تأخذ طابع التعقيد والتركيز . . .

٤ - نظرية الإسلام - موسم الاقتصادية :

للاستاذ عبد الحميد أحمد أبو سليمان جاء هذا الكتاب الموجز في ثلاثة أبواب : المبادئ ، حيث اعتبر المؤلف أن أهداف البشرية من الاقتصاد ، هي الرفاهية في عدالة ومساواة وحرية ، وأن عوامل الإنتاج هي الأرض ورأس المال ، وأن الأصل في ملكيتها يرجع إلى المجتمع ، وناقش ملكية الفرد وأنها حق في الإسلام ، وأن الربيع والفائدة تتنافى والإسلام لأن الكسب للعمل ، وناقش نظام الوراثة وأنه في الإسلام يحافظ على مبادئ وأصول العدالة في المجتمع ، وذكر أن توزيع عوامل الإنتاج إذا ما اختلف ، اختلف التوازن العادل والذي هو من مبادئ العدالة الاجتماعية الإسلامية .

٥ - لماذا أسلمت؟

للأستاذ الكبير زكي عربي المحامي

محاضرة موجزة مركزة ألقاها الأستاذ الكبير في جمعية الشبان المسلمين بعيد إعلان إسلامه .

والأستاذ الكبير يلخص الدوافع التي من أجلها أعلن إسلامه في دافعين ينطويان تحت عنوانين رئيسيين هما : وجدان وعقيدة . ويعزى الدافع الأول إلى البيئة الإسلامية التي عاش فيها : « حتى بولاق بالقاهرة ، ويعزى الدافع الثاني إلى قوة العقيدة الإسلامية نفسها كما وضع له من دراستها دراسة استيعاب وتعمق .

والحق أن الأستاذ الكبير عرض الإسلام عرضاً قيمياً ثم عن دراسة عميقة متزنة ، بما لم يدع مجالاً ، في أن إيمانه ، إنما جاء عن عقيدة راسخة ، وفهم دقيق للإسلام كفكرة حية تتجارب معها العقليات الكبيرة من أمثال الأستاذ زكي عربي المحامي الكبير .

٦ - دراسات في اللغة العربية :

للغفور له الشيخ محمد الخضر حسين .

مطبوعات المكتب الإسلامي بدمشق .

هذا الكتاب... تناول موضوعات شتى :

أولها : القياس في اللغة وهو دراسة نال بها المؤلف عضوية هيئة كبار العلماء .

وثانيها : حياة اللغة العربية ، كانت محاضرة

ألقاها المؤلف عام ١٣٢٧هـ في كبرى الجمعيات الأدبية بتونس عند ما كان مدرساً بجامع الزيتونة .

وثالثها : الاستشهاد بالحديث في اللغة ، ناقش المؤلف وجهات نظر القائلين بالاحتجاج بما يروى من الأحاديث والقائلين بغير ذلك .

ورابعها : موضوع علم النحو ، ناقش فيه آراء مؤلف كتاب إحياء النحو لأحد أساتذة الجامعة المصرية .

ثم موضوعات أخرى كتب بحوثها في مجلة الهداية الإسلامية وقد كان منشئها وجمعية الهداية أيضاً .

تناولت : التضمن في اللغة ، وتيسير وضع مصطلحات الألوان ، وطرق وضع المصطلحات ، والرد على محاولة تبسيط قواعد النحو والصرف ، ثم رسالة في الإمتاع بما يتوقف تأنيثه على السماع .

لقد قدم المؤلف لهذه الدراسات بمقدمة جلية عن فضل اللغة العربية ومسايرتها للعلوم المدنية ، تناولت اللغة : أصلها ، نشأتها ، التأثير المتبادل بينها وبين الفكر ثم تأثير الإسلام فيها .

هذه الدراسات دراسات عميقة ، ولا أظن عالماً أو طالب علم أو باحثاً أو محققاً لا يحتاج إليها .

أبناء الثقافة

- يطبع في هذه الأيام للأستاذ محمد جميل بيهم المؤرخ اللبناني وأحد مؤسسي كلية المقاصد الإسلامية كتاب جديد عنوانه « فلسفة تاريخ محمد... يصدر الكتاب باللغتين العربية والفرنسية .
- تفتتح بعد أشهر قلائل (الجامعة الإسلامية) التي أنشأتها حكومة المملكة العربية السعودية في (المدينة المنورة) . . . وتقرر أن تقبل الجامعة الإسلامية طلاباً من جميع بلدان العالم العربي والإسلامي . . سينتدب للتدريس فيها أساتذة من هذه البلدان . . بحيث تدرس المواد باللغات العربية والأوروبية والأندونيسية وغيرها . وستجرى الحكومة السعودية منحاً مالية على جميع الطلاب .
- تصدر (دار المعارف) بعد أيام كتاباً عن « جمال الدين الأفغاني ، في سلسلة كتب « نوابع الفكر العربي ، ... وضع الكتاب الشيخ « محمود أبو رية ، ... وقد أثبت في كتابه أن الإمام الأفغاني ينحدر من سلالة عربية فجده هو الحسين رضي الله عنه... مستنداً في ذلك إلى ما كتبه الإمام « محمد عبده ، في سيرة جمال الدين .
- نشر المستشرق الإيطالي « الدكتور مارتينو ماريو مورينو ، في مجلة « المشرق ، التي تصدر في روما باللغتين الإيطالية والعربية عدة بحوث عن كتاب (أدبنا وأدباؤنا في المهجر) الذي ألفه الشاعر المهجري « جورج صيدح ، وتحدث فيه عن أثر الأدباء العرب المغتربين في المهاجر الأميركية في تطور الفكر العربي خلال نصف القرن الأخير .
- يطبع الدكتور « صالح الأشقر ، الأستاذ بكلية آداب دمشق كتابه عن « نكبة فلسطين وأثرها في الشعر العربي الحديث ، وقد درس فيه كل ما قاله شعراء العربية في نكبة فلسطين .
- في إحصاء نشرته أحد الصحف الألمانية أن عدد المخطوطات القديمة في دار الكتب المصرية بلغ ٧٢ ألفاً ، بينما لا يزيد عدد المخطوطات الموجودة في سائر مكتبات العالم عن ٣٨ ألفاً بما فيها مكتبات استانبول وباريس وفيينا... وهذه المخطوطات جميعها باللغة العربية .
- يزور القاهرة في الشهر المقبل « الشاعر القروي ، الذي عاش في المهجر أكثر من نصف قرن ، وذلك للإشراف على طبع

بعض كبار المقرئين للسفر في شهر رمضان الكريم في مقر الجمعية الإسلامية بيونس آيريس .

* صدر في المغرب كتابان عن « جامعة القرويين » بمناسبة الاحتفال بمرور ١١ قرناً على إنشائها ، الأول للأستاذ « عبد الهادي التازي » ، والثاني للأستاذ « محمد الطيحي » .

* الأستاذ أنور الجندي انتهى من كتابه عن « المعارك الأدبية في العصر الحديث » ، الذي تناول فيه ما كان يدور من المعارك بين أدباء العروبة على صفحات « الرسالة » ، و « الثقافة » .

* سيصدر بعد شهر الجزء الأول من المعجم الوسيط الذي ألفتة لجنة من أعضاء مجمع اللغة العربية وضمنته طائفة كبيرة من المصطلحات الحديثة والألفاظ التي أقرها المجمع وهو موضح بالتعريفات العلمية الدقيقة ومحل بالصورة الشارحة للحيوان والنبات والأدوات . وسيصدر جزؤه الثاني في يناير من سنة ١٩٦١ .

* ستجتمع لجنة النشر في المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية للنظر من جديد في مشروع الألف كتاب من حيث الاختيار والإخراج والنشر .

ديوانه على نفقة وزارة التربية والتعليم المركزية .

* صدرت مجلة عربية جديدة في لندن اسمها « الأصوات » . قال محررها وهو المستشرق « دينس ديفيز » أن المجلة ستكون ميداناً لأقلام كتاب العرب ومفكرى أوروبا المهتمين بالثقافة العالمية القديمة والحديثة . . . وأنها ستعنى في أبحاثها بتطورات الحياة الاجتماعية في الأقطار العربية والإسلامية ودراسة الكتب القيمة التي تصدر في أنحاء العالم .

* يؤلف الأستاذ رشيد الخوري الكاتب الفلسطيني المعروف كتاباً عن فقيده العربية الأديب الكبير المرحوم « محمد إسعاف النشاشيبي » ، يدرس فيه حياته ومؤلفاته . . . ينتظر أن يصدر الكتاب بعد ستة أشهر .

* كتاب « القومية العربية » ، الذي ألفه الأمير « مصطفى الشهابي » ، سيعاد طبعه على نفقة معهد الدراسات العربية العليا . . . إذ نفذت طبعته الأولى . . . كان الأمير الشهابي قد ألقى فصول الكتاب على طلاب معهد الدراسات العربية في العام الماضي .

* دعت الجالية الإسلامية في الأرجنتين

برِّيُّ المجتَلَّةِ

في شخصكم الكريم مع الشعب العربي
الممثل في رئيس الجمهورية العربية المتحدة
لمن أقوى صور البشريات في إعلاء صوت
الحق وجمع الكلمة على خدمة المبادئ الإنسانية
السامية التي نزل بها الوحي الأمين ، وكان
لكل من الشعبين في تاريخه الطويل أثر في
استخلاص تلك المبادئ من مصادرها الأولى
والمحافظة عليها . وإن الأزهر ورجاله الذي
وقف نفسه على خدمة تلك المبادئ ليرجى
بكم في تلسم الزيارة وهذا الالتقاء ويدعو الله
للجميع بدوام التوفيق في خدمة الإنسانية
والسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟
محمود شلتوت

الأستاذ الأكبر يستقبل الواعظ الخاص
للرئيس أيزنهاور :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ
محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمكتبه
الدكتور ادوارد ألسن الواعظ الخاص
للرئيس أيزنهاور يرافقه الدكتور تنسي المحامي
بأمريكا ، ومستر كرينج مديرجاعة الاتصال
بالشرق الأوسط بالقاهرة .

إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر

من الأستاذ الأكبر :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته - وبعد :
فإن كلمتكم بالأمس في حفل الاتحاد القومي
بجامعة القاهرة رفعت شأن العروبة وركزتها
على أساس من الإسلام الصحيح والعقيدة
القوية والإيمان الصادق وحققتم بذلك في الأمة
الإسلامية وشعوبها قوله تعالى : « كنتم خير
أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

حققت ذلك دون تفرقة بعنصرية أو طائفية
أو جنسية ، فسر في طريقك فالله معك ،
ونحن من ورائك صفوفًا متراسة ، لخدمة
الإنسانية عن طريق الإسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت

من الأستاذ الأكبر

إلى فخامة الرئيس محمد أيوب خان :

رئيس جمهورية باكستان

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته - وبعد :
فإن التقاء الشعب الباكستاني الممثل

تضع يدها في أيدينا لإنقاذ هذين الشعبين .
فقال الضيف : إني لأرجو أن تعلم فضيلتكم
بأن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين قد عملت
أمريكا على علاجها ، ونحن ننشر هذه الرسالة
ونرجو أن يستمر نشرها بين العالم ثم أضاف
الزائر بأن من أعظم المباني الموجودة في
أمريكا مسجد واشنطن الكبير الذي افتتحه
الرئيس أيزنهاور عام ١٩٥٧ وإني أتق كل عام
محاضرة في معهد الدراسات الإسلامية في
المركز الثقافي الإسلامي بواشنطن ، ومصدر
الإشعاع الديني والروحي في الولايات المتحدة
حتى يفهم العالم حقيقتها .

فقال الأستاذ الأكبر : إن الأزهر يرجو
أن يضع الرئيس أيزنهاور يده في يد الرئيس
جمال عبد الناصر لدعم السلام العالمي وتأكيده
التحية والوئام بين الشعوب جميعها .
فقال الزائر : إن الساعة التي التقي فيها الرئيسان
العظيمان كانت فرصة طيبة لتحسين العلاقات
الودية بين الولايات المتحدة والجمهورية
العربية المتحدة ولا عجب فهما يتمتعان بالروح
العسكرية والسياسية والدينية ، وإن الشعب
الأمريكي يهتم اهتماما بالغاً بإقامة علاقات
ودية بينه وبين جميع الشعوب . ومما
هو جدير بالذكر أنه يفهم الروح الشرقية
فهما بالغاً ، ويقدرها حق قدرها .
فقال الأستاذ الأكبر : إن هذه ضمن مبادئ

وبعد أن رحب بهم فضيلته قال : يجب
أن يعمل القادرون على إنصاف الضعفاء
ورد حقوقهم إليهم ، وأن تعمل الولايات
المتحدة على إقامة عدالة عالمية بين الشعوب .
فقال الزائر : إن الشعب الأمريكي يفهم
الحقائق الإنسانية ويقدرها لا من المدنية
المعاصرة ولكن من إيمانه بالله وبالمثل
العليا ، والمبادئ الإنسانية السامية .
فقال الأستاذ الأكبر : إننا نرجو أن
يمس الله السبيل لغرس كلمة التوحيد في نفوس
الناس جميعاً ، حتى يستلهموا النور والهداية
والتوفيق في حياتهم ومعاشهم ، كما نرجو
أن تعمل حكومتكم على مساعدة الشعوب
المتطلعة إلى الحرية لتنال حقها من الحرية
والرخاء .

فقال الزائر : إن العقائد الدينية تسير بين
الشعب الأمريكي في حرية تامة سواء كانت
هذه العقائد يتمتع بها الأقلية أو الأغلبية .
فقال الأستاذ الأكبر : إننا نرجو
للشعوب الضعيفة أن تعيش في حياة من
الرحمة والتعاون لتتمتع بأنعم الله في أرضه
فلدينا لاجئو فلسطين . ولدينا ثورة الجزائر
لنيل حريتها وهما مشكلتان من المشاكل
العالمية الخطورة وأملنا قري في أن تعمل
أمريكا على رد الحقوق إلى أهلها وعلاج
هاتين المشكلتين . كما نريد من أمريكا أن

في أوقات فراغه إلا مصليا وقت الفريضة ،
أو قارنا القرآن .

و محمد نور الدين ، - ليوروس سابقا -
أصله من كاليفورنيا ، وقد ورث عن أبويه
هوايتي الموسيقى والغناء ، ثم اضطر أن يقلب
الهوايتين الى احتراف ليعيش ولمع نجمه
في الأندية الليلية وفي الإذاعة وفي التليفزيون
وفي السينما بأمريكا ، وفي برودواي قلب
أضواء العالم على الأخص . . وعاش يطوف
العالم حتى وصل إلى القاهرة ليقدم فيها فنه فترة
وما كاد يستقر فيها أياما حتى ذهب إلى شيخ
الأزهر يطلب إشهار إسلامه وتلقيته أصول
الدين وتعليمه اللغة العربية ، وحقق له الشيخ
الأكبر طلباته ، وأتم إجراءات إشهار إسلامه
وعين له مدرسا من الأزهر .

سألت د محمد نور الدين ، : كيف اعتنقت
الإسلام ؟

فأجاب عن : عقيدة . . وهذه أمنيقي
من زمن طويل . . وكنت أنزقب الفرصة
أن أجيء إلى القاهرة لأحققها . . فلما سنحت
الفرصة اغتنمتها . إنني أرى في الإسلام
عظمة الدين الحى وجلال الوحدةانية . وقد
يدهشك أن أعلم أنني لا أشرب الخمر ولا أدخن
ولا آكل لحم الخنزير .

وحدثني عن مشروعاته للمستقبل . . إنه
ينوى أن يجعل القاهرة محل إقامته وموطنه

الإسلام السامية ، والتي إن اتخذتها البشرية
عنوانا لها سادها السلام والطمانينة والرفاهية
فالإسلام يدعو إلى التراحم والتواد والتعاطف
واحترام الحقوق ورد الأمانات إلى أهلها .

هذا ثم شكر الزائر لفضيلته حسن استقباله
وإتاحة الفرصة لهذه الزيارة التي تتمتع فيها
بالحديث مع فضيلة الأستاذ الأكبر عن نواح
ثقافية وفلسفية وإنسانية سامية .

فقال الأستاذ الأكبر : إنني ليسرني ذلك
سرورى بهذا اللقاء الكريم ، ثم أضاف
أن الأزهر على استعداد لأن يبعث إليكم
بجميع مناهجه وخططه الدراسية والثقافية .

ويسعدني أن تعلموا أن بالأزهر جهازا
قويا لنشر الثقافة الإسلامية بين جميع الشعوب
فبالأزهر معهد الإعداد والتوجيه والإدارة
العامة للثقافة الإسلامية ، ومجلة الأزهر التي
تصدر باللغتين العربية والانجليزية .

كما أن مهمة الأزهر هي أن تتمتع جميع
الشعوب بحقها في الحياة من حرية ومساواة
ورخاء .

محمد الأزهرى الأمريكى :

اسمه الآن د محمد الأزهرى ، . . أمريكى
وأشهر عازف في أمريكا وأوربا . . والذي
دعاه بهذا الاسم الجديد هو د فضيلة الشيخ
شلتوت ، شيخ الأزهر عندما أشهر إسلامه
على يديه منذ أيام . وأنت لا تلقى الأمريكى
المسلم في غرفته رقم ٤٤٠ بفندق هيلتون

هذه بعض عبارات الرئيس الباكستاني ،
وضع فيها النقط على الحروف ..
ونحن نقسام والاسي يملأ جوانحنا :

على من تقع اللآئمة في أن يظل المجتمع
الإسلامي رمزاً على التخلف والفقر ، رغم
أن الإسلام دين تقدمي ؟

ولا أظن أن هناك خلافاً في القول بأن
العقلية الدينية الآسنة هي أقوى وأصلب
العقبات في سبيل النهوض للمجتمع الإسلامي ..
هذه العقلية التي لازالت تتمثل في فئات
عديدة في سائر البلاد الإسلامية ، ولا تحمل
في عقولها فقهاً أو علماً ، وإنما تحمل في أيديها
هراوات غليظة تهدد بها العقليات المتحررة ،
هذه العقلية يحتاج الإسلام أولاً إلى التخلص
منها لكي يثبت أنه دين تقدمي ... ولكن
أين هي القوة التي تعمل على إزالتها
من الطريق ..

لسنا بسبب ضرب الأمثلة ، ولكن حسبنا
أن نعلم أن في بعض البلاد الإسلامية لازال
يعتبر تعليم البنات جريمة ، وأن إنشاء مدارس
البنات خروجاً على الدين ..

وحسبنا أن نعلم أن في قلب القاهرة عقليات
لازالت تعتبر صوت المرأة عورة ، وعملها
في ميدانها فوضى لا يقرها الدين ، وأن
في كشفها عن وجهها عدواناً على الشريعة
الإسلامية .

الأصلي ، وأن يتزوج مسلمة منها .. حتى
يخدم الإسلام في قلب الوطن الإسلامي العربي
الأكبر .

لغة كريمة ... مع الرئيس الباكستاني :

في الحفل الذي أقامه الاتحاد القومي
في ١٩٦٠/١١/٧ تكريماً للرئيس الباكستاني
أيوب خان ، تحدث الرئيس الباكستاني ،
فأفاض في حديثه ، ومس ببعض عباراته
قلوبنا . قال :

« إننا نعتقد أن ديننا هو دين تقدمي ،
وأنه دين يشجع استخدام العقل ، وأنه دين
يجب أن يساعدنا على أن نساير الزمن
في التقدم ... ولكن هل يمكننا القول بأن
ذلك قد حدث فعلاً ، إذا ما فكرنا في ذلك
أو ألقينا نظرة على المجتمع الإسلامي في سائر
أنحاء العالم ، نجد أن هذا المجتمع الإسلامي
أكثر المجتمعات تخلفاً وفقراً وقد ظل
راكداً ...

الأيديعونا ذلك إلى الاهتمام بالبحث عن هذه
الآخطاء ، وما الذي يجب إصلاحه ، وإني
أعتقد أن مهمة كل مسلم مفكر أن يجد السبب ،
وأن نجد ما ينبغى أن نفعله لإصلاح
هذا الوضع .. ،

بقطاما . ولم يستسغ ذوقى هذا التفسير ، وسبق إلى ذهنى خطأ المذيع فى النقل ، فأسرعت إلى ما لدى من تفاسير ، فوجدت ما قاله المفسرون فى : الجلالين ، والنسفى ، والخطيب الشربىنى ، والتفسير الوسط متفقاً مع ما قاله المذيع فرجعت إلى متون اللغة فوجدت مختار الصحاح مادة (فصل) يقول : وفصل الرضيع عن أمه ، يفصله بالكسر فصلا ... أى أبعد عنها . وهذا المعنى هو الذى يتفق وسياق الآيات ... وبالتالي نظرت فى البيضاوى ، فوجدته قد تنبه إلى فهم هذا المعنى غير أنه خصه بأن يكون قبل الحولين ، فكأنه توسط بين أقوال المفسرين وبين ما فهمه .

ووجدت جميعهم متفقين على أن الأم مأمورة ندبا بالرضاع ، والأب مأمور فرضا بالإتفاق ، إلا لضرورة تلزم الأم حفظاً لحياة الطفل .

فكان عجيباً منهم بعد إجماعهم هذا تفسير الفصل بالفظام . والفظام لا يكون إلا بعد مدة الرضاع الضرورية . فلا معنى إذا للراضى عليه والتشاور فيه ! . لأنها إن كانت مؤجرة فالأمر لدافع الأجر ، وإن كانت متبرعة فالأمر لها بعد مضى مدة الرضاع ، فعلى أى يكون التراضى والتشاور ؟

يتبين من هذا : أن السياق ، والمعنى العام

وأن فى قلب القاهرة عقليات ترى أن الصلاة فى الزى الإفرنجى لا تصح ، وأن غطاء الرأس يجب أن يكون للمسلم عمامة ذات ذؤابة مرخاة ، وأن المذيع مزار للشيطان ، وأن شتى الفنون الجميلة عبث وترف .. !

نحن لا نشكر أن فى البلاد الإسلامية عقليات متحررة تستطيع فى أيام معدودة أن تأتى على العقليات المترمة ، ولكن هذه العقليات المتحررة فى بعض البلاد الإسلامية حرة فى تفكيرها وحسب ، ولا تملك من الحرية شروى نقيير إذا أرادت أن تعبر عن هذا التفكير ...

هذه لفتة كريمة من الرئيس الباكستانى الذى يحمل للإسلام بين جنبيه إجلالا وتقديراً لعلها تثير خواطر المشفقين على الدين من العقليات المتحررة التى لا ترجو للإسلام سوى المسكنة التى تليق به كدين تقدمى ... !

محمد عبد الله السام

حول معنى (فصلا)

فى قوله تعالى :

« فإن أرادوا فصلا عن تراض منهما وتشاور (٢٢٣) سورة البقرة » . استمعت إلى إذاعة التفسير قبل التلاوة ، وفيها هذه الآيات . وقد فسر المذيع فصلا .

سديد ، والصواب ما ذكرناه ، والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده . وما أردت غير السعي وراء الحقيقة والوصول إلى الصواب .

محمد رضوانه الله

عضو نقابة الصحفيين بالقاهرة

الصواب لفظ لوبيا :

ما زال الكثير من الكتاب يستعملون كلمة « لوبيا » بدلا من « لوبيا » عندما يتعرضون لذكر هذا القطر العربي وهم في هذا الاستعمال إما مدفوعون بحكم العادة وانتشار هذا الخطأ تمشياً مع ما جرى به القول من أن الخطأ المشهور خير من الصواب المهجور ، وإما أنهم في استعمالهم هذا يعتقدون صحة هذه الكلمة . وعلى كل فإن الأدلة العلمية المتعددة تدفعنا إلى تخطئة كلمة « لوبيا » وتحتّم علينا تصحيحها بكلمة « لوبيا » وضرورة الأخذ بهذه الكلمة الصحيحة . وقد سبق التعرض لهذه التسمية ووجوب استعمال الاسم الصحيح لهذا البلد العربي في كتاب « المجمل في تاريخ لوبيا » (١) .

فنحن إذا رجعنا إلى المصادر العربية القديمة التي تعرضت لهذه الكلمة نجد أنها تؤيد

(١) مصطفى بعبو : المجمل في تاريخ لوبيا . الإسكندرية سنة ١٩٤٧ .

للآيات التي منها هذه الآية يَحْتِمَان تفسير الفصل بفصل الولد وإبعاده عن أمه زمن الرضاع ، لا زمن الفطام ... ولهذا كان اشتراط التراضي والتشاور حرصا على مصلحة الولد أولا ، ومصلحة الوالدين ثانياً .

اقرأ قوله تعالى : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف (أى إن كن مطلقات) لا تكلف نفس إلا وسعها ، لا تضار والدة بولدها - بأن تلزم بإرضاعه دون مقابل وهى غير زوج لوالده - ولا مولود له بولده - بأن يكلف بما فوق قدرته - وعلى الوارث مثل ذلك - مثل ما يجب على الوالد - فإن أرادا فصلا - أى فصل الولد عن أمه زمن الرضاع - شرع أن يكون ذلك - عن تراض منهما وتشاور - فى هذا الفصل حرصا على المصلحة العامة - فلا جناح عليهما ، أى فلا إثم عليهما ، إذ الإثم عند عدم التراضى لما يترتب عليه من ضرر .

ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى بعد ذلك : « وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم - أى مرضع غير الأمهات من وقت الولادة - فلا جناح عليكم - أى لا إثم إذ هذا حقكم ، . تفسير فصلا بقطعا خطأ واضح ، وتفسير البيضاوى بأنه قبل العامين غير

المترجمون مراعاة للفظ الفرنسيين بها مع أن الصواب في تعريب حرف الياء اليونانية y هو الواو كما هو في أصل اللغة اليونانية وبها سمي الثبات المعروف باللويا .

هذا وقد تعرض المجمع اللغوى بالقاهرة لهذه الكلمة واعتمدها في معجمه الجغرافى على أنها «لوييا» ، وقد ساهم في وضع هذا المعجم الاساتذة الاعلام الشيخ السكندرى والاب أنستاس الكرملى والدكتور ليتان إلى جانب من عاونهم من الخبراء المصريين المشهور لهم بالدقة العلمية وطول الباع في البحث الصحيح وقد استجاب لهذا التصحيح الكثير من المؤلفين المدققين وكان في مقدمتهم الاستاذ البجائية سليم حسن في موسوعته التاريخية التي أخرجها عن تاريخ مصر القديمة في أجزاء متعددة وغيره من الباحثين والعلماء . والغريب أن هذه الكلمة بقدر ما صادت من تعثر في اللغة العربية قد لاقت لكثير من التحريف والتبديل في اللغات الأوربية فقد اختلف رسمها باختلاف هذه اللغات ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد . بل كان رسمها أحيانا يختلف باختلاف الكتاب في اللغة الواحدة ، وإذا كان هناك ما يبرر قبول اختلاف رسمها باختلاف اللغات الأوربية حسب نطق أهلها فإن اختلاف رسمها في اللغة الواحدة ، أمر يدعو إلى العجب والتساءل

صححة كلمة «لوييا» بدل «ليبيا» فهذا ابن عبد الحكم^(١) في كتابه يذكرها لنا بالواو بدل الياء فيقول لنا «... وكان البربر بفلسطين وكان ملكهم جالوت فلما قتله داود عليه السلام خرج البربر متوجهين إلى المغرب حتى انتهوا إلى لوبية ومراقبة...» وهذا ابن دسته يذكرها لنا بالواو بدل الياء في كتابه الأعلام النفيسة^(٢) فيقول «ثم يصير في عمل لوبية وهى كورة تجرى بجرى كور الإسكندرية...» وهكذا فعل كل من المقرئى في خططه والسيوطى في كتابه «حسن المحاضرة» .

وأما شيخ العروبة المرحوم أحمد زكى باشا المعروف بتضلعه في اللغة وفقهها وفي التاريخ الإسلامى وحوادثه فقد كتب لنا بخصوص هذه الكلمة في قاموسه^(٣) الذى أخرج له لنا ما يأتى «لوييا اسم الصحراء تفصل ديار مصر وإيالة طرابلس الغرب وتسمى عند الإفرنج «Lybie» ، وصحة اسمها بالعربية لوييا كما وردت في كتب الجغرافية العربية وفي طبقات الأطباء وغيره لا بالياء كما نقله

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها «ليون سنة ١٩٢٠» ص ١٧ .

(٢) ابن دسته : الأعلام النفيسة «لیدن سنة ١٨٩١» المجلد السابع ص ٣٤٢ .

(٣) أحمد زكى : قاموس الجغرافية القديمة بالعربى والفرنساوى الطبعة الأميرية نمرة ١٨٩٩، ص ٣٣ .

في المجلة الإيطالية - Rivista Della Tripoli- itania^(١) التي كانت تصدرها وزارة المستعمرات الإيطالية ، أما دائرة المعارف الإيطالية ، فقد رسمتها Libia كما هو في الجزء الحادى والعشرون منها .

وأما المؤلفون الفرنسيون فقد تعود بعضهم كتابتها Libya كما في كتاب الأستاذ دييوا جان^(٢) .

هذه عجالة قصيرة توضح لنا ضرورة الأخذ بكلمة « لوبيا » ، وفي ذلك تصحيح لاسم هذا البلد العربى كما ترينا مدى ما تعرض له اسم هذا البلد من اختلاف فى طريقة كتابته باختلاف اللغات الأوروبية بل باختلاف الأفراد أنفسهم .

مخطئى بعير الطرابلسى

٢ - العدد الثالث . السنة الثالثة (روما - ميلانو سنة ١٩٢٧) .

(2) DEPOIS Jean : La Colouisation Italienne en Lybia .

فبعض المؤلفين من الانجليز يكتبونها (Lybia)^(١) والبعض الآخر يكتبها (Libya)^(٢) وقد تختلف كتابة هذه الكلمة فى كتب متعددة تضمنها مجموعة واحدة فتناول موضوعا واحداً من أطرافه المتشعبة كما هى الحال فى مجموعة .

(Handbook on Cylenaica) التى أشرف على إصدارها رجال الإدارة البريطانية لبرقة بالاشتراك مع بعض الأساتذة الإخصائيين وذلك فيما بين ١٩٤٤ - ١٩٤٧ .

وكذلك اختلف المؤلفون الإيطاليون فى طريقة كتابتها ، فبعضهم يكتبها Libya كما هى الحال

١ - من أمثلة ذلك :

R. S. Plavfair: Travels in the bootsteps of Bluce, London 1877 .

A. J. Cachia: Lybia under the Selgnd ottoman occpation Tlipoli 1945

٢ - من أمثلة ذلك :

David Randall: Libyan Notes, London 1901 .

مَجَلَّةُ الْأَزْهَرِ

مجلة شهرية جامعة

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المفتون
إدارة أجمع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

يشترك في التحرير
عبد الرحمن محمد العقاد
مدير التحرير
محمد الشراوى
بدل الاستاذ ج

بصدور عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

الجزء السابع - رجب سنة ١٣٨٠ هـ - ديسمبر ١٩٦٠ م - المجلد الثاني والثلاثون

لِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَكُونُوا الْأَزْهَرِيَّ فِي إفْرِيقِيَا الْجَدِيدَةِ

بقلم : أحمد حسن الزيات

على أيدي المتاجرين من العرب والمهاجرين من المسلمين ، فرأى من هدام به أمة من الأفريقيين أن فوق الأرض التي يخيم عليها الظلام سماء ينبثق منها النور ، وأن للإنسان الذي استضعف واستغل إلهاماً قاهراً فوق عبادته يجعلهم إخوة بالإيمان وسواسية بالعدل ، فربأوا بإنسانيتهم عن الذل ، وضنوا بكرامتهم على الهون . إلا أن هذا البصيص ظل خائياً في قلوبهم لا يشع ولا يشيع لا تقطاعه عن مشرق الوحي ، فلم يصله به سبب من لغة الكتاب ،

أفريقيا التي غاب معظمها عن الوجود الإنسانى في ظلام الجاهلية والوثنية والاستعمار والرق منذ دحا الله الأرض أخذت تنبعث وتنتعش وتتحرك . وكان هذا الانبعاث وما تلاه استجابة لفتح الصور التي صدرت عن الثورة الناصرية في مصر فدوى صداها في أرجاء الشرق كله فأيقظ الراقد ونبه الغفلان .

وكان الإسلام من قبل ذلك قد أرسل بصيصاً من نوره في خلال هذه الظلمة الغاشية

ولقد دهش لهذه الجاذبية في الإسلام دعاة المسيحية ورواد الاستعمار من مبشرى الانجليز والفرنسيين والبلجيكيين والاطليان والأمريكان وتساءلوا فيما بينهم : كيف عجزوا عن تنصير الوثنيين بالطرق المؤدبة والوسائل المغرية من تعليم وتطبيب وتمدين وإغراء بالمال وإيحاء بالقوة ، حيث استطاع الإسلام الصامت الأعزل أن يتسلل ويتغلغل وينتشر من غير حكومات تسنده ولا جمعيات ترفده ولا مغريات تجذب إليه . ثم حاول المتخصصون منهم والمتفلسفون فيهم أن يجيبوا عن هذا السؤال وأن يكشفوا عن هذه الحال بالدرس والتحليل فلم يستطيعوا . فسلخوا بالامر الواقع وقالوا الاحيلة إلا أن نستغل هذه القوة الكامنة في الإسلام في إخراج الوثنيين البدائيين من الظلام إلى النور ، حتى إذا فتحوا أعينهم على أضواء مدنيتنا تهافتوا عليها تهافت الفراش . قال أحد مؤرخي الكنيسة وقد صار كرهينا ما ترجمته : إن الإسلام قنطرة للشعوب الأفريقية يعبرون عليها من ضفة الوثنية إلى ضفة المسيحية . فمن حقه أن نعامله بالمياسرة والحسنى . ومن واجبنا أن نساعد على اتساع نطاقه وامتداد أفقه ، بإجراء الأرزاق على المساجد ، وتوفير الأموال للبعاهد ، ليكون رائدا لمدنية فرنسا فتفتح على يديه البلاد .

ولامانة من حديث الرسول ، فهم يحفظون بعض الآيات عن تلقين لا عن فهم ، ويؤدون كل الشعائر عن تقليد لا عن فقه ، ومع ذلك نفذت أشعة الإسلام من بين أطباق هذا الغمام إلى قلوب الوثنيين الآخرين في سرعة الدعوة المستجابة ، لأنه دين الفطرة فلا تعقيد فيه ولا عسر ، ولأنه مظهر الوحدة فلا وساطة فيه ولا سر ، فدان به في الحبشة ثلاثة ملايين ومائتان وخمسة وأربعون ألفا وثلثمائة وتسعون . وفي أوغندا ثلاثمائة وستون ألفا . وفي الصومال الشمال والشرق والأوسط مليون وسبعائة وستة وأربعون ألفا وثلثمائة واحد وأربعون ، وفي زنجبار ثلاثمائة ألف . وفي كينيا مائتا ألف . وفي تنجانيقا مليون ونصف . وفي روديسيا ونياسالاند مائة وثمانية وثلثون ألفاً . وفي موزنبيق ستائة وخمسون ألفاً . وفي جنوب أفريقيا ثمانية وثمانون ألفاً . وفي أفريقيا الغربية الفرنسية سبعة ملايين ونصف . وفي نيجيريا ثلاثة وعشرون مليوناً . وفي توجولند ثلاثون ألفاً . وفي غابا مائة وخمسون ألفاً . وفي غمبيا مائة وعشرون ألفاً . وفي ليبيريا نصف مليون . وفي الكمرون نصف مليون . وفي الكونغو أربعائة ألف . وذلك لإحصاء أتت عليه عشر سنين . فمن الطبيعي أن يكون قد ازداد بالدخول في الإسلام وبالولادة من المسلمين .

ليجلوا كلمة الله في أذهان قوم لبستها عليهم العجمة والجمالة . وإن عدد هؤلاء الطلاب الأغراب ليرى اليوم على ثلاثة آلاف .
ولكنه عدد لا يزال أقل مما يتطلبه الجهاد الروحي في أفريقيا الجديدة : فإن تراجع الاستعمار عن أكثرها يفتح الأبواب ويهيئ الأسباب للجهاديين في سبيل الدين واللغة .
فلا بد إذن من تمكين الدولة للأزهر في هذه الأرض البكر بأن تمدّه بالمال وتسنده بالنفوذ ليحقق لها عن طريق الخير والحق ما كانت ترجوه فرنسا منه عن طريق الشر والباطل .

* * *

إن بذل المال والجهود في معونة الأزهر يحسر أفريقيا الوثنية من عبودية الروح والعقل والجسد ، وهو كسب سياسي ضخم حاول المستعمرون طويلا أن ينالوه بالدهاء والاعراء والدماء والزمن فما استطاعوا .
ثم كانت عاقبتهم أن اجتثوا من فوق الأرض الطيبة كما يجثث النبات الطفيلي السام من حقول الحنطة ! ذلك بأنهم استعلوا على أصحاب الأرض ، فتميزوا عليهم القوة ، واستأثروا دونهم بالثروة ، وتركهم للعري والجوع والمرض والجمل والمشقة .

أما الإسلام فسيدخل فيهم دخول النور في العين والسورور في القلب والبرء في السقم والصلاح في الفساد والنظام في الفوضى ،

هذه هي قوة الإسلام في رأى المبشر ، وذلك هو أثره في رأى المستعمر ، فكيف نعوّق هذه القوة ونضعف ذلك الأثر بتركهما إلى الطبيعة ينفذان من الحواجز والسدود كما ينفذ الماء اللين السلس بين جلاميد الصخر ! سيحرق الماء الحجر على طول الزمن ولا شك فيتدفق الشلال ويفيض النهر وتخصب الحياة .
ولكننا لو نسفنا الحجارة من طريقه ، وكشفنا الركام عن منبعه ، اختصرنا الزمن وقربنا المسافة . والأداة التي تنسف وتكشف وتخط وتترود هي الأزهر . والأزهر في القاهرة والكعبة في مكة هما الكلمتان اللتان تجمعان معنى الإسلام في ذهن الأفريقي المسلم ، يتجه إلى المسجد الحرام في معنى عقيدته ، كما يتجه إلى الأزهر الشريف في معنى شريعته .
ولم يقصر الأزهر في مد القارة المظلمة بالنور على قدر طاقته وفي حدود إمكانه . فأرسل نفرا من فقهاء ووعاظه إلى الصومال والحبشة وبعض جهات أخرى . ثم رأى أن يكون هؤلاء الدعاة والهداة من أهل تلك الشعوب استرشادا بقول الله عزت حكمته : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ، فأنشأ مدينة البعوث وأوى إليها طلاب العلم من شباب أفريقيا وآسيا وكفل لهم الغذاء والكساء والمسكن وأخذ يعرب ألسنتهم ويفقه أفتنتهم ، ويزودهم بوسائل الدعوة

قوادا لحرية الشعوب، وروادا لسكنية العالم، فليضموا إلى ثكنات القوى العسكرية، ثكنة القوة الأزهرية، ليجمعوا بين أساحة المادة وسلاح الروح، ويوائموا بين مادية العلم وروحية الدين، ويقيموا فوق أسواق الرقيق إلى أقامها الاستعمار في إفريقيا المكروبة المنكوبة مآذن للحق ومناثر للهدى وملاجئ للحرية.

إن الفرصة متاحة للعمل، وإن الأرض مهيأة للزراع، وإن الأزهر مستعد للبذر، فما على الدولة إلا أن تسوق السحاب إلى النفوس الظمأى فتروى، وإلى البلاد الميتة فتحي، ويومئذ تلد أفريقيا الرجال، وتستغل الاستقلال، وتبرهن لأوربا البيضاء أن المرء بجوهره لا بمظهره، وأن جوهر الإنسان واحد لا يختلف باختلاف لونه في الناس، ولا يتغير بتغير موقعه من الأرض.

أحمد حسن الزيات

فلا يجدون في مجتمعه سيدا لأنه أبيض، ولا مسودا لأنه أسود، وإنما يجدون الناس فيه أحرارا كما ولدوا، متساوين أينما وجدوا، يتقاسمون بينهم طبيبات الرزق وفرص العيش، لا بتسخط فاقده على واجد، ولا بتسلط قوى على ضعيف.

فإذا استبطنوه بالفهم الصحيح، واستيقنوه بالإيمان الخالص رفعهم إلى أفق الإنسانية الحرة والإسلامية الكريمة، حيث لا يتميز لون على لون، ولا يسيطر عنصر على عنصر، وإنما يكون فيه أبو بكر وعمر وعثمان، بجانب بلال وصهيب وسلمان.

إن الأزهر هو الثكنة المحمدية لجند الله أسلحتها المصاحف لا القذائف، ووسيلتها الحياة لا الموت، وغايتها التعمير لا التدمير، وغنيمتها الخير للناس والسلام على الأرض، فإذا كان أولياء الأمر منا وأصحاب الرأي فينا حراصا على أن يكونوا كما جعلهم الله

الاستعمار كما يصفه نائب فرنسي

(جاء في تقرير النائب الفرنسي مسيو موتيه الذي

رفعه إلى مؤتمر الاتحاد البرلماني في برن سنة ١٩٢٤)

من المحقق أن الاستعمار عمل لا يسوغه قانون، وكثيرا ما ظهر بمظهر الفظاظة والغلظة، لأنه يقضى بحكم القوى على الضعيف، وقد مضى على وجوده قرون بحجة نشر المدنية والارتقاء بين الشعوب المزعوم جهلها وخمولها. والحقيقة أنه لم ينشر من تلك المدنية وذلك الارتقاء إلا الأسماء التي تنتحلها لنفسها الأمم المستعمرة وقد أراد المستعمرون أن يسدوا على أعمالهم ثوبا شرعيا قانونيا فقرروا ضم ما استولوا عليه من البلدان إلى ممتلكاتهم، وادعوا أنها جزء من بلادهم، وأن عليهم عبء نشر المدنية والعلوم فيها، والحقيقة أنهم لا يبغون من وراء ذلك إلا مصلحة بلادهم.

ترجمة المفردات أو العبارات؟

للأستاذ عباس محمود العقاد

أفرط فيه يشرف به على الانقطاع ، وكذلك القوس إذا أفرط في شد وترها أو شك أن ينقطع الوتر ، .

والذي قاله الأستاذ النجار هو المقصود من العبارة عند ورودها في المصطلحات الأجنبية الحديثة ، فإنهم يريدون هذا المعنى ويريدون معه معنى آخر يلزم التوتر إذا بلغ من الشدة أن يؤذن بالانقطاع ، وذلك أن

الخيوط إذا توتر أصبحت كما يقولون وحساسا ، يهتز لأهون لمسة كما يهتز الغاصب للكلمة الهينة التي قد يتقبلها ويغضى عنها ساعة رضاه ، وفي هذه الحالة تسوء العلاقات لما يوجب الاستياء ولغيره مما لا يسوء في سائر الحالات . ولكن موضع الملاحظة على نقل أمثال

هذه الكلمات والعبارات أن المعنى الذي يفهم منها الآن عندهم وعندنا ليس بالمعنى الأصيل وليس بالمعنى المستفاد من وضع الكلمة كما كانت مفهومة بين الأقدمين ؛ لأن الكلمة الأصيلة عندهم إنما تفيد معنى الضيق والضغط والعصر ولا تفيد غير ذلك إلا من قبيل الاستعارة المجازية ، وقد تستعمل للوتر كما تستعمل لقميص المجانين أو تستعمل للضيق البحري أو للفاقة والإفلاس ، وهي كذلك

نبدأ هذا البحث الصغير بسؤال :

ماذا نترجم عند النقل من اللغات الأجنبية ؟ . هل نترجم المفردات أو نترجم العبارات ؟ . وهل نترجم المفردات بمعناها الأصلية أو نترجمها بالمعنى الذي درج عليه الاستعمال من مجاز أو اصطلاح ؟ .

عاد إلى ذهني هذا السؤال بعد قراءة اللغويات التي كتبها الأستاذ المحقق محمد علي النجار ، في العدد الأخير من هذه المجلة وعرض فيه العبارة : (توتر العلاقات) التي ترد كثيراً في كلام المترجمين عن اللغات الأوروبية فقال : إن اليازجي يرى في مجلة الضياء أن هذه العبارة تفيد عكس المعنى المراد ؟ فإنه يقال وتر القوس إذا شد وترها ، وتوتر العصب ونحوه إذا اشتد فصار مثل الوتر ، فهي تدل على قوة الصلات وماتنها لا على ضعفها . والصواب أن يقال استرخت العلاقات بينهما في هذا المعنى .

ويرد الأستاذ النجار على اعتراض اليازجي فيقول : إن تخريج العبارة بما يصح معه المعنى ممكن ، وذلك أن توتر العصب واشتداده إذا

تضطرنا إلى الافتراض من الغريب أو الدخيل .

وربما كانت الاستعارة سائغة قريبة في عبارة « التوت » ، حين تستخدم لفساد العلاقة بين الدول أو آحاد الناس .

ولكن المترجمين ينقلون أحيانا عبارات مستغربة لا تقع في الأذواق موقعها الحسن كما تقع هذه العبارة .

ومن ذلك قولهم : إن هذا أوزاك . « يلعب دوراً خطيراً في السياسة أو التاريخ أو شؤون الحياة العامة » ، وقد يفتح الذوق في اختيار المواضع لهذه العبارة حتى يقول القائل : « إن الدين يلعب دوراً جديداً في المسائل الاقتصادية » ، أو يقول قائلهم : « إن ذلك البطل العظيم لعب دوراً هاماً في تشريع زمانه » ، إلى أمثال هذا السخف الذي يتخرج منه أصحاب اللغة الأجنبية أنفسهم عند استخدام هذه العبارات ، ولو أنهم أخذوا مادة « اللعب » بحرفها كما وضعت أصلاً لم يكن لها هذا الموقع المعيب عند سامعها من العارفين بمعانيها ؛ لأن أصل المادة عندهم يشمل « الاشتغال » ، ويشمل « الحركة » ، التي تحمل الإنسان وراء مشيئته ، ومنها جاءت حركة الرقص وحركات اللعب والطرب ، وأشباه هذه الحركات التي تدخل فيها حركة اللعب الهازل وغير الهازل .

أصلاً سواء ردها إلى مادة (سترين) Strain أو مادة (سترين) Straiten وكلتاها واردة متكررة في أمثال هذه العبارات .

وموضع الملاحظة أننا نعلم إلى معنى مستعار في لغته فننقله بحرفه ونضه مع وفرة الكلمات التي تؤدي هذا المعنى باللغة العربية ، أصلاً واستعارة ، بكل ما يراد منها في جميع التخريجات .

وعندنا لأداء هذا المعنى كلمات « الحرج والأزم والبرم والعنت والريبة والضيق » ، وعشرات غيرها تنصرف إلى المقصود بكلمة التوت على كل تصريف وتأويل .

ومن عجيب التوافق في مجازات اللغات أن مادة (برم) عندنا تستخدم للقتل الشديد كما تستخدم للضجر وقلة الاحتمال ، ولكن وجه الاستعارة يختلف بين البرم والتوت في العبارة الإفريقية ؛ فإن الضجر عندهم مقرون بالحساسية وهو مقرون عندنا باللي والتضييق .

ولو نظرنا هذه النظرة إلى مادة التوت وجدنا فيها معنى النقص ومقابلة الشفع والائتلاف كما نجد فيها معنى الشد والإيدان بالانقطاع . فسبيل المجاز عندنا أوسع من أن نحتاج فيه إلى النقل من اللغات الأخرى ، وكلماتنا الأصلية تؤدي معانيها الأولى وتتسع للجاز المعقول وللقرائن السائغة على وجوه شتى ، وليست هي من الذرة أو الجمود بحيث

إلى نظائر هذه التشكيلات التي لا شكل لها في قوام لغة الضاد .

فما ضرورة نقل الكلمة بحرفها من اللغات الأجنبية وهي تنقل بجميع معانيها في كلمات لا تخص من كلمات اللغة العربية .

لم لا نقول : إن هذه القضية تؤدي إلى خطر دائم على السلام ؟ ، ولم لا نقول : إن هذه القضية بمثابة خطر دائم على السلام ؟ .

ولم لا نقول : إنها ينجم عنها الخطر ، أو إنها تترامى في صورة الخطر ، أو إنها ماثلة في صورة الخطر ، أو إنها تؤلف أو تحدث أو تخلق الأخطار أو ما يشاءون من الأشكال ؟ وكم ورد على الأذهان وعلى الألسنة من هذه التعبيرات فلم ينتظرها قائلوها مئات السنين حتى يخرجها العي والفهاة من صفحات قاموس يقرؤه صغار التلاميذ ؟ . إن أشباه هذه المفردات وما تدخله من العبارات والمصطلحات هي التي نريد أن نسأل عنها : هل نترجمها على مثال تلك الترجمات « القاموسية التقليدية » أو نقابلها بما عندنا من اللفظ الأصلي واللفظ المستعار ، وهو كثير ؟ .

ويبدو لنا أن الضرورة لا تقضي علينا بترجمة كلمة من الكلمات الأجنبية في مصطلحاتهم الشائعة غير الكلمات التي تدل على الأعيان والأشياء ، وإنما تشكل عناء لا يساوى

ولكن الأصل في مادة « اللعب » عندنا يرجع إلى المهازل الصنيانية ويأتى - على ما نرجح - من قولهم ، (لعب الصبي أى سال لعبه) ولعب فلان أى صنع صنيع الصبيان ، وليست الكلمة على معنى من معانيها الأصلية أو الطارئة بالتى تصلح للاقتران بمعانى التقديس ومعانى الخطر والتعظيم .

ومن قبيل هذا النقل المعيب قولهم : « إنهم أقاموا مأدبة على شرف فلان ! » . . . كأنما كان شرف فلان هذا مأدبة أو بساطا أو سفرة للطاعمين الشاربين ، ولو كانت ضرورة التعبير عن المعنى المقصود تستدعى التقيد بحرف العبارة المترجمة لكان لهم عذرهم من حكم الأمانة والاضطرار ، ولكننا قد نؤدى المعنى المقصود بكلمات الحفاوة والتكريم والترحيب والتحية وما إليها ، فلا تقصر هذه الكلمات عن معنى المأدبة التى تقام على الشرف . . . فلا تشرفه لفظا ولا معنى وهي مقامة عليه ! .

ومن المنقولات الحرفية المائعة التى نسمعها من الإذاعات الأجنبية كثيرا فى الأيام الأخيرة قولهم : « إن هذه القضية تشكل خطراً دائماً على السلام ، أو إن هذه المسألة تشكل موضوعاً للبحث ، أو « إن هذا العمل يشكل أزمة من أزمات الأمم المتحدة ، ...

الدولة التي صنعها الإنسان والأمة التي خلقها الله

للأستاذ الدكتور محمد البهي

- ١ -

الدولة التي صنعها الإنسان :

التنفيذية ، والسلطة القضائية ، والسلطة التشريعية ، وكل سلطة من هذه السلطات لها اختصاصها ، وتعاون جميعها على صيانة المجتمع من الأضرار ، وعلى تمكين الأفراد في المجتمع من أن يؤديوا رسالة المجتمع وهي رسالة التعاون ، وتحقيق الهدف الذي من أجله قام المجتمع أو تكون .

ووظيفة السلطة التشريعية - كما أشرنا - هي سن القوانين لحفظ العلاقات بين الأفراد وصيانة حرياتهم في التعبير والاعتقاد ، وصيانة حرمتهم في المال ، والعرض ،

يتميز المجتمع الحديث بأن له نظام «الدولة» ، ومعنى ذلك أن المجتمع سلطة تنفيذية تمثل فيما يسمى بالحكومة ، وأن له قانونا من وضع الإنسان ينفذ لصالح الأفراد ، وأن له كذلك مصدرا تشريعيا يمارس تعديل التشريع القائم أو سن تشريع جديد حسبما يقضى وضع المجتمع ، وحسبما تتطلب ظروف بقائه أو الدفاع عنه .

وهكذا توجد سلطات ثلاث : السلطة

وتعرضها للغضب السريع والاستفزاز المرعب ، فربما كنا نحن أولى بهذا المجاز وأقدر على تخصيصه بمدلوله ؛ لأننا نتلقاه بأسماع ألفت التفرقة بين أصل الكلمة ومجازها وبين التشبيه الطارئ والشبه القديم .

عباس محمود العقاد

كلفته إذا نقلنا ألفاظهم بأصولها واستعاراتها وهي مفهومة عندنا بما وسعته لغتنا من معنى أصيل أو معنى مستعار ، ولا حرج - مع ذلك - من نقل الاستعارة المجازية حيثما وجدت على وفاق بين أذواقهم وأذواقنا ، وبين قواعدهم وقواعدها ، ومن قبيلها استعارة « التوتير » واستخدامها لخرج العلاقة ، أو فسادها ،

بكل سلطة منها في إلتقان ، وفي الوقت نفسه في غير عناء او في غير إجحاف بالمصلحة العامة ، ذلك الإجحاف الذي يترتب على قيام غير فني أو غير خبير بتنفيذها .

ويبدو من توزيع أجهزة الدولة إلى هذه السلطات الثلاث ومن إسناد هذه السلطات إلى خبراء متخصصين في شئونها أن ، الدولة ، تكفل بهذا التنظيم رعاية الصالح العام كما تكفل العدل بين الأفراد ، وتمكين الأفراد من فرص الحياة بالتساوى ، وتحسين العلاقات بينهم ، وتدفعهم جميعا إلى التعاون ، وإلى تحقيق أهداف المجتمع وغاياته .

ونظام الدولة من حيث التخطيط على هذا النحو ، نظام مثالي ، ولكن عند التطبيق يتبين أنه يعنى بظاهر العلاقات بين الأفراد ، وبالشكليات القانونية أكثر من عنايته بإقناع الأفراد بالأهداف التي فرضها نظام الدولة غايات له ، ويعنى بصورة العدل ، وبصورة المصلحة العامة ، أكثر من عنايته بحمل الأفراد - عن طريق تكوين «الضمير» -

على التصرف العادل ، ولتحقيق المصلحة العامة . إن نظام الدولة في المجتمع الحديث نظام فرض على الأفراد وأقيم لحملهم - بطريق القوة الجبرية - على اتباع القانون الذي تسنه الهيئة التشريعية فيه ، دون أن يكون هناك إيمان في نفوس الأفراد بعدالة هذا القانون ،

والنفس ، ولتمكين جميع الأفراد من فرص الحياة ، بحيث يكون هناك تكافؤ لأصحاب المستوى الواحد ، وبحيث لا يتدخل في استغلال هذه الفرص عامل آخر لا يتصل بالطاقات الإنسانية ، والاستعدادات الفردية عما يعرف بجاه الشرف أو جاه السراء ، أو يتصل بعصية مذهبية أو طائفية .

ولكى تكون القوانين التي تشرع ، تمثل هذا الصالح العام وكل المجتمع الحديث سلطة التشريع إلى هيئة تمثل الرأي العام فيه ، عن طريق الانتخاب الشعبي ، أو عن طريق اختيار السلطة التنفيذية لأصحاب الخبرة والدراية بجوانب حياة المجتمع العديدة .

ووظيفة السلطة القضائية هي تطبيق القوانين التي تسنها الهيئة التشريعية ، مستهدفة في هذا التطبيق الأغراض التي من أجلها خرجت هذه القوانين ، والتي هي تصور المصلحة العامة للأفراد في المجتمع ، كما تصور غايات المجتمع نفسها التي بعثت على قيامه ، وتبعث على استمراره في البقاء .

أما السلطة التنفيذية فهي الهيئة التي تمارس الإشراف على تنفيذ القوانين التي تسنها الهيئة التشريعية ، وتطبقها الهيئة القضائية . واقتضى تعدد هذه السلطات أن يتنوع تخصص القائمين على أمرها ، بحيث يساعد هذا التخصص على تنفيذ المهمة التي تناط

من يد الأفراد، وجعله في يد الدولة وحدها. أن الدولة الشيوعية عندئذ سوف لا تحتاج إلى سلطة « بوليسية »، لحفظ الأمن ؛ لأن المساواة بين أفراد المجتمع الشيوعي حينئذ أصبحت حقيقة واقعة فلم يعد هناك ما يوجب حقد الأفراد بعضهم على بعض ، وليس هناك ما يوجب احتكاك بعضهم ببعض . طالما المال كله بيد الدولة ، وطالما الدولة ترعى جميع الأفراد بإعطائهم العمل وتؤجرهم عليه أجرأ مناسباً . خيل لكارل ماركس أن الدولة الشيوعية هي الدولة السعيدة التي لا تحتاج إلى رقابة خارجية ، لفقدان مصدر الحقد والاحتكاك بين الأفراد فيها : ولكن بالرغم من سحب المال من الأفراد وجعله في يد الدولة الشيوعية فالرقابة « الخارجية » - أي التي هي من خارج الأفراد على الأفراد أنفسهم في المجتمع - فيها أشد قوة ، وأكثر تنوعاً وعدداً لأن نظام الدولة في نفسه - كما ذكرنا - نظام قام على فرض الرقابة الخارجية ، والعناية بها . ولم يكن منبثقاً عن « ضمير » ، أو عن قوة ذاتية دافعة ، تدفع الأفراد إلى غايات المجتمع ، دون حاجة إلى تلك الرقابة الخارجية أو دون حاجة إلى ما يسمى بالسلطة التنفيذية .

وآية أن نظام الدولة في المجتمع الحديث هو نظام قام على فرض الرقابة الخارجية ، اهتمام الدولة في كل مجتمع حديث وعنايتها

أو بملأه لمصالحهم كأفراد في المجتمع . إذ أن القانون مهما توفرت الرعاية أو العناية على تشريعه ، فالمشرعون أنفسهم أشخاص قد يتأثرون بنفوذ القائمين على شئون الدولة أو يتأثرون بالحيط الذي يعيشون فيه ، أو بالهزعة التي يزعجون إليها كأصحاب اتجاه معين ، أو نظرة معينة في الحياة . وعندئذ لا يلزم أن يكون القانون ممثلاً للعدالة ، أو ممثلاً « لروح التجرد » ، التي ينبغي أن تتوفر في القانون ، إذا أريد تطبيقه على جميع أفراد المجتمع وقصد به أن يحقق المصلحة العامة بينهم . إن استقرار نظام الدولة - بحكم أنه مفروض على أفراد المجتمع - رهن بجهاز الرقابة - وهو جهاز السلطة التنفيذية ، وبقدر مالهذا الجهاز من استطاعة على « التتبع » ، في تنفيذ القانون ، وبقدر ما يبطل هذا الجهاز أو يغفل أمر التتبع في تنفيذ القانون ، بقدر ما يضطرب نظام الدولة ، وبقدر ما تفتر العلاقات الاجتماعية بين الأفراد في المجتمع . ذلك كله لأن نظام الدولة - كما ذكرنا - لم يعتمد على تربية الضمير الباعث ، بل اعتمد كل الاعتماد على السلطات الثلاث . وهي سلطات لا تنشئ ضميراً ، ولا تنشئ إقناعاً ، وإنما تحمل حملاً وتقهقراً على الطاعة والانباغ ولقد خيل لكارل ماركس - يوم أن خط النظام الشيوعي للدولة عن طريق سحب المال

الأمر الثاني : فقدان تمثيل القانون للمصلحة العامة أو للعدالة ، أو للساواة في تكافؤ الفرص بين الأفراد ، نظراً لتأثر المقينين وأصحاب السلطة التشريعية بظروف حياتهم وبيئاتهم ، أو بنفوذ القائمين على أمر الدولة. الأمر الثالث : فقدان العناية بالروح الجماعية في العلاقات بين الأفراد ، وبقاء الفردية ، كظاهرة سائدة في هذه العلاقات. ونظام الدولة في نتائجه هذه لا يستطيع أن يحمل نتائج أخرى سواها ؛ لأنه من صنع الإنسان. والإنسان هو ذلك السكان صاحب الحكمة والهدى ، وصاحب العقل والغريزة وصاحب الصيرورة من طفولة إلى رشد. هو ذلك السكان غير المستقر وغير الثابت. هو ذلك السكان الذي يدبر ولا يخلق والذي يقوم تديره على خطأ مرة ، وعلى صواب أخرى.

وقد بدا لأصحاب الدولة الذين وضعوا نظامها ، ودافعوا عنه ، أن الفصل بين السلطات الثلاث ضمان كاف لتحقيق العدالة بين أفراد المجتمع ولرعاية الحريات الفردية من الحرية في التعبير ، والاعتقاد والتصرف في حدود القانون العام ، وأنه كاف كذلك لقيام التعاون وتوثيق الروابط الاجتماعية بين الأفراد. كما بدا لهم كذلك أن في هذا الفصل ، ضماناً آخر لعدم طغيان سلطة على

بالسلطة التنفيذية : في عدد رجال الأمن ، وفي تخصصهم وفي أنواع الرقابة على الأفراد ، وكثرة وسائل التتبع في التنفيذ وفي الوقت نفسه ، هذه العناية وهذا الاهتمام بالسلطة التنفيذية من سلطات الدولة في المجتمع الحديث يدل من جانب آخر على أنه لولا القوة المادية التي تتمثل في السلطة التنفيذية لتفككت روابط المجتمع ، وسادت الفوضى في العلاقات بين الأفراد .

على أنه من ناحية أخرى منذ أن أخذ المجتمع الحديث بنظام الدولة ، هذا النظام الذي يبدو في ظاهر أمره أنه يغطي العلاقات بين الأفراد في صورة اجتماعية ، لم تساير هذا النظام العلاقات الاجتماعية بين الأفراد في حقيقة أمرها ، وظلت الفردية ، هي العامل الذي يحدد هذه العلاقات ، ومن هنا تنبئ الجرائم المتنوعة ، وتنبئ الاحتكاكات بين الأفراد في صورها المختلفة التي تقع في المجتمع على عدم مسايرة العلاقات بين الأفراد في حقيقة أمرها ، لما يبدو من تغطية نظام الدولة لتلك العلاقات في صورتها الظاهرية .

ولذا يلاحظ على نظام الدولة في المجتمع الحديث أمور ثلاثة :

الأمر الأول : فقدان العناية بالضمير ، أو فقدان العناية بالقوة الذاتية الدافعة للأفراد نحو العمل الجماعي .

طبيعته - أثر في حياته ، فضلا عن أن يستأثر هو بتوجيهه وبتخطيط الحياة الإنسانية له .
إن نظام الدولة هو نظام الثورات الأوروبية التي تعقبت الماضي واعتضت على رسالة الدين ، وعلى مسئولية الكنيسة في توجيه الحياة الإنسانية . إنه نظام « العصر الإنساني » ، والعصر الإنساني ليس إلا تلك الفترة التي طلب فيها الإنسان أن يستقل بتوجيه نفسه وأن يدفع عن حياته ما سماه بالصاية غير الإنسانية ، ليس إلا تلك الفترة التي اغتر فيها الإنسان بقيمة العقل الإنساني ، وبقيمة ما يستطيعه من تدبير وإبداع ، فهو أى نظام الدولة - وليد الفلسفة الإنسانية ، وليد غرور الإنسان بالإنسان ومدى استطاعته في توجيه الحياة الإنسانية ولذلك هو مصنوع للإنسان وابن مشيئته .

وسيمثل الإنسان صاحب هذا النظام يدافع عنه ، ويمنحه القيمة العليا ، طالما هو يؤمن باستقلال الإنسان في توجيهه وبخالفية العقل وإبداعه في الحياة الإنسانية .

والمنطق الأصيل لنظام الدولة في المجتمع الحديث طبقا لهذه الفلسفة الإنسانية الاستخفاف على الأقل بالقيم التوجيهية الأخرى التي تنبثق عن رسالات ليست هي من صنع الإنسان أو يذكر في شأنها أنها ليست من الإنسان ، وجاءت لهدايته وهي رسالة السماء ، ولعل المجتمع الشيوعي في الوقت الحاضر

سلطة أخرى وخاصة طغيان السلطة التنفيذية على إحدى السلطتين التشريعية أو القضائية ولكن النقص الذي يتصل بهذا النظام ليس في تداخل السلطات الثلاث ، حتى يكون الفصل بينها ضمانا لتلافي هذا النقص فيه ؛ وإنما العيب الأساسي فيه - كما ذكرنا - أنه يقوم كله على « التنفيذ » بالقوة الجبرية « بقوة البوليس » ، أو « قوة الأمن الداخلي » ، وأنه يقوم على « جهاز التتبع » ، دون أن يكون للاقتناع الداخلي أو للإيمان القلبي به دخل في تنفيذه والطاعة له . فهو نظام « يسوق » الأفراد إلى الطاعة ، من غير أن تكون لهم إرادة حقيقية فيها ؛ وهو من أجل ذلك يبعد عما يجب أن يراعى في طبيعة الإنسان . وفي تميز هذه الطبيعة عن طبائع الكائنات الأخرى التي تشاركها النمو والحركة إذ الاليق بطبيعة الإنسان أن تكون حركته في حياته ، وأن تكون طاعته أو عدم طاعته ناشئة عما له من اختيار . ذلك الاختيار الذي ينشأ بدوره عن اقتناعه الداخلي .

وقد بالغ الإنسان صاحب هذا النظام في المجتمع الحديث في القيمة التي له وهو في واقع الأمر بالغ في قيمة نفسه هو وفي قيمة عمله . إذ الدولة من صنع الإنسان « الثائر » ، والذي ثار على توجيه غيره إياه ، وعلى أن يكون لوجود آخر سواه - مهما سما وجوده ، وسمت

في التوجيه ، والتفرد بالسيادة في حياة الإنسان : الدين أم الدولة ! .

والحديث فيما مضى عن مسامرة المجتمع الشيوعي لمنطق الفلسفة الإنسانية ، بإبعاده الإيمان عن محيطه ، وعن الصلة بنظام الدولة - هو حديث عن المسامرة الظاهرة ، وفي واقع الأمر : التنافر لم يزل حقيقة واقعة فيه ، ولم يزل قائماً ؛ لأن الأفراد الشيوعيين فيه - وخاصة الطبقة المتقدمة في السن منهم لم يزالوا يعبرون عن إيمانهم بالدين في صور مختلفة ، وإن لم يعلنوا هذه الصور في وضوح خشية من رقابة السلطة التنفيذية ، ومن تتبع الرقابة الخارجية ، التي تمارسها الدولة .

وخلاصة وضع المجتمع الحديث في أخذه بنظام الدولة أنه مع محاولته فرض هذا النظام على الأفراد ، وسوقهم إلى الطاعة دون أن تكون طاعتهم صادرة عن اختيار ، كما توحى به طبيعة الإنسان ، ويوحى به تميزها عن بقية الطبائع الأخرى النامية المتحركة - أنه يضع الأفراد في المجتمع في صراع نفسي بين قوى الدولة والدين ، وأنه نفسه لا يخلو من هذا الصراع ، مهما حاول الملاءمة بين فرضه لنظام الدولة وخضوعه للإيمان بالدين (البقية في العدد القادم)

الدكتور محمد البرهي

المدير العام للثقافة الإسلامية

هو أوضح المجتمعات الحديثة ، في مسيرته لهذا المنطق بعدا وقربا ، وكلما بدت في المجتمع الحديث ظاهرة « الثنائية » بين نظام الدولة وبين الإيمان بالدين كلما كان هذا المجتمع متنافرا مع منطق « الفلسفة الإنسانية » التي تأسس عليها نظام الدولة في المجتمع الحديث .

وربما - من جانب آخر - كان هذا التنافر من مستلزمات المجتمع القائم لأن المجتمع ليس إلا « صورة » من الصور التي تطرأ على حياة الأفراد ، ويعمل البعض منهم . وإذا كان المجتمع صورة طارئة على حياة الأفراد ، فالأفراد أنفسهم هم لبنات المجتمع الطارئ الجديد ، وكذلك المجتمع السابق الذي انقضى وليس من السهل - ولا من الممكن أيضا - أن يتخلى الأفراد عما في قلوبهم من إيمان ، وعما في نفوسهم من روااسب ، وعما في عقولهم من تصورات إثر تكون المجتمع الجديد ، وفور قيامه ، وهنا لكي تلائم قيادة المجتمع الجديد نفسها مع ميول الأفراد ومع أجوائهم النفسية والعقلية ومع إيمان قلوبهم - تتمسك بنظام الدولة وفي الوقت نفسه تعلن مسيرتها للإيمان بالدين السائد بين أفراد المجتمع .

وفي واقع الأمر ، هذه الملاءمة التي تريدها قيادة المجتمع الجديد ، إن هي إلا إعلان عن صراع بين قوتين كلتاهما تبغى الاستقلال

الله

في القرآن الكريم

للأنساذ محمد محمد المدني

— ١ —

أني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ، فيرشد أصحاب العقول إلى استحالة أن يكون له ولد ، مستدلاً على ذلك بأنه ليس له صاحبة وهو معنى سلبى أيضاً .

ويقول : « لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » ، فينبغي عن ذاته أن تكون متولدة من غيره ، أو أن يتولد عنها غيره أو أن يكون له مماثل وكفو .

٢ — وفي القرآن الكريم آيات تنسب إلى الله تعالى : الوجه واليد والعين والجهة والمعية والمصاحبة والعندية والاستواء ونحو ذلك مثل قوله تعالى : « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » . « فأينما تولوا فثم وجه الله » ، « يد الله فوق أيديهم » ، « بل يده مبسوطتان ينفق كيف يشاء » ، « ولتصنع على عيني » ، « واصنع الفلك بأعيننا ووحينا » .

« ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم » ، « ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا » ،

١ — لا نجد في القرآن الكريم حديثاً مباشراً عن ذات الله تعالى ؛ لأن الذات الإلهية لا يمكن وصفها ولا تصور كنهها ولا الإحاطة بها ، ولو على وجه من التقريب ، وإنما نجد القرآن الكريم يأتي بحديثه في هذا الجانب على وجه السلب والنفي ، فيقول مثلاً : « ليس كمثله شيء » ، فيعطينا بهذه الجملة القصيرة ، قانوناً وقائماً عاماً نستعمله كلما احتجنا إلى مدافعة وهم من الأوهام ، في تصور ذات الله تعالى ، ومحاولة معرفة كنهه جلا وعلا .

ويقول : « سبحان الله عما يصفون » ، فيعطينا بهذه الجملة القصيرة أيضاً ما ندافع به أولئك الذين يحاولون تصوير الله ، أو تمثيله بأحد من خلقه .

وكلمة « سبحان الله » معناها تنزيه الله ، وتقدير اللفظ فيها : أعتقد تنزه الله أو أنزه الله تنزيهاً ، أو نحو ذلك ، وهو معنى سلبى لأن التنزيه هو نفي كل ما لا يليق عن الله تعالى . ويقول جل شأنه : « بديع السموات والأرض »

أما الخلف فيقولون : الوجه واليد والعين أساء استعملت في جانب الله على وجه من المجاز للدلالة على الذات أو القدرة أو العناية أو نحو ذلك ، فهما إذا متفقان على أصل التنزيه القطعي ، وإنما يختلفان في فهم مظاهره ينافي هذا التنزيه .

٣ - وقد عني القرآن الكريم - على أسلوب مباشر - بنوعين من الصفات فيما يتحدث به عن الله تعالى .

النوع الأول : الصفات التي تملأ القلوب بعظمة الله تعالى وجلاله وتبرها بحجمه وكأله .

النوع الثاني : الصفات التي تدل على ربوبيته للعالمين خلقا وإيجادا ، وإنعاما وإمدادا .

وإنما عنيت آيات القرآن الكريم بالتحديث إلى الإنسان بهذين النوعين من صفات الله تعالى لمعنى تهدف إليه هو أن تقرر في نفسه أن لا إله إلا الله .

وذلك أن الإله هو الذي تأله إليه النفوس وتنجذب معتقدة أن له سلطانا حقيقيا يستطيع به أن ينفع ويضر دون قيد عليه من غيره ، ولا عجز يعثره في نفسه مع انصافه بالكمال المطلق والعدل المطلق ، وأن عليها لذلك أن ترضاه وتخضع له الخضوع المطلق .

فالنوع الأول من الصفات يراد ببيانها والحديث عنه في القرآن الكريم أن يقتنع الإنسان بأنه حينما يتجه إلى الله بالعبودية إنما

د ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، د الرحمن على العرش استوى ، إلخ .

ولكن القرآن نفسه يرشدنا إلى الصراط السوي في فهم هذه الآيات وأمثالها حيث يقول : د هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب . ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، .

وخلاصة ما تنصح به هذه الآية أن نقول فيما اشتبه علينا د كل من عند ربنا ، أي : فنحن نؤمن به ، وأن نرده مع هذا الإيمان به إلى المحكم من الكتاب الذي جعله الله د أما ، له تشبيها بالأم التي يفرع إليها ابنها وفرعها طلبا للأمن والسكن في أحضان أصله ومذنبته .

فإذا أردنا طمأنينة النفس في شأن آيات : الوجه والعين واليد وأمثالها فلننظر إليها من أفق الآية الأخرى الصريحة القاطعة المحكمة د ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، .

ولذلك يقف السلف منها موقف التسليم ، ويقولون : لله وجه ويد وعين كما أخبر في كتابه وليس كمثله شيء ويقولون : استوى ولا نسأل كيف استوى .

جليل الشأن انحنت له الروس إعجاباً به
وخضوعاً لمصدره أوهى بتعبير آخر مزيج
من الشعور بالعظمة والقوة والكمال وتمام
الإحسان ، ولذلك تتخذ صوراً من الثناء على
الله بالقول حيناً ، وبالانحناء ركعاً وسجوداً ،
وبالذكر والشكر تأملاً وعرفاناً اعترافاً بأنه
تعالى هو العظيم وهو الوهاب .

اقروا في النوع الأول من الصفات التي
وصف الله بها نفسه في القرآن :

« وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن
الرحيم ، فهي تثبت «الوحدانية» مع الرحمة
الشاملة واقروا :

« الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، لا تأخذه
سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الأرض ،
من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ، يعلم ما بين
أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشيء من
علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السموات
والأرض ، ولا يؤوده حفظهما ، وهو
العلی العظيم . »

عشر جمل متتابعة في آية واحدة ، هي :
آية الكرسي المشهورة التي ذكرت الأحاديث
النبوية فضلها ، وتحدثت عن بركاتها في التحصين
والحفظ . وأنها تشتمل على اسم الله الأعظم ،
فأول جملة منها : هي إثبات الوحدانية ،
« الله لا إله إلا هو » ، أي ليس في الوجود
من له سلطة عليا مطلقة يفعل بها ما يشاء ،

يتجه إلى الإله الكامل العظيم ذي الجلال
والجمال فهو يتجه إلى من هو جدير باتجاهه ،
ويأله - أي يعشق وينجذب - إلى من هو
حقيق بعشقه وانجذابه .

وأهل التصوف لهم في ذلك عبارات ،
منبثقة عما تجلّ لهم من مقامات معرفة الصفات
ومن ذلك قول العارف بالله عمر بن الفارض :
فقت أهل الجمال حسناً وحسنى

فبهم فاقه إلى معناكا
يحشر العاشقون تحت لوائى
وجميع الملاح تحت لواكا
وقول الآخر :

لو يسمعون كما سمعت كلامها
خروا لعزة ركعاً وسجوداً
والنوع الثاني يراد به إقناع الإنسان -
بالإضافة إلى ذلك - بمعنى آخر فيسه طمأنينة
لنفسه وسكون لقلبه هو أن هذا الذي عرف
عظمته وجلاله في نفسه ، هو مصدر وجود
هذا العالم كله ومصدر بقاءه ، ومصدر إسعاده
وإمداده ، فهو الخالق المبدع ، وهو المحسن
المنعم ، وهو المتفضل بإرسال رسله إلى خلقه
ليهدوا بهم إلى معرفته ، وليرشدوهم إلى
طريق الخير والفلاح ، ومن كان كذلك فهو
الجدير بأن يعبد وحده ، لأن العبادة مزيج
من الشكر والخضوع ، والشكر إنما ينبعث
عن الإحسان ، وإذا كان الإحسان عظيماً

أن تغالبه سنة وهي تبشير النوم وأوائله ،
وحينما يقبل على الجفون فبداعيا ، ولا نوم
وهو أشد من السنة قهراً للأحياء وغلبة عليهم
وأخذنا لهم ، فهذا وذلك منفيان عن الله تعالى
على سبيل الترقى من الأدنى إلى الأعلى .

ثم جاءت الجملة الرابعة تقرر ملك الله لكل
مافي السموات ومافي الأرض ، وتقرير الملك
شيء جديد بعد إثبات الحياة والقيومية
الكاملين .

ثم تأتي الجملة الخامسة منكرة أن يكون
لأحد أمر مع هذا المالك الحي القيوم فتقول :
« من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ، وقد
كانوا يعتقدون أن ما يتخذونه من آلهة ،
سيكونون شفعا لهم عند الله ، فأنكر الله عليهم
ذلك ؛ لأن شفاعة الشافع : إما أن تكون
لدى سلطان عادل أو سلطان جائر ، فإن كانت
عند سلطان عادل فشأن الشافع أن يقول له
إنك فعلت ما فعلت ، اعتقاداً منك بأنه هو
المصلحة ، ولكنني أعلم أن هذا الذي أشفع
فيه معذور بكذا أو لم يقصد كذا فإذا قبل
منه صاحب السلطان ذلك ، كان هذا لأنه علم
ما لم يكن يعلم من أمر المشفوع فيه وهو أمر
لا يليق بالله تعالى ، إذ هو الجهل بعينه .

وإن كانت الشفاعة عند سلطان جائر ،
فيجوز أن يقبلها ويترك الذنب لأجل مرضاة
الشفيع وذلك لإفساد لا يليق بالله تعالى .

دون قيد ولا عجز ، ويستحق بمقتضى ذلك
أن يفرد بالعبودية إلا واحده هو الله - وهذه
هي الحقيقة الأولى التي جاءت الأديان وبعثت
الرسل وأنزلت الكتب لتقريرها .

والجل التسع التالية لهذه الجملة الأولى ،
هي : احتجاج لهذه الحقيقة وبراهين على
ثبوتها فالله هو الحي القيوم ، والحياة تختلف
باختلاف المتصفين بها ، حياة النبات نوع من
الحياة وحياة الله تعالى هي أكمل حياة لأنه
هو واهب الحياة لكل من سواه وما سواه ،
ولأنهم جميعاً مستندون في حياتهم إليه ،
وليس هو مستند في حياته إلى شيء ، ولأن
حياته لا تنقطع ، وكل حي يدركه الفناء ، كما
أن حياته أزلية لا أول لها ، وحياة غيره
محدثة بعد أن لم تكن .

والله تعالى قيوم ، لأنه قائم بنفسه ومقيم
لغيره وهي صفة تلخص جميع فنون التصريف
وألوان التدبير في الخلق ، وهي أبلغ من القائم
والقوام والقيم بحكم الصيغة التي يعرفها أهل
الذوق العربي .

ولما كانت حياة الحي وقيومية القيوم
لا تدل بطريق مباشر على استمرار التيقظ
لكل شيء وانتفاء الغفلة ولو في فترة ما ،
جاءت جملة أخرى تصف الله تعالى : بأنه
لا تأخذه سنة ولا نوم ، أي أن حياته
وقيومية لا تفران في وقت ما فلا يمكن

ولم تقدر الآية هذا الشق الثاني ، لأن الكلام إنما هو في الشفاعة لدى الله جل علاه وهو أعدل الحاكمين ، فبقى الشق الأول وهو الشفاعة لدى الله الحكيم العدل ، فجاءت الآية بالجملة السادسة تعليلاً لإنكار أن يشفع عند الله أحد إلا بإذنه ، بأنه يعلم كل شيء فلا يمكن أن يخفى عليه من أمر المشفوع فيه ما يجعله ينزل على حكم الشافع ، فهو تعالى كما هو منزّه عن الظلم منزّه عن الجهل ، وذلك هو قوله تعالى : « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم » ثم جاءت الجملة السابعة نفيًا لأن يكون في الوجود من يعلم شيئاً من علم الله على وجه الإحاطة به إلا ما شاء الله أن يعلمه أحداً من خلقه ، وهذا حكم شامل للشفعاء .

وقد جاء في القرآن آيات أخرى تتحدث عن شأن الشفاعة ، متضمنة علم الله وانفراده بالسلطة ، مثل قوله تعالى : « بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » وقوله تعالى « يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً » .

وأوفق الآراء أن نحمله على الدعاء ، الذي يقبله الله تعالى عقبه ماسبق في علمه الأزلي أنه سيفعله مع القطع بأن الشافع لم يغير شيئاً من علمه ولم يحدث تأثيراً ما في إرادته تعالى ، وبذلك تظهر كرامة الله لعبده في إيقاعه الفعل عقب دعائه - وبهذا فسر الشفاعة - ابن تيمية (١) . وقال الأستاذ الإمام محمد عبده : إن لهذا الاستثناء واقعا وهو أن نبينا عليه الصلاة والسلام يشفع في فصل القضاء فيفتح باب الشفاعة ، فيدخل فيه غيره من الشفعاء ، كالأنبياء والأصفياء ، كما ثبت في الأحاديث وهي مسألة أنكرها المعتزلة وأثبتها أهل السنة ، والله تعالى يأذن لمن يشاء ويطلع على علمه باستحقاق الشفاعة من يشاء ، كما يعلم من الاستثناء في هذه الآية وأمثالها (٢) .

وتأتى بعد ذلك الجملة الثامنة ، وهي قوله تعالى « وسع كرسيه السموات والأرض » وهي تعبير تمثيلي لشمول سلطان الله وعمومه في السموات والأرض ، وليست تكررًا مع قوله تعالى من قبل : « له ما في السموات وما في الأرض » فإن الحديث في إحداها عن السموات والأرض وفي الأخرى عما فيهما .

والمراد بقوله تعالى : « إلا بإذنه » ، و « إلا لمن ارتضى » ، « وإلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا » ، فيه كلام كثير وخلاف بين العلماء ،

(١) ص ٣٣ ج ٣ من تفسير المنار .

(٢) المصدر نفسه .

الذي يزول كل ما عداه ، ومن أنه القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم به كل ما سواه ، ومن أن حياته وقيوميته لا يغلبهما عارض يعرض فيؤدى إلى الغفلة ولو في فترة يسيرة ومن أنه مالك لكل ما في العالم وهذه صفات العلو الكامل عن كل ما في الوجود ، وصفة (العلى) تلخيص لها .

أما صفات العظمة فهي كونه تعالى ذا هيبة وجلال ، لا يستطيع معها أحد أن يسبقه بالقول فيشفع عنده إلا بإذنه ، وكونه عالماً لكل شأن ، من شئون خلقه ، وكون علمه لا يحاط به بل يعلم منه فقط ما شاء هو أن يعلم ، وأن ملكه عام شامل للسموات والأرض وأنه يحفظهما ولا يثقله حفظهما (١) .

فهذه صفات العظمة ، ولذلك كانت الجملة الأخيرة في آية الكرسي (وهو العلى العظيم) إجمالاً — كما قلنا — لصفات العلو والعظمة التي فصلت من قبل .

(١) هناك فرق بين قوله تعالى : (له ما في السموات وما في الأرض) وقوله جل شأنه : « وسع كرسيه السموات والأرض » وقد بينا هذا الفرق فيما ذكرناه عن الجملة الثانية ، ونزيد هنا أننا جعلنا الجملة الأولى تعبيراً عن صفة من صفات العلو ، لأن الذي يملك ما في السموات والأرض عال عن كل ما في السموات والأرض ، وجعلنا الجملة الثانية من صفات العظمة لأنها حديث عن سعة كرسي الله وشمول ملكه لذات السموات والأرض ، وعظمة الملك مؤذنة بمظمة المالك .

وقد تعددت الآراء في المراد بقوله تعالى « كرسيه » هل هو علم الله ، أو ملك من ملائكته أو جسم كثيف أو لطيف . . إلخ وخير لنا أن نختار بين أن تتبع رأى السلف فنسلم ونقول : له تعالى كرسي كما أنبأ عن نفسه ولا ندرى ما كنهه ناظرين إلى ذلك من أفق (ليس كمثل شيء) أو تتبع رأى الخائف فنقول كما قيل في الاستواء على العرش : إن ذلك تمثيل لملك الله على حشد ما يعرفه الناس من شأن الملوك .

والجملة التاسعة (ولا يؤوده حفظهما) ضرورية في تميم المعنى المراد من بيان عظمة الله تعالى ، إذ أن الملك بذاته لا يقتضى القدرة على حفظ المملوك ، ولا أن هذا الحفظ سهل يسير على المالك لا يشق عليه ولذلك أفاد الله تعالى أنه هو حافظ السموات والأرض كما هو مالكهما ، وأن هذا الحفظ لا يؤوده ولا يحمله على أن يتكلف له ما يشق عليه أو يثقله .

والجملة العاشرة ختام لهذا كله ، ولذلك تضمنت بالإجمال ما تقدمها من تفصيل ، وهي قوله تعالى (وهو العلى العظيم) .

وبيان ذلك أن صفة (العلو) قد ثبتت لله تعالى من أنه لا إله إلا هو ، ومن أنه الحى الذى لا يستند في حياته إلى غيره ، الكامل الحياة لأنه وهب منها لكل حى سواه ، الباقي

الظلمات ، ولا صلح أمر الدنيا والآخرة .
وقد وصفت الآية الكريمة هذا النور
بوصف مثلته به - والله المثل الأعلى - مداره
على إثبات قوته وصفائه ، وتكامله وتسام
بهائه ، فبلغت من ذلك الغاية ، وقربت الأمر
أعظم تقریب .
ثم اقرءوا في النوع الثاني من الصفات
مثل قوله تعالى :

« خلق السموات والأرض بالحق تعالى
عما يشركون . خلق الإنسان من نطفة فإذا
هو خصيم مبين . والأنعام خلقها لكم فيها
دفع ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال
حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم
إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، إن
ربكم لرؤف رحيم . والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة ، ويخلق ما لا تعلمون . وعلى
الله قصد السبيل ومنها جائر ، ولو شاء لهداكم
أجمعين . هو الذي أنزل من السماء ماء لكم
منه شراب ومنه شجر فيه تسميون . ينبت لكم
به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن
كل الثمرات ، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون .
وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بأمره ، إن في ذلك لآيات
لقوم يعقلون . وما ذأر لكم في الأرض مختلفا
ألوانه ، إن في ذلك لآية لقوم يذكرون . وهو
الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً

واقراء وإن شئتم قوله تعالى :
« الله نور السموات والأرض مثل نوره
كشمكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ،
الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة
مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يسكاد
زيتها بضئ . ولو لم تمسسه نار ، نور على نور
يهدى الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله
الأمثال للناس والله بكل شيء عليم .
فالسموات والأرض تعبير عن الكون كله
عليه وسفليه وما خلق الله من شيء ، والله
نورها والنور هو روح كل موجود وسره ،
فلو تصورنا موجوداً مظلماً لا نور له ،
لما كان في المعنى إلا صورة مساوية للعدم .
وقد أثبت العلم أن كل موجود فلا بد له
من النور على نحو من الانحاء ، وأن انقطاع
النور انقطاعاً تاماً عن الموجود إنما
هو مرحلة نهايته وفنائه ، وهذا المعنى قد أشار
إليه النبي صلى الله عليه وسلم في بعض دعائه
الذي توجه به إلى ربه حيث يقول : (أعوذ
بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ،
وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل بي
غضبك ، أو تحل علي سخطك) والشاهد في
قوله عليه الصلاة والسلام : (أشرقت له
الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة)
إذ هو تفسير لقوله تعالى : « الله نور السموات
والأرض » بأنه لولا نور وجه الله لما أشرقت

وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ، واعلمكم تشكرون . وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بك ، وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون .

وبعد أن يعد ذلك كله متابعا متلاحقا يشد بعضه في البيان أرز بعض ، يعقب عليه مباشرة بقوله : « أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ أفلا تذكرون . وإن نعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم » . فنعلم من ذلك أنه إنما ذكر صفات الخالق ، وعدد مظاهر صفات الأنعام ، ليقنع الناس بأنه هو الجدير بأن يفرد بالعبودية ، وأن المنطق لا يسوى بين من يخلق ومن لا يخلق ومن ينعم ومن لا ينعم .

وهناك آيات أخرى تناولت هذا المعنى على وجه الإجمال حيناً ، وعلى وجوه من التفصيل أحياناً ، مثل قوله تعالى « أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين ، الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » . وهذه الآية الأخيرة هي مطلع سورة الأنعام التي جعلت تحب في هذا المعنى وتضع من أولها إلى الآية المائة منها ، ثم جاءت الآية التالية لهذه المائة بالنتيجة المقصودة .

والتسخر جوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ، واعلمكم تشكرون . وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بك ، وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون .

وبعد أن يعد ذلك كله متابعا متلاحقا يشد بعضه في البيان أرز بعض ، يعقب عليه مباشرة بقوله : « أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ أفلا تذكرون . وإن نعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم » . فنعلم من ذلك أنه إنما ذكر صفات الخالق ، وعدد مظاهر صفات الأنعام ، ليقنع الناس بأنه هو الجدير بأن يفرد بالعبودية ، وأن المنطق لا يسوى بين من يخلق ومن لا يخلق ومن ينعم ومن لا ينعم .

وهناك آيات أخرى تناولت هذا المعنى على وجه الإجمال حيناً ، وعلى وجوه من التفصيل أحياناً ، مثل قوله تعالى « أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين ، الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » . وهذه الآية الأخيرة هي مطلع سورة الأنعام التي جعلت تحب في هذا المعنى وتضع من أولها إلى الآية المائة منها ، ثم جاءت الآية التالية لهذه المائة بالنتيجة المقصودة .

فبعد أن بينت السورة أن الله هو خالق

بعد أن بينت هذا كله ، وتخلله من البيان ما أراد الله أن يتخلله ، واستغرق ذلك مائة آية ، جاءت الآية الحادية بعد المائة بالنتيجة . فتمت . ذاكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ، وهو على كل شيء وكيل ، ؟

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

ثورة العالم الإسلامي اليوم

مقال لم يُنشر للمنفور له

الأستاذ أحمد أمين

كل ذلك جرى والشرق نائم ، لا يعرف حالة الغرب ، وتفوقه عليه ، وقد كان الغرب قبل هذه الثورة كالشرق أو أقل منه ، ولكنها جعلته بعد ذلك يصحو ويعلو ويتقوى في حين أن الشرق ظل نائماً ، لا يعرف من العلم إلا القليل ، ولا من الصناعة إلا الصناعة القديمة ولا من الآلات الحربية إلا القديم .

ثم أن كان الغرب محتاجاً إلى مواد خام لا يجدها إلا في الشرق ، ومحتاجاً إلى أسواق جديدة يصرف فيها ما أنتجته الصناعة الحديثة فلم يكن يكفل له حاجاته إلا الشرق وأسواقه فاحتك الغرب به وغزاه ، وقد كان يتهيبه . فلما احتك به وحاربه تبين له ضعفه وأطمعته الضربة الأولى في الثانية ، والثانية في الثالثة حتى أصبح الشرق كله عبداً ذليلاً للغرب ، يستغله لمصلحته ، ويأخذ منه المواد التي يريد ، ويمنعه من مسابقتها حيث يريد .

فإن أبي ضربه ضربة شديدة يؤدبه بها ، حتى استذله ، ولكن ما لبث أن تبين أن هذه النعمة في الظاهر كانت نعمة على الشرق في الباطن ، فقد أخذ الشرق ينشئ المدارس على النمط الغربي ، ويعلم العلوم الغربية ويرسل

كان العالم الإسلامي إلى عهد قريب يعيش في عزلة عما حوله ، ولا يدري عن الغرب شيئاً إلا أفراد قلائل ، يتعلمون على أساليبه القديمة ، ويقومون الكتب القديمة . ويعيشون على التقاليد القديمة ، ويحاربون أيضاً - إن حاربوا - على النمط القديم .

وقد كان الغرب على هذا النمط أيضاً في القرون الوسطى حتى جاءت الثورة الفرنسية فقلبت الأوضاع ، وحركت العقول ، وشببت العواطف ، ونادت بعدم احترام القديم ، والتجديد في كل شيء . وقالت : إن القديم لا يقدر لقدمه ، ولا الجديد لجذته ، ولكن يحكم العقل في القديم والجديد . وامتدت هذه الثورة إلى إنجلترا وألمانيا وكل البلاد الغربية المجاورة . وكان من أثرها الانتفاض على الحكومات وعلى كل شيء ، وتأسيس نظم جديدة لكل شيء .

ثم حدثت بعدها ثورة اقتصادية ، وثورة صناعية ، كان من أثرها الاختراعات الحديثة في البخار والكهرباء ، والموجات الهوائية ، وغير ذلك ، فأكسبهم ذلك قدرة هائلة في الآلات الحربية ، وتفوقوا فيها على الشرق .

وتركيا ، ثم كان أن انتشرت المدنية الغربية في كل مرافق الحياة .

وبعد : فماذا يريد العالم الإسلامي من ثورته ؟ يريد وقد تنبه أن يصد الغرب عن جشعه ، وأن يستقل كما استقلوا ، وأن يعرّى مصالحه كما يعرّون مصالحهم ، وأن تكون غلته لنفسه ، لا للغرب ، وأن يكون حكمه بنفسه ، لا بالغرب . والغرب وقد ذاق لذة الاستغلال والاستعمار والسيطرة يأبى على الشرق ذلك ، فكان الصدام في كرمكان شرقي ، في مصر ، في سوريا ، في تركيا ، في العراق ، لأن النوازع مختلفة والمطالب مختلفة .

وقد كان الشرق قديما يمتنى بالوعود فيستجيب ، ويضحك عليه فيرضى ، ويستغفل فيغفل ؛ أما اليوم وقد تنبه وعيه ، فقد أدرك حيل الغربيين ودسائسهم ، وأدرك ألاعيب السياسة ومقاصدها ، فلم ينخدع اليوم كما كان ينخدع من قبل ، وطالب بحريته كاملة غير منقوصة ، وأصبح الاستعمار عسيرا بعد أن كان يسيرا ، وأصبح الأدب والجرائد اليومية والتمثيل والراديو تغذى المشاعر القومية ، حتى إن إنجلترا في هذه الأيام^(١) تريد حللا مزوّقا ، لا يرضى عنه المصريون ، ولما زار رئيس فرنسا مراكش والجزائر ، قابله جمع

أهله بعثات للغرب ، يستمدون منه أهم ما عنده حتى السياسة وأساليبها . ثم يعودوا بعد أن يستكملوا دروسهم ، فيكونوا منارا للشرقيين . وكذلك اقتبس الشرق بعض صناعات الغرب ، وبعض أفانينه ، كالصحافة والراديو والتمثيل وما إلى ذلك . وكل هذه الأمور كانت تنبه الوعي القومي وتثيره ، وزاد على ذلك أن المرأة أيضاً تنهت على يد قاسم أمين وغيره ، من تعلوا في الغرب ، واقتبسوا آراءهم في المرأة منه ، فتقدمت المرأة وقدمت أولادها ، فشكل هذه الأمور أعدت الشرق للثورة .

وكانت البلاد الإسلامية كلها تقتبس من الغرب ، كل قطر حسب استعداده وظروفه وحسب منهج زعمائه . فتركيا مثلاً على يد مصطفى كمال تريد أن تنقل المدنية الغربية بحذافيرها إلى بلادها ، فتختار قانونا غربيا لتطبقه عليها ، وتختار الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية ، وتلغى المعاهد الدينية ، وتلبس الشعب البرنيطة بدل الطربوش حتى لو استطاعت أن تأخذ المسيحية بدل الإسلام لفعلت ، ومصر تقتبس من المدنية الغربية بحذر ، تأخذ منها ما تريد ، وتدع ما تريد ، ولا تريد أن تترك القديم كله ، ولا أن تأخذ الجديد كله ، فما وافق الإسلام قبلته ، وما خالفه تركته - غالبا - والبلاد الأخرى التي تجاوز مصر تقلدها . وإيران والحجاز واليمن كان اقتباسها من المدنية الغربية أقل من مصر

[١] : يوم كتب هذا المقال كانت مصر لا تزال تدور في حلقة المفاوضات البريطانية المفرغة ، ولم تكن قد طلعت شمس النهضة الاستقلالية الحديثة عليها ، ولا على كثير من شقيقتها العربيات بعد - المحلة .

التي تخيف فرنسا من تعليم اللغة العربية ، هو أن اللغة العربية وسيلة القرآن ، والقرآن يناهض الحركة الاستعمارية . وقد صرح كبير فرنسي في إحدى جرائدهم بذلك . وهو حق .

وتختلف أيضا الأقطار الإسلامية بالتزام تعاليم الإسلام ، واصطباغ أهله حكومة وشعبا بصيغته . وربما كان من أوائل الأمم الإسلامية باكستان . فهي تعترف بالإسلام اعتزازا كبيرا ، وتريد أن تنظم حكومتها ومشاريعها على أساس إسلامي . ولها كل الحق في ذلك . غاية الأمر أنه يلزمها المرونة في التشريع حسب مقتضيات الحال والزمان ، كما يلزمها أن تقتبس من العلوم الغربية ما استطاعت فتكون مشاعرها وآدابها إسلامية ، وتكون علومها غربية . ولا ضرر في ذلك ، بل فيه كل النفع . والإسلام نفسه يدعو إلى ذلك . وأسس الدين لا تتغير . ولكن أسس العلم تتغير كل يوم ، حتى إن علم أفلاطون وأرسطو لا يصلح لتلاميذ مدارسنا اليوم ، بل إن الطبعة الأولى من كتاب علمي لم تعد تصلح بعد ظهور الطبعة الثانية منقحة مهيبة . والله المسئول أن يلهم قادة الغربيين الصواب ، فيفهموا أن السياسة القديمة لا يصلح تطبيقها على العهد الجديد ، ويعصم المسلمين من الزلل . فيسيروا على خطة حكيمة حتى في ثورتهم ليصلوا إلى غايتهم .

أحمد أمين

من القواد المغربيين وطالبرا أن يكون التعليم بلغة قومهم ، وثار المغاربة في العهد الأخير ، يريدون الاستقلال ، ولم يعودوا يطيقون المذلة ، ودعوة الإسلام نفسها تلهب قلوب المسلمين ، ليسترجعوا ما فقد من بلادهم ، ويستقلوا عن يحكمهم من غير دينهم .

ويظهر أن هذا الصراع سيطول ؛ لأن العقلية الأوروبية لا تريد أن تتغير عما عهدته من قبل ، ولا تريد أن تساير الحركة الإسلامية وقد تطورت .

ويظهر أن الزمن سيكون في صالح المسلمين لأن عوامل إثارة الشعوب من جرائد وكتب ومقالات وخطب تلهب شعورهم مع الزمان . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تلهبهم الحركات الشيوعية التي تعمل عملها في رفض الاستعمار ومحاربه . فالزمن كفيل بأن الاستعمار يعرض عليهم فيما بعد ما لا يقبلونه وقد كانوا يقبلونه اليوم .

وأيضاً فإن علم المسلمين سيزداد ، وصناعاتهم ستتحسن ، وشعورهم القومي سيلتهب بفضل أخطاء الاستعمار ، وبفضل انتشار التعاليم التي تدعو إلى الحرية والإنسانية .

هذا إلى أن هناك نزعة جديدة إلى العودة إلى الإسلام وتعاليمه ، ومتى انتشرت هذه الدعوة دحرت دول الاستعمار ؛ لأن من فضل الإسلام أنه يثبت في معتنقيه العزة والشعور بأن دين الإسلام لا يصح أن يحكم بدين غيره . وهذا ما يخشاه المستعمرون ، وخصوصا الفرنسيين فمن أكبر الأسباب

نَفْحَاتُ الْقُرْآنِ

مَسْئُولِيَّةُ الْمُرْعَى عَنْ إِضْلَالِ نَفْسِهِ

لِلأَسْتَاذِ عَبْدِ اللَّطِيفِ السَّبْكِ

سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق

الباطنة ويتخذ الإنسان من عقله رائداً في الموازنة بين ما هو عليه ، وما ينبغي له ، أو بين ما يوحى به الضمير وما تجنح إليه الميل فالغالب أن يجد للضمير غلبة وللحق سلطاناً ، فإذا ما طغت نوازع الهوى ، أو تعثر الضمير فضعف لدى الإنسان سلطان الحق فإن صوت الدين غير خافت ، ودعوة الله موصولة بالآسماع ، وغير محجوبة عن الأبصار وبقية الخواص في كل ما تشهده العين وسواها من صور الطبيعة وألوانها ، وأعراضها .

وقد عهدنا في القرآن حرصاً على هداية الناس بالحث على النظر في آياته المتلوّة والكونية وعهدنا فيه الاحتكام إلى عقولنا في تقدير دعوته ولافتناع بكل آياته وتصديق الرسالة ، والاتجاه إلى الطاعة .

هناك صرفة وصرف ، أما الصرفة فقول الكفار من قريش : إن القرآن في ذاته غير معجز بلفظه ولا بمعناه ، ولكن الله صرفنا بقدرته عن الإتيان بمثله .

ومع أن هذا تطاول منهم وإنكار بغير حق ففيه اعتراف ضمن بحلال القرآن وسموه عن مدارك البشر ولكنهم لا يفقهون . وليس هذا موضوعنا الذي نتجه إليه .

١ — بل موضوعنا صرف الله لبعض الناس عن آياته ، فلا يتدبرونها على الوجه الحق . وهذا شطر من آية في القرآن يشير جدلاً

بين المرء ونفسه ، ويدفع بالإنسان في مجال فسيح من التفكير في تحديد مسلكه أمام دينه وربّه ، وربما امتد هذا التفكير من الحيز الفردي إلى الجماعة الكثيرة .

وحينما يضطرب الصدر بهذه الأحاسيس

من جانب الإنسان والجزاء عدل من جانب الله
بصرف العبد ...

وقد يقال : إن العبد رهين بالمشيئة من الله
فلو شاء الله هدايته لهداه كما نطق القرآن نفسه
بذلك في كثير من آياته « ولو شئنا لآتينا كل
نفس هداها » ، « ولو شاء لهداكم أجمعين ..
الآيات » .

فكيف تلقى على المرء تبعه ضلاله ، ونتجه
إليه باللائمة ، وهو مغلوب على أمره ؟ ..

٣ — ونحب أن نكرر ونؤكد أن للعبد
إرادة في الاختيار ، وهو المذهب العلوي الذي
ندركه في سهولة ، ونختار الجنوح إليه ، وهو
المعقول الذي تتضح به مسؤولية العبد عن
تبعاته ، حيث أراد لنفسه ما أراد .

وهو ما يتمشى مع نسق الكتاب العزيز
في كل ما أتى به في هذا الشأن « كل امرئ
بما كسب رهين » ، « كل نفس بما كسبت
رهينة » ، « بما كسبتم » ، « بما كنتم تكسبون » ،
« ليجزي الذين أساءوا بما عملوا » .

وزيادة في البسط مع الإيجاز نذكر الناس
بأن الإنسان علاقة روحية بالله ، وعلاقة
مادية بالدنيا .

وقد جعل الله من سفته في تربية عباده
أن ينههم دائماً إلى العلاقتين ، ليعرف
الواحد من حق الله عليه ، ويحاول الوفاء به
ما استطاع ، وليدرك نصيبه من الدنيا ويتمتع
فيها بنصيبه المقسوم له متاعاً غير مشوب

ولكن الموطن الذي نحن فيه الآن
إزاء ما معنا من آية الموضوع يواجهنا في
صراحة بأن العبرة بما في الآيات ليست
« متاحة لكل إنسان » ، وأن الله يصرف عنها
الإنسان فلا يمكنه أن يفتن إلى شيء من
هدايتها .

فكيف يستقر الفهم على الجمع بين الاهتداء
بالآيات كما أمر الله ، وبين صرف الله عن
العبرة بآياته كما صرح به في قوله تعالى
« سأصرف عن آياتي ... » .

٢ — وجواب ذلك بديهي مبسوط
في نفس الآية ، فإن « تمامها » .. الذين
يتكبرون في الأرض بغير الحق . ومن هذا
يتضح أن الصرف عن الآيات وفهمها ليس
مفروضاً دائماً ، وإنما هو معاملة بالمثل
فالذين يتكبرون عن المطاوعة ؛ ويتورطون
في الكبرياء بين الناس ويفرضون لأنفسهم
تدخلا في سلطان الله ، وفي تشريع لعباده ،
يفرضون سيادة غاشمة بين خلقه : هؤلاء
الذين يحاولون أن يتصلوا من العبودية
ويتفلسفوا من دعوة التكليف هم الذين أبعادوا
أنفسهم عن ذكر ربهم . وأغفلوا نداء الله
لهم ، فصرفهم الله عن تدارك أنفسهم ،
وشغلهم في لهوهم عن الرجوع إلى آياته ،
وهؤلاء هم الذين تحدث عنهم القرآن بأنهم
« نسوا الله فأنساهم أنفسهم » ، فالجفوة بادئة

تستقل بجهودهم، وتستأثر بأعمالهم، وتقضيهم أن يتفرغوا منها لما هو منوط بهم كالرسل عليهم صلوات الله، فلم تكن حياتهم لأنفسهم بل كانت للدعوة والإصلاح وتوجيه الأمم إلى ما يراد منها، فحاجة الرسل إلى الدنيا في المسكن الأخير بالنسبة لشأنهم هذا.

على أن من الرسل من جعل الله في قبضته رزقا واسعاً، وجعل له بجانب هذا الرزق سلطانا مكيئا، وحكما نافذا حتى على الجن والطير، فلو كانت الدنيا حقيرة كما زعم زاعمون لما منحها خالقها لأكرم الناس عنده وهم رسله الأخيار من عباده.

هـ — وأما علاقة الإنسان بالله روحياً فتلك ملاك الأمر كله فإن سبحانه هو الأول بلا بداية، ومنه الخلق والرزق والحياة والموت.

وهو سبحانه الآخر بلا نهاية فالإله المرجع والحساب.

والمرء فيما بين أوله وآخره بين أصابع الرحمن، وتحت سلطانه، فكيف تنقطع علاقته برّبه، وكيف ينفك من عقاله هذا وعقاله في يد قوية وفي إرساء متين ؟

صلة العبد بالله صلة الفقير جدا بالغنى جدا فإن تكن حاجة الفقير داعية إلى الأدب، والتواضع والاعتراف بالجميل فكذلك حاجة العبد أو أشد بكثير وكثير،

بكفران، ولا غفلة عما وراءها من حساب.

وليس بين العلاقين تعارض كما يتصور ذلك أفراد منا، وكما يصوره للناس بعض الواعظين.

فمن الحق أن العلاقتين بالنسبة للإنسان كجناحي الطائر يحتاج إليها معا، ولا يمكنه أن ينهض بأحدهما نهوضا يعتد به في حياتنا هذه أو فيما بعد هذه الحياة.

فالدنيا مجال العمل، ومرحلة الاستعداد لحياة خالدة... والعمل فيها لا يكون إلا بالتزود من خيرها، ولا يكون بالانقطاع عنها... وإذا كان القرآن يزهنا فيها ويفضل لنا متاع الآخرة فذلك للتحذير من غرورها والاستسلام لزينتها ومرحها، ولإيقاظ وعينا نحو ما هو مغيب عنا في الحياة الثانية وما فيها من ترفه لنا. ونعيم هو خير وأبقى من نعيمنا الحاضر مهما بلغ.

أما الدنيا في ذاتها فهي متاع. وفيها نعيم وفيها مظاهر قدرة الله، وأنواع فضله على عباده، وفيها فرصة الادخار للنعيم المقيم، وقد أشاد بها القرآن كثيراً، وامتن الله على عباده بما خلق لهم فيها من ضروب نعائه.

٤ — وإذا كان في عباد الله من أخذوا منها بالقليل، وعاشوا فيها على الرضا، وحذروها أكثر من سواهم فلأن لهم رسالة

مع ملاحظة الفارق بين العبودية والربوبية .
٦ — وحينما يتبجح الفقير في وجه الغنى المحسن إليه يكون الفقير قد أساء إلى نفسه ، وانحاز بها إلى الحرمان من خير كان يغمره عن طريق الإحسان ، فهو شؤم على نفسه واللائمة عليه لا على غيره ...

٧ — وإن يكن هذا الذي في آية الموضوع مسوقاً في جانب الكفار من أهل الكتاب أو المشركين لجانب العبرة فيه موجه إلى الجميع بما فيهم المسلمون ، فإنه لتربية الناس عامة ، وليس لتهديب فريق دون فريق ، فإن عدل الله سواء في جزاء كل بما عمل ، وما هناك من عفو أو مزيد في العطاء فإنما يكون لحكمة يعلمها هو ؛ دون استحقاقنا لذلك إلا مجرد فضل من عنده

على أن الله لم يقطع كل خيره عن عبده المنحرف فهو لا يزال يرزقه ولا يزال يتلطف به في دنياه ويمنحه الكثير من فضله في صحته ، وماله ، وولده ، وجاهه .

وهذه معاملة إحسان يفيض من الجانب الأعلى : لا وجوباً لنا ، ولا لزوماً عليه ، ولكنه يعاملنا بما يليق به هو من كرم ورحمة كتبها على نفسه ، فهمى من كماله ، وجلاله ومن مقتضى ذاتياته القدسية وصفاته العلوية ، فيكون حتماً علينا عقلاً أن نخضع ونؤمن ، وأن نفكر ونشكر .

هذا توجيهه إلى ناحية اتصال العبد بربه من طريق الدين والدنيا ، ويتبين منه واضحاً أن الدين يلتقي مع الدنيا في أصح التثام .

وأكرم تقدير : إلا من ختم الله على قلبه وسمه وجعل على بصره غشاوة وتركه لشيطانه يخرج من النور إلى الظلمات ،

٨ — ولكن هناك جانباً من الضلال لا

فإن رأى آية من آيات الله فلا يؤمن بها ، وإن ير سبيل الرشداً لا يتخذ سبيلاً ، وإن ير سبيل الغنى يتخذ سبيلاً وهؤلاء هم الذين كذبوا بآيات الله ، وكانوا عنها غافلين .

٧ — وإن يكن هذا الذي في آية الموضوع مسوقاً في جانب الكفار من أهل الكتاب أو المشركين لجانب العبرة فيه موجه إلى الجميع بما فيهم المسلمون ، فإنه لتربية الناس عامة ، وليس لتهديب فريق دون فريق ، فإن عدل الله سواء في جزاء كل بما عمل ، وما هناك من عفو أو مزيد في العطاء فإنما يكون لحكمة يعلمها هو ؛ دون استحقاقنا لذلك إلا مجرد فضل من عنده

سبحانه وفي حديث قدسي (... وإنما هي أعمالكم ، أحصيا عليكم ، ثم أوفيا لكم) . وإن التحاكم إلى العقل في هذا لكفيل برد الفكر عن شططه في الأماني ، وكفيل بتركيز إيماننا وتقديرنا لعدل الله فيما يعامل به عباده من غضب وعذاب بعد أن بين لنا الحجة ودعانا إلى الاهتداء ومحاولة التخلص من حبائل الشيطان بطرح وساوسه والاستعاذة بالله من نزغاته .

هذا - وقد يبدو إلى الأذهان أن ضلالة المرء هي كفره ، أو جرائمه الشخصية في عمله الخاص به .

أو في المسلك شائعة بيننا في رجال وسيدات ،
وفي شبان وشابات محسوبين من البيئة
الإسلامية . وما هم منها إلا في الإحصاء
والتعداد .

وهل تظن أن رجلا بلغ من العمر ما بلغ
فإذا سأله عن الصلاة وهو مسلم — فيما
يقول — أو سأله أن يقرأ الفاتحة أو يفرق
بين الفرض والنفل في دينه ، أو سأله عن
معنى الحج : وقف من سؤالك موقف العجب
في دهشة ، وموقف الجاهل في خزي مما فاجأته
بسؤالك الغريب على عقله ! .

وهل تظن أن سيدة في عداد المسلمات
تسألها عن ربها فتقول : اسمه محمد ، وتسألها
عن محمد فلا تعرف شأنه في الدنيا ! وهي أم
تربي أطفالا ! .

وهذه أمثلة من واقع الحياة في بيوت
تحسبها مسلمة ، ولكن جوها ، وطابعها ،
وكل ما يدور فيها من أقوال وأعمال هو
اقتباس من الغير ومحاكاة للغير ، وارتياح
إلى ما عرفوا عن الغير . وهم بعد ذلك كله
في غير قلق لما هم عليه من ضياع . بل ، ولا
في أدنى تفكير للنظر فيما هم عليه ، وحسبهم
في حياتهم أنهم سادرون في غفلة عما وراء
حياتهم هذه ما داموا يمرحون ، ويلعبون ،
وما داموا يتمتعون ويأكلون ، وإن كانوا
يأكلون كما تأكل الأنعام .

يفطن إليه سوى قليل من الناس ، وهو جانب
الإضلال للغير ، فتلك وظيفة الشيطان مع
أتباعه ، وسياسة شياطين الإنس مع رفاقهم
من أهل الأهواء .

وقديما كانت هذه شائعة بين المستكبرين
والمستضعفين من الناس في الإقبال على
الإيمان والصدود عنه .

وللقرآن حملات صادقة عنيفة على تحكم
المستكبرين في المستضعفين ، وعلى متابعة
هؤلاء الضعفاء لأوثلث في الكفر والتخلف
عن دعوة ربهم .

وللقرآن كذلك تصوير صادق ومرعج
لحالة الفريقين وموقف كل من صاحبه يوم
يتحاجون عند ربهم ، ويلقى بعضهم تبعه
جرمه على الآخر .

ولعل هذا النوع من الضلال والكفر
المتبادل بين المتبوع والتابع يكون باقيا في
كثير من الأوساط على الرغم من ذبوع
التعليم ، وانطلاق الفكر في مجال البحث
والموازنة والاختيار .

فإن كثيرا من البيئات لا تزال غير آبهة
بوضعها الديني ، ولا مقبلة على تصحيح هذا
الوضع ؛ وإن توافرت حولها وسائل الهداية ،
وسهلت عليها مآخذ المعرفة ، فبقى للتقليد أثره
الفعال في نفوس الناشئين في بيوت يشيع
فيها التحلل ، ولا يوجد فيها توجيه صحيح .
ومن هذا نجد ألوانا من الضلال في العقيدة ،

وهذا ما أعتقد: دون أن أكون مستصحباً
لسند يبيح لى الابتكار فى الأحكام؟؟ فضلاً
عن بعدى عما شرع الله ، وتركز فى أذهان
المسلمين ، واستقرت عليه الأوضاع ، وأصبح
معلوماً من الدين بالضرورة؟؟ .

ليس هذا الابتكار الخطير مجرد غلطة ،
أو ضلالة شخصية . وإنما هو إضلال للغير ،
وليس فى الناس أظلم من افترى على الله
الكذب وهو يدعى إلى الإسلام .

١٠ - أقول ذلك : وفى النفس لأعج من
الأسف لأن رجالاً وسيدات أيضاً يتصدون
لتفسير القرآن فى مجالات يقرؤها المسلمون
تفسيراً عجيباً جداً والمسلمون يرون فى هذه
التفسيرات الخاطئة جرأة على الكتاب الحكيم .
ويبرءون إلى الله من الأخذ بهذه التفسيرات
حفاظاً على دينهم ، وخوفاً من ربهم .

ولو تركنا الناس يفعلون المحرم وهم
يعتقدونه محرماً لكان خيراً لنا وللناس وللدن
من أن نقول لهم : هذا الحرام عند الله حلال
فى رأينا ، أو نقول لهم إن ما ترونه مصلحة
لكم يبيح ما حرم عليكم : فهذا التأويل
تستباح الحرمات ، وتهدر النصوص وتلغى
القيود وترفع الحدود التى وضعها الله بين حرامه
وحلاله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه .
هدانا الله جميعاً وعصمنا من الزلل .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

٩ - وهناك نوع من الاضلال أشد خطراً
مما ذكرنا من فعل الإنسان للجريمة ،
فى أو تقصيره الاهتداء!! .

هناك أناس يتصدون لدعوة الغير إلى ناحية
الدين ، أو هم فى دعوتهم غير مبالغين لما جاء
فى كتاب أو سنة ، بل مبدعون لشيء جديد
من عندياتهم ، وغير معتمدين على قول الله ،
أو لرسوله أو على أثر لأصحاب الرسول ، فماذا
تنتظر من هؤلاء المعتمدين على أنفسهم فى
التشريع للأحكام سوى المخالفة المردية فى
الهلاك ، وسوى البعد بالناس عن دينهم الحق .

المفروض فى عالم الدين أنه أمين على ما عرف
من حكم الله ، وأنه يؤازر الناس ويحبب إليهم ،
الطاعة والحرص على أحكام دينهم . . فإذا
أتاح لنفسه أن يجتهد فليعتمد على ما لديه من
دليل منصوب وليستعن برأى العلماء كما كان
الرسول أحياناً يستعين بمشورة أصحابه . .

وكما كان الصحابة من بعده يستعين بعضهم
ببعض ، ليتعرفوا مالى بعضهم من نص ،
أو ليتعاونوا فى التحرى عن وجه المصلحة
فيما هم بسبيله من تعرف الحكم المطلوب!! .

فما بالنا وقد ابتدع بعض المعاصرين خطة
غريبة فى التحليل والتحريم ، وما ذلك التشريع
إلا حقاً لله وحده ، واستمداداً من تشريعه

واهتداء برسوله فيما وضع لنا ونصح به؟؟ .

أيكفى أن أقول للناس : هذا ما أراه ،

تطوير الفقه الإسلامى

للدكتور محمد يوسف موسى

الفقه الإسلامى قابل للتطور بلا ريب ، وله من أصوله ما يجعل هذا التطور أمراً ميسوراً مشروعا بل واجبا ، مثل الإجماع والاستحسان والمصالح المرسلة . ولو لم يكن الأمر كذلك ، لما صح أن نقول بحق : بأن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان . وذلك بأن الأحكام التشريعية التى جاءت بالكتاب والسنة ، والتى أثرت عن الصحابة والتابعين ، بل التى وصلت إلينا عن الأئمة أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة ، هى أحكام تبين وجه الحق فيما كان فى تلك الأزمنة الماضية من مسائل ومشاكل تتطلب بيان حكم الله فيها ؛ على حين أن الحوادث والمسائل التى يجب معرفة أحكامها الشرعية لا تنتهى ، بل هى تتجدد وتزيد دائما فى كل عصر وزمان ومكان .

* * *

هذا ، وإذا كنا ندعو منذ سنوات إلى وجوب العمل الجاد لتطوير الفقه الإسلامى فى حدود الكتاب والسنة ، فإن ذلك ليس بدعة منا ، بل إن الذى ندعو جاهدين له هو السير على المنهج الذى سبناه لنا الصحابة والتابعون أنفسهم رضى الله عنهم ؛ هؤلاء الفقهاء الأجلاء الذين أدركوا هذه الحقيقة ، وعملوا لها ، وضربوا لنا فى سبيلها كثيرا من المثل التى يجب احتذاؤها والاهتداء بها . وقد ذكرنا فى المقال السابق بعض تلك المثل الهادية ، وتقدم اليوم ببعض المثل الأخرى ، وكلها من الفقه الأصيل لساداتنا أصحاب الرسول وتابعيهم بإحسان ، وهى هذه :

١ - ضمانة الصانع والمودع ونحوهما :

من المعروف عقلا وشرعا أن يد المودع يد أمانة كما يقول الفقهاء ، وأن الأمين على

وقد فطن كثير من علماء القانون الغربيين إلى هذه الحقيقة ، وهى قبول الفقه الإسلامى للتطور حسب أصوله ، ونادوا بها فى كثير من المؤتمرات التى يعقدونها لأبحاث القانون المقارن ، وكان مما قرروه

ما ضاع منهم أو هلك ، إلا إذا أقاموا البينة الشرعية على أن ذلك لم يكن بتفريط أو تقصير منهم . وكان أول من ذهب إلى هذا الرأي الإمام على رضى الله عنه ، وفى ذلك آثار كثيرة يرويها الإمام البيهقي وغيره ، وهى يقوى بعضها بعضا ، وكلها تدل على تضمين الصانع والأجراء ونحوهم ، ونذكر من هذه الآثار ما يلي :

(أ) ضمن على بن أبى طالب العمال والصياغ ، وقال : لا يصلح الناس إلا ذلك .
(ب) وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن عليا كان يضمن الصياغ والصانع ، وقال : لا يصلح الناس إلا ذلك .

(ج) وعن قتادة أن عليا كان يضمن الأجير ، وروى مثله أيضاً عن الشعبي .
وقد تتابع الفقهاء على الأخذ بمذهب الإمام على فى ذلك ، ومنهم القاضى شريح ابن الحارث السكندى فقد جاء عن محمد ابن الحسن الشيبانى أن رجلاً أتى شريحاً فقال له : دفع إلى هذا ثوباً فاحترق بيتى فاحترق ثوبه ، قال : ادفع إليه ثوبه (يريد ثمنه أو قيمته) ، قال : أدفع إليه ثوبه وقد احترق بيتى ! قال : أ رأيت لو احترق بيتك أ كنت تدع أجرك^(١) .

وأخذ من بعد هذا الإمام الشافعى بمذهب القاضى شريح ، فقد ضمن قصاراً

شئ تحت يده لا يضمن قيمته إذا ضاع أو هلك إلا إذا ثبت تعديه وتفريطه فى حفظه كما ينبغى ؛ فالنساج والخياط والحذّاء مثلاً لا يضمن أحدهم شيئاً مما تحت أيديهم ؛ لأنهم أمناء عليه إلا إذا كان أحدهم قد تعدى وفرط ، فحينئذ يكون عليه الضمان ، وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم : « لا ضمان على مؤتمن^(١) » .

هكذا كان العمل والحكم أيام الرسول ، فكان لا يحكم بتضمن الصانع والمودعين والمستعيرين ما فقدوه مما كان أمانة لديهم إذا ادعى الواحد منهم هلاكه دون تفريط أو تقصير منه ، وكانت القاعدة تصديقهم فيما يقولون .

إلا أنه حدث أيام الصحابة والتابعين أن أخذ الزمان ينال من ضمائر بعض الناس ، وبخاصة بعد أن دخل فى الإسلام من لم يأخذوا أنفسهم بما جاء به هذا الدين القيم من تشريعات وتعاليم وأخلاق وآداب . ومن هنا بدأت الخيانة تظهر من البعض ، واستهانوا بالكذب فى معاملاتهم ، فكان لا بد من علاج هذا الحال بما يجعل الأمين على شئ يحرص على حفظه كما ينبغى .

وكان هذا العلاج هو الحكم بتضمينهم

(١) راجع نيل الأوطار ٥ : ٢٩٦ ،
والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ : ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(١) كتاب الآثار ، ص ١٣٥ .

مخاض ومثلها بنت لبون ، ومثلها بنات مخاض ذكر (١) .

وفى حديث آخر رواه أبو داود فى سننه عن عطاء بن أبى رباح أن الرسول صلى الله عليه وسلم فرض فى الدية على أهل الإبل مائة منها ، وعلى أهل البقر مائتى بقرة ، وعلى أهل الشاء ألفى شاة ، وعلى أهل الحلل مائتى حلة . وفى حديث آخر رواه ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام جعل دية رجل من بنى عدى قتل اثنى عشر ألف درهم (٢) .

وبعد هذين الحديثين الأخيرين ، وهما اللذان روى أحدهما عطاء والثانى ابن عباس واللذان يرى رجال علم الحديث أن فيهما مقالا ، يروى عمر بن شعيب أثراً لا ريب فى صحته يقول فيه : كانت قيمة الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم ، فكان ذلك كذلك حتى استخلف عمر رحمه الله فقام خطيباً فقال :

(١) الحققة هى التى دخلت فى المنة الرابعة حتى أن يطررها الفعل ، والجذعة ما دخلت فى الخامسة ، وبنت المخاض ما دخلت فى الثانية ، وبنت اللبون ما دخلت فى الثالثة وصارت أمها ذات لبن بوضع حمل آخر .

(٢) هذه الأحاديث وردت فى باب « الدية » فى كتب الحديث والمنة ، وهى كلها فى سنن أبى داود ٤ : ٢٥٦ — ٢٥٨ . وراجع أيضاً اللوطا للإمام مالك ج ٢ : ١٨١ — ١٨٢ ، والجامع لأحكام القرآن للجصاص ج ٢ : ٢٨٣ وما بعدها .

احترق بيته ، فقال له هذا : أتضمننى وقد احترق بيتى ! فرد عليه بقوله : أرايت لو احترق بيته أكنت تترك له أجرك (١) ! .

ونرى من هذه الآثار والنقول أن الفقهاء استحدثوا أحكاماً جديدة فى هذه المسألة ، مسألة تضمين من أؤتمن على شىء أو عدم تضمينه ، وذلك لتغير الزمن وحدث حال يتطلب هذه الأحكام ؛ وإن كان فى هذا تخصيص النص النبوى الذى يقول بأنه لاضمان على مؤتمن ، أو ترك الأخذ بظاهره فى كل حال وزمان .

٢ — تقرير الدية نقراً :

وإذا كان المثال السابق يدخل فى نطاق القانون المدنى ، فهذا مثال آخر يدخل فى القانون الجنائى ، وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قضى بأن من قتل رجلاً خطأ فعليه دية مائة من الإبل ، وإن اختلفت الروايات فى بيان أنواعها ؛ فقد جاء فى إحدى الروايات أن هذه المائة يكون منها ثلاثون بنت مخاض ، وثلاثون بنت لبون ، وثلاثون حققة ، وعشرة بنات لبون ذكر . وفى رواية أخرى أنها تكون عشرين حققة ، ومثلها جذعة ، ومثلها بنت

(١) السنن الكبرى ، ٦ : ١٢٢ .

ما يتفق وما جاء في الأثر الذي رواه عمر بن شعيب إذ يقول بعد أن ذكر ما كان عليه العمل أيام الرسول : فكان كذلك حتى استخلف عمر ، إلى آخر هذا الأثر الصحيح . ومهما يكن ، فإن عمر لم يخالف في الحقيقة

عن أمر الرسول وسنته ؛ لأن المراد هو تعويض أهل القتل تعويضا مناسبا ، وهذا التعويض قد يكون بالإبل في حال ، كما قد يكون بغير الإبل في أحوال أخرى حسب الزمن وأجناس المال الميسور على القاتل أداء الدية منه . (١)

٣ — حكم التسعير :

الغرض من التجارة هو تبادل السلع والربح منها ، ومن قواعد المعاملات التراضي بين الطرفين على المبيع والثمن ، فلا يجوز إكراه البائع على البيع بشمن محدود لا يرضاه ، ولهذا ورد في كثير من الأحاديث والآثار أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرض « التسعير » حين طلب ذلك منه .

ومن هذه الأحاديث : ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه من أن رجلا جاء إلى الرسول فقال :

« يا رسول الله سعر لنا ، فقال : « بل

[١] راجع في المسألة من جميع نواحيها ، الروض النضير ٤ : ٢٤٩ - ٢٥١ ، وفيه بيان آراء الدية أيضا .

« ألا إن الإبل قد غلت ، ثم فرضها على أهل الذهب ألف دينار ، وعلى أهل الورق اثني عشر ألفاً ، وعلى أهل البقر مائتي بقرة وعلى أهل الشاة ألفي شاة ، وعلى أهل الحلل مائتي حلة (١) .

هذه أحاديث وآثار وردت في مسألة الدية وتقديرها ، فما الذي يستطيع الباحث المحقق أن يأخذ منها ؟ أتكون من الإبل وحدها ، أم منها ومن غيرها من أجناس المال ؟

إن من الثابت الذي لا ريب فيه أن الرسول جعلها من الإبل ، والحديثان اللذان فيهما تقديرها من الإبل وغيرها فيهما عند رجال علم الحديث مقال وعلل كما ذكرنا آنفا ، وهذا ما يجعلنا نرجح أنه لم يثبت بطريق لا شك فيه أن الرسول جعلها من الإبل وغيرها .

بقي بعد هذا ما روى من الأثر الصحيح عن سيدنا عمر بن الخطاب ، وهو أنه قدرها بالذهب على أهلها ، وبالفضة على أهلها ، وبالبقر على أهلها وبغير ذلك من أجناس المال التي ذكرناها ، كل على أهلها .

وكل ذلك لعله لم تكن موجودة أيام الرسول استوجبت تغيير التقدير ، وهذا

[١] راجع الموطأ ٢ : ١٨٠ وشرحه المنتقى للباي ج ٧ : ٦٨ .

١٢٥٥ هـ . وجهة نظر من ذهب من الفقهاء إلى هذا رأى إذ يقول : إن الناس مسطون على أموالهم ، والتسعير حجر عليهم ، والإمام مأمور برعاية مصلحة المسلمين ، وليس نظره في مصلحة المشتري برخص الثمن أولى من نظره في مصلحة البائع بتوفير الثمن ؛ وإذا تقابل الأمران وجب تمكين الفريقين من الاجتهاد لأنفسهم . وإلزام صاحب السلعة أن يبيع بما لا يرضى مناف لقوله تعالى : (سورة النساء الآية ٢٩) : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » .

ولكن وجهة النظر هذه لم تمنع كثيرا من فقهاء التابعين وغيرهم من إجازة التسعير ، وفي هذا يقول أبو الوليد الباجى شارح موطأ مالك حين عرض لما جاء عن أشعب من جواز التسعير : ووجه ما يجب من النظر في مصالح العامة ، والمنع من إغلاء السعر عليهم ، وليس يجهل الناس على البيع ، وإنما يمنعون بغير السعر الذى يحدده الإمام على حسب ما يرى من المصلحة فيه للبائع والمبتاع ، ولا يمنع البائع ربحا ولا يسوغ له ما يضر بالناس^(١) .

لنا أن نضيف إلى هذا أن على الإمام رعاية مصالح الأمة جميعا ، ورعاية مصلحة الجماعة

أدعو ، ثم جاء آخر فقال مثل ذلك ، فقال الرسول : « بل الله يخفض ويرفع ، وإنى لأرجو أن ألقى الله وليس لأحد عندى مظلة » .

وفي حديث آخر رواه أنس بن مالك أن الناس قالوا : يا رسول الله غلا السعر فسر لنا ، فقال الرسول : « إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق ، وإنى لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبنى بمظلة فى دم أو مال » .

وروى البيهقي أن عمر بن الخطاب أمر بائع زبيب أن يرفع سعره أو يدخله بيته كيف شاء . ثم رجع إليه وقال له : إن الذى قلت ليس بعزمة منى ولا قضاء ، إنما هو شيء أردت به الخير لأهل البلد ؛ فحيث شئت فبيع ، وكيف شئت فبيع^(٢) .

ويؤخذ من ذلك بصرحة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرض بتسعير المبيعات وتحديد أثمانها ، ولهذا ذهب جمهور العلماء إلى عدم جوازه سواء فى حال الغلاء أو الرخاء ، ومن غير فرق بين السلع المحلية والأخرى المجلوبة إلى البلد .

وقد أبان الإمام الشوكانى المتوفى سنة

(١) يراجع فى هذا وما قبله سنن أبى داود ٣ : ٢٧٠ ، والسنن الكبرى للبيهقى ٦ : ٢٩ ، وسبل السلام ٣ : ٢٥ .

(١) المتنق ، ج ٥ : ١٨ .

للجماعة ، هذه المصلحة التي تتطلب تسعير كثير من السلع في أحوال كثيرة نحسها ونلمسها جميعاً .

٤ - فروع الفناء للمساجد :

هذه مشكلة اجتماعية حرية أن تنال الرعاية والبحث في أيامنا ، هذه الأيام التي اشتد فيها اختلاط النساء بالرجال في كل موطن ، لا في المساجد ودور العلم فحسب ، بل في الطرقات والمتاجر ودور التمثيل والسينما وغيرها بلا ضرورة أو سبب مشروع .

والإسلام - كما نعلم - حرص على تقدير مساواة المرأة للرجل في الحقوق العامة في حدود الكتاب والسنة ، كما حرص أيضاً على صيانة المرأة وتوفير الكرامة لها ، وعلى إبعادها عن مواطن الشبهات ، وهذا وذاك نجده في كثير من آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولذلك نجد في المسألة التي نحن الآن بصدها هذه الأحاديث والآثار ، ومنها نقتين حكم الإسلام في ذهاب النساء إلى المساجد للصلاة وهي : (١) .

(١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

(١) راجع الموطأ ج ١ : ١٥٦ - ١٥٧ ، سنن أبي داود ج ١ : ٢٢١ - ٢٢٢ ، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ٢ : ١٩٥ .

أولى من رعاية مصلحة الفرد من التجار ، فإن في ذلك دفعا لضرر أكبر ؛ فإن البائع هو فرد أو أفراد ، والمشترون هم الجماعات . وبذلك يكون التسعير أحيانا ضرورة لا بد منها للأمة ، كما في أثناء الحروب والأزمات الاقتصادية المختلفة ، وبهذا تحدد الدولة من تحكم بعض التجار وجشعهم ، وتحقق العدالة والمصلحة العامة للأمة كلها ، وفي هذا الخير كل الخير .

ولهذا ذهب الإمام مالك إلى جواز التسعير ، كما ذهب إليه بعض فقهاء الشافعية في حال ارتفاع الأسعار ارتفاعا لا مبرر له ، وكذلك ذهب جماعة من فقهاء الزيدية إلى جوازه في كثير من السلع (١) .

هذا ، وليس لنا أن نرى في إجازة التسعير - في رأى من ذهب إليه من الفقهاء - شيئا من المخالفة عن رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإن كل ما جاء عنه أنه لم يأمر به للسبب الذي رآه ، ولعدم الحاجة الماسة إلى التسعير .

فإذا كنا نذهب مذهب فقهاء التابعين ، وغيرهم ممن جاءوا بعدهم ، في أيامنا هذه ، لم نكن إلا موافقين لما يريد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو النظر إلى المصلحة العامة

(١) راجع نيل الاوطار للإمام الشوكاني ، ج

٥ : ٢٧٠ .

السيوطي في شرحه لموطأ مالك — لمنعه من الخروج إلى المساجد .

ومعنى هذا بوضوح أن الحكم الشرعي قد يتغير بتغير الزمن ولو في فترة قصيرة ، فكيف بنا اليوم بعد أن مضت هذه القرون الطويلة ، وبعد ظهور ضروب كثيرة من الفساد والمنكرات يرجع الجانب الأكبر منها إلى الفوضى في اختلاط النساء بالرجال .

ولهذا نرى في عصر التابعين أن واقف ابن عبد الله بن عمر ، وقد كان مثل جده الفاروق شجاعة وصراحة في الحق ، يقسم بالله أنه لن يأذن للنساء بالخروج إلى المساجد ، ويتبين ذلك من هذا الأثر :

عن عبد الله بن عمر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « أئذنوا للنساء إلى المساجد بالليل ، فقال أمين ^(١) له : والله لا نأذن لمن فيتخذنه دغلاً ، ^(٢) والله لا نأذن لمن ! فغضب أبوه منه وسبه وقال : أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أئذنوا لمن وتقول لا نأذن لمن » ؟ .

والنتيجة أننا في هذه المسألة أمام موقفين متعارضين ولكل من صاحبهما وجهة نظر جديدة بالتقدير ، موقف عبد الله بن عمر من (البقية على صفحة ٧١٩)

« لا تمنعوا إمام الله مساجد الله » ، وعن بسر ابن سعيد أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إذا شهدت إحداكن صلاة العشاء فلا تمس طيباً » .

(ب) وعن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن المساجد كما منعه نساء بني إسرائيل » .

(ج) وعن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا تمنعوا نساءكم المساجد ، وبيوتهن خير لهن » .

(د) وعن عبد الله بن مسعود أنه عليه الصلاة والسلام قال : « صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها ، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها » ^(١) .

من هذه الأحاديث نفهم أولاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بالآلا تمنع النساء من الذهاب إلى المساجد وإن كان يرى أن صلاة المرأة في بيتها أفضل من ذهابها للصلاة في المسجد ، ونفهم ثانياً من الأثر المروى عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن الرسول لو بقي حياً حتى رأى ما أحدث النساء من الطيب والزينة وقلة التستر وتسرع الكثير منهن إلى ما هو منكراً يذكر الإمام

[١] جاء في كتاب جامع بيان العلم وفضله أن هذا الأمين هو « بلال » ، راجع ١ ج ٢ : ١٩٥ .
[٢] الدغل بفتح الحاء : الفساد ، جاء في المختار .

[١] الهدع مثله الميم : البيت الصغير يكون داخل الكبير .

الإسلام والحياة المعاصرة

في أحاديث الرئيس أيوب خان

للأستاذ محمود الشرقاوي

كان الناس يقرءون مقالنا السابق في هذه المجلة (١) وهم يستمعون إلى أحاديث مخصصة واعية عن الإسلام وحياة المسلمين المعاصرة. أحاديث وجهها إليهم في القاهرة وفي المملكة العربية السعودية حاكم من أبرز الحكام المسلمين في هذا العصر ، وأكثرهم دراية وخبرة ، وأعمقهم ثقافة وأنفذهم فهما لروح الإسلام وشريعته ، وأشدهم حرصا على تقويم المعوج من مفاهيم هذه الشريعة . وهو الرئيس محمد أيوب خان ، رئيس جمهورية باكستان . ومنزلة الرئيس أيوب خان وتجاربه وثقافته وإخلاصه كل ذلك يجعل لأحاديثه تلك من القيمة والأثر ما نرجو أن يكون حافزا ومحركا ودافعا . كما نرجو أن يكون في هذه الأحاديث القوية المخلصة تنبيه لبعض القوم من رجال الفكر الديني في جمهوريتنا العربية المتحدة خاصة . فإن عليهم واجبا وكنته لهم الأقدار وحفظه لهم التاريخ . سنعرفه في ختام هذا المقال .

يقول الرئيس أيوب خان (١) :
« هناك أمر آخر - يهمكم كما يهمنا : هو أننا نؤمن بأن ديننا دين تقدمي يشجع على استعمال العقل وعلى أن يتقدم مع مرور الزمن ، ولكن هل يمكنكم أن تشعروا بذلك إذا ما أقيمت نظرة على العالم الإسلامي ؟.. هناك تخلف وهناك انخفاض في حالة التعليم وهناك حالة من الركود . ألا يدفعنا ذلك إلى الاهتمام بالبحث عن أسباب هذه الأخطاء وما الذي يجب إصلاحه . وأنا أعتقد أن واجب كل مسلم أن يبحث عن السبب وعما يجب عمله لإصلاح الحال . وينبغي أن نكون لدينا الشجاعة المعنوية لنشير إلى الخطأ وإلى كيفية إصلاحه . وأنا أعتقد أن مجتمعنا الديني وزعماءنا الدينين قد قاموا بخدمات كبيرة في الاحتفاظ بتقاليد الإسلام وتماسك المجتمع الإسلامي ، ولكن رغم المحاولات الكثيرة هل يمكن القول بأننا نستطيع أن نساير

(١) نصوص أحاديث الرئيس أيوب خان الواردة

في هذا المقال تفصلت بها علينا سفارة باكستان في القاهرة ، والترجمة للسفارة .

(١) الثورة الرابعة ضرورة محتومة : عدد جادى الآخرة .

يصحبه خطر داهم ألا وهو الغلو في المادية والإغراق، كما حدث في البلاد الغربية . ولذا فإن الحاجة تدعونا لأن نتبع مثلاً علياً أديبة وروحانية للحفاظ على التوازن مع القناعة الروحية - وليست هذه المثل العليا سوى الإسلام ، وبعد أن أوضحنا هذا نجد أماناً واجبا جسيماً جداً ألا وهو تحديد تلك المثل العليا تحديداً موضوعياً ، ذلك أنه مامن إنسان مفكر يستطيع أن ينسكراً بالرغم مما في الإسلام من قوة تقدمية دافعة فإن المجتمعات الإسلامية قد تخلفت عن ركب العالم اليوم . فالسؤال إذن هو : إلى من يعزى الخطأ ، هل يعزى إلى الناس أم يعزى إلى الدين ؟

إن هناك فئة عن يبرهم بريق النظم العلمانية والدينيوية ، التي تتبع في البلاد الغربية ، تميل إلى إلقاء اللوم على الدين ، وهذا طبعاً نتيجة الجهل ، ولكن سبب هذا الجهل مفهوم . فإن مأساة الشباب العصري هي أن عليه أن يعيش في عالم يسير قدماً ، ولكنه إذا لم يعقيدته وتمسك بإيمانه وجد أن عليه أن ينظر إلى الوراء ، إذ لم يتم أحد بعد محاولة جادة لتلقيه روح الدين بالوجه الذي يفهمه على أضواء المعرفة والعلم الحديث . فبينما تقتلص المسافات بين أجزاء الأرض ويتسع أفق المعرفة ، يزداد عدد أولئك الذين يقعون في شرك الشك ، فإذا أردنا أن ننهضهم من

الزمن بمجهوداتهم ؟ وقد تنساءلون لماذا يتحتم علينا أن نساير الزمن ؟ والجواب على ذلك أن القرآن الكريم يحض على مسايرة الزمن ، وكل من لا يحسن حاله يفنى . وهذا هو الفرق . فإنا إذا لم نساير الزمن فسيسبقنا الزمن . يجب أن نعتز بأخطائنا وأن نزيلها وإلا فسنعود إلى عهود العبودية وحينئذ سيطول أمد هذه العبودية ،^(١) وكل مدرك لأحوالنا ، نحن المسلمين ، ولأوضاعنا في الحياة المعاصرة يشعر بمثل هذا الشعور الذي صورده أيوب خان فأحسن تصويره ، ويؤمن بهذا القول الحكيم وهو أن واجب كل مسلم أن يبحث عن أسباب هذه الأخطاء ، وما الذي يجب عمله لإصلاح الحال ، نعم . هذا هو واجب كل مسلم ، أما رجال الفكر الديني الفاقهين المخلصين ، فإن واجبه في ذلك أن يكونوا قوادراً ورواداً . لا أن يتابعوا الجماهير فيكتمون كلمة الحق ، ويخشون المجاهرة ، ويؤثرون السلامة .

ويقول الرئيس أيوب خان في انبساط الحياة المادية التي تسعى إليه باكستان . كما تسعى إليه الجمهورية العربية المتحدة والبلاد الإسلامية الأخرى ، وفي علاقة ذلك بالحياة الدينية ، يقول إن هذا التقدم المادي قد

[١] من خطبه الرئيس في حفلة الاتحاد القوي انكريمه ، في ٧ نوفمبر ١٩٦٠ .

إن المرء لا يملك اليوم إلا أن يشعر بأن الفكر الإسلامي إنما يعاني من حال للعبودية تعيس، والسؤال هو... كيف نحرر هذا الفكر من قيوده، وكيف نعطيهِ الفرصة للازدهار بكل ما فيه من طاقة؟ الجواب البدهي على ذلك هو أن علينا نحن الذين يقضى ديننا بأن التغير والتبدل من أكبر الدلائل على وجود الله — أقول علينا أن نميز بين طقوس الحياة وطريقة ممارسة الحياة وأن نقر حقيقة أن المبادئ لا تتغير وإنما الذى يتغير على مر الزمن هى الطرق والأساليب، وأن التغير ينبغي أن يكون نحو الأحسن، ولا يكون الخير فى التغير ما لم تتسن للفكر الحرية التامة للتأمل فى الأمور الأساسية من دون حدود أو قيود. إن نجاحنا للتوقف على حل هذه المشكلة فإذا لم تحسم هذه المشكلة بالحكمة فلا بد أننا صائرون إلى الزوال، (١) لا سمح الله.

أجل أيها الرئيس أيوب خان: لن يكون خير فى التغير ما لم تكفل للفكر الحرية التامة للتأمل: وما لم يتسم الفكر الدينى بالإخلاص والشجاعة، على أساس من هذه الحرية.

لقد حمل أصحاب الفكر الدينى فى فترة طويلة من حياة الأمة الإسلامية مشاغل

المروق فعليها أن تنهض الآن، وأن تعمل قبل فوات الأوان، (٢).

ثم يتحدث عن روح الدين والطقوس الظاهرية والبدع الدخيلة على الإسلام فيقول: «لئننى أعتقد أن اللوم فيما صرنا إليه إنما يقع علينا نحن لا على الدين، فإن أكبر خطأ ارتكبناه هو أننا نسينا شيئاً: أن الدين إنما خلق للناس لا أن الناس خلقوا للدين» (٣). فكانت النتيجة أننا بدلاً من أن نضع الدين فى خدمة الإنسان، جردناه من حقائق الحياة وأخذنا منه بالبدع - وهكذا أطلقنا لأنفسنا العنان حتى أصابنا الجود. ذلك أننا بتجاهلنا لفروض الإسلام ولأهدافه الاجتماعية سقطنا فى حضيض البدع وعبادة المظاهر والرموز وعندها دخلنا مرحلة من الاضطراب والانحلال تشبه تلك التى أدركت أتباع المذاهب الفلسفية الأخرى التى أصابها الوهن.

[١] من خطبه الرئيس أيوب خان التى ألقاها فى جدة عند زيارته فى الشهر الماضى للملكة العربية السعودية.

[٢] جاء الإسلام شريعة وعقيدة لخير البشرية عامة وصلاح الحياة الإنسانية: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً» الأحزاب ٤٥ - ٤٦ «يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحكيكم» سورة الانفال ٢٤.

وقد كنت أقرأ هذه الأحاديث المخلصة التي تفضلت عليَّ بها سفارة باكستان في القاهرة ، وأقرأ معها مقالا كتبه مفكر مسلم آخر من الهند ، هو الأستاذ آصف علي أصغر فيضي ، فأجده يقول :

« وأعتقد على العموم ، كما يعتقد كثير من الناس ، أن مفهوم الإسلام الآن لم يعد قوة محركة يهدي الناس إلى الوجهة الصحيحة في هذه الأيام التي يسودها الهياج والاضطراب . فلا بد من تفسير جديد لأصوله ومبادئه ،^(١) إن الإسلام يقول بأن في الكون نظاما وترتيا ، وهو يصر أشد الإصرار على الحق والجمال ، وعلى البر والفضيلة . أما في سبيل العلم والحق ، فلا نجد إلا حضارات قليلة أدت واجبها في نشر العلم والفلسفة ، بمثل ما أدى الإسلام من خدمات بارزة في هذا المضمار ، فإلى الإسلام فقط يرجع الفضل في إبراز حضارة عظيمة إلى خير الوجود ، ومع ذلك نجد « المسلمين فقراء اقتصاديا ، متأخرين علميا ، ومفلسين روحيا ،^(٢) » بعد أن خدم الإسلام الحضارة سبعة قرون ، مال نجمه للأفول ، فأخفت روحها بفعل التعصب والتحزب . أما حيوية الإسلام فقد قوض

النور والحق والمعرفة ثم كان ما وصفه الرئيس أيوب خان فأحسن الوصف في قوله :

« وما يؤسف له أن هذه الشعلة القوية من علوم الإسلام لم تدم طويلا ، وحين جاء علينا وقت انحرفنا فيه عن روح الدين طغت السطحية على الحياة الأصيلة وانتفى وجود العقل والحكمة وحل محلها التطير وأصبحنا عبيدا للتقاليد ، وإن الممالك والتيجان التي فقدتها المسلمون في مراحل التاريخ المختلفة لمي أقل أهمية من ممالك التفكير الحر الواعي التي فقدناها خلال العهود التي ركبت فيها حركة الفكر ، وكانت النتيجة أنه — في حين كانت الحياة تسير في طريقها ظلت المعرفة الإسلامية تتخبط في سيرها ، وبدلا من أن يصبح الإسلام الحياة الدافقة الحية ، كما هو مقدر له ، أصبح الإسلام أمر عبادة بما أدى بمعتقديه إلى أن يتخلفوا عن ركب الحياة . ومن هذه ندرك أنه لكي نحرر روح الدين من الخزعبلات ومن الركود الذي يحيط به ولكي نجعله ديناً تقدماً يتمشى مع العلم والمعرفة الحديثة يجب علينا أن نجعل هذا الهدف من أول ما يجب أن يشتمل عليه نظام التعليم عندنا ،^(٣) .

[١] ١ ، ٢ مجلة ثقافة الهند التي يصدرها في ممبای مجلس الهند للروابط الثقافية ، العدد الأول من المجلد المأثر يناير ١٩٦٠ - الصفحات : ٣٥ و ٤٠ و ٤١ مقال عنوانه : تفسير جديد للإسلام .

[١] من خطبة الرئيس أيوب خان في جامعة القاهرة ٩ نوفمبر ١٩٦٠ .

هذه ثلاثة أحاديث التقي فيها على رأى واحد ثلاثة من عظماء المفكرين المسلمين ، فى بلاد إسلامية عظيمة يشغلون فيها مراكز التوجيه والحكم والقيادة والزعامة . وهى تمثل الفكر الدينى المستنير فى الدول الإسلامية الكبرى فى الشرق الأقصى . ومن قبل ذلك سمعنا ، من هذه البلاد نفسها ، أصواتا بمثابة من زعماء آخرين مصلحين ، مثل السيد أمير على وإقبال وأحمد خان ومحمد على الهندى . وكانت هذه الأصوات تلتقى وتتجاوب مع أصوات مصلحين آخرين فى بلادنا الإسلامية العربية ، مثل جمال الدين الأفغانى والإمام محمد عبده ، والشيخ المراغى .

فهل لرجال الفكر الدينى عندنا أن يصغوا إلى تلك الأصوات المخلصة ويتدبروها ؟ بل هل لهم أن يتلقفوا نداءها وأن يسارعوا لاستجابتها والعمل بدعوتها ... ؟

* * *

إن على رجال الفكر الدينى فى الجمهورية العربية المتحدة واجباً حملاً إياهم الرئيس أيوب خان حين يقول : « إن جهودنا وحدها فى هذا السبيل ليست كافية ، ونحن فى هذا السبيل نتطلع إلى المعونة والهداية من القاهرة ودمشق ، وهما المركزان الإسلاميان للعلم والحديث ، ونحن نريد أن نتعاون فى سبيل تحقيق أهداف الإسلام الحقيقية دون

الاستبداد أركانها ، وجعل عاليها سافلها » (١) ثم يقول الأستاذ آصف : « فلنقم بتخليص الإسلام الذى هو الروح المشرقة للسعادة والرحمة والإخاء والقساح والاعتدال ، حتى يكون الإنسان العصرى أسعد وأعز ، بفضل تخلصه من القيود والأغلال » (٢) .

ومن قبل هذا وذاك زار القاهرة عظيم من كبار المسلمين المفكرين ، ومن الحكام الذين يسيطرون على مصائر بلد إسلامى عظيم ، هو إندونيسيا . فسمعناه يقول وهو يتحدث إلى علماء الأزهر وطلابه : « . . . وبتعاليم الإسلام الصحيحة تدرج المسلمون إلى ذروة العز والشرف ، وبتمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله وما أتى به السلف أصبحت الأمة الإسلامية ذات مكانة مرموقة فى هذا العالم . وشهد التاريخ فى كل عصر من عصوره ما للأمة الإسلامية من مكانة مرموقة فى دول الشرق والغرب . والآن - وبعد مرور ألف سنة وما ينوف على ثلثمائة عام - يجد المسلمون أنفسهم سائرين فى عصر من أحلك عصور الإسلام ، ملء بالعظائم والدروس القيمة ، .

* * *

[٢٠١] المصدر السابق - يدأدهم خالد نائب رئيس الوزراء ورئيس حزب نهضة العلماء بإندونيسيا . من الخطاب الذى ألقاه فى حفل تكريمه بقاعة المحاضرات بالجامع الأزهر ص ١٧ .

ونحن نجد - كما لاحظ القديس أنفهم - أن أكثر هذه الأسماء مصرى. وأن السكثرة الغالبة من هؤلاء المجددين من أنجبهم مصر وآواتهم وعلتهم. فهم ثلاثة عشر مجدداً في ثلاثة عشر قرناً، بينهم ثمانية مصريون، هم: عمر بن عبد العزيز الذى نشأ فى مصر، والشافعى الذى آوى إلى مصر آخر عمره، ومات فيها بعد أن وضع مذهبه الجديد، وابن دقيق العيد القشبرى المنفلوطى، والبلقىنى الذى ينسب إلى «بلقىنة» بالقرب من المحلة الكبرى، والسيوطى، والرملى المنسوب إلى «رملة» فى «منية العطار»، والدردير العدوى القاهرى، والشرقاوى^(١). هذه أمانة العلماء من رجال الفكر الدينى، أمانة الفاقهين المخلصين منهم على اتاريخ، وهى أمانتهم وواجبهم فى حياة المسلمين المعاصرة.

محمود الشرفاوى

سكرتير التحرير

أن يؤثر ذلك على سياستنا القومية وعلى التزاماتنا الدولية. (١)

هذه الأمانة التى حملها الرئيس أيوب خان لعلباء القاهرة ودمشق كانت أمانتهم على التاريخ، وكانت واجباً مقدساً وكنهه لهم الأقدار، كما قلنا أول هذا المقال. فنحن نعرف من تاريخنا الفقهى أن العلماء تبعوا حديث الرسول الكريم الذى يجعل على رأس كل مائة من السنين من يجدد لهذه الأمة دينها (٢)، وأنهم وضعوا فى ذلك المنظومات والكتب و «الجرائد» التى تذكر هؤلاء المجددين من العلماء بأسمائهم وتؤرخ لهم. وقد سجل المؤرخون أسماء هؤلاء المجددين على رأس كل قرن على الوضع الآتى:

«من المائة الأولى إلى القرن الثالث عشر: عمر بن عبد العزيز، ثم الإمام الشافعى، ثم ابن سريج العراقى أو أبو الحسن الأشعرى، ثم الباقلانى أو الإسفرايينى، ثم الغزالى، فالفخر الرازى، وابن دقيق العيد، فالبلقىنى، فالسيوطى، فالرملى، فعبد الله ابن سالم البصرى، فالدردير، فالشرقاوى.

(١) من خطابه فى جامعة القاهرة.

(٢) الحديث الشريف: «إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها.

(١) ص: ١٣٠ - ١٣١ من كتابنا: «تقويم الفكر الدينى وصلته بالقومية العربية». انظر أيضاً فصل: «الاجتهاد مجدداً مقرر فى الشريعة» من هذا الكتاب.

النحو والمنطق

للدكتور تام حسان

في نطاق قسم آخر متميز لانه من الضروري في هذه الحالة - وهذه الحالة فحسب - أن يكون أحد المتقابلين صحيحا والآخر خطأ ، . ويقول : ، والكلمات التي تقع في عبارات متقابلة يقع بعضها في نفس الوقت عكسا للبعض الآخر ، وتختص الكلمات بهذا أكثر مما تختص به أية مجموعة من الأمور المتقابلة ، .

ويعرف أرسطو الاسم بأنه اللفظ الذي لا يدخل الزمن في مدلوله ولا يدل جزء منه مستقلا عن الأجزاء الأخرى (١) ، . وهو يقول إن الاسم لا يوصف بالصدق أو الكذب إلا إذا أسند ، ويضرب لذلك مثلا بكلمة «دوعل» فهي لا توصف بأى الصفتين إلا إذا أضيف إليها فعل .

وواضح أن الصدق والكذب لا يدخل في نطاق الدراسات اللغوية وإنما هو في الدراسات المنطقية ووصف الحكم وفي الدراسات الأخلاقية وصف لسلوك . أما اللغوى فإنه يحلل العبارة الكاذبة منطقيا وأخلاقيا

تختلط الدراسات اللغوية القديمة إلى حد كبير جداً بالنظريات المنطقية والميتافيزيقية ولقد اعتبر كتاب اللغة من الإغريق الجملة حكما منطقيا واعتبروا طرق الإسناد النحوى من قبل الوضع والحمل في المنطق وإن من يقرأ ما كتبه أرسطو في التحليلات الأولى والثانية والعبارة والجدل والمقولات ليجده مليئا بالنظريات التي تخاطب بين التفكير اللغوى والفلسفى . خذ مثلا من كلامه في مقولة الكم (١) : «دو يقال نفس الشيء عن الكلام . فمن الواضح أن الكلام ذو كمية ؛ لأنه يقال بالمقاطع الطوال والقصار . وأقصد بذلك الكلام المنطوق ، . ويقول في الفصل العاشر من المقولات : «دو إن الأزواج المتقابلة التي تنضوى تحت مقولة الإضافة تتضح بنسبة كل منها إلى الآخر ؛ وهذه النسبة تدل عليها علامة الإضافة أو أى حرف آخر ، . ويقول أيضا : «دو والكلمات التي تقع في عبارات المتقابلة من جهة الإثبات والنفي تقع بوضوح

(1) The works of aristatle tran-

slateq into English, Categoriæ, ch. 6.

(1) Interpretation, ch. 2.

الاشياء . ومن ثم عدلوا عن التعبير باللغة عن قضايا المنطق إلى التعبير عنها بالرموز والرياضة .

ولقد أخذ السريان من النحو الإغريق كثيراً من مصطلحاته وتعريفاته وطرق تقسيمه ثم تأثر النحو العربي في نشأته بنحو السريان وتأثر إبان حركة الترجمة العباسية وما بعدها بالمنطق بطريق مباشر . فما مظاهر هذا التأثير وما نواحيه ؟ .

يبدو أثر المنطق الإغريقي في النحو العربي من نواح ثلاث :

- ١ — المقولات .
- ٢ — القياس .
- ٣ — التعليل .

وحين نقول بتأثر النحو العربي بهذه النواحي لاندعى أن النحاة العرب قد اجتمعوا على الصورة التي يقررها ابن جنى في كلامه في أصل اللغة ، وذلك أن يجتمع حكيم أو حكيمان ... إلخ ، ولا على الصورة التي صورها جان جاك روسو في كلامه عن Contrat social فيما بعد ، أقول : إنني لا أدعى أنهم اجتمعوا على هذه الصورة وقالوا : دعنا ندخل في النحو أفكاراً منطقية معينة . لا ، بل هم انقادوا على غير عمد منهم إلى هذا الطريق بتريد أفكار السابقة حيناً وبالحضوع للنحو الثقاني حيناً آخر وهو جو

كما يحلل العبارة الصادقة . وإذا سمع النحوى قول الشاعر :

يزيد جمال وجهك كل يوم

ولى جسد يذوب ويضمحل
فلن يفكر فيه منطقياً ولا خلقياً ولن يعنيه
أن يكون الشاعر صادقاً أو كاذباً فيما ذهب إليه
وورط نفسه في ادعائه ؛ وإنما يعنيه منه
أن يحلل التركيب اللغوى لا أكثر ولا أقل .
فإذا عرفنا أن أرسطو يعرف الجملة بأنها :

« الكلام المفيد الذى لبعض أجزائه معان مستقلة باعتبارها ألفاظاً لا باعتبارها أحكاماً إيجابية » (١) أدركنا أن الجملة في نظره حكم منطقي إيجابي وأنه في دراسته للغة يدرس القضايا لا الجمل . فالدراسات الإغريقية على سعتها وعمقها لم تخلق للدراسات اللغوية والنحو من بينها منهجها الخاص وإنما استعانت على دراسة اللغة بمجموعة من المناهج أهمها منهج المنطق .

ولم يكن هذا منافياً لصالح اللغة لحسب ، وإنما كان قيداً يكبل المنطق أيضاً ؛ لأن المنطق سلوك فكري والفكر عالمي ولكن اللغة محلية ، وكان من نتيجة ذلك أن أحس المناطق على مر الزمن أن استخدام اللغة في التعبير عن قضايا المنطق يخلق هوة بين المنطق في لغة والمنطق في لغة أخرى ، وذلك يناق طبيعة

(1) Interpretatione, ch. 4,

وأما الكم فواضح أن النجاة والقراء ربما عرفوا أن المدة duration التي يستغرقها نطق صوت من الأصوات لا تناسب طردأ ولا عكساً مع كميته quantity ومع هذا أصروا على خلق وحدات طولية فكرية في دراسة الأصوات والحروف العربية . فالحرف المشدد بحرفين وإن قصرت مدة نطقه عن مدة الحرف المفرد في بعض المواضع ، والحركات أبعاد الحروف كما يقول ابن جني في سر صناعة الإعراب ، فالفتحة في نظرم نصف الألف حتى إذا قصرت مدة نطق الألف كما في ألف منى من قولك «منى النفس» حيث يسلك نطق النون الأولى إلى النون الثانية بعد ألف قصيرة جداً بل أقصر من الفتحة في بعض مواضعها في النطق . والتفكير المنطقي هنا واضح جداً ولا سيما إذا عرفنا أن بعض التجارب الآلية التي قمت بها على لهجة عدن قد برهنت إلى درجة تعزز ملاحظتي الخاصة على أن الصوت المفرد الأخير الساكن في النطق أطول من نظيره المشدد في الوسط من جهة المدة وإن كان أقصر من جهة الكم .

ويتضح خطر هذا التفكير في الصرف بصفة خاصة حيث تقوم الكمية في الحروف بدور الفروق بين معاني الكلمات كالتفريق بين الفعلين «عبد» و «عبداء» وكذلك «ضرب» و «ضرباً» ثم «قتل» بالإفراد و «قتل»

لم يجعل المنطق فيصلاً في النحو ، فقط وإنما جعله حكماً في كثير من الدراسات الإسلامية وأهمها التوحيد والفقه .

ويعلم القارئ أن المقولات عشر هي : الجوهر والكم والكيف والزمان والمكان والإضافة والوضع والمالك والفاعلية والقابلية (أو كما تسميها المتون العربية : أن يفعل وأن ينفع) . ويعلم القارئ أيضاً أن هذه المقولات عليها الأجناس ، أى أن الأجناس فيما عداها أخص منها وتندرج تحتها ولا يعلو على هذه المقولات جنس واحد منها . ثم هي كذلك أسس تفهم الأشياء مبنية عليها ، فللشيء جوهر وكم وكيف وهو في زمان ومكان ، ويفهم بالإضافة إلى شيء آخر ، ويدرك في وضع معين ، وقد يكون مالكا أو مملوكا وفاعلا أو قابلا .

نظر النجاة إلى اللغة نظرتهم إلى الأشياء والمحسوسات فجعلوا للكلمة جوهرأ ورأوا أن جوهر الكلمة لا يتغير إلا بإعلال أو إبدال . فالجواهر في قال «قول» وفي فعل الأمر من وفي «إوف» وفي كلة نهى «نهى» بثلاث فتحات وفي قاض «قاضى» إلخ . ولم يعن النجاة بجوهر الكلمة وحسب وإنما انساقوا أيضاً إلى التفكير في جوهر الجملة فاخترعوا فكرة تقدير ألفاظ غير موجودة فيها . والتقدير بلية فلسفية منطقية ابتلى بها النحو العربي ولا يزال يبتلى .

و عن قوله تعالى : « إذا جاء نصر الله والفتح ، بأن إذا ظرف لما يستقبل من الزمان والزمن فيها لا في الفعل . والمعروف أن الزمن أحد معني الفعل وأن الأدوات والأسماء لا تغني عن الفعل في تحمل الزمن . فعذرهم غير مقبول في ذلك . ولو قد فصلوا في فكرهم بين الزمن النحوي والزمان الفلسفي فجعلوا الأول مفهوم صيغة والثاني شبيه حركة كما يقول ابن سينا لكان ذلك أولى بهم . ومعنى أن يكون الزمن مفهوم صيغة أن يدل الماضي بصيغته على الماضي النحوي لا على الماضي الفلسفي .

ويبدو التفكير في مقولة المكان مسئولا بالتضامن مع مقولة الكيف عن تقدير الحركات على أواخر الكلمات . ففي قوله تعالى : « وما ينطق عن الهوى ، كسرة مقدرة على الألف الأخيرة منع من ظهورها تعذر اجتماع النطق بالألف مع النطق بالكسرة في وقت معا . وفي قوله تعالى : « فانتظر يوم يدعو الداعي ، ضمتان مقدرتان : إحداهما على واو يدعو والثانية على ياء الداعي . وهذه المقولة أيضا مسئولة عن فكرتي الإعلال والإبدال فالإعلال تغيير شكل في مكان ، والإبدال وضع شيء في مكان شيء . وما يتصل بمقولة المكان أيضا القول بحفظ الرتبة حتى إن الاسم المرفوع لو تقدم على الفعل لم يعد فاعلا وإنما يصبح مبتدأ .

بالتشديد ولست بذلك أريد أن أهجن الاعتماد على الكم في التفريق بين العناصر اللغوية وإنما أريد أن أنبه إلى الصلة بين مقولة الكم وبين التفكير اللغوي في تطبيق النحاة والقراء القدماء .

وأما التأثير بمقولة الكيف فهو في نسبة كيفيات استعدادية لبعض الأفعال الثلاثية وبعض الأسماء وفي تسمية بعض الحروف . فمن أنواع الأفعال الثلاثية الأجوف والناقص وهناك المؤنث المقصور كحبل والألف اللينة . وتوضح هذه المقولة كذلك في نسبة كيفيات كمية إلى بعض الكلمات كالمفرد والمثنى والجمع . وأما تطبيق مقولة الزمان على دراسة اللغة بلا تفريق بين « الزمان » الفلسفي و « الزمن » النحوي فواضح في تقسيم الفعل وتعريفه دون نظر إلى استعمالاته ، فالفعل إما ماض أو مضارع أو أمر . والماضي مادل على حدث مضى قبل زمن التكلم ويدل المضارع على الحال أو الاستقبال أو الاستمرار التجديدي إلخ . ويضطر النحاة إلى الاعتذار بعد هذا كلما خذلهم الاستعمال اللغوي . فهم يعتذرون عن الفعل المضارع الدال على المضى عند اقترانه بلم فيقولون : إن لم حرف قلب وقد جاء المضى منها ، ويعتذرون عن تعبير مثل « إن تكن عاد قد بادت فما بادت خلالها » ؛ لأن هلاك عاد مضى والفعل في أول الجملة مضارع .

أن الحركة بهذه الصورة ملك يمين للحرف الصحيح . وإن كل لغات العالم الأخرى لتكتب الحروف والحركات جنباً إلى جنب في روح من المساواة بين الطائفتين ، ولكن اللغة العربية قد جعلت من حركاتها في الخط علامات إضافية وفي النحو علامات إعرابية فهي علامات لا حروف في الحالتين .

والمقولتان الأخيرتان (الفاعلية والقابلية) مسئولتان إلى حد كبير عن القول بالعامل في النحو . فإذا كان الشيء إما فاعلاً وإما قابلاً فليأذا لا تكون الكلمات كذلك ؟ ولم لا يكون بعض الكلمات عاملاً في بعضها الآخر ؟ ولم لا يعمل بعض المعاني في الكلمات ؟ ولقد شاع القول في نقد نظرية العامل في أيامنا هذه والحجج على ضعف القول بها أكثر من أن تأتي في ثنايا مقال واحد خصص لموضوع غير العامل .

نرجو عند هذا الحد أن نكون قد بينا للقارئ مدى تأثير النحاة بالمقولات العشر في تفكيرهم اللغوي ونود بعد ذلك أن نعرض لنوع آخر من تأثيرهم بالمنطق وبما كتبه النحاة من الإغريق والسريان من قبلهم وتأثروا فيه بالمنطق .

والمعلوم أن مناهج الدراسات العلمية تقوم الآن على الاستقراء واستخراج ما بين المفردات من جهات الشركة ليكون المستخرج هو القاعدة .

ثم هناك مقولة الإضافة ، وقد فهم النحاة كل فعل بالإضافة إلى فاعله فإذا لم يكن للفعل فاعل مذكور في الجملة فلا أقل من أن يقدره النحاة تقديرأ ليكون تفكيرهم متمشياً مع منطق المقولات . وهذه المقولة أيضاً تصبغ التفكير في الإمامة إذ أن المال بمال بالإضافة إلى لفظ آخر ألفه صريحة مع قطع النظر عن أن كلا منهما أصل في لهجته التي تنطقه ولو درسنا اللهجة المميلة بمفردهما ما احتجنا إلى التفكير في هذا الباب . باب الإمامة ، على الإطلاق .

وأما الخضوع في التفكير لمقولة الوضع فثالة أن الجملة برغم عدم إمكان ظهور حركة إعرابية عليها جعل لها وضع إعرابي معين ، فقد تكون الجملة في محل نصب مقول القول أو صفة لمنسوب وقد تكون في محل جزم جواباً لشرط وقد تكون في محل رفع خبراً ، وقد تكون في محل جر صفة أو مضافة إلى ظرف وهم جرا .

وهل يستطيع أحد أن ينكر أن مقولة الملك واضحة الأثر في نظرة الصرف والإملاء إلى الحركات ؟ فالمحل الأول للحرف الصحيح وإنما تأتي الحركة لتكون وصفاً من أوصاف الحرف الصحيح على طريقة الوصف بالكييفيات الاستعدادية ، فالحرف إما مجرور أو منصوب أو مرفوع أو مجزوم ولا شك

أما العلل فقد جعلها أرسطو أربعاً هي : المادية والفاعلة والصورية والغائية .
والذى يهمنا منها هنا هما الأخيرتان . فإن العلم
ليتخذ علله الآن من نوع العلل الصورية فيتم
بكيفيات الأشياء ولا يستخدم العلل الغائية إذ
لا يتجه إلى ذكر غايات الأشياء والغرض من
وجودها . فإذا نظرنا في العلل النحوية وجدنا
الكثرة الغالبة منها يتجه إلى الأغراض والغايات
فهم يسألون ويعلمون سبب الرفع في الفاعل
وسبب البناء في الأسماء والأفعال فيشرحون
الغايات ، وحققهم أن يقتصر على كيفية رفع
الفاعل فيكون الجواب بأنه يرفع بالضمعة
في حالة الإفراد والالف في حالة التثنية والواو
في حالة الجمع وهم جرا . ويقررون بعد ذلك
كيفية البناء في الأسماء والأفعال بأنها
على الفتح في هذه الصورة ، وعلى الضم في الصورة
الأخرى ، وعلى السكس في الثالثة ، دون دخول
في الغايات والأغراض .

هذه صورة مختصرة لتأثر النحاة بنواحي
المنطق الثلاث - المقولات والقياس والتعليل -
وفي كل ناحية منها تفصيل لا يتسع له
هذا المقام .

دكتور تمام حماد

أستاذ مساعد بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

فأما المنطق القياسى فإنه يوجد القاعدة أولاً
ثم يفرضها على المفردات ولو أبت طبيعة
الأشياء . فإذا قلنا فرضاً : إن كل منفرج الفم
بأدى الأسنان فهو ضاحك ، فهذه القضية
تجعل الأسد الفاعرفاه ضاحكاً برغم قول
الشاعر :

إذا رأيت نيوب الليث بارزة

فلا تظن أن الليث يبتسم
ومع أن الرواة قد ضربوا الأمثلة للنحاة
بسفرهم إلى الصحراء لجمع مادتهم ومع أن شيئاً
من الاستقراء قد تم فعلاً في ظروف
غير علمية جعلته في الكثير من حالاته معيياً ،
لم يستطع النحاة العرب أن يتخلصوا من قبضة
المنطق السحرية فاستخدموا القياس على توسع
فكان هذا القياس في أخف صورته ضرراً
سبباً في وجود الكثير من التركيبات المعقدة
التي لم يتكلمها العرب ، وكان وجود هذه
التركيبات نتيجة للقول بأن ما قيس على كلام
العرب فهو من كلام العرب ومن أمثلة هذه
التراكيب :

زيد عمرو ضاربه هو .

الزيدان العمران ضارباهما هما .

الزيدون العمرون ضاربوهم هم .

ولا يمكننا مهما عمدنا إلى الاختصار
أن نشرح آثار القياس على اختلافها في حدود
مقالة واحدة .

إنصافُ عالم أنهرى التجديد في العروض للأستاذ على العمّاري

- في عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٠ من مجلة الأزهر، مقال عنوانه (المصطلحات العروضية) للدكتور عبد الله درويش . تحدث فيه الكاتب عن المصطلحات العروضية ، وإمكان تعديل بعضها ، إذا نظر في الأساس الذي استنبط منه التحليل بحوره ، وهو الدوائر العروضية ، وذكر أن هذه الدوائر انتظمت جميع بحور الشعر ، ورتبت الأوتاد والأسباب ترتيباً معيناً ، وأنه - أي الكاتب - حاول أن يتبين ما إذا كان هذا الترتيب على أساس منطقي معين ، ولكنه لم يصل إلى نتيجة . ثم عاب نظام الدوائر بأنه أدى إلى الأمور الآتية :
- ١ - النصر على بعض البحور مجزوءة فقط ، كالهزج والمضارع والمقتضب والمجث .
 - ٢ - كتابة بعض التفاعيل المتشابهة في النطق بصور مختلفة ، مثل : مستفعن ومستفع لن وكذلك فاعلاتن ، وفاع لاتن .
 - ٣ - بعض البحور لم تستعمل أعاريضه أو أضربه على الصورة الأساسية في الدائرة مثل الوافر والسريع .
 - ٤ - ويتبع ذلك كثرة مصطلحات الزحافات والعلل .
- والكاتب يرى فصل العلاقة بين الدوائر وبحور الشعر ليتوصل إلى اختصار بعض المصطلحات ، وإذا فعل ذلك توصل إلى النتائج الآتية :
- ١ - الاستغناء عن التفعيلتين ذواتي الورد المفروق ، وهما مستفع لن . فاع لاتن اكتفاء بالتفعيلتين مستفعن وفاعلاتن .
 - ٢ - يمكن الاستغناء عن ذكر مصطلح العلة في العروض أو الضرب في البحور التي لم ترد أعاريضها أو أضربها صحيحة .
- ثم قال الدكتور درويش : وأساسنا هنا هو المنهج الوصفي ، وهو ما استعملته المدرسة اللغوية الحديثة في فروع مستويات البحث اللغوي .
- ٣ - يمكننا ربط الزحاف بالبحر لا بالتفعيلة ، ومن أمثله جعل التذييل ، والتسيخ شيئاً واحداً ، وكذلك توجد التسمية بين القصر والقطع .
 - ٤ - إن بحور الهزج أو المجث أو المضارع أو المقتضب يتكون كل منها من أربع تفعيلات فقط لا كما يقول العروضيون : إن أصل كل منها

ثالثا : وضع المؤلف قواعد مبسطة ميسرة لعشرة من البحور ، فاكنتي بثلاث تفاعيل هي : (١) فعولان (٢) فاعلان (٣) مستفععلن ثم رأى أنه بإضافة مقطع ساكن إلى كل من هذه التفاعيل الثلاث يمكن أن نشق منها ثلاثا أخرى هي : (١) فعولان (٢) فاعلان (٣) مستفععلن .

وبذلك يتكون ست تفعيلات واضحة الصلة بعضها ببعض ، ثم نبني الأبحر العشرة من هذه التفاعيل . وقد ذكر هذه الأبحر العشرة وهي ما عدا الكامل ، والوافر ، والهج ، وقد سبق أنه نفي المضارع والمقتضب ولكنه بقي بحر وهو المتدارك ، والمؤلف قد أهمله كما أهمله الخليل ، كأنه ليس بحرا من بحور الشعر .

رابعا : ألحق الهزج بمجزوء الوافر وجعل وزنه (فعولان + فعولان) أما تفعيلة الكامل (متفاعلن) فتصير في غالب الأحيان (مستفععلن) وتفعيلة الوافر متفاعلن تجدد أنها تصير في غالب الأحيان (مفاعلتن) ، بسكون اللام ، وهذه هي نفس التفعيلة (فعولان) .

هذا ما ذكره الكاتب ، وما جاء في كتاب موسيقى الشعر ، وقد حرصت في التلخيص - طبعا - على رءوس المسائل .
وواضح من عبارة الكاتب أنه يعزو الفضل

ست تفعيلات، بناء على نظام الدوائر . والتخلي عن فكرة الدوائر يجعلنا نقصر اصطلاح (الجزء) على ما استعمل منه أصله التام وأخيرا يقول الكاتب : فهذه خطوط عريضة لبعض الاصطلاحات العروضية التي يمكن تعديلها والتي أوحى بفكرتها تطبيق المنهج الوصفي اللغوي على قواعد علم العروض ، وعلى أساسها وأساس المشروع الذي وضعه أستاذنا الدكتور ابراهيم أنيس يمكن للباحث أن يضع مشروعا آخر شاملا لتفعيلات البحور ولزحافاتا من جهة ، وللصطلحات العروضية بصفة عامة .

أما مولد المشروع الذي أشار إليه الكاتب والذي جاء مفصلا في كتاب (موسيقى الشعر) فيتلخص فيما يلي :

أولا : إعادة النظر في بناء الأوزان الشعرية على ضوء ما روى فعلا من قصائد منسوبة إلى شعراء معروفين ، وتخير أحسن الأوزان وأكثرها شيوعا من بين ما ذكره أهل العروض وترك الأوزان الشاذة النادرة التي تنبؤ في الاسماع ، وبذلك يمكن وضع نظام أسهل من النظام الذي وضعه الخليل لبحوره .

ثانياً : إخراج المضارع والمقتضب لأنهما لا وجود لهما في الأوزان الشعرية كما قرر الأخفش .

نشر بعد ذلك بأكثر من ست سنوات ،
والمؤلف لم يكتب تاريخ نشره على غلاف
الكتاب ، ولكنني وجدت أنه يجعل من
مراجعته العدد (٥٤٣) من مجلة الرسالة ، وهذا
العدد ظهر في أواخر سنة ١٩٤٣ م . أما
الدكتور درويش فأعتقد أنه كان لا يزال
تلميذا في المرحلة الثانوية يوم نشر الشيخ
بدوى كتابه .

ثم أعود إلى القصد . نقد الشيخ عبدالفتاح
بدوى الدوائر أكثر من مرة في كتابه .
وبين الأخطاء التي ترتبت على التقيد بها ،
والمنافع التي نجحنا من وراء طرحها ، قال ،
بعد أن تحدث عن بحر المديد وأنه ليس
إلا بحر الرمل ، وأن العروضيين قالوا إن أصله
(فاعلان فاعلن فاعلان فاعلن) وأنه مجزوء
وجوبا . قال : أفلم يرد ولا بيت واحد من
شعر العرب الذين يحتاج بهم على هذا الأصل
الذي زعمتم ؟ قالوا : لا . أتم لا يجوز أن نقول
إن هذا المديد يؤلف شطره من ثلاثة أجزاء كما
هو في الواقع والشعر الموجود ، وإن هذا الواقع
هو الأصل ، مادام لا وجود لسواه ؟ قالوا :
لا . ولئن سألتهم ماذا يدلهم على هذا الأصل
وعلى وجوب أن يكون مجزوءا فسيقولون
(الدائرة) وليس شيء غير الدائرة ، فماذا
عسى أن تكون الدائرة ؟ على الظالمين دائرة
السوء ، ولهم عذاب أليم - قالوا : دائرة

في صنيعه إلى وحى المنهج الوصفي ، وإلى
أستاذه الدكتور أنيس .

ونحن نبارك كل خطوة فيها تيسير لعلم
من العلوم ، ولا سيما علم كعلم العروض
يضيق به الدارسون من الأساندة والطلاب
وهذا الذي ذكره الكاتب ، والذي ذكره
أستاذه ، فيه كثير من التيسير ، وفيه كثير
من التجديد ، لكنني كنت أحب للكاتب
ولأستاذه أن يعزوا الفضل في كل هذا إلى
صاحبه ، فذلك هو واجب العلماء ، وربما
لا يكون غريبا عند الدارسين المتعمقين في
دراسة العروض ، وإن كان يعد غريبا عند
غيرهم ، أن كل هذا الذي جاء في مقال
الكاتب ، والذي جاء في (مولد مشروع)
سبق به عالم أزهري ، ونشره في كتاب يقرؤه
الناس ، وكان إلى عهد قريب يدرس في كلية
اللغة العربية ، ذلك العالم الجليل هو أستاذنا
المرحوم الشيخ عبدالفتاح بدوى وكتابته هو
(العروض والقوافي) .

فقد وردت كل هذه الآراء التي جاءت في
مقال الدكتور درويش في كتاب العروض
والقوافي وجاءت بعض الآراء التي في كتاب
(موسيقى الشعر) في كتاب الشيخ بدوى أيضا .
وقبل أن أبرهن على صدق هذا القول
أحب أن أقول : إن كتاب العروض والقوافي
نشر في سنة ١٩٣٧ م وكتاب موسيقى الشعر

مجزؤا وجوبا ، فلا نحن وجدنا شيئا من الشعر يشهد بوجود هذا الجزء المحذوف وظهوره في عالم الوجود ولو مرة واحدة في بيت من الشعر أو في شطرييت ، ولا نحن نستطيع أن نضع بيتا تماما من هذه الأبحر المجزوءة وجوبا ثم نقر عليه ويقال إتناصعنا شيئا عربيا غير منكور ، وجرم هذا إلى الإكثار من المصطلحات التي تضيق بها الصدور ، ولا سيما إذا كانت حقيقتها واحدة ومظهرها واحدا كما ترى في القطع ، فهو مرة يسمى بهذا الاسم ، ومرة يسمى الخرم ، وأخرى يسمى التشيع وطورا يسمى الخزم وهي كلها تحويل الورد المجموع إلى صورة سبب خفيف .

هذا بعض ما قاله الشيخ في نقد الدوائر ، وقد كان أمينا في العلم - فذكر أن بعض المتقدمين أنكر الدوائر ... وإن كان قال : وهذا النقد - على كل حال - غير ما نقول به نحن الآن ، وإن كان يوافقه في بعض الأمور . وقد مر بنا قول الدكتور درويش أنه يرى أن يكون التسيبغ والتذييل شيئا واحدا وكذلك يرى توحيد التسمية بين القصر والقطع ، أما الأول فقد ورد في كتاب الشيخ ص ١٠٩ حيث يقول : التسيبغ زيادة حرف ساكن على ما آخره سبب خفيف ، وقد مر بك في المتدارك أن تفعليته (فاعلن) قد زاد

العروض فاسمع حديثها ... وبعد أن يتحدث عن الدائرة ويرسمها على شكل مربع ويبين كيف تستخرج منها البحور يقول : إننا نقبل أن تكون هذه الدوائر التي تقدمت لك أحدها وسيتبعها الأخريات وسيلة من وسائل الإيضاح أو الاستدكار في علم العروض ، لا أزيد من هذا ، أما في القيمة التي جعلوها لها ، وفي الأهمية التي يتدنى عليها أحكام فلا نقبل ما دامت لنا عقول ^(١) .

ثم عاد في ص ١٧٩ إلى نقد الدائرة فقال : ولقد رأيت أن هذه الدوائر ، واعتبارها أساسا علميا تبني عليه مسائل علم العروض هو الذي أوقع المتقدمين في كل ما وقعوا فيه من الأخطاء السكار ، وجر إلى ما رأيت من الخلل والفساد ، فهو قد جرم إلى اعتبار أن الورد المفروق قد دخل بعض التفاعيل ولم يدخل البعض الآخر حتى ولو اتفقا في الصورة كما في مستغفلن التي في الرجز والبسيط ومستففع لن التي في المجتث ، مع أن الورد المفروق مناف لأن يكون مقطعا موسيقيا أو هو على الأقل لا تدعو إليه ضرورة علمية فلماذا تخلقه في علم العروض ؟ وجرم هذا إلى قسر العقول وإلزامها بأمو لا جود لها كما اتضح غير مرة في اعتبار بعض البحور

(١) ص ١١٥ وما بعدها

ما ورد في كتابه ، فبعضه مأخوذ نصا من كلام الشيخ ، وبعضه ناظر إليه . كان اتجاه الشيخ بدوى أن يرجع الأبحر كلها إلى بحر واحد ، هو البحر الذى أهمله الخليل بحر (المتدارك) . وقد وزن جميع البحور بأعاريضها وأضرها المختلفة على هذا البحر بعد أن وضع ألقابا قليلة ، وبعد أن انتهى من هذا العرض قال (قد استعصنا ببحر واحد عن ستة عشر بحرا ، واستعصنا بتفعيلة واحدة عن فاعلن عن عشر تفعيلات واستعصنا عن أكثر من أربعين مصطلحا بستة مصطلحات ، وهذا كثير حين وفقنا إليه ، نحمد وأحمد الله عليه . وأكثر منه أنك لن تجد عروضاً ولا ضرباً من تلك الأعاريض الكثيرة ، والأضرب المملة التي ذكرها لتلك البحور ، وقد مرت بك بحرا بحرا ، وعروضاً وعروضاً ، فإن وجدت فيها - ولن تجد - ضرباً أو عروضاً مما قالوا ، فدلني عليه ، وألغ جميع ما قدمت إليك في هذا الكتاب وإن لم تجد - ولن تجد - بما قالوه شيئاً - فأعنا على نشر هذه الطريقة الخفيفة الميسرة ، ابتغاء وجه الله تعالى ، والدار الآخرة ، وتحريراً للعقول في زمن الحريات وتمحيصاً لمسائل العلوم ، والله لا يضيع أجر المصلحين

وقد كانت طريقة الشيخ في الاعتماد على تفعيلة المتدارك أن يلاحق بها أسباباً وأوتادا قبلية وبعدية ، أو يحولها إلى فاعلن ،

عليها حرف ساكن ، وأنهم سموها ذلك (التذييل) ولست واجداً فرقاً بين كل منهما إلا بأن أحدهما في تفعيلة آخرها وتد ، والثاني في تفعيلة آخرها سبب ، وما كان أخلق مثل هذا ألا يكون سبباً في أفراد كل منهما باسم خاص حتى لا تضيق مذاهب الناس بكثرة هذه المصطلحات من غير جدوى .

وأما الثاني فقد ورد في الكتاب في صفحة (٤٦) حيث يقول : وبعد ، فإنك إذا رجعت إلى (القطع) الذى تقدم في بحر المتدارك وجدت الخلف الذى هنا في القصر هو الخلف الذى حصل هناك ...

كان ينبغي أن يكون الاسم واحداً قليلاً للاصطلاحات التي كثرت بدون حاجة ولا فائدة ولا يترتب على الفرق بينهما - كما عملوا - إلا أن يسمى ما حصل في الود (علة) وما حصل في السبب (زحافاً) وقد علمت أنه لا قيمة لتلك التسمية مادامت النتيجة المترتبة عليها وهي لزوم العلة وعدم لزوم الزحاف مطعوناً فيها... إلخ. هذا . وقد وحد الشيخ بين ألقاب أخرى

في المصطلحات العروضية ، ولا أدري إذا كان الدكتور درويش تعرض لها في كتابه لأنى لم أقرأ هذا الكتاب بعد . ولكن الذى أؤكد أنه كل ما ورد في مقال الدكتور

سواء كان تقعيداً أو تعليلاً موجود في كتاب العروض والقوافي .

أما مشروع الدكتور أنيس ، وبعض

(موسيقى الشعر) وقد كنا نحب أن يعترف الدكتور بهذا الفضل ، حتى ولو بإشارة في الكتاب إلى المراجع التي اعتبر منها كتاب (أهدى سبيل) لمؤلفه الأستاذ محمود مصطفى ، ونحن نستبعد أن يكون الدكتور لم يطلع على هذا الكتاب لأنه كان يدرس في كلية اللغة العربية ، والمفروض أن يبحث كل من يريد أن يؤلف في مثل هذا العلم عن الكتب التي ظهرت فيه ، والكتاب بعد مطبوع متداول . بقي أمر ، وهو أنني كثيراً ما جهدت أن أحمل نفسي على أن تعتقد ، أن ما جاء في كلام الدكتور درويش ، وكتاب الدكتور أنيس هو من باب توافق الخواطر ، ولكن كنت أخفق في كل مرة ، لأن آياتنا لشوقي كانت تثب إلى ذهني :

فقد يسطى على بيت

وقد يُسرق بيتان
ولا ينتحل الإنسان

وأحب ألا يفهم أحد أني أردت انتقاص الدكتورين الفاضلين ، وإنما أردت إنصاف شيعتي ، والإشادة بفضله على كل مجدد في العروض ، ولو كان الشيخ حيا ما تحرك هذا القلم ، ولكن الشيخ قد انتقل إلى رحمة الله في سنة ١٩٤٨ م فكان لزاما عليّ وأنا أحد تلاميذه الكثيرين أن أدفع عن آرائه وأفكاره ، وأن أعزو الفضل لصاحبه ، والحق أحق أن يتبع ؟

على العماري

ويضيف إليها كذلك أسبابا وأوتادا ، وبذلك تسنى له أن يزن كل الأعاريض والأضرب ، والدكتور أنيس فعل هذا حين أراد أن يستغنى ببعض التفاعيل ، فقد رأى أن يضاف إلى فعولن مثلاً مقطوع ساكن فتصير (فعولاتن) . وهكذا . وهو إنما ينظر في ذلك إلى صنيع المرحوم الشيخ عبد الفتاح . وأخرى . رد الدكتور أنيس بحر المديد إلى بحر الرمل ، حيث يقول في ص ٩٤ : (وفي الحق أن هذا البحر يستحق دراسة خاصة في ضوء بحر الرمل ، فربما أمكن نسبة ما نظم منه إلى بحر الرمل) وهذا نفسه ما قاله الشيخ بدوي في كتابه ص ١١٥ حيث يقول : (ولا دليل لهم - يريد العروضيين - على مغايرة هذا البحر - المديد - لبحر الرمل إلا أن فاعلن التي في الوسط يلتزم أنها ترد هكذا في الشعر ملتزمة على فاعلن ، وهذا استدلال في منتهى الوهي والضالة) .

ورد الدكتور أنيس بحر الهزج إلى الوافر ، حيث يقول ص ١٠٦ : (فالهج وزن وثيق الصلة بمجزوء الوافر . ويظهر أن الهزج تطور لمجزوء الوافر) وهذا هو ما قاله الشيخ بدوي في ص ١٣٩ حيث يقول : (فليس ثمة شيء اسمه الهزج ، وإنما هو بعض أضرب الوافر ، فهي كلها من مجزوء الوافر المعصوب) .

وهكذا نجد روحا من كتاب الشيخ (العروض والقوافي) في كتاب الدكتور

من روافع الفكر الروحي إهدؤ السكون وإخمدوا الحركة عند الفلاسفة الفرنسيين للأستاذ محمد فني عثمان

« الحكمة ضالة المؤمن أنى
وجدتها فهو أحق بها » .

ويحلو للناس أن يقولوا : إن الفضائل
المدنية إنما نتلقاها في الأسرة ، وإذا أحيينا
الوطن كنا نتهياً لمحبة النوع الإنساني !
فالعاطفة - في رأيهم - هي هي نفسها ، وإنما
تتسع في تقدم مستمر وتكبر حتى تشمل
الإنسانية جمعاء ١١ .

على أن هذه المناقشة مناقشة قبلية ، وهي
نتيجة لفهم النفس فهما عقلياً محضاً . فتراهم
إذ يلاحظون أن هذه الجماعات الثلاثة :
الأسرة والأمة والإنسانية التي ننسب إليها
تضم عدداً متزايداً من الأفراد - يستنتجون
من ذلك أن هذا الاتساع المتتالي في موضوع
الحب يقابله اتساع تدريجي في الحب نفسه ١١ .
ومما يقوى هذا الوهم أن اتفق أن كان
القسم الأول من هذه الحقيقة مطابقاً للوقائع :
فالفضائل العائلية مرتبطة بالفضائل المدنية ،
وذلك لأن الأسرة والمجتمع - المختلطين في
الأصل - ظلاً متصلين أحدهما بالآخر
اتصالاً وثيقاً ...

يرى برجسون إذن أن الإلزام في الانفعال
الخلاق هو : ... قوة تطوع أو وثبة : بل
هو قوة هذه الوثبة نفسها التي أوجدت النوع
الإنساني وأوجدت الحياة الاجتماعية ،
وأوجدت مجموعة من العادات تشبه الغريزة
بعض الشبه ولكن الحافز هنا يتدخل تدخلاً
مباشراً فلا يتخذ وسيطاً تلك الآليات التي
عبأ لولها ووقف عندها مؤقتاً ، ...
فما هي النتائج التي تتمخض عن الانفعال
في واقع المجتمع الإنساني ؟ ؟ .

وما هي مزية الانفعال الأصيل الخلاق
عن غيره ؟ ؟ .

« إن الغريزة الاجتماعية التي وجدناها في
أعماق الواجب الاجتماعي - والغريزة ثابتة
بعض الشيء - إنما تستهدف أبداً مجتمعاً مغلقاً
مهما يكن المجتمع واسعاً ... لأن الأمة مهما
اتسعت فإن بينها وبين الإنسانية ما بين المحدثين
والأحدود ، ما بين المغلق والمفتوح ! .

إن برجسون يشرح المشاعر ويحملها بدقة العالم وعمق الفيلسوف .

وهو بهذا المسلك يغوص في أعماق النفس الإنسانية فيطلعك على مكانها ولا يدعك حتى تشعر كأنك - وإن كنت في عالم الخوافي والمكنونات - تتحسس الحقائق وتقبض عليها بين يديك .

لقد كشف الفارق بين المجتمع المغلق في الأسرة أو الأمة وبين المجتمع الإنساني المفتوح ، وميّز بين الإحساس الأسرى أو القومي الذي هو فطري طبيعي لا مكابدة ولا مجاهدة في اصطناع النفس عليه ، وبين الإحساس الإنساني الذي يحتاج إلى تعبئة جبارة لقوى الإرادة والعقل ... والروح قبل ذلك جميعا !!! .

وعلى أساس هذه التفرقة وهذا التمييز ، يقدم برجسون تفرقة أخرى في عالم الأخلاق : « فإذا نحن بددنا الظواهر حتى لمسنا الوقائع ، وأهملنا الثوب المشترك الذي لبسته في فكر المفاهيم وعالم اللغة الأخلاق بنوعها - اللذين ذكرناهما - بسبب ما تبادلا من تأثير ، وجدنا على طرفي هذه الأخلاق : الضغط ، والتطلع . فالنوع الأول : أخلاق تتضمن فكرة مجتمع لا ينبغي إلا البقاء ، فركته الدائرية التي يسوق فيها الأفراد تجري في مكانها لا تحيد عنه فتحاكي ثبات الغريزة بوساطة

أما المجتمع الذي نعيش فيه ، فإن بينه وبين الإنسانية عامة ما بين المغلق والمفتوح من تضاد ، والفرق بين هذين الشيئين فرق في النوع لا في الدرجة فحسب ١١ .

فارتوا بين عاطفة التعلق بالوطن وعاطفة محبة الإنسانية ... من ذا الذي لا يرى أن الالتئام الاجتماعي يعود في جله إلى ضرورة دفاع المجتمع عن نفسه ، وأتينا إن أحببنا الأفراد الذين نعيش معهم فعلى حساب كافة الأفراد الآخرين ١٢ .

هذه هي الغريزة البدائية الأولى ... وهي لا تزال موجودة إلى الآن ، وإنما اختبأت - لحسن الحظ - تحت مخلفات الحضارة ! غير أننا ما زلنا نحب آباءنا والمواطنين محبة طبيعية مباشرة ، على حين أن محبتنا للإنسانية مكتسبة غير مباشرة ! ! فترانا نقبل على هذه في بعض التواء ، فعن طريق الله يأمر الدين بمحبة الإنسان للنوع الإنساني ، وعن طريق العقل - الذي نشترك فيه جميعا - يثبت الفلاسفة كرامة الإنسان وبرهنون على حق الجميع في الاحترام ١٣ .

ونحن في الحالين لا نصل إلى الإنسانية في مراحل مارين بالأسرة فالأمة ... بل نتخطاها في قفزة ونفوقها من غير أن نكون قد اتخذناها غاية ١٤ .

يجمع الكثير منها بين ما هو علة ضغط وما هو موضوع تطلع ، حتى لقد يغيب عن نظرنا الضغط المحض والتطلع المحض اللذان يؤثران في إرادتنا ، فما نرى غير التصور وقد انصهر فيه الموضوعان المتميزان اللذان كان يتعلق أحدهما بالضغط وثانيهما بالتطلع. فنحسب أن هذا التصور هو الذي يؤثر فينا. وبهذا الخطأ نستطيع أن نعلل إخفاق النظريات الأخلاقية العقلية ، أى بوجه العموم إخفاق معظم النظريات الفلسفية في الواجب . وليس معنى هذا طبعاً أن ليس للفكرة المحضة من تأثير في إرادتنا ، ولكن هذا التأثير لا يكون ناجعاً إلا إذا اتفق له أن يكون وحده في الميدان ، وإلا فمن الصعب عليه أن يقاوم التأثيرات المعاكسة وإذا ظفر عليها كان تفسير ذلك أن الضغط والتطلع اللذين تنازل كل منهما عن تأثيره الخاص فتمثلا معا في فكرة ، يعودان الآن فيظهران في فرديتهما واستقلالهما ويبدلان كل ما لهما من قوة .

ويعزز وجهة النظر التي أدلى بها برجسون أن كثيراً من مجتمعات الغرب المعاصرة على حظها من المدنية والتقدم ، لم تصل بعد إلى مستوى الأخلاق الإنسانية في انفعالها الخلاق الذي تزول معه الحواجز وتفتح المجتمعات . فالنزعات العنصرية قائمة في الولايات المتحدة

العادة ١١ . . ولعل الشعور الذي يصاحب تحقيق هذه الواجبات الصرف حين تحقق هو الشعور بنعمى العيش ودعة المجتمع وهو كالشعور الذي يصاحب سير الكائن الحى سيرا طبيعياً سليماً ، وهو أشبه باللذة لا بالفرح ١١١ .

أما أخلاق التطلع: فتتضمن شعوراً بالتقدم والانفعال ، والذي يبعث عليها هو الحماسة المضى قدما ... بل إن التقدم والمضى قدما يتحدان أحدهما بالآخر ١١ .

وبرجسون يبقى على التمييز بين المجتمع المفتوح المتحرك والمجتمع المغلق الساكن حتى في عصرنا الأخير : « فهما تحضرت الإنسانية ومهما تبدل المجتمع فإن الاتجاهات الأساسية للحياة الاجتماعية قد بقيت على ما كانت عليه في البدء فترى أن بنية الإنسان الأخلاقية : البنية البيئية الأساسية - إنما خلقت لمجتمعات بسيطة مغلقة . وهذه الميول العضوية لا تبدو لشعورنا في وضوح على أنها من أقوى العناصر التي يتألف منها الإلزام الأخلاقي .

والضغط والتطلع يتلاقيان ... ولكن يتمايزان « إن التطلع يميل إلى التصلب فيأخذ شكل الإلزام المحدود ، والإلزام المحدود يكبر ويتسع فيشمل التطلع - فكأنهما إذن على ميعاد ١١ يلتقيان في منطقة الفكر حيث تصنع التصورات، ثم يسفر هذا اللقاء عن أمثالات

حالتها - وهي حالة النهوض - في مستوى العقلية (أى ما دون الانفعال الخلاق) ١ . إن هناك طريقا واحدا للانتقال من العمل المحصور في دائرة إلى العمل المطوف في الفضاء الفسيح ، من التردد إلى الإبداع ، مما هو دون العقل إلى ما هو فوق العقل !! ومن يقف بين الطرفين فهو بالضرورة في منطقة التأمل والنظر ؛ لأنه لم يقف عند الأول ، ولا هو بلغ الثاني ، فطبيعى أن يكون آخذا بهذه الفضيلة النصف وهي الانعزال ، ١ .

ما أروع برجسون ...

وإلى اللقاء معه في جانب آخر من بحثه الممتع ، يتحدث فيه عن السبيل إلى تربية أخلاق الحركة وتكوين المجتمع المفتوح . ٢ .
فهمى عثمان

ضد الزوج ، وهي نفسها قائمة - إلى حد كبير - في بريطانيا ولكن في الأغوار النفسية البعيدة وعليها طلاء من مظاهر التسوية القانونية ، والمجاملات الشكلية ، وقد أقامت ألمانيا مجدها على أهوال حرب ضروس أشعلتها من أجل خرافة سيادة الجنس الآرى ، وأما فرنسا - بلد الإخاء والمساواة - فقد راحت تشن حرب الإبادة في الجزائر على ملايين العرب أصحاب البلاد من أجل تثبيت أقدام الفرنسيين النازحين للاستغلال ١ .

وما أروع برجسون وهو يعمل الانتكاس الذى يصيب مجرى التقدم الإنسانى بقوله : « ولو أن النفس الإنسانية وثبتت من الأول ولم تبلغ الآخر لوقفت عند هذا الحد الوسط ولسادتها أخلاق النفس المغلقة ، فلم تبلغ أو تبعد أخلاق النفس المفتحة ، ولكانت

(بقية المنشور على صفحة ٦٩٧)

على أن الفقه الإسلامى بدأ يتطور حقا في أيام الصحابة والتابعين ، وهو التطور الذى نلح في الدعوة إليه ما دام في داخل محيط الكتاب والسنة ويتفق مع روح الشريعة ومقاصدها . وفى الكلمة الآتية - إن شاء الله - وهى ختام البحث نتكلم عن وسائل هذا التطوير التى اشتدت الحاجة إليه في هذه الأيام التى نعيش فيها ، بعد أن جمدنا على الماضى قرونا طويلة ، ومن الله العون والتوفيق والسداد ٢ .

دكتور محمد يوسف موسى

وجوب الوقوف عند نص الحديث وضرورة التمسك به ، وموقف ابنه ومعه السيدة عائشة رضى الله عنها من وجوب الإيمان أيضا بالنص ، ولكنه مع هذا يرى ضرورة رعاية علة الحكم وحكمته ، وجوب أن تدور الأحكام مع عللها ومقاصدها وجودا وعدما . وليس هذا إلا ما نريده من الدعوة لتطوير الفقه الإسلامى ، فإن فيه تحقيق المراد من الشريعة الإسلامية ، وجعلها تسير كل زمان ومكان .

ونقف اليوم بعدما ذكرناه من المثل الدالة

النظرية العامة للإثبات في الحدود

للأستاذ محمد عطية راغب

٢ - الإقرار

الإقرار في الشريعة الإسلامية شروط ، أما لإقرار: الأعمى ، والأثني والعبد^(١) ،
ومنها ما يتعلق بالمقر ، ومنها ما يتعلق بالإقرار ، والمستأنن ، فيعتد به في الحدود
نفسه .

أولاً : الشروط الواجب توافرها
في المقر :

اشتراط الفقهاء لصحة إقرار المقر أن
يكون : بالغاً ، عاقلاً ، ناطقاً ، مختاراً .
ولذا لا يعتدون بإقرار : الصغير الذي لم
يبلغ الحلم ، والمجنون ، والمعتوه ، والسكران
والأخرس سواء أقر بإشارة أم بكسابة^(٢)
لأنه قد يكون لديه شبهة قوية لا يستطيع
إفهامها لغيره فتحرمه من شيء لغيره القدرة
على بيانه والنجاة بسببه ، والنائم ، والمسكر
لأنه يغلب على الظن أن المقر قصد بإقراره
دفع ضرر ما خوف به ، فانتفى ظن صدقه وإن
كنا نجد بعض المتأخرين قد أفتى بصحة
إقرار السارق المسكره .

ثانياً : الشروط العامة للإقرار :
للإقرار في الشريعة الإسلامية شروط
يجب أن تتوافر فيه ليعتد به . فيجب ألا
يكون فيه لبس أو غموض يجعله محتملاً
للتأويل أو مثيراً للشك ؛ ذلك لأن الإقرار
الذي يحتمل التأويل أو يثير الشك لا يمكن
الاعتداد به ومؤاخذه صاحبه وفقاً له .
ويجب أن يكون موافقاً للواقع والحقيقة ،
فإن خالف فلا يعتد به لتكذيب الواقع له .
كما يجب أن يصدر عند من له ولاية إقامة
الحد . ولذا لا اعتداد في الفقه الإسلامي
بالإقرار الصادر عند من لا ولاية له
في ذلك .

(١) أما الشافعي ، وابن القاسم ، وأبو ثور ،
وابن المنذر ، فيرون أنه لا مانع من الأخذ بإقرار
الأخرس المفهومة لإشارته وحركاته - محمد الحسيني
على سويدان . ص ٢٨ .

(٢) عند زفر لا يصح إقرار العبد بشيء من
أسباب الحدود إلا إذا صدقه المولى - بدائع
الصنائع ج ٧ ص (٥٠)

ويجب ألا يكون المقر متهما في إقراره ، للاعتداد بالإقرار الصادر منه .
يكتفى بصدور الإقرار مرة واحدة ولا حاجة إلى تكراره في حد السرقة .

أما أحمد بن حنبل ، وزفر ، وأبو يوسف ومالك ، فلا يكتفون بصدوره مرة واحدة وإنما يوجبون تكراره مرتين في مجلسين مختلفين ؛ استنادا لما رواه أبو داود عن أنى أمية المخزومي أنه عليه الصلاة والسلام أتى بلص قد اعترف ولم يوجد معه متاع فقال الرسول صلوات الله عليه (ما أخالك سرت) قال : بلى يا رسول الله ، فأعادها عليه مرتين أو ثلاثا .

لما تأخر الرسول صلى الله عليه وسلم في إقامة الحد عليه ؛ لأن إقامة الحد عند ظهوره واجب وتأخير الواجب لا يظن مطلقا برسول الله .

أما الشافعي ، وأحمد ، والطبري ، وأكثر المالكية . وابن المنذر ، فيكتفون بالإقرار مرة واحدة ، ما دامت القرائن تدل على الإصرار ، ولأن الإقرار مظهر وتكرار الإقرار لا يفيد زيادة الظهور بخلاف زيادة العدد في الشهادة ، وذلك استنادا على ما جاء في حديث أبي هريرة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : اغد يا أنيس على امرأة هذا ، فإن اعترفت فارجمها ، فاعترفت فرجمها ولم يذكر عددا .

وعند أبي حنيفة ، والشافعي ، ومحمد ، وعند أبي حنيفة ، والشافعي ، ومحمد ، لا يشترط أبو حنيفة وأصحابه ، وابن حنبل ، أن يتكرر الإقرار في جرم الزنى أربع مرات ، وأن يراجع المقر في كل مرة ، وهم يستندون في ذلك إلى ما روى أن ما عزا جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأقر بالزنى فأخر النبي صلوات الله عليه إقامة الحد عليه إلى أن يتم الإقرار منه أربع مرات في أربعة مجالس ، وكان الرسول يطرده حتى يتوارى بحيطان المدينة ، فلو كان الإقرار مرة واحدة كافيا لما تأخر الرسول صلى الله عليه وسلم في إقامة الحد عليه ؛ لأن إقامة الحد عند ظهوره واجب وتأخير الواجب لا يظن مطلقا برسول الله .

أما الشافعي ، وأحمد ، والطبري ، وأكثر المالكية . وابن المنذر ، فيكتفون بالإقرار مرة واحدة ، ما دامت القرائن تدل على الإصرار ، ولأن الإقرار مظهر وتكرار الإقرار لا يفيد زيادة الظهور بخلاف زيادة العدد في الشهادة ، وذلك استنادا على ما جاء في حديث أبي هريرة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : اغد يا أنيس على امرأة هذا ، فإن اعترفت فارجمها ، فاعترفت فرجمها ولم يذكر عددا .

وعند أبي حنيفة ، والشافعي ، ومحمد ، وعند أبي حنيفة ، والشافعي ، ومحمد ، لا يشترط أبو حنيفة وأصحابه ، وابن حنبل ، أن يتكرر الإقرار في جرم الزنى أربع مرات ، وأن يراجع المقر في كل مرة ، وهم يستندون في ذلك إلى ما روى أن ما عزا جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأقر بالزنى فأخر النبي صلوات الله عليه إقامة الحد عليه إلى أن يتم الإقرار منه أربع مرات في أربعة مجالس ، وكان الرسول يطرده حتى يتوارى بحيطان المدينة ، فلو كان الإقرار مرة واحدة كافيا لما تأخر الرسول صلى الله عليه وسلم في إقامة الحد عليه ؛ لأن إقامة الحد عند ظهوره واجب وتأخير الواجب لا يظن مطلقا برسول الله .

أما الشافعي ، وأحمد ، والطبري ، وأكثر المالكية . وابن المنذر ، فيكتفون بالإقرار مرة واحدة ، ما دامت القرائن تدل على الإصرار ، ولأن الإقرار مظهر وتكرار الإقرار لا يفيد زيادة الظهور بخلاف زيادة العدد في الشهادة ، وذلك استنادا على ما جاء في حديث أبي هريرة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : اغد يا أنيس على امرأة هذا ، فإن اعترفت فارجمها ، فاعترفت فرجمها ولم يذكر عددا .

وعند أبي حنيفة ، والشافعي ، ومحمد ، وعند أبي حنيفة ، والشافعي ، ومحمد ، لا يشترط أبو حنيفة وأصحابه ، وابن حنبل ، أن يتكرر الإقرار في جرم الزنى أربع مرات ، وأن يراجع المقر في كل مرة ، وهم يستندون في ذلك إلى ما روى أن ما عزا جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأقر بالزنى فأخر النبي صلوات الله عليه إقامة الحد عليه إلى أن يتم الإقرار منه أربع مرات في أربعة مجالس ، وكان الرسول يطرده حتى يتوارى بحيطان المدينة ، فلو كان الإقرار مرة واحدة كافيا لما تأخر الرسول صلى الله عليه وسلم في إقامة الحد عليه ؛ لأن إقامة الحد عند ظهوره واجب وتأخير الواجب لا يظن مطلقا برسول الله .

مراجع البحث : المبسوط . ج ٩ ،
القاموس المحيط . ج ١ ، الحدود في الشرائع
لفرج محمد السيد عمار ، الفوائد السمية .
ج ٢ ، متن ملتقى الأبحر ، شرح الدر المختار
ج ١ ، ابن عابدين . ج ٣ ، الهداية . ج ٢ ،
فتح القدير . ج ٤ . ط ١٣١٦ هـ ، الأحكام
السلطانية ج ٤ ، البحر الرائق شرح كنز الدقائق .
ج ٥ . ط ، بدائع الصنائع . ج ٦ و ٧ ،
الزيلعي . ج ٢ ، الإقناع . ج ٤ ، المدونة
السكبري . ج ١٦ ، المغني . ج (١٠) ، بداية
المجتهد . ج ٢ ، عبد القادر عودة . التشريع
الجنائي الإسلامي . ج ١ . ط ١٩٤٩ ، كشف
القناع على متن الإقناع . ج ٦ ، محمد عبد
السلام خضر . رسالة في الشهادة ، أحمد
ابراهيم . المرافعات الشرعية . ط (١٩٢٠) ،
محمد الحسين آل كاشف الغطاء . أصل الشيعة
وأصولها . ط ٩ . محمد عطية راغب النظرية
العامة للإثبات في التشريع الجنائي العربي
المقارن . (١٩٦٠) .

أن كلا طريق للإثبات ، فيجب فيه التعداد
اعتبارا بالزنى ، إلا أنه أخذ على هذا الرأي
أن قياس الإقرار على البينة قياس مع الفارق ؛
وذلك لأن اعتبار التعدد في الشهادة إنما كان
لتقليل التهمة ولا تهمة في الإقرار ؛ إذ لا يتهم
الشخص في إقراره على نفسه بما يضره ،
ولذلك نحن نرى لا حاجة لتكرار الإقرار
للأخذ به في جرم الشرب .

وأجمع الفقهاء كذلك على قبول رجوع
المقر عن إقراره وسقوط الحد عنه في حد
الزنى ، والسرقه ، والشرب ؛ ذلك لأن
الرجوع عن الإقرار شبهة في صحة الإقرار ،
والحدود تدرأ بالشبهات .

أما في حد القذف فلا يقبل الرجوع عن
الإقرار فيه ؛ ذلك لأن الإقرار تضمن
لإثبات حق للغير ، وحقوق العباد اللازمة
لا تقبل الرجوع عن التزامها ؟

محمد عطية راغب

من الحكم الشعرية

وما المرء إلا الأصفران : لسانه
وما الزين في ثوب تراه ، وإنما
فإن طرة راقك منه فربما
ومعقوله ، والجسم خلق مصور
يزين الفتى مخبوره حين يخبر
أمر مذاق العود والعود أخضر

النحويين الجدد والتقليد

للأستاذ عبد الخالق عضيّة

— ٢ —

(ب) الإيجاز في التعليق ما وسعني الإيجاز .
١ — الأستاذ برائق حل حملات ظالمة
على النحويين فالنحويون في نظره طغاة
وهم مقصرون .

و ضرب لنا مثلاً لتقصيرهم في باب التعجب
فقال في كتابه النحو المنهجي ص ٥٢ :

وأسلوب التعجب لا يعرف النحويون منه
إلا الباب التقليدي المتوارث الذي هو باب
ما أفعله وأفعل به ويتحدثون عنه ويفيضون
فيه ، ويضعون الشروط الكثيرة التي تبيح
للتكلم أن يتعجب أو تحرم عليه ألا يتعجب
وتحدد الصورة التي يتعجب بها تعجبا مباشراً
أو بالواسطة ولعله أن يكون أجدى من هذا
كله على أبنائنا أن تقدم لهم أساليب التعجب
الأدبية التي تفيدهم فيما يقرءون أو يكتبون .
ولست أريد أن أهدر صيغة ما أفعله
وأفعل به ولكني أريد أن أقدم للتعلين
إلى جانبها قول الله تعالى : كيف تكفرون بالله
وكنتم أمواتاً فأحياكم ، وقول عنترة :

فه در بني عباس لقد نسلوا

من الأكارم ما قد تنسل العرب

كسبت كلتي السابقة ولم أنظر وقتئذ في غير
الكتب التي بين يدي التلاميذ ثم أمدني بعض
إخواني المدرسين بالوزارة بكتب ثلاثة هي :
١ — الاتجاهات الحديثة في النحو - مجموعة
محاضرات ألقيت في مؤتمر مفتشي اللغة العربية
بالمحلة الإعدادية .

٢ — تحرير النحو العربي - كتاب اجتمع
على صنعه ثمانية من الأساتذة يتصدرهم
الأستاذان إبراهيم مصطفى ومحمد أحمد برائق .
٣ — النحو المنهجي - استقل بتأليفه الأستاذ
برائق وأحباب هذه الكتب والمحاضرات
هم الذين تحمل أسماءهم كتب شرشر ومشمش
والنحو الابتدائي والإعدادي فلا عجب أن كانت
تستهدف العناية لما أسموه تيسير النحو وحل
المدرسين عليه .

وقد كان للظعن على النحويين نصيب موفور
في هذه الكتب لذلك أرى من واجبي
أن أتناول بالتعليق بعض ما تضمنته وسأحرص
على أمرين .

(١) إفساح المجال أمام نصوص هؤلاء
الأساتذة لتعبر عن أفكارهم وليشارك معي
القاري في تقويم هذه الأفكار .

فهل نسي الأستاذ هذا الكلام أو تناساه .

نعيب زماننا والعيب فينا

وما لزماننا عيب سوانا

٢ — وللاستاذ برائق رأى طريف هذته

إليه التجربة .

يرى أن بعض أبواب النحو لا يجوز أن تكون موضع الدرس في الفصل، لأن دراستها توقع التلاميذ في الخطأ .

قال في محاضراته ص ٧٣ : وأول ما وجه

نظري إليها أن التلاميذ في المدارس الابتدائية

كانوا يستعملون الضمائر استعمالاً صحيحاً قلباً

تشوبه شائبة من خطأ، حتى درست لهم الضمير

وعرضت عليهم أقسامه وأنواعه ووجوه

إعرابه في جداول منمقة مزوقة وفهموها

وأجادوها داخلني اطمئنان شأن أي مدرس

نجح في درس مع تلاميذه وفي أثناء استعمال

الضمائر في كتاباتهم أو في كلامهم بعد هذا

كانوا يخطئون أخطاء لم يقعوا فيها من قبل .

فأمنت أن هناك موضوعات لا يجوز

أن تكون موضع الدرس في الفصل .

هذه تجربة الأستاذ ولسان التجربة أصدق .

وفي التجارب علم مستأنف .

٣ — والنحو حين في نظر الأستاذ برائق

وهو يعني أن يأتي اليوم الذي ينادى فيه

بالغاء النحو وإحراق كتبه .

قال في محاضراته ص ٧٢ : ونحن لا نرمي

وقول المتنبي في سيف الدولة :

وكيف تعلق الدنيا بشيء

وأنت لعل الدنيا طيب

وكيف تنوبك الشكوى بداء

وأنت المستغاث لما ينوب

وقولهم واهالك والله دره فارسا وهكذا

نجد كثيراً من الأمثلة في الأساليب الأدبية

نفيد التعجب ولم يتعرض لها النحاة ودراستها

للبادئين أولى .

وشهد الله أن النحويين لم يقصروا كما زعم

الأستاذ كبير المفتشين ففي كتاب التوضيح

لابن هشام ما يأتي :

هذه باب التعجب

وله عبارات كثيرة نحو : كيف تكفرون

بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم .

سبحان الله، إن المؤمن لا ينجس - لله دره

فارسا .

والمبوب له في النحو اثنتان . .

وزاد الأشموني على كلام التوضيح - لله أنت،

يا جارتا ما أنت جارة، وقوله واهألسلى

ثم واهأ واهأ .

فقد تعرض النحويون لما ذكره الأستاذ

وزادوا عليه .

ولو كان كلامهم ذكر في غير باب التعجب

أو ذكر في كتب أخرى غير التي درسها الأستاذ

لالتسنا له العذر .

ذكر النحويون أن أدوات الشرط تخلص
• معنى الماضى للاستقبال كما أن لم الجازمة
تخلص معنى المضارع للضى فمن حقهم علينا
ألا نوجه لهم لوماً، لأنهم لم يغفلوا الحديث عن
مثل هذه المواضع وإذا كان كلامهم يشوبه
تسكف وتعسف فما هو الكلام الذى لا تكلف
فيه ويحسن ذكره فى مثل هذا المقام .
هذا ما كنا نريد سماعه من الدكتور
القوصى أو من غيره .

* * *

وذكر الدكتور القوصى حكاية أخرى لها
فى نفسه ذكريات عزيزة قال ص ١٣ : كنت
طالبا فى مدرسة المعلمين وكنت أهتم بدراسة
التاريخ الطبيعى فوجدت حجرا فى الصحراء
خفيلته فرحا به مسرورا ، ورآه والدى
فسألنى . . فتقبل الأمر باعتباره مسألة تهم
ابنه وترضيه ، فلا مانع من احترامها
والمحافظة عليها بهذا الاعتبار ، ورأته زوجة
أبى فوضعتة إلى جوار الباب حتى يظل مفتوحا
فكان الحجر فى نظرها أداة تسند الباب . .
واستغله بعض إخوتى مشقة الأوراق حتى
لا تطير فى الهواء ، ثم سافرت إلى إنجلترا
وهناك كنت أذكر تلك القطعة من الحجر
وأسال عنها .

* * *

قد يكون لمثل هذه الحكاية صلة بعلم النفس

من وراء هذا التيسير التهوين من علم النحو
وإن كان هينا ولكننا نرمى إلى تأليف قلوب
التلاميذ . . . ولعل لا أغضبكم إذا قلت لكم:
إنى أتمنى على الله اليوم الذى أنادى فيه بإلغاء
علم النحو وإحراق كتبه .

ورحم الله البحترى: فقد قيل له يوما: إن الناس
يزعمون أنك أشعر من أبى تمام فقال والله
ما ينفعنى هذا القول ولا يضر أبى تمام والله
ما أكلت الخبز إلا به .

٤ - أشرف الدكتور عبد العزيز القوصى
على مؤتمر مفتشى اللغة العربية ، وقد افتتح
هذا المؤتمر بكلمة ذكر فيها أنه غير متخصص
فى اللغة العربية ومتخصص فى علم النفس
وحصل فيه على درجة ، ثم رى النحو بالتكلف
والتعسف وأنه لا يحارى منطق الطفل .
قال فى محاضرتة ص ١٦ : سألتنى بنتى مرة
قائلة ذاكر فعل ماض أو مضارع أو أمر
فقلت لها: إنه ماض قالت: لو قلت إذا ذاكرت
أخذت الجائزة كيف يكون ذاكر فعلا ماضيا
مع أن المذاكرة لم تحدث الآن؟ ولا أنكر
أننى استطعت أن أقنعها بمنطق النحو الذى
أعرفه ، ولكننى حين أرجع إلى نفسى أجد
أن هناك فرقا كبيرا بين منطق النحو وفيه
تعسف وتكلف ومنطق الطفل ، وفيه
سهولة وصدق .

* * *

أما أن يسكون لها أدنى علاقة أو ارتباط بتيسير النحو فهذا ما أعجزني بيانه .

٥ - يرى الأستاذ ابراهيم مصطفى في إحياء النحو ص ١٤٢ : أن الاسم الواقع بعد لا

النافية للجنس ليس بمستحدث عنه وحقه من الحركات الفتحة والذي عـرض الأمر على النجاة ما قرروه من أن كل جملة يجب أن تشمل مبتدأ وخبراً أو فعلاً وفاعلاً ولم يعرفوا الجملة الناقصة .

كما يرى أن الجار والمجرور والظرف في نحو قوله تعالى : «إنهم لا إيمان لهم - لا ظم اليوم» - ليس خبراً للـ «لا» - ولست أدري ماذا يصنع الأستاذ فيما جاء عن العرب من التصريح بخبر لا مرفوعاً كما في الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من قوله عليه السلام : (لا أحد أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا شيء أحب إليه الممدح من الله ، ولذلك مدح نفسه) . وفي قول الشاعرة :

لا أحد أذل من جديس

وفي قول أبي قيس :

ونعلم أن الله لا شيء غيره

ونعلم أن الله أفضل هاديا
الروض الأنف ٢ / ٢٣ .

وفي كتاب سيبويه ١/٣٥٦ وتقول : لا رجل

أفضل منك إذا جعلته خبراً ، وكذلك لا أحد خير منك ، قال الشاعر

ورد جازهم حرفاً مصرمة
ولا كريم من ولدان مصبوح

وفي حديثهم عن لا النافية للجنس في كتابهم تحرير النحو اكتبوا بقولهم ص ١٢٤ : المسند إليه بعد لا النافية للجنس منصوب غير منون إذا أفردت ، أما إذا تكررت فلك في المسند إليه بعدها أن تنصبه غير منون أو ترفعه منونا مثل : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فلم يقسموا اسم لا إلى مفرد ومضاف وشبيه بالمضاف .

ثم جاء الأستاذ برانق بعد ذلك وقال في كتابه ص ٩٤ : إن تقسيم اسم لا إلى مفرد ومضاف وشبهه فيه ببلبة وتفسير على التلاميذ .

وماذا نصنع في أمثلة الشبيه بالمضاف وهي منصوبة منونة بعد لا ، أغفل الأساتذة حديثها وتوجيهها .

وفي حديثهم عن المنادى في تحرير النحو ص ١٨٩ قسموه إلى هذه الأقسام :

(أ) إذا كان المنادى مضافاً لنصب نحو يا عبد الله
(ب) إذا كان المنادى علماً غير مضاف رفع
ومنع التنوين نحو : يا آدم اسكن أنت
وزوجك - يا نوح اهبط بسلام منا .

فيا راكبا إما عرضت فبلغن
ندامى من نجران أن لا تلاقيا
للشبيه بالمضاف وهو من النكرة غير المقصودة
وقسم الأستاذ برانق المنادى إلى مضاف
وشبيه بالمضاف وإن أخطأ في التمثيل كما
ذكرنا ومعرفة :

ومثل للمعرفة بقوله تعالى : يا آدم اسكن
أنت وزوجك ، - يا نوح اهبط بسلام منا ،
يا جبال أوبي معه ، .

وأغفل النكرة غير المقصودة ثم نراه جمع
النكرة المقصودة والعلم المفرد تحت اسم
المعرفة، والتليذ يستطيع أن يهتدى إلى تعريف
نحو يا آدم - يا نوح أما التعريف في نحو
يا جبال فلن يستطيع أن يوضحه المدرس
إلا إذا اتبع طريق النحويين وتقسيمهم .

ألست معى فى أن كل ما ذكر لا يعدو
أن يكون غمغمة لا تبين وهمة لا تنضح .

٦ - استفتح ابن مضاء كتابه الرد
على النحاة بالجملة على عوالم النحويين وأطال
فى ذلك ثم عرض الأستاذ ابراهيم مصطفى
فى إحياء النحو لفلسفة العامل ومنشأ هذه
الفلسفة ونقد مذهب النحاة فى العامل
ص ٣١ - ٤٣ .

ولم يكتف أساتذتنا بما ذكر، فأعادوا هذا
الكلام فالأستاذ برانق يطلب فى محاضراته

(ج) فيما عدا ما تقدم إذا نون المنادى
نصب وإذا منع التنوين رفع .

وقولهم إذا نون المنادى نصب وإذا منع
التنوين رفع جمع إلى الإيجاز الإيهام نحن
فى حاجة إلى معرفة متى ينون المنادى ومتى
لا ينون فنصب المنادى أو رفعه إنما يكون
بعد معرفة حال المنادى ومن أى الأقسام هو .
ومثل هذا الإيجاز المحل إنما يقبل فى لغة
المنون التى رأى أصحابها أن يحملوا ألفاظها
فوق ما تحتل، أما أن يلتقى به فى وجه الطالب
الإعدادى فهذا تعجيز له .

وهل يكفى أن نقول له : المنادى منصوب
أو مرفوع .

ونراه فى أمثلة المنادى المنون مثلوا بقولهم :
يا مؤمنا لا تعتمد على غير مولاك ، وهذا بما
سماه النحويون النكرة غير المقصودة :

يا رحبا بالعباد - يا موقدا نارا لغيرك
ضوؤها ، وهذا مما سماه النحويون الشبيه
بالمضاف ثم ذكروا البيت :

فيا راكبا إما عرضت فبلغن

ندامى من نجران أن لا تلاقيا
وهو من النكرة غير المقصودة ، فخلطوا
بين أمثلة النكرة غير المقصودة والشبيه
بالمضاف كما ترى ، وكان لهذا الخلط أثره عند
الأستاذ برانق فقد مثل فى كتابه ص ١٠٤
بالبيت :

ص ٧٣ التخفيف من عمل الأدوات على النحو الذى قرره طغاة النحويين .

ثم يعود لهذا الحديث فى كتابه النحو المنهجي ص ٤٦ ويبسط القول. كذلك شارك فى هذه الحملة الدكتور عبد الفتاح شلبى، والدكتور محمود رشدى خاطر، والأستاذ محمد شفيق عطا، وما كان قولهم إلا معاداً مكرراً .

والعوامل فى صناعة النحو إنما هى أمارات ودلالات كما قلنا وليس لها تأثير حسى .

قال كمال الدين الأنبارى فى كتابه الإيضاف ص ٣٣ :

لأن العوامل فى هذه الصناعة ليست مؤثرة حسية كالإحراق للنار، والإغراق للباء، والقطع للسيف، وإنما هى أمارات ودلالات، والأمانة والدلالة تكون بعدم شيء كما تكون بوجود شيء، ألا ترى أنه لو كان معك ثوبان وأردت أن تميز أحدهما من الآخر فصبغت أحدهما وتركت صبغ الآخر لكان ترك صبغ أحدهما فى التمييز بمنزلة صبغ الآخر .

وفى الخصائص ص ١٠٩ ألا تراك إذا قلت ضرب سعيد جعفرأ ، فإن ضرب لم تعمل فى الحقيقة شيئاً وهل تحصل من قولك ضرب إلا على اللفظ بالضاد والراء والباء على صورة فعل فهذا هو الصوت والصوت مما لا يجوز أن يكون منسوباً إليه الفعل، وإنما قال النحويون عامل لفظى وعامل معنوى ليروك

أن بعض العمل يأتى مسبباً عن لفظ يصحبه كمررت بزيد وليت عمرأ قائم وبعضه يأتى عارياً من مصاحبة لفظ يتعلق به كرفع المبتدأ بالابتداء ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم هذا ظاهر الأمر وعليه صفحة القول فأما فى الحقيقة ومحصل الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للتكلم نفسه لا لشيء غيره .

والعجيب أن ابن مضاء بتر هذا النص وادعى على ابن جنى أنه أنكر العوامل فى النحو .

ولست للعوامل هيمنة على كلام العرب تقبل بعضه وتنكر بعضه كما يدعون، إنما يبحث النحويون عن العامل بعد سماع النص من العرب ، قال الرضى فى شرح الكافية ص ٢٠٨ :

وقال بعضهم المستثنى منصوب بأستثنى كما أن المنادى منصوب بأنادى . وإلا وحرف النداء دليلان على الفعلين المقدرين، وقد اعترض عليه بأنه يلزم منه جواز الرفع بتقدير امتنع ولا يلزم ذلك لأننا نعمل ما ثبت وورد من كلام العرب ولو ورد مرفوعاً لسكننا نقدر امتنع ونحوه ألا ترى أنه يجب النصب فى إياك والأسد بتقدير، بعد ونحوه ، ولو ورد الرفع نحو أنت والأسد لسكننا نقدر أبعد أنت والأسد ونحوه .

ولما كانت الأساليب الفصيحة خالية من ذكره أو يجب النحويون حذفه فلا يصح أن نقول منزلنا السكائن بشارع كذا كما يجري ذلك على السنة العامة ، فالبحث عن المتعلق بحث يتصل بسلامة الأسلوب وفصاحته ، وقد حض ابن مضاء في كتابه على البحث في المسائل التي تفيد نطقاً وإن نادى بالانصراف عن البحث في متعلق الظرف .

وتعيين متعلق الظرف إنما يحدده المعنى فقد يوجد الفعل قبل الظرف أو الجار والمجرور ثم يتعلقان بغيره .

وقد ذكر ابن هشام في المغنى ثمانى آيات وحديثاً وبيتين وجد فيها الفعل قبل الظرف أو الجار والمجرور ومنع المعنى من تعلقها بهذا الفعل فليرجع إليه من شاء في المغنى ١٢٠-١٢١ ، وما يدل على أن البحث في متعلق الظرف ليس صناعة لفظية فحسب ما ذكره النحويون في قوله تعالى : فلما رآه مستقراً عنده : قال هذا من فضل ربي .

قالوا : إن معنى الاستقرار هنا ليس مطلق الوجود والحصول إنما معناه عدم التحرك فهو كون خاص . المغنى ٢ - ٨١ ، البحر المحیط ٧ - ٧٧ العكبري ٢ - ٩٠ للبحث صلة ٩٠

محمد عبد الحامد عصفري

وعلى هذا فلا محل لسخرية الأستاذ برانق في قوله ص ١٠٠ :

ولو أن المسند إليه في هذه الأساليب ورد مرفوعاً لكان للنجاح فيه مخرج بل ولو أنه ورد مجروراً لكان لهم مخرج فتأمل .

٧ - يرى ابن مضاء ص ٩٩ أن نحو زيد في الدار كلام تام مركب من اسمين دالين على معنيين بينهما نسبة وتلك النسبة دلت عليها في ولا حاجة إلى تقدير كائن أو مستقر ، وإذا بطل العامل والعمل فلا شبهة تبقى لمن يدعى هذا الإضمار .

وقد أعجب بهذا الرأي الأستاذ برانق ص ٧٩ . دفع النحويين إلى البحث عن متعلق الظرف والجار والمجرور نظام الأسلوب العربي ، وجدوا أنه قد يسبق الظرف فعل أو اسم فيه معنى الفعل يرتبط به معنى الظرف ، ومعنى هذا الفعل كون خاص ، فقالوا التعلق الخاص يجب ذكره ولا يحذف إلا عند القرينة تقول هذا الكتاب مطبوع في مصر . ولو حذفت المتعلق لاختلف المعنى .

ودليلهم على تقدير المتعلق العام ورود ذكره في ضرورة الشعر كقوله :

لك العز إن مولاك عز . وإن يهن

فأنت لدى بحبوحة الهون كائن

الإسلام في نيجيريا

للأستاذ عطية صفدر

القرن السابع عشر ، عندما ظهر الانجليز
كتجار الرقيق والمحصولات المختلفة .

ولم يجرؤ المسكتشفون على ارياد المناطق
الداخلية لوعورة مسالكها وعدم ملائمة
جوها للأوربيين ، حتى أرسلت الجمعية
الكشفية التي تألفت في لندن في يونيه
سنة ١٧٨٨ المسكتشف مونجو بارك **Mongo**

Park فقطع نهر النيجر من سيجو **Segu**
إلى **Bussa** وتوفي سنة ١٨٠٥ ، ثم تم
كشف النهر من بوسا إلى الساحل سنة ١٨٣٠
واكتشفت المنطقة الشمالية سنة ١٨٢٣
عن طريق الصحراء من طرابلس .

وابتدأ تدخل الانجائز في المنطقة عندما
كانوا يقومون بدور الحكم بين القبائل التي
كانت تنشب بينها الحروب والمنازعات في
كثير من الأحيان . ثم اعترف مؤتمر برلين
سنة ١٨٥٥ باستعمار بريطانيا لهذه المنطقة .
وقد لقي الانجائز مقاومة شديدة من الولايات
الإسلامية في الشمال حتى تمكن د فردريك
لوجارد ، من الاستيلاء على آخر معقل
إسلامي في سو كوتو في ١٧ من مايو سنة ١٩٠٣

في المنعطف الجنوبي لنهر النيجر وعند
مصبه ، وإلى الشمال الشرقي من الدلتا حتى بحيرة
تشاد ، تقع جمهورية نيجيريا التي نالت
استقلالها في شهر أكتوبر من عام ١٩٦٠ .
وهي حكومة اتحادية فيدرالية تتكون من
حكومات ثلاث : في شرقي النهر وعاصمتها
« إبناجون » ، وفي غربيه وعاصمتها « إبادان » ،
وفي الشمال وعاصمتها « كادونا » . وسكانها
يبلغون من ٣٥ إلى ٤٠ مليوناً . وهم مجموعة
من القبائل تزيد على ٢٥٠ قبيلة ، أهمها
الهاوسا **Haoussa** في القسم الشمالي والإيبو
Ibos في القسم الشرقي ، واليوروبا **Yourouba**
في القسم الغربي . ومن بين هؤلاء السكان
٢٠ ألفاً من الأوربيين ونحو ٤ آلاف من
عرب سوريا ولبنان ومن الهنود .

ولا يعرف بالضبط متى سكن الناس هذه
المنطقة ، إلا أن الثابت أن قبيلة بني **Beni**
ظهرت بقوتها كجنس مسيطر على المنطقة
عندما اكتشف البرتغاليون الساحل في القرن
الخامس عشر ، واستمر سلطان هذه القبيلة
قائماً على جزء كبير من الساحل الغربي حتى

واضح إلا في نحو القرن العاشر أو الحادى عشر بفضل النشاط العظيم الذى قام به المرابطون من قبائل لتوتة ، حملوا الإسلام إلى مملكة « غانة » ، ووسط إفريقيا وسواحلها الغربية ودخلت قبيلة « بورنو » المقيمة في شمالى نيجيريا في الإسلام في أوائل الانصال بالمرابطين ، وأسلم أمير قبائل المساندانج وأسس أحد خلفائه في القرن الثالث عشر أمبراطورية « مالى » ، وأسلبت دول الهاوسا حوالى القرن الخامس عشر ، ثم أسلبت قبائل « البولز » في القرن الثامن عشر ، وأخيراً أسلبت قبائل المنطقة الجنوبية « إيبو ، يوروبا » .

وقد ظهرت حركة إسلامية كبيرة في أواخر

القرن التاسع عشر ، تزعمها رجل ينحدر من أسرة تشتهر بالعلم والقضاء ، هو الشيخ عثمان الزودى ، الذى يسميه الغربيون فوديو Fodio ، وقد ولد سنة ١٧٤٤ في إمارة « جويبر » إحدى إمارات الهاوسا ، وتفقه على مذهب الإمام مالك في « أجاديس » واعتنق هناك الطريقة الصوفية القادرية ، وعاد إلى مسقط رأسه ينشر العلم ويدشر بالدين ، ثم بايعه أتباعه بإمارة المؤمنين ، وكون جيشاً ظل يحارب به الأمراء والقبائل الوثنية من سنة ١٨٠٤ حتى تم له النصر عليها جميعاً في آخر سنة ١٨٠٨ ، مساعداً مملكة « بورنو »

وفي ٢١ من هذا الشهر نفسه أقسم سلطان جديد أمضى مع الانجليز شروطاً دخل بمقتضاها تحت إدارتهم وفعلت مثل ذلك بقية الإمارات ، واستمر استعمار الانجليز قائماً على البلاد ، حتى منحوها سنة ١٩٥٤ دستوراً ينص على إعطائها الحكم الذاتى سنة ١٩٥٦ لذا وافقت جميع المقاطعات ، وبعد إجراء انتخاب للبرلمان الفيدرالى في آخر سنة ١٩٥٩ وفوز حزب مؤتمر الشعب الشمالى ، شكلت الوزارة الاتحادية برئاسة « الحاج سير أبو بكر تافوا باليوا » ونصب الدكتور « أزيكوى » حاكماً عاماً لاتحاد نيجيريا ، الذى اتخذ مدينة لاجوس Loags عاصمة له .

وقد قامت في البلاد ممالك إسلامية كان لها دور عظيم في نشر الإسلام في هذه المناطق وغيرها قبل أن يعرفها الغرب ، وبلوئها رجس الاستعمار ، فكانت هناك في أوائل القرن العاشر الميلادى مملكة « التكرور » ، وفي القرن الحادى عشر مملكة « مالى » التى زارها ابن بطوطة وتحدث عنها ابن خلدون ، وكذلك قامت مملكة « البرناوية » في الشمال الشرقى .

ودخل الإسلام هذه المنطقة منذ زمن بعيد ، وذلك من أوائل الفتح الإسلامى ، متمسلاً مع القوافل والتجار الذين كانوا يحجبون هذه المناطق ، غير أنه لم يظهر بشكل

من نسل يعرب بن قحطان ، والفولاني من سلالة عقبة بن نافع ، وهكذا . ومهما يكن من شيء فإن الملاحظ أن أغلب المسلمين هناك يجرى في عروقهم الدم العربي ، وسختهم وعاداتهم توحى بانتسابهم إلى هذه الأرومة الأصلية ، كما يلاحظ أن اتجاه الشماليين وهم غالبية المسلمين نحو العرب والشرق ، أكثر من اتجاههم نحو الغرب على عكس قبائل المنطقتين الآخرين . ومعظم المسلمين في الشمال - إن لم يكونوا جميعا - تجار رحل ومزارعون صغار ، ورعاة أغنام ، وحالتهم الاقتصادية العامة بسيطة ولكنها لا تصل إلى درجة العدم ، وأغلبهم يقعون تحت سلطان قلة من الإقطاعيين ، وهم يحسون بقلق بالغ وغير شديدة من تقدم إخوانهم في المنطقة الشرقية والغربية ، ويجددون للحاق بهم في المضمار الثقافي والاجتماعي ، والمسلمون من قبيلة الإيبو في القطاع الشرقي أكثر من غيرهم تقدما ونشاطا وكفاحا في سبيل النهوض ، غير أنهم تسودهم الروح الانعزالية ، وهو الطابع العام للقبيلة كلها ، التي ترى أن أكبر مجتمع فيها هو الأسرة فقط .

والمسلمون عموما متعصبون لدينهم وتستطيع أن تميزهم من غيرهم بالطاقيّة البيضاء والسحنة العربية المختلفة عن السحنة الزنجية ، غير أن تدينهم مشوب بالخرافات والسحر والشعوذة

الإسلامية التي وقفت ضد أتباعه الذين أرادوا توسيع مملكته ، وبني ابنه مدينة سوكونو Sokoto سنة ١٨٠٩ التي كانت هي ومدينة «كانو» القديمة عاصمتين لهذه الدولة العظيمة ، التي تخطت بالدعوة الإسلامية حدود نيجيريا ووصلت بها إلى الكرون . ولم يقف نشاطها إلا بعد تغلب الانجليز على البلاد ؛ وقد أثمر الشيخ عثمان العزلة والخلوة في آخر حياته وتوفي سنة ١٨١٧ .

تقوم في هذه البلاد ثلاث ديانات رئيسية : الإسلام ، والمسيحية ، والوثنية . وليس هناك إحصاء رسمي لعدد المسلمين ولا لنسبة توزيعهم في المناطق الثلاث . إلا أن المؤكد أنهم لا يقلون عن عشرين مليونا إن لم يزيدوا ، فقد أوصل البعض عددهم إلى ٣٠ . باعتبار أن عدد السكان ٤٠ مليونا . وهم يكثرون بصفة عامة في الإقليم الشمالي الذي يكون ثلثي مساحة البلاد ، ويقلون في الإقليمين : الشرقي والغربي ، وقد ذكرت الدوائر التبشيرية أن نسبتهم في الشمال ٧٠٪ وفي الغرب ٣٠٪ . وفي الشرق ٥٠٪ ، ولكن كثيرا من المكاتبين يؤكدون أن نسبتهم في الشمال أكبر من ذلك بكثير .

وكثير من القبائل التي اعتنقت الإسلام تدعى أنها من أصل عربي ، فالهاوسا تقول إنها من نسل أحد ملوك بغداد ، واليوروبا

الشمالي كما ذكرنا ، فهناك المساجد الواسعة ذات المنارات العالية ، التي تشتهر على الأخص بها مدينة «كانو» ، أكبر مدن الشمال ، وهي مركز تجارى هام للقوافل ، بناها المسلمون قبل ألف سنة .

وتقوم بالبلاد جمعيات إسلامية أهمها :
١ — جمعية أنصار الدين ، التي تأسست في لاجوس سنة ١٩٢٣ . وأنشأت سنة ١٩٣٢ مدرسة إسلامية ابتدائية ، وأصبح لها الآن ٨٠ مدرسة أخرى في أقسام نيجيريا الثلاثة ، وتمكنت من إنشاء معهد ابتدائي لتخريج المدرسين المسلمين ، وهو داخلي كامل الاستعداد . غير أن العناية باللغة الانجليزية واضحة في هذه المدارس .

٢ — جمعية أنوار الدين ، وهي تبعد عن لاجوس بنحو ٦٠ ميلا ، ولها مدارس ابتدائية وثانوية ، وتعنى باللغة العربية .

٣ — جمعية أعضاء المؤتمر الإسلامى ، التي أسسها سنة ١٩٤٥ الحاج محمد الأمين القديسى ، في بلدة إيجابوا ودى ، وهي تبعد عن لاجوس بنحو ٤٠ ميلا ، ولها ٣٦٠ مدرسة .

وتتزعّم النهضة النسائية هناك الحاجة نصره حرم الحاج محمد الأمين القديسى وقد زارا مصر سنة ١٩٥٣ لبحث وسائل النهوض بالتعليم الدينى كما توجد جماعة القاديانية التي

المنتشرة في البلاد جميعها ، كبريات قديم عن القبائل الإفريقية في داخل القارة ، وهم يتبعون على مذهب الإمام مالك ، الذى حمل إليهم على يد الداعين والفاحين القادمين من شمالى إفريقيا وبلاد المغرب والسودان ، وجميعهم سنيون في عقيدتهم ، غير أنه يوجد بعض منهم ينتمون إلى جماعة القاديانية الذين يقومون بنشاط بارز في «لاجوس» ، ولهم دعائهم وصحفهم ومدارسهم .

والطرق الصوفية لها نشاط واضح في البلاد وأشهرها الطريقة القادرية التي أسسها في العراق في القرن الثانى عشر عبد القادر الجيلانى .

والطريقة التيجانية التي أسسها في شمالى إفريقيا في القرن الثامن عشر أحمد التيجانى المدفون في فاس ، وهذه الطريقة يشتهر أتباعها بالزمت وشدة عداوتهم للوثنية ، وعدم انسجامهم مع الطريقة الأخرى ومع غيرها من الجماعات . ويقول بعض المعلقين : إن هذه الطرق صورة للكهنوت الوثنى ، الذى يتمسك بالكرامات وخوارق العادات ، وزيارة القبور وتقديس الأشخاص ، ولهذا فكر المستنيرين في تنقية الدين من هذه الأمور الدخيلة ، وقصد بعضهم الجامع الأزهر من أجل التزود بالمعرفة الصحيحة ، ليستطيعوا الجهاد في هذا الميدان .

والطابع الإسلامى يظهر بوضوح في الإقليم

المدارس والكتليات وخاصة في مدينة كانو ومدينة زاريا ، ويوجد اهتمام عام بتشقيف المرأة وتدريبها على أداء واجبها الديني والاجتماعي ، وذلك نتيجة لاقتراح العالم الإفريقي « جيمس أجرى » الذي يقول : عندما تعلم رجلا فإنك تعلم فردا ، ولكن عندما تعلم أما فإنك تعلم أسرة كاملة .

وتصدر في لاجوس صحيفة إسلامية هي « الحقيقة » ، وهي الصحيفة الإسلامية الوحيدة التي تصدر في هذه المناطق .

وكان المسلمون يأخذون علومهم عن علماء المغرب ، ثم اتجهوا إلى المؤلفات التي وضعها العلماء المحليون في الفقه والتفسير واللغة ، أمثال كتب الشيخ عثمان الفودي وأخيه الشيخ عبد الله ، والشيخ تاج الدين الأدبي الألورى ، والحاج كال الدين الأدبي . وقد حضر إلى الأزهر سنة ١٩٤٥ الشيخ آدم عبد الله الألورى ثم عاد إلى بلاده وفتح مدارس لتعليم اللغة والدين غير أنها محدودة النشاط لقلة مواردها المالية وعدم وجود المدرسين الأكفاء . وقد أوفد الأزهر سنة ١٩٥١ أحد علمائه الأجلاء ليدرس حالة المسلمين هناك من الوجهة الدينية والاجتماعية والثقافية ، ورفع تقريراً عن ذلك إلى المسؤولين ، كان من أثره زيادة المبعوثين

ينحصر نشاطها في العاصمة وهي تدرس اللغة العربية في جميع مدارسها .

وفي البلاد أكثر من خمسين لغة ، ولكل قبيلة لغتها ولهجاتها الخاصة ، غير أن لغة الهاوسا تحظى بقدر كبير من الانتشار ، وبها كلبات عربية . واللغة العربية هي لغة العبادة بالطبع عند المسلمين ، وهي منتشرة في الجزء الشالى ، وتوجد كتب مؤلفة في اللغة والدين ، وأغلبهم يقرءون هذه الكتب ولكن لا يفهم معناها إلا القليلون . وهي اللغة الرسمية في إمارات الفولا في سوكونو . وفي قبيلة « شوا » التي مازالت تعيش عيشة بدوية في انتجاع مواقع المياه . توجد كلبات عربية فصيحة ، وألفاظ قديمة هجرها العرب أنفسهم واللغة الانجليزية وهي لغة المستعمر منتشرة في الأوساط المتعلمة . وبفضل البعوث الوافدة إلى الأزهر نشط كثير من الغيورين على الدين واللغة في فتح مدارس لتعليم اللغة العربية ، وقاموا بنشاط كبير في نشرها بين الأوساط المختلفة لتكون لغة التخاطب بين المسلمين .

والتعليم عامة في البلاد متأخر ، غير أن المستوطنى الثقافى عال جدا في القسم الغربى وذلك لاهتمام المستعمر بهم ونشاط المبشرين فيهم ، والتعليم الدينى منتشر فى الشمال بحكم الأكرثية الإسلامية الموجودة هناك ، حيث توجد

زمن يكون فيه جميع أهالي نيجيريا قد تأثروا بخميرة الإنجيل حتى تكون أمة مسيحية .

إن لهم منهجا في التقرب إلى الوثنيين يقوم على السياسة التي نادى بها بريفييه Breivié في كتابه الإسلام ضد الوثنية في السودان الفرنسي، سنة ١٩٢٣ ، وهي ترمي إلى تحبيب الوثنيين في الوثنية ، وإظهارها لهم كنوع من الفلسفة والفكر الحر ، حتى يأنس الوثني لإلهم ، ولا توجد هوة بينه وبين الرجل الأبيض . وهذا يبين لنا بوضوح أن غاية التبشير ليست دينية بقدر ما هي سياسية استعمارية ولذلك نراهم يتغاضون عن تعدد الزوجات بين من يعتنق المسيحية من الوثنيين . ويبيحون لهم أن يسموا أولادهم بأسماء وثنية . وذلك كله خشية الإسلام الذي يندفع إليه الناس طواعية واختيارا ، وسيكون له المستقبل بإذن الله ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

عليه صفر

من علماء الأزهر الشريف

الوافدين إلى الأزهر من هناك ، وكان عدد هؤلاء الطلاب ١٢ في سنة ١٩٥٦ وسيكونون نواة النهضة الدينية في بلادهم عندما يعودون إليها بعد إتمام دراستهم .

هذا - ولما كانت البلاد حديثة العهد بالاستقلال ، وهي تحتاز فترة هامة من تاريخها وتنقصها الكفايات اللازمة للنهضة الثقافية العامة والدينية بوجه خاص كان لابد من عمل شيء جدي نفيد به هذه المنطقة الحيوية التي تنتج لإليها الأنظار .

ذلك أن المبشرين جادون في التبشير الديني والثقافي ليسكبوا الجولة في الصراع العنيف الذي يدور حول الوثنيين الموجودين بين الشمال والجنوب في منطقة هضاب باوتشي Baoutchi لينعوا تسرب الإسلام إليهم عن طريق الشمال وليحولوا اتجاههم نحو الغرب وقد قالوا في تقرير لهم : « إن خميرة الإنجيل التي رفعت العبيد في الجنوب تبدأ عملها ، وهي لن تتوانى في أداء مهمتها ، وقد بدأت دخولها إلى القبائل الوثنية في الشمال ، وسيأتي

الأزهر في سيرة أعلامه

سيد بن علي المرصفي

شيخ أساتذة الأدب وأعلام الفكر

للأستاذ محمد رجب البيومي

وأن يذكر منهم في دنيا الصحافة والتحرير محمد المهياوي وعبد الرحمن البرقوقي ومحمد إبراهيم هلال وفهم قنديل ، أما الشعراء المجيدون من طلابه ، فأنت تعد منهم ولا تعدهم إذ تستطيع أن تختار على سبيل المثال حسن القاياتي وأحمد الزين وعلى الجارم وأحمد شفيع السيد وإبراهيم الدباغ ورمزي نظيم . وأستاذ كالمرصفي يترك هذه المؤلفات الحية من الأفاضل تنشر معارفه ، وتذيع هديه ، تحقيق أن يكتب له في سجل التاريخ الأدبي المعاصر ، صحيفة وضاعة تتألق سطورها بالزهو والاعتزاز .

لقد استطاع سيد بن علي أن يعيد إلى القاهرة في مطلع هذا القرن مجالس بغداد في أسطع عصورها الزاهية ، فكسنت تتخيله وقد عكف وحده بين زملائه الشيوخ على دراسة الأدب واللغة إماماً كبيراً من صدور السلف كآبي عمرو وأبي عبيدة والأصمعي والخليل والمبرد فهو يروي الشعر الجزل ، ويناقش التركيب الناشئ ، ويعالج اللفظ الغريب ، ويرد النسبة

ما أظن أستاذاً من أساتذة الأزهر رزق الخطوة في تلاميذه ، والنجاة في أشباله ، كما رزقهما الأستاذان محمد عبده وسيد بن علي المرصفي ، فقد كانت دروس الأستاذ الإمام في تفسير كتاب الله حقلاً خصيباً أنتج في ميدان الإصلاح والتشريع أساتذة أعلاماً حملوا الراية وتقدموا الركب ، وحسبك أن يكون منهم على سبيل المثال محمد مصطفى المراغي وعبد المجيد سليم ومحمد رشيد رضا ومصطفى عبد الرازق ، كما كانت دروس السيد المرصفي روضاً يانعاً آتى أكله الشهي فأنتج رباحين وأزاهر ذات عقب شذى ، ومنظر موفق ، وحسبك أن يذكر من أبنائه في مجال الرعامة الفكرية ، والقيادة الأدبية مصطفى لطفي المنفلوطي وأحمد حسن الزيات وطه حسين وعبد العزيز البشري وعلى عبد الرازق وزكي مبارك ، وأن يذكر منهم في مضمار التحقيق العلمي ونشر آثار السلف في اللغة والدين محمود حسن الزناتي وأحمد محمد شاكر وحسن السعدوني ومحمد محي الدين عبد الحميد

من الإخباريين والرواة، وإنه ليعبر عن ذلك فيقول في مقدمة كتابه « أسرار الحماسة » .
 « وقد رأيت نفوس القوم مصروقة إلى تحقيق المسائل العلية ، والمباحث العقلية والعلم عندهم من نظر إلى الاستدلال ، وأكثر طرق الاحتمال ، وولد مالا يولد ، وأوجد من الأفهام مالا يوجد ، ولو علموا - هدام الله - ما علمناه من خصائص اللغة وأسايميها وما أودعت من لطائف الأسرار في تراكيبها لهجروا تلك الكتب ذوات التنافر والتعقيد وغنموا لغة القرآن المجيد والحديث الحيد » .
 وإن رائدا بطلا يناهض هذا التيار القوي فيقف فريدا بدرس الأدب واللغة موقف المراحم المنافس حتى يجذب الأنظار إلى حلقاته ويجمع الصفوة من الطلاب على مذهبه إن رائدا بطلا يفعل ذلك ، لجدير أن يطلق اسمه على إحدى قاعات المحاضرات بكلية الأزهر وأن ينشأ كرسي باسمه في كلية اللغة العربية لدراسة آثاره ومنحاه وشروحه، وأن تطبع مؤلفاته المخطوطة ليعلم الناس أي أديب فذ كان المرصني ! ! رحمه الله ! .

لقد كانت كتب الأدب لعهد المرصني أول هذا القرن بحفوة مهمة ، وكان أكثرها مخطوطا منسيا لا يجد النور في الحياة ، وبعض المطبوع منها على قلته ردى الطبع ، سيء التحريف ، كثير التصحيف ، فعمد المرصني إلى أكثرها صعوبة ، وأوعرها مركبا فأخذ

المخطوطة إلى وضعها الصحيح ، ويناقش بعض ما اففق عليه من قواعد الفقه والتصريف في ثقة خارقة ، وعن بصر نفاذ ، ولعله كان أشبه أسلافه بأبي عمرو بن العلاء ويونس ابن حبيب ، فقد كانا يؤثران أدب العصر الجاهلي ويفضلاه ، وكذلك كان للمرصني بهذا الأدب ولع مشغوف ، وصباغة حنافة .
 وإن كان تأخره الزمني قد أتاح له من استيعاب المعارف المتشعبة في مختلف فنون اللغة وأبواب العلوم ما لم يتيسر لهما من قبل ، فأينع درسه بكل شهى من ثمار المعرفة ، ورأى فيه طلاب اللغة والأدب مورداً عذب المشرع صافي النير .

على أن ناحية العجب في تاريخ الرجل أنه كان فذا غريبا بين لداته ، فقد كانت حلقات الشيوخ من حوله تبدى وتعيد في دراسة حواشي مستفيضة في الشريعة وعلوم اللسان ، فلا تزيد على أن تعيد المكرور المسألوف وتلوكه، وأكثره قد تاه في بحر من المؤاخذات اللفظية ، والاعتراضات السطحية . وتكلف الاحتمال البعيد ، وتعسف الرد الناشز ، أما دروس الأدب والشعر فلم يلم بهما غير الشيخ في درسه ، وكان ينظر إلى زملائه فيدهشه هذا التكالب المزدهم على دراسة الخلاف اللفظي ، والتشقيق الفرضي ، ويروعه أن ينصرف العلماء عن أدب اللغة وآثار المتقدمين

قصيدة يمدح بها شيخه يوم يختم الكتاب ، وقصيدة أو اثنتين يرثي بهما من يموت من عليّة العلماء ، فإذا أمكن الأستاذ المرصني في هذا الوسط المعرض أن يجعل مؤلفات المبرد وأبي علي وأبي تمام وابن عبدربه تجد مكانها بين حواشي الإسمنوي والصبان والباجوري والسيوطي والعطار ، فذلك فضل كبير .

وأنت حين تحاول أن تدرس الخطوط الأولى لحياة الشيخ ، لا تجد ما تطمئن إليه مما كتب عنه أو تناقله تلاميذه . فجميع من حددتهم عن نشأة الأستاذ العلية يذكرون أنه تلمذ في الأدب على السيد عبد الهادي نجا الإبياري أحد علماء الأزهر وأدبائه ، وأنه تأثر به تأثراً دفعه إلى الإكباب على دراسة آثار السلف المتقدم في اللغة والشعر ، وأنا شخصياً - وقد أكون مخطئاً - لا أستطيع أن أقر ذلك ؛ إذ أن ما لدينا من إنتاج الأستاذ الإبياري شعراً ونثراً وتأليفاً ، يخالف منهج المرصني ومنحاه ، بل يقف منه موقف النقيض من النقيض ، فنثره مثقل بالبديع المستكره ، وشعره نمط من الطراز المملوك في سطحيته وتكلفه ، وتأليفه ضرب من الثقافة الغابرة التي تفضل القشور على اللباب ، ويكفي أن تعرف أنه أصدر كتاباً في مجلدين كبيرين جعله يدور على لغز ذهني في اسم الخديوي إسماعيل ، ثم استطرد فذكر فنونا من القول لا يجمعها في نطاق واحد

نفسه بدراستها دراسة ناقدة فاحصة ، فكان الكامل بين يديه يتم قصائده ، ويشرح عويصه ، ويتعرض لنسبة الأبيات ، ويترجم لصاحب الأثر ، ويشرح ما تركه المبرد دون إيضاح ، وكانت أمالي أبي علي القالي كذلك موضع اجتباؤه ، يناقش لغوياتها الملهمة ، ويعارض نصوصها المختلفة ، ويبحث في المخطوطات المتأكلّة عما غاب من القصائد ، فيكمل ما نقص ، وقل مثل ذلك في حماسة أبي تمام وعقد ابن عبدربه وأراجيز روبة والعجاج مما ترك أكثره مخطوطاً في ظلمات النسيان !! حتى جعل للآدب في الأزهر ركنين متين الدعائم ، وكانت حالته به إذ ذاك مدهشة مذهلة ، يصفها الأستاذ عبد العزيز البشري بالرسالة ^(١) فيقول :

« والآدب في ذلك الوقت أن تقول شعرا مقفى موزونا ، فإذا أعوزك العروض ، وعميت عليك أوزان الشعر ، فحسبك أن يكون المصراع في طول المصراع على شرط أن تتغزل ، فتغزل كلما طلبت مديحاً أو رثاء أوهجاء ، وكان الآدب يحمد من (المجاور) عند أشياءه إلا أن يسرف فيه ويجرد له صدره من وقته ، فإنهم كانوا يسكرون ذلك منه ، لأنه في الواقع يشغله بقدر ما عن توفير الذهن على الدرس والاستدكار ، ويرون هذا منه آية على (عدم الفتوح) وحسبه في العام

وناقدا لا يشق له غبار ، على أن هذا الهيام السكلف بكتب اللغة والأدب لم يمنعه أن يدرس حواشي الشريعة والأصول ويلم بالنحو والصرف إلمام من يدرك القاعدة العلمية إدراك الناقد المتفلس ، ونظرة منصفه إلى شرح السكامل تدل على ثقافة الرجل وإحاطته ، فهو يناقش سيديويه والمبرد وابن جني والمازني والتحليل في دقائق غامضة من قواعد النحو والتصريف ، فيناهض دليلاً بديل ، وقاعدة بقاعدة حتى ليخيل إلى القارئ أن الرجل صاحب نحو فقط ، وليس أدبياً جامعاً يأخذ من كل فن بجمهره الأصيل .

وإذا كنت لم أقف على ترجمة دقيقة لتاريخ الأستاذ ، تأخذ بيدنا في تحديد مركزه الأدبي في تاريخ الثقافة المعاصرة ، فإن ما ذكره تلاميذه الكثيرون عنه ، في نبذ سرية ، وشذرات موجزة تكفي لأن تصور ملامحه إذا جمع بعضها إلى بعض ، وهي بعد أقوال مخرصة لم تدفع بها رغبة مغرضة في تملق لإنسان ، إذ كتب أكثرها بعد وفاة الشيخ من ناحية ، وبعد أن أصبح المتحدث في منزلة أدبية تجعله فوق الملق الرخيص من ناحية ثانية ، على أننا لا نستطيع أن نسرد جميع ما قيل وإنما نكتفي بالبعض عن الجميع ... فالدكتور طه حسين يحدد مكانة أستاذه بين نقاد اللغة وأساتذة الأدب في عصره فيقول في كتابه " تجديد ذكرى أبي العلاء " :

غير التكلف والإرهاق ، وقد يكون الرجل معذوراً فيما يصنع ، لأنه يمثل ثقافة عهده واتجاه معاصريه ، ولكنه مع ذلك لا يمكن أن يتخرج على يديه أديب خل مطبوع كالمرصفي العظيم ، وربما أكب الطالب على حلقات أستاذه في طفولته الأدبية ، ثم بدا له أن يتحول عنها دون أن تترك أثراً ما في اتجاهه ونسبه وكلم من تلاميذه شافهموا بعض الأساتذة دون أن ينتفعوا بمنهجهم في الرأي ، ونظراتهم للعلم ، وقد هداني الرأي المتشدد إلى أن أميل إلى أن الأستاذ حسين المرصفي الأول صاحب (الوسيلة الأدبية) هو أستاذ المرصفي الثاني وملهمه ، فصاحب الوسيلة قد شد على متعارف جيله ، ورجع بالشعر إلى أخصب عصوره في الأدب العباسي ، وعلى يديه تخرج البارودي شاعراً خل التركيب ناصع العبارة ، رائع البيان ، والرجلان بعد من قرية واحدة ، وللكبير مكانة لدى الصغير فلا بد أن تكون الوسيلة الأدبية قد هدت صاحب رغبة الآمل إلى معين لا ينضب من البيان ، فبحث عن الأدب للباب ما حوته بادئاً ، ثم تخطى العصر العباسي إلى عصرى الجاهلية وصدر الإسلام فذهبا بإعجابه كل مذهب ، وطفق يبحث عما ضم أدبهما من السكتب ، فقرأ القديم من آثار الجاحظ والمبرد وابن قتيبة وأبي الفرج ، وتخرج وحده على هذه الآثار السلفية أدبياً خلا ،

والعويص من التراكيب ، متبجها إلى الذخائر السلفية العربية في شرحه وتفسيره ، وإن كنا نقف قليلا عندما قاله الدكتور طه حسين بصدد انصرافه الشديد عن مباحث النحو والصرف لأن ما لدينا من شرحه للكامل ، وهو في مجموعه صورة أمينة لما ألقى في حلقات دراسته ، لا يؤكد هذا الانصراف الشديد ، فللمرصفي مع أعلام النحاة والصرفيين موافق كثيرة تدل على الميل المقتصد لا على الانصراف العازف ، ولكنه لم يتخذ الحديث النحوي مجالا للمحاكمة اللفظية والغرض الجدلي ، مما امتلأت به حواشي المتأخرين ، واتجه إليه زملاؤه من الأزهرين ، بل نهج منهج الكسائي وسيبويه والمبرد في التصدي إلى الجوهر دون العرض ، أما طريقته البارعة في إنشاء الشعر ، وشرح الغريب ، فقد ألحح إليها تلميذه الأستاذ محمود محمد شاكر حين قال عن أستاذه (١) .

« وكان الشيخ حسن التقسيم للشعر حين يقرؤه ، فيقف حين ينبغي الوقوف ، ويمضي حيث تتصل المعاني فإذا سمعت الشعر وهو يقرؤه فهمته على ما فيه من غريب أو غموض أو تقديم أو تأخير أو اعتراض فكأنه يمثله لك تمثيلا لا يحتاج بعده إلى شرح أو توقيف وكان في صوت الشيخ معنى عجيب من الثقة

أستاذنا الجليل سيد بن علي المرصفي أصبح من عرفت بمصر فقها في اللغة ، وأسلمهم ذوقا في النقد ، وأصدقهم رأيا في الأدب ، وأكثرهم رواية للشعر ولا سيما شعر الجاهلية وصدر الإسلام .

ويعود الدكتور إلى الحديث عن منهجه الأدبي في مقدمة كتابه « الأدب الجاهلي » فيقول « ومذهب القدماء ما كان يمثله الأستاذ الشيخ سيد المرصفي حين كان يفسر لتلاميذه في الأزهر ديوان الحماسة لأبي تمام ، أو كتاب الكامل للبرد ، أو كتاب الأماشي لأبي علي القالي ، ينحو في هذا التفسير مذهب اللغويين النقاد من قدماء المسلمين بالبصرة والكوفة وبغداد مع ميل شديد إلى النقد والغريب ، وانصراف شديد عن النحو والصرف وما ألف الأزهريون من علوم البلاغة .

وكلام الدكتور عن أستاذه يتفق مع حديث الأستاذ أحمد حسن الزيات عنه إذ يقول (١) « كان أستاذنا المرصفي يطبعنا في النظم : على غرار الحماسة ، وفي النثر على غرار الكامل ، ويزين لنا أن ننظم معلقة كطرفه أو نثني خبراً كأبي عبيدة . »

فتهاذه هذين الأدبيين الكبيرين تؤكد أن الرجل كان مولعا بالشعر الجاهلي وشعر صدر الإسلام ، كلما بالغريب من القول

وميزان تقويم فهو يقول : عن أستاذه في اعتراز (١) .

وكان الشيخ المرصفي أول رجل تسامى إلى نقد مؤلفات الأكابر من القدماء ، وكان أول رجل أقر كرسى الأدب بالأزهر الشريف وكان أول رجل جعل للأديب مكانة بين جماعة كبار العلماء فكان بتلك الصفات أوجد عصره بلا جدال .

وتسامى الأستاذ رحمه الله إلى نقد مؤلفات الأكابر من القدماء كان حدثاً غريباً في بابهِ ، إذ أن زملاءه حينئذ كانوا يتعبدون بأقوال السلف من أولى العلم ، فإذا اضطُر أحدُهم إلى مخالفة مؤلف سابق جعل يتلصص له المعاذير ، في وجل وهيبة ، وكأنه يركب مطية ناشزة ، لا تؤمن معها حياة ، فجاء السيد المرصفي ليحاسب المبرد وأباتام وأبا علي وابن عبدربه بحاسبة قوية مفحمة فهو في شروحه المتتابعة للكمال والحجاسة والأمالى والعقد (٢) كان صلب المراس قوي المؤاخذه ، شديد العناد ، مما دفع ببعض المتسرعين من الأساتذة إلى وصف الرجل بالغرور والادعاء !! وإذا كان أكثر هذه الشروح الرائعة لا يزال مطعوراً في دقائق الخطية ، فإننا نأمل أن

والاقتدار ، وفي نبراته حين ينشد الشعر معنى الفهم للذي يتلوه عليك ، فلا تمكاد تخطئ المعاني التي ينطوى عليها ، لأنها عندئذ ممثلة لك في صوته .

فإذا أردت بعد ذلك أن تعرف كلف طلابه بدرسه ، فأليك ما حدثنا به عنه أستاذنا الكبير أحمد شفيق السيد في إحدى محاضراته بكلية اللغة العربية ، حين جاء ذكر المرصفي فأفاض في تعداد مواهبه ، وكان مما قال - معنى لا لفظاً - :

« إن درس الشيخ كان لا ينتهي بالأزهر حتى يبتدىء في منزله ؛ لأن أفواج الطلاب كانوا يتزاحمون على المسير معه في الطريق إذا نهض إلى بيته ، فإذا أتاه دخل معه نجباء أبنائه فأخذوا تحيتهم العاجلة ، وظلوا وإياه في سمر أدنى مشبع بالحب والاعتراز ، وكانت الكتب الأدبية تتراعى في حجرة الشيخ مركومة متراسة عن يمين وشمال ، يقرأ فيها الطلاب كما يشاءون ، ويستعيرون ما يريدون في شغف نهم وإقبال ودود . »

هذه نصوص مختلفة للأجلاء من تلاميذه المختارين ، وأظنها ترسم صورة واضحة من منهجه وخلقه ، وقد أبدع الدكتور زكي مبارك إبداعاً موفقاً حين لحص ريادة الأدبية ، وقيادته العلمية ، في مواقف محدودة ، فجاءت كلماته الصائبة في إيجازها الشامل لسان صدق

(١) الرسالة العدد ٣٩٨ .

(٢) كان للمرصفي يسميه « العقد » بضم العين وفتح القاف

فقد كان من اللائق أن يطرد النقاش في هدوء العالم ، وساحة الحليم ١١ .

على أن المسألة نفسية قبل كل شيء ، فقد يكون المرصني إذ يكتب بعض التعليقات هادئ الخاطر مستريح البال من بعض هواجسه ، فيقابل الخطأ الكبير من المبرد بكثير من التسامح ، فلا يزيد على أن يقول : غلط أبو العباس ، أو سها أبو العباس ، وقد يكون ضائق الصدر لبعض المخرجات من شئون الحياة فيضيق صدره لأدنى سهو ، ويهاجم الخطأ اليسير مهاجمة قاسية ، فإذا نسب المبرد بيتا من الشعر لغير قائله ، قال المرصني في غلظة : كذب المبرد^(١) ، وإذا بدل سهوا كلمة مكان كلمة قال المرصني في قسوة : هذا خلط وجهالة^(٢) ، وإذا رأى الناقد قولاً في اللغة ينفرد به صاحب الكامل رده وقال هذا بما انفرد به^(٣) ١١ ! ولست مع المرصني في ذلك إذ أن من حفظ حجة على من لم يحفظ ، وقد يكون أبو العباس مطالعاً على ما لم نطلع عليه بما غابت دقاته ، وانقطعت روايته ، وأولى بالناقد أن ينظر إليه كراوية صدوق ، على أن نقد الناقد في أكثر مناحيه يرجع إلى ذوق شخصي قبل أن يرجع إلى وضع منهجي ، وقد أدركنا من قراءة الكامل

يرى النور إذا فطنت إليه لجنة إحياء التراث القديم في وزارة الثقافة والإرشاد ، وحسبنا اليوم أن نحكم على صنيعه بالمبرد في الكامل فهو الوثيقة الميسرة للباحثين ، وبه يتضح الحكم عن حييدة وإنصاف .

لقد اعترف السيد المرصني في مقدمة الجزء الأول من شرحه الكبير أنه لم يجعل من رغبة الآمل شرحاً تفسيريًا لنصوص الكامل فقط بل اهتم ببيان ما حاد فيه أبو العباس عن سنن الصواب من خطأ في الرواية ، وخطأ في الدراية ، إذ كان المبرد يعتمد كثيراً في لفظه على جودة حفظه ، فربما نزع في غير فزاع عن القصد سهمه ، أو صعد في الأدب مرتقى زلت به إلى الحضيض قدمه^(١) . فهو إذن يجعل من همه الأصل بادي ذي بدء أن يكشف عن أخطاء المبرد ، معقداً أن صنيعه هذا أمر محتوم توجبه الدراسة الناقدة والنظرة الفاحصة ، ولو كان الشارح قد سجل على المبرد سقطاته ، وستر محاسنه ، لقلنا : إنه متحيز ممالئ ١١ ! ولكن المرصني ينصفه من خصومه تارة ، وينصف الحق منه تارة أخرى ، وإذا كان لنا أن نميل عليه في شيء فإننا نؤاخذه على قسوة العبارة في كثير من التعليقات ،

(١) رغبة الآمل ج ٣ ص ١٥٦ وغيرها .

(٢) رغبة الآمل ج ٢ ص ٢٣٥ وغيرها .

(٣) رغبة الآمل ج ٢ ص ١٨٣ وغيرها .

(١) رغبة الآمل ج ١ ص ٣٨ .

ووالله لولا أن يساء لرعتما
بما ليس بالمأمون من فتكاتي
قال المرصني مهتديا بذوقه السليم ، الرواية
لولا أن تساء لرُعته ، وهذا حق ، لأنه يقصد
ترويع الزوج وإفزاعه ، ويحرص على سلب
وهوئها الأمين .

وقد يكون للفظ اللغوى معان مختلفة ، فيفهمه
المبرد في سياق خاص على غير وجهه ، ولكن
ذوق المبرد من ورائه يشير إلى الخطأ في بصيرة
نفاذة وفهم عميق ، فقد ذكر المبرد مثلاً
قول الشاعر (١) .

منعمة بيضاء لو دب محول
على جلدها بضت مدارجه دما
فجمله شاهدا على أن بضت مأخوذة من بض
يبض بضاضة بالفتح والكسر في المضارع إذا
رق لونه وصفاً ، ورآه المرصني من بض يبض
بالكسر فقط إذا ترشح من صخر أو حجر
والمصدر البض والبضيض لا البضاضة بمعناها
الأول كما فهم المبرد ، وتلك لعمري دقة بالغة
في الفهم تدعو إلى الاحترام والنزاهة ولها نظائر
وأشباه (٢) .

أما إنصافه للبرد وردده على خصومه ، فقد
تكرر كثيراً في صفحات الكتاب (٣) ، وهو

(البقية على صفحة ٧٥٢)

وشرحه سعة علم المبرد وكثرة محفوظه كما لمسنا
دقة فهم المرصني ، ورقة ذوقه ، ومن هنا
اتسع المجال أمام الشارح للرد والمواخذة ،
فقد جعل يوازن بين الروایتين ، ويفاضل
بين النصين ، فيهديه ذوقه إلى ما يرفض به
رواية صاحبه عن ثقة واطمئنان ، فإذا روى
المبرد - مثلاً - قول الشاعر في هجاء الحجاج (١)
أينسى كليب زمان الهزال

وتعليمه سورة الكوثر
قال المرصني : هذا خطأ والصواب رواية
ياقوت في معجم البلدان ، وتعليمه صبية
الكوثر ، والكوثر قرية بالطائف كان الحجاج
معلم صبيانها ، والحق مع المرصني ؛ لأن معلم
القرآن الكريم لا يعلم سورة الكوثر فقط
بل يعلم غيرها ، فلا وجه لتخصيصها بالذكر
دون حادثة معينة يظن أن الشاعر قد اطلع
إليها ، أما رواية صبية الكوثر فنزهة عن
الاعتراض ...

وإذا روى المبرد - ثانياً - قول القائل (٢)
فيا بعل سلى كم وكم بأذاتها
عدمك من بعل تطيل أذاقي
بنفسى حبيب حال بابك دونه
تقطع نفسى دونه حشرات

(١) رغبة الأمل ج ٢ ص ٤٢ .

(٢) رغبة الأمل ج ١ ص ٨٧ وغيرها .

(٣) ج ١ ص ١٤٨ ، ٢١٧ .

(١) رغبة الأمل ج ٥ ص ٢٨ .

(٢) رغبة الأمل ج ٢ ص ٥١ .

الخدمات الاجتماعية

لطلاب العلم في الإسلام

للأستاذ حسن عبد العزيز نصر

ومن واجب العلماء أن يقوموا بنشر العلم وأن يشوقوا إليه ، ويدعوا الأخذ عنهم وهو أفضل أنواع الجهاد . جاء رجل إلى ابن عباس فسأله عن الجهاد ، فقال له ألا أدلك على خير من الجهاد ؟؟ تبني مسجداً وتعلم فيه الفرائض والسنة والفقه في الدين . وأي جهاد أفضل من جهاد الجهل ، وأفضل عبادة طلب العلم ، لأن تغدوا فتتعلم باباً من العلم ، خير لك من أن تصلي مائة ركعة وإن تعلمه خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وأعلمه من لا يعلمه صدقة ، وهو منار سبيل الجنة ... وعلى هذا نجد المسلمين يتسابقون في نشر العلوم ، فطلبوها من المهدي إلى اللحد ، وبنوا لها المؤسسات المختلفة ، وفتحوا أبوابها للقاصدين وأوقفوا أنفسهم للراغبين . وأول هذه المؤسسات « هو الكتاب » . وأول من أمر ببناء المكتبات هو عمر ابن الخطاب — ولم تكن معلومة عندهم قبله

إن المسلمين سبقوا غيرهم من الأمم في تقديم الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم والمعلمين ، وكان التعليم عندهم ركناً هاماً من أركان الحضارة ، وذلك لما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف من الحث على تعلم العلم وتعليمه فأول ما أنزل من القرآن هو الأمر بالقراءة ، التي هي أساس التعلم ، وإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نصب نفسه معلماً . لكي يقتدى به المسلمون في نشر العلوم والمعارف بين الناس . فقد جاء عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه « مر في مجلسين ، أحد المجلسين يدعون الله ، ويرغبون إليه ، والآخر يتعلمون العلم ويعلمونه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلا المجلسين على خير ، وأحدهما أفضل من صاحبه ، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه ، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منهم ، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل ، وإنما بعثت معلماً . ثم أقبل فجلس معهم ، كما أنه جعل « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

والحرام ، فالطلاب مكفولون به إلى أن يبلغوا الحلم ، وبني بجانب المدرسة الحجازية - بالقاهرة - مكتباً للسبيل ، فيه عدة من أيتام المسلمين ولهم مؤدب يعلم القرآن الكريم ، ويجرى عليهم في كل يوم لسل منهم ، من الخبز خمسة أرغفة ، ومبلغاً من الفلوس ، ويقام لسل منهم بكسوتى الشتاء والصيف ، وجعلت على هذه الجهات عدة أوقاف جليلة .

وكانوا كثيراً ما يبنون مكاتب السبيل بجانب المدارس ، حتى إذا أتم الطالب تحصيله في المكتب ، فإنه يلتحق بالمدرسة ، وله الجراية المستمرة ، ومن ذلك أن مجاهد الدين قنار الروى (المتوفى سنة ٥٩٥هـ) بنى مكتباً للأيتام في الموصل بجانب مدرسته التي أنشأها على دجلة . وبني القاضي الفاضل (المتوفى سنة ٥٩٦هـ) مكتباً للأيتام بجانب مدرسته الفاضلية ، وبني غيرها كثير ، خاصة في القاهرة فإننا قلنا نجد أحداً يبنى مدرسة إلا ويبنى بجانبها مكتب سبيل .

ولم تكن هذه المكاتب صغيرة ، فإن بعضها كان يتعلم به مئات الطلاب المعوزين ، أو الذين فقدوا آباءهم ، ولكنهم لم يعدوا من يتولى أمرهم ويحوى عليهم ، ويتعهد تربيتهم وتعليمهم . فقد (سقطت المنارة التي على باب مدرسة السلطان حسن في القاهرة ، فهلك نحو ثلثمائة نفر من الأيتام الذين كانوا

وجع بها أولاد المسلمين ، وعين لهم معلمين يعلمونهم ، وفرض للمعلمين وللمتعللين لى ينصرفوا إلى دروسهم كما فرض للقراء ، وفرض للناس على تعلم القرآن ، فكان الفاروق أول من فرض للمعلمين وللمتعللين . وإن بعض الخلفاء من اهتم بتعليم البدو فقد أرسل عمر بن عبد العزيز المعلمين إلى البدو ، يعلمونهم القراءة وأمور دينهم ، وفرض لهم على هذا .

وفي العصر العباسى تنوعت الكتاتيب ، فكان منها كتاتيب خاصة بتعليم اليتامى والمعوزين ، الذين لا يجدون ما ينفقون على أنفسهم فكان الخلفاء والأمراء وأهل الإحسان يبنون هذه الكتاتيب ، ويعينون لها المعلمين ، ويجعلونها عامة لسل قاصد وكانت تسمى « مكاتب السبيل » .

وأول كتّاب الأيتام وقفنا على ذكره هو الذى بناه يحيى البرمكى (المتوفى سنة ١٩٠هـ) ثم كثرت هذه المكاتب في المدن ، حتى لم تكن تخلو منها مدينة .

وكان بعضهم يبنى كتاباً للأيتام ، ويوقف له أوقافاً كثيرة ، تصرف على الذين يتعلمون به . كما فعل شمس الدين بن نظام الملك ، فإنه بنى مكتباً للأيتام ، وأوقف عليه وقفاً مستمرة الجدوى والكسوة والطعام . وتعليم الآداب ، وحفظ القرآن ، ومعرفة الحلال

والثقافة ، يقصدها الطلاب فيجدون فيها الكتب النادرة من طبية وفلسفية ورياضيات ومنطق وحكمة وآداب وعلوم مختلفة ، وهي بعدة لغات : العربية والفارسية واليونانية والحبشية والآرامية والعبرية وغيرها ، والدار مفتوحة لمن شاء النسخ أو الماطلة أو الترجمة أو الأخذ عن العلماء والفلاسفة الذين هم في الدار ، وفيها من لوازم الكتابة من أقلام ومحابر وورق وكل ما يحتاجه طلاب العلم . كل هذا نجده في دار الحكمة التي أسسها الرشيد في بغداد ، ثم وسعها المأمون ، حتى صارت من معاهد الثقافة العالية الممدودة في العالم . ولم تكن هذه الدار هي الوحيدة ، بل كان منها عدة دور في العالم الإسلامي ، وهي عامة لمن يقصدها ، بل إن بعضها كان ينفق على من يرتادها ، فكانت لعل بن يحيى المنجم (٢١١ - ٢٧٥ هـ) من نواحي القفص ضيعة نفيسة ، وقصر جليل ، فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة ، يقصدها الناس من كل بلد ، فيقيمون فيها ، ويعملون منها صنوف العلم ، والكتب مبدولة في ذلك لهم والصيانة مشتملة عليهم ، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى .

وكان في مدينة طرابلس دار حكمة ، وفي القاهرة دار حكمة أخرى ، وفيها من الخبر والأقلام والمحابر والورق وكل ما يحتاجه من

رتبوا بمكتب السبيل ومن غيرهم) فإذا كان من هلك تحت المنارة ثلثائة نفس ، فكم كان يحوى هذا المكتب ؟ .

هذا بعض ما وقفنا عليه من أمر التسهيلات التي قدمها المسلمون في نشر التعليم الابتدائي . أما الدراسة العالية : فكان لها معاهد مختلفة ، يجد فيها الطالب من التسهيلات ما يساعده على طلب العلم .

فكانت حلقات الفقه والحديث والآداب والسير والتفسير والنحو والفلسفة والطب والأخبار منتشرة في المساجد ، يتصدر الحلقة شيخ ، يلتف حوله من يريد الأخذ عنه ، وهي عامة لكل قاصد ، وربما تعددت الحلقات في المسجد الواحد - ليلاً ونهاراً - وقد أحصى المقدسي حلقات العلم في المسجد الجامع بالقاهرة وقت العشاء ، فإذا هي مائة حلقة وعشر حلقات .

وبجانب هذا نجد المسلمين يشيدون المعاهد العلمية المختلفة كدور الحكمة ، ودور العلم ، ودور الكتب ، وفتحوا أبوابها للقاصدين ، ويسروا لهم أمر الدرس والبحث والنسخ . أما دور الحكمة : فكانت مفتوحة للعلماء وطلابهم ، وهي مؤسسات للثقافة العالية وأشبه ما تكون بالأكاديميات في هذه الأيام يشرف عليها أجل العلماء والفلاسفة والأطباء والأدباء ، الذين هم على جانب كبير من العلم

على أن بعضهم كان يجري على من يقصدها من المحتاجين والمعوزين . فأنشأ أبو على سَنَوَار السَّكَاتِب (المتوفى سنة ٣٧٢ هـ) - وهو أحد رجال عضد الدولة البويهيين - دار كتب في مدينة (رام هرمز) على شاطئ بحر فارس ، كما بنى دار كتب أخرى بالبصرة وجعل فيها إجراءً على من قصدها ولزم القراءة والنسخ بها .

ويضيق بنا البحث عن تعداد ما كان من دور الحكمة والعلم والكتب في بلاد الإسلام والتي كانت تسهل نشر العلوم والمعارف بين سائر الطبقات .

ونجد بجانب هذه المؤسسات ما كان يغدقه الخلفاء وأهل الخير والمعروف على أهل العلم - العالم والمتعلم - ومن ذلك :

كتب الرشيد إلى الأمصار كلها - إلى أمراء الأجناد - أما بعد : فانظروا من التزم الآذان عندكم فاكتبوه في ألف من العطاء ، ومن جمع القرآن وأقبل على طلب العلم ، وعمر مجالس العلم ، ومقاعد الأدب ، فاكتبوه في ألفي دينار من العطاء ، ومن جمع القرآن وروى الحديث وتفقّه في العلم واستبحر فاكتبوه في أربعة آلاف دينار من العطاء ، وليكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الأمر المعروفين به من علماء عصركم وفضلاء دهركم ، فاسمعوا قولهم ، وأطيعوا أمرهم .

يقصدها ، كما كان للأغلبة دارحكمة أخرى . أما دور العلم : فهي مؤسسات ثقافية عامة مفتوحة لطلاب العلم وغيرهم ، وفيها كتب متنوعة ، ويتولاها شيوخ علماء ، وقلبا تخلو الدار من طلاب يطالعون فيها ، أو ينسخون عن كتبها ، أو يأخذون عن شيوخها - كل هذا بلا أجر - .

كانت دور العلم كثيرة في البلاد الإسلامية وتجذب في بعض المدن الكبيرة عدة دور منها ، كما كان في بغداد والقاهرة .

وأقدم دار علم هي التي أسسها جعفر ابن محمد بن حمدان الموصل (٢٤٠-٣٢٣ هـ) في الموصل ، وجعل فيها كتباً من جميع العلوم وقفاً على كل طالب للعلم ، لا يمنع أحد من دخولها إذا جاءها ، وإن كان معسراً أعطاه ورقاً وورقاً ، تفتح كل يوم ، ويجلس فيها إذا عاد من ركوبه ، ويجتمع إليه الناس ، فيملي عليهم من شعره وشعر غيره .

وكان في بعض دور العلم مساكن للطلاب ولهم من الجرايات والأرزاق بما يكفيهم ، ومنها أن القاضي أبا حيان المتوفى سنة ٣٥٤ هـ بنى في مدينة نيسابور داراً للعلم ، وخزانة كتب ، ومساكن للغرباء الذين يطلبون العلم وأجرى لهم الأرزاق .

وشاركت المكتبات العامة التي كانت منتشرة في بلاد الإسلام - في نشر الثقافة وتيسير العلم للطلاب فهي مفتوحة لمن يريد الاستفادة ،

وكان الوزير د ابن كلس ، يحب أهل العلم والأدب ويقربهم ، وكان يجري بأمر الله ألف دينار في كل شهر على جماعة من أهل العلم والوراقين والمجلدين - هذا بعض ما كان يجريه على أهل العلم .

على أن هذه الإجراءات والتسهيلات والمؤسسات التي بينها ، وإن كانت كثيرة ومتيسرة في كثير من المدن فإننا لا يمكننا أن نطلق عليها (التأمين الاجتماعي) بالمعنى الذي يفهم في هذه الأيام ، ولكن الأمور السالفة ساعدت على نشر العلوم في بلاد الإسلام - في الوقت الذي لا نجد لها مثيلاً عند الأمم الأخرى .

وإن التأمين الاجتماعي بالمعنى الحقيقي كان في القرن الخامس الهجري ، وذلك على إثر تأسيس المدارس ، وانتشارها في البلاد الإسلامية ، فكان للدارس من الوقوف المستمرة ما تكفل للطالب تأمين مسكنه وطعامه وكسوته وما يحتاجه من كتب ولوازم . ففي المدرسة غرف لمبيت الطلاب الغرباء والمعوزين . ولهم جريات مستمرة من وقوف المدرسة تكفل لهم كافة ضرورياتهم مدة الدراسة .

وأول من كان له الفضل في هذا التنظيم الدقيق هو الوزير د نظام الملك ، (٤٠٨ - ٤٨٥ هـ) الموافق (١٠١٧ - ١٠٩٢ م) فإنه

وكلب ابن الفرات (٢٤١ - ٣١٢ هـ) وزير المقتدر العباسي ، يجري على خمسة آلاف من أهل العلم والدين والبيوت والفقراء ، أكثرهم مائة دينار في المشهد ، وأقلهم خمسة دراهم وما بين ذلك :

ولما أراد الخليفة المعتقد بالله العباسي (٢٠٩ - ٢٨٩ هـ) بناء قصره في (الشامية) ببغداد ، استزاد في الذرع بعد أن فرغ من تقدير ما أراد ، فسئل عن ذلك ، فذكر أنه يريد له لينى فيه دوراً ومسكن ومقاصير ، ترتب في كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية ، ويجرى عليهم الأرزاق السنوية ، ليقصد كل من اختار علماً أو صناعة رئيس ما يختاره ، فيأخذ عنه .

هذا ما كان في بغداد - إحدى حواضر الإسلام - أما في القاهرة فإن الأمير طولون اشترى محلة بأسرها وأوقفها على مسجد وعلى من ينزل به من الغرباء وأهل الفضل وطلبة العلم ؛ نفقة لهم ، حتى لا تختل أمورهم ، ولا يصيبهم من الخلل ، كان هذا في أواخر القرن الثالث الهجري .

واشترى العزيز بالله الخليفة الفاطمي سنة ٣٧٨ هـ داراً إلى جانب الجامع الأزهر ، وجعلها لخمس وثلاثين من العلماء ، وكان هؤلاء يعقدون مجالسهم العلمية بالمسجد في يوم الجمعة بعد الصلاة حتى صلاة العصر .

المختلفة كما فعل نور الدين محمود زنكي (٥١١ - ٥٦٦ هـ) فإنه بنى مدارس ودور حديث ودور قرآن ومكاتب سبيل في بلاد الشام والجزيرة ومصر والعراق - وكذا صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ - ٥٨٩ هـ) فإنه بنى معاهد مختلفة في القدس ومصر والشام ، وأوقف لها أوقافا كثيرة ، فكانت بلاد الإسلام عامرة بمدارسها المختلفة بفضل ما بناه أهل الخير ومحبي العلم - حتى أقصى البلاد الإسلامية ، فذكر ابن بطوطة أنه عند ما وصل (مقدشو) أمر السلطان أن يسزل (بدار الطلبة) وهي معدة لضيافة الطلبة وذكر عن بلاد (اللور) أن السلطان أحمد عمر ببسلاده أربعائة وستين (زاوية ومدرسة) وأنه قسم خراج بلاده أثلاثا ، فثلث منه لنفقة المدارس والزوايا والثلث منه لمرتب العساكر ، والثلث لنفقته ونفقة عياله .

وكان في الموصل سنة ٦٥٦ هـ (٢٨) مدرسة ، و (١٨) داراً للحديث ، و (٢٧) زاوية ، سوى المكاتب ودور القرآن .

(البقية في العدد القادم)

صنع عبد العزيز نصر

بنى المدارس في كثير من البلاد الإسلامية ، وأوقف لكل مدرسة ما يلزم لإدامة عمارتها وأثاثها ، وما يحتاجه الطلاب من السكن والكتب والطعام والجرايات الوافرة التي تعينهم على مداومة الدرس .

عرفت هذه المدارس بالنظامية ، وأول مدرسة بناها نظام الملك هي التي كانت في بغداد فتحت سنة ٤٥٩ هـ الموافق (سنة ١٠٦٦ م) ثم بنى غيرها في كثير من البلاد فلم يخل منها بلد ، حتى (جزيرة ابن عمر) ، التي هي بزاوية من الأرض لا يؤتى لها بنى بها مدرسة كبيرة حسنة .

وبعد هذا نرى الخلفاء والملوك وأهل الإحسان يتسابقون في بناء معاهد العلم المختلفة ، من مدارس ودور حديث ودور قرآن وزوايا ، وكانوا يوقفون لكل معهد ما يكفي لضيافته وإدامته ، والنفقة التامة على طلاب العلم والمدرسين الذين يتولون التدريس فيه ، فكثرت المؤسسات العلمية في سائر البلاد الإسلامية حتى صار في بعض المدن منها ، ما يعد بالعشرات .

ولئن بعضهم كان يبنى عدة معاهد في المدن

الفقه والقضاء

للأستاذ عباس طه

ذلك شيء.. مادمت قد أخلصت لله في ترسمك
مواقع الصواب وتحريك مدراج العلم
وانتهاجك منهج أسلافنا الصالحين
يا أبا موسى :

إن القضاة إن أرادوا عدلا

وفصلوا بين الخصوم فصلا

فزحزحوا في الحكم منهم جهلا

كانوا كمثل الغيث صاب محلا (١)

يقول العلامة نجر جيله ورسول إنجيله
أستاذنا الإمام محمد عبده في كتابه « الإسلام
والنصرانية » ، ليس على القاضي في خطئه
إذا أخلص النية تعقيب فهو بشر قبل كل
شيء . إنما عليه المأخذ تأخذه بالنواصي
والأقدام إذا انزل في مزلق الهوى وأحاطت
بعنقه الشبهات فالقاضي المتحرر من قيود
النصوص وأعباء المراجع التي تحدد إدراكه
وتقديره للواقعات غير مبق على كتاب
يصرفه عن تكوين رأى أو تأسيس نظر
هو قاضينا وهو مجتهدنا ، إذن فاعطني قاضيا
ولا تعطني قانونا .

(١) المسكان الفقير .

الفقه في كل عصر وجيل نقطة ارتكاز
يرتكز عليها القضاء في ممارسة ما يعرض له
من أفضية وما يتصل به من ملايسات تجعله
خاضعا للون من ألوان عصره ، وزمانه وقد
مكن للقاضي فيما وراء ذلك ، ففي عنقه أمانة
كبرى هي استنباط العظات والعبر من تجاربه
مضافة إلى قوة ممارسته للأحداث والواقعات
فيما يصدر عنه من أحكام ، فليس القاضي
سوى رجل مطالب بأن يجمع بين الاعتبارات
والتطورات حسبما تمليه وقائع كل عصر وكل
زمن ما دام يستند إلى أصل شرعى ، ثم
لا عليه بعد ذلك أن يخطئ* إذا كان مرد
خطئه الاستنباط البرى . والاستناد إلى
أصل شرعى .

حكى الإمام الجاحظ في كتابه « البيان
والتميين » ، أن عمر وهو الذى ولى أبا موسى
الأشعرى القضاء ترامت إليه الأنباء بأن
أبا موسى يصدر في أحيان قضاءه وهو منحرف
عن المحجة وقد أعوزته الحجة فكتب إليه عمر
يقول له : يا أبا موسى بلغنى أنك وأنت على
دين موفور وعقل راجح وبدية مخصبة بضل
بك المسلك عن إصابة الحجة فلا عليك من

مشرعون ومقننون ومارسوا المراجع الكبرى والأصول العامة كالكتاب والسنة والقياس والإجماع فاختلفوا في تقديرهم وطرق استنباطهم وطلعوا على الناس بفروع اصطلاحوا على تسميتها الفقه . وهي فقه حقا لأنها مست مرافق الحياة وأحاطت بأمراضها وعللها وردت كل فرع إلى أصله حتى أضحت المنهل الصافي الذي ترد إليه عامة الناس وخاصتهم ليستقوا منه ماء النير غير أن فريقا من المصنفين جاءوا في حقبة من حقب التاريخ فصاغوا الفقه الإسلامي صياغة لم ترض كل الناس من ذوى الاطلاع ومن أسهموا في تاريخ الفقه الإسلامي بكل شبر وذراع فكان تعقيد في العرض والتواء في المآخذ وعكس في المقاصد وإبراز قاتر لأرجح الآراء لأن ؛ جبهة منهم كانوا من الأعاجم لا من العرب الذين التوت عليهم المقاصد العربية وندوا عن تفهم أصولها « ومناهجها » فظهرت هذه العجمة في العرض والعبارة والاستنتاج حتى ضاق أنصاف المتعلمين والطالبون بذلك العرض وتلك المتون وتبرم بتلك الأساليب فرق كثيرة من أهل الاطلاع والعلم . ومن ذلك نشأت حيرة القاضي في بعض الأحايين . فالمفروض في القاضي أن يجد مردا لقضاياه وطريقا معبدا سهلا في مراجعته ومآخذه فإذا عرضت

فالفقه الإسلامي (وإن كان مصبوغا بلون من ألوان الفقه القديم كالفقه الروماني والفقه الفرعوني مثلا وما إليهما من ألوان الفقه) قد قطع مرحلة كبيرة في إشباع الغرائز القوية والفطر السليمة من حيث علاج المجتمع في علله وأمراضه وما يعرض له من نوبات تجعله في بعض الأحايين متأرجحا يمشي الوجي إلى الطريق الأمثل . فلقد كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تحمل الهدى والرشاد إلى نبي البشر لأنها (خلاصة مئات من القرون تعاقبت فيها رسل وأنبياء ومرشدون ووعظة وهداة وقضاة فكانت الدعوة النبوية مؤسسة على أفضل الأسس وأقومها لأنها خيار من خيار انتهت في مصير أمرها عسلا مصفى ولينا خالصا سائغا للشاربين) .

والفقه الإسلامي من أروع وأجل ما صنف العرب منذ أقدم الأجيال حين جمعت الفضائل الخلقية والغرائز المثالية في بوتقة واحدة صهرتها ثم جعلت منها نظاما عاما للبشرية يقتنى الناس أثره ويضربون في الحياة على هداه فالفقه بسليقته قسطاس مستقيم ينهل منه كل صاد لأنه المنهل العذب الذي تصدر عنه شتى مراجع الحياة ومستقرها فهو الذور الساطع إذا عميت السبل على الحكماء وشملت الحيرة قلوب أهل الخبرة . لكن قيل بعد ذلك هبط إلى الأرض

يستحق التقدير والثناء كالصنيع الذى صنعه العلامة دبوسى فى تفصيل هذه المذاهب بين علماء علم الخلاف .

وفى الحق أن الفقه الإسلامى بحالته الراهنة قد مزج المذنبات المتلاحقة فى عصور سابقة بأنبىء المثل وأسماءها وأسلك الطرق وأنجأها فهو الذى رقى بالإنسانية وبعث فيها حوافز الرحمة التى يجب أن تسود بين بنى الإنسان . إن الإسلام فى دقة مراميه وسمو معانيه قد محا الفوارق بفلسفته التشريعية وقضى على الأثرة والتشيع .

عباسى ط

له شهادات أسعفه النص الواضح والطريق القويم من التصنيف والقوانين التى تعاقبت على المحاكم فى السنين الأخيرة قد حلت كثيراً من الأحاجى الفقهية وأنت على قسط وافر من أمراض المجتمع غير أنها لم تف الوفاء كله بالمطلوب :

قال العلامة الكبير أبو زيد عبيد الله دبوسى الحنفى المتوفى سنة ١٢٣٢ هـ فى كتابه المسمى « تأسيس النظر » ما يستدل به على أن كثيراً من علماء الفروع مسرفين فى طريقة العرض وطريقة التدليل وطرائق الاستنتاج ولم يسبق فى تاريخ الفقه صنيع

(بقية المنشور على صفحة ٧٤٣)

واستبدل القاهرة بحاضرة العباسيين . وقد عاش الرجل العظيم مقدراً مهيباً بين تلاميذه ورؤسائه ، مرموق المكانة فى محيطه وأمتة ، فكان فى شبابه موضع احترام الأستاذ الإمام وتقديره ، ثم اختير فى كهولته عضواً بارزاً فى جماعة كبار العلماء ليحفظ بها للأدب مكانته ، ولم يفارق الحياة فى سنة ١٩٣١ حتى رأى بعينه أبنائه فى حلقات الدرس يقودون زمام الرأى فى مضمار الصحافة والتأليف ، ويتسمنون زعامة الفكر فى أقطار العروبة ، ففر عينا بما غرس ، وأدرك أن دوحته الوارفة قد آنت من كل زوج بهيج .

محمد رجب البيومى

برهاننا الذى لا يدفع على أن الرجل لا يريد انتقاص صاحبه ، ولا يتكلف الادعاء مغترا بما علم كما وهم الواهمون^(١) ولسكنها جمحات القلم فى ظروف خاصة تدفع صاحبها إلى بعض الشطط ثم يعاوده الهدوء المتزن ، فيميل إلى النصفة والاعتدال ، ولو كان الموصنى يرى المبرد غير ثقة فيما يقول ، ما عكف على شرح الكامل وتدريسه ، فقطع زهرة شبابه فى تفهم أسرارها ، واكتناه مراميه ، وجاء شرحه الفخم فى أجزائه الثمانية دليلاً ملموساً على أن المبرد قد عاد إلى الحياة مرة أخرى بالأزهر

(١) دارت معركة أدبية حول هذا الوهم

بمجلة الرسالة السنة الخامسة سنة ١٩٤١ .

مَا يَقَالُ عَنِ الْإِسْلَامِ

الاسلام في إفريقيا الشرقية

للأستاذ عباس محمود العقاد

والإسلام في عالم العقيدة هما الديانتان الجديرتان
بالعناية ، وكل ما عداهما فهو بربرية
وعقب على هذه الكلمة فقال : إن وصف
البربرية شديد بالنسبة إلى الديانات الأخرى
التي كشفت حقائقها بعد عصر الدكتور
جونسون ، ولكنه استرسل في وصف
الإسلام ليقول : إنه الديانة الوحيدة التي تعد
على الدوام تحدياً ، أو مناجزة لجهود التبشير
والمبشرين ، ثم مضى يسرد المعلومات التي
تطابق الواقع أحياناً وتناقضه أحياناً ونجترى
منها بالمهم من وجهة النظر الإسلامية في السطور
التالية :

يقول الدكتور ليندون هاريس - بعد ذلك
التهديد - بصريح العبارة : إن جهود التبشير
بين المسلمين في إفريقيا الشرقية عقيمة لا تؤذن
بالنجاح القريب ولا بالنجاح المضمون ،
وإن تليجتها كلها إلى اليوم عدم (Nil)
ولا يرجى أن تتغير هذه الحالة بغير جهود
متواصلة يطول عليها المطال .

ألف هذا الكتيب الدكتور ليندون هاريس
علم من أعلام التبشير في القارة الإفريقية ،
وقصره على البحث في أحوال الإسلام
والمسلمين بين أهل زنجبار وبمبا وتنجنيقا
وما جاورها من بلاد السواحل الإفريقية ،
وجمع فيه معلومات متفرقة يتحرى في بعضها
الدقة العلمية والمطابقة للشهادات الواقعة
لأنه يريد بها اطلاع العاملين في التبشير
على حقيقة الموقف للاستعداد لها بما يصلح لها
من العدة الكافية والوسيلة المجدية ، ولا يملك
في بعضها الآخر أن يتجرد من آرائه وأهوائه
كلما تعرض لشرح العقائد الإسلامية وتفسير
الحوادث التاريخية وما أثر المسلمين في العالم كله
وفي تلك البلاد على التخصيص ، فهو فيما عرض
له من هذه الأمور مصطبغ بصبغته التبشيرية
على الرغم منه أو باختياره ورضاه ، مطاوعة
لغاياته وهواه .

بدأ معلوماته باقتباس كلمة الحكيم الانجليزى
صمويل جونسون التي يقول فيها : إن المسيحية

يقول عن السمعة العامة التي تعوق: إن الوطنيين يقرنون بين الرجل الأبيض والمستعمر وبين دياناته وديانة المبشرين ، وإن جماعات التبشير تحسن صنعا إذا اتخذت في السياسة مسلكا يعزل فكرة التبشير عن فكرة الاستثمار في عقول أبناء البلاد الأصلاء .

ويروى المؤلف من أعمال الدعوتين أن القرآن الكريم ترجم إلى اللغة السواحلية ترجمتين : أحدهما بقلم كانون ديل المبشر (سنة ١٩٢٣) لم يقبل عليها أحد من الوثنيين وكاد أن ينفرد المسلمون باقتنائها ، وإن كانوا لا يعولون عليها .

والترجمة الأخرى نقلها «الأحمديون» الهنود وحشوها بالبحوث الفقهية (اللاهوتية) التي لا يطبقها أبناء البلاد الأصلاء ، ويرتضيها المسلمون أهل السنة من قراء الكتاب باللغة العربية .

وبتطرب المؤلف في هذا السياق إلى الشيع الإسلامية فيروى كلمة للشاعر محمد إقبال ينمى فيها على المسلمين في بلاده أنهم أصبحوا كالبراهمة في تعدد الشيع والنزعات .

ومن المشاهدات التي يرددها المؤلف أن أثر المسلمين في بلاد العرب الجنوبية أظهر من أثر إخوانهم الذين ينتمون إلى سائر الأقطار الآسيوية ، ويستدل على ذلك بعدد الإفريقيين الذين يقبلون على مساجد هؤلاء

ويخرج من هذه النتيجة بتقرير الواقع الممكن من أعمال التبشير ، وهو توجيه الجهود إلى أبناء البلاد الإفريقيين الوثنيين ، فإن الجهود في هذه الوجهة لا نذهب سدى ولا يزال الأمل في نجاحها مفتاح الأبواب لمن يحسنون الوصول إليها ، وإن كانت هذه الأبواب مفتحة للبشرين وللعاملين على نشر الدعوة الدينية من المسلمين ، ومفتحة كذلك للمسلمين الذين يستميلون الوطنيين إلى ديانتهم بغير دعوة منتظمة .

ويذكر الدكتور ليندون عقبات الدعوتين بين القبائل الوطنية التي تحكم على الغرباء بالسمعة العامة بين سابقة ولاحقة .

فالمسلمون يشيع عنهم - أو يشاع عنهم - أنهم هم وحدهم المسؤولون عن أعمال النخاسة في المصور الماضية ، ولا يذكر المؤلف شيئاً عن النخاسة في إفريقية الغربية ، وهي تدل بآثارها على الفارق بين النخاسة المنسوبة إلى تجار العرب وغيرهم من الآسيويين ، وبين النخاسة الأوروبية الأمريكية التي نقلت السود إلى العالم الجديد ، وعدتهم الآن هناك لا تقل عن ستة عشر مليوناً من الرجال والنساء ، وهم أضعاف الأرقاء السود الذين نقلوا من بلادهم إلى الأقطار الآسيوية في عدة قرون .

أما التبشير المسيحي فالدكتور ليندون

ينحصر عملها في تحفيظ القرآن وتعليم الهجاء والمطالعة الأولية ، ولا تصحب هذه المدارس - أو المكاتب - أعمال أخرى من قبيل أعمال الخدمة الاجتماعية التي ينشئها الغربيون ، إلا قليلا من المعونة يقوم بها أهل الخير هنا وهناك من قبيل الصدقة والإحسان .

يقول : « إن الإقبال على التعليم الحديث وفقا للبرامج الأوروبية يقبل عليه المسيحيون والمسلمون على السواء ، وقد كان المسيحيون يدخلون أبناءهم مدارس المبشرين ويؤثر المسلمون لأسباب دينية أن يعلوا أبناءهم في المدارس الحكومية ، ولكن هذه المدارس الحكومية مبعثرة متباعدة بين أطراف البلاد الداخلية ، وأكثر التعليم على البرنامج الغربي تتولاه مدارس التبشير ، » .

ثم يقول : « إلا أن مدارس السواحل الإسلامية التي تشرف عليها الحكومة تقارن بأفضل المدارس التي يديرها المبشرون ، ويقبل عليها أبناء الهنود والعرب ، مع اتجاه الرغبة أخيراً إلى نشر التعليم العصري وقيام الطائفة الإسماعيلية على الأكثر ببناء المدارس لنشر هذا التعليم ، وقد تم بناء نحو خمسين مدرسة على البرنامج الحديث منها ثلاث مدارس ثانوية نشأت كلها بعد الحرب العالمية الثانية ، » .

ويوازن المؤلف بين الوسائل فيرى أن

وهؤلاء ، وبالصلوات الاجتماعية التي تنمقد بين كل من الغريقتين وبين الإفريقيين السواحليين وغير السواحليين الذين يدنون بالإسلام ، فإن أبناء البلاد الأصلاء يأنسون إلى الجالية العربية عندهم منذ عهد بعيد .

ولا يحاول المؤلف أن يطمس الفارق بين أثر العرب وأثر الأوروبيين الأسبقين إلى استعمار إفريقيا الشرقية ، فإنه يقرر أن البرتغاليين قضوا فيها نحو مائتي سنة لم يتركوا بعدها أثراً من آثار الحضارة النافعة ، ولم يعقبوا بعدهم غير ذكرى الخراب الذي حل على أيديهم بالمعاهد والمعابد الإسلامية ، ولم يزالوا حيثما نزلوا يخربون وينهبون حتى استغاث السواحليون بالإمام سعيد صاحب عمان ، وهو والد سعيد الأول سلطان تولى من هذه الأسرة حكم زنجبار .

أما العرب الذين انتقلوا إلى السواحل فإنهم نقلوا إليها الكتابة والعارة وأدوات الحضارة وطبعوها بطابعهم في كثير من أحوال المعيشة . ويتساءل المؤلف عن المستقبل فيقول : ماذا عند العرب يعطونه الإفريقيين بعد اليوم وماذا عند الأوروبيين ؟ .

ثم يجيب قائلا : إن الأوروبيين يعطون المدارس والمستشفيات والمرافق العصرية ويرجعون على العرب بمدارسهم التي تعد الطالب الوطني لأعمال الحياة العامة والخاصة في العصر الحديث ، ولكن المدارس العربية

المبشرين أبناء البلاد الأصلاء الذين تحولوا عن عقائدهم الأولى على أيدي بعثات التبشير منذ سنين . فإنهم أحرى أن يقابلوا الدعوة الإسلامية بشعورهم الوطنى الدينى ، فيؤدّون هنا عملاً لا ينتظر من المبشرين البيض .

قال : « إن ابن القبيلة الإفريقى يلح نظافة المسلم شخصاً ورتبة كما يلح المكانة التى يكسبها بأدب (الحشمة) الاجتماعية وتعلق مكانة الرجل الإفريقى بهذه الحشمة المصطلح عليها ، وهى مكانة ذات شأن حيث يعيش الناس على مرأى بعضهم من بعض فى حيزهم المحدود ، فلا جرم أن يعترف المسلم بهذه الحشمة فوق اعتزازه بكل شيء ؛ لأنها مقياس خلقه وحياته ، وبها يستدعى المناظرة ومحاولة التشبه به من أبناء البلاد الأصلاء . »

ثم ختم الرسالة ملحاً على التنبيه إلى « المناجزة المتحدية » من قبل الإسلام ، مهيماً بأنصار التبشير الغربيين أن يضاعفوا العون الذى لا غنى للتبشير عنه لبلوغ الغاية منه ، ... « فليس فى وسع البعوث التبشيرية أن تعهد للمبشرين من أبناء إفريقية الأصلاء دعوة إخوانهم المسلمين ، ولكنها بغير هؤلاء لا يرجى لها نجاح ، »

عباس محمود العقاد

وسائل الإسلام أقل من وسائل المبشرين ، ولكنه قدم لذلك برده فى الحسب على المستقبل فقال : « إنه ليس فى الوسع أن يذبح أحد بمصير الأمور فى بلاد تتوالى فيها المفاجآت على غير انتظار ، فلا يبعد أن يميل وقاص الساعة كرة أخرى إلى جانب الإسلام ؛ لأنه عامل من العوامل الحاضرة أبداً فى هذه البلاد . »

وعند المؤلف أن المؤثرات المعنوية تتقابل فى نفوس المسلمين فتعطيم من جانب عوضاً مما تسلبهم من الجانب الآخر ، ولا يلبث المسلم أن يستكين شعوراً منه بالفارق بينه وبين الغربيين فى الزمن الحديث حتى تثوب إليه العزة نفراً بماضى الإسلام العريق ، وأن هذا الفخر - كما يقول المؤلف - لعامل مهم جداً فى هذا الموقع من بلاد العالم ، إذ ليس للإفريقى تاريخ يذكره ويفخر به قبل أجيال معدودات .

ويخلص المؤلف من ذكريات الماضى ونبوءات المستقبل إلى خطة يرى أنها كفيلة بإتمام جهود المبشرين الأوربيين التى يعجزون عنها فى موقف المقابلة بين التراث الإسلامى العريق والتراث الإفريقى الحديث ، فإن المبشر الأوربى قليل الجدوى فى هذا المجال ، ولكن جدواه القريبة إنما تنتظر من

مَحْنَا فَرْزُ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

العابد المثالى "الفجر"

للاستاذ ابراهيم محمد نجا

من وراء الظلام أقبل يسرى عابد فى ثيابه البضاء
وعلى وجهه يرف صفاء مستمد من قلبه الوضاء
أينما سار ، فالظلام ضياء عبقرى الاطيفاف والالاء
جاء يسرى ، والبدر فى الافق يسرى كسرى المستهام فى الظلواء
تارة يأمن العيون ، فيبندو فإذا خاف . جد فى الاختفاء
ورياح المساء تبعث نجوا ها لروح الطبيعة العذراء
فتثير الحنين فى كل قلب من قلوب العشاق والشعراء
وأنا جالس على الربوة الخض راء ، والروح ساج فى الفضاء
ساهر أنظم الحياة بروحى فى قصيد يزهر بسحر الأداء
وأبث الوجود أشواق نفسى لعمود قد أمعنت فى التناثى
وأغنى . . . وياله من غناء ! ثم أبكى . . . وياله من بكاء !

* * *

ظل يسرى حتى أتى الغاب فانسا ب إليه كالجدول المترائى
ومضى فى رحابه مستشفا كل ما فيه من بديع الرواء
وقفه عند أيكته تتجلى عن غرام مستعذب وغناء
عند غصن يداعب النور عطفيقه ، فيغضى وينثى فى حياء
وتريق الندى عليه النسيجا ت ، فيهتز هزة الحسناء
عند زهر كأنه الشفق الحسا لم بين السحائب الشهباء
عند نهر كأنه الامل البيا سم يبدو فى ظلة البأساء

وعلى الجدول الذى راح يصنعى فى فتون إلى حديث المساء
وقف العابد التقي يصلى للإله العظيم رب السماء
ويناجيه فى خشوع عميق كنبى فى ساعة الإيحاء
قال : يا خالق الوجود جميلا لقلوب إلى الجمال ظاء
إن هذا الجمال يغمر نفسى بضياء الهدى ، ونور الصفاء
إن هذا الجمال يسمو بروحى فى جواء طليقة الأرجاء
فأراني بها هزارا طليقا يتغنى بأمنيات وضاء
هز أشواقه نداء خنى فهفا هائما وراء النداء
عائدا للخفاء موطنه الناء نى ، وقد جاء من ضمير الخفاء
كسفين أضله البحر دهرًا وهداه السرى . . . إلى الميناء
وأراني بها شعاعا رقيقا يتسامى بأشوق نحو العلاء
هائما سابحا إلى الشاطئ الثا نى ... على موجة من الأضواء
إن هذا الجمال لحن جميل ساحر الجرس ، فائن الأصداء
أنت أبدعته ، فكان نشيدا هز روحى وخافقى ودائى
هو بين الهول همس ونجوى وهتاف فى القمة العليا
كل ما فى الوجود روح جميل رائع فى الظلام أو فى الضياء
ساحر باهر خريفا وصيفاً مشرق فى الربيع أو فى الشتاء
غير أن العيون لا تسبر الأعماق . . . بل تستقر فوق الماء
وأنا أبصر الوجود بروحى فأرى كل ما به من بهاء
يا إلهى لأنت نبع حياتى وحياتى من أعظم الآلاء
فلك الشكر يا بديع البرايا ولك الحمد مبدع الأشياء
يا إله الوجود تلك صلاتى ملؤها نشوق وهذا دعائى
فتقبلهما مناجاة روح برئت من نوازع الأهواء
واعف عني إن لم أحظ بك عليا أنت فوق النهى ، وفوق الذكاء
ووداعا يا أيها الغاب حتى يأذن الله بيننا باللقاء

ابراهيم محمد نجما

أَرْاءُ وَأَحَادِيثُ

زعيم المسلمين في الفلبين :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمسكنه السيد / أحمد ألونتو زعيم المسلمين بالفلبين وعضو الشيوخ ، ودامت المقابلة أكثر من ساعتين يجعل فيها فضيلة الأستاذ الأكبر حديثاً يتصل بالإسلام عقيدة وشرعية إجابة على الأسئلة التي قدمها السيد ألونتو إلى فضيلته ؛ وسيداع هذا الحديث في كل من الفلبين وإندونيسيا والملايو وتايلاند .

وقد شكر السيد الزائر فضيلة الأستاذ الأكبر على جهوده القيمة التي يبذلها في سبيل نشر الثقافة الإسلامية في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، كما شكره على إجابته على الأسئلة التي قدمها إلى فضيلته .

كما حله فضيلته حديثاً إلى جميع مسلمي الفلبين ودعاه لهم بالتوفيق والعمل بكتاب الله وسنة رسوله .

نصيحة الحريث :

إخواني وأبنائي المسلمين :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد : فإنه ليسعدني أن أتحدث إليكم فيما يخص

الشئون الإسلامية ويوضح معالم الطريق أمامكم ويكشف لكم عن كثير من جواهر الدين الإسلامي ودرره ، وإنني لأشكر أخى في الله السناتور أحمد دومامكو ألونتو على ما رفع إلينا من أسئلة تحقق لنا ولكم هذا الاتصال الطيب ، وأشكره كذلك على ما قدم إلينا من شكر على ما سمعنا عناية بأمور المسلمين ، وعلى اتصالنا بكم في مطلع شهر رمضان وفي أول يوم من أيام عيد الفطر المبارك ، وأقول له : إن ذلك كله واجب ديني تحتمه شريعتنا ويفرضه ديننا نحو إخواننا المسلمين في العالم أجمع ، وكذلك أشكره على ما قدم لنا من عرفان بجميل الأزهر الشريف وقبوله طلاباً من أبناء المسلمين في الفلبين ، وكذلك عن استقباله في قاعة المحاضرات الكبرى في الأزهر الشريف يوم أن ألقى محاضراته الطيبة ، فكانت صلة بيننا وبين ثلاثة ملايين مسلم ، وأقول له : إن أملنا في نهضة المسلمين ودفعهم إلى الإمام وتعريفهم بشئون دينهم الذي جمع بين سعادتي الدنيا والآخرة ليجعلنا نسقط من حسابنا كل جهد يبذل وكل مشقة تكون ، سائلين المولى أن يجعل المسلمين على قلب رجل واحد ؛ أمة واحدة

قوله تعالى « وأولى الأمر منكم » ، فالحكومات المستعمرة التي تتدخل في شئون المسلمين الدينية لا تقدر مصلحة الناس ولا تحرص على شئون المسلمين ، فهذه لا طاعة لها - أما الحكومات التي هي من صميم الشعب فقد بينا حكم طاعتها فيما أسلفنا وأنه يجب على المسلمين أن يطيعوها فيما لا يخالف أمر الله

٣ - الضريبة متى كانت عادلة يراد بها تحقيق مصالح الشعب مثل إنشاء المعاهد والمستشفيات وتعميد الطرق والمواصلات وكل ما يعود بالنفع والخير على الأمة وجب على المواطنين جميعاً أداؤها وإلا كانوا مقصرين في حق دينهم وفي حق أوطانهم . ويجب أن يعلم هنا أن مال الضرائب التي تفرضها الدول العادلة بناء على تقدير أهل النظر والاختصاص في المصالح شيء وراء الزكاة فلا تغني عنه الزكاة ، فالزكاة شيء والضريبة شيء آخر فقد جمع الله في بعض آياته بين الأمر بالزكاة وبين الحث على الإنفاق وذلك في قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ،

متراسة البناء قوية قويمية ، لتقف أمام كل بغى أو طغيان ، كما كانت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده ، ولذا فإننى أبدأ بالإجابة عما قدم أخى السيد / أحمد دوماكو وأدعو الله أن يوفقنى بدوام الاتصال بكم لتقف على أسرار كتاب الله وسنة رسول الله ، فأقول والله المستعان .

١ - إن واجب المسلم نحو حكومته هو الطاعة ما لم يخالف أو امرها أمر الله ولا أمر الرسول أو تنافى مصلحة المسلمين وعلى المسلم فى هذه الحدود السمع والطاعة وما لم يكن فى ذلك معصية لله ولرسوله فعلى المسلم السمع والطاعة فقد عرف شرعاً أنه لا طاعة للمخلوق فى معصية الخالق .

٢ - وواجب المسلم لا يختلف ولا يقل ولا يخف نحو حكومته مادام كل عملها للمصلحة العامة وما دامت لا تخالف أو امرها أو أمر الله ولا أوامر الرسول ولا فرق فى ذلك بين حكومة علمانية أو دينية وخاصة إذا ما كانت الحكومة دائماً ترعى شئون المسلمين وتحرص على شعائر الإسلام يخطئ من يفهم أن أولى الأمر الذين أوجب الله طاعتهم فى قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ، يخطئ من يقول إنهم الحكماء مطلقاً وإنما هم أولو الشأن الذين يعرفون أوامر الله ويقدرُونَ مصلحة الناس بدليل

غير إسلامية تفرض على تلاميذها دراسة الدين (غير الإسلامى) .

سابعاً : عندما يوجد عدد من المدارس الحكومية اللبنانية ، ومدارس دينية غير إسلامية ، ومدارس إسلامية تقوم بنفس الوظيفة ، هل يجوز للمسلم أن يطلب العلم في غير المدرسة مفضلاً عليها المدرسة اللبنانية أو الدينية غير الحكومية ؟ .

ثامناً : هل يجوز للمسلم أن يحرم على المسلمين طلب العلم في مدرسة غير إسلامية أو مجتمع غير إسلامى ؟ وهل تعلم اللغة الانجليزية أو لغات غير المسلمين حرام ؟ وفي هذه الحالة ما هو واجب المسلمين المتقدمين تجاه إخوانهم الذين تخلفوا ؟ .

وقد أجاب فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا : الإسلام رفع من شأن العلم والعلماء ووردت آيات كثيرة وأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ، وقد حث القرآن بنوع خاص على التفكير في الأرض وفي السماء والهواء وما سخر الله من شيء للإنسان لمعرفة أسرار الله في السكون والارتفاع بها في الحياة وبذلك كان العلم في نظر الإسلام غير خاص بالعلم الدينى أى بمعرفة الحلال والحرام والظاهر والنجس وإنما يعنى كل إدراك يقيد الناس في حياتهم . فإدراك ما ينبت البذر

فأنت ترى من هذا أن الصدقات شيء آخر وراء الزكاة .

٤ - قد قرأنا في صدر الكلام أن أوامر الحكومات مالم تختلف مع أوامر الدين أو تناقضها وجب تنفيذها وطاعتها .

العلم والفن في نظر الإسلام :

ما رأى فضيلتكم في :

أولاً : واجب المسلم تجاه البحث عن العلم والمعرفة بصفة عامة ؟ .

ثانياً : ماهو العلم والمعرفة في نظر الإسلام .

ثالثاً : هل يعتبر الإسلام المعرفة ناحية أساسية في تقدم الإنسان ؟ .

رابعاً : هل يستطيع المجتمع الإسلامى أن يحفظ كيانه وبالتالي يبقى على الإسلام إذا رفض أن يعنى بأسباب المعرفة لمجرد أن المدارس الموجودة علمانية فقط ؟ .

خامساً : مامدى واجب المسلم في تحصيل العلوم الطبيعية مثل الطب والهندسة والزراعة والجغرافيا والرياضة والفلك وما شابه ذلك من العلوم مثل التأريخ والعلوم السياسية واللغات والآداب والفنون الجميلة مثل الموسيقى والرسم والرقصات التقليدية والنحت وما شابه ذلك ؟ .

سادساً : هل يجوز للمسلم - في حالة عدم وجود مدارس إسلامية أو علمانية - لكي يحصل على المعرفة ، الالتحاق بمدرسة دينية

عامة في أنحاء الأرض أن يساعدوا إخوانهم في إنقاذهم من الجهل وتعليمهم أمور دينهم . كما يجب عليهم إنقاذهم من أيادي الاستعمار فإن الجهل شر على الأمم من الاستعمار .

تعلم اللغات الأجنبية :

وتعلم اللغات الأجنبية شأن من شئون التقدم الإنساني العام وبقدر ما تجهل الأمة من لغات العالم بقدر ما تجهل من علومه وآدابه ، وقد عرفت الترجمة والمترجمون في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كما استخدمت الترجمة في نشر الدين وتعريف أحكامه في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم في الصدر الأول وقد أثر ترجمة دقل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ، ولما اختلط المسلمون بالدول غير العربية اتسعت معارفهم عن طريق تبادل اللغات وترجم الغربيون كثيراً من علوم المسلمين وانتفعوا بها كما ترجم المسلمون كثيراً من علوم الغربيين وانتفعوا بها ونزولا على هذه المبادئ قرر الأزهر الشريف في عهده هذا تعليم اللغات الغير العربية شرقية وغربية لينشر الدين باللغة العربية وغيرها .

ويصلح الأرض ، علم وإدراك القوى الحربية علم ، وإدراك كل ما يقدم الناس في حياتهم علم . فالطب والكيمياء والهندسة والصناعة والذرة كل ذلك علم مما نوه الإسلام به ولا فرق في أن تعلمه المدارس الدينية التي يديرها المسلمون والمدارس التي يديرها غيرهم ، أما المدارس التي تلزم المسلم بتعلم غير دين الإسلام فهذه يجب على المسلمين أن يبتعدوا عنها ، فإنه لا يصح للمسلمين أن يتعلموا فيها .

واجب المسلم القوى نحو أفعيه الضعيف :

أما واجب المسلمين المتقدمين بالنسبة للمتخلفين فهو واجب المسلمين الأقوياء بالنسبة للمسلمين الضعفاء في تخليصهم من أسباب الضعف والهوان ومعنى هذا أنه يجب على المسلمين العلماء أن يعلموا إخوانهم غير المتعلمين ويحثوهم على العلم إذ العلم طريق رقى الأمم وحياتها . والجمهورية العربية بما آتاه الله من قوة في العلم وفي المعرفة أولى أن تهني عناية خاصة بهذه الشعوب المتفرقة في آسيا وإفريقيا تبصرهم بشئون دينهم وتعرفهم بشئون دنياهم فإن كثيراً من هؤلاء كان الجهل يأكلهم ويسد الطريق أمام تقدمهم - كما يحول الاستعمار بينهم وبين معرفة دينهم . ولذا فإنني أعود فأقول : إن من حق المسلمين على الجمهورية العربية المتحدة أن تقدم لهم كل ما يحتاجون إليه من علوم ومعرفة ويجب على المسلمين

عادات بين مسلمي الفلبين :

يا صاحب الفضيلة ، إن بعض العادات البالية في بلادى تقف حجر عثرة في سبيل التقدم والرقى : هذه العادات تتعلق بأمور كثيرة : مثل حالات الوفاة والزواج ، والاحتفالات : فعلى سبيل المثال تعتبر الوفاة فرصة للإسراف فى إنفاق أموال الورثة على اعتبار أنها صدقة تمحو سيئات المتوفى إذ يدعو الورثة أهالى المنطقة جميعا ويوزعون عليهم ما يسمونه (بالصدقة) كما يدفعون للذين يصلون صلاة الجنازة والذين يسرون فى الجنازة : بل أكثر من ذلك يستمر الإنفاق مدة سبعة أيام حيث يدعى الناس لبیت المتوفى يأكلون ويشربون ويؤجرون وذلك ليقوموا بالتكبير والتهليل .

ثم وجه السناتور دوماكو ألتو لفضيلة الأستاذ الأكبر طائفة من الأسئلة أجاب عنها فضيلته قائلا :

أما ما تذكرون من عوائد الإنفاق والبذل فى المآتم على النحو الذى ذكرتم من الإسراف فليس إنفاقا فى سبيل الله وليس إنفاقا يأمر به الإسلام ولا صدقة تنفع الميت ، والصدقة المطلوبة تكون للفقراء والمساكين ، أما الإنفاق من أموال اليتامى القصر فهذه جريمة دينية نص القرآن على تحريمها وإن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون

فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ، والإسلام ليس له مراسم خاصة ولا طقوس معينة فى الجنازات ، وإنما يرى أنه يجب على المسلمين وفاء لأخيهام المسلم أن يبادروا جميعا بمجرد العلم للتشييع جنازته حسبة من غير أجر ومعونة لأهل الميت ، وكذا الصلاة والدفن ، وكل هذا من غير أجر ويحرم على المسلمين أن يأخذوا أجرا على تشييع جنازته وتغسيله وتجهيزه وكل شىء يتصل به وإنما يفعلون كل ذلك حسبة يلتمسون أجره من عند الله ، وكما ينكر الشرع أخذ الأجر على هذا ينكر الشرع التكبير والتهليل أمام الجنازة أو فى بيته أو إقامة سرادقات أو استقبال المعزين . وما كان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يخصصون أياما للتعزية ، ولا أما كن لتقبل هذه التعازى . إنما الذى كان يقع ويعمله الصحابة أنه بعد الدفن ينصرف كل إنسان إلى عمله ، وإذا اتسع حال أحد من أهل الميت أو من غيرهم بالتصدق أو مواساة أهل الميت بإعداد الطعام لهم لأنهم مشغولون بمصيبتهم يجوز لهم ، وقد عرف ذلك فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

ويجب على الحكومات الراشدة مكافحة هذه العادات فى طوائف المشيعين والمغسلين وقراء القرآن على القبور .

زواج المسلم بغير المسلم :

يجوز للمسلم أن يتزوج غير المسلم بشرط

الرضا بين الزوجين (رضاها ورضاه) وصيغة العقد هي أن تقول هي زوجتك نفسي، أو أن يقول وليها زوجتك موكلتي فلائنة على كتاب الله وسنة رسوله زواجا شرعيا على صداق قدره كذا وليس بلازم أن تقول على مذهب أبي حنيفة أو غيره . وأن يقول الزوج قبلت زواجك أو زواجها وذلك بحضور شاهدين غير معروفين بالفسق والخروج عن الدين .

والصداق شأن من شئون الزواج لا بد منه وقد أباح النبي صلى الله عليه وسلم الزواج مهما كان المهر ولو على خاتم من حديد ، وهذا هو حده الأدنى فالمهر هو ما تراضى عليه الطرفان قل أو أكثر ، والمغالة في المهور بمعنى توقف الزواج على المهر الكثير الذي تنوء به قدرة الزوج ليس من الإسلام في شيء ، وما المهر إلا وسيلة من وسائل قضاء المصلحة والتعاون والذي يدفع المهر هو الزوج وهو ملك له ، ويبدأ استحقاقها للنهر بالعقد ويتم بالدخول ، ولا يأخذ أحد من أهل الزوجة شيئا منه أبدا وإنما هو ملك لها . والحكمة في دفع المهر أنه حفظ لكرامة المرأة وتعاون على تكوين البيت وتكوين الأسرة .

والاحتفال بالأعياد هو في الواقع احتفال بذكرات أحداث كان لها شأن في تاريخ

أن تكون من أهل الكتاب ، وقد جاء في القرآن : اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذين أخدان .

على هذا درج المسلمون يتزوجون من المسلمين ومن غير المسلمين بشرط أن تكون كتابية يهودية أو نصرانية أما المجوسية التي تعبد النار أو الشمس والقمر ، فلا يجوز للمسلم أن يتزوجها كما لا يجوز للمسلمة أن تتزوج غير المسلم ولو كتابيا (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) .

لجواز إكراه البنت على زواج لا رضاه :

والصحيح من المذاهب الإسلامية المؤيدة بالأدلة النقلية الصحيحة أنه لا يجوز للأب ولا لولي الأمر أن يكره الفتاة على زواج من لا ترضى بزواجه فالرضا شرط صحة للزواج من الجانبين ويجوز للمرأة أن تبشر العقد بنفسها من غير وليها متى كانت عاقلة تفهم معنى الزواج وتقدره ، وقد رد النبي زواج البنت عندما أخبرته أن أباه قد أكرهها على الزواج من غير من تحب .

أما الشروط الأساسية للزواج فنحن كما تقدم

وعلى العلماء جميعاً أن يدينوا للناس ما هو مشروع من هذه الأشياء وما هو غير مشروع نسأل الله أن يجمع الجميع على ما فيه خير الإسلام والمسلمين .

وإني أكرر شكرى للسيد الوزير وللشعب الفيليبين وأحمله تحياتنا إلى هذا الشعب أسأل الله التوفيق وأن يطهر بلادنا من الاستعمار وأن يحمينا من الجبهة والمبتدعين

وليس للصدقات أوقات معينة وإنما وقتها وقت ظهور الحاجة إليها من الفقير والمسكين ، وأما أرواح الموتى فشان غيب لا يعلمه إلا الله لا ندرى متى تحضر ولا متى تغيب .

ولا ينبغي تلقيب الرسول صلى الله عليه وسلم بالمقدس وكأور دى سؤا اليكم ، إننا صلى الله عليه وسلم بشر وعبد من عباد الله اصطفاه الله بالوحى وكرمه بالمنزلة العالية والمقام المحمود وأما الصدقة على روحه صلى الله عليه وسلم فتقول لأنها لا تختص بإنسان دون الآخر وإنما هى مال ينفق فى سبيل الله ويسد حاجة الفقير والمسكين . والله المستعان ، يا أيها الذين آمنوا استجيئوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحسبكم ، ، وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ؟

الإسلام فالاحتفال بها إحياء لوعى ما تضمنته من إرشاد وتوجيه وإقدار على الخير وسعى لبناء مجتمع فاضل يقوم على أساس من الإيمان الصحيح والعقيدة الحقة، وهى دروس تاريخية فلهجرة ترينا وتذكرنا بهجرة الباطل وأهله إلى الحق ونصرائه وأن أرباب الحق لا بد أن يهجروا الباطل والإسراء يذكرنا بفضل الله على نبيه وقدرته على إيوائه وإكرامه . وليلة القدر تذكرنا بأكبر نعم الله على عباده وهو إنزال القرآن الذى به هداية المسلمين وسعادة الناس أجمعين وكذلك الاحتفال بميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم . أما الاحتفال بالعيدين فهو يذكرنا بتوفيق الله للمسلمين على صوم رمضان وتوفيقيهم لأداء نعمة الحج بالنسبة لعيد الأضحى ، أما عن عاشوراء ونصف شعبان فلم يرد فى الاحتفال بهما شيء يعتد به .

وإن الأهمية فى هذه الأعياد أنها من باب الذكريات . والذكريات تحيى الأمم ولس لها طقوس خاصة إذ الاحتفال إنما هو الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم وبما كان يفعله أصحابه . وأخيراً فإن الاحتفالات التى انتشرت بين المسلمين يجب النظر فيها من جهات :

أولاً : من جهة بعدها عن المحرمات وخلوها من الإسراف والتبذير وينبغي أن يعنى أهل العلم يشرح آثارها التى ترتبت على أحداثها وتوجيه المسلمين إلى أهدافها .

الكتاب

نقد وتعرّيف

عرض لكتاب « اللغة الشاعرة »

للكاتب الكبير الأستاذ عباس العقاد

الناشر مكتبة الانجلو المصرية في ١٦٠ صحيفة قطع متوسط

- كتاب « اللغة الشاعرة » دراسة عميقة ، وبحث واف مركز ، عن لغتنا العربية .
والكتاب يتناول إجمالاً ناحيتين هامتين تشبع الأولى منهما نهم الباحث اللغوي ، الذي يحلل المشكلات اللغوية من وجهة نظر علم اللغة Linguistics كما تحقق الثانية رغبة الناقد الأدبي الذي يعنى بالفكرة في إطار العبارة والأسلوب .
- وينتظم القسم الأول من الكتاب الموضوعات الآتية :
- الحروف ، المفردات ، الإعراب ، العروض ، أوزان الشعر ، المجاز والشعر ، الفصاحة العلمية .
- أما القسم الثاني فهو موضوعاته هي : لغة التعبير ، الزمن في اللغة العربية .
- الشعر ديوان العرب ، نقد الشعر العربي ، النقد العلمي .
- الشعر العربي والمذاهب العربية الحديثة : فموضوعات صدر الكتاب تبين أهمية لغتنا العربية بما خصت به من مزايا لا توجد في غيرها ، وقد فصل فيه القول دبالّة علمية موضوعية تعتمد على اللغة نفسها ، فحرفها واضحة الخارج ومفرداتها موسيقية المقاطع فهي لغة تدرج كل كلمة فيها ضمن نوع معين من موسيقى التركيب اللغوي « الأوزان الصرفية » كما أن الإعراب قد خلق فيها حرية التركيب والبناء ، فلا يلتزم الفعل والاسم فيها موضعاً معيناً كما في غيرها من اللغات بل البناء مرن حيث يرتبط فهم المعنى بالإعراب في أواخر الكلمات .

وسوء نية ، لأن الدعوة إلى إلغاء الأوزان ذات البحور والقوافي لا تأتي من جانب سليم ولا تؤدي إلى غاية سليمة ؛ فلا يدعو إليه غير عاجز عن النظم ... وقد استطاع الشاعر العامي نظم القصص التاريخية والملاحم في بحور الشعر العربي ، دون أن يعرف العروض .

ولكن الأستاذ العقاد لا يرى مانعا من قرض الشعر على أوزان أساسها التفعيلة العروضية العربية ، فقد أشاد ببحث الأستاذ « خليل اللاوردي » ، الذي انتهى من بحثه إلى إمكان التنوع في الأوزان العروضية ...

فمقاطع العروض وتفاعيله « أشبه بحدود الكلمات التي تتألف من الحروف الأبجدية ، على حين أن الحروف الأبجدية قلما تزيد على الثلاثين » .

ويعقب الأستاذ العقاد في هذا الموضوع على الأستاذ « خليل » ، فيقول « فهما يكن من تيسير الأوزان بالتنوع والتوفيق ، فلا مناص بينها وبين الكلام المرسل في سهولة الأداء ... ولا بد في هذا السياق من تفرقة أخرى ، هي التفرقة بين القواعد والقيود في كل فن من الفنون ...

ومن تجاربنا في الشعر العربي يتبين لنا أن قواعد النظم عندنا مؤاتية للشاعر في كل تصرف يلجئه إليه تطور المعاني والتعبيرات في مختلف البيئات والازمنة » .

ومن أجل هذا جعلها علماء اللغات في القمة بين اللغات السكاملة التصريف .

أما العروض فأوزانه التي تعتمد على المقاطع المركبة من توالي الحركات والسكنات بوضع خاص ، فهو قسمة الموسيقى الفنية في لغتنا العربية وقد وضع الأستاذ العقاد كيف أن فن الوزن في العروض يحمل في طياته الجمال الموسيقي ، وهذه خاصة من خصائص الشعر العربي ، بخلاف الشعر في اللغات الأوربية التي نعرفها ، فإن اعتماده على ما يصاحبه من رقص أو توقيع أو غناء أو موسيقى أو إنشاد ، وغيرها من الأمور التي بدونها يصعب تمييز الشعر عن النثر .

وقد أكد الأستاذ العقاد أن هذا الفن ليس أثراً من آثار المزاج السامي السريع الاستجابة للوثرات ، ولكنه قد اعتمد في نشأته على الحداء ، والحداء غناء منفرد موقع على نغمة ثابتة ، ولا بد للغناء المنفرد من القافية ؛ لأنها هي التي تنبه السامع إلى المقاطع والنهايات ، خلافا للغناء المجتمع الذي يشترك فيه الكثيرون فيعرفون من سياقه أين يكون الوقوف وأين يكون الاسترسال ... ولا بد للغناء اللازم لحركة واحدة من الحداء لمسايرة الحركة ومجاراتها في إيقاعها .

وقد نعى الأستاذ العقاد على ما يسمى « بالشعر الحر » ، فهو في نظره قصور وإفلاس

حين أن هذا الزمن يبلغ ضعف ذلك أو يزيد في بعض اللغات الأوروبية . فليس هذا عن إهمال لشأن الزمن في لغتنا ، بل إن اللغة العربية تذهب إلى العناية بالزمن مذهبا بعيدا فقد جعلت لكل فترة من فترات اليوم اسما خاصا ، فهناك الهزيع والفجر والشروق ، والضحي والظهيرة ، والقبولة والعصر ، والأصيل والغروب والعشاء والعمّة وغيرها . ونضيف من جانبنا أن بعض الأفعال في العربية يدل بصيغته على الزمن النحوي ، وباشتقاقه على وقته من اليوم الفلكي . ويتضح هذا جليا في بعض أخوات د كان ، مثل أصبح وأمسى وأضحى وأظلمّ وبات . فمن ناحية الأفكار والمعاني نجد العربية أدق وأوفى . أما الأجرومية فتختص بتركيب وبناء المفردات في الجملة ، فلكل لغة أسلوبها الخاص وقواعدها الخاصة . ويجب ألا يقتحم نظام الأجرومية في لغة على نظامها في لغة أخرى . ولا وجه حيثئذ للمقارنة أو المفاضلة . فيظهر أن كتاب د اللغة الشاعرة ، برمته كان مجموع مقالات وأبحاث أعدها الأستاذ العقاد سلفا ، إذ كثيراً ما يشير إلى أنه فصل ذلك في مقال سابق . كما أن بحثه القيم « الزمن » كان قد ألقى كمحاضرة باسم الجمع اللغوي . وهذا تقليد حبذا لو تبعه الباحثون حين يكتبون في هدوء وروية بحوثهم ، ثم يجمعونها في كتاب خاص لتعم الفائدة .

أما المجاز فقد فقد في هذا الفصل الأستاذ العقاد فكرة بعض المستشرقين التي تزعم أن الصناعة اللفظية - من التشبيه والاستعارة والسكناية وغيرها - هي موضع العناية الكبرى في الأدب العربي ، وأوضح سبباً لذلك انعدام التذوق اللغوي لدى المستشرقين ، هذا التذوق الذي يجعل العربي بفطرته لا يفهم من المجاز أو التشبيه إلا المعنى المباشر ، دون نظر في التفصيلات .

أما الفصاحة العلمية فقد حدد المؤلف في هذا الموضوع السمات والمظاهر التي تكون فصاحة الكلمات العربية المترتبة من حروف د أصوات لغوية ، وكيف أن هذا وغيره كان السبيل لتوحيد اللهجات العربية المتفرقة في لهجة واحدة د لغة مشتركة ، ينظم بها الشعر وتستعمل في المهم الجاد من القول ، وبلغت أوجها حين نزل بها القرآن الكريم .

أما القسم الثاني من الكتاب الذي يعنى الناقد الأدبي ، فقد أوضح فيه المؤلف كثيراً من القضايا التي يحاول البعض أن يقحمها على لغتنا العربية مما هو مختص ببعض اللغات الأوروبية .

فمثلا بين لنا الأستاذ العقاد في موضوع « الزمن في اللغة العربية » أن لغة الضاد ليست عاجزة ، وأن أجزائها ليست ناقصة حين جعلت الزمن د النحوي ، ثلاثة أنواع ، على

يحتوى هذا الكتاب الذى قام بتحقيقه الدكتور إحسان عباس الأستاذ بجامعة الخرطوم ، على أربع رسائل لابن حزم .

الأولى فى الرد على ابن النغيلة اليهودى فى افتراءاته على الإسلام ، والثانية فى مناقشة فقهاء المالكية ومجادلتهم ، والثالثة أسمائها : التلخيص لوجوه التخليص ، وهى رد على أسئلة متفرقة والرابعة فى الرد على الكندى الفياسوف .

وفى الرسالة الأولى لم يكتف ابن حزم - كما يقول المحقق بالرد على مفتريات اليهودى ، الذى ألف كتابا فى نقض القرآن ، ووصل فى الأندلس إلى مرتبة الوزير فى عهد ملوك الطوائف ، ومات قتيلا من جراء تسلطه على الإسلام ، لم يكتف ابن حزم بالرد على أضاليله ، وإنما كان يشفع كل رد بنقد لاذع لإحدى مسائل التوراة لافتنا نظر اليهودى إلى أن بيته من زجاج ، وفى القسم الثانى من الرسالة ناقش ابن حزم بعنف جانباً مما أسماه الطوام ، التى وردت فى كتب يهود .

وفى الرسالة الثانية : ناقش ابن حزم فقهاء المالكية ، والخصومة بينهم وبينه كانت دائماً على أشدها فطالبة ابن حزم بإلغاء : القياس والرأى والتقليد ، لم تسكن تعنى سوى إشعال حرب شعواء لا هوادة فيها — كما يقول الأستاذ المحقق .

هذا ولم تحش المطبعة مقام الأستاذ العقاد ، فغيرت بعض الكلمات تغييراً قد يعده من يتقصى الهفوات خطأ مقصوداً . فقد ذكر المؤلف فى ص ٣٣ - ٣٤ بعض آيات من القرآن الكريم وأن موسيقاها وافقت بعض أوزان الشعر . وقد ذكر هذه الآيات كمنادج للبحور : الطويل والمديد والبسيط والكامل والخفيف والرمل ، على التوالى — وهذا هو الترتيب الطبيعى للأنواع الأولى من البحور العروضية ، وقد ساق الآية الثانية مثالا لبحر المديد وهى : « إن قارون كان من قوم موسى ، على حين أنها من بحر الخفيف وتقطيعها : إن قارو — فاعلاتن . ن كان من — متفع لن . قوم موسى — فاعلاتن . فيكون هذا المثال مكرراً كنموذج للخفيف مع هذه الآية : « وتوكل على العزيز الرحيم » .

وبعد : فالكتاب قد أثار السبيل أمام الباحثين فى الثقافة العربية الأصيلة العميقة ، وأمدهم بأسلحة علمية ، ونظرات صائبة حين يتعرضون للرد على « دعاة الهدم المستترين وراء كلمات التقدم والتجديد ... ولا خير فى دعوة يتولاها العجز العقيم والضعيفة النكراء » .

دكتور عبد الله درويش

١ - الرد على ابن النغيلة اليهودى لابن حزم ونشر دار العروبة بالقاهرة .

هذا عرض موجز لرسائل ابن حزم الأربع قام بتحقيقها الدكتور إحسان عباس ، وقدم لها بمقدمة تمهيدية بلغت أكثر من أربعين صفحة ودلت على سعة علم الدكتور وعنايته العناية التامة بما التزم تحقيقه ، والحق يقال : إن لهذه المقدمة تقديرها لدى كل مشقف مطلع ، وقد بذل المحقق جهداً مشكوراً عليه ، واستطاع أن يقدم لنا عقلية إسلامية ناضجة . إلا أن الدكتور ، لم يعن بتحقيق الأعلام التي ورد في الكتاب ، ولهذا أهميته كما هو معروف ، كما لم يعن بتوضيح معان وردت كما عني بتفسير قليل من الألفاظ العسيرة ، وكنا نود بعد ذلك أن تنال الرسائل الثلاث الأخيرة ما نالت الرسالة الأولى من العناية في تحقيقها .

٢ - شعراء نجد المعاصرون :

للأستاذ عبد الله بن إدريس : المؤلف من خيرة أدباء المملكة العربية السعودية ، ومن يحتلون مكاناً قيمياً بين أدباء الطليعة هناك ، وكتابه هذا والذي يقع في أكثر من ثلثائة صفحة من القطع الكبير ، كتابٌ جديد في فكرته ، وأعتقد أنه الكتاب الأول من نوعه .

قدم له يبحث تمهيدى مسهب ، عرض فيه

وفي الرسالة الثالثة : التلخيص لوجوه التلخيص، فهي «خلاصة للاستقصاء في البحث والقدرة على الوضوح والوعى والدقة وفهم أحوال الدين والدنيا» وجاءت دراسة لمسائل على جانب من الأهمية ، تناولت الكبائر وهل تتفاضل ، ومتى تسكفر ، ومتى ترجى النجاة للإنسان ، وهل هناك شفاعاة ؟ كما تناولت قضيتين أخريين : الأولى قضية نزل الخالق إلى سماء الدنيا — كما ورد في الحديث المشهور - ومناجاته لعباده أن يطلبوا منه سبحانه الغفران ، وأقر ابن حزم هذا الحديث .

والقضية الأخرى : قضية الفتنة التي عمت بلاد الأندلس الإسلامية يومئذ من جراء مطامع الحكام وشهواتهم ، واعتبر ابن حزم هؤلاء محاربين لله ورسوله وساعين في الأرض فساداً .

أما في الرسالة الرابعة ، فقد تولى ابن حزم مناقشة الكندي الفيلسوف في كتابه والتوحيد، وهي الرسالة التي كتبها الكندي في الفلسفة إلى المعتصم بالله العباسي ، وهذه الرسالة المنسوبة إلى ابن حزم مضطربة السند إلى درجة أن المحقق استبعد نسبتها إلى ابن حزم ، وغلب نسبتها إلى أستاذ ابن حزم « محمد ابن الحسن المذحجي ، إلا أن ابن حزم قرأها وزاد عليها بعض تعليقات من لدنه .

على نحو جديد من البحث « السيكولوجي »
للعوامل الاجتماعية والأحداث ، والمؤثرات
الإنسانية التي ساعدت على تطور الشعر
في نجد ...

ونحن نقف مع المؤلف وقفة سريعة هنا :
فالاستاذ عبد الله بن إدريس ترجم لأكثر
من عشرين شاعراً معاصراً ، وقدم مجرد دراسة
سريعة خاطفة لشعرهم من الجانب النفسى
للشاعر ، ولكنه لم يقدم لنا نقداً فنياً
متكامل البناء لهذا الشعر ، وبذلك تأتى الدراسة
كاملة ناضجة ..

كما أن المؤلف الأديب فى معظم القصائد
لم يعن بشرح الألفاظ العسرة ، كما لم يوضح
اتجاهات الشاعر فى ما قصد من المعانى .

والإلفاة الأخيرة ، أنه قدم نماذج لبعض
الشعراء جاءت كلها مديحاً مصطنعاً ، وتزلفاً
رخيصاً ، وقد يعتذر ، بأنه لم يحصل على إنتاج
لهم سوى هذا ، وهو عذر مقبول ..

وبعد : فالكتاب مع هذا وذاك سفر
له قيمته ، وحسبه من التقدير أن يكون مرجعاً
يتبنا فى هذا الموضوع ، إلا أننا نود
أن يسبق هذا الكتاب كتاب عن شعراء نجد
منذ العصر الجاهلى إلى ما قبل العصر الحديث ،
فيصبح لدينا مرجع متكامل له أهميته ..

* * *

للشعر ونشأته وتطوره ومركز نجد فى الشعر ،
ووضع نجد تجاه النهضة العربية ، كما عرض
للشعر المعاصر واتجاهاته فى نجد ، لا سيما
الاتجاهان : الرومانتيكى والواقعى .

واحتل بقية الكتاب وهو القسم الأكبر
منه ، تراجم للشعراء المعاصرين ، ونماذج
من أشعارهم ، وإلقاء أضواء لتحليل شعرهم ،
وفى مقدمة هؤلاء : ابن عثمان ، وخالد
الفرج ، والأمير عبد الله الفيصل ، وناصر
أبو أحيمد ، ومحمد الفهد العيس . وغيرهم .

ذكر المؤلف فى المقدمة أنه حين فكر
فى الكتاب وضع نصب عينيه : أن الشعر
المعاصر فى منطقة نجد يكاد يكون مجهولاً كل
الجهالة ، ومطموراً فى متاهات النسيان من
قبل القراء والمثقفين فى العالم العربى ، وأنه
مضطرب « إلى أن يملك هذا الدرب شبه
المغلق عسى أن يتهدى فيه إلى ميدان التجمع
العربى - فكرياً - ومن ثم يعبر الطريق
رواد آخرون ... » .

وهذا قول صدق ، وقد بذل المؤلف جهداً
كبيراً مضنياً ، حيث لم تكن هناك مراجع
ذات أهمية يمكنه الاعتماد عليها ويعتبرها
مصادر لبحوثه .

إلا أن المؤلف وعد فى المقدمة نفسها ،
بدراسة ما يقدمه من نماذج للشعراء المعاصرين ،

٣ - الفقه والتصوف :

للعلماء : عبد الحميد الزهراوى

هذه الرسالة هي العدد الرابع والعشرون من سلسلة الثقافة الإسلامية التى تصدر بالقاهرة ، والعلامة الزهراوى ليس بمجھولاً ، فهو من زعماء النهضة السياسية والفكرية فى سوريا فى أوائل هذا القرن ، وكانت معارضته العنيفة للسياسة الديكتاتورية هى التى وضعت جبل المشنقة حول عنقه فى دمشق ..

وعقلية العلامة الزهراوى من أنضج العقلیات الإسلامية ، وأشدّها قسوة على الجبود الفكرى والتزمت الدينى ، والأضاليل التى ألصقت بالإسلام زوراً وبهتاناً .. وهذه الرسالة الموجزة قسماً :

قسم تناول فيه قضية التقليد ومحصا تمحيصاً دقيقاً ، فعرض التقليد هزيراً مهلهل الثياب ، وأعلن عليه حملة شعواء أتت عليه .. ولم تذرهُ إلا هشياً .

وقسم تناول التصوف ، ناقش فيه ماهية التصوف ، وأوضح أن هناك فى مجال التصوف صادقين وكاذبين ، والصادقون من المتصوفين هم من التزموا آداب الشرع ووقفوا عند حدوده .

وكان فى كلا القسمين : عالماً متعمقاً جريئاً فى الحق ، وليس هناك من مأخذ على أسلوب الرسالة إلا المبالغة فى العنف والإسراف

فى التهمك ، وربما كان العصر الذى كتب فيه هذه المناقشات العنيفة أهلاً للمبالغة فى العنف ، والإسراف فى التهمك ، ويخفف من وطأة هذا المأخذ - إن عد مأخذاً - أن العلامة المؤلف رحمه الله ، لم يكن فى مناقشته خطيباً أو واعظاً ، وإنما كان عالماً فاضلاً وأستاذاً جليلاً .

٤ - المستقبل لمرم :

للأستاذ أحمد عبد الجواد الدوى

فى هذا الكتاب تحدث فضيلة المؤلف عن بشارة التوراة والإنجيل برسالة محمد صلوات الله عليه ، وعن مكة وموقعها الجغرافى الذى أهلها لأن تكون مصدر الإشعاع والنور للعالم كله ، وعن زحف الإسلام المقدس فى شكل زهاء ستين غزوة وسرية ، ورسائل إلى ملوك العالم من رسول الله تحمل فى طياتها الهداية والنور .

ثم حدثنا المؤلف عن أسباب تخلفنا وأبرزها : التمسك للإسلام ، والترفع والاستبداد ، وكذلك حدثنا عن تربع حضارة الغرب على عرش العالم بعد غروب شمس الإسلام وتخلف قطاره عن خطه الحديدي المرسوم له ، وفى نهاية الكتاب حدثنا عن حال المسلمين اليوم وما صارت إليه ، ثم دعا إلى ثورة على ما نحن فيه من جمود ..

وقد دفع المؤلف إلى وضع هذا الكتاب
« منازعات أدبية شتى انقسم فيها الكتاب
إلى شيع وأحزاب » .

أما ما أسهم فيه المؤلف من هذه المنازعات
فهى قضايا : العامة والفصحى وكان أن وقف
بجانب الفصحى بكل ما أوتي من قوة ،
ثم قضية الشعر : الحر والموزون ، وكان
أن وقف بجانب الشعر الموزون أيضا ، ورد
على القائلين بالتجديد ، فالتجديد يجب
أن يتناول القلب لا الجوهر ، ثم قضية
المصطلحات العلمية ، ويرى المؤلف « أن هذه
المصطلحات من القضايا التى يحلها الزمن فهو
الكسفىل بإقرارها ليأخذ منها السمين وينبذ
الغث ، ثم قضية قواعد اللغة ودعا إلى الأخذ
بيدها تحتل مكانها فى أدبنا وصحافتنا وإذاعتنا ،
وتناول الكتاب بعد ذلك قضايا أخرى :
كالخروف اللاتينية ، والالتزام فى الأدب ،
والأدب الواقعى ، وانحراف رسالة النقد
والترجمة والمسرح .. وما إلى ذلك .

والحق : أن الكتاب دراسة عميقة لها
قيمتها ، وقد أثار بالطبع كثيرا من الأقلام ،
إلا أننا كنا نود : أن لا تخلو بعض دراسات
هذا الكتاب من تقديم نماذج مما نال منه
قلم المؤلف ، كما كنا نود أيضا أن يكون واضحا
جليا رأى المؤلف فى كل موضوعات الكتاب
التي تعرض لها ، لا فى بعضها كما حدث .

محمد عبد الله السراة

هذا ملخص سريع لكتاب الأستاذ الدومى :
ونحن مع المؤلف بتحفظ فى معظم ما تعرض
له من موضوعات تلبس عواطف القارى ،
ولكن الذى أود أن أتساءل عنه :

هل هناك أدنى صلة لهذه الموضوعات بمستقبل
الإسلام وهو عنوان الكتاب ؟ .

نحن لا نرى أى مانع من أن يتعرض المؤلف
لماضى الإسلام وحاضره ولكن فى إيجاز
 وتركيز ؛ ليكون ذلك أساساً يعتمد عليه
فى تخطيط منهج لمستقبل الإسلام .

أما الكتابات الثائرة الملتقطة من هنا وهناك ،
ثم اختيار عنوان عاطفى مثير ، ثم بعد ذلك
يلتزم شمل الموضوعات على هذا العنوان فيصيحان
معا كتابا ، فهذا ما لا يرضاه الكاتب نفسه ،
ومع ثقتنا بغيرته المخلصة للإسلام ودعوة
الإسلام ...

٥ - قضايا الفكر فى الأدب المعاصر :

للأستاذ الأديب وديع فلسطين
المؤلف أديب لامع واسع الثقافة ، تعرفه
سائر الصحف العربية . ظل أمدأ أستاذاً بالجامعة
الأمريكية وله دراسات شتى فى الأدب
وقضاياها .

وكتابه هذا إسهام منه فى معارك الرأى
التي يراها : « معارك سليمة العاقبة تفضى
فى ختام الأمر إلى نفع الأدب ودفعه » .

أَنْبَاءُ الْأَزْهَرِ

الرئيس يشكر شيخ الجامع الأزهر :

تلقي فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر برقية من السيد الرئيس جمال عبد الناصر رداً على برقيته بمناسبة عودته من السودان هذا نصها :

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد : فقد كان لبرقيتكم المتضمنة أجمل المشاعر وأصدق التهاني بمناسبة عودتنا من رحلة السودان أحسن الوقع ، ولما لزوجو أن يوفقنا الله جميعاً إلى ما فيه جمع كلفة العرب ورفع راية العروبة حتى يتحقق ما نرجوه لها من عزة ومجد .

ويسرني أن أعرب لكم عن أخلص الشكر مقروناً بأطيب تمنيات الصحة والهناء .

جمال عبد الناصر

إسلام صحفى في المكسيك :

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه السيد / توماس باريو جبرائيل الكاتب

الصحفى المكسيكى الذى طلب أن ينطق بالشهادتين أمام فضيلته . ولما سأله فضيلته عن سبب رغبته فى اعتناق الإسلام أجاب بأنه يرغب فى ذلك لأنه تبين له أن الإسلام دين المساواة والعدل والحرية وذلك بعد دراسة وافية لمبادئ الإسلام وتعاليمه . وإزاء ذلك سمع منه فضيلة الأستاذ الأكبر الشهادتين ، وصار بذلك مسلماً ، وغير اسمه إلى : عبد الكريم باريو جبرائيل .

الأستاذ الأكبر يستقبل وكيل همرشولم :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمكتبه مستر هرمان تفارس دى سا - وكيل الأمن العام للأمم المتحدة للإعلام ، ومستر أولاف ريتز مدير مكتب الأمم المتحدة للإعلام بالقاهرة والأستاذ على خليل نائب مدير مكتب الأمم المتحدة لهذا المكتب .

وبعد أن رحب بهم فضيلته قال : إننا

لنشكركم على هذه الزيارة وأحب أن أؤكد أن الناس يفضلون الحديث فى شئون الاقتصاد أو الاجتماع أو غير ذلك

فقال الأستاذ الأكبر : كما أن على الأمم المتحدة ألا تعمل من أجل دولة معينة أو من أجل صالح الدول الكبرى فحسب ، بل يجب أن تعمل لصالح الدول الصغرى قبل الكبرى ، وهذا ما تقرره المبادئ الإسلامية .

فقال الزائر : إن هذه المبادئ هي بالفعل مبادئ الأمم المتحدة التي تحاول أن تضع الأمور في نصابها كما قلتم فضيلتكم ، ولقد كان الأمين العام للأمم المتحدة يبحث موضوع الدول المتطلعة إلى الحرية منذ وقت قصير فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن الأزهري لينتظر منكم نتائج طيبة تعود على العالم أجمع بالخير والرخاء . وعندما تحقق الأمم المتحدة ما وعدتم به وما تعد به الأمم المتحدة فإنها تستحق الشكر من الله والناس .

فقال السيد الزائر . إنه ليسرني أن أسمع هذا الحديث الذي يعبر عن شعوركم وشعور الأزهري نحو الإنسانية ، وقد تحقق لي أن الأزهري أقدم جامعات العالم بفيض بالتوجيه والإرشاد .

ومما هو جدير بالذكر أني قد تعلبت في جامعة أنشئت في القرن الرابع عشر ، وكنت أظنها أقدم الجامعات ، فإذا بي أجد الأزهري أقدم منها بمراحل .

وقد أهدى الأستاذ على خليل نائب مدير مكتب الأمم المتحدة للإعلام — فضيلة الأستاذ الأكبر ثلاث مصاحف باللغات العربية والانجليزية والأسبانية .

ولكنني أفضل الحديث في شئون إسعاد البشرية . فمهمة الأمم المتحدة إنقاذ الضعفاء وإعطائهم حقوقهم ، ولقد أوتيت الأمم المتحدة القوة لذلك ، وواجهها أن تعمل في أسرع وقت ممكن لرد حقوق الجزائريين والفلسطينيين إليهم ، وأن تعمل على وضع الأمور في نصابها أينما كانت ، إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها .

فرد السيد الزائر قائلا : إنني لأشكركم أعمق الشكر أن أتحتم لنا هذه الزيارة التي تؤكد مدى قوة الحكمة التي تنبع من الأزهري وعلى رأسه فضيلتكم ، ثم أضاف : وسيسرني أن أبلغ ما ذكرتم للسيد الأمين العام للأمم المتحدة وهي مهمة عظيمة ، ويسعدني أن أستمع الوحي والتوجيه من المعاني التي أفضتم بها لنا ، لنخدم بها الإنسانية .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إنني لأعتقد أن رسالة الأمم المتحدة مستمدة من رسالة الأديان جميعا ، وقد عرض القرآن الكريم لمبدأ الأمم المتحدة فقال : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله » .

فقال الزائر : إن الأمم المتحدة تحاول أن تحقق هذا المبدأ الإسلامي النبيل ، وستعمل على تحقيق ما صورتم للإنسانية من مبادئ إسلامية سامية .

المُستأذ الأكبر ووزير تجارة الصومال:

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر في مكتبه السيد دكتور شيخ عبد الله محمود وزير تجارة الصومال يرافقه السادة الحاج عبيدو وحسين عمر وياسين عبد الرحمن ومحمد علي فارح أعضاء في البرلمان الصومالي والسيد محمد حاج حسين والسيد علي محمد فارح . كما يرافق الوفد السيد عبد الحميد الشوربجي . المستشار التجاري بالصومال والسيد صفوت أباطة بالشئون العامة بوزارة الاقتصاد .

وقد رحب بهم فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا . إنا ليسرنا أن نستقبل إخواننا الصوماليين في الأزهر مركز الإشعاع الروحي الذي يشع على المسلمين في جميع أنحاء العالم بالعلم والهداية ونرحب بأعضاء الوفد الكريم لا باعتبارهم ضيوفا بل باعتبارهم منا ونحن منهم ، يجمعنا الدين الإسلامي الحنيف واللغة العربية ، والكفاح من أجل الحرية والاستقلال . فالؤمن للؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وكاليدن تغسل إحداها الأخرى ، فحين معكم كاليدن تغسل ما بكم وأنتم تغسلون ما بنا .

إننا نرحب بكم والأزهر جميعه يرحب بكم فلقد اتصل الأزهر بالصومال اتصالا وثيقاً

من زمن بعيد ، فالأزهر يوفد العلماء ليعلموا أبناء الصومال ويرشدونهم إلى خير دينهم وديانهم ، والصومال يرسل أبناءه إلى الأزهر ليتعلموا ولينهلوا من منهله ليعودوا وقد تفقهوا في الدين يحملون رسالة الأزهر السامية وينشرون الثقافة الدينية بين مواطنهم فيلتي بذلك العلم والتعليم ويربط البلدان ارتباطاً وثيقاً يجمع بين القلوب والأهداف .

ويسرني أن أعلن لكم أن عدد الأساتذة الموفدين إلى الصومال الآن ثلاثون وعدد الطلاب الصوماليين الذين يدرسون في الأزهر واحد وستون طالبا في مختلف كلياته ومعاهده وقيم هؤلاء الطلاب بمدينة البعوث الإسلامية بجانب إخوانهم طلاب هذه البعوث الذين يمثلون أكثر من خمسين جنسية يفسدون من جميع أنحاء العالم الإسلامي ويعاملهم الأزهر بعناية فائقة عناية أبوية كريمة لا يفرق بين إقليم وإقليم ولا بين طائفة وطائفة ، وإنما الكل سواء عماده في ذلك قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، « واتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

فهذا رباط مقدس يربط بين المسلمين الشقيقين برباط قوى بجانب الرباط الإسلامي الوثيق الذي يجمع بين القلوب على تباعدها .
« فرد السيد الزائر قائلا : إني باسم

التي تتعلق بطلاب الملايو الذين يدرسون بالأزهر . والطلاب الذين يستقبلهم الأزهر للدراسة في جامعته ومعاهده .

وقد شكر السيد / الوزير فضيلة الأستاذ الأكبر على عناية الأزهر بطلاب الملايو ، وعلى سعة صدره لاستقبال كل من يوفد لتلقي العلم بالأزهر .

فقال الأستاذ الأكبر : إن الأزهر يهتم اهتماما كبيرا بجميع الوافدين من الطلاب ليدرّسوا في الأزهر وهو لا يميز بين جنسية وجنسية بل الكل سواء . ثم شكر الوزير على زيارته للأزهر . ودار الحديث في جو ودي خالص . ثم أهدى كلا منهما مؤلفاته .

* * *

الوحدة الطبية تكرم مديرها السابق :

أقام أطباء وموظفو الوحدة الطبية بالأزهر حفل تكريم في فندق شبرد للسيد الدكتور حسن أبو السعود مدير الوحدة السابق . وحضر الحفل نيابة عن فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، الأستاذ الدكتور محمد ماضى المدير العام للأزهر . وألقى كلمة الأطباء وموظفي الوحدة السيد / الدكتور يوسف عيم مدير الوحدة .

ثم ألقى الدكتور حسن أبو السعود كلمة تحدث فيها عن فكرة الوحدة وتاريخ إنشائها ومراحل تقدمها فقال :

الوفد الصومالى وباسم الحكومة الصومالية وباسم الشعب الصومالى أجمع نقدم للأزهر الشريف وشيخه خالص تحياتنا وتقديرنا .

فالأزهر هو الذى يمثل الإسلام فى جميع أنحاء العالم وإننا لمسرورون أن تزداد الروابط بين الأزهر والعالم الإسلامى وخاصة الصومال . ونحن إذ نشكر لفضيلتكم هذه الحفاوة والتكريم ليسرني أن أحمل لفضيلتكم تحيات مواطني الصومالين شاكرين لكم جهودكم فى سبيل نشر الثقافة بين أبنائهم .

وعما هو جدير بالذكر أن بعثة الأزهر الدينية قد اتجهت إلى الإقليم الشمالى بالصومال - ذلك الإقليم الذى كان يحتله الانجليز - اتجهت البعثة لشقيف أبناء الصومال هناك ، ولإيجاد روابط ثقافية متينة معه .

* * *

هذا وقد زار الوفد خلال إقامته بالقاهرة مدينة البعوث الإسلامية والمسكبة الأزهرية والجامعة الأزهرية وقاعة المحاضرات .

وزير التربية والتعليم فى المطبوع :

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمسكبة السيد / أنشئ عبد الرحمن بن حاجي طالب وزير التربية والتعليم بالملايو يرافقه السيد / سفير الملايو بالقاهرة .

وقد دار الحديث حول النواحي الثقافية

وأخيراً بمحبته فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ
محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .
والسلام عليكم ورحمة الله ؟

دكتور

ممن أبو السعود

ممن من سنغالي :

شكلت لجنة لاختيار الطالب المهندس
عبد الله ديون السنغالي الذي وفد من السنغال
للدراية في الأزهر ، وبعد اختباراه ومعرفة
مستواه العلى .

قررت اللجنة أن الطالب المذكور عنده
استعداد خصب وعناية ملحوظة بالدراسات
الإسلامية على وجه يمكنه من نفع المسلمين
في بلاده وزيادة معارفهم الإسلامية .
وقد هنأ فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ
الجامع الأزهر بالدرجة العلمية التي تضمنها
تقرير اللجنة المذكورة . وأصدر فضيلته
شهادة بذلك هذا نصها :

رفع إلينا السيد الأستاذ الدكتور محمد
البهى - مدير الإدارة العامة للثقافة الإسلامية
تقريراً يتضمن رأى اللجنة التي كونتها المشيخة
لاختيار الطالب المهندس عبد الله ديون
السنغالي الجنسية ، ومعرفة مدى مستواه
العلى وفهمه للإسلام وقدرته على إرشاد

في الأسبوع الأول من إسناد المشيخة إلى
فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق - عليه
رحمة الله - أمرنى بإنشاء دار لعلاج طلاب
الأزهر الشريف .

فكان هذا الأمر أحب إلى من كل متاع
في الدنيا . إذ وافق ما كانت تصبو إليه نفسى ؛
لاعتقادي أنها أشرف رسالة أسندت إلى
لخدمة طلاب الجامعة الأزهرية .

وبعد أن ذكر مراحل التطور والتوسع
التي مرت بها الوحدة بفضل إخلاص القائمين
عليها وتعاونهم قال :

ولن أنسى تلك اليد الكريمة والأريحية
المتأيزة والتضحية التي لا تقدر التي مدت
إلينا من أساندة طب جامعة القاهرة وأساندة
طب جامعة عين شمس ، فبأيديهم جميعاً ويد الله
معنا أمكننى أن أقوم بهذه الرسالة ولولاكم
لتعثرت فيها .

فهذه الوحدة الطبية هى بحق مستشفى
الجامعة الأزهرية أتركها أمانة في أعناقكم
وقد شرحت طريقى في السير بها وبموظفيها
فسيروا على بركة الله إلى الأمام وظل قائد
ثورتنا جمال عبدالناصر وفقه الله ، وفي رعاية
صديق والدى وصديق الذى أعزنى بصداقته

المسلمين إلى أحكام دينهم عن طريق التعبير باللغة العربية .
والوحدة الإسلامية المسكينة بنشر الثقافة الإسلامية وتعاليم الإسلام .

وبناء على ما تضمنه ذلك التقرير من أن اللجنة تقرر أن الطالب عنده استعداد خصب وغذائية ملحوظة بالدراسات الإسلامية على وجه يمكنه من نفع المسلمين في بلاده وزيادة معارفهم الإسلامية - بناء على هذا كله نهي الطالب المذكور بالدرجة العلمية التي تضمنها تقرير اللجنة المذكورة ونبارك له فيها .

ثم خص سيادته بالشكر سيادة الرئيس جمال عبد الناصر على كرم ضيافته ، مشيداً بما يبذله سيادته للإسلام والمسلمين من جهود موفقة ، مؤكداً بأن الرئيس جمال عبد الناصر هو المثل الأعلى لقواد العالم بما حققه للجمهورية العربية المتحدة خاصة والعروبة والإسلام عامة من وحدة وقوة .

داعين المولى سبحانه أن يشد أزره بما لديه من معلومات في الإسلام وتعريف إخوانه المسلمين بأحكامه .

ونسأل الله له التوفيق .

ثم استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر السيد أحمد ألتو مرة أخرى بمناسبة مغادرته القاهرة لي شكر فضيلة الأستاذ الأكبر على حديثه على أبناء الفيليبين وإندونيسيا وتايلاند والملايو .

ثم شكر الأستاذ الأكبر على عناية الأزهر بطلاب الفيليبين الذي قبلهم الأزهر للدراسة فيه والذين يربو عددهم على المائة . ثم أشاد سيادته بجهود وزارتي الأوقاف والخارجية على ما قدمته كل منهما من عون وجهد أثناء إقامته بالقاهرة وأضاف أنه يدعو لفضيلته بالصحة وطول العمر حتى يتم رسالته كشيخ للأزهر يجمع المسلمين على رباط الدين

ثم أضاف فضيلته : ولو أن زعماء المسلمين تنهوا إلى ما يفعله السيد/أحمد ألتو لنضجت بذلك أفكارهم وفاض وعيهم القومي بالقوة المانعة من الانحلال والتفكك .

الإسلام والحياة ومفهوم الإنسان :

ثم قال فضيلته : إن الأزهري له ما يزيد على عشرة قرون ينشر تعاليم الإسلام ، ومن المؤسف أن يقال : إن الإسلام ليس فيه إلا الصلاة والصوم ، ولكن الإسلام يتصل بكل مقتضيات الحياة لقد عرض القرآن للثروة النباتية ، والثروة الحيوانية ، والثروة الجبلية والثروة البحرية وهذا كله يحتاج إلى فهم وتمحيص وتأمل . لقد زعم المستعمرون أنهم أصحاب فكرة « حقوق الإنسان » ولكن الإسلام جاء بها منذ أربعة عشر قرناً ، أما حقوق الإنسان عندهم فتبدو في الجزائر وفلسطين والكويت وغيرها .

وأعتقد أننا لو اتجهنا للقرآن وما فيه من أحكام فإننا نستغنى بذلك عن معونة الغربيين ، وغيرهم ، كما أعتقد أنه إذا صلحت رموس الزعماء في كل مكان وقادروا الشعوب إلى الحق فلا بد أن ينبض الإسلام ويكون كما كان في زمن محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .

فقال السيد الزائر : هذا هو الإلهام الذي تلهمون به شعب الفيليبين والذي يدفع المسلمين هناك لدعوتكم لزيارتهم في أقرب فرصة ، وسترون بأعينكم مدى لفتهم إليكم وشوقهم إلى اللقاء بكم ، وإنني لأدعو الله أن يمنحكم

الصحة والقوة لتحقيق هذه الزيارة المرتقبة .

ثم تطرق الحديث إلى دور الجمهورية العربية المتحدة وقائدها جمال عبد الناصر في نشر الوعي القومي بين جميع الشعوب وخاصة الشعوب المسكفة المتطلعة إلى الحرية - فقال السيد أحمد ألتو : إن الجمهورية العربية المتحدة منذ قيام ثورتها العظيمة وهي تكشف قناع الاستعمار وتفضح ألاعيبه في كل مكان .

فقال الأستاذ الأكبر : إنها ثورة طيبة بيضاء ، قامت دون إراقة دماء ، فهي لم تهدم وإنما بنت ، إنها حدث عظيم وما قام بعدها من أحداث عظيمة في العالم أجمع إنما هو امتداد لها وسير على نهجها .

ثم أضاف أن الفضل في ذلك يرجع إلى الإخلاص والإيمان الذي يتمتع به الرئيس جمال عبد الناصر فهو غيور على وطنه ومواطنيه ، بل غيور على الحرية في جميع أنحاء العالم . وهو على استعداد للتضحية في سبيل إيمانه وغيرته . ونرجو أن يقتدى به قواد العالم في كل مكان وبصفتي شيخ الأزهري أعاهد الله على التضحية في سبيل الدين ونصرته كما أعاهدكم على ذلك أيضاً ، هذا هو عهد الله بيني وبينكم ، ثم وضع يده في يد السيد الزائر قائلاً : إن أرواح الرسول وأصحابه الآن ترفرف فوق رؤوسنا تبارك عهدنا وجهودنا - ثم تلا

الضعفاء من الأقوياء ، وأنا بدورى أريد أن أطمئن إلى أن كل ذلك تهتم به الأمم المتحدة وأحب أن أسمع أنها قد أخذت بيد الشعوب المتطلعة إلى الحرية وآتت لأهل الجزائر وفلسطين والكونغو بحقوقهم كاملة غير منقوصة .

إن الدماء تسيل بغير وجه حق ، بينما يمثلو الأمم المتحدة واقفون صامتين . لمصلحة من هذا الصمت . إنهم إخوانكم فى الإنسانية فخذوا بأيديهم والله معكم .

ثم وعد فضيلته الزائر بأن يسجل حديثا بمناسبة يوم الأمم المتحدة .

هذا - وقد شكره السيد الزائر على ذلك ، ثم قال : إن الأمم المتحدة تعلم جهودكم فى سبيل السلام ولذا فإنى قد أتيت اليوم تلبية لرغبة الأمم المتحدة فى أن تذكروا هذا الحديث الهام لأبعثه بدورى إلى السيد السكرتير العام للأمم المتحدة .

ثم انصرف شاكرًا لفضيلته حسن استقباله على أن يعود لأخذ الحديث المذكور .

قوله تعالى « والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » ثم قال بلغ إلى إخوانى فى الفيلبين تحياتى إلى أن أراهم بنفسى .

مدير مكتب الأمم المتحدة :

كما استقبل فضيلته مستر أولاف ريتير مدير مكتب الأمم المتحدة للأعلام فى القاهرة والذي طلب من فضيلته أن يذيع حديثا على العالم بمناسبة يوم الأمم المتحدة يوم ١٠/١٢/١٩٦٠ - وذلك لمعاييده . فضيلته من حرص على نشر السلام فى أنحاء الأرض .

وقد رحب به فضيلته ثم قال : إننا نرجو أن تعمل الأمم المتحدة على إراحة الشعوب من الآنين الذى نسمعه من الشعوب التى يحتم على صدورها الاستعمار .

ثم أضاف أن الإسلام يهتم بحقوق الإنسان ويدعو إلى التراحم وتعميم السلام فى جميع أرجاء العالم وأن يطمئن كل إنسان على حقه فى الحياة الحرة الكريمة كما يدعو إلى إنصاف

بريد الحجة

في ذكرى ابن تيمية :

كتب الأستاذ طاهر الطناحي كلية بهذا العنوان في عدد شهر ديسمبر من مجلة الهلال عارض فيها إقامة مهرجان على الشيخ الإسلام ابن تيمية وبني معارضته هذه على الأسس الآتية : —

(١) أنه كان يقول في الله بالتجسيم مستشهداً برواية ابن بطوطة في رحلته .

(٢) أنه كان يطعن في الصحابة بنسبة الخطأ إليهم .

(٣) أنه كان ينتسب لمذهب الإمام أحمد مع تحلله من هذا المذهب .

(٤) أنه كان يعتبر المحلل ممنوعاً شرعاً والطلاق الثلاث بلفظ واحد طلقة واحدة .

(٥) سجن عدة مرات لانهاية بالزندقة كعارضته تفسير القدر وأسماء الله الحسنى .

(٦) وهناك فلاسفة مسلمون أولى منه بهذا المهرجان وهم أسبق منه ولم يطعن أحد عليهم ، ونقول في الرد على الأول :

إن ابن بطوطة كاذب في روايته كما كذب في كثير من فصول رحلاته أو وهم . أو

روى إشاعات يزعم أنه رآها . وليس ابن بطوطة بالحجة في هذا المقام للطعن في إمام ملأت رسائله وفتاواه أقطار الدنيا ، وكلها تنادى بعكس ما يزعمه ابن بطوطة . وكلام ابن تيمية في كتبه ورسائله المخطوط منها والمطبوع أقوى حجة وأولى بالآخذ به في تزييف إشاعات موهومة يرددها أمثال ابن بطوطة وابن حجر الهيتمي وزاهد الكوثري وأمثالهم ممن نصبوا أنفسهم وأوقفوها لحربه والتشهير به وحسب الكاتب الفاضل أن يرجع إلى رسالة ابن تيمية في تفسير (قل هو الله أحد) وكتابه في (فضل قل هو الله أحد) . وفتاواه الكبرى المطبوعة في الهند وهي في دار الكتب المصرية وفي مكتبة بلدية الإسكندرية في عدة مجلدات ضخام . ومجموعة الرسائل والمسائل في مجلد واحد طبعة دار المنار ومجموعة الرسائل الكبرى في عدة مجلدات طبعة القاهرة وكتاباً تليذه الأول وصنو حياته وثمرة عليه الإمام الفقيه شمس الدين ابن قيم الجوزية ، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمجسمة والمعتلة ،

أو برهان من كتاب محكم أو سنة متبعة فكان يرد عليهم بأن كل إنسان يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الصحابة غير معصومين فما بالك بمن بعدهم ممن هم أقل درجة وعلماً منهم وأن عمر بن الخطاب أخطأ في كذا وكذا . . . وأن علياً أخطأ في كذا وكذا وليس معنى ذلك أن ابن تيمية يغض من مقام عمر أو علي أو يوهن من شأنهما رضي الله عنهما وإنما يضع كل امرئ في المقام الذي ينبغي أن يوضع فيه بلا تقديس ولا كهنوتية ولا ادعاء العصمة إلا لصاحب الرسالة العظمى صلى الله عليه وسلم

ونقول في الرد على الثالث :

إن ابن تيمية لم يكن حنبلياً بمعنى أنه أحد أئمة المذهب وإنما كان مذهب أحمد هو المدرسة الأولى التي تخرج على يدا أئمتها وعلمائها وليس ملزماً بأن يتبع حرفة ذلك المذهب ، ومذهب أحمد باعتباره آخر المذاهب الأربعة فهو أقرب إلى استيعاب أكثر الأحاديث التي رويت عن الأئمة الذين سبقوه ومن هنا كان أقرب المذاهب إلى السنة والدليل النقل ، ولكن ابن تيمية ينادى بعدم التقليد والأخذ من الكتاب والسنة مباشرة (وطبعاً هذا موجه للعلماء ممن أتوا وسائل الأخذ المباشر من الكتاب والسنة) ويقول بالرجوع إلى الدليل وتحري الحق في النص ويخالف

وه اجتماع الجيوش الإسلامية في الرد على — المجسمة والمعطلة والجهمية — والجهمية هم أتباع جهم بن صفوان القائلون بالحلول والمجسمة هم القائلون بما ينسب زوراً لابن تيمية ؛ الأمر الذي نصب رضي الله عنه نفسه لمحاربه . والمعطلة هم القائلون بتأويل الصفات وعدم اتباع السلف في فهمها والتسليم بمدلولها والمراد من الله تبارك وتعالى . لأن الأسماء لها مسميات تختلف عن مسمياتها بالنسبة للمخلوقات ، فكلمة عالم وحكيم وقادر ألفاظ يشترك فيها المخلوق مع خالقه ولكن مسمياتها بالنسبة للخالق تبارك وتعالى تختلف عن مسمياتها بالنسبة للمخلوق لأنها بالنسبة للمخلوق مقيدة محدودة متناهية ولكنها بالنسبة للخالق جل وعلا مطلقة لا متناهية ولا يمكن تأويلها أو تفسيرها تفسيراً يبعدها عن حقيقة معناها الذي أراده الله تعالى .

ونقول في الرد على الثاني :

إن ابن تيمية كان يحارب البدع والضلالات والأوهام التي دخلت في الإسلام على يد من ترجوا خزعيات الفرس ووثنيات اليونان وهرطقات الهنود وكان يذود عن الإسلام ويحض الناس على اتباع الصحابة ورجال الصدر الأول وكان يحث على إجلال الصحابة وتوقيرهم وكان يجد أمامه قوماً يؤمنون بعصمة مشايخهم ويقلدونهم تقليداً أعمى بلا دليل

الإسلام الحافظ المعاصر لابن تيمية ابن حجر
العسقلاني ، د وهو طبعاً غير ابن حجر
الهيثمي .

أما معارضته تفسير القدر وتفسير الأسماء
الحسنى فهو كلام مردود لأنه لا يقوم على
سليم من الاطلاع على كتب الشيخ ومؤلفاته
وهي طائفة بالتفسير المعقول الواعى لآيات
القضاء والقدر وفى ذلك من فلسفة الإسلام
ما يجعل ابن تيمية أعظم درجة وعلماء من
أولئك الفلاسفة الذين استعاروا الفلسفة من
علوم اليونان والهند أما ابن تيمية ففلسفته
من صميم الإسلام ، على أنه يذبح فى هذا
المقام التفرقة بين الفلسفة الإسلامية وفلسفة
الإسلام لأن الأولى هى كل ما قام به علماء
وفلاسفة المسلمين من نشاط فى ترجمة ونقل
واعتقاد ما رددوه عن أرسطو وأفلاطون
وجورجياس وبيدبا وغيرهم ، أما فلسفة
الإسلام فإن إمامها الأول أحمد بن حنبل
الذى امتحن فى معركة خلق القرآن على عهد
المأمون وأكبر أتباعه هو أبو العباس بن تيمية
الحرانى الدمشقى الذى قال فيه الحافظ الذهبي :
« فى ميزان الاعتدال فى نقد الرجال » ، وكل حديث
لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، « والذى قال
فيه طه حسين ما مؤداه » ، « كان ابن تيمية إذا
إذا تكلم فى فن يظن أنه لا يعرف غيره من
عمقه وطول باعه ومع ذلك كان يعرف كل شىء .
وأخيراً ينبغى قراءة كتاب « شفاء العليل

مذهبه إذا كان الدليل مع غيره ، وينظر
إليه بعين التقدير والإكبار لسفوف غايته
وحرصه واجتهاده .

ونقول فى الرد على الرابع :

من الذى قال إن هذا المحلل جائز فى الإسلام ،
إن الأحاديث الواردة فى تحريره لا تخصى
وحسبك ما ورد فى السنة عن النبى صلى الله
عليه وسلم « لعن الله المحلل والمحلل له » ،
« وما ورد من وصفه » ، « الديوث المستعار ،
أما الطلاق ثلاثاً بلفظ واحد فإنه طلاق
واحدة عذد جمهور العلماء وهو المفهوم من
نصوص القرآن والسنة وهو المأخوذ به فى
قانون الأحوال الشخصية عندنا اليوم ويكاد
الإجماع ينعقد على ذلك ، فليس هذا برأى
تفرد به ابن تيمية وليس هذا بعيب فى مذهبه
حتى يعد صارفاً عن إقامة المهرجان المزمع له .
أما سجنه وامتجانه واضطهاده فليس ذلك
بالأمر الذى يعاب عليه ، وإنما هذا عيب
عصره المتأخر الضارب فى ظلمات الجهالة
بحكامه وقادته . ومفخرة ابن تيمية أنه ظهر
فى عصور الممالك وعصور الانحلال والنجود
والتأخر والجهل فكان ثائراً بمعنى الكلمة
وكان جريئاً لا يخشى لومة لائم فيما يؤمن به
ويعتقد أنه الحق . ولكى تعرف مبلغ أثره
فى عصره والثورة التى أحدثها اقرأ كتاب
« الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لشيخ

وهو ضوابط وقواعد منظومة ليست على روى واحد ولعلمها في اللغة والنحو .
ونظم الفوائد رجز في النحو ، نثره ابن مالك في كتابه الفوائد فهو أصل للفوائد كما أن الفوائد أصل للتسهيل .

في حاشية الخضرى ١ - ١١ قال ابن رشد ونظم رجزا في النحو عظيم الفائدة تستعمله المشاركة ثم نثره في كتابه المسمى بالفوائد النحوية والمقاصد المحوية ثم صنف كتابه المسمى بتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد تسهلا لذلك الكتاب وتكميلا .

٤ - ذكر الأستاذ أن الكتب الآتية من المخطوطات وهى من المطبوعات فالكافية الشافية طبعت بمطبعة الهلال بالفجالة سنة ١٩١٤ وشرحها لابن مالك طبع مع حاشية ياسين بفاس سنة ١٣٢٨ هـ في جزئين كبيرين .

وكتاب الإعلام في مثلث الكلام طبع في القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ مع تحفة المودود في مجلد واحد .

وذكر الأستاذ أن كتاب شواهد التوضيح والتصحيح طبع بالهند سنة ١٣١٩ هـ وأقول إنه طبع بمصر أيضا بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي سنة ١٩٥٧ م .

محمد عبد النحاس عظيم

في القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن قيم الجوزية وهو صورة حية من عقيدة أستاذه شيخ الإسلام المجدد المصلح أبو العباس تقي الدين ابن تيمية ، وكتبه .

محمد مجيب المطيعي

* * *

تعقيب على مقال :

١ - ذكر الأستاذ الدكتور أحمد بدوى أن لابن مالك منظومة وأوية في المقصور والممدود .

وقصيدة ابن مالك في المقصور والممدود قصيدة همزية من بحر الطويل بدأها بقوله .
بدأت بحمد الله فهو سناء
وللنطق منه بهجة وبهاء
وختمها بقوله :

وأسأل لى عفوا ونيل جوارهم

غدا فإلى ذا سارع السعداء .
وهى مطبوعة بالقاهرة سنة ١٣٢٩ هـ .

٢ - قال الأستاذ عن لامية الأفعال :
وهى منظومة لامية من بحر البسيط فى أربعة عشر بيتاً .

وأبيات اللامية ١١٤ - أربعة عشر ومائة بيت .

٣ - عرف الأستاذ كتاب نظم الفوائد بقوله :

مقدمة راية الإسلام والشيعة :

نشرت مجلة راية الإسلام التي تصدر عن مدينة الرياض مقالا شديدا عن الشيعة وجهه كاتبه ابراهيم الجبهان إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر باعتباره داعيا إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية ، ولم يراع الكاتب فيما كتب آداب البحث ولا أخلاق العلماء ولا مصلحة المسلمين وأثار عاصفة من الغضب والاستنكار بين علماء الشيعة فردوا عليه في مجلة (العرفان) واحتجوا على الحكومة السعودية أن سمحت بنشر هذا المقال المفرق فكان من أثر هذا الاحتجاج أن جاءنا هذا التصريح :

صرح مصدر سعودي كبير لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بأن ما نشر في العدد الخامس من مجلة راية الإسلام التي تصدر في الرياض حول الشيعة بقلم ابراهيم الجبهان لا يمثل رأى الحكومة أو جهة ما في المملكة السعودية ، وأن كاتبه ليس سعوديا ، والمجلة لا تمثل رأى الحكومة ولا غيرها فيما تكتب وأنه قد لفت نظر القارئ على تحرير المجلة في حينه وعدم تكرار مثل هذا وجوب الحرص على ما يجمع كلمة المسلمين .

ابن يعقوب وديبورت :

نعم كيف أثبت ديكارت وجود نفسه فقد

قال : « أنا أفكر فأنا إذن موجود » . وبالأمر كنت أقرأ في شرح ابن يعيش على مفصل الزخري فوقفت فيه على قوله « ألا ترى أنك إذا قلت : (عَدَمَتِي) فعناه علمتي غير موجود . وحال أن تعلم شيئا وأنت غير موجود ، لأنك إذا علمت كنت موجودا وصحته على الاستعارة ص ٨٨ ج ٧ فأنت ترى أن ابن يعيش المتوفى سنة ٦٤٣ هـ سبق ديكارت الذي عاش سنة ١٥٩٦ - ١٦٥٠ م إلى الشعور بالفكرة التي قام عليها عمود من أعمدة الفلسفة الحديثة .

بغداد - هاجر مصطفى

والفرق أن ديكارت فيلسوف بنى على فكرته مذهبا وابن يعيش نحوى كان يناقش تركيبا بعينه . ولكن الفيلسوف والنحوى وقعا على فكرة واحدة وهي أن علم الإنسان الشيء أو التفكير فيه دليل على وجوده .

إلى الأستاذ محمد علي النجار :

١ - تقول كتب النحو من صغيرها إلى كبيرها أن يميز العدد من ثلاثة إلى عشرة حقه أن يكون جمعا مثل سبع ليلال وثمانية أيام وخمسة آلاف ، فما بالنا نقول : ثلثمائة وخمسمائة بإفراد لفظ مائة وهو تمييز العدد ولم نقل ثلثمئات وخمسمئات كنص القاعدة وكما تقولها في الآلاف وما وجه العلة في جمع الآلاف دون المائة .

٢ - وتقولون إن ألفاظ العدد من ثلاثة

تقطعها التوجات الاثيرية عند ما تسير مدة يوم واحد .

لقد أثبت العلماء منذ زمن ليس بالقريب أن هناك كمية ثابتة طبيعية لا تتغير بتغير الأزمان وهذه الكمية الثابتة هي سرعة الضوء

والتي يبلغ مقدارها ٣٠٠٠٠٠ كيلومترا في الثانية وهي سرعة التوجات الاثيرية بكافة أنواعها سواء أكانت تلك تموجات ضوئية أو تموجات حرارية أو تموجات كهربائية أو غير ذلك مما وصل إليه العلم الحديث .

والآن نحسب المسافة التي تقطعها هذه التوجات ذات السرعة الثابتة (٣٠٠٠٠٠ كيلومترا في الثانية) إذا ما سارت مدة يوم واحد .

$$\text{اليوم} = ٨٦٤٠٠ \text{ ثانية .}$$

* المسافة التي تقطعها التوجات الاثيرية عندما تسير بسرعتها الثابتة لمدة يوم واحد .

$$= ٣٠٠٠٠٠ \times ٨٦٤٠٠ \text{ كيلومترا}$$

$$= ٢٥٩٢٠٠٠٠٠٠٠٠ \text{ كيلومترا}$$

ومن الناحية الأخرى نحسب المسافة التي يتمكن الإنسان من قطعها في زمن مقداره ٥٠ ألف سنة عندما يسير بسرعة معلومة .

لقد تواجدت في حياة الإنسان سرعات مختلفة ، فهناك الحيوانات التي تمكن الإنسان من استخدامها في ترحاله منها البطيء ومنها السريع ، وهناك المخترعات الحديثة كالسيارة

إلى عشرة تكون على عكس المعدود في التفكير والتأنيث ، فما قولكم في قوله تعالى : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها حذف التاء من عشرة مع إضافتها إلى الأمثال واحدها مذكر وما تعليل ذلك ؟ .

٣ - وقلتم إن لن حرف وضاع للنفي المؤبد ، فإذا كان ما قيل صحيحا فما لي أقرأ في كتاب الله قوله « فلن أكلم اليوم أنسيا » فأرى كلمة اليوم في الآية جاءت بعد النفي بلن فأفسدت القاعدة ، ولو كانت لن لتأيد النفي لما كان هناك موجب لقيد هذا النفي باليوم . وكذلك أقرأ قوله تعالى « ولن يتمنوه أبدا » فأراني متحيرا في إيراد لفظ أبدا بعد لن ، ولو صح ما قالوه من تأييد النفي بلن لكان لفظه أبدا تكرارا لا داعي له . وحاشا لكلام الله أن يخضع لأحكامكم .

محمد ابراهيم

مدرس لغة عربية

اليوم النرى بساوى خمسين ألف سنة :

قال تعالى « تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » .

أراد الله سبحانه وتعالى أن يبين في هذه الآية الكريمة أن المسافة التي يمكن للإنسان أن يقطعها في مدة خمسين ألف سنة (إذا ما سار بسرعة معلومة) تعادل المسافة التي

وباعتبار المسافة المقطوعة في الساعة الواحدة هي ٦٠ كيلو مترا كما أوضحنا .

* المسافة التي يقطعها الإنسان في مدة ٥٠٠٠٠ سنة .

$$= ٦٠ \times ٤٣٢٠٠٠٠٠ \text{ كيلو مترا}$$

$$= ٢٥٩٢٠٠٠٠٠ \text{ كيلو مترا}$$

وهكذا يتضح أن المسافة التي تقطعها التوجات الأثرية في يوم واحد فقط تساوي المسافة التي يقطعها الإنسان بفرض أنه تمكن من السير لمدة خمسين ألف سنة بالسرعة المعلومة التي توصل إليها .

محمد عبد الرحمن سيمر فهمي

مهندس بمشروعات السكة الحديد

حول كتابة المصنف :

جاءتنا ثلاث كليات في التعقيب على ما نشره الأستاذ محمد رجب البيومي في العدد الأخير من مجلة الأزهر عن كتابة المصحف الكريم بالرسم الحديث : الأولى من الأستاذ حسام الدين القدسي يؤكد الفكرة ويختم قوله برأى للرحوم الشيخ حسين والي في كتابه (الإملاء) ص ٤٩ قال فيه : دلو كتبنا القرآن بخطنا المستعمل الآن خرجنا من العهد وقتنا بالأمر أحسن القيام ، كمن كلف شيئاً ففعل خيراً منه ؛ لأنك قد علمت أن الخط الحاضر أحسن مما كان عليه من

والقطار والطائرة والصاروخ وما سوف يستحدثه الإنسان من مخترعات .

ولكن السرعة التي نريد أن نعتبرها مقياساً لحسابنا يجب أن تكون كما أوضحنا سرعة معلومة ، ويجب أن تكون أيضاً معروفة لدينا سواء في زمننا الذي نحياه الآن أو في زمن نزول القرآن الكريم ، فالقرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان .

هذه السرعة التي نريد أن نعتبرها مقياساً لنا هي سرعة الخيل والتي كانت أقصى سرعة تمكن الإنسان من الوصول إليها أيام نزول القرآن الكريم وليس من المنطق أن نعتبر سرعة الطائرة مثلاً مقياساً لحسابنا فإن الطائرات لم تكن موجودة أيام نزول القرآن الكريم علاوة على أن سرعتها غير محددة فإنها تزداد بازدياد تقدم العلم

والسرعة التي وصل إليها الإنسان باستخدام الخيل هي ٦٠ كيلو متراً في الساعة .

ولنحسب المسافة التي يقطعها الإنسان إذا ما استخدم الخيل وسار بها لمدة خمسين ألف سنة .

وباعتبار متوسط عدد الأيام للسنة الهجرية والميلادية هو ٣٦٠ يوماً .

$$٥٠٠٠٠ \text{ سنة} = ٥٠٠٠٠ \times ٣٦٠ \times ٢٤ \text{ ساعة}$$

$$= ٤٣٢٠٠٠٠٠ \text{ ساعة}$$

على أن التغيير قد حصل فعلا في الصدر الأول ، فأليك تلك الأدلة ، وسترى أنها في واد والدعوى في واد آخر .

يقول الأستاذ : إن المصحف الإمام لم يكن به نقط ، ولا شكل ، ولا فيه أسماء السور ، ولا أرقام الآيات ... إلخ ونحن إذا علمنا أن أصل الموضوع إنما هو المحافظة على رسم حروف الكلمات كما كتبها كتاب الوحي الأول ، وأن ما ذكره الأستاذ إنما هو من الأمور الشكلية التي لم تمس رسم تلك الحروف في شيء ، نعلم أن هذا الدليل قد انهار من أساسه .

أما قوله عن ابن خلدون إنه : (أفاض إفاضة مليئة في الدعوة إلى ترك الرسم العثماني) فهو قول بعيد عن الحقيقة ، لأن ابن خلدون فضلا عن أنه أشار إلى عدم المساس بالرسم العثماني حيث قال : (رسمه الصحابة بخطوطهم ، ثم اقتنى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركا بما رسمه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخير الخلق من بعده ، المتلقون لوجيه من كتاب الله ، اقتنى التابعون الصحابة كما يقتنى في هذا العهد خط ولي تبركا ويتبع رسمه صوابا وخطأ وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه ؟ فاتبع ذلك) . ومعنى هذه الجملة الأخيرة من كلام ابن خلدون أنه إذا كان الناس في العهد الأخير يقتفون خط الصالحين

الطريقة القديمة التي كانت في زمن الصحابة رضى الله عنهم .

أما الكلمتان الأخريان فتعارضانها : الأولى للأستاذ عبد الوهاب عثمان يونس من علماء الأزهر ، والأخرى للشيخ محمد السباعي عامر المدرس بقسم القراءات بكلية اللغة العربية . يقول الأستاذ عبد الوهاب عثمان يونس : استولت على الدهشة عندما قرأت في مجلة الأزهر (جمادى الآخرة سنة ١٣٨٠ هـ) أن عالما أزهريا يدعو إلى تغيير كتابة المصحف الإمام في وقت تعرضت فيه الديانات لهجوم عنيف تارة وهمز ولمز تارة أخرى .

وإذا كانت هذه المشكلة قديمة قدم الإسلام ، ولدت معه ، وعاشت معه هذه القرون الطويلة . ولم يقتصر الشعور بها على عصرنا الحاضر . فماذا فعل المدرسون السابقون مع طلابهم حتى نجحوا في حفظ القرآن على ما هو عليه ، فليت شعري كيف حل المدرسون الأول من عهد عثمان إلى الآن هذه المشكلة وسهلوا لتلاميذهم حفظ كتاب الله كما أنزل .

ومع أنهم لم يخف عليهم أن صناعة الكتابة وصلت في عصور الإسلام الأولى الذروة في الإتقان . فإنهم لم يقبلوا أن يمس الرسم الذي رضى به كبار الصحابة وأئمة الصدر الأول ، وهم خير رجال هذه الأمة .

أما ما ذكره الأستاذ البيومي من الأدلة

المصحف الإمام ، ملاحظة فيما لاحظته أن الأمم الراقية تحافظ على آثار سلفها وتقديسها ، ومن ذلك أن الشعب الانجليزى مع تغير كثير من كلماته وطرق إملائه عن اليهود فى عصر شاعرهم العظيم شكسبير ، فإنه لم يسمح لطابع ما ولا لنا شر أن يكتب أشعار شكسبير بغير لغة العصر الذى عاش فيه . لأن شعره أصبح فى نظره مقدسا ، لا يجوز المساس به حتى فى طريقة إملائه ، أفلا يكون أولى بالمسلمين ، بل الواجب عليهم ، وهم يقدسون كتابهم أشد من تقديس الانجليز لشعر رجل عظيم منهم أن يحافظوا على إملائه كما هو ، لما سبق ، وللعنى الذى أشار إليه ابن خلدون فيما تقدم . اللهم وفقنا للصواب ، واحفظ كتابك من التعرض للتغيير والتبديل .

أما الأستاذ السباعى عامر فيستند فى معارضة كتابة المصحف الشريف بالإملاء الحديث إلى أمرين : الأول أن هذا الإملاء الحديث قد يتغير فى المستقبل ، فكيف يكون الحال عندئذ ... ؟ هل يتغير رسم المصحف أيضا فيصبح القرآن الكريم عرضة للتبديل والتغيير ... ؟ أم يبقى على رسمه الإسرائيلى الحديث - الذى أصبح قديما - فنعود كما نحن الآن ... ؟ أليس من الخير أن نبقى رسم

تبركا ، ويتبعون رسمهم صواباً أو خطأ ، فاتباع رسم الصحابة أولى ، لأن منزلتهم أعلى من منزلة أكبر صالح من غيرهم ، فعليك باتباع آثار الصحابة .

ثم بعد كتابة ما تقدم أرشدنى بعض إخوانى إلى ما جاء فى مقدمة تفسير القرآن الكريم لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الجليل عيسى فوجدت فيها : لما رغب كثير من المسلمين فى كتابة القرآن على طريقة الإملاء الحديثة تصدى لمحاربة هذه الرغبة مؤمنون بصيرون بالعواقب . غيرون على قدسية الكتاب الكريم . وكان الصواب حليفهم فى محاربة هذه الرغبة ، لأن القرآن هو عمدة هذا الدين ، وطرق الإملاء الحديثة تختلف باختلاف أقطار المسلمين ، بل قد تختلف باختلاف جوانب القطر الواحد ، فإذا فتح باب كتابة بالإملاء الحديث ، تسرب له ما تسرب للكتب السابقة من التحريف والتغيير ونال من قدسيته ما نال من قدسيته ، فأثر فى قيمتها الدينية والعلمية .

وقد يحسن ألا تغادر هذا المقام قبل أن نسجل لفظة نيملة بدرت عن محكمة استئناف مصر منذ أمد ليس بالبعيد ، نقلها إلينا رجل فاضل عن الأستاذ على منصور المستشار بمجلس الدولة ، تلك هى أن المحكمة حكمت بمصادرة مصحف كتب بما يخالف إملاء

ومثله د آر ، ، د وإن ، في الراء
والنون ، هكذا يراه الراى
والاسم قد يخلو من المسمى
كاد لإنش ، في الهاء وقيت الغما
إلى أن قلت :

وإن ترد ما شذ عما مرا
أرهقتى من عند أمرى عسرا
وصادقا تقول ما من قاعدة
إلا وأشيا عن حماها حائدة
كثيرة مرجعها للصم
لا للقياس وصحيح الفهم
والمشكلة بعد هذه الأرجوزة الطريفة
لا تحل بذكر ما قال العلماء في هذا الموضوع
فإنه معلوم ، والمهم أن ننلس فيما قال العلماء
رأيا يميز كتابة المصحف بالإملاء الحديث
تسهيلا على القارى العادى فإن اطمأنت
قلوبنا إليه أخذناه وإلا أغفلناه .

تصويب آيتين بالجزء السابق :

وردت في مقال الأستاذ محمد رجب البيومى
الذى نشر بالجزء السابق - آيتان محرفتان
ونعيد كتابتهما هنا صحيحتين ، والآيتان
الكريمتان بصفحة ٥٨٨ وهما : د لا تياسوا من
روح الله ، د أفلم يأس الذين آمنوا ، .

ونظروا المربع :

قرأت في عدد الجمهورية الصادر في يوم
السبت ١٢ - ١١ - ١٩٦٠ تحت عنوان :

المصحف كما كتبه الصحابة والمسلمون من عهد
عثمان إلى الآن . ؟ .

والأمر الثانى : هو إسقاط رأى ابن خلدون
الذى استدل به الأستاذ البيومى . فإن ابن
خلدون ليس حجة في القراءات ولا في علوم
القرآن . وقد وضع ابن خلدون أسسا للتاريخ
في مقدمته ثم تقضها في تاريخه . على أن رأى
ابن خلدون في إجازة رسم المصحف بالإملاء
الحديث يعارضه رأى الأئمة الأعلام من كبار
الصحابة والتابعين وغيرهم . وليس رأى
ابن خلدون نديدا لرأى هؤلاء جميعا ، ولا هو
خير منهم . بل هم خير منه .

ثم يقول الأستاذ السباعى - وهو كفيف - :
وقد أشرت في كتابى د الألفية في اللغة
الانجليزية ، إلى ما يوجد في هذه اللغة من الخلاف
بين ما يكتبونه وبين ما ينطقون به بقولى :

أما بنو جرعى فليس يقلب

توافق بين الذى قد يكتب
لديهم وبين ما به لفظ

بل يكثر الخلاف حسب ما حفظ
من ذاك قولهم د ورس ، فحق

فإن دى في الخط لافى المنطق
ودنايت ، د ورايت ، قد زيد في

كلهما إمشا وجى فلتعرف
وربما تلقاه في الختام

كبال ولم في الميم ثم اللام

أجل كيف نستطيع أن نرمي لإنتاج الأدباء في هذه الفترة بالجوهر ، وبيننا اليوم منهم قم لا يجرؤ أحد أن يتطلع إليها أمثال : طه حسين ، والعماد ، والزيات ، وغيرهم من أئمة الأدب .

ثم لو كان الدين جامدا ، لوقفت تعاليمه ، وتجمدت في جزيرة العرب ، بل في مكة والمدينة ، ولما استطاعت أن تنساب إلى الآفاق البعيدة فتغمرها ، أو بعبارة أخرى : لو كان الدين جامدا لما ظهرت في رحابه حضارتنا الإسلامية بما فيها الأدب - التي سيطرت على معظم دول العالم قرونا عديدة ، وتلذت عليها هذه الحضارات التي تبدل بها تاركيين الأصل الذي نبت في ربوعنا . هذا بالنسبة للدين عامة ، أما بالنسبة لما خصصته بالذكر من سنن الوضوء والزكاة المقدسة . فأسفأ ومعدرة بالنيابة عن هؤلاء الأفاضل الذين درسوا اللغة وقواعدها بسنن الوضوء والزكاة المقدسة ، لقد شرفت اللغة ، وشرفت قواعدها ، إذ درست بسنن الوضوء ولو درست أيضاً بنواقضه ، لثالت من الشرف ما لا يستطيع أن يحققه لها المسرح والسنيما على وضعهما الراهن .

وبعد : فالدين بما فيه من سنن الوضوء والزكاة المقدسة يمد يده بما يسهم في تربية المواطن الصالح ، بما في ذلك المسرح والسنيما .

عبد الله محمد الفرماوي

حديث الأسبوع هذه العبارة : « ويعود توفيق الحكيم بذاكرته إلى السنوات الأولى لهذا المسرح الجديد فيقول : كانت الحركة الأدبية في ذلك الحين : حوالى سنة ١٩٣٠ حركة منفلوطية لغوية جامدة . معظم القائمين عليها من خريجي الجامعة الأزهرية ، الذين كانوا يقرءون الأدب بالدين واللغة وقواعدها بسنن الوضوء والزكاة المقدسة التي لا تقبل النقاش أو الجدل ، وكان من المستحيل على عقلية كهذه أن تقبل أن يؤلف للمسرح . إذ المسرح والتمثيل كانا أشياء ينظر لها على أنها وسائل وضاعة وانحلال ، .

وقد حاولت أن أجد لهذه العبارة وجهها حسنا أحملها عليه ، فلم أجد ، ولم أستطع أن أفهم منها إلا أمرين :

أولهما : أن الحركة الأدبية في سنة ١٩٣٠ كانت منفلوطية لغوية جامدة .

وثانيهما : أن سبب هذا الجود هو الدين الذي لا تصلح فرائضه ولا سننه ولا مثله وأخلاقه أن تكون مادة للأدب المتطور .

وليس من ريب في أن هذين الأمرين يجانبان الحقيقة ، أما الأول : فلأن الأفذاذ الذين خلدوا ذكرهم بما تركوه لنا من روائع في الشعر والنثر ، هم أسانذة سنة ١٩٣٠ وما قبلها ، وكيف نستطيع أن نصف أدب شوقي وحافظ والملازني والرافعي والبشري وغيرهم من أعلام الأدب بالجود .

الفهرس

- صفحة
- ٦٦١ مكثوا للأزهر فى إفريقيا الجديدة .! للأستاذ أحمد حسن الزيات
- ٦٦٥ ترجمة المفردات أو العبارات ؟ للأستاذ عباس محمود العقاد
- ٦٦٧ الدولة التى صنعها الإنسان ، والأمة التى خلقها الله للأستاذ الدكتور محمد البهى
- ٦٧٢ آفة . . . فى القرآن الكريم للأستاذ محمد محمد المدنى
- ٦٨٢ ثورة العالم الإسلامى اليوم له مقفور له الأستاذ أحمد أمين
- ٦٨٥ تفحات القرآن : مسئولية المرء عن إضلال نفسه للأستاذ عبد اللطيف السبكى
- ٦٩١ تطوير الفقه الإسلامى للدكتور محمد يوسف موسى
- ٦٩٨ الإسلام والحياة المعاصرة فى أحاديث الرئيس أيوب خان للأستاذ محمود الشرقاوى
- ٧٠٤ النحو والمنطق للدكتور تمام حسان
- ٧١٠ إلهاف عالم أزهرى : التجديد فى العروض للأستاذ على العمارى
- ٧١٦ من روائع الفكر الروحى : أخلاق السكون وأخلاق الحركة عند الفيلسوف الفرنسى برجسون للأستاذ محمد فتحى عثمان
- ٧٢٠ النظرية العامة للإثبات فى الحدود - ٢ - للأستاذ محمد عطية راغب
- ٧٢٣ الدعوة بين التجديد والتقليد للأستاذ عبد الحالى عطية
- ٧٣٠ الإسلام فى نيجيريا للأستاذ عطية صقر
- ٧٣٦ الأزهر فى سيرة أعلامه : سبد بن على المرصفى للأستاذ محمد رجب الليوى
- صفحة
- ٧٤٤ الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم فى الإسلام للأستاذ حسن عبد العزيز نصر
- ٧٥٠ الفقه والقضاء للأستاذ عباس طه
- ٧٥٣ ما يقال عن الإسلام : الإسلام فى إفريقيا الشرقية للأستاذ عباس محمود العقاد
- ٧٥٧ مختارات من الشعر القديم والحديث : العابد للثالث للأستاذ إبراهيم محمد نجما
- ٧٥٩ آراء وأجاديث : زعيم المسلمين فى القليلين - العلم والفن فى نظر الإسلام - واجب العلم القوى نحو أخيه الضعيف - تعلم اللغات الأجنبية - عادات بين مسلمى القليلين - زواج المسلم بنير المسلمة - لا يجوز إكرام البنت على زواج لارتضاء
- ٧٦٦ الكتب : عرض لكتاب « الفقه الشاعرة » للأستاذ الدكتور عبد الله درويش - الرد على ابن النفريفة اليهودى - شعراء نجد المعاصرون - الفقه والتصوف - المستقبل للإسلام - قضايا الفكر فى الأدب المعاصر للأستاذ محمد عبد الله السنان
- ٧٧٤ أنباء الأزهر : الرئيس يشكر شيخ الأزهر - إسلام صحفى فى المكسيك - الأستاذ الأكبر يستقبل وكيل مرشود - الأستاذ الأكبر ووزير تجارة الصومال - وزير التربية والتعليم فى الملايو - الوحدة الطبية تكرم مديرها السابق - مهندس سنغالى يتخرج فى الأزهر - الإسلام والحياة وحقوق الإنسان - مدير مكتب الأمم المتحدة
- ٧٨٢ بريد الحجلة : فى ذكرى ابن تيمية - تعقيب على مقال - مجلة راية الإسلام والشيعية - ابن يعين وديكارث - إلى الأستاذ محمد على النجار - اليوم الذى يساوى خمسين ألف سنة - حول كتابة للصحف بالإملاء الحديث - تصوير فى الجزء السابق - لا تظفوا الدين

The Qur'an advises to behave politely and to hold high characters. God specifies his prophet Mohamed with these qualities. God says : "For thou art of a noble nature. But thou shalt see and they shall see" (Surah, The pen V. 4).

No quality equals this quality in the Qur'an.

It was told in "Hadith" by means of Mohamed Ibn Nasr Al-Marwazy that a man made for the prophet, and stood in front of his face, and then asked him "Oh messenger of God" What is the best quality ? Mohamed answered "God temper". Then the man turned to the prophet's right and repeated his question but the prophet gave the same answer, then the man turned to the prophet's left and asked him the same question but the prophet gave the same answer. Then the man stood behind the prophet, and addressed him the same question. Mohamed the prophet, insisted on the same reply turned his face to him and said Don't You understand Good temper !

Then, good temper, according to the Qur'an is the key of many Problems. Ill-natured people fail to succeed in life. They are exposed to failure

due to their insolence, foul mouthedness, and ribaldry.

Some interpreters of the Qur'an consider good temper including great bashfulness, piety, favour, patience, mercy, cheerfulness, and gratitude. The good natured person is one who avoids slander, avarice, envy, and grudge. He hates for God's sake, and loves for God's sake. He becomes angry for God, and becomes contented for God.

The Qur'an advises the people to give the trusts to their owners, and not to delay to accomplish this task.

For this purpose God says, "Verily God enjoineeth you to give back your trusts to their owners, and when ye judge, between men, to judge with fairness. Excellent is the practice to which God exhorteth you. God heareth, beholds" Surah "The women". V. 58 and others.

In this way the Qur'an is a sacred book above suspicion. That this verily is the word of an apostle worthy of all honour ! And that it is not the word of a poet, how little do ye believe ! Neither is it the word of a soothsayer how little do ye receive warning ! It is a missive from the Lord of the worlds.

with the wind and become unalbe to proceed in the field of civilization, and progress.

The Koran advises the people to take the opinion of one another. It considers counsel the foundation of any prosperous country. The Qur'an asks the Muslims not to bethink one self but be zealous to one's opinion.

God Says "And who hearken to their lord and observe prayer, and whose affairs are guided by mutual counsel, and who give alms of that whith which we have enriched them" "Surah The counsel V. 38".

In this way the people can pick up the threads of a happy life free from personal aim, and individual gluttonies.

The Koran advises the people to fulfil their promises, whether they concern financial debts, or spiritual pledges, or any thing else.

It is a matter of fact that faithless damage friendly relations among the people. Perfidy drags away confidence from the hearts. Treachery creates hatred, abhorrence, and strong aversion instead of amity and friendship.

This vice leads to shatter the means of treatment amongst the people and removes the roots of security and tranquility.

God says "Verily God enjoineeth justice and the good and gifts to kindred, and be forbiddeth wickedness, and wrong, and oppression. He warneth you that haply ye may be mindful.

Be faithful in the covenant of God when ye have covenanted, and break not your oaths after ye have pledged them, for now have ye made God to stand surety for you. Verily God hath knowledge of what ye do "Surah The Bee V. 90 - 91 "

The Qur'an advises us to deal with our parents kindly, and to feel mercy towards them because they enduce to the extreme without complaint for our sake.

This virtue is an universal one which leads the society to happiness and progress, and held in high respect in all the holy books.

God says "Thy Lord has ordained that ye worship none but him, and kindness to our parents whethr one or both of them attain the old age with thee, and say not to them Fie, neither reproach them, but speak to them both with respectful speech, and defer humbly to them out of tenderness and say Lord have compassion on them both, even as they reared me when I was little " Surah "The night journey. V. 22 and others".

God says "Consume not your wealth among yourselves in vain things, nor present it to judges that ye may consume a part of other men's wealth unjustly, while ye know the sin which ye commit Surah The cow " V. 188 ".

The Qur'an orders the Muslims to take always permission when they enter other houses, and exhorts them to ornament themselves with this virtue because the act of entering a house without permission annoys its tenants, and enable the coming from knowing what the tenants are not ready to appear.

God says "ye who believe! enter not into other houses than your own untill ye have asked leave, and have saluted its inmates. This will be best for you, haply you will hear this in mind" Surah "the light". V. 27 "

The Qur'an incites the people to co-operate with one another, because dispute leads to failure and disappointment.

Contest always scatters the power with which the country can face all obstacles in its way, and soon can get rid of them all. It can remove with the power emerged from co-operation all the difficulties which hinder its progress.

By means of co-operation the

country can attain its patriotic aims, and national hopes. We can extract many examples from the Arab countries strife. Whenever the Arab nations co-operate with one another they are ready to overwhelm their foes, attain victory and crown their efforts with success.

God orders the Muslims to take the necessary steps, and precautions against their enemies.

God says "Make ready then against them what force ye can, and strong squadrons wherely ye may strike terror into the enemy of God and your enemy, and into others beside them whom ye know not, but whom God knoweth. All that you shall expend for the cause of God shall be repaid you, and ye shall not be wronged" Surah "The Spoils V. 60 ".

Thus the Qur'an advises to spend on that purpose without hesitation, or avarice. The Qur'an gives pledges to those who spend to reward them on the day of judgement.

Whenever the country achieve this policy it is held in high respect amongst all the world. whenever the country delay to protect its self, and enables the worms of dispute to gnaw at its bones, its efforts go

VIRTUES FROM THE QUR'AN

. BY

Dr. Gamal Addin Arramadi

Amongst the high Virtues which the Qur'an includes is the Virtue of moderation. The Qur'an incited us to avoid extravagancy, extravagance, parsimony and stinginess.

The Qur'an invokes a curse on the extravagant, and disdains the avaricious. The Qur'an asks the people to be equinox and take the moderate side.

God says "And let not thy hand be tied up to thy neck. not yet open it with all openness, lest thou sit thee down in rebuke, in beggary. (Surah the night journey V. 29).

No doubt that the extravagant person will fall abruptly in a catastrophe, and will be unable to stand up again. The person who expends his money in follies, voluptuousness, corporal desires, will complain soon bankruptcy, poverty, and need,

Extravagant countries are exposed to economic collapses, and corruption.

Not only the miser is liable to lead a miserable life, and prevents

himself from enjoying life, and having its acute necessities, but also he is contemptible everywhere, for his rough aspect, and disdainful attitude.

The Qur'an prohibited the Muslims from giving authority to the foolish to spend money, because they spend it blindly, and without any atom of reason, but with insavity.

The Qur'an considers the money of the foolish among the income of the government, because one who loses one's reason is liable to give the money to the wicked who stop at nothing to use this money for nasty purposes.

For this reason the Muslim government does not hesitate to interdictate these people, put an end to their silliness and stupidity, and only gives them what is essential to afford their lives.

The Qur'an prohibits to lay hands on the money of the sane without any right for fear of breaking the civil law, and arousing controversies, and alcrations which lead to vehement litigations.

non-Muslim as long as he makes
sure of it.

When we consider the two women
as one man in the course of certain-
ly, it does not mean that she is
weak in mind. Shaykh Muhammed
Abdou says, "Woman has no bearing
on Fiscal treatments and commercial
exchange. Therefore she is not con-
sidered an authority in this field ; as
for domestic affairs she is more active
and mindful than man because such
business is suitable to her nature and
abilities".

The abovementioned verse was
sent in accordance with the nature
of women who mostly do not attend
buying or selling occasions and
who have no interest in commer-
cial businesses. Conversely so long
as the verse has been sent as a
rule of certainty, then it would be
valid and applicable in an environ-
ment in which women work in com-
mercial and financial businesses. In
such environment judges should con-
sider women on the same footing as
men in ascertaining and assuming
facts.

Besides. Jurists have stipulated
that in some cases, testimony of
of women only is accepted, and
generally these instances are not
customarily within man's purview,
such as laying, virginity and other

affaires relating to the knowledge
of women, while at the same time
there are other instances in which
the testimony of man alone is
accepted.

Further more we do not need
to wander in the realms of thought
and fantasy when the Quran declares
that woman's testimony is like that
of the man in the case of any charge
of adultery launched by one of the
spouses against the other. In this
connection it says : "And for those
who launch a charge against their
spouses, and have (in support) no
evidence but their own, their solitary
evidence (can be received) if they
bear witness four times (on oath)
by God that they are solemnly tell-
ing the truth. And the fifth oath
(should be) that they solemnly
invoke the curse of God on them-
selves if they tell a lie. But it would
avert the punishment from the wife,
if she bears witness four times (on
oath) by God that he (her husband)
is telling a lie. And the fifth should
be that she solemnly invokes the
wrath of God on herself if he (her
accuser) is telling the truth" (Sura,
29. Verse, 6 — 9).

This is justice in Islam in
distributing the common rights betw-
een man and woman, which proves
and emphasizes that they are partn-
ers in life and humanity in general.

the previous sustenance to maintain her dignity and prestige. The Quran says.

“For divorced women maintenance (should be provided) on a reasonable scale. This is the duty of the righteous”.

As regards the man he is burdened with responsibilities of a great magnitude; he should manage his own life, maintain his children and wife, and should undergo the difficulties and hardships of life. In addition he is responsible for the maintenance of his parents and his poor relatives.

After all, what is man's superiority over woman? He is shouldering the greatest responsibilities from which the woman is exempt. He is shouldering the greatest responsibilities from which the woman is exempt. How fortunate the woman has been placed and how unfortunate man is! This is the foundation upon which Islam has dealt the distribution of shares in respect of inheritance of which the woman is entitled to a half share while the man is allotted a full share. However these considerations are of no relevancy and have no affinity with their partnership in life.

Woman's testimony.

The Quranic verse which says, “And if there are not two men, then a man and two women” Sura 2 Verse

282, has not been revealed to show the way of giving testimony but rather to guide along the straight and certain way whereby the dealers are sure of their preservation of their rights. In this connection the Quran says, “O' you who believe; when you deal with each other in transactions involving future obligations in a fixed period of time, reduce them to writing. Let a scribe write down faithfully as between the parties. Let not the scribe refuse to write: as God has taught him so let him write. . . And get two witnesses, out of your own men and if there are not two men, then a man and two women, such as you choose for witnesses so that if one of them errs, the other can remind her” Sura 2 Verse 282.

The above verse provides the best guarantee and assurance whereby the rights would be maintained. This does not mean that the testimony of a single woman or of many women backed by no man would be disregarded; because the ultimate aim of the law is clear evidence. IbnEl Qayyem, the great scholar, declared that evidence is legally of a wider sense than testimony and that all what leads to truth or reveals secrets is evidence recognised by judges. Therefore the judge considers the unequivocal proof and the testimony of the

the following in support of their contention,

“And who kills a believer by mistake, it is ordained that he should free a believing slave and should pay compensation to the deceased’s family”. (Surah, 4. V, 92).

It is unanimously agreed amongst all that this verse is both applicable to man and woman alike and hence the compensation payable to a woman must necessarily be the same as that payable to man.

Woman’s Inheritance.

There are still many who hold and the opinion that the position of a woman is less than that of the man consequently she is given half of the share allotted to a man in an inheritance. They argue that this share was laid down in the Holy Quran and cite the following in this connection.

“As regards your children’s inheritance: to the male a portion equal to that of two females” Sura 4 Verse 11 and “And if there are not two men, then a man and two women” Sura 2 Verse 282.

In fact the share of a woman in an inheritance is not based on the said argument but rather on another basis relevant to the nature of woman and her function in society.

The nature of a woman is such that it necessitates that man should provide the sustenance of his wife, children and poor relatives; that he should also pay the woman’s dowry as an expression of his desire to marry her and that the woman should take care of the house, and attend to her requirements such as pregnancy, laying and nursing the children.

In the light of these circumstances it can be noted that it is obvious that the woman is more fortunate than the man when compared to him. Islam prescribes to her an unlimited dowry.

“Even if you had given the latter a whole treasure for dower, take not the least bit of it back” Sura 4 Verse 20.

It shoulders man with her sustenance, including lodging, clothes, servants and all that she unlavishly needs. After being divorced, it ordains man to support her in a manner similar to her Previous marital life during the period of “AL-IDDAAH” (a period of three months of seclusion upon dissolution of a marriage whether by death or divorce to determine the question of any issues being born to her so as to determine the Paternity of the child if born after a dissolution of a marriage). Islam further entitles a divorced woman to a certain sum of money payable by the man in addition to

dealt with in the said verse by prescribing the law of equality and by recommending mercy.

Man and Woman are equal in compensation.

As long as man and woman are partners in life, sharing the same blood; shouldering the same responsibilities and subject to the same punishments or rewards in similar cases, it has been said that the verses concerning the unintentional killing of man should be applied to the unintentional killing of a woman. This is because whoever purposefully kills a man or woman, he shall forever abide in Hellfire in addition to incurring the wrath of God.

However if we refer this case to the Qur'an the Constitution of the Muslims, we will find that the verse dealing with compensation for killing is the same in respect of man and woman. For example the following verse states.

"Never should a believer kill a believer but (if it so happens) by mistake, compensation is due: if one slave kills a believer it is ordained that he should free a believing slave, and pay compensation to the deceased's family". (Surah, 4. V, 93.)

This verse obviously declares that compensation should be paid, in case of an unintentional killing of a

man or woman, to the deceased's family without any distinction between male or female in this respect. However there was a difference of opinion among religious authorities as regards the quantum of compensation payable. The question that was in issue was whether compensation was payable in equal manner to both males and females alike or whether compensation for females was only half of what was payable to males. This question has been reviewed by Imam Al-Razi and he has referred to both views on this matter in his comprehensive interpretation of the Holy Qur'an wherein he says as follows "Many jurists see that woman's compensation is half of what is payable to man". Other Jurists have expressed the opinion that compensation payable to a woman is the same as that payable to man.

The grounds on which those who advocate the payment of half to a woman are that Omar, Ali and Ibn Mas'ud had considered and applied this; further the woman's share of inheritance being half of what man inherited so must it be in the case of compensation which should be payable in the same manner. Those who argue that compensation is payable in equal terms with man state that this was manifest in the Quranic verse previously mentioned and cite

to the same degree as the man as for instance, the following sura says:

"We ordained there in for them life for life" (Surah, 4. V, 48) and "O' you who believe; the law of equality is prescribed for you in cases for murder" (Surah, 2. V, 178).

Therefore the punishment in the Hereafter, for murder, on a woman is the same as that meted to a man.

"If a man kills a believer intentionally, his recompense is Hell, to abide therein (for ever); and the wrath and the curse of God are upon him, and a dreadful penalty is proposed for him" (Surah, 4. V, 93).

In this verse, God, the Almighty has ordained such penalty or punishment according to the quality of faith in which man and woman are undoubtedly partners. The Islamic Legislators, however, agreed amongst each other that this is applicable to men and women alike.

"O' you who believe; the law of equality is prescribed for you in cases of murder; the free for the free, the slave for the slave, the woman for the woman" (Surah, 32. V, 178).

Some readers who have read of the above, perhaps may assume the idea that a man should not be punished by way of the penalty of death for the murder of a woman

and vice versa. There is no doubt that such a misunderstanding would certainly cause an increase of crimes of murder resulting in the extermination of the human being and a serious threat to human society and endanger the existence of the two principal elements, i.e. the male and the female.

In fact the verse is meant to eradicate the custom of the pre-Islamic Arabs who indulged in murder as a mode of revenge or retaliation for the slain and not to build their punishment on the principles of "AL-QUISSAS". It was their custom not only to take revenge against the murderer himself but also against one superior than him. If for example a slave had murdered another slave, apart from the murderer himself, the master of the slave would also face death as a result. If a woman had been murdered by another of the same sex, the revenge will not be limited to the woman who murdered but will be extended to the killing of a man of the tribe to which the woman murderer belonged.

Therefore the revenge will not be limited to the women who actually committed the murder, but would be extended to the killing of a man of the tribe to which the woman belonged.

This pre-Islamic custom has been

not their fathers' affair".

Nevertheless Islam empowers the father and the guardians the right to raise any objection to a marriage if the woman deviates in choosing her husband, or to prevent the marriage when they are absolutely sure of her unwise decision and wrong choice and that she is about to marry a man who is incapable of maintaining her. This is simply because a marriage contract has an affinity with the family affairs; therefore guardians should have some interest in it in order to maintain the dignity and prestige of the family. Thus they are permitted to interfere whether it be by an objection or by prevention, only in so far as the dignity and the prestige are at stake if the contract of marriage was to be performed.

In this respect Ibn El Kayyem has said: "A woman's consent to marriage is ordained by God in Whose religion we believe, and is in conformity with the Hadiths and the Traditions of the Messengers of God and also with his commandments, the principles of the Law and with the welfare of his people. The father has no right to deal with the possessions of his daughter who is mature and sound' no matter how few these possessions may be, unless she appeases; and he is not allowed

to enforce her to spend any trifle amount therefrom unless she acquiesces. Then how could he be said to impose his will and power to foist a marriage on her? It is a well established fact that spending all her possessions is far more easier than imposing the man on her and whom she does not like".

This is the right of the woman in entering into contracts and in dealing with all civil and personal sanctions as laid down by the Quran, the Prophetic Traditions and the origins of Islamic Law.

Man and woman are partners in Life :

In Islam, therefore, we notice that women are obliged to study everything that comes in useful in life for the reason that she is not only held responsible to her self, but also to her family and the society in which she lives. Consequently as a direct result of this urge to seek knowledge, we find that there are in society today amongst women, the scientist, the medical practitioner, the writer, jurist and the devout. This has been attributed to her partnership with man in life and her effect on this partnership has obviously manifested itself in many aspects of Islamic Legislation. It must be noted that she is criminally responsible

"When you divorce women and they fulfil their term of IDDAT (a limited Period of seclusion upon termination of a marriage whether by death or by divorce) do not prevent them from marrying their (former) husbands, if they mutually agree on equitable terms" (Surah, 2 Verse, 232).

"There is no blame on you if they dispose of themselves in a just and reasonable manner" (Surah, 2 Verse, 234).

The genuine Prophetic Traditions have stipulated that a woman's endorsement and consent should be obtained for her marriage. Such Traditions made it incumbent for the previously married woman to declare her consent openly while in the case of the virgin girl, it would suffice to express her consent and approval by means such as tacit silence or assent by means of an insinuation, because she is comparatively timid. The Messenger (O. W. B. P.) says : "The previously married woman is more responsible of herself than her guardian but the virgin should be asked opinion and her tacit silence or consent is interpreted as her tacit acceptance".

It is not reasonable or customary that the consent of an individual is considered in the validity of some actions.

As long as the virgin is similar to the previously married woman with regard to her judgment and puberty, it is then illogical to differentiate between both of them such as to enforce the virgin to marry one whom she does not like or to consider her exercise of the marital contract as invalid and void.

Furthermore we find in some books of the Hanafi Sect that the woman has the right to make her marriage contract because she is deemed capable as long as she is sound and mature. Therefore she enjoys an absolute liberty to deal with her money and to choose her husband and likewise. Similarly Al-Bukhari and Muslim, the Traditionists narrate that previously married woman called Khansaa daughter of Gozam was unwillingly married and her father made the marital contract. She came to the Prophet complaining and the Prophet dissolved her marriage.

Abdullah son of Abbas also narrated that a woman slave belonging to Abu Bakr had come to the Messenger of God and told him that her father had forced her to marry against her will; then the Messenger informed her that she was at liberty either to continue her marital life or to divorce her husband. She said : "I have approved what mother had done to me but I only wanted to show women that their marriage is

apparent therefore that the position of the contractual capacity of the woman has been quite lucidly stated by Islam and the woman is treated in the same manner as the man in all contractual relations. We are not aware of any Muslim jurist who has contradicted this attitude in Islam who has conceded that the texts in Islam on this subject relate purely to man and not to a woman.

In conferring this contractual capacity on a woman, Islam has considered as a human being both capable and competent to manage her own contractual obligations since the Western woman in the present civilization and the alleged man's rights have not yet reached the standard of women in Islam and has not enjoyed this human right.

Woman's right in entering into matrimonial contracts:

The subject of the woman's right in entering into matrimonial contracts has been discussed at various times and many opinions have been expressed. One could imagine certain voices that would arise from certain quarters and seek to ask: How could it be said that Islam gives the right to a woman to enter into civil contracts while together with some Islamic Schools, it deprives the right to enter into a

marriage contract for herself or for somebody else? The other question is how does one reconcile this position with that of the right of the guardian of a virgin female to enforce her to marry another without her consent and whom she does not like. There is no doubt that the woman's self is dearer to her than any other material possession, then one is inclined to ask the question as to what would one feel with regard to the deprivation of her right to express her opinion in a matter which concerns her and which is vital to her whole existence in life.

The answer to these questions is that in reviewing the position of women in Islam, we have adhered to the Teachings of the Quran which is the foremost and primary source of Islamic legislation. The Quran grants the woman to make her marriage contract and express her opinion regarding the man she is to be married; and at the same time it warns men from infringing the woman's right in this regard. The following verses will clearly and lucidly give an illustration of the true position.

"If a husband divorce his wife (irrevocably), he cannot, thereafter remarry her until after she has married another husband" (Surah, 2. Verse, 230).

inherit her legal portion on the ground that it has afforded her an opportunity of volunteering in war.

It is a well attested fact that the Prophet (O. W. B. P.) had granted women the same rights as men, with regard to their share of the spoils and held that it was justified in killing any woman who was in the ranks of the enemy's ranks.

Therefore Islam has fixed a portion from the inheritance for women, whether she be a mother, wife, daughter or sister, and detailed their portion according to their cases. In this regard the Quran says: "From what is left by the parents and those nearest related there is a share for men and for women, whether the property be small or large, - a detremined share" (Surah, 4. Verse, 7).

It has blamed the heathens for their shameful attitude towards women as follows : "And they assign daughters for God ! Glory be to Him And for themselves (sons, the issue) they desire. When news is brought to one of them, of (the birth of) a femal (child), his face darknes, and he is filled with inward grief. With shame does he hide himself from his people, because of the bad news he has had ! Shall he retain it

on sufferance and contempt, or bury it in the dust ? Ah ! what an evil (choice) they decide on" (Surah, 16. Verse, 57—59).

The Quran openly declares that both male and female are a blessing bestowed by God upon His bondmen which ordains them to be thankful : "And God had made for you mates (and companions) of your own nature, and made for you, out of them, sons and daughters and grandchildren, and provided for you sustenance of the best" (Surah, 16. Verse, 72).

Islam thereafter granted every woman the right to enter into contracts and other transactions such as the buying and selling of goods etc. It must be categorically stated that Islam has not in any way violated nor affected the contractual capacity of a woman in the exercise of such transactions after she has shouldered both personal and common responsibilities.

Islam therefore permits her to exercise the right of ownership and possession, and to deal with freely whatever she possesses, to appoint an attorney to act on her behalf in legal proceedings and she exercised the right to guarantee others transactions and enjoyed the right to be guaranteed in her transaction. It is

Prophet, says, "It was the habit of the Prophet to take some women with him in times of war to supply the warriors with water and to nurse the wounded".

However, nursing the sick, healing the wounded and serving the army had been a primitive and easy matter during the reign of the Prophet, but now it has become an intricate and difficult task which requires certain preparation and training. Women, therefore, in order to perform this noble duty would have to study the various methods pertaining to such duties.

In this connection certain Jurists have expressed the opinion that if the nation is attacked, then participation in times of war would be the task of every individual, whether man or woman, in society. The burden of the defence of the nation rests on all irrespective of the fact whether they be man, woman or boy. The following lines will clearly illustrate this point, "God Ye forth, (whether equipped) lightly or heavily, strive and struggle with your goods and your persons, in the cause of God" (Surah, 9. Verse, 41).

This is the first and foremost field in which we find that Islam has decreed that women should participate and cooperate with man. This principle has been drawn up

since the Call of Islam and since the Muslims began to defend their faith. But the present word is experiencing a period of diversity and transition which directly influence all conditions and institutions. Therefore, in order to maintain the dignity of women, if it becomes necessary for her to make her contribution towards the common struggle, we must put her in the proper place which will protect her from any indecency or frivolity, and also from the evil intentions of ill-hearted people who may be members of the army or of the society to which she belongs.

This is a matter which could be easily organised by leaders with foresight and wisdom and who have a sense of honour and who believe that the moral virtues and the immaculate conceptions are the path to prosperity, success and victory.

Woman in the Pre-Islamic Era:

The attitude previously mentioned has been representative of the Islamic view which destroyed the foundations upon which the heathen Arabs had built and adopted their policy of depriving the woman of her right of inheritance under the pretext that she could not defend her motherland. But Islam has annulled this rule and given her the right to

of sound thinking and capable of expressing a considered opinion and wellfounded views.

Teaching of Women.

There is no doubt that the responsibilities which rest on the shoulders of a woman affords her an opportunity and a right to ascertain and study everything that would enable her to perform her obligations that arise from the responsibilities which she is called upon to undertake. She is called upon in the light of these responsibilities, to enjoin justice and forbid evil, and lead a life of piety, righteousness and virtue.

Therefore, Islam has tasked the woman with the knowledge of creeds and worship as well as with the knowledge of the permissible and the forbidden regarding diet, drinks and other activities of life.

We do not recognize any religious distinction whatsoever between man and woman regarding their capacity in performing their religious duties except that the woman is requested to perform her religious obligations prior to the man due to the fact that she reaches the age of puberty before him.

In some instances Islam has exempted women from performing

certain religious duties, but this does not mean that she is incapable of performing these duties but it is rather an indication that Islam aims at mere mitigation to afford her an opportunity to rest calm and pay attention to her household duties and the upbringing of her children. These duties are the performance of the Friday Prayer and the participation in AL-JIHAD (the religious defence) respectively, but if she prefers to attend the congregational prayer or to take part in the war, there will be no restrictions against her doing so.

Participation of Women in War:

This is a caption laid down by the AL-BUKHARI, the Traditionist, in his book which deals with the Prophetic Traditions wherein he narrates that a woman in the age of the Prophet said, "We have fought with the Messenger of God, peace and mercy of God be upon him, we had been giving hand to the warriors, supplying them with water, nursing the wounded and burying the dead martyrs".

Another woman narrates, "I have participated with the Messenger of God in seven battles, looking after their goods, serving their meals, nursing the wounded and the sick". ANAS, one of the companions of the

up to this moment but I think you are no longer his wife". she said "But he has not uttered the divorce formula". The woman continued her discussion with the Prophet which was protracted, until she said "I have little children who would starve if I took them and would be lost if he took them". Then she raised her hands upwards and turned her face towards heaven and said, "O' God : I am pleading to you, I beg of you to reveal a verse concerning my case at the tongue of your Messenger". No sooner had she finished her Petition when the four verses tackling this problem were revealed. In this connection the Quran says.

"God has indeed heard (and accepted) the statement of the woman who pleads with you concerning her husband and carries her complaint (in prayer to God); and God (always) hears the arguments between both Parties amongst you ; for God hear and sees (all things)". (Surah, 58. Verse, 1).

These verse are meant to denounce these who address their wives in such terms, to put an end to these fallacies and lies and to declare that AL-ZIHAR (the assimilation of one's wife to his mother) is neither divorce not a cause for separation.

"Nor has He made your wives

whom you divorce by ZIHAR your mother" (Surah, 33. Verse, 4) and "If any men among you divorce their wives by ZIHAR (calling them, mother), they cannot be their mothers ; none can be their mothers except those who gave them birth. And in fact they use words (both) iniquitous and false". (Surah, 58. Verse, 2).

Moreover, you could see in the first verse of the chapter of AL-MUGADALAH how God actually elevates the status of women, how he appreciates and respects her opinion, how he makes her an interlocution to the Prophet when He equalizes both of them in his saying, "And God (always) hears the arguments between both sides amongst you", (Surah, 58. V, 1.) and how He legalizes her opinions and makes it an article of the comprehensive and eternal Muslim Law. You would certainly realize that the verses concerning AL-ZIHAR and its injunctions in the Islamic Law as well as in the Glorious Quran, and that the chapter of AL-MUGADALAH are not but natural consequences emanating from women's thought, a divine eternal decree in which we observe throughout a handsome picture of a woman's position in Islam. A woman is not a mere flower whose sweetness a man enjoys but on the contrary she is considered a rational being capable

Hypocrites, men and women, (have undarstanding) with each other. They enjoin evil and forbid what is just, and are close with their hands. They have forgotten God; so He has forgott-en them. Verily the hypocrite are rebellious and perverse. God has promised the hypocrites, men and women, and the rejectors of faith, the Fire of Hell: therein shall thay dwell; sufficient is it for them ; for them is the curse of God, and an enduring punishment ". (Surah, 9 V. 67 - 68 .) .

It is of paramount importance to note that the enjoining of good and the forbiddance of evil is one of the most important responsibilities in Islam in which man and woman are equal. Therefore the teaching of Islam stipulates that the woman should be passive and leave the enjoining of good and the forbidding of evil to man only under the pretext that it is a matter for him alone as he is stronger than her. This is attributed to the fact that man has his own circle and woman has her own, and life can by no means be prosperous unless both of them coordinate and cooperate. If either of them becomes egoist or takes a passive attitude, then life would inevitably deviate from the straight path.

Woman's views in Islam :

Furthermore Islam has raised

the status of women and decreed that in return of her responsibilities, her views, like those of men should be respected so long as they are valid and sound. If Islam attested the views of some men, it also chose some views pertaining to women.

The Chapter of AL MUGADALAH (the woman who pleads) started with four verses which were revealed on the occasion of an event that occured between a man called AWS son of AL-SAMET and his wife KAWLA daughter of THAALAB. AWS said to his wife, " You are to me like my mother" - it was the habit of the Arabs in the pre-Islamic era that if a man addressed his wife in the said manner, he was not permitted to have sexual reletions with her - and then he invited her to have sexual intercourse but she refused him and said, "By God's name, I would not allow you to contact me sexually, after wat you have said, until God and His Messenger judge between both of us". Then she come to the Messnger of God, on whom be peace, and said, "O' messenger of God, I tell you that AWS married me while I was a desired girl but when I became old and ugly he made me like his mother ; and if you have any solution, O' messenger of God, to this Problem, please say it to me". The Messenger, peace and mercy of God be on him, said, " I have no solution to your problem

female and have faith, they will enter Heaven, and not the least injustice will be done to them". (Surah, 17. Verse, 124).

and He also says "And their Lord accepted of them, and answered them. Never will I suffer to be lost the work of any of you, be male or female: you are members, one of another" (Surah, 32. Verse, 195).

Let us Pause here for a moment and consider what was contemplated by God in the foregoing verse "You are members, [one of another" and how he restrains the superiority of man by making him a part of the woman. Nothing whatsoever could illustrate the sense of equality between man and woman better than the said verse which demonstrates the nature of both of them without any distinction. The Holy Quran refers to that notion in the following words : "To men is allotted what they earn, and to women what they earn". (Surah, 4 Verse, 32).

This is the Islamic Law as ordained by God; the woman is responsible for what she does and the man is responsible for what he does; and neither of them is responsible for the other's sins. God, Glorious be He, says, "God sets forth, for an example to the unbelievers, the wife of Noah and the wife of Lut: they were (respectively) under

two of our righteous servants, but they were false to them (husbands), and they profited nothing before. God on their account, but were told, "Enter you the Fire along with (others) that enter". And God sets forth as an example to those who believe, the wife of Pharaoh: Behold she said, "Oh My Lord! build for me in nearness to You, a mansion in the Garden, and save me from Pharaoh and his doings, and save me from those who do wrong".

Woman's responsibility is common and comprehensive.

Thus we have already seen that woman has personal responsibilities towards her religious duties and herself. Yet Islam considers her as having general responsibilities as regards enjoining good, the exhortation to justice, the guidance to virtues and the forbiddance of vices. The Qur'an has openly declared these responsibilities and made the woman similar to man therein. It says, "The believers, men and women protectors, one of another; they enjoin what is just, and forbid what is evil; they observe regular, prayer practise regular charity and obey God and his Apostle. On them will God pour His mercy: for God is exalted in Power, Wise". (Surah, 9 V. 71).

And goes further to state, " The

is in harmony with the necessities of nature. Under Islam the mother is considered the first nurse who brings up the child and nurses him up to a stage after which the father is deemed the second nurse who is responsible for the sustenance and maintenance of his family.

Similarly it stipulates that the money should be earned through just and lawful means and spent reasonably and neither extravagantly nor niggardly. Furthermore it stipulates that the relationship should be on the basis of amity and cooperation without exploitation or subjugation.

Response to the Call of Life.

We note that Islam is the comprehensive answer to the Call of Life and it is the straight path to those who understand it and relate it to its original sources.

Those critics who state that Islam is no longer adaptable to the present needs fall into the following two categories :

(i) Men who received the Islamic teachings from persons who misunderstood it and who strayed from the straight path, and held what they believed in as religion.

(ii) Men who know Islam well

and its values, but who would not accept it due to their inherent prejudices and their bitter antagonism towards it. These persons indulged in unwarranted and fallacious criticism and attributed to Islam a false notion to suit their vicious whims.

It is incumbent upon zealous Muslims to adhere to their old Traditions and to convey the Divine Message to the world. They have to abandon and disregard the age of imitation and to adopt the attitude to progress rather than stagnation. They must re-read the Book of God and the Traditions of the Holy Prophet in order to get a clear perspective and proper understanding of the religion.

Woman is responsible.

Islam holds the woman responsible for her actions; she is considered independent and responsible for her own actions, her religious duties, her family and her society. She enjoys as much responsibility as man and is rewarded for her meritorious deeds as well as punished for her misdeeds. Man's obedience does not accrue to her benefit so long as she deviates from the correct path and similarly his disobedience does not affect her so long as she leads a virtuous, pious and righteous life. In this connection the following words of Almighty God are worthy of note, "If any do deeds of righteousness, be they male or

acquire to realize the virtuous standard of humanity. This is more fully illustrated in the following, "Oh Man-king, reverence your Guardian Lord, Who created you from a single person, created of like nature his mate, and from them twain, scattered (like seeds) are countless man and women" (Surah, 4. V, 1.). And " Oh Mankind, we created you from a single (pair) of a male and female, and made you into nations and tribes, that you may know each other (not that you may despise each other). Verily the most honoured of you in the sight of God is (he who is) the most righteous of you" (Surah, 49. Verse, 13).

The Quranic Teachings give man and woman an honoured place and enjoin their children to bestow kindness towards their parents; "Servv God, and join not any partners with Him! and do good to parents." (Surah, 4. Verse, 36)

The Quran goes further and demonstrates the exhaustive efforts and endeavours and the burden of the mother in bringing up her children and which the father is exempt from, and is aptly described as follows, "And we have enjoined on man (to be good) to his parents! travail upon travail did his mother bear him, an in years twain was his waning" (Surah, 31. Verse, 14.)

The mother's position is further illustrated in the answer of our Holy Prophet (O. W. B. P) when he was asked by a man, "Who deserves my good company?", the Prophet said: "Your Mother". The man repeated "Who is next?", to which the Prophet again replied "Yaur Mother". Once agatn he asked the Prophet "Who is next?" to which the Prophet again replied "Your Mother". Then the man asked again "Who is next?" to which the Prophet said "Your Father".

Legislation is in accordance with Nature :

What is really meant to be conveyed by the aforementioned paragraphs when the Quran ordained children to sho respect to their parents and in particular to bestow kindness upon the mother, is the fact that this is in conformity with the nature of creation, and the nature of women whose hearts ara filled with tenderness and sympathy. This is amply demonstrated during her period of pregnancy, and lactation, the early upbringing and care of her children till they reach the age of maturity.

If we compare the Islamic teachings with the nature of creation, we shall find that the Islamic law is based upon a logical reasoning and

without further campaigns mainly based on false pretences as a defence of women's rights. To achieve this they began to propagate their deceptive and base methods to lure women and win them to their side. Furthermore, false doubts have been created in many minds regarding this aspect and inaccurate pictures have been portrayed in many minds as to the real status of women in Islam.

The Western Woman :

Islam in fact, has given woman all good and kept her away from any evil. It has just illustrated what is meant by liberty and to what extent she is entitled to enjoy this liberty and freedom not as conceived by Western civilization. I am quite sure that the Western woman, when she realizes her human nature, would shed tears on the lost prestige, honour and happiness. Any woman, whosoever would certainly realize, sooner or later, that the only shelter to which she might restore and in which she might feel secure and honoured are the divine teachings of Islam whose antagonists are desperately endeavouring to defile or depict Islam as mere fetters enchaining women and depriving her of her natural rights.

In the following pages we shall

endeavour to portray the real position enjoyed by a woman in accordance with the teachings of Islam as laid in the Holy Qur'an with a view to guide people regarding the rights, the injunctions and the status of women and the place accorded to her in society. She is considered as the foundation upon which the edifice of Islamic Society is built, and should her rightful place be in any manner be affected or weakened, then society loses its strength and its integrity.

The origin of Man.

The Holy Qur'an attributes the existence of mankind to the partnership of man and woman, and does not distinguish between them. With the passage of time mankind became grouped into clans, tribes, families and individuals. Accordingly man enjoyed a state ofaternity while the woman enjoyed a state of maternity. The Glorious Qur'an considered this as a blessing bestowed upon man and made it incumbent upon him to be thankful to his Creator and ordained him to be pious, virtuous, righteous and dutiful to God.

To illustrate this point of view, we may state that there lies no distinction between man and woman in humanity. The only distinction which elevates one another is the virtuous characteristics which either of them

THE POSITION OF WOMEN IN ISLAM

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

Women in the Quran

The Glorious Qur'an has dealt with Woman's affairs in more than 10 Suras (Chapters) two of which are called the major and minor suras of women, i.e. the Woman's sura and the Divorce Sura. The subject of women has been dealt with in the chapters of the Cow, The Table, The Light, The Confederates, the Woman Who pleads, the woman to be examined and the Prohibition.

This clearly indicates that Islam protects women and affords them a status whereby they enjoy rights and privileges in Islamic society. This status, however, was not accorded to any woman before the advent of Islam, in any divine law or man made society. Nevertheless the position of women in Islam has been the subject of much discussion and one of the most controversial topics. Various opinions have been expressed and some of them for instance, assume that Islam filched her rights,

degraded her status and made her a trivial means of enjoyment at the disposal of men, but the Qur'an says:

“ And women shall have rights similar to the rights against them, according to what is equitable”(Surah 2. Verse, 228).

In point of fact the subject has not been discussed in a just and equitable manner but rather viewed with religious bias and prejudices. In other words, it has been looked at with a jaundiced eye.

Personal Affairs :

Among the bitter consequences that resulted from foreign occupation of our land and the Imperialists, systematic inroads our institutions and beliefs has been the rejection by Muslims of the criminal and civil laws ordained by Islam. Nothing was left in the Islamic Law except certain rules governing family and women in particular. Even this remainder of Islamic legislation has not been left

bring their attention to the mistakes before the spread of the opinions and the books.

Had the false Traditions not been available to those who cannot distinguish between them and the true ones, the suspicion about faith could have been limited.

The Fourth Revolution, then, serves one of the Revolution's aims. It is also a necessity in the process of Reformation and in the nature of religion as well as in the responsibility of Al-Azhar.

When this Fourth Revolution matures with its sister, it can cast off the dirt and purify God's Religion from the poison of innovation and sects and

congregations in order that people may imbibe it filtered. Then, such a Revolution will be apt to construct for the Arabs an ideal society which walks on God's path, guided by truth, surrounded by knowledge and conscience. When the construction of such a society is completed, you will not find any longer the evils committed in the governmental departments, nor the catastrophies taking place in the houses, nor the queer characters seen in the streets, nor the shortcomings in our transactions. Therefore the reformers will be pleased to see the harvest of the Revolution, the citizens will be proud of the Nation's status, and the believers will rejoice in the victory granted them by God.

unorganized divided heritage into three sections: the first for interpretation and explaining the Glorious Quran in the light of true Traditions and real science; the second for Traditions, collected from the trustworthy books, assisted in explanation by the sciences of history, sociology, ethics, and philosophy; the third for jurisprudence. This last section will include the right verdicts and true doctrines. The text of this section should be articles like law being explained in legal terms in such a way that it refers to the origin and mentions the branches without interpolation or vagueness.

These three sections will be the subject of study, the reference for judicial purpose, and the source of legal decision. From these three texts, some abridged books may be written for the schools and to be spread among the public. These abridged books can also be translated along with the texts into most of the Oriental Languages as well as into the famous languages of the West and then be sent to every country that knows Islam or desires to know about it.

Except for those writings on the three sections, all the previously written books on jurisprudence, interpretations and collections of traditions should be reviewed and divided

into two categories: those which contain truth may remain in the libraries as references for specialists and historians; and those which contain false knowledge should be done away with as did Othman with every Quran except his own. For, preserving the fabricated Hadiths and false beliefs is very injurious, dangerous and misleading.

I remember that a great scholar, who passed away, presented a thesis in French to the Sorbonne on "The Status of Women in Islam". The writer in his thesis did injustice to the Prophet's characteristics, religion and moral life. When he was disputed, the writer supported his claims by Traditions mentioned in "Tabakat Ibn Sa'ad" and in "Al-Shifa" by Al-Qadi Iyad. When his evidence was rejected because those Traditions were not true, the writer said, "How can I know that such Traditions are not true in view of the fact that I quoted respectable writers and widely read books?"

Every now and then people read different opinions and different books written by such scholars who are misled and deceived by such books. The critics of Traditions most likely do not have the chance to

It is a pity and plague for Islam that, when its people became weak and its sovereignty decreased, many foreign elements penetrated its body to the degree that everyone was able to interpret it to suit his desires

The religious revolution, then, as I mentioned, aims at liberating the mind from the impotent leadership and blind imitation. It also aims at purifying the traditions from the false Hadiths - after that the jurisprudence can be rewritten in the light of the original Islamic sources, Qur'an and true Hadiths to suit the conditions and circumstances of time as well as to face the problems of civilization. Finally, this purified true Islam can be Exhibited in its attractive form and straight style.

That is what should be considered by the Republic in National Planning for the next ten years; for the Constitution's declaration, that Islam is the official national religion, does not make sense unless the effect of religion can be seen in the processes of socialization, education, legislation, and morality.

To execute such a vital policy, no institution can function or perform this duty as efficiently as AL-AZHAR. AL-AZHAR, the radiating centre of Islamic thought and culture, has a unique history, position and capacity,

and is the most capable institution for disseminating the great Message and orienting the big nation. This can be done if Al-Azhar is entrusted with the plan drawn by the Revolution to play the role defined by the General Conference of the National Union, "The Conference - believing in the vital role carried on by the Honourable Azhar in respect of our Holy struggle defending Arabism and our spiritual values - declares its insistence this great Islamic Institute in order that it continues to be the light - house which sends its spiritual and scientific rays to every part of the world. And as to enable it to join the evolutionary movement of our present time, the Conference recommends that AL-AZHAR should be secured the means by which it can become a useful Institute for serving our spiritual and national aims and to liberate our Arabic Nation as well as to materialize its overall unity in the frame of true national conception".

The central core of the Message of Al-Azhar is to reserve the Islamic heritage and purify it from strange beliefs, false doctrines and harmful innovations. After that, Al - Azhar should spread true Islam all over the world via education, writing, translation, and missionary work.

Its means to this end, in my opinion, is to work on collecting this

and those selfish opportunists despite the fact that our nation has improved in the last eight years to the degree that, internationally we are heard whenever we speak, are given when we demand, find the result of our work, and harvest the fruits of our plant in the shade of a democratic regime and socialistic system both of which guarantee the individual as well as the nation the cooperation of each other. A Fourth Revolution, therefore is necessary to function as the intuitive spirit of this threefold one, serving as its guiding ray. This needed revolution is the religious one.

Perhaps the pious taste does not tolerate mentioning revolution beside religion. The connotation of revolution for a long time gave it the meaning, of rebellion, precipitancy, tyranny, persecution and assassination. But the Nasserite revolution - the first of its kind in human history - has changed this old connotation. It now denotes liberation, purification, construction, evolution and reformation, for it did not colour its white page with bloody spots, nor did it cover the black spots of the previous regime with anything less than good manners.

According to this new interpretation of revolution, we need a religious revolution. Religion by nature and definition is a continuous revolution against corruption and evil, and

war against injustice and inequity. As long as those evils exist on earth revolution should continue and war should be declared. All that is needed is to increase the flame of religion and brighten its light in order that our general Revolution may find in its heat a source of strength and in its light the origin of guidance.

The reformer who is chosen, in the series of reformers, to revive what has been forgotten, define what has become vague, and reconstruct what collapsed, is the man who can uncover the word of God and define the message of Muhammad. Such a man realises that corruption in government and in politics, and that feudalism have weakened the religious impulse. Thus, the light of Islam became dark in the conscience of the Muslim whose religion does not resemble that of the early Islamic generations who conquered the world.

Islam today became a strange mixture of old traditions, false sufism, handed-down myths, and alien customs which deceive the believers that Islam is not concerned about this life, and the Muslim is not concerned about material things. Such people think that their superstitious beliefs represent the spirit of religion and lead to the path of heaven and the mercy of God. They do not lack support of some false opinions or fabricated traditions.

OUR THREEFOLD REVOLUTION NEEDS A FOURTH ONE

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

The United Arab Republic lives today in a threefold Revolution as its great agitator, Gamal Abdel Nasser truthfully said; a political revolution to provide freedom and stabilize liberation on the basis of unity and neutrality; a social revolution to furnish democracy and build society on the basis of equality and fraternity; and an economic revolution to ensure socialism and establish wealth on the basis of justice and cooperation.

This threefold revolution is the center of the laborious wise power of the nation. It was initiated by a strong flexible hand which sought ruling as a means of reformation, tearing down for rebuilding and ploughing for planting. Thus, the whole nation from Aswan to Al-Qamsheli, is dynamic in its will and determination.

But this constructive revolutionary power alone, no matter how much it produces or initiates, cannot

provide the suitable surroundings for the human being unless we consider him a mere animal - with just a stomach but no heart; with just emotion but no mind - rather than human, who on the ladder of God's creation, occupies the middle range between beast and angel. His physical entity attaches man to earth, while he is connected with the sky by his spiritual attainment.

Yes, it is possible that the threefold revolution, with its physical and mental power, may soften the iron, cultivate the stone, conquer the Nile, spread knowledge, make life more comfortable for the worker and the peasant, and supply the army and the police with more powerful weapons. All this is possible, but the threefold revolution cannot fill the closed heart with piety nor can it revive the dead conscience. The evidence is that there are still amongst us the bribe, the defalcator, the thief, the forger, the loose character, the subversive, the hypocrite, the traitor,

ملحق

للجزء السابع من مجلة الأزهر

الصادر في رجب سنة ١٣٨٠ هـ

د في موضوع الربا ورأى العلماء فيه ،

ملحق بمجلة الأزهر

لعدد رجب سنة ١٣٨٠ هـ

بعد طبع الجزء السابع من مجلة الأزهر لرجب من عام ١٣٨٠ هـ اطلعنا على العدد الحادى عشر وملحقه من مجلة لواء الإسلام لشهر رجب من هذا العام فقرأنا فيه مقالا لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت عنوانه : « نظرة الإسلام للربا » ، منقولاً عن مجلة الهدى النبوى ، وقد بنى عليه من بنى أن لفضيلة الشيخ الأكبر رأيين فى الربا .

وليس فى ذلك من بأس فإن للفقهاء أو للشرع أن يرى رأياً ثم يجد من المصلحة أن يعدل فيه أو يعدل عنه ما دام مستنداً فيما يرى إلى دليل شرعى . والعلماء يعرفون أن الإمام الشافعى له مذهبان : مذهب فى مصر يخالف مذهبهم القديم فى العراق ، وكلا المذهبين مؤيد بالقرآن والسنة ، على أن فتوى الشيخ الأكبر لم تكن بدعاً من آراء العلماء الثقات ، ولا معارضة لروح الدين الذى شرعه الله لكل قوم ولكل زمن ، فقد قال الفخر الرازى فى تفسيره :

« المسئلة الثالثة : اعلم أن الربا قسمان : ربا الفسيئة ، وربا الفضل ، أما ربا النسبئة فهو الأمر الذى كان مشهوراً متعارفاً فى الجاهلية ؛ وذلك أنهم كانوا يدفعون المال على أن يأخذوا كل شهر قدراً معيناً ويكون رأس المال باقياً ثم إذا حل الدين ، طالبوا المدينون برأس المال ؛ فإن تعذر عليه الأداء زادوا فى الحق والاجل ؛ فهذا هو الربا الذى كانوا فى الجاهلية يتعاملون به ، وأما ربا النقد : فهو أن يباع من الخنطة بمنوين منها وما أشبه ذلك ، إذا عرفت هذا فنقول : المروى عن ابن عباس : أنه كان لا يحرم إلا القسم الأول ، فكان يقول : لا ربا إلا فى النسبئة ، وكان يجوز بالنقد ... وحجة ابن عباس أن قوله : « وأحل الله البيع » ، يتناول بيع الدرهم بالدرهمين نقداً ، وقوله : « وحرم الربا » ، لا يتناول ؛ لأن الربا عبارة عن الزيادة ، وليست كل زيادة محرمة ، بل قوله : « وحرم الربا » ،

إنما يتناول العقد المخصوص الذى كان مسمى فيما بينهم بأنه ربا ، وذلك هو ربا النسئة ، فكان قوله : « وحرم الربا » مخصوصا بالنسئة ، فثبت أن قوله : « وأحل الله البيع » يتناول ربا التقد ، وقوله : « وحرم الربا » لا يتناوله ؛ فوجب أن يبقى على الحل ، ولا يمكن أن يقال : إنما يحرمه بالحديث ؛ لأنه يقتضى تخصيص ظاهر القرآن بخبر الواحد وهو غير جائز ، وهذا هو عرف ابن عباس . وجاء فى كتاب الأشباه والنظائر للشيخ زين الدين بن نجيم الحنفى ^(١) ما يأتى : الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة كانت أو خاصة . ولهذا جوزت الإجارة على خلاف القياس للحاجة ولذا قلنا : لا تجوز إجارة بيت لمنافع بيت لانحداد جنس المنفعة فلا حاجة ، بخلاف ما إذا اختلف ، ومنها ضمان الدرك جوز على خلاف القياس ، ومن ذلك جواز السلم على خلاف القياس ؛ لكونه بيع المعلوم دفعاً للحاجة المفاليس ، ومنها جواز الاستصناع للحاجة ، ودخول الحمام مع جهالة مكش فيه وما يستعمله من مائه ، وشربه السقاء ، ومنها الإفتاء بصحة بيع الوفاء حين كثر الدين على أهل بخارى وهكذا بمصر ، وقد سموه بيع الأمانة ، والشافعية يسمونه الرهن المعاد ، وهكذا سماه به فى « الملتقط » وقد ذكرناه فى شرح الكنز من باب خيار الشرط . وفى القنية والبغية : « يجوز للحتاج الاستقراض بالربح » .

وقال الشيخ محمد عبده : « وتعريف الربا للعهد : أى لا تأكلوا الربا الذى عهدتم فى الجاهلية ، وكذلك يقول : «... قد علم بما تقدم فى تفسير آيات الربا : أنها نزلت فى وقائع كانت للرايين من المسلمين قبل التحريم ، فالمراد بالربا فيها ما كان معروفا فى الجاهلية ^(٢) من ربا النسئة ، أى ما يؤخذ من المال لأجل الإنشاء أى التأخير فى أجل الدين ، فهذا . . . ما ورد القرآن بتحريمه لم يحرم فيه سواه ، وقد وصفه فى آية آل عمران التى جاءت دون غيرها بصيغة النهى وهى قوله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة » ، وهذه أول آية

(١) صفحة ٤٦ من الكتاب .

(٢) صفحة ٩٤ > ٣ تفسير الإمام الشيخ محمد عبده .

نزلت في تحريم الربا : فهو تحريم لربا مخصوص بهذا القيد ، وهو المشهور عندهم (١) وللشيخ الإمام فتوى معروفة في تحليل ما يؤخذ من فائدة على الأموال المودعة في صندوق التوفير . وهذا نص فتوى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر : —

الأسهم والسندات

ضرورة الأفراد وضرورة الأمة

(س) : من المشاريع الهامة التي تعود بالخير على المسلمين ما يحتاج إلى قرض من المصرف يتقاضى عنه المصرف رباً ، فهل يحجم المسلمون عن ذلك على أنه ربا ، ويترك المجال لغير المسلمين - وما حكم الشرع في الأسهم والسندات ؟ .

* * *

(ج) : لاشك في أن القرآن حرم على المؤمنين التعامل بالربا ، والربا حدد بالعرف الذي نزل فيه القرآن بالدين يكون لرجل على آخر ، فيطالبه به عند حلول أجله فيقول له الآخر : أخر عني دينك وأزيدك على مالك ، فيفعلان ذلك (وهو الربا أضعافا مضاعفة) فنهام الله عنه في الإسلام .

وواضح أن هذا الصنيع لا يجرى عادة إلا بين معدم غير واجد ، وموسر يستغل حاجة الناس غير مكترث بشيء من معاني الرحمة التي يبني الإسلام مجتمعه عليها ، والتي لو عدمت في المجتمعات لأصبحت كغابات الحيوانات المفترسة ، وهذا

(١) صفحة ١١٣ ، ١١٤ من المصدر السابق .

النوع من الربا لا تقبل لإنسانية فاضلة الحكم بإباحته ، وقد قابل القرآن الكريم حرمة في جميع الآيات التي وجد فيها ، بالصدقة التي تبذل في مساعدة الفقير المحتاج . وتشير هذه المقابلة إلى أن تلك الحالة ، كان جديراً بها أن تجري فيها الصدقة ، وهي التبرع المحض ، فإن لم تكن صدقة فلا أكثّر من الرد بالمثل ومن النظرة إلى الميسرة : « يحسب الله الربا ويربي الصدقات ، ^(١) لا تظلمون ولا تظلمون ، وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون ، ^(٢) . أما الزيادة والمضاعفة فيها ، فهما ظلم وعدوان ، وهما من موجبات المقت والغضب عند الله » وانتقوا النار التي أعدت للكافرين ، .

الضرورات والحاجات :

والفقهاء تمشياً مع توسيع نطاق التراحم ، والبعد عما يفتح على الناس باب التراحم المادي في الضغط على أرباب الحاجات ، توسعوا كثيراً فيما يتناوله الربا ، وكان لهم في ذلك مشارب مختلفة وآراء متعددة ورأى كثير منهم أن الحرمة فيما يحرمون تتناول المتعاقدين معاً : المقرض والمقترض ، وإن اعتقد أن ضرورة المقرض وحاجته مما يرفع عنه إثم ذلك التعامل لأنه مضطر ، أو في حكم المضطر ، والله يقول : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه ، ^(٣) .

وقد صرح بذلك بعض الفقهاء ، فقالوا : يجوز للمحتاج الاقتراض بالربح وإذا كان للأفراد ضرورة أو حاجة تبيح لهم هذه المعاملة . وكان تقديرها بما يرجع إليهم وحدهم وهم مؤمنون بصيرون بدينهم فإن الأمة أيضاً ضرورة أو حاجة ، كثيراً ما تدعو إلى الاقتراض بالربح ، فاللزاعون كما نعلم تشتت حاجتهم في زراعتهم وإنتاجهم إلى ما يهيئون به الأرض والزراعة . والحكومة كما نعلم تشتت حاجتها

(١) الآية ٢٧٦ من سورة البقرة .

(٢) الآيتان ٢٧٩ ، ٢٨٠ من سورة البقرة .

(٣) الآية ١١٩ من سورة الأنعام .

إلى مصالح الأمة العامة ، وإلى ما تعد به العدة لمخافة الأعداء المغيرين ، والتجار تشتد حاجتهم إلى ما يستوردون به البضائع التي تحتاجها الأمة وتعمرها الأسواق ، ونرى مثل ذلك في المصانع والمنشآت التي لاغنى لمجموع الأمة عنها ، والتي يتسع بها ميدان العمل فتخفف عن كاهل الأمة وطأة العمال المتعطلين . ولا ريب أن الإسلام الذي يبني أحكامه على قاعدة اليسر ودفع الضرر ، والعمل على العزة والتقدم ، وعلاج التعطل يعطى للأمة في شخص هيئاتها وأفرادها هذا الحق ، ويبيح لها - ما دامت مواردها في قلة - أن تقتصر بالرجح تحقيقا لتلك المصالح التي بها قيام الأمة وحفظ كيائها .

تقدير الحاجة والمصلحة لأولى الرأي :

غير أنى أرى أن يكون تقدير الحاجة والمصلحة بما يؤخذ عن (أولى الرأي) من المؤمنين القانونيين والاقتصاديين والشرعيين ، ويكون ذلك في ناحيتين : ناحية تقدير الحاجة ، وناحية تقدير الأرباح ، واختيار مصادر القروض ، فلا يكون قرض إلا حيث تكون الحاجة الحقيقية ، ولا يكون قرض إلا بالقدر المحتاج إليه ، ولدفع الضرورة والحاجة ، ولا يكون قرض إلا من جهة لا تضمر استغلالنا واستعمارنا ، ولو أن الأمم الإسلامية تكاثفت على وضع أساس اقتصادي يحقق مصالحها ، ويبقى شر التحكم الأجنبي لوجدوا من مبادئ الإسلام الاقتصادية ما يجعلهم في مقدمة الأمم اقتصادا وقوة وحضارة .

أما الفرق بين الأسهم والسندات ، فهو أن الأسهم من الشركات التي أباحها الإسلام باسم المضاربة ، وهي التي تتبع الأسهم فيها ربح الشركة وخسارتها ، وأما السندات وهي القرض بفائدة معينة لا تتبع الربح والخسارة ، فإن الإسلام لا يبيحها إلا حيث دعت إليها الضرورة الواضحة التي تفوق أضرار السندات التي يعرفها الناس ويقررها الاقتصاديون .

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المفتون
إدارة إجماع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦١٤

يشترك في التحرير
عبد بن محمود العقاد
محرر التحرير
محمود الشقادي
بدر الاشتراك

تصدرت عن شيخنا الأزهر في أول كل شهر هجري

الجزء الثامن — شعبان سنة ١٣٨٠ هـ — يناير ١٩٦١ م — المجلد الثاني والثلاثون

السلامة العامة

من الفتوة الإسلامية

بمناسبة ذكرى صلاح الدين

بقلم : أحمد حسن الزيات

الظافر ، وتحبس عنان القائد الطموح . وكان موقف فيليب وريكاردوس من صلاح الدين هو موقف حفيديهما جي مواليه وإيدن من عبد الناصر . والسبب الأول للوقوفين واحد ، هو خطر الجيش المصري القوي على الغزو والصليبي الذي بدأ في آخر القرن الحادي عشر واستمر حتى منتصف القرن العشرين !

أقبلت جيوش الغزوة الصليبية الثالثة إلى الشام سنة ١١٨٩ م يقودها سبعة وعشرون

روعت أوروبا وأخذها المقيم المقعد حين علمت أن صلاح الدين قد استرد مدينة القدس وقوض مملكة اللاتين في فلسطين وسورية . وورد على إنجلترا وفرنسا من قوة الجيش المصري وقدرة العاهل الأيوبي ما أقلقهما على حاضر الإقطاع الصليبي في الشام ومستقبل الاستثمار الأوربي في الشرق ، فألبتا عليهما الفروسية المسيحية بقساوتها وضراوتها وتعصبا وحقدتها وغدرها لتعلم أظفار الجيش

وأهوى به على القضيبي فاختطفه نصفين . ثم عاد إلى مكانه بين تصفيق الحضور ولغده منفوخ وأنفه شاخ . فضحك صلاح الدين ضحكة المستهزئ وقال لريكار دوس : ليست الحرب صلابة سيف وقوة ساعد . وإنما هي مضاء حد وسداد يد . ثم أخرج من منطقتة منديلا من الحرير الرقيق وقذف به إلى أعلى ثم تلقاه بسيفه فشطره . ثم تناول شطري المنديل بشاة سيفه وألقاهما في حجر قلب الأسد وهو يقول : بمثل هذا السيف سنلقاكم غدا ! وانصرف وترك الملوك والفرسان مهوتين مشدوهين ينظر بعضهم إلى بعض وقد استولى عليهم صمت عميق . ثم انفجروا معجبين بصلاح الدين حين حاول ريكاردوس أن يقطع المنديل بإمراره على حد سيفه فلم ينقطع !

* * *

قال العماد الأصفهاني كاتب صلاح الدين في كتابه (الفتح القدسي) : « وصلت في مركب ثلثمائة امرأة إفريقية مستحسنة مزينة ، قد اجتمعن من الجزائر ، وانتدبن للجزائر ، واغتربن لإسعاف الغرباء ، وقصدن بخروجهن تسهيل أنفسهن للأشقياء ، وأنهن لا يمتنعن من العزبان ، ورأين أنهن لا يتقربن بأفضل من هذا القربان ، وزعن أن هذه قرابة مافوقها قرابة ، ولا سيما فيمن اجتمعت فيه

ملكا وأميرا يتقدمهم فيليب أغسطس ملك فرنسا ، وريكار دوس قلب الأسد ملك بريطانيا ، وفريدريك باربروس ملك بروسيا ، فبدأت بحصار عكا ، ثم انتهت بعد ثلاث سنوات بهدنة الرملة . وحسبي من حديث هذه الغزوة أن أجلك من صفحاتها صفحة الفتوة أو الفروسية التي تجلت في شجاعة صلاح الدين وشهامته ونبله :

طلب إليه الملوك الصليبيون قبل القتال أن يجتمع بهم لسمع منهم ويسمعوا منه . فسار إليهم في كتيبة من أقوياء جنده وسألهم ماذا يريدون . فقالوا له : إن أوروبارمك بما لا قبل لك به من ملوك وجيوش وقادة . وإن من الخير لك ولقومك أن تجلو عن بيت المقدس وإلا ذقت وبال أمرك .

فقال صلاح الدين : إنكم تعززون بكثرة العدد ونحن نعتز بقوة الإيمان ، وإنكم تحبون الدنيا وتعلقون بها ، ونحن نحب الآخرة ونعمل لها . ولن ينتصر من أحب الحياة ، وإن يهزم من طلب الموت .

فنهض ملك إنجلترا من بين الملوك وقال للزيمان : قل لصلاح الدين : إني أنا قلب الأسد والقوة عندنا هي كل شيء . وسأريه البرهان . ثم دعا بقضيبي من الحديد قطره ثلاثة ستمترات ووضع طرفه على منضدة وطرفه الآخر على منضدة ، ثم سل سيفه

وأجناده ليتعرف حالهم ويطمئن بهم . فافتقدته الفتاة في خيمته ذات ساعة من الليل فلم تجده . فخرجت تبحث عنه فضلت الطريق ودخلت في معسكر المسلمين ، فظها الحراس جاسوسا فرماها أحدهم بهم فسقطت على الأرض تتلوى ونئن . واتفق حينئذ أن مر صلاح الدين في طوافه بهذا المكان فسمع الأنين فاقرب من مصدره فإذا الفتاة مضرجة بالدم فاقدة الوعي ، فاحتملها على ذراعيه إلى أول خيمة في المعسكر . ودعا لها بطبيب أخرج النصل من فخذه وتعهدها بالعلاج حتى برئت . وكان صلاح الدين يسأل عنها الحين بعد الحين . فلما مثلت بين يديه بعسد البرء راعه ما رأى من جمالها فأضرب حبها في قلبه ، وأنزله على الرحب من عطفه .

وفي إحدى الأيام عرض قواده عليه بعض كبار الأسرى وهو في خيمته فعرفت الفتاة من بينهم قائداً من خواص قلب الأسد فاستأذنت السلطان أن تتحدث إليه فأذن فلما سأله عن مولاه أخبرها أنه سمع اليوم أثناء المعركة أن خصومه من الفرنسيين والانجليز قد قرروا اغتياله في هذه الليلة ولولا أنه وقع في الأسر لذهب إليه يحذره ، فجزعت الفتاة على ملكها ، ولم تملك سوا بقدمعها ، فاسترسلت في البكاء . فسألها صلاح الدين عما بها ، وعما قاله الأسير لها ، فأفضت إليه بجملة الأمر .

غربة وعزبة . وتسامع أهل عسكرنا بهذه القضية ، فعجبوا كيف تعبدوا بترك النخوة والحمة . . ومضى العمان يذكر ما ذا كان يفعل أولئك النسوة في استغواء الأغرار واستراق الأخبار واستلاب الأنفس . وتكتيب الغواني في جيوش الاستعمار سياسة سننها فرنسا ونهجتها انجلترا ، وصادفت هوى في نفوس الصهيونيين فطبقوها على نطاق واسع في السياسة والتجارة والحرب ، ولا يزال إخواننا الفلسطينيين يذكرون سوء عقباها في التهديد لقيام إسرائيل ١ .

* * *

كان من بين هؤلاء الحسان المجندات فتاة استخلصها الملك ريكاردوس لنفسه فكانت تقوم على خدمته في خيمته ، وتعنى براحته مع أخته وزوجته ، وكانت الفتاة على حظ عظيم من جمال الوجه ورقة القلب وخفة الروح ، فأحبها قلب الأسد كل الحب ، وأخلصت هي له كل الإخلاص ، فكانت عينه على أقرانه وأذنه بين قواده ، فعلبت من طريقها الخاص أن فريقاً من القادة قد ضاقوا بجدة طبعه وشراسة خلقه فاتمروا به ليمتثلوه . فأخبرته بما علبت ، فاتهم الخبر وأبى أن يصدق أن أحداً من خلق الله يجرؤ على مواجهته بالسيف . وكان من عادة ريكاردوس أن يطوف بالليل على قواده

أن احتوشوه في الظلام وطوقوه بالكثرة فأيقن أنه هالك . وفي هذه اللحظة الحرجة جاءت نجدة صلاح الدين فصرعته من حوله . ثم طلبوا إليه أن يصحبهم إلى السلطان فसार معهم مطمئن القلب لاعتقاده بأن الملك الذي ينتقد عدوه من القتل ، يستحيل عليه أن يسلم ضيفه إلى الأسر .

وكان لقاء السلطان للملك لقاء جميلا نبيلاً كأنهما لم يقتتلا طوال اليوم ، ولن يقتتلا طوال الغد ! وبالع صلاح الدين في إكرام ضيفه فدعا بحبيته إليه . فلما رآها تخرج من خيمة السلطان خالجه فيها الشك وساوره عليها الغضب ، ولكن بطل الإسلام ورمز الفتوة أخبره بما كان منها وبما حدث لها فضمها الملك مسرورا إلى صدره ، وخرج بها مخفورا إلى معسكره .

* * *

كان صلاح الدين قد أحب الفتاة كما قلت ، وكان في مقدوره ومن حقه أن يتخذها سيدة حرب ، ولكنه حين علم منها أن الملك يحبها وأنها تحبه لم ينس أنه صلاح الدين . فحاج صورته من ذهنه ، وغلب في أمرها وفاءه على حبه ، كما غلب في أمر ملكها مروءته على بغضه !

أحمد حسن الزيات

لو لم يكن صلاح الدين مطبوعا بحكم نشأته وعقيدته على خلال الفتوة الإسلامية لاغتنبط بهذه المؤامرة التي ستكفيه شر عدوه وهو عماد الحرب الصليبية وفارسها الأول ، ولكنه فعل ما نشر في آفاق الغرب فضله ، وخلد على وجه الزمان ذكره ! أرسل إلى مكان المؤامرة الذي عينه الأسير سرية من أشجع فرسانه لينقذوا ريكاردوس من كيد خصومه .

وكان قلب الأسد قد خرج على عادته بعد المعركة يتفقد أحوال جنده . وكان قد خرج في هذه الليلة وحده ، لأن القواد الثلاثة الذين كانوا يرافقونه في جولاته أسر أحدهم وقتل الآخرا في اليوم نفسه ، أخذ يمشى في ساحة القتال ساهما حزينا يتوسم الوجوه ويتسمع الأناث فيترحم على القتلى ويتألم للجرحى ، وينحن على من يعرفه منهم فيودعه بالرحمة أو يشجعه بالأمل . حتى رأى قائدا ملقى على وجهه ، فجثا على ركبتيه يقلبه فعرف فيه قائدا فرنسيا كان يقدمه ويكرمه ، فاشتد حزنه عليه وأطال وقوفه عنده . فلما أدار ظهره إليه لينصرف نهض من رقدته ونفخ في بوق صغير فإذا رجال يقومون من بين القتلى ويحقدون بريكاردوس وقد شهبوا السيوف ! فدهش الملك من المفاجأة أول الأمر ثم تذكر سيفه فأعمله فيهم وكاد يأتي عليهم لولا

بيان للمسلمين

من الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

الآثم على بور سعيد عنا ببعيد ، بعد أن كان لهم في فلسطين وشهداتها ولاجئها ما سطره التاريخ خزيًا وعارًا عليها وعلى أولئك الذين يزعمون أنهم رعاة حقوق الإنسان ، وبناء مبادئه ، مع أنهم لا يراعون في الله إلا ولا ذمة لأنهم لا يؤمنون ؛ ولكنهم برهم يمجدون كما أنهم لا يحسون بالإنسانية ولا يقيمون لها وزنا ، وهذه فرنسا إحدى دعائم الاستعمار التي زعمت أنها وضعت حقوق الإنسان لتكفل له حريته ، وتحقق له العدالة في مجتمعه ، والمساواة بين أفرادها ، فأين هذه الحقوق وهي لا تزال تستولى على الجزائر المسالمة وعلى حريتها التي فطرها الله عليها ؟ . بل وأين ذلك من اعتدائها على الإنسانية جمعاء في تفجيرها القنبلة الذرية في وسط أناس لهم حق الحرية والأمن والحياة غير مبالية بما يترتب على ذلك من إضاعة حياة الآمنين من أبناء البشرية . وبلجيكا أيضا التي تعيث في أرض الكونغو الفساد فتفرق بين أبناء الأمة الواحدة للتسود هي ولتبقى متمسكة من دماهم ، ونأكل من خيراتهم وتحرم أهلها حق الحياة ، وبريطانيا في الجنوب العربي وفي كل مكان تستطيع يدها أن تمتد إليه .

إخواني وأبناء المسلمين : سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ؛ وبعد : فإن الاستعمار الغاشم الذي طبع دائما على سلب الناس حرياتهم وأمنهم ، وعلى زعزعة مبادئهم ومعتقداتهم تمكينًا له في كل بلد ينزل إليه . ليمتص خيراته ، ويستغل إمكانياته ، ويحرم أصحاب الحقوق من حقوقهم ، بل يشردهم عن أراضهم ، هذا الاستعمار يوم أن ازداد وعى الناس وقوى إيمانهم بحقوقهم في الحياة ، ورأى سلطانته يتقلص ، وسيطرته تنكش ، اتخذ لنفسه مخابر تحقق أهواءه ونزواته ، وسيطرته واستعباده فكان أن أقام عصاة ماتت فيها المثل والقيم ، وضاعت فيها معاني الإنسانية ، تلكم هي إسرائيل التي سرعان ما اغتصبت حق الناس في الحياة فاستولت على أراضهم وشردت الآمنين من أوطانهم ، واستباححت لنفسها كل عبث ، لم تعرف خلقا ولم يتحرك فيها ضمير . وفي كل يوم من أيام حياتها المجرمة نرى اعتداءاتها المتكررة على كل صقع من أصقاع الأرض ، ومن ورائها الاستعمار الذي لا يقف طمعه عند حد ، يحركها كيفما شاء وأينا أراد ، وما يوم الاعتداء

فإلى كل مسلم أوجه حديثي هذا توجيها مبعثه الإيمان بالله والغيرة على ديننا ، وإن هؤلاء لأصحاب عداوات قديمة منذ كان محمد صلى الله عليه وسلم يرفع راية الإسلام وينزل عليه الوحي ، فكان من مهمتهم أن يحرفوا كتاب الله ؛ ليضلوا الناس عن طريقهم المستقيم وليكتبوا الدعوة الإسلامية ، فهم اليوم يمارسون ما كان يفعله آبائهم ، فاحذروهم واجمعوا كلمتكم واجعلوها سبوقاً باترة قاطعة لأطباع هذه الفئة الضالة الباغية ، واعملوا جميعاً على قلب رجل واحد ؛ لتخفظوا مصدر سعادة البشرية ، كتاب الله العظيم ، فإنه لاخير للمسلمين إلا به ولا سعادة لهم إلا عن طريقه ، وأن تردوا هذه الطبعة التي حرقها إسرائيل ولا تقبلوها .

وإن الأزهر اليوم ، وجميع الهيئات الإسلامية في الجمهورية العربية المتحدة لتناشد دينكم وضمائمكم الحية في أن تفقوا جميعاً لوقف هذا العمل الإجرامي الذي يراد به طعن دينكم طعنة نقضى عليكم وعلى كيأنكم .

والأزهر الذي قام على حفظ كتاب الله وسنة رسوله كفيل بأن يمدكم بما تحتاجون إليه من كتاب الله إمداداً صحيحاً وإن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، ، د ياها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ، . حقق الله القصد وأعان المسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها على حفظ كتاب الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلنتوت

شيخ الجامع الأزهر

فالاستعمار هو ولم يتغير ولم يتبدل ، بالنسبة للمعتقدات ويتجلى ذلك في حالة بعضهم يرفعها إلى سادته ، أنه لا بقاء لنا في أرض يوجد فيها القرآن ، . ولقد تمكشفت نوايا إسرائيل الخبيثة وقصدها السيئ على دينكم في طبعها القرآن الكريم ، كتاب الله العظيم في صورة محرفة ، قامت بتوزيعها في إفريقيا وآسيا ، تريد بذلك القضاء على دينكم ومعتقداتكم وذلك حينما فشلت في أن تهدم بنيان المسلمين وكيانهم عن طريق السياسة والاستعمار ؛ ذلكم لأن السيطرة على القلب وعلى العقل هي المعول الهادم الذي يقوض بناء الأفراد والأمم . ومن الذين هادوا يحرقون الكلم عن مواضعه ، ويقولون سمعنا وعصينا وسمع غير مسمع ، وراعنا لياً بألسنتهم وطعننا في الدين ، .

ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين ، لم يأتوك يحرقون الكلم من بعض مواضعه ، يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه ، وإن لم توتوه فاحذروا ، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً ، أولئك الذين لم يرد الله أن يطرهم قلوبهم ، لهم في الدنيا خزي ، ولهم في الآخرة عذاب أليم ، .

فإلى كل مسلم في أنحاء المعمورة ، له من دينه وإيمانه غيرة على مصدر هذا الدين وعلى المصباح الذي يضيء لنا الطريق ، وعلى كتاب الله الذي أنزله هدى ونوراً للعالمين ؛ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ، ...

الحُرُوفُ الْعَرَبِيَّةُ "صِلَاحُ الحُرُوفِ لِكِتَابَةِ اللِّغَايَاتِ"

لِلأَسْتَاذِ عَبَّاسِ مُحَمَّدٍ الْعَفَّادِ

لِكِتَابَةِ الأَلْفَاظِ وَالْأَصْوَاتِ ؛ لِأَنهَا تُوْدَى مِنْ أَنْوَاعِ الْكِتَابَةِ مَا لَمْ يَعْهَدْ مِنْ قَبْلِ فِي لُغَةٍ مِنْ لُغَاتِ الْحَضَرَةِ .

فَالْحُرُوفُ اللَّاتِينِيَّةُ تُسْتَعْمَلُ لِلكِتَابَةِ فِي عَائِلَةِ وَاحِدَةٍ مِنَ الْعَائِلَاتِ اللُّغَوِيَّةِ الْكُبْرَى ؛ وَهِيَ الْعَائِلَةُ « الْهِنْدِيَّةُ الْجُرْمَانِيَّةُ » .

وَهَذِهِ الْعَائِلَةُ الْهِنْدِيَّةُ الْجُرْمَانِيَّةُ هِيَ الْعَائِلَةُ الَّتِي يَقُومُ فِيهَا تَصْرِيفُ الْكَلِمَاتِ عَلَى « النَّحْتِ » ، أَوْ عَلَى إِضَافَةِ الْمَقَاطِعِ إِلَى أَوَّلِ الْكَلِمَةِ أَوْ آخِرِهَا ، وَتُسَمَّى مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بِاللُّغَاتِ « الْغُرُوبِيَّةِ » ، مِنْ الْغُرَاءِ الَّلَّاصِقِ فِي أَدَوَاتِ الْبِنَاءِ وَالنَّجَارَةِ .

أَمَّا الْحُرُوفُ الْعَرَبِيَّةُ فَهِيَ تَقُومُ بِأَدَاءِ الْكِتَابَةِ بِهَذِهِ اللُّغَاتِ وَبِكَثِيرٍ غَيْرِهَا فَهِيَ تُسْتَعْمَلُ لِكِتَابَةِ الْفَارَسِيَّةِ وَالْأُورْدِيَّةِ وَهَمَا مِنْ لُغَاتِ النَّحْتِ ، أَوْ مِنْ عَائِلَةِ اللُّغَاتِ الْغُرُوبِيَّةِ . وَتُسْتَعْمَلُ لِكِتَابَةِ التُّرْكِيَّةِ وَهِيَ مِنْ الْعَائِلَةِ الطُّورَانِيَّةِ وَيَرْجِعُونَ فِي تَصْرِيفِ أَلْفَاظِهَا إِلَى النَّحْتِ تَارَةً وَإِلَى الْإِشْتِقَاقِ تَارَةً أُخْرَى ، فَهِيَ وَسْطُ بَيْنِ اللُّغَةِ الْفَارَسِيَّةِ وَاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

إِنَّ الْأَمَّ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى الْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ فِي كِتَابَتِهَا أَكْثَرُ عِدْدًا مِنْ كُلِّ بِمَجْمُوعَةٍ عَالَمِيَّةٍ تَعْتَمِدُ فِي الْكِتَابَةِ عَلَى الْحُرُوفِ الْأَبْجَدِيَّةِ ، مَا عَدَا بِمَجْمُوعَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهِيَ بِمَجْمُوعَةُ الْأَمِّ الَّتِي تَعْتَمِدُ فِي كِتَابَتِهَا عَلَى الْحُرُوفِ اللَّاتِينِيَّةِ .

لِأَنَّ الْحُرُوفَ الْعَرَبِيَّةَ تُسْتَعْمَلُ لِكِتَابَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَاللُّغَةِ الْفَارَسِيَّةِ ، وَاللُّغَةِ الْأُورْدِيَّةِ ، وَاللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ ، وَاللُّغَةِ الْمَلَاوِيَّةِ ، وَبَعْضُ اللُّغَاتِ الَّتِي تَتَّصِلُ بِهَا فِي الْجُزُرِ الْمُتَفَرِّقَةِ بَيْنَ الْقَارَاتِ الثَّلَاثِ : إِفْرِيْقِيَّةٍ وَأَسِيَا وَاسْتْرَالِيَا .

وَنِسْبَةُ الْكَاتِبِينَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَمِّ أَقَلِّ فِي هَذَا الْعَصْرِ مِنْ نِسْبَةِ الْكَاتِبِينَ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْأَمِّ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى الْحُرُوفِ اللَّاتِينِيَّةِ .

وَلَسَكُنَ الْأَمْرُ فِي صِلَاحِ الْحُرُوفِ لِلكِتَابَةِ لَا يَعُودُ إِلَى كَثَرَةِ الْأَفْرَادِ الَّذِينَ يَكْتُبُونَهَا ، بَلْ إِلَى أَنْوَاعِ اللُّغَاتِ الَّتِي تُوْدَى أَلْفَاظُهَا وَأَصْوَاتُهَا .

وَعَلَى هَذَا الْإِعْتِبَارِ نَكُونُ الْحُرُوفَ الْعَرَبِيَّةَ أَصْلَحَ مِنَ الْحُرُوفِ اللَّاتِينِيَّةِ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً

وتستخدم الحروف العربية بطبيعة الحال لكتابة لغة الضاد المميزة بمخارجها الواضحة، الدقيقة، بين جميع اللغات، وهى أعظم لغات الاشتقاق التى اشتهرت باسم العائلة السامية.

التي تؤديها حروف العربية لم يزل ضبطها للألفاظ أدق وأسهل من ضبط الحروف اللاتينية التي تستخدم لكتابة عائلة لغوية واحدة، وهى العائلة الهندية الجرمانية.

وتكتب بالحروف العربية لهجات ملاوية متفرع على لغات المقاطع القصيرة والنبرات الصوتية المنغومة، ويختلفون فى نسبتها إلى إحدى العائلات الثلاث حتى اليوم؛ لأنها مستقلة بكثير من الخصائص وقواعد التعريف، ولعلمها عائلة مستقلة من العائلات اللغوية الكبرى تشعبت فروعها لتفرق الناطقين بها بين الجزر المنعزلة.

فالأسباني يقرأ الانجليزية على حسب قواعد لغته فيحرفها كثيراً ويبلغ من تحريفها مبلغاً لا نعهده فى نطق الفارسي الذي يقرأ الأوردية أو التركية أو العربية، ولا نعهده فى نطق العربي الذي يقرأ الفارسية بحروفها ولو لم يكن على علم بمعانيها، ولكنه إذا عرف معناها لم يقع فى خطأ من أخطاء النطق ولم يكن هناك خلاف بينه وبين أبناء الفارسية فى كتابتها وقراءتها.

وقد استطاعت هذه الأمم جميعاً أن تؤدى كتابتها بالحروف العربية دون أن تدخل عليها تعديلاً فى تركيبها ولا أشكالها المنفردة، ولم تتصرف فيها بغير زيادة العلامات والنقط على بعض الحروف، وهى زيادة موافقة لبنية الحروف العربية وليست بالغريبة عنها؛ لأن العرب أنفسهم أضافوا النقط والشكل عند الحاجة إليها، وليست زيادة شرطة على الكاف بأغرب من زيادة النقط على الحروف مفردة أو مشاة وفوق الحرف أو تحته، للتمييز بين الأشكال المتشابهة أو المتقاربة.

وهذه حقيقة لا جدال فيها، ينبغى أن نحضرها أمامنا لنعرف مدى التحويل المفرط فى شكوى الشاكين من صعوبات الكتابة العربية المزعومة؛ فإن حروفنا إذا قيست بغيرها لم نجد لها نظيراً بين حروف الأبجديات على تعددها وكثرة التحسينات التى أدخلت عليها.

وينبغى أن نحضر هذه الحقيقة فى أيماننا هذه بصفة خاصة؛ لأنها غابت عن أذهان بعض الباحثين فى مشكلة الكتابة عند طوائف من الأمم الشرقية الإسلامية يميل بعضها إلى اختيار الحروف اللاتينية، لكتابة ألفاظها وترجماته المنقولة إليها.

وعلى كثرة اللغات، والعائلات اللغوية،

والكتابة العربية عيب واحد يصعب استدراكه على الكاتب العربي ويتيسر استدراكه على الكاتبين بالحروف اللاتينية ، حتى حركات الإمالة التي يبالغون فيها وهي عندنا أهون خطبا من نظائرها عند الأوربيين ... فإن حرف الألف (A) وحرف الياء (I) يمالان على غير قاعدة مطردة بين الانجليزية والفرنسية والهولندية ، وقد استطاع حفاظ القرآن الكريم أن يضبطوا مواضع الإمالة والإشمام في القراءات المختلفة ضبطا لا يعسر تعميمه بعلاماته عند الحاجة إليه في سائر الموضوعات .

وعلى أن نسقط من حسابنا تهويل المهولين باختلاف نطق الحروف على حسب اللهجات الفصحى أو العامية ؛ فإن الملايين من أبناء العربية يكتبون الجيم بشكلا الأبحدى المعروف وينطقها ابن القاهرة وابن الصعيد وابن دمشق كل منهم على حسب منطقته الذى نشأ عليه ، ، وليس فى شيء من ذلك ما يدعو إلى تغيير شكل الحرف ولا إلى تغيير قواعد الكتابة ، وإنما هى عادات تعرف ويحسب حسابها بغير مشقة ولا كلفة كما نرى ونسمع كل يوم منذ أجيال ، وكما هو معروف ومتواتر فى كل لغة من لغات الحضارة بين المكتوب والمفوض وبين المفوض فى إقليم والمفوض فى إقليم آخر ، (البقية على الصفحة التالية)

فقد أخذت طائفة من قبائل الصحراء الإفريقية فى كتابة سجلاتها التجارية ومراسلاتها المتداولة بينها وبين سكان الشواطئ بالحروف الفرنسية ، وأخذت فئة من الملاويين فى كتابة أمثال هذه السجلات والمراسلات بالحروف الهولندية أو الحروف الانجليزية ، وظهر بين كتابها من يستخدم هذه الحروف فى الموضوعات الأدبية والفكرية .

فمن الواجب أن نذكر هنا أن عوامل السياسة والاقتصاد هى التى جنحت بذلك الطوائف إلى اختيار الحروف اللاتينية ولم يكن سبب هذا الاختيار نقصا عسير العلاج فى أصول الكتابة العربية ، ولولا عوامل السياسة أو الاقتصاد لما اختار فريق من الملاويين حروف الانجليزية واختار فريق آخر حروف الهولندية ، على حسب العلاقات بين البلد الملاوى وبين إحدى هاتين الدولتين .

ومن المعلوم أن صعوبات النطق بين الألفاظ الانجليزية والألفاظ الهولندية تتجسم فى بعض الحروف كالجيم والياء كما تتجسم فى حروف العلة عند مواضع الإمالة والإشمام على نحو يسهل تداركه فيما يكتب بالحروف العربية . فلا ذنب لحروفنا العربية ولا للأبجدية العربية بحملتها فى هذا التحول من هذه الحروف إلى ما عداها ، ولا يحسب على

الدولة التي صنعها الإنسان والأمة التي خلقها الله

للأستاذ الدكتور محمد البهي

— ٢ —

الأمة التي خلقها الله :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ؛ تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ، تلك هي الأمة التي خلقها الله وذلك هو المجتمع الذي كونه الإرادة الإلهية . وهي الأمة التي عرفت المعروف والمنكر ، وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر ، وآمنت قبل ذلك بالله . فهي أمة لها رشد إنساني ، ولها سلوك أخلاقي . هي أمة أدركت وتهذبت : أردكت ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك ، وأدركت الحقيقة الأولى الكبرى : وهي الحقيقة الإلهية . وتهذبت : ففعلت ما يجب أن يفعل . وتجنبت ما يجب أن يترك ، هي أمة

لها إرادة ولها اختيار . تفصل فصلا واضحاً بين أنواع السلوك الإنساني وتتخذ منه أحسنه وأقربه إلى تمثيل الإنسانية وإلى تحقيق خصائصها . هي أمة إنسانية ؛ تسلك سبيل الرشيد الإنساني . ولسكنها لا تسير في ضوء تحديد الإنسان للحياة ، وإنما تسير في ضوء هداية الله . هي لا تتعثر في سلوكها الطريق ؛ لأنها لا تتبع الإنسان المحدود : الإنسان الذي يخطئ ويصيب : الإنسان الذي إن حاول أن يتجرد مما يؤثر عليه في حكمه لا يتجرد وإنما يقع تحت التأثير بمؤثر ما ؛ لأنه وليد بيئة معينة ، وورثة خاصة ، وتوجيه حزبي أو طائفي ، أو مذهبي .

من صعوبات اللغة العربية وهي عند القياس أهون الصعوبات وعند البحث الرصين المنصف تشهد للأبجدية العربية بأنها أصح من سواها لكتابة جميع اللغات ؟

عباس محمود العقاد

ولو كان كل من الإقليمين منسوباً إلى وطن واحد ودولة واحدة ، ومن راقب ذلك في اختلاف النطق الأمريكي والنطق الانجليزي أو في اختلاف نطق العاصمة ونطق الريف أو استخدام الصحافة واستخدام الإذاعة لم يكثر لذلك التحويل الذي لج فيه الشاكون

سلوكهم الخلقى والإنسانى بضميرهم وبما لهم من قوة ذاتية تدفع نحو العمل داخل أنفسهم- حملوا مسئولية الرعاية ، بحيث أن كل فرد فيها راع لنفسه ، أو لنفسه ولغيره : (كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالرجل راع وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيته ، والخدام راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته) . فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، وبمسئولية الرعاية هذه التى يحملها كل فرد فى هذه الأمة توافرت عناصر الحرية الفردية ، كما توافرت عناصر الترابط المشترك بين الأفراد جميعا . إذ نطاق الحرية الفردية عندئذ ضمير الفرد وشعوره بمسئولية التصرف الذى يأتى به . أما عناصر الترابط المشترك فهى منبثقة من « الرعاية » التى أضيفت لكل فرد فى محيطه الخاص ، أو فى محيط آخر ليشمله ويشمل غيره وهو إذ يعنى نفسه فى محيطه الخاص يوفر لغيره حرمان الوجود المشترك . إذ رعاية الفرد لنفسه هى فى أن يعرف حدود نفسه سواء بحسب إمكانياته ، أو بحسب نطاق الحياة التى يعيش فيها .

وكما ذكرنا - أن اعتمد مجتمع هذه الأمة على الضمير القائم على الإيمان بالله والخشية منه اعتمادا أوليا ، فهو فى حاجة مع ذلك إلى السلطة التنفيذية ، ولكن - كما ذكرنا أيضا -

أفرادها لا يساقون إلى اتباع المعروف وتجنب المنكر ، وإنما يسرون مختارين فى طواعيتهم لهذا أو لذلك ، أمة أفرادها يدفعون إلى العمل وإلى الحركة بدافع ذاتى هو دافع الضمير القائم على الإيمان بالله والخشية منه ، والله الذى يؤمن به الأفراد ويخشونه هو مركز القيم العليا كلها ، ومركز السكالات التى يتقرب إليها الأفراد بالتوجه نحوها وبتمثيلها فى تصرفاتهم وأعمالهم .

ومجتمع هذه الأمة إذن هو مجتمع ليست فيه « رقابة » ، وليس فيه « جهاز تتبع » ، وليس فيه « قهر وجبر » . ولذا لا يحتاج إلى سلطة تنفيذية كمقاعدة أساسية ، على نحو تلك التى يحكمها نظام الدولة . وإن وجدت فيه سلطة التنفيذ - وجوداً ضرورياً أيضاً - فهى لدفع الشذوذ ، ولدفع الانحراف الذى لا يخلو منه مجتمع ما . ولكن اعتماد الأمن والطمأنينة فى هذا المجتمع فى العلاقات بين الأفراد يقوم أولا وبالذات على الضمير ، وعلى إدراك القيم ، وعلى إدراك الفرق بين المعروف والمنكر ، وليس على تلك السلطة الخارجة عن ذوات الأفراد .

فهى أمة لها غاية خلقية إنسانية ، ومن أول قيامها حددت أهدافها وغاياتها فى الحياة : وهى الإنسانية ، والتهذيب .

وأفراد هذه الأمة فى الوقت الذى ينط

يأخذ مكانه في العمل على استقرار العلاقات بين أفراد المجتمع . وكذلك استبعد الإسلام أن تقع هذه الجرائم - عند ما تقع - من مؤمن بالله ، أى من فرد يكون عنده « الضمير » القائم على الإيمان بالله والخشية منه . فيقول الرسول عليه السلام : « لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، .

وإذن ركن السلطة التنفيذية ، الذى هو أحد أركان نظام الدولة في المجتمع الحديث - يوجد أيضاً في مجتمع الأمة التى خلقها الله . ولكن مع العناية بالضمير وشغل القلب بالإيمان بالله . والإيمان بالله هو الطريق الموصل للإيمان بالإنسانية وبالأخوة فيها ، وبما يترتب على ذلك من تعاون في سبيل الخير ، ومحبة الفرد للفرد بحيث يجعل غيره في مستوى نفسه ، في حق التمتع بالحياة . وإذن ما فقده نظام الدولة من ضمير لدى الأفراد . معتمداً اعتماداً كلياً على السلطة التنفيذية وحدها ، توافر هنا بجانب السلطة التنفيذية نفسها ، وأيضاً مع توافر الكرامة الإنسانية للفرد ، التى تتمثل في الحرية الفردية : الاختيار في الحكم أو في العمل . وبذلك بعد مجتمع الأمة التى خلقها الله عن أن يكون مجتمعاً يساق ويدفع من خارج

لا تلعب هنا هذه السلطة الدور الذى لها في أهميته وأصالته في نظام الدولة في المجتمع الحديث .

فالإسلام الذى تحدد منه معالم الأمة التى خلقها الله - أعطى الوالى حق إقامة « الحدود » على مرتكبي الجرائم في المجتمع ، وهى الجرائم التى تمثل اعتداء على الحرمات الفردية من نفس ، ومال ، وعرض . ووكل إليه تنفيذ هذه الحدود بالنظام الذى يراه كفيلاً بتحقيق الغاية المرجوة من إقامتها . وهى توفير الاطمئنان لأفراد المجتمع على حياتهم ، وأموالهم ، وأعراضهم .

وهذا الذى أعطاه الإسلام للوالى من حق إقامة الحدود ، هو « حق التنفيذ » الذى هو ركن من أركان نظام الدولة في المجتمع الحديث . ولكن الإسلام مع ذلك ركز اهتمامه الأول في الاعتماد على الضمير . تلك القوة الذاتية الدافعة للفرد عن طريق الإيمان بالله ، عند ما كلف الوالى أيضاً في الوقت نفسه درء الحدود بالشبهات إذ يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « ادرءوا الحدود بالشبهات » . ومعنى درء الحدود بالشبهات الرغبة في عدم تنفيذ العقوبات الخاصة بالجرائم التى أسماها بالحدود ، إلا عندما يتوفر اليقين على ارتكابها من فاعليها وفي ذلك إفساح « للضمير » في أن

التي خلقها الله يختلف عن وجود السلطة القضائية ، في نظام الدولة في المجتمع الحديث ولهذا الاختلاف يتميز عنه لمصلحة العدالة ، وبالتالي لاستقرار العلاقات بين أفراد المجتمع .

فالإسلام إذ يطلب العدل في الحكم والقول بين المؤمنين وبين غير المؤمنين ، ويقرن هذا الطلب في كل آية طلب فيها العدل بأن يراعى الله ، وبأن يكون القاضي أو القائل على ذكر منه عندما يقضى أو عندما يقول ، ولذا نراه يعقب بقوله : « إن الله نعماء يعظكم به ، وبعهد الله أوفوا » ، « ذلك وصاكم به » ، « واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » فهو يذكر بالله ؛ ليجنب الإنسان في قضائه وفي حكمه ، وفي قوله ، الهوى والميل . وهذا يردّه إلى ضميره فيحكم إليه قبل أن ينطق بحكمه وبقوله . وهنا اعتمد « حق القضاء » على الضمير ، كما يعتمد طبعاً على الفقه ، ومعرفة ما حلله الله وما حرّمه ، وما شرعه للناس جملة .

بينما السلطة القضائية ، في نظام الدولة في المجتمع الحديث ، تعتمد أيضاً على الفقه ، وعلى الضمير ، ولكنه فقه الإنسان وضمير الإنسان ، وليس شرع الله ، وليس الضمير القائم على الخشية من الله ، والفرق بين شرع الله ، وفقه الإنسان ، هو الفرق بين

أفراده ، ويكون أشبه بمجتمع الكائنات الأخرى التي قدر للإنسان بحكم طبيعته أن يسودها ، وأصبح معبراً عن المجتمع الإنساني الذي تسوده خصائص الطبيعة الإنسانية .

وكذلك إن وجد « حق التنفيذ » في مجتمع الدولة التي أرادها الله — على نحو ما شرحنا — فإنه يوجد فيه أيضاً « حق القضاء » والفصل بين الناس في الخصومات التي تنشأ بينهم . ويراعى فيه العدل كما هو مفروض أن يراعى أيضاً في السلطة القضائية التي هي الركن الثاني في نظام الدولة في المجتمع الحديث . فالقرآن الكريم يقول : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعماء يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً » ، ويقول أيضاً : « وإذا قلتم فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون » . فهو يطلب أن يكون الأمر عدلاً بين المؤمنين في الحكم والقول ويتشدد في طلب ذلك بحيث لا يتأثر العدل في الحكم والقول بمحسوبية ولا هوى ، كما يطلب أيضاً العدل إذا كان الحكم لغير المؤمنين ، فيقول : « ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » . ولكن وجود « حق القضاء » في مجتمع الأمة

طريق اختيار السلطة التنفيذية لرجالها . وإنما هو موكول إلى جماعة تتكون عن طريق انتخاب الطبيعة ، أى عن طريق الانتخاب الذاتى الذى تبرز فيه الكفايات الفردية ، وتكون هذه الكفايات وحدها الأمانة على الانتخاب والتميز ، وهذه الجماعة هى « أولو الأمر » ، فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم » ، فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً . أولو الأمر هم الذين تفوقوا ، باجتهادهم فى فهم ما أنزل الله ، وتفقهوا فى كتاب الله وتميزوا فى استنباط الأحكام للوقائع والأحداث التى لم تقع بأشخاصها على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ قياساً على وقائع وأحداث أخرى تسرى على أحكامها ، وعرف الأمر فيها بحلها أو بحرمتها ، هؤلاء هم المجتهدون ولذا كان اجتهادهم إن أجمعوا عليه ، حجة تتبع . وتجب طاعتهم ؛ لأنها من طاعة الله ورسوله .

وعندئذ ربط الإسلام طاعة الفقه الذى يستنبطه الفقهاء المجتهدون ، بطاعة الله وطاعة رسوله وهنا تكون الطاعة للتشريع طاعة قائمة على إقناع وإيمان معاً . وبذلك يقل الانحراف والشذوذ عنها ؛ لأنها لم تفرض من الخارج ،

المطلق والمحدد ، والفرق بين ما يتأثر وما لا يخضع للتأثير ، والفرق بين ضمير الإنسان والضمير القائم على الحشية من الله ، هو الفرق بين قوة تتحدد بعوامل البيئة وبالوراثة ، وبنفوذ السلطة التنفيذية ، وبين قوة تعلق عن هذا التحديد ، وتستوحى توجيهها من الله وحده .

وعنصر الفقه ، وعنصر الضمير فى القضاء أمران ضروريان فى تحقيق العدالة . ولكن نوع الفقه ، ونوع الضمير أشد ضرورة فى تحقيق العدالة نفسها ، بل ربما يتوقف عليه وحده وقوع العدل أو عدم وقوعه .

ولتقدير الضمير الذى هو قائم على الإيمان بالله والحشية منه فى قيمة العدالة ، وتحقيق العدل ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام للبتخاضمين عنده : (إنما أنا بشر . وقد يكون بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضى له فم قضيت له بشئ من مال أخيه ، فإنما أقطع له قطعة من النار) .

وبجانب « حق التنفيذ » ، و « حق القضاء » ، فى مجتمع الأمة التى خلقها الله يوجد أيضاً « حق التشريع » ، مما يقابل السلطة التشريعية فى نظام الدولة فى المجتمع الحديث ، و « حق التشريع » ، ليس موكولاً هنا لطائفة تتكون عن طريق الاقتراع الشعبى ، أو عن

هذين المبدأين تتوفر الحرية الفردية وكرامة الأفراد كبشر ، في الوقت الذي تكون فيه العلاقات النفسية بين الأفراد قائمة على التعاون والمحبة ، والاخوة . وذلك أقصى ما يطلبه المجتمع البشرى ، وأقصى ما تحققه قيادة إنسانية لمجتمع بشرى .

وليس الامة التي خلقها الله هي أمة إلهية ولا مجتمعها مجتمعاً له قداسة ، ولا القائمون على الأمر فيه ، تعصمهم نسبتهم إلى كتاب الله عن الخطأ . وإنما هي أمة أفرادها بشر ، ومجتمعها مجتمع بشرى ، والقائمون على الأمر فيها أناسي يجوز عليهم الخطأ والصواب . وليست الحكومة التي تقوم في مجتمع الامة التي خلقها الله حكومة إلهية ، تجب طاعتها دون أن تسأل ، ويستمتع لها دون أن تناقش إياها هي حكومة تخضع للشورى ، وتبقى طالما تصيب ، في الحكم وفي رعاية علاقة الأفراد بعضهم ببعض .

والإنسان في مجتمع الامة التي خلقها الله . هو إنسان عليه أن يباشر ملكاته وطاقته ، وعليه أن يسمى ، وعليه أن يفكر ، وهو يصيب مرة ، ويخطئ أخرى .

وفقط الفرق بينه وبين إنسان المجتمع الحديث أنه لا يغتر بإنسانيته ولا يتخذ باستقلال عقله . بل عليه - بجانب استخدام عقله وملكاته البشرية - أن يستوحى كتاب

ولم تكن محددة ومقننة من بشر لأنهم بشر فحسب . وإنما لأنهم بشر حكموا الله فيما تفقهوا ، وفيما أتوا به من أحكام .

* * *

وهنا نخرج من هذه الموازنة بين الدولة التي صنعها الإنسان والامة التي خلقها الله ، بأن نظام الحكم ، وأن نظام توجيه الأفراد في المجتمع الذي يعتمد على الأسس التي لا بد من رعايتها في المجتمع - وهي أسس التنفيذ والقضاء ، والتشريع - وهي موجودة في كلا المجتمعين ؛ لأن ذلك ضرورة تقتضيها سياسة المجتمع في أية صورة من صوره . وبعد وجود هذا النظام للحكم في المجتمع الحديث لحقت به عيوب ، تجعله غير كفيل بتحقيق أهداف المجتمع من الاستقرار بين الأفراد ، وإتاحة الفرص المتكافئة للجميع . وفي الوقت نفسه يجعل من أفراد المجتمع مجموعة من الأفراد تساق دون أن تصان لها الحرية الفردية ، والكرامة الإنسانية بمعناها الأولى وهي تلك الصلة التي تجعل الإنسان ذا اختيار وذا سيادة وذا اقتنع .

وقد سبق أن وضحنا هذه العيوب التي لحقت بنظام الدولة في المجتمع الحديث ، وقد تلافاها بنظام الحكم في مجتمع الامة التي خلقها الله . وأهم ما يتميز به مجتمع هذه الامة ، رعاية الضمير الإنساني ورعاية الإيمان بالله . وعن

بحاله جسم الإنسان دون روحه . ولعله عنى بذلك ليترك « الروح » للكنيسة ، كمنطقة نفوذ لها ، تطبيقاً للوضع الذى تم عليه الأمر بين الكنيسة والدولة منذ الثورة الفرنسية .

أما نظام المجتمع فى الأمة التى خلقها الله ، فقد جعل الإنسان كله - جسمه وروحه - مجال عنايته . وبذلك عنى بجسمه كما عنى بالروح ، واتخذ من الإنسان وحدة واحدة ، يتبع قيادة واحدة . وحله حملاً معنوياً - عن طريق الضمير - إلى أن يكون « دافعه نحو الحركة » ونحو توثيق العلاقات بينه وبين غيره ، ونحو الاطمئنان والاستقرار ، من نفسه لا من غيره .

ولعل شراً ما ابتلى به نظام الدولة فى المجتمع الحديث هو « الثنائية » بين الدين والدولة ، بين سلطة الكنيسة كسلطة دينية ، وبين سلطة الدولة كسلطة مدنية .

أما الأمة التى خلقها الله ، فمجتمعا غير موزع بين سلطين ، وإنما نظامه قيادة واحدة ، وتوجيه واحد .

« صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » .

المكنور محمد البهى

المدير العام للثقافة الإسلامية

الله . وليس كتاب الله إلا تخطيطاً عاماً لمصالح البشرية . فإن وجد تحديد لكتاب الله ووجدت إساءة فى هذا التحديد ، فذلك صنعة الإنسان لا تمت لكتاب الله بصلة .

وفى مجتمعنا الشرقى الإسلامى ، لم يستطع الإنسان المسلم حتى هذه اللحظة أن يدرك إدراكاً واضحاً أن الثنائية التى قامت فى أوربا بين الكنيسة والدولة ، لا تتصل بالإسلام ولا بنظامه .

الإسلام ليس كنيسة ، ورجال الفقه وعلماءه ليسوا كهانا . بل المسلمون جميعاً سواء ، هم مسلمون ، ثم بعد ذلك أصحاب حرفة أو أصحاب مهنة . ليست فى الإسلام جماعة تمارس سلطة باسم الإله ، ولا هيئة تحدد منطقة نفوذ لها فى الإنسان إما فى روحه وإما فى جسده . وإنما هم جميعاً أبناء أمة واحدة . هى تلك التى أشار إليها القرآن الكريم فى قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

والإسلام بعد ذلك ، ليس مسئولاً عن تحريف الإنسان إياه ، ولا عن إساءة فهمه له . ومسئولية الإسلام فى قرآنه فقط : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ، إن الله شديد العقاب » .

إن نظام الدولة فى المجتمع الحديث اتخذ

الله

في القرآن الكريم

للأستاذ محمد محمد المدني

— ٢ —

١ — بعض الناقدين للإسلام يقولون :
إن الإسلام يصور الإله بصورة رهيبة فهو
الجبار المنتقم القهار . . . إلخ . . . فأين هذا
من المسيحيين الذين يسمون الإله باسم
« الأب » الدال على معاني الرحمة والحب
لأبنائه ؟

٢ — والواقع أن هؤلاء النقاد إما غافلون
أو متغافلون عما وصف به الإسلام
رب العالمين .

فإن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه
العزیز : « والله الأسماء الحسنى فادعوه بها
وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون
ما كانوا يعملون » .

وقبل أن ندخل في بيان ما توحى به هذه
الآية نسارع فنقول : إن الله تعالى سمي نفسه
« رب العالمين » وكلية رب هذه تدل على معنى
التربية والتعهد وتنطبق على ما لله تعالى من

فضل على جميع العوالم ، بإعدادها وإمدادها
فمن تأمل كيف أنعم الله بالهيئة والإمداد

في كل عالم : من عالم النبات إلى عالم الحيوان
إلى عالم الجسد ، إلى عالم الكواكب إلى غير
ذلك من العوالم ؛ فإنه يرى آثار الرحمة الإلهية
واضحة ويكفي أن ننظر إلى ذلك مثلاً في خلق
الجنين وتكوينه ورزقه وحفظه في رحم أمه
ولادته وإرضاعه إلخ . . . لنرى أن الله يغمره
بالرحمة والتربية غمراً ، وأنه بعد ذلك يتعهد
في كل خطوات حياته إلى أن ينتهي ، بألوان
من التعهد والعناية لا تذكر بجانبها عناية الأب
بأبنائه ؛ لأن الأب محدود وقدرته وعلمه محدودان .
وإذن فوصف الله تعالى بأنه رب العالمين
هو أبلغ وأقوى في إفادة معاني الرحمة والعناية
والتعهد من وصفه عند المسيحيين بالأب ،
هذا إلى ما في لفظ الأب من الإيحاء بعلاقة
لا يستحبها الإسلام ، بل يجب تزييه الله عنها ،
« قل هو الله أحد ، الله الصمد . لم يلد ولم يولد ،
ولم يكن له كفواً أحد » .

٣ — وإذا نظرنا بعد ذلك إلى ما توحى
به الآية الكريمة وهي قوله تعالى : « والله الأسماء

هذا المسلك الصوفي مسلك حسن من غير شك ، ولكنه في نظري ليس أحسن المسالك وإنما يحتل المؤمن عظمة ربه كاملة إذا شغل نفسه بمظاهر صفات الله كلها وتقلب بفكره فيها فيتأمل مظاهر الرحمة والنعمة ، ويتأمل مظاهر البأس والنقمة ، ويتأمل مظاهر العلم ومظاهر الحكمة ، ويتأمل مظاهر العدل ومظاهر الجبروت ، وهكذا .

وقد يدلنا على هذا المعنى أن القرآن الكريم حين يذكر صفات الله تعالى يذكرها غالبا متتابعة دون عطف بحرف ، فيقول : « إن الله عزيز حكيم » . « إن الله غفور رحيم » ، « والله عليم حكيم » . وأظهر مثال لذلك هو ما جاء في آخر سورة الحشر حيث يذكر الله تعالى مجموعة من أسمائه الحسنى متتابعة مترادفة دون تفريق بين سابق منها ولاحق فيقول : « هو الله الذي لا إله إلا هو ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » .

٤ — فأخذ الأمور على وجه من الجانية هو الذي جعل هؤلاء النفاقدين ينظرون إلى أن الإسلام يصف الإله بالأوصاف الخفية ويغفلون أو يتغافلون عن الأوصاف الأخرى أو الأسماء الأخرى . ومن واجبه أن يعلموا

الحسنى ، فإننا نستطيع أن ندرك كيف حرص القرآن الكريم على أن يصف لنا الإله بمجموعة من الأسماء أو الصفات التي نستطيع أن نقول : إنها ينابيع الخير والعدل والحق والجمال والجلال ، فهو لا يريد أن نرى من الإله جانبا واحدا فيكون إدراكنا لعظمته جانبيا ، أى مرتبطا بجانب ، ولكنه يريد أن نرى من الإله كل الجوانب ؛ لأن من رأى جانبا واحدا ، أو بعض الجوانب ، لم يكن مدركا للعظمة من جميع نواحيها ، وبعبارة أخرى يعلمنا الإسلام أن ننظر إلى صفات الله كلها كمجموعة ولا نكتفي بالنظر إلى جانب واحد منها ، وإلا كنا قاصرين عن إدراك كمال الله تعالى أو مقصرين فيه .

يروى أن بعض المتصوفة كان من شأنه أن يتأمل في صفات الله واحدة بعد واحدة ، فربما استغرق بضعة سنين لا ينظر إلا في صفة « الرحمن » أو « الرحيم » ، فيتأمل في آثار الرحمة الإلهية تأملا عميقا ، ويقف عند كل أثر من هذه الآثار وقفة الخاشع المعجب ، ويستمر على ذلك لا يشغل نفسه بتأمل صفة أخرى من صفات الله لمدة أعوام حتى إذا امتلأ بهذه الصفة قلبه ، وعمق الإيمان بها في أعماق نفسه ، انتقل إلى صفة أخرى كصفة « العزيز » ، مثلا ، فجعل يتأمل مظاهر هذه العزة في السكون وفي الناس مدة أخرى وهكذا ...

ولله المثل الأعلى، فمن نظر إلى صفة واحدة من صفاته فإنه لا يستطيع أن يزعم أنه أدرك الله في كماله وجلاله .

هـ - وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أن لله تسعة وتسعين اسما - مائة إلا واحداً - من أحصاها دخل الجنة » .

والمفسرون يوردون هذا الحديث وما في معناه حين يتكلمون عن تفسير قوله تعالى : « والله الأسماء الحسنى فادعوه بها » ، ولكنهم مع ذلك يوردون أحاديث أخرى تدل على أن لله تعالى أكثر من هذا العدد من الأسماء الحسنى ، ومن أشهر الأحاديث التي تدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود وفيه (أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك) ولذلك يحاولون التوفيق بين هذه الأحاديث ، بأن الحديث الأول غير حاصر للأسماء في هذا العدد ، وإنما يذكر هذا العدد فقط ، وبعضهم يستخلص هذا العدد من القرآن فإذا رأى العدد زاد عن تسعة وتسعين حاول إرجاع بعض الصفات إلى بعض وأنها في معنى واحد باعتبار الأصل ، مثل (الغافر والغفار والغفور) و (الشاكر والشكور) ونحو ذلك .

أن الكمال المطلق يقتضي أن يتصف الكامل بجميع الصفات الحسنى وإلا لكان ناقصا في جانب كاملا في جانب ، فنحن إذا علمنا أن فلانا من الناس شجاع ولم نعلم بغير هذه الصفة فيه ، فإننا ربما تصورناه مهيباً مفزعا خيفاً ، ولكن إذا علمنا أن هذا الشجاع يتصف بأوصاف أخرى مثل : الجود والرحمة والعلم والحكمة فإن قيمته تزداد في نظرنا ، ونطمئن إلى أن شجاعته ليست من النوع الخطر ، على معنى التهور مثلاً ، وكذلك لو علمنا أن فلانا من الناس رحيم القلب ، ولم نعلم بغير ذلك من صفاته فربما تصورناه لشدة رحمته متراخياً أو ضعيفاً عن غيره ؛ أو طمعنا في رحمته فلم نخف من سطوته ، ولكننا لو علمناه مع الرحمة قويا شديداً البأس في موضع البأس ، ازداد تقديرنا له ، وازددنا علماً بجوانبه وإدراكاً لمجموعة صفاته التي بها يتميز عن غيره .

وإذا أردنا أن نعبر عن هذا المعنى بعبارة أخرى ، فإننا نقول : قد يوجد مزيج من الدواء هو مجموعة من مقادير مختلفة من أنواع وعناصر مختلفة ، فإذا عرفناه على هذا التركيب باسم معين ، فلا يمكن أن نطلق هذا الاسم على آخر فقد بعض عناصره ، أو فقد نسبة المقادير التي ركب على حسابها .

وفطره على طبع وفطرة تجعله عالماً بالاسماء كلها ، ولا يصح أن نفهم أنه علمه الاسماء أى ألقاب الأشياء بعد مناقشة الملائكة ؛ لأنه حينئذ بمثابة أن يعترض عليك أحد فى تفضيل فلان عليه فتريد ان تبرهن له على أن فلانا هذا خير منه ؛ فتعلمه بشئ لا تعلمه المعترض ، فإن له ولكل عاقل أن يقول لك : أنت علمته ولم تعلمنى ، ولو علمتني مثله لسكنت مثله أو يقول : لاني وإياه متساويان ولكنك منحتة علماً لم تمنحني إياه ، وجدت له هذا العلم حين سألتك عن سر تفضيله ، وهذا لا يعطيه منزلة وأفضلية من دوني .

هذه خلاصة الفكرة عن الاسماء فى قصة آدم ، وهى تقرب من الاسماء بمعنى المعانى فאלله وصف نفسه بأن له الاسماء الحسنى ، أى جميع المعانى الفاضلة الخيرة ، التى لا يرقى إليها من سواه ؛ لأن الحسنى مؤنث الاحسن ، فكأنه قال ما من صفة من الصفات الحسنة إلا وهى فى الله تعالى ، وصادرة منه وهو ينبوعها الأول ، وهى فيه جل شأنه على الوجه الاكمل والاحسن لا يشاركه فى ذلك مشارك .

وبهذا التفسير نعلم أن الاحاديث ليس لها غرض فى الحصر والعدد وإنما تريد بيان الكثرة على حدة سبعين مرة ، أو سبعة وسبعين ، إلى غير ذلك مما جاء على

ولى رأى فى هذه المسألة أبدية فى إيجاز : وهو أن الآية الكريمة « والله الاسماء الحسنى فادعوه بها ، لا تقصد إلى تحديد أسماء معينة أو صفات معينة تشير إليها بذلك ولا تقصد إلى معنى الاسم الذى هو لفظ يطلق على الذات لتعريفها ، كما نسمى إنساناً من الناس محمداً مثلاً ، وإنما تقصد الآية - والله أعلم - إلى تقرير أن الله تعالى هو مصدر كل المعانى السكاملة المعبر عنها بالاسماء الحسنى فما من معنى من معانى الخير والحق والجمال والجلال إلا وهو لله أصلاً ومن الله مبدأ ومصدراً .

والتعبير بالاسماء هنا شبيه أو قريب من التعبير بالاسماء فى قصة آدم حيث يقول الله عز وجل : « وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، فليس المراد هناك ما يبادر إلى أذهان كثير من المفسرين من أنه علمه اسم كل شئ حتى القصعة وكذا وكذا .. ، ولكن المراد - والله أعلم - أنه علم آدم ، أى علم الإنسان وركز فى طبعه ومواهبه وسائل التعرف للحقائق واكتناء الأشياء والمعارف والخواص ، وهذا ما يميزه به على الملائكة الذين لم يهبهم هذه الموهبة ، ولم يطبعهم على ما طبع عليه الإنسان منها ، وقوله تعالى : « وعلم آدم ، معناه : وكان علم آدم ، أى علمه

ويوازن بين الإسلام والمسيحية التي وصفت
الإله بأنه الأب ، وهو لفظ مفيد لمعنى
الحنو والرحمة .

نعود إلى هؤلاء كرة أخرى فنقول لهم :
بأى حق تتحدثون عن تنزيه الله ، وأتم
الذين نسبتم إليه ما ينافي بالتنزيه في كتبكم ؟ .

- لقد ذكرت التوراة في الإصحاحين : الثاني
والثالث من سفر التكوين قصة آدم وحواء
وخروجهما من الجنة ، وذكرت أن الله أجاز
لآدم أن يأكل من جميع الأشجار إلا ثمرة
شجرة معرفة الخير والشر وقال له : لأنك يوم
تأكل منها موتا تموت ، ثم خلق الله من آدم
زوجته حواء ، وكانا عاريين في الجنة ؛ لأنهما
لا يدركان الحسنة والقبح ، وجاءت الحية
ودلتها على الشجرة وحرصتهما على الأكل
من ثمرها ، وقالت : إنكما لاتموتان ، بل إن الله
عالم أنكما يوم تأكلان منه فتفتح أعينكما
وتعرفان الحسن والقبح ، فلما أكلتا من ثمرة الشجرة
انفتحت أعينهما ، وعرفا أنهما عريانان ،
فصنعا لأنفسهما منبرا ، فراهما الرب وهو
يتمشى في الجنة ، فاخبا آدم وحواء منه ،
فنادى الله آدم أين أنت ؟ فقال آدم : سمعت
صوتك فاخبتأت لأنى عريان ، فقال الله
من أهلك بأنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة ؟ .

ثم إن الله بعد ما ظهر له أكل آدم من الشجرة
قال : هوذا آدم صار كواحد منا عارف

مألوف العرب في إفادة الكثير بالسبعين
والتسعين ... إلخ .

٦ - وإذن فالأسماء الحسنى التي تذكر
في القرآن والحديث ما هي إلا عبارات عن
هذه المعاني التي تصور السكال المطلق في الله
في كل جانب .

ولهذه الأسماء إحياءات إلى السكال ؛ فإن
الإنسان واله إلى الآله أى منجذب إليه
متخلق بأخلاقه ، والإيمان يزيد هذه الطبيعة
في الإنسان ، فهو يتأثر مولاه ويتبعه ، فإذا
علمت أن الله رحيم ، فقد علمت أن الرحمة كمال
يجب أن ينشد . وإذا علمت أن الله عليم ، فقد
علمت أن العلم كمال يجب أن ينشد . وهكذا .
حتى صفات الانتقام والأخذ الشديد هي
أيضا مثل تحتذى ، على أن توضع في مواضعها
كما يضعها الله تعالى في مواضعها ، فإذا كان
أحد من الناس يحسن أخذ الظالم المستحق
للأخذ ، ويحسن كيف يشتد في أخذه انتقاما
من شدة ظلمه ، فإن هذا يعد وصفا حسنا
فيه إذا وضعه في موضعه .

وقصارى القول أن للأسماء الحسنى التي
يتسم بها الله جل جلاله إحياء بعظمة الله
وجلاله ، كما أن لها إحياء بأخلاق الجمال
والكمال .

٧ - بعد هذا نعود إلى الذين ينقدون
الإسلام بأنه يصف الإله بأوصاف تخيف

وإذن فإبراهيم في نظر هؤلاء متصف
بصفة الكذب، وبصفة السكوت على انتزاع
زوجته منه .

وفي قصة لوط يذكر أن زنى بابنتيه
بعد أن سقته خمرأ ، وأنه أحبلهما ولدین :
أحدهما (مواب) أبو الموابين ، والثاني
(بن عمى) وهو أبو (بنى عمون) .

وفي قصة اسحاق أنه أراد أن يعطى بركته
أحد أبنائه وهو عيسو ، فخادعه يعقوب ،
وأوهمه أنه عيسو وسقاه خمرأ ، فأعطاه
هو البركة ، ولم يعطها لعيسو ، ولما راجعه
عيسو في ذلك ، قال له ما معناه : لقد انتهى
الامر .

وفي ذلك معنى أن الأنبياء يزنون
ويسكرون ويخدعون ، وأن بركة الرب
تعطى جزافا ، والنبوة تؤخذ عن
خدعة ... وهكذا .

فمن أين لهم هذا الهراء وهذا التخريف .
وكيف مع هذا يعييون على الإسلام
ما وصف به الإله الحق ؟ .

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

بالحسن والقبیح ، والآن يمد يده فيأكل
من شجرة الحياة ، ويعيش إلى الأبد ، فأخرجه
الله من الجنة ، وجعل على شرفتها ما يحرس
طريق الشجرة . وذكر في العدد التاسع
من الإصحاح الثاني عشر : أن الحية القديمة هو
المدعو إبليس والشیطان الذى يضل العالم كله .
انظر كيف تنسب كتبهم إلى الله أنه
كذب على آدم وخادعه في أمر الشجرة ،
ثم خاف من حياته وخشى معارضته لإياه
في استقلال مملكته فأخرجه من الجنة ،
وأن الله جسم يتمشى في الجنة ، وأنه جاهل
بمكان آدم حين اختفى عنه ، وأن الشيطان
المضل نصح آدم ، وأخرجه من ظلمة الجهل
إلى المعرفة وإدراك الحسن والقبیح (ص ٣٦
من كتاب البيان في تفسير القرآن) .

وإننا لنجد هذا اللون كثيراً في كتب
العهد القديم والجديد ، ونرى كيف يصفون
الأنبياء ، فإبراهيم كذب على فرعون ،
وعرفه أن سارة أخته بينما كانت زوجته ،
فاتخذها فرعون زوجة له ، وآتى إبراهيم
أموالا من غنم وبقر وحمير وعبيد إلخ ،
ولما علم فيما بعد أنها زوجة إبراهيم ، ردها له
وعاتبه في أنه لم يعرفه بهذه الحقيقة .

نفاية القرآن

الفضب مجلبة لسوء الظن وللندم
والإكراه معذرة في الخطأ
والاستغفار طهارة من الشوائب
للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(١) « ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ، قال بئسما خلفتموني من بعدي !! أعجلتم أمر ربكم ؟ وألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه . (ب) قال : ابن أم !! إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ، ولا تجعلني مع القوم الظالمين . (ج) قال : رب اغفر لي ولأخي ، وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين » .

ونسج لهم تاريخا من مناهجهم في الحياة ، ومن شئونهم في الدين ، ومواقفهم أمام رسالات الأنبياء .

ولأنك لتجد الكتب زاخرة بالقول فيهم ، وتجد القرآن يتناوهم بالشيء الكثير ، حتى لتشعر - صادقا في شعورك - أنهم رموز حية لشياطين الإنس . وأن جانبهم لا يؤمن ، وإن غلبت عليهم المودة والزلفى ، وتلدس في غير ريبة أن عهدهم وإن وثقوه عهد منقوض وفي سياستهم مع موسى عليه السلام أمثلة تنبيك عن طبائعهم واتجاهاتهم في دنيانا فضلا عما كان لهم مع غير موسى من الأنبياء ، وماضيهم لا يختلف عن حاضرم ، وهم فيما سلف أشبه بما نراه منهم اليوم ، وربما كانوا في غدهم شرا مما عرفنا عنهم .

حياة موسى عليه السلام كانت مرحلة زمنية حافلة بالأحداث والعجيب ، وفي كل جانب منها فصول تلتقي الإنسانية في مصابرة ، وعرفت منها الدنيا ما لم تكن رأت في أحقابها الأولى . فإذا تجاوزنا الحديث عن طوره الأول - في عهد فرعون وما أحاط به من مخاوف - إلى الحديث عنه رسولا إلى بني إسرائيل ، وما كان من شئونهم مع موسى وجدنا متقسما للقول ، وأحداثا يستغرق ذكرها أوقاتا ، ويثير الحيرة في أمر هؤلاء اليهود .

نعم !! تاريخ اليهود حافل بالعجيب ، وقضاياهم بارزة في صفحة هذا الوجود .

فإن يكن لهذه الطائفة بين سائر الشعوب نشاط في الدنيا ، وجولات في المجال الاقتصادي فسكان الله خلقهم على نمط خاص بهم في التفكير

ويحضروا معه ما يتلقاه من ربه ، وترك
هارون مع القوم ينتظرون .

وفي طريقهم إلى الوادي المقدس تعجل
موسى في سيره ليسبق ، ووعد أصحابه اللقاء
عند الميقات .

وفي هذا سؤال الله تعالى ، وما أعجلك
عن قومك يا موسى ؟! وفيه جواب موسى
قال : هم أولاء على أثرى وعجلت إليكم
رب لترضى .

مكث موسى وأصحابه ثلاثين ليلة ، ثم عشرة
أخرى ، أراد الله زيادتها في الموعد ولم يكن
هارون ومن معه يعلبون بتلك العشر الليالي
فراب القوم غيابه ، وأخذوا ينتفضون عليه
ويتحللون من دينهم ، ويسارعون في الكفر
كما كانوا يشتهون من قبل ، وبعد تلقى موسى
للتوراة ، وقبل النصرافه إلى أكثرية القوم
في مقرهم الأول مع أخيه هارون وزيره .
أخبره الله أن القوم غمروهم الفتنة في غيابه ،
وأن موسى السامري أحد أتباعه ، دبر لهم
فتنة الكفر التي ارتكسوا فيها .

ومع أن موسى كليم الله ، وصاحب الخطوة
بالحديث إلى ربه لم يستفسر عن تفصيل
الفتنة ، لأنه يعهد في الكثير من يهوده ذبذبة
الفسكرة ، ووهن العقيدة ، فشغله لهم لذلك
وقفل راجعا ليتدارك القوم في محتهم .

(١) عاد فأبصر أكثر قومه حول تمثال

ولكن الله لن يرفع لهم راية ، ولن يعلى
لهم شأنًا كما سجل عليهم غضبه ، وهددهم بشر
وعيده في القرآن ، ولن يخلف الله وعيده معهم .
حينما اجتاز موسى بهم البحر ، وتجلت
فيهم المعجزة بإغراق فرعون وجنوده ،
ونجاة موسى وأتباعه من طغيان الفراعنة :
ما كادت أقدام اليهود تستقر على أرض سيناء
حتى اقترحوا على موسى أن يتخذ لهم أصناما
يعبدونها كما رأوا هناك جبهة كفاراً يعبدون
الأصنام . يا موسى ! اجعل لنا إلهًا كما لهم
آلهة . . .

فنهام موسى عن ذلك التقليد ، وذكرهم
نعمة الله عليهم بالنجاة من فرعون ، وكانوا
في ضنك من حكمه عليهم بمصر ، وفي شقاء
من مطاردته لهم وقتيل أولادهم واستحياء
نسائهم . . ولكن طبائع الشر كامنة فيهم ،
فما انصرفوا عن طلبهم ذاك إلا تحيينا للفرصة
وانتهزاً للوسيلة ، وذلك دأب النفوس
المتردة الخبيثة .

وحينما استقر بهم موسى حيث استقروا
في سيناء ، وعد الله موسى أن ينزل
عليه كتابا يتلقاه بالوادي المقدس - وهو
المعروف بطوى - بجبل الطور في تلك
الصحراء .

وفي الموعدة التي وعد الله موسى أخذ معه
سبعين رجلا من خيارهم ليصحبوه إلى الميقات

طابت نفس موسى وسكت عنه الغضب ،
إذ أصبح على بينة من الأمر ، واقتنع بأن
أخاه هارون لم يتساعح ، بل نصح وقارم
حتى كادوا يقتلونه ، وأن موسى السامري
ومن انتقضوا معه قد تغلبوا ، وصنعوا
العجل من الذهب ، وأخذوا يعبدونه كما
كانوا يتهافون على الشرك سابقا .

(ج) وإذا كان موسى ظاننا بأخيه غير
الواقع ، وكان هارون معذورا في شأنهم
فلم يسع موسى إلا أن يبادر إلى الله بطلب
العفو عنه وعن أخيه بما كان من غضبه وسوء
ظنه بهارون ، وبما يسكون من تخلف هارون
عن الذهاب إلى موسى وإخباره كما عتب عليه
ذلك في قوله : يا هارون ١١ ما منعك إذ
رأيتهم ضلوا ألا تتبعني ، فمع وضوح المعذرة
لموسى ولهارون في موقفه أناب موسى إلى الله
بالدعاء : قال : رب اغفر لي ، ولأخي ،
وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين .
وكذلك شأن الاتقياء يطلبون المغفرة ولو لم
يكن ذنبا . ويطلبون الرحمة لهم وللناس في كل
حين ؛ لأن النفوس الخيرة تشعر دائما أنها
دون السكالم في القيام بحق الله ولو كانت كاملة
وتطلب المزيد من رحمته تفضلا منه تعالى :
لا استحقاقا على الله ، بخلاف الجهلاء الذين
يحفزهم الخيال والحق على الاعتزاز بأنفسهم ،
فيعقول المرء منهم عند النعمة : ربى أكرمنى -

من الذهب لعجل من البقر يعبدونه .

فكانت ظاهرة الغضب في أمور ثلاثة :

١ - أنكر على قومه في شدة : قال :
بئس خلفتموني من بعدى !! أنجلتم أمر ربكم ؟ ،
يريد بئس العمل الذى عملتموه فى غيابى عنكم
وهل استبطأتم حضورى فتهجلتم أمر ربكم ،
ولم تنتظروا عودى بما آتيتكم به من عند الله .

٢ - وألقى الألواح ، وضع التوراة
حيث وضعها ، فى شىء من التسرع والانفعال
لما رأى عليه قومه ، وكان المفروض أن
يتهدى ويتشد فى وضعها ، ولكن الغضب
قد بلغ منه مبلغه .

وهنا توسع أناس ، وعلقوا على هذا
الإلقاء بأن التوراة تحطمت ألواح منها
وذهب جانب كبير من أصولها الأولى ،
ولكنها روايات لا يبنى عليها علم صحيح .

٣ - الأمر الثالث : وأخذ برأس أخيه
يجره إليه ، لما ظنه موسى بأخيه أنه تساعح
مع القوم فلم يزجرهم عن عبادة العجل ، ولم
يقم فيهم بالإرشاد كما أوصاه موسى .

وطبيعى أن يساء الظن بمن كان معهودا
إليه فى أمر ثم لا يبنى به على الوجه المطلوب .

(ب) ولكن هارون أبدى معذرتة لموسى
وأقنعه بقوله : وابن أم !! إن القوم استضعفوني
وكادوا يقتلونى ، فلا تشمت بى الأعداء ، ولا
تجعلنى مع القوم الظالمين .

فلا نفعال من موسى إزاء هؤلاء غير معيب منه ، ولا كثير عليه لما يحتاجون من زجر وتقويم ...

وربما كان الغضب في كثير من الأحيان أجدى من الحلم في علاج أمثال اليهود ...

ووضع الندى في موضع السيف بالعلماء مضر كوضع السيف في موضع الندى وقد أوضح العلماء أن الغضب في حقيقته جمة نفسية تتوقد في الصدر ، ولذلك كان علاجه في هدى الرسول صلى الله عليه وسلم أن من غضب فليضطجع ، فإن لم يذهب غضبه اغتسل . وما ورد في ذلك : (إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع) وقوله صلى الله عليه وسلم كذلك : (إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ) وهكذا بما نصح به الرسول في مقاومة الغضب بالجلوس من قيام ، وبالاضطجاع ، وبالوضوء ، وبالاغتسال ، ومهما يكن للغضب من أسبابه ومبرراته ففضل الحلم مشهود به ، وثواب الاحتمال مضمون في قول الله سبحانه مدحا في المتقين : « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس » ومن قبيل هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (الحلم سيد الأخلاق) .

وقد تعرض الفقهاء للغضب إذا طلق زوجته في غضبه ، فكثير منهم لا يعتبر

لاستحقاق ذلك الإكرام ويقول عند النعمة ربى أهاننى ، وأنا لا أستحق الإهانة وكان من هذا القبيل أن يستهين الكفار بالإيمان ، ويقولوا عن المؤمنين لو كان خيرا ما سبقونا إليه ، فهذا شموخ الحق الذين يعيرون الإيمان . « وإذا لم يتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم » . وفيما تقدم توجيه لنا إلى ناحية الغضب والإكراه فالغضب نزعة بشرية طبيعية في الإنسان ، وهى لا تنقص شأن الأنبياء ؛ لأنهم أناس كغيرهم ولكننا نختلف في هذه النزعة شدة ، وهوادة ، وهذا فرق ما بين الحليم والغضوب وما كانت هذه النزعة لتأخذ على نبي من الأنبياء حله المفروض ، إلا أنهم يغارون على دين الله ويغضبون لله ، وكذلك كان موسى ، بل كان أكثر الأنبياء انفعالا كما يقول بعض المفسرين .

وواضح أن لموسى عذره في مزيد استيائه لأنه بعث في قوم ليسوا جهلاء فقط وإنما هم خبيثاء ماكرون ، وجبناء مستذلون لا يحترمون لأنفسهم شخصية ، وكأن مقامهم في حكم فرعون أورثهم المهانة ، وعليهم الخداع ، فضلا عن أنهم لا يوفون بعهده ، ولا يشكرون نعمة ، ولا يتخلفون عن رذيلة ولا يأسرون بمعروف ، ولا يتناهون عن منكر ... وتلك أوصافهم التي يحكيها عنهم الله الذى خلقهم وابتلاهم بتلك النقائص .

الغضب مانعاً من وقوع الطلاق ، وفريق يرى الغضب مانعاً من وقوع الطلاق في حالة شدة الغضب ؛ لأن المرء لا يكون مدركاً لما قال بل أخبره غيره بما حصل منه ، ففي تلك الحالة فقط يعتبر كالمجنون فلا يؤخذ ، والإكراه كذلك له أثره في محاسبة المرء على عمله .

ومن قضية هارون عليه السلام أنه لم يكن متساعاً مع قوميه في تعهدهم ، وهو نبي ووزير لأخيه موسى في رسالته فلم تكن عليه تبعه في انحرافهم وما ارتكبوا من خطأ جسيم لأنه مكروه ؛ إذ هددوه بالقتل ، فتحاشاهم لأنه لو تمادى وقتلوه ، لكان ملقياً بنفسه إلى التهلكة دون ثمة لهذا .

وكذلك تشريع الله للناس يعفيهم من تبعه الإكراه على المخالفة إذا نفذت الخيلة وعجزت المحاولة ، والله لا يكلف نفساً إلا وسعها والمكروه عاجز ولا شك وفي ذلك يقول النبي صلوات الله عليه وسلامه : (عفى لآمتي عن الخطأ - غير المقصود والنسيان ،

وما استكروها عليه) . بل القرآن نفسه يتحدث عن الإكراه على الكفر بالقتل مثلاً ، إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، فتنك حالة صادفت فسحة في الدين ، وعفوا من جانب الله .

ولكن يراعى في الإكراه المعنى من التبعة ألا يجد الإنسان منفذاً منه ، فالمكروه في دينه مطالب بالهجرة إلى وطن آمن سوى وطنه إذا عجز عن الجهاد والقيام بواجبه . والمدافع عن ماله أو عرضه إذا اقتضاه الأمر أن يقتل المعتدى عليه فله قتله والتخلص من عدوانه ؛ لأنه يعتبر مكروهاً على فعله هذا من جانب المعتدى نفسه ، ومهما يكن من تجاوزنا فباب التوبة مفتوح لمن ينيب إلى ربه بالتوبة والله يعفو عن السيئات ، ويهديننا إلى صراطه المستقيم ؟ .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

فقير وغني

مررت بالفقير فقال لي : أبحث عن طعام لمعدني
ومررت بالغني فقال : أبحث عن معدة لطعامي !

كيف نصل إلى تطوير الفقه الإسلامي

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

الحشر على الخير فيهم ولهم ، فقال فيهم سبحانه : « إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

ولكن العرب صاروا إلى ما صاروا إليه من كرامة وعز ومجد ، وعلا سلطانهم على كل سلطان ، بفضل الإسلام الذي جاءهم بالعقيدة الحقة بعد أن كان الناس منها في أمر مريب ، وبالشرعية العادلة الصالحة لكل جيل وعصر إذا فهمت على أصولها ، وعمل رجالها على تطويرها في حدود كتاب الله وسنة رسوله لتكون حقاً صالحة لكل زمان ومكان .

وهكذا كان يعمل رجالنا الأولون من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم وهكذا كان يعمل فقهاؤنا الخالدون أئمة المذاهب المعروفة ، وهكذا كان يعمل تلاميذ أولئك الفقهاء والأعلام الذين نهجوا نهج أئمتهم واتبعوا طريقهم . وفي تلك العصور المجيدة كانت شريعة الله ورسوله هي القانون الذي ينزل الناس جميعاً على أحكامه ، وكان فقهاء كل عصر يتفهمون مسأله ومشاكله ويعملون

في هذه الأيام المباركة ، وفي هذا العهد الطيب الذي لا يعرف رجاله الوقوف والجود ، بل هم دائماً في حركة مطردة ومسير دائم إلى الأمام ، نرى أن على رجال الفقه والقانون واجبات ثغلاً لا يجب أن يقوموا بها ، وأن يعملوا لتحقيقها جادين ومستعنيين بما يقوم في سبيلهم من صعاب وعقبات .

ولعل أهم هذه الواجبات وأجلها خطراً ، هو أن يكون بعضهم لبعض معيناً وظهيراً على إقالة الفقه الإسلامي من عثرته والنهضة به وعلى تطويره ؛ ليكون حقاً صالحاً لهذا العصر الذي نعيش فيه ، وبذلك يكون الأساس الاسمي الأول لكل ما نحتاج إليه من نظم وقوانين .

إن شعارنا اليوم هو « القومية العربية » ، وبهذا نستمسك ونفخر ونعتز ؛ فإن العرب هم — كما يقول ابن المقفع — الذين أدبتهم نفوسهم ، ورفعهم همهم ، وأعلتهم قلوبهم ، وألستهم ، حتى دفع الله لهم الفخر ، وبلغ بهم أشرف الذكر ، وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر ، وافتتح دينه وخلافته بهم إلى

بأخرى كانت ثابتة مستقرة قبلها ، وذلك
أخذاً بأصول الفقه ، ومنها العرف
والاستحسان والمصالح المرسله ؛ وبهذا
تطور الفقه حقاً فى هذه الأحكام ، وكان
هذا خيراً كثيراً .

ونذكر من هذه الأحكام . على سبيل
التشيل لا الحصر ، إجازتهم أن يأخذ معلم
القرآن أجراً على عمله ، وكذلك إمام المسجد
وخطيبه ، مع أن مثل هذه الأعمال ما كان
يجوز أخذ أجر على القيام بها ؛ لأنها من
الأعمال الدينية التى يفرض القيام بها على
القادر عليها قربة لله تعالى .

ومن هذا القبيل أيضاً ، ما كان من إجماع
الصحابه رضى الله عنهم أيام سيدنا أبى بكر
الصديق على جمع القرآن وكتابته ، رعاية
للصلحه العامة للإسلام والأمة ، بعد أن
توقف الصديق أول الأمر عن الإقدام على
هذا العمل ، وكان يقول : كيف أفعل شيئاً
لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
ولكن عمر ظل به يراجع حتى شرح الله
صدره له .

ثم جاء سيدنا عثمان رضى الله عنه ، ورأى
اختلاف المسلمين وقد تنامت بهم الديار فى
البلاد المختلفة ، فأمر بجمعه فى مصحف واحد
فرق منه نسخا فى البلدان ، ثم أمر بحرق
ماسواه من الصحف ذوات القراءات المخالفة .

على إيجاد حلول وأحكام لها تتفق والقرآن
والسنة .

ثم مرت القرون ، وضعفت الهمم ،
وران على قلوبنا وعقولنا حب التقليد
بل السكف به فإذا بالفقه الإسلامى يحمى
على ما تراه فى بطون الكتب وإذا به ينزوى
عن الحياة ، وإذا بنا نهرع للفقه الغربى نأخذ
منه ونجعل القوانين التى اتخذت منه ، هى
الفيصل فى شئوننا ونسى ذلك التراث المجيد
الذى ورثناه عن أسلافنا الأجداد وهو تراث
صلحت الإنسانية به قرونا طويلاً ، ولا يزال
ما فيه من تشريعات صالحة لقيادة الإنسانية
أكبر الدهر لوجد رجالاً ! .

* * *

هذه كلمة تبين لنا أنه أن لنا أن نتحرك ونعمل
وأن نبذل كل ما نستطيع من جهد لتطوير
الفقه طبقاً لأصوله ، وبذلك لا يجد أحد
من رجال القانون والتشريع حاجة إلى الأخذ
عن قوانين الغرب ، هذه القوانين التى قد
يقوم عليها أمر من وضعت لهم ، ولكنها
لا يمكن أن تصلح لنا ، وذلك لاختلاف
ما بيننا وبينهم فى العقيدة والتقاليد .

وإننا بهذا الذى نطلبه جاهدين منذ
سنوات ، لا نريد بدعاً من الأمر ؛ فقد سبقنا
الفقهاء الأصلاء فى العصور المختلفة ،
إلى استبدال كثير من الأحكام التشريعية

جامدين أمام النصوص التشريعية ، بل رأوا أن الأحكام التي تؤخذ منها قد تتغير مع الزمان وذلك لتغير عللها التي أدت إليها ، أو لأن المقاصد التي كانت تراد بها أصبحت لا تتحقق إلا بأحكام أخرى رأوا من الواجب استحداثها .

ومن مثل ذلك جعل عمر الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلاقاً ثلاثاً تبين به الزوجة بينونة كبرى ، وإسقاطه سهم المؤلفه قلوبهم ، والحكم الذي صار إليه على وعثمان بجواز التقاط ضالة الإبل ، وما صار إليه كثير من التابعين من ضمان المودع بلا تغير منه .

٣ - تركهم العمل في كثير من الحالات بالنصوص العامة أو المطلقة حين يظهر أن العمل بها يتنافى المصلحة الحقيقية ، فكان أن عمد كبار التابعين إلى تقييد النص أو تخصيصه أو ترك ظاهره . ومن هذا القليل إجازة التسعير ، ورد شهادة القريب لقريبه وأحد الزوجين للآخر .

ومذه الطريقة الحكيمة التي سار عليها أولئك الفقهاء الأعلام من الصحابة والتابعين ، والتي أدت إلى النتائج الطيبة التي أشرنا إلى بعضها ، هي - كما قلنا في كتابنا : فقه الصحابة والتابعين ، الذي ظهر منذ ست سنوات - الطريقة المثلى التي تجعل من الفقه الإسلامي كائناً حياً على مدى الزمان ، وتجعله نظاماً

ومن ذلك أيضاً إجازة الإمام مالك سجن المتهم ، وإجازة أصحابه ضربه أيضاً ؛ ليسكون ذلك عاملاً لإقراره وظهور الحقيقة ، مع أن الأصل هو أن المتهم برىء حتى تثبت إدانته ، وإذن يجب أن يكون بمنجاة من الأذى قبل أن تثبت جنايته .

هذا ، والعمل الجليل الذي ندعو إليه يقتضى بلا ريب منهجاً مرسوماً مدروساً ، وأول خطوة من خطوات هذا المنهج هي اقتفاء أثر فقهاء الصحابة والتابعين رضى الله عنهم ، وإن الذي ينظر في فقه هؤلاء الفقهاء الأعلام نظرة فاحصة عميقة يتبين له بوضوح - كما أشرنا إليه في الكلمتين السابقتين -

طريقتهم في معرفه أحكام ما كان يحدث من نوازل ووقائع ، كما يتبين النتائج التي وصلوا إليها ، ونذكر الآن القليل من هذه وتلك :

١ - أنهم كانوا لا يلجئون إلى الاجتهاد بالرأى إلا إذا لم يجدوا في نصوص الكتاب المحكم والسنة الصحيحة حكم الواقعة التي يبحثون عن حكم الله فيها ، ومن ثم كان تحرجهم في الفتوى بالرأى في كثير من هذه الحالات .

٢ - أنهم أيقنوا أن الله لم يشرع الأحكام عبثاً ، بل لعلة اقتضتها ومقاصد تتحقق بها ، ومصالح حقيقية تعود على الفرد أو المجتمع منها ، ومن ثم ، نراهم لا يقفون

والمذهب الظاهرى . ففي هذه المذاهب ثروة فقهية ضخمة ، وفيها ما ينبغى أن ننفيد منه في نهضتنا التشريعية .

وفى ذلك يقول الأستاذ الجليل الدكتور السهنورى : « هذه الشريعة الإسلامية ؛ لو وطئت أكنافها ، وعبدت سبلها ، لكان لنا فى هذا التراث الجليل ما ينفخ روح الاستقلال فى فقهنا وفى قضائنا وفى تشريعنا ، ثم لأشرفنا نطالع العالم بهذا النور الجديد فنضئ به جانبا من جوانب الثقافة العالمية فى القانون (١) .

ومتى تم لنا معرفة الفقه الإسلامى معرفة طيبة فى مذاهبه العديدة المختلفة كان علينا أن نقوم بدراسته دراسة تاريخية مقارنة ؛ بين بعض هذه المذاهب والبعض الآخر من ناحية ، وبينها مجتمعة وبين القوانين الحديثة والفقه الحديث من ناحية أخرى .

إن هذه الدراسة التاريخية المقارنة ، تجعلنا نؤمن بأن الله لم يخص بالحق فقهيا معيناً أو مذهباً فقهياً معيناً وحده ، وتضع مادة خصبة للذين يقومون بوضع القوانين الحديثة فيفيدون منها ، وربما دفعهم هذا إلى جعل الفقه الإسلامى هو المصدر الأول لما يضعون

خالداً يصلح به العالم فى الحاضر والمستقبل كما صلح به فى الماضى البعيد .

ونقول اليوم : إنها الخطوة الأولى التى يجب أن نخطوها لنصل إلى ما نريد من تطوير هذا الفقه الخصب الزاخر بمقومات الحياة أبداً الدهر .

والخطوة الثانية تقتضى من رجال الفقه والقانون جهداً كبيراً أيضاً ، وتعاوناً مشتركاً من الجانبين ، وبهذا وذاك نصل بفضل الله إلى ما نريد لقوميتنا وشريعتنا من الخير الكثير .

إن كتب الفقه المنشورة تكاد تكون « مغلقة » أمام كثير من رجال الفقه ورجال القانون ؛ وذلك لتعسر البحث فيها ، وصعوبة الوصول إلى مواضع المسائل التى اشتملت عليها ، وكثير من هذه المسائل يحىء فى مواضع لا يكاد الباحث يظن وجودها فيها . وهذا مما يفرض علينا وجوب نشرها نشرأ علمياً صحيحاً ، وفهرستها فهرسة دقيقة ، حتى نيسر للباحثين الوصول إلى ما يريدون البحث عنه ؛ وعلينا هنا ألا تقتصر على نشر كتب مذهب واحد ، أو على المؤلفات فى المذاهب الأربعة المعروفة ، بل يجب نشر أمهات كتب المذاهب الأخرى أيضاً ؛ مثل مذاهب الزيدية والإمامية من الشيعة ،

(١) من الكلمة الافتتاحية لكتاب نظرية الالتزامات ، الجزء الأول فى نظرية العقد .

العراق الجديد ، إلا قانونا مناسباً للوقت الحاضر لمصر أو العراق . والقانون النهائي الدائم لكل من مصر والعراق ، بل لكل البلاد العربية ، إنما هو القانون المدني الذي نشته من الشريعة الإسلامية بعد أن يتم تطورها .

وقد تكون البلاد العربية عند ظهور هذا القانون قد توحدت ، فيأتى القانون يدعم وحدتها ؛ وقد تكون في طريقها إلى التوحيد فيأتى القانون عاملاً من عوامل توحيدها ، ويبقى على كل حال رمزاً لهذه الوحدة . (١)

والخطوة الثالثة ، وهى الأخيرة التى بها نصل إلى ما ندعو إليه ، هى فتح باب الاجتهاد للقادر عليه ؛ فإن سبب ما أصبنا به من جمود ووقوف عن مسيرة الزمن فى هذه الناحية ، هو إقفال باب الاجتهاد منذ قرون طويلة ثقيلة ، وبذلك تخلف فقهاء واضطرونا للآخذ من الفقه الغربى ولسنا بهذا ندعو إلى التنكر لتراث الماضين ، فإنه لا يفعل ذلك إلا جاهل أحمق ، بل ندعو إلى السير فى الطريق الذى ساروا فيه ، مع الاستفادة مما خلفوه لنا من ثروة ضخمة لا يقدر قدرها . عسى أن نعرف حكم

من تشريعات وقوانين تناسب العصر الذى نعيش فيه .

على أننا نرى بحمد الله تعالى غير قليل من رجال القانون عرفوا للفقه الإسلامى قيمته ، وأخذوا فى الكتابة فيه والإفادة منه ، وعلى رأسهم العلامة الدكتور السنهورى ؛ هذا الرجل العظيم الذى ظهر له حتى اليوم ستة أجزاء من كتاب واحد فى التشريع الإسلامى وهو كتاب « مصادر الحق فى الفقه الإسلامى » بحث فيه هذه الناحية بحثاً علمياً دقيقاً مقارنة .

لقد أحس الأستاذ الكبير ما نحسه من وجوب تطوير الفقه الإسلامى حتى يكون منه قانون عام للبلاد العربية الإسلامية ، وقرر فى بعض ما كتبه — عن إيمان عميق — بأن الفقه الإسلامى لا يقل عن القانون الرومانى فى العرافة ودقة المنطق والصياغة والقبول للتطور ، وأنه مثله صالح لأن يكون قانوناً عالمياً كما كان فى الماضى ، وأنه — إذا أحييت دراسته وانفتح فيه باب الاجتهاد — قين أن ينبت قانوناً حديثاً لا يقل فى الجدة ومسيرة العصر عن القوانين اللاتينية والجرمانية .

ثم بعد أن قرر ذلك نجدد يقول ما نصه :

« والهدف الذى نرمى إليه هو تطوير الفقه الإسلامى وفقاً لصناعته ، حتى نشق منه قانوناً حديثاً يصلح للعصر الذى نحن فيه ... وليس القانون المصرى الجديد ، أو القانون

(١) راجع : العالم العربى : مقالات وبحوث ، الكتاب الثانى ، بحث القانون المدنى العربى ص ٢٨ - ٢٩ : نشر الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية مطبعة مصر سنة ١٩٥٣ م .

ومتى تم تكوين المجمع على هذا النحو ،
بجمع المركز الرئيسى المسائل والمشاكل التى
يجب بحثها وبيان أحكامها الشرعية ، ثم يرسل
بها إلى جميع الأعضاء ليقوم كل منهم ببحثها
حسب طاقته ويجتمع المجمع بكامل أعضائه
كل عام مثلاً للنظر فيما وصل إليه كل من
الأعضاء متفرقين ، وليقرروا أخيراً الأحكام
التي ينتهون إليها ، ويكون لهذه الأحكام الصفة
التشريعية الاجتماعية ، وتكون تشريعات
واجبة الالتزام للسليين جميعاً .

لأنه بفضل هذا المجمع نصل إلى معرفة أحكام
المعاملات التي جددت في هذا العصر ، مثل
معاملات سوق العقود ، ومعاملات البنوك ،
ومعاملات الشركات على اختلاف أنواعها
وأعمالها ، ومعاملات الجمعيات التعاونية
ونحوها ...

وبعد : إننا بذلك نكون قد أدينا ما علينا
لشريعة الله ورسوله ، وما علينا للعصر الذى
نعيش فيه ، ونكون فقهاء أحياء حقاً ،
لا فقهاء جامدين أو مقلدين بغير علم .
ومن الله العون والسداد ، ولن يضيع
سبحانه وتعالى أجر العاملين ؟

الدكتور محمد يوسف موسى

الله ورسوله فيما جددت في أيامنا من مسائل
ومشاكل ومعاملات لم تعرض لهم في عصورهم .
إن الزمن - كما قلنا في كتاب سابق لنا -
يتغير ، والمعاملات تجد وتطور ، فكان أن
وجد منها كثير لم يكن موجوداً بالأمس ،
فليس لنا أن نتمسك عن بيان حكم الفقه
الإسلامى في كل منها ، معللين بأن الفقهاء
الماضين لم يتكلموا عنها ، وكيف كان لهم أن
يتكلموا فيها وهى لم تعرض لهم ! بل إن علينا
أن نجتهد في ذلك مستفيدين من جهود الماضين
ومعتمدين قبل كل شيء على كتاب الله المحكم
وسنة رسوله الصحيحة .

والسبيل الوحيد - فيما أرى - لتنظيم الاجتهاد
ولتكون الأحكام التشريعية التي نصل إليها عن
طريقه صالحة - هو إنشاء ما يمكن أن يسمى
« مجمع الفقه الإسلامى » ، ويختار أعضاؤه
من صفوة الفقهاء من جميع بلدان العالم
الإسلامى ، ويكون معهم أعضاء آخرون من
رجال القانون الذى عرفوا الفقه الإسلامى
وآمنوا به ؛ ويكون المركز الرئيسى لهذا المجمع
بالقاهرة مثلاً ، كما تكون له مكاتب في البلاد
الأخرى .

جهالة وضلالة

للأستاذ محمود الشرقاوى

[لم أر ، غير الإسلام ديناً ، حفظ أصله وخلط فيه أهله]

« الإمام محمد عبده » « * »

منكر . ويلبس بعضهم الثياب البيض
والأحزمة السمر والعمائم الحجر .

وهم يقفون أو يسرون في حركات عنيفة
شاذة . وظل جمعهم هذا متوالا متابعا من
المسجد حتى امتد إلى منطقة كبيرة من الأحياء
التي تحيط به . وتأذى الناس من ذلك
وضاقت سبلهم الواسعة فترة طويلة كان
خيرا لهم أن يفيدوا منها ، أو يستريحوا .
وقرأت بعد ذلك في الصحف شكوى
الناس من ذلك وتعجبهم ، وكان هذا المشهد
لجماعة من رجال الطرق ، يحتفلون بمولد
شيخهم . وشاركهم في هذا المسير بعض ضباط
الشرطة وجنودها .

ولكى ندرك تأصل هذه الآفة وعمق هذه
الجهالة في مجتمعنا ، نذكر صفحة عن ذلك
سجلها شيخ من كبار المؤرخين في القرن الثامن
عشر . بل هو عمدة المؤرخين المصريين جميعا

شهدتُ وشهدتُ القاهرة في الشهر
الماضى مشهداً عجيباً ، ينأى عنه الخلق ،
ويأباه جد الحياة ، وينكره الدين . بل هو في
الدين جهالة جهلاء وضلالة عمياء .

شهدتُ آلافاً كثيرة تركت عملها في الحقل
والمصنع والمتجر ، وتجمعت في مسجد سيدنا
الحسين تضج وتعج وتفور . ثم خرجت
منه متتابعة في صفوف ، يندس بينها من
يعلم الله خلقه ودينه . وقد يكون غير بعيد
عن التهمة والسجن والمخدرات .

كانت صفوف القوم متتابعة متزاحمة
يختلط فيها النساء بالرجال في زحمة منسكرة غير
مأمونة ولا مستساغة ولا مقبولة ، يحمل
بعضهم الدفوف وبعضهم الطبول وبعضهم
الريارات . ولدوفوفهم وطبولهم دوى قوى

(*) ابن رشد وفلسفته لفرح أنطون : ص ١٧٣ .

والمواليات . ومنهم من يقول أحياناً من بردة البوصيرى فى مدح النبى عليه السلام ، ويجاوبهم آخرون مقابلون لهم بصيغة الصلاة على النبى ومنهم جماعة من المغاربة ، يجلسون صفين متقابلين ، وينطقون بلغتهم ، كلاماً معوجاً بنغم خاص ، وطريقة جروا عليها ، وبين أيديهم طبول ودفوف يضربون عليها ، على قدر النغم ، ضرباً شديداً ، مع ارتفاع أصواتهم . وتقف جماعة أخرى مقابلة لضارى الدفوف واضعين أكتافهم فى أكتاف بعض ، لا يخرج واحد عن الآخر ، يتلوون وينتصبون ، ويرتفعون وينخفضون ، ويضربون الأرض بأرجلهم ، كل ذلك مع الحركة العنيفة ، والشدة الزائدة ، بحيث لا يستطيع ذلك إلا كل من عرف بالأيدي والقوة ، وهذه الإيقاعات ، والحركات ، تجري على نمط الضرب بالدفوف ، فيقع بالمسجد ، من هذا كله ، ضجيج كبير ، ودوى عظيم ، وإلى جانب هؤلاء كثير من الفقراء ، والمنشدين ، كل له طريقته ، ونشيدته . ثم يقول : (هذا مع من ينضم إلى ذلك من جمع العوام ، وتحلقهم بالمسجد ، للحديث والهديان ، وكثرة الغلط والحكايات ، والأضاحيك ، والتلفت إلى حسان الغلبان ، الذين يحضرون للتفرج ، والسعى خلفهم ، والافتتان بهم ، ورعى قشور اللب ، والمسكرات ، والمأكولات فى المسجد ،

وهو الشيخ عبد الرحمن الجبرى . وهى صفحة لا تسجل فقط ، بل هى تشير وتفصح وتنير . وتبين للناس كيف اتخذ ، ويتخذ ، كثير من الأفاكين والعاطلين وأصحاب الحيلة ، كيف اتخذ هؤلاء ، وغيرهم مقامات الأولياء ومزاراتهم وسيلة رخيصة للعيش والإثراء وتحقيق مآرب أخرى .

وكان القاهريون وغيرهم ، يحتفلون ، كما يحتفلون الآن ، بمولد الحسين ، والسيدة زينب ، والإمام الشافعى ، والسيدة نفيسة ، وكثير غيرهم من الأولياء والصالحين ، كما يحتفلون جميعاً بمولد السيد البدوى فى طنطا ، والسيد ابراهيم الدسوقى فى دسوق . ولتخذ مولد الحسين مثلاً لما كان يجرى فى غيره من الموالد .

فالجبرى يتحدث فى الجزء الرابع من كتابه عن نشأة الاحتفال بهذا المولد . فيقول : إن هذا المولد ابتدعه مباشرة لوقف المسجد الحسينى كان يسمى السيد بدوى بن فتيح ، أصابه مرض ، فنذر ، إن شفاه الله ، أن يقيم هذا المولد ، وكان المولد أول الأمر ، هو إضاءة المسجد وقبته ، بالقناديل والشموع ، وترتيب فقهاء يقرءون القرآن نهاراً ، ويتدارسون . وآخرون يقرءون ليلاً ، دلائل الخيرات . ثم تغير الحال ، وانضم إلى الفقهاء كثير من الجهلة ، وأهل البدعة . فمنهم من يقيم حلقات الذكر ، ويردد اسم الله ، محرراً ، وينشد له المنشدون القصائد

الراس والسوءتين غالباً ، وكان له أخ صاحب دهاء وحيلة . وكان دائم المنازعة والخصومة لأخيه الشيخ . ثم بدا له فيه أمر . فقد وجد الناس ، على عادة أهل مصر ، يعتقدون في أخيه الولاية والكرامة ، ويلتمسون منه البركة .

فحجر عليه ، ومنعه من مغادرة البيت ، وألبسه ثياباً . وأظهر للناس أنه قد أذن للشيخ بلبس الثياب لأنه تولى قطباً ، وتكاثر الناس ، وخاصة النساء ، يسعون إلى بيت الشيخ والتبرك به ، والإصغاء إلى ألفاظه وتخليطاته وتأويلها بما يلائم رغبة نفوسهم . وتكاثر مع هؤلاء المريدن والزائرين ، الهدايا والنذور والأموال . وكان أخوه ، صاحب الدهاء والحيلة ، يذيع في الناس من كرامات

الشيخ ومعرفته أسرار النفوس ما يشاء . وامتلأ بيت الشيخ وأخيه بالأموال والخيرات . وزاد جسم الشيخ ، كما يقول الجبرتي ، ضخامة . من كثرة الأكل والفراغ والراحة ، حتى صار مثل « البو العظيم » ، وظل هذا حال الأخوين حتى مات الشيخ سنة ١٢٠٧ هـ

فأقام له أخوه ضريحاً ومقاماً ، وزاد في ذكر كراماته وفيوضاته ، وخصص له المقرئين والمنشدين والمداحين ، يشيدون بولايته وقطبانيته ، ويذكرون أوصافه في قصائدهم ، وهم « يتواجدون ويتصارخون ويمرغون وجوههم على شباكه وأعتابه ، ويغرفون بأيديهم من الهسواء المحيط به ، ويضعونه في جيوبهم وعبئهم » ، وهذا الشيخ البكرى هو

وطواف الباعة بالمأكولات على الناس فيه ، وسقاة الماء ، فيصير المسجد ، بما اجتمع فيه من هذه القاذورات ، والعفوش ، ملتجئاً بالأسواق الممتلئة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وكان يجتمع إلى هذه الموالد ، العامة ، والسوقة ، وأهل الحرف السافلة ، ومن لا يجد ما يأكله . يحملون القناديل ، والشموع والطبول ، والزمرور . وينطقون بكلام محرف يظنون أنه ذكر ، وتوسلات يثابون عليها . فإذا اعترضهم معترض ، أو تصدى لهم لائم ، رموه بالاعتزال والخروج والزندقة . ثم يمضون ليلتهم ساهرين فإذا أصبح الصبح ، عجز كل عن أداء عمله .

ويقول الجبرتي : إن هذا المولد ، استمر الاحتفال به عشر سنين ، وناذره ، السيد بدوى فتيح ، لم يزد إلا مرضاً ومقتاً . ثم بطلت إقامته عندما دخل الفرنسيون القاهرة . ولكنهم بعد ذلك ، أمروا بإقامته . (لأن ذلك يوافق هوى العامة ؛ لأن أكثرهم مطبوع على المجون والخلاعة ، وتلك هي طبيعة الفرنسيين) .

ومن الذين ترجم لهم الجبرتي من أصحاب الأضرحة والموالد ، الشيخ على البكرى ويعرفه سكان القاهرة ، كما يعرفون مولده ومسجده بالقرب من جامع الرويعي . وكان السيد على البكرى ، كما يصفه الجبرتي ، رجلاً أبله ، يمشي عرياناً في الطريق ، مكشوف

أمونة على درج دكان ، أو مرتفع من الأرض تسكلم بفاحش القول ، بالعربي ، والتركي . والناس يصغون ، يقبلون يدها ويتبركون بها ، ^(١) .

وهذه الجهالة والضلالة من الانحرافات التي تحتاج إلى تقويم وإلى شجاعة ، والتي يكثُر نقد الناقدين لها من رجال الفكر الديني ورجال الإصلاح الاجتماعي أيضا .

وكثيراً ما شكوا المخلصون للدين والعقيدة من هذه الآفة المخربة للخلق وللجمع ، المنافية للدين . وكثيراً ما ألقت اللجان وصدرت القرارات تحاول أن تخفف بعض الشر الذي يقع في الاجتماعات التي تقام في هذه الأضرحة وحولها ، وفي موالد الأولياء والمشايخ ، ولكن هذا الشر لا يحسم بتكوين اللجان وإصدار القرارات ، بل بتهديب النفوس وتنوير العقول والإبانة الواعية الشجاعة عن دين الله ، وهذه بعض مهمة الفكر الديني للعقيدة وللناس وللجمع .

ولا نريد أن نطيل الحديث في ذلك ، فهو أمر واضح يعرفه وينكره كل من اتصل بهذه الشؤون وهذه البيئات . ولكن من الخير أن نورد إحصائية رسمية تبين مدى الخطر ، ومدى الشناعة التي ما تزال حقيقة واقعة في حياتنا ومجتمعنا . وهذه فقرات من هذا التقرير .

الذي قال فيه البدرى الحجازي قصيدته التي يقول فيها : -

ليتنا لم نعش إلى أن رأينا
كل ذى جنة ، لدى الناس ، قطبا
ولم يكن الشيخ من أسرة البكرى . بل جاءته
هذه النسبة لأنه كان يسكن في سويقة البكرى .
الشيخة أمونة :

وعندما كان الشيخ على البكرى يمشى في الطرقات عرياناً ، قبل أن يحجبه أخوه ، تعلقت به امرأة تسمى الشيخة أمونة . وصارت تسير خلفه أينما سار ، وهي تلبس إزاراً . وأخذت هي الأخرى تخلط في ألفاظها عندما تدخل معه إلى بيوت الناس . واعتقد الناس أيضا في ولاية الشيخة أمونة ، وأسرعوا إلى مهاداتها بالمال والملابس ، وقالوا : إن الشيخ لحظها وجذبها فصارت من الأولياء ، وزاد ذلك من تطرفها ، فزعت ثياب النساء ولبست ملابس الرجال وصارت ظلا للشيخ ، لا تفارقه أبدا . وكلما سارا تبعهما الأطفال والعوام ، ومنهم من اقتدى بهما فنزع ثيابه وتحنجل ، في مشيته . وكل من فعل ذلك قال الناس إن بركة الشيخ مسّته فجذبتة . وزاد الحال . وفشا أمر الشيخ والشيخة حتى كان يسير خلفهما جمع كبير من أوباش الناس والصغار . وصاروا ، عندما يمرّون بالأسواق ، يخطفون ما يحلو لهم من شيء . ولهم في سيرهم ضجة عظيمة . فإذا جلس الشيخ في مكان ، اجتمع حوله خلق عظيم ، ووقفت

(١) ص ١٣٣ - ١٣٥ من كتابنا : [دراسات في تاريخ الجبرتي ، مصر في القرن الثامن عشر] الجزء ١ - الطبعة الثانية .

المطالب، وهناك الذين يشفون من الأمراض، وهناك من يرد الغائب، ومن يزيل العقم، ومن يرزق البنات بأولاد الحلال .

وصحيح أن عدداً من هذه الأضرحة لمشايخ صالحين مجتهدين في الدين .

ولكن الباقي لشيوخ وهميين لا يعرف أحد تاريخهم أو ماضيهم .

وتصوير الدين بصورة الرهبانية هو عمل مشايخ هذه الأضرحة .

إنهم يحاولون إقناع السذج بأن الإسلام هو التوجه إلى الآخرة على ما هو شائع في

ديانات الهند والصين . . ولا بد من محاربة هذه البدعة وإلا فإنها مع مضى الزمن سوف تشيع بين الناس روح الكسل باعتبار أن ما هو كائن إنما هو كائن بالفعل عمل الإنسان أم لم يعمل .

وهناك من بين هؤلاء المشايخ من يزين للناس حب الفقر والرضا برثاث الثياب، ثم أن هناك ما هو أخطر من هذا كله وهو انتشار الخرافات والخزعبلات والأساطير .

ثم يقول رئيس اللجنة التي وضعت هذا التقرير وجمعت هذه الإحصاءات ما يلي :

« إن التقارير والإحصائيات في لجنة التخطيط تؤكد أن انتشار مثل هذه الخرافات أدى إلى وجود كثير من الطاقات المعطلة في الميدان الاجتماعي . ولو استطعنا أن نستغل حب الناس للدين لتوجيههم وثقتهم ، لاستطعنا

« كل يوم يظهر فجأة شيخ جديد لا يعرف تاريخ حياته . . ويقام له ضريح . . ويجتمع حوله الأنباع والمريدون مثل جبريل والكلح والصديق والست أم زايد وركابي ودانش وشديكة وأبو روح والشيخ عواض بن إسحق الطهلبوشي وأبو اليزيد البسطامي الذي ادعى البعض أنه كان شقيقاً للنبي في الرضاعة . .

ثم يورد التقرير تعداداً للأضرحة التي تقام لأولياء خياليين أو مزعومين ، وعن الموالد التي تقام لهم ، واطراد الزيادة في هذا النوع اطرادا غير طبيعي فيقول :

« في عام ١٩٥١ كان عدد الأضرحة ١٩٢ وفي عام ١٩٥٩ أصبح عدد الأضرحة في بعض المناطق فقط ٥٦٨ ضريحاً بواقع ١١٠ أضرحة في المنوفية و ٦٩ في المنيا و ٥٥ في الإسكندرية و ٩٠ في بني سويف و ٤٤ في أسوان و ١١١ في البحيرة و ٨٩ في القاهرة . ومع زيادة عدد الأضرحة زادت عدد الموالد التي تقام في كل عام حتى وصل عددها إلى ٨٩٢ مولداً ، .

وقد أصدرت هذه البيانات لجنة رسمية في وزارة الشؤون الاجتماعية هي لجنة «التقاليد والعادات» ، ثم علقت عليها بما يلي :

« إن اعتقاد الناس في المشايخ لا يقف عند حد إيمانهم بأنهم شيوخ صالحون . . بل إن الاعتقاد يتأدى إلى حد اعتبارهم أصحاب سر إلهي وكرامات لا حدود لها ولا قيود ، فهناك من يقضى المطالب مهما كانت هذه

تؤيده وتمسكه في الأرض ، حتى يحل بأهله
البلاء ويكونوا من الهالكين .

وأعجب من هذا أنك ترى هؤلاء المعترفين
بهذه البدع والأهواء ينكرون على منكرها ،
ويسفهنون رأيها ، ويعدون عابثاً أو مجنوناً
إذا حاول مالا فائدة فيه عندهم . فهم يعرفون
المنكر ، وينكرون المعروف ، ويدعون -
مع ذلك - أنهم على شيء من العلم والدين .

وأعجب من هذا الإعجب أن منهم من يرى
إزالة هذه المنكرات والبدع . ومقاومة هذه
الآهواء والفتن : جناية على الدين ... !
ويحتج على هذا بأن العامة تحسبها من الدين ،
فاذا أنكرها العلماء عليهم نزول ثقتهم بالدين
كله ، لا بها خاصة . ! ! وبأنها لا تخلو من
خير يقارنها ، كالذكر الذي يكون في المواسم
والاحتفالات التي تسمى بالموالد ، وكلها بدع
ومنكرات حتى إن الذكر الذي يكون فيها
ليس من المعروف في الشرع [(١)] . وهذه هي
كلية الحق الذي يجب أن يقولها المخلصون .

وقد قرأت وعلبت أن الحكومة منعت
هذه المنكرات في مولد السيدة زينب . فعسى
أن تكون هذه بداية للقضاء عاها قضاء تاماً
في جميع الموالد والبلاد .

محمود الشرفاوي
سكرتير التحرير

أن نقضى على هذه الخرافات ونقضى معها
على الطاقات المعطلة ، (١) .

ونعتقد أن ما أوردناه من تقارير
وإحصاءات وتعليقات فيه كفاية لإدراك
ما لهذا الانحراف وهذه الجهالة من الخطر ،
وإدراك ما يجب أن يعمل به الفكر الديني لتقويم
هذا العوج ودفع هذا الشر المنكر الخطير
عن العقيدة وعن المجتمع .

بعض رجال الفكر الديني ، وبعض
المشتغلين بالشئون العامة والطرق الصوفية
يرون مجازاة العامة في هذه الأمور ، على وغم
إنكارهم لها .

وإلى هؤلاء أسوق هذه الكلمات ، التي
تصور موقفهم ، وتتكفل بتنفيذه :

[قال سبحانه : ولئن اتبعت أهواءهم من
بعد ما جاءك من العلم إنك لئن لمن الظالمين] (٢)
ونحن نقرأ هذا التشديد والوعيد ونسمعه
من القارئ ، ولا نزدجر عن اتباع أهواء
الناس ومجاراتهم على بدعهم وضلالتهم ،
حتى إنك ترى الذين يشكون من هذه البدع
والآهواء ، ويعترفون ببعدها عن الدين ،
يمارون أهلهم عليها ، ويمارونهم فيها .
وإذا قيل لهم في ذلك قالوا : ماذا نعمل ... ؟
ما في اليد حيلة ... ! العامة عمي ، آخر الزمان .
وأمثال هذه الكلمات هي جيوش الباطل ،

(١) التقرير والإحصاءات والتعليق - التي
وضعتها بين اقواس - نشرت في جريدة الأهرام
بتاريخ ٨ فبراير ١٩٦٠ - (٢) ١٤٥ البقرة .

(١) الشيخ رشيد رضا : مجلة المنار ، ص ١٢٧
من الجزء ٧ .

آراء العلماء في الربا

لعالم باحث

الربا الظني؟ وهل الربا الذي يجري عليه التعامل بين الناس اليوم هو الربا القطعي الذي كان العرب في الجاهلية يتعاملون به، بحيث يقع من يتعامل به تحت طائلة الوعيد الإلهي الفظيع للذين يأكلون الربا؟ أو هو غيره؟ وإذا كان هو: فماذا يصنع المسلمون الآن وقد قذفهم تيارات النظم الاقتصادية العصرية في الوقوع في بليته حتى أصبحوا لا يستطيعون أن ينقذوا أنفسهم منها؟ وما هو المخرج وبلادنا قد صارت بوضعها الاجتماعي كحلقة في سلسلة التعامل الاقتصادي العالمي لا يمكن لها أن تنفك منها، وقد دفعها الاضطراب إلى مجارة غيرها في نظمها؟ وما هو موقف الإسلام تلقاء هذا الاضطراب الذي وقع فيه أهله، وهو الذي يوافق مصالح الآخرين به في كل زمان ومكان؟ وهل وضع قواعد وأحكاما تخرجهم مما يقعون فيه من الحرج في مثل هذا الأمر؟ وهل تتغير الأحكام بتغير الزمان؟ وما الحكم فيما إذا تعارض النص والمصلحة؟ ثم هل روعي بعد ذلك كله نهضة بلادنا بعد الثورة: وحاجتها إلى

انبعث في هذه الأيام جدل طويل في بعض المجلات الإسلامية بمناسبة فتوى أصدرها صاحب الفضيلة شيخ الأزهر، أباح فيها للفرد المضطر أن يتعامل بالربا ليسد حاجته الضرورية — أما ما تحتاج إليه الدولة من قروض المستعدين بها على صلاح شئونها، فيرجع الأمر في تقدير الحاجة إلى أهل الرأي، وما يرونه من المصلحة.

وكان شيخ الأزهر قد أتى بهذه الفتوى — أمرا إذا يفترى به على الإسلام، أو أنه قد أحل للناس الحرام.

وقد بدا في جدل هؤلاء الذين اعترضوا على فتوى الشيخ أنهم قد أرسلوا كلامهم بغير تحقيق على. ولا إدراك للمصلحة: عامة كانت أو خاصة، على حين أن الأمر في نفسه خطير يحتاج إلى طول البحث، والأناة في الدرس، على أن يتولى ذلك علماء محققون يعرفون ماذا يقولون، ويدركون عاقبة ما يقررون. ذلك بأن الذي يتصدى لهذا الأمر يجب عليه قبل كل شيء: أن يبين للناس ما هو الربا القطعي الذي جاء القرآن بتحريمه، وما هو

لأنهم إذا كفروها بما تصف ألسنتهم بأن هذا حلال وهذا حرام فإن تكفيرهم إياها ، يمتد ولا ريب إلى حكومتنا ؛ لأنها تعقد القروض الضخمة كل يوم لإصلاح مرافقها - وإنشاء مصانعها ، وشراء القمح وغيره لغذاء أهلها وكل هذه القروض - كما هو معلوم - تأخذها بالفائدة (أى بالربا) فهي واقعة إذن لا محالة على قوهم فيمن تقع عليهم لعنة الله - والعياذ بالله .

وإنما نأتى هنا بنظرة في الخطبة التي ألقاها الأستاذ العالم الشيخ عبدالعزيز جاويش في المؤتمر الذي عقد في سنة ١٣٢٦ هـ بقاعة مدرسة عبد العزيز^(١) لأن السياق يقتضيها : ذلك أنه بعد أن ذكر ما قرره كبار العلماء من أن الربا القطعي المحرم لذاته هو (ربا النسيفة) قال :

إن أماننا أمرين : الأول : أن نتابع جماعة المسلمين في تحريم الربا القليل احتياطاً أو تحرز^(٢) كما حرمنا الكثير المضاعف

(١) ألفت هذه الخطبة في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٢٦ هـ .

(٢) ذكر الشيخ جاويش في هذه الخطبة أن الربا القدي ليس فيه مضاعفة - كأن يحصل القرض بفائدة قليلة ، لم يؤخذ تحريمه من الكتاب الكريم ، وإنما أخذ من القاعدة الأصولية القاضية بإعطاء الدليل حكم الكثير - سداً للدوائر وإغلاقاً للباب ص ١٢ من كتاب ميزان الذهب .

القروض لإصلاح شأنها ، وأن هذه القروض لا يمكن الحصول عليها إلا بالفائدة أى بالربا ؟ . كل ذلك لم يعرض له الذين اعترضوا على فتوى شيخ الأزهر وإنما وقفوا جميعاً عند نقطة واحدة وهي قولهم كما يقول العوام : إن الربا كله حرام ! وأن ما أفتى به شيخ الأزهر يخالف أحكام الإسلام .

ولو أنهم درسوا هذا الأمر على نور ما ترمى إليه أغراض الدين ونظروا فيه إلى ما تقتضيه في هذا العصر مصالح المسلمين ، لانتهوا إلى إقرار شيخ الأزهر على ما أفتى به .

إن أمر الربا قد درسته بعض الحكومات الإسلامية في هذا العصر الدراسة الواجبة الصحيحة وقدرت الضرورة قدرها لكي تخرج أممها من العسر الذي وقعوا فيه ، فأباحوا لها التعامل بالربا ، وكذلك فعلت حكومتنا عندما رأت أن الضرورة تقضى عليها بالاقتراض بالربا .

على أننا بعد ذلك كله نسائل الذين يقفون اليوم في وجه فتوى شيخ الأزهر ، ومن على شاكلتهم عن رأيهم في أمر هذه الحكومات التي قررت التعامل بالربا بعد أن رأت الضرورة ماسة إليه والحاجة الملحة تدعو إليه .

هل يقفون في وجه هذه الأمم حتى ترجع عن أن تتعامل بالربا ؟ وهل يكفرونها إذا لم ترجع إلى رأيهم ؟

الإسلامية مسألة مدنية وقع فيها الخلاف والاضطراب منذ العصر الأول ، وما زالت تزداد إشكالا وتعقداً بكثرة بحث العلماء ، إلا مسألة الربا - أما ما جاء في النصوص القرآنية فيها فبين كالشمس لا مجال للشبهات فيه ، وأما السنة العملية القطعية فيها فهي تنفيذ لحكم الكتاب الإلهي ، وأما الأحاديث النبوية القولية فهي قسبان : —

الأول : نص صحيح الرواية قطعي الدلالة في حصر الربا فيما حرمه الله منه في كتابه وهو (ربا النسئمة) الذي لم تكن العرب تفهم منه غيره ؛ لأنه هو المعروف عندهم دون غيره وهو حديث أسامة المرفوع المتفق عليه « لا ربا إلا في النسئمة » ، هذا لفظ البخاري ولفظ مسلم (إنما الربا في النسئمة) .

الثاني : نهى النبي عن البيوع التي قد تؤدي إليه لسد الذريعة دون ارتكابه كنهيه صلى الله عليه وسلم عن خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية سداً لذريعة الزنا المحرم بنص كتاب الله تعالى وهو حديث عبادة (١) وغيره وهو الذي سموه ربا الفضل .

بعبارة القرآن الكريم ، والمخرج إذن من هذه الشدة التي كادت تزهق النفوس أن نلجأ إلى المقارنة الشرعية ...

الثاني : أن تقتصر على تحريم ما حرم الله في كتابه — وهور بالنسئمة المضاعف الذي نزل في القرآن ، وليس في العرب إذ ذاك ربا سواه . وهنا نخالف الجمهور بحكم العقل أو بحكم الضرورة ، فنتجاوز عما قل من الفائدة التي لا تماثل الدين قدراً ولا تؤدي إلى غبن المدين غبنا فاحشاً . كما فعلت الحكومتان الإسلاميتان العثمانية والفارسية . وأن القول بتكفير مستحل هذا النوع القليل ينبنى عليه تكفير خلفاء المسلمين وفقهائهم وعلماهم ؛ فإن قضاة الترك الشرعيين في البلاد العثمانية يقومون بتنفيذ الأحكام في البلاد التي تحت رياستهم ! فليتأمل المسلمون فيما عسى أن تكون عاقبتهم ، وليتدبروا ، فإن الخطر وراهم محيط (١) .

وهذه كلمة صغيرة استخرت الله في كتابتها خدمة لديني ولبلدي وللمسلمين عامة أرجو أن تتفضل مجلة الأزهر بنشرها لعلها تجد أذانا صاغية وقلوبا واعية .

قال ابن كثير في تفسيره : باب الربا من أشكال الأبواب على كثير من أهل العلم . وقال أحد العلماء الكبار : ليس في الشريعة

(١) حديث عبادة بن الصامت رواه الشيخان

ونصه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والمالح بالمالح ، ولا يمتثل ، سواء بسواء ، يدا بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد » ، ورواه مسلم

(١) ص ١٤ و ١٥ من نفس المصدر .

روى ابن جرير الطبري عن مجاهد (١) أنه قال في الربا الذي نهى الله عنه (٢) . كانوا في الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدين فيقول : لك كذا وكذا وتؤخر عني فيؤخر عنه .

وقال ابن جرير : وإنما قيل للربى مربى لتضعيفه المال الذي كان على غريمه حالا ، أو الزيادة عليه فيه لسبب الأجل الذي يؤخره إليه فيزيده إلى أجله الذي كان له قبل حل دينه عليه ، ولذلك قال جل ثناؤه : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » . وبمثل الذي قلنا ، قال أهل التأويل . وقال أيضاً عند الكلام على قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » ، واتقوا الله لعلكم تفلحون ، (ص ٥٥ ج ٤) .

عن مجاهد في قول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » قال : (ربا الجاهلية) حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : سمعت ابن زيد يقول في قوله : « لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة »

(١) قال قتادة وخصيف : أعلمهم بالتفسير مجاهد وقال ابن جريج لأن أكون أسمع من مجاهد أحب إلى من أهلي ومالي ، قال مجاهد : ربما أخذ لي ابن عمر بالركاب - أي بركابه . (٢) في تفسير قوله تعالى : « الذين يأكلون الربا » إلخ .

هذا هو الربا بنوعيه كما بينه بعض العلماء . ولكن الذين أولعوا بتكثير الأحكام في الحلال والحرام ، وضعوا لأنفسهم قواعد للاستنباط ومناطات التشريع أدجوا بمقتضاها الربا المحرم القطعي بالنص الإلهي - المتوعد عليه فيه بالوعيد الشديد لما فيه من الضرر الفظيع والظلم العظيم - في البيع المنهي عنه لسد الذريعة ، ومنهم من سوى بينهما - ولم يكتفوا بذلك بل وضعوا بآرائهم أحكاماً جديدة في الربا ليس فيها نص من الشارع ، قطعي ولا ظني ، ولا تتفق مع أصول الدين ولا حكم التشريع - وبذلك كثروا مسائل الربا وخرجوا بها عن محيط المعقول والمنقول معا ، فجعلوها من التعبديات التي لا تثبت إلا بنص صريح قطعي من الشارع . هـ .

ربا الجاهلية المحرم بالقرآن :

ولا بد لنا هنا من أن نبين ما هو الربا الذي كان معروفاً عند عرب الجاهلية وجاءت الآيات القرآنية بتحريمه تحريماً قاطعاً . إن اللام في الربا هي للعهد وأشير بها إلى ما هو المتعارف عند نزول القرآن بينهم أي ربا الجاهلية .

== عن أبي سعيد الخدري ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، وللملح بالملح ، مثلاً يدا بيد ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى ، الآخذ والمعطى فيه سواء .

ذلك ورد عليهم قولهم بقوله الحق: «وأحل الله البيع وحرم الربا» .
وروى مالك عن زيد بن أسلم في تفسير آية آل عمران قال :

كان الربا في الجاهلية أن يكون للرجل على الرجل حق إلى أجل فإذا حل قال : أتقضى أم ترى ؟ فإن قضاؤه أخذه ، وإلا زاده في حقه وزاد الآخر في الأجل .

قول ابن القيم في الربا :

ثم قال المفسر المحدث الفقيه الأصولي ابن قيم الجوزية في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين ما نصه :

الربا نوعان : جلي وخفي ، (فالجلي) حرم لما فيه من الضرر العظيم ، (والخفي) حرم لأنه ذريعة إلى الجلي . فتحریم الأول قصداً ، وتحریم الثاني وسيلة .

فأما الجلي فربا النسبة ، وهو الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية ، مثل أن يؤخر دينه ويزيده في المال ، وكلما أخره زاد في المال حتى تصير المائة عنده آلافاً مؤلفة وفي الغالب لا يفعل ذلك إلا معدم محتاج - وبذلك - يشتد ضرره وتعظم مصيبته . . إلخ .

وأما ربا الفضل ، فتحریمه من باب سد الذرائع لما يخافه عليهم من ربا النسبة وذلك أنهم إذا باعوا درهما بدرهمين ، ولا يفعل

كان أبي يقول : إنما كان الربا في الجاهلية ، في التضعيف وفي السن : أن يكون للرجل فضل دين فيأتيه إذا حل الأجل فيقول له : تقضيني أو تزيدني ، فإن كان عنده شيء يقضيه قضي ، وإلا حوله إلى السن التي فوق ذلك ، فإن كانت ابنة مخاض (١) يجعلها ابنة لبون (٢) في السنة الثانية ثم حقة (٣) ثم جذعة ثم هكذا وفي المعنى (الذهب والفضة) يأتيه فإن لم يكن عنده أضعفه في العام القابل ، فإن لم يكن عنده أضعفه أيضاً ، فتكون مائة فيجعلها إلى قابل مائتين ، فإن لم يكن عنده جعله أربع مائة يضعفها له كل سنة أو يقضيه قال : فهذا قوله : « لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » .

وقال القرطبي في مسائل آيات البقرة من تفسيره المشهور (جامع أحكام القرآن) الرابعة عشرة) قال تعالى : « إنما البيع مثل الربا » أي أن الزيادة عند حلول الأجل آخر اكتمل حل الثمن في أول العقد - وذلك أن العرب كانت لا تعرف ربا إلا ذلك ، فكانت إذا حل دينها قال للغريم . إما أن تقضي وإما أن تربي ، أي تزيد في الدين ، فحرم الله سبحانه

(١) ابنة المخاض ابنة المحول ودخلت في الثانية .

(٢) البون ولد الناقة إذا استكمل الثانية ودخل في الثالثة .

(٣) الحق ما كان من الإبل ابن ثلاث سنين ودخل في الرابعة والانتى حقة .

بما لم يتوعد بمثله على ذنب آخر — أنه ربا النسئمة الذي كان معروفا في الجاهلية كما قال من ذكرنا عباراتهم : من أعلام العلماء لا مجرد التعبد بالآراء والأقوال ممن لا تعد آراؤهم وأقوالهم حجة بإجماعهم وإجماع الأمة كلها .

الربا الذي ليس فيه مضاعفة

علت مما تقدم أن الربا الذي كان معروفا في الجاهلية إنما هو ربا النسئمة المضاعف وأما الربا الذي ليس فيه مضاعفة — كأن يحصل القرض بفائدة قليلة لم يؤخذ تحريمه من الكتاب الكريم وإنما أخذ من القاعدة الأصولية القاضية بإعطاء القليل حكم الكثير سدا للذرائع وإغلاقا للباب بالمرة .

ومعلوم أن قاعدة إعطاء القليل حكم الكثير سدا للباب ليست القاعدة الإجماعية أى لم يجمعوا عليها .

كلمة حاسمة في هذا الأمر الخطير :

عند ما اشتدت الحركة الوطنية سنة ١٩٠٧ ضاق صدر الإنجليز بها ، وأرادوا أن ينتقموا من أهالى مصر بسببها فأوعزوا إلى عميدهم اللورد كرومر إلى جميع البنوك في مصر بأن يسحبوا أموالهم ولا يتعاملوا مع المصريين فحدثت أزمة مالية شديدة خنقت البلاد خنقا ففكر بعض العلماء الناهين أن يعالجوا هذا

هذا إلا للتفاوت الذى بين النوعين ، إما في الجودة وإما في السكة وإما في الثقل والخفة وغير ذلك ، تدرجوا بالربح المعجل فيها إلى الربح المؤخر وهو عين ربا النسئمة . وهذه ذريعة قريبة جدا ، فمن حكمة الشارع أن سد عليهم هذه الذريعة ومنعهم من بيع درهم بدرهمين نقدا ونسئمة ، فهذه حكمة معقولة وهى تسد عليهم باب المفسدة .

وقال الفخر الرازى ص ٥٨ - ج ١ عن ابن عباس : إنه كان لا يحرم إلا ربا النسئمة ، وكان يجوز ربا النقد (كأن يباع إردب قح بإردبين) ، وحجة ابن عباس أن قوله : « وأحل الله البيع » يتناول الدرهم بالدرهمين نقدا ، وقوله « وحرم الربا » لا يتناوله ؛ لأن الربا عبارة عن الزيادة وليست كل زيادة محرمة بل قوله تعالى : « وحرم الربا » إنما يتناول النقد المخصوص الذى كان مسمى فيما بينهم بأنه ربا .

يعلم من ذلك كله أن الربا الذى كان يتعامل به العرب في جاهليتهم ليس بينه وبين دين الربا الذى يتعامل به الناس اليوم أى سبب فلا هو مثله ولا هو يشبهه .

النتيجة : فما هو الربا القطعى الذى حرره الله :

ظهر لك بما بيناه قبلا أن الحق في الربا الذى نهى الله تعالى عنه في كتابه ، وتوعد فاعله

و موافق لمصالحهم ما تمسكوا به ، ولكن من الناس من يظن أن إباحة الربا ركن من أركان المدنية لا تقوم بدونه ، فالأمة التي لا تتعامل بالربا لا ترتقي مدنيته ولا يحفظ كيانه ! وهذا باطل في نفسه ، إذ لو فرضنا ، أن تركت جميع الأمم أكل الربا فصار الواجدون فيها يقرضون المعدمين قرضا حسنا ، ويتصدقون على البائسين والمعوزين ويكتفون بالسكسب من موارده الطبيعية كالزراعة والصناعة والتجارة والشركات ومنها المضاربة - لما زادت مدنيتهم إلا ارتقاء ببنائها على أساس الفضيلة والرحمة والتعاون . . . وقد قامت للعرب مدنية إسلامية لم يكن الربا من أركانها فكانت خير مدنية في زمنها - فما شرعه الإسلام في منع الربا هو عبارة عن الجمع بين المدنية والفضيلة - وهو أفضل هداية للبشر في حياتهم الدنيا .

الوجه الثاني : النظر فيها من الجهة العملية بحسب حال المسلمين الآن في مثل هذه البلاد ، فإننا نرى كثيرين يوافقوننا على أنه لو وجد للإسلام دول قوية وأمم عزيزة تقيم الشرع وتهتدى بهدى القرآن - لأمكنها الاستغناء عن الربا ، ولما كانت مدنيته بذلك أفضل ! فلا اعتراض على الإسلام في تحريم الربا ؛ لأن شرعه لا يمكن أن يبيح الربا وهو دين غرضه تهذيب النفوس ، وصلاح حال المجتمع ، لا توفير ثروة بعض الأفراد من أهل الأثرة .

الأمر الخطير ففقدوا مؤتمرا بقاعة مدرسة عبد العزيز وألقوا فيه خطبا رائعة بحثوا فيها مشكلة الربا التي تأخر المسلمون في اقتصادهم بسببها لعلمهم يخرجون بحل لهذه المشكلة يبيح إنشاء بنوك تفرج ما وقع الناس فيه من ضيق . وكان من كبار من خطبوا في هذا المؤتمر الشيخ عبد العزيز جاويز وحفي ناصف - والسيد رشيد رضا - رحمهم الله جميعا ، وكانت خطبة هذا السيد في يوم ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٢٦ بهذه القاعة - وقد قال حفي ناصف عن هذه الخطبة :

إنها أحسن ما سمعته في هذا المقام وإنها على إيجازها يصح أن تكون فصل الخطاب (١)

خطبة العلامة الكبير السيد محمد رشيد رضا: (٢)

إن الله تعالى قد حرم ربا النسئة الذي كانت عليه الجاهلية تحريما صريحا ، ونهى عنه نهيا مؤكدا ، وورد في الأحاديث الصحيحة تحريم ربا الفضل والنهي عنه .

فالبحت في هذه المسألة من وجهين :

الوجه الأول : النظر فيها من الجهة النظرية المعقولة فنقول :

إن كل ما جاء به الإسلام من الأحكام الثابتة المحكمة فهو خير وصلاح للبشر ،

(١) ص ١٢٦ من كتاب ميزان الذهب .

(٢) ألفت هذه الخطبة النفيسة من ستين عاما

وكأنها ألفت اليوم .

أكثر أهل هذا القطر ، والإمام أبو حنيفة الذى يتحاكون على مذهبه كافة^(١) ومثلهم فى ذلك أهل المملكة العثمانية التى أنشئت فيها مصارف (بنوك) الزراعة بأمر السلطان^(٢) - وهى تقرض بالربا المعتدل مع إجراء حيلة المبايعة التى يسمونها المبايعة الشرعية .

(١) كان المصريون حينئذ يتحاكون فى الأمور الشرعية على مذهب أبى جعفر .

(٢) كان مسلمو البوسنة والهرسك قد أرسلوا إلى المشيخة الإسلامية بالدولة العثمانية ، يسألونها رأيها فى إنشاء مصرف إسلامى يلازم سد الحاجيات البلاد واحتفاظا بمصالحهم الاقتصادية - وبسبب هذا السؤال أن إنشاء المصارف من المسائل المختلف عليها فى الشريعة الإسلامية فأحيل هذا السؤال على باب الفتوى الجليلة ، فصدرت من لها ٢٨ شوال سنة ١٣٢٨ هـ الجواب المهم الآتى : « إن السؤال للمقدم من فخر الدين دفير فى تاريخ ١٠ شوال سنة ١٣٢٨ هـ القمطن ببيان المحسنات والفوائد الكثيرة العائدة من إنشاء المصارف بالممالك الإسلامية ، وللتفتى عن جواز أو عدم جواز إنشائها الذى سبق أن أحاله فضيلة شيخ الإسلام على دار الفتوى ، قد قرئ - وبعد الاطلاع على النصوص الشرعية حررنا الجواب الآتى :

إن مشايخ الإسلام السابقين قرروا أنه ما دامت الأموال المودعة بهذا المصرف ، والتى تستقرض أو ترد ، والمبالغ التى تؤخذ أو تترك بأى صورة ، ما دامت تعود بربح قليل وتسير حسب إحصاى الطرق التى نص عنها فقهاؤنا الكرام ، فهى والحالة هذه محللة من ٢٥ ، ٢٦ ج ٣ مجلة الهداية .

وفى قاموس القوانين من ٤٦٣ طبعة محمود بك أن الدولة العثمانية أباحت للقضاة أن يحكموا بالفائدة بشرط أن لا تبلغ مثل الدين الأصلى .

ما هو الحل لحياتنا الحاضرة :

ولكنهم يقولون : إننا نعيش فى زمن ليس به أمم إسلامية ذات دول قوية تقيم الإسلام ، وتستغنى عمن يخالفها فى أحكامها ، ولأنما قام العالم فى أيدي أمم مادية قد قبضت على أزمة الثروة فى العالم حتى صارت سائر الأمم والشعوب عبيلا عليها ، فمن جاراها منهم فى طرق كسبها - والربا من أركانها - فهو الذى يمكن أن يحفظ وجوده معها ومن لم يجارها فى ذلك انتهى أمره بأن يكون مستعبدا لها ، فهل يبيع الإسلام ، لشعب مسلم هذه حاله مع الأوروبيين كالشعب المصرى أن يتعامل بالربا ليحفظ ثروته وينميها فيكون أهلا للاستقلال ؟ أم يحرم عليه ذلك والحالة حالة ضرورة - ويجب عليه أن يرضى بما - تنزاف الأجني ثروته ، وهى مادة حياته ؟.

هذا ما يقوله كثير من مسلمي مصر الآن : والجواب عنه - بعد تقرير قاعدة : أن الإسلام يوافق مصالح الآخذين به فى كل زمان ومكان - من وجهين ، يوجه كل واحد منهما إلى فريق من المسلمين :

أما الأول : فيوجه إلى فريق المقلدين - وهم أكثر المسلمين فى هذا العصر ، فيقال لهم : إن فى مذاهبكم التى تقلدونها مخرجا من هذه الضرورة التى تدعونها - وذلك بالحيلة التى أجازها الإمام الشافعى - الذى ينتمى إلى مذهبه

كيف تحمل ضرورة الأمة لاتعامل بالربا :

الربا وإيكاله غيره - فلا كلام لنا في الأفراد - وإنما المشكل تحديد ضرورة الأمة أو حاجتها - فهو الذي فيه التنازع ، وعندى أنه ليس لفرد من الأفراد أن يستقل بذلك - وإنما يرد مثل هذا الأمر إلى أولى الأمر من الأمة أى أصحاب رأى والشأن فيها ، والعلم بمصالحها عملاً بقوله تعالى في مثله من الأمور العامة (٤ : ٨٣) : « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعليه الذين يستنبطونه منهم » .

والرأى عندى أن يجتمع أولو الأمر من مسلى هذه البلاد - وهم كبار العلماء والمدرسين والقضاة ورجال الشورى ، والمهندسون والأطباء ، وكبار المزارعين والتجار ، ويتشاورا بينهم في المسألة ثم يكون العمل بما يقررون أنه قد مست إليه الضرورة ، أو ألجأت إليه حاجة الأمة هـ .

خاتمة :

بذلك نختم هذه الكلمة بنتائج ما بيناه فيها مع ذكر آيات وأحاديث وقواعد أصولية استنبطها فحول العلماء من الشريعة الإسلامية لاتصالها بما بيناه من قبل ولكى يتففع القراء بها :

قال الله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

وأما الثانى : فيوجه إلى أهل البصيرة في الدين ، الذين يتبعون الدليل ، ويتحرون مقاصد الشرع فلا يبحثون لأنفسهم الخروج عنها بحيلة ولا تأويل ، فيقال لهم :

إن الإسلام كله مبنى على قاعدة اليسر ، ورفع الحج والعسر ، الثابتة بنص قوله تعالى : « ٢ : ١٨٥ » يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، وقوله « ٥ : ٦ » ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ، . وأن المحرمات في الإسلام قسمان :

الأول ما هو محرم لذاته لما فيه من الضرر وهو لا يباح إلا لضرورته - ومنه ربا النسيتة ، المتفق على تحريمه ، وهو عما تظهر الضرورة إلى أكله ، أى إلى أن يقرض الإنسان غيره . فياً كل ماله : ضعافاً مضاعفة كما تظهر في أكل الميتة وشرب الخمر أحياناً . والثانى ما هو محرم لغيره : - كربا الفضل المحرم لئلا يكون ذريعة وسبباً لربا النسيتة وهو يباح للضرورة - بل وللحاجة كما قاله الإمام ابن القيم وأورد له الأمثلة من الشرع . فقسم الربا إلى جلى وخفى وعسده من الخفى .

ما يجب على الأفراد :

فأما الأفراد من أهل البصيرة فيعرف كل من نفسه هل هو مضطر أو محتاج إلى كل هذا .

باب المصلحة أوسع من باب الضرورة .
 ٣٢ - (الحاجة تنزل منزلة الضرورة)
 عامة أو خاصة ، ومن هذا القبيل تجوز البيع
 بالوفاء لما كثرت الديون على أهل بخارى
 مست الحاجة إلى ذلك فصار مرعياً .
 ٣٩ - (لا ينكر تغير الأحكام بتغير
 الأزمان .

قواعد أصولية من غير المجهول :

١ - أساس الشريعة الإسلامية د دره
 المفاسد وجلب المصالح .

٢ - العلة في تحريم كل حرام هي المضرة
 في (الدين أو النفس أو العقل أو العرض أو
 المال) فما لا ضرر فيه لا يحرم .

٣ - أساس المعاملات في الشريعة : أن
 كل محرم ضار وكل نافع حلال .

المحرم لذاته - وهو ما كان ضاراً بذاته -
 إذا كان مما يضطر إليه ، كأكل الميتة ولحم
 الخنزير وشرب الخمر ، ومنه ربا النسيئة ،
 يباح للضرورة .

٤ - والمحرم لسد الذريعة كروية الطبيب
 لعورات الرجال والنساء لأجل التداوى
 أو رؤية المرأة الأجنبية يباح للمصلحة الراجحة
 ولا يشترط فيه الضرورة .

٥ - جرى الأستاذ الإمام (محمد عبده)
 في مناظراته القولية والكتابية :

وقال الله تعالى : د ما يريد الله ليجعل عليكم
 في الدين من حرج ، .

وقال الله تعالى : د فمن اضطر غير باغ
 ولا عاد فلا إثم عليه ، .

وقال الله تعالى : د قد فصل لكم ما حرم
 عليكم إلا ما اضطررتم إليه ، .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا ضرر
 ولا ضرار) رواه مالك في الموطأ ومرسله وأحمد
 وابن ماجه ،

وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم :
 قواعد (١) .

المادة ١٧ - المشقة تجلب التيسير ، يعني
 أن الصعوبة تصير سبباً للتسهيل ويلزم التوسيع
 في وقت المضايقة : يتفرع على هذا الأصل
 كثير من الأحكام الفقهية كالقرض والحوالة
 والحجز وغير ذلك ، وما جوزه الفقهاء من
 الرخص والتحقيقات في الأحكام الشرعية
 مستنبط من هذه القاعدة ١٠ هـ

١٨ - (الأمر إذا ضاق اتسع) ، يعني
 أنه إذا ظهرت مشقة في أمر يرخص فيه
 ويوسع .

٢١ - (الضرورات تبيح المحظورات)
 (الضرورات تقدر بقدرها) (٢)

(١) من المجلة التي تحتوى على القوانين الشرعية
 بالدولة العلية الصادرة في غرة المحرم سنة ١٢٨٦ هـ .
 (٢) تقرير الضرورة لفرد يرجع إلى نفسه وإيمانه
 وتقديرها للجماعة يرجع إلى أهل الرأي فيها .

يتعامل به الناس اليوم بغير شك وهو محرم لذاته ويباح للضرورة .

وربا ظني وسموه ربا الفضل - وهو محرم لسد الذريعة - ويباح للمصلحة الراجحة وبيننا كذلك : كيف السبيل إلى خروج المسلمين الآن من حرج التعامل بالربا الذي أصبح من النظام الاقتصادي العالمي واضطر المسلمون إلى اتباع هذا النظام ؛ لأنه صار ضرورة من ضروريات الحياة وإذا لم يتبعوه أصبحوا أذلة ضعفاء بين الأمم وأتينا بالقواعد الأصولية التي وضعها الإسلام لحل مشكلة الربا بعد أن أصبحت بلوى عامة حتى يتحقق القول : بأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان وأنه لا يقف في سبيل أى نظام ما دام نافعا للناس وليس فيه ضرر .

وأنه بما أوردناه في كل ذلك يكون ما أفتى به شيخ الأزهر هو ما يجب العمل به في هذا العصر ، وأنه لم يخرج في فتواه عن قواعد الإسلام وما يريده الله من اليسر على عباده ، وأنه ما يريد أن يجعل عليهم في الدين من حرج ، وأنه لم يكن بدعا فيما أذاعه على الناس ، بل هو مؤيد في ذلك بما قرره كبار العلماء في هذا الأمر منذ عشرات السنين ، هداانا إلى الصراط المستقيم . ووقفنا إلى ما في الخير والصالح إنه سميع مجيب .

على أن الإسلام قد جاء بإصلاح يوافق مصلحة البشر في كل زمان . وهذا التوفيق ينبئ على ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه التي مضت بالدوران مع المصلحة في كل حال بحسبها لا على ما جاء في كتب الفقهاء .

٦ - قاعدة للإمام مالك : وجوب الاستمسك بظواهر النصوص في العبادات ، ومراعاة المصلحة العامة ومقاصد الشرع في أحكام المعاملات .

مبحث غير صحيح :

قبل أن نفرغ من إيراد ما اخترناه من الآيات القرآنية والقواعد الأصولية نقول : إن رجال الدين جميعاً يجرى على ألسنتهم عند ما يتكلمون في الربا ، حديث يعتبرونه صحيحاً وهو غير صحيح ذلك الحديث هو : (كل قرض جر نفعا فهو ربا) .

* * *

هذه بحالة بيننا فيها الربا في الإسلام كما حققه نحول العلماء ، وأنهم قد خرجوا في تحقيقاتهم إلى أنه ينقسم قسمين : قطعى وظنى وأن القطعى هو (ربا النسئة ، وهو الذى كان يتعامل به العرب فى جاهليتهم وحرمة الله تحرما قاطعا - وهذا الربا غير الربا الذى

الآثار الأدبية في إنتاج الفلاسفة

للدكتور محمد غلاب

في منتجاتهم حتى تتجلى أمامه أعماق النظريات الفكرية، يتذوق من عباراتها شذا الشعر الفاتن أو يعقب من أساليبها غير النثر الساهر، فن هؤلاء مثلاً پارمينيدس؛ إذ أن منتجاته العقلية تنحصر في قصيدته الفلسفية الكبرى التي عنوانها «عن الطبيعة»، والتي أخضع فيها النظريات العويصة الشديدة التعقد للألفاظ السلسة السهلة، وصاغها في قصيدة بديعة التنظيم رشيقة التنسيق، جذابة الأسلوب، محتوية على كثير من التشبيهات الخيالية والاستعارات والمجازات، ولكن هيئة احتفظت للحقيقة الفلسفية بجوهرها الكامل. ولا ريب أن في هذا برهاناً ناصعاً على أنه لم يكن في مذهبه الفلسفي متعوجاً ولا متلجلجاً، وإنما كان متمكناً من آرائه، قابضاً على زمام أفكاره. تتألف هذه القصيدة من مقدمة ومقالتين: ففي المقدمة يتحدثنا الشاعر الفيلسوف في أسطورة شيقة عن صعوده في مركبته إلى السماء والتقاءه بآبنة الشمس أو إلهة الحقيقة وإرشادها إياه إلى ما ينبغي من الوصول إلى اليقين وفي المقالة الأولى يعرض فكرة الوجود ويبسطها ويحللها ثم يستنتج منها المحامد

احتفظ مؤرخو الحركات الأدبية العالمية بمكان فسيح من مؤلفاتهم لعدد من الفلاسفة في عصور مختلفة مهما تكن النظريات التي عالجوها دقيقة عميقة. ومنشأ ذلك إما أن أولئك الفلاسفة قد صاغوا نظرياتهم في صور أدبية خالصة كالفصائد والمحاورات والروايات والمسرحيات والأساطير، وإما أن أساليبهم بسحرها وفنتها ووضوحها - قد تألأت في سماء الأدب فاحتلت فيها منزلة رفيعة جدية بالاعتبار.

نعم، إن هناك فريقاً من الفلاسفة - كالمدرسين في العصور الوسيطة، وأرسينوازا وكانت، وهيجل، ومن إلهم - كانت منتجاتهم مفرطة في التجريدية والجفاف، معرأة من الرشاقة الأدبية. وهؤلاء يؤلفون جماعة منعزلة، ولكن تاريخ الفلسفة الطويل الحافل يفيض في كل العصور بالفلاسفة المغرمين بالفن الأدبي، المفتونين بالأساليب الأنيقة، والتعبيرات الرشيقة. فالفلسفة الإغريقية في العصور الأولى تقدم إلينا فلاسفة من أفذاذ الشعراء كأمبيدوكليس، وپارمينيدس وإكسينوفانيس الذين لا يكاد الباحث ينظر

إلى الطريق المساجد ، طريق الآلهة ، ذلك الطريق الذى يقتاد العلماء من الفانين إلى أعمق جميع الأسرار ... وكانت فتيات ترشدنا فى سيرنا ، وهن بنات الشمس اللواتى غادرن دار الليل إلى دار النور ، واللواتى زحزن الحبيب بأهدهن من فوق أفواههن ، وكان الصفير يسمع من محاور العجلات التى تسلك تلتهب فى مراكزها ؛ لأن الحركة الدائرية كانت تضغطها من الجانبين كلها ضاعفت الجياد سرعتها ، وكانت العناية التى يتجه إليها سيرنا هى المكان الذى يوجد فيه بابا طريق الليل والنهار ... ولما كانت العدالة الحازمة هى التى بيدها مفاتيح هذين البابين ، فلم يكن من أولئك العذارى إلا أن اتجهن إليها بعبارات عذبة وأقنعنها فى مهارة بأن تزحزح رتاج الباب ففعلت وانفتحت العضاضتان على مصاريعهما بعد أن دارت الرزات فى أثقابها ، وعلى الفور دفعت العذارى المركبة والجياد فى سهولة من هذا الباب ، فاستقبلتنى الإلهة استقبالا حسنا ، وتناولت يدى اليمنى ووجهت إلى هذه العبارات : أيها الشاب أنت الذى ترشدك قائدات من الآلهة ، استمع فليس مصيرا مشؤما ذلك الذى جاء بك إلى هذا الطريق المجهول من الأناسى ، وإنما هو العدالة والقانون . وينبغى أن تحيط بكل شيء فتعرف الفكرة المضبوطة عن الحقيقة البعيدة

التي يجب أن يمتاز بها . ولا ريب أن طبيعة البحث المثبتة فى هذه المقالة أميل إلى النظر العقلى ، وأكثر صعودا نحو التجرد . ولهذا كان ما ورد فيها من طرائق الجدل ، وعناصر الفكر ، ومبادئ المنطق جديدا مبتكرا إلى حد حمل الباحثين على القول بأن المؤسس الأول للجدل العقلى هو پارمينيديس . وقد بقيت من هذه المقالة شذرات كثيرة استطاع النقاد بفضلها أن يكونوا عن آراء هذا الفيلسوف النظرية فكرة لا بأس بها .

وفى المقالة الثانية يبسط آراءه عن العالم المحس وعن كيفية إدراكه . ولا شك أن هذه المقالة الثانية هى أكثر شرحا لعالم الحس . وطريقة معرفته ، وقيمة العلم به إلى جانب العالم العقلى ، ولكن الشذرات التى بقيت من هذه المقالة ضئيلة مبتورة لم تمكن العلماء من إصدار حكم صريح على آراء پارمينيديس فى عالم المحس .

ولما كانت الناحية الأدبية هى التى تعيننا هنا ، وكانت مقدمة هذه القصيدة هى اللوحة الأمانة لشاعرية هذا الفيلسوف والصورة الصادقة لمزله الأدبية ، فقد أردنا أن ننقل لك منها نموذجا لتقف على خيال هذا الشاعر والروح الشعرية عنده . وإليك هذا النموذج :

« إن الجياد التى كانت تجسر مركبتى فقلتى إلى حيث كان حماسى يشتهى ، إذ أنها أصعدتنى

البته موضع مساواة ، لا بين الكتاب ولا بين الفلاسفة .

تمتاز محاورات هذا الحكيم بأنها مشتملة في أكثريتها الغالبة - على قوة حيوية جديدة بالملاحظة والتسجيل ، وبأنها أشد ما تكون واقعية ودنوا من الحياة العملية رغم ما تعزوه الكافة إلى مؤلفها من الانغماس في الأخيلة والأحلام . ومن آيات ذلك أن المنسكرين الذين يضع على ألسنتهم آراء خصومه هم أشخاص حقيقيون عاصروه أو عاصروا أستاذه سقراط وناقشوه مناقشات واقعية ، وكان لهم حقاً نفس تلك المذاهب التي عزأها أفلاطون إليهم . وتلك خطة لها دلالتها وقيمتها ، إذ هي ترمي إلى تسجيل مذاهب ذلك العصر وتحليلها ، وتمحيصها ونقدها ، وتأيد الصالح منها ، ونقض الفاسد ، وتقويض ما فيها من معادل الزيف وحصول الضلال . وما لا ينبغي الإغضاء عنه هنا أن هذه

المحاورات الشيقة التي تتخذ إما صور المآسي العميقة ، وإما صور المهازيل الرشيقة ، تعنى أتم العناية وأقصاها برسم الزمان والمكان وتصوير الأحداث والظروف والأشخاص تصويراً دقيقاً محدوداً لا تعزب عنه أية واقعة مهما صغرت ولا يغيب عنه أى تفصيل مهما ضؤل . وتلك هي نهاية الفن الرائع ، وقصوى درجات الاقتدار الساطع . ومن

عن الخطأ ، وتعرف الآراء العابثة التي تحتل رموس الأناسى ، والتي لا تسودها أية عدالة ، وهكذا تعرف كيف يجب أن تحكم على كل شئ بطريقتة متزنة .

أما عملاق الفلاسفة الأكبر ، وأستاذهم الأجد أفلاطون ، فقد كان في عصره سيد الكتاب بلا منازع ، وحسبنا أن نشير هنا إلى قول أحد معاصريه عنه : « لسكأنى بالنجلة تصب جناها على لسان أفلاطون » . وما لا ريب فيه أن محاوراته الفلسفية التي نيفت على الثلاثين ، تعتبر من عيون النثر الفنى الراقى الذى ترك في العالم الأدب آثارا ليس في مكنة الزمان محوها أو النيل منها ، وذلك بسبب رفعة مبانيها ، وسمو معانيها ، وصورها الأخاذة . ولا غرو فإنه - بفضل هذه الصور الأدبية الرائعة التي كانت ولا تزال تفيض بالحيوية - قد استطاع أن يمنح أعمق النظريات وأعوص الفكر من السهولة والبس ما جعلها في متناول العقليات العادية ، وفي هذا يقول عنه أحد النقاد الأقدمين : « لو أن مذهب أفلاطون كتب بغير أسلوب أفلاطون لما فهم منه أحد شيئاً » .

بلغ الفن الحوارى عند أفلاطون من الكمال حداً رفعه إلى مرتبة الصف الأول من كتاب العصور الأثرية كما كان أول أعلام العقل بلا منازع . ولا ريب أن هذا الكمال المرموق طالما كان موضع محاكاة ، ولا كنه لم يكن

الفجر ليدعوه إلى سماع پروتا جوراس ولكنه لما كان يعلم شعور هذا الحكيم نحو السوفسطائيين ، كان يختلج في نفسه شيء من الاضطراب . ومن ثم فإنه حين يسأله ماذا ينتوى أن يفعل بسماعه پروتا جوراس يجيب وقد احمر وجهه من الخجل قائلاً : « إنه من الواضح أنى أفكر فى أن أصير سوفسطائياً . وما يلفت النظر فى هذا المقام نزاهة أفلاطون بإزاء خصومه لاسيما السوفسطائيين الذين صورهم فى محاوراته فأجاد تصويرهم إلى حد أن خيل إلى القارىء أنه قد بعث شيوخهم من مرافدهم ، وحال بين شبانهم وبين الفناء فكانت محاوراته بالنسبة إليهم كأنها يد القدر التى خطت لهم سطور الخلود .

وأبدع ما يسترعى الانتباه فى شأن هؤلاء الأعلام ، أن أفلاطون قد خلد معهم فصاحتهم وبلغتهم ، وأدبهم الرائع ، وأسلوبهم الساطع ، وبيانهم الساحر ، وحوارهم الباهر ، وأنه لم يغمطهم من حقوقهم كبيراً ولا صغيراً ، فاعترف بمجدهم وسجل امتيازاتهم ، وسلك بإزائهم أعدل المسالك وأنبلها . ولم يحارب منهم سوى الجوانب المفعمة بالأخطاء والأضاليل ، واطمأنا أثبت على ألسنتهم أرقى الصيغ وأرشق العبارات ، وأبدع المعانى وأعقق الدلالات . ولقد أجاد تحليل آرائهم ، وتعيين مذاهبهم ،

دلائل تلك الدقة تصويره أصدقاء سقراط ، إذ يقدم إلينا مثلاً كريتون صديق سقراط منذ الطفولة ، وهو شخص عظيم الوفاء إلى حد البذل والفداية ، ولكنه قوى العاطفة ، سريع الانفعال ، شديد التأثر بما يحوطه من أحاسيس الحياة لا يملك مشاعره عند اصطدامه بأحداثها ووقائعها مما لا يلتئم مع فطرة سقراط الرزينة الهادئة . ولذا هو يوجه إليه العبارة التالية : « أوه يا عزيزى كريتون . إن حماسك كان يمكن أن يكون أكثر تقديراً لو أنه كان أشد تعقلاً .

وكذلك هو يصور لنا فيديون تلميذاً وديعاً عطوفاً يجلس إلى جانب قديم سقراط فى ساعاته الأخيرة . فيرسم لذلك الموقف صورة خليقة بأن تستمطر العبرات من العيون .

وما تجب العناية به هنا أن أفلاطون فى هذه المحاورات يقدم إلينا لوحة أمينة ناطقة بالصور الواقعية لشباب أثينا المترف المثقف الذى يماز بكثير من الخلال الساحرة والصفات الفاتنة كالصفاء والذكاء ، والبساطة والنشاط ، والتحمس ، للنقاش . والتأهب للحوار ، والشغف بسماع دروس مشاهير الأساتذة أياً كانت مذاهبهم وآراؤهم . ومن نماذج هؤلاء الشبان خارميديس ، وليسيس ، وفيدوروس ، وهيبوكراتوس الذى يصوره لنا المؤلف مهرولاً إلى منزل سقراط عند

طفيل ، فإنك ستنتف معنا قائلا : « إن من البيان لسحرا » .

ولقد كنت أحب أن أقف بك هنية عند رسائل إخوان الصفاء ؛ لأقدم إليك نموذجا من نماذج الرشاقة والأناقة ، والعذوبة والركة والدقة ، ولكن المجال لا يسمح لي الآن بهذه الوقفة ، وهو يكبرهني على مغادرتها دون توفيتها ما نستحقه من عناية . وحسي أن أقول عنها : إن كل تصوير لها لابد أن يشتمل على قصور أو تقصير ، غير أننا لا نود أن نغادر هذا المجال دون أن نقف بك وقفة وجيزة عند قصة « حى بن يقظان » ، التي بلغت من الروعة حداً فتن كتاب الأوروبيين ودفعهم إلى محاكاتها ، وإليك هذه الوقفة :

تأثر ابن طفيل في مبانى الرسالة بخيال ابن سينا ، وتأثر في معانيها وآرائها بمذاهب : أرسطو ، والفيثاغورية والأفلاطونية الحديثتين ، فجاءت هذه الرسالة خيالية شيقة في صورتها وأسلوبها ، فلسفية عميقة في موضوعها ومراميها على نحو رسائل أفلاطون والأفلاطونية الحديثة التي كان مؤلفوها يصوغونها في صيغ أساطير قديمة ، ويضعون لها أبطالاً يجرون على ألسنتهم آراءهم وآراء خصومهم . أما غاية المؤلف من هذه الرسالة فلم تكن - كما فهم عبد الواحد المراكشى -

وعزا إلى كل منهم ما صدر عنه موزونا بالقسطاس المستقيم الجدير بتليذ سقراط وحامى الفضيلة ، ورافع علم الأخلاق .

ومن الدقة التي تهر عين العقل النافذ أن هؤلاء السوفسطائيين الذين رسمهم حكمينا في محاوراته لا يتأثلون في أى شىء سوى إجماعهم على جحود الحقيقة العامة المطلقة ، واتفاقهم في الهزيمة أمام منطق سقراط .

وإذا غادرنا الفلسفة الإغريقية واتجهنا إلى الفلسفة اللاتينية ألفيناها تقدم إلينا تحفا من الشعر كتلك القصيدة الشهيرة التي صاغ فيها الشاعر الموهوب لو كريس مذهب أستاذه إبيقور فجلاء تجلية جذيرة بالإعجاب . وكذلك لا نستطيع أن نغضى عن شيشيرون الذى بذل جهود الجبارة في أن ينحى عن الفلسفة المجادلات المجردة ، وجعل يعلم مواطنيه في محاضراته الفصيحة ، ومنتجاته البليغة ، روح الفلسفة الإغريقية وآراءه الخاصة في معانيها ومراميها .

وإذا تركنا الأقدمين وعرجنا على فلاسفة الإسلام ، ألفينا بين منتجاتهم السحر الساحر ، والفتنة الفاتنة ، وإيس عليك إلا أن تأق نظرة عاجلة على النصوص ، أو المديسة الفاضلة ، أو التوفيق بين الحكيمين للفارابى ، أو على القصيدة العينية لابن سينا ، أو رسائل إخوان الصفاء ، أو حى بن يقظان لابن

ولكن السيدة خشيت بطش شقيقها ، فوضعت الطفل في صندوق ثم ألقت في البحر ، فقدفت به الأمواج إلى جزيرة غير مأهولة عند خط الاستواء ^(١) ، وهناك ساقط إليه الأقدار طيبة كانت قد فقدت ولدها فسمعتة يصرخ ، فحنت عليه وأخذت ترضعه حتى شب ونضج بين الوحوش . وفي تلك الجزيرة أعقب المؤلف على بطل روايته أطوار المعرفة المختلفة التي تبدأ بإدراك الحسيات ثم تنتقل منها إلى إدراك المعقولات المؤثرة فيها ، وهذا الرأى يتناسب بلا ريب مع حالة الطفل الساذج الناشئ في جزيرة موحشة ، ولكنه أيضاً متأثر برأى أرسطو الذي يتخذ الطبيعة وسيلة إلى إدراك ما وراء الطبيعة ، ويستخدم المحسّات في فهم المعقولات .

ولقد أحدث هذا الكتاب في عالم الفكر ضجيجاً عظيماً : ففي البيئات العربية كان مصدراً هاماً لنظرية التوحيد التي بدأها ابن ماجة ونماها ابن طفيل . وفي البيئات الأوروبية فاز هذا الكتاب أيضاً بحظ عظيم من الاهتمام فترجمه إلى العبرية موسى الناربوني في منتصف القرن الرابع عشر ، وترجمه إلى

محاولة عرض كيفية بدء الخلق أو بيان أصل النوع الإنساني فيما يرى الفلاسفة ، وإنما غايته الأساسية هي إيضاح رأيه في كيفية المعرفة ، وهو يتلخص في أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى إدراك الحقائق ولو كان قد نشأ في عزلة تامة ، ولم يتلق أية ثقافة خارجية ، ولم يخضع لأقل أثر من غيره إلا أثر العقل الفعال الذي ينير عقله ، وكذلك يستطيع أن يدرك هذه الحقائق ويتذوقها إذا لقنه غيره إياها ، ولكن على شرط أن يكون هذا الإنسان من الخاصة الذين منحهم السماء موهبة فلسفية كحي بن يقظان بطل رواية فيلسوفنا الذي أدركها وحده ، وكصديقه (أسال) الذي أدركها أولاً بوساطة الدين ثم بوساطة (حى) وذلك لأن العامة ليس لديهم الاستعداد لإدراك هذه الحقائق ؛ ولأن المجهود الذي يبذل في تهذيبهم يذهب عبثاً كما ذهب بمجهود (حى) وصاحبه في تهذيب أهل الجزيرة الأخرى .

بدأ ابن طفيل بعد فراغه من المقدمة ، في الرواية نفسها ، فأوجد لنا حى بن يقظان من غير أب ولا أم ، أو من إحدى الأشجار التي تثمر أغصاناً ، أو من سيدة ضمنها شقيقها عن أن يزوجها من غير كف ، فأحبت شاباً يدعى « يقظان » وتزوجت منه سرّاً فكان « حى » ثمرة هذا الزواج ،

(١) تعتمد ابن طفيل أن يضع بطل روايته في جزيرة عند خط الاستواء ؛ لأنها هي المنطقة المعتدلة في رأيه حتى لا يخضع الطفل لآثار الإفراطات الجوية ، ولكن العلم الحديث أثبت أن منطقة خط الاستواء ليست كما فهم هذا الفيلسوف .

أما القرن الثامن عشر فإن جميع فلاسفته كانوا يحرصون على أن يكونوا من الأدباء حرصهم على الانتساب إلى أهل الفكر ، وقد نجحوا في هذا نجاحا باهرا ، إذن ذا الذي يحدد في عالم الأدب والفلسفة كليهما ، أسماء : لوك ، وفولتير ، وديديرو ، وجان جان روسو ، ومونتيسكيو وغيرهم ؟ .

وكذلك في القرنين التاسع عشر والعشرين استمر الفلاسفة يكتبون للكافة ، لا للصفوة كما كان الفلاسفة المزمتمون يفعلون وجعلوا يعنون بالصور الأدبية عنايه فائقة ولطالما — سطعت في هذين القرنين أسماء الأدباء المفكرين الذين تبسطوا في دراسة عدد وفير من نظريات عصرهم : الواقعية والروحانية والتوفيقية والتلفيقية والتطورية ، والبراجمية ، والبيرجسونية ، والوجودية وما إلى ذلك . ومن هذه الأسماء اللامعة : « رينان » ، « تين » ، « داسينسر » ، « دفيكتور كوزان » ، « دنيقشه » ، « دلامينييه » ، « دبول بورجيه » ، « الذي عاجل » في رواياته أراء « تين » ، « دمارسيل بروس » ، الذي صير البيرجسونية في متناول عقلية الكافة . وأخيرا « دبول سارتر » ، الذي بسط تفاصيل المذهب الوجودي في رواياته ومسرحياته .

الدكتور محمد غلوب

اللاتينية بوكوك الانجليزى ونشره في أكسفورد مع النص العربى في سنة ١٦٧١م ثم في سنة ١٧٠٠م ثم ترجمت هذه الترجمة اللاتينية إلى اللغة الانجليزية مرتين ، ثم ترجم النص العربى إلى الانجليزية أيضا ونشر في سنة ١٧١١م ولا ريب أن إحدى هذه الترجمات هى التى سرت للكاتب الانجليزى « دانيل دى فويه » التأثير بخيال ابن طفيل حتى يحاكي رسالة حى ابن يقظان فينشئ في سنة ١٧١٩م على غرارها روايته الفخمة « روبينسون كروزويه Robinson Crusoe » التى يشاهد فيها الباحث لوحة أمينة الرقى المنهجى والمواطن الأخلاقية الملموسة في رواية ابن طفيل .

وترجم هذا الكتاب إلى اللغة الهولندية في سنة ١٦٧٢م . وقد ترجمه إلى الألمانية « بريتيوس » في سنة ١٧٢٦م ثم ترجمه إلى نفس اللغة « إيشون » في سنة ١٧٨٣م .

وإذا ودعنا عصر الفلسفة الإسلامية ، ونظرنا في فلسفة النهضة الأوروبية والفلسفة الحديثة ، ألفينا أن الفلاسفة الإنسانيين لا سيما الأفلاطونيين منهم كمارسيل فيسان أو الشاعر العظيم : بيتراك ، قد عادوا إلى تجديد العلاقات الوثيقة بين الفلسفة والأدب وكذلك ألفينا أن « ختابة على المنهج » لـ « ديكارت ، Descartes » والفكر ، لـ « باسكال ، Pascal » ينتهيان إلى الأدب بقدر ما يعالجان الفلسفة .

الإسلام في تايْلانْد

للأستاذ عطية صقر

والدين الغالب في البلاد هو البوذية ،
ويوجد عدد من المسيحيين اعتنقوا هذه
الديانة مؤخرا بجهود المبشرين ، ولكنهم
يقولون كثيرا عن المسلمين .

وقد دخل الإسلام هذه المملكة من
طريقين : الصين والأرخييل المايزي . وقد
انتشر الإسلام بوضوح أيام الفتح المغولي
الذي حكم الهند من سنة ١٥٢٦م إلى ١٨٥٧م
ويقول أحد المستشرقين : إن قبائل «شامس» ،
التي أنشأت مملكة «شاميا» ، جنوبي آنام
حاليا ، كانت تدين بالإسلام عند ما أخرجها
الصينيون والآنميون من البلاد ، وتعيش
هذه القبائل الآن في شبه الجزيرة وفي سيام ،

ولكنها ارتدت إلى ديانتها البدائية ، ما عدا
جماعة منهم تقيم شعائرها الإسلامية مع
الاحتفاظ بالتقاليد البرهمية .

والنفوذ السياسي في البلاد للبوذيين ، كما أن
النفوذ التجاري للصينيين ، والمسلمون بين
هؤلاء لم يصلوا إلى حقهم الكامل في الناحية
السياسية ، ومتخلفون جداً في الميدان
الاقتصادي . فكبار الموظفين من البوذيين ،

في شبه جزيرة الهند الصينية ، وبين ممالك
كمبوديا ولاوس وبورما تقسح مملكة كانت
تعرف باسم «سيام» ، ثم عرفت بعد سنة
١٩٣٩م باسم تايْلانْد Thailande ومعناه
بلاد الأحرار . وتبلغ مساحتها نحو
٥٣١٥٢١ كيلو متراً مربعاً ويروى أرضها
نهران هما : ميكونج ومينام ، ويبلغ عدد
سكانها نحو ٢٣ مليوناً كما جاء في إحصاء
سنة ١٩٥١م . وهم خليط من السياميين
الأصليين الذين يكونون الأغلبية الساحقة ،
ومن الصينيين الذين يبلغون نحو ٣ ملايين ،
ومن الأوروبيين الذين يقرب عددهم من
٥٠ ألفاً أغلبهم فرنسيون .

وبين هذه الملايين يعيش نحو ثلاثة ملايين
من المسلمين ، كما قدر عددهم وزير خارجية
تايْلانْد في تصريحه بمؤتمر بانْدونج ١٩٥٥م .
ويعيش أكثرهم في الولايات الأربع الجنوبية ،
وتوجد منهم جماعات صغيرة منتشرة في ضواحي
الولايات الوسطى يبلغون نحو ٢٠٠ ألف ،
وفي العاصمة «بانجكوك» ، يوجد حوالي ١٠٠
ألف مسلم .

مطلقا في الشؤون السياسية ، بل لا يستغلون مركزهم في نفع المسلمين ، فنشاطهم في هذه الناحية محدود جداً أغضب عليهم أكثر المسلمين التقدميين . ويعاون هذا المستشار في مهمته مجلس مكون من ١٢ عضواً على غرار المجلس الملى .

كما تدل التقارير أيضا على أن للمسلمين هناك اتجاهين : الأول يتزعمه طائفة يعرفون بالعلماء ، استمدوا ثقافتهم البسيطة من مكة وغيرها ، وعددهم كثير ، وأفقههم ضيق ، وتفكيرهم محدود ، لا يفهمون الإسلام على وجهه الصحيح ، فهم يحرمون مثلا تعلم اللغة الوطنية ، ولا يشجعون من التعليم أى نوع إلا التعليم الدينى البحت ، فحسب الإنسان ليفوز برضوان الله أن يديم تلاوة القرآن الذى لا يفهم معناه ، ولا يستطيع أن يطبق أحكامه بالطبع ، بل لقد بلغ من شره هذه الفتنة — كما تقول التقارير — أنها توحى إلى التلاميذ بأن إكرام العلماء وبرهم بالهدايا والصدقات أولى وأفضل عند الله من إكرام الوالدين وصلة الأرحام ، ولذلك يؤثرونهم بالزكاة وما يستطيعون من قرب . وهذه الطائفة تحظى بعطف الحكومة التى ترى في مسلكهم هذا رجوعا بالمسلمين إلى الوراء ، وزحزحة لهم عن معترك الحياة ، وهو ما يريده المسئولون وسادتهم الغربيون

ولا يكاد مسلم يشغل وظيفة أو يلتحق بالكلية الحربية إلا إذا غير اسمه إلى اسم بوذى ، ولا يعرف باسمه الإسلامى إلا بين قومه وعشيرته ، والبرلمان الذى يقوم على مجلس واحد يضم ٢٤٠ عضواً ، لا يمثل المسلمين فيه إلا عضوان فقط ، ولو روعيت نسبة المسلمين وهى ١٥ ٪ من السكان ، لكان لهم في البرلمان أكثر من ٣٠ عضوا . وتقوم اقتصاديات المسلمين على الزراعة ومزاولة المهن البسيطة وبعض الوظائف ، فإن ٧٠ ٪ منهم يعملون في حقول الأرز ومزارع المطاط ، و ٢٥ ٪ يعملون في البساتين وصيد الأسماك والتجارة وشغل بعض الوظائف ، و ٥ ٪ منهم في الجيش . والموجودون بالمدن يزاولون الحرف والصناعات البسيطة ، و يقيمون في مساكن متواضعة ينقصها النظام والنظافة .

وتعين الحكومة ممثلا للمسلمين في كل منطقة بكثرة عددهم فيها ويسمى هذا الممثل بلغتهم Pard ham أى الرئيس . وهؤلاء الممثلون ينتخبون من بينهم المستشار الدينى العام ، ويسمى بلغتهم Ghula Rajmentrie وهو يعد شيخ الإسلام هناك . وقد جاء في التقارير أن هؤلاء المستشارين يختارون غالبا من الطبقة الرجعية . وأنهم يدينون للحكومة بالطاعة والولاء ليضمنوا مراكزهم ، وهم لا يتدخلون

كانت البوذية تلقى التشجيع الكبير عن طريق دراسة نصوصها في منهج الأدب .

ومن هنا ففكر المسلمون أخيراً في تكوين جمعيات وإنشاء مدارس خاصة لهم ، غير أنه يتحتم على هذه المدارس أن تتبع المنهج الحكومي ، وألا تدرس الدين في الأوقات المقررة للمناهج ، ويلتحق بهذه المدارس مسلمون وغير مسلمين ، وتلقى إعانات من الحكومة ، وليس للمسلمين من حظ في هذه المدارس إلا أنها تحت إدارتهم ، ويمكنهم أن يدرسوا الدين لأنبائهم فيها في غير أوقات الدراسة ، ويعودوهم على أداء العبادات .

وقد أنشأ المسلمون لهذا الغرض ٣٠٠ مدرسة يتردد عليها نحو ٥٠ ألف تلميذ ، ويقوم بالتدريس فيها نحو ١٢٠٠ مدرس ، غير أن مستوى التعليم فيها ضعيف جداً ، وذلك لأن معظم المدرسين لا يحملون شهادات فنية عالية ، ولجهل المشرفين على المدارس وعدم فهمهم الفهم الصحيح لرسالة الإسلام ونفوذه إلى كل مناحي الحياة ، ولتشجيع الحكومة للبوذية وحدها دون الديانات الأخرى .

ولعدم كفاية هذه المدارس وعدم مروتها يلجأ الكثيرون من أبناء المسلمين إلى المدارس الحكومية أو التبشيرية التي تصور الإسلام بصورة مشوهة لا تجد من يصححها ، وقد

الذين يلقنهم هذه الدروس ويرسمون لهم هذه الخطط .

والاتجاه الثاني: يترعه الشباب المثقف الذي يستمد ثقافته من باكستان وغيرها من البلاد التي أخذت بحظ من المدنية والتقدم ، وهؤلاء يريدون الإسلام نقياً من الخزعبلات والأضاليل التي يرمون بها الطائفة الأولى ، ويودون أن يكون منهم رجال ذوو شأن في مضمار الحياة السياسية والاقتصادية كغيرهم من المواطنين ، وذلك عن طريق العلم وفروعه المتعددة ، وعن طريق الجد والكفاح والمغامرة ، ولكن ينقص هذه الجماعة الموارد المالية الكافية ووجود سند من النفوذ السياسي . وبين هاتين الطائفتين نزاع دائم وجدال مستمر حول مسائل لا تتصل بجوهر الدين كالصيام برؤية الهلال وبالحساب ... ويرى بعض المهتمين بالشئون الدينية أن هؤلاء الشباب يتصرفون على ضوء المذهب الأحمدى الذي أنشأه غلام أحمد القادياني في الهند وباكستان .

والتعليم العام في البلاد لإجبارى من سن السابعة إلى الثانية عشرة ونسبة الأمية ١٠٪ والمدارس كلها - سواء منها الحكومية والأهلية - تسير تبع المنهج الحكومي ، وهو يحرم تعليم أى دين في أوقات الدراسة ، وإن

الملايويين وفي بيوتهم ومعاملاتهم الخاصة ، أما اللغة العربية فخطها قليل جداً من التعليم والاستعمال ، وتوجد صحيفة إسلامية وحيدة تسمى « الهدى » يشرف عليها الشيخ إبراهيم قرشى .

والمسلمون هناك جميعهم سنيون يتعبدون على مذهب الإمام الشافعى ، مما يؤكد الصلة بينهم وبين سكان الأرخييل الماليزى حيث ينتشر هذا المذهب . وفى وادى نهر ميكونج يعيش ١/٤ مليون مسلم يرجعون فى شئونهم الدينية إلى مجلس العلماء فى جاوة .

وهم يتحاكون فى مسائل الأحوال الشخصية حسب القانون العام ، ولهم أن يطلبوا التحاكم إلى الشريعة الإسلامية ، فيكتب القضاء إلى ممثلى المسلمين يطلبون منهم الفتاوى فى المسائل التى تعرض عليهم . وتعدد الزوجات قليل فى المدن ويكثر نوعاً فى القرى ، وللحاجة إلى المعونة فى فلاحه الأرض . والطلاق نادر لأنه يعد عاراً كبيراً . وينقص المسلمين هناك مستشفى إسلامى ، ذلك أن المرضى يخرجون من دخول المصححات الحكومية والتبشيرية ، لوجود التحيز والطائفية فى المعاملة ، ولعدم ملاءمة الأطعمة لهم . ومن مات فى هذه المصححات لا تجرى عليه الطقوس الإسلامية ، بل تدفن جثته بعد أن تحرق .

هذا وقد رأت الحكومات فى السنوات

أنشئت فى بانجكوك كلية إسلامية ، أرسل إليها الأزهر مناهج الدراسة للقسمين الابتدائى والثانوى .

والعطلة الأسبوعية فى هذه المدارس هى الأحد كالنظام العام ، إلا أنها فى الولايات الجنوبية يوم الجمعة ، وذلك لكثرة المسلمين هناك .

وتعليم البنات لا يلقى تشجيعاً من المسلمين مع شدة الحاجة إليه ؛ ذلك أن الشبان يلجئون إلى الزوج من البوذيات لثقافتهم ، واستطاعتهم القيام بالواجبات المنزلية ، وتطورهم مع العصر الحديث ، وقد عرف بعض المستنيرين هذه الحقيقة فأنشؤا أقساماً للبنات فى بعض المدارس كمدرسة « رشكارون Rashkarone » ، وهى مدرسة تابعة لجمعية أنصار السنة الإسلامية ، نظام الدراسة فيها ٤ سنوات للرحلة الابتدائية ، و ٣ سنوات للرحلة الثانوية الأولى ، و ٣ سنوات للرحلة الثانوية الثانية ، ثم بعد ذلك سنتان للرحلة الإعدادية للجامعة ، وبهذه المدرسة قسم داخل للطلبة الوافدين من الأقاليم يتسع لنحو ٦٠ تلميذاً ، وبها حوالى ٣٠٠ تلميذة من المسلمات وغيرهن .

واللغة السائدة فى البلاد هى السيامية ويتكلمها المسلمون كلغة رسمية ، كما أن اللغة الملايوية لها حظ من الانتشار ، ولكن بين

بكراتشى - وكان رئيسا لوفد سيام - إلى واجب الدول المستقلة ، نحو الأقليات الإسلامية في البلاد غير الإسلامية .

والواجب يحتم على المسلمين أن يعملوا شيئا لإنقاذ المسلمين هناك من الجهل الذى فرضه عليهم جماعة لم يفهموا الإسلام فهما صحيحا ، ولتصحيح الفكرة الإسلامية في هذه المنطقة التى ينشط فيها المبشرون ، ولأخذ بيد القبائل البدائية التى تعيش في المنطقة التى تسمى بالأراضى العالية ، حيث لا يوجد هناك مطلقا أى نوع من الإرشاد الدينى الصحيح ، وبناءً على هذا الواجب على الدول والشعوب القريبة من هذه البلاد ، والتى تستطيع أن تخاطب القوم بلغتهم بسهولة ، وتعالجهم على ضوء العادات والإمكانيات التى توجد هناك ، والأزهر هنا قد فتح أبوابه للوافدين من هذه الجهات ، وهو يعد لهم إعدادا سليما يستطيعون به بعد عودتهم إلى بلادهم أن يكونوا مشاعل نور وهداية لإخوانهم الحيارى وسط التيارات ، التى تثيرها الأطماع الاستعمارية ، وتستغلها الإرساليات التبشيرية ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

عطية صفر

من علماء الأزهر
وبالمكتب الفنى للوعظ

الآخيرة أن تخفف من القيود المفروضة على الديانات الأخرى ، فتمكن المسلمون من مزاوله النشاط الدينى بشكل أوسع ، فأكثرُوا من بناء المساجد والمدارس وإنشاء الجمعيات فهناك نحو ١٥٠ مسجدا نصفها في العاصمة ، لكل مجموعة من الأسر مسجدها الخاص ، وبجواره مقبرة إسلامية . ويوجد هناك نحو ٢٤ جمعية ، غير أن أكثرها معطل من زمن بعيد ، ومن أهم هذه الجمعيات : -

١ - جمعية الإصلاح ، التى أسسها منذ نحو ٢٥ سنة الشيخ أحمد الخطيب ، وهو رجل مسن ويتمتع بنفوذ إسلامى واسع .

٢ - الجمعية السلفية ، التى أسسها أيضا الشيخ أحمد الخطيب ، لتدريس الكتاب والسنة ، ولها دار اجتماعات كبيرة ، وتدير مدرسة مشهورة ، ولها فرع خاص بالسيدات المسلمات ، لقي معارضة كبيرة من بعض المسلمين .

٣ - جمعية أنصار السنة الإسلامية ، التى أسست مدرسة رشكارون المتقدمة .

٤ - جمعية الشبان المسلمين .

وقد اندمجت هذه الجمعيات في رابطة واحدة سميت : « رابطة مسلمى تايلاند » ، يرأسها الأستاذ عبد الوهاب عبد الله مصطفى ، وهو شخصية محترمة في الوسط الإسلامى وبين الرؤساء ، وكان عضواً في البرلمان ، ثم حرم من عضويته لما دعا في المؤتمر الإسلامى

العاطفة الدينية عند البارودي للأستاذ على المسماري

ما بين سنتي ١٨٣٨ ، ١٩٠٤م عاش محمود سامي البارودي ، حياة حافلة بكل ما يمتاز به حياة رجل من عطاء الرجال ، وقد ذاق فيها النعيم ، والبؤس ، والضيق ، والخفض ، وارتفع إلى ذروة المجد ، ونزل إلى هوة السجن والأسر ، وكان — منذ نطق لسانه بالقريض — معبراً صادق التعبير عن كل خليجة من خليجات نفسه ، وكل ظاهرة مرت بأفق حياته . ولهذا نعرف البارودي من شعره على صورة تنطبق تمام الانطباق على ما رواه لنا التاريخ من سيره وأخباره ، كما يقول :

فانظر لقولي تجد نفسى مصورة
في صفحتيه ، فقولي خط تمثال

وهذه آية الشاعرية الأولى لأن الشعر تعبير ، والشاعر هو الذى يعبر عن النفوس الإنسانية فإذا عجز عن وصف نفسه كان عن وصف غيره أعجز ، وكذلك ترى فى الديوان ترجاناً لكل خالجة من خواالج هذه النفس الشاعرة ، وأثراً من آثار حياته الظاهرة والباطنة ، فليس الذى فى الديوان شجاعة البارودي ومرحه وصبوته فحسب ، بل دهاؤه وإربته

وحصافته التى حسنا عنها التاريخ ، من ذلك وصاته : —

أكنتم ضميرك عن عدوك جاهداً
وحذار لا تطلع عليه رفيقاً

فلربما انقلب الصديق معادياً
ولربما رجع العدو صديقاً

وإذا بلغ التوافق بين خلائق المرء وشعره
هذا المبلغ ، فتلك آية التعبير الصادق المبين ، أو تلك آية الشاعرية ، والمملكة الفنية ، — كما يقول الكاتب الكبير الأستاذ العقاد .

وقد كرر البارودي فى ديوانه ، المعنى الذى أشار إليه الأستاذ العقاد ، وهو أن شعره صورة لنفسه ، ومن ذلك قوله : —

تدبر مقالى ، إن جهلت خليقتى
لتعرفنى ، فالسيف يعرف بالإثر

وكان البارودي فى غنى ، ألا يسجل على نفسه هذا ، فإن فى شعره ما يحرص بعض الناس على ألا يعرفوا به ، ولكن الرجل كان صادقاً ، وكان يؤثر أن تظهر نفسه على حقيقتها ، فطالما ذم النفاق والمنافقين : —

وفى الناس من تلقاه فى زى عابد
وللغدر فى أحشائه عقرب تسرى

وإذا رجعنا إلى شعر البارودي في هذه الحقبة ، من أول شبابه إلى أن نفى إلى سرنديب - نجده يتضمن أنماطا من أخلاق ، وربما كان بعضها يناقض بعضا ، ولكن الذى يتعمق هذه الأشعار ، ليستخلص منها شيئا للتاريخ ، يظهر له أن الرجل لم يحرم نفسه من طيبات الحياة ، وربما أصاب شيئا مما يتحرز عنه الرجل المتدين ، ولكن الشيء الذى لا ينكر أنه كان شديدا الحفاظ على الأخلاق الفاضلة ، ذا كرا لشعائر الدين .

ونادى مناد للصلاة بسحرة
فأحيا الورى من بعد طى إلى نشر
فبادر لميمات الصلاة ومل بنا
إلى القصف ما بين الجزيرة والنهر
إذا قضينا واجب الدين حقه
فليس علينا فى الخلاعة من وزر
فهو يذكر الصلاة ، ويطلب إلى رفيقه المبادرة إليها ، ولكنّه - مع ذلك - يأخذ حظه من الخلاعة ، مادام قد قضى واجب الدين حقه .

ولو استشرنا شعر البارودي لوجدنا أن هذه الخلاعة لا تعدو أن تكون هواً مباحا ، فهو يتحدث عن نفسه بأن شيمته تأبى الدنيا ، وأنه لم يأت فى الحب ذلة تعاب عليه ، أو تغض من ذكره فى المحافل .

ولكننى طوفت فى عالم الصبا
وعدت ولم تعلق بفاضحة أزرى

إذا أمكنته فرصة نزعت به
إلى الشر أخلاق نبئن على غمر
كان البارودي من أبناء الجراكسة ، وهم آنذاك من أهل الخفض والنعم ، قد واثقهم فرص الحياة ، وجرت لذاتها بين أيديهم كما يشتهون ، وقد انغمس أكثرهم فى هذه الحياة العابثة اللاهية ، ولكن هذا الفتى اليتيم ، الذى مات أبوه وخلفه فى السابعة من عمره ، عزف عن هذه الحياة ، وأخذ نفسه بحياة الجد ، ووجد بعد أن تخرج فى المدرسة الحربية ، ولم يجد عملا ، وجد فى كتب المتقدمين مرتعا لنفسه ، ومرئادا لهواه ، كما وجد فى أبناء الطبقة المتوسطة التى تأخذ نفسها بالفضيلة ، وتعيش فى جو إسلامى محافظ ، وتتجافى عن سفاسف الأخلاق ، وعن تبذلات أبناء العلية ، وجد فى هذه الطبقة أصدقاء لروحه ، ووسطا لواثم أخلاقه وطبائعه . وما هو إلا أن وفد على مصر السيد جمال الدين الأفغانى ، حتى كان البارودي أحد تلامذته ، وظل يتردد على هذا السيد الجليل فى منزله حتى روى من علمه ، ومبادئه ، وأخلاقه ، وقرس السيد فى هذا الشاب الطموح المنوئب ، والمؤمن النقي العقيدة ، فأحبه ، وامتدحه ، وقال فيه كلمته المشهورة ، التى تعتبر شهادة يعتز بها البارودي ، قال السيد الأفغانى عن البارودي : « هو أفضل من عرفت من المسلمين » .

والسن قد تقدمت به ، والجو الذي يعيش فيه ، جو محافظ لا مجال فيه للهو ولا عبث ، ويشغل هناك بالوعظ والإرشاد ، يخطب القوم ، ويعلمهم ، فيساعد كل ذلك على إبراز عاطفته الدينية ، قوية واضحة ، وتظهر هذه العاطفة ، في معارض مختلفة ، وفي مناسبات متعددة ، فترى اتجاهه إلى الله في كثير من شعره ، ونرى أحاديث عن الزهد ، وأخيراً نجد مدحته الرائعة في رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإذا كان قبل النبي ، يناجي ربه فيقول :
لك الحمد إن الخير منك وإنني

لصنعتك يارب السموات شاكر
فأنت الذي أوليتني كل نعمة

وهذبتي حتى اصطفتني العشائر
فمقرب لي الخير الذي أنا راغب

وباعدني الشر الذي أنا حاذر
فليس لمن تقصيه في الناس نافع

وليس لمن تدنيه في الناس ضائر
ولا لا مري* ألهمته الرشد خاذل

ولا لا مري* أوردته الغي ناصر
فإنه بعد النبي يتوجه بكل نفسه إلى الله

أن يخلصه مما فيه ، ويرى أن أمله في الله
هو كل شيء :

ولي أمل في الله تحيا به المنى
ويشرق وجه الظن والخطب كاشر

بل يبالغ فيصف نفسه بأنه لا يرى عابثاً ، ولا مزاحاً ، ولا تصحب الفتاة الروح ، وإنما يلهم بذكر الحرب ، وهمه في طلاب العلا ، وأن سواه هو الذي يطرب بتحنان الأغاريد .

ويتحدث عنه كاتب مقدمة ديوانه ، - وهو عالم من علماء الأزهر - فيقول : « كان لا يحب الفحش ، ولا ينطق به ، ولا يرضى أن يذكر أحد في مجلسه بنقيصة ، ولا يذكر من أحوال من عاشرهم إلا المحاسن والفضائل ، ويقول - يعنى البارودي - : لا أجد بقلبي بغضا لأحد ولو أساء إلى . »

ومن هنا نعلم قلة الهجاء في ديوانه ، على أن ما جاء فيه من أهاج لم يعرف معها من قيلت فيهم .

ولا ينسى ، وهو يعدد أخلاقه ، أن يرسل هذه الكلمة :

وأخلصت للرحمن فيما نويته
فعاملني باللطف من حيث لا أدري

وهذه اللفتة تدلنا على مكان الإخلاص لله في نفسه ، وأنها نفس لم تخل من صدق العاطفة الدينية .

وتخفق الثورة العرابية ، وينفي البارودي إلى جزيرة (سرنديب) ويبقى هنالك سبعة عشر عاماً ، يتذكر ماضيه ، وأهله ، ووطنه ، ويسجل كل ذلك في شعر قوى رصين .

فهل دفاعي عن ديني وعن وطني
ذنب أدان به ظلها وأغترب
وهذا له دلالة النفسية على مدى العاطفة
الدينية عند كل من الشعارين .

وتتجلى عاطفته الدينية في أصدق صورها
في مدحته التي عارض عارض بها البوصيري
في مدح الرسول فإن حديثه فيها عن عواطفه
حديث يزخر بانفعالات الشوق والحنين ،
والحب ، نستمتع إليه ، وهو يذكر لطفه
على زيارة الرسول فيقول :

يا حادي العيس إن بلغتني أمل
من قصده فافترح ماشئت واحتكم
سر بالمطايا ولا تفرق فليس قى

أولى بهذا السرى من سائق حطم
ولا تخف ضلة وانظر فسوف ترى
نورا يريك مدب الذر في الالم
هذى منأى وحسبى أن أفوز بها

بنعمة الله قبل الشيب والهزم
ويقول في موضع آخر :

تالله ما عاقنى عن حيكم شجن
لسكننى موثق في رتعة السلم (١)

(١) السلم : الأسر : وهذا البيت - وله نظائر
في القصيدة - يدل على أنها قيلت في المنفى ، فلا معنى
لقول بعض السكاكين إنه لا يعلم متى قيلت القصيدة
لأن بعض أبياتها صريح في أن البارودي كان في
سرنديب وقت إنشائها .

إذا المر . لم يركن إلى الله في الذي
يحاذره من دهره فهو خامر
أو يقول :

يظننى من يرانى ضاحكا جدلا
أنى خلى وهمى بين أضلاعى
ولا وربك ما وجدى بمندرس

على البعاد ، ولا صبرى بمطواع
لكنتى مالك حزمى ومنتظر

أمرأ من الله يشقى برح أوجاعى
وإذا كان شوقى قد قال فى أول قصيدة
قالها بعد رجوعه من المنفى يخاطب الوطن :

أدير إليك قبل البيت وجهى
إذا فहत الشهادة والمتابا
ولو أنى دعيت لكنت دينى

عليه أقابل الحتم المجابا
فيرتكب حماقة غريبة ، لأنه يلقي قصيدته
في حفل أقيم لتكوين جمعية للبر ، ومع ذلك

يصرح أمام الجماهير بأنه يدير وجهه إلى وطنه
قبيل أن يديره إلى بيت الله الرحمن ، وأن
دينه الذى يقابل عليه الموت هو الوطن ،

مع أنه يقول فى آخر القصيدة (ولولا البر
لم يبعث رسول) . إذا كان شوقى ارتككب
هذه الحماقة فإن البارودى يقدم دينه على وطنه

حيث يقول :

لم أقترف ذلة تقضى على بما
أصبحت فيه فماذا الويل والحرب

أن المترجمين لهم يعنوا بهذه الناحية في شعره ،
والذين ذكروها منهم لم يطمثوا إلى صدورها
عن طبيعة في نفسه ، ولا سيما شعره في الزهد ،
فقد كتب أحد علماء الأزهر يقول : « فأما
شعره في الزهد وغيره من الحكم والنصائح
وما إليها ، فهو لا يمت إلى طبيعة في نفسه ،
إذ أن نفسه من النفوس التواقة الطاعية
الطموح ، وإنما لجأ إليه بعد أن تحطمت في
يده سهام العظمة القاهرة ، والقوة القادرة ،
كما يلجأ الذين تتقدم بهم السن ، ويحالون إلى
المعاش — إلى العبادة والتزهد في الحياة ،
على أن حكمه ومواعظه من النوع الذي ينشأ
عن التجارب وطول الخبرة ومجاراته الأقدمين
لا من الأنواع التي تولدها نظرات فلسفية
وعلمية (١) .

وبعد ذلك بسنوات كتب أحد أساتذة
دار العلوم ، يردد نفس الفكرة ، ويقول ،
« ولعل قوله في الزهد يرجع إلى تلك الحالات
النفسية التي غلبه فيها اليأس على أمره ، وهو
وحيد شريد يعاني غصص الفراق والنفس ،
ولإلا فهذه النفس الطموح التي خاطرت
وغامرت وتطلعت إلى الملك وتلذذت وتعمت
بالحياة كانت بعيدة عن الزهد في الحياة ،
ولعلها لم تزهد إلا مرغمة .

وبما يتصل بهذا الموضوع مدحه لرسول
الله صلى عليه وسلم . وحكمه على العموم قريبة

[١] مجلة الأزهر . المجلد الرابع عشر ص ٣٤١ .

فهل إلى زورة يحيا الفؤاد بها
ذريعة أبتغيها قبل مخزى
بل نرى هذا المعنى يستعلن في قصيدة كلما
سنحت له فرصة مما يدلنا على أنه صادر عن
عاطفة قوية ، والشاعر المتكلف يجعل لكل
معنى من القصيدة موضعا يبرزه فيها ، طبيعة
الأعمال العقلية . أما المعاني العاطفية فهي
تجىء دون تصنع أو تعمل ، وتظهر في أثر
الشاعر أو الكاتب كلما واتها الفرصة للظهور
ومن ذلك في هذه القصيدة مما يتصل بهذا
المعنى ، أن البارودي بنى قصيدته على نظم
السيرة الحمديدية كما وردت في سيرة ابن هشام
فلما جاء إلى القصة المشهورة ، وهي الاختلاف
في وضع الحجر الأسود ، ورضى المختلفين
بأول داخل عليهم ، ودخول محمد بن عبد الله
مصادقة ، ورفع الحجر ووضعه في موضعه
تفقت من البارودي هذه الأمنية :

يا ليتني والأمانى ربما صدقت

أحظى بمعتقد منه وملزم
وقد علل البارودي - في هذا الموضع -
تقبيل الحجر الأسود ، بأن يد النبي مسته :
لولم تكن يده مسته حين بنى

ما كان أصبح ملثوما بكل فم
وهو تعليل يدل على مدى حب الشاعر
للرسول ، وإيمانه به .

هذا . وقد لفت نظري وأنا أراجع ترجمة
البارودي في بعض البحوث التي كتبت عنه ،

لا أحفل الطير إن غنت وإن نعبت
سيان عندي صفار وشحاج
ومثل قوله :

بلغت مدى خمسين وازددت سبعة
جعلت بها أمشي على قدم الخضر
فكيف تراني اليوم أخشى ضلالة
وشبى مصباح على نوره أسرى
ولكن هذا يؤيد ما تراه من صدق العاطفة
عنده ، ولا ينفيه ؛ لأن الإنسان إذا أدرك
الحقيقة الكبرى في الحياة ، ولو كان بعيداً
عنها - والبارودي لم يكن بعيداً - فإن تعبيره
عنها يتسم بالصدق ، ولا يمكن أن نقول : إن
هذا التعبير لا يمت إلى طبيعته بصلة .

والذي عندي أن البارودي كان ذا عاطفة
دينية قوية منذ صدر شبابه ، وأن طموحه
وطلبه للملك وتنعمه بطيبات الحياة لا يتعارض
مع هذه العاطفة ، فلما رمت به الأحداث في المنفى
كان لهذه العاطفة أن تظهر واضحة قوية ،
لأسما وقد غذاها البارودي بما ندب نفسه له
من تعليم أهل سرنديب القرآن ، ووعظهم^(١)
وإرشادهم إلى الدين القويم .

[١] ظهر أثر الوعظ في معاني البارودي
وأساليبه ، فجاء كثير من شعره كما أنه خطب منبرية
كما ظهر الاقتباس من القرآن كقوله :
يأيتها الناس اتقوا ربكم
واخشوا عذاب الله والآخرة
واعتبروا من غفلات الهوى
واعتبروا بالأعظم الناصرة
وكما ظهر الاقتباس من الحديث الشريف .

الماخذ ليست فيها فلسفة عميقة ولا تدل على
مذهب في الحياة ،^(١).

والذي يتأمل ما قدمناه من ظروف الحياة
التي عاش فيها البارودي ، ومن المؤثرات التي
أثرت على نفسه ، ثم يطالع ديوانه فيرى أن
الرجل كان في كثير من حالاته عزوفاً عن
الملذات ، وكان - كما يقول - لا يميل إلى
الوفر ، ولا يعد المال ربا :
رضيت من الدنيا وإن كنت مثرياً

بعفة نفس لا تميل إلى وفر
ويرى أن المال لا ينفع صاحبه ما لم تحمده
العشائر ، وأن أسباب السيادة ليست بالغنى
وأنه بلغ المسكارم وهو عار من المال ،
ولو أراد المال لجاء وافراً ، ولكنه ، أبي ،
أن يأتي ما يعاب به . أقول الذي يتأمل كل
هذا يجد أن المعاني التي جاءت في زهديات
البارودي ليست غريبة عليه ، وما كان
الطموح في يوم من الأيام ليصرف شاعراً
مثل البارودي عن حقائق الحياة ،
وأنها زائلة ، وأن ما فيها من جاه ومال
وشباب ، كل ذلك زائل .

حقيقة أن البارودي ردد ما يحكم به السن من
وقار وبعد عن الهوى والضلال فجاء مثل قوله :
أبعد ستين لي حاج فأطلبها
هيئات ما لا مرى بعد الصبا حاج
إن ابن آدم في الدنيا على خطر
لا يستقيم له ظل ومنهاج

[١] مجلة الأزهر . المجلد الرابع عشر ص ٣٤١ .

لا يسلم من الزلة لسانه ، وقل من توغل في
حرجات^(١) القريض فنجأ أن يغص بالجريض).
ونختم هذا الحديث بقول البارودي :

فاضرع إلى الله واستوهبه مغفرة
تمحو الذنوب ، لجأني الذنب يعتذر
واجعل ولا تنتظر توباً غداً غد
فليس في كل حين تقبل العذر

وقوله في آخر مدحته للرسول :
يا غافر الذنب ، والألباب حائرة
في الحشر ، والنار ترمى الجوب القدم
حاشا لفضلك وهو المستعاذ به
أن لا تمن على ذي خلة عدم

إني لمستشفع بالمصطفى وكني
به شفيحاً لدى الأهوال والقهم
فاقبل رجائي ، فمالي من ألوذ به
سواك في كل ما أخشاه من فقم
وصل رب على المختار ما طلعت

شمس النهار ولاحت أنجم الظلم
والآل والصحب والأنصار من تبعوا
هداه واعترفوا بالعهد والذم
وامتن على عبدك العاصي بمغفرة

تمحو خطاياهم في بدء ونختم

على العمري

[١] الحرجات : الشجر الملتف ، والجريض :
الريق الذي يغص به

وعجيب قول عالمنا الأزهرى : إن حكم
البارودي من النوع الذي ينشأ عن التجارب
وطول الخبرة لا من النوع الفلسفي ، وما هو
النوع الفلسفي إن لم يكن ينشأ عن التجارب
وطول الخبرة ، ومتى كانت هذه الحكم التي
جاءت بها التجارب صادقة ، فهمى النظرات
الفلسفية التي تعتز بها الحكمة .

ثم من حكم البارودي حكم كثيرة تتصل
بالحماسة والحرب ، وعلو الهمة ، وعزة النفس
وما إليها ، فكيف ساغ لهذا المكاتب أن
يرمى حكم البارودي جملة بأنها لا تمت بصلة
إلى طبيعة نفسه .

وأخيراً نجد البارودي في أخريات حياته
يعكف على تهذيب شعره ، ويبدو أنه لم
يرض عن بعضه ، يدلنا على ذلك تحرزه في
مقدمة الديوان من أن يؤخذ عليه شيء في
عقيدته ، فقد اعتذر عن إسناد الأفعال إلى
الدهر ، حيث يقول : (وقد يقف الناظر
في ديواني هذا على أبيات قلتها في شكوى
الزمان فيظن بي سوءاً من غير روية يجيلها ،
ولا عذرة يستبينها ، فإني إن ذكرت الدهر ،
فإنما أقصد به العالم الأرضي ؛ لكونه فيه من
قبيل ذكر الشيء باسم غيره لمجاورته إياه كقوله
تعالى : « واسأل القرية ، أي أهل القرية .

ولا أقول هذا تبرؤاً من الوهم ، ولا اعتماداً
على صحة الفهم ، فإن المرء وإن كثرت إحسانه

أَعْدَاءُ الْعُرْوَةِ وَالْإِسْلَامِ

لِلأستاذ عبد الرحيم فوده

« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .
(قرآن كريم)

إلى قيامها ، وبذلك وبعد ذلك ينطلقون إلى الشمال والجنوب والشرق والغرب ، وينتقمون من أعدائهم الذين شردوهم وطاردوهم ، وكانوا لا يخفون عن أهل الكفر هذا الأمر إذا قامت بينهم ملاحاة وشعروا أمامهم بذلة الضعف أو الهزيمة ، بل كانوا يتعللون بأنه سيكون لهم عليهم الفتح والنصر كما يفهم من قوله تعالى : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » .

وكان كفرهم به استجابة للزعة العنصرية المنحرفة التي عرفوا بها منذ عرفتهم الدنيا حتى الآن ، والتي دفعتهم إلى التحريف والتزييف في التوراة ، فهم فيما يزعمون شعب الله المختار ، وهم فيما يزعمون « أبناء الله وأحبائه » ، وهم مهما فجروا وغدروا يقولون « لن تمسنا النار إلا أياما معدودات » ، وعلى هذا الأساس الذي صنعه الوهم الكاذب لا يؤمنون

تسلل اليهود إلى الحجاز وأقاموا في أماكن متفرقة فيه ينتظرون مجدا كانوا يحلمون به ، ونبوءة كانوا يتطلعون إلى تحقيقها ، وقد شيدوا حول المدينة القلاع والحصون ، وحاف بعضهم الأوس وبعضهم الخزرج على ما كان بين الأوس والخزرج من خلاف مستمر . وقاتل يستحز بين الحين والحين ، بقصد أن يبقوا في هذه الأماكن ، يثيرون الفتن ، ويجركون الدسائس ، ويسعرون نار الحرب بين هاتين القبيلتين لتبيدهما أو تضعفهما ، وبذلك تبق لهم شوكتهم وقوتهم حتى يظهر النبي « الذي يحدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، وكانوا يرجون أن يكون هذا النبي منهم ، فإذا ظهر وجدهم على أتم الأبهة والاستعداد لإقامة الملك الذي يحلمون به ، والدولة التي يتطلعون

ثم لأنهم على أى حال أقرب إليه من أولئك الذين يعبدون من دون الله ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر .

ورأى النبي صلى الله عليه وسلم — لأنه رسول السلام والإسلام — أن يعقد محالفة بين جميع سكان المدينة تجمعهم على الدفاع عنها والتضامن في حماية الأرواح والأموال فيها ، فكتب بهذه المحالفة صحيفة نص فيها على أن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وأن جميع سكان المدينة متضامنون في حماية الناس وصيانة أرواحهم وأموالهم ، وأنهم جميعا جهة واحدة ضد من يعتدى عليهم ، وأنهم لا يصح لأحدهم أن يظعن الآخر بمقد صلح منفرد دون رغبته وعله ، وأن المدينة دار أمان للجميع إلا من ظلم وأثم ... إلخ .

ولكن ، متى كان اليهود أوفياء بالعهود وهم كما يقول الله فيهم : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض » .

لقد نشط المهاجرون المكيون في التجارة وأصبحوا ينافسونهم فيها حتى أوشكوا أن ينتزعوا منهم السيادة الاقتصادية ، فكيف يصبر هؤلاء على ذلك والمال عندهم هو الإله المطاع ...

وقد كف المسلمون عن التعامل بالربا فانقطع عنهم مورد الكسب الحرام وأكل أموال الناس بالباطل ، وهم الذين لم ينتهوا

إلا بما أنزل عليهم ، فكيف يؤمنون بمحمد وهو عربي من ذؤابة العرب . وكيف يؤمنون بالقرآن وهو بلسان عربي وقد أنزل على إنسان عربي ... ؟ إنه لا يعينهم أن تكون صفات هذا النبي مطابقة لما عندهم من حقائق صفاته في التوراة ، ولا يعينهم أن يكون الكتاب الذى أنزل عليه مصدقا لما بين يديه ، من التوراة والإنجيل ، إنما يعينهم أن يكونوا هم دون غيرهم المصطفين الأخيار ، وأن تكون لهم دون غيرهم القيادة والسيادة على الناس لأنهم شعب الله المختار ، وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله ، قالوا نؤمن بما أنزل علينا ، ويكفرون بما وراءه ، وهو الحق مصدقا لما معهم .

ومن ثم شعروا بخيبة أمل مرة حين ظهر أن النبي ليس منهم ، وزاد شعورهم بالمرارة والحسرة حين رأوا العرب في المدينة يخفون إلى لقائه ويفرحون بمقدمه ، ويلتفتون حوله ، ولكنهم كتموا — على الرغم منهم — هذا الشعور وأخفوه تحت ستار الملاينة والمساهمة ، وانتظروا يتربصون بالنبي وبالذين آمنوا به دائرة السوء .

وكان طبيعيا أن يطمع النبي في إسلامهم ؛ لأنهم أهل كتابه ؛ ولأن إيمانهم بكتابهم يقتضيه أن يؤمنوا بما في الكتاب الذى جاء به لأنه مصدق لكتابهم ومطابق له في جملة ما اشتمل عليه من عقائد وقواعد ،

لإشعال نار الحرب ، لولا أن رأى النبي صلى الله عليه وسلم إنذارهم وتحذيرهم من عواقب استهتارهم بحرمات المسلمين ، فقد كانت إحدى نساء الأنصار جالسة بسوق الصاغة فغافها يهودى وعقد ذيل ثوبها بغطاء رأسها وهى لا تراه ، فلما قامت انكشفت سوءتها فصاحت تستغيث ، وأسرع رجل من المسلمين إلى اليهودى فقتله وقام جماعة من اليهود إلى المسلم فقتلوه .

ولما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم دعا رؤسائهم وحذرتهم من عواقب هذه الحوادث فاستخفوا بوعيده وتهديده وقالوا : (يا محمد : لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم ، والله إن حاربنا لتعلن أننا نحن الناس) .

بذلك — وبغير ذلك — لم يبق لهؤلاء أن يحتموا بظل المعاهدة وقد نقضوها وأعلنوا غيظهم من انتصار المسلمين على مشركى مكة فى غزوة بدر حتى لقد قال كعب بن الأشرف — وكان من شعرائهم — حين سمع زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة يدبران أهل المدينة بالنصر : والله إن كان محمد أصاب هؤلاء لبطن الأرض خير من ظهرها ، ولما تيقن الخبر خرج إلى مكة يحرض على رسول الله ويكسى أصحاب القلب من قريش الذين قتلوا فى بدر .

عنه ، ولم يسمعوا قول الله فيه : « وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل » . ولولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ،

وقد كان المسلمون يصلون إلى بيت المقدس فإذا هم يتحولون إلى المسجد الحرام ويولون وجوههم نحوه عملاً بقول الله : « فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون » .

وكان هؤلاء يتربصون بالمسلمين دائرة السوء فى حرب تنسفهم نفساً أو تعصف بهم عصفاً فإذا المسلمون يعودون من غزوة بدر منتصرين ظافرين سالمين غانمين .

هذه العوامل وغيرها كانت تنفخ فى نار الحقد والكراهية ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم ، فلم يستطيعوا الصبر على ما تتميز به قلوبهم من الغيظ . وكان ما يحكيه القرآن بقوله « قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر » .

مع بنى قينقاع :

وبدأ بنو قينقاع سلسلة من حوادث الاستفزاز والغدر وكانت أول حادثة تكفى

إلى ماسمع ورأى منهم ، فأوا الفرصة سانحة للفتك به والتخلص منه ، وخلا بعضهم إلى بعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ، فمن رجل يعلو سطح هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ، وأسرع واحد منهم فتطوح باقتراف هذه الجريمة ، وصعد البيت لياق على النبي الصخرة وهو بين أصحابه أبي بكر وعمر وعلي ، ولكن الله - وقد وعد نبيه بقوله : « والله يحصمك من الناس ، - أوحى إليه بما يضمر هؤلاء من نية الغدر والمكر ، فنهض عليه السلام وغادر المكان قبل أن يتم تدبير الشيطان .

وفهم أصحابه واليهود من حولهم أنه ذهب لقضاء حاجة ثم يعود . . . ولكنه لم يعد . فلحق به أصحابه وعدوا منه في المدينة ما كان من نية الغدر وتدبير الشر ، وكان ما لا بد أن يكون . فقد أمرهم النبي بالنيق لحربهم ، ولما رآهم اليهود قادمين إليهم أسرعوا إلى حصونهم يتجمعون فيها ، ويعتصمون بها ، ثم رأوا رسول الله يضرب الحصار عليهم ويأمر بقطع نخيلهم وتحريقها ، ففزعوا وصاحوا يا محمد : قد كنت تنهى عن الفساد وتعيب على من صنعه . فما بال قطع النخيل وتحريقها ؟

ووقع في بعض النفوس شيء من هذا الكلام . ثم تبين أن هذا العمل لم يكن برأى النبي صلى الله عليه وسلم وإنما كان بإذن الله للحكمة خاصة بهؤلاء الذين عرفوا بشدة الحرص على

ولم يبق أمام النبي وقد أعذر وأنذر ورأى منهم مع ذلك التمرد والتهديد بالحرب إلا أن يضعهم أمام أمرين : الجلاء عن المدينة لتظل ساكنة آمنة ، أو الحرب التي لوحوا بها وصرحوا بأنهم الناس فيها ، ولهذا مضى بجموع المسلمين فحاصروهم في ديارهم خمسة عشر يوما حتى اضطروا إلى التسليم والجلاء عن المدينة إلى أذرعات على حدود الشام .

مع بني النضير:

وكان دور المسلمين مع يهود بني النضير كدورهم مع يهود بني قينقاع من حيث البداية والنهاية ، فقد ذهب صلى الله عليه وسلم إليهم يستعينهم في دفع دية قتيلين من حلفائهم : بني عامر . عدا عليهما عمرو بن أمية الضمري ليثأر أو ليدرك بعض الثأر لأربعين مسلما قتلوا غيلة بعد أن اطمأنوا إلى جوار بني عامر : قوم هذين الرجلين ، ولم يكن عمرو يعلم أن هذين الرجلين أخذوا عهداً من النبي صلى الله عليه وسلم ، ومع هذا أبى النبي إلا أن يتحمل ديتهما ، ورأى أن يستعين بحلفائهم بني النضير في دفع هذه الدية .

ولما ذهب إليهم قابلوهم متظاهرين بالفرح والترحيب ، وسمعوا منه ما يريد منهم فقالوا : نعم يا أبا القاسم . نعمينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه . ثم جلس عليه السلام إلى جوار جدار بيت من بيوتهم مطمئناً

أن مؤامرتهم على النبي لاغتياله لم تكن إلا سبباً واحداً من عدة أسباب تكون في مجموعها خطراً على المدينة ، وعلى المسلمين يجب توقيه وتلافيه ، فقد أظهروا الفرح بهزيمة المسلمين في غزوة أحد كما أظهر بنو قينقاع الغيظ بانتصارهم في غزوة بدر ، وقد أكثروا من الكلام في المسلمين والتهوين من أمرهم بعد هذه الغزوة التي منى فيها المسلمون بالهزيمة في أول الأمر ، كما أكثر بنو قينقاع الكلام المغيظ المحقق في المسلمين بعد انتصارهم في غزوة بدر ، وقد ظهر تحالفهم مع المنافقين من أعداء المسلمين في المدينة ، كما ظهر اتصال بني قينقاع بالمشركين من أعداء المسلمين في مكة ، وتحريضهم على قتالهم واستئصالهم .

هذا وكثير غيره ، مما يؤكد انتقاضهم على المعاهدة التي كتبت بها الصحيفة ميثاقاً وثيقاً بين جميع السكان في المدينة وضواحيها .

وقد فضح الله أمر هؤلاء وأمر هذه الخيانة فقال جل شأنه : « ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب : لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ، ولئن قوتلتهم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون . لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون » .

(البقية على صفحة ٨٧٩)

المال وحب الدنيا ، فقد نزل في ذلك قول الله : « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين » .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد بعث إليهم - قبل أن يطبق الحصار عليهم - إنذاراً بالجللاء عن منطقة المدينة إلى حيث يشاءون ففرغوا وجزعوا ، ولكن عبد الله بن أبي كبير المنافقين في المدينة حرضهم على رفض الإنذار ، ووعدهم أن يعاونهم إذا اشتبكوا في حرب مع المسلمين ، ولهذا استأسدوا وتمردوا ، ورفضوا الإنذار حتى ضرب عليهم الحصار ، ثم طال بهم انتظار المعونة من المنافقين في المدينة دون جدوى ، فلم يجدوا بداً من التسليم والجللاء .

وكان صلى الله عليه وسلم عظيماً كريماً كشأنه في كل مواقفه ، فأباح لهم أن يحملوا ما تستطيع إبلهم حمله من الأموال والأمتعة دون السلاح ، ثم تولى محمد بن مسلمة الأنصارى الإشراف على إخراجهم ، فحملت النساء والصبيان على الهوداج وعليهن الديباج والحرير والخز الأخضر والأحمر وحلى الذهب والفضة ، وحملت الأمتعة على ستمائة بعير .

وخرج بنو النضير في ضجة الدفوف والمزامير متظاهرين بالفرح فنزل بعضهم في خيبر ، وبعضهم تابع الرحيل إلى الشام ، وقد ظهر من القرائن التي سبقت جلأهم وظهرت أثناء حصارهم وبعد رحيلهم

النحويين التجديد والتقليد

للأستاذ عبد الخالق عضيّة

— ٣ —

٨ — عبر سيبويه عن المبتدأ والخبر والفعل والفاعل بالمسند والمسند إليه في الجزء الأول ص ٧ ونقل ذلك الأستاذ إبراهيم مصطفى في إحياء النحو ثم كرر ذلك الدكتور شلبي ص ٨٤ .

والأستاذ برانق ص ٤٥ ثم يقول باستعمال هذا المصطلح نكون قد جمعنا ثلاثة أبواب في باب واحد وبعدها بين تلاميذنا وبين أمور كانت تنبهم عليهم ولا يفهمون لها تعليلاً والأستاذ عبد العليم إبراهيم المفتش الأول للغة العربية أسهم في هذه الحملة بمحاضرتين ، وفي الحق أنه صاغهما صياغة أدبية بارعة والذي نأخذه عليه أنه أبعد في الخيال جداً حيث يقول ص ٩٨ والاتجاه الجديد فوق ذلك بمعنى التليذ من ذلك القلق النفسى الذى يستحوذ عليه ويستقبد به حينما نريده على أن يفهم أن هناك فرقاً بين قتل اللص التاجر ، واللس قتل التاجر ، فى قتل اللص التاجر ، اللص فاعل فهو قاتل مجرم وإذن فأقبضوا عليه ، وخذوا على يديه ، وفى اللص قتل التاجر ، اللص مبتدأ وليس بفاعل ،

وإذن فهو برى. مظلوم فأطلقوا سراحه ، وبحثوا عن الفاعل الحقيقى تجدوه محتفياً ومحتبئاً ومستراً فى زاوية من زوايا الفعل ، هذا هو منطق النحاة فضعوا بحـ. نبه منطق التليذ ومنطق الفعل ثم انظروا الأمر بعد ذلك كيف يكون ؟ .

لا يفهم التليذ أو غير التليذ من اللص قتل التاجر ، إلا أن اللص مخبر عنه بقتل التاجر أو محكوم عليه بقتل التاجر .

سيبويه عبر فى مرة بالمسند والمسند إليه ولسكنه لم يجمع الأبواب الثلاثة فى باب واحد .

وإذا بقيت لكل باب أحكامه الخاصة فما هى الثمرة التى نجنحها من وراء هذا الجمع .

لقد ذكر الأساتذة أحكام تأنيث الفعل مع الفاعل جوازاً ووجوباً وأحكام تقديم المبتدأ والخبر وموضع ذلك . التحرير

١٠٧ — ١٠٨ — ١٠٩ .

ولا شك أن الحديث عن حذف المبتدأ والخبر جوازاً ووجوباً وموضع ذلك مما يخص باب الابتداء وحده .

فكان عليه أن يبدأ إعرابه بقوله : الطائر مسند إليه ... وبذلك يتكرر لفظ مسند في إعراب هذه الجملة سبع مرات ، وما رأى الأستاذ عبد العليم الذي أراد أن يقاضل بين الاتجاهين فقال ص ٩٧ — ٩٨ : الاتجاه الأول يقتضى أن تذكر في تحليل هذه الجملة (محمد لعب) ثلاثا وعشرين كلمة معظمها مصطلحات جافة ، على حين أن الاتجاه الجديد لم يكلفنا إلا ست كلمات .

ولست أدري أظّل الأستاذ عبد العليم على رأيه هذا بعد أن سمع إعراب زميله في محاضراته ، وعان وقعه في آذان المستمعين ، إن مثل هذا التكرار الممل مما لا يحسن أن نرى به في وجه الطالب الإعدادى ، ومن أين لنا الطالب الذى يستطيع ترديد هذا الإعراب .

قلت إن التعبير بالمسند والمسند إليه لا يناسب المبتدى والتعبير بالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر أوضح وأدل على المراد ، والأستاذ برانق يستدل على يسر هذا التجديد بطريقتين :

الطريق الأول ظنى : وهو ما يتكلم به علماء التربية وما يعرضونه من نظريات .

الطريق الثانى قطعى : وهو التجربة نفسها ونتيجة التجربة .

وقد بدأت الوزارة بالسير على هذا المنهج

وكيفية بناء الفعل للجمهور مما يخص نائب الفاعل وحده ، وإذا سلمنا أنه لا فرق فى المعنى بين قتل اللص التاجر ، واللص قتل التاجر فهل نسلم بأنه لا فرق بينهما فى الإسناد وبين قتل التاجر .

إن التليذ المبتدى يستشعر الفرق فيعود إليه ذلك القلق النفسى الذى تحدث عنه الأستاذ عبد العليم بسبب جمع هذه الأبواب الثلاثة فى باب واحد .

ولعل أطرف ما صادفنى فى الدفاع عن هذا التيسير ، ما ذكره الأستاذ برانق فى إعراب قوله : الطائر مقصوص جناحاه على أنه نموذج يحتذى فى الإعراب قال فى محاضراته ص ١٠٩ كلمة مقصوص فى الجملة الأولى مسند والمسند إليه جناحاه والمسند والمسند إليه (مقصود) مقصوص جناحاه) مسند الى المسند إليه الاول الطائر . لقد مثل علماء البلاغة لتنافر الكلمات بقول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قفر
وليس قرب قبر حرب قفر
وقالوا إنه لا يتهى لأحد أن ينشده ثلاث مرات متواليات دون أن يتعنع .

وأنا أطلب من القارئ أن يردد إعراب الأستاذ برانق ثلاث مرات متواليات ثم يحكم على يسر هذا التجديد أو جفوته ، على أن يراعى أن الأستاذ برانق ترك إعراب الطائر .

بعض إنما يكون من جهل المتكلم ، أو لقصد المغالطة والاستراحة بالانتقال من صناعة إلى أخرى ، إذا ضاقت عليه طرق الكلام الأشباه والنظائر ٣-٧٣ - ٧٤ مع التلخيص ٩ - رأى ابن مضاء أنه لا حاجة لتقدير الضمير المستتر في الفعل أو في الوصف ١٠٠ - ١٠٣ .

ونادى بهذا رأى جمهور أساتذتنا دون أن يشيروا إلى سبق ابن مضاء بهذا رأى . كما رأوا أن الضمائر المرفوعة المتصلة بحروف لا أسماء . وقد نوه الأستاذ برائق بالمأزني الذي قال بهذا رأى وهو أستاذ المبرد وأحد ثلاثة لم يكن مثلهم في زمانهم . ويهمننا الآن أن نبحث ماذا أفاد اختيار هذه الآراء تيسير النحو . النحويون قسموا الجملة إلى جملة فعلية وجملة اسمية . وجاء الأساتذة فسلخوا من الجملة الفعلية الفعل الرفع ضميراً مستتراً أو ضميراً متصلاً ، فلم يجعلوه جملة فعلية ، وعلى هذا كانت أنواع الحال عندهم كما يأتي .

(١) فعل وحده . (٢) جملة فعلية . (٣) جملة اسمية . (٤) ظرف . (٥) جار ومجرور ، وكذلك الصلة والصفة والخبر . (ينظر التحرير ٣٣ - ٣٤ - ١٣٩ - ١٦٧) فزادوا نوعاً جديداً في كل باب من الأبواب السابقة .

الميسر ، وقام على تدريسه المدرسون بعد ما وجهوا فنجحوا نجاحاً كبيراً ١٢٠ - ١٢١ . والأستاذ محمد رضوان ١٥٢ يقول : إن الطفل وهو في سنواته الأولى يستخدم علاقة الإسناد في حديثه حين يتكلم ، ويتفهمها حين يستمع إلى غيره من الناس ، ويدرك معناها في حديثه واستماعه إدراكاً سليماً . وإذن فهذه العلاقة ليست جديدة عليه .

ويقول في موضع آخر ١٤٨ : إن المنهج الجديد يتفق مع المبادئ التربوية والنفسانية ويستدل لذلك بنظرية نفسانية حديثة تسمى نظرية الجشتالت .

لقد عاب أساتذتنا على النحويين أنهم فلسفوا النحو فآفسده ، ثم يأتى الأستاذ فيتصيد نظرية الجشتالت ليدافع بها عن هذا التيسير المزعوم . وسأكتفي بذكر هذه القصة - قال ابن السيد البطليوسى في كتابه المسائل والأجوبة : جمعنى مجلس مع رجل من أهل الأدب فنازعنى فى مسألة من مسائل النحو ، وجعل يكثر من ذكر الموضوع والمحمول ، ويورد الالفاظ المنطقية فقلت له : أنت تريد أن تدخل صناعة المنطق فى صناعة النحو ، وصناعة النحو تستعمل فيها مجازات ومساحات لا يستعملها أهل المنطق : وقد قال أهل الفلسفة . يجب أن تحمل كل صناعة على القوانين المتعارفة بين أهلها ، وكانوا يرون أن إدخال بعض الصناعات فى

ابن عصفور أنها لغة ضعيفة ، البحر ٣-٥٣٤ .
لقد استشهد الأستاذ لهذه اللغة بالقرآن
والحديث والشعر ، فهل جاءوا في هذا
الاستشهاد بشواهد لم يذكرها النحويون ؟ كلا
ما زادوا على أن ردوا ما ذكر في كتب
النحو المتداولة ، وقد ذكر ابن الشجري في
أماله شواهد كثيرة ، ثم أضاف إلى ذلك
ما جاء على هذه اللغة من شعر أبي الطيب المتنبي ،
أمال الشجري ١- ١٣٢- ١٣٣- ١٣٤ .

قال النحويون : إن هذه اللغة قليلة وضعيفة
فلا يحسن تخريج القرآن عليها ، ولا سيما مع
وضوح التخرجات الأخرى ، فهل نسعى هذا
تعسفا ؟

يقول الدكتور شلبي ٦١ : وأبرز هذه
المحاولات جميعا وأظهرها محاولة الأستاذ
إبراهيم مصطفى ، إذ تعد في رأي الشعلة التي
أنارت السبيل لكل من فكر في محاولة جديدة
لتيسير النحو ، ومن هنا أود أن أعرض
الخطوط العريضة لهذه المحاولة الكبرى .
ومنهج الأستاذ فيها - منهج الأستاذ إبراهيم
مصطفى .

١ - مراقبة ما ورد في القرآن الكريم
خاصا بالموضوع الذي يدرسه وعدم الاختصار
في ذلك على قراءة حفص المشهورة .

٢ - استقرار الشواهد العربية من الشعر
والنثر وكلام العرب . . إلخ .

والضائرات المتصلة مرفوعة كانت أو منصوبة
أو مجرورة لها دلالة واحدة ، فإذا عرض
للتلبيذ أن يسأل :

لماذا جعلنا الضائرات المرفوعة المتصلة حروفا
دون الضائرات المتصلة المنصوبة والمجرورة ؟
والحرفية والاسمية إنما مرجعهما إلى ما تدل
عليه معنى الكلمة فبماذا نجيبه ؟ .

وهل يتفق هذا الاختيار مع ما قاله
الأستاذ برانق .

إن الوزارة رأت أن لا تزحم المناهج
باصطلاحات لا يجنون من ورائها فائدة .

وهل يتفق أيضاً مع ما قالوه : إنهم آثروا
التعبير بالمسند والمسند إليه ليجمعوا الأبواب
الثلاثة تحت باب واحد ، لأن معناها واحد
لا يختلف .

١٠ - صادفت اللغة التي سماها النحويون
بلغة أكلوهم البراغيث هوى في نفوس أساتذتنا ،
فقالوا : إن هذه اللغة يعززها القرآن في قوله :
« وأسروا النجوى الذين ظلموا » ، ثم عموا
وصموا كثير منهم ، ويعززها الحديث والشعر
الأستاذ عبد العليم / ١٠٠ .

ويقول الأستاذ برانق ٦٨ : إن النحويين
تعسفوا في تأويل الآيتين ، ليخرجا عن
هذه اللغة .

سيبويه الذي نقل هذه اللغة قال عنها : وهي
قليلة ١ - ٢٣٦ ، وذكر الأستاذ أبو الحسن

هذا هو كل ما ورد من قراءات محتملا
لهذه اللغة وتأويله على غيرها سائغ .
وأي هذا القدر الضئيل من الكثرة الطائرة
في الآيات الأخرى التي لا احتمال فيها لهذه
اللغة ؟

فهل تنسكب النحويون طريق الجادة بحملهم
القليل على الكثير ؟ ولعل الأساندة يذكرون
قول سيدنا عمر لعبد الله بن مسعود : أقرئ
الناس بلغة قريش فإن القرآن لم ينزل بلغة
هذيل .

* * *

١١ — عرض الأستاذ برانق للتأليف في
النحو فقال رقم ٦٩ - ٧٠ : ألف الأعاجم في
النحو وأخضعوه للفلسفة والمنطق ، ثم قال
كيف كان يعلم النحو — علم النحو أول ما علم
في النصوص الأدبية التي كانت تدرس في مجالس
الآدباء وأما لهم كما فعل المبرد في كتابه الكامل ،
وكما فعل أبو علي القالي في أماليه ، وكما فعل
المرتضى في أماليه أيضا ثم استقل بذاته وصار
علما يلقنه المعلم لتلاميذه على أي نحو يراه .

* * *

لقد استقل النحو بذاته يا أستاذ قبل أن
يؤلف المبرد كامله ، فكتاب سيويه كان يدرس
قبل ذلك ، والمبرد نفسه ألف كتابه المقتضب
وهو كتاب كبير في النحو قبل أن يؤلف
السكامل ، وجميع المسائل النحوية التي ذكرت

لقد ارتضينا يا دكتور هذا المنهج ونريد
أن نسير على ضوئه ونحتكم إلى قضائه .
تعالوا نستقصي ما وصل إلينا من قراءات
للقرآن الكريم ثم ننظر حظ هذه اللغة من هذه
القراءات . فإن كان نصيبها موفور احكنا آثنا
على النحويين بالتمسك وبما شئتم من الاحكام .

* * *

لقد يسر الله لي وأعانتني على استقرار لكل
ما وصلنا من قراءات للقرآن الكريم متواترها
وشاذها وسواء ما ورد منها في كتب القراءات
أم في غيرها ، وتترت ما جمعته على أبواب
النحو والصرف ، وسجلت ذلك في ثلاثة مجلدات
كبيرة سعة المجلد قرابة ألف صفحة .
وها أنذا أثبت جميع ما ورد محتملا لهذه
اللغة في القراءات المختلفة .

١ — وأسروا النجوى الذين ظلموا .
٢ — ثم عموا وصموا كثير منهم .
٣ — لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند
الرحمن عهداً .

جوز الزمخشري أن تكون هذه الآية على
هذه اللغة ورد عليه أبو حيان بردود كثيرة
الكشاف ٢/٢٣٣ ، البحر المحيط ٦/٢١٧ .

٤ — قد أفلح المؤمنون قرأ طلحة بن مصرف
قد أفلحوا المؤمنون وهي من الشواذ ، شواذ
ابن خالويه رقم ٩٧ الكشاف ٢/٢٤٢ البحر
المحيط ٦/٣٩٥ .

رحلة ابن بطوطة ونقله أسانذتنا دون أن يصوبوه .

ورجعت إلى الرحلة أستوضحها الأمر فوجدت النص في الرحلة هكذا .

وصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان عام ستة وعشرين إلى مدينة دمشق الشام — ٥٠/٩ الطبعة الأولى ثم قلت قد يكون الخطأ في مذهب الرحلة الذى ، طبعته الوزارة بتحقيق المرحومين العوارى وجاد المولى ولكن لم أجد فيه هذا الخطأ - مذهب الرحلة ٦٨ .

ولو رجع أسانذتنا إلى الوراء قليلا لوجدوا أن ابن بطوطة قال خرجت من طنجة مسقط رأسى في يوم الخميس الثانى من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعائة ثم أخذ يتابع رحلته ، ويؤرخ لها فقد أظله عيد الفطر في تونس ، وعيد الأضحى في طريقه إلى طرابلس أواخر شهر المحرم من عام ستة وعشرين . . ، فزيف أسانذتنا التاريخ بهذه الزيادة .

وهل نقول : إن هذا تيسير في التاريخ كما كان ذلك تيسيرا في النحو .

كتاب تقرر الوزارة في مدارسها ويحمل أسماء سبعة من كبار الاستاذة ، يتقدمهم الأستاذان : إبراهيم مصطفى ومحمد برانق ثم يقع فيه مثل هذا الخطأ المشين وليتهم اقتصروا على نص ما في الرحلة فلم يزيدوا في نصوص

في الكامل المذكورة في المقتضب وإن اكتفى المبرد في الإحالة على المقتضب بأحد عشر موضعا .

وكان يقول قد فسرنا هذا على غاية الاستقصاء في الكتاب المقتضب .

أما أبو على القالى فلم يعرض في أماليه لشيء من مسائل النحو ، وإنما كان يهتم بشرح بعض الألفاظ اللغوية :

وكذلك أمالى السيد المرتضى ليس فيها شيء يذكر من النحو ، ومجالسه كانت تدور حول تفسير بعض الآيات ثم لا يهتم بالجانب النحوى .

وإذا أراد الأستاذ التمثيل بكتب الأمالى التى جمعت الأدب والنحو على غرار الكامل فليذكر أمالى ثعلب وهى المعروفة بمجالس ثعلب ، وأمالى ابن السجى ففهمها نحو كثير ، ولقد فهرست مسائلها النحوية فشغلت ثلاثين صفحة . ومثل هذا الخطأ التاريخى خطأ آخر وقع فيه الأسانذة في الجزء الثانى من النحو الإعدادى ص ٥٢ فقد نقلوا من رحلة ابن بطوطة ما يأتى : وصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف إلى مدينة دمشق الشام ، هكذا كتب التاريخ بالحروف .

ويا للهشة ! ابن بطوطة الذى ولد عام ٥٧٠٣ ويمتد عمره إلى أن يكون معاصرا لنا .

قلت ربما يكون هذا الخطأ قد وقع في طباعة

لابن هشام اقتصر في التمثيل على الماضي المنفي بما، وكذلك فعل الأشموني، أما ابن عقيل فقد اقتصر في التمثيل على المضارع المنفي بما . ونظير هذه المسألة ما ذكره الأساتذة في الجزء الثاني من النحو الإعدادى ص ٥٤-٥٥ فقد قالوا :

يكون الفعل معتلا إذا كان في آخره أو وسطه حرف من أحرف العلة ، وهى الألف والواو والياء — وقالوا :
إذا تأملت في كل منها لم تجد حرف العلة في آخره أو في وسطه ، ولذلك تسمى هذه الأفعال أفعالا صحيحة .

فالمعتل عند الأساتذة ، ما كان في وسطه أو في آخره حرف علة ، أما ما كان في أوله حرف علة نحو وعد ويشس فلا يسمى معتلا في اصطلاح الأساتذة ، وهذا لون آخر من ألوان التجديد . ولو قالوا كما قال النحويون المعتل ما في أصوله حرف علة ، والصحيح ما ليس كذلك لأوجزوا وأوضحوا .

مثلوا للممدود وجمعه في التحرير ص ٢٢ بحدأة وحدآت ، ولم يقل أحد بأن نحو حدأة من الممدود لأن الممدود ما آخره همزة قبلها ألف زائدة ، وقد ظل الممدود بعيدا عن منطقة التجديد كما يعلم ذلك من الرجوع إلى النحو المنهجي ص ٨٤ .

المؤلف هذه الزيادة التى نقلته من القرن الثامن إلى القرن الرابع عشر .

١٢ — تحرير النحو العربى كان ثمرة جهد ثمانية من كبار الأساتذة وقصدوا إلى أن يكون مرجعا قريبا للعلم يجمع تلخيص قواعد النحو ويشمل ما أقر من اقتراحات الإصلاح والتيسير .

وليس فى الكتاب من جديد سوى التعبير بالمسند والمسند إليه وحرفية ضمائر الرفع . وليس فيه من جهد يذكر ، فقد ذكروا القواعد كما ذكرت فى كتب النحو ومثلوا لها بأمثلة النحويين .

وهذه بعض ملحوظات على الكتاب :
فى المواضيع التى يقرن فيها جواب الشرط بالقاء ، قالوا ص ٩٧ : أو فعلا ماضيا منفيًا بما ، أو فعلا مضارعا منفيًا بلى ، فيوحى كلامهم بأحد أمرين .

(أ) أن ما النافية لا تدخل على المضارع كما أن لن لا تدخل على الماضى

(ب) ما النافية تدخل على المضارع ، ولكن المضارع المنفى بها لا يقرن بالقاء إن وقع جوابا للشرط .

وكلا الاحتمالين باطل ، فما النافية تدخل على الماضى وعلى المضارع ، ويجب معها اقتران الجواب بالقاء وقد صرح بذلك الرضى فى شرح الكافية ص ١٤٥ وغيره .

وقد يكون مبعث هذا الوهم أن التوضيح

وليس ذلك بالبالب في كلام العرب ، وفي المقتضب للبرد ١٧٦ : فأما ما جاء من فعل على أفعال فمثبه بغيره خارج عن بابه .

ومثل هذا في جميع كتب الصرف .

ولم الله يا مذكرى الابتدائي والإعدادي فقد فرض عليكم ترديد هذه الاصطلاحات ، وإن خفي عن المبتدئ معناها . وأشهد لقد عجزت (وأنا المتخصص في النحو منذ ربع قرن) عن أن أجعل هذه المصطلحات تأخذ طريقها إلى عقل ابني ووعيه .

ويبدو لي أن كبار المفتشين يرون أن لهم أن يقولوا وعلى غيرهم أن يسمع ويطيع ، ثم على دار المعارف أن تنشر . وعلى مؤسسة المطبوعات الحديثة (الوجه الآخر لدار المعارف) أن تلتزم التوزيع . وبرغمي أن أتمثل بقول المرحوم الشيخ عبد الله عفيفي :

قالوا الجديد فقلنا ما جديدكم
وما حوى من جديد الرأي والفكر
دعوى تطول وأهام بموهة
ومنطق كجديد الشيب في الطرر
وقيل : هاتوا الجديد الحر فابتدروا

شنا من القول إن تنفخه ينكسر
ولست أنكر أن النحو في حاجة إلى تيسير
بل أرى أن النحو أحوج العلوم إلى التيسير
وسأبين في كلمة مقبلة إن شاء الله كيف يكون
تيسير النحو .

محمد عبد الحفيظ عيسى

وياسبحان الله ! أيسكون التعبير بالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر وإسمية ضمائر الرفع قيودا وأصفادا وسلاسل وأغلالا ، ويظل النحو راسفا في قيوده مسكبلا بأغلاله حتى يأتي أسانذتنا فيفسكوه من إساره ويطلقوه من عقاله بتأليفهم كتاب تحرير النحو العربي . ١٣ - كتاب الاتجاهات الحديثة : مجموعة محاضرات ألقاها كبار المفتشين في مؤتمر جمع مفتشي اللغة العربية .

والناظر في هذا الكتاب تظالعه فيه كلية الأبحاث في مواضع كثيرة منه في أول صفحة وفي آخر صفحة وفي ثناياه .

تكررت في محاضرة الدكتور محمود خاطر أربع مرات ، وجاءت في محاضرة الدكتور شلبي ، والأستاذ عبد العليم ، وفي مقدمة الكتاب وفي توصيات المؤتمر .

ونسمع كلمة الأبحاث تصدر عن السادة الأطباء وغيرهم فتقبلهم منهم . أما أن تتكرر في محاضرات كبار المفتشين ، وتلقى في جموعهم من غير أن ينكرها منكر فذلك فالأرضاء لأسانذة تخصصوا في اللغة العربية ويقومون على حمايتها وحراستها .

وفعل الصحيح العين لا يجمع على أفعال وقد ورد السماع في بعض ألفاظ ، وليس من بينها بحث وأبحاث ، ففي لسان العرب جمع البحث على بحوث وفي كتاب سيبويه ١٧٦/٢ : واعلم أنه قد يحى . في فعل أفعال مكان أفعل ،

الإسلام والسلام

للمكتور جمال الدين الرمادي

كما حدث عندما تملاً أهل مكة مع غيرهم من العرب على قتال الرسول ، بيد أنه لم ينصح بالاعتداء فقال عز وجل : « ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » .

فالإسلام إذ أن لم يسلك سبيل القتال إلا لهذه الأغراض ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث بعثاً قال : « تألفوا الناس ، وتأثروا بهم ، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم ، فسا على الأرض من أهل بيت ، من مدر ولا وبر إلا أن تأتوني بهم مسلمين ، أحب إلى من أن تأتوني بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم » .

وقد عاهد سيف الله المسلول خالد بن الوليد أهل الحيرة على الصلح دون تعنت أو ظلم ودون استبداد أو بطش ، ودون تحكّم القوى في الضعيف أو سيطرة المنصور على المخدول فجاء في كتاب العهد : « هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد نقيباً أهل الحيرة ، ورضى بذلك أهل الحيرة وأمرهم به . عاهدكم على مائة وتسعين ألف درهم تقبل في كل سنة جزاء على أيديهم في الدنيا ، رهبانهم وقسمهم إلا من كان منهم على غير ذى يد ، حيسا

كان الإسلام ولا يزال دين الأمن والسلام والسكينة والصفاء والمودة والإخاء ، ولم يكن في وقت من الأوقات دين حرب أو نزال أو مشاحنة وبغضاء ، إنما كان يهدف أولاً وقبل كل شيء إلى السلام بل إنه في لفظه مشتق من مادة واحدة مع السلام .

وقد قامت دعوة بعض المستشرقين على أن الإسلام انتشر بحد السيف ، ولكن الواقع أن الإسلام لم يكن في وقت من الأوقات يستخدم السيف للتحكم في رقاب الضعفاء أو التسلط على أعناق الأبرياء ، إنما كان السيف وسيلة لتأمين الدعوة ، ولكنه مع هذا أبان للؤمنين عدم ضرورة القتال إذا لم يكن هناك ضرورة لذلك . قال تعالى : « فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم ، وألقوا إليكم السلم ، فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً » .

كما قال تعالى في سورة الأنفال : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم » .

وقد حض الإسلام على تأمين الدعوة والدفاع عنها ضد من يقف في سبيلها حتى لا يخشى من يريد الدخول في الإسلام الفتنة عن دينه ،

وعندما فتح عمر بن الخطاب الشام صالح أهل د إيلياء ، وأمن أهلها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وأعطاهم عهدا بذلك وهو المعروف بالعهد العمرى وقد أوردها محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله : عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها : أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من خيرها ولا من صابهم ولا من شئ من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ... »

« وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيوتهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم ، وعلى بيوتهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض — فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية

عن الدنيا تاركاً لها... وعلى المنعة وإن لم يمنهم فلا شئ عليهم حتى يمنهم » .

ولم يكتف بذلك بل قال : « وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات ... إن كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ، وعمل من بيت المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام ، ! »

ويذكر التاريخ أن المسلمين كانوا يعرضون الناس عند الضرر الذى يلحقهم خطأ من المسلمين . ومثال ذلك أن ذميا جاء إلى عمر ابن الخطاب فى أثناء فتوح الشام « وشكا إليه أن بعض المسلمين قد قطعوا غنبا من كرومه دون إذن منه ، فخرج عمر من المعسكر فإذا به يرى مسلما خارجا من الكرم وقد حمل بعض العنب على ذراعه فصاح به فى غضب وحدة : « وأنت أيضا قد شرعت ترتكب مثل هذه الحماقات ؟ » فاعتذر الرجل بأنه لم يفعل ذلك إلا لاشتداد جوعه فأمر عمر بأن يعرض الرجل عما فقد من عنبه حتى أرضاه .

وعندما شرع عمر بن الخطاب ينظم إدارة العراق عقب فتحها استدعى زعماء البلاد غير المسلمين إلى المدينة ليستشيرهم ويستأنس آرائهم . وجاء فى المقرئى أنه كان يفعل ذلك فيما يتعلق بمصر فاستشار المقوقس عظيم القبط فى أمور شتى .

عام ١٩٠٧ مؤتمر لهذا الغرض قرر ألا تبدأ الأعمال الحربية إلا بعد إخطار سابق لا لبس فيه ، يكون إما في صورة إعلان حرب مسبب أو في صورة إنذار نهائي يذكر فيه اعتبار الحرب قائمة بين الطرفين . هذا إذا لم تجب الدولة الموجه إليها الإنذار بطلبات الدولة التي توجيها .

وهذا القرار الذي أصدره مؤتمر لاهاي في أوائل القرن العشرين جاء في القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان فقال تعالى : د وإما تخافن من قوم خيانة ، فانبد إليهم على سواء : إن الله لا يحب الخائنين .

وأوجب الإسلام احترام العهود والمواثيق وتنفيذها بدقة وأمانة حتى مع الوثنيين : د إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين .

ولقد كان فريق من أهل الكتاب يوفون بعهودهم إلى أهل ملتهم ولكنهم لا يرون الوفاء واجبا بهمودهم مع المسلمين : د يقولون ليس علينا في الأميين سبيل . فجاء القرآن الكريم ناعيا عليهم هذا التفريق مبينا أن الوفاء بالعهد واجب لإنساني كبير فقال تعالى : د بلى من أوفى بعهده وأتقى فإن الله يحب المتقين .

ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله - وأنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم . وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية .

وقد كتب هذا العهد في العام الخامس عشر للهجرة وشهد عليه : خالد بن الوليد ، وعمر بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان .

وهكذا كان الإسلام دين مودة وإخاء لا دين عنف واستبداد ، وإذا كانت الأمم الحديثة قد شرعت بعض القوانين الدولية والمواثيق السياسية في القرن التاسع عشر أو القرن العشرين فإن الإسلام قد شرع هذه القوانين قبل هذه الدول بقرون طويلة ومن ذلك ما جاء في صدد إعلان الحرب إذ أن الدول كانت تتحرش بجيرانها على حين غرة ودون سابق إنذار ، فتطلق المدافع وتهوى القنابل على السكان الآمنين وهم يزاولون أعمالهم اليومية فلا يستطيعون حماية أنفسهم وأهلهم ، إنما يصبحون مذبولين محطمين إزاء هذا الخطر الداهم وتلك المفاجعة الكبرى التي حلت بغتة بساحتهم فأذاقتهم هولا يشيب منه الولدان .

تنهت الدول إلى هذه الناحية في مستهل القرن العشرين فعقدت في لاهاي في هولندا

« تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريماً ». بل إنه جعل السلام اسماً من أسمائه عز وجل فقال في سورة الحشر : « هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام ، كما دعا بالسلام على الأنبياء والمرسلين فدعا بالسلام على نوح وعلى إبراهيم وعلى موسى وهارون وعلى آل ياسين وعلى المرسلين .

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن السلام دائماً هو جوهر من جواهر الإسلام وهو الذى أصبح اليوم هدفاً من أهداف الدول المتمدينة ومن أجله تشرع القوانين وتوقع المواثيق وتؤلف المجالس وتُعقد الجلسات فى الأمم المتحدة مرة ومجلس الأمن مرة أخرى ومحكمة العدل الدولية إذا حزب الأمر بين الطرفين . والمعروف أن هذه المنظمات جميعاً تهدف إلى السلام وقد تكون مجلس الأمن وهو هيئة متفرعة من الأمم المتحدة بل أداة تضطلع بمسؤولية المحافظة على السلم والأمن الدوليين والنظر فى تسوية المنازعات واتخاذ التدابير اللازمة لصيانة السلم إذ لم تجد الوسائل السلمية . والواقع أن هدفه الذى يرمى إليه إنما هو هدف الإسلام الأول الذى يرنو إلى السلام ويصبو إليه . زد على ذلك أنه يختلف عنه فى تحكم الدول الكبرى فى الدول الصغرى . والإسلام من هذا براء ، وإذا رمز الغربيون إلى السلام بفرع الزيتون تارة وبالحمām

وإذا أقيمت المنظمات الدولية من أجل السلام فقامت عصبة الأمم على أثر انتهاء الحرب العالمية الأولى ثم انتهى أمرها بالفشل ثم أقيمت الأمم المتحدة عقب الحرب العالمية الثانية وانعقاد مؤتمر يالطا ومؤتمر سان فرانسيسكو وقامت هذه المنظمات تدافع عن السلام حتى نصت فى مواثيقها عليه . وكما جاء فى ديباجة ميثاق الأمم المتحدة ، فإن الإسلام دعا إلى السلام قبل ذلك وإلى التعاون والتعارف بقاءً فى كتابه العزيز دياً أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم . كما ناشد القرآن الكريم المسلمين لإحسان معاشره غديرهم من أهل الأديان والمذاهب إلا فى حالة العدوان وفى القرآن الكريم : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم ، أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » . وقد جعل الله السلام حالة من حالات النعيم فى الجنة فقال تعالى فى سورة الواقعة : « لا يسمعون فيها لغواً ولا أناثاً . إلا قبلاً سلاماً سلاماً ، وقال فى سورة ق : « ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ، وقال فى سورة الأحزاب :

السلام ورعاية حقوق الإنسان فإن هذه الحقوق جاء بها الإسلام كذلك فقرر مساواة الجنس البشري في أصله ومنبته ، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء . كما حضر الإسلام على الكرامة فقال عز وجل : « ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

وهكذا يستطيع من ينعم النظر فى كتابه العزيز أن يدرك أن تلك الحقوق الإنسانية التى جاءت بها المواثيق الدولية الحديثة من أجل المحافظة على حرية الفرد والسلام الدولى قد جاء بها من قبل كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

الدكتور محمد الدين الرمادى

تارة أخرى فلقد أقسم الله فى كتابه العزيز بالتين والزيتون وطور سينين كما كان الحمام آية على السلام . وفى المسجد الحرام آلاف مؤلفة منه يحرم الله قتلها ويحميها وتجوب أسرابه زرافات ووحدا فى أجواء المسجد الحرام شرقا وغربا وشمالا وجنوبا .

ومن ذلك يتبين لنا أن للسلام رموزا فى الإسلام منذ العصور الأولى وهذا يدل على مبلغ حرص المسلمين عليه وإيثارهم له ، ونمساكهم به ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . فإذا ارتفعت عقيرة العالم اليوم بالسلام فليس هذا بجديد ولا بمستحدث ، وليس هذا بشئ . تفتقت عنه عقول العلماء فى هذا العصر خدمة للبشرية ورعاية للإنسانية إنما هذا شئ متاصل فى الإسلام قد جرى فيه مجرى الدماء فى العروق والروح فى الأجساد .

وإذا حرصت المنظمات الدولية على استتباب

(بقية المنشور على صفحة ٨٦٦)

فقد فعلوا مثل ما فعل بنو قينقاع وبنو النضير ، بل فعلوا ما هو أكبر وأكثر خيانة وجرمًا وظلما فى غزوة الأحزاب ، مما سنرى تفصيله فى عدد قادم إن شاء الله ، وما سنرى فيه صدق قوله تعالى « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » . أراح الله العرب والمسلمين منهم .

عبد الرحيم فوده

وقد حزن عبد الله بن أبى وحزن المنافقون معه لجلاء بنى النضير وإن لم يجدوا الجرأة على إظهار حزنهم . شأنهم فى ذلك شأن المنافقين فى كل عصر ودهر ، وبذلك تطهرت المدينة فى الداخل بإخراج بنى قينقاع ، واستراحت من بعضهم فى الخارج وهم بنو النضير ، وبقي بنو قريظة على مقربة منها يتمتعون بأمن المعاهدة التى كتبت بها الصحيفة ولكن إلى حين .

مثل من نزع الكتاب الأوربيين مكانة الإنسان في الإسلام للأستاذ يوسف القرضاوي

إلا بقليل من التقدير ، وينزع القرآن إلى إقناعه بمهانة أصله الجسدي ؛ فيصف خلق الفرد وتكوينه تفصيلاً :

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفةعلقة نخلقناعلقة مضغة ، نخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر ، »

فليس للإنسان أى نحر فى بداياته ؛ فهو ليس مكونا من مادة مهينة فحسب ؛ بل هو ضعيف عديم الحس ساعة ينحدر إلى هذه الحياة - ولا يحفظه فى وجوده المخوف بالخطر إلا إرادة الله .. وهو غرض لسهام الأمراض والآلام ، وهو يكابد الجوع والعطش شاء أم لم يشأ ، وهو يريد المعرفة ولكن الجهل نصيبه ، وهو يريد أن يتذكر ولكن ينسى ، وإنه ليدبر ما يدبر من خطط الفكاك ولا يبلغ قط حد الاطمئنان على الحياة أو المركز .. ويتأمل الغزالى أمره قائلا : « وما نهايته إلا الموت الذى يردده إلى نخود الحس المصاحب لبداياته والذى يعرضه للتجفيف الكريه المنقر ،

كتاب باسم « حضارة الإسلام ، المستشرق النساوى الأصل ج . ١ . فون جرو نيباوم ... ترجمه الأستاذ عبد العزيز توفيق جاريد ضمن مشروع « الآلف كتاب ، الذى تشرف عليه إدارة الثقافة العامة ، بوزارة التربية والتعليم .

وفى الكتاب أخطاء كثيرة عن الإسلام فى عقيدته وتشريعده وحضارته وتاريخه وهو ما لا يمكن أن يخلو منه مستشرق لا يؤمن بالإسلام ديناً ، ولا بالقرآن وحياً ، ولا بمحمد رسولاً ، فلا بد أن يفسر هذا الدين وآثاره بما يلائم اعتقاده فيه .

وقد عقب الأستاذ المترجم على بعض هذه الأخطاء ، ولكنه أولاً لم يستوعب وثانياً .. لم يوف التعقيب حقده .. وثالثاً فصل التعقيب عن أصله ، وجعله فى آخر الكتاب .

ولسنا فى مقام النقد للكتاب كله الآن ، وإنما نكتفى بإيراد مثل من انحراف المؤلف عن السداد بما لم يعقب المترجم عليه :

قال فى فصل (الإنسان الكامل) ص ٢٨٣ . « والإسلام منذ بدايته لم يعترف للإنسان

وقواه بعد الضعف ، وعله بعد الجهل ،
وخلق له الأعضاء بما فيها من العجائب
والآيات بعد الفقه لها ، وأغنائه بعد الفقر ،
وأشبعه بعد الجوع ، وكساه بعد العرى ،
وهداه بعد الضلال ، فانظر كيف دبره وصوره
وإلى السبيل كيف يسره . وإلى طغيان الإنسان
ما أكفره ، وإلى جهل الإنسان كيف
أظهره فقال :

« أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة
فإذا هو خصيم مبين ، ، « ومن آياته أن خلقكم
من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون . »

فانظر إلى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك
الذلة والقلّة والخسة والقذارة (خسة التراب
وقذارة النطفة) إلى هذه الرقعة والكرامة
فصار موجوداً بعد العدم ، وحياً بعد الموت ،
وناطقاً بعد البكم ، وبصيراً بعد العمى ،
وقوياً بعد الضعف ، وعالماً بعد الجهل ،
ومهدياً بعد الضلال ، وقادراً بعد العجز ،
وغنياً بعد الفقر ، فكان في ذاته « لاشيء » ،
وأى شيء أخس من لاشيء ، وأى قلة أقل
من العدم المحض - ثم صار بالله شيئاً .

هذا ما ذكره الغزالي عن الإنسان فيما اقتضاه
مقام معالجة الكبر والمتكبرين ، وهو لا يشر
النتيجة التي انتهى المؤلف إليها .

ولو أنصف المؤلف لاستشهد بما ذكره
الغزالي في مناسبات شتى ، بين فيها مكانة

وإن أدنى تأمل في مصادر الإسلام ليرد
على المؤلف دعواه ، أن الإسلام لم يعترف
للإنسان إلا بقليل من التقدير ، ويدحض
استدلّاله الواهن على ما ادعاه .

وقد اعتمد المؤلف في هذه النقطة - كما ذكر
في مراجعه - على كلمات ذكرها الإمام الغزالي
في كتاب « الكبر » من الإحياء . . . ومثل
هذه الكلمات التي ذكرها الغزالي لاتصلح معتمداً
لتقرير مبدأ خطير يتعلق بمكانة الإنسان
في الإسلام ؛ فهو إنما ذكرها في بيان الطريق
إلى معالجة الكبر ، وفي مخاطبة المستكبرين ،
ولكل مقام مقال كما يقولون .

إنه يريد أن يذكر هذا المتكبر بأيام ضعفه
يوم كان جنيناً في بطن أمه ، بل حين لم يكن
شيئاً مذكوراً ؛ ليعلم أنه لا قيام له بذاته ،
ولا استغناء له عن ربه ، هل أتى على الإنسان
حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً .
إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه
فجعلناه سميعاً بصيراً . إنا هديناه السبيل ،
إما شاكرًا وإما كفرًا .

قال الغزالي بعد ذكر هذه الآيات (١) :
ومعناه أنه أحياء بعد أن كان جماداً ميتاً :
تراباً أولاً ، ونطفة ثانياً ، وأسمعه بعد ما كان
أصم ، وبصره بعد ما كان فاقداً للبصر ،

(١) ص ٣٠٩ من كتاب الكبر ربيع المهلكات -
طبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٤٦ هـ .

فهى التى يومى* إليها قوله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمرى ، ؛ إذ بين أنه أمر ربانى خارج عن حد عقول الخلق . وأوضح من ذلك قوله تعالى : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحي ، ولذلك أسجد له ملائكته .

ويشير إليه قوله تعالى : « إنا جعلناك خليفة فى الأرض ، ؛ إذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى إلا بتلك المناسبة .

وإليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله خلق آدم على صورته ، حتى ظن القاصرون أن لاصورة إلا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس ، فشبها وجسموا وصوروا - تعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علواً كبيراً - .

وإليه الإشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام مرضت فلم تعدنى ، فقال : يارب ، وكيف ذلك ؟ قال : مرض عيسى فلان فلم تعده ، ولو عدته وجدتنى عنده .

وهذه المناسبة لا تظهر إلا بالمواظبة على النوافل بعد إحكام الفرائض ، كما قال الله تعالى - يعنى فى الحديث القدسى - : « لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحبيته كنت سمعه الذى يسمع به . وبصره الذى يبصر به ... إلخ ، .

* * *

الإنسان فى الكون ، وقيمه عند الله وخصائصه الروحية العالية ، وحسبنا من ذلك ما ذكره فى كتاب « المحبة » من ربيع « المنجيات » ، من إحيائه ؛ فهو بعد أن ذكر أن من أسباب المحبة المناسبة والمشاركة ، لأن شبيهه الشئ منجذب إليه ، والشكل إلى الشكل أميل ، قال : (١)

وهذا السبب أيضاً يقتضى حب الله تعالى لمناسبة باطنه . لا ترجع إلى المشابهة فى الصور والأشكال ، بل إلى معان باطنية ، يجوز أن يذكر بعضها فى الكتب ، وبعضها لا يجوز أن يسطر .

فالذى يذكر : هو قرب العبد من ربه عز وجل فى الصفات التى أمر فيها بالافتداء والتخلق بأخلاق الربوبية ، حتى قيل : تخلقوا بأخلاق الله ؛ وذلك فى اكتساب محامد الصفات التى هى من الصفات الإلهية . من العلم والبر والإحسان والطف وإفاضة الخير والرحمة على الخلق ، والنصيحة لهم ، وإرشادهم إلى الحق ، ومنعهم من الباطل ، إلى غير ذلك من مكارم الشريعة ؛ فكل ذلك يقرب إلى الله تعالى ، لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات .

وأما ما لا يجوز أن يسطر فى الكتب - من المناسبة الخاصة التى اختص بها آدمى -

(١) ص ٢٦٣ من كتاب المحبة ربيع المنجيات .

الخلق والإيجاد ، وعلاقة التعليم والهداية ، واختارت الآيات لفظ « الرب » لما يشعر به من التربية والرعاية والترفيه في مدارج الكمال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ؛ خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » .

بين القرآن في كثير من آياته علاقة الإنسان بالله ، وهي علاقة القرب القريب ، الذي حطم أسطورة الوسطاء والسماسة المرتزقين بالاديان . ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ، « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ، « فأني أتولوا فثم وجه الله ، « وهو معكم أينما كنتم » .

وبين القرآن مكانة الإنسان عند العوالم الروحية العلوية ، وهي مكانة اشرأت إليها أعناق الملائكة ، وتناولت إليها نفوسهم فما بلغوها : مكانة خليفة الله في الأرض « قالوا : أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ؟ قال : إني أعلم ما لا تعلمون ، : مكانة من عليه الله الأسماء كلها ، وأمر ملائكته بالسجود له تحية وإجلالا « إذ قال ربك للملائكة : إني خالق بشرأ من طين . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس ، .

إن الآية التي استدلل بها المستشرق - والتي بينت أطوار خلق الإنسان من نطفة فعلاقة فضغة إلخ - لاتهدف إلى إقناع الإنسان بمهانة أصله الجسدى - كما يقول - وإنما تهدف هي وما يماثلها من آيات إلى الرد على قوم أنسكروا الآخرة والبعث بعد الموت ، واستبعدوا أن يحيا الإنسان بعد مادم وبلى ، فجاءت هذه الآيات تلتفت أنظار منكرى النشأة الأخرى إلى النشأة الأولى ، وتنبيه العقول الغافية إلى قدرة الله الكبير الذى خلق الإنسان من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ولتقرأ قوله تعالى : « ويقول الإنسان : أنذا ما مامت لسوف أخرج حيا ؟ أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ؟ » . « أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال : من يحيى العظام وهى رميم ؟ . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » . فهل يفهم منصف من سياق هذه الآيات تحقير الإنسان ؟ وأن الإسلام لا يعترف له إلا بقليل من التقدير ؟ .

لقد عنى القرآن بالحديث عن الإنسان في عشرات من آياته ، وعشرات من سورته ، وحسبنا أن أول فوج من آيات الوحي الإلهي استقبله قلب رسول الله - وهى خمس آيات - لم تغفل شأن الإنسان ، وعلاقته بربه : علاقة

وكانت عاقبة عدو الإنسان الذي تمرد على أمر ربه بتحيته والسجود له هي اللعنة والطرْد الأبدي قال : اخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين .

وبين القرآن مركز الإنسان في هذا الكون المادى العريض ، وهو مركز السيد المتصرف ، الذى سخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا ، الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه .

وما الذى بوأ الإنسان هذه المكانة فى الكون - على ما فيه من أجرام ضخام - ؟ إنه استعدادة لحمل الأمانة الكبرى : المسؤولية . . التكليف

ذلك بعض ما ذكره القرآن عن مكانة الإنسان ، وإن نيه لغناء لمن أراد الإنصاف ، وحسب الإنسان شرفا هذان النداءان المباشرين من الله إليه بعنوان الإنسانية : « يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك » ، « يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه »

مثل كريم

كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، ينظر ليلا فى شئون الرعية فى ضوء سراج ، فجاء غلامه يحدثه فى شأن من شئون بيته ، فقال له عمر : أطفى السراج ثم حدثني ؛ لأن هذا الدهن من بيت مال المسلمين ، ولا يجوز استعماله إلا فى مصالحهم .

شريعة الله الحائلة

للأستاذ إبراهيم عبد الباقى

نظرة فى عالمنا الحاضر تريك نظرة الشريعة الإسلامية وما أبعدها من نظرة ؟ وحكمتها وما أبلغها من حكمة ؟ ، ترى الشريعة الإسلامية لإعدام القاتل ، ويجوز العفو عنه والدية .

أما أنه خسارة على الأمة فننطق معكوس ، وحكم باطل تحيله بداهة العقل ، ويبطله الواقع المحس ، فإن إبقاء القاتل لا يطفى نيران العداوة ويبقى الأخذ بالثأر أبداً الأبدى حتى تطفى عائلات . والموتور لا ينام عن وتر ، وضعيف اليوم ربما يكون قويا فى الغد .

وإن من محاسن هذه الشريعة الإسلامية أنها لا تخالف طبيعة الإنسان ولا تصادم أية مصلحة اجتماعية أو فردية ولا تناوى التطور ولا تخصمه ، بل تتمشى معه وتسايره ، ولقد تعاقبت عليها دهور قامت فيها حضارات ومجتمعات . وسعدت شعوب وشقيت ، وأبرمت قوانين ونقضت ، ولا تزال تتجلى فى جلباب العظمة والرفعة ، وتترأى فى مظهر القوة والمنعة ، فيها لكل حادثة حكم ولكل ضللة هداية ولكل ظرف تقدير ، وإن النظريات العلمية والآراء الفلسفية لا يمتضى عليها إلا قليل من الزمن حتى تأذن الأيام بطلانها ، وتأتى على عكسها ، خلا الشريعة الإسلامية فلا تزال تتحدى الزمن ، وتغالب الأيام فحال أن يصيبها شلل أو تدركها الشيخوخة ، ما دام

أما شريعة اليهود فلا تجيز العفو ، وشريعة النصارى لا تجيز القتل . فشريعة الإسلام وسط بين الاثنين ، كما أنها ليست جسدية بحتة ولا روحية محضة ، وقديما قيل : خير الأمور الوسط - هذا ولقد جنح بعض المشرعين الغربيين إلى استبدال عقوبة القتل بعقوبة أخرى محبذين رأيهم بأن إعدام القاتل أثر من آثار الوحشية وخسارة على الأمة ، هذه حججهم ولكن التجارب فندت مزاعمهم وردتهم على أعقابهم خاسرين ؛ إذ أن الوحشية إنما هى فى هذا القاتل الذى استباح دم أخ لأمر ما ، ومن استباح دم نفس واحدة سهل عليه غيرها . قال سبحانه : د من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا .

فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبشثوا عنها ، فهذه رحمة منه سبحانه من غير نسيان وإهمال . ألا وإن بما خالف فيه الناس تعاليم نبيهم أنهم انصرفوا عن الكتاب والسنة وعبدوا الله بأراء علماء لا يسنون من الخطأ ، وحسروا الشريعة في المذاهب الأربعة ولو كان ذلك فيه مخالفة لصريح السنة وظواهر الكتاب . وأعجب من هذا وذاك أنهم أبطلوا الاجتهاد ولم يعلموا أن في ذلك إهداراً للعقل ووأداً للفكر وركوداً للشريعة الخالدة ، وعدم صلاحيتها لكل زمن وجيل ، إنها لأحدى الكبر أن يحكم هؤلاء بإعدام العقل الذى هو هبة الله للإنسانية فيبطلون عنصر المرونة التى اختصت بها الشريعة الإسلامية . ومن أراد المزيد فليطلع على مقال قيم فى هذا الموضوع كتبه الأستاذ محمود الشرقاوى سكرتير تحرير مجلة الأزهر (شوال سنة ١٣٧٩ هـ أبريل سنة ١٩٦٠ م) تحت عنوان « المذهبية والتقليد » .

أما السياسة الاجتماعية والمدنية فقد طبعها المسلمون فى العصور الأولى للإسلام وساروا على منهجها فاستطاعوا أن يؤسسوا حضارة زاهية ويكونوا مجتمعاً صالحاً ويرفعوا الراية الإسلامية فى الصحارى والقفار والبر والبحر ،

ففيها عنصر المرونة التى تنطبق على كل جيل وقبيل ؛ لأن الزمان متجدد لا يقف ، وهـل الشريعة إلا هداية روحية ، وسياسة اجتماعية ومدنية .

أما الهداية الروحية فبينها على العبادات التى فيها غذاء النفوس وإصلاح القلوب وإيقاظ الضمير وإخراج الناس من ذل العبودية إلا لله وحده ، يرجون رحمته ويخافون عذابه فلكل عبادة من العبادات الصحيحة أثر فى تقويم الأخلاق وتهذيب النفوس متى أقيمت على وجهها الصحيح ، كما أن الأصل فى العبادة البطالان حتى يقوم دليل على الأمر ، إذ لا حرام إلا ما حرم الله ولا واجب إلا ما أوجبه الله ، ولا مندوب إلا ما ندبه الله ، ولا مكروه إلا ما كرهه الله ، ولا دين إلا ما شرعه الله — أما الأصل فى العقود والشروط فالصحة إلا ما أبطله الشرع أو نهى عنه ، وهذا هو القول الصحيح فإن الحكم ببطلانه حكم بالتحريم والتأثير وهذا لا يكون إلا من الله تعالى ، فكل شرط وعقد ومعاملة سكت عنها الشرع فإنه لا يجوز القول بتحريمها فإن سكت عنها فهذه رحمة منه من غير نسيان أو إهمال ، فعن أنى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ^(١) : « إن الله فرض

[١] للدارقطنى فى الأربعين النووية .

ناقة لرجل من مزينة فأتى بهم عمر فأقروا فأرسل إلى عبد الرحمن بن حاطب فجاء فقال له إن غلبان حاطب سرقوا ناقة رجل من مزينة وأقروا على أنفسهم فقال عمر : يا أبا كثير بن الصلت اذهب فاقطع أيديهم . فلما ولي بهم وهم ، ناداه عمر ثم قال : والله لولا أنى أعلم أنكم تستعملونهم وتجميعونهم حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له ، لقطعت أيديهم ، وأيمن الله إذا لم أفعل لأغرمك غرامة توجعك ، ثم قال : يامزني بكم أريدت منك ناقتك ؟ قال : بأربعائة . قال عمر : اذهب فأعطه ثمانمائة . وذهب أحمد رضى الله عنه إلى موافقة عمر .

المثال الثانى (١) أن عبد الرحمن بن الحكم الأموى أحد ملوك الأندلس باشر لإحدى نساته فى رمضان ثم ندم على جريمته وجمع الفقهاء وسألهم عما يكفر به . فقال له يحيى ابن يحيى تليذ الإمام مالك بن أنس وفقية الأندلس فيما بعد : تكفر بصوم شهرين متتاليين ، فلما خرجوا قال له بعض الفقهاء لم لم تفتنه بمذهب مالك وهو التخيير بين العتق والصيام والإطعام ، فقال يحيى : لو فتحناه لهذا الباب لسهل عليه أن يباشر كل يوم ويعتق رقبة ، ولكن حملته على أصعب الأمور لئلا يعود .

ويخاطبوا ملوك الأرض ، ويعبروا المحيطات ، ويشقوا الجبال ، ويتغلغلوا فى أحشاء أوروبا حتى دانت لهم الملوك وما كان ذلك إلا من قوة مبادئ الدين القويمة الرشيدة التى لم تكن مقتبسة من أحد ولا مما تعارفه البشر . وإنما كانت من مشكاة الوحي الإلهى الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

هذا وقد أجمع علماء الأمة سلفهم وخلفهم على أن أصول التشريع أربعة : الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والاجتهاد . أما القياس فإيراه جمهرة العلماء وبعضهم يقيده والاجتهاد إنما يكون فى الأمور التى ليس فيها نص من الكتاب والسنة ولا إجماع الصحابة ، فالعلماء يجتهدون فى استنباط الأحكام من السكليات التى تناسب كل عصر وجيل ، وأما العوام فيجتهدون فيما يلقى إليهم فيختارون ما تطهون إليه نفوسهم من الدليل ، أما التعصب المذهبى فليس من الدين فى شىء ، وهذا الاجتهاد لا يكون فى العبادات لأنها تمت أصلا وفرعا ، أما المعاملات فقد جاءت كلية لم تنص على الجزئيات ، وفوضت للعلماء أن يستخرجوا منها الأحكام التى تناسب تطوّر الزمان وارتقاء العمران ، واختلاف البيئة ، وفى ذلك يقول عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : « تحدث للناس أفضية بقدر ما أحدثوا » . والأمثلة فى ذلك كثيرة منها :

أنه كان غلبان لحاطب بن أبى بلتعة سرقوا

المباحة واللائذذ المشروعة ، وكل ما كان في دائرة الطيبات من غير إفراط ولا تفريط ، قال سبحانه (١) : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، . ولم تقتصر على تنظيم العلاقات بين العبد وربّه بل تجاوزته إلى تنظيم العلاقات بين الناس بعضهم ببعض بما شرعته من آداب وتشريع ، وقد وقفت من المعاملات موقف المصلح الاجتماعي والشارع القانوني فجعلت المعاملات المالية مبنية على قاعدتين : الأولى لا ضرر ولا ضرار ، والثانية دورانها على العرف في دائرة الطيبات : أحلت البيع والشراء والمضاربة والعارية والإجارة والشفعة والسلم والمزارعة وغير ذلك مما لا غبن فيه ولا حيف على أحد المتعاقدين ، وحرمت الربا والعقود الفاسدة لما فيها من الأضرار الجسيمة أو كان ضررها أقرب من نفعها . كذلك نظمت القوانين الجنائية والمعاهدات الحربية تنظيمًا لم تسبقه شريعة من الشرائع السماوية ولا الوضعية . شهد بذلك كثير من الأجانب المستشرقين . « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ، » (٢) .

ابراهيم عبر الباقي

وأراني مضطرا إلى أن أبين أن السنة هي الدرجة الثانية من الكتاب ، وأن السنة العملية مقدمة على السنة القولية في عهد الرسول والصحابة . أما بعدهم فلا ، وكان الإمام مالك رضى الله عنه يقدم عمل أهل المدينة على قول الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه يرى أنهم ثقة وعملهم من عمل الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولكن لما تأيدت دولة الحديث من بعده ظهر أن ثلث أقوال الرسول تخالف مذهب الإمام مالك ؛ لأنه كان من تابعي التابعين . وقد مضى على عمل الرسول عليه السلام أكثر من قرن ، فهذه المدة الطويلة حدثت فيها أعمال مخالفة لأعمال الرسول صلى الله عليه وسلم مما لا يجعل عمل أهل المدينة حجة مطردة بل يكون حجة إذا وافق كلام الرسول صلى الله عليه وسلم . رحمه الله الإمام وعلما الدين وجزاهم خيرا عن الإسلام والمسلمين .

أما اجتهاد غير علماء الدين من أولى الأمر فإنما يكون في الأمور الإدارية والقضائية والحربية وكل ما يتعلق بسياسة الأمة وشئون الدولة ، وقد تركها الله تعالى للعقل البشرى لأنه يستطيع أن يهتدى إليها بالتجارب والممارسة

وإجمال القول أن الشريعة الإسلامية قد أفرغ الله فيها جميع ما ينشده البشر من المتع

[١] سورة الاعراف رقم ٣٢ .

[٢] سورة البقرة رقم ١٣٨ .

الخرمات للجهنمية

لطلاب العلم في الإسلام

للأستاذ حسن عبد العزيز نصر

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

المكرم للغرباء وأهل الطلب كثيرة واسعة ، وأغرب ما يحدث به : أن سارية من سواريه - هي بين المقصورتين القديمة والحديثة - لها وقف معلوم ، يأخذه المستند إليها للذاكرة والدرس .

ويذكر أيضاً : أن بالجامع المكرم عدة زوايا على هذا الترتيب ، يتخذها الطلبة للنسخ والدرس والانفراد عن ازدحام الناس ، وهي من جملة مرافق الطلبة ، ويذكر أن الحركة العلمية لا تنقطع في هذا المسجد - نهراً ولا ليلاً - وأنه كان يجري فيه على أزيد من خمسمائة إنسان كل يوم ممن يقرءون القرآن الكريم - وهذا من مفاخر هذا الجامع المكرم فلا تخلو منه القراءة .

ويذكر عن أوقاف الشام فيقول : ومرافق الغرباء بهذه البلدة أكثر من أن يأخذها الإحصاء . ولا سيما لحفاظ كتاب الله عز وجل ، والمتمنين للطلب . فالشأن بهذه البلدة لهم عجيب جداً ، وهذه البلاد المشرقية كلها على هذا

أما في الشام فقد وصف أبو البقاء البدرى صالحية دمشق وما فيها من المعاهد العلمية فقال : ومن محاسن الشام الصالحية ، مشحونة بالزوايا والترب والمدارس ، حيث إن بها قسبة دون ميل ، تمشي فيها بين ترب ومدارس ببناء جميل . وذكر أيضاً : أنه في كل شرف من دمشق عدة من المدارس والمساجد ، ولكل واحد ما يكفيه من الأوقاف ، وذكر ما يبذله أهل دمشق لطلاب العلم فقال : وتقرب أهلها إلى الله تعالى ببناء المدارس ، رغبة في جوار المجرد الفقير البائس ، ورتبوا له من الخبز واللحم والطعام والزيت والحلوى والصابون والمصروف في كل شهر على الدوام .

وذكر ابن جبير عن جامع دمشق : وفيه حلقات للتدريس ، للطلبة والمدرسين ، فيها لإجراء واسع . وللإسكية زاوية للتدريس في الجانب الغربي ، يجتمع فيها طلبة المغاربة ، ولهم لإجراء معلوم ، ومرافق هذا الجامع

و (٤٥) مدرسة للحنفية ، و (١١) مدرسة للحنابلة ، و (٣) مدارس طب ، فضلاً عن التدريسات التي كانت في المساجد والزوايا - هذا ما كان في مدينة واحدة من مدن الشام . أما في القاهرة فكانت معاهد العلم فيها كثيرة ، بحيث عجز ابن بطوطة عن إحصائها ، فذكر عنها بأنه « لا يحيط أحد بحصرها لكثرتها ، كما أن بعض الجوامع فيها كانت أشبه ما تكون بالسكليات في هذه الأيام ، نظراً لما يدرس فيها من العلوم المختلفة . فالجامع الأزهر لم ينقطع منه التدريس منذ أسسه الفاطميون ، ثم تنوعت فيه حلقات التدريس في زمن الأيوبيين ومن تلاهم ، وأخذوا يوقفون له الأوقاف الكثيرة ، حتى صار عدد طلابه في القرن الثامن الهجري (٧٥٠) طالباً من مختلف الأجناس ، وتقرر فيه نظام الأروقة ، فكان فيه لكل طائفة رواق ، والجامع عامر بالدروس المختلفة ، بأنواع العلوم كالفقه والحديث والتفسير والنحو والآداب والفلسفة والحكمة ، والطلاب مكفولون بما أوقفه أهل البر والإحسان من حجي العلوم والمعارف ، وفضلاً عن هذا فإن أرباب الأموال كانوا يقصدون من فيه بأنواع السبر من الذهب والفضة والفلس ، وتحمل إليهم أنواع الأاطعمة والخبز والحلاوات وغير ذلك -

الرسم لكن الاحتفال بهذه البلدة أكثر ، والاتساع أجود .

وعلى هذا نراه ينصح طلاب أهل المغرب أن يرحلوا إلى بلاد الشرق فيجدوا لهم كل مساعدة في الحصول على العلم فقال « فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد ، ويتغرب في طلب العلم ، فيجد الأمور المعينات كثيرة ، فأولها فراغ البال من أمر المعيشة وهو أكبر الأعوان وأهمها ، فإذا كانت المهمة فقد وجد السبيل إلى الاجتهاد ولا عذر للبقر ... »

وهذه الحركة العالمة شاهداها ابن بطوطة الذي زار الشام بعد ابن جبير بقرنين من الزمن - كان ذلك بفضل ما أرسدها من الأوقاف الكثيرة ، وتقديم المساعدات المختلفة لطلاب العلم وذكر أن أهل دمشق يتنافسون في عمارة المساجد والزوايا والمدارس ، حتى أن بعضهم كان يهتم بتعليم الرجال الذين تعدهم سن التعليم ولم ينالوا نصيبهم من العلم - فقد رأى في صالحة دمشق مدرسة تعرف بمدرسة ابن عمر موقوفة على من أراد أن يتعلم القرآن الكريم من الشيوخ والكهول ، وتجري لهم ولمن يعلمهم كفايتهم من المأكل والملابس .

وأحصى النعمي ما كان في دمشق من معاهد العلم فإذا هي (سبع) دور قرآن ، و (١٩) داراً للحديث ، و (٥٩) مدرسة للشافعية ،

فكان في المدرسة الصالحية سنة ٦٤١ هـ
دروس أربعة للمذاهب الأربعة وعدة معيدين
ولها أوقاف كثيرة .

وكانت المدرسة الظاهرية التي بناها يبدرس
البندقدارى (٦٦٠ - ٦٦٢) من أجل
مدارس القاهرة . فيها مدرسون للمذاهب
الأربعة ، ومدرس لعلم الحديث ومدرس
للقرآن ، وخزانة كتب تشتمل على أمهات
الكتب في سائر العلوم ، وبجانبها مكتب
للأيتام ، ولهم الجراية المستمرة والكسوة .
وفي سنة ٨١٠ هـ بنى الأمير جمال الدين
الاستادار مدرسته . وجعلها من أعظم مدارس
القاهرة ، وجعل لها الشبايك من النحاس
المكفّت بالذهب والفضة ، وأبواب مصفحة
بالنحاس البديع الصنعة المكفّت . وجمع فيها
من المصاحف والكتب في الحديث والفقه
وغيره من أنواع العلوم جملة ، وكان فيها عشرة
مصاحف طول كل مصحف ، منها أربعة أشبار
إلى خمسة في عرض يقرب من ذلك ، أحدها
بخط ياقوت والآخر بخط ابن البواب ، وفيها
خطوط منسوبة ، ولها جلود في غاية الحسن ،
معمولة في أكياس الحرير الأطلسي ، ومن
الكتب النفيسة عشرة أحمال .

ورتب فيها أربعة شيوخ لتدريس فقه
المذاهب الأربعة ، ومدرسا للحديث ، وآخر
للتفسير ، وقرر عند كل مدرس طائفة من
الطلاب ، وبنى بها مكتبا للأيتام .

ولا يزال الأزهر في مقدمة المراكز العلمية
الإسلامية ، فكثرت معاهده ، وتنوعت
مناهجها ، وبلغ عدد من يدرس فيه عشرات
الآلاف كل ذلك بفضل أوقافه الكثيرة .

وكانت الحركة العلمية في جامع الحاكم
لا تقل عن الأزهر . ففي سنة ٧٠٢ هـ أعاد
بناءه يبدرس الجاشنكير ، ورتب فيه دروساً
أربعة لإقراء الفقه على المذاهب الأربعة ،
ودرساً لإقراء الحديث ، ودرساً للنحو ،
ودرساً للقراءات السبع ، وشيخاً لإفادة
العلوم ، وعمل فيه خزانة كتب جليلة وجعل
فيه عدة شيوخ لتلقين القرآن الكريم ،
ومعلماً يقرئ آيتاء المسلمين وأجرى على
جميعهم معالم دارّة .

وكانت التدريسات في جامع ابن طولون
سنة ٦٩٦ كما في جامع الحاكم المار ذكره
إلا أنه يزيد عليه أنه كان به مدرس يدرس
الطب ، ومدرس للتفسير ، وبلغت مستغلات
وقفه عشرين ألف دينار .

وقد أحصى المقرئ سنة ٧٤٩ هـ الحلقات
العلمية التي كانت في جامع عمرو بن العاص ،
فإذا هي بضع وأربعون حلقة لإقراء العلم
- ولها الأوقاف المستمرة .

هذا بعض ما كان في جوامع القاهرة . أما
المدارس فكانت كثيرة ، وكلها عامرة
بالتدريس .

كانت في الكثير من مساجدها ، فتجد فيها حلقات العلم المختلفة ، ونجد في بعضها ما في المدارس من الإجراءات على المدرسين والطلاب .

وأعظم مدارس بغداد : النظامية ، والمستنصرية .

أما النظامية فقد بناها نظام الملك سنة ٤٥٩ هـ ، وكانت أشبه ما تكون بالكلية في هذه الأيام ، فيها مدرسون لمختلف العلوم والمعارف ، وفيها مساكن للطلاب ، ولهم جميعاً من الإجراءات والخصصات ما يكفيهم ويسهل عليهم أمر الدرس ، وهي أول مفخرة من مفاخر نظام الملك الذي بنى المدارس في كثير من بلاد الإسلام ، ويسر أمر التعليم للطلاب .

أما المدرسة المستنصرية ، وهي التي بناها الخليفة المستنصر بالله العباسي سنة ٦٢٥ هـ . فكانت من مدارس العالم المشهورة ولا تزال بنايتها باقية إلى اليوم .

ولإذا نظرنا إلى التنظيمات الدقيقة التي كانت في المستنصرية ، فإننا نجد لها تقل عما نراه اليوم في الجامعات ، وهي تمتاز عن الأخيرة بأنها مفتوحة للغنى والفقير وللغريب وابن البلد ، ألسل سواء لهم حق الدرس فيها ، وحق التمتع بالجزايات التي شرطها الواقف وإليك ما كان فيها .

وأجرى لكل من في المدرسة ثلاثة أرطال من الخبز في كل يوم ، وثلاثين درهماً فلساً في كل شهر ، وجعل لكل مدرس ثلثمائة درهم في كل شهر ، ورتب فيها بعد هذا شيخاً للإقراء وإماماً وقومة ومؤذنين وفراشين ومباشرين ، وأوقف لها أوقافاً كثيرة .

أما في الإسكندرية ، فقد حدثنا ابن جبير عن أوقاف صلاح الدين الأيوبي فيها فقال : « ومن مآثر هذا البلد ، ومفاخره العائدة في الحقيقة إلى سلطانه ، المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطلب والتعب ، يفدون من الأقطار النائية ، فيلقى كل واحد منهم مسكناً يأوى إليه ، ومدرساً يعلمه الفن الذي يريد تعلمه ، وإجراء يقوم به جميع أحواله ، واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الفارين حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك ، ونصب لهم مارستاناً لعلاج من مرض منهم ، ووكّل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم ، وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر في مصالحهم التي يشيرون بها من علاج وغذاء . »

أما مدارس بغداد فكانت كثيرة ، وقد ذكر ابن جبير أن عدد مدارس الشرقية منها (الكرخ) ثلاثون مدرسة ، ومأمنها إلا وهي بقصر القصر البديع عنها ، كما أن التدريسات

وفي المدرسة مخزن فيه الأطعمة والأشربة والكسوة والشمع والصابون والأدوية — وكلها تقدم إلى الطلاب والمدرسين متى احتاجوا إليها .

وكان في المدرسة من كل طائفة إمام يصلي بهم ، وقارئ للسبعة وداع يدعو .

وفي المدرسة ناظر يتولى أمور أوقافها ، يساعده مشرف وكاتب ، وفيها معارية وفراشون وبوابون وحامى ومزين وقيم وطباخ وخازن الآلات وخزنة الديوان ومزملاتى ومؤذن ونقاط ، ولكل منهم جرايات ومشاهرات .

وفي المدرسة مكتبة تحوى آلاف الكتب المختلفة التى يحتاجها المدرسون والطلاب ، ولها من يقوم بأمرها : خازن ومشرف سوى المقيمين والفراشين والخدم .

وذكر المؤرخون أن الخليفة المستنصر بالله أمر بنقل كتب إلى خزانة المكتبة يوم فتحها ، فنقل إليها من الربعات الشريفة ، والكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية والعربية ما حمله (٢٩٠) حمالا - سوى ما نقل إليها بعد ذلك ، وذكر بعضهم أن عدد الكتب التى أمر الخليفة المستنصر بإيداعها إلى مكتبة المستنصرية كان ثمانين ألف مجلد ، ورتبت أحسن ترتيب مفصلا لفنونها بحيث يسهل تناولها ، ولا يتعب تناولها .

شرط الخليفة أن يكون عدد طلاب الفقه فيها مائتين وثمانية وأربعين طالبا ، من كل طائفة اثنان وستون ، وأن يجرى لهم المشاهرات الوافرة والإجراءات المستمرة من الخبز واللحم والحلوى والفواكه واللبن والصابون .

وفى دار للحديث ، يتولاها شيخ على الإسناد ، وقارئ عشرة طلاب حديث ، ولهم من الجراية ما لطلاب الفقه .

وفى ثلاثون صبياً أيتاما ، يتلقون القرآن المجيد من مقرأ متقن صالح ، ويحفظهم معيد معه . ولهم جراية مستمرة .

وفى شيخ نحوى يشغل عليه عدد من الطلاب يعلم العربية . ولهم من الجراية المستمرة ما لغيرهم .

وفى المدرسة من يشغل بعلم الفرائض والحساب إلى غير ذلك .

وفى المدرسة طبيب حاذق مسلم ماهر ، وعشرة طلاب من المسلمين ، يشغلون عليه بعلم الطب ، ولهم جراية مستمرة مثل ما لغيرهم .

وبنيت للطبيب صفة فاخرة مقابلة للمدرسة يجلس فيها يطب لمن يعرض له مرض فى المدرسة . ويعطى المريض ما يصف له الطبيب من أدوية وأشربة من الصيدلية التى كانت فى المدرسة ، كما كان الطبيب يتردد إلى مرضى المدرسة فى بكرة كل يوم يتفقدهم .

عامرة إلى اليوم مع أنه مضى على بعضها عدة قرون . فالمشهد الرضوى في النجف ، ومدرسة أبي حنيفة ببغداد ، وجامع الزيتونة بتونس ، وجامع القرويين بالمغرب ، والجامع الأموي بالشام ، وغيرها من المعاهد العلمية التي حافظت على مركزها بفضل ما أوقف لها .

هذا التنظيم الدقيق لخدمة العلم والأخلاق ، وضعه المسلمون ، وجعلوه ركناً هاماً من أركان الحضارة التي شادوها ، وأناروا للعالم سبل الهداية في القرون المظلمة ، في الوقت الذي كانت أوروبا فيه تتخبط في دياجير الظلام ، ويعتقد أهلها أن الجبر نوع من السحر ، وأن الساعة الدقاقة يحركها شيطان ، وحين كانت القراءة والكتابة محصورين في رجال الدين والنبلاء ، بينما كان أهل الأندلس يقرؤون ويكتبون وقلبا نجد بينهم من لا يحسن القراءة والكتابة وتكاد الأمية تكون معدومة بينهم .

هذه نبذة عن الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم عند المسلمين في بعض المدن . ولو أردنا استقصاء البحث في غيرها لاحتاج الأمر إلى بحث طويل ؟

مصطفى عبد العزيز نهم

أما أوقافها : فقد ذكر بعضهم أن قيمة ما وقف عليها يساوي ألف ألف دينار ، وبلغ ارتفاع وقوفها في العام نيفاً وسبعين ألف مثقال من الذهب ، وحتى قبل عما أوقف لها من القرى فقط . أن ثمن الثبن من غلات ريعها يكفي المدرسة وأهلها .

هذا ما كان في المدرسة الإسلامية قبل ثمانية قرون ، وهو يدلنا على مدى اهتمام القوم بالعلم وأهله ، وبذلهم الأموال الوافرة في سبيل إراحة الطلاب وتسهيل أمر الدراسة لهم .

وأن هذا التأمين الاجتماعي للعلم وأهله ، صار من الأركان التي لا يمكن أن تستغنى الدولة عنه ، فما أوقفه ملك أو أمير أو تاجر يبقى وقفاً مهما تبدلت الأوضاع السياسية للبلد ، فيبقى المعهد كما كان ، وأوقافه محبوسة عليه لا تمتد إليها يد ، ولا يتسلط عليها غاصب ، فشرط الواقف كنص الشارع . ولذا نجد بعض المؤسسات العلمية الإسلامية التي مضى عليها ما يزيد على ألف سنة ، لم تزل محافظة على مركزها العلى ، وهذا الجامع الأزهر خير دليل على ما نقول ، وهو لم يزل في توسع بيناته ومعاهده وعدد طلابه وشيوخه ، كل هذا بفضل الأوقاف الكثيرة التي رصدت له . وما يقال عن الأزهر يقال عن كثير من المدارس القديمة والتي هي

لغويات

للأستاذ محمد علي النجار

قولهم ثلاثمائة وتسعمائة

وليس معنى الشذوذ هنا الضعف والخروج عن الفصاحة اللغوية ، فإن هذا هو الفصحح لا يقبل غيره . فلا تقول خمس مئآت أو مئين ، ولو قلته كنت مخطئاً وجه الصواب ، وإن كان هو الأصل والقياس ، فرب قياس اعطرحه العرب وخالفوا عن أمره ، بل قد يؤثر هذا عن العرب فيحمل على الشذوذ في الاستعمال . ومن هذا قول الفرزدق :

ثلاث مئين للبلوك وفي بها
ردائي وجلت عن وجوه الأهاتم
وقول الشاعر :

ثلاث مئين قد مررن كواملا
وها أنا هذا أشتى مرة أربع
وينبغي أن يعلم أن المائة إذا وقعت تمييزاً لهذه الأعداد كان معناها المئات . ونرى سيبيويه يقول : « وليس بمستنكر في كلامهم أن يكون اللفظ واحداً والمعنى جميع ، حتى قال بعضهم في الشعر من ذلك ما لا يستعمل في الكلام . قال علقمة بن عبدة :

سأل الأستاذ محمد إبراهيم في الجزء السابق من مجلة الأزهر ، عن الذي دعا العرب إلى أن أفردوا تمييز الثلاث وما بعدها إلى التسعة إذا كان مائة . فتراهم يقولون : ثلاثمائة وأربعمائة ، وكان القياس على النظائر أن يجمعوا المائة فيقولوا : ثلاث مئآت وتسع مئآت مثلاً ؛ كما يقولون : خمسة آلاف وتسعة آلاف .

وأذكر أن هذا الاختلاف نبت عليه النحويون في أوائل تدوينهم للنحو ؟ فسيبيويه في الكتاب ١ / ١٠٧ يقول : « وأما ثلاثمائة إلى تسعمائة فكان ينبغي أن يكون مئين أو مئآت . » ومعنى هذا أن قولهم : ثلاثمائة جاء في العربية على خلاف ما كان ينبغي لهذا الضرب من العدد ، وأن في هذا شذوذاً عن النظائر . وتراه يقول بعد في هذا الموطن : « فقد يشذ الشيء في كلامهم عن نظائره ، ويستخف الشيء في موضع ولا يستخفونه في غيره . »

الشبه ، فيذكر أن الثلاث مع المائة وما بعدها إلى التسع بعدها عقد ليس من لفظها ، وهو الألف ، وكذلك أحد عشر إلى تسعة عشر بعدها عقد ليس من لفظها وهو العشرون ، ومثلها في ذلك العشرون إلى التسعين بعدها عقد ليس من لفظها وهو المائة ، ولما كان تمييز الأحاد عشر والتسعة عشر والعشرين إلى التسعين مفردا حمل عليها تمييز الثلاثة إلى التسعة إذ امتزجت بالمائة فأنت المائة مفردة ، فأما الثلاثة إلى التسعة مع الألف فليس فيها هذا ، ألا ترى أن التسعة مع الألف أى تسع المائة بعدها عشرة آلاف وهو عقد من لفظ تسعمائة وأسلوبه بخلاف تسعمائة فبعدها ألف كما سبق .

فإن قال القائل : إذا كانت هذه الأعداد شبيهة بعشرين وأحد عشر فهلا كان تمييزها منصوبا ؟ فالجواب أن لهذه الأعداد شها بالثلاث إلى التسع التي ليس تمييزها المائة إذ كان الجميع يشتركون في أن بعدها عقدا ليس من لفظها ، فهنا بعدها الألف وفي تلك الأعداد يليها العشرة ، فحملت ثلاثمائة على ثلاث نساء في الإضافة إلى التمييز وجره ، وهكذا أربعائة إلى تسعمائة .

ويقدم ابن الحاجب في شرح كافيته وجهها آخر لسبب هذا الشذوذ ، فهو يرى أنه لو ميزت هذه الأعداد بجمع المائة فقليل : ثلاث

بها جيف الحسرى فأما عظامها
فبيض وأما جلدها فصليب
وقال الشاعر :

لا تنسك القتل وقد سُبينا
في حلقكم عظم وقد شجِينا
وقال الآخر :

كلوا في بعض بطنكم تعفوا
فإن زمانكم زمن خميص
فقوله : جلدها في البيت الأول يريد جلودها . وهو يصف طريقا شاقة على السالكين تسقط فيها الإبل إعياء فتهلك وهي حسرى ، فتأكل السباع والطير ما على العظام من اللحم فتبدو بيضاء واضحة ، وتبقى الجلود صلبة يابسة إذ لم تلين بالدباغ . وقوله في البيت الثاني : في حلقكم يريد : في حلوقكم فوضع الواحد موضع الجمع . وقوله في البيت الثالث : في بعض بطنكم يريد : في بعض بطونكم .

وهنا يبرز السؤال العتيد ، وهو : لم اختار العرب هذا الوضع أى استعمال المفرد في معنى الجمع مع المائة ، ولم يجروا هذا مع الألف ، فقالوا : خمسمائة ولم يقولوا : خمسة ألف ؟ وقد أشار سيبويه إلى الجواب عن هذا السؤال في إيجاز ، فذكر أن هذه الأعداد شبهت بعشرين وأحد عشر فجاء تمييزها مفردا ويشرح السيرا في كلام سيبويه ويبين وجهه

من جاء بالحسنة فدر عشر أمثالها :

رسال الأستاذ أيضاً عن وجه تذكير العدد في الآية السكرية مع إضافته إلى الأمثال وواحدها مذكر ، وكان الواجب التأنيث . ويذكر النحويون في الجواب عن هذا أن المعدود هنا محذوف دل عليه ما قبله ، وهو الموصوف بأمثالها ، والتقدير : فله عشر حسنات أمثالها وهذا يبنى على قاعدة في العدد وهي أنه إذا كان المعدود صفة نائية عن الموصوف اعتبر حال الموصوف لآحال الصفة . ويرى أبو على الفارسي من أعلام النحاة أن الأمثال اكتسب التأنيث من المضاف إليه وهو ضمير الحسنة ، على حد قوله : ذهب بعض أصابعه ، وكما جاء في قراءة : تلتقطه بعض السيارة ، وهي قراءة الحسن ومجاهد وغيرهما ، وهي من شواذ القراءات .

لى الناصبة وتأنيب النفى :

ويعترض الأستاذ على قول النحاة : إن لن تنفيذ تأنيب النفى باعتراضين ، الأول قوله تعالى : « فلن أكلم اليوم لنسيا » ، والثاني قوله تعالى : « ولن يتمنوه أبداً » . ففي الآية الأولى قيد النفى باليوم ، وهذا يناهى التأنيب . وفي الآية الثانية يكون قوله (أبداً) تكراراً مع ما أفاده (لن) ، والقرآن ينزه عن مثل هذا .

مئات لقيلى فى بعض المواطن : ثلاث مئات امرأة ، وهنا يجتمع تأنيثان وجمع والجمع مؤنث ، فيكون هنا اجتماع ثلاثة تأنيثات فيما هو كالكلمة الواحدة أى المركب الإضافى وهم يستقلون اجتماع الأمثال ، بخلاف ما إذا قيل : ثلاثمائة امرأة ، وتراه لم ينظر إلى تمييز الثلاث بالمئين ، وهو الجمع الآخر الوارد فى الشعر كما سبق ، لأن التمييز بجمع المذكر السالم لا ينقاس كما أبانه الرضى ، ولما لم يجتمع مثل هذا فى قولك خمسة آلاف امرأة جا. وافية على القياس ولم يشذوا فيه .

ويرى الرضى فى شرح كافية ابن الحاجب أن المائة إذا وقعت تمييزاً تخطر فى ذهن المائة الواقعة بعد التسعين ، وكأنا ما هى شيء واحد ، والمائة الواقعة بعد التسعين وما قبله مما هو على صورة جمع المذكر السالم لا يحسن أن تأتى بصيغة جمع المؤنث السالم أى مئات لما هنالك من التناقض بين الجمعين ، فلهذا عدل عن مئات فى هذا المقام إلى مائة .

ويرى القارىء : أن تعليل ابن الحاجب والرضى مبنيان على أن وقوع مئين فى التمييز لا ينقاس ، وأنه لو كان هناك جمع تكسير للمائة كما هناك جمع تكسير للألف لما ساغ هذا الشذوذ .

الأنموذج ، إحداهما مطبوعة في مطبعة الجوائب ، والأخرى في مطبعة المدارس الملكية فإذا فيه : « ولن نظيرة لا في نفي المستقبل ، ولكن على التأكيد ، فلعل ابن هشام وقعت له نسخة فيها : « ولكن على التأييد » . وفي ارتشاف الضرب لا في حيان : « ولا تدل على نفي الفعل في جميع الزمان المستقبل ، نقل ابن مالك أن الزحشرى خص النفي بالتأييد ، وإلى أرى أن الزحشرى لو كان يقول بذلك لكان أخلق المواطن بذكره تفسير قوله تعالى في سورة الأعراف أن ترأى ، إذ يكون هذا حجة لمذهب الاعتزال في استحالة الرؤية ، وقد علمت أنه في هذا المواطن يذكر أنها للتأكيد .

وقد أورد النحاة على القول بالتأييد الاعتراضين اللذين أوردتهما السائل وأجابوا عن الآية الأولى بأن تأييد النفي إنما هو عدم التقييد ، فأما عند التقييد كما في الآية فلا ، إذ أن النفي قيد باليوم الحاضر . وأجابوا عن الآية الثانية بأنه لا تكرار فيها ، إذ التكرار إنما يكون بإعادة اللفظ نفسه أو إعادة مرادفه ، و (أبدا) و (لن) ليسا مترادفين ، إذ أن (لن) تفيد النفي والتأييد ، و (أبدا) لا تفيد النفي ، وعلى فرض التكرار فهو من باب التوكيد وهو كثير في القرآن الكريم .

(البقية على صفحة ٩٠٥)

وإلى أسوق هنا آراء النحاة في (لن) . يقول سيبويه في الكتاب ٣٠٥/٢ : « ولن نفي لقوله : سيفعل » يريد أن لن تفيد نفي الحدث في الزمن المستقبل . ويقول ابن يعيش في الكلام على لن : « وهو نقيض سوف وذلك أن القائل إذا قال : سوف يقوم زيد فنفي هذا : لن يقوم زيد ، وترى أن سيبويه لم يزد على أنها تفيد النفي في المستقبل ، ولم يعرض فيها لتأييد ولا تأكيد .

وجاء الزحشرى فذكر أن لن تفيد تأكيد النفي وتشديده . ذكر هذا في المفصل والكشاف فهو يقول في المفصل في مبحث الحروف « ولن لتأكيد ما تعطيه لا من نفي المستقبل تقول : لا أبرح اليوم مكاني . فإذا وكدت وشددت : قلت ، لن أبرح اليوم مكاني . قال الله تعالى ، لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين ، وقال : « فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي » ، وقال في الكشاف عند قوله تعالى في سورة الأعراف : لن ترأى : « فإن قلت : ما معنى لن ؟ قلت : تأكيد النفي الذي تعطيه لا . وذلك أن لن تنفي المستقبل . تقول : لا أفعل غدا ، فإذا أكدت نفيها قلت : « لن أفعل غدا » ، وقد تبعه ابن الحاجب والرضي .

وينسب ابن هشام في المغنى إلى الزحشرى أنه في كتابه الأنموذج في النحوى أن لن تفيد تأييد النفي . وقد رجعت إلى نسختين من

النفقة وصلتها بقانون الوضع الجديد

للأستاذ عباس طه

على الزوج لزوجته ولو في بيت أبيها مالم يطالبها الزوج بالنقل وتمتنع بغير حق ، وفرضا كذلك في حالة ما إذا كان الزوج موسرا وكانت لامرأته خادمة تجب عليها نفقتها بقدر ما يكفيها على حسب العرف ، بشرط أن تكون الخادمة متفرغة لخدمتها لا شغل لها غيرها . وإذا زفت إليه بخدم كثير استحققت نفقة الجميع إن كان ذا يسار ، وإذا رزق أولاداً لا يكفيهم خادم واحد يفرض عليه نفقة خادمين أو أكثر على قدر حاجة أولاده . وفي حالة ما إذا مرضت المرأة مرضاً يمنع من مباشرتها بعد الزفاف والنقل إلى منزل زوجها أو قبله ثم انتقلت إليه وهي مريضة أو لم تنتقل ولم تمنع نفقتها بغير حق فلها النفقة عليه ، فلو مرضت في بيت الزوج ثم انتقلت إلى بيت أهلها فإن طالبها الزوج بالنقل ولم يمكنها الانتقال لمخافة أو نحوها فلها النفقة .

وقد أوجب التشريع الإسلامى النفقة

منذ ثمانية عشر عاماً تقريبا رأت اللجنة المنوط بها وضع مشروع قانون العقوبات بوزارة العدل ، رغبة منها في حماية الأسر ، إضافة نص بمعاقة كل من يلزم بالانفاق على أحد من ذوى قرباه ، ويمتنع عن أداء هذا الواجب بالحبس مدة لا تزيد على سنة ، أو بغرامة لا تزيد على مائة جنيه: غير أن القانون خرج على الناس لا يحمل هذه العقوبة مما أفضى إلى التقاعس عن الاستجابة إلى أحكام المحاكم في مواد النفقات .

وفي هذا البحث تفصل ضروب النفقة تنويراً للأذهان وتنوياً بفضل شريعة القرآن في بناء العمران .

نوع التشريع الإسلامى النفقة إلى ثلاثة أنواع : نفقة واجبة على الزوج لزوجته ، ونفقة واجبة للأبناء ومن في حكمهم على الآباء ومن في حكمهم . ونفقة واجبة للأبوين ومن في حكمهما على الأبناء ومن في حكمهم .

ففرض في باب النفقة الزوجية تلك النفقة

والأم في حالة إعسار الأب أولى من سائر الأقارب بالانفاق على ولدها ، فإذا كانت موسرة مع إعسار الأب أمرت بالانفاق على ولدها ولا يشاركها الجد ، فإذا كان الأبوان معسرين ولهما أولاد يستحقون النفقة أمر بها القريب من منزلتهما كما أسلفناه . فإذا أبى الانفاق عليهم مع يسره أجبره القاضي عليها ويكون لانفاق الكبير في هذه الحالة ديناً على أبيهم المعسر يرجع به القريب عليه إذا أيسر سواء كان المنفق أما أوجداً أو غيرهما ، فإن كان الأب معسراً أو زمنياً عاجزاً عن الكسب فلا رجوع لأحد عليه بما أنفقته على ولده ، وإذا كان أبو الصغير الفقير معدماً وله أقارب موسرون من أصوله فإن كان بعضهم وارثاً وبعضهم غير وارث وتساوا في القرب والجزئية يعتبر الأقرب جزئية ويلزم بالنفقة . فإن كان له أم وجد لأم فنفقته على الأم ، وإن كان أصوله وارثين كلهم فنفقته عليهم بقدر استحقاقهم في الإرث ، فلو كان له أم وجد لأم فنفقته عليهما أثلاثاً : على الأم الثلث وعلى الجد الثلثان . فإن كانت أقارب الطفل الفقير المعدم أبوه بعضهم أصول وبعضهم حواش فإن كان أحد الصنفين وارثاً والآخر غير وارث يعتبر الأصل لا الحاشية ويلزم بالنفقة سواء كان هو الوارث أم لا .

عباس طه

البقية في العدد القادم

للا بناء على الآباء بأنواعها الثلاثة : فأوجب للإبن النفقة على الأب الحر ولو ذمياً لولده الصغير الفقير ذكراً كان أو أنثى حتى يبلغ الذكر حد الكسب وحتى تزف الأنثى إلى بعلمها : وأوجب على الأب النفقة لابنه الكبير الفقير العاجز عن الكسب كز من وذى عاهة تمنعه عن الكسب ، ومن كان من أبناء الأشراف أو من في حكمهم ، ولا يستأجره الناس في عمل من شأنه أن يغض من سمعة بيته أو يزرى بكرامته ، وللأنثى الكبيرة الفقيرة ولو لم تكن بها زمانة أو عاهة إلا إذا تزوجت ، فإذا تبين أن الأب ليس عاجزاً عن الكسب أو به عاهة تحول دون استدراار النفقة على غيره ألحق بالميت ، وتجب في هذه الحالة النفقة على من يليه في المرتبة مع تحقق شرائط الوجوب ، ومعلوم أن النفقة تعتمد الجزئية والإرث في وجوبها أما إذا كان الأب معسراً ولا زمانة به ولا عاهة تحول دون اكتسابه فلا تسقط عنه النفقة لمجرد إعساره لولده ، بل مفروض عليه أن يكتسب وينفق بقدر الكفاية ، فإن نفقة الأقارب معتبرة عند الفقهاء ضرورة طارئة ، وإنما تقدر الضرورة بقدر ملابتها ، فإن أبى مع قدرته على الاكتساب يجبر على ذلك ويحبس في نفقة ولده ، فإن لم يف اكتسابه بحاجة الولد أو لم يكتسب لعدم تيسر الكسب أمر القريب بالانفاق على الولد بالنياية عن أبيه ليرجع على الوالد إذا أيسر مستقبلاً :

مَا يَقَالُ عَنِ الْإِسْلَامِ

كلام عن الإسلام والعرب

في كتابين حديثين

للأستاذ عباس محمود العقاد

أن اسم الإسلام نذير بالخطر يكفي أن يذكر لهم
ليدركوا أنهم مهددون بما يوقظ النائم وينبه
الغافل ولا يحتاج بعده إلى نذير .

وفرغت من الفصل فلم أجد فيه وجها
من وجوه المشابهة غير أن الإسلام دعوة
والشيوعية دعوة ، أو هي كما سماها (دين
دنيوي) يقوم على عقيدة (إيمانية) تجرى مع
الشعور ولا تجرى مع المنطق والمعرفة البرهانية
وهذا كل ما هنالك من مشابهة بين النذيرين . ١ .

وقد زعم المؤلف أن خطة ستالين في (تشيخ)
القارة الآسيوية أو إكراهها على قبول الشيوعية
ليست إلا تكراراً لخطط القادة الآسيويين
أمثال محمود الغزنوي وطفغرل بك وألب
أرسلان ، وأن هذه الخطط جميعاً تعتمد
على سلاح الدولة وسلاح العقيدة وتتخذ
العقيدة أحياناً وسيلة لقلب الدولة كما تتخذ
الدولة أحياناً أخرى وسيلة لقلب العقيدة .

لكن ما هو وجه الشبه بين دعوة تخاطب
الناس من كل طبقة وبين دعوة تلغى الإنسانية

كتابان من المطبوعات الحديثة قرأت فيهما
كلاماً عن الإسلام والعرب ، وعن تقدير
الحضارة العربية .

فتحت أحدهما فوجدت في صدره فصلاً
مطولاً بعنوان : « إسلام القرن العشرين » ،
يخطر لي أن المؤلف يتكلم عن تطور الإسلام
في هذا القرن ويشرح آراء المجددين المصلحين
من أئمتهم أو عادات المسلمين المعاصرين مع
المقابلة بينها وبين عادات المسلمين في القرون
التي سبقت القرن العشرين .

ولكنني لم أقرأ من الفصل بضعة أسطر
حتى ظهر لي أن المؤلف إنما يتكلم عن الشيوعية
الماركسية ويحذر العالم الغربي من أخطارها
لأنها - كما يقول - غزوة جديدة تهدده في كيانها
كما هددته الإسلام في القرن السابع لليلاد . . !
وإنه لتضمنين من المؤلف أوضح وأبلغ
من التصريح ؛ لأنه يعلن رأيه ورأى قرائه
المقصودين في موقفهم من الإسلام ، وبين
لنا أن هناك قوماً من بني جلدته يحسون

مقرظوه : إنه ناقص ثاقب النظر يرى بنظره إلى بعيد . ! .

أما الكتاب الآخر فاسمه « العرب ، واسم مؤلفه « هارى أليس ، وهو كاتب صحفى قضى فى الشرق الأوسط حقبة غير قصيرة مشغولا بمراقبة الأحوال ومراسلة الصحف العلمية ، وكتابه أشبه بكتب الدراسة فيما يعرض له من التاريخ القديم ، وأشبه بمقالات السياسة فيما انتهى إليه فى ختام فصله الأخير .

يبدأ المؤلف تاريخه الموجز من العصور السابقة للأديان الكتابية ، ويعتبر تاريخ العرب أصلا لتواريخ الحضارات التى عمرت طويلا بين النهرين وبين البحرين ، أى البحر الأحمر وبحر الروم .

ثم يوجز الكلام عن دعوة الإسلام فيقول ، بعد خليط من الحقائق والأوهام : إن سنة

٧٣٢ م وافقت ذكرى وفاة النبي محمد (صلوات الله عليه) فبلغت بدعوته أقصى المغرب وكادت أن تصل إلى أقصى المشرق ، ولم يكن السيف وحده قوام الدعوة بل كان كثير من أبناء البلدان المفتوحة يقبلون

على الإسلام لتفضيلهم إياه على عقائدهم ، أو لأن الدخول فى الإسلام يرفع عنهم الضرائب التى تجبى من غير المسلمين ، ولكن

ولا تعرف لها تاريخا أو مستقبلا غير تاريخ طبقة واحدة ؟ .

وما هو وجه الشبه بين دعوة تصحح المجتمع أو تعالج أدواءه وبين دعوة تهدم المجتمع ولا تبقى منه بقية تربط بين حاضره وماضيه ؟ .

وما هو وجه الشبه بين دعوة نحصى عدد الضحايا من أعدائهم ومقاوميه فلا يزيد على بضعة ألوف فى مائة سنة ، وبين دعوة نحصى عدد ضحاياها فى موطنها وحده فيزيد على عشرين مليوناً فى بضعة سنوات ؟ .

وما هو وجه الشبه بين الصديق والفاروق ، وبين لينين وستالين ؟ .

إن كل شئ فى الإسلام والشيوعية يختلف أشد الاختلاف غير اسم الدعوة أو اسم العقيدة ، إن صح وصف المؤلف للشيوعية بأنها عقيدة دينية .

ولكن الشبه المهم الذى جمعه المؤلف تحت عنوان فصله إنما هو فى « النذير » الصريح باسم الدعوتين ، وكفى به عنوانا يغنى عند قرائه المقصودين ، وعندنا نحن ، عن صفحات ومجلدات ! .

هذا الكتاب اسمه « الشيوعية من وجهة العلوم الاجتماعية والنفسية ، واسم مؤلفه الأمريكى جـول مونيروت ، ويقول

باللغة العربية إلى الغرب من القارة الآسيوية عن ثلاثين مليوناً بين جزيرة العرب ووادي النهرين وسائر أقطار الهلال الخصيب ، وقد يبلغ العارفون بالعربية من غير العرب عدة ملايين .

والخصلة الأخرى التي ينساق إليها المؤرخ الغربي عن سوء فهم منه للظواهر الفنية أحياناً هي التطفيف من نصيب الذوق العربي الخالص من نهضة الفنون والثقافة في الدول الإسلامية أو د الامبراطورية ، الإسلامية كما يسميها

فقد يكون المهندسون أجانب عن السلالة العربية الخالصة ، ولكن الذوق العربي بلا جدال هو الذوق الذي غلب على هندسة المعمار في كل قطر من أقطار المشرق والمغرب ، وما من أحد ينظر إلى العمدان والأقواس التي تحمل القباب ثم يشك في قيامها جميعاً على أساس من إلهام « النخلة » بقوامها المديد النحيل وقبتها المعرشة وأقواسها المتناسقة على جهاتها الأربع ، وليس التقابل بين الأشكال الهندسية على النسق المعروف عند الإفرنج باسم (الأرابيسك) إلا تكراراً في فن البناء للتقابل بين القوافي والأعاريض والشطور في فن القريض .

ولا نكران لنقد الناقدين من جهابذة الفن الذين يأخذون على فن « المعمار ، العربي

لا يفهم من ذلك أن المسلمين الذين دخل آباؤهم في الإسلام فراراً من الضريبة كانت عقيدتهم الإسلامية هينة عليهم ، بل كان هؤلاء المسلمون يذودون عن دينهم مستهينين مستهينين كلباً هوجمت ديارهم بعد سقوط د الامبراطورية الإسلامية ، حوالى القرن الثالث عشر للميلاد .

قال : « وإن العرب الذين كانوا قبل الإسلام بدوا جفافة جلبوا إلى دولتهم الواسعة هديتين جليلتين : إحداهما الديانة التي نشر بها محمد (عليه السلام) ... والأخرى اللغة العربية ... فأصبح اللسان العربي واسطة المعاملة كما أصبح واسطة التعليم والثقيف ، فزاد عدد الكتب التي كانت تظهر باللغة العربية بين القرن التاسع والقرن الثاني عشر للميلاد على جملة الكتب التي ظهرت يومئذ بجميع اللغات الأخرى .. ولم يخالف المؤلف ديدن زملائه في خصميتين ملازميتين لاكثر الكاتبيين عن الإسلام والعرب من الأوربيين ، فإنه ليستريح إلى الإفلال من عدد المتكلمين باللغة العربية فيحصيهم بنحو خمسين مليوناً وهو يستطيع أن يعلم بغير حاجة إلى البحث الطويل أن خمسين مليوناً يتكلمون العربية ويعيشون في إفريقية الشمالية وحدها دون سائر الأمم الإفريقية الأخرى وراء مراکش والجزائر وتونس وليبيا ووادي النيل ، ولا يقل المتكلمون

أما أن تجريد المعمار العربي من الرسوم الحية لم يكن يرجع إلى فقدان التعاطف بين العربي وسائر الخلائق الحية ، فهو حقيقة لا تخفى على من يروى القليل من الشعر العربي فضلا عن الكثير . فإن الشاعر الذي لا ينسى الناقة ولا الفرس ولا الربيع والمرعى قبل عصر الحضارة خليق أن يحس الحياة والأحياء تحت قبة السماء ؛ ولا ينتظر أن يخلق إحساسه بها تحت قباب الهياكل والقصور .

ويقتل المؤلف من حديثه عن عصر الحضارة إلى حديثه عن قضايا العصر الحاضر ، فلا يفوته أيضا أن يدلى بدلوه في تلك السخافة التي تعاهد عليها زملاؤه الصحفيون ، أو المؤرخون العصريون من أبناء الغرب كلبا ذكروا قضية فلسطين . . فهي عندهم قضية كسلبها عصابات إسرائيل من الأمم العربية في ميدان القتال وانتصرت فيها بجيشها وسلاحها على دول العرب مجتمعات ، ولم يكن أحد بعيدا عن الشرق الأوسط - يجهل أن إسرائيل كانت تحارب بسلاح الدول الغربية وما لها ، وكانت تلقى التشجيع من تلك الدول فتزحف على الأرض المحرمة ويصبح احتلالها تلك الأرض «أمرا واقعا» ودحقا مكتسبا ، على حين يضطر العرب إلى الجلاء عن أماكنهم بأمر السادة المسلمين على حكوماتهم وجيوشهم ، ثم يقتل وسطاء الهيئات الدولية الذين

خلوه من صور الكائنات الحية ومن صور النبات في أكثر الأحيان ، ولكن هؤلاء النقاد ينسون أن مذهب المعمار العربي قابل للدفاع عنه من الجانب الفني الخالص وإن ظنوا أن الدفاع عن هذا المذهب مقصور على الجوانب الدينية ، فقد رأى الفيلسوف الكبير د عمانويل كانت ، أن الفن الخالص يتمثل في المعمار العربي وحده ، وقلبا يتمثل على هذا النحو في فنون المعمار الأخرى ، لأن جماله مستمد من جمال الأشكال الهندسية غير مستعار من الصور والأشياء التي يقاس بها بغير مقاييس الهندسة ومقاييس البناء ، ومن الإنصاف للذوق العربي أن نذكر أن أشكال الهندسة أقرب إلى قوام الجدران والسقف والعمود الحجري من الصور الحيوانية أو النباتية ، فإذا حسنت التحلية بصور الأحياء أو صور النبات فأحرى أن يوكل ذلك إلى نقش الرسوم التي تعلق بالواحا على الجدران ، كأنها بعض الأثاث الجميل بين سائر المقتنيات الفنية التي تحتويها الحجرات والبيوت .

ومادام الأمر لا يرجع إلى فقدان التعاطف بين الإنسان وسائر الخلائق الحية فلا معابة فيه على الذوق ولا على الشعور ، ولكننا نقسم لمواضع الجمال الفني حيث ينبغي أن توضع من جدران البيوت أو مقتنيات البيوت .

وبيت القصيد من هذا كله ينجلي عند ختام الكتاب من الأسطر القليلة التي عقب بها المؤلف على كلامه عن النفط في البلاد العربية وعن القوة التي تستفيدها هذه البلاد من تزامم الأمم على آبارها وإدراكهم لخطرها كزها في معترك السياسة العالمية ، وهذه هي أسطر الختام منقولة بحروفها :

... كلما ازدادت ثقة العرب بقوتهم وجب عليهم أن يثقوا بشعوب الغرب التي تعودوا أن يسيثوا بها الظنون منذ أيام الوصاية والانتداب ، وعلى الغربيين — من جانبهم — أن يذكروا أنه قبل قرون عديدة سبقت وصول الرجل الأبيض إلى أمريكا كان العرب سادة الدنيا وزعماء حضارتها ؟

عباسي محمود العقاد

يكفون إسرائيل عن العدوان أو يترددون في استجابتها إلى دعوها فلا يناها من جراء قتلهم جزاء ولا يحول بينها وبين المزيد من معونة السلاح والمال .

إن البعيدين عن الشرق الأوسط يعلون ذلك فلا ينساقون إلى القول بانتصار إسرائيل عن حسن نية ، ولا يقررون هذه السخافة إلا وهم يتعمدون المغالطة ويسترون الجريمة المشتركة بين حكوماتهم وعصابات الصهيونية العالمية ، فإذا بدرت تلك السخافة من مقيم في الشرق الأوسط مطلع على الأخبار من مصادرها فهو في الواقع يتدع تلك السخافة ويعمل على ترويجها ولا يتورط فيها مضطرا إليها بعد اختراعها وترويجها .

(بقية المنشور على صفحة ٨٩٨)

تأييد نبي الكلام طول اليوم كما لو قالت : لا أكلّم اليوم إنسيا أبداً أي في جميع أوقات اليوم ، وكذلك قوله تعالى لن تراني . لا يفيد استحالة الرؤية ونفيها في الآخرة على القول بأن لن تفيد التأييد وأن موسى عليه الصلاة والسلام إنما سأل الرؤية في الدنيا فقوله ، لن تراني ، أي في الدنيا ، فهي تفيد تأييد نبي الرؤية في الدنيا فأما الآخرة فلا حديث عنها .

محمد علي النجار

وابن يعيش في شرح المفصل يرى مذهبا آخر في التأييد . فتأييد النبي عنده بلن يكون على حسب الفعل المثبت قبل ورود لن فإذا قال القائل : سأسافر فقلت : لن تسافر فعني ذلك تأييد نبي السفر المطلق ، وإذا قال سأسافر غدا فقلت : لن تسافر غدا ، فعني ذلك عنده تأييد نبي السفر في الغد أي في جميع أوقات هذا الزمن ، وعلى ذلك قول مريم عليها السلام : فلن أكلّم اليوم إنسيا . معناه

مُحَمَّدٌ أَرْزَقَ الشَّجَرُ الْقَدِيمَ وَالْحَدِيثَ

ذَكَرَى الْوَحْدَةَ

لِلأُسْتَاذِ مُحَمَّدِ رَجَبِ الْبَيْتِيِّ

[روح صلاح الدين البطل الخالد يتحدث عن
الوحدة الرائعة بين مصر وسوريا] .

طَرْتُ عَنْ عَالَمِ الْعِيَانِ وَحَلَقْتُ
أَتَخَطَّى الذَّرَى لِأَسْبَحَ فِي النُّو
حَيْثُ تَأْوَى فِي قُبَّةِ الْخُلْدِ أُرْوَا
تَأْخُذُ الْعَيْنَ بِالسَّنَا وَيَفُوحُ الْآ
فَتَسْمَعُ نَبْأَةَ هَفَّتِ الْأَسْمَا
كَهَفَّتْ عَذْبَةً فَسَلَّاحَ وَقَارُ
قَالَ : مِنْ سُنَّةِ الطَّبِيعَةِ أَنْ يَبْدُ
يَدْلُهُمُ الدَّجَى فَتَنْتَفِضُ الْآ
فَإِذَا النُّورُ رَاقِصٌ رَقْصَةَ الْمَو
سَيَمِيدُ التَّارِيخُ مَا كَانَ بِالْأَمْرِ
قُلْتُ : أَفْصَحُ ، فَرُبَّمَا كَانَ مِثْلِي

مَلِيًّا عَلَى ضِفَافِ الْغُيُوبِ
رَ عَلَى قَمَةِ الْفَضَاءِ الرَّحِيبِ
حُ الْهَالِيلِ مِنْ بُنَاةِ الشُّعُوبِ (١)
رَجُ مِنْ حَوْلَهَا بِأَذَى الطُّيُوبِ (٢)
عُ مِنْهَا إِلَى كَبْشِيرِ حَبِيبِ
يَتَجَلَّى مِنْ وَجْهِ شَيْخٍ مَهِيبِ
سَمَ وَجْهِ الْحَيَاةِ بَعْدَ الْقَطُوبِ
مَالُ شَوْقًا إِلَى صَبَاحِ قَشِيبِ
جَ عَلَى مَسْرَحِ الْخُضْمِ الرَّغِيبِ (٣)
سَ قَتِيدُو ذُكَاؤُ بَعْدَ الْمَغِيبِ
فِي اكْتِنَاهِ اللَّيَالِي غَيْرَ لَيْبِ

* * *

قَالَ كَانَ الشَّامُ الْعَزِيزُ لِعَمْدِي
رَحَفَ الْغَرْبُ يَسْتَحِثُّ الرِّزَايَا
فَجَرَّ الْأَرْضَ بِالدَّمَاءِ وَفَاضَ الدِّ
عَاصِفٌ يَمْحَقُ الزَّرْعَ وَيَرَى

مِثْلُ مِصْرٍ يَشْكُو سُعَادَ الْخَطُوبِ
مَرْبَدَاتٍ فِي مَوْجِ جَيْشِ صُلَيْبِي
مَعُ مِنْ فَوْقَهَا كَغَيْثِ صَيْبِ !
أَهْلَاتِ الْقُصُورِ بِالتَّخْرِيبِ

(١) الْهَالِيلُ : السَّادَةُ . (٢) الطُّيُوبُ : جَمْعُ طَيْبٍ . (٣) الرَّغِيبُ : الْوَاسِعُ .

رام سحق الإسلام في موطن الإسـ
فشكت يثرب ، ومكة دوتـ
والمحاريب كالمآذن تدعو
عصفت نخوق وفارت عروقي
قلت لا بد أن أوحـد قومي
فالتقت مصر والشأم معا في
وحشـدت الصفوف حولـى وداهمت
كم كـمى من البـواسل عندى
الصناديد هاجهم هائج الشر
يغتذى من دماهم وهج الحقد
أكبر الحقد إذ يشب على با
إنه الثأر للكرامة يمحـو
رؤـع الغاصب الدخيل لـزحف
حاول الكر واثبأ فرأى الكر
فانشى ينشد الفرار فأطبـقنا
فتهاوى على الدروب قتيلا
هكذا الوحدة الأبية أهدت
قلت : من أنت ؟ قيل هذا صلا
حدثنى نفسى به إذ عرفت البطل
وجلا بسمة فلاح وقار
ثم والى الحديث ؛ مر زمان
فاذا الشرق والعروبة أربا
نـعق البوم فى مرابعها السـحم
الصوص الأوغاد عادوا إلى الشـرق فساموه قسوة التعذيب
ذهبوا بالدم الصليب نواحيه فأضحت وحشية التذهيب

لام إذ شن جائحات الحروب
بالنجيب الزئان إثر النجيب
دعوة الضارع الشجى الحريب
فتقدمت لانتقام رهيب
وبهم أتقى مهـب الكروب
وحدة ضمت ثخين الندوب
قوى الظالمين غير هيوب
علم الضاريات صدق الوثوب
خفـفوا إلى الحسى المسلوب
وللحقـد حرقـة كاللهيب !
غ أئـم فى قلب شهم غضوب
حسرة العار بابتهاج القلوب
سد فى وجهه طريق الهروب
نذيراً بهول يوم عصيب
عليه بجاحم من شعوب (١)
دنست منه طاهرات الدروب
راية النصر للشرى المغلوب
ح الدين فاهتز خافقـى بالوجيب
الفـد من صدى الأسلوب
يتجلى من وجه شيخ مهيب !
سارت الشمس فيه نحو الغروب
ض قدجـت بحالك غريب (٢)
ودوت غربانها بالنجيب (٣)
رق فساموه قسوة التعذيب
فأضحت وحشية التذهيب

(١) شعوب : الموت (٢) غريب : أسود (٣) السـحم : جمع سحاهـى هى الظلمة .

سلبوا خيره ليحيوا بما غا
 وذووه إن اشتكوا صولة البغي
 حذق الغرب كل دهياء تربي
 ففرنسا كأنجلترا تستقيحان
 فصموا وحدة العروبة كي هووا
 ثم زادوا ففجروا في فلسطين
 علة أعضلت وليس سوى الو
 خاطر جاش في فؤادي فغرد
 لتميت أننى أدع الخلد
 ثم آتى الحياة كي أجعل الخلد
 ما أحب الحياة يجتازها الليث
 غير أن الهاتف في مصر دوى
 صاح فيها « الرئيس » بالوحدة
 وضعا محكم الأساس لصرح
 أرأيت السحاب جاد على البحر
 فعلا الموج ثائرا يقذف اللج
 ما بصادف من الحوائل يحطمه
 هكذا الوحدة الأبية غالت
 زحزحت كل عائق وترامت
 بزغ الصبح صبحها فتهاد
 وغداً يغمر الضحى كل شعب
 إن من سنة الطبيعة أن يد
 يدلم الدجى فتنتفض الآمال
 يقفر الموج من تعاشيبه الخضر
 ثم يأتى الربيع مؤتلق الوجهه

لوا من الرفقة والرخاء الخصيب
 ننتهم بشاعة الترهيب !
 شرها الجيم خنكة التجريب (١)
 بمصر وأختها كل حوب (٢)
 على أهلها حداد النيوب
 براكين من اظلى مشبوب !!
 حدة في برء دائها من طيب
 ت أناجيه كالخيال الحبيب
 بما فيه من صفاء وطيب
 لم عياناً يزيل مض الكروب
 بياس جسد وعزم صليب
 فتسمعه بقلب طروب :
 السكبرى فألقى « شكري » أعز مجيب
 شاق صدق كل ريح هبوب
 بفيض من الحيا المسكوب
 ويرمى بدافق شؤبوب :
 فيمهد كأنهيار الكشيب :
 شائنها في زحفها المرهوب
 تستحث الخطى انصر عجيب
 ي الشرق زهواً في ضوئه المحبوب
 عربى يبغي اقتياد الشعوب !
 سم وجه الحياة بعد القطوب
 شوقاً إلى صباح قشيب
 فما فيه غير محل جديب
 فيكسوه كل زاه رطيب

(١) تربي : تزيد . (٢) حوب : ذنب .

قال ما قال واستراح فراح
سل في عصره السيوف فلما
وتقدمت أستزيد فشعت
قلت : هذا تفاؤل قال بل
قلت : أين الدليل ؟ قال جلى
ومضى في تساؤل هفت الآء

* * *

قال : هل ثم أجنبي دخيل
قال : هل ثم ذلة وانهار
قال : هل في الصفوف بعض اختلاف
قال : ما كان موقف الغرب منكم
أبرم الخطبة الدنيئة للغز
قال : حدث عن اليهود بإسر
هاجمهم أسودد العروبة فارتا
أيقنوا أن وحدة ذات بأس
قال : ما تبغون ؟ قلت سلام
قال : أين السبيل ؟ قلت حياد
نحن في شرعة المساواة أندا
قال : فيما ذكرت أقوى دليل

قلت : كلا ، قد بان كل غريب
قلت : بل عزة الحسيب النسب
قلت : لإجماع معشر مستجيب
قلت : أمسى بلوعة المنكوب
و ولى بصفقة المغلوب
ائيل قلت ابتلوا بشر حزيب (٢)
عوا يشقون سابغات الجيوب
سوف تودى برهطهم عن قريب
تنصافى لديه كل القلوب
حال بين التثريب والتغريب
د فم شذ ، بام بالتثريب (٣)
زاد من غبطتى فيا نفس طيب

* * *

ومضت لحظة فشطت عن العـين
فأتيت الحياة أعلن ما كا
أرصد الوحدة التى تشمل العصر
آه من لى بساعة كالتى مرت

تجاوزت العالمين
ن لقوى ولم أكن بكذوب
ب جميعاً مع الغد المرقوب (٤)
سريعاً على ضفاف الغيوب

محمد رجب البيومي

(١) لآلات : أشرفت . (٢) حزيب : مهلك . (٣) التثريب : اللوم . (٤) أرصد : أرقب .

بريد المجلة

إلى الأستاذ محمد زكي عبد القادر :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . وبعد :
فإننا نعتقد أن الغيرة على الأزهر تكاد
تسكون طبيعة في نفس كل مسلم بل في نفس
كل عربي ، فلا عجب - يا أخى - أن يخط قلبك
ويسجل ما تراه واجباً على أمتنا نحو هذا
المعهد العتيق الذي جعله الله قوة واثخة الأثر
في مجتمعتنا بل في العالم الإسلامي عامة .

ونحن إذ نحى فيكم روحكم الغيور ، نرجو
من صميم قلوبنا أن يقتضى بكم غيركم ممن يملك
سبيل النقد والتوجيه في هذه الفترة الحاسمة
على الأزهر وما يشعه من نور وهداية ومعرفة
على المسلمين في جميع البقاع .

والحق يا أخى أن الأزهر في عهده الجديد
ليس في عزلة ، ولا هو يعرف العزلة وإنما
هو وطيد الصلة بالمجتمع - مجتمعتنا الأكبر
الذى يتسع لرسالة محمد بن عبد الله ، ذلكم
أنه ما من مشكلة دينية أو اجتماعية أو ثقافية
أو توجيهية ، إلا كان له فيها رأى ولعلنا
فيها فكرة ، ولهم فيها نشاط . وأنه ما من
مناسبة من المناسبات الوطنية أو العالمية إلا
أسهم فيها بكل إمكانياته ومقوماته .

لقد وقف الأزهر سداً عالياً فترة حاولت
فيه بعض المبادئ الهدامة أن تندفق إلى أرضنا

الطيبة فحال دون هذه المبادئ أن تجد
السبيل إلى صرحنا المسكين فأصدر البيانات
القسوية ، ونظم الدراسات التوجيهية للسادة
الوعاظ ، بما كان له الأثر الطيب والنتيجة الرائعة .
إننا جادون دائماً في أن نربط بين الأزهر
كشعلة مضيئة فياضة بالعلم والمعرفة وبين
مقتضيات الحياة التي يراها الناس أمراً ضرورياً
في حياتهم وفي اتجاهاتهم ، فلأول مرة يصدر
الأزهر كتاباً في الفتوى يجمع بين احتياجات
المسلمين على اختلاف أجناسهم ويحقق الترابط
بين ما جرد من أمورهم وبين الشريعة الغراء ،
ولأول مرة يصدر الأزهر مؤلفات قيمة تحيط
بجميع النواحي الإسلامية المستعمدة من
كتاب الله وسنة رسوله في قالب أخاذ يستميل
النفس والمشاعر إلى ماحقق الإسلام من عدالة
وتوجيه ، معالجة بذلك مشاكل المسلمين
الدينية والاجتماعية بل السياسية أيضاً . فهذا
كتاب « من توجهات الإسلام » ، وكتاب
الإسلام عقيدة وشريعة ، والإسلام
والعلاقات الدولية ، الخ .

إن رسالة الأزهر التي تنفذ إلى القلوب
والتي تنشق منها القوة الفعالة لا بد لها من
أيدٍ أمينة تعاون على حملها ونشرها في العالم
أجمع حتى يتم الترابط الوثيق بين حالة الأزهر

مقال الجبراه والشيعة :

لا تزال الضجة قائمة بين علماء المسلمين وعقلائهم على الكتاب الشديد الذي وجهه إبراهيم الجبران إلى فضيلة الأستاذ الأكبر في مجلة (راية الإسلام) التي تصدر في الرياض باعتباره داعياً إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية . فقد تلقى مكتب شيخ الأزهر سيلاً من البرقيات والرسائل من مختلف البلاد العربية والإسلامية يحتج فيها مرسلوها على ما جاء في هذا المقال من الطعن في مذهب الشيعة في الوقت الذي يعمل فيه زعماء المسلمين على توحيد الكلمة وتأكيد الوحدة . والمقال في ذاته لا يستحق هذا الاهتمام لأنه رأى كاتب غير مسئول أخطأ الصواب فيما كتب ، ومجلة غير رسمية خانها التوفيق فيما نشرت . وليس الكاتب سعودياً فقد تبرأت السعودية من فعلته ، ولا كويتياً فقد أخرجه الكويت من أرضه . والوحدة الإسلامية أقوى من أن ينال منها مثل هذا العبث ، والطائفة الشيعية أوسع صدرأ من أن تضيق بهذه الجراءة . وقديماً افترى أهل الفتن مخدوعين أو مدفوعين فذهب الباطل وبقي الحق .

هذا وقد تلقينا صورة من الكتاب الذي رفعه جماعة من أهل العلم في النجف إلى فضيلة الأستاذ الأكبر حول هذا الموضوع هذا نصه :

فضيلة العلامة الجليل الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر سلمه الله تعالى : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ، فقد قرأنا

ومقتضيات الحياة على اختلاف مقاصدها وأنواعها . ومع وجود عناصر الخير وحب النهضة للأزهر كدعامة قوية من دعائم الخير في أمتنا ، نجد الصحافة ، وهي الأيدي الأمانة التي ينبغي أن تعاون الأزهر على أداء رسالته خير أداء ، نجدها - مع تقديرنا لمهمتها الإنسانية الكريمة - لا تعطي الأزهر حقه الكامل من الاهتمام والتقدير ، فهل تتخيل يا أخي أن البيانات الناهضة ، والتوجيهات السامية التي يخرج بها الأزهر على الناس تضن الصحف بنشرها ، وإذا ما نشرت فقد تختزل إلى حد قد لا يمكن القارى من الوصول إلى الغرض المقصود .

إننا نعتقد أن الصحافة من أقوى الأجهزة التي تعين على نشر الوعي ، وثبتت قواعد النهضة التي نرجوها لأمتنا ، والأزهر في حاجة إلى هذا الجهاز الموجه . يحتاج إلى معاونة المخلصين من أبناء الصحافة التي ينبغي أن تؤمن بالأزهر كاملاً فعال من عوامل نهضتنا ، وقوة روحية من قوى الخير .

إننا لنطمئنكم على هذه القوة التابعة من الأزهر ، لنطمئنكم على أنه اليوم أشد منه قوة بالأمس ، مع بقاءه حفيظاً أميناً على تراث أمتنا ، ومعينا يردده كل مسلم وينهل منه كل محب للإسلام ، وسيظل أبداً راعي المثل والقيم والمبادئ ، فلا تستطيع المبادئ الهدامة أن تجد لها مكاناً في أمتنا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

عبد الحكيم سرور

مدير مكتب شيخ الجامع الأزهر

التجنى والافتئات والدس الرخيص على أعز مقدساتنا وأغلاها من هذا المتكلم باسم الإسلام وهو أبعد ما يكون عن تمثل روحه

ومبادئه بلغة لم يسبق أن انحدر إليها أحد من عملاء الكفر والإلحاد قبله ، أليس معنى ذلك أن أسياده من المستعمرين بدءوا يحسون عمق ما تركته دعوتكم الإصلاحية في كياناتهم من غور وبخاصة بعد أن عززت من قبل إخوانكم علماء النجف والأزهر وقم ، وتنادى لها المصلحون في كل مكان شاعرين بجذوى مثل هذه الدعوة في القضاء على جذور التفرقة من الأساس واعتبار المسلمين جهة واحدة أمام مطامعهم الاستعمارية والتبشيرية في بلادنا .

إننا يا فضيلة الشيخ لم نكتب إليكم هذا الكتاب لتردوا على هذه الآفات فإنكم أسمى من أن تهبطوا إلى مستوى أمثاله وإنما كتبنا إليكم لنشروا على الناس بياناً يعرى أمثاله من عملاء الاستعمار ويؤكد دعوتكم الجليلة لتوحيد الكلمة ويحذر المسلمين من أن يندس في صفوفهم أمثال هؤلاء فيلهوهم عن قضيتهم الكبرى في مكافحة الاستعمار بمختلف واجهاته وتطهير البلاد من جراثيم الفتاكة . أخذ الله بيدكم لنصرة الإسلام والمسلمين وأبقى لكم التأيد والتسديد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

مول نجم الدين العروضي :

في عدد « رجب » من مجلة الأزهر الغراء ،

الكتاب الذي وجهه إلى فضيلتكم المدعو إبراهيم جبهان ونشرته مجلة راية الإسلام ، الصادرة في الرياض بعددها الخامس .

وهذه المجلة كما تدل عليها مواضعها وتبنيها لأمثال هذا الكاتب إنما هي راية نشرت على الإسلام وتسترخفها أعداء الإسلام وخصومه ممن ساءهم أن يتنادى المصلحون من علماء النجف الأشرف والأزهر الشريف أمثالكم إلى العمل على توحيد كلمة المسلمين والقضاء على الرواسب المفرقة التي خلفتها القرون المظلمة بروحي من الأعياب السياسة ، وجاء المستعمرون ودعاة الكفر والإلحاد فعمقوا جذورها وأثقلوها بأرزاء باعة الضمائر ممن تسومروا على الإسلام بما استأجروه من أقلامهم وذلك حين أحسوا بخطر الدعوة الإسلامية على مصالحهم في البلاد الإسلامية فأرادوا إلهاء المسلمين عن واقعهم وإبعادهم عن روحية مبدئهم المقدس بإثارة معارك جانبية من قبل هؤلاء المأجورين ولو قدر لها أن تستمر لكان من أولى ضحاياها الإسلام نفسه فضلاً عن البلاد الإسلامية ومقدساتها .

ولاشك أنكم قرأتم ذلك الكتاب وشمعتم فيه رائحة (النفط) كما شمعنا منه ذلك وأدركتم مغزى صدوره في هذا الوقت بالذات حيث تكشف ملامح الصراع بأجلى صورها بين الكفر بمختلف واجهاته الاستعمارية والإلحادية والطبقة الواعية من المسلمين على اختلاف مذاهبهم وإلّا فبماذا تفسرون صدور مثل هذا

المكتبات ، كما روى لي ذلك الشيخ العماري نفسه ، والعهدة عليه ، فقد أوضح لي أن الشيخ بدوي - رحمه الله - طبعه لحسابه في إحدى المطابع وتولى توزيعه بنفسه بصفة ملازم على طلابه ، وأن الشيخ العماري أسعده الحظ باقتناء نسخة منه . وقد ذكر لي الشيخ العماري أن بعض الأساتذة الفضلاء مثل الأستاذ « الشايب » لديه نسخة من هذا الكتاب وقد اتصلت به ، فبحث في مكتبته والآن لم يعثر عليه ، وكذلك لم أعثر على الكتاب في دار الكتب الأزهرية ولا في مكتبة كلية اللغة العربية . هذا وقد أخبرني فضيلة الشيخ محمد سرحان الأستاذ بكلية اللغة العربية : أن الكتاب لم يكمل ، وأن لديه الملازم الأولى منه . وهي كل ما طبع من الكتاب .

وإضافة إلى ذلك فقد ذكر الشيخ على استبعاد اتصالي بالشيخ بدوي ؛ لأنني كما ذكر في مقاله كنت مازلت طالبا بالثانوي ولكنه استبعد عدم اتصال الدكتور أنيس بالكتاب لأنه كان يقوم بتدريس العروض في كلية اللغة العربية وقتاً ما وقد اتصلت بالدكتور أنيس فنفى ذلك نفياً باتاً واستغرب أن يكون قد اطلع على كتاب ولا يذكره في ثبت مراجعه لكتاب موسيقى الشعر . على حين أنه ذكر من بين تلك المراجع كتاب « أهدي سبيل في علم الخليل » للأستاذ محمود مصطفى هذا وموسيقى الشعر قد ظهر منذ أكثر من عشر سنوات . وكتب عنه الدكتور شوقي ضيف في مجلة الثقافة عام ١٩٤٩ - والأساتذة العراقيون في مجلة

نشر الأستاذ الفاضل الشيخ على العماري تعقيباً على مقالتي في العدد الأسبق من المجلة « جمادى الآخرة » ، والذي كان عنوانه « المصطلحات العروضية » ، وقد لحص الأستاذ العماري - مشكوراً - الأسس العامة للتخفيف من المصطلحات العروضية وهي الأسس التي ذكرت في مقالتي . كما ذكر ملخص الفصل الخاص بذلك ، من كتاب موسيقى الشعر للدكتور إبراهيم أنيس .

وقد أشار الأستاذ العماري إلى أن ملخص نظريتي ونظرية الدكتور أنيس منقول عن كتاب العروض والقوافي للرحوم الشيخ عبد الفتاح بدوي .

ولقد توقعت حين ابتدأت في قراءة مقال الأستاذ العماري أن أجد مستنداً يثبت النقل ، أو نصاً متشابهاً ، أو فكرة متحدة ، فلم أجد . ولقد اشتبه الأمر على الأستاذ العماري ، فظن أننا نحن الثلاثة قد اتفقنا في الفكرة .

وعلى فرض هذا كان من المتوقع حيث لم يجد اتفاقاً في التعبير أو تحديد الفكرة ، أن يعزو هذا إلى تواردها ، ولكنه على العكس تسرع فأصدر حكمه - سبحانه الله - باستبعاد فكرة تواردها .

والحقيقة التي نود إيضاحها هنا تتعلق بمسألتين : الأولى كتاب الشيخ بدوي ، والثانية نظرية التجديد في العروض .

أما المسألة الأولى : فإنني أقرر أنه لم يقع لي كتاب المرحوم الشيخ عبد الفتاح بدوي ولم أسمع به إلا حين قرأت مقال الشيخ العماري . والكتاب لم تنشره إحدى

يحتاج إلى أن تعقبه مجهودات أخرى .
أو بعبارة ثانية . أتوقع أن تسنح لي الظروف
أو لغيري باعتناق فكرة التيسير وحلها
من زاويته الخاصة . سواء أكان ذلك الغير
عربياً أم مستشرقاً ، فالعلم لا وطن له . وكلنا
يذكر أن العلوم الأدبية عند العرب لم تكن
بمجهود فرد واحد ، بل كانت مجهود أفراد
متعددين ، فالنحو مثلاً لم يضعه سيديوه وإنما
كان مجهود ثلاث طبقات قبله من النحويين .

دكتور عبد الله درويش

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم

حول كتاب: المصنف بالإمام محمد بن جرير

جاءنا من الأستاذ عبد المحسن سلمان
المشرف على قسم القراءات بالأزهر ، رد على
الأستاذ محمد رجب البيومي فيما نشره عن كتاب
المصنف بالإمام الحديث قال فيه بعد مقدمة
لا تدخل في باب المجادلة بالحسنى :

« كتب القرآن في الصحف في عهد الرسول
صلى الله عليه وسلم . وكتب في عهد الخليفة
أبي بكر الصديق ، وكتب في المصاحف
في عهد الخليفة عثمان بتكليف منه يزيد بن ثابت
واشترك معه الصحابة - ولا يخفى أنهم كانوا
كتاب الوحي - وأقرهم الرسول وأبو بكر
على ما كتب في صحفهم ثم تمت كتابة المصنف
في عهد سيدنا عثمان على الرسم المعروف
بالعثماني بإجماع الصحابة - ولهذا الإجماع
أصبح الرسم العثماني سنة متبعة لا يقف أمامها

الرسالة . ولم يشر واحد منهم إلى هذه المسألة ،
فلماذا لم يكتب عنه الشيخ العماري للآن ؟ .

وأما المسألة الثانية ، وهي التي تتعلق بفكرة
تجديد العروض تلخص في أنني أنهى قضاء ،
قيامي بتدريس هذا العلم في كلية دار
العلوم أخذت أبحث عن طريقة تبسط
قواعده ، فراجعت كثيراً من الكتب
ومن ضمنها « موسيقى الشعر » واهتديت
إلى أساس يمكن أن يتخذ نقطة بدء للتبسيط .
وفكرت في مغايرة لفكرة الدكتور أنيس ،
وهما مغايرتان لفكرة الشيخ عبد الفتاح بدوي
كما يذكرها الشيخ العماري .

ففكرة الشيخ - رحمه الله - ترجع البحور كلها
لبحر واحد . وفكرة الدكتور أنيس تختصر
عدد التفعيلات . أما فكرتي المتواضعة ،
فترتكز على أساس عدم الربط ، وفك الصلة
بين الدوائر وبين البحور ، وكذلك عدم ربط
الزحافات بالتفاعيل وذكرت بعض النتائج
التي تترتب على ذلك .

فالنظريات الثلاث - إن ساغ لنا أن نسميها
بذلك - تختلف بعضها عن بعض . وإن كان
الهدف واحداً وهو تبسيط العروض .

وزيادة على ذلك فإنه لم يخطر ببالي مطلقاً
أن أدعى لنفسى سبق أو التفرد في هذا المضمار ،
بل على العكس ذكرت في آخر مقال : أنني
استفدت من بحوث المتقدمين ومن بينها بحث
الدكتور أنيس ، فبحثي يعتبر مكمل له ، وإن
اختلفت الزاوية التي ينظر منها كلانا للموضوع .
ثم أردفت ذلك بأن هذا مجهود مبدئي

القرآن في هذه الرواية — وهكذا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر .

إن الإمام مالكاً رضي الله عنه حذرنا من الإقدام على مثل ما يقترحه السكاتب ، وهو تابع للتابعين - وإمام دار الهجرة وحذرنا من كتابته بالرسم الإملائي حيث يقول الإمام الشاطبي في العقيلة : (وقال مالك القرآن يكتب بالكتاب لولا مستحدثا سطرنا) إننا نحسب أن يطالب السكاتب بإعادة فتح مكاتب تحفيظ القرآن في القرى وغيرها وتشجيعها كما كانت قديما . كانوا يحفظون القرآن صغارا وكبارا عن ظهر قلب — والقرآن هكذا يرسم منذ عهد الصحابة لأن لم يقف حائلا بينه وبين حفظه — فأين نحن الآن من التلامذة الذين كانوا يحفظونه في سن مبكرة - رحم الله تلك الأيام التي لوقام فيها المبتدئ وقرأ (أفلم ييأس الذين كفروا) لقامت الدنيا وقعدت - فما بال الكتاب الذين يدعون العلم اليوم وهم لا يعلمون لقد أخذ السكاتب ومن شايه إلى ابن خلدون ونسي أو تناسى أن التغيير الذي حدث في عهد أبي الأسود والخليل بن أحمد لم يكن في صلب الرسم ، ولكنه كان في الشكل والنقط ، وبديهي أن الشكل والنقط ليسا توقيفين ولم تجمع عليه الصحابة ولم يكن موجودا في عهد الخلفاء ، ولا في عهد عثمان رضي الله عنه حتى يقرهم عليه كما أقبرهم على الرسم . وإلى ذلك أشار الإمام الشاطبي بقوله :

رأى فيلسوف أو ملحد بعد ذلك . وإلى ذلك أشار العالم الشنقيطي في كتابه المسمى بكشف العمى بقوله :

رسم الكتاب سنة متبعة
كما نحا أهل المناحي الأربعة
لأنه إما بأمر المصطفي
أو باجماع الراشدين الخلفاء
وكل من بدل منه حرفا
بأه بكفر أو عليه أشقى
فإذا ما كتب المصحف بالرسم الإملائي الحديث كافتراح السكاتب فمعنى ذلك أن تكون القراءة تابعة للكتابة — إذا ماذا نفعل في مثل - كهيعص وفي (يوم يأت لا تكلم) والظنوننا ، - لاشك أننا سنثبت الياء في (يأت) ونحذف الألف في (الظنون) تبعاً للقاعدة الإملائية ، ولاشك أن اللفظ القرآني سيتغير . إن رسم القرآن الكريم معجز كما هو معجز في معناه . . . وقد كتب هكذا ليحمل الروايات الصحيحة التي نزل بها القرآن الكريم ، فمثلا (وإيتاء ذى القربى) (والعلو) وهكذا بزيادة الياء والواو إشارة إلى قراءة حمزة عند الوقف : (وملك يوم الدين) بحذف الألف إشارة إلى قراءة من حذف الألف . والألف مقصورة عند من يشبها وحذف الياء في قراءة (ما كسنا نبخ) إشارة إلى لغة هذيل — ولو أنبتناها لضاع اللفظ

(لجسردوه كما يهوى كتابته

ما فيه شكل ولا نقط فيحتجرا)
ومن هنا جاز الشكل والنقط لأنه لم يغير من
الرسم شيئا ، أما تغيير الرسم فلا فرق بينه وبين
ما عزمت عليه وقامت به إسرائيل من تحريف
في طبع المصحف وتوزيعه ، بل هو فرصة
لتنفيذ أغراضها في ظل هذا الغبار المصطنع .
إن الهجاء الإملائي عرضة للتغيير والتبديل
حسب ما تقتضيه العصور ، والقرآن ليس
كذلك ، تنزيل من حكيم حميد ، لا يتبع
الآهواء ، ورسمه هكذا حق مؤبد (والحق
أحق أن يتبع) .

إننا نتظر بعد ذلك أن يعلن شخص آخر
أن التلاميذ الأجانب لا يعرفون القرآن
بالرسم العربي ، ولذلك فإنه يقترح أيضاً أن
يكتب المصحف بالرسم الانجليزي أو الألماني
وإلغاء الرسم العثماني .

وإننا نحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون ،
ورحم الله الإمام البيهقي إذ يقول في كتابه
شعب الإيمان : (من يكتب مصحفا فينبغي
عليه أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به
تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير
عما كتبوه شيئا ، فإنهم كانوا أكثر علما ،
وأصدق قلباً ولسانا وأعظم أمانة فلا ينبغي أن
نظن بأنفسنا استدرا كالعلم) انتهى بلفظه .

والاستاذ محمد رجب البيومي يقول :

حاولت أن أجد فيما نشر بالجزء الأخير
من مجلة الأزهر حول مقالى عن تغيير رسم
المصحف العثماني ما يقنعنى من رأى فلم أوفق ،
إذ أن من عارض فكرتى من القراء قد سلك
في النقد مسلكا خطايا يعوزه البرهان الدقيق ،
وماذا نقول فيمن يتمسك بالرسم العثماني لأن
المدرسين الأوائل من عهد عثمان لم يغيروه ،
ولأن نقولا كثيرة لبعض الأئمة تدعو إليه ،
وتشدد في وجوب اتخاذه ؛ ولأن بعض
المستشارين بمجلس الدولة أيدهم في حكمه
القضائي ، أليس في مقالى السابق ما يدحض
ذلك كله ؟ فهل أكرر ما سطرت من جديد ،
أو أدعوا الناقدين إلى معاودة القراءة عن نوذة
وإمعان ، وإذا كانت الدهشة قد استولت عليهم
حين وجدوا عالما أزهريا يدعو إلى تغيير رسم
المصحف ، فماذا تصنع بهم الدهشة حين يعرفون
أن عالما أزهريا جديرا كالاستاذ حسين والى
قد دعا إلى ذلك ، وهو رئيس لجنة الفتوى
بالأزهر وأحد أعلام جماعة كبار العلماء
وأئمة المجمع اللغوى !! على أننا لا نعبد
بالأسماء . ولكننا نسجل على أنفسنا أننا
متبعون لا مبتدعون !! .

محمد رجب البيومي

choisir l'opinion juridique la plus appropriée et de donner la préférence à l'avis le plus heureux.

L'historien El Kandi rapporte dans son ouvrage intitulé "Al Woultès Wa Al Koudates" (Les Walis et les Juges) qu'un juge, adepte de l'Ecole Chaféite, vivait au Caire au temps du grand savant Al Imam Al-Tahawi. Ce juge était connu par son intégrité, sa foi solide et sa liberté de fonder son jugement sur l'avis qu'il estime équitable prenant les avis de toutes les doctrines sans se borner à l'une d'elles et il prouva; son tinte ment un jour il sollicita l'opinion du grand savant relativement à une question d'ordre juridique charéi. Le savant lui demanda : "Vous sollicitez mon opinion ou celle d'Abou Hanifa ?".

"Et pourquoi donc cette interpellation ?," demande le juge.

El Tahawi répliqua : "J'ai cru que vous me prenez pour un imitateur."

"Non, répond le juge, . Nul n'imité que le fanatique ou le sot."

Or, cette grande fortune juridique n'a été cachée aux hommes que par l'ancienne forme de rédaction. Aujourd'hui que la civilisation a évolué et que la mentalité a changé, il convient que les livres et l'enseignement aillent de pair avec les exigences du siècle.

Chers Auditeurs,

J'ai fini avec la troisième épreuve que traverse actuellement la langue arabe, sauf que dans celle-ci l'attitude de l'Azhar doit être positive. Il doit, pour détourner cette épreuve, opposer l'action à l'action, la vigilance à l'intrigue, et la propagande à la propagande.

Il doit se tenir toujours en éveil pour confondre ceux qui essaient, soit par passion, soit par ignorance, d'altérer la langue de Musulman et d'affaiblir le lien qui unit les Arabes.

Les Azharistes qui ont si bien gardé le dépôt de Dieu et porté aux peuples la missive de son Prophète durant plus de dix siècles, sont à même de détourner le danger de ces écoles libertaires et de cette anarchie littéraire pour protéger la langue et la religion, et, ce, en se jetant de tout cœur dans la lutte et en se souvenant qu'ils sont les soldats de Dieu qui les opposent à l'ennemi à chaque moment, en quelque lieu et sous n'importe quelle forme. Ils doivent ainsi vivre pour la mort en soldats, travailler pour la vie, comme les généraux et se détourner des biens de ce monde comme les Apôtres.

Hommes de l'Azhar, Croyants et Fidèles :

Le Très Haut a promis d'assurer à la langue arabe la vie, ne son éloquence par la vie du Coran et c'est par vous, comme par nous, vos aides, que Dieu Soit Loué, a tenu sa promesse.

poètes continua à faire usage de l'arabe correct, pour tenir la correspondance des rois, ou pour composer des livres à l'usage des classes instruites et cultivées. c'est ainsi que la langue vulgaire domina la vie de la nation et prit le dessus dans les affaires publiques comme dans ses différents buts. car la langue populaire est libre et n'admit pas les restrictions. Elle est naturelle et rejette tout art. Elle reçoit tout ce qu' on lui donne, emprunte à toute langue et à toute forme d'expression, selon n'importe quelle règle. Pour se comprendre entre eux, les hommes préfèrent le facile. Ils sont de l'usage qui est à leur portée. le retard apporté par une langue à suivre la marche du temps et à s'accorder avec la vie signifie pour elle l'inertie. Or, la fin certaine d'une langue inerte est la mort résultant de l'avantage pris sur elle par les dialectes populaires qui finissent par prendre ses lieux et place.

L'Académie de langue Arabe s'est rendue compte de ce danger et a donné suite à une proposition que j'ai faite et qui tend à :

1) libérer l'application des règles de grammaire de façon à régir indistinctement le régulier et l'irrégulier.

2) libérer également de la restriction du temps et des lieux, les mots qui ont été introduits dans la langue par oui-dire, de façon à ce que l'on admette, comme arabes, les

mots que l'on entend de nos jours des différentes classes de la société, comme les maçons, le menuisiers et autres gens de métiers ou d'arts.

3) Ouvrir aux contemporains la porte de formation et d'introduction dans la langue arabe de nouveaux mots, et ce en ayant recours, soit aux préfixes, suffixes et dérivés, soit à l'improvisation.

4) Reconnaître en conséquence, comme arabes, les nouveaux mots qui seraient ainsi introduits dans la langue, au même titre que les anciens.

C'est en s'inspirant de ces directions et d'autres que l'Académie a préparé son dictionnaire "Al Wassit" qui paraîtra prochainement.

Quant à l'innovation dans la jurisprudence en [matière religieuse (Al Ijtihad)], les portes de cette science ont été originellement ouvertes par des savants maîtres qui furent à la hauteur de leur tâche. Mais, une fois que ces sciences ont été complétées et établies à travers les siècles, sur des bases solides et sur des opinions sages à même de satisfaire tous les besoins sociaux, à répondre aux questions des adeptes de toutes les écoles doctrinales et à donner solution à tous les problèmes qui surviennent, les savants, se sont passés de l'innovation ayant des richesses en abondance et leurs efforts se sont dirigés vers une autre variété de jurisprudence, celle de trier et de

La différence entre les livres de l'Azhar et les livres modernes d'enseignement, est celle existante entre une boutique à Ghourieh et une maison de commerce à Kasr El-Nil. Il se pourrait que la vieille boutique contienne des marchandises et des objets d'art introuvables au grand magasin mais le fait de les tenir cachés dans un coin invisible et de ne pas les exposer convenablement diminue leur valeur et en détourne l'acheteur.

Or, si nous étalons les trésors de l'Azhar dans une belle exposition qui attire par ses leçons, ses conférences, ses mémoires et ses livres, nous rendons ces trésors accessibles aux étudiants qui pourront en profiter et en saisir les beautés, sans peines ni dur labeur.

* *

La mission de l'Azhar s'asseyait, comme je viens de le dire, sur deux bases : la religion et la langue. Mais les moyens qu'il doit employer pour remplir sa double mission sont tout à fait différents. La religion est parfaite parce qu'elle est l'œuvre de Dieu, mais la langue est imparfaite étant l'œuvre de l'homme. La perfection divine ne s'altère ni par le lieu ni avec le temps. Elle n'est hostile ni à la civilisation ni à la science. Elle est toujours neuve, toujours bonne et à jamais immuable.

Par contre, l'imparfait est sujet à la décomposition, à l'inertie et au

retard comme il est l'objet de la croissance, du renouvellement et de l'évolution. C'est pourquoi, l'innovation est une nécessité que la nature exige, car la langue ne peut demeurer immuable à l'instar de la religion, ni se tenir indépendante au même titre que le vivant. Elle est constituée par un ensemble de mots par lesquels chaque peuple exprime ses besoins, et les besoins ne finissent jamais, et les idées ne s'épuisent pas non plus. Les humains ne peuvent donc pas demeurer muets alors qu'ils voient et constatent que les besoins se renouvellent, que les idées renaissent, que la civilisation leur fournit journellement une nouvelle invention et que la science leur réclame des termes nouveaux.

Rien ne justifie ce mutisme sauf que les Bédouins, qui étaient assiégés dans les limites du temps et de l'espace, n'ont, en leur temps, pu prévoir ces choses pour leur donner les dénominations adéquates. De fait de la négation du droit pour les "Mouwalladines" (Arabes créoles) d'introduire de nouveaux mots dans la langue, (ce droit ayant été exclusivement réservé aux Arabes régionales à l'intérieur de l'Arabie - Al-Amssar jusqu'à la fin du 2^{ème} siècle de l'Hégire, et, aux bédouins du désert jusqu'à la fin du 4^{ème} siècle il est résulté que la langue vulgaire déborda l'éloquente et que, seule la classe des savants, des lettrés et des

des livres d'Al-Azhar comme Al-Akkad, El-Rafféi, Chawki et Hafez Ibrahim en Egypte — Al-Boustani, Al-Yazigui 'Al-Chidiac, Moutrane et Al-Khoury au Liban — Al-Maghrabi, Al-Chéhaby, Al-Gabri, et Al-Santawi en Syrie—Maarouf Al-Rassafi, Al-Zahaoui, Kachef El-Chatta, Al-Chabibi, et Al-Assari en Iraq — et enfin Al-Nashashibi et Al-Sakakini, en Palestine.

Mes Chers Auditeurs,

Je suis un fervent partisan d'une réconciliation entre la langue arabe éloquente et le dialecte parlé. A l'Académie de Langue Arabe, j'ai demandé à inclure dans la langue pure. les mots et les expressions dont fait usage le dialecte populaire pour désigner les noms des objets et des choses que la civilisation a introduites dans la Vie publique, ce qui limitera l'étendue de la différence existant entre les deux façons de s'exprimer et finira par les amalgamer en une seule langue grâce à la presse, à la radio et à l'école et ce en empruntant, à l'arabe pur, la correction, l'élégance, l'éloquence et la noblesse, et, au dialecte, la finesse, le naturel, la vitalité, la nouveauté et la précision.

Quant à admettre que notre langue devienne comme celle des peuplades sauvages, c'est à dire sans règles, ni beauté, ni perfection, sans aucun lien qui rattache le passé au présent et à l'avenir et à l'avenir et sans aucune unité qui nous réunit; cela constituerait une erreur grave

que personne ne saurait admettre et une fausse opinion que nul sage ne pourrait y souscrire.

Par contre, si nous laissons les choses en l'état où elles se trouvent, nous aboutirons au débordement du dialecte populaire, car, l'oreille s'y étant habituée et les règles en étant naturelles, on n'aurait pas besoin pour l'apprendre d'un livre, d'un professeur ou d'une école, mais bien d'un concierge, d'un domestique ou d'une rue.

Comme je l'ai déjà expliqué, le fait par langue populaire de l'emporter sur la langue éloquente signifie le détachement des lettres de la religion et du présent du passé ainsi que l'affaiblissement des liens qui unissent les Arabes entre eux.

D'autre part, je suis persuadé que pour remédier à cet état de choses et venir en aide à notre belle langue, il nous faudra pénétrer profondément ses secrets, comprendre à fond ses règles et apprendre complètement ses lettres. Cela exige, de notre part, de l'effort et du travail. Nous devons bien préparer le maître et le sujet. Nous devons recourir à l'expérience pour établir les méthodes et les programmes, et au goût et à la logique, pour composer les livres. Or les livres que nous avons eu en main pour nous instruire et dont nous nous servons encore sont des trésors des sciences auxquels manquent cependant la facilité, la mise en ordre et la beauté de la présentation.

Ils en veulent à ceux qui leur conseillent de modérer leur hâte, qui les soumettent à un dur labeur ou qui leur expliquent que nul, dans le passé comme dans le présent, n'a pu devenir écrivain, poète, romancier ou autre, sans avoir au préalable étudié et approfondi les règles fondamentales de sa langue, règles qui permettent d'écrire et de discourir correctement.

Si, en lisant un journal ou un livre, vous n'y relevez aucune faute de nature à découvrir le secret de la fraude, c'est bien grâce à l'effort et à la science de ces soldats inconnus, ces Azharistes de mérite qui veillent jour et nuit dans les bureaux de presse et de publicité et qu'on nomme les "prôtes". Ils passent leur plume à l'encre rouge sur les fautes, redressent les erreurs et éliminent les mots inusités ou étrangers et donnent de la force aux expressions faibles.

Nous ne trouvons aucune objection à ce qu'on simplifie aux étudiants et aux élèves les règles de grammaire, de syntaxe et de rhétorique; mais le mal réside dans l'extension de ces simplifications. Aucun mal à supprimer, des manuels destinés aux débutants, les règles des "sous-entendus", des "justifications" et de la philosophie, de la langue, ou à éliminer les diverses possibilités ou variétés d'analyses que la langue a conservées, eu égard à la diversité des dialectes des arabes de la

Gahileya, dialectes qui ont bouleversé la langue arabe à tel point qu'ils ont même servi à justifier toutes les erreurs. Mais, tout le mal consiste à dégarnir les sciences arabes de tous les attributs de la force, de la fertilité et de l'art pour en faire un squelette qui jouit de la légèreté, de la forme et de la simplicité et auquel manquent les muscles, les nerfs et l'âme.

Que resterait-il de ces sciences ainsi diminuées et aussi sujettes à l'oubli? Peu de chose bien loin de suffire à la vie d'une langue et à l'existence d'un art littéraire. Ces restes peuvent suffire à passer un examen ou à obtenir un diplôme. Mais ils ne peuvent certainement pas suffire à former ceux que l'Azhar a pu former avec ses livres et ses savants cheikhs, tels que :

1) Mohamad Abdou, Saad Zaghloul, Al-Manfalouti, Al-Bichri et Taha Hussein.

2) Ceux instruits à Dar El-Ouloum, tels que Abdel-Aziz Jaouiche, Al-Mahdi, Al-Khodary, Al-Sacandri et Al-Garem.

3) Ceux qui ont fait leurs études à l'Ecole des Juges Charéïs, à n'en citer qu'Ahmad Amine, Azzam, et El-Kholi.

4) Ceux qui ont été étudiants à l'Ecole Normale Supérieure "Dar Al-Mouaallimine", tels que Choukri, Al-Mazini et Abou-Hadid.

5) Ceux enfin qui ont fait usage

advint aussi que les flots de la littérature européenne ne débordèrent avec leurs nouvelles écoles pleines de futilités et de fiel et que ces écoles influenceèrent ces jeunes qui n'ont reçu qu'une molle et insuffisante culture arabe. Epris de l'enseignement de ces écoles, ces candidats se détournèrent de leur propre culture et oublièrent leur histoire. Ainsi, les "Françaisés" parmi eux connaissent, Victor Hugo; mais ne connaissent pas "Al-Moutanabbi", étudient "Voltaire" mais non "Al-Jahez", lisent "Lamartine" et ne lisent pas "Al-Badie Al-Hamazani": D'où cette sujétion imposée par notre jeunesse à nos lettres, au profit des lettres de l'Occident. Les formes de leur style sont celles des Européens, leurs écoles littéraires sont celles des auteurs occidentaux, ainsi que les mesures de leur art critique.

Ils voudraient même que la langue arabe, fille du désert découvert, du soleil levant et de la nature franche et souriante, adoptât le symbolisme, fils de l'horizon nuageux, de la langue béguaieuse et de l'âme en complexe. Ils voudraient aussi que l'existentialisme, fils des mœurs en décomposition, du goût inverse et des sens libres, soit admis par la langue arabe, de la divine missive qui a ennobli l'homme et qui l'a distingué de l'animal, en lui retraçant des limites établies par la religion et les mœurs, limites qu'il est raisonnable, ni outrepasser tant qu'il demeure croyant.

Mes Chers Auditeurs,

Entre les lettres et la science, l'espace est vaste et la différence est bien grande :

Les lettres appartiennent à l'âme et la science aux hommes. Les lettres sont citoyennes d'une même patrie ; et la science n'a point de patrie. Les lettres comme l'âme dans le corps et coulent comme le sang dans les veines. Elles forment la personnalité de l'être pour qu'il vive indépendant par lui-même et distinct des autres. Elles révèlent et affirment la personnalité d'un peuple qui se distingue par les hommes qui le forment. Les lettres comportent une race, une langue, un goût, un milieu, une mentalité, une croyance, une histoire et des traditions.

Tout autre chose est la science.

Il nous est naturellement permis d'emprunter aux autres une part de leur science pour parfaire notre insuffisance et compléter ce qui nous manque ; mais il n'est point permis de leur emprunter ce qui représente nos âmes et nous-mêmes, soit une part des lettres. Le perfectionnement de l'étude de la langue arabe d'après les méthodes vraies et productives ne coûte pas aux candidats plus d'efforts que l'étude du français ou de l'anglais. Malheureusement ils vivent dans le siècle de la vitesse et visent le proche facile. Ils ont hâte d'acquérir la science et de produire.

assimilent leur l'ange, et approfondissent ses lettres et qui savent Pourquoi telle expression doit-elle prendre telle forme plutôt qu'une autre. Et, si ces belles figures venaient à disparaître, auraient-elles des successeurs capables de garder le dépôt de la langue et porter loin la mission des lettres ?

C'est à l'Azhar qu'ils appartiennent de répondre. C'est lui qui, par sa nature et sa raison d'être, se trouve être le rempart, le refuge et le sauveur de la langue arabe dans le passé comme dans le présent.

Quant aux autres écoles, tout porte au pessimisme en ce qui les concerne. Elles appliquent une méthode pratique presque vide de règles et un enseignement superficiel et insuffisant qui ne visent que le succès, aux examens, de l'étudiant ou de l'élève, par n'importe quel moyen. On y voit les cours se résumer en précis, et les Précis en résumés sténographiés. Qu'en reste-t-il dans la mémoire ? Des réminiscences d'idées flottantes et nuageuses, floues et imprécises, le tout ajouté au dégoût de l'étudiant de produire un effort utile pour cultiver la langue et la plume et pour approfondir le fond et soigner la forme. Il se contente en somme du peu qui lui permette le passage d'une année à l'autre ou l'obtention d'un certificat ou d'un diplôme.

Une fois que le jeune débutant

quitté ces écoles, n'emportant qu'une faible notion de sa langue, mais se sentant cependant doué par la nature, et enclin vers les lettres il rejette les trésors de l'art littéraire arabe pour se tourner vers les chefs d'œuvre de l'art de l'Occident. Il s'applique à en approfondir l'étude et à en saisir les beautés. Une fois qu'il les assimile, sa mémoire en déborde et ses sens se réveillent. Il a la volonté et le désir d'écrire quelque chose d'utile et il a le sentiment d'avoir la faculté qui crée et l'image qui plaît et qui réjouit ; mais il ne possède pas la langue qui exprime ni la plume qui touche. Furieux et pris d'une rage impuissante, il a l'audace de prétendre que la langue arabe serait impropre à exprimer la pensée et que l'analyse des mots serait un obstacle infranchissable. Il va jusqu'à devenir extrémiste en incitant les écrivains à se libérer absolument de toutes règles et à écrire comme bon leur semble.

Quant à l'autre espèce, le candidat ordinaire, celui-ci redevient illétré comme à l'origine s'il lit il ne lit que le facile et ne le cherche que dans un roman populaire, qui anesthésie les sens, ou dans une revue humoristique qui éveille les passions. Les romans et les revues de cette nature étant ainsi trop recherchés, les écrivains légers se mirent à offrir en abondance des brochures contenant le produit d'une basse littérature nuisible et inutile. Il en

à en former des langues distinctes, et qu'une fois qu'ils débordaient la langue éloquente, aucune compréhension ne serait plus possible entre Arabes, ce qui affaiblira le culte, rompra les liens de l'unité, dispersera la force et permettra au colonisateur d'engloutir les pays arabes, sans peines ni difficultés.

Cette propagande a été vouée à l'échec par le fait de la faiblesse de la colonisation et grâce au réveil des nations arabes.

Quant à l'ignorance, qui constitue l'autre origine du mal, elle succéda à la colonisation dans sa propagande criminelle. Par ignorance, il faut entendre le fait par les Arabes d'ignorer leur langue et de rejeter ses sciences et ses lettres. C'est ici qu'apparaît le crime des écoles civiles récentes qui ont échoué, après bien d'expériences et un temps plus ou moins long, à former le lecteur qui comprend ce qu'il lit, l'écrivain qui sait ce qu'il écrit, et le penseur qui réfléchit. La preuve la plus palpable de cet échec est le cas de l'élève qui fréquente ces écoles. Il y passe dix années d'études à apprendre la grammaire. Une fois qu'il quitte, il se sent incapable d'écrire ou de s'exprimer correctement. S'il se sent doué par la nature, il ne trouve de mieux, que d'écrire en arabe vulgaire et d'inciter les autres à limiter et à s'affranchir des règles et des restrictions de la langue, substituant ainsi l'anarchie à l'ordre, et l'erreur à la correction.

Autrefois, l'arabe et les sciences y afférentes étaient enseignés à l'Azhar et par ses filiales "Dar El Ouloum" et l'Ecole des "Juges Charéïs", ainsi que dans d'autres écoles qui appliquaient ses méthodes tant en Egypte, qu'au Liban, en Syrie et au Maghreb, Cet enseignement était profond et permettait à l'étudiant doué et appliqué de comprendre ce qu'il lisait, d'approfondir ce qu'il savait, de motiver ce qu'il critiquait et d'analyser se qu'il goûtait. Si plut atrd, les théories acquises étaient complétées par la pratique, le candidat doué se révélait prosateur de mérite, poète de talent ou critique de valeur. Par contre, le candidas sans talents littéraires, mais doué toutefois de patience et de jugement, devenait un savant qui préparait les moyens, facilitait les sources, dirigeait les talents et raffermisait les pas.

C'est à ces deux sources que le mouvement littéraire puise ses éléments vitaux qui lui permettent de se développer pour fleurir, de croître pour se propager et de s'élever pour durer. C'est à cette catégorie des adeptes des anciennes méthodes de l'Azhar qu'appartiennent les véritables hommes de lettres qui ont sauvegardé l'héritage de cette langue, qui ont renouvelé la jeunesse de l'art littéraire et qui ont jeté les bases de cette restauration littéraire récente. Heureusement, il en reste un certain nombre dans les pays arabes. Nobles figures et fins littérateurs qui

De plus, clairvoyance se révéla par l'envoi en Europe de ces étudiants choisis pour y parfaire leur éducation, tels que : Ibrahim Al-Nabarawi, Ahmad Hassan Al-Rachidi, Mohamad Aly Al-Bakli, Rifaa Al-Tahtawi et Aly Moubarak.

Ce nouveau bienfait, à enregistrer, contribua au relèvement de la langue arabe.

La langue arabe traversa donc ces deux épreuves consécutives et s'en tira indemne, grâce à l'Azhar. Ce fut pour le plus grand bien du Livre de Dieu et de sa religion.

Mais la langue arabe passe actuellement une troisième épreuve qui menace de la bouleverser, de porter atteinte au Coran, de couper la religion de sa base, détacher l'Arabe des siens, descendre l'art littéraire du Parnasse de son inspiration et du temple de ses dons où résident le sublimisme, la grandeur, la noblesse, pour la jeter dans la fange du matérialisme où résident la bassesse, le dévergondage et la dépravation.

Cette épreuve est celle venant de l'école dite "libre" ou plus exactement de l'école des libertaires qui met la langue vulgaire au dessus de la langue éloquente, qui préfère les lettres populaires à celles des grands lettrés, les sujets qui excitent à ceux qui éclairent. Elle enseigne que l'écrivain et le poète sont libres

d'écrire comme bon leur semble et qu'ils n'ont pas à se conformer aux règles et aux préceptes de la grammaire, de la syntaxe, de la littérature de la poésie, ni non plus aux règles de la morale.

Cette épreuve a pour origines la colonisation et l'ignorance.

La colonisation s'est rendue compte que la religion et la langue forment les deux liens qui unissent les Musulmans de tous les pays et que, tant que la nation de Mohamed demeure unie par ces liens, l'indépendance des pays arabes doit, tôt ou tard, s'accomplir. Aussi, c'est pour arrêter cette marche vers l'indépendance que la France a toujours essayé de détourner les Berbères de leur religion.

A ces fins, elle décréta Loi connue sous le nom d' "El-Zahir" et s'employa à faire la guerre à la langue arabe, en l'éliminant des écoles et des administrations de l'Etat. Toutefois, la religion de Dieu fut plus forte que "le Zahir" de la France, et la langue du Coran fut plus tranchante que celle de l'épée.

Quant à l'Angleterre, elle fut plus astucieuse et plus diplomate. Elle se contenta de propager le dialecte populaire par l'organe des orientalistes, des fonctionnaires et des missionnaires, car elle se rendait compte que ces dialectes différaient totalement les uns des autres jusqu'

Nous ne citerons que le Firoz-abadi, Abil-Séoud, Al-Fanari, Moulla Khesrou, Al-Gami, Al-Khiali, Khoja Zadé, Moulla Mesquine, Moulla Loutfi, Hajji Khalifa, Tachokéri Zadé, et Ibn Kamal Pacha.

Les sultans ottomans eux-mêmes étudiaient l'arab et ses lettres au même titre que le Turc. Parmi eux, on compte des poètes qui composaient en langue arabe ou qui renaient par coeur plus d'un poème.

A titre d'exemple, nous citons un beau poème lyrique composé par le Sultan Ahman Ier :

"J'ai aimé, sans pouvoir y arriver ni captiver,

une gazelle qui fait la guerre .

"Avec ses yeux armés d'épées et de son regard qui m'a blessé au fond du coeur.,,

Les savants turcs ne commencèrent à négliger et à délaisser la langue arabe que sous le règne des sultans Mahmoud II et son fils Abdel-Hamid Ier, et à l'époque où ces deux monarques restaurèrent la langue turque en simplifiant ses règles et en rendant l'accès facile. Depuis lors, cette langue fut dénommée "langue ottomane". Vous voyez ainsi que la langue arabe a passé six siècles entre l'agonie et la mort, dont trois sous la domination mongole et trois autres sous la domination ottomane. Durant ces six

siècles, elle cessa de vivre aux Indes, au Khorassane, en Iraq, en Andalousie et dans les pays ex-Romains, pour continuer à survivre dans les pays arabe en y menant la vie d'un malade qui se débat devant la mort et dont il ne reste plus que le souffle. C'est justement ce souffle que l'Azhar a retenu, a nourri, a fortifié et lui a prodigué tous les soins salutaires.

Puis, le jour où les ténèbres de la domination ottomane se dissipèrent et que Dieu voulut que le soleil de la civilisation réapparaisse dans la Vallée du Nil, la langue arabe de son inertie et de sa faiblesse. Elle se remit à vivre. C'est dans l'Azhar qu'elle avait trouvé secours et asile, et c'est à l'Azhar qu'elle doit sa vie et sa résurrection,

L'épreuve de l'occupation napoléonienne ayant passé, une nouvelle ère de prospérité s'ouvrit et un nouveau mouvement de restauration se dessina du fait de l'indépendance de l'Egypte.

Cette nouvelle ère de progrès, qui date de l'avènement de Mohamad Aly, est redevable de tout à l'Azhar, menur du peuple dans sa révolution et guide du gouvernement dans ses réformes. Il était représenté à cette époque par ses brillants savants : Khali El-Bakri, Abdallah El-Charkaoui, Mohamad El-Mahdi, Soliman El-Fayyumi et Hassan El-Attar.

C'est par ses avantages et prérogatives que l'Azhar devint, sans conteste, le grand maître de la culture dans tous les pays arabes et musulmans pendant les 7ème, 8ème et 9ème siècle de l'Hégire et c'est ainsi qu'il a pu sauver et conserver l'existence même de la langue arabe et empêcher la décadence des lettres et des sciences. Sans l'Azhar, tout lien, entre l'ancien et le nouveau monde littéraire, aurait été incontestablement rompu.

Mais, ce n'est pas tout : une autre épreuve menaça la langue arabe du fait de l'invasion turque; et cette fois aussi c'est à l'Azhar que revient le mérite de l'avoir détournée. Au début du 10ème siècle, et plus exactement en l'an 923 de l'Hégire, le Sultan Salim conquiert l'Egypte et la Syrie. et, de ce fait, le Califat devint Ottoman et non plus Abbasside. La capitale de l'Islam devint Constantinople et non plus le Caire, et la langue officielle devint ainsi le Turc. Les conquérants séjournèrent huit mois en Egypte pour la dépouiller de ses plus précieux joyaux : à savoir ses livres et ses objets d'art, héritage laissé par les artistes de génie, tous anciens élèves de l'Azhar dont les oeuvres remontaient aux trois siècles précédant l'invasion turque. De plus, ces conquérants ont vite fait de substituer leur langue à la langue arabe dans les diverses administra-

tions de l'Etat et de persécuter l'arabe dans les écoles, à tel point qu'ils faisaient enseigner, en turc les règles de la grammaire arabe, en Syrie et en Iraq. Il en est résulté qu'un flot de mots et de termes antiques et de pure arabe disparurent de la composition en vers et en prose. D'où un épais nuage de ténèbres et de despotisme qui couvrit les âmes et un dédain de la part des gouvernants pour tout ce qui est science ou savoir, arrêtant ainsi tout progrès et tout mouvement littéraire ou scientifique.

Cependant, ayant été rendu Turc en Egypte (politique, administration, armée, enseignement, ...), les envahisseurs n'osèrent toucher ni méconnaître l'Azhar, car ils furent saisis de sa majesté et de son passé glorieux. Ils vinrent, recueillis, frapper à sa porte pour solliciter aide et conseils, toutes les fois qu'ils se trouvaient en difficulté ou qu'un événement grave surgissait. Le Sultan Salim lui-même l'a visité plus d'une fois, soit pour y prier, soit pour y implorer la bénédiction divine.

Bien avant l'invasion ottomane, l'Azhar avait déjà conquis la Turquie, non par la force des armes, mais par ses livres, ses sciences et ses lettres. Plus d'un Turc y a étudié et perfectionné ses connaissances en arabe jusqu'à pouvoir y composer des vers ou écrire des livres.

6) Il a assuré et assure à ses professeurs et à ses élèves les moyens de vivre et de s'instruire en leur fournissant le logement le couvert, l'habillement et les livres ;

7) Il a ouvert ses Portes aux réfugiés qui ont fui les Mongols pour sauver leur foi, leurs sciences et leurs lettres. Cet exode des savants vers l'Egypte, de tous les pays d'orient et d'occident, contribua dans une large mesure à l'épanouissement des sciences et des lettres. Il nous rappelle l'exode des savants du christianisme de constantinople à Rome, ce qui contribua à la renaissance des sciences et des lettres en Italie ;

8) Les rois Ayoubites l'ont soutenu et encouragé matériellement et moralement, car, bien qu'ils fussent Kurdes, ces rois parlaient la langue arabe et avaient adopté les lettres et les coutumes arabes. Bon nombre d'entre eux s'est rendu célèbre en poésie, en sciences ou en histoire, tels les rois Al Moawad Emadéddine et Al Afdal Aly Ibn Salahéddine. Ce dernier roi, qui était faible et simple, fut détrôné par Adel Abou Bakr et son frère El Aziz. Il a eu alors recours à ses talents de poètes pour solliciter l'aide du Calife Abbasside. Il lui adressa en pure langue arabe un bon poème digne d'être cité.

(Citation du poème en langue arabe) .

De leur côté, les rois Mamelouks donnerent à l'Azhar tout leur appui car ils avaient adopté l'Egypte comme patrie, l'Islam comme religion et l'arabe comme langue. On compte parmi ces rois plus d'un excellent poète, à n'en citer que le Calife Kanse El Chouri.

Ces Mameloukes favorisèrent les savants, encouragèrent les hommes de lettres, les professeurs et les auteurs, aidant ainsi Al Azhar à former, sous leur égide ces grands maîtres et ces auteurs de génie doués par la nature et inspirés par Dieu qui confierent à leurs oeuvres les trésors de leur sagesse et la richesse de leur savoir.

Nous n'en citons que les plus célèbres; Gamal El Dine Ibn Mansour, Gamal El Dine Ibn Hicham, Chamseddine Al Nouéri, Ibn Fadlallah Al Omary Chamseddine Al Zahali, Al Hafez Ibn Hogre Al Assalgui, Abil Abbas Al Kalakachandi, Taquiéddine Al Maqrizi, Badraddine Al-Aiyni, Sérageddine Al-Balkini, Badréddine Addamassini, Chamséddine Assakh-aoui, Kamaléddine Addoumaiyri, Galaléddine Assioutti, Taquiéddine Al-Kouchaiyri, plus connu sous le nom de Ibn Dakik El-Omdah.

des dépendances de l'Empire Ottomn en l'an 925 de l'Hégire.

Vous voyez par là que les Arabes ont été ainsi contraints, pendant 560 ans, à n'avoir ni pouvoir, ni royaume et que, tant de leurs pays que leurs richesses morales et matérielles devinrent la proie des Mongols, des Turcs, des Persans, des Cherkess, et, plus tard des Espagnols. Etant tous sauvages et illétrés, ces vandales détruisirent les monuments et objets d'art et se livrèrent au viol. Mais, le coup le plus dur a été porté à la langue, à ses sciences et à ses lettres; car ces vandales incendièrent les bibliothèques, fermèrent les écoles, démolirent les observatoires et tuèrent les savants.

Il en fut de même à Boukhara et en Andalousie, où Tatares, Européens et Croisés se sont régalés de cruauté et de vandalisme.

Si donc la langue arabe aurait disparu par les malheurs des temps, à l'instar de ses soeurs sémites, sa mort aurait été dans la nature des choses et dans la logique de l'histoire. Elle demeura pourtant la langue de la religion, des sciences, de l'Etat et de la nation, tant au Maghreb, en Egypte et en Syrie, qu'à la presque île arabe et dans tous les pays arabes. De plus, n'était ce le fanatisme des Persans et l'orgueil des

Turcs, elle aurait continué à être la langue de tous les Musulmans.

C'est donc grâce à l'Azhar que cette langue a continué à vivre malgré les épreuves du temps et la chute du pouvoir des mains de ses enfants. Elle a subsisté grâce à cette institution et aux prérogatives suivantes :

1) L'Azhar est de pure essence arabe par sa nature et son milieu;

2) Il est situé à égal distance entre le Proche et le Moyen Orient; ce qui fait de lui le rendez-vous des uns comme des autres;

3) Il est près du Hégaz et sur le chemin des pèlerins et des savants explorateurs de l'Afrique et de l'Andalousie;

4) Il a formé un grand nombre de savants, maîtres, jurisconsultes et littérateurs qui ont réuni et groupé les principes épars de la langue, des sciences et de lettres en de grands volumes semblables aux encyclopédies;

5) Il occupe dans les cœurs de tous les Musulmans et de tous les hommes d'Etat un rang de sainteté, ce qui lui a permis de résoudre certaines difficultés d'ordre politique et social;

le Judaïsme pour l'Hébreu, le Christianisme pour le Syriaque, et l'Islam pour l'Arabe, ces trois langues auraient cesser d'exister. Toutefois, la différence entre ces trois existences est celle existant entre l'âme et le souffle de l'agonie, ou entre l'être vivant et ses traces.

L'Azhar, qui est l'héritier de la prophétie, le protecteur de la foi et le propagateur du Culte ne peut qu'assoir sa noble mission sur ces deux bases : La religion et la langue. Cette mission a été si bien remplie que le monde de l'Islam lui confia son commandement et lui décerna son auréole de gloire.

Il est vrai que d'autres écoles ou mosquées pourraient prétendre avoir pris part, avec l'Azhar, à l'évolution et à l'épanouissement des sciences relatives au Coran et à la langue, telles que les écoles et les mosquées institués par les sultans au Caire, à Damas, à Alep, à Bagdad, à Nagaf, à Cordoue, à Zaitounah et en Cyrène, et dont les plus célèbres étaient : Al-Nasriah, Al-Kamhia, Al-Salahieh, Al-Mouaidia, Al-Mansouria, Al-Chaikhounia, Al Zahiria, Al Kamiliyah et Al Nizamiah,

Cependant, ces écoles, dont la plupart a cessé d'exister, ne purent, leur vie durant, et prises ensemble ou séparément, disputer à l'Azhar

l'honneur insigne d'avoir assuré jusqu'à nos jours l'existence de la langue comme interprète de la science et comme lien unissant les Musulmans.

Mes chers auditeurs.

La langue du Coran a traversé deux épreuves noires qui auraient pu consommer sa perte, sans le secours divin :

La première de ces épreuves fut l'invasion des Mongols survenue au milieu du septième siècle, époque à laquelle le Royaume des Abbassides était déchiré par l'antagonisme des Persans et des Turcs et par les querelles entre Chiïtes et Sunnites. Ces circonstances portèrent atteinte au prestige et à la majesté du Califat et permirent à Holaco de lui, porter le coup fatal en l'an 656.

De plus, le Royaume des Omayyades en Andalousie fut déchiré par les barbares et les esclaves affranchis qui le partagèrent entre eux en petits Etats, ce qui a permis aux Européens de l'avaloir bouchée par bouchée et de l'engloutir ensuite en trois fois en l'an 898.

Ce fut ensuite le tour du Royaume des Fatimites en Egypte et en Syrie, qui tomba entre les mains des Ayoubites puis des Mamlouks pour ensuite devenir une

Il en est de même pour la Bible et l'Evangile qui ne se lisent dans le monde de Chrétienté que traduits dans la langue du pays où on les lit. Or, ces Livres n'ont laissé qu'une faible influence sur les oeuvres littéraires des pays de Chrétienté, jusqu'au jour où ils ont été traduits en la langue latine et au vieux teuton.

Il n'en est pas de même pour le Coran : car les Muslmans ont toujours cru, et avec raison, que la langue arabe dans laquelle il a été révélé fait partie intégrale de l'essence même de l'Islam, parce qu'elle a servi d'interprète à l'inspiration divine, de langue à son saint livre de moyen à sa predàcafou, et de mircal à son Prophète. Cette langue a été par la suite polissée par le Prophète grâce à ses discours et à ses enseignements "Hadith", comme elle a été propagée par l'Islam et rendue éternelle par l'éternel Coran.

Le Coran n'est vraiment le Qurân qu'en cette langue et la prière n'est point la prière s'elle n'était pas récitée en elle Aussi, s'empressent ils de l'apprendre, de la parler, de s'en servir pour écrire, d'en devenir fanatiques de prendre sa défense. C'est ainsi qu'elle prit lieu et place de persan en Iraq, du Grec en Syrie de Copte en Egypte et du Berbère au Maqreb. Ainsi est elle devenue à

époque Abbaside (son époque la plus prospère) la langue de la religion celle de la science, de la politique et de l'administration dans la plus grande partie de l'ancien monde, les Musulmans, quelle que fut leur race, pouvaient se transporter dans n'importe quelle contrée de leur monde islamique comme s'ils se déplaçaient dans leur propre patrie, ne trouvant aucune difficulté à parler à traiter une affaire.

Puis, les Musulmans s'adonnèrent entièrement au Coran. Il devient leur prière dans la Mosquée, le régulateur de leur vie dans la maison, comme dans le travail, et l'organisateur de leur gouvernement. Ses préceptes s'enracinèrent dans leurs âmes et ses inspirations se confondirent avec leur nature. Il imprima ses traces sur leurs langues, leurs coeurs et leurs règlements. Aucun autre livre divin n'a produit autant d'influence sur ses adeptes.

Il en est résulté que la culture musulmane se trouve assise sur deux bases ; à savoir : la religion et ses diverses sciences et la langue et ses arts connus. Ces deux bases se servent et s'entrelacent, car, sans la langue arabe, l'Islam s'obscurcit et s'affaiblit, et, sans l'Islam, l'arabe perd son élan et sa vie.

Les langues sémitiques doivent leur subsistance aux religions : Sans

Saint que les mots arabes sont devenus plus doux, la composition plus raffinée et l'expression plus précise. C'est dans le divin Coran que la langue a puisé la force de la logique, la variété des idées et la profondeur de la pensée. C'est le Coran qui a été à la base des sciences nouvelles jusqu'alors inconnues ; telles que les lois charitables et les préceptes littéraires dont les matières ont été conservées par les règles et les dictionnaires et dont le cercle a été élargi par les mots choisis et les termes appropriés. C'est ainsi que prirent naissance la grammaire (Al-Sarf), la syntaxe (Al-Nahou) et le "dérivé" (Al-Ichtiqag) pour empêcher que les fautes soient commises lors de la lecture du Saint Livre.

D'autres sciences virent le jour telles que les figures de style et de rhétorique et des idées ('Al-Maani,' 'Al-Bayane', Al-Baddie,) et ce en vue d'arriver à comprendre et à faire ressortir les beautés divines et inimitables du Coran. C'est dans ce même but qu'on s'est mis à l'étude de la langue, des racines et de l'étymologie des mots ('Ilm Al-Lougha) et de la littérature ou art littéraire ('Al-Adab'). Quant aux sciences du "Handith" (maximes, sagesses et commandements enseignés par le Prophète), du "Oussouls" (bases organiques des sciences juridiques), du "Fikh" (enseignements des lois

religieuses), et enfin du "Tafsir" (interprétation du Coran), ces sciences n'ont été créées qu'en vue d'y puiser les lois qui doivent régir le monde de l'Islam.

C'est donc le Coran qui a unifié la langue arabe, qui l'a propagée partout et qui l'a conservée pendant 14 siècles environ sans usure ni faiblesse ni alteration aucune, ainsi que le proclame Dieu Lui-Même lorsqu'Il dit : "C'est Nous Qui avons révélé le Coran et c'est Nous certainement qui Le" conservont.

Or, pour apprendre le Coran, il faut nécessairement apprendre sa langue.

De l'étude de l'histoire des religions l'on constate que nulle religion divine ou terrestre, à part l'Islam, n'a conservé la langue originaire de son Livre. Seul le Coran a porté sa langue arabe à toutes les nations de l'Orient et de l'Occident durant 1380 années; et, cette langue a conservé, à travers les siècles et les pays, son entité, sa force et son génie.

Les Livres des autres religions ne se lisent que traduits, sauf dans le pays où le Livre a été écrit. Seuls les servants de ces religions, ou peu d'entre eux, détiennent ou connaissent la langue d'origine. Ainsi, les livres de Bouddha ne se lisent, en Chine ou au Japon, que traduits en Chinois ou en Japonais.

triste où l'ignorance se propagea, le Califat s'affaiblit, le secours disparut et le peuple courba les échine.

L'Azhar signifie aussi la deuxième "Kibla", (le point de mire) vers laquelle les Musulmans dirigent leurs prières et leurs coeurs, dans tous les pays du monde, pour chercher, la faveur de ses lumières, le Chemin de la vérité et la voie vers Dieu.

L'Azhar signifie le refuge du peuple opprimé toutes les fois que le despotisme le secoue et que le gouverneur l'opprime. C'est en lui que ce peuple a toujours trouvé un asile sûr et un protecteur puissant.

L'Azhar signifie cette Université mondiale vers laquelle affluent, de tous les continents, les étudiants de toutes les races, et de toutes les couleurs pour étudier les lois et les règles de la religion et pour qu'ensuite, rentrés dans leur pays, ils y prêchent le bien et appellent à la vertu, ne visant par la ni fortune, ni grandeur, ni célébrité.

C'est le lieu benin et hospitalier qui abrite les pieux les ascètes, les prédicateurs, les réciteurs de Coran et les porteurs des bénédictions.

L'Azhar signifie la base spirituelle redoutée par les colonisateurs qui ont tant fait pour la réduire, mais qui désespérés de la saper pour

en éviter la force et le prestige, lui, tendirent une main flatteuse pour l'attirer et en exploiter l'influence.

C'est le foyer national qui attisa toutes les révolutions contre la corruption, qui a formé les porte-étendards des guerres saintes et qui a servi de tête et de main aux mouvements libérateurs des Arabes, en leur insufflant l'âme et en leur prêtant la force. Il a fait la guerre à l'invasion française sous le commandement de six de ses savants Ulémas. Il s'est révolté contre le despotisme Turc, sous le commandement de son recteur Abdallah El-Charkaoui, contre la tyrannie du Khédive, sous le commandement de son fils azhariste Ahmad Orabi et contre l'occupation britannique, sous la conduite de son autre fils azhariste Saad Zaghloul.

L'Azhar signifie donc tous ces faits grandioses que j'ai cités et d'autres faits aussi nobles que méritoires.

Cependant, je ne vous parlerai ce soir que de l'oeuvre bienfaisante de l'Azhar en ce qui a trait à la langue arabe.

Mes chers auditeurs.

L'oeuvre bienfaisante de l'Azhar, en ce qui a trait à la langue arabe, trouve sa source dans les bienfaits du Coran. C'est grâce à ce Livre

COMMENT L'AZHAR A ETE ET DEMEURE LA FORTERESSE DE LA LANGUE ARABE

PAR

MAITRE AHMAD HASSAN AL-ZAYYAT

Mes Chers Auditeurs,

Nous voici réunis au sein de l'Azhar. De ce mot, "Al-Azhar", où enfend une illustere Université Musulmane où l'on enseigne les sciences de la religion et de la langue. Mais, pour le croyant, méditant qui s'en souvient ou qui y pénètre, tenant l'âme en éveil et muni de dispositions naturelles pour a se faire des liens. Spirituels avec son passé lumineux et son histoire chargé de gloire, le mot "Al-Azhar" évoque des indices, des souvenirs et des réminiscences qui remplissent l'âme de recueillement, de majesté et de ravissement. Oui, le mot "Al-Azhar" est un de ces mots généraux qui renferme tant de signifiapions, sa prononciation révèle et réveille; et son sens rayonne et inspire: c'est un temps et un espace; c'est une religion, un monde et une histoire.

L'Azhar signifie entre ses autres le phare qui s'éleva sur le chemin du grand appel vers Dieu, dont l'édifice

est resté inébranlable au plus fort de cataclysmes et dont la lumière s'est propagée malgré les tourments des tempêtes. C'est lui qui a conduit les peuples de l'Islam, dans les nuits des malheurs et dans le tourbillon des guerres, vers le salut, la dignité et l'unité. L'Azhar signifie pour nous le rempart qui a protégé et sauvegardé la culture arabe durant plus de mille ans, en veillant sur elle et en augmentant les richesses pour les distribuer aux assoiffés de la science. en Orient comme en Occident: et ce, aux jours où l'ignorance et la mécréance venaient de saper les bases de cette langue, à Bagdad et en Andalousie.

Al-Azhar signifie aussi le rempart derrière lequel s'abrita la langue arabe pour se couvrir des attaques de la "Chéoubia", et de dialecto-vulgaires secte turco-persane hostile à (tout ce qui est arabe) à l'époque à laquelle la langue arabe devint étrangère et à laquelle le pouvoir passa aux mains des Turcs; époque bien

to choose the suitable judgments and rules.

Gentlemen : such jurisprudential legacy was not soundly understood because of the old style of writing. Today civilization has developed and mentality has changed and it is necessary that both education and books should be in accordance with the necessities of the present age.

Gentlemen : That is the third tribulation which Arabic is undergoing today and which is no less harmful than its two predecessors. Therefore Al Azhar should take a positive measure in this regard to foil the conspiracies, to launch a counter campaign and to be in a state of alertness against those whose ignorance and whims despoil the language of the Quran to undermine the bonds of the Arabs.

The Azharites, who carried this noble mission and conveyed the Noble Message of the Prophet for more than ten centuries, are quite prepared to defend their language and religion so long as they are sincere in their struggle and as long as they consider themselves God's soldiers by whom God defeats the hostile enemy at any time in battle,

As a result they live to sacrifice their lives as soldiers, work as leaders and abandon the world lust like the prophets.

God, the almighty, has guaranteed for the Arabic the survival of its eloquence and brilliance as long as the Quran exists. By your endeavours and ours, O' sincere Azharites, God has fulfilled his promise and He is the best of Truthful.

Errata

In the last issue of Al-Azhar Magazine the para. 4, page 17 has been as follows :
" It is not reasonable or customary that the consent of an individual is considered in the validity of some action".

Addenda

This paragraph should have been read as follows : "It is not reasonable or customary that the consent of an individual is to be considered in the validity of some actions meanwhile his personal practice in connection with the same actions is disregarded".

the Editor

of religion due to the fact that language is a collection of words whereby people express their thoughts and opinions. Such thoughts and opinions do not end and the People cannot stay dumb forever while seeing the objectives and meanings reproduce and develop as a result of the new discoveries of science and civilization.

However those who had existed after the rise of Islam and were not purely Arabs, were not entitled to invent new words in the language. This privilege was confined to the trustworthy pure Arabs of the urban society till the end of the second century after Hijra; and to the Beduins of the desert till the end of the fourth century after Hijra. This gave birth to the overwhelming prevalence of the colloquial language over the classical one and tightened the sphere of the classical in the classes of savants, literary figures, poets and writers to use it in their writings to the Kings and the elite.

This was because the people preferred in understanding the easy style and use the common and attainable. And when the language lags behind and is no longer adaptable to the needs of time and the current daily life; it would obviously mean that it is stagnant and will face its inevitable end which is complete

annihilation and will be superseded by the colloquial dialects.

The synod of Arabic language has become aware of this danger and therefore adopted a suggestion which I offered as to open the door for the contemporary grammarians to invent words in the language according to the rules of derivation; to release the linguistic analogy from any traditional obstacle; to liberate the hearing from the fetters of time and space to comprise everything that is used by the different classes of society such as masons, carpenters and other artisans; and to legalise the invented words and make it similar to the old ones. On this basis, the Synod of Arabic Language has made its medium lexicon which will appear shortly afterwards.

The case of religion is quite different. Its doors were widely open for the well equipped and prepared savants who expressed their free opinions and views. These various opinions were abundantly expressed and made the Islamic Jurisprudence full of sound judgments and good rules which sufficed the needs of the Muslims and solved their social and legal problems. Therefore the Islamic Jurisprudence had been quite satisfactory for the needs of the Muslims and they devoted their endeavours

style and its words have no rules for guidance whatsoever. Consequently its attainment does not require any book or school but can be achieved by any doorkeeper or servant or layman. In other words, it means the separation of literature from religion, severing the ties between the past and the present and weakening the bonds amongst the Arabs.

I am of the opinion that it cannot be effectively amended except by the old method, namely, the full comprehension of its secrets, the adequate apprehension of its grammatical rules and the wholehearted memorization of its literatures. The implementation of this requires the unflagging efforts and continual seriousness, as regards the preparation of efficient teachers, sufficient knowledge and fruitful experience as regards the curriculum, good taste and sound logic as regards the making of books.

The Azharite book which we have studied and to which we still make our references, is a treasure of knowledge but lacks the easiness, good classification and representation. The difference between such books and the modern ones is like the difference between a spice shop in Al Ghorreyah (a Popular quarter in Cairo) and a commercial house in Kasr El Nil (the centre of the city of Cairo).

The old shop may have precious ornaments or trades but bad exhibition of which weakens the vogue therein and decreases its value.

Practically speaking, if we present the Azharite books in an interesting and palatable manner, they be lessons or lectures or notes or books, then this would render its fruits attainable and would facilitate the task of the students to comprehend without difficulty or hardship.

The mission of Al Azhar, as I have already mentioned, is built on two pillars, namely, religion and language. But it actually carries this mission out in a different manner. This is due to the fact that religion is perfect being the work of God while language is imperfect because it is the product of man. So long as religion is perfect and divine, it cannot be affected by the environment or by the passage of time or by civilization and science. It is ever new, ever valid, and ever solid. In contrast with this, the language being imperfect, is subject to corruption, stagnation and backwardness. Likewise it is subject to increase, reconstruction and development.

Therefore the development of the language is a necessary and natural matter. Because the language cannot be like the established facts

Nevertheless the concise remainder of these sciences cannot afford the existence of both language and literature. It is true that modern educational institutions provide for the graduation of a considerable number of students in the sphere of Arabic language but they are by no means similar to those graduates of prominence from Al-Azhar and savants like Mohammed Abdou, Saad Zaghloul, Al Manfalouti, Al Bishri, and Taha Hussein. Nor are they like the graduates from Darul Aloum such as Shaweesh, Al Mahdi, Al Khodari, Al Sakandari and Al Gareem; nor do they bear any semblance to the graduates of the Higher School of Islamic Jurisdiction like Ahmed Amin, Azzam and Al Khouli. Furthermore, they differ from the graduates of the Supreme School of Teachers (Al-Mullimeen) like Al Mazni, Shukri, and Abou Hadeed. They are also distinct from those who have received their education and knowledge from the books of Al-Azhar, such as Al Aqqad, Al Refei, Shawki and Hafiz in Egypt; the Bustanis, the Yazzigis, Al Shedyak, Matran and Al Khouri in Lebanon; Al Maghrabi, Al Shehabi, Gabri and Al Tantawi in Syria; Al Rassafi, Al Zahawi, Kashif El Ghetaa, Al Shabibi and Al Athari in Iraq; Al Nashashibi and Al Sakakini in Palestine.

Gentlemen ; frankly speaking, I am one of the supporters of the reconciliation between the classical and the colloquial Arabic. My method in the Synod of the Arabic Language is to supply the classical Arabic with the words and expressions of modern civilization which colloquial language is full of, in order to bridge the gulf between the dialects. By virtue of such a trend and through the medium of the press, broadcasting and education, these two dialects will become one integral language which comprises the characteristics of the classical Arabic of the correct style, abundance, eloquence and brilliance; and the characteristics of the colloquial Language of adequacy, natural character, dynamism, refreshment and obviousness.

But with regard to the trend that calls for the negligence of the grammatical rules and which deprives the language of its brilliant style and makes it void of any eloquence; and consequently it cannot serve as the link between our past and the future, and is unable anymore to gather us in our general terms; it must be said that such trend cannot by any means be propagated by any serious man, and cannot be listened to by any sound individual. If we left things to continue this way, then the colloquial language would prevail because of its frequent repetition in

environment while science is universal. Literature is like the soul to the body or like the blood which flows in a human being's veins which creates the personality of the independent individual and portrays the picture of the unique people. Literature constitutes certain breed, language, taste, environment, mentality, belief, history and traditions while science is something different from the above-mentioned. Therefore it is permissible for us to borrow from others what might perfect our science but we are by no means allowed to borrow any type of literature to be representative of ours.

The study of Arabic in fact, after graduating from Colleges, in an authentic and productive manner does not demand much effort and time as the study of French and English. But they seek in the age of speed the easy and feasible objectives in so far as science and production are concerned. Whenever criticism is levelled against them in respect of their method of approach to studies, it is very often met with grudge and spiteful sentiments. Wise critics claim that authors who are unaware of the rules of their respective language are not considered neither in modern nor olden literature as true authors or poets or novelists.

When people read newspapers and books and do not grasp any

grammatical errors which might reveal the ignorance of the author and thereby expose him to the general reading public then one must remember the unknown soldiers of the Azharites who are called correctors and who devote night and day in the Press publishing houses correcting grammatical mistakes and strengthening the style of the Arabic language.

It is no harm to facilitate the task of the students of the Arabic language in respect of the rules of Grammar, Morphology and Rhetoric but it is harmful and detrimental to exaggerate the importance of such practice. It is therefore better to mitigate the difficulties of the various interpretations and justifications through which grammarians had philosophized grammar, and to eradicate the contradictory forms of declension which are nothing but mere remainders of the different dialects of the pre-Islamic era and which convert the right to mistake and vice versa and thereby tend to confuse the minds of the general readers.

But it is detrimental by all means to deprive the sciences of Arabic of their characteristics of strength, fertility and expansion in the same manner as the skeleton which possesses a form but lacks the soul and flesh.

impassable obstacle. He resorts to the extreme when he calls for absolute liberty to the writer to express the way he likes.

This is the state of the graduate who has literary inclinations by nature. As for the common graduate, unfortunately, he continues his shallow knowledge by reading the simple works as represented in the colloquial stories which deceive common sense ; or in the humourous magazines which stimulate sexual cravings. The readers are so excessively interested in this type of literature that worthless writers have indulged immensely in the production of such pornographic and base literature and which is most harmful to society. In addition to this there is also the prevalence of the Western literature with all its doctrines, trends and defects which have a great influence upon the minds of youth who have had access to this fragile and worthless literary culture.

Such half baked knowledge has made them ignorant of their own literature and their language and past history. Those adherents of French culture and literature, for instance, are fully aware of Hugo and do not know who is Al-Mutanabbi; they study Voltaire and not

Al-Gahiz ; and read La Martine not Al-Badee. Hence as a result of this trend and attitude, there arises the dependence of our literature on the literature of the Western writers. This dependence has affected the literature of our young writers. Therefore one could notice that their style, critical views and opinions are very often identical or else similar to these of their Western contemporaries. Even Symbolism, which is the outcome of the complexed self and the clouded horizon, has found admirers here who are endeavouring to propagate it in the Arab World which is known as the land of the barren desert, of the shining sun, and of simple nature. Similarly attempts are being made to apply the principles of Existentialism, which is the product of dissolute morality, abnormal taste and libertine instinct, to Arabic which is the language of the Divine Revelation that honoured man and made him superior to animal by virtue of certain privileges of religion and morality.

The case of literature is not the same as that of science. This is because literature relates to noble instincts and sentiments and balanced minds while science is meant for all people without any distinction. Literature is the outcome of certain

of poetry, prose and criticism. From these two categories the literary movement derived its inspiration as well as its vital factors to become flourishing, advanced, brilliant and eternal.

This old method had produced many distinguished literary figures who were responsible for the preservation of the language, gave it a new life and laid the foundations of a modern literary renaissance. There are in the Arab world still a small group of these literary men of noble repute who are discovering the secrets of their language and deeply engrossed in their literature. But it must be remembered that their places in the literary world would fall vacant at some future date and there would arise a problem, namely, would there be successors to undertake this mission of literature and would they be entrusted with the legacy of the language? It is Al-Azhar alone that could supply the answer to this query. It is by virtue of its characteristics the only refuge and asylum of the language in the past and in the future.

As for the other institutes, it must be frankly stated that these institutes render the impression of pessimism. This must be attributed to their poor curriculum which has but the slightest rules of grammar and to the superficial and scanty

education which has no object except to make the student pass an examination. The original volumes, for instance, are summarized and the concise books are further abridged leaving nothing left in the memory of the student save vague language which makes no sense. In addition to this the distaste of the youth to look for the serious and useful studies of the language and literature which hampers them to penetrate into the original sources and attracts them only to search in the subsidiary branches which satisfies their needs just to enable them to pass an examination and obtain a certificate. When the student graduates with this poor educational background and finds himself amidst the treasures of Arabic literature, he develops a tendency to disregard such works because he lacks the qualifications which such treasures of literature demand. Instead he resorts to the cheap literature of the West to quench his thirst and takes it as an example to be followed. As soon as he finds himself capable of producing some piece of literary work, he finds that although he is possessed with the creative faculties, he cannot find the correct language to express his thoughts nor can he develop a style which would impress his readers. Consequently he becomes disgusted and rebels and assumes that the rules of the language are no longer valid and that the declension of the word is an

discreet only launched a campaign against classical Arabic but encouraged and promoted the colloquial form of the language at the hands of British officials, missionaries and orientalists. This is due to the fact that the colloquial dialects varies from place to place in the Arab lands to such an extent that each dialect could be considered an indigenous and independent language. And if the classical language, which is the common language, is defeated by any dialect, then understnading would be difficult and impossible, the faith would weaken, relationships would sever, unity would be dissipated and strength would vanish. It would thus be easy for the Imperialists to devour the Arab countries one by one without experiencing any form of difficulty or resistance.

Fortunately this destructive movement has ended in utter failure as a result of the vigilance of the Arabs and this spelled the doom of the Imperialists in the East.

The second tribulation which beset the Arabic language was ignorance which followed imperialism in this criminal trend. By ignorance is meant the ignorance of the Arabs of their language and their neglect of its sciences and literature. This is the offence of the modern school

which failed after passing considerable time and many experiences, to produce the reader who can understand what he reads, the writer who has a cultural background and the intellect who is the real originator.

The proof of this failure is manifest from the fact that the student devotes more than ten years during the course of which he had been incessantly studying Arabic and when the time approaches for him to express his opinions, he finds himself in a difficulty to express his thoughts whether it be orally or in writing. When his literary aptitude urges him to express his ideas in writing, he resorts to the colloquial language rather than the classical and calls for the negligence of the grammatical rules to make disorder, errors and disability prevail.

The science of Arabic language has been studied in Al-Azhar, Darul Aloum and other similar educational institutions in Lebanon, Syria, Iraq and Morocco. Such studies were marked by profound characteristics which enabled the Promising and industrious students to understand, apprehend, justify and analyse well. It is this fruitful study which produced good and prolific writers, poets and critics. It also produced the professional literary figures who had been guiding the literary men in respect

Al-Hzhar, as destiny would have it, was solely responsible to overcome all these tribulations and turmoil. God, the Almighty had willed this to preserve His Book and His religion.

There is however another recent development which has been gradually taking proportions of much alarming magnitude that nevertheless calls for attention. This recent development which besets the Arabic language is about to perplex tongues, annul the validity of the Quran, defile the genuine sources of religion and dissolve the bonds enchainning Arabs to their legacy. It would pollute the purity, sublimity and magnitude of literature as derived from the Revelation of God and would degrade it and cause it to be relegated to the lowest standard of materialism, meanness and indecency. This distress is exemplified in the linguistic libertism which propagates and prefers colloquial to classical Arabic; which appreciates the common literary works while rejecting the sophisticated classical works of literature and which welcomes the exciting subject and not the guiding and enlightening one. This latest subversive trend in literature urges the writer when he writes and the poet when he versifies, to pay no attention and disregard the rules of grammar or morphology, rhetoric or rhyme or even the moral principles.

However this state of affairs has two underlying factors or causes, namely imperialism and ignorance. As regards Imperialism, it must be mentioned that it has realized the fact that the bonds which link the Muslims all over the world, no matter how distant and different their countries may be, are fundamentally the religion and the language. The Imperialists at one stage considered the nationalist movements of the Arab and Muslim countries as mythical but now they emphatically believe that so long as the Muhammedan nation remains united and integral by virtue of the religion of Islam and the Arabic language, it will inevitably achieve its independence and will sooner or later put an end to the exploitations of imperialism.

France, therefore has continually attempted to keep and wean the Berbers in Algeria away from their religion by propagating false ideas and pretences, and persist in endeavouring to prevent the Arabs from the sources of their language by expunging it from the schools and governmental offices and organisations.

But the teachings of God have been stronger than the French trials and the language of the Quran more powerful and decisive than that of the sword. England being cunning and

but nevertheless these attempts proved futile as a whole. However, during this period the Arabic language had been removed from its firmaments of India, Khorasan, Iraq, Romiland and Andalusia. In the Arab domain it had experienced a very critical and pitiful stage and was almost on the verge of extinction and being completely forgotten and neglected. But there always remained a ray of hope that some support would be given or forthcoming from whatever source to retrieve it from the abysmal state into which it had fallen. This support which was needed at a very crucial stage ultimately came from Al-Azhar which gave immeasurable support and restored the Arabic language to its pristine state of glory and due to which assistance Arabic still survives. Hence Azhar became known as the saviour of the Arabic language to the Arabs and the Islamic world. Al-Azhar nurtured it, gave it strength, and protected it. When the shadow of the Ottoman Rule receded, God the Almighty, willed that the sun of awakening should rise again to cast its brilliant rays over the length and breadth of the Nile valley and thereafter the Arabic language rid itself of its subduing forces; and its historic career and unique and powerful characteristics were restored. Al-Azhar has ever remained the shelter of Arabic and

the principal cause of its survival and resurgence.

Since the French occupation till the reign of Muhammed Ali, Al-Azhar had been the source of inspiration to the populace in their struggle and to governments in their reformatory movements. In its guiding role and in the forefront of its activities were many illustrious and eminent Rectors such as Khalil El Bakri, Abdullah El Attar and many others of great repute.

With its vast resources of energy it has gone ahead with laudable plans and it must be noted with great pride and deep appreciation that it has led a pioneer movement in that it sent many promising students to Europe to further their intellectual advancement. The first mission was composed of the best talents such as Ibrahim El Nabarawi, Ahmed Hassan El Rashidi, Muhammed Ali El Bakli, Refaah El Tahtawi, and Ali Mubarak. This was another great characteristic of this glorious institution which had strived to preserve the Arabic language as an integral one.

Gentlemen: it is therefore quite evident and manifest to you all in the light of the aforementioned facts stated that Arabic had been subjected to great stress and threat of extinction during two successive reigns and that

grammar through the medium of Turkish in both Syria and Iraq. Consequently there was a spread of colloquial language with words interpolated profusely while the eloquence and brilliance which were ever present in the poetry and prose of the learned and erudite of the past, made a quick exit from the intellectual and cultural works in the sphere of literature. This period was plunged into persecution and darkness and the talented lights that once shone were soon extinguished and an era of gloom pervaded the whole atmosphere mainly due to the lack of enthusiasm and desire for knowledge in the rulers.

The Turks however dominated the machinery of government in Egypt in the domain of political, military, administrative and educational affairs. Their efforts to subdue Azhar ended in disaster for the reason that they were deeply impressed with its cultural and religious magnitude and glory. Hence they held it in reverence and esteem, and they sought from it whatever support that was forthcoming and looked forward to it for inspired solutions to their problems. Sultan Selim himself had visited it considerably to seek in prayer the divine blessings for his reign.

It should be noted that Azhar

made inroads to the Turkish lands in the sphere of culture by disseminating its knowledge of literature through books and this resulted in the interest shown by Turks to study the Arabic language. In fact many Turkish individuals studied and spoke the Arabic language and even published books in Arabic. There arose eminent personalities and scholars such as Alfayrouzabadi, Abou Al Soud, Al-Fanari, Mala Khesrou, Al Gami, Khugah Zadah, Mala Meskeen, Maia Lotfi, Haji Khalifa, Tashkebri Zadah and Ibn Kamal Pascha.

The Turkish Sultans themselves had studied Arabic and Literature to the same degree and standard as Turkish literature. The Arabic language had never been weak or neglected under the Turkish rule except in the reigns of Sultan Mahmud the Second and his son Sultan Abdul Majid the First when they revived the Turkish language and accorded it a great place and even called it the Ottoman Language.

You can conclude, Gentlemen, from what you have now heard, that Arabic had undergone many attempts directed towards its extinction during the era of Moghul rule and Ottoman domination which lasted about three hundred years respectively

it and aided it because they had chosen Egypt as their home, Islam to be their religion and faith, and Arabic to be their language. They also had amongst them poets like Sultan Qansawah Al Ghuri. The Mamelukes extended their moral and material support to the religious authorities, literary figures, scholars and authors and encouraged the intellectual advancement. Under their auspices Azhar had produced eminent scholars who pooled their knowledge and propagated their ideas and published them. From amongst these scholars there were many prominent and illustrious personalities such as Gamaluddin son of Manzour, Gamaluddin son of Hisham, Shamsuddin El Zahabi, Al-Hafiz Ibn Hagar Al Asqalani, Abou El Abbas El Qaulqashandi, Taqeyyuddin El Maqrizi, Badruddin El Aini, Seraguddin El Balquini, Badruddin El Damassini, Shamsuddin El Sakhawi, Kamaluddin El Domayri, Galaluddin El Syouti and Taqeyyuddin Al Qushayri who is known as IBN DAQIQ EL EID. Such intellectual advancements have focussed the attention on Al Azhar and during the seventh, eighth and ninth centuries it was acknowledged by the Arab and Muslim nations as the centre of cultural and religious activity in the Islamic world and providing an unsurpassed leadership.

Throughout its ancient and

historic period and to the present day, it has maintained the existence of the Arabic language, preserved the standard of literature and disseminated religious and cultural thought and had it not been in existence, the link between the ancient and modern literature would have been dissolved and disappeared.

The second tribulation which had eclipsed Arabic and from which it emerged safe and integral, thanks to the efforts of Al-Azhar, had been the Turkish invasions in the beginning of the 10th century when Sultan Selim assumed control over Egypt and Syria in 923 A. D. Then the Caliphate became Ottoman and not Abbassite and the capital of Islam shifted from Cairo to the city of Constantinople, and the Turkish language became the official language instead of Arabic. Sultan Selim the invader, ruled supreme in Egypt for 8 months and during which period he had plundered the most precious monuments of books, ornaments and antiquities executed by the most skillful artists and brilliant authors who had graduated from Azhar and produced their works during the three centuries preceding the Turkish invasion.

The invaders propagated their own language in the schools and in the administrative machinery of the government in such haphazard manner that they taught the Arabic

It has been Al-Azhar which maintained the existence of this language inspite of the lost power and prestige. This is simply because God the Almighty, has previledged this Glorious Al-Azhar by certain merits which have marked characteristics in it. Some of these merits partly belong purely to the Arabic nature of the studies by virtue of its early establishment and environment, and of its situation in the center between the near and middle easts. Consequently it has become the threshold of Muslims from all parts of the world. Another merit attributed to it is its proximity to Hedjaz and thus it has become the route to Mecca for those on pilgrimage and other nomad scientists from Africa and Andalusia. Further Al-Azhar has produced many great scholars well versed in Islamic studies and Arabic literature, who had compiled the fragments of Arabic sciences and literature in great volumes which look like Encyclopaedia. Al-Azhar has also enjoyed a great status which might have reached the degree of sanctity in the hearts of all Muslims and rulers and which had played a great part in solving many political as well as social problems. It has catered to the needs of the professors and students and has extended its benevolence for the cause of humanity and has further suppor-

ted or afforded financial assistance to the needy students in respect of living accomodation, clothing, board and tuition fees. It has granted asylum to those who had run away from the Moghul invasion which had swept away Khorasan and Iraq and spared their lives, religion, knowledge, literature and books. Those learned immigrants both from East and West sought asylum in Cairo and achieved scientific discoveries and made great contribution to the advancement of cultural affairs. They were in many respects similar to the Christian scientists who had immigrated from Constantinople to Rome, and who had been the pioneers of the scintific as well as the cultural age.

Amongst the many reasons which contributed to the great success of Al-Azhar, it must be remembered that the AYYUBIS had to a large extent afforded both moral as well as financial support in a very effective manner. Although they had been KURDS yet they had spoken Arabic and studied its literature and from amongst them there emerged the genius poet, scholar, historian, such as King Muayyed Emaduddin Abou El Fedda and King Afdal Ali Ibn Salahuddin.

It is also worthy of note that Mameluks had taken great pains to preserve Al-Azhar. They had supported

no longer exist, could not individually or collectively rival Al-Azhar in its everlasting favour on the Arabic language as being the medium of sciences and the common link which bound all Muslims to this date.

Gentlemen: Arabic, the language of the Quran, has undergone two bitter and lethal trials. First the tribulation of Moghul invasion in the second half of the seventh century when the Abbassite Caliphate in Iraq weakened as a result of the competition between Persians and Turks, of the conflict between the Shiis and the Sunnis and of the lack of respect and prestige of the Caliphs which all together had paved the way for Hulaco to destroy the abbassite Caliphate in 656. Furthermore, the deterioration of the Ommayyad dynasty in Andalusia when the Berbers and subjects took over their kingdom and divided it into statelets. such disintergration had facilitated the path for the Frankish to swallow up these statelets one by one till they absorbed them completely in 898. In addition to these catastrophes the Fatimate dynasty in Egypt and Syria collapsed and fell into the hands of the Ayyubis and then to the Mameluks who assumed control until their power was wrested by the Ottoman Turks in 923.

You can realise, gentelmen,

from these historical events that the Arabs had spent 560 years with no power or kingdom. Their legacy and homes had been subject to common pillage and exploitation by the Moghuls, Turks, Persians, Greeks and by Spanish shortly afterwards.

These non-Arab invaders had been illiterate and marauding hords who had indulged in vandalism and passions; and ultimately brought about the downfall of the language and its literature as well as its sciences. They wantonly scorched libraries, annulled schools, exterminated scientists and learned intellects. Further, there was the conquest of the Tartars and their ravages in Bokhara Baghdad, the Crusaders in Syria and th Frankish in Andalusia. Had the Arabic language been abolished and joined its two co-semitic languages, it would not have been considered out of the nature of things or an innovation in the logic of history.

Nevertheless it has survived as the language of religion and science, of the government and peoples in Morocoo, Egypt, Syria, and the Arab Peninsula. Had it not been for the arrogance of the Turks and the fanaticism of the Persians, it would have been spoken by Muslims all over the world.

to defend it, and to propagate it until it had replaced the Persian language in Iraq, the Rumi in Syria, the Coptic in Egypt and the Barbarian in Morocco.

During the Abbassite Caliphate, the golden age of the Arabic Language, it became the language of religion, literature, science, politics, administration and civilization. The Muslims whosoever had been travelling from one country to another in the Islamic world felt as if he were going from one place to another in his native land and he never faced the difficulty of being understood nor did he experience any hardship in dealing or adversity of living.

Muslims, Arabs and Persians alike, had been absolutely following the teachings of the Holy Qur'an. It has been their petition and supplication in the mosques, their discipline in their homes, their way of life and their constitution. It has penetrated deeply into their souls and nature, and has affected their tongues, traditions and minds in such a manner that never had a parallel in the history of divine scriptures.

Henceforth, the Islamic culture has been based upon two basic principles: the religion and its various sciences; and the language with its different branches. The relation between these two pillars has been mutual and interacting at the highest

pressure in the sense that Islam without Arabic is obscure and backward and Arabic without Islam shrinks and dies away. Therefore they are closely knit together or inter-related.

It must be stated that all Semitic Languages are chiefly indebted in their survival to religion. Judaism, Christianity and Islam have been the causes of the survival of Hebrew, Syriac, and Arabic respectively. Yet the difference between the survival of Arabic and the survival of both Hebrew and Syriac is like the difference between the body and the soul.

Al-Azhar being the heir of Prophethood, protector of the Faith, and the propagator of the Call, has established its mission on those two pillars. i.e. religion of Islam and the Arabic Language. Thanks to God's help and care, Al-Azhar has undertaken this glorious mission in such a manner that it has gained the place of leadership in the Islamic world. It might be said that its laurels in the sphere of religion and language might be shared more or less by some schools and mosques founded by the Sultans in Cairo, Damascus, Aleppo, Baghdad, Cordova, Qayrawan and Zaytounah, such as the schools of Nasseryeh, Qamheyyah, Salahyyah. Muayyad, Mansouryyah, Shaykhyyouriah, Zaherryah, Kamellyah and Nezamyah. However such schools, which

also invented to illustrate the unimitatability of the Quran while the Prophetic Traditions, origins of jurisprudence, interpretations of the Quran, were introduced to explain religious injunctions.

Thanks to the Quran, the Arabic language is being spoken by all the Arabs and has been disseminated everywhere. It has been preserved for almost 14 centuries without being altered or affected or stagnant. This is in accordance with God's saying: "We have, without doubt, sent down the Quran; and We will assuredly guard it (from corruption)" (Surah. 15, V. 9). It is therefore quite clear that the preservation of the Holy Quran necessitates the preservation of its language.

If one takes a short glance at the history of the divine and secular religions, he will realize that there is no religion which has been carried from the extreme east to the extreme west by its own language except the religion of Islam and the Arabic language which has marvellously achieved this object for 1380 years while at the same time remaining strong, dynamic, integral and maintaining its own characteristics.

In contrast with this the original books of the other religions had been only read in the very land in which these religions appeared, but when

they spread to other lands, they were read through translations while the original books were read by a few religious figures.

Buddhist books, for instance, are read by the followers of this sect in both China and Japan through their respective languages. Likewise, Torah and the Bible are read in the Christian world through the different languages of every individual Christian nation. Therefore they had but a slight impact upon the different literatures until they were translated into the Latin language. Then they had a strong influence on the European literatures.

However this is not so in the case of the Qur'an. This is due to the fact that the Muslims have actually believed that the language of the Qur'an is a part of its essence and the fact that it was an expression of the Revelation of God; the language of His Book; a Miracle of His Messenger; and the language of His Call. The Messenger in turn elevated it by his Traditions; the religion diffused it and the Qur'an made it eternal.

The Qur'an is not actually called Qur'an unless it is recited in Arabic and the prayer is not perfectly performed unless it is said in Arabic. Therefore the people hastened to study it and speak it and to publish books in it, to be enthusiastic about it, to

Muslims throughout the world turn their hearts seeking guidance therefrom to lead the way of God and along the path of truth. Al-Azhar, too, represents the asylum of the obsessed people in which they find a staunch protection when they are subject to tyranny or despotism.

Conversely, Al-Azhar is a universal university to which students from every nation, breed and colour come to further their religious studies to Propagate the Divine Call when they return back to their countries. Al-Azhar has been the sacred place in which the worshippers, ascetics, preachers, the memorizers of the Holy Koran and the blessed people had lived.

Al-Azhar has been the spiritual base which frightened the imperialists who implicitly and explicitly attempted to bring about its downfall and destruction in order to be safe and secure. When they failed to achieve this object, they began to compromise and flatter it in order to take advantage of it.

Al-Azhar has been the national institution which fought against corruption, brought forth national leaderships and contributed effectively to the awakening of the modern Arab world and its people. It has inspired it and strengthened it. Perhaps if we look back into the pages

of past history, we would find six learned Azharites who had opposed the French invasion, one resisted the Turkish tyranny, viz. Shaykh Abdullah Al Sharkawi, the legendary figure Ahmed Orabi who had opposed the Khedival oppression, and Saad Zaghlul who had fought against British Imperialism. Hence all these previously mentioned may be conceived from the word of AL-AZHAR. However tonight I shall confine my lecture to the Arabic Language in particular and not to any other subject.

Gentlemen: the care of Al-Azhar towards the Arabic language arises from the care of the Glorious Quran towards it. If we enumerate the benefits and merits bestowed by the Quran on the Arabic language, we would find that the words in it become mellifluous, its construction melodious, its meaning adequate, its logic powerful and its vocabulary rich and copious.

It has brought forth religious and literary sciences which preserved its vocabulary by virtue of grammatical rules and lexicons. The Quran has further expanded the domain of terminology and Arabic expressions. Consequently many sciences have been produced, such as, Morphology, Arabic Grammar, and philology, to prevent the Arabic tongue from grammatical mistakes. Rhetorics were

AL-AZHAR: ITS RÔLE AS THE GUARDIAN OF THE ARABIC LANGUAGE

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

We are now assembling in Al-Azhar auditorium. The notion which occurs first our mind when we mention the word of Al-Azhar is that it is an Islamic university in which sciences of religion and language are being taught. But when the conscious and scrutinizing believer mentions or enters it-while at the same time being prepared by nature to contact his spiritual legacy, his shining past and his eventful history-he would undoubtedly remember the glorious memories, magnificent recollections and solemn implications. Al-Azhar is a comprehensive and meaningful word which has spiritual and moral significances. It constitutes time, place, religion, life and history.

Al-Azhar stands as the lighthouse which has been raised as a guidance through the history of the Great Call, and which has been firmly established unshaken by the tremors and earthquakes. Its light has ever shone to guide the Muslim peoples during the dark ages and

under adverse circumstances to enjoy the sense of safety, dignity and unity. Al-Azhar has been the shelter which maintained the existence of Arabic culture more than thousand years past. It has been watching over it, expounding it and extending it to the seekers of knowledge, from East and West alike, who resort to it in quest of knowledge. In other words Al-Azhar has been the radiating centre of Islamic thought and culture. Meanwhile this Arabic culture had been destroyed by ignorance and blasphemy in Baghdad and Andalusia. Furthermore, Al-Azhar stands as the refuge to which the Arabic language has resorted from the inroads of sectarianism, colloquial language and Turkish when the rulers had been alien to the people, when ignorance had prevailed, the caliphate had weakened and the real possessors of land had been subject to utter humiliation.

Moreover Al-Azhar has been the second niche to which all

مجلة الزهر

مجلة شهرية جامعية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المصنوع
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

يشارك في التحرير
عباس محمود العقاد
مركز التحرير
محمود الشقراوى
بدل الاشتراك
١٠ ج

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر جمادى الأولى

الجزء التاسع — رمضان سنة ١٣٨٠ هـ — فبراير ١٩٦١ م — المجلد الثاني والثلاثون

لسماع الله العليم الخبير

الزوميات والصيام

للأستاذ عباس محمود العقاد

ويقول الدكتور كامل حسين في تحليل
كلف المعرى بالزام ما لا يلزم : إنه
كان بطبيعته متديناً غاية التدين . . . ودليل
التدين أمران : أن يعمل الإنسان أعمالاً
صالحة ليس مضطراً إلى عملها إلا بدافع من
نفسه ، وأن يمتنع عن أمور سيئة لا يمنعه
منها إلا وازع من نفسه . . فالتدين في الواقع
ليس إلا لزوم ما لا يلزم إيجاباً وسلباً .
هذان تفسيران لطريقة المعرى في نظم
الزوميات ثلثيان في معنى واحد ، وهو تطوع

يقول الدكتور طه حسين في كلامه على
الزوميات : « إن لزوم ما لا يلزم هو شعار
أبي العلا . في جميع أطوار حياته بعد رجوعه
من بغداد . فقد ألزم في شعره ونثره وسيرته
أشياء لم يلتزمها من قبل ، ولم يكن من الحق
عليه التزامها ، وإنما آثرها حين راض نفسه
على تكلف المشقة واحتمال المكروه . فاللزم
في الزوميات أن تكون القافية على حرفين ،
أى أن يلتزم حرفاً لو أسقطه لما كان متجاوزاً
قواعد القافية . »

في عصره وأن طريقته هذه لم تكن هي الطريقة الوحيدة بين شعراء عصره وأدبائه ، فإنهم كادوا جميعاً أن يلتزموا شيئاً لا تلزمهم إياه قواعد العروض أو قواعد الكتابة ، وقد عرضوا لنا من هذه الناحية ظاهرة عصرية تحتاج إلى تفسيرها ولا يغنيها فيها تفسير طريقة اللزوميات أو مزاج أبي العلاء .

فلماذا هذا الولع بما لا يلزم بين أبناء الجيل كله ومن يليهم من الشعراء والكتاب إلى القرن السادس أو بعده بقليل ؟

لاخفاء بسبب هذا الولع إذا نحن تذكرنا أن القرن الرابع للهجرة هو القرن الذي جاء بعد عصر المخضمين ، وشاعت فيه شبهات العجمة وغلبة السيادة الأعجمية على البلاد العربية فحولت فيه لغة العرب بلغة الدخلاء والمولدين وقيل فيه: إنه طليعة عصر المتأخرين ونهاية عصر الأوائل الذين يحتاج بهم ويجوز للأدب أن يستشهد بكلامهم للتمييز بين الفصيح والأعجم ، وبين العربي والدخيل .

إن تسمية أدباء ذلك العصر باسم المتأخرين والمولدين هي الشبهة التي وقرت في نفوسهم وكلفتهم أن يدفعوا تلك الشبهة بالمبالغة في التزام ما لا يلزم على شتى الوجوه والأساليب وكلفتهم - مع هذا - أن يصطنعوا شعر الحكمة والمثل السائر ، مخافة أن يقال : إن السلف قد

المعري لاحتمال الشدة التي لا يحتملها غيره إلا مطيعاً للسلطان المفروض عليه . فهو في التزامه ما لا يلزم في نظم الشعر ، يجري على العادة التي التزمها في ملازمة داره ، وفي الصيام عن اللحوم وما كل الترف والنعمة ، وفي العزوف عن غرور الجاه والثراء ، ويجوز أن يكون هذا الالتزام كما نرى نوعاً من « التحدى » للبصائب والمحن كأنه يقول لها : « بيدي لا بيد عمرو » . كما يجوز أن يكون ذلك أنفة من الزحام الذي يعجز عنه ويقدر أنه يعرضه للعبث والسخرية وهو الذي استكثر على وقار أبيه أن يخف للزحام في موقف الحشر حين رثاه في أوائل صباه فقال :

ويا ليت شعري هل يخف وقاره

مع الناس أويأبى الزحام فيستأنى
وقول الدكتور كامل حسين : إن التزام ما لا يلزم ظاهرة من ظواهر الفريضة الدينية قول صحيح يصدق على سليقة التدين وعلى أصل من أصوله العميقة وهو الرضا بالتضحية والفداء والصبر على المشقة والصيام عن الملذات . وكلا التفسيرين يوافق المعبود من خلق المعري ومن سيرة حياته ، وقد يغنى عن المزيد في تفسير اللزوميات لولا ملاحظة لا بد منها عند النظر إلى أدب المعري وأدب معاصريه ، وهي أن المعري لم يكن وحيداً

ذهبوا بالحكمة وجوامع الكلم ولم يترك
المتقدمون قولاً للتأخرين .

ولقد كان أبو العلاء أشدهم حرصاً على
عروبه ودفعاً لشبهة التخلف في لغته وأدبه ،
ونفراً بالتقدم على غيره ، ولم ينظم شعراً في
الفخر إلا جعل : هذا التقدم ، أول مفاخره
فيه ، فهو القائل :

وإني وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل

وهو القائل ويريد مكانته كما يريد وجهته
وقبلته إقبالا وإعراضاً مع الكبراء والأمراء :
ورائي أمام والأمام وراء

إذا أنا لم تكبرني الكبراء
وهو الذي جعل اللغة ومشكلاتها وأسرار
كلماتها وألغازها شغله الشاغل في رسائله
ومصنفاته . وقال الدكتور كامل حسين ، بحق :

إنها حلت عنده محل ألغاز الأساطير وأسرار
العبادات عند اليونان الأقدمين .

فإذا كان مزاج المعري هو الباعث الأول
له على تحديد البحن وأنفته من الزحام فمزاج
العصر كله هو الذي كان يوحى إلى الشاعر
والتأخر ، أن يقول : إنه صانع لما لم يصنعه
الأوائل ، وقادر على التزام ما لم يلتزموه ! .

وكان غيره من شعراء القرن الرابع يلتزمون
شيئاً لم يلتزمه الأوائل ، فيقول (أبو الفتح
البستي) في شعره :

إذا أقر على رق أنامله
أقر بالرق كتاب الأنام له
ويجانس في قافيته فيقول :
ولا تعد لحديث إن طبعهم
موكل بمعاداة المعادات
وهو القائل في منشوره : « من أصلح فاسده
أرغم حاسده ... والمنسية تضحك من
الأمنية ... وعادات السادات سادات
العادات ، .

ويمضى الملتزمون ما لا يلزم على هذا السنن
حتى نرى الحريري ينظم الأبيات من حروف
مهملة أو حروف معجمة أو يوالى بين
الحروف حرفاً مهماً يتلو حرف معجم .
أو ينظم البيت من بحر ين وقافيتين
كما قال :

يا خاطب الدنيا الدنية إنها
شرك الردي ، وقرارة الأكداد
دار إذا ما أضحككت في يومها

أبسكت غداً ، تبا لها من دار
ويزيد بعض المتأخرين فيلتزم القافية
ثلاث مرات أو أكثر في البيت الواحد كما
قال النابلسي من التسميط .

جزيل السخاء ، جميل العطاء
جليل العلاء ، من النجم أهدي
سريع الجواب ، رفيع الجنباب
وسيع الرحاب ، حبا الوفد رفدا

وكان بديع الزمان يلتزم ما لا يلزم على طريقته فيبدأ الكتاب من ختامه ويعيده بعد تمامه ، ويحكيه الكتاب والشعراء في ضروب من الالتزام ، على هذا النظام وعلى غير هذا النظام .

وقل من شعراء القرن الرابع وما بعده من لم ينظم القصائد الطوال في الحكمة والمثل السائر ؛ ليدفع عن المتأخرين شبهة التقصير عن شأو المتقدمين .

فالبستى المتقدم ذكره هو صاحب النونية الحكيمة — التي يقول في مطلعها :

زيادة المرم في دنياه نقصان
وربحه غير محض الخير خسران
والتهامى صاحب المراثية الحكيمة التي يقول منها :

طبع على كدر وأنت تريدها
صفوا من الأكدار والأقذار
ومكلف الأيام ضد طباعها
مطلب في الماء جذوة نار
والطغرائي يقابل لامية العرب بلامية العجم
ويقول فيها من الحكمة :

أصالة الرأي صانتني عن الخطل
وحلية الفضل زانتني لدى العطل
أعلل النفس بالآمال أرقبها
ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل
وغير هؤلاء بين أواخر القرن الثالث وأواخر القرن السابع كثيرون من شعراء الافتنان في لزوم ما لا يلزم على أنماط وأشكال ومن شعراء الحسك والأمثال لكيلا يقال :
لنهم دون المتقدمين في هذا المجال .

وكل هؤلاء شركاء للبعري في سبب أصيل من أسباب الولع بالترام ما يلزم واصطناع الحكمة والمثل وليس يمتنع مع هذا أن يكون للبعري سببه الذي غلبت عليه فطرة التدين والتضحية المقصودة للتحدى والاعلمتنان إلى الحرمان . . . فإن النفس البشرية شبيهة بعجيبة من الدوافع والموانع ، تجمع بين النقااض ولا يمتنع عليها أن توفق بين التضحية ونقيضها من الفخر وحب الاستعلاء ؟

عباسي محمود العقاد

نداء من لأجيء . . . !

أخي في الشرق والأجداد ، والتاريخ ، والدين .
حنانك إن ليل التيه يعصف بي وبطويني .
أخي قد عربد الإعصار ، مد يدك واحميني .
ومزق عن يدي قيدي ، فقيد الذل يضويني . !

كيف كان الأزهر حصناً للغة العربية

بقتلم : محمد حسن الزيات

أن المعنى الذى ييدر إلى الذهن من لفظ الأزهر أنه جامعة إسلامية تدرس فيها علوم الدين واللغة ، ولكن المؤمن المتأمل الواعى إذا ذكره أو دخله وكان مهياً بطبعه للاتصال الروحى بماضيه المشرق وتاريخه الحافل انما تلت على خاطره منه دلالات وذكريات وطبوف تملأ النفس خشوعاً وجلالاً وروعة ، فالأزهر كلمة من السكلم النوايح الجوامع ، فى لفظها استيعاب ووعى ، ولمعناها إشعاع ووحى . فهى زمان ومكان ودين ودنيا وتاريخ . يعنى الأزهر فيما يعنى المنار الذى ارتفع فى طريق الدعوة العظمى ثم ثبت بنيانه على رجف الزلازل وانتشر ضوؤه على عصف الرياح ، وقاد الشعوب الإسلامية فى ظلمات الخطوب والحروب إلى ملتقى السلامة والكرامة والوحدة .

ويعنى الأزهر فيما يعنى المعقل الذى حفظ الثقافة العربية ألف سنة ونيفا ، يسهر عليها ويزيد فيها وينفق منها على طلاب المعرفة فى الشرق والغرب ، على حين دمر الجهل والكفر حصونها فى بغداد والاندلس .

«*» نص المحاضرة التى أقيمت فى قاعة المحاضرات الكبرى للجامعة الأزهرية .

ويعنى الأزهر فيما يعنى ، الحصن الذى اعتصمت به اللغة العربية من عدوان الشعوبية والعامية والتركية حين استعجم اللسان واستترك السلطان وفشت الجاهلية ، وضعفت الخلافة وعز الناصر وذل الأهل .

ويعنى الأزهر فيما يعنى القبلة الثانية التى يوجه المسلمون فى جميع أقطار الأرض قلوبهم إليها يتلصسون على هداها الطريق إلى الحق والسبيل إلى الله .

ويعنى الأزهر فيما يعنى الملاذ للشعب المظلوم كلما عسفه الطغيان وبغى عليه الحكم فىأوى منه إلى ركن شديد وحام قادر .

ويعنى الأزهر فيما يعنى الجامعة العالمية التى يؤمها الطلاب من كل أرض ومن كل جنس ومن كل لون ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، لا يبيعون من وراء ذلك مالا ولا جاها ولا شهرة .

ويعنى الأزهر فيما يعنى الخائفة التى آوت العباد والزهاد والوعاظ وحفظ القرآن وحمله البركة .

ويعنى الأزهر فيما يعنى القاعدة الروحية التى كان يخشاها المستعمرون فحاولوا سراً وعلمنا أن يدمروها ليتقوها ، فلما استيأسوا

مشكلته ، والحديث والأصول والفقه والتفسير لاستنباط أحكام الشرع منه ، وهو الذى وحدها على كل لسان ، ونشرها معه فى كل مكان . وحفظها أربعة عشر قرناً إلا قليلاً لا نفسد ولا تجمد ولا تتغير مصداقاً لقول الله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ، وحفظ القرآن يستلزم حفظ لغته ، والنظر فى تاريخ الأديان السماوية والأرضية لا يجد ديناً حملته لغته التى أنزل بها أو كتب فيها إلى أقصى الشرق وأقصى الغرب فى مدى ١٣٨٠ سنة ثم بقيت محافظة على قوتها وجدتها ووحدتها وطبيعتها الملائمة للإسلام ولغة العرب ، أما سائر الأديان فلا تقرأ كتبها الأصلية إلا فى لغة البلد الذى ظهرت فيه . فإذا نقلت إلى بلد آخر عن طريق الدعوة قرئت مترجمة إلى لغته ، واختص بمعرفة الأصل طائفة قليلة من رجال ذلك الدين ، فدونة الأسفار البوذية المسماة بالسلاط الثلاث لا يقرأها أتباع هذه الملة فى الصين واليابان إلا منقولة إلى الصينية واليابانية ، والتوراة والإنجيل - وهما كتابان منزلمان - لا يقرآن فى العالم المسيحى إلا فى لغة كل قطر من أقطاره ، لذلك ظل تأثيرهما فى الآداب الأخرى ضئيلاً حتى ترجما إلى اللاتينية والتوتونية القديمة فظهر أثرهما قويا فى الآداب الأوروبية .

من تدميرها أو لإضعاف تأثيرها سالموها وناقوها ، ثم جهدوا أن يستميلوها ليستغلوها . ويعنى الأزهر فيما يعنى ، الصرح الوطنى الذى أوجب الثورات على الفساد ، وخرّج القيادات للجهاد ، وقام من نهضة العرب الحديثة مقام الرأس واليد ، يمدّها بالروح ويرفدها بالقوة . ثار على الغزو الفرنسى بقيادة ستة من علمائه ، وثار على الطغيان التركى بقيادة شيخه عبد الله الشرفاوى ، وثار على الظلم الخديو بقيادة ابنه أحمد عرابى ، وثار على الاحتلال البريطانى بقيادة ابنه سعد زغلول .

كل أولئك يعنيه لفظ الأزهر ، وأكثر من أولئك يلزم معنى الأزهر ، ولكنى بسبيل الحديث عن نصيب اللغة العربية من فضل الأزهر فلا أخوض فى حديث غيره

إن فضل الأزهر على اللغة العربية مستمد من فضل القرآن الكريم عليها ؛ وبعض فضله أنه كسبها عذوبة فى اللفظ ورقة فى التركيب ودقة فى الأداء وقوة فى المنطق وثروة فى المعانى . وكان سبباً فى استحداث العلوم الشرعية والأدبية التى حفظت مادتها بالقواعد وفى المعجمات ، ووسعت دائرتها بالألفاظ والمصطلحات ، كالنحو والصرف والاشتقاق لدفع اللحن عنه ، والمعانى والبيان والبديع لتقرير الإعجاز فيه ، وعلى اللغة والآداب لتفسير غريبه وتوضيح

ومن هنا كانت ثقافة الإسلام قائمة على ركنين أساسيين هما الدين بعلمومه المختلفة واللغة بفنونها المعروفة ، وهذان الركنان يشد أحدهما الآخر ويمسكه ، فالإسلام بغير العربية ينهم ويضمحل ، والعربية من غير الإسلام تنكش وتزول ، واللغات السامية مدينة ببقائها للدين ، فلولاء اليهودية ما بقيت العبرية ، ولولاء المسيحية ما بقيت السريانية ، ولولاء الإسلام ما بقيت العربية ، ولكن الفرق بين بقاء العربية وبقاء العبرية والسريانية هو الفرق بين الروح والذماء أو بين العين والآثر . والأزهر وهو وارث النبوة وحامى العقيدة وناشر الدعوة لا يمكن أن تقوم رسالته إلا على هذين الركنين ، وقد أداها بتأييد الله وتوفيقه تأدية أحلته من العالم الإسلامى كله محل الزعامة .

على أن فضله على علوم القرآن وعلوم اللسان قد يشاركه فيه بالكثير أو بالقليل طائفة من المدارس والجوامع أنشأها السلاطين فى القاهرة ودمشق وحلب وبغداد والنجف وقرطبة والقيروان والزيتونة ، كالناصرية والقلمحية والصلاحية والمؤيدية والمنصورية والشيخونية والظاهرية والكاملية والنظامية ؛ ولكن هذه المدارس التى عفى على أكثرها الزمن لم تستطع فى حياتها منفردة أو مجتمعة أن تطاول الأزهر فضله

وليس كذلك الحال فى القرآن ، فإن المسلمين اعتقدوا بحق أن لغته جزء من حقيقة الإسلام ، لأنها كانت ترجمانا لوحى الله ولغة لكتابه ومعجزة لرسوله ولسانا لدعوته ، ثم هذبها النبىء الكريم بحديثه ونشرها الدين بانتشاره وخلدها القرآن بخلوده . فالقرآن لا يسمى قرآنا إلا فيها ، والصلاة لا تكون صلاة إلا بها ، لذلك سارعوا إلى تعلمها والتكلم بها والتأليف فيها والتعصب لها والدفاع عنها والدعوة إليها حتى حلت محل الفارسية فى العراق والرومية فى الشام والقبطية فى مصر والبربرية فى المغرب ، وأصبحت فى عصر بنى العباس وهو عصرها الذهبى لغة الدين والأدب والعلم والسياسة والإدارة والحضارة فى أكثر الدنيا القديمة ، وأصبح المسلم على اختلاف جنسه ينتقل من قطر إلى قطر فى عالمه الإسلامى كما ينتقل من بلد إلى بلد فى وطنه الأصلى ، لا يجد مشقة فى التفاهم ، ولا صعوبة فى التعامل ، ولا شدة فى المعيشة . ثم شغل المسلمون - عربهم وعجمهم - بالقرآن وفرغوا له ، فكان دعاءهم فى المسجد ، ونظامهم فى البيت ، ومنهجهم فى العمل ، ودستورهم فى الحكومة ، فسرى هديه منهم مسرى الروح ، وجرى وحيه فيهم مجرى الطبع ، وأثر فى ألسنتهم وأفئدتهم وأنظمتهم تأثيراً لم يؤثره كتاب سواى آخر فى أهله .

التار في بخارى وبغداد، والصليبيون بالشام،
والفرنج بالاندلس، فلو أن الزمان عفى على
اللغة العربية وألحقها بأخواتها السامية لما
كان ذلك خارقاً لطبيعة الأشياء ولا بدعا
في منطق التاريخ، ولسكنها بقيت على الرغم من
هذه الخطوب لسانا للدين والعلم، ولغة
للحكومة والأمة في بلاد المغرب ومصر والشام
وبلاد العرب والجزيرة، ولولا نعمة الترك
وعصية الفرس لكانت لغة المسلمين كافة.
والفضل في بقائها بعد إدار الزمان والسلطان
عن أبنائها، إنما كان لهذا الأزهر الجليل
الذى اختصه الله بمزايا تميز بها على غيره، منها
صبغته العربية الخاصة بحكم نشأته وبيئته،
وموقعه الوسط بين الشرقيين الأدنى والأوسط،
فكان ملتقى المسلمين من هنا ومن هناك،
ومنها قره من الحجاز فكان طريق الحجاج
والرحالين من علماء إفريقية والاندلس. ومنها
تخريج طائفة كبيرة من أعلام الفقه وأعيان
الآداب جمعوا شتات اللغة والعلوم والآداب
في أسفار أشبه بدوائر المعارف، ومنها مكانته
التي بلغت من قلوب المسلمين والحاكمين مبلغ
القداسة وكان لها أثر بالغ في حل بعض
المشكلات السياسية والاجتماعية، ومنها
كفايته الأساتذة والطلاب مؤونة العيش بأن
كفل لهم الغذاء والكساء والمأوى والكتاب،
ومنها إيواؤه الناجين بحياتهم ودينهم وعليهم

الحالد على اللغة العربية في بقائها لسانا للعلم
ورباطا للمسلمين إلى اليوم.

تحيقت الخطوب السود لغة القرآن
في محتنين أشفت فيهما على الموت
لولا أن تداركها الله بفضله : محنة الغزو
المغولى في منتصف القرن السابع حين انتكث
قتل العباسيين في العراق بتنافس الفرس
وأنترك، وتحارب الشيعة والسنة، وذهاب
جلال الخلافة من النفوس، فقوص هو لا كو
عرشها سنة ٥٦٥ هـ، وتضعض أمر الأمويين
في الاندلس بتغل البربر والموالى على
ملكهم وتقسيمه بينهم إلى دويلات سهل على
الفرنج ازرداها قطعة قطعة حتى ابتلعوها
لقمة سائغة سنة ٨٩٨ هـ . . . ودالت دولة
الفاطميين في مصر والشام فوقعتا في أيدي
الايوبيين، ثم صارتا إلى المالك وظللتا تحت
سلطانهم حتى دخلتا في حكم الاتراك
العثمانيين سنة ٩٢٣ هـ، فأنى على العرب
ستون وخمسة عام لم يكن لهم فيها
سلطان ولا ملك، فأصبحت ديارهم وآثارهم
نهباً مقسماً بين المغول والترك والفرس
والجركس ثم الأسبان بعد قليل، وكان أكثر
هؤلاء الأبحام وحشيين أميين نخبوا الدور
وهمكوا الخدور وجفعا اللغة وآدابها وعلومها
بتحريق المسكنات وتعطيل المدارس وتقويض
المراصد وتقتيل العلماء . ناهيك بما فعله

غضبوا عليا حقه إذ لم يكن
بعد النبي له يثرب ناصر
فاصبر فإن غدا عليه حسابهم
وابشر فناصرك الإمام الناصر
والجزالة ظاهرة في شعر الملك السكردى
ظهور الركافة في شعر الخليفة العربى ١ .

كذلك أقول في الممالك فقد أيدوه وأمدوه ؛
لأنهم اتخذوا مصر وطنا ، والإسلام ديننا ،
والعربية لغة ، وكان من بينهم شعراء عاجلوا
القرىض وأجادوه كالسلطان الغورى ،
هؤلاء الممالك قد عضدوا العلماء وقربوا
الأدباء ، وشدوا أزر المعلمين والمؤلفين ،
حتى خرج الأزهر في ظلمهم أولئك الأئمة الذين
استودع الله صدورهم ذخائر العلم والحكمة
فأودعوها السكتب ، وأخرجوها للناس :
بجمال الدين بن منظور ، وجمال الدين بن
هشام ، وشمس الدين الزويرى ، وابن فضل الله
العمرى ، وشمس الدين الذهبي ، والحافظ بن
حجر العسقلانى ، وأبى العباس القلقشندى ،
وتقى الدين المقرئى ، وبدر الدين العيني ،
وسراج الدين البلقينى ، وبدر الدين الدمامينى
وشمس الدين السخاوى ، وكال الدين الدميرى ،
وجلال الدين السيوطى ، وتقى الدين القشيرى
المعروف بابن دقيق العيد .

لهذه المزايا انتهت إلى الأزهر في القرون
الثلاثة السابع والثامن والتاسع زعامة الثقافة

وأدبهم وكتبهم من غارة المغول حين
اكتسحوا خراسان والفرس والعراق ، فكان
من مهاجرة هؤلاء العلماء من الشرق والغرب
إلى القاهرة من البحث والابتكار ما كان لمهاجرة
علماء المسيحية من القسطنطينية إلى روما
من البعث والازدهار . ومنها مناصرة الأيوبيين
له بالمال والتعصيد ؛ لأنهم وإن كانوا أكرادا
قد تكلموا بلغة العرب وتأدبوا بأدب العرب
ونبغ من بينهم الشاعر والعالم والمؤرخ ،
كالملك المؤيد عماد الدين أبى الغداء ، والملك
الأفضل على بن صلاح الدين ، وكان هذا
الملك ضعيف الرأى كثير الغفلة فغلبه عمه
العادل أبو بكر وأخوه العزيز عثمان على ملك
الشام ومصر ، فكتب إلى الخليفة الناصر
العباسى كتابا يشكو إليه فيه ذلك وقد بدأه
ببيتين من الشعر أجاد فى نظمهما كل
الإجادة وهما :

مولاي إن أبى بكر وصاحبه

عثمان قد أخذ بالسيف حق على
فانظر إلى حرف هذا الاسم كيف اتقى

من الأواخر ما لاقى من الأوّل

يريد بأبى بكر عمه ، وبعثمان أخاه ، وبعلى
نفسه ، فأجابه الخليفة الناصر بقوله :

وإني كتابك يا ابن يوسف معلنا

بالصدق يخبر أن أصلك طاهر

راعهم ما أحسوا من جلاله وما سمعوا عن مجده ، فوقفوا على أبوابه خاشعين يلتمسون منه العون على ما ينجم من أحداث ، والرأى فيما يشكل من الأمور .

والسلطان سليم نفسه قد زاره مراراً فصلى فيه وتبرك به . ومن قبل قد غزا الأزهر بلاد الأتراك بعلبه وأدبه وكتبه فحرب طائفة منهم تعلموا العربية وتكلموا بها وألفوا فيها كالفيروز آبادى وأبى السعود والفسارى وملا خسرو والجامى والحيالى وخوجه زاده وملا مسكين وملا لطفى وحاجى خليفة وطاشكبرى زاده وابن كمال باشا . وكان سلاطين العثمانيين أنفسهم يدرسون العربية وآدابها كما كانوا يدرسون التركية وآدابها ، ومنهم من قرض الشعر العربى ورواه كالسلطان أحمد الأول فقد روى له قصيدة غزلية مطلعها .

ظبي يصول ولا وصول إليه

جرح الفؤاد بصارمى الحظيه

ولم تضعف عناية علماء الترك بالعربية إلا فى عهد السلطان محمود الثانى وابنه السلطان عبد المجيد الأول حين أحيا اللغة التركية وقربا مواردها وبسطا قواعدها وسمياها اللغة العثمانية ، فأتمت ترون أن اللغة العربية قد آتى عليها ستة قرون قضها بين الاحتضار والموت ، ثلاثة منها فى العصر المغولى ، وثلاثة أخرى فى العصر العثمانى ، احت فيها من الهند وخراسان والعراق وبلاد الروم والأندلس ، وبقيت

فى جميع البلاد العربية والإسلامية ، لحفظ وجود اللغة ، ورفع سقوط الأدب ، وجمع شمل العلم ، ولولاه لا انقطع ما بين الأدبين القديم والحديث .

أما المنحة الأخرى التى امتحنت بها العربية وكان للأزهر الفضل فى وقايتها وسلامتها فهى محنة الغزو التركى فى أوائل القرن العاشر حين استولى السلطان سليم على مصر والشام سنة ٩٢٣هـ فاصبحت الخلافة عثمانية لآل عباسية ، وعاصمة الإسلام القسطنطينية لا القاهرة ، واللغة الرسمية التركية لا العربية ، ومكث الغازى سليم فى مصر بعد الغزو ثمانية أشهر سلبها فيها أنفس أعلامها من الكتب والتحف والآثار لنوابغ الفنانين والمؤلفين الذين تخرجوا فى الأزهر وأنتجوا فى مصر مدى القرون الثلاثة التى سبقت الغزو العثمانى ، وأخذ الغزاة يغلبون لغتهم على اللغة العربية فى الدواوين ، ويطاردونها فى المدارس ، حتى كانوا يعلمون قواعد اللغة العربية باللغة التركية فى الشام والعراق ففشا فى اللغة العامى والدخيل ، وذهبت أساليبها من النظم والنثر ، وخيم الظلم والظلام على النفوس فحطمت الفرائح ، وضعفت رغبة الحكام فى العلم ، وانقطعت أبواب الطلب له ، واستطاع الترك أن يتركوا كل شىء فى مصر من سياسة وإدارة وتعليم وجيش إلا الأزهر ، فقد

وهناك محنة ثالثة تجتازها اللغة اليوم وتوشك أن تبلبل اللسان وتعطل القرآن وتقطع الدين عن أصله ، وتفصل العربي عن أهله ، وتميط بالأدب من جبل الوحى وهيكلى عطارده حيث الترفع والسمو والنبيل ، إلى حضيض المادية حيث القسفل والتبذل والفحش .

تلك هى محنة الإباحية اللغوية التى تغلب العامية على الفصحى ، وتؤثر أدب العامة على أدب الخاصة ، وتفضل الموضوع المثير على الموضوع المنير ، وتريد أن يكتب الكاتب وينظم الشاعر كما يشاء ، لا يتقيد بقاعدة من نحو ولا قياس من صرف ولا نظام من بلاغة ولا وزن من عروض ولا مثال من خلق . ولهذا المحنة أو المشكلة أصلا ن : الاستعمار والجهل . أما الاستعمار فلأنه رأى أن الرابطة بين المسلمين على اختلاف أقطارهم وتباعد ديارهم هى الدين واللغة ، وما دامت أمة محمد روحا واحداً بالإسلام ، ولسانا واحداً بالعربية ، فإن استغلالها موقوف وإن طال ، وإن استغلالها آت وإن تأخر ، لذلك سعت فرنسا سعيها الدائب فى الجزائر لفتنة البربر عن دينهم بإصدار الظهير المعروف ، وقطع العرب عن لغتهم بطردها من المدارس والدواوين . ولكن دين الله كان أقوى من ظهير فرنسا ، ولغة المصحف كانت أمضى من لغة السيف . واكتفت إنجلترا على عاداتها من الدهاء

فى الأقطار العربية بقاء المريض أشرف على الموت ولم يبق منه إلا رmq ذلك الرmq هو الذى كفله الأزهر وتعهده فغذاه وقواه ورعاه ، حتى إذا انجابه عن مصر قنام الحكم العثمانى وأراد الله لشمس الحضارة أن تشرق مرة أخرى على وادى النيل زایل اللغة الوهن وسرت فيها الحياة ، فى الأزهر كان ملاذها وغياثها ، وفى الأزهر كان بقاءها وانبعاثها .

كان الأزهر بعد انتهاء تلك الغمرة باحتلال نابليون ، وابتداء هذه النهضة باستقلال محمد على ، قائد الشعب فى الكفاح ورائد الحكومة فى الإصلاح . تمثلت قيادته فى شيوخه الأجلاء خليل البكرى ، وعبدالله الشرقاوى ، ومحمد المهدى وسليمان الفيومى . وحسن العطار . وتجلت ريادته فى طلابه النجباء الذين أرسلوا إلى أوربا ليستفيدوا ويستفيدوا ، كإبراهيم النبراوى ، وأحمد حسن الرشيدى ، ومحمد على البقل ، ورفاعة الطهطاوى ، وعلى مبارك ، وتلك يد أخرى لهذا المعهد الجليل على اللغة العربية ، ساعدها على النهوض ، كما حماها من قبل دون السقوط .

هاتان هما المحتتان اللتان عانتها العربية فى عهدين متوالين ، ثم جعل الله نجاحها منهما بفضل الأزهر حنظلا لكتابه وصونا لدينه .

في الأزهر ودار العلوم ومدرسة القضاء الشرعى وفيما يجرى على منهجه من معاهد لبنان وسورية والعراق والمغرب دراسة عميقة تمكن الطالب المجتهد المستعد من فهم ما يقرأ وفقه ما يعلم وتعليل ما ينقد وتحليل ما يذوق . فإذا اتصل النظر بالعمل واقرن الحكم بالتطبيق وصادف ذلك استعدادا في المتعلم ظهر الكاتب الذى يكتب فيجيد ، والشاعر الذى ينظم فيبدع ، والناقد الذى يحكم فيصيب ، أما إذا فتر الاجتهاد وضعف الاستعداد ظهر الأديب العالم الذى يهيء الوسائل ويقرب المناهل ويوجه المواهب ويسدد الخطى ، ومن هاتين الفئتين تستمد الحركة الأدبية عناصرها الحيوية فتقوى لتزدهر وتنمو لتنتشر وتسمو لتخلد . وكان من خريجي هذا المنهج القديم أولئك الأدباء الأصلاء الذين حفظوا تراث اللغة وجددوا شباب الأدب وأسسوا هذه النهضة الأدبية الحديثة ، ولا يزال من هذه الطبقة الكريمة فئة قليلة فى أقطار العروبة تستبطن لغتها وتعمق أدبها وتعرف لماذا تكتب الجملة على وضع دون آخر ، فإذا خلا المجتمع بعد أجل طويل أو قصير فهل يخلف من بعدهم خلف يحملون أمانة اللغة ويبلغون رسالة الأدب ؟

الجواب عن هذا السؤال عند الأزهر وحده ، فهو بحكم طبيعته وعلة وجوده معتصم

والكياسة بمحاربة الفصحى فدعت إلى العامية بلسان موظفيها ومبشرها ومستشرقها ؛ لأن اللغات العامية تختلف فى البلاد العربية اختلافا شديدا يكاد يجعل من كل لهجة منها لغة مستقلة ، وإذا انهمزت أمامها اللغة المشتركة وهى الفصحى استحال التفاهم وضعفت العقيدة وانقطعت الصلة وتفرقت الوحدة وتبددت القوة واستطاع المستعمر أن يلتقمها لقمة لقمة فلا يغص ولا يشجى . ولكن هذه الدعوة فشلت بضعف الاستعمار فى الشرق ، وقوة الوعي فى العرب . وأما الجهل وهو الأصل الآخر لمحنة اللغة العربية فقد خلف الاستعمار فى هذه الدعوة المجرمة ، والمراد بالجهل جهل أبناء العربية بها ، وعزوفهم عن علومها وأدبها ، وهو جناية المدرسة المدنية الحديثة ، فقد فشلت بعد طول الزمن وكثرة التجارب فى تخريج القارىء الذى يقرأ بفهم ، والكاتب الذى يكتب عن علم ، والمفكر الذى يفكر عن أصالة ، وليس أدل على هذا الفشل من أن الطالب يتعلم النحو عشر سنين دأبا ثم لا يستطيع بعد ذلك أن يعبر عن فكره تعبيراً صحيحاً لا بلسانه ولا بقلبه ، فإذا دفعه استعداده الأدبى إلى الكتابة أثر العامية على الفصحى ودعا إلى التحلل من القواعد والقيود ليجعل الفوضى نظاما والخطأ مذهباً والعجز شركة . كانت علوم العريسة تدرس

تلك حال المتخرج الأديب بطبعه أما المتخرج العادى فانه يعود أميا كما بدأ ، لا يقرأ إذا قرأ إلا السهل ، ولا يطلب هذا السهل إلا فى قصة عامية تخدر الشعور ، أو فى مجلة فكاهية تنبه الشهوة ، حتى نشأ من إفراط القراء فى هذا الطلب ، إفراط الكتاب الخفاف فى عرض الأدب اللذيذ الذى لا ينفع ، أو الأدب الماجن الذى لا يرفع ، ذلكم إلى طغيان الأدب الأوربى بمذاهبه ونزعاته وترهاته على عقول الناشئين الذين ثقفوا هذه الثقافة الأدبية الهشة ففتنتهم عن أدبهم وصرفتهم عن تاريخهم ، فالمترنسون منهم يعرفون هوجو ولا يعرفون المتنبى ، ويدرسون فولتير ولا يدرسون الجاحظ ، ويقروءون لامرتين ولا يقروءون البديع ، ومن هنا نشأت هذه التبعية التى فرضها الشباب على أدبنا لأدب الغرب ، فأسا إليهم الكتابية اليرم هى أساليب الكتابية فى الغرب ، ومذاهبهم الأدبية هى مذاهب الأدب فى الغرب ، ومقاييسهم النقدية هى مقاييس النقد فى الغرب ، حتى الرمزية وهى بنت الأفق الغائم والنفس المعقدة واللسان المغمغم يريدون أن تتبناها العربية بنت الصحراء المكشوفة والشمس المشرقة والطبع الصريح ، وحتى الوجودية وهى بنت الخلق المنحل والذوق المنحرف والغريزة الحرة ، يحاولون أن تتقبلها العربية لغة الرسالة الإلهية التى كرمت الإنسان

اللغة ومنجهاها فى الماضى والمستقبل ، أما المعاهد الأخرى فكل شىء فيها يبعث على التشاؤم : منهج تطبيقى بكاد يخلو من القواعد ، وتعليم سطحى مقتضب لا هدف له إلا اجتياز الامتحان العام بأية وسيلة ، فالمطلوبات تختصر ، والمختصرات تختزل ، فلا يبقى بعد ذلك فى ذاكرة الطالب إلا رموز على معان عامة غائمة لا هى مستقرة ولا هى واضحة . ذلكم إلى زهادة فى الجدى النافع من ثقافة اللسان والقلم تقعد النشء عن تعمق الأصول وتقصى الفروع ، وتقنعهم بالقدر الذى ينقلهم من سنة إلى سنة أو من شهادة إلى شهادة ، فإذا ما تخرج الناشئ بهذا الحظ المنكود من اللغة وكان فى نفسه ميسل إلى الأدب ، وفى طبعه استعداد للكتابة ، انصرف عن كنوز الأدب العربى ، لأن مفاتيحها ليست عنده ، وأقبل على روائع الأدب الغربى يحاكيها ويستوحىها حتى إذا امتلأ ذهنه وفاض شعوره وأراد أن ينتج شيئا يفيد الناس وجد فى نفسه الملل التى تخلق وفى حسه الصورة التى تمتع ، ولكنه لا يجد فى لسانه اللغة التى تعبر ، ولا فى قلبه الأسلوب الذى يؤثر ، فيضيق ويسخط ويثور ، ويزعم أن قواعد اللغة غصه لا تساغ ، وأن إعراب الكلمة عقبة لا تذلل ، ثم يتطرف فيدعو إلى إطلاق الحرية للكاتب فيكتب كما يشاء .

أو الكتاب ولا يقعون فيها على الخطأ الذى يفضح المستور ويكشف الغش . فالفضل لأولئك الجنود المجهولين من الأزهرين الذين يرابطون ليل نهار فى دور الصحافة والنشر ويسمونهم المصححين ؛ فإنهم يمرون بأقسامهم الحمر على المعوج فيستقيم ، وعلى المعجم فيعرب ، وعلى الركيك فيقوى .

لا بأس أن يسر النحو والصرف والبلاغة على الطلاب : ولكن البأس كله فى المدى الذى بلغه هذا التيسير ، لا بأس أن نخفف على غير المتخصصين من عبء التقديرات والتعليقات التى فلسف بها النحاة النحو ، ومن حفظ وجوه الإعراب التى بقيت فى اللغة أثراً لا اختلاف اللهجات فى الجاهلية فهو شئت القواعد وجعلت كل خطأ صواباً وكل صواب خطأ ، ولكن البأس كله فى أن تجرد علوم العربية من خصائص القوة والخصوبة والبراعة لتصبح أشبه بالهيكل العظمى ، فيه الخفة والبساطة والشكل ، وليس فيه العضل والعصب والروح . إن ما يبقى من هذه العلوم بعد نقصان ، وما يبقى من هذا المنقوص بعد النسيان ، لا تحيا به لغة ولا يبقى عليه أدب ، فإذا استطاع يوماً أن يخرج أمثال من خرجهم الأزهر بشيوخه وكتبه ، كحمد عبده ، وسعد زغلول ، والمنفلوطى ، والبشرى ،

وفصلته من سائر الحيوان بحدود من الدين والخلق لا يتعدها وهو عاقل ، ولا يتحداها وهو مؤمن .

ليس الأمر فى الأدب كالأمر فى العلم ، الأدب للنفس والعلم للناس ، الأدب مواطن والعلم لا وطن له ؛ الأدب روح فى الجسد ودم فى العروق يكون شخصية الفرد فيحيا مستقلاً بنفسه ، ويبرز شخصية الشعب فيحيا متميزاً بأفراحه ، الأدب جنس ولغة وذوق وبيئة وعقلية وعقيدة وتاريخ وتقاليد . والعلم شئ غير أولئك كله ، فإذا جاز طبعاً أن نأخذ من غيرنا ما يكمل نقصنا من العلم ، فلا يجوز قطعاً أن نأخذ من هذا الغير ما يمثل أنفسنا من الأدب .

إن دراسة العربية على النهج الصحيح المنتج بعد المدرسة لا يكلف المتأدبين من الجهد والزمن أكثر مما تكلفهم دراسة الفرنسية والانجليزية : ولكنهم فى عصر السرعة يطلبون القريب ويتوخون السهل ويتخطفون العلم ويتمجلون الإنتاج ، ثم يحقدون على من يلزمونهم التأنى ويحشمونهم الدرس ويقولون لهم إن أحداً لا يعرف فى تاريخ الآداب القديمة والحديثة من يعد فى لغته كتاباً أو شاعراً أو قصاصاً أو مؤلفاً ، وهو لا يعرف من قواعدها الأساسية ما يقيم لسانه وقلبه ، وإذا كان الناس يقرءون الصحيفة

تربطنا بماض ، ولا نصلنا بمستقبل ، ولا تجمعنا
في وحدة ، فذلك مذهب لا يقول به رجل
وهو جاد ، ودعوة لا يستجيب لها إنسان
وهو عاقل .

فإذا تركنا الأمور تجري كما تجري انتهت
بنا إلى تغلب العامية لأن أساليبها غالبية على
السمع ، وقواعدها جارية على الطبع ، فلا
يحتاج تحصيلها إلى كتاب ومعلم ومدرسة ،
ولنما يحتاج إلى بواب وخادم وشارع وتغلب
الأساليب العامية معناه كما قلت فصل الأدب
عن الدين وقطع الحاضر عن الماضي وتوهين
الصلات بين العرب . وفي يقيني أن أسرار العربية
لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله : فقه
أسرارها كل الفقه ، وفهم قواعدها أدق الفهم ،
وحفظ أدبها أشد الحفظ ، وذلك يستلزم
الجدد والجد في إعداد المعلم ، والعلم والخبرة
في وضع المنهج ، والمنطق والذوق في تأليف
الكتاب ، والكتاب الأزهرى الذى تخرجنا
عليه وما زلنا نرجع إليه كنز من المعارف
لا يعوزه إلا سهولة مأخذه وحسن تنسيقه
وجمال عرضه ، فالفرق بينه وبين الكتاب
الحديث في العرض كالفرق بين حانوت من
حوانيت العطارة فى الغورية ، ويدت من
بيوت التجارة فى قصر النيل ، قد يكون فى
الحانوت التقديم ما ليس فى المتجر الحديث
من السلع التواجر والطرف النوادر ؛ ولكن

وطه حسين ، ولا أمثال من خرجتهم
دار العلوم كشاويش ، والمهدى . والخضرى
والسكندرى والجارم ولا أمثال من
خرجتهم مدرسة القضاء الشرعى . كأحمد
أمين وعزام والخولى . ولا أمثال
من خرجتهم دار المعلمين العليا ، كالمزنى
وشكرى وأبو حديد . ولا أمثال من خرجتهم
كتب الأزهر كالعقاد ، والرافعى ، وشوقى ،
وحافظ فى مصر . وكالبستانيين واليازجيين
والشدياق ومطران والخورى فى لبنان .
وكالمغربى والشهابى ، وجبرى ، والطنطاوى ،
فى سورية . وكالرصافى ، والزهاوى وكاشف
الغطاء ، والشيبى ، والأثرى ، فى العراق ،
وكالانشايبى والسكاكينى فى فلسطين .

إنى أدعو إلى التوفيق بين الفصحى
والعامية ، ومذهبي فى مجمع اللغة العربية
إمداد الفصحى بما تزخر به العامية من ألفاظ
الحضارة وتراكيبها التى دخلت فى الحياة
العامية حتى تضيق مسافة الخلف بين اللهجتين
وينتهى بهما الأمر بفضل الصحافة والإذاعة
والتعليم إلى لغة واحدة عامة فيها من الفصحى
السلامة والجزالة والبلاغة والسمو ، وفيها
من العامية الدقة والطبيعية والحيوية والتجدد
والوضوح . إما أن تكون لغتنا كلغة الهمج
لا تقوم على قواعد ، ولا تجري على أنظمة ،
ولا تشعرنا بجمال ، ولا تحفزنا لكمال ، ولا

الخرس إلا أن البدو المحصورين في حدود الزمان والمكان لم يتنبأوا بحدوث هذه الأشياء، ولم يضعوا لها ما يناسبها من الأسماء .

نشأ من إنكار حق الوضع اللغوى على المولدين وحصره فيمن يعتد بعريتهم من عرب الأمصار حتى آخر المائة الثانية ، أو أعراب البوادي حتى آخر المائة الرابعة ،

أن طغت اللغة العامية طغيانا جارفا حصر اللغة الفصحى في طبقات العلماء والأدباء والشعراء والكتاب يكتبون بها اللبوك ، ويؤلفون فيها للخاصة ، وسيطرت على حياة الأمة في شئون العامة وأغراضها المختلفة ؛ لأن العامية حرة تذبو على القيد ، وطبيعية تنفر من الصنعة ، فهي تقبل من كل أنسان ، وتستمد من كل لغة ، وتصوغ على كل قياس . والناس في سبيل التفاهم يؤثرون السهل ، ويستعملون الشائع ، ويتناولون القريب . وتختلف اللغة عن مسامرة الزمن وملاءمة الحياة معناه الجود . والنهاية المحتومة لجود اللغة اندراسها بتغلب لهجاتها العامية عليها وحلولها محلها ، وقد تنبه بجمع اللغة العربية لهذا الخطر فقرر فيما قرر استجابة لاقتراح عرضته ، فتح باب الوضع اللغوى للحدثين بوسائله المعروفة من الاشتقاق والتجوز والارتجال ، وإطلاق القياس ليشمل ما قيس من قبل وما لم يقس . وتحرير السماع من قيود الزمان والمكان

اختفاءها في ركن غير ظاهر ، وعرضها في معرض غير لائق ، يضعف الإقبال عليها ويقلل الاستفادة منها ، فإذا عرضت السكسوز الأزهرية عرضا جميلا مشوقا في الدروس والمحاضرات والمذكرات والكتيب كان ذلك عسيا أن يدنى قطوفها من الطلاب على غير مؤونة ولا كد ذهن .

إن رسالة الأزهر قائمة كما قلت على ركنين من دين ولغة ، ولكن الأمر في تأديته إياها جد مختلف . الدين كامل لأنه من عمل الله ، واللغة ناقصة لأنها من عمل الإنسان ، والكامل الإلهي لا يتأثر بالمكان ولا بتغير الزمان ولا يضيق بالحضارة ولا يبرم بالعلم ، فهو جديد أبدا ، صالح أبدا ، ثابت أبدا . أما الناقص فهو عرضة للفساد والجود والتخلف ، وموضع للزيادة والتجديد والتطور ؛ لذلك كان الاجتهاد في اللغة وعلومها أمرا تحتمه الضرورة وتقتضيه الطبيعة ؛ لأن اللغة لا يمكن أن تثبت ثبوت الدين ، ولا أن تستقل استقلال الحى ، فهي ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، والأغراض لا تنتهى ، والمعاني لا تنفد ، والناس لا يستطيعون أن يظلوا خرسا ، وهم يرون الأغراض تتجدد والمعاني تتولد ، والحضارة ترميهم كل يوم بمخترع ، والعلوم تطالبهم كل حين بمصطلح ، ولا علة لهذا

ولم هذا السؤال ؟ قال الطحاوى ظننتك تحسبني مقلدا فقال القاضى : لا يقلد إلا عصبى أو غبى . هذه الثروة الفقهية الضخمة لم يحجبها عن الناس إلا أسلوب التأليف القديم ، واليوم وقد تطورت المدنية وتغيرت العقلية ينبغي أن يطابق التعليم والكتاب مقتضيات العصر . هذه هي المحنة الثالثة التى تعانىها اللغة العربية اليوم .

وهى لا تختلف عن سابقتها إلا فى أن موقف الأزهر منها يجب أن يكون إيجابياً : يقابل العمل بالعمل ، ويرد الكيد بالكيد ، ويقاوم الدعاية بالدعاية ، ويقف بالمرصاد لكل من يسول له جملته أو هوأه أن يبعث بلغة الإسلام ، ويوهن رابطة العرب . والأزهريون الذين حملوا أمانة الله ، وبلغوا رسالة نبيه أكثر من عشرة قرون يستطيعون أن يدروا خطر هذه الإباحية عن اللغة والدين متى صدقوا الجهاد وذكروا أنهم جند الله يرمى بهم العدو فى كل وقت وفى كل أرض وعلى أى صورة ، فيعيشون لبوت كالجنود ، ويعملون للحياة كالقادة ، ويعرفون عن الدنيا كالرسل ، والله سبحانه وتعالى قد ضمن للعربية بقاء البيان بقاء القرآن وعلى أيدي أبناء الأزهر - المؤمنين برسائله - صدق الله وعده ، إن الله لهو خير الصادقين ؟

أهمهم حسن الزينات

ليسهل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع كالبنائين والتجارين وغيرهم من أرباب الحرف والصناعات ، واعتماد الألفاظ المولدة وتسويتها بالألفاظ القديمة ، وعلى هذه المبادئ وغيرها وضع معجمه الوسيط الذى سيظهر قريباً .

أما الاجتهاد فى الدين فقد فتحت أبوابه أول الأمر لمن تجهز بجهازه واعتدله بعدته ، حتى إذا زخر الفقه الإسلامى على اختلاف مذاهبه ومسدى عصوره بالآراء المحكمة والوجوه المحيطة ، وجد فيه المسلمون جواباً شافياً عن كل سؤال يخطر على الذهن ، وحلاً جامعاً لكل إشكال يعرض فى المجتمع ، وحكماً عادلاً فى كل قضية ترفع إلى القضاء ، فاستغنوا بغزارته وإحاطته عن الاجتهاد فيه ، وانصرفوا إلى اجتهاد من نوع آخر هو الاجتهاد فى اختيار رأى المناسب ، وترجيح الحكم الموفق . جاء فى كتاب الولاية والقضاة للسكندى أن قاضياً شافئ المذهب كان بمصر فى عصر الإمام الطحاوى وكان يتخير لأحكامه ما يرى أنه يحقق العدل من آراء الأئمة ولا يتقيد بمذهب من المذاهب ، وكان مرضى الأحكام لم يستطع أحد أن يطعن عليه فى دينه ولا فى خلقه ولا فى حكمه ، سأل هذا القاضى الإمام الطحاوى عن رأيه فى واقعة من الوقائع فقال الطحاوى : أتساءلنى عن رأي أو عن رأي أبى حنيفة ؟ قال القاضى :

شَهْرُ الْقُرْآنِ

لِلْأُسْتَاذِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ الدِّينِيِّ

١ - رمضان هو ذكرى بلوغ الإنسانية مرحلة الرشد العقلي .

٢ - على جميع أرباب العقول أن يتدبروا القرآن .

لذلك ربط الله تعالى بين القرآن الكريم ورمضان ، فجعل من هذا الشهر الذى نزل فيه كتابه عيداً وموسماً لهذا الكتاب ، أو لهذا الرشد البشرى الذى يؤذن به ختم الرسالات بهذا الكتاب ، يذكر به ، ويعيد أمام المؤمنين تاريخهم الأول يوم كان الرسول فيهم ، وكتاب الله تعالى ينزل عليه ، وأصحابه رضى الله عنهم يسمعون منه ، ويوم كان هذا الكتاب مصدر عقيدتهم ، ومصدر تشريعهم وهدايتهم ، والنور المبين الذى يعتمدون عليه فى سلوك سبل الحياة المعقدة المطلوبة .

ولم يرد الله تعالى أن يكون هذا الربط بين القرآن وشهر رمضان مجرد مرور هذا الشهر وتذكر الناس بمروره أنه هو الشهر الذى نزل فيه القرآن ، ولكنه أراد أن يكون التفاتهم إليه قويا فجعل هذا الشهر ظرفاً لعبادة روحية عظيمة الأثر فى التربية النفسية ، وعلى خلاف العادة فى الشهور كلها . وهى عبادة الصوم من أول يوم إلى آخر يوم فيه ، فلا يمكن بعد ذلك أن ينسى رمضان ولا أن يمر بالناس مروراً فاتراً وله هذا الأثر الواضح فى نظام حياتهم ، ولا بد أن يفكر الناس

القرآن الكريم هو المنحة الإلهية الخالدة للبشر بعد بلوغهم مرحلة النضج العقلي ، وصلاحياتهم لأن يتلقوا آخر رسالة من السماء ، لا تحتاج مع هذا النضوج إلى رسالات أخرى .

فقد كانت الرسل تبعث ، والكتب تنزل ، قبل رسالة الإسلام ، تعهداً للناس بين الحين والحين بهداية السماء ، وأخذاً لهم بأسلوب التدرج والتنقل من تشريع إلى تشريع ، ومن رسول إلى رسول ، وفقاً بهم أن يدفعوا إلى الخطوة الكاملة دفعاً قبل أن يتهيئوا لها ، وملاحظة اطروفتهم الزمانية والعقلية فى عصورهم الأولى ، فلما نضجت البشرية واستوت وحصفت بما مر بها من تجارب طويلة ، وما أنزل عليها من رسالات هادية ، وما كشفته من آيات الدلالة الكونية وأنست السماء منها الرشد ، بعث الله خاتم النبيين بخاتمة الشرائع ، وأنزل عليه آخر الكتب فكان هذا الحادث العظيم الفذ فى تاريخ الإنسانية نقطة تحول وانبعث إلى حياة جديدة يعتمد فيها الناس على أنفسهم فى هدى ما أنزل إليهم من ربهم ، دون أن يتقربوا رسالة سماوية أخرى .

التفسير بالرأى ، فمثل ما رواه الترمذى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار) . وما رواه أيضا عن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ) . ومن مثل ما روى عن أنى بكر الصديق من أنه سئل عن تفسير (الأب) فى قوله تعالى : « وفاكهة وأبا ، فقال : أى أرض تقلنى وأى سماء تظلىنى إذا قلت فى القرآن برأى .

وهذه الروايات محمولة عند المحققين من العلماء على أن الرأى المذكور فيها هو ما كان صادرا عن الهوى ، أو ما كان من قبيل الخواطر التى ترد على الذهن دون تحقيق لها ، وتأمل فيها لمعرفة صحتها أو فسادها ، فإن هذا اقتحام للقرآن وتسور عليه ، فلو فرض أن صاحبه أصاب كبد الحقيقة فهو مخطئ من جهة أنه أقدم على ما لم يستعدله . ولم يدخل فيه على بصيرة ، على حشد (رمية من غير رام) .

وأما الأدلة الدالة على وجوب النظر فى القرآن والتدبر فيه فكثيرة .

١ - منها قوله تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » ، فقد أفادت هذه الآية ترتيب أمرين اثنين على إنزال الذكر .

أحدهما : تبين الرسول للناس ما أنزل إليهم ، وهو التفسير بما ورد عن الرسول . صلى الله

فى الرابطة بينه وبين كتاب ربهم ، وفيما يجب عليهم من الانتفاع بعبقريته التاريخية ، وأن يقيموا عليه شأنهم فى جميع أحوالهم ، كما كان عليه سلفهم من قبل .

لذلك كان المسلمون وما زالوا ، يعتبرون شهر رمضان هو موسم القرآن ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه ، وكان جبريل يدارسه إياه فى رمضان من كل عام ، وكانت صلاة التراويح فرصة جمع عمر ابن الخطاب بها المسلمين على قارى واحد ، فكانوا يستمعون إليه فى صلواتهم طوال الشهر وظل المسلمون كذلك إلى يومنا هذا ، وكانت مجالس القرآن فى رمضان هى الطابع المميز لهذا الشهر ، فالتاس يستمعون إليه فى البيوت والمساجد ويستمعون إلى دروس تفسيره ويتفهمون عبره ومغازه .

وملاحظة لهذه المناسبة ، يحسن بنا أن نعطي قراء هذا العدد الذى يصدر فى أول رمضان فكرة مركزة عن موضوع من موضوعات الدراسة القرآنية ، هو تفسير القرآن بالرأى . فقد وردت روايات تدل على حرمة الاقتحام على القرآن ، والتكلم فى معانيه بغير علم . وألفاظ هذه الروايات موهمة أنه لا يجوز تفسير القرآن بالرأى ، مع أن هناك كثيراً من الأدلة يفيد جواز النظر فى القرآن بل وجوبه ووجوب التدبر فى آياته .

فأما الروايات التى قد يفهم منها عدم جواز

٢ - ومنها أن عائشة رضى الله عنها قالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من كتاب الله إلا آيات معدودات عليه جبريل إياهن . ولا بد أن يكون المقصود من التفسير في هذا الذى قالته عائشة ما وراء بيان الأحكام الشرعية التى تضمنها القرآن ولحقها تفسير من الرسول بفعله أو قوله .

فإذا لاحظنا هذا علمنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحرص على أن يعطى الأمة تفسيراً عاماً للقرآن الكريم ، بالمعنى الفنى للتفسير ، وبتعبير آخر لم يحرص على أن يضع أمام الأمة معنى لكل لفظ ورد فى القرآن ، أو لكل عبارة تركيبية جاءت فيه ، كما حاول بعض المفسرين أن يفعلوا حين أرادوا أن يفسروا كل تركيب برواية مأثورة ، فجاء التفسير بالمأثور مجراً خضياً متلاطم الأمواج فيه كثير من الأقوال عن الصحابة والتابعين ، ولا يمكن أن يكون ذلك كله مروياً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لما قالته عائشة من أن تفسيره قليل ؛ ولما يوجد فى هذه الأقوال كثيراً من تخالف وتضارب ، فلو كان مصدرها السماع لرجع بعضهم إلى بعض ، ولا يتصور أن يكون الرسول قد قال الشيء وخلافه ، وبذلك يتبين أن أصحاب هذه الأقوال إنما قالوا ما استنبطوه بأرائهم وما ظهر لهم وفى ذلك يقول الغزالي والقرطبي : لا يصح أن يكون كل ما قاله الصحابة فى التفسير مسموعاً

عليه وسلم ، ويدخل فيه جميع الأحكام التشريعية التى جاء بها القرآن الكريم ولحق بها بيان من النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك كإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان ، فكل ذلك ورد به القرآن على سبيل الإجمال ، وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله ، فكان بيانه تفسيراً للبراد به وشرحاً شرعياً لمعناه .

والثانى من الأمرين اللذين رقبنا على إنزال الذكر : رجاء تفكير المؤمنين المفهوم من قوله تعالى : « ولعلمهم يتفكرون » والمراد تفكيرهم فى الذكر وما جاء به من تشريع أحكام ، وبيان سنن وضرب مثل ، ولفت نظر ، وإشارة إلى حقائق أو معارف وغير ذلك ، وهذا هو تفسير القرآن الكريم بالرأى أى بما يراه المتفكر المتدبر فيه ، ويلحق بذلك كل ما استنبطه العلماء من كتاب الله فى ميادين العلم والنظر والتشريع اعتماداً على ما يقيدده الكلام بعبارته ، أو بإشارته ، أو بدلالته ، حسب اصطلاحاتهم الأصولية وهذا هو الإمام الشافعى يقول : لقد تطلبت دليلاً على حجية الإجماع فظفرت به فى قوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً » . وكذلك يقال فى استنباط الحكم بشرعية القياس الأصولى من قوله تعالى : « فاعتبروا يا أولى الأبصار » . وفى الاستدلال بالآيات على أحكام الدين عامة .

وما أثرهم ومثلهم الرفيعة ، وذلك من معنى قوله تعالى : « ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون . قرأنا عربيا غير ذي عوج لعلمهم يتقون ، . فقوله : « لعلمهم يتذكرون ، حث على النظر والتدبر ، وقوله :

« قرأنا عربيا غير ذي عوج ، . هو منهج لإجمالى للأسلوب الذى يجب اتباعه فى تفهم القرآن والتذكير به ، وهو أن يلاحظ أنه قرآن عربى ليس فيه انحراف ولا اتجاه إلى ما لا يعرفه العرب الذين أنزل عليهم وجعلوا حملته ورافعى لواء دعوته ، وقوله : « لعلمهم يتقون ، . هو توجيه لهم فى التمسك بطابعه ، وتحذير من الالتواء عنه ، وذلك أيضا معنى قوله تعالى : « وكذلك أنزلناه حكما عربيا ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق ، .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (والتسوا غرائب) ففيه دلالة على أن القرآن ذو غرائب وأسرار ، وأن الأمة كلها ، وفى جميع عصورها ، مخاطبة بذلك ، مكلفة بأن تلمس هذه الغرائب ولا يكون ذلك إلا عن طريق التدبر والتفهم وطول النظر وإعمال الفكر .

وعن أبى عبد الرحمن السلى قال : حدثنا من كان يقرئنا من الصحابة أنهم كانوا يأخذون من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات ، فلا يأخذون فى العشر الأخرى حتى يعلوا ما فى هذه من العلم والعمل .

من النبى صلى الله عليه وسلم . (وروى البخارى فى صحيحه عن أبى جحيفة قال : قلت لعل هل عندكم شيء من الوحى إلا ما فى كتاب الله ؟ قال : لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لا أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا فى القرآن) .

وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس فقال : (اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل) قال القرطبي : فإن كان التأويل مسموعا كالنزىل فما فائدة تخصيصه بذلك ؟ . وقد ورد الحث الشديد فى الكتاب والسنة على تدبر القرآن والتفكير فى معانيه ومقاصده وأهدافه .

ومن ذلك قوله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ، . فى هذه الآية توبيخ شديد على ترك التدبر وإظهار الذين لا يتدبرون القرآن بمظهر الذين وضعت على قلوبهم الأقفال فهم مجربون عن أن تتفتح قلوبهم لهدايته ، وأن يدركوا أسرارها ، وما أبلغ قوله : « أم على قلوب أقفالها ، حيث جعل الأقفال خاصة بالقلوب ، وليست أقفالاً للقلوب وغيرها فكأنها نوع من الحجب خصصت به قلوب الذين لا يتدبرون .

وفى الحديث عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أعربوا القرآن والتسوا غرائب) ومعنى (أعربوا القرآن) أقيموه على نهج العربى فلا تميلوا به وتحرفوه عما عهدته العرب اتباعا لفطرتهم الصافية ،

أن ينظروا فيه إلا عن طريق ما روى لهم
 وما سمعوه؟ إن الفائدة حينئذ تتمحض في مجرد
 تلاوته والتبرك به ونحو ذلك، ولكن كتاب
 الله تعالى إنما أنزل ليكون هدى للناس في مختلف
 شئون حياتهم العملية والعلمية من عقائد
 وتشريع وآداب وإشارات إلى سنن الله
 في الكون ونحو ذلك، وهذا كله لا يكون
 إلا بتدبره، والتأمل فيه، ومحاولة التعمق
 في استخراج ذخائره، وقد ورد أن القرآن
 لا تنقضي عجائبه، فإذا كان التفسير بالمأثور فقط
 كانت عجائب القرآن محدودة منقضية؛
 لأن الروايات ختمت ولم يعد هناك جديد
 يرشد إلى عجائب جديدة، فلم يبق إلا أن القرآن
 تظهر منه بالتدبر والتأمل كل يوم عجائب؛
 لأن العقول تتفاوت، والأيام تتقلب، ويبدو
 للناس في زمان ما لم يكن قد بدا لهم في زمان آخر.
 وإذن فالرأي الصواب هو: جواز تفسير
 القرآن بالرأى، ولكن لمن كان مستعداً لذلك
 متهيئاً له بعلمه وعقله ومعرفة لغة العرب
 وما لهم من أساليب في كلامهم، وبشرط
 أن يكون نظره غير مشوب بالهوى أو التعصب
 وألا يتبع ما يرد عليه من الخواطر دون
 درس لها وتأمل فيها، لمعرفة مدى قوتها،
 ومناسبتها للقرآن الكريم.

محمد محمد العربي

عميد كلية الشريعة

وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما :
 آيات القرآن خزائن ، فكلما فتحت خزينة
 ينبغى لنا أن ننظر ما فيها .

ولذلك قال العلماء : إن تدبر القليل من القرآن
 أفضل من قراءة الكثير بغير تدبر .

وهذا كله يدل على أن الله تعالى ييسر لكل
 قارى أن يتفهم المعاني ؛ لأن الناس مطالبون
 بقراءة القرآن متدبرين لافرق بين العامة
 والخاصة وفي ذلك يقول الله تعالى : « ولقد
 يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ،
 أى أن القرآن ميسر للذكر ، وكل إنسان
 يستطيع أن يقتبس منه على قدر فكره وقوة
 عقله ، والله تعالى ينص على ذلك بقوله : « فهل
 من مدكر ، . فلا ينبغى أن يحال بين أحد وبين
 أن يتدبر في كتاب الله تعالى .

وقال الغزالي : إن من موانع الفهم للقارى
 أن يكون قد قرأ تفسيراً واعتقد أن لا معنى
 لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن
 عباس ومجاهد ، وأن ما وراء ذلك تفسير
 بالرأى فهذا من الحجب العظيمة . .

ولقد علمنا أن الله تعالى وعد بحفظ كتابه
 الكريم بقوله : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له
 لحافظون ، . وهذا وعد متحقق لا شك فيه ،
 وهو منسحب على جميع العصور والأزمان ،
 فلنا أن نقول : ما فائدة هذا الحفظ والتخليد
 إذا لم يبح للآخرين أن ينظروا فيه كما نظر
 المتقدمون ؟ أو إذا لم يبح لهؤلاء وأولئك

نفحات القرآن

ضاعة الأخيار شفاعته للمذنبين

الأستاذ عبد اللطيف السبكي

(١) « واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا .
 (ب) فلما أخذتهم الرجفة قال : رب !! لو شئت أهلكتهم من قبل
 وإني !!
 (ج) أنهلكنا بما فعل السفهاء منا ؟؟ إن هي إلا فتنتك ، تضل بها
 من تشاء ، وتهدي من تشاء . . أنت ولينا فاغفر لنا ، وارحمنا ،
 وأنت خير الغافرين » .

١ - من شعب القصص عن موسى عليه السلام طلبه - أولاً - ثم طلب قومه ثانياً - رؤية الله تعالى شأنه رؤية عينية . . وآيات الكتاب الكريم تفيدنا أن طلب الرؤية حصل مرتين .
 الأولى - في الميقات الذي كان موعوداً لموسى أن يتلقى فيه التوراة .

الثانية - كانت بعد نزول التوراة وحدث فتنة السامري بصناعة العجل من الذهب ، واتخاذهم إلهاً يعبدونه في غيبة موسى عنهم . وحديثنا عن الأولى من باب توفية الموضوع وأما الثانية فهي التي نتج عنها إلهاء بشيء من الإيضاح والتعليق .

٢ - حينما حضر موسى إلى الوادي المقدس

« طوى ، في طور سيناء ، ومكث المدة المحدودة أربعين ليلة يتعبد فيها ، وحان موعد المناجاة مع الله ، وتجلي فضل الله بمكالمته طمع موسى في المزيد من تكريم الله له ، فتعلق أمله برؤية الله كما سمع كلامه على الوجه الذي يعلم الله وحده صفته ، فقال : « رب أرني أنظر إليك » .

فكان الجواب تلطفاً بموسى ، وتعليماً له أن هذا طموح في أمر لا يتعلق به الأمل ، ولا تطبيقه أنت « لن تراني ، ولكن انظر إلى الجبل ، فإن استقر مكانه فسوف تراني » ، وهذا إشعار لموسى أن شأن الرؤية خطير ، وأن ما يبدو لك من الجبل يكفيك إقناعاً بمقدار ما طلبته ، وبضعفك عن احتمال ما بجانب

والجبل الذى هو أضخم شئ ترونه « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقا ، ومعنى تجلى ربه للجبل :

تكشف الله للجبل لتكشفاً جزئياً ، تدريجياً بقدر ما تقضى به الحكمة الإلاهية ، فلم يتحمل الجبل رهبة التجلى ، ومهابة القدسية لعظمة الله تبارك شأنه .

(ب) الموقف الثانى - فى طلب الرؤية - وهو موضوعنا - لم يكن من موسى نفسه ، وقد سبقت له العبرة من شأن الجبل ... بل كان من قومه بعد انزلاقهم فى فتنة السامرى وعبادتهم لعجله الذى صنعه وعبدوه .

صار الجبل دكاً ، بمعنى ساخ فى الأرض ، وتطامن حتى لم يصر جبلاً شاخاً . . وعندئذ سقط موسى مغشياً عليه من هول ما رأى . . وأيقن أن طلب الرؤية كان تعلماً بأمل فوق احتمال البشرية .

١ - أمر الله موسى أن يختار بمن معه طائفة يحضر بها إلى موقف المناجاة فى طور سيناء ، ليعتذروا ، ويتوبوا إلى الله من عبادة العجل ، فاختر موسى سبعين رجلاً من خيارهم فى اعتباره ، ولما بلغوا الميقات وسمعوا بأذانهم نجوى موسى لربه لم يتجهوا إلى الاعتذار كما جاءوا ، ولا حرصوا على التوبة من جريمة قومهم التى جرفتهم ، بل تمردوا على موسى ، وتحذوه ، وقالوا : إن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة ١١ .

ولما أفاق موسى من غشيته ، ونذبه إلى لطف الله به ، ورعايته بالخير له : « قال سبحانه إني نبت إليك وأنا أول المؤمنين » . لم يكن موسى مذنباً فى طلب الرؤية ، بل كان طامعاً فى المزيد من فضل الله عليه بالرؤية لذاته على أى صفة ، كما سمع كلامه العلوى على أى نظم شاءه الله .

فماذا يكون شأن أولئك المتناقضين ؟؟
٢ - لهم سابقة فى طلب الآلهة يعبدونها من دون الله ، ولهم سابقة فى عبادة العجل ، رغم أن هارون وعظهم وأنكر عليهم ، وأن موسى عاتبهم على فعلتهم ، ووبخ السامرى فى شدة ، وهدده بعذاب الله ثم هذه

ولمّا بادر موسى بتسبيح الله وتنزيهه عن كل شبه ، وبادر بالتوبة من تسرعه فى الطلب دون أن تكون الرؤية موعوداً بها مع المكالمة التى كانت على وعد سابق ، وأعلن موسى إيمانه ، بل أنه أول المؤمنين فى وهن ، لا لأنه كان جريئاً فيما طلب .

وعبرتنا فى هذا الموقف أن تكون

تتجلى عاطفة الخير من جانب موسى عليه السلام ، فيتدارك الموقف بضراعه إلى الله ، وبدعواته الطيبات ، ويستعطف ربه فيقول « رب ! لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي ، يعنى يا رب : ليتك أهلكتهم وأهلكتنى معهم قبل حضورهم معى إلى هذا المكان ، وقبل مشاهدتى لهذا الهول ، وقبل تعرضى لاتهام القوم ، « أهلكنا بما فعل السفهاء منا ؟ ، هل تكون نعمتك علينا جميعا بسبب ما فعل السفهاء منا ؟ لا تجعل بلاءك عاما لنا ، والطف بنا فى محنتنا هذه .

« إن هى إلا فتنتك ، تضل بها من تشاء ، وتهدى من تشاء » .

ما هذه المحنة إلا اختبار منك ، يتميز به المؤمن الحق عن غير المؤمن ، ويتكشف لئلا به ما خفى من أمورنا ، فيثبت به على الدين من صدق فى دينه ، ويرضى بما جرى من قضاء الله فى خلقه ، وينحرف إلى الفتنة من كان مزعزع الإيمان ، فيتضح هذا من ذاك ويكون المنحرفون مستحقين للنقمة « ليحص الله الذين آمنوا ، ويمحق الكافرين ، وفى هذا التوسل من موسى إشارة إلى ما سبق فى المناجاة حين نزول التوراة من قول الله سبحانه « إنا قد فتنا قومك من بعدك ، وأضلهم السامرى » .

فتلك الفتنة هى الاختبار الذى يتعلل به

سابقة جديدة بعدولهم عن التوبة إلى التحدى بطلب الرؤية لذات الله .

لو كان إيمانهم بالله إيمانا متأصلا فى قلوبهم ، أو لو كان تصديقهم لموسى عن طمأنينة لما تعثروا فى هذه الكفريات ، ولا تهاافتوا على تلك السفاسف ، ولكن إيمانهم من أول الأمر إيمان اللاجئ من فرعون وجبروته ، والمحتمى بموسى ريثما يتقدم من مذلة الاستعباد .

فإذا ما ابتعدوا عن سلطان فرعون فى مصر ، واطمأنوا إلى حياة آمنة فى سيناء عاردهم التمرد ، وبدا فيهم لؤم الطبيعة ، وخساسة الأنفس ، وتقضوا ما تعاهدوا عليه فى ساعة ضعفهم ، وفى وقت طواعيتهم للرسول ، وماذا يستحق هؤلاء فى موقفهم هذا ؟

٣ - أخذتهم صاعقة محرقة ، مدوية ، ارتجف لها الجبل ، وماتوا بها مغضوبا عليهم من الله ، فكيف استقبل موسى هذه المفاجعة لمن كانوا فى صحبته ، وقومه يعلون أنه ذاهب بهم ليتوبوا ، وأنهم عائدون معه آمنين ؟

خشى موسى - أولا - أن يكون هذا الشر يحتاجا للآخرين الذين لم يذنبوا بعبادة العجل ، والذين لم يتحدوه بطلب الرؤية لله تعالى .

وخشى - ثانيا - أن يساء به الظن من أهلهم الذين لا يعلون تمردهم عليه ، وهنا

لهم الهداية ، وكما يطلبون لأنفسهم الخير يطلبونه للجميع : إلا إذا أذن الله لهم بغير ذلك ، كما دعا نوح على قومه أخيرا .

وحينما دعا موسى بما دعا كان قوى الرجاء في الإستجابة ، واثقا أن الله ذو رحمة على العالمين ، ولذلك لم يكتف بطلب الغفران والرحمة ، بل توسع في ضراسته فقال : « واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدانا إليك ! ! » ، يعنى حقق لنا جميعا حسنة في الدنيا وهى الهداية ، ونعم الحياة ، وحقق لنا في الآخرة حسنة وهى القبول والرضوان ونعم الجنة . . ويقول « إنا هدانا إليك » يعنى رجعنا إليك باعتذارنا عما فرط من بعضنا . ولكن الله يجيب موسى بما يفيد عدالة الله في جزاء عباده فيقول سبحانه : « عذابي أصيب به من أشاء ، ورحمتي وسعت كل شيء » ، يعنى عذابي ليس شاملا بل هو لمن أشاء تعذيبه من خلقى ، وهم الكافرون الذين لم يستجيبوا لدعوة رسلى ، والعصاة الذين لم يتوبوا ولم أغفر لهم .

أما رحمتي فقد وسعت في الدنيا كل شيء حتى شملت المخالفين من عبادى ، فهم يتمتعون في الدنيا بأرزاق وأموال وبنين ، وبصحة وحياة وغير ذلك ، وهذه الرحمة مظهر فضلى على عبادى جميعا وإن لم يشكرونى جميعا ، والله يعطى الدنيا لمن يحب ، ولمن لا يحب .

موسى فى طلب التجاوز من جانب الله عن إهلاك الجميع .

وكأنه يقول : يارب ! ! هذا اختبار اقتضته حكمتك ، ولا يمكن أن يكون عبثا ، بل لا بد له من نتيجة ، وهى نجات البعض من النكوص فى الكفر ، وإخفاق البعض ممن علمتهم غير ثابتين على عهدك ؛ فلا نعرض على نظامك ، ولكننا نرجو النجاة من غضبك بسبب جريمة من أجرم ، بل نسألك اللطف بالجميع ، فأنت اللطيف بعبادك ، أنت ولينا ، فأغفر لنا وارحمنا ، وأنت خير الغافرين .

أنت المتولى أمور الجميع ، فأغفر لنا بسترِكَ الجميل ما يعلق بنا من شوائب المخالفة حتى نكون أطهاراً من حوبة المعصية ، وأهلاً لتكريمنا بلطفك ورضوانك وإن تقصيرنا فى طاعتك لا يغالب عظيم فضلك يا خير الغافرين ، ويا أرحم الراحمين .

٤ — هذا : وإنك يا قارئ ! ! لتعهد فى ذوى العطف من رحماء الناس ألا يضيق صدرهم بإساءة المسئى ، بل ينتظرون الهداية وينظرون إلى مرضاة الله فيتجاوزون عن المساءة رجاء فى صلاح الحال .

فما بالك بالأنبياء ، وهم أرحم عباد الله بعباد الله ؟ ؟

تراهم يتراحمون على المخالفين ، ويسألون

وفي هذا الجواب غنية لموسى عن طلب جديد في هذا الصدد ، وتحديد لمطامع الناس في المغفرة .

هذا جانب من القصص عن موسى عليه السلام ، عرفناه من طريق كتاب الله الكريم على لسان رسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه ومنه نتعلم - أولاً - ألا يشتت المرء في طلبه كما اشتت بنو إسرائيل في طلب الرؤية لله تعالى ونتعلم ثانياً - أن المرء يعتبر بما جرى لغيره حتى لا يذهب ضحية المجازفة كما ذهب بنو إسرائيل بالصاعقة ، ونتعلم ثالثاً - أن أفعال السفهاء شؤم على سواهم ، وأن دعاء الطيبين قد يخفف من غضب الله على السفهاء كما دعا موسى لقومه ، ونتعلم - أخيراً - وهو أكد ما تتعلمه - أن الله ذو فضل على بنى آدم وإن كانوا يهودا لم يتركوا موبقة إلا انغمسوا فيها ولا عهداً إلا نقضوه ولا يزالون يطلعون مع كل يوم بأقبح الأعمال ، وشر الأحداث والله يزيد في طغيانهم ، ولكنه بالمرصاد لهم .

عبد اللطيف البكي

عضو جماعة كبار العلماء

ولكن العدل الإلهي يقتضى تفاوت الناس في حظهم من رحمة الله في الآخرة التى هى دار الإقامة والخلود على الحالة التى قسمت لهم فيها . والعدل الإلهي يأبى التسوية بين من أسلم وجهه لله وهو محسن ، وبين من حارب الله بعضيانه غير مكترث بما جاءه من النذر والآيات .

وإزاء هذا تكون الرحمة في الآخرة حظوظاً مقسومة ، يتفاوت الناس فيها كما تفاوتوا في الدين ، وفي الإخلاص في الأعمال .

وتكون رعاية الله للأخيار من عباده متجلية في رحمة خاصة بلا زائدة على سواهم من لم يبلغوا شأوهم ، بل السابقون إلى طاعته سابقون غيرهم في منازل الجنة ونعيمها .

وهذا هو قوله تعالى : « فساء كتبها للذين يتقون ، ويؤتون الزكاة ، والذين هم بآياتنا يؤمنون ، فلا يخلفون عن دين الله ، ولا يكذبون بما جاءهم من عند الله حاضراً وغائباً ، فهؤلاء هم المؤمنون بالغيب والشهادة ومن آمن بالغيب بما جاء من عند الله فقد أوفى على الغاية .

الحقوق والواجبات في الإسلام

للدكتور محمد يوسف موسى

١ - الواجب قبل الحق :

« كل حق يقابله واجب » ، هذه قاعدة مطلقة ، لا استثناء فيها ، وهي تحكم علاقة الإنسان بربه سبحانه ، كما تحكم علاقات الإنسان العديدة المختلفة بغيره من الناس على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية . ولكونها قاعدة يرصدها المنطق والعقل السليم ، نرى الشرائع السماوية التي شرعها الله لعباده قد اتفقت عليها في كل زمان ومكان .

وكذلك نرى القوانين الوضعية التي وضعها الإنسان في قديم الزمان وحديثه ، وفي الشرق والغرب على السواء ، قد اتفقت عليها أيضاً .

وهكذا رسمت الشرائع الإلهية والقوانين الأرضية للناس طريق الحياة ونظام السلوك ، وبينت ما يجب على كل إنسان أدائه لنفسه ولغيره ، ليكون مواطناً صالحاً ، كما بينت ماله من حقوق ، وبذلك لا يعتدى أحد على أحد ، ولا يظلم الناس بعضهم بعضاً .

ولذن فليس من العدل ولا من المنطق أن يطلب إنسان حقاً من حقوقه عند الناس

إلا إذا كان قد أدى ما يقابله من الواجب ، وبذلك تقوم العلاقات المختلفة بين الناس جميعاً على أسس سليمة ، وقواعد ثابتة عادلة ، وبذلك يسعد الفرد والمجتمع والأمة .

وإذا كان الأمر هكذا ، فإن الإسلام يتكلم عن الواجبات أكثر مما يتكلم عن الحقوق ، ويجعل القيام بالواجب أساساً لطلب الحق والحصول عليه . ونرى مصداق ذلك في القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة ، كما نرى مصداق ذلك أيضاً في الحياة العملية التي نعيشها .

ففي القرآن يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، ويقول : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » ، ويقول : « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ؛ فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » .

هنا نجد بعض ما لله سبحانه وتعالى من واجبات في الطرف الأول ، ونجد في الطرف الثاني بعض ما تفضل الله به علينا ، ووعدنا به من الخير ، وسماه حقاً لنا . فإذا

المعاصي ، والتصديق بالخلف من الله وحسن الجزاء على ما نعمل من خير - نجد تقابلا بين هذا كله . وبين ما جعله الله حقا لمن يقوم بهذه الواجبات من تيسير دخول الجنة وتمتعه بما فيها من نعيم مقيم .

وكذلك في الآية الأخيرة ، التي ذكرناها آنفا ، نجد التقابل بين واجب الإيمان بالله وعمل الصالحات ، وبين ما يكون جزءا عن ذلك من نصر المؤمنين وتمكين لهم في الأرض ، وتأمينهم بعد خوف على دينهم وأنفسهم وأموالهم ، وذلك إذا قاوا بما يجب عليهم الله القوى العزيز .

وإذا كان الأمر هكذا في القرآن العظيم : أداء للواجب أولا ، ثم فوزا بما نسميه حقا ثانيا ؛ فإن الأمر كذلك في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، في حديث صحيح رواه مسلم وأحمد وأبو داود وغيرهم من رجال الحديث : (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ؛ ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ؛ ومن ستر مسلما ، ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) .

ففي كل فقرة من هذا الحديث الجامع لكثير من ضروب الخير ، نجد التقابل واضحا بين

كان منا الإيمان بالله حق الإيمان الذي يؤدي إلى العمل ، وإذا نصرنا شرائعه وتعانيه بالعمل بها والدفاع عنها - إذا كان منا ذلك ، كان حقا علينا أن نرجو النصر على الأعداء ونثبت الأقدام عند اللقاء .

وإذا أدينا ما علينا في أموالنا من حق معلوم للسائل والمحروم ، وأنفقنا منها في سبيل الله ، كان لنا أن نرجو أن يتحقق لنا ما وعد الله به من الأجر الكبير والثواب العظيم ؛ ومن أوفى بمعهده من الله ، ومن أصدق منه قيلا !

وبعد ذلك يقول عز وجل في سورة الليل : « فإما من أعطى ، واتقى ، وصديق بالحسنى فسنيسره لليسرى » كما يقول في سورة أخرى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ؛ يعبدونني لا يشركون بي شيئا » .

ففي آيات سورة الليل نرى تقابلا بين واجبات علينا - بلا ريب - أداؤها لله وللجتمعة الذي نعيش فيه ونفيد منه ، وبين ما نسميه حقوقا لنا إذ تفضل الله سبحانه وتعالى فوعدنا بها ؛ بين واجب البذل من المال للبعسرين وذوى الحاجات وفي سبيل الله ، واتقاء حرمة الله وما نهى عنه من

فإن خرج عن أمر الله ورسوله ، وأمر بما هو معصية لا ريب فيها ، ولم يحكم في الرعية بالعدل ، لم يكن له أن يطلب حقه ، وهو أن تسمع له الرعية وتطيع .

وبناء على هذا الأصل العام ، يعنى أن الواجب قبل الحق ، يروى أبو عبيدة القاسم ابن سلام ، فى كتابه القيم (الأموال) ، أن رجلا من البادية سألوا واليهم أبا عبيدة ابن الجراح أن يرزقهم من مال الأمانة الذى تحت يده ، فقال : لا ، حتى أرزق الحاضرة ، فمن أراد بحجة اللجنة فعليه بالجماعة .

ويفسر هذا التصرف الحكيم قول سيدنا عمر بن عبد العزيز لعماله : مر للجند بالفريضة وعليك بأهل الحاضرة ، وإياك والأعراب ، فإنهم لا يحضرون محاضر المسلمين ، ولا يشهدون مشاهدهم .

يريد رضى الله عنه أن لأهل البادية العون فى أوقات الشدة ، ولكنهم ليسوا كأهل المدن الذين تجب لهم فرائض مالية ثابتة فى كل حال ، وذلك لما يقدمون من خدمات وعون دائم للأمة إذ يعيشون بين الناس ، لا كأهل البوادي الذين لا يعينهم أمر غيرهم كالأولين .

٢ - نحو الله سبحانه وتعالى :

إن القاعدة التى افتحنها بها هذا البحث

الواجب وبين الحق ؛ بين الواجب الذى يجب أدائه أولا ، وبين الحق الذى يكون ثانيا . وشتان بين هذه الواجبات التى من اليسير القيام بها على الإنسان ، وبين ما يناله عن كل منها من الجزاء العظيم فى الدنيا والآخرة ! . وكذلك من هذه الناحية أيضا ، ما جاء عن الرسول من قوله : (من سره أن يبسط له فى رزقه ، وأن ينسأ له فى أجله ؛ فليقلق الله وليصل رحمه) ، وقوله : (من توكل على الله كفاه) ، وقوله : (من اتقى الله وقاه كل شئ) ، وقوله : « من تواضع لله رفعه الله » . إن فى هذه الأحاديث ، وأمثالها كثير ، جثا لنا من الذى لا ينطق عن الهوى على القيام أولا بما علينا من واجبات الله وإخواننا فى الدين والوطن والإنسانية ؛ وحينئذ يكون لنا الحق فى أن نفوز بما نرجو من البسطة فى الرزق ، والفسحة فى الأجل ، ووقاية الله لنا من السوء ، وعونه لنا فى كل حال .

وفى سياسة الأمة بصفة عامة نجد الأمر كذلك أيضا ؛ هذا هو سيدنا أبو بكر رضى الله عنه يقول فى أول خطبة له بعد أن ولى الخلافة : (أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم) . وهذا معناه أن للخليفة حق الطاعة على الأمة جميعا ، ولكن هذا الحق العام الذى لا بد منه مشروط بأن يقوم هو أولا بما يجب عليه نحو الله والرعية

وإذا كانت نعم الله علينا ليس إلى إحصائها من سبيل ، فإن واجباتنا نحوه سبحانه وتعالى ليس لإحصائها أيضا من سبيل ، وأول هذه الواجبات هو الإيمان به حق الإيمان ؛ إيمانا يملأ النفس والقلب حتى لا يعيش المؤمن إلا به وله ، ويدفعه إلى العمل الصالح في كل حال وذلك لخير المؤمن نفسه ، والمجتمع الذي يعيش فيه ، والأمة التي ينتسب لها .

وأساس هذا الإيمان أن يسلم المرء وجهه لله ، وأن يخلص له في عبادته كأنه يرى الله الذي يراقبه ، وألا يرجو غيره ، أو يخاف سواه ، فإن من أمارات الإيمان الصحيح الرجاء والخوف منه سبحانه وتعالى .

الرجاء الذي لا يدعو إلى اليأس من مغفرة الله وواسع رحمته ، فإنه لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الخاسرون ؛ والخوف الذي لا يكون سبيلا إلى التفريط اعتمادا على أن رحمته تعالى وسعت كل شيء ، فإن من لا يخاف حري بأن يقع في كثير من الذنوب والآثام .

إن من الناس من يرى أنه مؤمن بالله تعالى ولكنه مع هذا يخاف رئيسه مثلا أكثر من خوفه من الله مالك الأمر كله ، ومن بيده ناصية الناس جميعا . وإن منهم من يرفع رجاءه إلى بعض ذوى الجاه والنفوذ ويعتقد أنه إن وصل إلى واحد من هؤلاء

كل حق يقابله واجب ، وأن الواجب ينبغي أن يؤدي قبل الحق ، تحكم ما بين الناس من علاقات ، كما تحكم كذلك ما بيننا وبين الله سبحانه وتعالى من علاقات أيضا .

إن الله العليم الحكيم هو الذى يقول فى محكم كتابه : «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان» ويقول : «لنما تجزون ما كنتم تعملون» ، ويقول بصفة عامة : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، ومن أصدق من الله حديثا » .

ومن البدهى أن الله هو الذى أوجدنا من العدم ، وسوانا وجعلنا فى أحسن تقويم وآتانا من ضروب النعم ما لا نستطيع له عدا ، وإذا ، يكون فى الذروة من الواجبات التى علينا ما يكون منها لله سبحانه وتعالى .

فهو جل وعز الذى يحس المؤمن أنه بجانبه فى كل حال من العسر واليسر والشدة والرخاء ، وهو الذى يعينه إن نزل به ضيق ، ويشد أزره إن ألم به ضعف ، ويرشده ويسدده إن زلت به القدم .

وهو الذى يربط على قلبه ويواسيه ويحزل له الأجر إن حلت به مصيبة فذكر الله وصبر على ما أصابه ، ويبيع الأمل والرجاء فى نفسه إن طاف به اليأس ، ويغفر له إن أذنب ثم تاب إليه وأناب ؛ وهو الذى ، كما جاء فى كتابه الكريم « يحيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء » .

الرجل يقاتل شجاعة ، ويقا تل حمية ، ويقا تل رياء ، فأى ذلك فى سبيل الله ؟ فقال : (من قا تل لتسكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله) . ومن الواجب علينا لله سبحانه وتعالى ، بعبد تقواه ومراقبته ، أن نستقيم فى كل ما نقول ونعمل ، ولذلك أمر الله رسوله بقوله : « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ، وقال فى سورة أخرى : « لمن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون » .

وبجانب هذا ، يروى الإمام مسلم فى صحيحه أن رجلا من الصحابة قال للرسول : يا رسول الله ، قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا غيرك ، فقال : (قل آمنت بالله ، ثم استقم) .

وبعد ! تلك بعض الواجبات التى علينا لله سبحانه وتعالى ، وبأدائها وإخلاصنا فيها نكون حريين بعون الله ورعايته وإحسانه فى كل حال ؛ فهو الذى يقول وقوله الحق ووعد الصديق : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ، ويقول : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه » ، ثم يقول : « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ، ذلك أمر الله أنزله إليكم ، ومن يتق الله يسكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا » . (الحديث موصول بإذن الله) .

المركنور محمد يوسف موسى

فقد وصل إلى ما يرجوه ، مع أن واحدا من هؤلاء لا يملك لنفسه شيئا فكيف بغيره .

نقول بأن الواحد من هؤلاء الذين يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ، والذين يعتمدون فيما يرجون على أمثالهم من عبید الله أكثر مما يعتمدون على الله ، ليسوا مؤمنين حق الإيمان بالله ، وليسوا من الذين يقومون كما ينبغى بما يجب عليهم لله الذى بيده ملكوت السموات والأرض وما بينهما .

إنه ليس للمؤمن بالله أن يعتز بغيره ، أو يستند إلا إليه ، أو يستعين إلا به ، أو يقدم لأحد غيره - مهما يكن سلطانه ونفوذه وقوته - شيئا من ضرور العبادة التى يجب أن تكون خالصة لله مالك الملك وحده . ولهذا يقول الله فى كتابه الكريم : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ؛ وذلك دين القيمة » ، كما يقول : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » .

إن الله افترض علينا الفرائض المعروفة ، وإن مناط اعتبارها وتقديرها منه سبحانه وتعالى هو الإخلاص فيها ؛ فلا نكون أدينا واجب عبادته إلا إذا أقامها كما ينبغى ، وأخلصنا فى أدائها ، وقصدنا وجه الله وحده فيها . وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) وجاء فى الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ

لِلْأَمْنِ مَحْمُودِ الشَّرْقَاوِي

وقد فصل ذلك الحارث المحاسبي في بيان صادق فقال :

« وإنما الوجه الذي هو أشد الرياء وأعظمه لإرادة العبد العباد بطاعة الله عز وجل ، لا يريد الله عز وجل بذلك . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (أن تعمل بطاعة الله تريد الناس) ... وكذلك يروى أبو هريرة

عن النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الله تبارك يقول : أنا أغنى الأغنياء عن الشريك ، من عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء . وهو الذي أشركه) . فأبان بذلك أن من الرياء لإرادة الله عز وجل وإرادة خلقه .

« وقال طاووس : (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله الرجل يتصدق ويحب أن يحمد ويؤجر ، فلم يدر النبي صلى الله عليه وسلم ما يقول ، حتى نزلت هذه الآية : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » ، فأنزلها الله عز وجل جواباً لقول السائل ، إذ سأل : من أراد الله عز وجل وأراد حمد المخلوقين .

كرّم الله شهر رمضان وخصه بالمنزلة العظيمة فلم يذكر في القرآن سواء من الشهور باسمه الصريح : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » ^(١) . وميّزه بالمكانة التي لا تقارب ولا تداني فبدأ فيه نزول القرآن الكريم ، كما تقول الآية .

وكرمه المسلمون منذ هداهم الله بهداية الإسلام فجعلوه موسم الصلاة والعبادة وتلاوة القرآن . كما جعلوه موسم السبر والمودة والمعروف ، اقتداءً بالنبي الكريم : (كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس . وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل . وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة) ^(٢) .

ومن حق العابدين الصائمين أن يعرفوا العبادة المقبولة ليحرصوا على أدائها فما كلّ عبادة يقبلها الله فيثيب عليها

(١) سورة البقرة .

(٢) رواه ابن عباس : صحيح البخاري

ص : ١٩٨ الجزء ٤ - الاميرية .

المواسية، أو بالصمت الرقيق المذهب العطوف، مقصد أسمي تدعو إليه وتأمر به هذه الآية الكريمة عند بذل الصدقة وتقديم العون والمعروف. أما من يصحب بذله بالمن والاذى فمثله كما صورت الآية الكريمة.

ونتيجة عمله أنه لم يكسب ثواباً ولم يعمل خيراً ولا معروفاً. مع أنه أنفق وبذل وتصدق. وهذا تحديد للصدقة المقبولة. وتربية، أى تربية، للضمير والإحساس. وتهذيب، أى تهذيب، للخلق.

والصلاة - فريضة وقطوعاً فوق الفريضة المكتوبة - من أقرب القربات إلى الله. ولكنها الصلاة التي يعرف لها صاحبها حقها، من الخشوع والخضوع والإخلاص. الصلاة التي وصفها الله بأنها: تنهى عن الفحشاء والمنكر، وبعض الصلاة - صلاة المرائين المنافقين - قال الله إنه لا خير فيها: «لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس» (١).

وجاء في الحديث الشريف: (إن العبد إذا صلى فأحسن الصلاة سعدت ولها نور، فإذا انتهت إلى أبواب السماء فتحت أبواب السماء لها، وتشفع لصاحبها، وتقول: حفظك الله كما حفظتني، وإذا أساء في صلاته فلم يتم ركوعها ولا سجودها، ولا حدودها سعدت

وقال عمر رضي الله عنه لمعاذ بن جبل وراه يبكي: ما يبكيك...؟ قال: حديث سمعته من صاحب هذا القبر، يعنى النبي صلى الله عليه وسلم، سمعته يقول: (إن أدنى الرياء: الشرك). والحديث الذي يروى: «يسير الرياء شرك» (١).

والصدقة من أقرب القربات إلى الله في رمضان وفي غيره. ولكن الصائمين العابدين يعرفون أن للبر فضائل وآداباً وأن هذه الفضائل والآداب قد تكون مقدمة على العمل الآلى المادى من البر. لأن العمل نفسه قد تكون له دوافع من الأثرة والأنانية والتظاهر.

تأمل قول الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر، فمثله كمثل صفوان عليه تراب، فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شئ مما كسبوا، والله لا يهدي القوم الكافرين» (٢).

فقد فُعلم من هذه الآية الكريمة أن الفضائل والآداب التي تلبس الصدقة والبر وبذل المال، هى أهم وأفضل من المال المبذول نفسه - على حب النفس للمال وحرصها عليه - فستر الصدقة واصطحابها بالكلمة الطيبة

(١) ملخصاً عن ص: ١٣٦ - ١٣٧ من: «الرعاية لحقوق الله» للمعاشى. وهو شيخ الامام للترالى.

(٢) سورة البقرة.

(١) سورة النساء.

أتدرون ما المفلس ... ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . قال : إن المفلس في أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته . فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه . ثم طرح في النار ^(١) .

والصائمون العابدون الذين يرجون أن يقبل الله صومهم وعبادتهم يجب أن يذكروا ويتدبروا حديث رسول الله عليه السلام الذي يقول : (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) ^(٢) وحديثه الذي يقول : (رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع . ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر) ^(٣) .

وأن يذكروا ويتدبروا أن بعض الصلاة المقبولة التي يعرف لها صاحبها حقها ويلتزم جوهرها وآدابها وغايتها ، خير من صلاة كثيرة يتطوع بها صاحبها ولكنه لم يعرف لها حقها ولم يلتزم جوهرها وغايتها :

- (١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب .
(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة : صحيح البخاري ، كتاب الصوم .
(٣) أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة : ابن ماجه ، كتاب الصوم .

ولها ظلة ، فتقول : ضيعك الله كما ضيعتني ، فإذا انتهت إلى أبواب السماء غلقت دونها ، ثم لفشت كما يلف الثوب الخلق ، فيضرب بها وجه صاحبها ، ^(١) .

والتوجه إلى المشرق والمغرب في الصلاة ليس وحده برأ ما لم يقترن بالإيمان والبذل والوفاء والبر والصبر وغير ذلك من الفضائل : ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب . ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين ، وآتى المال - على حبه - ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس . أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ، ^(٢) .

والصائمون العابدون الذين يرجون أن يقبل الله صومهم وعبادتهم ، يجب أن يذكروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن : المفلس ، وأن هذا المفلس من عمل الخير ومن الثواب يوم القيامة ، قد تكون له صلاة يظنها مقبولة وهى مردودة : (عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

- (١) أخرجه الطبراني فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث أنس رضى الله عنه .
(٢) ١٧٧ البقرة .

يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين،^(١) فهي تجعل الذي يدع اليتيم ويذره ويؤذيه. والذي يبخل على المسكين فلا يحض على إعطائه ويعطيه ، لا تجعله الآية رقيق الإيمان ولا مذنباً ولا عاصياً . بل تجعله مكذباً بالدين . ثم تذكر الآية الكريمة أن قوما يصلون، ولكن الويل لهم - مع صلاتهم هذه - لأنهم ساهون عنها ، ولأنهم قد اتصفوا بآثنتين من صفات الرذيلة : المراءاة وحبس المعونة عن محتاجها : « فويل للصليين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون »،^(٢) وفي الآيات الكريمة

(٢٩١) : « ٣٠ الماعون . ويقول الإمام الشيخ محمد عبده في تفسير هذه السورة : « إن كثيراً من الناس ، بل الأغلب فيهم ، يقولون إنهم يمتدقون بالدين ويصدقون بالله وبما جاء به رسوله وبالحياة الآخرة ، وينتفعلون لأنفسهم الزايا على غيرهم ، ويظنون أنهم المطففون ، وأن من يخالفهم قد حقت عليه كلمة الشقاء . ويكتفون في هذه الدعوى ببعض أعمال وسمها الدين وإن لم يكن لها في قلوبهم أثر كالصلاة وما يشابهها مما لا ينقص مالا ولا يحشم مشقة .

« وسواء كان المحتقر للتحفوق ، البخل بالمال والسمى ، مصلياً أم غير مصلي . فصلاته لا تنفعه ولا تخرجه من صف للمكذبين بالدين » . ثم يقول الشيخ عبده بعد ذلك كلاماً أوضح وأصرح لا نريد أن نطيل الاقتباس بذكره . فليرجع إليه من يشاء : [ص ١٦٦ - ١٦٤ من تفسير جزء عم ، الأميرية سنة ١٣٢٢ هـ] .

(عن أبي هريرة قال : قال رجل : يا رسول الله : فلانة ، يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقها . غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها قال : هي في النار . قال : يا رسول الله : فإن فلانة : يذكر من قلة صيامها وصدقها وصلاتها وأنها تصدق بالأتوار^(١) من الأقط^(٢) ولا تؤذى جيرانها بلسانها . قال : هي في الجنة)^(٣) .

فالعبرة ليست بالعدد والكثرة ، بل بالإحساس والضمير والوازع . فتلك امرأة كثيرة الصلاة والصيام والصدقة وهي مع ذلك من أهل النار ؛ لأن عبادتها هذه لم تهذب نفسها ولم تحجزها عن أذى جيرانها . وهذه امرأة أخرى قليلة صلاتها وصيامها وصدقها ، وهي من أهل الجنة . لأن هذا القليل من العبادة عصمها عن أذى الجار .

بل هناك أمر يتصل بأصل الإيمان نفسه ، وهو هذه الآية الكريمة من سورة الماعون : « أ رأيت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي

- (١) في : « النهاية من غريب الحديث والآثر » . التور : إماء من صفر أو حجارة قد يتوضأ منه . وقد يشرب فيه . يشير الحديث إلى أنها كانت تصدق بالشيء القليل .
(٢) الأقط ، أو الأنط : شيء يتخذ من اللبن الخبيض . وهو من ألبان الإبل خاصة ، أو المعز .
(٣) سفد أحمد ، الجزء ٢ ص ٤٤ .

قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ، (١) .

وأن يحرصوا على أن يكونوا من عبادة المؤمنين : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ، (٢) .

« ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا ، (٣) .

« إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ، (٤) .
صدق الله العظيم ، وتقبل من المتقين .

محمود الشرفاوى

سكرتير التحرير

من أدوات التوكيد ما نرى . وقد صاغها الله في أسلوب لانهج أروع منه ولا أقوم ولا أقوى تأثيراً في الضائر ووقعا على القلوب .

ومن ذلك حديث النبي عليه السلام الذى يقول : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (١) والذى يقول : (ليس المؤمن بالذى يشبع وجاره جائع إلى جنبه) (٢) وذلك الذى يقول : (وأيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى) (٣) .

* * *

نريد من الصائمين العابدين أن يكونوا من عباد الله الذين نسبهم إلى رحمته فسماهم «عباد الرحمن» : «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان . حديث : ٧١ وفي رواية « لجاره » بدل « لأخيه » .
(٢) عن ابن عباس . الجامع الصغير ص ٢١٧ ، الجزء ٣ .
(٣) مسند أحمد ، الجزء ٢ ص ٤٤ .

(١) ٦٣ - ٦٤ الفرقان ، إلى آخر السورة .

(٢) ٦١ الأنفال .

(٣) الإسرائاء : ٢٥ .

(٤) فاطر : ١٠ .

رمضان في تاريخ مصر الإسلامية

للأستاذ محمد رجب البيومي

من صيام وقيام وزكاة ، وقد كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أول من أضاء المساجد طوال الليل بالمدينة ، وعنه سرى هذا التقليد الحيد إلى شتى العواصم ، حتى قال على كرم الله وجهه : (نور الله على ابن الخطاب في قبره كما أنار مساجد الله) ومصر من بين العواصم التي رحبت بمبدأ هذا التقليد المشرق ، ثم بالغت فيه بعد ذلك مبالغة جعلت جميع المنازل والميادين تموج بالنور وكأن ليلاً في رمضان نهار وضاء !

وقد قدر لها أن يحكمها في بعض سنواتها الزاهية أحمد بن طولون ، وكان رجل خير ، يجمع إلى الحزم والبطولة صفاء للنفس ورقة الفؤاد ، وإخلاص الضمير ، وقد نظر إلى شهر رمضان نظرة عميقة مخلصة فرآه حقلاً خصيباً لاستثمار الفضائل ، وإنماء المكارم ، فهو في إلباه مظهر التعاون الإنساني بين الناس ، ومجال البر والخير والتراحم والتواد ، فليس الحرمان به عن الطعام هدفاً مقصوداً لذاته ، ولكن وسيلة قوية إلى تضامن النفوس ، وتحاب القلوب ، وإذ ذاك أمر بدعوة الأغنياء والحكام في مختلف الأقاليم إلى منزله في أول

تحتفل الدول الإسلامية جميعها بشهر رمضان احتفالاً تأتلق به الهبة ، وتغمره البشاشة ، فالمسلمون يتهيئون إلى لقائه فرحين مغتربين ، ويأخذون في إعداد لوازمه وواجباته قبل أن يأزف موعده ، فإذا أشرق هلاله وجد الاستقبال الحافل ، والترحيب الجزيل ، ومصر كانت ولا تزال من أسبق الشعوب إلى الاحتفاء بمقدمه ، والتنويه بجلاله ، منذ أشرق عليها نور الإسلام إلى عهد الراهن ، وقد تدرج احتفالها به تدرجاً طبيعياً وفق قانون التطور والارتقاء ، فهو في أيامها الأولى عقب الفتح العربي كان هادئاً وقوراً ، تظهر دلالاته في المساجد المضاءة ، والصلوات المتتابعة ، والأذكار المخلصة ، دون أن تتخذ له مواكب حافلة تملأ الطريق ، إلا ما كان من الذهاب إلى المقطم يوم الرؤية للتأكد من طلعة الهلال ، ثم الرجوع ثانية إلى المساجد ، ولم تك مصر بدعاً في وقارها الهادئ إذ ذاك ، فقد كانت المدينة عاصمة الدولة الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة تكسني بالاحتفال النفس لا الرسمي ، فالقلوب متجهة إلى السماء ، والمشاعر مخلصة في التسبيح والصلوات ، والنفوس مستبشرة بما أتت لها

ثم تدفقت بين يديه خيرات الوادى الحصب
تدفقا غمر كنوزه المختلفة بطوفان يفيض
ولا يفيض، فرأى أن يحتفل بالمواسم الدينية
احتفالا تظهر به أبهة الخلافة وجلال السلطان
وبهجة الإسلام . وكان لرمضان من هذه
المباهج الفاتنة حظ أى حظ : فقبل أن يآزف
ميعاده تقفل أبواب الحانات ، ويحرم بيع
المسكرات ، وتأخذ المساجد في أسباب
التجميل والزينة ، فتطلى الجدران ، وترم
الصدوع . وتفرش البسط الفاخرة ، وتعد
القناديل والشموع والمجامر ، ثم يطوف
القضاة بأنفسهم على بيوت الله فيشاهدونها
بعد أن أخذت زينتها وبهاءها ، ويضعون
عنها تقريراً أميناً يرفع إلى دار الخلافة ، فإذا
كانت ليلة الرؤية خرج الخليفة من باب الذهب
متحلياً بأجمل اللباس ، وحوله الوزراء بملابسهم
المزركشة . وخيولهم المطهمة ، ذات السروج
المذهبة ، وقد أشرعت الرماح المحلاة ،
والسيوف المزينة ، ورفرفت الأعلام
والرايات ، ومن ورائهم فرق الجند المختلفة
تصدح بالموسيقى العذبة ، ويتلوها كبار الوجهاء
من علماء وقضاة وأدباء ، وكتاب وتجار ،
وصيارفة وصاغة ، وقد تنافس الناس في إقامة
الزينات على البيوت والمتاجر والمصانع ،
فأشرقت الأنوار ، وتوهجت الثريات ،
وتطلعت النساء من المشريات يحمين الموكب
الحاشد بالزغاريد والأغنيات ، ويمر المحفل

يوم منه ، ثم قدم إليهم موائد الإفطار حافلة
أهله ، وجمع إليها حشداً من الفقراء
والمستورين ، ١١ وما فرغ المفطرون من
طعامهم حتى وقف ابن طولون وأعلن أنه
دعا الأمراء والحكام لينظروا إلى ما يجب عليهم
من السخاء طيلة أيام الشهر ، فهم مستولون
أمامه عن إطعام الفقير وتعهد المسكين ، ثم
أصدر بذلك قراراً وزعه على البلاد المتفرقة
في القطر الواسع ، وتهدد من لا يمثل أمره
بأشد العقاب والنكال ، فصار رمضان لعهده
في أكرم صورته وأنبهائها ، وأصبح على يديه
مثابة خير ومورد إحسان ، حتى إن بعض
الحكام كان يبعث أعوانه إلى بيوت الفقراء
ليحملوهم بالقوة إلى موائده ثم يشربوا بعد
الإفطار وقد شغلوا أيديهم بما يطعم الأبناء
والنساء ، وقد مر أول يوم من أيام رمضان
بعمال البناء في مسجده ، فرآهم يشتغلون حتى
يؤذن المغرب ، فتألم لذلك وقال : متى يتمكن
هؤلاء الضعفاء من شراء الطعام لأسرهم
وإعدادهم ؟ ثم أمر بصرفهم جميعاً حين يؤذن
العصر ، فكانت سنة جديدة يحتذيها من حكم
البلاد من بعده ، وسطرت له مع غيرها
بأحرف من نور . . . رحمه الله .

وجاءت الدولة الفاطمية ، وهى من الترف
والنعمة والثراء بمحل لا يوصف ، حتى اشتهر
المعز لدين الله بذهبه ، وضرب به المثل
في الكثرة فقيل : (ذهب المعز وسيفه) .

وفي كل ليلة يبدأ القراء فيتلون بعض السور
الكريمة ، في ترنيم ساحر ، وترتيل أخاذ ،
فإذا انتهوا من قراءتهم نهض المؤذنون فأخذوا
يكبرون ويهللون ، ويشيدون بفضائل الشهر
وبركاته ، خاتمين لحونهم بالدعاء للخليفة والثناء
عليه ، ثم يفسحون المجال للوعاظ ، فيتحدثون
عن فضائل الصيام ويفسرون آيات القرآن ،
ويرددون الرقائق من الأحاديث النبوية
والروائع من العظات الدينية ، فإذا فرغوا
من واجهم نصبت حلقات الذكر ، فنهض
إليها السكبراء من العلية مسبحين ذاكرين ،
فإذا انتصف الليل تهيأ القوم للسحور ،
فأكلوا واستطابوا ، ووزعت عليهم الحلوى
والفطائر ليحملوها إلى منازلهم مسرورين ،
ومن يسعده الحظ بالجلوس على مائدة الخليفة
في السحور ذاق من أطايب المأكول والمشرب
ما يظل سمر حديثه بين الرفاق ، ثم يرجع إلى
أهله وقد حمل أطيب ما يقدم والد لأبنائه
من تحف وألطف ، وتستمر ليالي الفاطميين
على هذا المنوال الرائع عدة ليالي الشهر الكريم .
أما مصر الأيوبية فقد شاء لها القدر أن
تضطلع بعبء الدفاع عن البلاد الإسلامية
أمام الجيوش الصليبية الزاحفة في حملاتها
المتتابعة ، فلم يجد صلاح الدين من وقته وماله
ما يبذله في الاحتفال بسهرات هذا الشهر
الكريم ، وإذا كان الجهاد يحجز للمسلم أن
يفطر فلا يصوم فإنه من باب أولى يحتم عليه

بين القصرين إلى أن يخرج من باب الفتوح ،
ثم يدخل باب النصر عائدا إلى باب الذهب ،
حيث يجلس الخليفة في قصره ، فيستمع آيات
الكتاب الكريم يرتلها أشهر القراء ، ثم يوزع
الصدقات والهدايا ، ويكتب إلى الولاة
وحكام الأقاليم مبشرا بقدوم الشهر الكريم .
وفي أول يوم من أيام الشهر توزع
الاعطيات الثمينة على الأمراء والحكام ،
فتهدى إليهم أطباق الحلوى تتوسطها صرر
الذهب ، ويدعو الخليفة كل يوم فريقا من
رجال الدولة قبيل الغروب ، فيستمعون قليلا
إلى المرتلين والمثنيين ، حتى إذا أذن المغرب
دارت أكواب لزيب والتمر والتين فيشربون
مفطرين ، ثم ينهضون إلى صلاة المغرب جماعة
فيرجعون في أدائها ، ويرجعون إلى أماكنهم
ليجدوا موائد الإفطار قد زينت بطاقات
الزهر ، ووضعت عليها الماء كل والفواكه
 وأنواع الحلوى على هيئة صور ، وتمائيل ،
وقصور ، فإذا انتهوا من إفطارهم جاء الخدم
لحملوا ما بقى من الطعام - وإنه لكثير -
ووزعوه على طوائف الفقراء والمساكين
فنالهم أكثر مما يشتهون .

ثم ينتقل الحاضرون بعد الإفطار إلى بهو
القصر ، وهو فسيح متسع ، يشرف على
الحداثق الظليلة ، فيتمتعون بسمر شهى رائق
حتى تؤذن العشاء ، فينهض الجميع إلى صلاة
القيام ، ويعودون إلى مجلسهم بين يدي الخليفة

كبار رجالها كما قد قيل ، ولكن الحرب الطاحنة قد شغلت المسلمين عن كل شيء وأيسر الأمر أن تشغلهم عن المواقب والاجتماعات. على أن دولة المماليك قد تداركت ما تركه الأيوبيون من أبهة واحتفاء ، ففي ليلة الرؤية يخرج قاضي القضاة ، ومعه القضاة الأربعة للمذاهب الشرعية ، ووراءهم رؤساء الطوائف والصناعات من تجار وحدهادين وسباكين وحائكين وشماعين لرؤية هلال رمضان من فوق منارة قلاوون ، فإذا ثبتت الرؤية أضيئت الأنوار على المتاجر والدكاكين ، والمآذن والمنارات ، وسار قاضي القضاة في موكب رائع يجمع عليه القوم في المقدمة ، وجمهرة العامة في الوسط والنهاية ، تحف بهم الشموع والفوانيس ، ويتقدمهم الجند وحلة المشاعل والمباخر ، حتى يصلوا إلى ميدان القلعة ، فيروا السلطان في سراقه المنصوب ، وإذا ذلك يتقدم إليه الخليفة وقاضي القضاة بالهنئة ، ثم ينهض السلطان ليستعرض أحوال الدقيق والخبز والسكر وطوائف الغنم والبقر المخصصة لصدقات رمضان ، وتمر من أمامه بعد أن يتم عرضها من قبل في مختلف الشوارع والدروب ، بين تصفيق المشاهدين ، وزغاريد الحاضرات ، وقد كانت دروس الدين تلتق بالمساجد بين المغرب والعشاء أيام الأيوبيين على غير سنن مرسوم ، فتم المماليك على كبار العلماء قراءة صحيح البخاري بالجامع الأزهر

أن يهمل كل احتفال بسهرات رمضان ولياليه فاقصر الأمر على إضاءة المساجد والمآذن ، وقد ظن بعض المؤرخين أن الدولة السنية الجديدة بمصر ، ترى ما كانت تصنعه الدولة الشيعية المنقرضة من أبهة الاحتفالات بالمواسم الدينية حراماً محظوراً ، فتجنبته لحرمة ، ولم تشأ أن تتورط فيه ، وهذا وهم لا يسنده الواقع ، إذ أن كثيراً من الأيوبيين حكماً وقادة ، كانوا يحتفلون بهذه المواسم حين يفرغون بعض الشيء من غارات الصليبيين فالملك المظفر صاحب إربل وزوج أخت صلاح الدين كان أعظم ملك احتفل بالمولد النبوي الشريف^(١) ، وحسام الدين لؤلؤ قائد الأسطول الحربي لعهد صلاح الدين الأيوبي ، كان يحتفل بشهر رمضان احتفالا مشهوراً ، فيملأ ثلاث سفن كبيرة بالطعام كل يوم ، ويدخل الفقراء إليه في صفوف منتظمة وهو قائم مشدود الوسط ، ويده مغرفة وأطباق ، فيعطى كل صائم حظه من السائل والجاف ، ويبدأ بالرجال فالنساء فالغلمان دون أن يتزاحم أحد عليه لاطمئنان كل فرد إلى وصول حقه إليه ، مستمراً على عادته تلك طيلة أيام رمضان !! فلو كانت الدولة الأيوبية ترى تحريم هذه الاحتفالات الدينية ما نهض بها ملك عظيم من خلصائها ، وقائد خطير من

(١) لما حديث شامل عن هذا الملك العظيم

بمجلة الهلال سبتمبر سنة ١٩٥٩ .

وأوصافها فلا يتفقدتها أحد من المشاهدين ، ويتحول الحى الحسينى بعد العصر من أيام رمضان ، إلى سوق عامرة مكتظة ، إذ أن القاهريين فى القرن الماضى كانوا يرون زيارة مسجد الإمام الشهيد كل يوم قبيل المغرب منسكاً يختم به الصوم ، والجاثلون من الباعة يرون ازدحام الناس بالميدان الحسينى فيزيدونه تكديساً بعرباتهم المثقلة ، وسلعمهم المختلفة ، حتى يؤذن المغرب فيسرع كل صائم إلى منزله ، ويخلو الميدان المكتظ فجأة من أهليه ، وما هى غير ساعة حتى يعود كسابق عهده قبل الغروب ، فتغص المساجد بالمصلين ، والشوارع بالمارة ، والمقاهى بالسامرين .

أما الريف فقد كان ولا يزال المظهر المحتشم لاستقبال رمضان ، فإضاءة المساجد والمآذن تسبق اليوم الأول من الشهر معلنة قدومه ، وطواف المسحر فى الأزقة والحدائق بطلته ومصباحه تقدم صورة أخرى من تقاليد رمضان ، وكذلك استمرار الذبائح يومياً بالقرى بعد أن كانت لا تشهد إلا فى المواسم المتفرقة مرتين أو ثلاثاً فى العام الطويل ، وإلقاء العظات الدينية بالمساجد عصرأ وبعد صلاة الغروب ، والتفاف الأطفال جماعات حول المسندة ينتظرون الصيحة الأولى من الأذان ، فإذا دوت فى الفضاء تبعها صباح وضجيج ، ثم قراءة القرآن قبل الإفطار فى مجالس عامة تعقد فى منازل الأغنياء وذوى

من أول ليلة إلا أن تختم أحاديثه ليلة العيد فى احتفال مهيب يحضره السلطان والخليفة وقضاة المذاهب ثم توزع الخلع والهباب على العلماء والفقهاء والطلبة داخل المسجد ، وعلى الأيتام ، والأرامل والمرضى ، والمهاجرين خارجه ، فيكتمل ليلة العيد من السرور والبهجة ما يجعل يومها التالى عيداً بروحه ومعناه قبل أن يكون عيداً بتاريخه وساعاته .

ولعل من الطريف أن نذكر أن الأوقاف على رمضان لم تعرف قبل العصر المملوكى ، فالماليك أول من رصدوا فى حجج أوقافهم العقارات والأطيان الزراعية لتنفق غلاتها فى إقامة الشعائر الدينية ، وتوزيع النفقات المالية ، طوال أيام رمضان ، ! وذلك لن يكون إلا عن عناية حافلة واهتمام أكيد .

وقد اطردت العناية بهذا الموسم الجليل بعد العصر المملوكى ، فى أيام محمد على لم يهتم المصريون بالاحتفال الرسمى الذى يتصدره المحتسب والقاضى حين ينهضان مع الجند والأتباع إلى رؤية الهلال ثم يذيعان النبأ !! ولكن الشعب يؤلف موكبه بنفسه ، فكل أصحاب حرفة من الحرف كالطحانين والخبازين والجزارين والزياتين والعطارين ، يلتفون حول شيخ الحرفة ، ويتتابعون فى موكب شعبى يطوف بالشوارع الهامة ، وأمام كل حرفة ما يميزها عن غيرها ، لتعرف بدلائلها

الطويلة، التي تبتدى بعد الإفطار مباشرة، وتستمر حتى يصلى الفجر بالمسجد، على أن الإذاعة تقدم في برامجها الحافلة السمين والغث فهي تعتمد كثيراً إلى إذاعة المسليات الهابطة ترفهاً عن المستمعين من أغنية تافهة أو تمثيلية ضاحكة، وأخرى بها أن ترتفع في أكثر ما تذيبه بالسامعين، لا أن تكون في أكثر ساعاتها مدعاة لهو وفراغ. وأذكر أنها عمدت في رمضان الأسبق إلى كتاب عيسى ابن هشام فسخته مسخاً يبرأ منه المؤلف، ويرحب به السوق اللاهى وكان في عرضه على حقيقته إعلاء للسامع، ورعاية لمكانة الصوم وتقدير للوعى الناهض، وقد حمدنا لها أن قدمت كل يوم بعض الفصول الروحية من الحديث، وتدعوها هنا أن تتوسع في هذه الناحية بحيث يكون الطابع الروحي أكثر من غيره، ولها في فصول المراسخ وشكيب وشلتوت والرافعى والزيات وفريد وجدى وعزام والعقاد مدد لا ينقطع، وذخيرة تغنى وتلهم وتدعو إلى سبيل الحق بالحكمة والموعظة الحسنة.

وبعد : فإذا كان الاحتفال برمضان في عهدنا الأخير قد وكل في أكثر أحواله إلى الإذاعة العربية - والتليفزيون أخيراً - فإننا نطمح أن يجد لديهما سعة الأفق، وكال التوجيه، ورائع التقدير.

محمد رجب البيومي

اليسار، وتسمى «التعصيرة»، ويؤمها المستمعون والمتطلعون إلى الإفطار من ذوى الحاجة وأبناء السبيل، فإذا أديت العشاء عقدت مجالس القرآن مرة ثانية في المنازل، وتوافد الزائرون من كل ناحية يستمعون ويشربون البارد أو الساخن وفق الزمن والطقس، حتى يحين وقت السحور فيقدم صاحب المنزل مائدته لمن يريد ثم يتجه المجتمعون إلى صلاة الفجر بالمسجد، وتزدحم الشوارع الضيقة بالمارة، حتى لكأن النهار قد سبق مياعده بساعات، ولفجر رمضان في القرى من الروعة والجلال ما لا يبلغه الوصف، فالمسجد أهلى غاص، والترتيل موقع منسق، والصلاة تكتسب من الخشوع والإقبال روعة لا توجد في غير فجر الصيام وتراويحه بعد العشاء، فإذا كادت أيام الشهر أن تنصرم وزعت زكاة الفطر على الفقراء في عطف وتواد، واحتفل باليوم الأخير (وقفه العيد) احتفالاً تضاعف فيه الذبائح وترتفع الأجور أو تنخفض وفق الإقبال والإعراض، وما زال الريف في الجمهورية العربية المتحدة مغرس الإيمان، ومنبت الخشية والصلاح، وقد كادت هذه المظاهر الجميلة تزول بعض الشيء من القاهرة والريف، لتقعد أسباب الرفاهية، وانصراف الصائمين في رمضان إلى المذايع يقطعون معه سهراتهم

فريضة الصيام وتطورها في المجتمعات الانسانية

للدكتور جمال الدين الرمادى

الإمساك عن الطعام :

والإمساك عن الطعام والشراب يتم على وجوه شتى فمنه المطلق الذى يشمل جميع المأكولات والمشروبات كصيام الصائين والمناوية والمسلمين ، ومنه المقيد الذى يتم بالكف عن بعض أنواعها كبعض أنواع الصيام عند المسيحيين ومن المتصوفة المسلمين من يصومون طيلة حياتهم عن الطعام والشراب ، ولا يفطرون إلا عند الغروب ، ويعتقدون أن الصوفى من صفا من الكدر ، وامتلاء من الفكر ، وانقطع إلى الله عن البشر ، واستوى عنده الذهب والمدر .

مناسبات الصوم :

ويصوم بعض الشعوب فى مناسبات عديدة منها حدوث ظاهرة غريبة تستهوى الناس وتحير العقول ، وتذهل النفوس . مثل حدوث الكسوف أو الخسوف ، أو ثوران البراكين ، أو حلول الزلازل ، لقد كان الإنسان يعتقد أن حدوث مثل هذه الأمور يعتبر غضبا إلهيا منصبا على الدنيا ، ومن فيها وما فيها ، فكان يتقرب إلى الله تعالى

أقبل شهر رمضان فى هيئته ووقاره ، يتهاذى على الدنيا ، ويقيه بين الشهور والأيام ويحرص المسلمون على الصيام فى هذا الشهر المبارك تقربا إلى الله عز وجل ، وتأدية لفريضة هامة من فرائض الإسلام .

والصيام حلاوته وعذوبته . ومنفعته وأهميته ، ولقد حرصت شعوب الأرض منذ نشأة الخليقة على الصيام ، ولكن تعددت أشكاله باختلاف الأمم والشرائع ، وكان عندهم فى أغلب الأحوال تهذيباً للنفس وترويضاً للحس وعاملاً على السمو والارتقاء .

ولعل الكف عن الكلام هو أغرب أنواع الصيام ، وقد ذكر العالمان سبىسر وجيلين فى كتابهما عن سكان استراليا الوسطى حالات كثيرة من هذا القبيل ، منها أن المتوفى عنها زوجها يجب أن تظل مدة طويلة تبلغ أحيانا عاما كاملا صائمة عن الطعام ، ويظهر أن بعض الديانات القديمة كانت تسوغ مثل هذا الصيام بدليل قوله تعالى فى سورة مريم : **وَإِنى نذرت للرحمن صوما فنن أكرم اليوم أنسيا . فأشارت إليه ، .**

الهندو الحرثي يتألف منها السكان الأصليون لأمريكا الشمالية .

وقد فرضت ديانة البوذيين الصيام من شروق الشمس إلى غروبها في أربعة أيام من كل شهر قمرى هي أيام اليوبوزانا Uposatha وتقع في مبدأ كل منزلة من منازل القمر الأربع كما أوجبت الراحة التامة ، وحرمت مزاوله أى عمل حتى إعداد طعام الإفطار ، ويصوم الحرسانية والسكلدانيون والصائبة أحد وعشرين يوماً في تشرين الثاني « نوفمبر » منها تسعة أيام لرب البخت ، ويفتون في كل ليلة الخبز ، ويخلطون معه الشعير والتين واللبن ، ويرشون عليه الزيت .

والصوم عند المسيحيين هو الانقطاع عن الطعام والشراب مدة محدودة من النهار ، ثم يتعاطى الصائم مأكولات خالية من الدسم ؛ تذليلًا للنفس والجسد ، وتنويراً للعقل ، وله فوائد منها أنه يشعرهم بحالة المحتاجين لسكى يرثوا لخالهم ، ويشعروا بخطاياهم ، والصيام أنواع عند المسيحيين ، منه صيام يوم الأربعاء من كل أسبوع ، لأنه تمت فيه المشورة على موت المسيح ، ويوم الجمعة من كل أسبوع لأنه صلب فيه - كما يعتقدون - وصوم الميلاد ومدته ٤٣ يوماً ، ويمتنع الصائم فيه عن الأكل والشراب حتى الساعة الثالثة بعد الظهر ، وهناك صوم تينوس ، والصوم

عن طريق الصوم ، كما أن بعض الشعوب يصوم إذا مات توفى عزيز لديها أو انتزع من أهله انتزاعاً ، ويصوم بعض الشعوب ابتغاء التكفير عن الذنوب المقصودة أو غير المقصودة ، أو التحلل من بعض الواجبات أو الالتزامات الدينية التي لا يتمكن بعضهم من أدائها على الوجه الأكمل ، وكما صامت شعوب من أجل التقرب إلى الله تعالى حتى يمس الإنسانية برحمته من جراء وباء خطير ، يحصد النفوس حصداً أو طوفان غزير يدمر المداين والقرى أو قحط شديد أو حريق هائل يأتى على الأخضر واليابس .

وقد يتخذ الصوم تمهيداً لعبادة أخرى لجعلها مقبولة أو عنصراً هاماً من عناصرها ومن ذلك الصوم الذى يسبق أو يصاحب تقديم قربان ، أو إتياء بالندور ، أو الوفاء الزكاة وإخراج الصدقات .

وكثير من الديانات الهندية المؤسسة على تقديس الشمس توجب على متبعيها الصيام كل يوم من غروب الشمس حتى شروقها ، ورؤية جرمها بالسماء ، فإن صحبتها السحب عند طلوعها وجب مواصلة الصيام حتى تبرز ومن الغريب أن هذا النوع من الصيام متبع عند عشائر السناتيموك Snatimuk من قبائل الساليش Saliches وهي إحدى قبائل

الأيام الأخيرة من شهر رمضان ، لجعله اعتكافاً وثيقاً ، وهو الذي طالما صام وانقطع عن الزاد زاهداً متعبداً ، ملهما الإيمان في غار حراء . فكان يغدو صائماً مصلياً مسجحاً تالياً كتاب الله القدير ، احتراماً لفريضة الصوم وإكراماً لكتاب الله الذي أنزل في هذا الشهر ، طامعاً في التقرب إلى الله تعالى ، وكان يقول وهو خاشع متبتل من خشية الله :

(المعركة رأس مالى ، والعقل أصل ديني ، والحب أساسى ، والشوق مركبي ، وذكر الله أنيسى ، والثقة كنزى ، والحزن رفيقى ، والعلم سلاحى ، والصبر ردائى ، والرضا غنيمتى ، والفقر غزيرى ، والزهد حرفتى ، واليقين قوتى ، والصدق شفيعى ، والطاعة حسبى ، والجهد خلقتى ، وقرة عيني فى الصلاة) .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أفطر قال : (اللهم لك صمتا ، وعلى رزقك أفطرتنا . فتقبل منا إنك أنت السميع العليم) . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(من قال اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، وعليك توكلت ، كتب له من الأجر بعدد من صام ذلك اليوم) وكان إذا أكل قال : (الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وأشبعنا ، وآوانا فكفنانا) وكان يقول لعلى رضى الله عنه : (إذا شربت ماء فقل الحمد لله

الكبير ، ومدته ٥٥ يوماً ، وصوم السيدة العذراء ، والبرامون الذى يسبق عيدى الغطاس والميلاد إلخ .

تربية النفس :

والواقع أن الصيام عند المسلمين تربية للنفس ، وإيقاظ للدوافع الكامنة فى نفس الإنسان ، وتعديل سلوكه وميوله وغرائزه الفطرية تعديلاً صالحاً ، وقد شرع الإسلام الصيام تخليصاً للنفس من أدران المادة ، ورياضة لها حتى تستقيم على منهاجها السوى فتعدل عن بذل قواها لمزاحمة الغير والتسلط عليه بغير حق ، وإلى بذلها لتطهير نفسها ، والتسلط على إرادتها ، وهو فرض على كل مسلم عاقل مقيم طاهر قادر على الصوم .

وكان النبي عليه السلام وأصحابه يتناولون عند الغروب تمرات ثم يقومون للصلاة ، فإذا أدوها عادوا لتناول ما تيسر من الطعام دون إفراط ، ومكثوا للعشاء فصلوها ، ثم قاموا إلى مضاجعهم أو إلى عبادتهم حتى قرب الفجر ، ثم هبوا لتناول ما تيسر من الطعام ، ثم توضأوا واستعدوا للصلاة الصبح فإذا قضوها ذهبوا إلى أعمالهم حتى الظهر ، فيقبلون إلى نحو العصر ، ثم يقومون للصلاة منتظرين الغروب .

ولقد خصص النبي اعتكافه فى العشرة

الذى سقانا ماء عذبا فراتا برحمته ولم يجعله
ملحا أجاجا بذنوبنا تكتب شاكرا .
وقد ألهم رمضان الأدباء والشعراء واعتبره
بعضهم حبيبا عزيزاً ، لا يودون فراقه ،
ولا يبتغون الانصراف عنه ، أو التخلص
منه فقال العتاني الشاعر :
شهر الصيام غداً مواجها
فليهن رعية النسك
أيامه كوني سنين ولا
تفنى فلست بسائم منك
كم قال شاعر آخر :
قد جاء شهر الصوم فيه الأمان
والعتق والفوز بسكنى الجنان
شهر شريف فيه نيل المني
وهو طراز فوق كم الزمان
طوبى لمن قد صامه واتفق
مولاه في الفعل ونطق اللسان
واهتم الشعراء بوصف لياليه وأسماره
وقاليدته وعاداته كأكل القطايف والكنافة
وما إليها وجاء ذكرها في شعر كشاجم وابن
الرومي وغيرهما ، ووصف بعضهم القطايف
بحقاق العاج أو الوصائف فقال شاعر :
لله در قطايف محشوة
من فستق دعت النواظر واليدا
شبهتها لما بدت في صحنها
بحقاق عاج قد حشين زبرجدا

وقال شاعر آخر :
وقطايف محشوة بلطائف
طافت بها أكرم بها من طائف
شبهتها نضرت على أطباها
بوصائف قامت بجنب وصائف
وقال الجزار الشاعر في وصف الكنافة :
ومالى أرى وجه الكنافة مغضبا
ولولا رضاها لم أرد رمضانها
وهكذا كان رمضان وكانت أطايبه ملهمة
للأدباء والشعراء غير أن الصيام ليس هو
الصيام عن الطعام ، فقد صدق الرسول
الكريم حين قال : (كم من صائم ليس له من
صومه إلا الجوع والعطش) وحين قال كذلك :
(من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله
حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) فلا بد
ألا يقترن الصيام بمعصية أو يصاحبه إثم
أو تحف به غيبة أو نسيمة ، أو يكسفه
شر من الشرور .

الصوم صحاية ودواء للمجتمع :
وقد أثبت الطب فائدة الصوم في إراحة
الجسم مما يعانيه من جهد متواصل في العمل
ووقاية النفوس من التهور واليأس من مواجهة
الصعاب - كما يعد تدريبا لخلايا الجسم - ومنها
خلايا المخ والأعصاب على التقشف -
والاحتفاظ بحيويتها ونشاطها ، لأن الامتناع

الخلقية ، وتكوينها تكويننا اجتماعيا صحيحا يتفق والتعاليم الدينية .

ولو أننا درسنا الصوم دراسة وافية لأدركنا أنه أكبر حافز على تربية النفس وترويضها ، وخلق الإرادة الحازمة ، والصبر على المكاره وما تأتى به حوادث الأيام من الشدائد والمحن وهو ما دعا إليه الإسلام قبل أقطاب الفلسفة والتربية في أوربا .

وما أصدق الرسول الكريم حين قال : (الصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم ، فلا يرفث ، ولا يصخب ، فإن ساببه أحد أو قاتله ، فليقل إنى امرؤ صائم) والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما . إذا أفطر فرح ، وإذا لقي ربه فرح بصومه) .

فما أخلقنا أن تتعلق بهذه التربية السكرية ، وتمسك بهذا الهدى النبوى المبين ، وهذه الموعظة الربانية الحسنة ، موعظة الصوم فى هذا الشهر المبارك .

دكتور

جمال الدين الرمدى

عن الطعام والشراب يؤدى إلى هبوط مقدار السكر فى الدم - أى مقدار الغذاء اللازم لهذه الخلايا ، ويجدى فى حالات المرض وتصلب الشرايين كما ثبت أن الامتناع عن الأاطعمة الدهنية الدسمة يقلل من البثرة الدهنية والإكزيما الدهنية ، والالتهاب الجلدى الدهنى كما أن الامتناع عن تناول ألوان معينة من الطعام يفيد فى معالجة أمراض زيادة الحساسية مثل الأكزيما والارتيكاريا ، والحكة الجلدية وما إليها .

كما أثبت علم النفس أن الصوم تربية صحيحة للنفس وكبح لشهواتها ، وهذه التربية الصحيحة للنفس هى الدعامة الأولى للفضيلة كما يرى العلماء والفلاسفة فالمفكر الفرنسى الشهير جان جاك روسو يعتقد أن التربية الصحيحة هى ترقية الفضيلة فى الإنسان . ولا تفتأ فى ذلك إلا بطرق عملية لا يقاظ القوى الطبيعية الكامنة فى النفس وترقيتها ، ويرى الفيلسوف د كانت ، أن التربية سبيل لترقية الإنسان إلى درجة الكمال

أما هيربرت سبنسر Herbert Spencer فيرى أن التربية توجه عنايتها إلى الناحية النفسية

بغداد

مجد العروبة من ديارك لن يبدى
حفظ الأمانة عبر ماضيك التليد

بغداد يا دار للسلام على الوجود
فشبائك المقدم يقتحم السدود

الأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش

للأستاذ محمد علي النجار

نص الكلمة التي ألقيت في حفل التأسيس
لدى أقامه مجمع اللغة العربية في يوم الأربعاء

كان ساهراً على رعاية الكلية، خبيراً بما فيها، لا يشذ عنه شيء من أحوالها. حريصاً على أن تدبوا المركز اللائق بها، فكان يختار لها المدرسين الكفاءة من الأزهر وغيره، وكان ينظم امتحان مسابقة لدخول الطلاب فيها، ولم يكن ذلك مسنونا في قانون الأزهر، ولكن الحرص على أن يكون طبقة ممتازة من الطلاب. ولقد كان يطوف بحجر الدراسة في اليوم غير مرة، ويسأل الطلبة في دروسهم، ويقف على درجة تقدمهم وتخلفهم، ويطلب لكل مقام بما يقتضيه.

ولقد مرت فتن سياسية وأعمال هوج كان الطلبة يسلكون فيها في بعض الأحيان مسلك الشطط والزق، فكان يعالج الأمر بالحزم والكياسة، يخلط الشدة باللين، والمحاشنة بالمحاشنة، فيعود الطلبة طوعاً وبه، يأترون بأمره ويقفون حيث أحب. ولقد بلغت كلية اللغة العربية أوج مجدها، وكانت غرس يديه.

وترك كلية اللغة إلى كلية الشريعة في ٢٤ من أكتوبر سنة ١٩٤٤م فأصلح من شأنها،

أعزز على أن أقوم بتأبين الأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش (١) وأن أقف هذا الموقف أعد فيه مأثره، وأعرض حياته الخافلة بكل جليل، فتزديني ذكره أسفاً وأسى، وتبعث في من البث والحزن ما أجهد أن أنساه فلا ينسى. ولقد حرصت أن أجنب هذا المقام فلم يقدر لي. فاللهم ارزقنا الصبر والعزاء على هذا المصاب الجلل.

ولقد تعلقت بأسبابه، ووصلت حبلى بحبله في سنة ١٩٣٧ حين عملت في التدريس في كلية اللغة العربية وكان عميدها، فأولاني من عطفه، وأخذ بضبعي، وكان لي منه الخير الكثير. صحبته إذن، وقد استوى على صهوة المجد والشرف الباذخ. فهو من رجالات الأزهر وأولى الأمر فيه، وهو عضو في مجمع اللغة العربية، وهو حجة في علوم الدين واللغة. كان جامعاً بين الحزم في سياسة الكلية وتدير الأمور في الأزهر، والاضطلاع بالمطالب العلمية التي تتطلبها المجمع والأزهر.

(١) ولد الشيخ إبراهيم حمروش في ربيع الأول ١٢٩٧ هـ أول مارس ١٨٨٠ م - وتوفي في ٢٦ جادى الأولى ١٣٨٠ هـ - ١٥ نوفمبر ١٩٦٠ م.

« وهذه مصر ، بلادكم العزيزة ووطنكم المحبوب تناديكم جميعا ، شيبا وشبانا ، رجالا ونساء ، أقباطا ومسلمين ، أن تكونوا سهاما مسددة نحو عدوها ، وأن تلقوا الغاصب صفا واحدا كأنكم بنيان مرصوص ، بقلوب لا تعرف إلا الوطن والدفاع عن حوزته . »
 « وأذكركم - حتى لا يغيب عن أذهانكم - تاريخ هذا الغاصب الرابض في دياركم ، وما اعتاده من سياسة التفريق طلبا للسيادة ورغبة في السلطان وبسطا للنفوذ ، لمصلحته هو لا لمصلحة أحد سواء . وأذكركم جميعا مسلمين وأقباطا بماضيكم المجيد . فقد قتم كتلة واحدة تظالبون باستقلال البلاد واستكمال حريتها ، وتبوءها مكانة سامية بين الأمم . وأشهدتم العالم كله على وحدتكم واتلافكم . »
 « وإني أعيدكم بالله من التفرق واختلاف الكلمة ، فتضييع جهودكم الكبيرة التي بذلتوها في سبيل عزكم وعزة بلادكم . »
 « واعدلوا أن النصر المؤزر لقضيتنا رهن باتحاد صفوفنا واجتماع كلتنا ، ووقوفنا جميعا في وجه عدونا ، حتى تظفر بلادنا بما تصبو إليه من السيادة والحرية والاستقلال ، ويتمتع أهلها جميعا بالأخوة الصادقة والاطمئنان على أموالهم وأنفسهم . »
 « وحين اشتد حنق الإنكليز في القنـاة والإسماعيلية فأنزّلوا عذابهم على القرى

وقوم من أودها ، وثقف من قناتها ، وكان له فيها أثر محمود حتى استقال من رياستها في ٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٤٥ م على أثر أمور في الأزهر لم ترضه . ولكنه بقي عضوا في جماعة كبار العلماء .

وأُسند إليه منصب مشيخة الأزهر في ٣٠ من ذي القعدة سنة ١٣٧٠ هـ (٢ من سبتمبر سنة ١٩٥١ م) وبقي متقلداً هذا المنصب الجليل حتى يوم ٩ من فبراير سنة ١٩٥٢ م . وكان الوطن في أيام توليه مشيخة الأزهر في محنة مع الإنكليز في قناة السويس وفي حاجة إلى جمع الصفوف وتوحيد الكلمة ، فكان للشيخ المهم الموفور في هذه الدعوة الشريفة .

فراه ينشر على الناس في يوم ١٩٥٢/١/١٥ كتابا يقول فيه :

« أيها المصريون ، أتوجه إليكم في هذه الظروف التي غشيتكم فتنها ، وحررتكم شدتها ، أن تكونوا إخوانا في الوطن متآخين متحابين ، رائدكم الإخلاص لبلادكم وأنفسكم ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . »

« وإن شر ما تبلى به الأمم في محنتها أن تفرق كلمتها ، وأن تحل وحدتها ، وتمقطع أواصر المودة بين جماعاتها ، فيشق العدو الطريق إليها ، وينفذ بسهامه إلى صدور أبنائها . »

الآمنة أصدر الشيخ منشورا جاء فيه :

« إن شعب وادي النيل الباسل في كفاحه السلمي لإخراج المعتصبين المحتلين من بلاده لم يجاوز حقه الشرعي في الدفاع عن عقيدته والمطالبة بحريته ، ولكن هذا الدفاع لم يرق في أعين المحتلين من الإنجليز ، فعملوا بكل الوسائل العدوانية على توهين وحدته ، واندسوا في صفوفه ، يشيعون الأراجيف لتفريق كلمته . فلما واجههم الشعب وحدة متراسة ، وقام في وجههم على قلب رجل واحد يطالب بحقه في الحياة الحرة طاشت أحلامهم ولجئوا إلى القوة العاشمة يسلطونها على الآمنين في ديارهم ، وعلى النساء في خدورها ، وعلى الأطفال في مهادها .

« وكلما زاد الشعب تمسكا بحقه وصبرا على هذا العنت زاد عسفهم ، وتعددت مظالمهم ، حتى خرجوا على كل شرعة ، وبزواكل ما عرف من أعمال التنكيل التي اشتهرت بها محاكم التفتيش ، وما قام به النازيون من أعمال وحشية ، فأزالوا القرى الآمنة من الوجود بدباباتهم ، وهدموا البيوت بمدافعهم الثقيلة ، وشردوا النساء والأطفال الأبرياء ، وانتهكوا كل الحرمات ، واعتدوا على المساجد والكنائس ، ولم يبق جرم إلا ارتكبه ، ولا شناعة إلا فعلوها . ولم تقف شناعتهم عند حد ، فراحوا يطلقون النار على حفظة

الآمن ورجال الشرطة ، ويقتلونهم تقتيلا في رائعة النهار ، وبأسرون من نجا منهم ... » .
« ولإني باسم الأزهر علمائه وطلابه لأعلن استنكاري لهذا الإجرام الفظيع الذي انتهكت فيه الأعراض ، واستبيحت الأموال واعتدى على حرية الإنسان وحقه المشروع في أن يطالب بحريته واستقلاله ، وأحتج بشدة على هذه الأعمال العدوانية التي تنافي جميع الشرائع والأديان . وأهيب بالضمير العالمي أن يثور على هذا الوضع المبهين لكرامة الإنسان ، وأن يهب لوقف هؤلاء المستبدين عند حدهم ، ليعلموا أن في العالم ضمائر تتحرك لنصرة الحق ، ونفوسا تثور للأخذ بيد العزل المكافحين لنيل حرياتهم ... » .

وليعلم الإنجليز أن هذه اللفظائح التي يصبونها على رموس أبنائنا إن تلين للشعب قنادة ، ولن ترده عن المطالبة بجلائهم الناجز عن وطننا العزيز ، وأن وادي النيل كله لن يسكت بعد اليوم على ضمير يراذبه ، ولن يفرط في حق من حقوقه ، مهما ابتلى بالشدائد ومهما ضحى من أرواح غالية ... » .

« ولإني إذ أستمطر رحمة الله ورضوانه على شهدائنا الأبرار أتوجه إلى أبناء الوطن جميعا مناشدا إياهم أن يشدوا من عزائمهم ، وألا يجعلوا لهذه الأحداث أثرا في نفوسهم ، فلا يهنوا ولا يحزنوا ولا يضعفوا ، وهم

دخل الوقت كان أكبر همه أن يؤدي الصلاة ،
وفي يوم وفاته قدر له أن صلى العصر ،
ولم يلبث أن وافاه الحمام .

وحاور الشيخ في الأزهر فأخذ عن الشيوخ
المنتفعين الذين كان الأزهر ملآن بهم . وكان
الشيخ ذكياً ثقفًا لقفًا عرف بالذكاء . والزكاة
طول دهره ، فحصل تحصيلًا عجيبًا ، وفطن
لدقائق العلوم ، واستحكمت عنده الملكة
الأزهرية .

وقد تلقى الفقه الحنفي عن الشيخ أحمد
أبي خطوة واختص به ، وكان يثني عليه
كثيراً ، وأخذ عن الشيخ محمد بن حيت وأخذ
النحو على الشيخ علي الصالحى المالكي .
ولزم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في
دروسه فأخذ عنه أسرار البلاغة ودلائل
الإعجاز والبصائر النصيرية في المنطق .
وقد يرجع إلى تلمذته للشيخ محمد عبده الفضل
في تحرر فكره واتساع أفقه وحسن التصرف
فيما يعلم .

وكان إلى جانب اشتغاله بعلوم الدين واللغة
يشتغل بالعلوم الرياضية ، وكان رياض باشا
رحمه الله قد أعد مكافآت مالية لمن يفوز في
امتحانات الرياضة ففاز الشيخ في هذه
الامتحانات غير مرة .

وقد أتم تحصيله في سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦)
وتقدم لامتحان شهادة العالمية وكان صغير

الأعلن إن شاء الله . فلا بد للجهاد من
تضحية وللحرية من ثمن . يأبى الذين آمنوا
اصبروا وصابروا وربطوا واتقوا الله
لعلكم تفلحون ، .

وإن النيل من الإنجليز وجبههم بالغليظ
من القول في ذلك العهد لم يكن بالسهل الهين ،
ولا يقاس به عهدنا الحاضر الذى نعمنا فيه
بجلالهم وذهاب سلطانهم عنا . فقد كان
الإنكليز لا يزال لهم من السلطان على صاحب
القصر ورجاله الشيء الكثير ، وكان القدر فيهم
لا يطور به من ذوى المناصب إلا من
لا يتمسك بمنصبه ، ويؤثر الحق على زينة
السلطان وجلاله الكاذب ، وأكبر الظن أن
إقالته من المشيخة ترجع إلى هذا المنزع السياسى
الذى ضاق به الإنكليز .

ولإني أقص هنا سيرة الشيخ ونشأته
حتى استوى سيد اجليلا .

ولد الشيخ في قرية الخوالد التابعة لمركز
إيتاى البارود من أعمال مديرية البحيرة
في العشرين من شهر ربيع الأول ١٢٩٧ هـ
(أول مارس ١٨٨٠ م) ونشأ فيها حفظ
القرآن الكريم حين بلغ الثانية عشرة من
عمره ، وأرسله والده إلى الأزهر ، وكان
يحكى أن والده إذ ودعه حين ذاك أوصاه
أن يحافظ على الصلاة لأول وقتها ، وحافظ
الشيخ على هذه الوصاة طوال حياته ، فإذا

في هذه المدة فيقول : كان الشيخ جميل السبزة موقفا غير متزمت في هديه ، يلقي الدرس في ترتيب عجيب وسياق لطيف يأخذ بالباب السامعين ، يبعد عن الحشو والتطويل واللغو من القول ، ولا يطيل في المباحث اللفظية ، له نعمة حلوة في الإلقاء تجذب الطلاب .

وفتحت مدرسة القضاء الشرعي في ذلك العهد ، وكان على أمرها عاطف بركات رحمه الله ، وكان يختار لها من الأزهر المبرزين الفوقه ، فذكر له الشيخ فاختاره ، وكان ذلك في سبتمبر سنة ١٩٠٨ فبقى فيها إلى ١٢ يولية سنة ١٩١٦ م . وقام فيها بتدريس الفقه وأصول الفقه ، فتخرج عليه الثقات الكفاة الذين تقلدوا مناصب القضاء ، والإفتاء ، أذكر منهم الشيخ فرج السنهوري ، والشيخ حسنين مخلوف ، والشيخ حسن مأمون . والشيخ علام نصار ، وغيرهم كثير .

وولي بعد المدرسة منصب القضاء الشرعي ، فكان القاضي الفاضل الذكي البصير بالأحكام ومكايد الخصوم ، الصاعد بالحق ، الناطق بالفضل ، وكان أخوه الشيخ أحمد حروش قاضيا ، وكذلك كان عمه الشيخ عبد الحميد حروش قاضيا ، فهو من أسرة تأل فيها هذا المنصب الرفيع . ولقد عرفه في ساحة القضاء الشيخ المراغي رحمه الله ، فلما ولي مشيخة الأزهر نقله إلى الأزهر يستعين به

السن بين أقرانه في ذلك الحين . وكان امتحان العالمية في أصول الفقه يكون في مسألة من مسائل مقدمة جمع الجوامع ، ورأى شيخ الأزهر الشيخ عبد الرحمن الشربيني تجاوز المقدمة والامتحان في مسألة أخرى حتى لا يقصر الطلبة جهودهم على المقدمة ، فعين مسألة للامتحان في القياس فتخلف عن الامتحان كثير من جاء موعد امتحانهم ، فأبيح التقدم لمن بعدهم وتقدم الشيخ ففاض في امتحان دقيق كان شيوخنا يحدوثونا عن عصره وكان الطالب يقضى في الامتحان سحابة نهاره ، ولكن الشيخ لم يتجاوز ثلاث ساعات ، وكان الامتحان في أربعة عشر علما .

وعقب تخرجه نظم في سلك مدرسي الأزهر في ٢١ من نوفمبر سنة ١٩٠٦ . وكان رحمه الله أحيانا يتحدث بما أفاء الله عليه من النعمة ، وما كان عليه الأزهر فيقول : كان مرتب المدرس في الأزهر خمسة وسبعين قرشاً في الشهر ، ولقد كان أول ما تسليته بعضنا من هذا القدر إذ كان دخولي في التدريس في أعقاب الشهر ، ولقد كان فرحى بهذا المال الذي هو أول مال اكتسبته من الأزهر عظيما : إذ كان فيه وصل لحبلى بحبال علماء الأزهر . وقد اختير لتدريس الرياضة بعد ، وكان يتقاضى على ذلك خمسين ومائة قرش في الشهر ، وهو مع ذلك يدرس العلوم الدينية واللغوية . ويذكر بعض من تلقى العلم عنه

إلى أن اختلطت العرب بغيرها وفسدت اللغة وما أدخله غير العرب بعد فساد اللغة والاختلاط بالأعاجم سموه مولدا ، وهناك قسم آخر يسمى بالعامي ، وهو ما أخذ من غير مادة عربية ، أو من مادة عربية ولكن بتجريف وتبديل لا يجيزه قواعد اللغة .

« بقى الكلام الآن فى أمر هو محل نزاع الباحثين وموضع اهتمامهم ، وهو أن المعانى الجديدة ، والمستحدثات العصرية كثرت وتعددت بعد أن وقف التعريب ، وأصبحت اللغة العربية لا تهض بالدلالة على تلك المعانى ولا تقوم بحاجة التعبير عنها ، فهل للوجودين أن يعربوا ألفاظ المعانى والمستحدثات تمشيا مع الحاجة ، ودفعاً للضرورة ورفعاً لعب نقص اللغة العربية عن الاضطلاع بحاجة أبنائها ، ؟ .

« ذهب فريق إلى التعريب ، وقال : إن اللغة كائن حتى كسائر الموجودات وكل موجود حتى يتدرج فى الرقى ، وكما تدرج أهل اللغة يجب أن تتدرج اللغة ، وإن التعريب يؤدى إلى اتحاد لغة العلم ، ويحفظ للبختع اسمه ، ويبقى له ذكره . »

« وذهب فريق إلى أنه لا حاجة إلى التعريب وأن اللغة العربية يمكن أن تهض بالدلالة على المعانى الجديدة باتخاذ الوسائل المؤدية إلى ذلك ، فعندنا مهجور فى اللغة لا يستعمل الآن ، وبنقله إلى المعانى الجديدة يقوم بالدلالة

فى أمره ، فكان له فى الأزهر اليد الطولى فى شؤنه وتقلب فى مناصبه حتى صار شيخاً لكلية اللغة العربية فى ١٣ يونية سنة ١٩٣١ . وتزوج حياته العلية فى الأزهر بدخوله فى جماعة كبار العلماء فى ٢٨ من صفر سنة ١٣٥٣ هـ (١٠ من يونية سنة ١٩٣٤ م) . وقد قدم لنيل هذه الدرجة رسالة جليلة فى « عوامل نمو اللغة ، تدل على تحقيق ودقة نظر فيما تناول من المسائل ، يقول فى مقدمتها : « وبعد : فإن اللغة العربية بفضل عواملها المتعددة رحب صدرها ، واتسع نطاقها ، وكثرت مادتها ، وتنوعت أبنيتها ، وصار لها جمال المنطق وجلال الدلالة وحسن الديباجة ولطف العبارة ، وقد وسعت بتلك العوامل علوم اليونان والفرس وغيرهما ، وصارت لغة العلم والدين . »

« وقد كتبت كلمة فى التوليد بالزيادة والإبدال والقلب والاشتقاق والترادف والاشتراك والمجاز والنحت والارتجال والتعريب . »

وأذكر هنا مبحث التعريب فى ختام الرسالة ليكون نموذجاً لمباحثها . وعنوان البحث : « أثر التعريب » : « فى التعريب زيادة مادة اللغة بالألفاظ الدخيلة فيها ، وقد أجرت العرب على بعضها أحكام الألفاظ العربية من القلب والاشتقاق وغيرهما ، وقد جرى العلماء على تسمية ما أدخله العرب بالمعرب ،

والمستحدثات العصرية فلا تقدم على التعريب
حفظاً للغة العربية التي هي أداة فهم القرآن
والحديث اللذين هما أساس الدين وعماده .
وإن لم يمكن أن تقوم اللغة بعد اتخاذ الوسائل
بالدلالة على جميع المعاني أقدمنا على التعريب
بقدر الحاجة فقط ، مع المحافظة على اللغة
الفصحى ، بأن نذكر اللفظ ونذكر بجانبه
معناه ، وأنه مما عرب للدلالة عليه ، ونبين
تاريخ التعريب ، فيكون ما وضعه المتقدمون
معروفاً ، وما ألحق باللغة معروفاً ، فتتحقق
المحافظة على الموروث عن السلف .

وأرائي قد ألممت ببعض حياته في الأزهر ،
وسألم ببعض حياته في المجمع .

دخل الشيخ — رحمه الله — المجمع لأول
نشأته في سنة ١٩٣٤م فاختير في معظم لجانه ،
وشارك في بحوثه ، وكان من الرعيل الأول
الذين أرسوا قواعد المجمع وأقاموا عمده .
وكان له فيما يعرض في اللجان ومجلس المجمع
ومؤتمره الرأي السديد والبصر النافذ واللعظ
الناقد والبحوث المستفيضة في الشؤون العلمية .
ومن آرائه أن اللفظ المولد إذا اشتهر
يستعمل في غير اللغة والأدب .

وعرض المجمع في بعض جلساته لرسم
المصحف وطلب إلى الشيخ أن يكتب رأيه ،
فكان رأيه الوقوف عند الرسم المعمود له ،
ولا ينبغي كتابته بالرسم العادي ؛ لأنه عرضة
للتغيير والتبديل في كل عصر ، فلو أبيح هذا

على بعضها وتداول بين الناس فتحيا به اللغة
العربية . وعندنا المجاز ، وهو يدل على غير
الموضوع له بواسطة العلاقة والقرينة وعلاقته
كثيرة متعددة ، وعندنا المشتق ، ومنه قسم مطرد ،

« وبهذه الوسائل يمكن اللغة العربية
التنوض بالدلالة على المعاني الجديدة » .

« على أن في التعريب فشو الكلمات الدخيلة
في اللغة ، وهو يودي باللغة الفصيحة ، ويذهب
بجملها ورواقها . وفي ضياع اللغة الفصيحة
تعطيل الأداة الصالحة لفهم القرآن والحديث ،
وهما عماد الدين وإلهما يرجع المسلمون » .

« وفي جواز التعريب ضياع أخص ميزات
الجنس العربي ؛ لأن الجامعة الجنسية لا تكون
بغير اللسان العام الذي يتفاهم به الجميع على
السواء . فلو تساهل كل شعب في استعمال
ألفاظ أعجمية لضاعت روابط الجنسية ،
وأصبح لكل شعب لسان خاص » .

« وأما أن التعريب يوحد لغة العلم ويحفظ
للمخترع اسمه فكلام لا يلتفت إليه ؛ فإن اتحاد
لغة العلم إنما يكون إذا اتحدت أبجديات الأمم
وهي مختلفة جداً . وحفظ اسم المخترع لا نبالي
به إذا كان في عدم الالتفات إليه صيانة اللغة
العربية » .

« هذا حاصل كلام الفريقين باختصار .
وأرى أنه إذا أمكن باتخاذ الوسائل المتقدمة
أو باتخاذ وسائل أخرى غيرها أن تنهض
اللغة العربية للدلالة على جميع المعاني

فعل متمتع معنى فعل آخر متمتع ، فقال الشيخ :
أذكر قول الشاعر :

علفتها تبنا وماء باردا

وقد قال اللغويون : إن علف هنا مضمّن
معنى أطمع ، وكلاهما متعد .

وكان بيته بحجة أولى العلم ينهلون من موره
العذب ، ويجدون ما طاب من حديث في
دقائق العلم بمزوجا بفكاهة حلوة وطيب سمر ،
وكان الشيخ طيب النفس بعيدا عن التزمت
مؤنسا للجليل لا يمل مجلسه . وفي يوم الجمعة
الذي توفي بعده اجتمع الشيوخ عنده عقب الصلاة
فجرى البحث في تفسير قوله تعالى : « إنا عرضنا
الأمانة على السموات والأرض ، . وأفاض
الشيخ في الحديث فيها ، وكان الشيخ يفسح
الكلام لمن يتكلم ويعقب برأيه السديد .

وكان رحمه الله عطوفا على ذوى الحاجات
يسمى في قضاء حاجهم بما له من جاه عند
أولى الأمر لا يدخر وسعا في ذلك ، ولقد
رعى أسرا عضها الدهر بناه ، وأناخ عليهم
بكل كلكه ، حتى استقام أمرها ، وبان رشداه .
وإن الأزهر والمجمع لبيكيان فيه التقى
والصلاح والعلم الجم والفضل الغزير ، رحمه
الله رحمة واسعة ، ورزقنا العزاء والأجر على
التأسي بفقده ، وأسكنه في جنات النعيم ؟

محمد علي النجار

لتعدد رسم المصحف ، وكان مظنة لأن يعزى
إليه الاختلاف فحفظ القرآن وصونه يقضى
بإبقاء رسمه على السكتبة الأولى .

وقدم أحد الأعضاء المراسلين بحثا في كلمة
« الضرر » ، رأى قصره على الزمانة وفقد البصر
وأنه مصدر لفعل لازم على زنة فرح ، وإن لم
يجىء هذا الفعل في المعاجم ، وأنه لا يقال :
أصاب فلانا الضرر في ماله أو في جسمه مما ليس
بداء لازم وخطأ الجوهرى في جعله الضرر
أسما بمعنى الضر ، وارتاب في الحديث :
لا ضرر ولا ضرار ، وأثار مسألة الاحتجاج
بالحديث في اللغة فقدم الشيخ بحثا رد به
حجج هذا الباحث وأورد من الشواهد
مالا يقبل الجدل ؛ كقول جرير :

فإن تدعهم فمن يرجون بعدكم
أو تنج منها فقد أنجيت من ضرر
وقول أبي تمام :

لو كان في البين إذ بانوا لهم دعة

لكان فقدم من أعظم الضرر
وله بحث قيم في التضمنين ونيابة بعض
الحروف عن بعض ، وبحث في الاشتقاق الكبير .

وكان الشيخ - رحمه الله - عجيب الاستحضار
لما يقرأ ويسمع ، كثير المحفوظ من الشعر ،
حسن الاستشهاد به في المقامات المناسبة ،
جرى مرة في لجنة الأصول الحديث في
التضمنين ، وأنكر بعض الحاضرين أن يضمن

المسلمون في الهند

للاستاذ أبو الحسن علي الندوي

كنت في رحلتي في الشرق الأوسط وأواجه سؤالاً يتكرر ويوجه في كل مجلس وفي كل مناسبة ما عدد المسلمين في الهند ؟ فأجيب إنهم أربعون مليوناً ، وهناك يندهش الناس ويندفع بعضهم قائلاً يا سلام ! أربعون مليوناً ، فلولا نفقتهم بالضييف ولولا الجدد في الجواب والصرامة لسارعوا إلى التكذيب أو الشك على الأقل ؛ لأنهم كانوا ينتظرون أن يكون المسلمون في الهند ، بعد ما سمعوا من موجات الهجرة الكبيرة وعدد النازحين الضخم ، أنهم سيكونون مليوناً واحداً فضلاً عن أربعين مليوناً ، إذن فلا غرابة في استغرابهم . لقد كانت هذه مفاجأة لا تفارقني أينما حللت ونزلت ، مفاجئة للطرفين ، مفاجئة للمسلمين عن عدد المسلمين في الهند ومفاجئة للجيوب لاستغرابهم .

بل كان بعض الإخوان يسأل هل في الهند مساجد ؟ هل فيها مدارس دينية ؟ هل عندكم علماء ؟ هل يوجد هناك من يحسن أن يقرأ القرآن ؟ هل هنا من يفهم العربية ؟ أسئلة تدل على أن معلومات إخواننا العرب عن المسلمين في الهند بسيطة جداً ، وتدل كذلك على أنه قد أثير نقع كبير حول المسلمين في الهند .

وبدل كذلك على تقصير علماء الهند في القيام بمهمة التعريف بهذا القطر العظيم وبهذه الأمة الإسلامية العظيمة التي مثلت دوراً رائعاً في تاريخ الإسلام وتاريخ العلم العام ، وأضافت ثروة ذات قيمة عظيمة إلى مكتبة الإسلام

وهناك مفاجئات أخرى فيما يتصل بالمسلمين في الهند ، فالذين كانوا يعرفون أن في الهند عدداً كبيراً من المسلمين - على قلة هؤلاء - كانوا يعتقدون أن المسلمين لا شأن

آزاد البلكرامى، والشيخ عبدالعزيز الدهلوى والشيخ رفيع الدين الدهلوى والشيخ إسماعيل ابن عبد الغنى الدهلوى، والملا نظام الدين اللكهنوى، ومولانا عبد العلى بجر العلوم والشيخ محمد قاسم النانوتوى .

وأنجبت كذلك علماء لا يضارعون فى كثرة المؤلفات والإنتاج، كالأمير السيد صديق حسن خان والشيخ عبد الحى اللكهنوى، والشيخ أشرف على التهانوى . وقد أنتجت من الملوك رجالا يتفردون فى حسن سياستهم وتنظيمهم للدولة وسن القوانين العادلة كشير شاه السورى وأورنك زيب عالمكير، وفى الإصلاح والعدل كناصر الدين محمود غياث الدين بلبن، وفى حماية العلم والعلماء كاسكندرين بهلول اللودهى والسلطان إبراهيم الشرقى. وفى كثرة الفضائل العلمية والخلقىة كالسلطان مظفر الحليم الكجراتى والسلطان محمود الكجراتى. ومن الوزراء الجامعين لأشتات الفضائل كعبد العزيز آصف خان، ومحمود كاواك، وعبد الرحيم خان خانان .

ولا تزال الهند مأهولة بشعب مسلم قوى فى دينه، غنى فى علمه ورجاله، مخصب فى عقله، متوقد الذهن نشيط، مصمم على الإقامة فى وطنه الذى خدمه ألف سنة وأغناه فى العلم والحضارة والدين والاجتماع، وكانوا من صانعيه .

العامة، وأتحفتها بطرف غالية تتجمل بها المكتبة العربية وتزدهى على سمعتها وغناها، وتفردت ببعض العلوم الإسلامية، التى كانت ولا تزال فيها الهند زعيمة العالم الإسلامى وحاملة لوائها عدة قرون كعلم الحديث والفقه وأصوله فى القديم، والسيرة النبوية وعلم الكلام وشرح النظام الإسلامى فى هذا العصر .

وأنجبت رجالا شهد لهم علماء العرب بالفضل وعكفوا على كتبهم ومؤلفاتهم ينقلون ويقتبسون، ويستدلون ويحتجون، كالإمام الصغانى اللاهورى صاحب العباب الزاخر، والسيد مرتضى البلكرامى الزبيدى دفين مصر صاحب تاج العروس، والشيخ أحمد السرهندي صاحب الرسائل الخالدة فى الحكم الشرعية والإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ ولى الله الدهلوى صاحب حجة الله البالغة .

وهنا لك كتب أفاد منها العلماء فى الإفطار العربية واعترفوا بفضلها، ككتاب تبصير الرحمن وتيسير المنان للشيخ على المهانمى وكفز العمال للشيخ على المتقى، وكشاف اصطلاحات الفنون للشيخ محمد على التهانوى، أما الفتاوى الهندية فلا تزال معروفة فى دوائر القضاء الشرعى وأوساط المشتغلين بالفقه الحنفى والإفتاء . وقد أنجبت كذلك علماء يندر نظيرهم فى الذكاء وسيلان الذهن والابتكار العلمى، كالشيخ محمود الجونورى والسيد غلام على

لم تمكنهم شئونهم الخاصة من دراسة تاريخ الهند وحاضر المسلمين وغابهم ولكنى - والحق يقال - وجدت فيهم عدداً لا يستهان به من المتابعين لأحوال الهند والمطلعين على آثارها الإسلامية ، الذين لا يزالون يشيدون بفضلها في بعض العلوم الإسلامية وحراسها لأمانة الحديث الشريف بعد ما ركبت ريحه في البلاد العربية .

وقد رأيت حرصاً كبيراً في كل بلد عربي على معرفة الهند وتطلعاً إلى أحوال المسلمين فيها وعناية خاصة بشؤونهم ، وانجذاباً إليهم بحكم الدين والثقافة الإسلامية ، بسبب ما عرف به المسلمون في الهند قديماً وحديثاً ، من الغيرة على الإسلام والتعصب للعلوم الإسلامية العربية ، والحرص على الوحدة الإسلامية . كل ذلك يدفعني إلى أن أتحدث إلى إخواني في الشرق الأوسط عن الهند الحبيبة إليهم ، وعن إخوانهم المسلمين فيها قديماً وحديثاً ، ويتناول هذا الحديث نواحي شتى في الحياة العلمية والاجتماعية والدينية .

ما أضافوه إلى ثروة البلاد وما أضافوا

عليها من إسهامات :

سأتحدث عما حمله المسلمون إلى هذه البلاد الحبيبة مع دخولهم فيها كدعاة مرشدين ، أو غزاة مجاهدين ، أو ملوك فاتحين ، أو علماء

إن من الجفاء أن تبقى هذه البلاد الغنية برجالها وأعمالها ، وماضيها وحاضرها بمجولة عند أصدقائها في الخارج مطمورة في صفحات التاريخ ، ولكن التبعة في ذلك على أبنائها قبل أن تكون على أصدقائها ؛ لأنهم فرطوا في تقديم هذه البلاد وما تتمناز به من فضل وعلم وحياة ونشاط إلى الناطقين بلغة الضاد ، وانظروا على نفوسهم ، وعاشوا في عزلة عن العالم .

ولكنى إذا ذكرت أبناء الهند بالنقصير في جنب بلادهم الأم ، فإنى أعتذر إلى روح مؤرخ الهند الكبير الذى خلف لأبناء البلاد العربية مكتبة كاملة في تاريخ الهند ووصفها وقام وحده بما تقوم به المجمامع العلمية في أوربا برجالها وعدتها ، ألا وهو العلامة السيد عبد المحى الحسنى ، مدير ندوة العلماء الأسبق ، الذى ألف في تراجم أعيان الهند كتابه : « نزهة الخواطر » ، في ثمانية مجلدات كبار تشتمل على نحو خمسة آلاف ترجمة ، وفي تاريخ الهند العلى والتعليمى كتابه : « عوارف المعارف » ، وفي خطط الهند وآثارها كتابه : « جنة المشرق » ، فإنه قد قضى ما عليه وزاد ، جزاه الله عن المسلمين في الهند خير ما يجزى العاملين المخلصين .

أرأنى قد قسوت بعض الشيء مع إخواني الكرام في الإفطار العربية العزيزة ، الذين

للمسلم عن طريق الخلافة والوصاية العالمية التي كلف بها المسلمون ، وكانوا يخدمونه بكل ما أوتوا من ذكاء ونبوغ وقوى ومواهب ، وكانوا يعتقدون أن كل ما يضيفونه إلى ثروتها إنما يضيفونه إلى ثروتهم ، ويحسنون إلى أنفسهم وأجياهم القادمة ؛ لأنهم أهل البلاد وأمة المستقبل ، وكان نظرهم إلى البلاد يختلف بطبيعة الحال عن نظر الأوروبيين المستعمرين الذين يجلبون خيراتها إلى بلادهم الخاصة ، ويحبسون البلاد كبقرة مستعارة لا تقيم عندهم وسوف لا يجدون إليها سيلا ، ذلك سر عناية المسلمين بهذه البلاد وحرصهم على تقدمها ورفاهها .

دخل المسلمون في الهند وهي تعز بحضارة أصيلة عريقة في القدم وفلسفة عميقة وعلوم رياضية دقيقة ، وخيرات عظيمة من حبوب وثمار وفواكه ومواد خامة ، ولكنها كانت على كل ذلك تعيش في عزلة قد فصلتها عن العالم المعمور الجبال في جانب ، والبحار في جانب آخر ، وكان آخر من دخلها من العالم المتمدين هو الإسكندر الكبير ، وهكذا انطوت هذه الأمة العظيمة على نفسها وعاشت قرونا طويلة في عالم محدود محصور ، لا تستورد شيئاً من الأفكار ، والديانات ، والنظم ، والصنائع ، والعلوم من الخارج ، ولا تصدر إليه شيئاً . دخل المسلمون في الهند وهم أرقى أمة

محققين ، من خيرات وحسنات ، وتحف وطرف ، وعن بعض ما أضافوه إلى ثروتها الدينية والعلمية ، والخلقية والاجتماعية ، والصناعية والمدنية في عهدهم الطويل الجميل الزاهر

دخل المسلمون في هذه البلاد بدافع ديني مجرد من كل مصلحة ومنفعة ليحملوا إلى أهلها رسالة الإسلام الرحيمة العادلة وليخرجوا الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها ، وليضعوا عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، كما فعل أولئك الدعاة المخلصون الذين ارتقى في أحضانهم مئات ألوف من الأشقياء المعذنين ، وأحبوهم أكثر من آباؤهم وأولادهم ، كالسيد علي الهجویری ، والشيخ معين الدين الأحمري ، والسيد علي بن شهاب الهمداني الكشميري ، ودخلوها حيناً آخر كغزاة فاتحين ، وملوك طامحين ، كالسلطان محمود الغزنوي ، وشهاب الدين محمد الغزنوي ، وظهير الدين بابر التيموري ، وقد كانوا مؤسسى دولة عظيمة ازدهرت مدة طويلة ، وخدمت البلاد ، وتقدمت بها في نواحي الحياة المختلفة .

وكان كل من هؤلاء وأولئك مصمماً على الإقامة في البلاد أو على الاتصال بها اتصالاً مباشراً مستمراً ، معتقداً أن الأرض لله يورثها من يشاء ، وأن كل ما كان لله فهو

ولكن لا شك أنها أفادت الهند كثيراً ، ولطفت من شدة النظام الطبقي السائد وكانت باعثاً قوياً على رد الفعل ضد هذا النظام ، وحافزاً للدعاة إلى الإصلاح الاجتماعي ونسخ اللبس المنبوذ .

وكانت الثالثة احترام المرأة والاعتراف بحقوقها وكرامتها كعضو محترم من أعضاء الأسرة الإنسانية وشقيقة الرجل . وعظمة هذه الهدية في بلاد كانت السيدات يحرقن أنفسهن بالنار على وفاة أزواجهن ولا يرى ولا يرى المجتمع لهن حقاً في الحياة بعد الأزواج أقول : إن عظمة هذه الهدية في مثل هذه البلاد واضحة لا تحتاج إلى تحقيق .

نقل المسلمون إلى الهند علوماً جديدة كذلك من أجلها وأنفعها - إذا تركنا العلوم الإسلامية التي لا تتوقع من الهند - علم التاريخ فقد كانت البلاد فقيرة في التاريخ ، ليس

في مكتبتها كتاب تاريخ بالمعنى الصحيح ، إنما هنالك صحف دينية أو ملاحم مقصورة على حرب أو عهد كها يهاتر ورامائن ، أما المسلمون فقد كونوا في التاريخ مكتبة هائلة من أوسع المكتبات التاريخية في العالم . ونظرة في كتاب معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف ، للعلامة السيد عبد الحى الحسنى تظهر ما كان للمسلمين من نشاط غريب ولنتاج ضخم في تاريخ الهند وفي التاريخ العام .

في الشرق بل في العالم المتتمدن المعمور في ذلك العهد يحملون ديناً جديداً سائغاً معقولاً سهلاً سمحاً ، وعلوماً اختمرت وتوسعت ، وحضارة تهذبت ورقت حواشياً ، يحملون معهم محصول حقول كبيرة كثيرة ، وتاج حضارات متنوعة متعددة ، يجمعون بين سلامة ذوق العرب ولطافة حس الفرس وبساطة الترك ، وكانوا يحملون للهند وأهلها غرائب كثيرة وطرفاً غالية ، وكان أغرب ما كانوا يحملونه في الدين توحيد الإسلام النقي الذي لا يرى الوساطة بين العبد وربّه في العبادة والدعاء ، ولا يعترف بتعدد الآلهة والمظاهر والظلال وحلول الله جل وعلا في بعض البشر وظهوره ويؤمن بالآله الواحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، له الخلق والأمر ، وله الكبرياء في السموات والأرض .

أما في الاجتماع فكان أعجب ما حملته المسلمون معهم هي المساواة الإنسانية التي لم يكن للهند عهد بها ، فلا نظام طبقات ، ولا منبوذ ولا نجس بالولادة ، ولا جاهل يحرم عليه التعلم ، ولا تقسيم أبدى للحرف والصناعات ، فالتناس يعيشون معاً ويأكلون معاً ، ويتعلون سواء ، يختارون ما يشاءون من الحرف والصناعات ، وقد كان ذلك صاعقه للذهن الهندي ، والمجتمع الهندي ،

الصناعات الوطنية تروى بها لبضائعهم الأجنبية .

وكانت البلاد على رغم خصبها وغناها قليلة الفواكه والثمار وأكثرها برية لم تلق العناية اللازمة حتى جاء المغول وهم أصحاب ذوق رفيع وأبناء بلاد كثيرة الفواكه والثمار فأدخلوا فيها فواكه كثيرة وثمارا جديدة يعرفها المستقصى من كتاب «توزك بابري» و«تدزك جهانكيرى» وقاموا بعملية التلقيح والتهديب لبعض الثمار الهندية حتى جاءت أشهى وألذ وألطف كما كان الشأن مع «المانجو» فلم يكن يوجد منه إلا ما ينبت بالبذر فلقحوه حتى جاء ما يسمونه في الهند «قللى» وكان منه أنواع في العهد الأخير لعلماء تزيد على أنواع التمر في بلاد العرب .

وكذلك الفن الإسلامى فن ممتاز في الهند تتجمل به الهند وتتطاول على البلاد الأخرى ولا يزال (تاج محل) آية في الهندسة والبناء ودليلا ناطقا على ما بلغوه من رقة الذوق ولطافة الحس والإبداع في الفن .

أما بعد : فقد كان ما اكتسبته الهند من المسلمين أعظم وأغلى مما استفاده المسلمون منها وكان دخولهم في هذه البلاد فتحا جديدا في تاريخها وحياتها ومكسبا عظيما .

كان المسلمون في الهند أوفياء لوطنهم لا يتشاغلون عن خدمته والتقدم به في ميادين

وقد اكتسبت الهند من المسلمين بصفة عامة توسعا في الخيال وجدة في التفكير ومعاني جديدة في الأدب والشعر لم تكن تخطر على بال لولا عملية التوليد العقلى والتلقيح الفكرى والأدبى وكان مما منح المسلمون الهند هذه اللغة الجميلة الواسعة التى أصبحت لغة التفاهم ولغة العلم في الهند التى عرفت بكثرة اللغات واللهجات أعنى لغة أردو .

وكان تأثير المسلمين في المدنية والصناعة وأساليب الحياة أبرز وأقوى منه في نواح أخرى ، فقد أدخلوا في هذه البلاد حياة جديدة تختلف عن الحياة القديمة في هذا القطر كما تختلف الحياة في أوربا اليوم عن الحياة في القرون الوسطى .

كان الهنود يعيشون حياة بسيطة كأمة منقطعة عن العالم ليس عندهم توسع في المطاعم والملابس . وأكثر لباسهم من الكرياس والقطن الثخين العادى والصوف الخام ولكن سرعان ما تقدمت البلاد في الأطعمة والملابس وتنوعت تنوعا كبيرا . وقد حدث التاريخ أن الحاكمة كانوا ينسجون القطن والصوف على ثلاثين طرازا في عهد الملك المغولى أكبر وهو عهد متقدم ، أما في العصور الأخيرة فقد وصلت صناعة النسيج إلى حد يستدهى العجب حتى جاء الإنجليز وقضوا على

واعترفوا لصاحبه بالفضل والإمامة في هذا الشأن ، قال السيوطي : إنه كان إماما في اللغة والفقه والحديث . وكذلك كتابه مشارق الأنوار ، في الحديث من الكتب المشهورة المقبولة في العالم الإسلامي وقد ظل مدة طويلة من كتب التدريس .

ومنها كتاب : كنز العمال ، للشيخ علي ابن حسام الدين المتقي البرهاني يوري من رجال القرن العاشر ، وهو ترتيب جمع الجوامع للسيوطي ، وهو من الكتب التي انتفع به علماء الحديث كثيرا واعترفوا لصاحبه بمجهود عظيم وفر عليهم وقتا كبيرا وأغناهم عن مراجعات كثيرة . قال الشيخ أبو الحسن البكري الشافعي من أئمة العلم في الحجاز في القرن العاشر : إن للسيوطي منة على العالمين وللتقي منة عليه .

ومنها كتاب مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار للشيخ محمد بن طاهر الفتني (٩٦٦ م) قال العلامة السيد عبد الحى في نزهة الخواطر : جمع منه المؤلف كل غريب الحديث وما ألف فيه فجاء كالشرح للصحيح الستة وهو كتاب متفق على قبوله بين أهل العلم منذ ظهر في الوجود وله منة عظيمة بذلك العلم على أهل الإسلام وكذلك كتابة تذكرة الموضوعات من الكتب السائرة المتداولة في الموضوع .

العلم والصناعة والمدنية ، أوفياء لدينهم وثقاتهم الإسلامية العربية لا يتخلفون عن ركبها ولا ينقطعون عنها وقد نراهم في بعض فترات التاريخ في مقدمة القافلة ومأخذ الزمام . إن الجمع بين ثناتين تنافضان كثيرا أو تلتقيان قليلا ، وإن الوفاء لوطنين - مادي وروحي - مهمة عسيرة معقدة لا تعرف شعبا من شعوب الإسلام نجح فيها نجاح مسلمي الهند .

إن مؤلفات المسلمين في الهند في العلوم الإسلامية لا تحصى كثرة ، وذلك موضوع كتاب كبير ككتاب الفهرست لابن النديم أو كشف الظنون للجليبي ، وكتاب معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف ، للعلامة السيد عبد الحى الحسنى . يعرف العالم مركز الهند في الثقافة الإسلامية ، وقسط علمائها ومؤلفيها في حركة التأليف والنشر ، إنما أقصر هنا في هذا الحديث الوجيز على الكتب التي تخطت شهرتها حدود الهند وسارت بذكرها الركبان ، واحتفى بها علماء العرب وأذكر مؤلفيها .

من هذه الكتب العالمية كتاب د. العباب الزاخر ، للإمام حسن بن محمد الصغاني اللاهوري من رجال القرن السابع الهجري الذي عد من مراجع اللغة العربية وغرس كتبها ، وقد اعتنى به أئمة اللغة قديما وحديثا واعترفوا له بالدقة والإتقان وغزارة المادة

الذى هو أشهر من أن يعرف وهو مكتبة لغوية عليية عظيمة في عشر مجلدات كبار وقد اشتهر أمر هذا الكتاب في حياة صاحبه فاستكتب منه الخليفة العثماني نسخة وسلطان دار فور نسخة وملك الغرب نسخة وطلب منه أمير اللواء محمد بك أبو الذهب نسخة ، وجعلها في مكتبة مسجده الذى أنشأه بالقرب من الأزهر وبذل في تحصيله ألف ريال ، ومن الكتب التى اعتنى بها العلماء فى الأقطار الإسلامية وعدوها من خيرة ما كتب فى الموضوع كتاب « إظهار الحق » للشيخ رحمة الله الكيرانوى (١٣٠٩ م) وفقه اللسان للقاضى كرامت حسين الكهنوى (١٣٣٥ م) ومعجم المصنفين للشيخ محمود حسن التونكى من رجال هذا العصر .

ومما يجب ذكره أن الهند الإسلامية أنجبت رجالا مبتكرين وعماليق فى الفكر الإسلامى والعلوم العقلية فى عصور عقلت فيها الأقطار الإسلامية الأخرى وغشيتها سحابة من الجود والإعياء الفكرى ، فقد أنجبت فى القرن الحادى عشر الإمام أحمد بن عبد الواحد السرهندى ، وفى القرن الثانى عشر الإمام ولى الله الدهلوى ، وفى القرن الثالث عشر العلامة رفيع الدين بن ولى الله الدهلوى صاحب كتاب تكميل الصناعة وكتاب أسرار المحبة الذى بين فيه سريان الحب فى الأشياء كلها ،

ومنها كتاب « كشف اصطلاحات الفنون » للشيخ محمد على التهانوى من رجال القرن الثانى عشر وهو كتاب عظيم تلقاه المشتغلون بالعلم فى بلاد العرب بالقبول وأثنوا عليه لأنه كمعجم للبصطلحات العلمية يغنى عن مراجعة آلاف من الصفحات ومئات من الكتب وهذا موضوع لم يكن فيه كتاب كبير على شدة الحاجة إليه .

ومنها بل من أعظمها كتاب حجة الله البالغة للإمام ولى الله الدهلوى (١١٧٩ م) فى أسرار أحكام الشريعة وفلسفة التشريع الإسلامى ، وهو كتاب مبتكر فى موضوعه لا يوجد له نظير فى المكتبة العربية على سعتها ، وقد أجله علماء هذا الموضوع وأعيد طبعه فى مصر مراراً ، ومما تجب الإشارة إليه أن هذا الكتاب يتسم بنصاعة العربية وقوة العبارة وانسجامها وبعدها عن السجع البارد وتقليد الحريرى الذى كان فائثاً فى عصره ، وقلبا نجا منه مؤلف وكاتب فى القرون الأخيرة . وهو يعد - بحق - المثال الثانى للنشر الطبعى السلسال والتعبير العلى العامر بعد مقدمة ابن خلدون فى عصور الخطاط العربية وغلبة العجمة والصناعة على الكتاب والمؤلفين فى العالم الإسلامى ، ومنها كتاب تاج العروس شرح القاموس للسيد مرتضى بن محمد البكرامى المشهور بالزبيدى (١٢٠٥ هـ)

أدبية لا يجمل بمؤرخ الأدب العربي أن يغفله إذا أراد أن يستوعب الحركة الأدبية في الأقطار الإسلامية ويذكر مدراسها المختلفة .

مظاهر نشاطهم العلمي والبرقي

ومراكزه الكبيرة :

إن أكبر معهد ديني في الهند الذي يستحق أن يسمى أزهر الهند هو معهد ديوبند الكبير وقد بدأ هذا المعهد كدرة صغيرة لا تسترعى الاهتمام ثم لم تزل تتوسع وتتفخم بفضل جهود أسانذتها والقائمين عليها وإخلاصهم وزهدهم في حطام الدنيا حتى أصبحت جامعة دينية كبيرة بل كبرى المدارس الدينية في قارة آسيا وكان افتتاحها في قرية ديوبند من القرى التابعة لمدينة سهارنپور في مسجد صغير سنة ١٣٨٣ هـ أسسها العالم الجليل المخاض الشيخ محمد قاسم النانوتوى المتوفى ١٣٩٨ هـ وكان الاعتماد فيها على الله ثم على تبرعات فقراء المسلمين وعامتهم ورزقت من أول يومها رجالا عاملين مخلصين وأسانذة خاشعين متقين فمرت فيها روح التقوى والاحقساب والتواضع والخدمة ولم يزل نطاق المدرسة يتسع وصيتها يذيع وشهرة أسانذتها في الصلاح واتقوى والتبحر في علم الحديث والفقه تطير في العالم حتى أمتها الطلبة من أنحاء الهند ومن الأقطار الإسلامية

وأوضح للناس أطواره والشيخ إسماعيل بن عبد الغنى الدهلوى صاحب كتاب العبقات . ولم يزل شعار المسلمين في الهند منذ العهد الأول : الاعتناء الكامل باللغة العربية والتعصب لها . وقد حافظوا عليها كلغة التأليف والعلم ، وكان فيها مؤلفون كبار كالسيد صديق حسن خان أمير هوبال والشيخ محمود حسن التونكى والسيد عبد الحمى الحسى والشيخ حميد الدين الفراهى الذين ظلوا أطول عمرهم يؤلفون بالعربية ، وكان فيها شعراء مقلدون كالقاضى عبد المقتدر الكندى الدهلوى (سنة ٧٩١) والشيخ أحمد بن محمد التهانيسرى (٧٣٠) والشيخ غلام آزاد البكلرامى صاحب السبع السيارة (١٣٠٠) والمفتى صدر الدين الدهلوى (١٣٨٥) والشيخ فيض الحسن السهارنپورى (١٣٠٣) والشيخ ذو الفقار على الديوبندى (١٣٣٣) وأدباء محققون كالأستاذ عبد العزيز الميمنى والشيخ أبو عبد الله محمد السورتى .

ولا يزال المسلمون متمسكين باللغة العربية يدرسون أمهات كتبها في مدارسهم التى يسمونها « المدارس العربية » ويؤلفون ويكتبون فيها ، وقد خرجت دار العلوم التابعة لندوة العلماء طائفة من الكتاب البارعين في اللغة العربية وأوجدت نشاطا أدبيا ملحوظا في الهند ومحصولا ذا قيمة

الصالحين والرجال العاملين في ميادين العلم والدين ولعلمائها ومتخرجيها آثار جليلة في شرح كتب الحديث وخدمة هذا الفن الشريف وتمتاز هذه المدرسة وأساتذتها وطلبتها ببساطة في المعيشة والقناعة بالكفاف وحسن السمعة وتقابل مدرسة ديوبند وشقيقتها وما كان على شاكاتها من المدارس الدينية القديمة الجامعات المدنية العصرية التي أسسها المسلمون في عليكره ودهلي وحيدرآباد لتعليم أبناء المسلمين وشبابهم العلوم العصرية واللغات الأجنبية وإعدادهم للوظائف الرسمية والمراكز الحكومية وللساهمة في حياة البلاد وخيراتها وإدارتها . وأشهر هذه الجامعات وأقدمها وأعظمها تأثيرا في عقلية المسلمين وسياستهم جامعة عليكره أسسها الزعيم المسلم سرسيد أحمد خان وقد أصيب المسلمون على أثر فشل الثورة العظيمة التي قاموا بها سنة ١٨٥٧ بمحمود علي واجتماعي وتسرب اليأس إلى نفوسهم وفقدوا الثقة بأنفسهم ومستقبلهم وأصابهم دهشة الفتح وأساءت الحكومة الانجليزية الظن بهم واستغنت عنهم في وظائفها وإدارتها فأصبح المسلمون - الذين كانوا يملكون زمام البلاد في العهد الماضي القريب - لا نصيب لهم في سياسة البلاد وإدارتها ولا نشاط لهم ورأى السيد أحمد خان ، وكان رجلا شديدا التأثر مرهف الحس - أن علاج ذلك هو تعلم

الأخرى حتى بلغ عددهم في الزمن الأخير إلى خمسمائة وألف وزيادة وبلغت ميزانيتها إلى ثمانمائة ألف وخمسين ألف روبية سنويا ويقدر عدد الذين اشتغلوا في هذه المدرسة بالعلم بأكثر من عشرة آلاف والذين نالوا الشهادة منها بنحو خمسة آلاف والذين ارتووا من مناهلها من خارج الهند كياغستان وأفغانستان وخبو وأنجارا وقازان وروسيا وأذربيجان والمغرب الأقصى وآسيا الصغرى وتبت والصين وجزائر الهند والحجاز والأقطار العربية نحو خمسمائة وكان للتخرجين من دار العلوم تأثير كبير في حياة المسلمين الدينية في الهند وفضل كبير في محو البدع وإزالة المحدثات وإصلاح العقيدة والدعوة إلى الدين ومناظره أهل الضلال والرد عليهم وكانت لبعضهم مواقف محودة في السياسة والدفاع عن الوطن وكلمة حق عند سلطان جائر .

وشعار دار العلوم ديوبند التمسك بالدين والتصلب في المذهب الحنفي والمحافظة على القديم والدفاع عن السنة .

ويلى دار العلوم الديوبندية في كثرة الطلبة والتمتع بالثقة مدرسة مظاهر العلوم في مدينة سهارنور التي تأسست في سنة ١٣٨٣ أيضا وهي تشارك دار العلوم في العقيدة والمبدأ والشعار وقد خرجت عددا كبيرا من العلماء

والتعليم ومحصول ذوق قيمة في الأدب والعلوم .
وتمتاز الجامعة العثمانية في حيدرآباد أنها
أول جامعة درست العلوم العصرية في أردو
لغة الهند العلية وعُنيَت بنقل العلوم الحديثة
وترجمة الكتب المهمة في الفلسفة والعلوم
الطبيعية والطب والسياسة والقضاء والتاريخ
إلى لغة الأردو ووضع المصطلحات العلية فيها
وبذلك أدت خدمة عظيمة للمسلمين وثقافة
الهند .

وتوسط بين المدارس القديمة التي تمسك
بالقديم وترى العدول عنه ضرباً من التحريف
ونوعاً من البدع وبين الجامعات المدنية التي
تقدس الجديد وتسهر بكل قديم تتوسط
بين تلك وهذه دار العلوم التابعة لندوة العلماء
التي تأسست في لكةهنو سنة ١٣١٢ هـ بيد العالم
الرباني الشيخ محمد علي المونكيري وزملائه
المخلصين الذين خافوا على المسلمين من المحافظين
الجامدين ومن العصريين المتطرفين ومن اعتزال
العلماء عن الحياة وتخلّفهم عن ركب الثقافة
والعلم ، ومن العصبيات المذهبية والمشاجرات
الفقهية التي قويت ونشطت في العهد الأخير .

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها
على مبدأ التوسط والاعتدال والجمع بين القديم
الصالح والجديد النافع وبين الدين الخالد الذي
لا يتغير والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ،
وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف

اللغة الانجليزية التي قاطعها المسلمون والظهور
في مظهر سيد البلاد في الزي واللباس والحضارة
والاجتماع وتولى الوظائف الحكومية حتى
يزول مركب النقص . وقد نجحت جامعة
عليكركه في رسالتها نجاحاً كبيراً وأقبل عليها
أبناء الأسر الشريفة الارستقراطية في عدد
كبير وتخرج منها رجال كثيرون شغلوا
وظائف كبيرة في الحكومة وتمتعوا بثقتها
وقد لعبت الجامعة وأبنائها دوراً مؤثراً في
حياة المسلمين وسياسة البلاد ومنها نبعت
حركة القومية الإسلامية تقابل حركة القومية
الهندية والوطنية يترعّمها رجال في الطبقة
الارستقراطية من المسلمين .

وقد انفصل عن جامعة عليكركه بعض
أبنائها وخيرة مخرجيها أيام حركة الخلافة
الوطنية وأسسوا جامعة شعبية مستقلة في
سياستها وتعليمها يترعّمها الزعيم الإسلامي
الكبير مولانا محمد علي وقد انتقلت من
عليكركه إلى دهلي واشتهرت باسم الجامعة المليّة
الإسلامية يمتاز أساتذتها ورجال إدارتها -
وعلى رأسها الرجل التعليمي العالمي - الدكتور
ذاكر حسين خان مدير الجامعة المليّة السابق
ومدير جامعة عليكركه فيما بعد - بنزعهم
الوطنية وروح التضحية والإيثار ظلوا مدة
طويلة يكافحون التيار ويعيشون في شظف
وعسر ، وكان لهم نشاط ظاهر في ميدان الثقافة

وعلم التوحيد لأهل العصر الجديد والسيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام والتاريخ . وقد أنشأ المتخرجون من الندوة جمعية دار المصنفين في د. أعظم كيره ، وهي من المؤسسات العلمية الكبيرة في الهند نشرت كتباً كثيرة متنوعة في الدين والأدب والتاريخ لا تستغنى عنها مكتبة في الهند وهي تصدر مجلة عليية راقية شهرية باسم « معارف » .

ومن المؤسسات العلمية الكبيرة في الهند التي كان لها فضل كبير في إحياء الكتب العلمية وبعضها من مذاقها في المكتبات العتيقة ونشرها في العالم الإسلامي دائرة المعارف في حيدر آباد التي نشرت عدداً من كتب الحديث وأسماء الرجال والتاريخ عرفها العالم الإسلامي والأوساط العلمية من عهد بعيد وتسامع بها العلماء والمدرسون فكانت خدمة جليلة للعلم والدين وبرهاناً على ما كان ولا يزال للسليين من اتصال روحى فكري بالثقافة الإسلامية وحب عميق لها .

إذا كانت المؤسسات العلمية والنشاط الفكري والإنتاج العلمى دليلاً على حياة أمة ونموها وقابليتها للبقاء فالمسلدون في الهند أمة حية لهم ماضٍ معدود وحاضر مشهود ومستقبل موعود وقلقه الأمر من قبل ومن بعد ؟ .

أبو الحسن علي الحسنى النورى

(لكهنؤ (الهند)

في العقيدة والنصوص وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد فيجب أن يتناولها الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر وأن يزداد فيه ويهدف منه بحسب تطورات العصر وحاجات المسلمين وأحوالهم .

عنيت دار العلوم بصفة خاصة بالقرآن الكريم وتدرسه ككتاب كل عصر وجيل والرسالة الخالدة وعنيت باللغة العربية التي هي مفتاح فهمه وأمانة خزائنه ووجهت عنايتها إلى تعليم هذه اللغة الكريمة كلغة حية من لغات البشر يكتب بها ويخطب لا كلغة أثرية دراسة لا تتجاوز الأحجار والأسفار كما كان الشأن في الهند وقللت قسط بعض العلوم القديمة التي لا تنفيد كثيراً وأبدلتها ببعض العلوم العصرية التي لا غنى عنها للعالم العصري الذي يريد أن يخدم دينه وأمته واجتهدت أن تخرج رجالاً مبشرين بالدين الإسلامي الخالد لأهل العصر الجديد شارحين الشريعة الإسلامية بلغة يفهمها أهل العصر وبأسلوب يستهوى القلوب أمة وسطاً بين طرفي الجمود والجمود وقد نجحت في مهمتها نجاحاً لا يستهان بقيمته فأنجبت رجالاً هم خير مثل للعالم المسلم العصري لهم آثار جميلة خالدة في الأدب الإسلامي

آراء العلماء في الربا

لعالم باحث

- ٢ -

قال : الطوفي رضى الله عنه (١) في شرحه الحديث أى سعيد الخدرى (لا ضرر ولا ضرار) (٢) : إن هذا الحديث يقتضى رعاية المصالح إثباتاً ونفياً ، إذ الضرر هو المفسدة ، فإذا نقاها الشرع ، لزم لإثبات النفع الذى هو المصلحة ؛ لأنهما نقيضان لا واسطة بينهما ، وأدلة الشرع أقواها : النص والإجماع . ثم هما : إما أن يوافقا رعاية المصلحة ، أو يخالفها ، فإن وافقاها فيها ونعمت ولا تنازع ، إذ قد انفقت الأدلة الثلاثة على الحكم ، وهى : النص والإجماع ورعاية المصلحة المستفادة من قوله عليه السلام : (لا ضرر ولا ضرار) . وإن خالفها ، وجب تقديم رعاية المصلحة عليهما بطريق التخصيص والبيان لها ، لا بطريق الافتيات عليهما والتعطيل لها ، إلخ ...

(١) فى رسالة الطوفى فى أصول الفقه طبعت فى سنة ١٩٠٦ ونشرت بالمجلد التاسع - ح من مجلة المنار من ص ٧٤٥ - ٧٧٠ .
(٢) روه ابن ماجه والدارقطنى وغيرهما مسنداً ومالك فى اللوامأ مرسلأ وهو من الأرومين النووية .

سقط منى سهواً فى المقال الذى نشر فى الجزء الماضى من مجلة الأزهر بعنوان : آراء العلماء فى الربا) مقدار صفحتين فى أمر مهم وهو (تعارض النص والمصلحة) .

والذى سقط : هو ما قرره الإمام الجليل نجم الدين الطوفى الحنبلى من (تقدم المصلحة على النص والإجماع) عند التعارض مستدلاً على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة ، ويأجج ما عدا الظاهرية ، وقد جعل مدار تعليل الأحكام الشرعية على هذه المسألة ، ودعم ذلك بالاستدلال عليها بالنظر العقلى ، وسقط منى سهواً أيضاً ما رآه فيلسوف الإسلام السيد جمال الدين الأفغانى من أن للإمام - إذا رأى المصلحة - أن يميز الربا المعقول .

ولأن ما تكلم به هذان الإمامان فى أمر (المصلحة) لم يتكلم أحد من الفقهاء بمثله ، فنحن نكتب ما سقط من كلتنا الأولى ، ليكون تماماً على ما كتبناه قبله ، وليزداد الأمر وضوحاً وتحقيقاً به .

وكانت هي المعبرة ، وعلى تحصيلها المعول .
ولا يقال : إن الشرع أعلم بمصالحهم فلتؤخذ
أدلته - لأننا نقول : قد قررنا أن المصلحة
من أدلة الشرع ، وهي أقواها وأخصها ،
فنلقد منها في تحصيل المصالح .

ثم إن هذا إنما يقال في العبادات التي
تخفى مصالحها عن مجارى العقول والعبادات ،
أما مصلحة سياسة المكلفين في حقوقهم فهي
معلومة لهم بحكم العادة والعقل ، فإذا رأينا
دليل الشرع متقاعداً عن إفادتها ، علمنا أننا
أحلنا في تحصيلها على رعايتها ، كما أن النصوص
لما كانت لا تنفي بالأحكام ، علمنا أننا أحلنا
بتامها على القياس ، وهو إلحاق المسكوت
عنه ، بالمنصوص عليه بجامع بينهما^(١) .

وما دنا بسبيل الكلام عن (المصلحة)
وهي التي يقوم عليها نظام الاجتماع كله ، ولها
في التشريع الإسلامى هذا الشأن العظيم ، فإننا
نعزز ما قرره الطوفى برأى جليل لمصلحة الشرق
الإمام المجتهد السيد جمال الدين الأفغانى^(٢)
في الربا ومراعاة المصلحة هذا نصه : « حرم
الله الربا بنسكته غاية في الحسكة وهي : أن
(البقية على ص ٩٩١)

هذا الذى قرره الطوفى في رعاية المصلحة
- هو كما قال أحد الأئمة الكبار - أدق وأوسع
من القول (بالمصالح المرسله) وأدلته أقوى ،
وقد صرح هو بذلك فقال :

« وعلم أن هذه الطريقة التي قررناها
مستفيدين لها من الحديث المذكور ليست
هي القول بالمصالح المرسله على ما ذهب إليه
مالك ، بل هي أبلغ من ذلك ، وهي : التعويل
على النصوص والإجماع في العبادات
والمقدرات^(١) وعلى اعتبار المصالح في
المعاملات وباقي الأحكام .
ثم قال بعد بيان ذلك :

وإنما اعتبرنا المصلحة في المعاملات
ونحوها ، دون العبادات وشبهها ؛ لأن
العبادات حق للشارع خاص به ، ولا يمكن
معرفة حقه ، كما ركباً ، وزماناً ومكاناً
إلا من جهته ، فيأتى به العبد على ما رسم له ،
ولأن غلام أحدنا لا يعد مطيعاً خادماً له
إلا إذا امتثل ما رسم له سيده ، وفعل ما يعلم
أنه يرضيه . فكذلك ههنا ؛ ولهذا لما تعبدت
الفلاسفة بعقولهم ورفضوا الشرائع أسخطوا
الله عز وجل ، وضلوا وأضلوا .

وهذا بخلاف حقوق المكلفين ، فإن
أحكامها سياسة شرعية وضعت لمصالحهم ،

(١) المراد بالمقدرات ، ما قدره النص بقدر معين
كالحدود والكيفيات .

(١) الكلام الطوفى بقية نفيسه يرجع إليها في
رسائله المطبوعة أو في مجلة المنار .

(٢) ص ١٩٥ من كتاب خاطرات جمال الدين
تأليف محمد الخزومى باشا للطبوع في المطبعة العلمية
بيروت سنة ١٩٣١ .

الإسلام في كورِيا

للأستاذ عطيّة صفّر

وفي القرن التاسع عشر حدث تنافس على استعمارها بين الصين واليابان ، انتهى بفرض الحماية اليابانية عليها سنة ١٩٠٧ ثم التبعية التامة لها سنة ١٩١٠ ، وبعد الحرب العالمية الثانية احتلها الحلفاء ، فكانت كوريا الشمالية تحت النفوذ السوفيتي ، وأعلنت جمهورية شعبية ديمقراطية في مايو سنة ١٩٤٨ ، بينما وقعت كوريا الجنوبية تحت النفوذ الأمريكي .

وفي الفترة ما بين سنة ١٩٥٠ ، ١٩٥٣ قام نزاع مسلح بين الحكومتين القائمتين بغية توحيد البلاد ، ولم ينته هذا النزاع إلى نتيجة مرضية إلى الآن ، وظلت البلاد منقسمة إلى الجزئين المذكورين يفصل بينهما خط العرض ٣٨° .

وقد سافرت في سنة ١٩٥٠ فرقة من الجيش التركي للانضمام إلى قوات الأمم المتحدة ، واشتركت في هذه الحرب التي لا ناقة لها فيها ولا جمل ، ولسكن رب ضارة نافعة ، فقد شاءت إرادة الله أن تكون هذه الفرقة فاتحة خير ، ومبعث نور لمن يتطلعون

في أقصى الشرق وبين بحر اليابان والبحر الأصفر ، تقع شبه جزيرة تشاء الأقدار أن ينبت فيها فرع جديد في دوحة الأمة الإسلامية ، لم يبلغ بعد من العمر إلا ست سنوات ، خلقتها ظروف لم تكن في الحسبان ، أملت الأحداث السياسية الجارية في ذلك الوقت . تلك هي شبه جزيرة كوريا ، التي يبرهن وجود الإسلام فيها على أن هذا الدين في زحفه المقدس يعلو فوق مستوى التشكيلات المنظمة التي تتخذها الأديان الأخرى ، تريد بذلك أن تطفى نوره أو تعرقل سيره ، أو تحدد من مده .

كانت هذه البلاد مسرحا لنزاع مسلح بين الدول المجاورة أكثر من عشرين قرنا من الزمان ، فكانت مستعمرة صينية في القرن الأول قبل الميلاد ، ثم توحدت أجزاؤها تحت رياسة أسرة وطنية من القرن السابع إلى القرن التاسع ، واحتلها المغول وضمت إلى الصين في القرن الثالث عشر ، ثم حكمتها أسرة دلي ، الوطنية من القرن الرابع عشر إلى العصر الحديث .

الهندي الذي يثبت في أقصى الجنوب من البلاد، أو إلى رجل أجنبي غريب وفد إلى بلادهم كالأشخاص الذين تردد ذكرهم الأساطير .

ظلت الفرقة التركية تؤدي واجباتها الدينية، دون أن يتقدم إليها أحد من المواطنين ليصرف شيئاً عن هذا الدين الجديد ، إلى أن كانت سنة ١٩٥٥ ، حيث دخل نور الإسلام أول قلب من الكوريين الأصليين ، ذلك أن طالبين من كوريا أتتا دراستهما العالية في كليات الجامعات اليابانية ، وسمعا في أثناء الدراسة عن دين الإسلام الذي ظهر في الشرق البعيد ، فتاقت نفسيهما لتكميل معارفهما عن هذا الدين ، الذي لم تسعفهما الكتب ولا المسلمون في اليابان بحاجتهما منه ، وهما يريدان معلومات صادقة وافية من قومه الذين نشئوا في ربوعه الأولى ، ومارسوه في حياتهم العملية زمناً طويلاً ، فسمعا بعد عودتهما من اليابان عن "فرقة السادسة التركية ، المشتركة في جيش الأمم المتحدة في "سيول" ، فتوجها إليهما ، وأعلنا إسلامهما على يد إمام هذه الفرقة ، وتحمسا للدعوة إلى الإسلام ، فكونا مع بعض الأصدقاء جمعية لهذا الغرض وألقوا على الأهالي عدة محاضرات ، استمدوا معلوماتها من الفرقة التركية ، فانضم إليهم عدد من المعجبين بهذا الدين .

إلى المعرفة والهداية ، والاطمئنان إلى دين جديد يملأ الفراغ الذي تعانيه نفوسهم ، بعد أن بدءوا يتحررون من أسر الديانات القديمة المتوارثة ، بفضل النهضة العلمية التي لم تعد تقبل من المعارف والأفكار إلا ما أيده العقل وشهد له المنطق . فكان للتكبيرات المنبعثة بصوت ندى من فوق المنارة البيضاء ، التي تعلو المسجد المؤقت الذي أنشأته الفرقة التركية سنة ١٩٥٢ ، أثرها البالغ في لفت الأنظار إلى هذا الدين الجديد .

الديانة السائدة في هذه البلاد هي البوذية إلى جانب الطاوية والشتوئية ، وقد صبغت البوذية حياة الناس بصيغتها في النواحي المادية والأدبية ، الحسية والمعنوية ، ثم وصلت إليهم أولى بعثات التبشير بالدين المسيحي سنة ١٨٨٤ ، وما زالت تؤدي عملها منذ نحو ٧٧ عاماً ، واستطعت أن تضم إليها نحو ربع مليون نسمة من مجموع السكان البالغ عددهم ٢٨ مليوناً .

وكان الدين الإسلامي يسمع عنه في هذه البلاد ويعرف باسم "مكدكيو" ، أي دين محمد ، لأن كلمة Kyo معناها في اللغة الكورية "دين أو تعليم" ، وعندما يسمع هذا الاسم كانت الأذهان تنتقل إلى تصور الصحراء المجدبة ، ذات الشمس المحرقة ، أو إلى أشجار الجوز

في بدء إسلامنا يؤدي واجباتنا الدينية في فناء الكلية الزراعية . وأحيانا في مدرسة شونجر يايجرى المركزية ، وذلك لعدم وجود مسجد ولو بشكل متواضع ، ولحسن الحظ بعد مدة وجيزة من إنشاء جمعيتنا سمح لنا بأداء الصلاة في مسجد الفرقة التركية ، وأهم مشكلة تواجهنا هي عدم وجود مسجد خاص لنا . وقد أقننا مسجداً متواضعاً قامل في المستقبل القريب أن نبني مكانه مسجداً فخماً ينير لشعبنا طريق الإسلام . ٥١ .

أنشئ المسجد في ديسمبر سنة ١٩٥٧ ويؤم المصلين فيه إمام اسمه الزبير ، ويجتمع المسلمون لأداء الصلاة الجامعة فيه مرتين كل أسبوع ؛ يوم الجمعة ويوم الأحد ؛ لأن ظروف حياتهم اليومية لا تمكنهم من حضور جميع الصلوات طوال الأسبوع . وهم يتعبدون بالطبع على مذهب الإمام أبي حنيفة وهو مذهب الفرقة التركية ، وإن كانت مسألة المذاهب الفقهية والاعتقادية لم تتضح لهم بعد ولعل من الخير أن يبحثوها حتى تستقر قواعد إسلامهم على أساس متين يتحمل هزات الجدل والبحث والمقارنة .

ولعل عدد المسلمين قد زاد بعد التاريخ الذي أنشئت فيه الجمعية وهو سنة ١٩٥٥ ، ولم يصلنا إلى الآن تقدير رسمي لعددهم ، وعامتهم من الطبقات المتوسطة التي تزاو

تكونت هذه الجمعية في سبتمبر سنة ١٩٥٥ في ضواحي مدينة سيول ، عاصمة كوريا الجنوبية ، وكان عدد أعضائها في سنة ١٩٥٧ يبلغ ١٥٠ شخصاً ، ورئيس الجمعية هو السيد كيم يودوه Kim Yoo Do ، ونائب الرئيس هو السيد / كيم جين كيو Kim Jin- Kyu ، ويتحدث أحد أعضاء هذه الجمعية عن ظروف تكوينها فيقول (١) : —

لقد أنشأنا جمعيتنا الإسلامية ، وساعدنا على تكوينها ومزاولة نشاطها إمام الفرقة التركية بعد موافقة حكومته ، وقد أخلص في ذلك كل الإخلاص ، وفنا من جانبنا نحن الأهالي بطلب الموافقة على تكوينها والقيام بهذا النشاط الديني من وزارة التربية ، ومن مكتب الإدارة العامة لحكومتنا ، فنجحنا في ذلك ومنذ ذلك الحين أمكننا أن نجتمع حولنا نحو ١٥٠ مسلماً ، وهم يزدادون كل يوم ، وأنا موقن أن عدداً كبيراً من الأهالي سينضمون إلى الإسلام في المستقبل القريب . ومع هذا نحن لا نتمجّل ذلك ، فإننا نعلم يقيناً ما قاساه النبي صلى الله عليه وسلم ، وما قام به من جهود طوال الأعوام الثلاثة عشر الأولى من دعوته . وكل أمر لا بد أن يكون صعباً في بدايته ، وأنا أعتقد أن النجاح أساسه الصبر والتحمل . وكنا

(1) Green Flag Rev. Dec. 1957.

ويقول أحدهم عن المرأة وتعدد الزوجات: إن سبب التعدد أنه بعد سنوات من بدء الغزوات مات كثير من المسلمين ، وتركوا وراءهم نساءهم إلى جانب عدد كبير من نساء الكفار اللاتي أسرن في هذه الحروب ، فكيف يعيش هؤلاء النسوة إلا في ظل مبدأ تعدد الزوجات ، ومع ذلك فقد شرط الإسلام على الرجل العدل في معاملة الزوجات والقدرة على الإنفاق ، وليس هناك حل لهذه المشكلة غير هذا الحل . وقد ضمن محمد عليه السلام ، للمرأة مكانة ممتازة ، فجعل الجنة الكريمة تحت أقدام الأمهات .

وإذا كانت أفكار المسلمين عن الإسلام بهذا الشكل ، فإن هذه الخلية الناشئة لو مدت إليها يد المساعدة لتكاثرت ونمت ، وأنتجت خيراً كثيراً في هذه المناطق ، التي تعاني فراغاً نفسياً لا يملؤه إلا عقيدة صحيحة ، تتفق مع الفطرة والمنطق ، وتتلاقى مع العلم الذي يوزن به كل فكر في هذه الأيام . ولا توجد هذه العقيدة في الديانات القديمة التي تسلطت على أوهامهم عشرات القرون ، ولا في المسيحية التي يرون أنها دين الغرب ، الذي يمتقونه أشد المقت بعد قبلة ناجازاكي وهيروشيما . والفرصة الآن سانحة لدين الإسلام لو وجد من يؤمن به إيماناً يدفعه إلى عمل شيء جدى لهذه الشعوب الحائرة ،

الأعمال السكتانية ، واستغلال المناجم . وهم يقرءون القرآن في ترجماته اليابانية والانجليزية ، ويأسفون أشد الأسف لعدم وجود ترجمة كورية له .

وفكرة المسلمين هناك عن الإسلام فكرة طيبة ، وهي مع ذلك تحتاج إلى قدر كبير من التوجيه السليم . وإليك نماذج من أقوالهم عن الإسلام :

يقول عثمان شانغ جيو Osman Chang Gyu خريج كلية الهندسة في هان يانج Han Yang أن يكون الإسلام مجهولاً ما بقيت في الأرض حياة ، لقد حاولت أن أجعل ديناً يناسب مجتمعنا وبحث عن ذلك كثيراً ، وعند ما سمعت عن الإسلام أتيت مسرعاً إلى جمعية مسلمي كوريا ، لأعرفه وأتعلم مبادئه ، ولقد وجدت أنه هو الدين الحي Living Religion وجذبني إليه عدة شواهد ، أبرزها أن محمداً رسول الله ليس إلا رجلاً كعامة الناس ، وأن الإسلام يقوم على الحق والمنطق والعلم ويوفى بجميع حاجات بلادنا .

ويقول نيازي يونج جين Kim Niyazi الطالب بالجامعة المركزية : الناس يقولون كثيراً : الإسلام دين الصحراء ، ولكنهم لو عرفوا الإسلام حق المعرفة سيدركون بسرعة أنه دين الحياة ، ودين الإنسانية ، ودين الديمقراطية .

ونحن نضم صوتنا إلى صوت الإمام ،
ونناشد المسلمين في جميع الأقطار أن يؤدوا
واجبهم نحو إخواننا في هذا المكان القصي ،
ليعرفوا أن لهم إخوة سمعوا نداءهم ، ولبوا
دعوتهم ، ولتسكن المراسلات بهذا العنوان :

The Korean Islamic Society
No 320 Rimun - Dong Dong Daemun
Suburbs of Seoul.

وأعتقد أن مجلة الأزهر ستكون سفير
صدق بيننا وبين هذه الجمعية ، بما تحمل
من معارف طيبة وبخاصة ملحقها المحرر
بالإنجليزية ، والله هو الهادي إلى سواء السبيل .

عطية صفر

المتروكة نهبا للبشرين ، يتصيدونهم بما
أعدوه من شباك أحكمتها يد الاستعمار
والاستغلال .

ولقد أذاع إمام المسجد سنة ١٩٥٧ نداء
يقول فيه (١) : على أكتافنا نحن - الكوريين -
يقوم واجب الدعوة إلى الدين ، وأعتقد
أننا لو شرحنا للشعب الكوري القواعد
الأساسية للدين الإسلامي ، فإن كل كوريا
الجنوبية ستعتنقه . وأملنا كبير في مزيد
المساعدة إلينا بالكتب الانجليزية والنشرات
التي تعالج موضوعات الإسلام .

(1) Green Flag Rev. Feb. 1957 .

بقية المنشور على صفحة (٩٨٦)

لا يؤكل أضعافا مضاعفة وهو ما وقع عليه
التحريم ، لكي يكون للإمام مخرج - إذا
اقتضت المصلحة بالتسامح للحكم بجواز الربا
المعقول ، الذي لا يثقل كاهل المدينين ،
ولا يتجاوز في برهة من الزمن رأس المال ،
ويصير أضعافا مضاعفة .
وكأن هذا الرأي الأخير الذي انبعث
من وراء الغيب منذ سبعين سنة ، قد توجه
به موقظ الشرق وأستاذه جمال الدين الأفغاني
إلى منقذ الشرق وإمامه جمال عبد الناصر ،
ليؤيده في القيام بأعباء توريته المباركة ، التي
ألقها الأقدار على عاتقه ، ليضئ قدما
- ما استطاع - في طريق إصلاح بلاده ،
وإعلاء شأنها ، وأن يقترض في سبيل ذلك
ما يشاء أن يقترض من المال - بغير مبالاة
ولا خشية - مادام يريد الإصلاح والله الموفق ؟

دين السلام

للأستاذ أحمد الشرباصي

ونخبره ، وفي عباداته ومعاملاته ، وفي أقواله وأعماله ، وأول ما يطالعنا من ذلك أن لفظ « الإسلام » نفسه مشتق من السلام ، ولذلك يورد الراغب الأصفهاني في « مفردات القرآن » هذه العبارة : « والإسلام الدخول في السلم ، ومعه - در أسلمت الشيء إلى فلان - إذا أخرجته إليه ، ومنه السلم في البيع ، والإسلام في الشرع على ضربين : أحدهما دون الإيمان وهو الاعتراف باللسان ، وبه يحقن الدم ، حصل معه الاعتقاد أولم يحصل وإياه قصد بقوله : « قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ، . والثاني فوق الإيمان ، وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل ، واستسلام لله في جميع ما قضى وقدر ، كما ذكر عن إبراهيم عليه السلام في قوله : « إذ قال له ربه : أسلم ، قال : أسلمت لرب العالمين ، وقوله تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام ، وقوله : « توفي مسلماً ، أى اجعلنى ممن استسلم لرضاك ، ويجوز أن يكون معناه : اجعلنى سالماً عن أسر الشيطان ، حيث قال :

أصبحت كلمة « السلام » شعاراً دولياً يتردد في أكثر من محفل من محافل السياسة العالمية ، وأخذ ساسة الدول المختلفة يرددون كلمة « السلام » ، قائلين إن السلام هو الأمل الأول والآخر لهم كي تسعدم شعوبهم المتطلعة إلى السلام ، الراغبة في حياة الرخاء والأمان . ومع أن الحديث عن « السلام » قد صار قسطاً مشتركاً بين أهل الشرق والغرب ، في المجالات الحكومية والشعبية ، مازال قاراً في أذهان فريق من الناس أن شعار الدعوة إلى « السلام » صبغة خاصة ببعض الدول دون بعضها الآخر ، وكأن هذا الفريق يحسب أن الدعوة إلى السلام شعار ابتكرته في العصر الحاضر هذه الدولة أو تلك ، ولو أراد هؤلاء الإنصاف للحق والتاريخ لقالوا : إن الدعوة إلى السلام في صورته المثالية العلمية الإيجابية القوية هي شعار الإسلام منذ أكثر من ألف عام ... !

نعم إن الإسلام أحق العقائد والدعوات بأن يسمى دين السلام ودعوة الأمان وطريق الاطمئنان ، وإن نور السلام ليسع في الإسلام حيثاً وليت وأينما اتجهت : يشع في مظهره

وقد شرع الإسلام لأبنائه تحية متبادلة متكررة ، مألوفة معروفة ، فكانت هذه التحية هي : « السلام عليكم ورحمة الله » . ولم يجعل تحية السلام مقصورة على الحياة الدنيا ، بل انتقل بها إلى الدار الآخرة ، فجعل التحية التي تقال لأهل الجنة هي : « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » . وتحية الله لعباده المسكرين يوم القيامة هي السلام : « تحيتهم يوم يلقونه سلام » .

ويقول القرآن : « دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحيتهم فيها سلام » . ويقول : « خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام » . ويقول : « يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » . ويقول : « وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » . ويقول : « ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود » .

وحينما علم الإسلام أبنائه أن يعطوا نبيهم حقه من التكريم قال القرآن : « إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » ، أى أظهرُوا شرفه وعظموا شأنه وقولوا « السلام عليكم أيها النبي » . ونحن المسلمين نقول في التشهد من كل صلاة « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . ونجد أن السلام كان لونا من ألوان التكريم الإلهي لرسله ، فتجد في سورة الصافات هذه الآيات : « سلام على نوح في العالمين » ،

« لاغوينهم أجمعين » ، إلا عبادك منهم المخلصين ، وقوله : « إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون » ، أى منقادون للحق مذعنون له ، ويحكم بها النبيون الذين أسلبوا ، أى انقادوا من الأنبياء الذين ليسوا من أولى العزم لأولى العزم الذين يهتدون بأمر الله ويأتون بالشرائع ^(١) . والله الذي أنزل هذا الدين وشرعه لعباده يسمى بالسلام : « هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام » ، أى الذي لا يناله شيء من العيوب أو الآفات التي تلحق الخلق والذين يؤمنون بالإسلام يسمون بالمسلمين : « هو سماكم المسلمين من قبل » .

والإسلام يدعو - حين يدعو - إلى تثبيت الأمن وتحقيق السلام فيقول القرآن : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » . ويجعل العاقبة هي الانتهاء إلى مقر السلام دار النعيم : « والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » . وحينما سمى الله الجنة « دار السلام » ، كأنه أراد أن يجعلها المثل الأعلى للسلام ، كي تتطلع عيون العباد إلى هذا المثل فيتخذونه قدوة عليا ويسمعون نحوه بخطواتهم السلية في حياتهم : وإنما سميت الجنة دار السلام - كما قال العلماء - لأن فيها السلامة الحقيقية الكاملة (إذ فيها بقاء بلا فناء ، وغنى بلا فقر ، وعز بلاذل وصحة بلا سقم) .

[١] مفردات الراغب ، ص ٢٤٠ المطبعة الميمنية

بل علم الإسلام أبنائه أن يتلقوا تحية السلام بمن يلقيها ، ولو كان في داخله على غير وجهتهم أو عقيدتهم ، ويعاملوه على أساس السلام دون إثارة الشك في أمره ما لم ينفضح يقول القرآن : « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتنينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تفتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتنينوا ، إن الله كان بما تعملون خبيراً . » ويحدثنا القرآن أن إبراهيم ودفع أباه الكافر بسلام التوديع والمشاركة ، فقال : « قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان في حقيقاً . »

وحدثنا الإسلام حديث الإجلال والإكبار عن أفضل ليلة في الحياة ، وهي الليلة التي نزل فيها القرآن تحفه الرحمة وتزفه الملائكة ، وهي ليلة القدر ، فإذا من الصفات البارزة لتلك الليلة العظمى أنها : « سلام هي حتى مطلع الفجر . » وفي الإسلام عبادات وقواعد . منها الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وأكثر هذه العبادات وقوعاً وتكراراً في حياة المسلم هي الصلاة لأنها تتكرر بفروضها وسننها المؤكدة نحو اثنتي عشرة مرة في كل يوم ، ويختتمها المسلم في كل مرة بتسليمتين أي أنه يكرر عبارة : « السلام عليكم ورحمة الله ، أربعا وعشرين مرة في كل يوم ، والصلاة رحلة إلى الله ، يرتفع فيها المسلم إلى حماه ، وينقطع

« سلام على إبراهيم ، ، « سلام على موسى وهارون ، ، « سلام على إيلياسين ، ، وتختتم السورة بهذه الخاتمة العامة في شأن السلام على جميع الرسل : « و سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . » وفي سورة مريم نجد القرآن يقول في شأن يحيى بن زكريا : « و سلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً ، وفي نفس السورة يقول القرآن على لسان عيسى بن مريم : « و السلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً . »

والإسلام يعلم المسلم ألا يدخل بيتاً إلا بعد أن يؤذن فيهم بالسلام : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلبوا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . » وهذا السلام مطلوب من المسلم حتى ولو دخل بيوته وبيوت أقربائه وأحبائه ، فالقرآن يقول : « ليس على الأعمى حرج ، ولا على الأعرج حرج ، ولا على المريض حرج ، ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتكم مفاتيحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتا ، فإذا دخلتم بيوتا فسلبوا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون . »

عليه ، حتى يضرب الناس به المثل في الأمن والسلامة فيقولون : آمن من حمام مكة (١) ، ومن غزلان مكة ، ويقول أسلافنا القدامى : إن هذا شائع على جميع الأسنة ، لا يرد ذلك أحد من يعرف الأمثال والشواهد .

وهذا الحمام بأمنه وسلامه يعلم الناس كيف يكون السلام ، ويوحى إليهم بنسيان البغضاء والحصام ، ويحرضهم على السهولة والوداعة والصفاء ، وهذا الحمام نفسه كأنه يحس قيمة السلام فلا يعتدى ولا يجبور ، ولذلك روى الجاحظ أنه يبلغ من تعظيم الحمام حرمة البيت الحرام أن أهل مكة يشهدون عن آخرهم أنهم لم يروا حماما قط (٢) . سقط على ظهر الكعبة لإلزامه علة عرضت له . وهناك بعض المصادر في قصص السيرة النبوية تحدثنا بأن الحمام كان رمز الأمان والسلام في ساعة الهول والفصل ، فهذا هو رسول الإنسانية محمد مع صاحبه الأول أنى بكر يقضيان هذه الساعة : إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، وجاء الحمام أو الياقوت - والياقوت نوع من الحمام كما قالت اللغة ونص عليه السابقون - فباض وأقام على واجهة الغار ، فكانت الحمامة الرقيقة الأليفة من أسباب الوقاية الربانية ومن جنود الله التي لا تعد ولا تحصى .

فيها عن شهوته ودنياه ، ثم يعود إلى هذه الحياة ، ويقبل على الدنيا من جديد ، فإذا أول شعار يلقي به الحياة والأحياء هو : السلام عليكم ورحمة الله ، ولا يقول هذا عن يمينه فقط ، بل ويقول عن شماله ليشمل بسلامه من كان هنا ومن كان هناك ، والمسلم في أثناء صلاته يدعو ربه ويناجيه ويخلص خواطره لبارئته وهاديه ، ثم يقبل بعد التطهر الحسى بالنظافة والوضوء والنقاء في جسمه وثوبه ومكانه ، وبعد التطهر النفسى في أثناء الصلاة ، يقبل ليبدأ أهل الدنيا من كل نواحيها بالسلام ، كأن السلام هو ثمرة ذلك التطهير المتكرر في كل يوم مرات ومرات ، أو كأن السلام هو الهدية التي يحملها المصل إلى الناس من لدن قيوم السموات والأرض ، ورحمن الدنيا والآخرة ، وبارئ الخلق أجمعين .

وكثير من الناس يتعارفون اليوم على اتخاذ الحمام ، شعاراً للسلام ، وقد يظن ظان أن هذا التعارف لون من الابتكار الجديد أو الابتداع الحديث ، مع أن أمتنا المؤمنة أسبق إلى هذا التعارف وأدنى إليه وأولى به ، وأجدادنا منذ القدم يصفون الحمام بأنه من الطير الميامين ، ويتخذونه شعاراً للبودة والتآلف ، وهذا هو حمام الكعبة والبلد الحرام مكة ، إنه ذو قدم راسخة في تاريخ الأمن والسلام ، فحما الحرم وادع آمن ، لا يضان ولا يهان ولا يعتدى

(١) معجم الأمثال للعبدانى ، ص ٨٦ مطبعة السنة المحمدية .

(٢) الحيوان للجاحظ ، ص ١٦٣ مطبعة الحلبي

في النهاية - أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعجبه النظر إلى الأترج (النفاح) والحمام الأحمر^(١).

كما روى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه كما يذكر الجاحظ في الحيوان - أنه أراد أن يذبح الحمام ثم قال: (لولا أنها أمة من الأمم لأمرت بذبحها، ولكن قصوها) ونهى عثمان عن اللعب بالحمام.

وكان يرتفع ثمن الحمامة الواحدة في هذه الأمة حتى يبلغ خمسمائة دينار واستعمل أسلافنا الحمام من قديم الزمان في حمل رسائل الود والمحبة، لأنهم أدركوا وقرروا أنه أسرع الطيور في التودد والتألف، إذ تخرج الحمامة من عشها فتلتقي بجماعة من الحمام فتنسى عشها وولدها، وتصبح رفيقها، وقد تلقى الهلاك في سبيل إرضاء المودة في نفسها^(٢).

ويقول الجاحظ - المتوفى في وسط القرن الثالث الهجري، أي منذ أكثر من ألف عام - : (ومن مناقب الحمام حبه للناس، وأنس الناس به) ويقول أيضا: (والحمام طائر ألوف مألوف ومحجب وموصوف بالنظافة) ووصفه بالثبات على العهد، وحفظ ما ينبغي أن يحفظ، وصون ما ينبغي أن يسان^(٣).

[١] النهاية في غريب الحديث ج ٣ ص ٢٦٢ مطبعة بولاق.

[٢] الحيوان ج ٣ ص ٢١٢.

[٣] مواضع متفرقة من الجزء الثالث من كتاب الحيوان.

بل روى بعض المؤرخين أن حمام مكة أظل رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة، فدعا له النبي بالخير والبركة، فإن صحت الرواية كان هذا دليلا على أن الله تعالى أراد أن يكون يوم الفتح المبين يوم أمان وسلام، تظله أجنحة الحمام وهو رمز السلام. وفي قصصنا الدينية أن الحمامة كانت رائدا لسيدنا نوح عليه السلام، أرسلها لتكشف له موضعا يصلح مرفأ للسفينة عقب الطوفان وأعطاه الله طوقها الذي في عنقها حلية لها وثوبا على إرشادها^(٤).

وهل نسينا حمامة الفسطاط الذي اشتهر به عمرو بن العاص، فاتح مصر باسم الله وباسم الإسلام؛ فقد جاءت أثناء الفتح حمامة فاتخذت من أعلى فسطاطه - وهو الخيمة - عشًا لها، فلم يقبل عمرو فيما بعد أن يقوض فسطاطه حتى لا يزجج الحمامة، بل تركه وتتابع العمران من حوله، حتى تكونت مدينة الفسطاط بسبب هذه الحمامة، فكان الإسلام يبتدى تاريخه في مصر بحمامة ويفتح حصونها بهذه الحمامة الواحدة، ويرسل قصتها مع الفسطاط وصاحبه مثلا شرودا يرويه الجيل بعد الجيل ليدل على سماحة الإسلام ورفق أبناء الإسلام، وانبثاق السلام أينما سار دعاة الإسلام.

وفي حديث مرفوع - كما يروى ابن الأثير

[١] المصدر السابق، ج ٣ ص ١٩٥.

وقد كرر الإسلام الأمر بالعدل والدعوة إليه ، وهو بهذا يكرر الأمر بالسلام والدعوة إليه ؛ لأن العدل هو أقوى حوافز السلام ؛ ولأنه لو أنصف الناس استراح القاضي ، فقال القرآن : « إن الله يأمر بالعدل ، وقال : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، وقال : « وأمرت لأعدل بينكم ، وقال : « اعدلوا هو أقرب للتقوى ، . ومن أجدادنا عشرات وعشرات من الحاكمين العادلين الشرفاء الذين زانوا صفحات التاريخ بإنصافهم وعدلهم ، وما نسينا الحاكم العادل « خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز ، الذى حكم الديار ووجد الأقطار ، وأشاع العدالة ونشر الإخاء والسلام ، حتى توسع محبوه فى تصوير عدله وسلام عهده ، فقالوا : إن الذئب كان يلتقى الشاة فى أيامه فلا يمسها بأذى أو سوء .

أما بعد : فإننا نريد السلام - لأممنا لأنفسنا وللناس ، نريد السلام العام الشامل ، نريده صادراً من أعماق نفوسنا ومن صميم عقائدنا ، نابعاً من تاريخنا ومبادئنا ، منبثقاً من هدى قرآننا وسنة نبينا ، مشعراً الناس كلهم أنه أصل من أصولنا وقاعدة من قواعدنا ، نحن فيه أئمة أصلاء ، ولسنا فيه بالتابعين أو المقلدين ، ففى ديارنا نحن ظهر عيسى وبشر بدعوته التى كانت تحييتها هى : (السلام لكم)

وفى ديارنا نحن ظهر محمد ، وبشر بدعوته التى كانت تحييتها : « السلام عليكم » . فنحن أولى الناس بدعوة السلام ، ونحن بمكان الصدارة والأصالة حين ندعو إلى السلام ونعمل للسلام . نعم نحن بعقائدنا أصلاء ، فمن ذا الذى يزعم أننا دخلاء ؛ ونحن بعون الله فى الخير أقوىاء فمن ذا الذى يريدنا على أن نكون ضعفاء ؟ ونحن بديننا وإيماننا شرفاء أعزاء فمن ذا الذى يريدنا على أن نكون أدنياء : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

إننا نريد السلام لأنفسنا ولإخواننا وجيراننا ، ونريده للناس جميعاً ، نريده لأصدقائنا ولغير أصدقائنا ماداموا لم يستجيبين ، ولكننا لا نريد السلام الذليل المهين ، بل نريد السلام الإيجابى ، السلام الذى لا يبغي ولا يظلم ، ومع ذلك يحرس ويصون ، وإذا كنا نهتف وتقول : (نسالم من يسالمتنا ونعادي من يعاديننا) فمن الميسور لنا أن نذكرى هذا المنهاج من هدى قرآننا ، نصادق من يصادقنا ؛ لأن خالقنا يقول : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » . ونعادي من يعاديننا ؛ لأن خالقنا يقول : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ١ ...

« وقال : سلام ، ١ ... »

أحمد الشرباصى

شئ من النقد...!

للأستاذ على الماري

نتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمال
يعلق بقوله: «لم يقنع بذكر حد، حتى حده
بأربعة حدود، كأنه يريد بيع المنزل،
فيخشى إن أخل بحد أن يكون بيعه فاسداً،
أو شرطه باطلاً^(١) ١١، قال هذا بعد
أن أوسع البيتين نقداً من الناحية البيانية^(٢).

ونقد البحترى نقداً لا ذعاً مرأ في قصيدة
كان البحترى يعتز بها، ويذكر أنها أجود
شعره، وكان يسمى بعض أبياتها «عروق
الذهب»، وهو الشاعر الذي بالغ بعض
الناس في تمجيده على حد ما قال الباقلاني:
ومنهم من يدعى له الإعجاز غلوأ، ويزعم أنه
يماغى النجم في قوله علواً، والملمدة تستظهر
بشعره، وتسكثر بقوله، وترى كلامه
من شبهاتهم، وعباراته مضافة إلى ما عندهم
من ترهاتهم^(٣)،.

ونحن نسعمد إلى ثلاث قصائد لثلاثة

قد يكون من الخير لقراء مجلة الأزهر
أن تفتح لهم هذا الباب، فإن رسالة المجلة
هى خدمة الدين واللغة، والدفاع عنهما،
والمناضلة دونهما، ومن أكثر البحوث عوناً
على هذا بحوث النقد، ليس فقط النقد العلى
ولمّا للنقد الأدبى - كذلك - عظيم الأثر
فى هذا المجال. وقديماً استعان العالم الجليل
أبو بكر الباقلانى على إثبات إعجاز القرآن
بطرف من النقد الأدبى؛ فقد نقد قصيدتين
لشاعرين من كبار شعراء العربية فى قصيدتين
من أشهر قصائدهما، وأحظاها عند الأدباء.

نقد امرأ القيس أمير الشعراء فى العهد
القديم، فى معلقته الموضوعه على رأس
المعلقات العشر، وقد بالغ فى نقدها، فتناولها
بيتاً بيتاً، وأظهر ما فى كل بيت من ضعف
أو قوة، وإن كان غالب اتجاهه إلى تجريح
القصيدة حتى بلغ منه - وهو العالم الوقور -
أن عمد إلى السخرية، فنراه يعلق على قول
امرئ القيس:

قفانك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول لخومل

(١) إعجاز القرآن ص ٣٣٧. ط. دار المعارف.

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٤.

(٣) المصدر السابق ص ٣٧٣.

في الإطراء ، ونغلو في المدح ، فقد مضى الزمن الذي كان كل شاعر فيه (أشعر الشعراء) ومما يؤسف له أنه لا يزال عندنا أصحاب أمرجة حادة يسرفون في المدح إذا أحبوا ، ويسرفون في الذم إذا أبغضوا ، ولا يرجعون في ذلك - حين تراجعهم - إلا إلى أمرجتهم ، وأحكامهم التي لم تبين على أسس من نظر وتمحيص ، فليس من العدل والخدمة الحققة للأدب العربي أن يخرج شوقي - مثلاً - من دائرة الشعراء - كما حاول بعض النقاد المحدثين - كما أنه ليس من الإنصاف للحقيقة وإكبارها أن نجعل شوقياً وأمثاله آلهة الشعر ، كما يحلو لبعض الزملاء أن يقولوا - فما يزال التوسط محموداً في كل شىء ، وما يزال المدى بعيداً ، دون بلوغ درجة الكمال في بلاغة التعبير ، وسمو المعاني .

وسأبتدى بقصيدة البارودى ، وهى قصيدة قالها في منفاه ، بعد أن رأى طيف صغيرته سميرة ، فسجل هذه الرؤيا ، وتحدث عن ذلك الطيف الذى قطع إليه الفيافي والبحار واخترق حجب الظلام ، يحدوه الشوق ، ويزجره الحنين . هذا الطيف الذى لم يتلبث حتى يبيل الوالد الواله الحزين ظمأه ، بل ألم إلماماً عابراً .

ثم تسلبه هذه الحالة إلى الحديث عن الدنيا وأنها زائلة ، والمصير إلى الله ، ويرى - كما

من كبار شعراء نهضتنا الحديثة ، ونبين ما فيها من محاسن وعيوب ، ولم نقصد إلى هذه القصائد بالذات اختياراً منا ، وإنما اختارها غيرنا على أنها أجود ما لهؤلاء الشعراء ، في حين أنها جميعاً ليست أجود شعرهم ، بل ليست من أجوده ، وقد قُدرت هذه القصائد لتدرس في أعلى فرقة من الأقسام الثانوية بالأزهر على أنها نماذج رائعة من شعر هؤلاء الشعراء ، والعلماء الذين قدموها للدراسة لم يخلوا عليها بفيض من الثناء ، ولم يقصروا في التنبيه على ما فيها من روعة التصوير ، وقوة التعبير ورشاقة المعاني ، وسحر الصور البيانية وأخذها بالآلالباب . إلى آخر هذه الأوصاف الفضفاضة .

وقد رأيت أن الواجب العلمى والآدى ، يقتضىنى أن أتعرض لهذه القصائد بالنقد لئلا نخدع النشء عنها . وليس في نقدها ما يحط من مكانة هؤلاء الشعراء ، فإن لهم محاسن كثيرة في قصائد أخرى غيرها .

البارودى وشوقي وحافظ ، من كبار شعراء العربية . نهضوا بالشعر ، وبعثوه من رقده بعد أن تخلف عن الحياة زمناً طويلاً ، ولكنهم - مع ذلك - لم يسلبوا في آثارهم من قصور ، ومن قصور خطير في بعض الأحيان ، فعلياً حين ندرس آثارهم ألا نفضل مواضع المحاسن ولا جودة الصناعة ، كما علينا ألا نسرف

العز ، فإذا أخفق فلا عليه ، فبلغ نفس عذرها مثل منجح .

ثم يلتفت إلى نفسه فيراها فاضلة أمينة لم يغررها المال ، ولم تقبل الضيم ، فماذا يستطيع أعداؤه أن يتكذبوا به عليه ، وما قيمة المال حتى يحمله على التنازل عن إباته . . إن المال ليس بذي غناء إلا إذا أعطى منه القريب والصديق ، والبارودي ذو نفس طموح لا يقعد بها النعيم عن المعالي ولا يذلها الفقر ، وهو ثابت الجنان ، فصيح اللسان ، يقول والخطب مدطم ، ويصول والموت يتخطف الأبطال ، وهو نبيل النفس لا يبطره الغنى ، ولا يحزن للفقر . . فالغنى لا يستر الخسيس ، والفقر لا يفضح طاهر العرض ، والمال عند صغير النفس عيب جديد يضاف إلى معاييه ، فهو كالسيف المغلول ، حليته عيب فيه حين يحتاج صاحبه إلى الضرب به فينبو ، ويخزي صاحبه . وليس يعيب الشاعر أن تنسرك له الدنيا ، وتلق به في هذا المنفى البعيد ، فليس هو أول بطل حطم الزمان سيفه ، ولا أول سيد دارت عليه الدوائر ، فلكل صارم نبوة ، ولكل جواد كبوة .

ويتهى أخيراً إلى الأمل يراود نفسه بأن الحق سيظهر ، وأن السرائر ستبدى ما فيها من حقوق ، وهى غمرة ستنجلى ، ويسلبه هذا

يرى غيره - أن الدنيا تعقب الإحسان بالإساءة ، بل إن إحسانها وسيلة لإساءتها ، فهي تفعل بالناس كما يفعل الجزار بالبهيمة ، يسمنها ليذبحها ، فهي تغدق عليه النعم لتفنيه وكأنها موتورة من الناس ، فهي تطلب ثأرها ، وما زالت كالحرباء لها كل حين لون ، وحرى بصاحبها أن يأخذ حذره منها .

والبارودي - كما يقول - صبح الدنيا بالصبر ؛ لأنه لم يجد مندوحة عنه ، فهذا الصبر - عنده - ليس شيئاً لأنه لا يملك غيره ثم يعود فيرى أن في هذا الصبر عذراً ، فإنه فقد المعين ، وأخفق في الآمال ، وإذا أظلمت الدنيا في عينيه ، وكشر الخطب عن أنيابه لجأ إلى الله ، فإن من يلجأ إلى الله في الشدائد كان مآله إلى الخسران ، وكل من لم يصبر على حلو الحياة ومرها فهو طائش العقل .

وينقل البارودي - بعد ذلك - إلى الحديث عن الهمة والعزيمة فيقول : إن النفس الصغيرة حاجاتها قليلة ، والقلب الكبير همومه كثيرة . وما أيسر الحياة . لو كان كل ما فيها لقمعة العيش ، ولكن الماجد لا يرضى الدنيئة وإذا كان الإنسان يخشى كل شيء - من خوف الردى ، فكل شيء يلقاه يجد فيه ضرراً ، ولا غرو فإن الشر قد يأتى من الخير ، ومن صحة الإنسان ما فيه سقمه ، وعلى صاحب الهمة أن يتقحم الأمور ، ويغامر في طلب

في المال ، ثم ينتقل إلى الناسى بالأبطال ،
وللى الأمل فى ظهور الحق ، وأخيراً يلتفت
إلى يوم الحساب ، وينبه الشامتين والحاقدين
إليه .

وقد أجاد فى ضرب بعض الأمثال كقوله
عند الحديث عن المال ، وأن كثرتة لا تستر
خسة صاحبه :

إذا ما ذباب السيف لم يك ماضيا
لخليته وصم لدى الحرب ظاهر
وكقوله عند الحديث على أن الإنسان
قد يأتبه الشر بما يظن فيه الخير :

فمن صحة الإنسان ما فيه سقمه
ومن أمنه ما فاجأته المخاطر
وكقوله يؤكد ويقرب إدراكه للعلا وهو
خلو من المال : (فقد يشهد السيف الوغى
وهو خاسر) .

وفى القصيدة بعض الصور البيانية البديعة
كقوله : (والنجم بالآفق حائر) كناية عن
شدة الظلمة ، وكقوله فى التعبير عن شدة
الهلل : (وأحلام الرجال عواذب) ،
(وأفواه المنايا فواغر) . وعن شدة الغاية
اللى يمضى إليها الناس وهى يوم القيامة :

تطول بها الأنفاس بهرا وتلتوى
على فلسكة الساقين فيها المآزر
وقد كسا بعض المعانى القديمة ثوبا جديدا
جعلها تأخذ النظر - فى بادى الرأى -

إلى تنبيه الناس إلى الحقيقة الكبرى وهى أن
الجميع يهطعون إلى غاية شديدة الأهوال ،
يرى الناس فيها ألوانا من الكروب وهنالك
يعلو الحق ، ويسفل الباطل .

وعما قليل ينتهى الأمر كله
فما أول إلا ويتلوه آخر

وتمتاز القصيدة بما يمتاز به شعر البارودى
من قوة الأسلوب وصفاء الديباجة واختيار
الكلمات - فى أكثر الأبيات - وفيها أبيات
بلغت فى هذه الناحية مبلغا عظيما ، كقوله :

قؤول وأحلام الرجال عواذب
صئول وأفواه المنايا فواغر
وكقوله عن الدنيا :

لها ترة فى كل حى ومالها
- على طول ما تجنى على الخلق - واطر

وأغراض القصيدة - وإن تعددت - إلا
أنها متأخية ، فالحديث عن الطيف أسله
إلى الحديث عن الأولاد ، وأسله هذا إلى
الفراق ، ثم إلى وصف الدنيا ، ومن وصفها
انتقل إلى الصبر وإلى الأمل فى الله ، ثم
أفضى به حاله إلى أن يتحدث عن السيادة وما
يلاقيه طلابها من متاعب ، وطبعى أن يأتى
هنا الفخر بالنفس ، وبالشجاعة وبالأمانة ،
وقد وصف نفسه بأنها أبت الخيانة ولو
قبلتها لكثير مالها فيجره الحديث إلى القول

كقوله عن الدنيا :

كثيرة ألوان الوداد مليه

بأن يتوقاها القرنين المعاصر

وبعض هذا الذي قدمنا يتفق مع نظرة

البارودي إلى الشعر ، حيث يقول في مقدمة

ديوانه عن الشعر الجيد : « وخير الكلام

ما ائتلفت ألفاظه ، وائتلفت معانيه ، وكان

قريب المأخذ ، بعيد المرمى ، سليما من وصمة

التسكف ، بريئا من عسرة التعسف ، غنيا

عن مراجعة الفكرة ، فهذه صفة الشعر الجيد .

ولكن

١ - أكثر معاني القصيدة - إن لم

تسكن كل معانيها - مأخوذ مما قال الأقدمون

فليس في القصيدة ابتكار ، والأخذ لا يعد

عيبا على الإطلاق بل هو عيب عندما يقصر

الأخذ عن أخذ عنه ، وقد بالغ القاضى

الجرجاني في الدفاع عن سرقات المتنبي ؛ لأن

ضلعه كانت معه ، ففرق - أولا بين المعاني

العامة والمعاني الخاصة وهو كلام سليم . وقال :

إن الأخذ في المعاني العامة ، والمعاني الخاصة إذا

تداولت ، لا يدخل في مفهوم السرق ، وإنما

(لو سمعت قائلا يقول إن فلانا الشاعر أخذ

من فلان قوله لا مرحبا بالشيب ، وحبذا

الشباب ، وكيف لو عاد ، ويا أسنى لفراق

الآحبة ، وما لذت العيش بعدهم ، وفاضت

عيني صباة لذكركم ، لحكت بجمله ، ولم تشك

في غفلته ^(١) ثم قال : (والسرق - أيك الله -

داء قديم ، وعيب عتيق ، وما زال الشاعر

يستعين بخاطر الآخر ، ويستمد من قريحته

ويعتمد على معناه ولفظه ^(٢)) والتبس العذر

لأهل عصره والعصر الذي يليه ، واعتبرهم

أبعد عن المذمة ، لأن من تقدمنا - قال -

قد استغرق المعاني ، وسبق إليها ، وأتى على

معظمها ^(٣) . ثم قال « ولهذا السبب حظر

على نفسى ، ولا أرى لغيرى بت الحكم على

شاعر بالسرقه . إلا أنى إذا وجدت في شعره

معاني كثيرة أجدها لغيره حكمت بأن فيها

مأخوذا لا أثبتة بعينه ، ومسروقا لا يتميز

لى من غيره وإنما أقول قال فلان كذا ، وقد

سبقه إليه فلان فقال كذا . والذي دعاه إلى

ذلك أن الشاعر كما يقول - قد يتعب خاطره

وذهنه في تحصيل معنى يظنه غريبا مبتدعا ،

ثم يحده إذا تصفح الدواوين بعينه أو يجد

مثالا له .

والحق أن القاضى بالغ في الدفاع عن

صاحبه في هذا الموضع ، فإن من كان كالمتنبي

في علمه ، وحفظه لا يقال : إنه يجمل المصادر

التي أخذ منها بعض معانيه ، وهذا ما نقوله

في البارودي ، ولو أننا استبعدنا مسألة

(١) الوساطة ص ١٥٠ ط . صبيح .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٠ .

(٣) ص ١٧١ .

في التفضيل إنما هو الذوق البحت، والسليقة السليمة، بل قد يوجد من الكلام في غير المقارنة مما يبلغ في حسن اللفظ، مبلغا يأخذ بمجامع القلوب، فإن حاولت التعبير عن صفة ذلك الحسن استعصت عليك العبارة، وضاق عنها نطاق الإمكان، حتى قالوا: إن ذلك كالحسن في وجوه الملاح يعرف ولا يوصف، ألا ترى أنه قد يكون فرسان سليمان من كل عيب موجود، فيهما سائر علامات العتق والجودة والنجاة، ويكون أحدهما أفضل من الآخر بفرق لا يعلمه إلا أهل الخبرة والدربة الطويلة، وكذلك الجاريتان البارعتان في الجمال المتقاربتان في الوصف السليمتان من كل عيب، قد يفرق بينهما العالم بأمر الرقيق حتى يجعل بينهما فضلا كبيرا، فإذا قيل له أو للنخاس: أتى لك هذا التفضيل لم يقدر على عبارة توضح الفرق بينهما. وإنما يعرفه كل واحد منهما بسليقته. وكثرة دربته، وطول ملابسته، فكذلك الشعر، يتقارب البيتان الجيدان النادران فيعلم أهل العلم بصناعة الشعر أيهما أجود إن كان معناهما واحدا، أو أيهما أجود في معناه إن كان معناهما مختلفا، ذكر هذا المعنى محمد بن سلام، ودعبل بن علي الخزازي في كتابيهما^(١).

(البقية على صفحة ١٠١٥)

السرقه؛ لأنها لا تعيننا كثيرا، لكان لنا في المقارنة بين معاني البارودي ومعاني غيره من سبقوه نظر وتفضيل، وعند النظر في صنيع البارودي نجده قصر في أكثر المعاني، فثلا قوله عن الدنيا:

ومن نظر الدنيا بحكمة ناقد

درى أنها بين الأنام تقامر

سبقه في هذا المعنى أبو نواس فقال:

إذا امتحن الدنيا لييب تكشفت

له عن عدو في ثياب صديق
وبيت أبي نواس أدق وأروع، فأبو نواس جعل الدنيا مخادعة تظهر لك الود، وتخفي لك البغضاء. وهي تحكم ذلك، وتبالغ في التمويه، حتى تحتاج إلى اللبيب، وإلى امتحانه للكشف عنها، أما أن الدنيا تعطي هذا وتأخذ من ذاك فذلك أمر ظاهر لا يحتاج إلى حكمة ناقد، بل النظرة العابرة توصلنا إلى كشف هذا الخلق فيها، وقد أجاد الأول في التعبير عن هذا المعنى دون أن يتكلف ما تكلفه البارودي فقال:

وقد تعدل الدنيا فيمسى غنيها

فقيرا، ويغنى بعد بؤس فقيرها
وأحب قبل أن أسترسل في هذه الناحية أن أذكر هنا كلمة للشيخ حمزة فتح الله قال:
(متى تقاربت المعاني في بيتين أو أبيات، أو جملتين أو جمل، عسر التعبير عن علة كون هذا أجود من ذاك، وكان المعول عليه

[١] المواهب الفتيحة ص ١٢٢، والمعارف في مقدمة طبقات غول الشعراء بيسط أوسع مما أورده الشيخ حمزة فتح الله ص ٧٢٦ ط. دار المعارف.

النحويين التجديد والتقليد

للأستاذ عبد الخالق عظيمه

- ٤ -

مناقشة الدكتور أيوب :

وهذه حلقة أخرى في سلسلة التجديد في النحو وهي من صنع الدكتور عبد الرحمن أيوب ماجستير ودكتورة في الدراسات اللغوية من جامعة لندن ومدرس بكلية دار العلوم أخرج لنا كتاباً سماه دراسات نقدية في النحو العربي وقدم لهذه الدراسات الأستاذ إبراهيم مصطفى ففاخر بها وقال :
« هذا مطلع فجر واضح الإسفار يضيء نوره مناهج البحث اللغوي العربي ويشرق من ناحية كلية دار العلوم من أفق مرتقب الإشراق من جو الهداية منهج بارع جديد في البحث النحوي مكن لصاحبه ما لم يهيا لكثير غيره من الباحثين في علوم العربية ثم تكلم عن أطوار تجديد النحو فقال :

تجديد تمثل في تقريب النحو وتيسيره وتخليصه من الجدل اللفظي وأوضح عمل له عمل المرحوم حفي ناصف وزملائه وتجديد تمثل في اصطناع طرق التربية وسبل البيان والعرض وكان أوضحه عمل المرحوم الأستاذ الجارم وزميله وتجديد تمثل في تغيير مناهج

البحث النحوي وطرق رسم القواعد وكانت منه بوارق وأضحها بارقة وأحفلها بالأمل ما يقوم به الدكتور أيوب في هذا الكتاب وإني لأرى في هذا الجهد إصلاحاً يوشك أن يكون شاملاً والملح نور فجر صادق يضيء مناهج البحث اللغوي العربي .

وقد شاء للدكتور أيوب تواضعه أن يعلق على كلام الأستاذ إبراهيم مصطفى بقوله :
يجدر بي الإشارة إلى أن أول كتاب ظهر في العالم العربي في العصر الحديث لنقد نظريات النحو التقليدية هو كتاب إحياء النحو بقلم الأستاذ إبراهيم مصطفى
لقد ثار الدكتور أيوب على النحويين ثورة عارمة جامحة وفي فورة غضبه رسم لهم صورة شائنة على حد قول الشاعر :

شوها خلقتها في وجهها نمش
في عينها عمش في ساقها حمش

ولم ير لهم فضلا يذكر ولا جهداً يشكر .
والجديد في نقد الدكتور أنه يهتم النحويين بسرقة النحو اللاتيني فهذا النحو العربي الذي مضت عليه قرون وقرون ليس نحواً عربياً وفرض على العربية فرضاً قال في مقدمة كتابه :

هذا هراء فلسفي لا أكثر ولا أقل إن صح أن يوصف الهراء بأنه فلسفة .

وقال في ص ١٧٩ عيب النحاة ينحصر في خضوعهم لنظريات فلسفية ليست ذات قيمة لغوية من ناحيته .

وقصودهم عن استيفاء جوانب البحث من ناحية أخرى .

وقال في ص ١٥٢ النحويون كانوا محكومين باعتبارات فلسفية لا علاقة لها باللغة .

واعترض على تعريف النحويين للحرف بقوله ص ٩ :

لقد وقع النحاة في هذا الخطأ لأنهم كانوا في الواقع متأثرين بالفلسفة الإغريقية عن الموجودات أكثر مما كانوا يدرسون خصائص الألفاظ العربية ذاتها ثم كرر هذا الزعم على

هذه الصفحات ٢٨ - ٧٣ - ١٢٨ - ١٦٥ . وقد أشرك الدكتور نحاة الغرب مع نحاة العرب في تقليدهم لفلسفة الإغريق قال في ص ١٢٨ .

لم يكن النحاة العرب وحدهم مقلدين لفلاسفة الإغريق فعلى نفس الطريق سار النحاة من الغربيين .

كما يرى الدكتور أن النحويين لا ينظرون عند اصطناع قواعدهم إلى الواقع اللغوي ولا يعيرون النظر في استعمال العرب أدنى التفات وإنما يبنون قواعدهم على أساس من اعتبارات عقلية وهمية .

كان هم كل مؤلفي قواعد اللغة أن يفرضوا عليها النحو اللاتيني .

وأعجب من هذا وأغرب أن يزعم الدكتور أن للاستعمار الأوربي إصبعا في فرض النحو اللاتيني على العربية .

قال في المقدمة أيضا : وظل الحال على هذا حتى جاء عصر الاستعمار الأوربي لبلاد آسيا وإفريقيا وواجهه الغربيون ضرورة التعرف على لغات الشعوب التي يستعمرونها وحاول بعض المؤلفين أن يصنعوا لهذه اللغة الجديدة نحواً على نسق النحو اللاتيني .

زعم الدكتور أنه أمسك بتلابيب النحويين متلبسين بسرعة النحو اللاتيني فما أدله على هذا الانهمال الخطير ؟

لم يرتكز في دعواه المريضة إلا على هذه الكلمات قال في ص ١٠ تقسيم النحاة للكلمة متأثر بتقسيم إفلاطون وقال في ص ٩٢ تقسيم العلم إلى مرتجل ومنقول أخذه النحويون عن أرسطو الذي قال هو الآخر به .

وقال في ص ١٢٨ تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية تقسيم مشابه لتقسيم الجملة اللاتينية .

وزعم الدكتور أيضا أن النحويين أخذوا الفلسفة الإغريقية كما أخذوا النحو اللاتيني .

قال في حديثه عن التعليق والإلغاء ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

هنا تطل فلسفة إفلاطون بقرنيها .

ولإنما كان ذلك بعد بذل الجهد في الاستقصاء والاستقراء فاستطاعوا أن يضعوا الضوابط لمفردات اللغة وصيغها وأساليبها وما جاء على الكثير وما خرج عن أصله إلى غير ذلك مما ينطق بفضلهم ويتحدث عن حسن بلاغهم فهل نستكثر عليهم بعد هذا تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية والعلم إلى منقول ومرجّل ما أيسر مثل هذه التقسيمات وما أغناهم عن أن يتوجّهوا إلى النحو اللاتيني يترسمون خطاه :

رمانى بأمر كنت منه ووالدى

بريتا ومن أجل الطوى رمانى

وبين اللغات قدر مشترك من الألفاظ تحدث عنه علماء اللغات ويقول أبو الفتح في الخصائص ٣/ ٢٨٥ .

ويقال إن التنور لفظة اشترك فيها جميع اللغات من العرب وغيرهم .

فهل يعتبر الدكتور هذا الاشتراك من السرقات وتحدث كتب الأدب كثيراً عن توافق الخواطر وقوع الحافر على الحافر بين الشاعر والشاعر .

ولكن الدكتور لا يعترف بمثل هذا للنحويين .

ارتكز الدكتور في تأليف كتابه على كتابين - ابن عقيل والاشموني ولم ينظر في غيرها من كتب النحو وقد ذكر أسرار العربية

ذكر ذلك في المقدمة وكرره على هذه الصفحات ١٥٢-١٥٥-١٥٦-٢٢٤-٢٢٥ وردنا على دعاوى الدكتور أن نقول له : إن رواة اللغة ونقلها إنما التقطوها من أفواه حرشة الضباب وأكلة اليرابيع وتشدد الأصمعي فلم ينقل عن ذى الرمة لأنه طالما أكل المالح والبقل في حوانيت البقالين - الخصائص ٣ / ٢٩٥ .

هذه هي اللغة التي نظر فيها النحويون وعولوا عليها في الاستشهاد .

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب ومع هذا لم يحتج النحويون لقواعدهم بالأحاديث النبوية الشريفة لأن رجال الحديث أجازوا الرواية بالمعنى فاحتمل الحديث أن تكون بعض ألفاظه لراو لا يحتج بكلامه في اللغة .

فلهذا الاحتمال الضعيف أسقط النحويون الاحتجاج بالأحاديث النبوية ولم يحتج بالحديث إلا بعض المتأخرين كابن خروف وابن مالك خزانة الأدب للبغدادى ١ / ٥ - ٦

وقد اشتط كثير من النحويين فلحن بعض القراء وقد سجلت هذا الغلو في صحائف وسأطوى ذكرها لأنى اعتبرها بمثابة بقع سوداء في صحائف أعمالهم وما ظفر النحويون بقواعدهم عفواً صفاً ولا وافقهم رهواً سهواً

ولأبي حيان استقرارات أخرى وليس هنا موضع الحديث عنها .

كنا نود من الدكتور أن يصنع مثل ذلك في بعض مسائل كتابه ولا سيما وقد يسهل لنا الطباعة النظر في دواوين العرب والرجوع إليها .

٢ - عرض الدكتور لنقد علل الإعراب والبناء عند النحويين ثم قسم المبني والمعرّب تقسيماً جديداً بلغت الأقسام عنده قرابة ثلاثين فصلاً ولا أريد أن أعرض لتقسيماته بالنقد وأكتفي بذكر حديث طريف نسب إلى الخليل بن أحمد بن فيه قيمة التعليقات عامة ومنزلتها من النحو .

قال أبو القاسم الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٧ هـ في كتابه إيضاح علل النحو ص ٦٥ - ٦٦ .
وذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد رحمه الله سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو فقيل له أعن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك فقال :

إن العرب نطقت على بحيتيها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقامت في عقولها علله وإن لم ينقل ذلك عنها وعلت أنا بما عندي أنه علة لما علته به فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمس وإن تكن هناك علة غير ما ذكرت فالذي ذكرته محتمل أن يكون علة له

للأنباري في موضع واحد ولم يحاول أن يرجع إلى أصول علم النحو أو الأدب الجاهلي أو الإسلامي ليعرف مدى صدق هذه القواعد وإطرادها . لم يصنع شيئاً من هذا فيستدرك على النحاة وإنما وجه عنايته إلى اهتمامهم بأخذ النحو اللاتيني والفلسفة الإغريقية وبأنهم لم ينظروا إلى واقع كلام العرب .

وسأختار مسألة واحدة أوازن فيها بين موقف الدكتور أيوب وموقف غيره من النحويين .

ذكر الدكتور في كتابه أن غالبية النحويين تمنع تقديم خبر ليس عليها ، تناول الدكتور هذه القاعدة في يسهولة ولم يحشم نفسه مشقة الاحتكام إلى الأسلوب العربي .

أما أبو حيان وهو من نحاة القرن الثامن فقد وقف عند هذه القاعدة وقفة احتكم فيها إلى أساليب العرب فقرأ جملة من دواوين العرب لذلك الغرض قال أبو حيان :

وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بمعموله إلا ما دل عليه ظاهر هذه الآية (ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم) وقول الشاعر :

فيأبى فما يزداد إلا لجاجة
وكنيت أيباً في الخنا لست أقدم
البحر المحيط ٢٠٦/٥ .

قال في ص ١٥٧ - ١٥٨ أود بادی ذی بدء أن أذكر أمراً قد يبدو من الوضوح بحيث لا يحتاج للذكر ، ذلك هو عدم دقة اختيار النحاة للألفاظ حتى توحى بمعان قد لا تكون مقصودة لهم على الإطلاق وأريد بهذا لفظ حذف ، وهو يشعر أن المحذوف كان موجوداً ثم حذف بشكل مقصود بعد ذلك . وقد كان من الأدق أن يستعمل النحاة عبارة عدم ذكر المبتدأ أو الخبر بدلا من عبارة حذف المبتدأ أو الخبر .

وقال في ص ٢٤٢ - ٢٤٣ ولعل من سوء الحظ أن أطلق النحاة لفظ فاعل على الركن الاسمي للجملة الفعلية فقد أضاف ما في هذه الكلمة من دلالة قاموسية صعوبة لا لزوم لها . إن ملاحظة الدكتور هنا أقرب إلى الماحكة اللفظية منها إلى النقد العلمي ، وشتان بين الاختيارين .

٣ - في حديثه عن التعليق والإلغاء تكلم عن العلل المنطقية ، ثم قال ترى هل يحكم النحاة هذا المنطق في استنباط قواعد اللغة أم يحكمون الواقع اللغوي الذي لا يلتزم بهذا النوع من التفكير المنطقي ، إن أمثلتهم التي ذكروها في الأشموني وابن عقيل على الأقل ليست من أقوال العرب المأثورة ولا من أشعارهم . ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .
مثل الأشموني للإلغاء بهذه الشواهد :

ومثلي في ذلك مثل حكيم دخل دارا محكمة البناء عجيبية النظم والأقسام وقد صحت عنده حكمة بانها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة فكلما وقف هذا الرجل الداخل الدار على شيء منها قال إنما فعل هذا هكذا لعله كذا وكذا ولسبب كذا وكذا لعله سنحت له وخطرت بباله محتملة أن تكون علة لذلك .
جائز أن يكون الحكميم الباني للدار فعل ذلك لليلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة ، إلا أن ما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك فإن سنحت لغيري علة لما علمته من النحو هي أليق بما ذكرته بالمعلول فليات بها .

قال الزجاجي وهذا كلام مستقيم وإنصاف من الخليل رحمة الله عليه ، وينظر الاقتراح للسيوطي ٥٧ - ٥٨ .

وفي الخصائص ١/٨٧ - ٨٨ واعلم أنا - مع ما شرحناه وعنفنا به فأوضحناه من ترجيح علل النحو على علل الفقه وإلحاقها بعلل الكلام - لاندعى أنها تبلغ قدر علل المتكلمين ولا عليها براهين المهندسين .

وعاب الدكتور على النحويين أنهم لا يحسنون اختيار الألفاظ المعبرة عن اصطلاحاتهم ، وضرب مثلاً لذلك بحذف المبتدأ والخبر - والتعبير بالفاعل .

ومثل الأشموني أيضاً للتعليق بقوله تعالى .
ولقد علوا لمن اشتراه - وإن أدري
أقريب أم بعيد ما توعدون - لنعلم أى
الحزبين أحصى - ولتعلن أينا أشد عذابا -
وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ،
وإن أدري لعله فتنة لكم .

هذه هى شواهد الأشموني التى قال عنها
الدكتور أيوب : لأنها ليست من أقوال العرب
المأثورة ولا من أشعارهم وإن أراد الدكتور
شواهد أخرى للإلغاء فأذكر له :
أبا الأراجيز يابن اللؤم توعدى

وفى الأراجيز خلت اللؤم والخور
للعين المنقرى يهجو العجاج ، ابن يعيش
٨٤ / ٧ .

من رأيت المنون عرين أم من
ذا عليه أن يضام خفير
لعدى بن زيد العبادى أعالى الشجرى ٩١/١
هما سيدانا يزعمان وإنما
يسوداننا أن يسرت غنهما
للديرى - خزانة الأدب ٢ - ٤٠٣

ولستم فاعلين لإخال حتى
ينال أقاصى الخطب الوقود
لعقيل بن علفه - شرح الرضى للكافية
١ - ٢٦٠ - خزانة الأدب ٤ - ١٢
وهو من أبيات الحماسة أيضا .

أرجو وأمل أن تدنو مودتها
وما لإخال لدينا منك تنويل
والبيت لكعب بن زهير من قصيدته
المشهورة بآيات سعاد .
كذلك أدبت حتى صار من خلقى
أنى رأيت ملاك الشيمة الأدب
والبيت لبعض الفزاريين وهو من أبيات
الحماسة - خزانة الأدب ٤/٥ .

آت الموت تعلون فلا ير
هبكم من لظى الحروب اضطرام
وقد تكلم عليه العيني - خزانة الأدب
٤٠٢ / ٢ .

شجاك أظن ربيع الظاعنين
ولم تعبأ بعدذل العاذلينا
تكلم عليه العيني خزانة الأدب ١٩/٢ .
ومثل الأشموني للتعليق بهذه الشواهد .

ولقد علمت لتأتين منقئى
إن المنايا لا تطيش سهامها
والبيت من شواهد سيبويه ١/٦٠ ونسب
للبيد - خزانة الأدب ٤/١٣ .

وما كنت أدري قبل عزة ما البكا
ولا موجعات القلب حتى تولت
وهو لكثير عزة خزانة الأدب ٢/٣٧٨ .
وقد علم الأقوام لو أن حاتما
أراد ثراء المال كان له وفر

والبيت فى ديوان حاتم الطائي / ٧٢ .

لفظ مسند إليه وهو مصطلح لا يشير إلى وجود لفظ يدل على حدث كما لا يشير إلى موضع خاص في الجملة ولو حافظ النحاة على هذا الاصطلاح وتجنبوا الاصطلاحات ذات الدلالة القاموسية القوية لما ألبس عليهم الأمر كل هذا الإلباس .

يدعى الدكتور أن سيبويه لم يعبر عن الجملة الاسمية والفعلية إلا بتعبير واحد مسند ومسند إليه وكذلك علماء البلاغة فلم يعرفوا هذه المصطلحات — مبتدأ وخبراً — فعلاً وفاعلاً وهذه دعوى جريئة من الدكتور لم يرجع فيها إلى كلام سيبويه ولا إلى كلام علماء البلاغة .

ونرجع إلى كتاب سيبويه فنجد فيه ما يأتي: هذا باب الابتداء فالمبتدأ كل اسم ابتدئ لينى عليه وقال في ١ — ٢٧٩ هذا باب ما يكون فيه المبتدأ مضمراً .

وقال في قول العرب ١ — ١٤٧ من أنت زيدا قد علم أن زيدا ليس خبراً ولا مبتدأ . وقال في ١ — ٢٦ هذا باب ما تخبر فيه عن النكرة بنكرة

وقال في ١ — ١٤ هذا باب الفاعل الذى لم يتعد فعله إلى مفعول .

هذا باب الفاعل الذى يتعداه فعله إلى مفعول .

وفرق بين أن يعبر سيبويه بقوله مسند

وأما شواهد التعليق في القرآن الكريم فكثيرة جداً .

ويدعى الدكتور أن النحويين عنوا بالافعال الناسخة من جهة بيان أثرها الإعرابي فقط قال في ص ١٨٠ — ١٨١ ليس من شك في أن وظيفة الأفعال الناسخة لا تنحصر في مجرد أثرها الإعرابي ولكن لها وظيفة أخرى خاصة بدلالة التركيب الذى توجد فيه ...

وقد أشبع النحويون القول في معانى الأفعال الناسخة سواء أكانت ناقصة أم تامة وليرجع الدكتور إلى شرح الكافية للرضى في هذه الصفحات ٢ — ٢٧٠ — ٢٧١ — ٢٧٢ — ٢٧٣ — ٢٧٤ — ٢٧٥ وشرح ابن يعيش ٧ — ٩٧ — ١٠٣ .

٤ — يؤرخ الدكتور للجملة فيقول في ص ١٥٠ وقد مرت الجملة النحوية في دورين : أما المبكر منهما فلم يفرق بين نوعها الاسمي ونوعها الفعلي تفريقاً حاداً بل اعتبرها كما يعتبرها البلاغيون إسناداً مكوناً من مسند ومسند إليه وكان سيبويه إمام النحاة بمن قالوا بهذا — وأما الدور المتأخر فقد انفصلت فيه الجملة الاسمية عن الفعلية وبوبت الأحكام لكل منهما وفصلت على ما ترى بين أيدينا اليوم .

ثم قال في ص ٢٤٣ ولم يواجه النحاة الأول ولا علماء البلاغة هذه الصعوبة عندما استعملوا

كان خضوعاً لشكلية منطقية هي تختم وجود الموضوع والمحمول معاً حتى يمكن للقضية أن تكون قضية ص ١٥٨ - ١٦٥ .

ويذهب الدكتور إلى ضرورة القول بوجود نوع من الجملة العربية الإسنادية ذات الركن الواحد ص ١٥٩ .

ويرى في نيابة الجار والمجرور عن الفاعل أن الإسناد هناك فعل ذي ركن واحد ٢٦٤ . كما يرى ذلك في نحو لست بقائم ص ٥٤ . واعتقادي أن نقد الدكتور هنا نقد شكلي لا يمس الموضوع فما زلنا في حاجة إلى معرفة المواضع التي يكون الإسناد فيها ذا ركن واحد حتى نقيس عليها ونتكلم على نهجها . والنقد الموضوعي لهذه المواضع أن يستقرى دواوين العرب ليرى هل استوعب النحويون جميع الأنواع أو فاتهم شيء منها فيستدرك عليهم .

أما حديثه عن الجملة ذات الركن الواحد ، فهو كلام لا غناء فيه ، ثم إنه مسبوق في هذا بكلام الأستاذ إبراهيم مصطفى الذي قال إن النحاة لم يعرفوا الجملة الناقصة ، وقد ذكرناه فيما مضى .

٦ - يعترض الدكتور على كلام النحويين في تقديم المبتدأ والخبر فيقول في ص ١٥٧ إن ما يخشاه النحوي من التباس المبتدأ بالخبر ليس أمراً ذال بال لدى المتكلم الذي لا يشعر

ومسند إليه في مرة واحدة وبين أن يلتزم ذلك كما يدعى الدكتور .

ونرجع إلى دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني فنجد فيه حذف المبتدأ ص ١١٢ - ويتحدث عن الخبر في ص ١٣٢ فيقول : خبر هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة دونه وهو خبر المبتدأ كمنطلق في قولك زيد منطلق .

ويقول في ص ٨٣ في التقديم والتأخير - كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ والمفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك : منطلق زيد وضرب عمرا زيد .

ولو رجعنا إلى كتب أبي العباس المبرد وهو من النحويين المتقدمين لم نجد فيها إلا هذه الاصطلاحات المعروفة بمبتدأ وخبراً ، وفاعلاً وفاعلاً فقد فرق حديث الابتداء في المقتضب على هذه الصفحات : ١٢٥ ، ٢٥٠ ، ٣١٤ ، ٣١٨ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٤٠٦ ، ٤٥٤ . وفرق الحديث عن الفاعل على هذه الصفحات : ٣ ، ١٣٢ ، ١٥٩ ، ٣٢١ ، ٣٤٣ ، ٣٨٣ .

ولم يذكر مرة واحدة لفظ مسند ومسند إليه . وكذلك فصل في كتابه الكامل - رغبة الآمل ٢٠٢ / ٣ فهل يقال بعد هذا : إن المتأخرين ابتدعوا هذه الاصطلاحات ؟

٥ - عرض النحويون لمواضع حذف المبتدأ والخبر ويرى الدكتور أن ذلك إنما

البراغيث فيقول ص ١٥٢ وضع النحاة قاعدة للطائفة بين طرفي الجملة إحداهما للجملة الاسمية والثانية للجملة الفعلية فقد قالوا إنها لازمة في الأولى بين المبتدأ والخبر وبأنها ممنوعة في الثانية إذا كان الفاعل أو نائبه مثنى أو جمعا حيث يتحتم في هذه الحالة بقاء الفعل في صيغة المفرد ولم يكن النحاة في هذا التفريق محكومين بالواقع اللغوي بمقدار ما كانوا محكومين باعتبارات فلسفية لا علاقة لها باللغة .

كنا ننظر من الدكتور أن يرجع إلى الأدب العربي ويثبت أن لغة أكلهم البراغيث شائعة كثيرة ويذكر لنا شواهد لم يتعرض لها النحاة وقد عرضت لهذا في كلمته السابقة . ثم إن سيويوه تسلم عن أحكام المطابقة

في هذه الصفحات ١ / ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧

٢٣٨ فلم يأت المتأخرون بجديد . أعرب النحويون قوله تعالى : وأراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم ، بأن جعلوا أراغب مبتدا وأنت فاعل سد مسد الخبر ولم يجيزوا أن يكون مبتدأ وأراغب خبره لما يلزم على ذلك من الفصل بين الخبر ومعموله بالأجنبي وهو المبتدأ . لم يرض الدكتور هذا الإعراب وأخذ يتحدث عن عدم واقعية التفسير النحوي في ص ١٥٥ - ١٥٦ ونقول له : إن الفصل بالأجنبي بين العامل ومعموله ممنوع عند النحويين في أبواب كثيرة دل على ذلك الاستقراء .

حتى بفكرة إسناد المبتدأ للخبر أو الخبر المبتدأ ، وقد يدرك المتفلسف الفرق بين إسناد الأخوة لزيد في المثال . زيد أخوك ، وتبين إسناد زيد لأخوك في المثال أخوك زيد ولكنني أشك في إدراك المتكلم أو عنايته على الأقل بمثل هذا الفرق . هذا مثال آخر لانشغال النحوى بقاعدته ومدى حساسيته بها وهي حساسية بالغ فيها حتى أهمل تقدير الجوانب الواقعية في الاستعمالات اللغوية .

وردنا على الدكتور أن نقول له إن العربي قد راعى هذا الأمر فالزم تقديم المبتدأ على الخبر إن خاف اللبس بأن صلح كل منهما أن يكون مبتدأ أو خبراً قال زياد الأعمى .

قُبيلة خيرها شرها

وأصدقها الكاذب الآثم

الأغانى ١٥ / ٣٩٣ طبع دار الكتب
فقدم المبتدأ ولو قدم الخبر هنا لاختلف المعنى ولما قامت قرينة تميز المبتدأ من الخبر قدم حسان الخبر في قوله :

قبيلة الأم الأحياء أكرمها

وأغدر الناس بالجيران وأفيها

ديوان حسان / ٣٥٢

وبيت حسان نظير شاهد النحويين :

بنونا بنو أبنائنا وبنائنا

بنوهن أبناء الرجال الأباعد

٧ - يتحدث الدكتور عن لغة أكلهم

معين فلكمة أنا وأنت مثلاً تصلح لى ولك
ولأخى ولأبى ولأبى بل وللدلالة على ملايين
من المتكلمين .

إذا قلت يا دكتور أنا مجدد النحو فأنا هنا
لا تطلق على غيرك ولا يراد بها أحد سواك .
١٠ - يقول الدكتور عن لات ص ١٨٧ .

وعندنا أن لات مكونة من لا واسم
الإشارة تى الذى يختص بالمؤنث وهذا
أمر تاريخى تطور إلى الكلمة لات ...
ولات بوصفها الحال لا تزال تتضمن معنى
اسم الإشارة المؤنث ولهذا يشترط فيها عدم
ذكر اسمها لأن هذا الاسم فى الواقع هو
مدلول جزء الكلمة الذى كان فى الأصل اسم
إشارة لمؤنث وهو التاء وذلك مثل ولات
حين مناص .

وهذا التطور التاريخى لا دليل عليه
يا دكتور إنما يعتمد على الحدس والتخمين
ويعجبنى فى مثل هذا رد أبى على الفارسي على
الفراء فى دعوى بمائلة بقوله : هذا لا يعرف
الإبوحى أو خبر نبي خزنة الأدب ٣ - ١٧٩ .
وقول الرضى أيضاً فى شرح الكافية ٢ - ٣٧
كل ذا قريب من دعوى علم الغيب .

ثم إن الكثير فى لات أن يذكر معها
الحسب وقد يذكر معها الاسم وقرئ فى
قوله تعالى : ولات حين مناص ، برفع حين .
ويرى الدكتور أنه لا مانع من أن يرفع

وينظر المقتضب ٣١٥ - ٣٨٣ - ٤٠١ -
الخصائص ٣ / ٢٥٥ - ٢٥٦ أمالى الشجرى
١ / ١٤٠ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ معنى اللبيب
٢ / ١٢١ البحر المحيط ١ / ٢٧٤ .

فإذا أراد الدكتور أن ينقض هذه القاعدة
فعليه أن يأتينا بشواهد من كلام العرب .

٨ - يتحدث الدكتور عن استتار الضمير
فيقول فى ص ٧٦ - ١٥٨ : إنما قالوا بذلك
خضوعاً للقضية الفلسفية .

ولقد كفانا الدكتور مثونة الرد عليه
فقد قال هو باستتار الضمير فى موضعين من
كتابه ونسى ما ذكره هنا قال فى ص ١٠٦
يجب أن تشتمل جملة الصلة على ضمير يعود
على الموصول ويسمى بالعائد ولا بد أن
يتفق مع الموصول فى الجنس والعدد جاء الذى
قام - جاء التى قامت وقال فى ص ١٣٨ - ١٤١ :
لا بد أن تحتوى جملة الخبر على ضمير يعود على
المبتدأ ويسمى بالرابط .

٩ - تشكك الدكتور فى تعريف الضمير
واسم الإشارة فقال فى ص ١١٧ ولا بد لنا أن
نسلم بأن التنكير بمعنى عدم تعيين الكلمة
لمدلول معين بالذات جزء من معنى كل الكلمة
مهما كانت درجتها من التعريف وذلك لأن
كل كلمة تصلح لأن تطلق على أكثر من ذات
واحدة وضمير المتكلم والمخاطب وأسماء
الإشارة وهى من أعرف المعارف لا تدل على

الدولة علينا من مال وما حصلنا من خبرة .
وكم كنا نود نحن أيضاً أن تكون بحوث
الدكتور مرتكزة على سعة الاطلاع والنظرة
الفاحصة في أصول كتب النحو وليست
قائمة على الحدس والتخمين والنظرة الحاطفة
في ابن عقيل والأشعوني .

وهذا النحو الذي يحقر شأنه الدكتور
يزدرية قد نوه بشأنه وأعلى مكانته كبار
المستشرقين . والعجيب أن الدكتور يساهم
بأن تهيأت له فرصة الاتصال ببعضهم
وسأقتصر على كلام اثنين من المستشرقين .
قال دي بور المستشرق الهولندي في كتابه
تاريخ الفلسفة في الإسلام ترجمة الدكتور
أبي ريدة ص ٤٠ :

علم النحو أثر رائع من آثار العقل العربي
بما له من دقة في الملاحظة ومن نشاط في جمع
ما تفرق وهو أثر يرغم الناظر فيه على التقدير
له ويحق للعرب أن يفخروا به . وقال المستشرق
الألماني يوهان فك في كتابه العربية ترجمة
الدكتور عبد الحلیم النجار ص ٢ :

ولقد تكفلت للقواعد التي وضعها نحاة
العرب في جهد لا يعرف الكلل وتوضحية
جديرة بالإعجاب يعرض اللغة الفصحى
وتصويرها في جميع مظاهرها من ناحية
الأصوات والصيغ وتركيب الجمل ومعاني
المفردات على صورة محيطية شاملة حتى بلغت
كتب القواعد الأساسية عندهم مستوى
من السكال لا يسمح بزيادة لمستزيد .

الفعل لفظين يدلان على الفاعل فتكون الألف
والتاء في نحو ضربت فاعلين وتكون تاء التأنيث
في نحو ضربت فاعلة و فاعلة فاعلا أيضاً .
ويرى أنه لو جعلنا الألف في ضربت فاعلة وتاء
التأنيث والتأنيث في ضربت حرفين لوجب أن
نجعل الضمائر كلها حروفاً . ٧٥ - ٧٦ .
ولعل بما يطيب خاطر المشتغلين بالدراسات
النحوية أن الدكتور أيوب لم يقصر طعنه على النحو
العربي وإنما تناول الثقافة العربية كلها بالطعن .
قال في مقدمة كتابه : فالنحو العربي شأنه
في ذلك شأن ثقافتنا التقليدية في عمومها
يقوم على نوع من التفكير الجزئي الذي يعني
بالمثال قبل أن يعني بالنظرية .

ولست أدري ماذا يقصد الدكتور
بالتفكير الجزئي هل يريد أن يحدد دعوة
رينان الفرنسي في طعنه العقلية السامية
بأنها عقلية مفرقة تتناول الجزئيات ولا تصل
إلى الكليات - أم ذا يريد ؟

ويباهي الدكتور ببحوثه وباتصاله بقيادة
الفكر الغربي فيقول في مقدمته : وكم كنت
أود لو أنصف القائمون على شئون الجامعات
في بلادنا فأولوا الأبحاث الجديدة بعض
ما يولون جداول الدروس من أهمية وكم
كنت أود وقد تهيأت لي ولعدد من زملائي
فرصة الاتصال الطويل ببعض قادة الفكر
اللغوي المحدثين أن تمكن لنا شكلية المناهج
والنظم الجامعية من إنتاج يتفق مع ما أنفقته

ولسنا - والحمد لله - متعصبين لنوع معين من القواعد وقد قلت في كلمة سابقة : إن النحويين ليسوا معصومين وأن باب الاجتهاد في النحو ما زال مفتوحا على مصراعيه ونقلت نصوصا صريحة من القرن الرابع والثامن في ذلك وإنني أعجب من أن يتحدث الأ- تاذ إبراهيم مصطفى في تقديمه كتاب الدكتور أيوب عن سد باب الاجتهاد في النحو وما قال بذلك أحد وما وقفنا عليه فيما بين أيدينا من كتب النحو .

والاجتهاد الذي ندعو إليه ونحضر عليه لا تمنى له سوى أن يكون ثمرة دراسات واسعة وقراءات في أصول كتب النحو وتبعية لأساليب العرب . محمد عبد الحاق عيسى

قواعد النحو هي سبيلنا الوحيد لضبط كلام العرب والتحدث بالعربية وإننا - مع شدة حاجتنا إليها - على استعداد لأن نتخلى عنها ونقتاسها إذا استطاع دعاة التجديد أن يبتدعوا لنا قواعد أيسر منها تغني غناءها وتسد مكافها .

أما أن يكون منتهى ما يصل إليه التجديد استبدال اصطلاح خفي بآخر جلي فذلك مالا نقبله منهم وليس بين اصطلاحات النحو ما هو أصرح وأوضح من المبتدأ والخبر والفعل والفاعل ولكن السادة المجددين لا يبصرون ذلك .

وفي تعب من يحمى الشمس ضوءها ويجهد أن يأتي لها بضرب

(بقية المنشور على ص ١٠٠٣)

بعض رسائله ما معناه : إنه قلبا يوجد كاتب أو شاعر أو مؤلف أو مصنف يقرأ اليوم ما كتبه أمس إلا ويقول : ليت كذا كان كذا . إلخ . والكمال لله تعالى وحده ولمن كلمهم من خليقته ، فليكن ذلك منك على ذكر . .

قلت . والأمر قريب من قريب ، والذي نستطيعه في مثل هذا الموقف أن نتجرد عن الهوى ، وأن نطيل إمعان النظر ، وأن نهتدي بآراء من سبقونا في هذا الشأن . والتوفيق من الله . (للحديث بقايا)

على العماد

وقد نقل صاحب العمدة العبارات بنصها عن ابن سلام الجمي (٢) .

ثم قال الشيخ حمزة ، في موضع آخر ، و بعد : فلسنا نحجر على معن في المعاني أو نقاد للبيان إمكان التماس ما يدفع ما قلناه ، أو العثور على محاسن للفضول تربي على محاسن الفاضل ، فيصير المفضول فاضلا ، وبالعكس ، لأن هذا مجال واسع ، وإنما المراد هداية الطلبة إلى كيفية سلوك هذه الفجاج ويرحم الله عبد الرحيم الفاضل ، إذ قال في

النفقة وصلتها بقانون الوضع الجديد

للأستاذ عباس طه

بقية المنشور في العدد الماضي

أن للقاضي في هذه الحالة أن يقدر الملابس المحيطة بتلك الحالة الواقعة ، فإذا تعذر استدانة الأم على العقار أو العروش وتحققت حالة استثنائية وهي خشية تعرض الأولاد للجوع والفاقة ، جاز أن يبيع العقار وأن تباع تلك العروش بالقدر الذي يدفع عن الأولاد غائلة الخمصة ، والضرورة تقدر بقدرها ، بدليل أن الفقهاء أجازوا في بعض الحالات للولد الذي لم يبلغ حد الكسب أن ينفق من مال أبيه الغائب إذا كان هذا المال من جنس النفقة على قدر كفايته من غير رجوع في ذلك إلى قضاء القاضي .

وتبدو رحمة الشارع الحكيم مقرونة بالعدل الشامل في حالات كثيرة من أبواب النفقة كحالة ما إذا كان الولد الفقير معسرا وله أب غني ، فقد أوجب نفقة زوجته على أبيه الموسر إذا ضمنها في العقد ، وأرجعها عليه إطلاقا على أن يرجع بها على ولده إذا أيسر ، لأنها تكون دينا في ذمته لا تبرأ منها إلا إذا أداها بعد يساره فإن بلغ حد الاكتساب فإن كان ذكرا جاز للأب أن يؤجره على ما يحتمل ممارسته من الأعمال ، أو يدفعه إلى حرفة ليكتسب بها . وذاك ينفق منها أبوه عليه ، وما بقي من كسبه يحفظه أبوه

فلو كان للولد جد لأب وأخ شقيق فنفقته على الجد ، ولو كان له جد لأم وعم فنفقته على الجد لأم . فإن كان كل من الأصول والخواشي وارثا يعتبر الإرث وتجب عليهم النفقة على قدر أنصبتهم في الإرث ، فلو كان للصغير أم وأخ عصبي أو أم وابن أخ كذلك أو أم وعم كذلك فنفقته عليهما أثلاثا : الأم الثلث وعلى المصبة الثلثان .

فإن غاب الأب وله أولاد من يجب نفقتهم عليه وله مال عندهم من جنس النفقة جاز للقاضي أن يأمر بالإتفاق منه عليهم ، وكذلك الحال إذا كان للغائب مال مودع عند أحد أو في بعض المصارف المالية أو كان له دين من جنس النفقة وأقر المودع عنده أو المدين بالمال أو لم يقر وقرائن المشاهدات قائمة على وجود تلك الوديعة عند المودع وبالدين عند المدين بواسطة صكوك ومستندات تثبت ذلك .

أما إذا كان مال الغائب ليس نقودا من جنس ما يحكم به بأن كان عقارا أو عروضاً فلا يباع منه شيء بالنفقة ، بل تؤمر الأم بالاستدانة عليه الأولاد ، لكن حقق صاحب ملتقى الأبحر وصاحب كتاب أنفع الوسائل

وليه يتفرع حال آخر وهو ما إذا قضى القاضى للزوجة على زوجها أو للحاضنة على أب الصغير أو أحد قرابته الواجب عليه نفقته فهى فى حكم نفقة الزوجة فى عدم سقوطها بمضى شهر فأكثر من تاريخ الفرض حتى ولو فرضت بصغير استدانة من القاضى، وعليه عمل كثير من المحاكم الآن ، وهو الأرفق بمصالح المتقاضين وأمن مجاهاتهم المتجددة بخلاف سائر المحارم. فإن فرض القاضى تلك النفقة للصغير على أبيه ومضت مدة دون أن تقتضيا الأم من الأب حتى مات فإن كانت مستدانة بأمر القاضى كان للأم الرجوع بها فى تركه أبيه كما يرجع بها عليه لو كان حيا ، فإن لم يقض القاضى باستدانة هذه النفقة وكان فى ذمة والد الصغير متجمدا حتى مات ، سقط هذا المتجمد ولم يجز للأم أن تطالب به ورثة الميت . فلما تطور التشريع فى الأحوال الشخصية وروعى قدر الإمكان ما يجب للأسرة من حرمة ، عنى المشترعون بإيجاد ضوابط كانت أوسع نطاقا ، وأكثر تيسيرا وأفضل تحريا لصالح الأسر وحيطة الأحوال الشخصية بسياس قوى يكفل لها الخير فى أوسع حدوده ويدرا الشر فى أضيق صوره .

عباس طه

المحامى

ليس له بعد بلوغه . وإن لم يف كسب الغلام بمرافقة الضرورية كان على أبيه المؤسر لإتمام كفايته منها . وإذا استغنت الأنثى كذلك بكسبها من الحياكة أو الغزل مثلا أو نحوهما فنفقتهما فى كسبها إن وفى بحاجتها ، وإن قصر كسبها عن شئونها الضرورية فعلى أبيها لإتمامها . وإن شكت الأم امتناع الأب عن الإنفاق أو التقير على ولدها منه جاز للقاضى أن يفرض النفقة ويأمر بإعطاء الصغير لأمه لتنفق عليه حتى إذا تحققت خيانتها فى الإنفاق عليه تحرى القاضى أمثل الطرق فى إيصال النفقة إلى الولد . وهنا يرى بعض الفقهاء أن تسلم النفقة إلى الأم وجبة بعد أخرى من وجبات اليوم ، أو تسلم لها النفقة على دفعتين فى اليوم ، واحدة فى الصباح وأخرى فى المساء . لكن ما عليه عمل المحاكم اليوم هو غير ذلك كما هو مشاهد ، لأن فى عمل المحاكم تيسيرا أعم على الناس وترقيها لهم أخلق بالمصلحة من هذا رأى ، فإن وقع الصلح بين الأم وزوجها على الأولاد فيما يتعلق بالإنفاق عليهم أو صالحت الحاضنة أبا الصغير عليه لذلك ، وقع الصلح صحيحا فى حالة واحدة وهى ما إذا كان المصطلح عليه قائما بكفاية الأولاد ، أما إذا كانت غير داخلية فى تقدير أسقطها القاضى من حساب الصلح وفرضها بالقدر الملائم ، وإن كان القدر المصالح عليه أقل من نفقة الكفاية زادها القاضى إلى ذلك القدر الذى يكفيهم .

مَحْنَةُ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

في الطريق إلى الله:

شَاطِيءُ التَّوْبَةِ

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

وها الليالي خفايا	أو نوحٌ شكلي أهاجتُ	كقنارةٍ للخطايا	وشاطيٌ في يديه
الإثم فيه بقايا	أو وخزةٌ من ضمير	بأدمي وشقايا	ذهبتُ يوماً إليه
تلمعتُ منه الرزايا	أو صرخةٌ من يتيم	دفنتُها في حشايا	وبالمعاصي اللواتي
حملتُ هول المنايا	كحشيتها .. وكأني	صحبها في سرايا	وبالذنوب اللواتي
إلى المتاب خطايا	وجئتُ ندمان أُنجمي	تَبَتَّلِي وهدايا	ورحتُ ألقى لديها
وضلّ خلفي ورايا	حيرانٌ ضلّ أُمّامي	تناكشتُ المنايا	فصرتُ قبرا غريبا
أرضي له وسمايا	وضلّ أفقِي. وضجّت	منهضرات صبايا	زفوا عليه غصونا
دمعي، ويبكي بُكايَا	أبكي، وتبكي، ويبكي	لقد خنتُ من غنايا	وحملوه طيوراً
مُولول من أسايا	وفي يدي غناء	تعظم بعض الخطايا	وصرتُ بعض صلاة
غرقته من دمايا	وحفنةٌ من دعاء	تمشى الذنوب عرايا	وتوبةٌ في خطايا
مُزْمِرٌ في دُجايا	مُغمغمٌ في صباحي	الإثم صارت مطايا	كانها من خفايا
سَجِيئة في الخفايا	كأنه صوتُ رؤيا	أضحتُ لديه مرايا	أو أنها من ربايا
في الليل ينفخُ نايا	أو حزنٌ طير غريب	جريحته تنمايا	ذهبتُ يوماً ونفسي
صداء نفس الرزايا	أو مُستجيرٌ تلمي	مدمدمٌ في الحنايا	وللمعاصي عوايا
يرد صوتُ البلايا	أو مستغيثٌ عليه	تغافلته العشايا	كأنه صوت ذئب
دعاؤه من دعايا	أو ضارِعٌ في زوال	من الهجير شظايا	أوفح أفعى شوتها

خواطـر عافـر

للشاعر محمد أحمد العزب

ورأيت في عينيه أشواق . وأشواكي وجدني
وصراخ أيامي المهيض يهز آفاقي ودرني

قلبي الذي أودى به الحرمان مشدود إليه
وخريف أحضاني المبعثر في الثرى باك عليه
ويدأى باحثان في ليل الشرود على يديه
لو كان لي . . لأرقت أيامي ضراعات لديه

لكنني أصحو . وأغفو . وهو ما زال ظنونا
أتراه يسرف في الدلال لكي أزيد به جنونا
إني أحبك يا صغيري خاطرا ، حلوا ، حنونا
أفلا أحبك ملء أحضاني تناغيني اللحنونا

بهواك . لو أقبلت رفاف العواطف والشعور
تنساب في بساتنك العذراء أسرار العصور
لنثرت فوق دروبك البيضاء آلاف الزهور
ومهدت من قلبي لو ثبك ملعباً ضاحي البكور

أم ياترى أنى أنا غم فيك وهما ضائعا ؟
وأعيش منك على ربي الأحلام حلما دامعا
يعوى الفراخ بقلبي الذأوى رهيبا جائعا
وأنا هنا ... قبس يغالب في الدجون زعازعا

جن المساء ، ولم أزل حيرى على الدرب البعيد
أتلس الدفء الحنون يشع من عيني ولید
وأكد أتهب الخطى للفجر . . للأمل الشهيد
لكنني أبدأ أعود وفي يديّ صدى النشيد

جن المساء . ولم يزل مهد الصغير . بلا صغير
لا شيء غير حطام أمنية هناك على السرير !!
وضباب أشواق ممزقة الأغاني والمبير
وطيوف آمال مبعثرة على العهد الوثير

عينان ترتعشان في الأفق المنعم بالنجوم
وأنا أصبح إلى بكاء صغير جارقتا النجوم !!
وأحس لذع النار في قلبي . . وولولة الغيوم
فأصم سمى دونه وأضيع في حلك الهموم

أبدأ يحوم خلف أستار النوافذ خاطري
منتقلا بين المهود البيض مثل الطائر
فيضمها بجناحه الرفاف ضمة عابر
ويعود تحتقق اللهاة بدمعه المتناثر

وأنا مخجلة العواطف أرهف الحرمان حبي
إن لاح لي طفل ظمئت إلى ابتسامته بقلبي

هذى أنا .. صوت تحطم في حواشيه الصدى
وسراب دنيا من خيالات تلتفتها الردى
وحطام سوسنة تلاشى العطر فيها والندى
ودموع ليل أطفأت فيه الدياجى فرقدا
أعيش عمرى فى ضباب الوهم بلهاء الرجاء ؟
كالطيف لاغدلى . ولا ماضٍ أخلّفه وراء ؟
يا للجراحات التى تتمصّ أعماق الظلم !
وتلفّنى فى ليل آلام جريح الكبرياء !
العشب فى صدر الحقل طفولة متناغية
والزهرة الغيداء بنت الدوحة المتهادية

محمد أحمد العرب
كلية اللغة

« بقية شاطىء التوبة »

يقول يا رب هذا	لأمنى وهذا بقايا	ولا لغيرك .. درى	يا رب يوماً ندايا
وذاك كدربى وهذى	على الطريق عصايا	إليك أنت صباحى	مصفدٌ ومسايا
ماكنت أعمى .. ولكن	أعمى المغنى شجايا	عبدان فى الذلّ تاهوا	ونهنها بالخطايا
حقّ الدفوف .. فطارت	أرضى له وسمايا	فاسكب ضياءك لى	ظلمان ضلّ صدايا
وطرت عبداً ، أناذى	فى سحره مشتهايا	لم أدر .. من أى نبشع	أسقى الأسى من أسايا
ربما عفوك .. لى	للنور مدّت يدايا	والشطّ .. لا ماء فيه	يطنى اللفظ فى كشايا
بسطت للنور قلبى	وجئت ألقى هوايا	رُحماك .. يارب لى	وزورنى والخطايا
وأشتكى طىّ صدرى	درباً سحيق الطرايا	فى لجّة .. ليس فيها	من الضياء بقايا
به بدأت ... ولكن	لم أدر ما متهايا	جفت وغاضت ولكن	ما زال فيها رجايا
لم أدر بأسى فيه	ولا عرفت رجايا	غفرت أم لم .. فإنى	مازلت أدهوك يا (١)
ولا عرفت مذنوبى	ولا عرفت هدايا		
ولا عرفت ظلامى	ولا عرفت مضايا		

محمد صمد إسماعيل

(١) يارب - يارب .

مَا يُقَالُ عَنِ الْإِسْلَامِ

الشرق الأدنى الإسلامي

للأستاذ عباس محمود العقاد

ومن بحوث هذه المجموعة بحث تكلم فيه الدكتور فيضى عن جوهر التعاليم الإسلامية كما بسطها الشاعر الفيلسوف محمد إقبال والوزير العالم أبو الكلام آزاد ، وخلاصة هذا البحث أن رسالة محمد إقبال تقوم على إحياء سنن الإسلام ، الفعال ، واجتناب الصوفية ، السلبية ، التى شاعت بين المسلمين فى عصور التخلف والجمود ، وأن حكمة الإسلام جميعاً تتلخص فى الفاتحة كما فسرهما أبو الكلام آزاد . لأنها خلاصة الإيمان بالربوبية والهداية والأدب القويم والتبعية التى ينادى بها الثواب والعقاب فى يوم الدين وبحث آخر من بحوث المجموعة يعرض للدعوة الغربية فى الأمة التركية ويشرح الفرق بين المنظرين فى حركة الاستغراب ، وبين القائلين باقتباس الحضارة الغربية مع الفرق والاعتدال ، ويكاد الباحث أن يرد هذا الفرق إلى مدلول كلمة « ملة » عند الحزبين فإنها تشمل معنى الدين عند المتحفظين فى اقتباس الحضارة الغربية ولا تفيد غير معنى

أشرفت على تنسيق هذا الكتاب وتوزيع موضوعاته جامعة «تورتو» بكندا . وأصدرته ملحقاً لمجلتها الربعية ، أى التى تصدر أربع مرات فى السنة ، وعهدت فى كتابته إلى ثمانية من علماء الإسلاميات يحاضرون طلبة الجامعات فى مسائل الشرق الإسلامية ، ومنهم سير هاملتون جب المستشرق المعروف وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والأستاذ فيضى الذى كان سفيراً للهند بالقاهرة ووكيلاً لجامعة جامو وكشمير ، والأستاذ مانجو رئيس القسم التركى بدار الإذاعة البريطانية ، والأستاذ بكنجهام عميد الدراسات الإسلامية بجامعة مانشستر ، والأستاذ نيازى بركيز عضو معهد الدراسات الإسلامية بجامعة مايجيل ، والأستاذ سافورى الذى يحاضر طلاب جامعة لندن باللغة الفارسية فى الشؤون الإفريقية والشرقية . والأستاذ ويكيز مؤلف كتاب (ابن سينا العالم والفيلسوف) والأستاذ كاشا بجامعة أدنبره .

الغربيين يعتبرون هذه الحالة حالة فراغ ينتظر الامتلاء Vacuum كأنهم يحسبون أن خروج دولة من أحد الأقطار الشرقية يتبعه دخول دولة أخرى أو يظل ذلك القطر « فارغا ، لا يستطيع أبناؤه أن يملشوه بنظام يعوضه من النظام الأوربي المفقود .

وعما يدعو الساسة الغربيين إلى هذا التفكير شيوع الاعتقاد بين مراقبي الأحوال في البلاد الشرقية بانقضاء العهد الذي كان الإسلام فيه « قوة فعالة ، في تكوين النظم الاجتماعية والسياسية ، باعتباره « قسطاسا ، مرجعا من الشعائر المعمول بها والفرائض المتبعة والعادات السارية في شؤون المعيشة اليومية .

يقول السير هاملتون : إن هذا التفكير لا يطابق الواقع ؛ لأن المسلم هو المسلم في رأى نفسه وليس هو المسلم على صبغة يصبغه بها الأجانب عنه حسبا يتصورونه من شعائره وفرائضه وعاداته ، ولا يصح أن نفهم أن المسلمين ابتعدوا عن حظيرة الإسلام وهم أنفسهم يشعرون بأنهم مسلمون يغارون على العقيدة الإسلامية ويريدون البقاء في حظيرة هذه العقيدة .

يقول : وليس بين البلاد الإسلامية بلد أعلن عن رغبته الصريحة في الاستغراب أو « التغرب ، باستثناء البلاد التركية ، ولكن البلاد التركية أيضا لاتعلن هذه الرغبة

الوطن أو الأمة عند أنصار « التغرب ، المطلق من قيود التحفظ والاعتدال .

وبلى ذلك بحثان عن الأدب التركي الحديث ولا سيما أدب القصة ، وعن الأدب الفارسي الحديث ولا سيما أدب الشعر ، ويقترن به بحث آخر عن البلاد الفارسية عامة منذ إعلان الدستور وقيام الحكومة النيابية .

وقد خصصت مجلة الجامعة بحثاً من هذه البحوث للأدب العربي الحديث ، انتهى كاتبه إلى المسائل الدينية التي توفر عليها بعض الأدباء المحدثين ، فكان من رأيه أنها تقل على تجديد الثقة بالنفس بين كتاب العرب المسلمين ، وليست لها صبغة الشعائر والعبادات .

أما البحث الشامل للوجهة العامة بين أطراف الشرق العربي الإسلامى من جميع نواحيه فهو الموضوع الذى قدمت به المجموعة وعهد به إلى السير هاملتون جب فوفاه حقه من الدراسة العلمية مع التزام الحيدة الواجبة فى المسائل السياسية ، وتنجلي هذه الحيدة من تعليق الكاتب على آراء الساسة الغربيين ومجلة المفكرين الاجتماعيين التى يصورون بها « حالة ، للشرق الإلامى بعد استقلال شعوبه عن سيطرة الدول الغربية ثم يبنون عليها تقديرهم لمصير هذا الشرق كما يتصورونه أو يتمثلونه .

فالسير هاملتون جب يرى أن الساسة

به أن يؤسسه على قواعد النظم الأوربية الحديثة ، ويتميز هذا المجتمع الجديد بظهور قوة اجتماعية غير قوة السادة حكام القرن الثامن عشر وغير قوة خلفائهم الذين حاولوا أن ينقلوا إلى الشرق نظم الغرب وأنماطه الحكومية .

هذه القوة الجديدة لا تنزع إلى التخلص من ديانتها كما تفهمها وتشعر بها على الرغم من ظنون الأجانب الذين يقيسون غير المسلم بمقياس الشعائر و « الطقوس » المرعية ، فإذا استدعى العصر الحاضر تغييرا في مبادئ المجتمع فإنما هو التغيير الضروري الذي تفرضه طبيعة العصر ويؤدي إليه اشتراك خبراء الصناعة والاقتصاد ، والتعاون بين هؤلاء الخبراء وبين المستنيرين الكفاة لتوجيه الأعمال والاضطلاع بمطالب الحياة الحديثة ، ويختتم السير هاملتون جب بحثه الموجز بهذه العبارة التي نترجمها بحرفها :

قال : « إنني لا أرى أية علامة في الشرق الأوسط على احتمال قريب لقيام دولة شيوعية ... أو قيام دولة ديمقراطية من طراز أية دولة غربية ، ولا بد لكل هيئة من هيئات الحكم في العالم العربي يراد لها الاستقرار المعقول أن تجمع بين إرضاء الشعور العربي والشعور الإسلامي في وقت واحد ، .

عباس محمود العقاد

اليوم بتلك الثقة التي أعربت عنها منذ عشرين سنة ، وفيما عدا هذا الاستثناء الضعيف يغلب على أبناء العصر من المسلمين الذين ينقمون على مساوىء العصر الحاضر أن يحملوا الغرب أوزار هذه المساوىء ولا يعلقوا آمالهم في الإصلاح بمشابهة الغرب والاقتداء بأعمه في جملة أحواله .

وقد تابع الكاتب مراحل التطور منذ مائة وخمسين سنة فقال إن الأمم الإسلامية - منذ ثلاثة أجيال - مرت بمرحلتين قبل المرحلة الأخيرة ، وهى المرحلة الحاضرة .

فالصدمة الأولى زعزعت دعائم التقاليد الغالبة فانقضت المرحلة الأولى بانقضائها وخلفتها مرحلة النظم الغربية المستعارة ، إلى أن ظهر فشلها فانقضت هى أيضا بانقضاء عهد الأموال الأجنبية .

واليوم يعود الشرق الإسلامى إلى موارده و يقيم مجتمعاته على أسس الاقتصاد الحكومية أو على الأسس التى تنبجج المشروعات الشعبية فى إقامتها وتدعيمها ، ولا غنى عن خبرة الصناعة والإدارة ومعونة المثقفين والمستنيرين لتوطيد المشروعات الشعبية .

فالمجتمع الجديد مجتمع غير المجتمع الذى استقر زمنا في أيدي حكام القرن الثامن عشر ، وغير المجتمع الذى استقر زمنا بمعونة رأس المال ، من الخارج وحاول القاثمون

الكتاب

نقد وتعرّف

بقلم — محمد عبد الله السمان

١ — منهج التربية في القرآن :

للاستاذ محمد شديد .

نشرت هذا الكتاب في حوالي ٣٧٠ صفحة
مكتبة الآداب بالقاهرة ، وقد جعله المؤلف
في حوالي عشرة أبواب تناولت في إطناب :
الرعيّل الأول الذي تربى في المدرسة الأولى
في دار الأرقم ، هذه المدرسة التي خرجت قلة
من الناس ، أسس بها رسول الله فيما بعد
خير أمة أخرجت للناس ، أنشأت حضارة
وإنسانية .

وفي الباب الثاني : تحدث عن منهج الفطرة
فالنفس البشرية حصن أحكم أقفاله ، ولغز
معقد حير الفلاسفة ، وعمل القرآن الأول ،
هو رد هذه النفس البشرية إلى فطرتها السليمة
وتحريرها مما علق بها من أوضار الوراثة
والبيئة .

وفي الباب الثالث : تحدث المؤلف عن منهج
المعرفة والعلم فالمنهج القرآني في التربية يقوم
على الإيمان بحقيقة الوحدة في الكون ،

وحدة الإله المعبود ، ووحدة النظم والنواميس
التي تشمل كل مافي الكون ، ثم وحدة القوة ،
والأمم والمنشأ والمصير ، هذه الوحدة الشاملة
هي أساس العقيدة في القرآن .

ثم تحدث عن منهج الفكر ، فالقرآن كان
فتحاً جديداً في تاريخ الفكر : حرر العقل ،
وأعلن الثورة على التقاليد والأهواء
ورجال الدين .

وتحدث المؤلف عن منهج العبادة ، فمدلول
العبادة في القرآن شامل لا يقتصر على الفرائض
لأن الحياة في منهجه وحدة ، كل ما فيها لله ،
لا يفصل بين طريق الدنيا ، وطريق الآخرة .
ثم تحدث عن منهج الدعوة والداعية ،
والدعوة هي الإسلام - والداعية هو رسول
الله صلوات الله عليه ، وكيف استطاع الداعية
مستعينا بدعوته - أن ينقل جيلا من الناس
من حياة استقرت فوق الحضيض ، إلى حياة
استقرت فوق الثريا .

وتحدث عن ميزان القيم ، فالقرآن منهج
حياة متكامل ، تنبثق أخلاقه وعباداته

ذلك مما يحتم علينا تقديره وتكرار الشكر لدراساته .

٢ - المعاملات الحديثة وأنظمتها :

لصاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن عيسى . المؤلف هو أستاذنا مدير تفتيش العلوم الدينية والعربية بالأزهر ، والكتاب عرض موجز لحكم الشرع في المعاملات الحديثة ، ويكاد يعتبر هذا الكتاب الأول من نوعه - كما يقول فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الجامع الأزهر في تقديمه له ، إذ أنه وعب جميع المعاملات الحديثة على وجه التقريب ، والتي هي بين أخذ ورد وإجازة ومنع بين فقهاء المسلمين قديما وحديثا .

في مدخل الكتاب بحث « عن الربا وأنواعه ، أحاط به لإحاطة دقيقة ، وأوضح منهج المؤلف في هذا الكتاب بالنسبة لمشكلة الربا ، ثم تناول الكتاب البنوك بأنواعها ومعاملاتها ، ثم تناول صندوق التوفير بالبريد ، وأجاز شرعا التعامل معه ، باعتبار هذا التعامل مضاربة والمضاربة جائزة شرعا . أما الشركات بشتى أنواعها . فقد عرضها الكتاب عرضا جيدا ، وألم بحقيقتها إلماما عميقا ، فالشركات نوعان : شركات الأشخاص ، وتشمل هذه الأشكال القانونية : شركات التضامن ، التوصية البسيطة ، المحاصة ، ويرى

وشرائعه من عقيدته ، فهي الأصل ، ومن ثم جعلها ميزانا لأقدار الناس وقيم الحياة . ثم ختم كتابه فتحدث عن التربية في ظل الأحداث ، فقد كان أسلوب تنزيله أساسا لنجاح التربية وعمق أثرها في النفوس ، جعل من كل هزيمة عبرة ، ومع كل نصر درسا ، ولكل موقف تحليلا .

لقد بذل المؤلف مجهودا مشكورا في مؤلفه ولكن موضوع الكتاب كما هو واضح من عنوانه دراسة موضوعية ، إلا أن المؤلف - وإن كان أحسن اختيار عناصر موضوعه - كان ينقصه أن يجعل القرآن يستأثر بالدور الأول في المنهج التربوي . ففي الفصل الأول « جولة مع الرعيل الأول ، وقد استنفذ حوالى ثمانين صفحة ، لم يكن ربط هذا الرعيل بتربية القرآن واضحا ملبوسا ، كما كان مثلا ملبوسا في الفصل الأخير « التربية في ظل الأحداث » . وقد أكثر المؤلف من إيراد القصص التي لا تتصل بموضوعه ، كما أن أوجه المقارنة بين منهج القرآن في التربية ، وبين غيره مما لم يعن به المؤلف ، كما أن المؤلف اعتمد على تخريج الأحاديث في كتب التفسير ، دون ما نظر إلى درجتها من الصحة والضعف ، وقد ذكر من مراجعه ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للبودودي ، وهو لأبي الحسن الندوى وجهد المؤلف بعد

ليُراد له شبهات حول الشركات والتأمين وردده لهذه الشبهات . .

وبقى بعد ذلك أن نقول : إن مثل هذا الموضوع الدقيق الشائك كان في حاجة إلى إصهاب وتبسيط ، ولعل ارتباط فضيلته بمنهج مقرر حمله على هذا الإيجاز لتيسير مدخله على الطالب وفضيلة المؤلف اضطر إلى الاعتدال على القياس في كثير من مناقشاته للوضع ، لاسيما وأن معظم مسائله من المستحدثات .

ولفضيلة المؤلف بعد ذلك تقديرنا ، فقد سد كتابه فراغا طال أمده في دراسة المعاملات الحديثة على ضوء الإسلام .

وقد قدرت الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر مكانة هذا الكتاب فقررت توزيع عدد كبير منه على الأقطار الإسلامية للانتفاع به .

٣ - الإسلام دين ودنيا :

للأستاذ عبد الرزاق نوفل

هذا الكتاب الخامس من سلسلة « مع الإسلام التي تصدرها مؤسسة المطبوعات الحديثة بالقاهرة والمؤلف معروف في الأوساط الثقافية والإسلامية ببحوثه التي لفتت الأنظار ، والتي تربط بين الإسلام

المؤلف الجواز شرعا في جميعها ، أما النوع الآخر ، فهي شركات الأموال ، وتشمل هذه الأشكال القانونية أيضا : شركات المساهمة ، التوصية بالأسهم ذات المسؤولية المحدودة ، وجميعها جائز شرعا ما دامت تمارس عمليات تجارية وصناعية ، ولا تمارس عمليات الإقراض والاقتراض بالربا .

وتناول الكتاب بعد ذلك الجمعيات التعاونية بشئ أشكلها واتجاهاتها ، وهي جائزة شرعا ، ثم تناول بورصة الأوراق المالية ، وسندات قرض الإنتاج ، وهي من الأعمال المباحة شرعا ، ثم تناول أوراق اليانصيب ، وأوراق يانصيب السباق ، وأباح الأول وحرم الآخر لأنه نوع من الميسر ، وتناول بعد ذلك عمليات التأمين بأنواعه ، وحكمه الجواز شرعا ، وختم المؤلف كتابه برأى الإسلام في المزارعة وشركة المواشي وهو الجواز أيضا .

هذا عرض سريع للكتاب وهو مجهود شاق بذله فضيلة أستاذنا في تعرف حقائق هذه المعاملات - كما يقول فضيلة الشيخ إبراهيم البرمبالي أستاذ التفسير بكلية أصول الدين في مكتبته عن الكتاب أيضا ، والواقع أن الكتاب وضع فيه سعة أفق المؤلف وإلمامه الواسع بهذه الموضوعات الشائكة ، كما وضع جرأته في الحق ، وكان جميلا من فضيلته

دراسته لهذا الموضوع في كون الإنسان خليفة الله في الأرض، وأن السماء والأرض والنجوم كل أولئك مسخر له، والواجب عليه أن يعمل على الإصلاح ويتجنب الفساد، ويعمل على المحافظة على النوع الإنساني . . وما إلى ذلك - أما الشهوة التي تمثل الجانب الحيوى في الجسد، والصراع الدائم بينها وبين الروح فهذا مما لم يطره المؤلف، لاسيما وأن بعض المسلمين من الصوفية كانوا يتغنون - في إخماد شهواتهم مستعينين بقوة الروح .

نعم - لقد أحاط المؤلف بموضوع الكتاب إحاطة شاملة، وكنا نأمل أن يجرى دراسة أكثر منه تجميعا للشواهد القرآنية المزدحمة لتدخل في إطار واحد تحت عنوان واحد، وللمؤلف بعد ذلك جهوده الموفقة في دراساته الإسلامية .

الوصايا العشر :

الأستاذ خالد محمد خالد .

نشر هذا الكتاب الجديد للأستاذ خالد مكتبة وهبة بالقاهرة، وهو كتاب جديد في موضوعه، بالنسبة للكاتب الأستاذ خالد محمد خالد وقد يختلف كثير من الناس في كتابات الأستاذ خالد، إلا أن كثيراً أيضاً من معارضيه يتمتعون بقسط وافر من

والعلم الحديث فهناك : القرآن والعلم الحديث، الإسلام والعلم الحديث، الله والعلم الحديث، ثم المسلمون والعلم الحديث، هذه الكتب التي احتلت لنفسها مكانة مرموقة، ونرجو أن نوفق في القريب، إن شاء الله، لتقديمها معا ووضعها فوق مشرحة النقد الحر .

جاء هذا الكتاب الأخير في عشرة فصول : العرب في الجاهلية وكيف انتقل الإسلام بهم من الدعة والخنول إلى النهوض والعمل، ثم الإسلام دعوة إلى الدين والدنيا معا، والوسيلة في الإسلام، وكيف كانت حاجزاً بين الإفراط والتفريط في الدين والدنيا معا ثم اهتمام الإسلام بالجسد والروح كليهما، ثم علوم الدين والدنيا في الإسلام .

وفي الفصل السابع : دعوة الإسلام إلى العمل والعبادة، وفي الثامن : مكان القوة في الإسلام، وفي التاسع : الدين والدنيا في حياة الرسول، وفي الفصل الأخير صور من حياة المسلمين الأول، وأنهم كانوا رواد دين ودنيا . لقد عني المؤلف بالشواهد من القرآن فزحم بها الموضوع حتى كادت الألفكا والتي من أجلها سيقمت الشواهد تختنق، واضطر مع كثرة الشواهد أن يبعد قليلا عن الإطار الذي رسمه لفكرته فمثلا في الفصل الرابع : اهتمام الإسلام بالجسد والروح، كنا نتنظر من المؤلف ألا تنحصر

- التزمت ، والذي لا يختلف فيه اثنان أن الأستاذ خالد رأيا حرا ، وهذا أساس متين يجب أن تقوم عليه شخصية العالم المفكر أولا ، والمجتمع المفكر الحر يجب أن يتسع صدره لكل رأى مفكر حر ، فإذا صدم أصلا من أصول العقيدة ، فسوف لا تهتز العقيدة لحظة واحدة ، وإذا أصاب وضعا من الأوضاع الاجتماعية السليمة المتينة فسوف يتحطم قبل أن يمس هذا الوضع .
- وقد يظن ظان أن الوصايا العشر في كتاب المؤلف هي الوصايا العشر المذكورة في التوراة ، والواقع أنها وصايا عشر جديدة ، لبناء الشخصية لتسلك طريقها في الحياة ناجحة ، وهذه هي وصاياها :
- ١ - أهلت عصور الحب فودع الكراهية .
 - ٢ - لا تدع الخوف يفكر لك أو يشير عليك .
 - ٣ - اسبح قريبا من الشاعلى . وارنكب أنظف الأخطاء .
 - ٤ - أحل روح الرواد وابحث عن الدروب غير المطروقة .
 - ٥ - لا نعش وعلى عينيك عصابة ، وامض بصيرا .
 - ٦ - عش صديقا طيبا .
 - ٧ - اقرأ فى غير خضوع ، وفكر فى غير غرور .
- ٨ - تقبل وجودك وطوره .
- ٩ - ول وجهك شطر الله ، فإنه حق .
- ١٠ - وطد مسئوليتك بالحرية ، وحصن حياتك بالعدل .
- وإذا كان الأستاذ خالد قد جال بنا جولة طيبة في وصاياها العشر ، إلا أنه في الوصية التاسعة ، ول وجهك شطر الله ، فإنه حق ، وضع يدك في يده فإنه نعم النصير ، في هذه الوصية كان أكثر دقة وعمقا وتحليلا ، لا سيما حين أشار إلى أن الله سبحانه - ليس موضوع الدين لحسب ، بل هو موضوع العلم والفلسفة ، والأدب والفن وموضوع الحياة كلها ، وحين ذكر أن قضية الإيمان بالله لا تتعرض للخطر بسبب تحكيم العقل ، والله سبحانه حين دعا الناس إلى التعرف عليه ، لم يقدم نفسه إليهم في ألغاز وأساطير ، بل قدم حقيقته عن طريق ما يشاهدون من آثار ، ودعاهم أن يستغلوا عقولهم في الاهتداء إليه .
- كنا نود أن تكون كل وصايا المؤلف في مثل مستوى الوصية التاسعة ، وأن يكون للإسلام جولة كبرى في جميعها ، إلا إذا كان المؤلف قد أثر السلامة كما ، كنا نود أن لا يسوق المؤلف كشاهد ، شعر ابن العربي ، الذى زعم فيه أن قلبه أصبح قابلا كل صور العقيدة السليمة والزائفة والزائفة ، وذلك ليتخذ الكاتب منه مسندا

بإيجاز للجميع فيضيف معلومات جديدة لطالب العلم .

كما أن المؤلف لم يلزم شرح بعض الألفاظ والكلمات الصعبة التي وردت في الكتاب ، وكان الأجمل به أن يشرحها ليعين على فهم النص كما وعد في منهج الكتاب ، فلا أظن الطلبة أن يدركوا بدون مشقة : يوم ذى قار ، واهجرني مليا . يمضغان علكا . أمست بفالج وهكذا .

والمؤلف لجأ في إيراد الشواهد أحيانا إلى شعر ابن الفارض ، على ما في بعضه من أغاز ترتفع فوق مستوى الطالب ، وبقي الكتاب بعد ذلك منهجا جليل القدر في دراسة علم المعاني ، وقد بدا فيه واضحا مجهود المؤلف الفاضل .

٦ - في ظهول العقيدة :

للأستاذ محمد عبد العزيز أحمد .

هذا الكتاب يقول المؤلف - بدافع من الأمانة العلمية - في مقدمته : إنه كلمات وآراء نشرت أكثرها في جحر الشباب ، ووجهتها إلى الشباب ، أدعوه إلى حق الله والنفس والمجتمع . . . أدعوه إلى العقيدة السليمة والسلوك الرفيع ، والوطنية الفاضلة .

هذه الكلمات والآراء جاءت تطبيقا صحيحا

لفكرة الحب للجميع ، وذيغ ابن العربي ليس في حاجة إلى دليل .

٥ - توضيح المعاني في البديعة :

لفضيلة الأستاذ علي العماري

المؤلف من كتاب مجلة الأزهر المبرزين ، وهو مدرس بالأزهر الشريف ، وكتابه هذا - وإن كان خاصا - إلا أنه في موضوع وثيق الصلة بالثقافة الإسلامية والعربية .

تناول الكتاب دروس المعاني : الحسب والإنشاء ، المسند والمنسند إليه ، القصر الفصل والوصل ، الإيجاز والإطناب والمساواة .

كان المؤلف في شرحه لدروس المعاني وسطا بين طريقتين ألفهما الطلاب في كتب البلاغة الأولى ، العناية بالقواعد والإيجاز في إيراد الشواهد ، والثانية على العكس ، أما المؤلف فقد عنى عناية ملبوسة بالقاعدة والشاهد معا . وكان المؤلف موفقا حين شرح شرحا مبسطا ما ورد في الكتب من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والأشعار المختارة ، بما يعين على فهم النص وتذوقه .

وكان موفقا أيضا حذر اختار من التبرينات نماذج وأجاب عنها إجابة وافية ، وذلك ليعين على تثبيت القاعدة في الأذهان .

إلا أن المؤلف ترجم لبعض أصحاب الشواهد وترك البعض الآخر ، وكان الأكمل أن يترجم

لهدف الكاتب ، تناولت العقيدة في جوانبها الثلاث : الله ، والإنسان ، والمجتمع ولكنها تناولت أيضاً الوطنية والسياسة والأدب ، والأنظمة والمذاهب الفكرية ، وختمت بمقال

عن الانجليز في ميزان السياسة ، وخواطروا عن الصهيونية ، ثم كلمات مختارة في صلاح النفس والضمير ، كما تناولت الكلمات ذكريات المؤلف في الوطن العربي وفي رحاب الجامعة .

كان في استطاعة المؤلف أن يعنى بتخطيط كلماته وآرائه ، فيلم شمل بعضها على بعض ، ويبعث الروح الجديدة في كلماته القديمة ليجعل منها لبنة قوية في بناء العقيدة ، إلا أن المؤلف لجأ إلى تقسيم كلماته إلى إسلاميات ووطنيات واجتماعيات وذكريات ، ولكنه لم يلتزم إبداع كلماته كل في الإطار الذي وضع لها ويلائمها .

فمثلاً جاءت هذه الكلمات متجاورة : تحية العيد ، كفاح فلسطين ، ثورة على الفاجرين

وهم المجاهرون بالفطر في شهر رمضان ، مناجاة الفضيلة ، رسالة إلى أحد شباب العراق ، وأنت لا ترى أية رابطة بين هذه الكلمات ، ولا أى تناسق يمكن أن يؤلف بينها .

والكاتب جارى الناقلين على المدنية الحديثة من أشباه المتدينين ، فهو يتحسر ، لأن المدنية بقدر ما سمت من نواحيها المادية والنظرية ، لم تعن بالأخلاق والفضائل ، ولم تقم وزناً للروح والمثل العليا .

ما أشق العالم اليوم بهذه المدنية التي عرفت كيف تخترع قنبلة تدمر الحضارة ، وتقضى على الملايين ، ولم تستطع أن تخترع دواء للزكام . . .

هذا كلام لا يناصره جانب من المنطق ، وللعاطفة الدينية فيه أثرها ، هذا ولم يدم الكتاب كلمات قوية جياشة بعمق الفكرة وسلاسة الأسلوب .

محمد عبد الله السواد

كرامة العلم

طلب هرون الرشيد إلى الإمام الشافعى أن يحضر إليه فقال : يا أمير المؤمنين . العلم لا يأتى ولكن يؤتى إليه .

أَنْبَاءُ الْأَزْهَرِ

الأكبر كثيرون من كبار العلماء ورجال
السلك السياسى وطلاب الأزهر وغيرهم .

وكان أول بلد نزله فضيلته : الملايو
فاستقبل فيه استقبالا حافلا .

وأقام السيد جعفر البار مساعد وزير
الاستعلامات بحكومة اتحاد الملايو مآدبة
عشاء تكريماً لفضيلته ، وشهد المآدبة
السادة الوزراء وأعضاء سفارة الجمهورية
العربية المتحدة ورجال الدين الإسلامى
ورجال الحكومة .

وقد ألقى فضيلة الأستاذ الأكبر كلمة أعرب
فيها عن سروره البالغ لهذه التحية من أهل
هذا البلد الكريم وبخاصة الشبان منهم الذين
يحملون مسئولية الدفاع عن الدين والوطن ،
وقال : « إن الأزهر على استعداد لتقديم كل
مساعدة لإخواننا فى الإسلام ،

ورد السيد جعفر البار بكلمة قال فيها :
إنه يأمل أن يقوم رجال الأزهر بمزيد من
الزيارات للملايو على نطاق أوسع لتعزيز
العلاقات بين المسلمين .

رحلة فى سبيل الإسلام :

غادر فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود
شلتوت شيخ الجامع الأزهر مطار القاهرة
فى الساعة الواحدة إلا ربعا من صباح
الأربعاء ١٨/١/١٩٦١ فى رحلة إلى الملايو
وأندونيسيا والفلبين لتوثيق عرى الأخوة
 والمحبة بين المسلمين على رأس وفد مكون
من السادة الأستاذة :

الدكتور محمد محمد البهى

مدير الإدارة العامة للثقافة الإسلامية

والدكتور أشرف غربال

المستشار بوزارة الخارجية

والشيخ محمد عبد التواب

مفتش عام الوعظ

والأستاذ أحمد نصار

مدير مكتب شيخ الجامع الأزهر

والأستاذ محمود سليمه

المحرر بوكالة أنباء الشرق الأوسط

والشيخ محمود خليل الحصرى

شيخ عموم المقارىء بالجمهورية العربية المتحدة
وقد اشترك فى توديع فضيلة الأستاذ

وتناول البحث فيها الشؤون الثقافية الدينية بين الملايو والأزهر ، وقد وعد السيد رئيس الوزراء بإيفاد أستاذ من الملايو لتدريس اللغة الملايوية في الأزهر . وفي المساء أقام فضيلته حفل استقبال بمناسبة سفره إلى (جاكرتا) ليتضى فيها أسبوعين في زيارة رسمية .

الأستاذ الأكبر فى أندونيسيا

وبعد أن قضى فضيلته ثلاثة أيام في الملايو غادرها إلى أندونيسيا .

وقبل مغادرته المطار صرح فضيلته بأنه سيعقد مؤتمراً من مختلف البلاد الإسلامية لبحث تفسير القرآن فيما يتعلق بالاقتصاد الدولى . وقد سأله السيد تنكو عبد الرحمن رئيس وزراء الملايو عن حكم الإسلام في مصارف الزكاة . كما سأله رئيس الإدارة الاقتصادية عن استثمار رأس المال فأجاب عن السؤال الأول بأن أموال الزكاة يجوز الانتفاع بها في أى مكان خارج الدولة أو المنطقة التى جمعت منها ، وصرفها في خارج الدولة مشروط باستغلالها من أجل المصالح العامة للسلبين أوفى الدعوة من أجل الإسلام . وأجاب عن السؤال الآخر بأن الإسلام لا ينهى عن استثمار المال في المشروعات العامة وشراء الأسهم والسندات لصالح الاقتصاد العام ، إذ أن القرآن لا يحرم ذلك .

وأدى فضيلة الأستاذ الأكبر فريضة الجمعة يوم ٢٠ / ١ / ١٩٦١ في مسجد عاصمة الملايو وقد غص المسجد بالآف من المصلين . وألقى فضيلته تفسيراً لآيات الهجرة التى تلاها عليهم الشيخ محمود خليل الحصرى ، وتحدث فضيلته إلى المصلين شارحاً لهم رسالة الأزهر في شتى أنحاء العالم الإسلامى .

وكانت كلية «كلانج» قد أقامت لفضيلته حفل استقبال ثقيماً تكريماً لفضيلته ولأعضاء البعثة المرافقة ، وكان في مقدمة المستقبين لفضيلته السيد عبد الرحمن بن الحاج طالب وزير التربية والتعليم بالملايو .

وأقامت سفارة الجمهورية العربية المتحدة في الملايو حفل استقبال تكريماً لفضيلة الأستاذ الأكبر حضره الوزراء والسفراء وكبار الشخصيات في كوالالمبورسا .

وزار فضيلة الأستاذ الأكبر السيد عبد الرحمن الحاج طالب وزير التربية والتعليم بالملايو رداً على زيارته لفضيلته وإقامة حفل تكريم له ، وقد دامت المقابلة مدة طويلة بحث فيها حاجة الملايو من الاسانذة الأزهريين ، كما بحثت فيها المنح الدراسية التى سينظمها الأزهر لطلاب الملايو .

وزار فضيلة الأستاذ الأكبر السيد تنكو عبد الرحمن - رئيس وزراء الملايو - وقد دامت المقابلة ساعة وكانت ودية للغاية ،

الاستاذ الأكبر في ماكرنا :

وصلت الطائرة المقلّة لفضيلة الاستاذ الأكبر إلى مطار جاكارنا في الثامنة من مساء من يوم ٢٢ / ١ / ١٩٦١ وكان في استقباله حوالي ٥ آلاف من شيوخ أندونيسيا وشبابها ويمثّلين لمختلف الهيئات والمدارس والجامعات . وقد انتظم الطلبة وفرق الكشف في صفوف طويلة ، وعندما هبط فضيلته من الطائرة تقدم إليه وزير الشؤون الدينية نيابة عن الحكومة وبعض الوزراء وكبار موظفي الدولة مرحبين بفضيلته أعظم ترحيب .

وفي استراحة المطار احتفى بالشيخ الأكبر لفيف من الخطباء ، وفي صباح اليوم التالي بدأ الاستاذ الأكبر بزيارة السيد وزير الشؤون الدينية في مكتبه وعلى طول الطريق اصطف المسلمون لتحية فضيلته وقد تجمع موظفو الوزارة أمام مكتب الوزير وخارجه حيث وضعت مكبرات الصوت ، ورحب السيد الوزير بفضيلته في كلمة قال فيها :

« إني أشكر الله العليّ القدير وأذكر بالفخر والاعتزاز أنني سعيد كل السعادة لاستقبال شيخ الإسلام ومرافقيه بمكنتي ، وقد كنا نترقب هذه الزيارة منذ العام الماضي . والآن وقد تحققت وتحقق أملنا العظيم فإني

أعود لأكرر الشكر وأحمد الله على هذه الفرصة العظيمة . »

ثم استعرض سيادته أعمال وزارته الدينية وأنها تألفت عقب قيام الجمهورية الأندونيسية المستقلة بفترة وجيزة ، وأنها تهتم كل الاهتمام بالأمور الدينية ، فبالدين وحده يمكن تحقيق الأمن والسلام . وكل ما أصدرته الدول الكبرى من بيانات ، وما جاء فيها من إيضاحات ومحاولات لم تستطع حتى الآن تحقيق الأمن والسلام العالمي . ونحن لا نستطيع أن نكره الناس على اتباع الدين والتسك به ، فلا إكراه في الدين ، ، ولكن في اعتقادنا أنهم سيؤمنون بما جاء في الدين على أنه الطريق الوحيد لأمتهم وسلامهم . وقد يعتقد الناس أن مسؤولية وزارة الشؤون الدينية محدودة وبسيطة ، ولكنها في الواقع هامة ولازمة ، لأنها لا تترك شيئاً من الأمور الدنيوية إلا بحثه ووصلت فيه إلى نتيجة ، وكلنا يعرف أن حوالي ٩٠ ٪ من الشعب الأندونيسي يعتقدون بالإسلام ، ونعرف أيضاً أنه حتى الآن غير متمسك تمام التسك بالدين وأعتقد أن هذه المسألة ليست في أندونيسيا وحدها ولكنها في جميع أنحاء العالم . ومن هنا نشأت مسؤولية هذه الوزارة . وبأندونيسيا عدد كبير من المدارس الإسلامية ويوجد بها أماكن للعبادة لا يمكن حصرها والوزارة فعلاً لا تعرف عددها وبهذا يمكن

فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفاخرة من النار فأنقذكم منها، أنقذكم من نار التفرقة ومن نار الحزبية الفاشلة . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، هذه مبادئنا يتكون منها المحور الديني لنا من غير زمان ومن غير مكان ومن غير أشخاص .

واعلموا أن المسلم للسلم وإن تباعدت بينهما الديار كاليدنين تغسل إحداها الأخرى ، وكالبنيان يشد بعضه بعضا .

لقد انشرفت صدورنا بأندونيسيا وبأخلاق أبناء أندونيسيا بعد أن ترقبنا وانتظرنا طويلا فرصة اللقاء حتى جاء اليوم الذي أراه الله لهذا اللقاء ، وقد بدأت رحلتنا في شهر رجب وهو شهر الإسراء والمعراج الذي أسرى فيه المولى سبحانه وتعالى بحبيبه محمد ، وعرج به إلى السموات العلا فرأى من آيات الله الكبرى ما رأى ، ثم جاء شهر شعبان الذي حضرنا فيه إليكم وهو مقدمة لشهر رمضان وما فيه من ذكريات إسلامية عظيمة أولها نزول القرآن الذي هو أصل التوحيد وأصل العبادات ، وهكذا بدأت رحلتنا ، وكان هذا اللقاء الكريم في أيام كريمة على الله أبنائي . حضرنا إليكم ولنا الشرف الكبير في زيارتكم . فهي زيارة المؤمن لأخيه المؤمن

أن نقول إن الإسلام لا يزال بخير وأن دولة أندونيسيا الإسلامية ستعيش بخير ما دامت تواصل عنايتها بالإسلام ومبادئه . وقد رحب سيادته للبرة الثالثة بفضيلة الأستاذ الأكبر متمنيا على يديه تحقيق آمال الإسلام وقيام الأمة الإسلامية العظيمة . ثم تحدث فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت قائلا :

« أبنائي شباب الشعب الأندونيسي ، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد فالإيكم تحية مباركة مني ومن زملائي ومن إخوانكم في الأزهر ومن إخوانكم في الجمهورية العربية المتحدة ومن السيد الرئيس جمال عبد الناصر إلى أخيه السيد الرئيس أحمد سوكارنو ، فالجميع وإن تباعدت ديارهم واختلفت لهجاتهم وقعدت لغاتهم كما أراد الله فنحن أمة الإسلام ، أمة واحدة . فالإسلام لا يعرف المكان ولا الأشخاص . إننا أمة واحدة بعقيدتنا وهي « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ، . تلك هي مبادئنا وهذه عقيدتنا ، فاتقوا الله ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم

وقد صدر على أثر هذه المقابلة بيان مشترك بما دار بينهما من المسائل والأحداث جاء فيه أن مشيخة الجامع الأزهر ووزارة الشؤون الدينية الأندونيسية اتفقتا على التعاون الوثيق في شؤون التعليم بصفة عامة ودراسة الدين الإسلامي بصفة خاصة . وسيتبادل الجانبان المدرسين والطلبة الأبحاث والمحاضرات الخاصة بالدين الإسلامي .

وسيرعى الجامع الأزهر الشؤون التعليمية والثقافية للطلبة الأندونيسيين المتحقين بكليانه ، وسيستقبل خريجي المدارس الثانوية الأندونيسية بدون امتحان .

وذكر البيان أن الجامع الأزهر سينشئ جامعة إسلامية عالمية بالتعاون مع البلدان الإسلامية الأخرى .

الاستاذ الكبير يزور الكلية المحمدية :

وفي الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم توجه ركب فضيلته إلى الكلية المحمدية فاستقبله أساتذتها وطلابها بالتكبير والترحيب ، وقدم إليه رئيس مجلس إدارتها نيابة عن الكلية هدية علمية نفيسة . وقد تحدث إليهم الاستاذ الإكبر شاكر آلهم هديتهم وذاكر آلهم أن الإسلام في أول عهده قام على أكتاف الشباب ، وإن له لأملا كبيرا أن يعود إليه عزه ومجده على أيدي هذا الشباب الناهض المؤمن من

وقد بدأها بزيارة السيد وزير الشؤون الدينية فأنشرت صدورنا أيضا لهذه الوزارة وما اعتزمت عليه من دراسات دينية والقيام على شؤون الدين الروحية والمادية ، ونحن هنا في بلدكم الكريم وبين شعبيكم العظيم نذكر بكل شرف مؤتمر باندونج وما أشاع على العالم أجمع من نور الحرية والسلام حتى أصبحت الدول الآسيوية الأفريقية تقف مزهوة تنفض عن كاهلها غبار الذل والاستعباد ، وأصبحت تتطلع إلى السلام العالمى الدائم وسنصل إليه بفضل الرئيسين العظيمين أحمد سوكارنو وجمال عبد الناصر .

وإني إذ أحمل من أبناء أندونيسيا في القاهرة تحياتهم اليكم جميعا وتحية كل طالب إلى أبيه وأمه وأخيه أقول بلسانهم إنهم لا يشعرون بأنهم في بلد غير بلدهم ، فلا يشعرون بغربة أو بعد عن أوطانهم ؛ فوطنهم الجمهورى العربية المتحدة كما أن وطننا هو الجمهورية الأندونيسية الحبيبة .

« قل إننى هداني ربى إلى صراط مستقيم ديناً قيميا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا لشرى لك وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين . » وأختتم فضيلته كلمته بالدعاء للرئيسين جمال عبد الناصر ، وأحمد سوكارنو بالتوفيق فى خدمة الإسلام والمسلمين .

إن هذه الزيارة فرصة كبيرة للاتصال بالشعب الأندونيسي وسترون كيف أن الجامعات الإسلامية تحن وتشناق لرؤية شخصكم الكريم ، وهي تحتاج أيضاً كل الاحتياج إلى معاونتكم - الأدبية والثقافية ، تحتاج للأساتذة والسكرتير الإسلامية ، ونحن ننتظر هذه المعونة في أقرب وقت إن شاء الله .

كما تحدث عميد التربية عن تبادل الزيارات بين الجامعة الإسلامية والأزهر . ثم تحدث أحد طلبة الجامعة وطالب بالمعونة الثقافية العاجلة من أساتذة وكتب خاصة وأن جامعتهم تتعرض لثقافات تأتي إليهم من الدول الغربية والدول الشيوعية بينما هي مستعدة استعداداً طيباً للثقافة الإسلامية الصحيحة ، وأعرب عن أمل الطلبة في أن تكون هذه الزيارة دعماً للعلاقات الثقافية على نطاق واسع بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية الأندونيسية .

وبعد أن تعددت كلمات الترحيب وقصائد الشعر من أساتذة وطلاب الجامعة تحدث الأستاذ الأكبر قائلاً : « أبنائي وإخواني أساتذة وطلاب الجامعة الإسلامية الحكومية ، لقد حضرت الآن إلى الجامعة الإسلامية بعد أن قمت بزيارة وزارة الشؤون الدينية فلاحظت الارتباط العظيم بين التسميتين لأن الشؤون الدينية لا تتقدم ولا ترتفع إلا بالإسلام

أبناء أندونيسيا ، ودعاهم ولجميع فروع السككية بالتوفيق في أن يغرسوا مبادئ محمد صلى الله عليه وسلم في قلوب الشعب الأندونيسي العظيم .

ثم قصد الركب مقر الجامعة الإسلامية الحكومية بجيبوتات وهي تبعد عن العاصمة بحوالى ١٧ كيلو متراً ، وقد استقبله مديرو وعمداء كليانها بالهتاف بحياة الإسلام والمسلمين وبشيخ الأزهر والأخوة الإسلامية . وكان في استقباله أيضاً الشيخ أدهم خالد رئيس حزب نهضة العلماء ورئيس مجلس إدارة الجامعة .

وبدأ الحفل بتلاوة من لقرآن الكريم تلاها أحد طلاب الجامعة ، وبكلمة ترحيب من السيد عميد كلية التربية جاء فيها : « أن الجامعة الإسلامية الحكومية تحييكم أطيب تحية وتشرككم على تفضلكم بزيارة هذه الجامعة ، وهي زيارة مباركة طيبة . فلكم الفضل والشكر على زيارتكم أندونيسيا التي تبعد آلاف الأميال عن بلدكم الطيب الكريم ، وذلك بفضل القوة الإسلامية والجامعة الأزهرية وهي الرابطة الثقافية والعلمية لأن كثيراً منا قد تخرج من الجامعة الأزهرية ، ونحن هنا يستقبل الأخ الصغير أخاه الكبير . وفي الحقيقة نحن مدينون للجامعة الأزهرية التي ندعو الله أن يجزيها عنا خير الجزاء .

بطريقة « بربل » من عمل طلاب معهد المكفوفين بالقاهرة الذين يدرسون بالأزهر والتابعين لجمعية النور والأمل .

في بنومبور :

استقبل الرئيس سوكارنو بعد ظهر يوم (١٩٦١/٢/٦) فضيلة الأستاذ الأكبر بقصر مردكا ، واستغرقت المقابلة نصف ساعة حضرها السيد وزير الشؤون الدينية ، وقد صرح السيد وهيب وهاب وزير الشؤون الدينية للصحفيين أن كلا من السيد الرئيس سوكارنو وفضيلة الأستاذ الأكبر كان يبدو عليه السعادة لهذه الفرصة الطيبة التي كان الجميع يتطلع إليها .

وقد عبر الرئيس سوكارنو عن أمله لفضيلة الأستاذ الأكبر في أن تكون الجمهورية العربية المتحدة مصدر قوة للروح الإفريقية والعربية وأن تكون أندونيسيا مصدر قوة للروح الآسيوية ، وبذلك تسير أفريقيا وآسيا بهذه الروح الصادقة في طريقها إلى سلام دائم .

وقد وجه السيد الرئيس سوكارنو الدعوة إلى فضيلة الأستاذ الأكبر ليؤم أول صلاة تقام في (مسجد الاستقلال) - وهو أكبر مسجد في أندونيسيا ، وذلك عند ما يتم بناء هذا المسجد العظيم .

والعلم ، فكان الارتباط بين الجامعة وبين الوزارة التي أنشئت لتحقيق آمال المسلمين الدينية والدنيوية . ويسرني ، أن أقول إن هذه أول مرة أرى في الدول الإسلامية وفي غيرها تسمية الجامعة باسم الدين والحكومة فهي الجامعة الإسلامية الحكومية . وإنني لأرجو أن تعم هذه التسمية وأن يكون العنوان مشتركاً في الجامعات الدينية الإسلامية ، فالحكومية يجب عليها أن ترتبط بالجامعات حتى في تسميتها وإلا كان كل منها في معزل عن الآخر ، كما أرجو أن تستعير الدول الإسلامية هذه التسمية وتطلقها على جامعاتها فتتضح فعلاً العلاقة بين الجامعة والحكومة .

وقد قدمت الجامعة الإسلامية في حفل عظيم درجة الدكتوراه العخرية لفضيلته تقديراً لخدماته الإسلامية والسلمية . وألقى فضيلته محاضرات في جميع المدن والجامعات والمعاهد التي زارها . دعا فيها إلى السلام والتمسك بتعاليم الإسلام .

في بانرونج :

وزار فضيلة الأستاذ الأكبر معهد المكفوفين بباندونج وقد عزف له الطلاب على آمل « انجكلانج » قطعة موسيقية جميلة ، وقد أهدى فضيلته إلى المعهد مصحفاً مكتوباً

ثم تقدم السيد مدير الجامعة فقدم
الدكتوراة الفخرية لفضيلة الأستاذ الأكبر
وسط عاصفة من التصفيق .

وقد ألقى فضيلة الأستاذ الأكبر كلمة
في هذا الحفل قال فيها : إن الرابطة التي بيننا
عمادها العلم والمعرفة وهما أساس الإسلام
والوحي الذي نزل على محمد عليه الصلاة
والسلام وإنكم حين تكرمونني فإنكم تكرمون
الجامعة الإسلامية في القاهرة التي ظلت هذه
القرون الطويلة تعمل جاهدة للربط بين العالم
الإسلامي كما تكرمون الجمهورية العربية المتحدة
التي احتضنت جامعتنا الأزهرية .

واستطرد قائلا : وإنكم اليوم قد وثقتم
العلاقات بين شعبي الجمهورية العربية المتحدة
وأندونيسيا ، وإنني لأرجو أن يزداد
التعاون بيننا ارتباطا ، كما أرجو أن يوفق الله
الزعيمين العظميين جمال عبدالناصر وسوكارنو
إلى تحقيق العزة لشعبيهما وللإسلام وإلى خدمة
البشرية جمعاء .

وبعد أن انتهى فضيائه من كلمته أقيم حفل
شاي تكريما لفضيئته والسادة مرافقيه
تبودلت فيه الكلمات الودية بين أعضاء الوفد
وعمداء الجامعة وأساتذتها .

في مجمر شرماء التعمير

قام فضيلة الأستاذ الأكبر بزيارة مسجد
الشهداء الذي أقيم في جوكهارتا تخليداً لذكرى

وفي أثناء المقابلة بين الرئيس سوكارنو
وفضيلة الأستاذ الأكبر - قدم إليه فضيلته
نسخة من القرآن الكريم مهداة من فضيلته
وموقعا عليها باسمه ، كما أهدى إليه فضيلته
مسيحة و (ألبوم صور) يضم الصور التي
أخذت عند احتفال الأزهر بالرئيس سوكارنو
بالقاهرة عند منحه درجة الدكتوراه الفخرية
من الأزهر خلال زيارته للجمهورية العربية
المتحدة .

الأستاذ الأكبر في جوكهارتا :

قامت الجامعة الإسلامية الحكومية
بجوكهارتا بمنح الدكتوراة الفخرية إلى
فضيلة الأستاذ الأكبر وقد قامت بهذه المناسبة
حفلا كبيرا شهداه السلطان همانو كوبنو التاسع
حاكم جوكجا - والدكتور سونارينو مدير
الجامعة وعمداؤها وأساتذتها وكبار رجال
التعليم وعدد كبير من الطلاب .

وقد استهل الحفل بتلاوة القرآن الكريم ،
ثم ألقى الدكتور سونارينو كلمة رحب فيها
بفضيلة الأستاذ الأكبر .

ثم ألقى الأستاذ مختار يحي عميد كلية أصول
الدين في الجامعة الإسلامية كلمة استعرض فيها
حياة الأستاذ الأكبر وجهاده الطويل في سبيل
الإسلام منوها بمؤلفاته وآرائه التي انتفع
بها المسلمون في كل مكان .

الأستاذ الأكبر قد شاهد بنفسه خلال زيارته للأماكن المختلفة في أندونيسيا الكثير من المعاهد والمؤسسات الإسلامية ، والمراكز التعليمية الثقافية مما يؤكد أن الإسلام في أندونيسيا يتقدم في حرية تامة دون عقبات تقف في سبيله

الأستاذ الأكبر في سومطرة :

زار فضيلته مدينة (ميدان) بسومطرة . وكان في استقباله في المطار حاكم الجزيرة وكبار المسؤولين .

وأقيم حفل كبير بحمعة سومطرة احتفالاً بتقديم درجة الدكتوراه الفخرية لفضيلته . ثم زار بعد ذلك مختلف المدارس الدينية بجزيرة سومطرة ، ووضع الحجر الأساسى لإحدى المدارس الجديدة . وقد أقام حاكم الجزيرة مأدبة غداء تكريماً لفضيلته . ثم استقل فضيلته الطائرة عائداً إلى جاكرتا .

الأستاذ الأكبر في جاوا الغربية :

وقد أقام الكولونيل المشهودى - حاكم جاوا الغربية في منزله حفل عشاء لفضيلته تكريماً له ، وقد دار الحديث في كثير من المسائل الدينية والدنيوية ودعاه إلى الاحتفال بليالى شهر رمضان .

شهداء حركة التحرير ، وقد ألقى فضيلته في الجروع التي احتشدت في المسجد بمناسبة زيارة فضيلته تحدث فيها عن العلاقات الوثيقة بين الشعبين العربى والأندونيسى وعن مكانة الشهداء ، وامتدح العمل الجليل الذى يهدف إلى تخليد ذكرى الشهداء بإقامة المساجد . ودعا إلى تخليد ذكرى الشهداء بمثل هذه المنشآت الدينية كما دعا الشباب إلى الجهاد فى سبيل الله .

وقد أهدى فضيلته إلى مكتبة المسجد نسخة من القرآن الكريم وبعض مؤلفاته وقام بعد ذلك بزيارة الجامعة الإسلامية الأهلية ، حيث حضر مأدبة العشاء التى أقامها رجال الجامعة تكريماً لفضيلته .

وزير الشؤون الدينية يطلب من الزعيم

أسوءاً آخر :

وطلب السيد وهيب وهاب وزير الشؤون الدينية بأندونيسيا من فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر أثناء تكريمه في حفل استقبال أن يتفضل بمذيارته أسبوعاً آخر لأن عدداً كبيراً من الأمكنة فى شوق عظيم للقاء فضيلته ، ومن بين هذه الأماكن بنجارماسيك ، ماكاسار ، كوتاراجا ، وبالمبانج .

وقد عبر السيد الوزير عن سروره لأن فضيلة

استاذ الأكر في الفيليبين : منح الاستاذ الأكر درجة مستشار فخري :

كما أقيم لفضيلته احتفال في الجامعة الإسلامية بالمدينة ، حيث منح درجة مستشار فخري للجامعة ، وألقي فضيلته محاضرة عن « تعاليم الإسلام ومبادئه » .

هذا وقد غادر فضيلته « مانيلا » قاصداً إلى « هونج كونج » ، حيث يعود يوم الأربعاء القادم إلى القاهرة .

مقر جدير لجمعية المحافظة على القرآن الكريم :

افتتح في الشهر الماضي المقر الجديد لجمعية المحافظة على القرآن الكريم في القاهرة لمناسبة مرور ثلاثين سنة على تأسيسها .

وكان حفل الافتتاح برئاسة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، وألقي فضيلته بهذه المناسبة الكلمة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم
إخواني وأبنائي :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد :
فإن القرآن الكريم كتاب الله الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج به

وصل إلى (مانيلا) فضيلة الاستاذ الأكر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر عائداً من زيارته لمدينتي ميندانا وماروا بالفيليبين .

وفي المساء حضر فضيلته مأدبة العشاء التي أقامها السناتور ألونزو زعيم المسلمين بالفيليبين تكريماً له ، وكان فضيلته قد سافر أمس إلى ماروا مستقلاً الطائرة الخاصة لرئيس الفيليبين وبرفقته السناتور ألتو وبعد هبوط الطائرة في المطار الذي يبعد ١٨ كيلومتراً عن المدينة استقل السيارة إليها يتبعه رتل كبير من السيارات استقلها كبار الشخصيات الإسلامية الذين اشتركوا في الترحيب به في المطار .

وقد نزل فضيلته في ضيافة محافظ المدينة وعقد مساء الخميس ٩ / ٢ / ١٩٦١ مؤتمراً إسلامياً كبيراً حضره آلاف المسلمين في المدينة وممثلون لجميع المسلمين في الفيليبين .

وقد ألقى فضيلته كلمة تحدث فيها عن الإسلام دين السلام ، ووافق أعضاء المؤتمر على قرار بشكر الرئيس جمال عبد الناصر على إيفاده فضيلة الاستاذ الأكر لزيارة الفيليبين ليصل ما بين المسلمين في البلدين الشقيقين .

من أجل ذلك كله عملت الأمم الاستعمارية في كل وقت على أن تباعد بين الشعب وبين حفظ القرآن، وأن تصرفهم عن فهمهم له وعن تدبر أحكامه وعن الاقتداء بمثله؛ لتكون الأمة المختلة مطواعة لمبادئ الاستعمار، سهله في الاستغلال. ويكفي أن تعرفوا قالة قائلهم - حين رفع تقريراً لسادته عن إقامته في مصر : « لأنه لا استقرار لنا ولا إقامة في بلد يوجده فيه القرآن .

إخواني وأبنائي :

لقد آمن الأولون بأن القرآن مصدر القوة فحفظوه ، وطريق الخير ففهموه ، ووعوا ما فيه ، ووضعوه في المحل الأول من مكانة التقديس والعناية ، وأقبلوا على حفظه ودرسه لاستخراجه نفاثته ، والتجلى بجواهره . فكان لهم السلطان ، وتفجرت لهم أنهار السعادة ، وطفقوا يقطفون من ثمارها ما جعلهم في مقدمة الأمم رقياً وحضارة .

إن القرآن - وهو حياة القلوب - يخلق فيها الوعي الصادق ، والإحساس المرفف الدقيق ، ويجعل منها قلوباً بيضاء ناصعة لا تنطوي على دغل ولا حسد . كما لا تقبل المذاهب الوافدة ولا المبادئ الخداعة التي ما دخلت مكاناً إلا أفسدته وقضت عليه ، فلو أن الأمم الإسلامية عادت إلى سيرة أسلافها ، وتمسكت بكتاب ربها فعلمه بنوها أولادهم وبناتهم ، وحفظه رجالهم ونساؤهم -

الناس من الظلمات إلى النور ، فقد عاش الناس - قبل نزول القرآن - في ظلمات بعضها فوق بعض ، لا يرون نورا من الحق ولا يهتدون سبيلاً ، بل غابت عنهم الحقائق وضاعت فيما بينهم الحقوق - حتى إذا ما نزل القرآن - كان الهداية العظمى والنور المضيء والأمر الموجه والنهي عن مواعظ الشر والفساد .

ولقد كان ربيع القلوب وضيائها ، ومصباح هذه الأمة الذي أنار لها ليلها الداجي وخط لها الطريق المستقيم الذي تسير فيه على هدى من الله .

ولطالما كان القرآن - للحافظين له الفاهمين لمعانيه وأحكامه الواعين لمبادئه - سنداً قوياً جعل منهم أولى قوة وبأس شديد لا تلين قناتهم لعدو ، ولا يستبد بهم إنسان ، بل يعيشون دائماً في إطار تملؤه الحرية القوية التي فطر الله الناس عليها ، فيسعدون بالحياة لأنهم يعيشون في استقرار من مبادئ قوية غرسها في نفوسهم القرآن ، فهم رحاء بينهم ، تراهم في صدق تعاون وصادق محبة وتعاطف أكيد ، يتجاربون في الإحساس والشعور ، فهم دائماً على قلب رجل واحد لا يبعون من وراء ذلك إلا أن يكونوا أمة واحدة مترابطة تقف سداً منيعاً في وجه الشر والبغى والطغيان .

ومن حكم بغيره قسمه الله ، هو الذكر الحكيم والنور المبين ، والصراط المستقيم ، وجعل الله الدين عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعيب ، ولا تنقض عجايبه ، ولا يخلق على كثرة الرد .

فأبشروا إذن يا من حبستم أنفسكم على القرآن معلمين ومتعلمين ومشجعين ، فإن لكم من الله أجرا عظيما ، واسألوا الله من فضله فإنه يجزل لكم العطاء ، وثقوا أن الله معكم ويؤيدكم وينصركم ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز .

وإن أملنا لعظيم في أن يقبل المسلمون على حفظه ، وتفهم ما فيه وتفهمه أولادهم ، وكونوا مع القرآن يكن الله معكم قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ، ومن عصى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ، اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بعثة الأزهر في الصومال :

جاءنا من الصومال أن بعثة الأزهر فيه أقامت احتفالا دينياً كبيراً بلبلة الإسراء والمعراج حضره السيد آدم عبد الله عثمان رئيس جمهورية الصومال والسيد رئيس الوزراء ورئيس الديوان الجمهوري وبعض الوزراء وأعضاء

لشب المجتمع على الفضيلة ونشأ على الخلق القويم ، ولأحيا في النفوس الضمائر الحية اليقظة التي تستمد قوتها من فاطر السموات والأرض ، وحينئذ لا ترى في المجتمع الإسلامي غشا ولا سوء ولا ضعفا ولا فسادا .

وما أخرى الأمة الإسلامية أن تتخذ من القرآن نبراسا يضيء لها طريقها ، وأن تتفقه أحكامه وتجعل منه دستور حياتها لتسمو بروح الله وروحها ، وتشرق بنور الله قلوب أبنائها .

والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لانضيع أجر المصلحين . وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ؛ يعبدونني لا يشركون بي شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون .

وصدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - إذ يقول : (إن الله أنزل على القرآن أمرا وزاجرا ، وسنة ومثلا مضروبا ، فيه نبؤكم وخبر من كان قبلكم ، ونبأ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم . لا تنقض عجايبه ، هو الحق ليس بالهزل ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فليج ، ومن قسم به أقسط ، ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ،

عن الجمهورية العربية المتحدة حديثاً مليئاً بالإعجاب والتقدير .

ولقد كانت لمبنى معهدنا هذا نفحة عظيمة من نفحات هذا اليوم المبارك فقد أمر السيد الرئيس حفظه الله بتكملة هذا البناء وسارعت وزارة الأوقاف مشكورة بالمساهمة الفعالة الناجزة وما انتهت زيارة الرئيس المحبوب حتى وصل المبلغ المطلوب وكان لهذا الصنيع الكريم المشكور ثناء على كل لسان ودعاء من كل قلب وتقدير من كل غيور على الدين والأخلاق .

ولقد قال السيد الرئيس في برقية من سيادته إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر حول تشييد مبنى معهد أسوان : « إنه لمن توفيق الله العلى الكبير وفضله العميم أن أزرنا بعونه وأمدنا بنصره حتى هيا لنا الأسباب وأزال العقبات وتم بحمده ورعايته وضع اللجنة الأولى في إقامة السد العالى كما سيتم بناء المعهد الدينى ليكون صرحاً روحياً بجانب الصرح المادى .

وها نحن اليوم نلتقى في حفل افتتاح هذا المبنى الفخم العظيم ملاً قلوبنا بالبشر والسرور ، وكأني بأرواح السابقين الأولين من أهل الأزهر في مئات السنين التى سلخها من عمره المعهد المبارك تطل على حفلنا هذا تشاركنا الفرح وتقاسمنا البهجة وتظهر معنا السرور والغبطة .

الجمعية الوطنية والنواب ورؤساء الأحزاب والهيئات الدينية فى الجمهورية الصومالية .

وأقامت جمعيات دينية كثيرة فى مقدشو احتفالاتها بهذه الذكرى المباركة أقيمت فيها كلمات تضمنت الإشادة بنشاط الأزهر فى الصومال .

مبنى جريد لمعهد أسوان :

احتفل فى الشهر الماضى بافتتاح مبنى المعهد الدينى الجديد فى أسوان برياسة السيد محمد سعد الدين زايد محافظ أسوان وحضور أعضاء مجلس الأمة وكبار الموظفين ومثلى الهيئات والطوائف . وألقى فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن مسلم شيخ المعهد ونائب فضيلة الأستاذ الأكبر فى الحفل كلمة الافتتاح الآتية :

إنه لمن عوامل الفرح والسرور أن يفتتح المبنى الجديد لمعهد أسوان الدينى فى هذا اليوم الكريم المبارك الذى يعتز به الوطن كله ألا وهو يوم العيد القومى لانبثاق فجر الصناعة من أسوان . فإنه فى مثل هذا اليوم من العام الماضى أرسى السيد رئيس الجمهورية حجر الأساس لمشروع السد العالى فكان لهذا العمل المجيد دوى مجلجل فى قاصى الأرض ودانها فى شرقها وغربها وفى شمالها وجنوبها واهتزت لوضع أساس هذا المشروع الصناعى العظيم أطراف الدنيا نأخذ العالم كله يتحدث

لم تفعل تحفظتها السبل المضللة وزجت بها
في هاوية سحيقة ليس لها قرار .

وإنه لمن وسائل اليسر والخير والبركات
على الأزهر خاصة وعلى الوطن والمواطنين
عامة أن قيض الله للأمة بطلا قويا مخلصاً
ذا عزم وحزم وإيمان وصلابة في الحق هو
السيد الرئيس جمال عبد الناصر حفظه الله .

ولقد كان من مآثره الدينية ومن حسناته
القوية رعايته لهذا المبنى وعنايته بأمره حتى
اكتمل وأصبح صرحاً شامخاً صالحاً لاستقبال
طلاب العلم من هذه البلاد الفسيحة التي تنتمي
إلى محافظة أسوان والتي تمتد من السابعة
يأدفو شمالاً إلى أذنجان في حدود السودان
جنوباً في رقعة من الأرض تمتد قرابة أربعائة
وخمسين كيلو متراً .

وإني أذكر هنا بالتقدير والثناء عمل
جمعية المحافظة على القرآن الكريم بأسوان
معنا وعمل السادة الوعاظ في إنشاء هذا المبنى
فشكر الله لهم وشكر لجميع المساهمين والمعاونين
في إبراز هذا المبنى الكريم .

وحفظ الله جمهوريتنا العربية المتحدة
ورئيسها المحبوب .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

إن الأزهر العتيق الذي تجاوز الألف
من عمر الزمن والذي ينتمي إليه هذا المعهد
الكريم كان ولا يزال مشعل النور والمنهل
العذب لعلوم الشريعة واللغة وأصول الدين .
ولقد كان يرسل أشعته العلمية القوية على هذه
الدنيا في آحاد سحيقة لم يكن بها مشعل من العلم
غير مشعل الأزهر ولم يكن بها رحاب لطلاب
المعارف غير رحابه .

إن هذه الجامعة الإسلامية الكبرى جامعة
الأزهر التي ينتمي إليها الآلاف المؤلفة من
العلماء ومن طلاب العلم في مختلف المعاهد
من أبناء جمهوريتنا العربية المتحدة تضم
في جنباتها آلاف أخرى من أبناء الأفطار
الشقيقة وإن مدينة البعث الإسلامية التابعة
للأزهر ينتمي طلاب العلم فيها إلى أكثر من
خمس دولة من دول الأرض وبهذا يستبين
ما للأزهر ومعاهده من أثر في الحركة الفكرية
العالمية ومن توجيه كريم للمسلمين في مشارق
الأرض ومغاربها ، فإنه الرباط الأكبر الذي
يربط شعوب العروبة والإسلام والكوكب
الأغر الأبلج الذي يرسل نوره قويا مشرقاً
يأخذ بمجامع القلوب ، ولا يمكن للبشرية
أن تسير في الطريق السوي والمنهج المستقيم
إلا إذا اهتمت بنور الرسائل السماوية
ووقفت عند حدود الحق والعدل وإن

برِّ الهَجَلَةِ

حكم الطاعة وتمكينه سرعا :

لا شك أن قرار المرأة في بيت زوجها وطاعتها له ثابت بمقتضى عقد الزواج لأنه عقد ملزم للطرفين للرجل بالمهر والنفقة ، وللبرأة بتسليم نفسها والطاعة ، ويدل لذلك قول الفقهاء : تجب النفقة بثلاثة أسباب : بالزوجية والقرابة والملك (١) .

وأصرح من ذلك قول ابن عابدين في التعليق على قول الشارح (فتجب للزوجة بنكاح صحيح ، فلا نفقة على مسلم في نكاح فاسد لانعدام سبب الوجوب ، وهو حق الحبس الثابت للزوج عليها بالنكاح) .

إذا فالطاعة والقرار في بيت الزوجية حق على المرأة للرجل بمقتضى عقد الزواج الذي يستلزم ثبوت موجبه ما لم يقصر الرجل أو يتكاسل في طلب هذا الحق ، بذلك جرى العرف ، واستقر أمر الناس ، والمعروف عرفا كالمشروط نصا ، مع أننا لم نجد أمراً مجمعا عليه من سلف الأمة وخلفها مثل هذا الأمر ، لم يشذ عن ذلك فرد ولم يخرج عليه عالم ولا جاهل ، وليس البرأة أن تمتنع عن

(١) فتح القدير باب النفقات .

تسليم نفسها للزوج بحال إذا طلب الزوج ذلك ، ما دام الزوج قد وفاها حقوقها من معجل صداق أو نحوه ، كما أنه ليس لها أن تنشر على زوجها أو تخرج من بيت الزوجية بغير وجه حق مشروع ، فإذا امتنعت المرأة عن تسليم نفسها أو نشرت بالخروج من بيت الزوجية بعد التسليم ، فللرجل في هذه الحالة أن يمتنع عن الإنفاق عليها جزاء وفاقا على إهدارها لمقتضى العقد . خاصة وأن شرط النفقة تسليم نفسها أو تمكينه من السكنى معها في بيتها ، أو يطالبها بالدخول في بيت الطاعة أمام القاضي ليحكم له بذلك ، وليس قضاء القاضي في هذه الحالة أسراً محتاجا إليه لأن ذلك ثابت بمقتضى العقد ، وإنما هو إغذار للبرأة أن ليس لها حق يخول لها الامتناع ، وإجبارها على الوفاء بمقتضى العقد . والسلطة التنفيذية أن تسلك الطرق القانونية في إجبار المرأة على تنفيذ الحكم بشأن العقود المدنية الأخرى التي لا تجسد إنكاراً من أحد ، أو تتخلص المرأة من ذلك بطلبها الخلع على مال تدفعه للزوج كتعويض عن إخلالها بمقتضيات عقد الزواج .

ومع كل هذه الصيحات التي نسمعها من المرأة لا نسمع لها دليلاً تستند إليه ، أو برهاناً تعتمد عليه إلا منافاة ذلك لكرامة المرأة ، ولحقوق الإنسانية مع أن مثل ذلك لا يثبت حقاً ، ولا ينفي تهمه .

وقد يكون في هذا الحديث الذي نسوقه تعلقة للمرأة وهو ما رواه البخاري والذسائي عن ابن عباس قال : جاءت امرأة ثابت ابن قيس بن شماس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله : إني ما أعتب عليه في خلق ولادين ولكني أكره الكفر في الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتردن عليه حديقته قالت : نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إقبل الحديقة وطلتها تطليقة حيث لم يجبرها عليه السلام على الطاعة .

والجواب عن ذلك يسير إذ أن زوجها لم يسبق منه طلبها في بيت الطاعة كما أنه سلك معها أحد الطريقين المشروعين في مثل هذه الحالة .

أصحهم عبد الوهاب مجاهد

خريج الشريعة

ومدرس بمدرسة شبين الكوم الثانوية بنات

الأزهر من الإسلام

الأزهر الشريف هو المعهد الإسلامي الأعظم الذي لا يزال يحمل رسالة الإسلام كاملة إلى أمم الأرض كلها على اختلاف أجناسها

هذا وحكم الطاعة وتنفيذه غاية العدالة ، إذا علمنا أن الزوج إذا أعسر بنفقة الزوجة طلقت منه بأمر القاضي أو استدان عليه أو حبس في النفقة إذا ظهر غناه ومطله .

فلم تستبيح المرأة إذن حبس الزوج عند مطالبته بالنفقة وتنكر على الرجل استعمال حق ثابت له بمقتضى الشرع ؟.. لاشك أن هذا أمر يجافي الإنصاف وينافي العدالة أغرى المرأة به ما وصلت إليه من نيل بعض حقوق كانت محرومة منها وبعبدة عن متناولها ومساعدة بعض كتاب ممن أعطوا أنفسهم حق نصريف الأمور والتكلم فيما لهم وفيما ليس لهم من أمور لا يدركون معناها ، ولا يعرفون حقيقةها .

ولولا أن حق الرجل بضيق بحبس المرأة حتى تعود إلى عش الزوجية ويعود الحبس على الموضوع وهو تمكن الرجل من امرأته بالنقض ، لكان حبس المرأة في السجن لا بيت الطاعة حتى تفتدى نفسها أو تعود إلى بيت الزوج غاية العدالة ومقتضى الحق .

ومن هذا كله نعلم أن الشرع لم يظلم المرأة ، ولم ينقصها حقاً من حقوقها المشروعة بل كان رفيقاً بها غاية الرفق متسامحاً معها إلى أبعد حدود الإنصاف لو أنها عقلت وأدركت !

بل إن الرجل لا يلجأ إلى طلب الحكم بالطاعة إلا إذا طالبت المرأة بالنفقة مع نشوزها ظالمة له معتدية على حقه .

الأرض ، فأصلح الحياة بعد أن كان الفساد قد استشرى في جوانبها وامتد في أنحائها .. ولا غرو فإن هذه الجامعة الأزهرية العظمى تحمل الرسالة الأخيرة إلى أهل الأرض رسالة الأفكار المثالية والأخلاق العالية والسلوك الحسن والمقومات الإسلامية العظيمة والحضارة الإسلامية التي نفاخر بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وصدق الله العظيم « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » . واليوم وصاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر قد قام برحلته المباركة إلى بعض الأفطار الإسلامية واطلع على أحوال المسلمين وما يقاسون ويعانون من مشاكل اجتماعية ودينية ومذهبية فإن آمالهم أضحت منوطة بالأزهر وأنظارهم غدت إليه مطلعة وقلوبهم به متعلقة . فهل يحقق الأزهر الشريف أمل المسلمين في العالم الإسلامي الكبير وهل يستجيب لدعوتهم في التوجيه والإرشاد فيكون قائدهم إلى كل خير ونهضة شاملة حتى يحقق هذا العالم الإسلامي مطالب العالم الإنساني وحاجاته ويعالج مشاكله وعالقه وما يستجد من حوادث في المجتمع الإسلامي بحلول نافعة مفيدة وأساليب سليمة صحيحة تقوم على الكتاب الكريم والسنة الهادية الرشيدة ؟ ! إن الإسلام إذا وجد رجالا يجددونه كان

وتباين لغاتها وتعدد عناصرها وقد حافظ على التراث العربي والإسلامي طيلة عشرة قرون أو يزيد وما من عادة كانت تحتاج العالم الإسلامي إلا وتصدى لها الأزهر بمثل في رجاله الأحرار فhezمها وقضى عليها قبل أن يستفحل خطرها ويعظم ضررها . وإن الدليل لقائم الآن فقد علم العالم كله جريمة العصابات الصهيونية المجرمة بإفدامها على تحريف القرآن الكريم وإرساله إلى البلاد الإسلامية النائية قاصدة بذلك تهديم عقيدة المسلمين وتحطيم كياناتهم وشل حركتهم الإسلامية المباركة وسرعان ما نهض الأزهر المعمور ليرد على هذه العصابة المجرمة فعبأ جيشه العرمرم الفذ وجند رجاله الأبطال وعلى رأسهم الأستاذ الأكبر ليحذر المسلمين في مختلف ديارهم من هذه الجريمة النكراء التي قامت بها عصابات صهيون الغادرة . وهكذا أثبت الأزهر أنه حصن الإسلام المنيع ومأوى الدعوة إذا ما ادلهم الخطب وحزب الأمر ودهم المجرمون حمى الإسلام والعروبة . .

وما لاريب فيه أن العلوم قد انتهت إلى هذا الأزهر المعمور من جميع أنحاء العالم الإسلامي وأسبغت الحضارة إليه زمامها وحطت في أروقه رجالها وسلبته الأمانة الغالية فكان أميناً عليها محافظاً على تراث الإسلام عاملاً على نشره وبعثه في أمم

ليبعث الروح الإسلامى من جديد وتسعد الإنسانية كما سادت من قبل بهذا الدين الحق دين الإنسانية جمعاء . يقول الأستاذ حسن جاد المدرس فى كلية اللغة العربية من قصيدة هنا فيها الأستاذ الأكبر بمناسبة تعيينه شيخاً للجامع الأزهر :

أعد لأزهرنا قدسى منصبه
فطالما اهتز من ذل وخذلان
وصد عنه تعلات يروجهما
مروج الزيف من زور وهتان
اجعله جامعة معنى وتسمية
فمسا نعلل عن حق بعنوان
وألق فى مسمع الدنيا بصيحته
حتى يردد مسراها السماكان
ولا تخيب رجاء فيك منعقدا
فأنت أدرى بآلام وأشجان

حسن عمر عمر

حول كتاب المصنف :

يرى الأستاذ محمد رجب البيومى تيسيرا لتلاوة المصنف - أن يكتب بقواعد الإملاء الحديث ، تاركين الرسم العثمانى ، وسرد أمثلة من هذا الرسم تظهر مدى المخالفة بين الرسمين ، وهذه الأمثلة التى ساقها نقسمها أربعة أقسام متبعين كل قسم بما نراه .

١ - الكلمات : يائس - يتلوا -

أصلح المبادئ للحياة وأرقى النظم المعاصرة للبشرية اليوم فإن العدل الذى جاء به الإسلام والسياسة التى رسمها لا نباعه هى أقوى الدعائم التى ظهرت وتظهر فى هذه المعمورة ، يقول الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات حفظه الله ذخرا للإسلام والمسلمين « أعتقد أن العروبة إذا اتحدت كانت بقوميتها أساسا لنهضة الشرق وأن الشرق إذا نهض كان بطبيعته أضمن للسلام من الغرب ، وأن الإسلام إذا تجدد كان بسياسته أصلح لإقرار العدل من كل نظام وأن الأزهر إذا أصلح كان بثقافته أهدى إلى تربيتنا من أى جامعة ، وقد تحقق بعون الله وقوته تجديد الأزهر فهو اليوم يدرس لأبنائه الذين يرعاهم ويربهم ويعلمهم من البحوث الإسلامية وغيرهم كل أنواع العلوم والفنون وشتى المعارف والآداب ، لذلك فنحن معشر المسلمين فى غنى بثقافتنا الإسلامية العربية التى تحمل الخير والرحمة والسلام إلى الإنسانية ، عن حضارة الغرب التى تهدد العالم بالدمار والخراب وتندثر البشرية بالزوال والافتناء ، والقائم على حراسة هذه الحضارة الإسلامية البناء اليوم هو الأزهر المعمور قبلة المسلمين فى العلوم والآداب والفقه والحديث الخ . . .

فاللهم إنا نضرع إليك أن تهيم للإسلام رجالا عاملين فى سبيل نشر هذه الرسالة

أنا ، وبهما قرأ أبي ، وألف أنا تثبت كتابة ونطقا عند الوقف ، وعلى مثل هذا شواهد في اللغة العربية .

٣ — الكلمات : ثمودا - سلاسل . يرى كتابتها : ثمود - سلاسل ، ونحن نقول : إن هناك نوعا من الكلمات في المصحف يدل برسمه على لهجة عربية يقرأ بها ، ومن ثم قالوا : إن كل قراءة وافقت رسم المصحف فهي صحيحة ، وهاتان اللفظتان قرئتا بالتونين .

٤ — الكلمة : الظنوننا : يرى كتابتها الظنون ، ونحن نقول : أولا ، إن مثل هذه الألف معروف في اللغة ومنه : « أقل اللوم عاذل والعتابا ، .

ثانيا : لو كتبت الكلمة على ما يراه لنطقت نونا من غير ألف عند الوقف وهو ما يخالف قراءة حفص التي رسم بها المصحف . وأخيرا للأخ الفاضل الشكر على رغبته في تفسير تلاوة القرآن .

عبد المجيد عامر صبح

المدرس بمدرسة النهضة الإعدادية بالمنصورة

لا أذبجته - بأيد - لشأى ، وهذه يرى كتابتها على ما توجه قواعد الإملاء الحديث خالية من الحروف الزائدة ، ومثل هذه لا تنازع الأستاذ فيها ، ولا نرى حاجة - بله الضرورة - إلى الاستمسك بها . على أن لنا هنا ملاحظتين أولاهما قلة هذا النوع في المصحف وأخراهما أن الإملاء الحديث لم يخل من مثل تلك الزيادة ، بل التقص كما في مثل : هذا وهؤلاء - أولئك ولكن والأولى .

٢ — الكلمات : مصرا - لكننا . وهذه يرى كتابتها هكذا : مصر - لكن ، وهنا نرى أن الأخ قد غفل - ولا أقول : قد جهل ، فهو من قد علمت - عن حقيقة الكلمتين فكلمة « مصرا » في قوله تعالى : اهبطوا مصرا منونة : لذلك نلزمها الألف رسما ونطقا عند الوقف ، كما نقول نزلت بلدا فليس يصح أن نقول : بلد ، ومصر في هذه الآية غيرها في قوله : أليس لي ملك مصر ، فهذه علم ممنوع من التونين ، وتلك نكرة منونة . وكلمة : لكننا ، ليست أداة الاستدراك فقط : لكن ، رسمت في المصحف بزيادة ألف ، ولكنها كلمتان : لكن والضمير :

أنباء الثقافة

والأستاذ على منصور المستشار بوضع رسالة عن «القاديانية» ومبادئها وخروجها على تعاليم الإسلام وسترسل هذه الرسالة إلى السفارات العربية في أوروبا لتقاوم بها نشاط القاديانية .

* أنشئ في «أكرا» عاصمة غانا مكتب ثقافي عربي يتحول قريبا إلى مركز ثقافي يضم مجموعة كبيرة من الكتب العربية .

* في مسابقة «شباب الجامعات» ، نجح في الشعر اثنان وعشرون متسابقا . كان أول الجميع من الأزهر هو الطالب محمد أحمد العزب . يصدر قريبا كتاب جديد للأستاذ أمين الخولي عنوانه «تجديد الدين» .

* تقوم وزارة التربية والتعليم في الجمهورية العربية المتحدة ، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلن الأمريكية للطباعة والنشر ، بالعمل على تخطيط برنامج لترجمة الكتب والمراجع التي يحتاج إليها طلبة الكليات غير النظرية والمعاهد الفنية ، على أن يتم ذلك في ثلاث سنوات .

* أصدر سماحة السيد مرتضى العسكري من كبار علماء النجف الأشرف بالعراق كتابا

• رشح مجمع اللغة العربية الأستاذ أحمد حسن الزيات لنيل جائزة الدولة التقديرية في الأدب ورشح المجمع الأستاذ الدكتور عبد الحميد بدوي لنيل هذه الجائزة في العلوم الاجتماعية .

* في الشهر الماضي احتفلت روسيا وشاركتها في ذلك الأوساط الثقافية والأدبية في العالم بمرور خمسين سنة على وفاة تولستوى القصاص والمصلح الإنساني العظيم مؤلف : الحرب والسلام وأناكارينا ، وتولستوى دراسات عن الإسلام تقسم بالشجاعة والإنصاف والتقدير لدين الله الخالد . وجدت في أوراقه إشارات إلى أنه وضع كتابا عن النبي محمد عليه السلام وقد وجدت أصول الكتاب بعد وفاته ولكنه لم ينشر ، لا في عهد القيصرية ولا في عهد الشيوعية .

* تلقت الهيئات الرسمية في القاهرة تقارير من بعض سفارات الجمهورية العربية في أوروبا الغربية تتضمن أنباء عن نشاط كبير تقوم به «القاديانية» بين الطلبة العرب في جامعات تلك البلاد .

وقد كلفت وزارة الأوقاف الدكتور عبد الحليم محمود والشيخ السيد سابق

وفي الصومال اتجه لاستعمال الحروف العربية في الكتابة وآخر لاستعمال الحروف اللاتينية .

• عقد مؤتمر عام في كلية دار العلوم لدراسة تفسير قواعد اللغة العربية .

وحضر المؤتمر ممثلون عن الجامعات في الجمهورية العربية المتحدة ورجال وزارتي التربية في الإقليمين ، والأزهر .

• تقرر قبول عشرة من طلاب تايلاند لدراسة الثقافة الإسلامية واللغة العربية في الأزهر . ويصل هؤلاء الطلاب إلى القاهرة في وقت قريب .

• يفتح قريباً معهد عال لدراسة اللغات الإفريقية والآسيوية يقبل فيه خريجو كليات الأزهر .

• احتفل في برلين بمرور ١٥٠ سنة على إنشاء جامعة « هومبولت » ، واشترك في هذه الاحتفالات مدير جامعة عين شمس ووكيل جامعة القاهرة ممثلين للهيئات الثقافية في الجمهورية العربية المتحدة .

• تمت في الباكستان ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإفريقية « السواحلية » ،

• افتتحت في بيروت الجامعة العربية ، تم فيها إنشاء كليتي الآداب والحقوق واختير أسانذتها من أسانذة كليتي عين شمس والإسكندرية . وهذه الجامعة هي الرابعة في لبنان وأحدثها إنشاء . والأولى هي

عن : « عبد الله بن سبأ » ، وهو بحث وتحقيق فيما كتبه المؤرخون والمستشرقون عن ابن سبأ وقصص إسلامية أخرى منذ القرن الثاني الهجري حتى اليوم .

• تقرر إنشاء ٢٥ جامعة صغيرة في محافظات الإقليم الجنوبي خلال السنوات الخمس القادمة . تنشأ الأولى منهما في المنصورة والثانية في أسوان وتنفرد من هذه الجامعات مراكز في المدن والقرى الرئيسية . وتقام كل جامعة على ثلاثة أفدنة ويشارك الاتحاد القومي مع وزارة الثقافة والإرشاد في تنفيذ هذا المشروع .

وتضم كل جامعة من هذه الجامعات عدة منشآت منها مكتبة عامة ومجموعة من غرف البحث والدراسة والاطلاع . ومكتبة خاصة للسيدات وأخرى للأطفال وقاعة للتأليف الدراسية الدائمة ، ووحدة صحية وملاعب رياضية .

كما تقرر إنشاء مكاتب دينية في المساجد ، وأخرى عامة في القهوات .

• صرح السيد علي محمد هراية وزير الاستعلامات الصومالي ، الذي زار القاهرة أخيراً ، بأن حكومة الصومال قررت استعمال اللغات العربية والإيطالية والانجليزية لغات أصلية إلى أن تتم كتابة الأحرف الجديدة للغة الصومالية التي تستعمل في الحديث ولكنها لا تكتب .

للمستشرق الفرنسي « مورييس بويج » ،
موضوع الكتاب الأول : « نظرية المعرفة
عند الغزالي » ، والثاني موضوعه ومؤلفات
الغزالي ورسائله ، التي زادت على الأربعمئة .
وسيقم المجلس الأعلى للفنون والآداب
مهرجانا لمناسبة ذكرى الغزالي المثوية
التاسعة يعقد في دمشق .

• زار القاهرة السيد « همايون كبير » ، وزير
العلوم والثقافة في الهند لإجراء مباحثات
ثقافية مع المسؤولين في الجمهورية العربية
المتحدة ، ولحضور الاحتفال الذي أقامه
وزير التربية التنفيذي لمناسبة مرور مائة
سنة على مولد الشاعر الهندي الكبير
طاغور .

وطاغور هو الأديب الشرقي الوحيد الذي
نال جائزة نوبل العالمية .

والسيد همايون كبير هو رئيس مجلس الهند
للروابط الثقافية الذي يشرف على مجلة
« ثقافة الهند » ، التي تصدر باللغة العربية .

• زار القاهرة المستشرق السوفيتي بوجين
بيلايف بدعوة من وزارة الثقافة
والإرشاد القومي .

وتباحث الأستاذ بيلايف مع المسؤولين
في الجمهورية العربية المتحدة في مشروع
لنشر المخطوطات العربية الكثيرة الهامة
التي توجد في مكتبات الاتحاد السوفيتي .

الجامعة الأمريكية التي أنشئت من مائة
سنة . ثم جامعة سان جوزيف الفرنسية ،
ثم الجامعة اللبنانية .

• قبل الأزهر منحة دراسية لأربعة من
خريجيه للدراسة في الجامعات الأمريكية .
واختير لهذه الدراسة كل من الأساتذة
عبد المحسن البيلي لدراسة علم الاجتماع ،
وإبراهيم محمود شلبي للتربية وعلم النفس ،
ومحمد فوزي السعيد للفلسفة ، ومحمد كامل
ناج الدين للغة الانجليزية .

• أمر جلالة الملك سعود ملك المملكة
العربية السعودية بإنشاء جامعة إسلامية
في المدينة المنورة .

• زار القاهرة في الشهر الماضي السيد بديع
الدين محمود وزير المعارف والثقافة في
سيلان واجتمع بالسيد وزير التربية
والتعليم المركزي لبحث التعاون الثقافي
بين الجمهورية العربية وسيلان .

كما اجتمع بفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ
محمد شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، حيث
بحث مع فضيلته مشروع إنشاء معهد
للدراسات الإسلامية والعربية بكونجوليمده
الأزهر بالأساتذة ، ويضع مناهجه .

• ظهر كتابان باللغة الفرنسية عن حجة
الإسلام الغزالي . أحدهما مؤلف عربي من
لبنان هو الدكتور فريد جبر ، وثانيهما

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

بصدور عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر جمادى الأولى

مدير المجلة ورئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المصنوع

إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة

ت : ٤٦٢١٤

يشترك في التحرير
عبد الله محمد البقاع

مدير التحرير
محمود الشقراوى

بدل الاشتراك ج

الجزء العاشر — شوال سنة ١٣٨٠ هـ — مارس ١٩٦١ م — المجلد الثانى والثلاثون

اسماء المارءة المارءة

رمضان سنة لا شهر!

بقلم: أحمد حسن الزيات

فى الطعام والشراب ، ويتدفقون فى اللهو والأنس ، ويسرفون على بطونهم بالأكلى حتى تمرض . وعلى جيوهم بالبذل حتى تفرغ . حتى إذا خرجوا منه إلى شوال خرجوا من الواحة إلى الصحراء ، ومن الهداية إلى التيه ، لا يملكون الزاد الذى يبلغهم الأمن ، ولا يجدون الدليل الذى ينجيهم الضلال .

كان أكثر هؤلاء مفطرين وإن صاموا : لأنهم كانوا يستبجحون النظرة الآثمة والكلمة البذيئة والفعلة القبيحة ، فليس من المعقول أن يكون لرمضان سلطان عليهم أو ذخر لديهم أو أثر فيهم ؛ إنما الحديث عن أولئك الذين قضوا أيامه الغر ولياليه البيض ، فى رعادة كرهادة

مضى رمضان ربيع الروح كما يمضى نيسان ربيع الطبيعة . وإذا كان نيسان يخلف من ورائه فى الأرض الخصب والنماء والكلاء والثمر والنضارة فيرتفع فى خيره الإنسان والحيوان سائر العام كله ، فهل يعيش المسلمون بعد رمضان على زاد من تقواه وعدة من قواه وذخيرة من بره تعصمهم من نزوات النفس وشهوات الجسد بقية عامهم إلى أن يعود ؟ .

المفهوم من حكمة الصوم فى شريعة الله أن يكون هذا ؛ ولكن الواقع أن رمضان فى دنيا أكثر الناس ثلاثون عيداً تبتدى بيلة الهلال وتنتهى بيوم الفطر ، يتمتعون فيها بملذات الحس ومسررات العيش ، فيتفننون

أصبحت أطهر ، وأن أخلاقكم صارت أكرم ،
وأن أهواءكم غدت أرفع ؟

وهل تحسون أثر أولئك كله في دنياكم
الخاصة والعامة ، فأنتم اليوم أشد قربا من الله
وأوثق صلة بالناس وأطيب نفسا بالحياة ؟
اسألوا أنفسكم هذه الأسئلة ثم أجيبوا عنها ،
وأنا واثق من أن أجوبتكم ستكون
بالإيجاب ، وإلا لما حزنتم على انقضاء
رمضان ، وأسفتم لانقطاع الخير فيه ، فإن المرء
لا يحزن إلا على عزيز ، ولا يأسف إلا على نافع .
فلماذا إذن لا تجمعلون سائر الأشهر كشهر
رمضان ؟ لماذا لا تستمرون في الصيام عن ظاهر
الإثم وباطنه ؟ فتغلوا أيديكم عن الأذى ،
وتصونوا ألسنتكم عن الكذب ، وتطهروا
أفئدتكم من الفحش ، وتنزهوا مكاسبكم
عن الحرام ، وتبرئوا أعمالكم من الغش ،
وقد جربتم ذلك في رمضان فنفعت التجربة
وحسنت العاقبة ؟

لماذا لا تضيقون الكلفة في القهوة لتوسعوا
النفقة في البيت ، وتقتصدون قليلا في الانس
بالأصدقاء لتوفروا كثيرا من الانس
بالأسرة ، وقد فعلتم ذلك في رمضان فاعتدلت
الحال وطابت المعيشة .

هذا السكير الذي استطاع أن يهجر الخمر
ثلاثين يوما وثلاثين ليلة ، فزكا قلبه ، وامتلا
جيبه ، وصح بدنه ، لماذا لا يواصل العيش
بعد رمضان على هذا المنهج ، وقد علم

طوبى ووضاءة كوضاءة عدن ، لا يرون فيه
إلا خيرا يتدفق في البيوت ، وبشرا يتهلل
في الوجوه ، وذكرأ يتعالى في المساجد ،
ونورا يتألق في المآذن ، وسمرا يتنقل
في الأندية ، ثم حافظوا على شعائره المفروضة
وتقاليده المسنونة ، فالسكير يهجر الكأس ،
والمقامير يترك الورق ، والشرير يؤجل الشر ،
والمجرم ينسى الجريمة ، وكلهم يتشبهون بأهل
الصلاح وذوى السمات فيمسكون السبحة ،
ويتقون الشبهة ، ويصنعون المعروف ؛
فإذا بدأ الربع الأخير من رمضان ودعوه
وعلى وجودهم غشاوة من الأسى على بركات
تريد أن تنقضى ، وخيرات توشك أن تنقطع ،
كأنما يعتقدون أن باب السماء في غيره مغلق ،
وأن وجه الأرض من بعد ربيعته جديب ،
ثم تملؤه محتضرا يقامى غصص الموت ،
فيتجمع عليه الصائمون في البيوت ، والمصلون
في المساجد ، والمؤذنون فوق المآذن ،
والمسحرون على الأبواب ، وكلهم يقولون
سرا وجهرا : لا أوحش الله منك يا شهر
البر والذكر والفكر والدعاء !

إليك أتم أيها الذين صاموه بالتقوى ،
وقاموه بالإخلاص ، وودعوه بالحشرات ،
وشيعوه بالدموع ، أوجه هذه الأسئلة :

هل أتم يوم ودعتموه خير منكم يوم
استقبلتموه ؟

هل تشعرون بعد أن أدبتم فريضة هذا
الركن الشديد من أركان الإسلام أن نفوسكم

وهذا الموظف الذى عود أنامله طوال هذا الشهر أن تساقط حبات المسبحة ليسبح ، وأن تبسط سجادة الصلاة فى كل وقت ليصلى ، ففى أن يمد عينيه إلى جيب المواطن ليرتشى ، أو يديه إلى خزانة الدولة ليختلس ، وذكر أنه إنسان كله الله بالعقل ، وجهله بالخلق ، وهذبه بالضمير ، لم لا يذكر فى شوال أن أنامله التى تمسك القلم وهو مفطر كانت تمسك المسبحة وهو صائم ، وأن ربه الذى كان يحشاه فى رمضان لا تأخذه سنة ولا نوم فى سائر الأشهر ؟

إن رمضان سنة لا شهر ، وذخيرة لا نفقة ، ومصحة لا ملهى ، ورياضة لا متاع. تروض فيه أنفسنا على الخير لتمرن عليه ، ونعالجها به من الشر لتبرأ منه . وليس الغرض من علاج النفس والجسم فيه أن ينقضى أثره الطيب بانقضائه ، فإن ذلك يخالف حكمة الشارع من الصوم ، ويناقض منطق الأشياء فى الواقع ، فإن المريض الذى يطلب العافية فى مدينة من مدن المياه الطبية لا يطلبها للذة التى يقضيها فى المصحة ، وإنما يطلبها لتكون عمادا قويا لما وهن من جسمه وزادا صحيا لما بقي من عمره . وما أبعد المسلم عن الإسلام إذا اعتقد أن الصلاة لا تنهيه عن الفحشاء والمنكر إلا وهو فى المسجد ، وأن الصوم لا يعصمه من اللغو والأذى إلا وهو فى رمضان ، وأن الصدقة لا تطهره ولا تزكيه إلا وهو فى العيد ! خذوا إذن من ربيع النفس

بالاختبار أن هذا الهجر قد نفعه ولم يضره ، وتيسر له ولم يتعسر عليه ؟

وهذا المدخن الذى ترك التدخين ثلاثين يوما فأراح صدره . وسكن أعصابه ، وقوى شهيته ، لماذا لا يستمر صائما عنه ليله ونهاره ، وقد رأى أن فى طاقته الاستغناء عنه والحياة بدونه ؟

وهذا القوى الذى كان وهو صائم يمر باللغو كريما ، فيقابل الذنب بالمغفرة ، والسبىة بالحسنة ، والقطيعة بالصلة ، فوصل السلام بين قلبه والأمن ، وقرب الوثام بين نفسه والسعادة ، لماذا لا يحرص على هذا الخلق وهو مفطر بعد ما جنى من خيره فى أربعة أسابيع ما لم يجنّه من غيره فى العام كله ؟

وهذا التاجر الذى راضه الصوم على أن يقف نفسه عند حدود الله فى التجارة ، فلم يطفف الكيل ، ولم يخسر الميزان ولم يقارف الاحتكار ، ولم يغش البضاعة ، ولم يرفع السعر . ثم تحقق من جدوى ذلك عليه فى رضا ربه وراحة ضميره ومصلحة وطنه ، لماذا لا يلزم نفسه ذلك فى كل وقت بعد أن استمرأ طعم الحلال وأدرك لذة الحق ؟

وهذا الغنى الذى ذاق فى رمضان ألم الجوع ، وكابد مشقة الحرمان ، ثم استطاع بالصدقة أن يخفف عناء الفقر عن فقير ، ويدفع شر الحاجة عن محتاج ، لماذا لا يشعر دائما أن الجوع بعد رمضان باق ، وأن العوز فى أكثر الناس قائم ، وأن للسائل والمحروم حتما لا يتقيد أداؤه بيوم ، ولا يتخصص قضاؤه بصوم ؟ .

اللغة العربية

بين لغات الحضارة العصرية

للأستاذ عباس محمود العقاد

لا يساويها ولا يلحق بنا في مأثرة من مأثر الشرف والقدرة والصلاح !

وجاء بعدهما زمن وقفنا فيه بين بين !
وسمحنا فيه ببعض الذم وبعض الثناء في آن ،
ولعلنا سنقترب مع هذا الزمن إلى حالة
صالحة ليست هي إلى الغلو في التبكيك ولا
إلى الغلو في التيه والفخار ، ولكنها حالة
النقد المميز والتشخيص الدقيق لما نحن عليه
من صحة وسقم ، ومن حاجة إلى الإكثار
أو حاجة إلى الإقلال .

كل أولئك أدوار لازمة محمودة العاقبة
في أوقاتها . فالتبكيك لازم للإيقاظ
والإنهاض ، والفخر لازم لاستعادة الثقة
بالنفس والاعتماد عليها والاستعداد للحرية

حضرنا زمنا - في مطلع الشباب - كنا
نستمع فيه إلى خطب المساجد وخطب المنابر
الأدبية والسياسية ، ونقرأ الصحف
والنشرات ، فلا نخرج عما سمعناه وقرأناه
بغير معنى واحد متكرر ، يبتدىء وينتهي
بالنعي البالغ على الأمة وتشديد التنكير على
الحاضرين والغائبين من أبنائها ، ووصفهم
كافة بالجهل والغفلة والتخلف عن سائر الأمم
في كل حميد مشكور من الأخلاق والعادات ،
عاداتها وخصالها .

وحضرنا زمنا بعده تبدلت فيه هذه النغمة
وانتقل بنا خطباؤه وكتابه من غاية الذم
إلى غاية الثناء ، فنحن أشرف الأمم وأقدر
الأمم وأصلح الأمم ، وغيرنا من الأمم

وبهذه النية وعلى هذه العزيمة تكونون
خلقاء أن تهناؤا بحزنكم في وداع شهر الصوم
وبفرحكم في استقبال عيد الفطر ، فإن الحزن
على رمضان تقوى وبر ؛ لأنه حزن على خير
مضى وأنس فات ، وإن الفرح بالعيد عبادة
وشكر ؛ لأنه فرح بيشري نزول الوحي
وذكرى يوم بدر .

أصمير من الزينات

ما تأخذ الأرض من ربيع الطبيعة : خذوا
لعبوس حياتكم من طلاقته ، ولسموم
طبيعتكم من طرأته ، ولجذب دنياكم من
خصوبته ، ولاضطراب عيشكم من سكينته ،
ولا عوجاج سلوككم من استقامته ، ولميوعة
بجمعكم من صلابته ، ولشتات كلتكم من وحدته ،
وذلكم هو الزاد الإلهي الذي تخرجون به
من رمضان لغذاء القلب والروح ، وخدمة
الوطن والأمة ، وخدمة العمل والجهاد .

ومن دواعي الرضى — بحمد الله — أن
يسعدنا علم اللغات الحديث فيما نبغيه من ثقة
ومن معرفة بالحقيقة . فإن هذا العلم الذى
تولاه على أيماننا أناس من غير أبناء الضاد
يعطينا معياراً صادقاً نعرف به مكان هذه اللغة
العريقة بين لغاتهم الشائعة ، ومنها العريق
والمستحدث منذ قرون لا تحسب من الآماد
الطوال فى أعمار اللغات .

كان نقاد الآداب واللغات عندهم يحسبون
أنهم يعطفون على اللغة العربية غاية العطف
الذى يقفون عنده ولا يستطيعون الزيادة
عليه ، حين يقولون لها بأنها لغة جميلة
وينكرون عليها أنها لغة عالية ، فى طبقات
اللغات الحية ، ولكن علوم اللغة التى يقررها
نقاد الآداب واللغات تثبت لها العلو ، فى
الطبقة ، كما تؤكد لها صفة الجمال التى لم
ينكروها عليها ... وبالمعيار المستفاد من هذه
العلوم اللغوية نعرف لها مكانتها بين اللسان
الناطق ، ونقول فيها - بغير لسان الفخر -
ما ينبغى أن يقوله الناقد العربى والأجنبى
بلسان التحقيق .

إن الفوارق الفكرية أصعب من فوارق
الجغرافيا والثروة تعليلاً بأسباب الارتقاء
والتطور ، ولكن معيار اللغة - وهى تدرج
فى أطوار التشكوين - أبرز من الفوارق
الفكرية جميعاً ؛ لأنها قابلة للضبط والتقسيم
وأدنى إلى التقسيم بالضوابط والعلامات من
فوارق التفكير والبواعث النفسية ، وقد

بعدتها الصالحة ، ويلزمنا بعد الثقة بالنفس
أن نقصد فيها فلا ننتهى بها ولا ننتهى بنا
إلى الغرور الباطل ، والادعاء الوخيم .

ومثل هذه الأدوار قد مر باللغة العربية
فيما يحسب لها وما يحسب عليها ، وما هو من
حقها فى كلا الحسابين .

عرف الناطقون بالضاد قديماً أنها أفصح
اللغات ، وكاد الفخر بها أن يتأدى إلى إنكار
الفصاحة على سائر اللغات .

وجاءنا عصر الترجمة الحديث فرجعنا إلى
نقيض ذلك الفخر وكاد العجزة من المترجمين
أن يحسبوا عليها عجزهم فيبطوا بها من طبقة
اللغات الحية إلى طبقة الرطانات التى حق عليها
الركود وسوف يحق عليها الدثور والنسيان ،
ثم أفضينا - بعد فترة - إلى أوائل دور
الاعتدال بين الأمل فيها واليأس منها ،
فقال شاعر كبير على لسانها قبل خمسين سنة :
وسعت كتاب الله حكماً وحكمة

وما ضقت عن آى به وعظمت
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة

وتنسيق أسماء لمخترعات ١١
وهذه - كذلك - أدوار لازمة لها ما بعدها
فلا بد من الشعور بالنقص ولا بد من علاجه ،
ولا بد من الثقة المستعادة عن علم أو عن بيئة
علية ، نعرف بها الحقيقة لننتفع بمعرفتها
ولا نبغى بها أن نسوقها مساق الفخر الذى
لا سند له غير أنه يرضينا .

معاني الجمع والتثنية والإفراد ، وقد تسمى لغات التجميع أحيانا باللغات المنفصلة Isolating لأن الكلمة فيها تنفصل بصيغة واحدة لا تتغير حروفها ، وإنما يتغير المعنى بضم صيغة منها إلى صيغة أخرى ، بترتيب متبع أو بغير ترتيب يلتزم في جميع الاحوال. ومن فروع هذه اللغات ما تكون أسماءه وأفعاله من جملة تألف من عدة مقاطع وأجزاء ، وتسمى لذلك بلغات التركيب الكثير Polysynthetic .

أما لغات الاشتقاق فهي اللغات التي يعم فيها الفعل الثلاثي في كل مادة وتجري قواعد الصرف فيها على المخالفة بين الأوزان بحسب معانيها ، ويكثر فيها اختلاف الحركة في أواخر الكلمات اتباعا لموقعها من الجملة المفيدة. ويشيع النحت في اللغات الهندية الجرمانية كما يشيع التجميع في اللغات المغولية ولغات القبائل الأمريكية الأصلية ... أما الاشتقاق فهو من خصائص اللغات السامية ، وتكاد اللغة العربية من بينها أن تنفرد بعموم الاشتقاق واطراده ، مع تحريك أواخر الكلمات حسب مواقعها من الجمل المفيدة . وربما اتفق اللغويون على قواعد عامة عملت في تطور هذه اللغات جميعا ولم تختص بها لغة دون سائرهما .

ومن هذه القواعد العامة أن الكلمات الانفعالية التقليدية أسبق من الكلمات الإرادية

تكون علامات اللغة مما يستعان به على جلاء الفوارق عند التباين على تقاد الفوارق النفسية والاجتماعية .

واللغات في تصنيف بعض علمائها تنقسم على حسب الأجناس والسلالات التي تتكلمها ولكنه تقسيم يعتريه الاختلاط لاشتراك الأمم في لغة واحدة ، أو عائلة لغوية واحدة مع انتمائها إلى أصول متباعدة ، وخير منه أن نقسم اللغات على حسب تكوينها وتكوين قواعدها وعوامل التصريف في مفرداتها وتراكيبها وهو تقسيم يضبط الفوارق ضبطا كافيا للوازنة بينها والمقابلة بين عوامل الفهم والاختيار وعوامل التقليد والاضطرار في تراكيبها وتعبيراتها .

وتنقسم اللغات من حيث التكوين إلى لغات النحت ولغات التجميع ولغات الاشتقاق .

فلغات النحت هي التي تتكون فيها الأسماء والأفعال والصفات بإدخال المقاطع الصغيرة عليها أو إلحاقها بها ، وتسمى لغات النحت أحيانا باسم اللغات الغروية في اصطلاح الأوربيين : Agglutinating لأن مفرداتها تلصق لصقا لتنويع معانيها ، كما تلصق أدوات البناء بالغراء .

ولغات التجميع هي اللغات التي تعتمد على اللصق كما تعتمد عليه اللغات الغروية ولكنها تعتمد قبل ذلك على التنعيم ، لتنويع المدلول . والتمييز بين الصفات والظروف ، وبين الأدوات والأجناس ، وغيرها من

وضع الكلمات ، سواء بالمحاكاة الصوتية أو بالتكرار على غير قياس .

وشيوع القاعدة في فعل كل مادة وفي الأسماء والصفات منها دليل على سبق التفكير في التعبير ، وتعميمه على الأحداث والمعاني غير موقوف على أصوات الانفعال والمحاكاة ، ويتبع ذلك شيوع الاستعارة وإمكان الجمع بين الوضع الحقيقي والوضع المجازي في كلام المتكلم ، لتوسيع المعاني وبناء الكلمات على المضاهاة بين المدلولات .

إن دلائل التطور العريق الذي امتازت به لغة الضاد تحقيق على يقرره غير أبناء اللغة ، وليس بالفخر القومي الذي يعلنه أبناؤها وحدهم ، بغير دليل .

ومن قبل بسطنا القول عن صلاح الحروف العربية لكتابة اللغات من شتى العائلات اللسانية ؛ لأنها صلت لكتابة اللغات السامية واللغات الطورانية واللغات الهندية الجرمانية ، ولم تؤخذ عليها عيوب لم توجد نظائرها ، وأعيب منها في الحروف الأجنبية . ولولا أن العادة تدفع الناس وراء الكلام المردد إلى التسليم السريع وتوهمهم أنهم في غنى عن تحقيق ما يسمعون وتكرر أصداءه على الأسماع ، لما ظهر لأحد أن هذه الحقائق المقررة مفاجأة للأسماع تدهشها كما تدهشها أعجب المفاجئات .

عباس محمود العقاد

الفكرية ، ويريدون بالكلمات الانفعالية ما يصدر عن الإنسان عفواً من الأصوات والصيحات التي تعبر عن الفرح أو الفزع أو الدهشة ، وما تكون الكلمة منه أحياناً من قبيل المحاكاة الصوتية : Onomatopoeic كاسم البلبل والكوكو ، وألفاظ الدق والقطع والوسوسة وما جرى مجراها .

ويريدون بالكلمات الإرادية الفكرية كل ما يقصده المتكلم ويجري فيه على القياس والاستعارة ، وإطلاق القاعدة الواحدة على المتشابهات لفظاً أو المتشابهات لفظاً ومعنى . وأكمل اللغات - على سنة التطور والتقدم - تلك اللغات التي انتظمت قواعدها الصوتية Phonologia وقواعدها الصرفية Morphologic وقواعد التراكيب والعبارات .

ثم يضاف إلى الظواهر الصوتية في قياس تطور اللغات ظاهرة التمييز والتخصيص في الصفات إجمالاً وفي المفردات على التعميم ، كالتمييز بين المذكر والمؤنث والجماد ، وبين المفرد والمثنى والجمع ، وبين جمع القلة وجمع الكثرة ، وبين الصفات العارضة والصفات الملازمة ، وهي جميعاً من المزايا التي تمت للغة العربية على مثال لم تسبقها إليه لغة من لغات الحضارة .

فقيام اللغة على القواعد الفكرية دليل يثبت لها سبق على لغات الارتجال الجزاف في

الإسلام هو دين الدولة الرسمي

ويجب أن ينص على ذلك في الدستور

للأستاذ محمد محمد المدني

حتى زلزل المؤمنين وظلوا يتساءلون : متى نصر الله ؟ .

والآن وقد رأينا بأعيننا هذا الروح الكريم يسرى في الأمة العربية ، ورأينا العقلية الجديدة التي انبعثت من هذه النهضة تعتبر العروبة ، أساسا دستوريا يجب أن يكون هو المادة الأولى من كل دستور في أي شعب عربي ، ويجب أن يكون هو المحور الذي تدور حوله آمال الوحدة والائتلاف ؛ فإننا نستبشر خيرا ، وننتطح إلى آفاق واسعة من العظمة والمجد والسمو في ظل المثل الرفيعة والقيم الحقيقية .

وقد شرعت الجمهورية العربية في وضع دستورها ، وعهد الرئيس إلى المجلس الذي يمثل الأمة ، ويجمع جميع طوائفها وألوان التفكير فيها ، بأن يضع هذا الدستور مستلهما روح النهضة ، مستهديا بتاريخ هذه الأمة ، مترسما آمالها في المستقبل وما لها من رسالة في العالم ، واختار المجلس من أعضائه الكرام من يدرسون هذا الأمر الخطير

من الوثبات الإصلاحية التي وثبتها هذه النهضة الجارية الناصرية ؛ بعث الشعور بالقومية العربية ، أو بإيقاظ الوعي القومي العربي كما يطيب لكثير من السكاكين أن يعبروا عن هذا المعنى الآن ، ولا شك أن العروبة هي أصلنا العريق ، وأنها تجمع بين الناطقين بالضاد في خصائص ذات قيمة عملية وآثار فعالة في النهوض بالأمم ، وتمكينها من السير في ركب التقدم العالمي والحضارة الإنسانية ، بل من السير في مقدمة هذا الركب والمشاركة في قيادته ، ولسنا نقول ذلك تعصبا لعروبتنا ، أو اعتزازا بقوميتنا ولكن نقوله ونجد في تاريخنا المجيد صفحات ناصعة تشهد بصدقه ، وتضرب كثيرا من الأمثلة على صحته .

وإننا لنحمد الله تعالى أن أرانا هذا الروح أو هذا الوعي قبل أن نخرج من هذه الدنيا ، فلقد مرت بنا عشرات من السنين ما كنا نرى فيها ولا نسمع إلا أنين العروبة تحت أثقال الاضطهاد والإضعاف والتشكيل

مؤلفا من صنف واحد من الناس ، هم جميعا على شاكلة واحدة في التفكير ، وعلى مبدأ واحد في العقيدة الدينية ، ولكن المجتمعات الطبيعية هي التي تكون موطننا متسعا لكل منهج من مناهج التفكير ، ويكون لها من المرونة والسباحة ما يجعلها صالحة لأن يجد فيها كل ذي عقيدة مجالا حرا يزاول فيه نشاطه العقلي ، ويتجه فيه اتجاهه الروحي دون مصادرة .

ولكن هذا لا يمنع تألف المجتمعات من كثرة متفاهمة متلاقية ، تجمعها روابط فكرية عقيدية ، وقلة تعيش بجانب هذه الكثرة وتحت ظلها آمنة مطمئنة ، بل هذا هو الأصل في المجتمعات ، فإن الفرق بين مجتمع ومجتمع هو أن الكثرة في هذا المجتمع متفاهمة متلاقية على نوع معين من العقائد والأفكار والأهداف ، والكثرة في مجتمع آخر متلاقية على نوع آخر ، وأفكار وأهداف أخرى . ثم إنه لا عيب على الكثرة في مجتمع ما ، إذا هي تطلبت السيادة لأفكارها ومناهجها وعقائدها ، ولم تسمح في هذا الجانب بأن يعبث بها ، ويجتري عليها ؛ وإنما يعيها أن يخرجها ذلك إلى لون من ألوان العصية التي تنهى بها إلى اضطهاد ما يخالف فكرتها ، أو محاولة الإرغام على عقيدتها .

ولقد كان المجتمع الإسلامي الأول ، وهو مجتمع المدينة على عهد رسول الله صلى الله

الشان ، ويحضرون مشروعه ، فكان حقا على كل ذي رأى أن يمد هذه اللجنة برأيه في مختلف النواحي ، حتى يجي الدستور وليد تفكير دقيق محيط ، ويكون محققا لأهداف أمنا العريضة ، معبرا عما تجيش به الصدور تمام التعبير .

وهأنذا أدلى بدلوى في شأن هام من الشئون التي يجب أن تهتم بها لجنة الدستور : إنني لأعرف أن هناك فريقا من الناس يود لو استطاع أن يعتمد بالدستور عن أن يقرر مبدأ النص على رسمية الإسلام كدين للدولة ، ووجهته في ذلك أن الجمهورية العربية المتحدة تتألف من مسلمين وغير مسلمين ، وأن الآمال منعقدة بأن المستقبل المرجو للعرب في مختلف شعوبهم هو مستقبل الوحدة أو الاتحاد ، وهناك شعوب عربية فيها كثرة أو ما يقرب من كثرة تدين بغير الإسلام ، فربما كان من المستحسن أن يشعر هؤلاء بأنه ليس هناك حوائل تحول بينهم وبين إخوانهم العرب ، فليترك النص على دين معين في الدستور مراعاة لذلك .

هذا معنى يراود بعض الأذهان من غير شك ، ولنه يمكن صرحاء في عرض هذه الفكرة لتمكن من الرد عليها ، وبيان وجهة نظرنا فيها .

إننا نقول لأصحاب هذا التفكير :

لا يمكن أن يكون مجتمع من المجتمعات

أن تكون غامضة غير واضحة ، أو أن يكون هناك من يرجف عليها . ويضع بين العقول وبينها حجباً تحول دون اكتشافها ومعرفتها . لذلك عني القرآن الكريم ببيان عقيدة الإسلام في كثير من الآيات ، ولم يمنعه من بيان هذه العقيدة تعدد الأديان في مجتمعه ، ولا تطلعه لأن ينضوى العالم كله تحت لواء دعوته ، ولم يأت في هذا البيان إلا بالحقائق التي لا ينكرها أحد من هذا الدين أو ذاك . فانظروا إلى مثل قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَالْكِتَابَ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ، وَالَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا . »

فهذه الآية موجهة إلى جماعة المسلمين ، والمراد بها تقرير أصول الإيمان الصحيح ، والعقيدة الكاملة التي جاءت بها كل رسالة إلهية ، وهي تلتخص فيما يأتي :

(١) الإيمان بالله ، وذلك يقتضي الإيمان بوجوده ، وبجميع صفاته التي ترجع إلى أنه تعالى متصف بكل كمال ، متزه عن كل نقصان ، وأن جميع ما في الكون ، خاضع لآلوهيته ، مستند إلى فضله في إيجاد وإمداده .

(٢) الإيمان برسوله ، وقد يفسر هذا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهو المتبادر من

عليه وسلم ، مجتمعا طابعه العام هو العقائد والمبادئ والأفكار التي جاء بها الإسلام ، وكانت الكثرة الكاثرة فيه للمسلمين ، والقوة الفعلية المؤثرة المدبرة - أو بعبارة أخرى - الهيئة الحاكمة - للمسلمين ، ولكنه كان مع ذلك مجتمعا ، شتركا يضم فريقا كبيرا من اليهود لهم دينهم وتقاليدهم وأحياءهم وعشائهم ، ويضم أفراداً من النصارى وإن لم يكونوا إلى مثل ما كان عليه اليهود من الكثرة والنفوذ والمداخلة للمسلمين ، وكان هذا المجتمع متمتعا بالحرية الفكرية إلى درجة أنه كان موطن نضال وجدال بين المسلمين وأهل الكتاب من يهود أو نصارى ، وأن الإسلام كان يلاقى من هذا النضال ألواناً من الصعاب يحتملها في صبر وثبات .

وكان على الإسلام أن يضع السياسة للتوجيهية لهذا المجتمع وأن تكون له باعتباره دين الكثرة سلطة للتنظيم والتقنين ، وهذا هو ما حدث فعلاً ؛ إذ كان التشريع لهذا المجتمع مصدره الكتاب والسنة وولاية أمر المسلمين .

وكان على الإسلام في جانب العقيدة أن يبين دعوته ، وأن يعلن على الناس عقيدته ، وأن يجعلها بذلك واضحة معروفة فإن الحقائق إذا ظهرت ووضحت ، كانت هي الداعية إلى نفسها والمدافعة عن نفسها ، وإنما يضرها

(٥) الإيمان باليوم الآخر، وبكل ما جاء عنه في كتاب الله وفي السنة، على ما ذكرنا، من الجنة والنار، والوزن والحساب، وغير ذلك كما جاء دون تفصيل لما لم يفصل، ولا زيادة ولا نقص، فهذا هو المنهج السليم في شئون الغيب والآخرة، لأنه لا مجال للعقل إثباتاً أو نفيًا في ذلك، وما دنا نؤمن بالله فيجب أن نؤمن بكل ما صح بجيئه عن الله، على الصورة التي جاء بها، فمن زاد عليها أو نقص منها؛ فقد جا. بشيء من عنده.

وهكذا نجد هذه الآية كما نجد آيات كثيرة غيرها تفصح عن عقيدة الإسلام إفاصاحاً تاماً ولا تأتي في هذا الإفاصاح بما تسكره العقول أو الأدبان الصحيحة، ولا يمنعها من ذلك تعدد الأدبان في المجتمع، لأنها إنما تقرر عقيدة الكثرة، أما القلة فلها أن تؤمن بما شاءت وترفض ما شاءت، متحملة مسئولية هذا وذاك أمام الله دون ضغط ولا إكراه.

فلهذا نقول للجنة الدستور في صراحة وقوة: أعلنوا أن الإسلام هو دين الدولة، واعلموا أن إخواننا غير المسلمين إنما هم في ذمة الله ورسوله، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، ونحن جميعاً سواء في الوطن، والحقوق.

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

التعبير بقوله (ورسوله) فإنه هو الرسول الحاضر المعهود للخاطبين، وقد يفسر بأنه جميع الرسل ومن بينهم سيدهم وخاتمهم، على سنة المفرد المضاف الذي يعم، فالمراد على هذا: آمنوا بالله ورسوله، ولكنه عبر بالمفرد فقال « ورسوله » ليشير إلى أن جميع الرسائل تمحضت في رسالة الرسول الأخير، وأن الرسائل وإن تعددت في العصور إنما هي رسالة واحدة لا تختلف في الأصول، وأن من آمن برسالة الرسول الأخير فقد آمن بالرسالات كلها، وإذن فالمطلوب هو الإيمان بالله ورسوله، ثم إنها تتحدث عن الكتاب الذي نزل على محمد، والكتاب الذي أنزل من قبل، أى الكتب السابقة على القرآن، وقد ذكرت أيضاً بلفظ المفرد والمراد كل كتاب سماوى إيداناً بأنها كلها من حيث ما جاءت به من الحقائق، وما رمت إليه من الهداية بمنزلة كتاب واحد.

(٣) الإيمان بجميع الكتب المنزلة لا فرق بين كتاب وكتاب.

(٤) الإيمان بعالم الغيب الذى ذكر منه في هذه الآية بعض ما فيه، وهم ملائكة الله على ما وصفهم به الله في كتابه المفيد لليقين، وفيما يطمئن القلب إلى وروده حقاً عن رسوله الأمين.

نفاية القرآن

المؤمنون بالحق منصرفون وإن قاتلوا
والمتشبهون بالباطل مخذولون وإن كثروا
والمثل في بني إسرائيل ...
للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(١) وإذا قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم

عذابا شديدا ؟ ؟

(ب) قالوا : معذرة إلى ربكم - ولعلهم يتقون .

(ج) فلما نسوا ما ذكروا به أنجبنا الذين ينفون عن الدعاء .

(د) وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون

١ - في كل أمة مجاهدون صابرون ، ويجاهدون في إرشادهم ، ويتلقون منهم أسوأ
وفي كل أمة خبيثاء مفسدون . ما يلقاه صابرون محتسبون .

وقد عودنا الله بحكمته وقدرته أن يؤيد أهل الحق ولو كانوا قلة ، لأن الحق صفة - تعالى - بل من أسمائه ، والحق شرعته في أفعاله وشرعته في خلقه ، فالناهضون إلى الحق جنود الله ، والناكصون عن الحق أعوان الشيطان وأعداء الله ... وإنما ينصر الله جنده ، ويهزم أعداءه .

وإنه لمن فضل الله على الناس أن يهيئ

في كل بيئة من يتعاهدها بالتوجيه ، ليظلوا

على بصيرة من أمرهم ، فلا تتجه الحياة بهم

إلى البهيمية ، وينحدرون عن مقام الإنسانية

- ثم لعل استمرار الدعاة على دعوتهم ،

٢ - ومع ما غلب على بني إسرائيل

من فسوق ، وما تحكم فيهم من ضلال

كان رسلهم وأخبارهم يدهبون على نصحتهم ،

الرسالة ، وبذل الهداية يأبون الانصراف واليأس ويلتمسون لأنفسهم سببين كريمين . قالوا : « معذرة إلى ربكم - ولعلمهم يتقون ، يريدون : أن يشاربنا على الدعوة لهؤلاء المتتمردين لنبرأ إلى الله من تبعه التتصير أولا وطعنا في هدايتهم ثانيا . فربما جنحوا إلى التقوى بسبب مواصلة الإرشاد .

ثم ظل الدعاة على منهجهم ، وظل العصاة على غيهم فماذا كانت النتيجة ؟ جواب هذا السؤال في قوله تعالى :

« فلما نسوا ما ذكروا به أنجيناهم الذين يهنون عن السوء ، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفسقون » .

لما بقي المخالفون على تناسيهم للنصح الموجه إليهم ، حتى كأنه غير معهود لهم ، وقعت فيهم سفة الله ، وجرت عليهم حكته فأخذهم بعذاب بئس شديد عليهم ، سىء الأثر في كيانهم وفي سمعتهم ، وذلك بسبب فسقهم .

وكان عدلا من الله أن يقصر عليهم جزاء عملهم . وأن ينجي من ذلك العذاب البئس دعاة الخير الناهين عن عمل السوء .

هـ — ولكن ما هو العذاب البئس الذي جلبته عليهم معاصيهم ؟ ؟ .

وجواب هذا في قوله تعالى : ثانيا - « فلما عتوا عما نهوا عنه ، قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ، يعني لما أسرفوا في المخالفة حتى لم

وتحملهم في سبيلها مرارة الغنت أمارة أخرى على رعاية الله لعباده ، وتنظفهم ، إذ لم يعالجهم بالهلاك من عنده بل يثبت فيهم أصحاب الدعوة ، ويخفف عليهم متاعها ، وصعابها ، حتى يبلغ الأمر مبلغه من نجاح أو يأس ، ويفطوى من الزمن ما يكفى للخبرة والمطاوله ثم يكون قضاء الله في خلقه على ما أرادهم من عاقبة مقدورة بالخير أو السوء .

٣ — وكان في بني إسرائيل طائفة ثالثة طيبة غير الناصحين ، ينظرون إلى العصاة منهم نظرة اليأس من هدايتهم ، وينظرون إلى الدعاة الأخيار نظرة الإشفاق ، والترفق ، ويحاولون أن يصرفوهم عن دعوة هؤلاء الأشرار الماكرين ، ويقولون : « لم تعظون قوما الله مهلكهم ، أو معذبهم عذابا شديدا » . يعنى : لا فائدة من إرشاد قوم مصرين على إفسادهم ، ونقضهم للعهود التي تؤخذ عليهم والمفروض أن يهلكهم الله حتما ببلاء يحتاجهم في دنياهم ، أو يعاقبهم بالعذاب الشديد في آخرهم ، أو يجمع عليهم هلاك الدنيا وعذاب الآخرة .

فوقف هؤلاء موقف المحايدون لا يرتكبون ما يرتكبه المخالفون ، ولا ينهضون بالنصح مع الناصحين ، بل يرون أن يعرض الناصحون عن ذلك المجمود الضائع .

٤ — ولكن الناصحين المتعلقين بأداء

مخلفاتهم ، فهم قد انقضوا ، وبقيت ذكرياتهم في كتاب الله تبيكتنا خلفهم . .

ويرى بعض المفسرين أنه نسخ أدنى يراد به الطمس على عقولهم فلا تدرك صوابا ، وعلى كرامتهم بين الناس بما يذكر الله عنهم حتى جعلهم في منزلة القرود والخنازير . .

وإن كان لهذا التأويل مجال فإنه يخفض من قيمة العبرة المقصودة .

ومالا يحتاج إلى تأويل أجدر باقبول مما يحتاج إلى تأويل . .

هكذا كانت العقوبة الواقعة ، أو إحدى العقوبات لبني إسرائيل .

بل لم يقف بهم الأمر عند هذا الحد ، فقد توعدهم الله بشر يلزمهم إلى نهاية الحياة فقال : « وإذ تأذن ربك ليعيثن عليهم إلى يوم القيامة من يسوهم سوء العذاب » ثم أخبر أنه سيقطعهم أئماً مختلفة ، فنهزم أمة طيبة مستجيبة للرسل من بعد ، ومنهم أمم دون ذلك ، وساء ما يعملون .

٧ — وإذا كان هذا المسخ قضاء الله في اليهود المخالفين فأين الفريق الثالث المخالدين؟ لم تتعرض لهم نصوص الآيات ، فهل ذهبوا ضحية الفتنة التي أتاها واقتربها العصاة من قومهم ؛ لأنهم لم يزجروهم عنها ، والفتنة تصيب فاعلها وغيره ، والراجح أنهم كانوا من الناجين مع الدعاة المرشدين ، فلم يمسحهم

بتركوا ما أمروا بفعله ، بل تجاوزوا في العنت إلى أن فعلوا كل محذور نهوا عنه كان أمر الله فيهم أن يكونوا قرود خاسئين .

غضب الله عليهم بعد مصابوهم طويلا ، وبعد الحلم الذي أغراهم الحق بسببه ، فمسحهم قرود خاسئين .

٦ — وهل هذا المسخ حقيقى فصاروا قرود فى أشكالهم ، وخسثوا بإبعادهم عن رحمة الله ولطفه بهم ؟ ؟

ظاهر الآية أنه مسح حقيقى ، ويؤيد هذا الاتجاه أنه ذكر فى مواطن أخرى : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ، وفى آية : أنهم صاروا قردة وخنازير .

وليس كثير أعلى الله أن يفعل ذلك بمن أمعنوا فى عصيانه . وفى نقض عهوده ، وفى تقثيل أنبيائه ، وفى ابتداعهم لشرور لم يسبقهم إليها من هلك قبلهم من أشقياء الأمم .

ولا موجب لصرف الآيات عن ظاهرها بل فى الأخذ بالظاهر لإيضاح لجرائمهم ، وتجسيم العبرة بهم ، وتشنيع على من يستمرى المعصية ويستخف بأثرها . وبهذه الذكري المشثومة يتعظ الناس بما يفعل الله فى الظالمين فعلا حقيقيا لا مجازيا . .

ولا يلزم أن يكون هؤلاء المسوخين ذرية منهم ، ولا أن يكون لهم أثر نحسه نحن فى

الله، ولا آخذهم على حيادهم، لأنهم لم يسكتوا عن رضا وموافقة حتى يعتبروا شركاء في الجرائم، أو يعتبروا من المتخاذلين الذين وصفهم بقوله تعالى: «كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون، بل سكتوا عن يأس وهم غاضبون بقلوبهم على العصاة، ومستكثرون أن يستمر للنصحاء على نصحهم... والحق في شأن هذه للطائفة الثالثة أنها كانت معنية بالدعوة والنصح، وما تخلفت عن هذا إلا يأسا، وعلى هذا تعتبر من الذين ينهون عن السوء فعلا، فلا تكون فرقة ثالثة من أول أمرها، بل باعتبار موقفها المحايد أخيرا... وعلى أى توجيه فليسوا الفاسقين الهالكين الممسوخين.

٨ — وفيما ذكرنا من هذا القصص دلالة أكيدة على أن المعاصي سبب في المشأمة، وكثيراً ما يتحدث كتاب الله عن هلاك الهالكين بسبب مآثمهم، وعن عذابهم في الآخرة بعد ابتلائهم في الدنيا وطالما يحثنا القرآن على السير في الأرض لننظر آثار المهلكين، وكيف كانت عواقبهم بعد أن كان لهم في دنياهم جبروت، وثرأ، ومتاع، فأصبحوا أثرأ بعد عين، وإذا كانت الأزمان قد عفت على كثير من مشاهد حياتهم فلا تزال هناك بقايا في نواحي ديارهم، ولدينا رموز من آثار الفراعنة، شاخصة وشاحخة.

وكذلك يجحد الناس في مناكب الأرض آثاراً تفسر لنا قصص القرآن عن الغابرين، وتزيدنا إيماناً بأنه القصص الحق من عند الله.. وما يذبحى أن يتشاغل الذهن عن استحضار هاتيك الأحداث في ذكرياته.

والقرآن يذكرها كثيراً في أساليب متعددة، ويقرنها بظلمهم، وفسقهم وما كانوا يصنعون.

وهل نحتاج إلى تصريح أقوى من قوله تعالى: «وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفسقون».

أو نحتاج إلى زجر بأوضح من قوله تعالى: «قلنا عتوا عما نهوا عنه قلنا لم كنوا قردة خاسئين؟» وقوله عن قبيلة عاد - مثلاً - «... الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، فصب عليهم ربك سوط عذاب، إن ربك لبالمرصاد».

وهكذا أراد الله أن يكون في شأن اليهود قصص يقشع له الضمير الحى، وأن تكون ذكرياتهم وخزات في مشاعر الإنسانية.

ولم تعد العبرة بما عرف عن اليهود محبوسة في القصص التاريخي، بل شأنهم في الدنيا، وألا عيبهم هنا وهناك تشهد بما شهد الله فيهم «ولا تزال تطلع على خائنة منهم».

وأحداثهم في حاضرنا تفيد أن العالم كله على بينة من مخازيهم، حتى الذين يمالئون

اليهود ، ويتخذونهم أعوانا في المنافع ، أو يسخرونهم في مناوأة الغير فهم أعرف باليهود من سواهم ، ولكنها الغايات .

وقد تكرر في القرآن وعييد الله لبنى إسرائيل بما يلزمهم من هوان ، ومذلة وقلق ، وما من شك في أن حياتهم متأرجحة وأنهم غير قانعين بما هم عليه ، وأنهم في سورة تزجهم دائما لإشفاقا على أموالهم ، وعلى كياناتهم ، وعلى تمزيقهم في جوانب الأرض . وهذا بلاء لا يستهان به في الحياة .

ومهما تريت بهم الأحداث ، أو تطامنتم لهم الدنيا ، أو احتضنهم دعاة الاستعمار : فإن الله صادق الوعيد فيهم ، ولا جرم ، والزمن كاشف عما تضمره الأقدار بعد .

هذا — وقد ذكر المؤرخون أن بنى إسرائيل المعنيتين في التاريخ هم أهل التوراة الذين درجوا على أرض سيناء وهم بنو يعقوب بن إسحاق عليهما السلام .

أما الذين دخلوا في اليهودية كدين لهم من أبناء الأمم الأخرى فليسوا من صميم بنى إسرائيل الذين نسبوا ذلك التاريخ الملوث وخلفوا هاتيك الذكريات المخزبات .

وما قصدنا من هذه اللوحة إلا مجرد التمييز بين عنصريهم من ناحية الجنسية والوطنية .

أما في العقيدة فلا خيار لفريق على فريق ، وهم سواء في مسامرة الأباطيل والانهماك في الإفك والفضلال ، وقبحاً للجميع ، ولن

على شاكلتهم من الأشرار .

هذا ، وقد تركز في أذهاننا بما سلف أن المآثم والانحراف سبب الوبال والعذاب ولكن بعض الناس لا يرى ذلك مطرداً في أرباب الفساد ، وقد أوضح أولو العلم أن شيوخ الرذائل في الأمم شؤم على مجموع الأمة ، وأن الله يديل الدولة بسبب تحملها ، وبجافاتها لدينها ، وهذه سنته في الخليقة ، وهذه توجهاته على لسان جميع رسله ، وهذه هي العبر التي يتحدث بها التاريخ من واقع الحياة ، حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ، هالكون . أما معاقبة الأفراد بسبب انحرافهم فقد يحصل هذا في دنياهم ، وقد يمهلم الله إلى الآخرة .

وكم من آثم تعثرت به الحياة ، وأحرق به الشؤم بسبب انحرافه ! ! وكم من آثم ظل سادراً في لهوه ، وعاش رافلاً في حظه حتى خرج من دنياه حاملاً أوزاره ، نادماً على ما فاتته ، وقد فات أوان الندم .

وبعد : فقد بين الله مناهج الحياة ، وضرب الأمثال بمن سبقوا ، وأكد صادق وعده ووعيده للأفراد ، وللأمم ، ولم يبق إلا أن نحسن الاستجابة .

ونحن نسأله التوفيق لنا أفراداً وجماعات ، وأن يعصم الجماعة الإسلامية من كيد خصومها بحوله وقوته .

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

النسخ في القرآن الكريم

للأستاذ محمد سعد جلال

١ — يلج الدارس لموضوع النسخ من خلال الأقوال التي نجدها منقولة عن الصحابة والتابعين، كابن عباس وابن مسعود، وعكرمة، وبجهد، والحسن، وقتادة وغيرهم: ومن تأصيل الأئمة وعلماء الأصول من سنيين وشيعية وظاهرية ومعتزلة، أن مسألة النسخ كانت واقعا مستقرا في التفكير الإسلامي، وأن الجو الفكري المتبادل بين المختلفين في مواد المسائل المنسوخة والناسخة إنما ينهض شاهداً على أن موضوع النسخ من الموضوعات التي سلم بوجودها المسلمون من أول الأمر في الشريعة الإسلامية، وأن أية محاولة طارئة، ومتأخرة في الزمن، ترمى إلى القول بعدم وجود النسخ في الشريعة، أو في القرآن، إنما هي محاولة مفتعلة على ذلك الوضع المستقر لفكرة النسخ، مهما اصطنع لها أصحابها من المبررات ومهما تهاهم من محاولات الاستدلال: إنه لمن الصعب أن نصدق أن ابن مسعود، وابن عباس وعلى ابن أبي طالب وغيرهم يتكلمون في النسخ ويختلفون فيما بينهم اختلافات تصل إلى حد إعلان المباهاة حول بعض الآيات، فيقول

ابن مسعود في بعض واقعات النسخ من شاء باهله أن سورة النساء القصوى نزلت بعد سورة النساء الطولى، أى فنسخت الآية التي يعينها — ثم يكون النسخ في آيات القرآن أو في السنة أمراً غريباً وخطأ واقعاً في الدين، ومهما لاحظنا أن من المنقول عنهم في النسخ والمنسوخ مالا ينطبق عليه حد النسخ عند الأصوليين فإن حديث هؤلاء الصحابة والتابعين عن النسخ حديثاً مستقراً متبادلاً فيما بينهم، في الوقائع التي يدارسونها كاف وحده في الدلالة على وجود مبدأ النسخ - وثبوتها في الشريعة الإسلامية.

٢ — وحين يتحدث الكتاب المسلمون عن المنكرين للنسخ لا يذكرون في المقام الظاهر من حديثهم إلا اليهود، ويشيرون بمنتهى عدم الاكتراث إلى بعض مجمل من المسلمين لانعرف أشخاصهم ولا زمان وجودهم ولا مستند رأيهم على التحديد كقول الفخر الرازى: «ويروى عن بعض المسلمين إنكار النسخ، ولا يعنى بالزيادة في تعريفهم على هذه الإشارة الوجيزة، وكقول الإمام البزدوى — على بن محمد — وقد أنكر

كان شخصا آخر ينضم إلى أبي مسلم في إنكار النسخ ؛ لأن القائمين بالنسخ أنفسهم يبذلون نفس المحاولات للتوفيق بين الآيات التي تعطى التعارض بظاهرها ، نأياً عن طريق النسخ ؛ لأن النسخ باتفاق العلماء آخر ما يصار إليه في فهم آيات القرآن ، فلعل أبا بكر الأصم هذا كان من هذا الفريق ، على أننا وقعنا مصادفة - في الأحكام - لابن حزم على نص قاطع في تحديد موقف أبي بكر الأصم .

في أثناء نقول ابن حزم لأقوال العلماء الذين يهدرون العمل بخبر الواحد . ذكر نقلاً عن الأصم يتضمن اعترافه بالنسخ يقينا .

قال ابن حزم : قال أبو بكر بن كيسان الأصم البصري : « لو أن مائة خبر مجموعة قد ثبت أنها كلها صحاح إلا واحداً منها لا يعرف بغيبته أيها هو - قال - فإن الواجب التوقف عن جميعها - فكيف وكل خبر منها لا يقطع على أنه حق متيقن ولا يؤمن فيه الكذب ، والنسخ ،^(١) والغلط انتهى كلام الأصم ، وظاهر أن موضع الشهادة فيه على ما تلتبس هو كلبته الأخيرة ، ولا يؤمن فيه الكذب ، والنسخ ، والغلط ، فهذا إقرار منه بموضوع النسخ .

بعض المسلمين النسخ : لكن لا يتصور هذا القول من مسلم مع صحة عقد الإسلام .

وتستطيع أن تقدر ما في هذه العبارة العنيفة ، من تغليظ الحكم ، وقسوة النظر على من ينكر وجود النسخ في الشريعة : وهذا القول لا يتصور من مسلم مع صحة عقد الإسلام .

٣ - ولنبحث عن هذا البعض المجهل ، الذي أشار إليه الرازي ، والإمام البزدوى رضى الله عنهما : إن عبد العزيز البخارى شارح البزدوى دلنا على هذا البعض المنكر للنسخ في نقل البزدوى وسماه : « أبو مسلم الأصفهاني محمد بن بحر » .

فمن يكون يا ترى ذلك البعض المجهل الذى عناء الفخر الرازي ، هل هم جماعة آخرون غير أبي مسلم ؟ أم المقصود أبو مسلم نفسه ؟ إن الفخر الرازي لا يكشف لنا عن هذه المسألة - وفي أثناء درسنا للآيات التى يقع فيها الاختلاف حول الناسخ والمنسوخ ، فى تفسيره الكبير - لا يذكر لنا إلا اسم أبي مسلم فى الجانب الذى يتأول فيه الآيات المنسوخة ، ليخرجها عن حد النسخ .

وفى بعض المرات ذكر لنا اسماً آخر ، هو اسم أبي بكر الأصم ، أثناء التوفيق بين بعض الآيات المتنازع على نسخها ، ولكن هذا لا يكفي لأن تظن أن أبا بكر الأصم ،

(١) المراد بالنسخ نسخ حديث بحديث آخر : كقوله صلى الله عليه وسلم : « كنت نبيكم من زيارة القبور فزورها » .

الآيات الناسخة والمنسوخة نعود إليها فيما بعد، ولكنه لم يقدم لنا بالذات الأصل الذي اعتمده في إنكار النسخ، إن معرفة هذا الأصل ذات خطر كبير في تكييف الموضوع والحكم فيه - ولا سيما بالنسبة لمن يحاولون تقليد أبي مسلم في طريقة التوفيق بين الآيات المنسوخة والناسخة، ومحسبون الخطب في ذلك سهلاً، مع أن انكشاف الأصل الذي بنى عليه أبو مسلم «منع النسخ»، قد يكون على درجة من ظهور البطلان ومصادمة النصوص، كالقول بالبداة أو غيره - يقتضى رد مذهبه رداً قاطعاً بغير التفات إلى أسلوبه في التوفيق بين الآيات، موضوع النسخ.

وقد يدلنا هذا المعنى على مبلغ المجازفة عند من يسارع إلى الأخذ بالجانب التطبيقي لمذهب لا تعرف أصوله ولا قواعده التي حصل التطبيق على أساسها غير المنظور.

٦ - اهتم المسلمون بالرد على منكرى النسخ اهتماماً كبيراً، كما يظهر ذلك في كتب الأصول عامة ولم يكن مبعث اهتمامهم مخالفة أبي مسلم لكافتهم لأن الرد على إنكار مبدأ النسخ كان سابقاً على حياة أبي مسلم؛ ولأن أبا مسلم لم يعتبره الشخصنة الخطيرة، في إنكار النسخ عند المسلمين.

بل أشير إليه بسبب طابع الانفرادية الذي حمله رأيه على إنكار النسخ، بعدما استقر

٤ - إذن نستطيع أن نجزم بأن الاستقراء العلني إلى الآن وبحسب المصادر التي بأيدينا لم يستطع أن يقدم لنا من بين علماء المسلمين اسماً معيناً يذهب إلى إنكار النسخ غير أبي مسلم - ذلك المفكر الذي يثير ضجة كبيرة في عالم التفسير والفقه، بنظريته المبتدعة في إنكار النسخ. وقد ترك أبو مسلم من المصادر التي يتحتم أن يكون ضمنها هذه النظرية - كتابين أحدهما كتاب «جامع التأويل لمحكم التنزيل»، وهو تفسير ضخم يقع في نحو أربعة عشر مجلداً - كتبه على طريقة المعتزلة، وفي نقول جولد زهر: «أنه يبلغ سبعة وعشرين مجلداً». وقد مدحه بعض الكتّابين القدماء بأنه لم يؤلف مثله - وهي عبارة تقليدية لا تفيد غير التزكية - لكن هذا الكاتب أشار بعد هذه التزكية إلى أن ضخامة الكتاب من بعض الفضول.

وثاني الكتّابين «كتاب الناسخ والمنسوخ»، ومبلغ على أن هذين الكتّابين لم يصل إلينا، وإلا لكانا قد وجدنا في رحابهما الواسعة، ومادتهما المباشرة، معرفة أوسع، وأدق، وذات أصالة بهذه النظرية الجديدة التي خرج بها صاحبها على الناس، في أواخر القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الهجري.

ه - وقد استطاع الفخر الرازي أن يقدم لنا نماذج لمحاولات أبي مسلم في التوفيق بين

خافيا ، ومنه قوله تعالى : « وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ، أى ظهر لهم من عاقبة أمرهم فى الآخرة ما كان خافيا عليهم فى الدنيا .

قالوا : إن الأمر بالشئ يدل على حسن المأمور به والنهى عن الشئ يدل على قبح المأمور به .

فإذا أمرنا الله بشئ كان ذلك الشئ المأمور به حسنا وصالحا ، فإذا عاد ونهانا عنه بذاته بعد ذلك كان ذلك النهى دليلا على أن ذلك الفعل الذى كان قد أمرنا به فى الماضى لم يكن حسنا ولا صالحا ، وإنما كان قبيحا وفاسدا ، وأن قبحه وفساده كان خافيا على الله فى أول الأمر حين أمر بفعله ثم بدا له من بعد ظهور قبحه وفساده فعمد إلى النهى عنه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . فهذا هو البداء وهو يستلزم إدخال النقص على علم الله . فما أدى إليه من النسخ يكون باطلا وممنوعا .

٨ - وقد كان الجواب عن هذه الشبهة حاضرا ميسورا عند علماء المسلمين :

ذلك أن لخصوصية الزمان أثرا فى حسن الأشياء وقبحها بالنسبة للسكف فى زمان الشئ حسنا بالنسبة للسكف فى زمان وصالحا له ، فبأمره الله به ثم يكون نفس الشئ فى زمان آخر بالنسبة للسكف شرا وفسادا فينهى الله عنه ، وقد يكون من أوضح الأمثلة على ذلك فى تصرفات الناس اليوم . الرياضة

الامر فى القرون : الأول ، والثانى ، والثالث عند علماء المسلمين ، على جواز النسخ ووقوعه فى الشريعة والقرآن .

ولما اهتم المسلمون بمناقشة فكرة النسخ والرد على منكريه بسبب عمل اليهود ، لأنهم من أول أمر الإسلام ، أظهروا طعنهم على النبي - صلى الله عليه وسلم - من أجل النسخ ، واعتبروا وجود النسخ دليلا على بشرية القرآن : كما حصل مثل هذا الطعن من قريش على النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى ابن عباس أيضا ، على أن الطعن من قريش لم يكن هو الذى يستفز المسلمين باستمرار . فالمفروض أن مثل هذه المطاعن التى كانت تصدر عن قريش انقطع صداها بانتصار الإسلام فى الجزيرة العربية كلها .

ولكن الأمر ذا البال فى هذه القضية ، إنما كان هو طعن اليهود المستمر على الإسلام من جهة مسألة النسخ هذه .

ولذلك رأينا اسم اليهود وحدهم هو الاسم الظاهر المتعمد فى معرض المناقشات الإسلامية فى هذه المسألة .

والشبهة الأساسية التى يتعلق بها المنكرون للنسخ هى أن النسخ من قبيل البداء ، والبداء على الله محال فما هو البداء .

٧ - البداء فى أصل اللغة : الظهور بعد الخفاء . يقال بدا سور المدينة بعد أن كان

جوانبه في أحكامه ، وأخباره وبلاغته فلا يتناول الخطأ من وجه .

والنسخ ليس من قبيل الخطأ ، ولا من قبيل الإبطال لأحكام القرآن ، وإنما هو من قبيل البيان لأحكامه ، والإعلام بانتهاء مدة بعضها لتحل محلها أحكام غيرها ، وكذلك شأن السنة .

١٠ - بعد ذلك نتجه إلى بيان أدلة القائلين بإثبات النسخ : أثبتوا جوازه بالعقل وبنص القرآن على وقوعه وباستخراج مواد وقوعه في القرآن فعلا .

لا يمنع العقل من إمكان وقوع النسخ ، لأنه ممكن لذاته ، إذ لا يترتب على افتراض حصوله محال فكان جائزا - وبهذا تبين أن الخطوة الأولى في إثبات الإمكان الفعلي وبطل زعم اليهود بامتناع النسخ عقلا ، إذ ليس بين ما هو ممكن عقلا ، وما هو محال عقلا إلا انتفاء ترتب المحال على ما نفترض وقوعه في حين الوجود فعلا ، من الأشياء التي يدعى إمكانها .

وهذا الأسلوب في الاستدلال بما لا تشيع معرفته عند مثقفي العصر ، حيث يشتهر على أذهانهم كثيرا الفرق الدقيق بين نوعين من المستحيل ، فلزم أن نفرغ بعض الضوء من نور الله ، على المسألة ليزداد وضوحا ،

البدنية ، مثل الكرة والمصارعة وحمل الأثقال فإن هذه الأنواع من الرياضة قد تكون حسنة وصالحة في زمان الفتوة والشباب ، فيأمر بها الأمر ، ثم تكون مزاولة بعضها عند تقدم السن وضعف القلب ، هلا كما محققا ، فينهي عنها ، وليس بين أمره ونهيه سبيل إلى إنكار العقول ، فكيف إذا صدر مثل ذلك من الحكيم الخبير .

٩ - وأما أبو مسلم فالحق أن فلسفته وأدلته لم تنقل إلينا وإنما نقل إلينا جانب من تطبيقات مذهبه فقط ، وإنه لمعيد جدا - من أجل ذلك - أن نفترض أنه قد كان لأبي مسلم فلسفة صحيحة ، أو حجج مقبولة غابت عنا ، وأقصى ما نجد في الباب أنهم ذكروا حجة في الجانب الذي يتجه إليه ، وهي قوله تعالى في وصف القرآن الكريم : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » قالوا عنه في تقرير هذه الحجة : إن النسخ لإبطال حكم القرآن ، والقرآن منزّه عن الإبطال فلا نسخ له ، والسنة كالقرآن في وجوب التنزه عن الإبطال لعدم القائل بالفصل بينهما . فلا نسخ فيها أيضا .

وليس الأمر كما قال صاحب هذا القول - فعني الآية أن هذا الكتاب العزيز منزّه عن وقوع الخطأ فيه من جميع أقطاره ، وعامة

الأمور الممكنة في ذاتها المستبعدة بحكم ما جرت به العادات ، وألف للعقل من سير الأحداث الكونية الرتيبة ، يسميه علماؤنا رضى الله عنهم - مستحيلا عاديا .

وأمر آخرى يحكم العقل باستحالتها لذاتها على الإطلاق كاستحالة الجمع بين المتناقضين بالشروط المعتبرة لذلك - وكاستحالة إله آخر مع الله - فكل من هذين المثلين يسمى مستحيلا عقليا . وهو المستحيل الحقيقي في استعمال البرهان .

والفرق بين النوعين مما يطلق عليهما اسم المستحيل ، أن المستحيل العقلي غير قابل للوجود من حيث ذاته . فيكون ممكنا من هذه الناحية .

والضابط المميز لكل منهما أن المستحيل العادى إذا فرضت وجوده لم يترتب على فرض وجوده محال ثان - فلو فرضنا أن الجبل قد انقلب زئبقا ، وأن المحيط قد تحول ذهباً فلن يترتب على تحقق هذا الفرض في الوجود محال ، بعكس ما لو افترضنا أن للبارى شريكا فإن هذا الفرض - إن تحقق - يستلزم محالا ثابتا يترتب على تحققه ، وهو انعدام العالم ، ذلك الموجود أمانا حسا وعيانا .

بهذا الإيضاح اليسير المستطرد ، أمكننا أن نلاحظ ما يحكم العقل باستحالاته وما لا يحكم العقل باستحالاته من الأشياء وأمكننا أن

وليقرر بمنهجها صحة الاستدلال في نفوس السائلين في مواضع كثيرة .

الأمور التي ينكرها العقل تنقسم إلى قسمين بحسب السبب الداعى لهذا الإنكار :

أمر ينكرها العقل لأنه لم يألف وقوعها أو لم يألف نفيها في تاريخ تجاربه الطويلة ومشاهداته المتسلسلة وانطباعاته الذهنية المعتادة ، فهذه الأمور قد يسميها في حال الوقوع أو في حال النفي بالمستحيالات - فالذهن لم يألف مثلا أن ينقلب المحيط ذهباً ، ولا أن يتحول الجبل زئبقاً ، ولا أن ينشق القمر فلقتين ، فيسمى ذلك كله إذا عرض عليه مستحيلا مع أنه يمكن في ذاته ويحتمل حصوله وإن كان العقل قبل التأمل والنظر - يكاد يرفض احتمال حصوله لشدة غرابته ، وبعده عن مألوفه .

ويقرب هذا المعنى أننا لو سألنا العقل البشرى من قبل مائة عام عن عجائب الراديو والتلفزيون والعقل الإلكتروني ، لحكم بأن ذلك مستحيل ، وإنما كان يستمد الحكم بالاستحالة على هذه العجائب ، من تصوراته العادية ، ومألوفاته السابقة ، مع أنه قد ثبت الآن - بعد انكشاف قوانين كونية جديدة

- أن هذه - المستحيالات في بادىء نظر العقل قبل مائة سنة مثلا - إنما هي ممكنات في ذاتها تمثل واقع حياتنا الراهنة - فمثل هذه

والمراد بالخير - على كلا الوجهين في الآية - على ما اختار هو : ما كان أكثر مصلحة للكلف سواء أكان أخف أو أثقل من الأحكام - لأن الله يصرف المكلف في أنواع التكليف ، على حسب ما يرى له من المصلحة لا بحسب هوى المكلف . وداعية نفسه .

وبيان الآية على هذا الوجه المستقيم - كما ذهب إليه جمهور المفسرين . والاصوليون حجة تامة في إثبات النسخ جوازا ووقوعا .

لكن الشيخ محمد عبده أخذنا ببعض كلام محيي الدين بن عربي المتصوف المشهور ، أورد تشكيكا على مفاد الآية . قال : إن المراد بالآية في هذا الموضع إنما هو المعجزة ، وهو أولا قول بعيد عن المعنى المتبادر للفظ الآية حتى قال بعضهم : إن الآية حين تذكر في القرآن يراد بها عرفا الآية القرآنية ، وأبين من ذلك أن سبب النزول الذي نزل عليه الآية قاض بعدم ترجيح معنى للآية غير مدلول الآية القرآنية .

ذلك أن سبب نزول الآية كما نصر علماء التفسير هو طعن اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم في أمر النسخ : قالوا : ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينههم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه فنزلت الآية ، إذن فقد كان موضوعها يمثل حالة واقعة .

فلنحظ أن استبعاد فكرة النسخ على الشريعة أو استغرابها ، أمر ليس من شأنه أن يؤدي إلى إنكار وقوعه وقد دلت نصوص الشريعة وواقع هذه النصوص على ثبوت النسخ فعلا .

١١ - ورد من آيات القرآن في إثبات النسخ آيتان هما أظهر الآيات دلالة على الموضوع وقد استدلت بهما عامة العلماء : أولاها - قوله تعالى : ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها .

المراد بالآية هنا هي الآية القرآنية - وإلى ذلك ذهب عامة المفسرين ، وعلماء الأصول .

والمراد بالنسخ الإزالة ، أو التبديل . والمراد بلفظ : ننسها ، في أقرب التفاسير أحد معنيين - إما ذهابها عن الذكر وإما تركها على موضعها .

ويكون بيان الآية على المعنى الأول - كما ذهب إليه الحسن والأصم وأكثر المتكلمين : ما ننسخ من آية وأنتم تقرءونها ، أو ننسها أى - نذهب بها عن أذهانكم مما كنتم تتداولون قراءته فيما بينكم ، نأت بخير منها أو مثلها .

ويكون بيان الآية على المعنى الثاني حين نفسر النسخ بالتبديل ، والإلغاء بالترك ما نبطل من آية على وجه من وجوه التبديل أو نقرها في مكانها نأت بخير منها أو مثلها .

والآية إذا وردت على سبب من أسباب النزول لا يجوز اطراح سبب نزولها في فهم معناها كما أنه لا يجوز رفض سبب النزول بغير حجة ظاهرة لأن الأصل في أسباب النزول وغيرها مما ينقله لنا أهل العلم الموثوق بهم الصحة والقبول حتى يقوم دليل على رفضها ، ولو جاز لنا أن نرفض رواية من هذه الروايات التي ينقلها لنا أهل العلم بالتشهي ومخالفة المزاج لرفضنا كثيراً من النقول الدينية المعتبرة .

أولاً : سبب النزول كما قدمنا .
ثانياً : التبادر الهاجم على النفس الذي لا ينكره من نفسه كل عارف باللغة .
ثالثاً : دلالة قوله حكاية عنهم : « إنما أنت مفتر » ، فإن الظاهر من نعت الافتراء أنه لا يكون متعلقاً إلا بما هو من جنس الكلام . ولا يعقل أن يكون الافتراء متعلقاً بالآيات إذا فسرت الآية بالمعجزة ويساعدنا على ذلك الاستعمال المستمر في القرآن وفي كلام العرب ، كقوله : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا » .

رابعاً : قوله « قل نزله روح القدس » ، فإن المعروف عن روح القدس أو الروح المقدس وهو جبريل - أنه كان ينزل بالآيات القرآنية : بدلالة نص القرآن في موضع آخر « نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين » .

خامساً : دلالة الآية اللاحقة لهذه الآية مباشرة وهي : « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي » ، فإن هذا السياق يدل على وحدة

١٢ - وأما الآية الثانية فهي أقطع نص في الدلالة على غرض قال تعالى : « وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل » قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون . قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى لبشرى للمسلمين » .

وسبب نزول الآية ما روى عن ابن عباس - رضي الله عنهما قال - كان إذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية فيها لين تقول كفار قريش - والله ما محمد إلا يسخر بأصحابه : اليوم يأمر بأمر وغدا ينهى عنه ، وإنه لا يقول هذه الأشياء إلا من عند نفسه . فأنزل الله قوله تعالى : « وإذا بدلنا آية مكان آية » .

ويلاحظ أن ذلك كان في مكة وأن وقائع النسخ قد بدأت في مكة أيضاً كما نبه على ذلك الإمام الشاطبي .

مصطلحات سيوبه

في أصوات العربيه

للدكتور تمام حسان

الأوتار الصوتية أو عدم اهتزازها . ثم منها الأثر الآتي من هيئة حجرة الرنين الرئيسية في عملية النطق وهي الفم . فأما أثر تسريح الهواء فيعطينا الشدة والرخارة والتركيب والتوسط ، وأما أثر اهتزاز الأوتار الصوتية أو عدمه فيعطينا الجهر والهمس ، وأما أثر هيئة حجرة الرنين الفموية فيعطينا التفخيم والترقيق . ويتقرر المقام هنا عن شرح كل هذه المصطلحات ، فمن شاء أن يرى ذلك مفصلاً فليرجع إلى كتابي ، مناهج البحث في اللغة ، .

والخارج العربية كما نفهمها في أيامنا هذه في ضوء تشريح الجهاز النطقى والمناهج الآلية التي تستخدم في علم اللغة الحديث هي المخرج الحنجري والحلق والهموى والطبقي والغارى واللثوى ثم الأسنانى اللثوى ، والأسنانى ، والشفوى المخرج الحنجري ، والأسنانى ، والشفوى ، والأنفى . فالحنجري مخرج الهمزة والهاء ، والحلقى مخرج العين والحاء ، والهموى مخرج القاف ، والطبقي مخرج الغين والحاء والكاف ، والغارى مخرج الجيم والشين والياء ، واللثوى مخرج اللام والراء ، ويشارك مع الأنفى في إخراج

جرى العرف العلى في دراسة الأصوات منذ القديم على تقسيم أصوات اللغة بحسب اعتبارات اقتضتها طبيعة النطق . ويمكن رد هذه الاعتبارات إلى أساسين هامين : أولهما حركى عضوى ، وثانٍهما صوتى . فأما بحسب الأساس الأول فإن العلماء يقسمون أصوات اللغة ويصنفونها بحسب المخارج وهي أما كن يمكن تعيينها في أعضاء النطق بوسائل مختلفة . ثم يصفون كيفية الحركة التي ولدت النطق ؛ وهذه الحركة لا تخرج في مجموعها عن التحكم في مجرى الهواء أو تضيق مجراه ، بحيث ينحبس تماماً أو يحول مجراه إلى الأنف في الحالة الأولى ، وبحيث يشق طريقه شقاً في الحالة الثانية ، أو بحيث يخرج دون تدخل في مجراه ، وهي الحالة الثالثة من حالات الهيئة العضوية للنطق . يستطيع العلماء إذن أن يعينوا على هذا الأساس مكان النطق وهيئة الحركة التي يتم بها النطق . وأما على الأساس الثانى وهو الصوتى ، فإن العرف جرى بتقسيم الأصوات باعتبارات سمعية مختلفة : منها الأثر الآتى من صورة تسريح الهواء الرئوى ، ثم منها الأثر الآتى من اهتزاز

النون ، والأسنانى اللثوى مخرج السين والصاد والزاي والتاء والطاء والذال والضاد ، ثم الاسنانى مخرج الشاء والظاء والذال ، والشفوى الاسنانى للفاء ، وبأنى الشفوى بعد ذلك للباء والواو ويشترك مع الأنفى فى إخراج الميم . وقد يتفرع من بعض هذه أصوات فرعية بحسب الموقع .

هذه مقدمة لا بد منها للنظر فى مصطلحات سيبويه ومحاولة فهمها فى ضوء علمنا الحديث بهذه الدراسة اللغوية . وقد يكون من النافع هنا أن نأتى باقتباس من سيبويه يوضح لنا نظره إلى ترتيب هذه الأصوات من القاصى إلى الدانى على نحو ما فعلنا ، وسنجد فرقا يسيرا بين ترتيبه لها وترتيبنا إياها . يقول « هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها . فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا : الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والكاف والقاف والضاد والجيم والشين والياء واللام والراء والنون والطاء والذال والتاء والصاد والزاي والسين والظاء والذال والتاء والفاء والباء والميم والواو . وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هن فروع ، وأصلها من التسعة والعشرين ... إلخ ، وأول ما يصادفنا هنا أن سيبويه يطلق الحرف ويريد به ما يشمل

الصوت والحرف . والفرق بينهما فى علم اللغة الحديث أن الصوت هو العملية الحركية ذات الأثر السمعى وهو من أداء المتكلم فى نشاطه اللغوى العادى اليومى : فكلنا ينطق فى كلامه أصواتا لغوية مسموعة . وأما الحرف فهو وحدة تصنيفية يقول بها دارس اللغة حين يقسم العدد الأكثر من الأصوات إلى العدد الأقل من الحروف ، إذ قد يشتمل الحرف الواحد على أكثر من صوت واحد ، كما يشتمل حرف الميم على أصوات مختلفة منها ذو الإظهار وذو الإخفاء وذو الإقلاب ، وكما يشتمل حرف النون على عدد من الأصوات بأتى كل منها فى بيئة صوتية خاصة ، حتى إن بعض أصوات النون كالذى فى « ينظر » ينطق بإخراج اللسان كما يخرجها فى الظاء . ويلاحظ كذلك فى سرد سيبويه للحروف بحسب ترتيب مخارجها من القاصى إلى الدانى أمور :

١ — ذكر الألف بين ذوات المخارج ونحن نعتبرها نتيجة لهيئة حجرة الرنين الفموية لا لإقفال ولا تضيق فى مخرج بعينه ، شأنها فى ذلك شأن العلل والحركات .

٢ — آخر القاف فى الترتيب عن الغين والحاء والكاف مع أن القاف مخرجها عند اللهاة ومخرج الثلاث الأخريات فى الطبقة وهو الجزء الرخو من سقف الفم أمام اللهاة مباشرة .

هذه مقدمة لا بد منها للنظر فى مصطلحات سيبويه ومحاولة فهمها فى ضوء علمنا الحديث بهذه الدراسة اللغوية . وقد يكون من النافع هنا أن نأتى باقتباس من سيبويه يوضح لنا نظره إلى ترتيب هذه الأصوات من القاصى إلى الدانى على نحو ما فعلنا ، وسنجد فرقا يسيرا بين ترتيبه لها وترتيبنا إياها . يقول « هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها . فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا : الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والكاف والقاف والضاد والجيم والشين والياء واللام والراء والنون والطاء والذال والتاء والصاد والزاي والسين والظاء والذال والتاء والفاء والباء والميم والواو . وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هن فروع ، وأصلها من التسعة والعشرين ... إلخ ، وأول ما يصادفنا هنا أن سيبويه يطلق الحرف ويريد به ما يشمل

الثنايا العلى مخرج الفاء ، وما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو ، ومن الحياشيم مخرج النون الخفيفة .

ويتضح من هذا النص المأخوذ من كتاب سيويه أمور :

١ - أنه يطلق اصطلاح « الحلق » على كل ما يلي وسط اللسان إلى الخلف فيشمل به مخارج الحنجرة glottis ، والحلق Pharynx ، واللهاة uvula ، والطبق velum ، وكل ما نطق من الأصوات في هذه الأماكن فهو حلق في نظره ؛ غير أنه يفرق بين أقصى الحلق وأوسطه وأدناه تفريقاً فرعياً يستخدمه عند إرادة البسط . وكان هذه المنطقة عند سيويه كانت منطقة المجاهر ومن ثم اكتفى من ذكر أعضائها بالوصف بالأقصى والأوسط والأدنى دون أن يسمى هذه الأجزاء . وله في ذلك كل العذر ، بل أعجب له كيف استطاع أن يصل إلى ما وصل إليه من درجات الدقة برغم ما أحاط به من الظروف .

٢ - صرفته عنايته في نطق الضاد بتسريح الهواء من جانبي اللسان عند الأضراس عن ملاحظة الصلة بين طرف اللسان وبين الثنايا في أثناء هذا النطق ، وحق نقطة الاتصال هنا أن تكون هي المخرج ، ولست أدري لم لم يغفل عن هذه الصلة في نطق اللام ولا سيما المفخمة فعين مخرجها الصحيح مع أن تسريح الهواء

٣ - قدم الضاد في الذكر والمخرج وحقها أن تذكر في موضع متأخر بأن توضع في نهاية المجموعة التي قبل الظاء مباشرة .

يقول سيويه : « ولحروف العربية ستة عشر مخرجا ؛ فللحلق منها ثلاثة : فأقصاها مخرجا الهمزة والهاء والألف ، ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء ، وأدناها مخرجا من النعم الغين والحاء ، ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف ، ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا وما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف ، ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء . ومن بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس مخرج الضاد ، ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الضاحك والناجب والرباعية والثنية مخرج اللام ، ومن طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا مخرج النون ، ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء ، وما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والذال والطاء ، وما بين طرف اللسان وفوق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد ، وما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والطاء ، ومن باطن الشفة السفلى وأطراف

للهماء الرئوى فرصة التسرب من بينها فتهتز عند مرره من بينها محدثة أثرا سمعيا نسميه الجهر ، وإما أن تتقارب دون التصاق فيحتك الهواء الرئوى بها حين صعوده إلى خارج فيحدث ما نسميه الهمس ؛ ويكون هذا الهمس مسموعا كحين تسر إلى صديقك بخبر . وإما أن تتباعد فلا يسمع صعود الهواء من بينها كما فى حالة النفس العادى الهادى . وإذا أردت أن تختبر صوتا ما لئرى ما إذا كان مجهورا أو مهموسا فانطقه مشكلا بالسكون وضع أطراف أصابعك على الخنجرة تحت الذقن وفيها الأوتار الصوتية ، فإن أحسست باهتزاز وارتعاش تحت أطراف أصابعك فهذا الصوت مجهور وإلا فهو مهموس .

يقول سيويه : « فأما المجهورة فالهمزة والألف والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والطاء والدال والزاي والذال والباء والميم والواو فذلك تسعة عشر حرف وأما المهموسة فالهاء والخاء والكاف والشين والسين والتاء والضاد والثاء والفاء . فذلك عشرة أحرف » .

وقد ذكرنا أن نطق الهمزة إنما يتم بواسطة إقفال الأوتار الصوتية إقفالا تاما ثم تفتح هذه الأوتار فتجا سريعا مفاجئا فيحدث بذلك انفجار هو الذى يسمى الشدة التى هى غير الرخاوة ، ولا يمكن أن يكون مع إقفال

فى نطق اللام يكون من جوانب اللسان كذلك . وقد ترتب على هذا الخطأ أن رأينا سيويه قلنا فى كلامه عن الضاد ويبدو هذا القلق فى محاولته تعيين موضع لها فى ترتيب الحروف بحسب الخارج كما يتضح ذلك فى الموازنة بين النصين السابقين إذ جعلها فى النص الأول سابقة على مجموعة الجيم والشين والياء وجعلها فى الثانى لاحقة لها .

٣ - يريد بما فوق الثنايا مخرج اللثة . ويسمى بعضها بعضهم مغازز الأسنان .

٤ - يتصد بأصول الثنايا الوجه الداخلى للأسنان الأربع العليا حتى تتصل بمغازرها وهو ما نسميه فى اصطلاحنا المخرج الأسنانى ، ولا يعقل أن يكون قد قصد به الثنيتين العلئيين لحسب ، لأن طرف اللسان حين ينطبق فى النطق على الثنيتين يصعب أن يزاح ويعزل عن الرباعيتين . وهذا وجه جمع الثنية فى كلامه دون ثنيتها .

والمعروف أن للأوتار الصوتية من حيث الوضع أحوالا أربعة ؛ فهى إما أن تكون مقفلة إقفالا تاما فيمنحبس الهواء من ورائها فلا يتسرب أبدا كما يحدث من المرء عند التعنية وعند رفع حمل ثقيل ، وكذلك عند نطق الهمزة مشكلة بالسكون ، وهى فى هذه الحالة لا تحدث صوتا مطلقا ولا تكون فى حالة جهر ، وإما أن تتلاصق بخفة فتدع

وهي في نطقنا الحاضر مهموسة فلمست أجرؤ
على تخطئ. سيويه في ذلك ؛ لأن بعض العرب
كالسودانيين ينطقون في يومنا هذا قافا مجهورة
أقرب ما تكون إلى الغين ، ولعل سيويه
يتكلم عن أخت لهذه القاف كانت تنطق
في أيامه ولو علمت يقينا أن القاف في أيامه
كانت تشبه القاف التي ننطقها الآن في مصر
في كلامنا الفصيح ما توانيت عن تخطئته .

وأما اعتبار الطاء مجهورة فلمست أظن
سيويه فيه إلا مخطئا ، فكل طاء ينطقها العرب
في أيامنا هذه مهموسة ، ولو كان لجيل سيويه
من العرب طاء مخالفة لبقيت ولو في لهجة
عربية منعزلة غير هامة . وإذ لا نجد طاء
مجهورة في كلام العرب المعاصرين ولا على
ألسنة القراء فلا بد أن نميل إلى اعتبار سيويه
مخطئا في وصف الطاء بالجهر على أنني يجب
أن أنحرز قليلا في اعتبار القراء المعاصرين
مقياسا للنطق العربي القديم لأن من المؤكد
أن الضاد العربية التي كانت اللغة تمتاز وتسمى
بها قد تغيرت في قراءة القرآن المعاصرة
وأصبحت الضاد في قراءة القرآن اليوم دالا
مفخمة شديدة ، ويخرج الهواء عند نطقها على
خط الوسط في الفم . ولم تعد رخوة ولا
يخرج الهواء في نطقها من جانب اللسان .

ثم يقول سيويه : « فالجهورة حرف أشبع
الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري

الأوتار الصوتية جهر ، ومن ثم يخطئ سيويه
ومن تقل عنه من بعده في اعتبار الهمزة
حرفا مجهورا . فإذا كان لنا أن نتلس الأسباب
التي أوقعت سيويه في هذا الخطأ فلن
نستطيع إلا التخمين ، والذي يبدو لي عند
التخمين أن سيويه حين نظر في الهمزة وجدها
ذات أحوال متقلبة في نطق العرب ، فهي تارة
محققة وتارة مسهلة في صورة مد وتارة ميسرة
في النطق مسببة عن اختلاف ضغط الهواء
الصاعد أكثر مما هي مسببة عن حركة الأوتار
الصوتية ، وهي التي بين بين ، وتارة تكون
للقطع وأخرى تكون للوصل ، فلما لم يستطع
أن يجمع هذه الأحوال جميعا تحت وصف
واحد أثر أن يتلب الأكثر من هذه الأقسام
على الأقل . ولا شك أن المسهلة والواصلة
والتي بين بين أكثر عددا من المحققة وذات
القطع ؛ ثم لاشك أن الثلاث الأوليات وقد
خرجت عن صورة الهمزة إلى صورة العلة
أو الحركة أصبحت مجهورة ، وأن الأخيرتين
هما المهموستان . ومن هنا رأى سيويه أن
يضع الهمزة على سبيل التغليب في فصيلة
الأصوات المجهورة ناسيا أن هذه الثلاث
ليست همزات في صورتها الحاضرة وأنها مد
أو حركة ، وأن وصف الهمزة لا ينطبق إلا على
المحققة بينها .

وأما وضع القاف بين الحروف المجهورة

معروفا عند سيبويه ، كما لم يكن معروفا لديه كيف يحدث الجهر والهمس بالتفصيل ولا أظنه كان يعلم شيئا من طبيعة عمل الأوتار الصوتية . ومن ثم ظن سيبويه (على احتمال) أن الجهر والهمس مع ارتباطهما بتفاوت كمية الجهد في الصدر إنما يحدثان في المخرج ؛ فهذا المخرج يحدث فيه الجهر عند زيادة كمية الجهد الصدى على حد تعبيره عند إشباع الاعتماد . كما يحدث فيه الهمس عند إضعاف الاعتماد . وبهذا يتضح معنى الاعتماد في تعريفه للجهر فيا سبق . ويتضح كذلك في تعريفه للمهموس بقوله : « وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه . وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جرى النفس ، ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه ، وقد رد ابن سينا في « أسباب حدوث الحروف » لفظ الاعتماد بنفس هذا المعنى .

ويبدو أن سيبويه يفرق تفريقا مقصودا بين اصطلاحى « الصوت » و « النفس » ، فيطلق لفظ الصوت على أى أثر سمعى مجهور أو مهموس يأتى الأذن من طريق النطق ، ثم يريد بالنفس الهواء المتسرب تسربا ملحوظا حين النطق ببعض الأصوات اللغوية كالغاء والحاء والسين وغيرها وهو الذى يسمى فى اصطلاح علم اللغة الحديث aspiration .

معه حتى ينقضى الاعتماد عليه ويجرى الصوت ؟ فهذه حال المجهورة فى الحلق والفم ، إلا أن النون والميم قد يعتمد لهما فى الفم والخياشيم ، فتصير فيهما غنة . والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أدخل بهما . ولقد سبق منذ قليل أن أوضحنا أن الجهر والهمس يتوقفان على اهتزاز الأوتار الصوتية التى فى الحنجرة أو عدم اهتزازها ، فما الذى يقصده سيبويه بالاعتماد فى الموضع ؟ يمكن عند النظر فى استعمال سيبويه لهذا اللفظ أن نرى أن سيبويه كان يرى فى قضية الجهر والهمس رأيا آخر غير الذى أوضحنا . فالذى يبدو أن سيبويه كان يرى الجهر والهمس حادثين من تفاوت كمية الجهد الذى يحس به فى صدره أثناء النطق . والمعروف أن حركة الحجاب الحاجز - وهى مظهر هذا الجهد - أوضح فى الجهر منها فى الهمس ، كما يتضح من نطق السين والزاي مشكلتين بالسكون فى نفس واحد على التعاقب . ومرجع ذلك من الناحية العضوية إلى أن الأوتار الصوتية كما ذكرنا تتلاصق بخفة عند الجهر فتعوق هواء الرئة عن الخروج بعض الشيء ، ولكنها تنقارب دون التصاق فى حالة الهمس فيكون تسرب الهواء منها أيسر ، وتكون حركة الحجاب الحاجز من ثم أقل عنفا . ولكن هذا التفسير العضوى لم يكن

فهو يعرف اللام بقوله : د ومنها المنحرف ، وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت ، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة ، وهو اللام ، فاللام شديدة في رأيه لأن اتصال طرف اللسان في نقطة بما فوق الثنايا كان يمكن أن يمنع جرى الصوت فيهما ، لولا انحراف اللسان ترك للصوت فرصة الجريان من جانبه ، د وليس كالرخوة لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتى مستدق اللسان فوق ذلك ، . والراء د حرف شديد يجرى فيه الصوت لتكريره لمخ ، .

والرخوة في نظر سيويه جريان الصوت في نطق الحرف لضيق المخرج دون إقفاله . فهو يقول : د ومنها الرخوة ، وهى الهاء والحاء والغين والحاء والشين والصاد والضاد والزاي والسين والطاء والثاء والذال والفاء . وذلك إذا قلت الطس وانقض وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت ، والعين في نظره بين الرخوة والشديدة ، تصل إلى التزديد فيها لشبهها بالحاء .

واللين كما في الباء والواو وهو اتساع المخرج لهواء الصوت ، والهوى الذى للألف هو اتساع المخرج أكثر من ذلك . وأما الإطباق فهو ارتفاع اللسان إلى الخنك الأعلى أثناء النطق بمخرج آخر وهو ما سميت به

ويظهر أن سيويه ظن الصوت من طبيعة لا تتصل اتصالاً وثيقاً بطبيعة النفس ، فأوجد في اصطلاحه تقابلاً بل تضاداً بين هذين المفهومين بحيث جعلهما يلتقيان في نطق صوت واحد . فالنطق في نظره إما أن يشتمل على صوت وإما أن يشتمل على نفس . فإذا عرفنا ذلك اتضح لنا التعريفان السابقان كل وضوح .

ويأتى بعد ذلك فهم سيويه للشدة والرخوة . يقول سيويه : د ومن الحروف الشديد ، وهو الذى يمتنع الصوت أن يجرى فيه وهو الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والثاء والذال والباء . وذلك أنك لو قلت الحج ثم مددت صوتك لم يجر ذلك ، . ثم يقول : د ومنها حرف شديد يجرى معه الصوت لأن ذلك الصوت غنة من الأنف ، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف ، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت ، وكذلك الميم ، . فإذا ذكرنا أن الصوت في رأيه هو الأثر السمعى مجهوراً كان أو مهموساً ، وأنه جعل النون والمسيم من بين الحروف الشديدة ، وأنه قال يجرى الصوت معها دون بقية الشديدة ، أدركنا ما يعنيه بالشدة . فالشدة في نظره لإقفال المجرى القموى وإن كان يجرى الأنف مفتوحاً . ويتضح ذلك من وصفه اللام والراء بالشدة ،

- قبل ذلك الطبق ، اشتدته من الإطباق وعكسه الانفتاح . يتضح لنا مما سبق :
- ١ - أن الجهر في رأى سيدييه مرتبط بالجهد الذى يحسه الناطق فى الصدر والذى يتسبب عنه تسايط هــ واء الرتين على المخرج فيحدث الجهر فى المخرج نتيجة لإشباع الاعتماد أى ضغط الهواء على المخرج .
 - ٢ - أن الهمس ضعف الاعتماد
 - ٣ - أن الاعتماد هو ضغط هواء الرتين على موضع اتصال الأعضاء للنطق .
 - ٤ - أن الشدة لإقفال المجرى الفموى فى طريق هواء الرتين وإن انفتح مجرى الأنف .
 - ٥ - أن الرخاوة تضيق المجرى الفموى تضيقا يسمح بحدوث أثر صوتى احتكاكى .
 - ٦ - أن اللين والهوى هما توسيع مجرى
- الهواء مع تفاوت فى الدرجة .
- ٧ - يستعمل المخرج والموضع استعمالا واحدا .
- ٨ - الإطباق عنده ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى وعكسه الانفتاح .
- ولا ينسى سيدييه أن يشرح فائدة دراسة الأصوات العربية بالنسبة لدراسة اللغة فيقول : « وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه . وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه ، وما تبدله استثقالا كما تدغم ، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك ، ولكن لدراسة الأصوات قوائد أخرى أهم وأهم ، قد نيينها فى مقال آخر إن شاء الله .
- دكتور تمام مساد**
أستاذ مساعد بكلية دارالعلوم

(البقية على ص ١٠٧٦)

الموضوع وأن طعن قریش على النبى إنما كان يتناول مادة القرآن من حيث مصدره ومن حيث أغراضه فلا محل لدلالة (الآية) - على غير الآية الكلامية - فى هذا السياق .

سادسا : ومن ناحية أخرى لا يساعدنا الواقع التاريخى على أن النبى - صلى الله عليه وسلم كان يأتى بالآيات بمعنى المعجزات - ثم يبدلها فيرفع معجزة . ويحل محلها معجزة أخرى . بل كانت سنة القرآن ، أن يغلق فى وجوه السائلين باب الاستجابة لتنزيل الآيات الكونية وقد ثبت هذا المعنى

فى مختلف سور القرآن قريبا من عشر مرات بأساليب مختلفة .

سابعا : وأيضا فإن المعجزة إذا وقعت فلا يمكن رفعها ولا تبديلها ، وبحجى آية أخرى أو معجزة أخرى لا يكون تبديلا لها ، بل يكون إضافة إليها ، أما الآية الكلامية فظاهر أن ترفع من موضعها ويحل غيرها محلها . وحسبنا هذه المعانى التى بيناها من وجوه دلالة الآية على النسخ ، وأظننا فيها ؛ لى نقطع عن طريقها كل شاذ ، وكل تأويل باطل ؟

محمد مساد مهمل

كتابان غربيان عن الإسلام والمسلمين

للدكتور محمد غلاب

- ١ - بقطعة العالم الإسلامي المطبوع المطبوع (فارنو).
- ٢ - الإسلام والحرب المطبوع المطبوع (فارنو).

ممتازة ، ودقة فائقة ، وعناية تامة . أهم حركات البلاد الإسلامية ونهضاتها التاريخية في الجمهورية العربية المتحدة والهند وإيران وتركيا . يشير المؤلف بديا في إلماعة تاريخية عاجلة إلى بناء العالم الإسلامي وتأليف كيانه ، ونمو امتداده الحرب والتجاري والسياسي والعقلي والعلى ، فيسجل في هذه الإشارة من مجد السلف ما يدفع الخلف إلى مواصلة الجهد ومضاعفة النشاط . وبعد أن ينتهي من تدوين ذلك الجلال التليد يقفز إلى أواخر القرن التاسع عشر فيشهدنا ثورة د عرابي ، المفعمة بالإخلاص والشجاعة والوطنية والعزة والقومية ، والوقوف في وجه للسلطة الطغائية . وسيرتها الاستعمارية . ثم ينزل المؤلف إلى القرن العشرين ليصف ما اندلع فيه من ثورات العالم الإسلامي التحررية الباعثة على الإعجاب ، بل الإجلال ، وهو يمهّد لتصويره هذا فيقول :

أما الآن كتابان عميقان من أروع منتجات الفكر الغربي وأكثرها دقة ونزاهة وأحفظها على الروح العلمية وأحرصها على الحقيقة التاريخية ؛ لذلك رأيت أن أقف بك عند كل واحد منهما هنيئة لأطلعك على هذا اللون الذي يقضى الواجب الإسلامي قبل كل شيء بترجمته وإذاعته بين المسلمين ليروا كيف أن فريقا لا يستهان به من أفاض علماء الغرب ومفكرهم يكتبون عن الإسلام والمسلمين كتابة قيمة تشرف عقلياتهم ، وتخلد أسماءهم وتسجل للإسلام عظمته وجلاله . أما أول هذين الكتابين فعنوانه د بقطعة العالم الإسلامي ، تأليف الكاتب الألماني د فارنو ، وهو كتاب عصري نشر في سنة ١٩٥٤ ويحتوي دراسة واسعة نزيهة مؤيدة بالمستندات القوية والأرقام الدقيقة تعقب فيها المؤلف بقطعة ملحوظة ، وحكمة

والهند هما محور الحركات الإسلامية الناهضة .
وإذ ذاك يأخذ المؤلف في تحليل تلك
الحركات النهوضية في دقة وتحديد وتقدير
للأمور دون أن يحيد عن احترام الإسلام
وقداسته ، وما اشتملت عليه أصوله وتعاليمه
من الوسائل المثلى لتحقيق السيادة والسعادة
ولا يقصد ألبته بالسيادة الطغيان واستعباد
الغير ، أو الاستبداد بالأمم والجماعات
أو الأفراد ، ولا يرى من وراء السعادة
إلى الرقاهية أو الميوعة ، وإنما أراد بهما
معنيهما الفلسفيين والأخلاقيين اللذين هما
على قمة الرفعة والسمو ، فقصده بالسيادة
التحرر من عبودية الجشع والبهيمية ، فرض
سلطان الروح على المادة ، وأراد بالسعادة
سعادة الضمير والمجتمع . وبهذا ينتهي إلى
أن هذا الدين يشتمل على جميع المثل العليا
والمبادئ السامية التي لا نظير لها في أي دين
آخر ، والتي هي كفيلة بمنح أتباعه الحق في
قيادة الأمم وتزعم الشعوب عن جدارة
واستحقاق .

وعما يسترعى الانتباه أن المؤلف يعالج
— في نزاهة ودقة وصراحة — خطة العالم
الغربي بإزاء العالم الإسلامي ، ويبين ما اشتملت
عليه تلك الخطة من الأنايه البغيضة وفقدان
العدالة الذاتية . بل فقدان المعالم الإنسانية

إن تلك المدنية العتيقة التي حسبها أوروبا
قد خضعت لها خضوعاً أبدياً ، قد استيقظت
من سباتها ، ونفضت عن نفسها غبار
العصور . ولا ريب أن العالم الإسلامي قد
ظفر من هذه المدنية بمكانة ملحوظة ، ومكان
عال ، إذ أنه يشبه أن يكون قارة قائمة بين
أوروبا وآسيا ، ومن ثم فإن نقطة هذه
القارة الضخمة التي تعدل سبع سكان الكرة
الأرضية ، سيكون لها تأثير حاسم في تقرير
مصير العالم ، ولذا يصح أن تمنعت هذه
النقطة بعظمى ثورات القرن العشرين .

وأياماً كان ، فإن المؤلف يحزم بأن الحربين
العالميتين قد أعانتا العالم الإسلامي على تحطيم
القيود التي كبله بها الاستعمار ، وفتفتت
الإطارات التي أحاطه بها الظلم والطغيان
وأناحت له الفرص المواتية ، ليسترد مكانته
الرفيعة ، ويستعيد منزلته العالية ، ويسترجع
بمخالبه حقوقه من بين فكي الاستعمار .

ولقد اقتضت هذه الحركة التي تهدف إلى
العودة للنزلة الطبيعية ، وترى إلى الظفر
بالحقوق كاملة وثبتين متمزجتين لا سبيل إلى
التفريق بينهما ، وهما الوثبة الدينية والوثبة
السياسية . وهنا يحزم المؤلف بأنه إذا حاول
البعض الفصل بين النهضة الدينية والنهضات
السياسية في الأديان الأخرى ، فإن ذلك
بالنسبة إلى الإسلام غير ممكن . وهو يرى أن مصر

فيها أن الإسلام يتفق أكثر من المسيحية مع الأنظمة الزمنية الصالحة للحكومات والمجتمعات ، وأن الإسلام في جوهره فوق الأوطان والقوميات ، وأنه يلعب دور عنصر الجمع والتأليف والتتميم ، ولا ريب أن هذه هي غاية المؤتمر الإسلامى وهدفه الأعظم .

أما ثانى هذين الكتابين فعنوانه : « الإسلام والجرال » ، تأليف الكاتب الفرنسى المعاصر « بيير بونسواى » ، والجرال فى عرف أولئك المؤلفين الذين تناولوا هذا الموضوع بالدرس والبحث هو : شئ مادى رمز به لرسماوى لم تكشف حقيقته إلا لصفوة ممتازة اختارتها العناية الإلهية من بين أهل الأديان السماوية ، وأماطت عنها الحجب والاستار فتبينت أن ديانتها إذا لم يلحقها التحريف الذى يؤدى إلى الانحراف ، فإنها ستجد أن مصدرها كلها واحد لا يقبل التعدد ولا التغاير على أى نحو من الأنحاء ، وأن أتباعها جميعهم إخوة نشؤوا من أصل واحد ووجهوا من لدن السماء إلى غاية واحدة ، وبالتالي سيجدون فى مبادئ هذه الديانات دعوة حارة إلى المحبة والوئام والسلام ، وإلى إذعان الأخ الاقل علماً ونوراً ، لنصيحة الأخ الأعلم وإرشاده . ويقرر هذا المؤلف أنه قد وجدت بالفعل فى العصور الوسيطة هذه الصفوة الممتازة

أحياناً مما يجعل الثورة فى مقدمة الأمور المشروعة ، بل الواجبة المحتومة .

وهو يسجل على الأخص أن تلك الثورات لم يكن يقدر لها النجاح لولا أنها مؤسسة على مشاعر داخلية غير قابلة للدقاومة ، سداها العبقريّة ، ولحمها الإيمان . وأن مصر قد ضربت الرقم القياسى فى هذا بثورتها الأخيرة : وهنا يقف المؤلف عند ثورتنا الحالية وقفة جاذبية وانعطاف ناشئين عن إعجاب ، بل لإجلال ؛ لأنها تهدف إلى تطهير البلاد من نظام فاسد متعطن ، وترمى إلى تحريرها من استعمار بغيض متعسف ، ولأنها وضعت أمور البلاد فى أيدي أبنائها الحقيقيين .

وما أبدع إلحاح المؤلف هنا على أجنبية الأسرة البائدة وجهلها التام بدين البلاد ولغتها وأخلاقيها ، وتقاليدها ، وعرفها ، وتراثها الأدبى ، وقوامها الروحى ، وإلحاحه كذلك فى أن الضباط الأحرار هم من صميم الشعب وأعماقه إلى حد أنه يجزم فى رشاقة أن وجوه الكثيرين منهم تذكر المرء بوجوه التماثيل القائمة فى دار الآثار المصرية .

ولا يفوت هذا المؤلف أن يسجل أن ثورة ٢٣ يولية كانت ثورة سلمية هادئة ، جديرة بأرقى المدينيات وأسماها . ولا غرو ، فهل هناك مدينة أسمى من مدينة مصر ؟ .

وأخيراً يختم بحوثة بملاحظات عامة يؤكد

أمكنة واسعة تتحدث فيها عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها حديثاً كله احترام وإجلال ، ولما كانوا قد تبينوا من بحوثهم الطويلة المستأنية أن الإسلام هو دين الفطرة بالمعنى الكامل لهذه العبارة ، فقد اختصوه بالصدارة في هذه البحوث ، ولكن ينبغي أن نعلم أن هذه الدراسات لا تعنى بالإسلام لتحكم عليه من نواحيه الظاهرية ، بل هي تشغل به من تلك الوجهة الخاصة التي يتضح فيها أن الإسلام - بوساطة رسالته الفوق الطبيعية التي تعرضها تعاليمه المخبوءة عرضاً وافياً - مستعد لتلقى جميع صور الإيماءات الحقيقية ، والإلهامات العلوية ، وإنه يستطيع أن يؤول جميع النصوص السماوية والرمزية لكي يوفق بينها في مراميها الرفيعة ، ويدخلها في نظام إسلامي يمكن أن يشمل إطاره السكون بنامه .

ولاريب أن هذا التعبير من جانب مؤلفنا عن « إطار الإسلام الشامل للسكون بنامه » قد ذكرنا بعبارة الأستاذ ماسينيون في كتابه : « محاولة حول أصول المفردات الاصطلاحية للتصوف الإسلامي ، حيث يقول ما نصه : « إنما بفضل التصوف كان الإسلام ديناً دولياً وعاماً . إنه دولي بفضل الأعمال القوية التي قام بها الصوفية في زياراتهم لبلاد غير المؤمنين ، أي بفضل المثل الرائع الذي قدمه

من أهل الأديان السايوية ، وأنها قد تيقنت من أن الإسلام هو أرشدها وأحكمها ، وأنه هو المنوط بزعامتها وقيادتها إلى الخير وأنه بالتالي هو الذي يجب أن يخطو الخطوة الأولى نحو الوثام والسلام ، وأنه قد قام أثناء عدة قرون في هذا الوثام بدور الملهم والمرشد ، وأن تلك الصفوة - على اختلاف أديانها في الظاهر - كانت مقتنعة برسالة الإسلام في هذا المضمار : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » .

ولقد كانت هذه الصفوة تنظر إلى الإسلام على أنه جماع النبوة العالمية وأنه هو النبوة التشريعية الأخيرة التي ستسود قبل نهاية الزمن ، وأن النبي محمداً هو خاتم النبيين وأنه تلقى من السماء جوامع الكلم . ومن ثم فإن الإسلام يشتمل على وسائل روحية لأنواع من التجارب الخاص مع الصور الفطرية الأخرى التي تندرج مع مؤسسيها - كعيسى وعيسى - في نظام إسلامي كلي رفيع من أنظمة الكون ، ومن ثم أيضاً كان الإسلام هو الوسيط الكوني .

هذا الكتاب هو حلقة من سلسلة مؤلفات غربية حديثة اتجه مؤلفوها لأمر ما ، إلى الدراسات الفطرية ، وهي تفسح بين صفحاتها

لدى الصفوة الغربية لاسيما منذ ظهور «رينيه جيمبون» : (الشيخ عبد الواحد محبي) ، وإن كان ذلك لا يمنع من أن يكون هذا الانحراف قد بدأ يظهر للمستنيرين من الغربيين منذ العصور الوسيطة كما يشير إلى ذلك هذا الكتاب حين يتحدثنا عن أقصوصة انتقال السر للساوى من الغرب إلى الشرق مفره التحقيق بعد أن عجزت أوروبا عن الاسترشاد به ، والإفادة منه بإعلان انحرافها عن النظام الكونى والفطرة العامة للذين كان الواجب يقضى عليها بأن تظل وفيه لها لو أنها اتبعت كتابها الساوى التحقيق .

ولا يفوتنا قبل أن نغادر هذا المجال أن نشير إلى تلك الفكرة الضالة التى سجلها ذلك الكاتب العصرى المضحك والتى رد عليها الأستاذ العقاد فى العدد السابق من مجلة الأزهر بما فيه الكفاية ، والتى لانعرض لها إلا من ناحية أن « الشئ بالشئ يذكر » كما يقولون ، والتى مؤداها « أن الشيوعية غزوة جديدة تهدد العالم الغربى فى كيانه كما هددته الإسلام فى القرن السابع الميلاد ... وأن خطة ستالين فى تشييع القارة الآسيوية وإكراهها على قبول الشيوعية ليست إلا تكراراً لخطط القادة الآسيويين أمثال : محمود الغزنوى ، وطرغل بك ، وألب أرسلان ، وأن هذه الخطط جميعاً تعتمد على سلاح الدولة وسلاح

نساك المسلمين من شيوخ الطرق : الكبروية ، والشطرية ، والنقشبندية الذين كانوا يتعلون لغات الهند ، وسكان جزائر الهند الشرقية ، ويندجون فى حياتهم ، هذا المثل هو الذى هدى أولئك القوم إلى الإسلام أكثر مما فعل الغزاة ، وإنه عام ؛ لأن الصوفية هم أول من فهموا الأثر الخالد الفعال للدين الحنيفى ، وهو وجود توحيد عقلى طبيعى لجميع بنى الإنسان .

ونحن نحسب أن شهادة الأستاذ ماسينيون بأن « الأثر الخالد الفعال للدين الحنيفى هو وجود توحيد عقلى طبيعى لجميع بنى الإنسان » هى شهادة لا يستهان بها ، بل هى قيمة لا ينبغي الإغضاء عنها .

ومن ذلك أيضاً ما يتحدثنا به المستشرق الهولندى سنوك هور جرونج فى كتابه « سياسة هولندا تجاه الإسلام » ، إذ يقول : « إن الإسلام بفضل تصوفه قد وجد وسيلة صعوته إلى مكانة مرتفعة يستطيع منها أن يرى أبعد من الآفاق الخاصة ، أى أن هذا التصوف مشتمل على شئ من دولية الدين . » وما هو جدير بالعناية أن مؤلف هذا الكتاب يلح فى أن يبرز للعيان أن فكرة انحراف الغرب عن جادة الصواب . وفكرة ابتعاده عن كل ما هو إلهى ابتعاداً تزداد فداحته على مر الأيام . قد جعلنا تضحيان

بين ظهرانينا ، وترغنا - بعوامل الحياة المختلفة - على قراءتها ، فيتأثر بها البسطاء والأبرياء من مواطنينا تأثرا وخيم العاقبة .

والنوع الآخر هو هذه الكتب القيمة الدقيقة أمثال الكتابين اللذين تناولناهما هنا . وهذا النوع لا يكاد يجد مشجعا ولا نصيرا ، رغم أن أبسط الواجبات يقضى بتشجيعه والعمل على نشره بين ربوع المسلمين بكل الوسائل الممكنة .

والآن - وإلى أن تتم بقطة الأمة الإسلامية ويتنبه المهيمون على الثقافة إلى هذا الخطر - ينبغي أن نقرر أن جميع هذه النماذج من الكتب الغربية التي تسجل سمو الإسلام ، يجب أن تعتبر كتبنا نافعة لا يصح لنا نبذها أو إهمالها ما دام أنها تبرز ناحية من نواحي هيبة الإسلام ، وجانباً من جوانب عظمتها الباهرة أمام العالم الحديث .

المكتور محمد غروب

العقيدة ، وتتخذ العقيدة أحيانا وسيلة لقلب الدولة ، كما تتخذ الدولة أحيانا أخرى وسيلة لقلب العقيدة .

ونحن لا يسعنا إلا أن نقول لهذا المؤلف: إن المدققين من العلماء والباحثين الغربيين أمثال الأستاذة: ماسينيون ، وسنوك هورجرونج ، وبير پونسواي قد أجمعوا على أن الإسلام لم يغز العالم القديم بالعنف ولا بالقسر ، بل غزاه وسيغزو العالم الحديث أيضا بالفضائل العالية ، والمبادئ السامية ، والمثل الرائعة .

فينبغي - إذا كنت تكتب لوجه الحقيقة في ذاتها - أن تحذو حذو بني جلدتك من الزهراء ، ولا تتبع الأغراض والآهواء ، فتضلك عن سواء السبيل .

يبين مما تقدم أن هناك نوعين من الكتب يعرضان للإسلام والمسلمين ، وأن أحدهما لا يساوى في السوق العلمية الورق الذي يكتب عليه ، ولكن مؤسسات الدعاية السياسية الثرية النشيطة تنشر هذه الكتب

الإسلام والمسلمون في أمريكا

للدكتور محمود يوسف الشواربي

إن المسلمين في الولايات المتحدة ليسوا مركزين في ولاية بعينها من مختلف الولايات الأمريكية التي يبلغ عددها ٥٠ ولاية، ولكنهم موزعون على عدد كبير من الولايات في مختلف أنحاء أمريكا، ومن الطبيعي أنه كلما وجدت مجموعة منهم في مدينة من المدن فإنها تأخذ في إنشاء جمعية إسلامية ترعى شؤونهم وتقوى من أواصر المودة بينهم وتنض بالصالح العام للمجموعة دينياً واجتماعياً ومادياً.

ولقد تم بالفعل قيام هذا الاتحاد العام الذي لا يشمل الجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة فحسب بل يشمل الجمعيات الإسلامية في كندا كذلك ولقد أخذ هذا الاتحاد العام يقيم مؤتمرات إسلامية سنوية في كبرى المدن الأمريكية.

ولقد كان للسيد عبد الله عجرم الفضل في تنظيم الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية وعقد أول مؤتمر للمسلمين في المدينة التي يقطنها وهي مدينة (سيدار رايدز) بولاية إيووا التي لا تبعد سوى ٨٠ ميلاً غرب نهر المسيسيبي الشهير الذي يشبه نهر النيل في كثير من الوجوه.

ويرجع الفضل إلى السيد عجرم في تسهيل الجالية الإسلامية المحدودة العدد في ولاية إيووا ثم وجه بعد ذلك عنايته نحو جمع شمل

ومن الأمثلة التي يسوقها على ذلك مدينة نيويورك نفسها. فهذه المدينة بالذات تعتبر كبرى المدن الأمريكية ويقطنها حوالى عشرة ملايين من الناس. ولهذا فإنه لا غرابة أن نرى بها ما يزيد على بضع وعشرين جمعية إسلامية.

بيد أنه يجب أن نذكر هنا أن كل جمعية من هذه الجمعيات ترعى مصالح المسلمين من أبناء دولة من دول العالم الإسلامي، ولهذا السبب اتجه التفكير إلى إنشاء مجلس إسلامي ينسق الجهود بين هذه الجمعيات المختلفة.

ولقد اتبعت الفكرة نفسها حيث تنشأ مجالس إسلامية في المدن الكبرى التي توجد

والمسلمون حيث يكونون في أى عصر يعيشون مسئولين أفراداً وجماعات عن تعليم أنفسهم وتدريبها على اتباع المثل العليا للإسلام ونشرها ، وهذه المثل هى العزة والكرامة ، وتقدير قيمة جميع أفراد البشر وإشاعة الحب والأخوة بين جميع الناس .

من ذلك يتضح جلياً أن قيام الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا . قد عقدت عليه آمال كثيرة فهو المؤسسة الوحيدة الدائمة التى تتكون من صميم الجاليات الإسلامية التى تتألف من المواطنين الأمريكيين أنفسهم والتى يمكن عن طريقها نشر الثقافة الإسلامية على أوسع نطاق ممكن بين المسلمين والأمريكيين ، وتوطيد العلاقات بين مسلمى مختلف الولايات الأمريكية ، وكذلك بينهم وبين إخوانهم في العالم الإسلامى .

ويعمل الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا جاهداً على النهوض بالنواحي الدينية والثقافية والاجتماعية للمسلمين في تلك البلاد والعمل على نشر التراث الإسلامى وتفسير تعاليم الإسلام وشرحها ونشر مبادئه السامية التى يشترك فيها مع الأديان الأخرى لزملائهم من غير المسلمين من الأمريكان .

ولقد عقد الاتحاد مؤتمره الرابع في لندن بولاية أوستاريو بكندا حيث انتخب السيد

المسلمين وتنظيم نشاطهم في اتحاد عام يحفظ عليهم كياناتهم ، ولقد تم ذلك بالفعل ووجهت الدعوة لعقد أول مؤتمر إسلامى في أمريكا في مدينة (سيدار رابيدز) في يوم ٢٨ يونيو سنة ١٩٥٢ وحضره حوالى ٤٠٠ مسلم من مختلف أنحاء الولايات المتحدة وكندا وانتخب السيد عبد الله عجرم رئيساً لهذا المؤتمر وظل يوالى نشاطه حتى تم عقد المؤتمر الإسلامى الثانى لمسلى الولايات المتحدة وكندا في شهر يوليو سنة ١٩٥٣ بمدينة (توليدو) بولاية أوهايو .

ولقد عقد المؤتمر الإسلامى الثالث بمدينة شيكاغو وذلك في شهر يوليو سنة ١٩٥٤ وحضره ما يقرب من ألف مسلم من مسلى أمريكا وكندا . ولقد دعيت كضيف شرف في هذا المؤتمر . وهناك تناقشا جميعاً في وجوب إنشاء اتحاد عام للجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا ، وقتنا بوضع القانون التأسيسى لهذا الاتحاد . وتم انتخاب السيد عبد الله عجرم أول رئيس له .

ولقد أصدر ذلك الاتحاد في ذلك العام بياناً بدستوره جاء فيه (نحن أعضاء الجاليات الإسلامية في أمريكا تنفيذاً لأوامر القرآن الكريم : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ، نعلن إنشاء اتحاد الجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا .

وأما المؤتمر الثامن للاتحاد فقد عقد خلال شهر يوليو سنة ١٩٥٩ في مدينة بوشمان بولاية إنديانا وقد حضره ما يزيد على ألف مسلم من مختلف أنحاء الولايات المتحدة وكندا وانتخب السيد محمد خليل رئيساً للاتحاد .

ويعرف السيد محمد خليل بين إخوانه بمائة خلقه ، وهو شخصية محبوبة وقد وفدت أسرته من لبنان في أوائل هذا القرن واستقر بها المقام في مدينة ديترويت بولاية ميتشجان . والرئيس الحالي للاتحاد موظف ببلدية ديترويت ويبلغ من العمر ٣٦ عاماً وهو من كبار الرياضيين المعروفين في تلك المدينة .

ولقد عقد الاتحاد مؤتمره التاسع في أستايريو بكندا وأعيد انتخاب السيد محمد خليل رئيساً للاتحاد للمرة الثانية .

وفي صيف العام الماضي أي شهر أغسطس عام ١٩٦٠ استضافت الجمهورية العربية المتحدة كلا من السيد قاسم علوان والسيد محمد خليل وهما الرئيس السابق والرئيس الحالي للاتحاد العام للجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا حيث شاهدوا أهم المنشآت والهيئات الإسلامية في كل من إقليمى الجمهورية .

كما أقامت لها جمعية التعريف الدولي بالإسلام حفلة استقبال حيث تعرفوا خلالها على أعضاء الجمعية بالقاهرة وقابلوا الكثيرين (البقية على صفحة ١١٠٧)

حسن إبراهيم رئيساً له وهو شاب ممتاز ولد في أمريكا من أب مسلم لبناني مهاجر ، وأم إيطالية ، ويعمل الآن محاسباً بمدينة (سوث بند) بولاية إنديانا . وقد عمل ضابطاً بالجيش الأمريكى قبل ذلك لمدة عشرة أعوام .

ولقد عقد المؤتمر الخامس للاتحاد في بولاية سنة ١٩٥٦ بمدينة نيويورك ، كما عقد مؤتمره السادس في مدينة ديترويت بولاية ميتشجان ، وذلك في شهر يوليو من عام ١٩٥٧ حيث انتخب الأستاذ قاسم علوان رئيساً للاتحاد في ذلك العام وهو من مواليد أمريكا ويعتبر والده السيد أحمد علوان من أوائل المهاجرين المسلمين حيث ترك لبنان عام ١٩٠٢ واستقر بمدينة آشلند بولاية كوتسكى بأمريكا . ولقد خدم السيد قاسم في الجيش الأمريكى إبان الحرب العظمى الثانية ثم عاد فأنهى دراسته الجامعية حيث حصل على درجة البكالوريوس في إدارة الأعمال . ولقد زاول عدة أعمال مختلفة بعد انتهاء دراسته . ثم استقر به المقام أخيراً في مدينة توليدو بولاية أوهايو . حيث افتتح مطعماً كبيراً يديره بنفسه .

ولقد عقد الاتحاد مؤتمره السابع في يوليو سنة ١٩٥٨ بمدينة واشنطن حيث أعيد انتخاب السيد قاسم علوان رئيساً للاتحاد للمرة الثانية .

مصر وفلسطين كانتا وحدة

للأستاذ حسن عبد العزيز نصر

الوزير اليازورى

كانت بلاد الشام أيام الفاطميين - وبخاصة فلسطين - تابعة لمصر ، فكان يحمل خراجها إليها ، وتعد ولاية من ولاياتها وبعد أبنائها مصريين لهم ما لإخوانهم المصريين ، وعليهم ما عليهم ، لا يقف حائل يحول دون تحقيق طموحهم وترقيتهم فى المناصب الحكومية ، فالقاضى الفاضل ، وقاضى القضاة أبو الفرج النابلسى وأصلاح الصفدى ، استطاعوا أن يصلوا فى مصر إلى أرقى المناصب الحكومية ولكنهم كانوا فى نجاحهم دون أبى محمد الحسن بن على ابن عبد الرحمن اليازورى ، ذلك الوزير الخطير الذى استطاع أن يرقى إلى رتبة الوزارة وأن يلقب بأرفع الألقاب ويعطى أفضل النعوت .

واليازورى هذا منسوب إلى يازور (١) .

إحدى قرى فلسطين على الساحل ، ولد هذا الوزير فيها حينما كان أبوه متولياً قضاءها ، فلما مات خلفه فى منصبه ، ثم عزل ، فسافر للحجاز وأدى الفريضة ، ثم قصد مصر وسمى

خاصة والدته الخليفة .

وما زال يرتفع مقامه ويعلو صيته إلى أن دعى ليتولى الوزارة حينما صرف عنها الوزير أبو البركات الجرجرائى ، فلم يقبلها لأن الأمور كانت حينئذ مضطربة ، وكانت الفوضى شاملة الدواوين والإدارة الحكومية ، فعين غيره وزيراً بالنيابة ، حتى يجد الخليفة حلاً

(١) تقع هذه القرية بين إفا والرملة . وهى الآن آهلة بالسكان .

اليازورى منه ، وراجع سفير المعز بالقاهرة بشأن رسالة مولاه ، فلم تجد مراجعته نفعا ، وأصر الصنهاجى على شق عصا الطاعة حتى كاتب الدولة العباسية يعلن لها الدعوة في المغرب . فلما تحقق اليازورى من خيانة الصنهاجى وأن خطره قد استشرى ، بعث إلى زغبة ورياح (وهما قبيلتان عربيتان كانتا تحلان إفريقية) ، هدايا وطرفاً ، وأموالا كثيرة ، وأصلح بينهم ووحد صفوفهم وجمع كتبهم وأمرهم بمناجزة الطاغية الصنهاجى ، فقاموا بما أمرهم به خير قيام وطاردوا الصنهاجى من مكان إلى مكان ، وهو كالظلم المذعور يفر من مريض إلى مريض حتى ألقاه قهراً إلى المهديّة ^(١) ، وسببت نساؤه وشتت جمعه ، وأخذت أمواله إلى القاهرة فوزعت على الفقراء وطيف بغلبانه في الشوارع لإدخال الرهبة في نفوس من تحدّثه نفسه بالانتفاض على المملكة ، وبعد قليل من هذا الانتصار العظيم تمرد بعض قبائل العرب في البحيرة ، فسير إليهم اليازورى ناصر الدولة ، لثقتهم به ، ولكونه عربياً - فسار ناصر الدولة للبحيرة . يقود جيشاً كثيفاً ، وكان حاسدوه كثيرون وجلبهم من المغاربة والمرزقة والأتراك والسودان ، وكانوا يسمون للقضاء

لانفراج الأزيمة الوزارية المستحكمة ، وكان بين القبائل العربية والمغاربة وحشة وجفوة ، وكان يمثل القبائل العربية في بلاط الخليفة رجل عربى من بيت ملك شامخ ، هو ناصر الدولة الحمدانى فخشى ناصر الدولة ^(١) - إن طال الزمن على فراغ الوزارة - أن يعين فيها رجل يكون منادياً لمصالح العرب . فشجعه على قبولها وأرسل إليه الرسل يحثه على ذلك ، وبعد لآى وتردد قبلها اليازورى في سنة ٤٤٢ هـ ، تخلع عليه ولقبه بالألقاب التشريفة ، فنهض فيها نهضة مباركة ، واستطاع أن يرد العدل إلى نصابه والأمور إلى مواضعها .

وكان اليازورى يحافظ على كرامة الخلافة وعلى شرف المنصب الذى يتقلده ، وقد جرت العادة في زمنه على أن كل رسالة يتلقاها الوزير الفاطمى من البلاد التابعة لمصر ، تهر مع اسم مرسلها بكلمة (عبدكم) ، فكانت ملوك الأطراف توفيه حقه من التبجيل ، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا المعز بن باديس الصنهاجى أمير إفريقية ، فقد أرسل إليه رسالة مهرها بكلمة (صنيعتكم) ، فغضب

(١) ناصر الدولة هذا ، غير ناصر الدولة صاحب اللوصل ، هذا وقد قتل ناصر الدولة « الفاطمى » شرقة إذ هاجه الأتراك وهو جالس في صحن بيته متلقفاً بالمباعدة وإدروه بالسيف حتى قضا عليه .

(١) المهديّة ، هى التى اختطها المهدي ، مؤسس الدولة الفاطمية ، وتقع الآن في تونس .

وأعملوا فيها السلب والنهب ، وحوكم ونفي في بغداد ، وحرّم عليه دخولها فاستشاط غضبا وقصد الشام ، فاجتمع لديه كل ناظم وانضم تحت لوائه كل موتور ، فأعلن الثورة على الدولة العباسية ، وكاتب اليازورى في ذلك ، ولكن اليازورى كان يتصف بهدوء الأعصاب والتزمت والحذر - وهى صفات لازمة لكل زعيم - فلم يندفع وراء شىء غير مضمون العاقبة - بل تردد وأحجم عن الجواب حتى وجد الأمر حقيقة لاشك فيها ، فطمع حينئذ في أن تقوم الدعوة لمولاه في عاصمة العباسيين ، وسير حينئذ إليه الأموال الكثيرة والجنود فعظم أمر البساسيرى بهم واستشرى خطره على الدولة العباسية .

وزحف قاصدا فتح بغداد فخرج إليه المسلحون يمعونه عما أراد ، فكسر شوكتهم ، ولما علم أن بغداد قد خرج منها طغرى بك تابع الزحف بقوة عظيمة من المصريين والسوريين والفلسطينيين ، فافتتحها عنوة في أوائل ذى القعدة سنة ٥٤٥ هـ بعد معارك دامية كان القتال فيها بين الفريقين ليل نهار وأعلن - أى البساسيرى - حينئذ خلع الخليفة العباسى ، كما أعلن إقامة الدعوة الفاطمية ، ثم تابع الفتوح وإقامة الدعوة فاستولى على واسط والبصرة ، وأرسل شعار الخلافة إلى الخليفة الفاطمى ، واستقر

عليه ، فأرجفوا في المدينة أن العساكر أبيت ، وأن المتمردين فادمون للقاهرة ، فاضطرب الناس ، واستعدوا للطوارئ ، وانتشر الخوف فيهم ، ولكن اليازورى ظل هادئا لم تحركه العواصف الهائجة ، ولم يثروعه ما أرجف به شائثوه ، وإنه لجالس في حديقة قصره وإذا بالحمام الزاجل يسقط بجانبه يحمل خبر انكسار بنى قرة في كوم شريك^(١) انكسارا فاحشا فركب اليازورى لساعته لينتصر القصر الملوكى بالانتصار ، فاستقبله المستنصر فرحا مسرورا ، لما علم بخذلان العصاة والسكى يحوما علق في ذهن العامة من أراجيف المرجفين ، أصدر رقعة تشتمل على تفخيخه وتزيد في ألقابه ، فكان منها أن قطعت قول كل مبغض .

وفي هذه المدة كان الفساد ينخر جسم الخلافة العباسية العلييلة ، وكانت دولة آل بويه تحتضر ، فانتهر أحد عماليكها ويسمى البساسيرى ، ونازع آخر ملوكها السلطنة ، ونصب نفسه أميرا للأمرأ ، ولم يكن الخليفة راضيا عن البساسيرى لاسيا حين علم الخليفة بأنه يكاتب الفاطميين سرا ليقم لهم الدعوة في بغداد ، واستغل السنيون هذه الفرصة ، فهجموا على دار البساسيرى ،

(١) اسم مكان في البصرة وقعت فيه هذه المعركة الفاصلة .

والخليل بفلسطين^(١).

فقبض عليه في أول المحرم سنة ٤٥٠ هـ وأبعده مع زوجته وأولاده إلى (تنيس^(٢)) حيث ظل محبوساً فيها حتى أنفذ إليه الخليفة سيفاً قطع رأسه ، ثم أرسلت جثته إلى القاهرة فألقيت في مزبلة ثلاثة أيام ، أخرج بعدها وغسل وجنط وكفن ودفن ، وهكذا

(١) قامت الدعوة الفاطمية في بغداد حين فتحها البساسيري ، ولا معنى لأن يقيم البساسيري الدعوة للفاطميين ، بدون أن يكون مبعوثاً منهم محارباً بمالهم ورجلهم خاضعاً لأمرهم .

(٢) كانت تنيس قدما مدينة كبيرة ، ومقامها في الوجه البحري قريبا من دمياط ، ولما ولي مصر هنبسة بن اسحق الضبي الخارجي الثقفي الورع - وكان مكروها من الرعية لورعه - نزل الروم دمياط يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين ومائتين فملكوها وما فيها وقتلوا بها جما كثيرا ، وسبوا النساء والأطفال وأهل الذمة ، فنهض إليهم الوالي في قسطنطين من جيشه مع جمع كبير من الناس ، فلم يدركوهم ، ومضى الروم إلى تنيس فأقلعوا بأشتومها ، فلم يبقهم هنبسة ، فقال يحيى ابن الفضل للمتوكل :

أترضى بأن يوطأ حريمك عنوة
وأن يستذل السلمون وبحربوا
حار أنى دمياط والروم وب
بتنيس منه رأى عين وأقرب
مقيمون بالأشتوم يبقون مثلاً
أصابوه من دمياط والحرب ثرب
فلا تلسنا إنا بدار مضيمة ،
بمصر ، وإن الله قد كاد يذهب

له الأمر في العراق وضرب السكة باسم الفاطميين ، وهكذا استطاع الوزير اليازوري بواسطة البساسيري وغيره أن يقيم الدعوة لسيدته على منابر المشرق والمغرب وأن يضرب بمقامع من حديد ، على يد كل من تحدته نفسه بالثورة ، واستقامت الأمور له وهدأت أحوال المملكة ، إلا أن الوزير اليازوري كان محسوداً وحساده كثيرين ، وكانوا من طوائف عدة وجنسيات متباينة ، كان محسوداً من المغاربة بطانة الفاطميين ، وكان محسوداً من الأتراك ، وهم الوصوليون الذين يأبون على غيرهم ما يريدونه لأنفسهم .

وكان مبغوضاً من السودان ، أحوال الخليفة لأنه لم يفضلهم على غيرهم ، وهكذا تألبت عليه هذه الفرق لتحط من قدره ، وتنزله من دست الحكم ، ودأبت على دس الدسائس وصنع المؤامرات ، وترويج الوشائيات ، حتى صدق المنتصر فأقلعه عنه ، ولم يبق عليه إلا أن ينتقم منه ، بعد أن وثق به مدة تسع سنوات خدمه فيها اليازوري أجل الخدمات فجعل ملكه شامخاً والأمن فيه موطداً ، فاتهمه بأنه يرسل طغرل بك السلجوقي ، ويحسن له الجحى . لهدم الدولة الفاطمية ، كما ألصق به تهمة إرسال الأموال الفاطمية إلى القدس

ذهب اليازورى ضخمة لإخلاصه لمولاه . وكان الساعى فى ذلك أخلص أوفياته وأصفياته ونعنى به البابلى الوزير الذى خلفه فى منصبه .

وقد أجمع المؤرخون على أن تولية اليازورى الوزارة كانت رحمة على المصريين الذين كانوا همدفا لكل طامع فى ثروتهم ، فم فى زمنه الرخاء ، وزالت الشدة التى كانت تخيمة على البلاد قبل حكمه .

• • •

هذا هو وزيرنا اليازورى الذى سعى لى بوحد الأقطار العربية بزعامة مصر ، وكان ذلك قبل تسعة قرون فلم يكتب لعمله التمام .

هسى عبد العزيز نصر

(١) فى ابن ميسر ص ١٠ أن البابلى سعى لى قتل اليازورى كل السعى ، وقابل إحسانه بهذا الجزاء ، ويقال : إنه جرد إليه من قتله بغير أمر للاستنصر ، فلما اطلع الخليفة على ذلك أعظمه وحقه على البابلى ، وعزله بعد شهرين من تولية الوزر . وفى ابن منجب ص ٦ : أن اليازورى كان لا يأذن بدخول أحد عليه يوم الجمعة إلا للبابلى لفاقه عليه ، ولم ينتفع اليازورى بشئ من ذلك ، لما قبض عليه ، ورد التدبير إلى هذا الوزير بل سيره إلى تنيس واجتهد فى قتله .

يقول الدكتور حسن إبراهيم حسن « وبعد زيارة نصرى خسرو بقليل حلت بالقاهرة الأيام السيئة ، وعاودتها المصائب التى لم تشهر بها قبل قرن من تأسيسها وقبض على نواصى العناصر المتألبة المعادية فى هذه الأثناء الوزير اليازورى مدة تسع سنين ، وبذل قصارى جهده فى معالجة خطر الجماعة التى كانت تهدد البلاد، تلك الجماعة التى يصحبها غالبا الوباء والبؤس العام ، وما يتبع ذلك من الفوضى والجرائم ووجد اليازورى فى مخازن الغلال التى كان مستولياً عليها ما أبعد ذلك الخطر مدة حياته ، غير أنه بعد قتله بقليل ، لم يكن هناك من يقف فى وجه هذه العناصر المتطاحنة . وبين لنا مبلغ تزعزع مركز الحكومة بعد قتل اليازورى ، ما كان من تعاقب أربعين وزارة مختلفة فى تسع سنوات . »

شعر الفاضل الفاضل

للككتور أحمد أحمد بدوي

والواقع أنك لا تكاد تجد قطعة تخلو من لون من ألوان هذه الصناعة التي أتقن الفاضل الفاضل سبكها .

وإلى جانب ذلك لا يسرف الفاضل في استعمال الألفاظ الغريبة ، وعبارته محكمة النسخ ، ومعانيه واضحة إلا في القليل .

وكان لعصره أثر كبير في شعره ، وإذا كان هذا الشعر الذي بين أيدينا لم يتحدث إلا قليلا عن الحروب الصليبية التي دارت في عهد صلاح الدين ، وكان الفاضل وزيره ، فذلك لأنه أشبع تلك الرغبة فيما كتبه من رسائل كانت لها قيمة كبيرة في عصره .

وتعددت أغراض شعره ، ولهذا أرى من الخير أن أخص كل غرض بكلمة :

الغزل :

فن من الفنون التي أكثر منها القاضى الفاضل ، قاله لا يشرك به غرضا غيره أوقاله في مفتتح أغراض أخرى ، وهو كالغزل التقليدي المتوارث : حديث عن الرضا

اشتهر القاضى الفاضل في الأدب العربي برسائله النثرية وطريقته الفاضلية في الكتابة وحجب ذلك شهرته بالشعر ، مع أن الرجل كان حريصاً على أن يكون كاتباً شاعراً معا ؛ فله ديوان شعر كبير جمع فنون الشعر المعروفة في عصره .

وكان الفاضل يؤمن بمجد الشعر وخلوده ، ويرى الدهر عاجزاً عن القضاء عليه ، وعد الفاضل من مفاخره أنه ذو شعر خالد على الزمن .

وشعره يمتاز ، كما يمتاز نثره بحب الصناعة اللفظية ، فهو لا يكاد يدع نوعاً منها ، إذا تأتى له استخدامه ؛ ولهذه الناحية من خصائص شعره أعجب رجال الصناعة به ، ومثلوا لألوانها المختلفة بشعره ، مسجلين له أعظم تقدير وإعجاب ، أما أولئك الذين لا تعنيهم هذه الصناعة فلا يرتفعون في تقدير شعره إلى هذا المستوى ، كصاحب قلادة النحر ، فإنه قال : « وله في النظم أشياء حسنة » (١) .

(١) قلادة النحر : ٢٧٦ .

والغضب ، والقرب والبين ، ولذة الوصل
وضنى الهجر ، وثقل الوشاة ، وبغض العذال
والرقباء ، وعدم الإصغاء إلى لومهم وما
يزعمونه من النصيح .

وليس ما قاله الفاضل من ذلك كله ناشئاً
عن رغبته في الترن على بليغ القول من غير
أن يكون صادراً عن عاطفة حقيقية صادقة ،
بل لأنك لتحسر بحرارة هذه العاطفة تظهر
في الحين بعد الحين ، وأظهر ما يتجلى فيه
ذلك ما أنشأه في حبيبته المريض ، إذ يقول :
يا يوسف الحسن الذى أنا مذشكا

في سجن يوسف من أسى وتأسف
ياسقمه ، رفقا بمدنف جفنه
وترفقا أيضا بقلب المدنف

لو كان من رسم القلوب تصرف
أخفيت من جسمى لك القلب الحفى

أو كانت الحى تقيد نارها
بالماء كانت من دموى تنطقى

أو حين يقول :
لكل حبيب يا حبيب رقيب

ومن كل جسم للسقام نصيب
ولانى فى أهلى ودارى ، لما أرى

عليك من السقم الغريب - غريب
أغيب برغمى ، ثم أحضر عنده

فأنظر آثار الضنى ، فأغيب
أو حين يقول :

ما منك لى خلف ولا عوض
إنى لجوهر ذاتك العرض
أفديك بالقلب العليل ، وبالطر
ف الذى بك ليس يغتمض

وأقول إذ عادوك من مرض
بالعائدين ، ولا بك المرض
ولا عجب فمرض الحبيب خليك أن يثير
فى النفس أعنف العواطف وأصدقها .

وقد أشاد القاضى الفاضل بالجمال ، وماله
من صفات تلذ السمع ، وتشوق البصر .
ومن أكبر ما تغنى به هذه الهالة من النور ،
أشع من وجه الحبيب ، فتغمره بالسناء ،
وتحيطه بالضياء ، فتسمعه يقول .

زارت ، فزارك فى الظلام ضياء
عشيت به عن لمحها الرقباء

ويقول :
ومضى شمس الوجه لم يدهلوى

فى خاطرى إلا سراج ضيائه
ويقول :

بأبى بدر يضى به
خاطرى إن لاح أو غربا

ويقول :
وأفرط أنواراً ، فضل مكانه

وأفرطت إشفاقا ، فضل مكانى
وتغنى بالقدود اللينة ، والخصر الأهيف ،
والعيون النجل ، والحواجب المقوسة ،

والخيلان تزيد بياض الخد بهجة وجمالا ،
والأسنان كالآقحوان ، والحدود كشقائق
النعمان :

ضرب اللثام على شقيه
ق ، والشفاه على قداح
وأظن ورد الخد يس
حتى من مرأشفه براح
ويقول :

يا هلالا ، إذا أنار ضللتنا
وقضيا إذا ثلثي ثنانا
بيننا جلتار خدك يبدو
إذ رأينا فى صدرك الرمانا
ومن أجمل ما قاله فى ذلك وصفه لين
الحدود ونعومتها التى لم يذقها بغير عينه :
وما ذاق إلا ناظرى لين خدها

وعن وصفه قلت : الحدود نواعم
وأسرف الفاضل كثيرا فى تشبيه شعر
الصدخ بالعقرب ، وولد من ذلك معانى
كثيرة كانت معينا لمن جاء بعده من الشعراء ،
يقتبسون منها ، ويستقون من ينبوعها ،
ويطول فى القول إذا أنا تتبعته فى هذه المعانى ،
وحسبى أن أشير إلى غزارتها ؛ فهذا الشعر
حينما جزء من ليل هام بالحبيب ، فقبل خده
وأسبل عليه جزءا منه :

سرت فسكان الليل قبل خدها
فأبقى به قطعاً ، وأسبل عقرباً

فما استغربت فى موطن الحب غريب
فهذا الدجى فى صبحها قد تغربا
وهذه العقرب تحول بينه وبين روض
الخد ، فهى الحاجز بينه وبين السعادة :

على كل خير مانع ، وبحسنه
يرق ، ويجفو ، رقية للراقب
فيمنع ورد الخد شوك ملاصق
ومن دون روض الخد شوك العقارب

وهى عقرب عجبية فى لسبها :
فقربها أبعد من لسبها
وبعدا أذى من السب
وعجبية فى خلقتها :

ما عقرب إلا لها شوكه
وعقرب الخد لها وردة
وهى من المسك ، ولكن جمر الخد لا
يأكلها ، أوهى بقية من ليلة لم يوقظها الفجر :
وعقرب فى الخد من مسكة
أمسك أن يأكلها الجمر
بقية من ليلة للرضا
نامت ، وما أيقظها الفجر
إلى غير ذلك من خواطر صورها .

كما أكثر من الحديث عن ورد الحدود
وتلهبها .

وحينما يحمل فى صف الحسن ، فيراه مجلى
لقدره الله :

شرفت آيات خالفه سر ، لا تقف ، واستعن بأجدة
 وإلى تميزها ندبا حجة السحب إلى وكر مغرب ، وطر
 آية في الحسن تشهد لي ما أنت يا شيخنا الكبير كمن
 كان من آياته عجا أضحي كبير الجمال في الصغر
 أو هو بعض ولدان دار النعيم ، أكثر ووصف لنا القاضي بين ما وصف حديث
 جمالا من القضيب والحقف والظبي الحبيب ، ووعدده ، وعنايه ؛ أما حديثه
 والهلال : قالروض :

لا كمثل القضيب ، والحقف —
 ف ، وريم النقا ، ووجه الهلال فتح العتب به ورد الخجل
 تلك أسماؤكم ، وسميتموها بل هو در يقتنى ، وإن الألفاظ تخرج
 لوجوه أخرى ذوات جمال من فمه متعثرة ؛ لأنها سكرت بخمر
 وعلى قانلى لباس من الحس ريقه العذب :
 ن تعالى عن الطراز العالي فيالك من در من اللفظ مقتنى
 وحيناً يوازن بين من يهوى وبين القمر ، وبالك من خر من اللفظ تعصر
 فيرى القمر أقل بهجة وحسنا : يجمع ألفاظا بخمرة ريقه
 فليرغم القمر الذى سكارى الخطى فى ذيلها تتعثر

فى وجهه أثر الرغام (١) وأما وعده فسراب :
 إن قلت : حسن الوجه نا قالوا : تعلى ، إن بقيت ، بوعده
 ل فلم ينل حمن القسوام هيات ، غيرى غره بـسـرا به
 ما كان مضروب الغيا وهو مع ذلك يقنع به ، ويرضى :
 م نظير مضروب اللثام لقنعت من عدة
 ويقول فى أخرى : ووصل بالخيال وبالحال
 أقم يا بدر لو عقلت ، وقد ويتمنى هذا الوعد الكاذب :
 أبصرت تلك الأنوار لم تنر حتى مواعيده
 من لى بوعده منك كذاب من لى يرى فى الوعد الممطول لذة ونعيا :

ويا أمرنى من لا أطيق بهجرها
وحسبى به لو كان ينظرها حسبى
يشير على جسمى بفرقة قلبه
بقيت كذا هل كان جسم بلا قلب
فلا غربة أن يرسل القلب برحيل الحبيب
فهو وطن وفى لأهله ، يرسل برحيلهم ،
ويقيم بأقامتهم :
أستصحبنا قلبى ، وكان محله
وإن كان من جور الفراق محيلا
عجبت لدار من وفاء بأهلها
أجدت ، وقد راموا الرحيل رحيل
وقد أوحى الفراق إلى الفاضل بخواطر
كثيرة من الشوق واللوعة لفقد الأحباء
والقلوب معهم :
وكم بت عطشنا إلى مورد السلى
وإن كنت فى بحر الدموع غريقا
فريقين ودعنا : فريقا أجرة
تعز علينا ، والقلوب فريقا
ولا روح فى الشكوى وأية راحة
بما سر أعداء ، وساء صديقا
ويرى دارهم قد نقشت على قلبه وعينه ،
فلا يبرح رسمها ماثلا أمامه ، أما الضوء
الذى ينير الحياة فقد رحلوا به ، ولا تستطيع
الشمس والقمر أن يعوضاه بما فقد :
إنى فقدت أحبى نظرا
ووجدت بعدهم الثوى (١) أثرا

يا من ينفرننا بمظلمهم
وبه جرت قدما رسومهم
فى المطل معنى لست تعرفه
لا زال مطولا غريمهم
دع مظلمهم ، فالمطل يذكره
وعسى على الذكرى نديمهم
فى المطل تعذيب يطيب له
يا طيب ما فيه نعيمهم
وأما العتاب فهو - مع قسوته - محبب
إليه ، لأنه عنوان الحب ، ودليل الصلة
القلبية القوية :

حشد الذنوب على يوم عتابى
حتى لأذكرنى بيوم حسابى
أهلا بهذا العتب ، فهو مبشرى
إنى لأحبابى من الأحباب
يشعر الفاضل بأن الحبيب يسكن القلب
ويمسكه هذا الخاطر ملكا قويا ، فيحس
كأن الحبيب يشعر بما يحول فى نفسه من أمان
وإحساسات :

ذكرتك ذكرى ، أنت فى القلب ربما
شعرت بها فى القلب كيف تجول
ويعجب كيف استطاع أن يسكن القلب ،
وفيه نيران متقدة من الحب :
أسكان قلبى ، كيف جاورتم الأسمى
به ، وهو نار بالدموع تسيل
بل هو قلبه الذى لا يستطيع هجرانه :

تركوا على عيني ديارهم
وعلى فؤادي الشوق والفكرا
ظعنوا بنور لست أسأله
لا الشمس بعدهم ولا القمر
ويرق حين يرسل التحية إلى الحبيب
المفارق، فيقول :
يا لمعة البرق ، بل يا هبة الريح
روحي بجسمي إلى من عنده روعي
خذي لهم من سلامي عنبرا عبقا
وأوقديه بنار من تباريحي
ناشدتك الله إلا كنت مخبرة
عني بأنهم ذكرى وتسليحي
وإذا كان الفراق يثير فيه اللوعة والأسى ،
فلا جرم كان يخافه ، ويخشى نذره ، ويتمنى
أن لو أخلف الدهر هذه النذر :
أرى نذرا للبين صرح وعدما
على إذا ما الدهر أخلفها نذر
وليس بكثير في الحب خوف الفراق ؛ فإن
الحبيب هو الذي يكسب الدنيا بهجة ،
ويعملوها جمالا . ويبعث فيها الأمل ، ويحيي
ميت الأمانى ، وقد صور الفاضل هذا
الإحساس في قوله :
وقد كانت الدنيا التي لم يكن بها
إذا اخضر منها جانب جف جانب
بدت لي بها دنياى خضراء كلها
فلا منظر إلا رفيه مأرب

وإذا كانت الدموع تلازم بعض أحوال
الحب ، فقد أطال الفاضل في الحديث عنها ،
ووصفها ووصف مصدرها ، فالدموع هي
التي تكشف الشوق وتصفه :
ولولا دموع يكشف الشوق وصفها
لما وصف الشوق الذي بي واصف
والدمع كتاب الحبيب لا يكذب ، يرسله
لحب ، ليقبل ترابا سار عليه الحبيب :
كتاب إليه من فؤاد معنون
وما كان في العنوان لاعن ولا إلى
ومن رأى قلبي أن يقبل ترابه
فيرسل ثغر الدمع عنه مقبلا
وليس هذا الدمع سوى دماء تسيل منه ،
يروى بها ورد الحدود :
ترى من دموعي قبل ترجع من دم
سقيت ، فأطلعت الأفاح شريفا
فلما جرحت القلب صارت مدامعي
دماء ، فأورت وجنتيك شقيقا
ويرى تلازما بين الحب والدموع :
ما دام وجهه ينجلي عن روضة
فعلى عين تنجلي عن منهل
وهي التي تطرز ما كسته الصبا لديار الحبيب
من التراب بعد فراقهم لها ، وعنوان
ما بقلبه من هموم وأشجان ، وهو يعجب كيف
تسح عينه الدمع بحارا ، ثم لا يفرق الحب ،
بل ظل حيا قويا :

ويرى فى العذل جلاء يصقل الحب :

وما الحب إلا الحسام الصدى
إذا العذل مر به يصقل
وحينا يثور ، فيرى فى اتباع العذل
حزما ، ويراها هدى لو أن له قلبا يصفى ،
أو أذنا تسمع :

لعمري لقد بصرت لو نفع الهدى
وحقا لقد أسمعت إن سمع الصم
أعاذل ، ما الحزم إلا اتباعه
طريقك ، لكن ربما قلب الحزم
ووقف القاضى الفاضل على الديار يعرفها
ويسألها ، كما وقف الأقدمون ، ولكنه
لم يكثر من ذلك ، ولم يطل فيه والديار التي
يبكيها ديار تغفيا الرياح ، ولم تبق على
رسومها ، فتسمعه يقول :

عرفت داركم ، والركب ينكرها
قلبي ، وإن جهلت عيني ، يخبرها
ما كادها الريح قدما حين ينسفها
وإنما خلفهم أمسى يسيرها
يادار كنت لأفلاك الهوى فلما
فما استطعتك أفلاكا أسمرها
وحينا يغلب عليه مذهب أبي نواس ، فيأبى
الوقوف على الأطلال العافية ، ويقول :
وبستوقف العشاق فى الربع إن عفا
سواى ، على ربع عفا لا أوقف
ويأخذ القاضى عن بشار مبالغته فى وصف

وقد أغرق الدنيا بدمع جفونه

ولم يتفق فى ذاك أن يفرق الحب
وأكثر كذلك من الحديث عن العذل
والعذال ، فهو يحتمل الآلام فى سبيل الحب ،
ويخفى كربه فى قلبه كي لا يسر العذول بإظهار
آلامه :

وفى القلب كرب لا أسر عذوله
بقول إذا ما ضقت بالكرب : واكرب
ويشعر بالعذول ثقيل الظل ، لا يطيق
لكلامه حملا ؛ تلس هذا الإحساس فى جمع
القاضى بين العذول والجبل فى قوله يخاطب
العاذل :

وما يخف على قلبي حديثك لى
لا والذى خلق الإنسان والجبال
ويخبر العذول بأنه لن يصغى إلى حديثه ،
ولو أنفق فى لومه عاما كاملا :

دع اللوم يا عاذل
فما أنت بالمعادل
ولا تكثرن الملام
وأقصر ، فهذا الكلام
على الصب مثل الكلام (١)
ولو قت فى كل عام
تسلم إلى القابل
فما أنا بالقابل

(١) الكلام : جمع كلم ، وهو : الجرح

نفسه بالضالة ، حتى لا تكاد تدبينه العين
 وإذا كان الفاضل ضئيلاً فقد أسرف مبالغاً
 في وصف هذه الضالة حين يقول :
 مثل المكتاب ضنى ، ومثل يراعه
 بل خطه ، بل شكله المتفاني
 لم يبق منى في العيون بقية
 والله يبقى لى الذى أفناني
 كما نلبس هذه المغالاة في وصف آلامه
 وهمومه ، إذ يقول :
 وما الغيث إلا من دموى ساكب
 ولا الرعد إلا من حننى ناثج
 ولا العمر إلا من أسى متراكم
 ولا البرق إلا من زفيرى لاح
 وحينما يصف أساه وصفا معتدلاً فيقول :
 لو كان منه باسمى لى الصباح
 ما كتم التقطيب عنى الأفاق
 فما لعين عن رياض رضا
 ولا لبرح (١) عن فؤادى براح
 لامرحاً صرت ، ولا مشتهى
 أفقدنى فقد الملاح المراح
 ويتسم أكثر غزل القاضى الفاضل بمسحة
 من الألم قل أن تفارقه ، فأكثره أنين وشكوى ،
 وقل أن تجد فيه فرحة اللقاء أو سرور
 الوصل ، كقوله :

ياليلة بات فيها البدر معتنى
 والناس بالبدر والظلماء في شغل
 بقنا نفص عقوداً للحديث ، فإن
 فصلتها فبتشذير من القبل
 قل فى الزلال إذا وانى على ظمأ
 فقد دلت على التفصيل بالجل
 وقوله :

وبات يحسبى على رغم كاشح
 بما لم أكن - لولا الرضا - أتمناه
 بخمرين : خمر فوق وردة خده
 برق ، وخمر فى أقاح ثناياه
 فولى ضياء الصبح من خوف نزع
 وولى ظلام الليل خوف مجياه
 وقد غبت من فرط السرور بقره
 كأنى ما ألقاه ليلة اللقاء
 وأجاد القاضى الفاضل فى تشبيهه بمغنية
 مجيدة ، ووصفها ، ووصف مجلس غنائها ،
 ووصف العود فى يدها ، إذ يقول :

تلذ بجنتها أعين
 وفيها الذى تشتهى الأنفس
 لها نظرة إذ تحسبى بها
 يفض لها عينه النرجس
 وجاءت بعود لها خاطب
 فزم لهيئته المجلس
 إذا هى جست مضت بالصوا

ب ، قالناس من بعدها حبس

(١) البرح : الشدة والأذى .

لها معجز إن تأملته
فما سر إعجازه مبلس^(١)
أما العود من قبلها أخرس
وفى يدها ينطق الآخرس
كان المدامة من لحظها
ونار الغرام بها تقبس
ولا يخرج القاضى الفاضل في تشبيهاته الغزلية
عما ألفته العربية من التشبيهات ، ولكنه
في كثير من الأحيان يحور ويولد ، حتى يصيح
التشبيه طريفا مقبولا ، وها هو ذا يشبه وجه
من يحب بالهلال ، فيميل به عن الطريق
المألوف ، ويقول :
قلت إذ قلب المدلل وجهها
طالبا من سمائه شوالا

وعيون الرائيين قد أبصروه
فتناسوا به الهلال ، وهالا :
خذ مرآة ، وانظر بحياك منها
يبد منها السحاب منك هلالا
وهكذا يجرى القاضى الفاضل في أكثر
تشبيهاته في الغزل .
ولا يفوتني قبل أن أتم فصل غزله أن أشير
إلى أمنية تمنّاها ، ودفعته إليها رغبته في قرب
حبيبته ، فكان ذلك سديا للدعاء عليه ، فقد تمنى ،
وحبيبته مريض ، أن يكون أحد مضاجعه ،
وألا تفارق الحى حبيبته أبدا ، فقال :
ألا ليتنى إحدى مضاجع سُقّر
وباليتها ليست تجماني له جنبا
(البقية في العدد القادم)

الركتور أصمهر أصمهر بدوى

(١) أبلس : يئس ونحير .

(بقية المنشور على ص ١٠٩٣)

من قادة الفكر الإسلامى وتناقشوا معهم
في رسالة الجمعية وكيف يجب أن توالى هذه
الرسالة الإنسانية حتى تتأكد الصلة بين
المسلمين في بلاد العالم الإسلامى وبين إخوانهم
المقيمين في أمريكا .

ولعله يسر القارى الكريم أن المؤتمر
التاسع للاتحاد قرر أن يعقد مؤتمره العاشر
في يوليو من عام ١٩٦١ بمدينة القاهرة وستنظم
رحلة جوية لجميع أعضاء المؤتمر من الولايات

والمتممات إلى القاهرة حيث يعقدون مؤتمرا
وينزلون ضيوفا على الجمهورية العربية المتحدة
ثم يزورون بعد ذلك أهم مدن دول الشرق
العربى وخصوصاً الأماكن المقدسة فيها
وبالأخص مكة المكرمة والمدينة المنورة
وبيت المقدس فلا يسعنا إلا ذلك إلا
الترحيب بهم فأهلا بهم بين ذويهم وسهلا بهم
داخل أراضيهم .

الركتور محمود يوسف الشواربي

شئ من النفد ...!

للأستاذ على المارنى

- ٢ -

تتابع فى هذا العدد الحديث عن قصيدة الطيف ، للبارودى وهى تنيف على ستين بيتا ، وليس منها فى الغرض الذى قيلت فيه غير أربعة عشر بيتا ، وقد ظهر أخذ البارودى عن المتقدمين واضحا فى هذه المعانى ، وهو لم يأخذ عن المتقدمين أحسن معانيهم ، وإنما أخذ أهونها ، ونحب أن نعرض صورة موجزة كل الإيجاز لحديث المتقدمين عن الطيف .

قال الشريف المرتضى فى أماليه : أول من ابتدأ هذا المعنى - القول فى الطيف - قيس ابن الحظيم ، وكل الناس فيه عيال عليه ، فى قوله :

ما تمنى يقضى فقد توتينه

فى النوم غير مُصرَد محسوب^(١)

كان المنى بلفائها فلقيتها

فلهوت من لهو امرئ مكذوب

وقال أبو تمام :

زار الخيال لها ، لا ، بل أزاركه

فكر ، إذا نام فكر الناس لم ينم

ظي تقنصته لما نصبت له
فى آخر الليل أشراكا من الحلم
ثم اغتدى وبنا من ذكره سقم
باق ، وإن كان معسولا من السقم
وله :

ما زارك الخيال ولكنه
سك بالفكر زرت طيف الخيال

ثم جاء البحرى فأكثر من الحديث عن الطيف ، حتى نسب إليه فقيلا : (خيال البحرى) ومن ذلك قوله :

أراني لا أنفك فى كل ليلة

تعاود فيه المالكية مضجعى

أمر بقرب من مُلم مسلم

وأشجى بين من حبيب مودع

ويقول صاحب العمدة : إن أول من

طرد الخيال طرفة بن العبد فى قوله :

فقل لخيال الحنظلية ينقلب

إليها فإني وأصل جبل من وصل

ومن قول البحرى فى الخيال :

(١) التصريد : التقليل ، وفى السقى ، دون الرى .

هذا الحبيب فرحبا بخياله
أنى اهتدى والليل فى سرباله !
بل كيف زار ودونه مجهولة
من سبب قفر يمحور بآله !
سار تجاوز من شقائق عاجل
بعد المدى ، من سهله وجباله
وكذلك :

أمنك تأؤب الطيف الطروب
حبيب جاء يُهْدِي من حبيب
نخطى رِقة الواشين (شرقاً)
وبعد مسافة الحرق المجوب (١)

يكاذبى وأصدقه ودادا
ومن عجب مصادقة الكذوب
هؤلاء الشعراء تناولوا معانى فى الطيف ؛
فصاحبة قيس تعطى فى المنام ما تمنعه فى اليقظة
وأن المنى فى لقاءها تحققت بقاء خيالها ،
والشاعر لها ، ولكنه هو امرئ مكذوب
لاحقيقة له ، وأبو تمام جعل الخيال زائراً ثم
أضرب لجعل الفكر هو الذى جلب الخيال وقد
نصب لهذا الطيف شباً من الأحلام فاصطاده
ولما جاء الصبح ذهب الخيال ، وترك سقماً ،
ولكنه سقم حلو ، وهو تعبير جميل
(معسولاً من السقم) .

(١) السبب : المغازة . اللور : الاضطراب ،
والأل : السراب . وطالج : اسم مكان .

(٢) الحرق : الأرض الواسعة . المجوب :
اللقطوم

أما البحرى فصُرف القول ، فهو فى كل
ليلة تزوره المالكية فى النوم يسر ، ويشجى ،
يسلم عليه الحبيب ثم يودعه ، ويعجب كيف
اهتدى إليه هذا الطيف ، فى ظلمات الليل ،
وكيف وصل ودونه أرض مجهولة واسعة ،
يضل سالكها ، وينقطع السائر فيها دون
الوصول إلى غايته ، ولكن هذا الخيال ،
تجاوز الرمال ، والجبال والسهول ، ولم يعبأ
بظلام الليل ... وهكذا .

فماذا صنع البارودى ، ابتداءً بأن طيف
سميرة (تأؤب) وهو لفظ البحرى ،
ثم جعله يطوى سترته الظلماء ، ويتخطى
الأرض ، ويتحمل أهوال الظلام ، ويعجب
كما يعجب البحرى : كيف وصل إليه ،
ودونه محيط من البحر الجنوبي زاهر ؟
وتقصير البارودى ، ليس فقط فى هذا
الاتباع الواضح ، وإنما هو فى عدم تسجيله
ما يحدثه الطيف من انفعال فى النفس ،
فالبارودى لم يدخلنا قلبه لنرى فيه مشاعره
وأحاسيسه التى أثارها الطيف ، بل جعل
يحدثنا عن رحلة الطيف ، من مصر إليه ،
ثم عودته سريعاً ، وعن صاحبة الطيف التى
لم تدر ما الليل وما السرى ، وقد جهدت أن
أعرف الحالة النفسية التى كان عليها البارودى
فى نومه عندما زاره خيال سميرة ، هل كان
متألماً حزيناً ؛ هل اضطربت أوصاله حين

فقد خلط بين المذهبين ، فجعله أولا متأوبا ،
جائيا إليه بقطع الليالي ، ثم جعله نابعا من
الخواطر (وما الطيف إلا ما تربه الخواطر)
ثم عاد إلى المعنى الأول فقال إنه تخطى إليه
للبحار والقفار ، والليل والنهار ، فلم يثبت
على مذهب واحد ، مما يدلنا على أنه يغالى
فى التقليد ، فيغفل عن التناقض بين المعانى ،
على أن قوله (وما الطيف إلا ما تربه
الخواطر) - وإن تضمن ، أنه دائما يذكر
بنته هذه ، فطيفها إبراز لما فى نفسه - هو
أشبه بالتعاريف المنطقية .

ومن اتباع البارودى وتقصيره قوله :

ولولا تكاليف السيادة لم يجب

جبان ، ولم يحو الفضيلة نائر

فقد أخذه من قول المتنبي :

لولا المشقة ساد الناس كلهم

الجود يفقر والإقدام قتال

والفرق بينهما جد واضح ، لا يحتاج

إلى بيان .

وقوله :

فلا أنا إن أدنانى الوجد باسم

ولا أنا إن أقصانى العدم باسم

وقد سبق إلى هذا المعنى - وأجاد - حاتم

ابن عبد الله الطائى ، حيث يقول :

رضينا زمانا بالتصعلك والغنى

وكلا سقناه بكأسهما الدهر

قام من نومه فلم يجد شيئا أمامه ؟ هل قال
كما قال الشاعر العربى الأول :

ولانى لأستغشى وما بى غشية

لعل خيالاً منك يلقى خيالها

على أى حال ، لم يدخلنا الشاعر نفسه ،

ولم يطلعنا على وجدانه ، فقط ، بيت واحد

أشار به إلى ارتباطه لوجود الطيف حيث قال :

الم ولم يلبث وسار وليته

أقام ، ولو طالت على الدياجر

أما أوصافه ، فهى (من الظاهر) وأعتقد

أنها لا تأثير لها على أحد ، فنفس القارى

لا تتفعل إذا لم ينقل إليها الشاعر انفعاله .

وواضح من شعر المتقدمين أن بعضهم

يجعل الطيف نابعا من الفكر . وعلى ذلك

جاء قول أبى تمام : (لا ، بل أزاركه فكر) .

وبعضهم يجعله وافدا من خارج النفس ،

يتخطى إليها الأحوال (١) ، أما البارودى

(١) بهذه المناسبة ، عرض سويد بن أبى كاهل

البشكرى للطيف فى قوله :

هيمج الشوق خيال زائر

من حبيب خفر فيه قدع

شاحط جار إلى أرحلتنا

عصب الفباب طروما لم يرع

آنس كان إذا ما اعتادنى

حال دون النوم منى فامتنع

وقد ضبط شارحا للفضليات « أحمد شاكر ،

وعبد السلام هرون » كلمتى « شاحط وآنس »

بالكسر ، وقالا : إنهما اسمتان لحبيب ، والذى

هندى أنهما بالرفع وصفان للخيال .

فما زادنا بأوأ على ذى قرابة
غنانا ولا أزرى بأحساننا الفقر
وعمى عرض لهذا المعنى واجاد هدية بن
كشرم العذرى :

ولست بمفراح إذا الدهر سرنى
ولا جازع من صرفه المتقلب
فالصياغة فى النصين أقوى من صياغة
البارودى ، والمعنى واضح فيهما ، و (إذا)
فى قول هدية أجود من (إن) فى قول
البارودى ، لدلالة إذا على التحقق ، ودلالة
إن على الشك ، وقد نفى هدية شدة الفرح ،
كما نفى الجزع ، لأن الذى يعاب به الإنسان
أن يبطره الغنى ، أو يخضعه الفقر ، كما نفى
الجزع ، لأن الذى يعاب به الإنسان أن
يبطره الغنى ، أو يخضعه الفقر كما نفى حاتم
أن يكون الغنى زاده كبرا على ذوى قرابته ،
أو أزرى الفقر بأحسابه ، ثم إنه قال إنه
ذاق الغنى والفقر ، ورضى بهما ، والبارودى
نفى أن يتسم عند الغنى ، وليس هذا مما
يعاب على أحد ، ولكنه يريد المبالغة ،
ثم إنه ذكر أدنى وأقصى ، دون أن يعديهما
العقول ، فلا يدرى القارىء مم أدناه الغنى ،
ومم أقصاه الفقر ، هل أدناه من الناس ،
أو من طيبات الحياة - مثلا - وذكر المعقول
هنا ، مع أنه برفع الغموض ، يعطى معنى
جديدا ، والنسج - كما هو ظاهر - ضعيف .

ومن ذلك قوله :
فقد يستجم المال والمجد غائب
وقد لا يكون المال والمجد حاضر
فهو ينظر إلى قول المتنبي ، ويعارضه :

فلا يجسد فى الدنيا لمن قل ماله
ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده
ويوافق قول الآخر :

قد يدرك المجد الفنى ورداؤه
خلق ، وجيب قيمه مرقوع
وسر جمال هذا البيت الأخير ، أن الشاعر
أولا نص على الذى يدرك المجد ، مع الفقر
وهو (الفنى) فليس كل إنسان يستطيع هذا
وثانيا صور هذا الفقر بصورة تبعه الأمل
فى أن يدرك هذا الفنى المجد ، أما كثرة المال
عند البارودى ، وقلته ، أو عدمه ، فليس
فيه هذه الصورة ، التى قصد الشاعر أن
يكون عليها من يدرك المجد لعلو نفسه ،
وصدق عزيمته ، ثم المجد حاضر ، والمجد
غائب ، أضعف بكثير من (يدرك) لأنه
ليس فيها نص على أن الفقير قد انصف بالمجد
إلا بطريق السكناية ، والحقيقة هنا أقوى ،
فلو قال ، قد يصبح الفقير ماجدا مثلا ،
لكان أحسن من قوله (والمجد حاضر) .

وفى البيت خطأ آخر ، وهو إدخال (قد)
على الفعل المنقى ، قال صاحب القاموس :
وقد الحرفية مختصة بالفعل المتصرف

الخبرى المثبت المجرد من جازم وناصب
وحرف تنفيس ، وأما قول الشاعر (وقد
لا تعدم الحسنة ذاما) فهو شاذ .
ومن أخذ البارودى قوله :

فما الفقر إن لم يدنس العرض فاضح
ولا المال إن لم يشرف المرء ساتر
ومن الذين سبقوه بهذا المعنى السموءل
بن عاديا :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس إلى حسن الثناء سبيل

وكل ما فعله البارودى أنه جعل معنى
بيتى السموءل فى بيت واحد ، وهذا الإيجاز
إن كان فضيلة فهو يصغر أمام عذوبة ألفاظ
السموئل ، وإيضاحه المعنى ، وتأكيده أن
لا سبيل إلى الثناء الحسن ، إذا كانت النفس
صغيرة ، مهما كان عندها من مال وجاء ،
وتعميمه فى جمال كل هيئة يظهر فيها الإنسان
إذا تنزه عرضه عن اللؤم .

٢ — وقد تحدث البارودى عن الصبر
حديثا مضطربا فقال :

صبرت على كره لما قد أصابنى
ومن لم يجد مندوحة فهو صابر

وما الحلم عند الخطب والمرء عاجز
بمستحسن كالحلم والمرء قادر

ولكن إذا قل النصير وأعوزت
دواعى المتى فالصبر فيه المعاذر
إذا المرء لم يركن إلى الله فى الذى
يحاذره من دهره فهو خامر
وإن هو لم يصبر على ما أصابه
فليس له فى معرض الحق ناصر
فع أنه أخذ معنى البيت الأول من قول
أبى العتاهية :

ليس لمن ليست له حيلة
موجودة خير من الصبر
ومعنى البيت الثانى من قول المتنبى :

كل حلم أتى بغير اقتدار
حجة لاجيء إليها اللثام
مع هذا قد أخطأ فهم معنى بعض الألفاظ ،
واضطرب فى شعوره العام ؛ فهو لم يحدد
صبره لأنه على كره ، ثم جعل هذا الصبر
حليا فى البيت الثانى ، ومعلوم أن العجز لا يعد
حليا ، ولا يسمى حليا ، وهذا ظاهر من
بيت المتنبى ، ثم عادت امتدح الصبر على الإطلاق
فى البيت الأخير ، وجعل فى الصبر المعاذير
إذا لم يجد الإنسان نصيرا فى البيت الرابع ...
ولولا أن الحديث بطول لذكرنا أكثر
معانى البارودى ورجعناها إلى أصلها ، مع
بيان تقصيره عن السابقين .

٣ — معانى البارودى — فى جملتها —
عادية ، لا تحتاج إلى إمعان نظر وربما خفيت

فلا أرى حاجة إلى هذه العبارة الأخيرة (هي سوافر) فالسفور الظهور ، وقد ذكر أن هذه الكواكب تألفت في الأفق ، والتألق يتضمن الظهور وزيادة . ومن ذلك (الدنيا بين الأنام تقامر) فالعبارة قلقة ، فنحن نعرف أن المقامر هو لاعب القمار ، ولا نذكر تعبيراً فيه أن إنساناً قامر بين اثنين ، والبارودي يريد أن الدنيا تداول بين الناس ، فتعطي هذا ما تحرمة ذاك . . . ولكن الكلمة لا تفيد هذا المعنى بوضوح ، مع اضطراب العبارة .

وقد تكون الكلمة كالكلف في الوجه الجميل ، فيفسد جماله ، فالطيف هذا الكائن اللطيف الذي سرى ليلاً ، يناسبه أن تحدوه نزوات الشوق ؛ لأن الحدا — وهو الغناء الإبل لتسير — مناسب هنا ، ولكن ليس من المناسب أن تزجره هذه النزوات (٥) ، فالزجر السوق بعنف والأصوات المزعجة الحادة التي تدفع الإبل إلى السير حين تميل إلى الإبطاء والتريث ، وليس مما يتفق مع غرض البارودي أن يصور الطيف بصورة من يحتاج إلى الزجر ، فوق عنف الكلمة وعدم ملائمتها للطيف ، وفي القصيدة كلمات غير مستقرة في موضعها ، وإنما هذا الذي سقناه أنموذج منها ، قال أبو بكر الباقلائي

على بعض القارئين ولكن ذلك غير راجع لدقتها ولطفها ، وإنما يرجع إلى عدم فهم معاني الألفاظ ، فإذا فهمها القارئ لم يجد في المعنى دقة ، ولا بد للشاعر أن يرتفع بالقارئ عن المعاني العادية ، وفي ذلك يقول (بول فاليري) : « إن الشعر هو الكلام الذي يراد منه أن يحتمل من المعاني ، ومن الموسيقى أكثر مما يحتمله الكلام العادي ، والشاعر المجيد حقاً ، يمتاز من غير المجيد بأنه إذا تحدث إليك لم يمكنك أن تسير معه كما تسير مع نفسك ، وإنما يضطرك أن تفكر وأن تبجد نفسك في أن تفهمه وتحسه وتشعر به . »

وهذا الرأي قديم في بلاغتنا العربية ، وما حديثهم — ولا سيما الشيخ عبد القاهر — في التشبيه القريب المبتذل ، والبعيد الغريب إلا صابغة منه .

٤ — الشاعر الفحل لا يضع كلمة إلا إذا قصد من ورائها فائدة ، وقد ينقض كلامه قبل القافية فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى جديداً ، والأمثلة على ذلك كثيرة من الشعر الجيد ، ولكننا نجد في هذه القصيدة قوافي لم يدع إليها داع غير تكلمة البيت ، وتحقيق القافية ، من ذلك قوله :

فهن كعنقود الثريا تألفت
كواكبه في الأفق فهي سوافر

(٥) في قول البارودي : تخطي إلى الأرض وجدا وماله ... سوى نزوات الهوى حاد وزاجر

٦ — بعض صورته البيانية غث بارد ،
من ذلك قوله (ويسفل كعب الزور) وقد
عاب النقاد على أن تمام قوله :
وكم أحرزت منكم على فيج قدھا

صروف النوى من مرهف حسن القد
حيث أضاف القد إلى النوى ، فجاء
بتشبيه بعيد ، وإنما أوقعه فيه قصد
المماثلة بين القد والقد ، وكذلك عيب
عليه قوله :

بلوناك أما كعب عرضك في الوري
فعال ، وأما خد مالك أسفل
فقوله (كعب عرضك) و (خد مالك)
كما يستقبح ويستنكر ، ومراده من ذلك أن
عرضك مصون ، ومالك مبتدل إلا أنه عبر
أقبح تعبير .

ومن ذلك نقد القدماء لهذا البيت :

وجذت رقاب الوصل أسياف هجرها
وقدت لرجل البين نعلين من خدى
فقد قيل : ما أهن (رجل البين) وأقبح
استعارتها ، ولو كانت الفصاحة بأسرها فيها ،
وكذلك (رقاب الوصل) . قلت ويثلك
هذين (كعب الزور) في قول البارودي .

ومن التعابير القاصرة قوله : (ويا قرب
ما التف عليه الضائر) فقد جعل الضائر
تلف على الأحباب ، والتفاف الضائر
تعبير غير سائغ ولا مقبول .

في كتابه إيجاز القرآن : « وعدوبة الشعر
تذهب بزيادة حرف ، أو نقصان حرف ،
فيصير إلى الكزازة وتعود ملاحظته بذلك
ملوحة ، وفصاحته عيا ، وبراعته تسكفا ، .
ه — أخذ النقاد القدماى على
الفرزدق قوله :

إذا التقت الأبصار أبصرت وجهه
مضيئاً ، وأعناق الكماة خضوع
فقالوا : أساء القسمة ، وأخطأ الترتيب ،
ولنما كان يجب أن يقول أبصرته سامياً ،
وأعناق الرجال خضوع أو أبصرت لونه
مضيئاً وألوان الكماة كاسفة ، وعملا بهذه
النظرية تقول إن البارودي أخطأ الترتيب
في قوله :

تقل دواعي النفس وهي ضعيفة
وتقوى هموم القلب وهو مغامر
حيث قابل القلة بالقوة ، ومطالب النفس
بغزائم القلب ، وفي قوله :

هنالك يعلو الحق ، والحق واضح
ويسفل كعب الزور ، والزور عائر
فقد كان يجب أن يقول ، والحق ناهض
والزور عائر أو : والحق واضح والزور
غامض ، كما قال الأقدمون : الحق أبلج ،
والباطل لجاج . وفي الحق ، نظرة الأقدمين
دقيقة ، وجديرة بالاعتبار والتقدير ، فالذوق
السليم يتطلب الموازنة بين المتقابلات ، فإذا
قوبل اللفظ بما ليس له لفظ له كان الكلام نابيا .

وكلمة (عاريا) في قوله :

فلا غرو أن حزت المكارم عاريا

فقد يشهد السيف الوغى وهو حاسر
كلمة ساقطة ، وهو يريد أنه عار من المال ،
ولكن عدم تقييد الكلمة يوم معنى غير
جميل ، وبهذه المناسبة أقول : إن البارودي
كرر كلمة السيف في هذه القصيدة ، حتى أمل ،
حقيقة أن السيف لا يفارق خيال البارودي ،
ولكن حين يكثر تردد كلمة بعينها
تفقد قوتها :

٧ — من أغلاطه النحوية دخول الواو
على الفعل المضارع بعد إلا في قوله :
وعما قليل ينتهى الأمر كله

فما أول ، إلا ويتلوه آخر
ونظم الكلام فما أول إلا يتلوه آخر ،
وكذلك إدخال قد على الفعل المضارع المنفي
كما سبق ، ومن أغلاطه اللغوية استعمال كلمة
(ترامت) في قوله :

فقد حاطنى في ظلمة الحبس بعد ما

ترامت بأفلاذ القلوب الحناجر

فقد استعمالها بمعنى رمت ، والذي في
لسان العرب . ترامى به الأمر إلى كذا أى
صار ، وأفضى إليه ، وكأنه تفاعل من
الرمى . أى رمته الأقدار إليه ، وترامى القوم
بالسهام إذا رمى بعضهم بعضا ، وقد ارتمت
به البلاد و ترامت ، و ترامت تتابعت ،
وازدادت ، و ترامى الجرح إلى فساد أى
تراخى ، وصار عفنا فاسدا ، و ترامى أمر
فلان إلى الظفر أو الخذلان صار إليه ،
و تراماه الشباب أى تم ، واستعمال البارودي
يفيد أن الحناجر يقذف بعضها بعضا بأفلاذ
القلوب ، وهو فاسد ، وفي قوله :

عقيلة أتراب توأين حولها

كما دار بالبدر النجوم الزواهر
يريد أخواتها ، والأخوات لا يقال لهن
أتراب ، لأن التراب المقارن في السن ، وتوأين
معناها تتابعن ولا معنى للتتابع حولها ، إلا
على تأويل بعيد ؟

على العمارة

أسد بن الفرات الفقيه الغازي

للاستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

« انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » .

هذه دعوة الإسلام التي دفعت المسلمين جميعاً ، علماء وفقهاء ومحدثين وجنداً لأن يبيعوا أنفسهم وأموالهم في ساحات المجد والفخار في البر والبحر في السهل والجبل ، يطلبون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولم تحل بين علمائهم وفقهائهم وبين الخروج للغزو مجالس العلم وحلقات الدرس ، ولم يقعدهم عن الجهاد تصدر الفتيا ولا نائمات ظهورهم بالفقه ، والحديث الذي ساحوا الأقطار في سبيل التحقق من صحته .

فبينما الشيخ القاضي « أسد بن الفرات » يجلس للفتيا بين الناس ما قامت عليه الشريعة الإسلامية من أصول وقواعد ، والناس مأخوذون بعلمه عاكفون على درسه ، والشيخ يعلو صيته وترفع شهرته بين الأقطار ، وقد قارب السبعين من عمره . إذا بمؤذن يستنفر المسلمين للجهاد في سبيل الله ، فقد عزم « زيادة الله

ابن الأغلب » ، صاحب إفريقية من قبل الدولة العباسية ، على فتح جزيرة صقلية .

وما يكاد الشيخ وهو في حلقة الدرس يسمع هذا النداء حتى يهب إلى الجهاد يطلب إحدى الحسينين ، تاركاً دروسه ومحاربه وأقلامه ، راغباً في هذا الشرف الذي أتيح له في آخر أيامه ، فهذه هي الفرصة التي قد لا تسنح مرة أخرى .

فيذهب إلى « زيادة الله » ، يعرض عليه رغبته ويطلب منه السماح له بالتطوع في صفوف المجاهدين . ويحاول « زيادة الله » ، أن يثنى الشيخ عن عزمه ذا كراً : أنه يجاهد في تعليم المسلمين دينهم وشريعتهم ، وأن هذا لا يقل عن جهاده في قتال أعدائهم ، ولكن هيهات ، فقد عقد الشيخ النية ووطد العزم .

وأمام إصراره اختاره الوالي أميراً على الجيش الغازي لما يعرفه فيه من عزم ومضاء وهمة عالية ، وبذلك اجتمع « لأسد بن الفرات » ، مشيخة القضاء وإمارة الجيش .

* * *

الفقيه المالكي (عبد الرحمن بن القاسم) (١) ما سمعه من فقه الحنفية ، فأفتاه فيه بحكم مالك . وهاك في القيروان تولى القضاء وشرع يضع للجمع الأسس الفقهية في المعاملات .

ولما أذن مؤذن الجهاد وتولى د أسد بن الفرات ، إمارة الجيش ، تراحم الناس من حوله كما كانوا يتزاحمون عليه في درسه ، وتنافسوا في طلب الغزو معه ، ولا غربة في ذلك ، فهو الذي كثيرا ما غزا بهم ميادين العلم والدين ، يرشدهم ويهديهم .

ولما اكتملت عدة الغزو ، خرج بجنده إلى مقر الأسطول الإسلامي الإفريقي (بسوسة) وقد تجمعت السفن ، وحشدت الخيول ، ودقت الطبول ، ونشرت الألوية ، وخفقت البنود ، وتكاثفت الجموع في فرح عارم وشوق جارف إلى الموقعة ، وقد تملكك الناس نشوة الفتح . وتمثل أمامهم المجد

ولد (ابن الفرات) سنة خمس وأربعين ومائة من الهجرة في (حران) بديار بكر ، ثم انتقلت به أسرته إلى تونس ، وهناك نشأ نشأته العلمية الفقهية ، فقد أخذ الفقه عن الفقيه المالكي د علي بن زياد ، ثم درس الحديث والآثر . فلما وثق من نفسه وأدرك أنه قادر على الجلوس للتدريس ، جلس يعلم الناس بتونس والقيروان .

ولكن ما لبث أن أحس أنه بحاجة إلى النزود من مذهبه ولقاء العلماء والسماع منهم والانتفاع بعلمهم ، فرحل إلى المدينة حيث أدرك الإمام (مالك) وتلقى عنه موطأه . وروى عن مذهبه ، ثم رأى أن يقارن بين هذا المذهب ومذهب أبي حنيفة الذي عرف بفقه الرأي والقياس ؛ فانتقل إلى العراق حيث لقي القاضي (أبا يوسف) و (محمد بن الحسن) صاحبي أبي حنيفة ، وسمع منهما فقه أبي حنيفة وناقشهما في الأصول والقواعد التي اتخذها أبو حنيفة أساسا لمذهبه . وقد أعجب به (أبو يوسف ومحمد) فنقلوا عنه أيضا موطأ الإمام مالك .

وبعد أن أفاد من سياحته علما وفهما وحذقا وتجربة وشافه العلماء وقارن بين مذاهب الفقه وروايات الحديث ، قرر العودة إلى موطنه وفتح (القيروان بإفريقية) .

وفي طريق عودته مر بمصر وعرض على

(١) هو الفقيه المالكي عبد الرحمن بن القاسم المصري تلامذ على الإمام مالك مائة وعشرين سنة حتى نضج في فقهه وأخذ عنه وعن « الليث » وعن « مسلم بن خالد » ومن آثاره « المدونة » في فقه المالكية وهي فتاوى سألها عنها ابن الفرات ونقلها إلى الغرب . وكان ابن القاسم معروفا بجانب علمه بالتقوى والورع والزهد ، حتى أنه كان لا يقبل جوائز السلطات وإليه يرجع الفضل في انتشار المذهب المالكي بمصر . وتوفي بمصر سنة ١٩١ هـ .

فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ، فمن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .

وهناك في صقلية في ميدان المعركة شرع الشيخ (أسد) يهود المعركة ، فذك الحصون وهدم القلاع وحطم قوى المدافعين وبعث في قلوب الناس الخوف والفرع وانتصر على مدينة (إغرار) أحد حصون الجزيرة .

ولما بلغ (سرقوسة) وكانت من أقوى حصون صقلية ، حاصرها حصارا شديدا ، ولكن الأجل لم يممه حتى يتم فتحها ، فقد انتشر الطاعون بين الجنود فمات (ابن الفرات) هلى أسوارها ومات معه عدد كبير من الجند ، ولم يفته وهو على فراش الموت أن يوصى قواده وجنده بإتمام الفتح ، كما عهد بإمارة الجيش إلى (محمد بن أبي الجوارى) الذى دخل (سرقوسة) واستولى على غيرها من بلدان الجزيرة .

وقد كان هذا الفتح حافزا لعزائم المسلمين الذين فتح إخوان لهم منذ مائة وعشرين سنة بلاد الأندلس وأصبحت لهم فيها دولة قوية ، دفعهم هذا للنظر إلى آفاق جديدة ، فأعدو العدة لغزو إيطاليا واستولوا على جنوبها وملكوا مدينة (نابولى) عروس إيطاليا كما بلغوا ضواحي روما .

المنتظر ، وأسد واقف ينظر إليهم ، فلما رأى هذا المشهد الرائع أخذته الأريحية فاعتلى سفينة القيادة التى أعدت له ووقف خطيبا يحدث الجنود المتأهبين للقتال عن عصاميته ويوضح لهم أن الذى رفعه إلى هذه المسكنة من علو الشأن وإمارة الجيش ، هو العلم والبحث والدرس ، وأنه ليس من آباءه قائد ولا حاكم ولا وال ولا أمير ولا سلطان . خطب الجنود فألهب فيهم العزائم وبعث في نفوسهم الثقة بالنصر فقال :

« أيها الناس ، والله ما ولى لى أب ولا جد ولاية قط ، وما رأى أحد من سلفى ما رأيت ولا بلغ ما بلغت ، وكل الذى أعدنى وهىأتى ، قلبى وعلى فأجهدوا أنفسكم وأتعبوا أبدانكم فى طلب الحق وفى تدوين العلم ، وجالدوا عدوكم واصبروا على الشدائد فإنكم بذلك تنالون نخر الدنيا وسعادة الآخرة . »

وتحرك الأسطول الإسلامى من شواطئ إفريقيا فى شهر ربيع الأول سنة ٢١٢ متجها إلى صقلية مزودا بالإيمان محصنا باليقين واثقا من النصر الذى وعد الله به عباده المجاهدين وهىأه لهم فى مواطن كثيرة ، مندفعين إلى بيع أنفسهم فى سبيل الله الذى يقول :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله؛

والمؤرخون والقواد ، وقد بقيت آثار المسلمين زمنا طويلا ، ويقول (جوستاف لوبون) صاحب (حضارة العرب) :
« إن إمامة الثقافة والصناعة بقيت للمسلمين حتى سنة ١١٩٤ ميلادية ، وكانت المراسيم تكتب بالعربية » .

هذه لمحة خاطفة عن سيرة رجل من رجالات الإسلام بدأحياته فقيها يعلم الناس أمور دينهم ، وختمها قائدا يفتح البلدان ويدك الحصون ، وكان يقول عن نفسه : (أنا أسد - وهو خير الوحوش ، وابن الفرات وهو خير الماء ، وجدى سنان وهو خير السلاح .

عبد الموجد عبد الحافظ

== ذكرت صقلية والآسي

٣٠-جج لنفس تذكراها

فإن كنت ، أخرجت من جنة

فإن أحدث أخبارها

ولما رأى ذلك (يوحنا الثاني) بابا روما في ذلك الحين ، خشى أن يستولى المسلمون على روما ويصبح معقل المسيحية في أيدي المسلمين فقارضهم على دفع الجزية ليعودوا من حيث أتوا .

كما كان استيلاء المسلمين على صقلية وأهم مدن إيطاليا سبيلا إلى سيادتهم المطلقة على البحر الأبيض مما جعل (البنادقة) يخشونهم فهانعهم وطلبوا ودهم زمنا طويلا .

كما لم يكن فتح العرب لصقلية فتحا حربيا أو دينيا فقط بل كان فتحا للعلوم والحضارة والفنون والصناعات . إذ قامت فيها نهضة شاملة على أيدي الفاتحين وسلالة الغازين وأبناء المسلمين ، فظهر في صقلية الإسلامية العلماء والباحثون والشعراء^(١) والحكام والمهندسون

١ - منهم الشاعر المبدع (ابن حمدوس) الذي يقول في صقلية بعد أن أخرج المسلمون منها : ==

التعليم القومي والتعليم الأجنبي

يقول رابندراناث تاغور الحكيم والشاعر الهندي :

التعليم بلغتنا هو الذي أنعش روحنا وأحيانا ، ورأى أن التعليم ينبغي أن يكون كالأكل ، بمعنى أنه عند ما يسيخ الآكل اللقمة الأولى تقبته معدته إلى عملها قبل أن تمتلي ، ويمكن حينئذ عصرها من أن يؤثر كما يجب . ونقيض ذلك التعليم الأجنبي : فإن اللقمة الأولى تؤذ الطاعم بخلع سطرى أسنانه أو تزلزل فمه ، وفي اللحظة التي يبتدىء يعرف فيها أن اللقمة ليست من جنس الحجارة — وإنما هي من السكر وقابلة للهضم — يكون قد ولى نصف عمره ، وبينما هو يعالج مضغ كتابتها ونحوها تبقى روحه جائعة ، فإذا تذوقها تكون شهيته قد ذهبت .

رَجُلُ الدِّينِ وَثقافة عَصْرِهِ

للأستاذ محمود الشرفاوى

كان رجل الدين ، إلى عهد قريب ، يشتغل إلى جانب الدين « بالعلم » ، فهو الذى يعلم الصديان فى « الكتاب » ، وهو الذى يصلى بالناس ، ويفتيهم فى طلاقهم وأيمانهم ومواريتهم ، ويزوج شبابههم ويصالحهم فى خصوماتهم . وهو ، فى نفس الوقت ، الذى يكتب لهم « التحويلة » ، والحجاب . ليتبخر بهما المحموم ويعلقهما المريض ، وهو الذى يكتب على « الطبق » ، ليغسل ما كتب فيشرب ماءه المريض فيشفي بإذن الله . ويكتب للعقيم رموزاً فى سطور فتحمل بإذن الله أيضاً . ولعل هذا كله ما يزال رجل الدين يمارسه فى بعض بلاد الشرق . ولم يكن ذلك عيباً فى رجل الدين ، بل كان فضيلة وكرامة . كان هذا الذى يمارسه هو « العلم » ، فى أقدار الناس ومعارف الحياة يوم ذاك . وكانت ممارسة رجل الدين لهذا « العلم » ، هى المشاركة العملية فى الحياة العامة والأثر الذى يقدمه رجل الدين للناس فيدخل به على نفوسهم الطمأنينة والبهجة والخير أيضاً . حقيقة أن هذا الوضع وهذا « العلم » نفسه أثر من آثار اختلاط السحر بالسكينة فى فجر التاريخ

الإنسانى . ولكن الناس كان يرضيهم ، بل يغبطهم ، هذا الوضع ، وكانوا يشعرون بأن رجل الدين جزء مكمل لحياتهم الاجتماعية ، بل جزء ضرورى حيوى ، يشعرون بفراغ كبير إذا اقتدوه ، ويقدمون له ما يستطيعون من البذل والمعونة والكرامة ليسدّ فى مجتمعهم وحياتهم هذا الفراغ . وهذه فترة من فترات التاريخ الاجتماعى والدينى للإنسانية كلها ، مرت بها كل جماعة ومر بها كل دين .

ولم تكن ممارسة هذا « العلم » عيباً فى رجل الدين . ولكن العيب والخطأ هو فى أن ينصرف العالم عن هذا « العلم » ، ويضعه حيث يجب أن يكون فى « متحف » التاريخ . ويبقى بعض رجال الدين على عقيدة أن هذه المخلفات البدائية ما تزال من « العلم » ، الذى يمارسه رجل الدين .

وقد كان مفهوم « العلم » ، فى بعض العصور يختلف كل الاختلاف عن مفهومه الحديث ، وعمما يجب أن يكون فى واقع الأمر . كان مفهومه عندهم يتصف بصفتين بارزتين . أولاها أنه قائم على الاستيعاب والحفظ . وحظ « العالم » ، من الاستظهار أعظم كثيراً

وبعد الإيجاص، كثري، غنب
كذلك تفاح، ومثله الرطب
ومعه الخيار، والجوز
قنًا، ورماني، كذلك الجوز
ونجد الشيخ عبد الله الشرفاوي لا يكفيه
أو يرضيه أن يكون فقيهاً من أكبر فقهاء
الشافعية، فيضع كتاباً في تاريخ مصر (١).
لا يملك من يقرؤه نفسه من الضحك العريض
والعجب المنكر والسخرية البالغة، ونجد
غير هؤلاء أمثلة كثيرة لهذا الخلط العجيب
بين أنواع العلم وألوان المعرفة.
وهذه، كما قلنا، فترة مرت بها الجماعات
والديانات والنحل والمذاهب وليس شيء
منها معيياً، في زمنه وحينه ويثته.

ولكن الفكر الديني، والعلم الديني أيضاً،
كائن حتى متطور، ويجب أن يدرك رجاله
ذلك، ورجال هذا الفكر لهم حق القيادة
والتوجيه. وعليهم، بمقتضى ذلك، تبعات
ثقيلة هي تبعات (الأمانة) والقيادة والسيادة.
ومن هذه التبعات أن يكون القائد الموجه
متصلاً بحياة عصره: ثقافة وإدراكاً ومتابعة

(١) اسمه: «تحفة الناظرين فيمن ولي مصر
من الولاة والسلطين»، طبع للطبعة الوهمية
بالقاهرة سنة ١٢٨١. (انظر تلخيصاً له في الجزء
الأول من كتابنا «دراسات في تاريخ الجبرتي»،
مصر في القرن الثامن عشر»، ص: ٥٤ - ٥٧ من
الطبعة الثانية).

جداً من حظه من الفهم والتأمل والإدراك.
والثانية الإحاطة والشمول. فكلما كان الرجل
محيطاً بعدد كبير من العلوم. أو بطرف
من كثير من العلوم، كلما ارتفع قدره ورجح
وزنه بين العلماء، كان ذلك شأنهم في علوم
اللغة والأدب. فنحن نجد، مثلاً، عالماً
يشتق اسمه، أو لقبه، من أوائل أسماء العلوم
التي يعرفها، أو يزعم أنه يعرفها، فيسمى نفسه
«كشاجم»، ويقول إن كل حرف من حروف
هذا اللقب يشير إلى علم من هذه العلوم.
«حرف الكاف، يشير إلى أنه كاتب، وحرف
«الشين»، يعني أنه شاعر وحرف «الالف»،
يشير إلى أنه أديب. و«الجيم»، تشير إلى أنه
منجم و«الميم»، متصوف.

وكذلك كان شأنهم في علوم الفقه. فنحن
نجد الشيخ الأجهوري، مثلاً، لا يكفيه
أو يرضيه أن يكون فقيهاً فقط. وما ذلك
بالشيء القليل. بل يقحم نفسه في شيء غريب
من العلم أو من المعرفة، هو الطب،
أو «أدب المائدة»، فينظم أبياتاً من الشعر
يذكر فيها ما يجب أن يقدم على الطعام
من ألوان الفاكهة، وما يؤخر، وما يجب
أن يتوسط. فيقول هذه الأبيات: —

قدم على الطعام توتاً، خوفاً
ومشمشاً، والتين، والبطيخا

والمعرفة والحرية والجرأة القائمة على سعة الأفق والثقة بالنفس .

فقد ذكر ابن حجر في الإصابة أنه كان يقرأ التوراة . و يروى ابن سعد في الطبقات الكبرى ، عن شريك التابعي الجليل أنه قال : (رأيت عبد الله بن عمر يقرأ بالسريانية) . وكذلك روى الكندي في كتابه : تاريخ مصر وقضاتها ، ^(١) أن خير بن نعيم ^(٢) كان يسمع كلام القبط بلغتهم ، ويخاطبهم بها . وكذلك يسمع شهادة الشهود منهم ، ويحكم بشهادتهم كما سمعها منهم بنفسه .

والآيات للكريمة والأحاديث الشريفة التي تحض على تعلم العلم ، من كل نوع ، يحفظها ويعرفها كل دارس وباحث .

والأمثلة على ذلك كثيرة من تاريخنا الإسلامي في عهود السيادة والحرية والجرأة القائمة على الفهم وسعة الأفق والثقة بالنفس كما قلنا من قبل .

* * *

للفهم وسعة الأفق والثقة بالنفس ، والإحاطة الكاملة الشاملة الواعية العميقة لثقافة العصر : ثقافة « قريتنا الكبرى » ، في ماضيها القديم وحاضرها القائم ، هذا الفهم وهذه الثقافة يجرنا الحديث عنهما إلى الحديث

وشمولا وعمقا . أى أن يكون محيطا بحياة الناس في عصره إحاطة تامة ، كما وكيفا ، كما يقول العلماء . ولا أقصد « حياة الناس » في بلده ووطنه وحدهما . بل أقصد ما هو أوسع من ذلك وأشمل ، فنحن الآن في عصر أصبح العالم كله تكاد « حياة الناس » فيه أن تكون متصلة بل متلاحمة ، مهما اختلفت أوطانهم بين المشرق والمغرب ، واختلفت ألوانهم بين الأبيض والأصفر والأسود ، واختلفت أديانهم بين الإسلام والنصرانية واليهودية والوثنية . يكاد العالم كله الآن أن يكون (قريتنا الكبرى) كما يقول «توم بين» ^(١) .

ورجل الدين ، كما قلنا ، له حق القيادة والسيادة والتوجيه ، أو يجب أن يكون له ذلك . فمن واجب هذا القائد السيد أن يحيط بحياة الناس في « قريته » الكبرى تلك ، وأن يتأثر بها حتى يؤثر فيها . وأول شيء نريد أن يحيط به رجل الدين هو « الثقافة » ، ثقافة « القرية الكبرى » ، لا « ثقافة » بعينها يراها هو ويكتفى بها ويدور حولها .

وليس ذلك بدعاً في تاريخنا الديني ولا في سيرة رجال الدين من سلفنا في عصور النور

(١) مفكر انجليزى حاصر الحرب الامريكىة الاستغلاية وناصرها ضد وطنه انجلترا وكان من مؤيدى الثورة الفرنسية ضد الملوك والكنيسة وسجن في باريس فكشف في سجنه كتابه «عصر العقل» .

(١) ص : ٣٤٩ [القيل] .

(٢) تولى قضاء مصر من سنة ١٢٠ إلى ١٢٧ .

سيلقى رجل الدين هذا عنتاً ورَهَقاً وثمة أيضاً . ولكنه ، الواجب ، ود الأمانة . وكل متصدر لعمل عام ، يجب أن يصبر ويحابه ، فهذا هو جزاء الإخلاص والشجاعة والصدق والإيمان بالدعوة والرسالة والرأى والبعد عن الإدارة والمتابعة والرياء الذى هو من الشرك .

الإلتساب للدين والرأى شئ . والإيمان به والتسليم له والشجاعة فيه شئ آخر ، وفى رسالة القديس بولس التى وجهها لأهل روما كلمة صادقة هى : « إن الحُتَن لا يجعل الإنسان ابناً لإبراهيم . وإنما أبناء إبراهيم من يسلكون فى خطوات الإيمان ، ومن أعظم الإيمان الشجاعة والإخلاص للعقيدة والرأى ومجاهدة المخدوعين والخادعين بكلمة الحق . والعامة فى كل عصر وموطن يعكسون على ماؤوفهم يشق عليهم أن يخرجوا منه ولو كان باطلاً بين البطالان . والناس أعداء ما جهلوا . ونحن نعلم أن ما نطلبه وندعو إليه ونحرص عليه لأنفسنا ولغيرنا من المخلصين ليس شيئاً هيناً ولا يسيراً . ولكننا نعلم أيضاً أن الرسالة العامة ، والأمانة والتصدى لإرشاد الناس وخدمتهم والبيان عن دين الله الحق ، كل ذلك يستحق أن يلقى فى سبيله المؤمن المخلص ما يلقى من العنت والرَهَق والتهمة أيضاً

وفى تاريخ الناس وتاريخ العقيدة المثل

عن « الأمانة » ، ود الواجب ، : الأمانة للدين وللحياة وللنفس وللناس . هؤلاء الناس الذين يتطلعون إلى « رجل الدين » هادياً ومرشداً ومبصّراً ونذيراً والذين يجعل رجل الدين نفسه قوةً إماماً عليهم وخادماً فى الوقت نفسه . ود الواجب ، الذى يحرص رجل الدين — أو يجب أن يحرص — على أدائه غير منحرف ولا مشوب ولا خوَّار ولا زائف ولا ناقص . والحديث عن هذه « الأمانة » ، وهذا « الواجب » ، ينتهى بنا إلى الحديث عن المواجهة والمجاهدة والصراحة والصدق ، بل إلى الحديث عن « التحدى » ، إذا لزم الأمر . التحدى لبعض الضلالات والجهالات التى يؤمن بها بعض الناس وكثير من العامة يعتقدون أنها من الدين وما هى منه فى شئ . ود التحدى ، ببعض الآراء يخشاها بعض الناس وكثير من العامة يخافونها على الدين وهى لا تضره ولا تسيء إليه ولا تجانبه ، وليست الخشية منها إلا انسياقاً وراء المألوف ، والمتعارف ، والمتبوع .

رجل الدين المخلص المؤمن بعقيدته ودعوته ورأيه — مادام هذا الرأى قائماً على أساس من الدين — يجب أن يؤمن أيضاً بالشجاعة والمواجهة والمجاهدة فى إظهار رأيه هذا . والمدافعة عنه والمناخفة فى سبيله ، مادام يعتقد أن إقضاء هذا الرأى فيه خير للناس وخير لدينه وعقيدته .

هكذا تصور الأناجيل قصة الصلب وغضب الجماهير وعلماء اليهود على نبي الله المسيح .

ولنضرب مثلاً من الحياة القائمة : فقد رأينا قبل شهور في القاهرة أن موسيقياً هو أعظم عازف في أوروبا وأمريكا أشهر إسلامه على يد شيخ الأزهر (١) ، وسماء الشيخ محمد الأزهرى ، وباركه واختار له من يفقه في الدين ، وبقى الشيخ محمد الأزهرى ، الذى كان اسمه من قبل مستر ليروس ، يعزف موسيقاه ويغنى لمستمعيه في « هلتون » وهم يشربون ويصخبون ، وقد يرقصون ويتخاصرون .

ونظرة رجل الدين حيال هذا المثل تختلف : صاحب النظرة المحيطة المتصل بحياة عصره وثقافته ، يؤمن بأن الفن والموسيقى جزء لا غنى عنه في ثقافة العصر وفي حياة الناس ، بل هو زاد لأرواحهم وقلوبهم . ويعرف أن أصحابها من أرق الناس إحساساً وعاطفة ، وأكرمهم خلقاً وأقومهم ضميراً ، فهو عند ذلك يبارك إيمان هذا المسلم الجديد ، ويرضى منه بقوله : « لئن أرى في الإسلام عظمة الدين الحى وجلال الوحدةانية ، ويغبطه منه أنه ، كما قال أيضاً ، يصلى الفريضة ويقرأ (البقية على صفحة ١١٣١)

(١) نشرنا خبر إسلامه واجتماعه بالأستاذ الأكبر في ص ٦٥٥ من مجلة الأزهر عدد جادى الآخرة من هذه السنة .

والعبرة . فقد صدم السيد المسيح عواطف المخدوعين والمنافقين وتجار الدين من اليهود وجهر في وجوههم بكلمة الحق . فكانت مصادمته عواطف الجماهير ، حتى في ضلالاتهم وأباطيلهم ، جريمة لم يغفروها له . حتى كان عندهم أعظم جرماً من « براباس » : للشرير القاتل السفاح . ١ .

فنحن نرى في قصة الأناجيل عن صلب السيد المسيح أن « بيلاطس » الحاكم الوثني كان من حقّه أن يعفو في يوم العيد عن واحد من المسجونين . وكان بيلاطس يتحرج من قتل السيد المسيح ولكنه يتحرج أيضاً من الظهور بمظهر المخالف لرغبة الشعب ، ورجال الدين . فأخرج لهم السيد المسيح وإلى جانبه براباس القاتل . وخيرهم في أن يعفو عن واحد منهم يختارونه . فكان رأى المخدوعين والمنافقين وتجار الدين من اليهود أن يعفو عن القاتل ويأمر بصلب السيد المسيح . وكلما حاورهم بيلاطس في رأيهم هذا وجادلهم وسألهم : ماذا فعل بكم هذا المسيح ؟ صاحوا به : ليصلب .. ليصلب . وكان جرم السيد المسيح في نظر هؤلاء الجماهير أنه « خرج على تقاليدهم » فكان جرماً هذا أعظم هولاً من القتل وسفك الدم ظلالاً . ورأى الحاكم الوثني « بيلاطس » ألا مفر من صلب السيد المسيح . والعفو عن براباس القاتل السفاح . ١ .

وقائع ونصوص:

استدراك وتعقيب^١

للأستاذ محمد رجب البيومي

عميداً للأسرة المالكة فهو يحرص على تتبع ما يقال عن ملوكها وأمرائها في الصحف والكتب ، وقد خصص له أجراء من القراء يوافقونه بكل ما يشم منه رائحة نقد أو مؤاخذه ولم يكن لتفكيره المحدود - يعتقد بادي^٢ - ذي بدء أن الرسالة وهي صحيفة الأدب تتعرض للسياسة والحكم ، فظلت ردحاً طويلاً بمنجاة من ثورته ، رغم ما كانت تفيض به من نقد صارخ وهجوم حاد على الأمراء الدخلاء والإقطاع الوبي ، فكان الزيات يملأ افتتاحياتها بالثورة الصارخة كأن يقول بالعدد ١٨٥ (١٨ / ١ / ١٩٣٧) معرضاً بالأمير يوسف كمال : « ما الذي يحبس هذا الأمير المترف أن ينفق على سلاح وطنه مثل ما ينفق على سلاح صيده ويبدل في سبيل أمته بعض ما يبدل في سبيل شهرته . »

يريد الوطن الضعيف الأعزل من أولئك الذين ربههم على دلال السرف ، وقلوبهم في أعطاف النعيم ، فحشا جلودهم بخيره ، وأفعم خزائهم بذهبه ، وبسط ملكهم على أكثر أرضه ومد نفوذهم على معظم بنيه ، أن

قرأت المقال المخلص الصادق الذي كتبه الأستاذة الدكتورة نعام أحمد فؤاد تحت عنوان مولد رسالة بعدد فبراير سنة ١٩٦١ من المجلة ، فأعجبني نزاهة الأمانة ، وإنصافه الرشيد ، ولكنني وقد كنت أحد أعضاء أسرة الرسالة أراه في حاجة إلى تعقيب يفصل ما كان بين الرسالة وأمراء الإقطاع في أسرة محمد علي من صيال وثورة ، إذ أن الكتابة الفاضلة قد اكتفت ببعض عن السكل ، والرسالة ملك للتاريخ الأدبي المعاصر إذ كانت ديوان العرب المشترك ، وسجل الأدب الحديث وكتاب الشرق الجديد ، ومن حقها على كتابها أن يظهر للناس ما يعلون ، وقد عودني الأستاذ الزيات ألا يحذف حرفاً واحداً من جميع ما أنشره لديه ، وإني لأرجوه متشديداً أن يتيج لمقال هذا مكانه من النشر ، ولن أكون فيه أديباً أحل وأعلل ، ولكنني تمسكاً بالحيدة التامة سأكون راوية فقط أذكر الحادثة والنص ، مستنداً إلى المصدر والتاريخ :

كان الأمير السابق محمد علي يرى نفسه

وفي نفس اللحظة تكلم دلسيس عن مشروع قناة السويس فوافقه سعيد ونسى وصايا أبيه .

ولم يكند الأمير يقرأ المقال حتى اتصل في ثورة هائجة برئيس الوزراء ، ليطلب معاقبة الرسالة ، وكان الرئيس السابق محمد محمود صاحب الأمر في البلاد ، وفضيلته الأولى ترفعه المتكبر على الأمراء والنبلاء ، فرد في حزم : إن الرسالة قد ترجمت مقالا قرأه جميع الناس في الشرق والغرب ، فإذا استطاع الأمير أن يمنع المقال في أوروبا فليمنعه في مصر ! وقد طوى محمد على نفسه على أسف وثورة لرد الرئيس وأخذ ينتهر الفرص والأسباب .

ثم جاء مقال (فلاحون وأمرأ) بالعدد (٣٠٩) ١٩٣٩/٦/٥ وقصته مشهورة ذائعة تناولتها الدكتوراة الفاضلة بالحديث ، وقد وقف فيها محمد محمود موقفا مشرفا إذ أمر باشتراك الوزارة في أعداد الرسالة ، وهاج القصر الملكي ومعه الأمراء والنبلاء ووصلت الضجة إلى صاحب الرسالة ، فأشار عليه بعض الأصدقاء أن يهادن القوم وقتاً ما ، ولكنه واجه الموقف في تحد سافر ، وواصل حملته في الثورة على الكبراء والدخلاء وظهرت أعداد الرسالة في سنة ١٩٣٩ تحمل طابع النقمة على الدخلاء والإقطاعيين ، ولك أن تقرأ افتتاحية العدد (٣١٠) لتجد الزيات

يعزوه لبق عليهم ، ويسلحوه ليدافع عنهم .

أقول : كانت هذه القذائف وأمثالها تنطلق من افتتاحيات الرسالة دون أن تجايل في سمع الأمير الكبير ، حتى جاءه النبأ ذات يوم أن الرسالة تطعن في سعيد ، صاحب مأساة القناة فتنتقل ملخصا لكتاب فرنسي يقول فيه مؤلفه (الرسالة ٢٣٥ - (١/٣) / ١٩٣٨) : « إن محمدا عليا لم يعجبه أن يرى ولده سعيدا ذا جسم ضخم كثير اللحم والشحم ، فحرم عليه ألوانا من الطعام وأمر ألا يقدم إليه شئ منها ، ثم عهد به إلى فردند دلسيس صديقه الحميم فعلمه ركوب الخيل وحبب إليه فنونا من الألعاب والرياضة البدنية . ولكن هذه الرياضة كانت تجهد الأمير الصغير وتورثه جوعا شديدا ، ولم تكن مقادير الطعام الذي تقدم إليه لترد مسغبة ، فكان يسرق من القصر ويهرول إلى منزل فردند فتقدم له أطباق المسكرونة فيقبل عليها إقبالا شديدا ، ومن هنا تضاعف هيام سعيد بفردند ، فلما ولى أمر مصر بعد عباس كان فردند قد ترك القطر وتقلب في مناصب سياسية هامة .

وما إن علم بتربع صديقه سعيد على أريكه مصر حتى أرسل إليه يهنئه ، فأرسل سعيد يستدعيه ، وكانت ذكريات أطباق المسكرونة أول حديث دار بينهما بعد هذا الفراق الطويل

الدخلاء دون أن يجدوا طريقاً لمحاربة الرسالة،
 فـ رئيس تحريرها من أعلام الفكر في لغة العرب،
 وكتابها صفوة الأدباء في الشرق، والمنصفون
 من رؤساء الوزارة يرعون لها مكانتها العالية
 بين المثقفين، ورسالتها الموجهة في دنيا الفكر
 والعزة والتحرر...! ولكن حدثاً رائعاً
 لم يستطع الأمير محمد علي صبرا عليه، فقد
 أخذت الرسالة لأول مرة في تاريخ الصحافة
 المصرية تنشر تاريخ الزعيم البطل أحمد عرابي
 على نحو يتجه إلى إدانة توفيق بالخيانة وتهمة
 القصر بالجريمة، وتوفيق والد محمد علي
 وأقرب الناس إليه. فكيف يسكت عن سبه
 واتهامه في صحيفة ذائعة نفوذ العقول، وتوجه
 مجرى التفكير!! وقد أخذت مقالات الأستاذ
 الجريء محمود الحفيف بالرسالة تنوال في قوة
 وإخلاص، وكل مقال يزبل اللثام عن جريمة
 أو يكشف القناع عن مأساة، وصورة عرابي
 البطل تزين كل عدد من الأعداد!! والأمير
 حائر مدهوش يتجه إلى القصر فيجده - لغزاع
 كان بين فؤاد ومحمد علي - لا يهتم بتوفيق اهتماماً
 حاسماً يوقف النشر، وإنما همه إذ ذاك
 أن يحفظ سير فؤاد وإسماعيل وإبراهيم
 ومحمد علي الكبير!! والمقالات الرنانة تدوى
 في مجلة شهيرة جمهرة حتى تصل إلى العشرين!!
 ويوحى تسلسلها المنتظم أن الأستاذ الحفيف
 ومن ورائه الزيات سيمدان جبل الحديث

يقول في ١٢/٦/١٩٣٩ عقب مقال (فلاحون
 وأمرأ) مباشرة دون إهمال :

« ليس لأغنيائنا وطن وإنما لهم قصور
 لإتلاف النعمة، ومزارع لعصر الفلاح،
 وبرك لصيد البط، وبيادين لسباق الخيل،
 وأندية لقتل الوقت، ومنازه لإظهار الآبهة
 وما عدا ذلك من أرض الوطن ومعنى الوطن
 فهم لا يعرفونه ولا يفقهونه، هل سمعت أن
 غنيا من الأغنياء، أو أميراً من الأمراء
 قال إن له وطناً فتبرع له بطائرة للجيش،
 أو بجائزة في المعارف، أو بملجأ في الأوقاف.

ثم يقول في افتتاحية العدد (٣١٢)
 ٢٦/٦/١٩٣٩ بعد أسبوعين فقط :

« إن حالنا أشبه بحال الأمير أو الغني الذي
 ارتقى الملك عفواً من غير حيلة، واستولى
 على ريعه صفواً من غير كلفة، فشعوره به
 شعور بأثره لا بعينه، وحرصه عليه حرص
 على ثمره لا على شجره... فأنا من حق أن أقول
 للأمير الذي يهلك ثروتنا وسمعتنا على الفتون
 والمجون، وللغني الذي يخدم نهضةنا بالكرازة
 واللؤم: إنكم علق تعيشون على دماء الناس،
 وأنكاد تلتذذون بكفران الثمم، ولصوص
 تعيث أيدىكم في مال الأمة، فحياتكم على الأرض
 غرور ولهو، ونسبتكم إلى الوطن زور
 وباطل..»

هذه صيحات مزعجة كانت تقض مضاجع

العدل في قضية عرابي ثلثي قرن حتى أبانه الكاتب الزيه محمود الخفيف فإذا عرابي زعيمنا الصادق وقائدنا الشجاع ، وموقفنا المبكر وأن هذا الكتاب أول كتاب في بابيه .

وقبل أن أترك هذه الحادثة أبجل إعجابي بالكاتب الزيه والمؤرخ الغيور أستاذنا محمود الخفيف فقد أصدر كتابه الأمين في وقت تكالب فيه المتملقون على تنزيه توفيق وتسفيه عرابي لجاء كتابه صبحاً وضبطاً يمحو الظلام .

على أن الأستاذ الزيات لم ينس ناره من محمد على فقد هاجمه مهاجمة عنيفة ، وكانت مأساة الكوليرا في سنة ١٩٤٧ سبيله إلى ذلك ، إذ فتك الوباء بالضعفاء من الفقراء فتكا ذريعاً ، وانتظر الناس من الإقطاعيين أن يمدوا يد العون للنسكوبين فما استشرع الرحمة أحد من هؤلاء !! وظهر الأمير السابق بحديث ثقيل كربه في جريدة الأهرام يعلن فيه تمسكه بأداب الدين ، وتعاليم الإسلام ، ويحمد الله على هدايته وتوفيقه فيما أحرز من نجاح ، وأصاب من اطمئنان !! وكان هذا الكلام نشازاً مزيجاً في هذه المحنة الشعبية الالهية ، فقرأه الزيات ونقده نقداً لاذعاً في افتتاحية العدد (٧٤٨) ١١/٣/١٩٤٧ ، وفيه يقول :

« يقول الأمير : إني أشهد الله على أن كل توفيق

حتى يكشف كل مستور فاضح من الخيانة والإجرام ، وكانت الحرب العالمية الثانية على الأبواب ، فاتجه الأمير إلى السفارة البريطانية ، يعلمها أن مقالات عرابي بالرسالة ستثير الشعور في الشرق العربي ضد الانجليز فهم أبطال الاحتلال وتوفيق صنيعتهم الأول ، واقتنع السير مايلز لامبسون (اللورد كليرن فيما بعد) فأمر الرقابة أن توقف النشر ، وصدر العدد (٣٢٨) من الرسالة ، وبه هذه الكلمات :

« اضطررنا لقطع سلسلة البحث في تاريخ عرابي نظراً للظروف الحاضرة ، وسنعود إلى وصلها في الوقت المناسب . »

ولم ير الأستاذ الخفيف بعد ذلك أن ينشر مقالات متتابعة عن عرابي فتعرض إلى ما تعرضت له المقالات الأولى من مصادرة ، ولكنه كتب مؤلفاً ضخماً عن الزعيم ثم نشرته مرة واحدة مطبوعة الرسالة ، واستقبله الزيات استقبالاً حافلاً فخصص له افتتاحية العدد (٧٣٤) ١٩٤٧/٧/٢٨ وفيها يقول :

« هذا الكتاب هو الحق الذي اختفى منذ خمسة وستين عاماً لم يظهر في خلالها على لسان ولا قلم حتى ظهر أخيراً على ضوء هذا اليراع النبيل رائع البيان ، ساطع الحجة ، والحق كالصبح لا بد أن ينبجج مهما يتناول الليل ويحلولك ظلامه ، لقد استعجمت مذاهب

ما يتفجر حتماً مشتعلة ١١ وقد أوصله أجراء الأمير إليه ، فقرأه في غضب ، واتصل بالنقراشي رئيس الوزراء ، فطمأنه في رفق مصطنع ، إذ أن هوى النقراشي رحمه الله كان مع الرسالة ، وقد عرض ذات مرة على الأستاذ الزيات أن يرأس تحرير جريدة الدستور اليومية بمرتب ضخم فاعتذر الأستاذ بأن سياسته قومية لا حزبية ، وأن الرسالة تشغله عن كل شيء .

والحق أن ظروف صاحب الرسالة وبيئته الريفية قد ألزمتها إلزاماً بمحاربة الإقطاع في مصر ، فقد شهد عن كثب مآسيه ، ورأت نفسه الشاعرة آلاف الضحايا من المعدمين ، وآحاد الجناة من الأمراء وذوى الألقاب ، ولأنه ليتحدث صريحاً عن بيئته الريفية فيقول في الرسالة (٢٨٩) ١٦ يناير سنة ١٩٣٩ :
 « أعرف في بعض مراكز الغربية عشرين بلدة يملكها من الشرق أمير ، ومن الغرب باشا ، فليس لأحد من الأهليين فيها شر أرض ولا جذع شجرة ، إنما هم أجراء أو مستأجرون سخرتهم الغفلة والاستكانة لرجلين كسائر الرجال ، ليس لبطنيهما سعة البحر ، ولا لعزميهما قوة الدر ، ولكن لهما عينين كعين الجحيم لا تمتلئ ، ونفسين كجوف الرمل لا يرتوى ، فهما يعصران من أجساد هذه الألوف المجاهدة ذهباً يكتنز ، وقصوراً تشاد

أصبعه ، وكل خير نلته منذ نشأني إلى اليوم كان مرجعه انتماري بأوامر الدين وانتهائي بنواحيه .

جميل ، من سمو الولي أن يعتقد الدين ويعمل به ويتعصب له ، في وقت نسي الناس فيه الله ، فعبد الأمراء الشهوة ، وأكث الأغنياء المال ، ولكن لماذا اقتصر أمير الأمراء من فضائل الإسلام على المحبة والسلام والصلاة والصيام ، وقد كنا نطمع في صدق إيمانه وسمو بيانه أن يذكر كذلك الزكاة والإحسان والبر والتعاون ليعلم أولئك الأمراء الذين أسلبوا ولم يؤمنوا أن الدين عمل ومعاملة ، وثقيف وتكليف ، وإيثار وتضحية ، نعم كنا نطمع في سمو الأمير أن يدعو إلى الجبهة العملية من الدين عسى أن يستجيب له أولئك الذوات المدلون المرفهون الذين مبزهم الوطن كرها على بنيهم . وآثرهم الشعب جهلاً على نفسه ، وحق الله ضئيل بجانب حق الشيطان الذي يولم الولاثم الفاجرة ، ويقيم السموات الداعرة ، ويجود على انجلترا الخثون من غير طلب ، وينفق على تركيا العقوق من غير حساب ، ولكن حق الله على ضآلته ثقیل لأنه ينفق على العامل والفلاح ، وحق الشيطان على ضخامته خفيف لأنه ينفق في الميسر والراح ، .

وهذا كلام ثائر ، فيه من الهجوم والذع

سواء حالك ، أنا فقير لأنى مصاب فى جيبى ،
وأنت فقير لأنك مصاب فى معدتك ، فأنا
أشتهى ولا أجد ، وأنت تجدد ولا تشهى
وحرمانى مؤقت ، وحرمانك مؤبد ، وجيبى
المفتوق يرتقه الرفاء بقرش . ومعدتك البالية
لا يجدها الطبيب بمليون ، ١١ .

وقد أخذت حملات الرسالة على الإقطاع
وأمرأه الأسرة تمتد شيئاً فشيئاً حتى تحولت
فى سنتها الأخيرتين إلى مظاهرة رنانة ! ولن
أتحدث عن تنديد الرسالة بالأميرة فنجية
فقد تعرضت لها الدكتورة نهات بالتفصيل ،
ولكنى أعلن أن الرسالة قد تنبأت بالثورة
المباركة حين كتب الأستاذ الزيات مقالة
هى يارياح الخريف بالرسالة (٩٥٤)
١٥ / ١٠ / ١٩٥١ وقد هاجم فيها أساليب
الحكم والسياسة ، ثم قال عن أسرة
محمد على :

« هى يارياح الخريف هى ، هى واقلى
ذلك النبات الدنى الذى يتطفل على أشجار
الوادى فيتغذى على أصولها ويتسلق على
فروعها ، حتى إذا أدرك الهواء والضياء
والرفعة التف بعسا ليجه وكلاليه على أعاليها
التفاف الأفعوان ، فيكظم أنفاسها فلا
تنسم ، ويشل حركتها فلا تمس ، ثم يقول
مشيراً بأطرافه الرخوة إلى كل عابر ! ألسنت
أنا الأمير وهذا الشجر هو الفلاح ، وإذا

وسلطانا يرهب ، وقطعانا تسعى ومراكب
تطير ، ولذائد تنال ، وهما لا يتركان لفلاحيهما
المساكين ما يمسك الروح ويستر البدن ،
يأخذون الدور التى يأوون إليها ، والبهايم
التي يزرعون عليها ، فإذا فزعوا إلى فضل
الأمير أو الباشا زم بأفقه واستكبر أن يفتح
عينيه على هذا الهوان والقدر ، ولعله ساعثئذ
كان يسمح خرطوم كلبه أو يرجل عرف
جواده . »

هذه الدراية التامة بمأساة الأجراء من
الفعلة ، والضحايا من العملة جعلته يعرض
قضاياهم الأليمة وصورهم الدامية عرضاً
يستنزف الدموع ! فهو يختلط بهم فى قريته ،
ويؤاكلهم فى بيته ثم يروى عن أحدهم فيقول
بالرسالة (٤٤٨ - ٢ فبراير سنة ١٩٤٢) :
« كان لى عند الباشا ثمن أربعين مقطفاً
ضفرتها من الخوص لدائرتة ، فلما جشته
أقتضيه الثمن أنكره وأكبره ، وتهجم على
بالكلام العنيف ، وقال محتجاً بسبابه
واغتصابه : إن ضفتر الخوص عمل العاجز ،
وإن رجلاً فى مثل صحتك وقوتك لا يجدر به
غير الفاس والسكرىك ، فقلت له فى هدوء :
يا باشا إن نصيحتك إياى على نفاسها
وقد استها لا تبرر أكلك حقى ، ومن اليسير
على أن أنزل لك عن هذه القروش ثم لا أنقص
شيئاً ، ولكنك قد تزيد شيئاً وكلنا زاد مالك

أخشب الطعام ولا يفتدى ، ويلبس أحسن الثياب ولا يستتر ، ويعمل أشق الأعمال ولا يكافأ ، وينتج أعظم الإنتاج ولا يشارك ، . وبعد : فهذه حقائق ونصوص مؤيدة بالمرجع والتاريخ ، وإن أقدمها صحيفة لامعة في سجل الرأي الحر ، والأدب الحى ، والصحافة الهادفة ، وإذا كانت مقالات فولتير وروسو قد بشرت بثورة فرنسا فلم لا تكون مقالات الرسالة قد بشرت بثورة ٢٣ يوليو ، فجاءت ثمرة مشتهة من شجرة مباركة ! بل إن أحد زعماء الثورة العراقية قد اعترف صراحة على صفحات أخبار اليوم بفضل الرسالة عليه مما يثبت أن أثر الرسالة عام في كل مكان يقرأ العربية ويعتز بالقرآن .

محمد رجب البيومي

لم يسخر لى الله الشجر فكيف أنمو ؟ وإذا لم يسخر الفلاح للأمير فكيف يسمو ؟ . . . وفي مقالة أخرى بالرسالة تحت عنوان (ثوروا على الفقر قبل أن يثور) (١٩٥١/١/١٥) استعراض لحفلات عيد ميلاد رأس السنة تلك التي يقيمها الأمراء والباشوات في صرف فاحش من مآدب ومراقص فاضت بالنعيم وتلايلات الجواهر ، والتحمت بالرقص ، وطفحت بالخير ، وضجت بالجاز ، والتهبت بالقبل وعرضت على الأنظار الطامحة ألوفاً مؤلفة من الجنهات المصرية ، تمثلت في الأجساد المترفة للبطة حللا وفراء وعقودا ومشابك وخواتم ، مع مقارنة مبكية بالفلاح الذي يكابد كرب العيش ، وغصص الفاقة ، ومض الأمراض ، وعنت الملاك ، فياً كل

(بقية المنشور على ص ١١٢٤)

وبعض آخر من رجال الدين ينظر إلى جانب معين في القضية ، فيرى ملابسة الرجل وشهوده لأمر من المنكر وإعائه عليه ، وقد يقول إن الغناء والموسيقى حرام ، ويكفيه ذلك قولاً في القضية .

محمد الشرفاوى

سكرتير التحرير

القرآن . ويحمد صاحب هذه النظرة المحيطة في بعض ما فعل النبي عليه السلام معتمداً له وسنداً ، ويستأنس به (١) .

(١) انظر مثلاً حديث : « إيمان ثقيف » وقدم وفدهم على النبي عليه السلام معتمداً له من مسند الإمام أحمد ، ص : ٢١٨ .

وانظر قصة : « فق من الأنصار كان يصلى مع النبي عليه الصلاة والسلام ولا يدع شيئاً من الفوااحش إلا ركبه » . . . الخ في ص : ٣٩٨ من تفسير السكشاف ، الجزء ٢ من طبعة للطبعة الأميرية .

الحسن البصري الزاهد العابد

للككتور جمال الدين الرمادي

وعديم النوم والوسن ، نموذجاً حياً للفقير الزاهد ، في متاع الدنيا وزينتها ، وزخرف الحياة وبهجتها ، وشهوة النفس ورغبتها .

ولقد تشكل الزهد في الإسلام بطابعين طابع الخوف وطابع الحب ؛ ومثال الأول الحسن البصري الذي نتحدث عنه اليوم - ومثال الثاني رابعة العدوية التي أخرجته من الخوف من عذاب النار ، والشوق إلى ثواب الجنة إلى حب الله وطاعته والآنس به ، والإقبال عليه ، والشوق إليه . فقالت في إحدى مناجياتها : إلهي إذا كنت أعبدك رهبة من النار ، فأحرقني بنار جهنم ، وإذا كنت أعبدك رغبة في الجنة فأحرم منها ، أما إذا كنت أعبدك من أجل محبتك فلا تحرمني يا إلهي من جمالك الأزل .

أما الحسن البصري فكان من طابع الزهد الأول ، وقوامه الخوف من العذاب ، والامل في الثواب ، وليس أدل على إمعانه في الخوف ، وخشيته ورهبة من أن الشعراfi صاحب الطبقات الكبرى قال عنه : كان قد غلب عليه الخوف حتى كأن النار لم تخاف إلا له ، وساقه هذا الخوف إلى حزن عميق يكتشفه

حينما عرف الغزالي التصوف في إحياء علوم الدين قال : إن التصوف أمر باطن لا يستطلع عليه ، ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته ، بل بأمور ظاهرة يعول عليها أهل العراق في إطلاق اسم الصوفي ، والتفضيل أن يلاحظ في الصوفي خمس صفات : الصلاح والفقر وزى الصوفية ، وألا يكون مشغلاً بجمرة ، وأن يكون مخالطاً لهم بطريق المساكنة . وقد وافق كثير من علماء المتصوفة الغزالي على تعريفه ، بل لقد اشترط بعضهم اشتراطات أخرى شديدة على المتصوفة ولا محل لذكرها الآن .

ولكن المهم أن هنالك فئة من الزهاد والعباد سبقوا حركة التصوف ونهجوا في حياتهم نهجاً أشبه بنهج المتصوفة ، ومهد زهدهم وعبادتهم إلى خروج التصوف إلى معناه المعروف في تاريخ الأديان ، ومن هؤلاء الزهاد والعباد الحسن البصري المسلم الزاهد في القرن الأول الهجري وشر من القرن الثاني لا يتعدى عشر سنوات . فقد كان الحسن للبصري أو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن ، حليف الخوف والحزن وأليف الهم والشجن ،

وكان الحسن البصرى يتوق إلى الجنة ،
ويهبو قلبه إلى نعيمها العظيم وخيرها السابغ
وفضلها العميم ، وكانت عيناه تدمعان حينما
يتلو القرآن الكريم ويتذكر قوله تعالى :
« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم
بأن لهم الجنة ، أو قوله « ونودوا أن تتركهم
الجنة أورتهموها بما كنتم تعملون ،
أو غير ذلك من الآيات البينات التى تشوق
المؤمنين فى جنة عرضها السموات والأرض
أعدت للمتقين .

غير أن الحسن البصرى كان يرى أن الجنة
لا يمكن أن تهدي إلى الناس إهداء أو تسدى
إليهم إسداء ، أنه لا بد من سعى فى سبيلها ،
ولا بد من جهاد من أجلها . ولا بد من سلوك
طريق يؤدى إليها ، وهذا للطريق قوامه
العمل الخالص . وفى هذا يصرح الحسن
البصرى لابن آدم قائلا : (يا بن آدم . عملك :
عملك فإنما هو لحك ودمك . فانظر إلى أى
حال تأتى عملك ، لأن لأهل التقوى علامات
يعرفون بها : صدق الحديث . والوفاء بالعهد ،
وصلة الرحم ، وحسن الخلق ، مما يقربك
إلى الله عز وجل ...) .

وكان الحسن البصرى يرى أن كل نعيم
دون الجنة حقير . وكل بلاء دون النار يسير ،
وكان ينظر إلى الموت نظرة حسيقة ، ورأى
رجلا يأكل بين المقابر فزجره ، ووبخه

اكتنافاً ويطويه طيا من كثرة التفكير والتأمل
والتقدير . فقال : (إن المؤمن يصبح حزينا ،
ويعمى حزينا ، ولا يسمعه إلا ذلك . لأنه
بين مخافتين . بين ذنب قد مضى لا يدري ما الله
يصنع فيه ، وبين أجل قد بقى لا يدري ما يصيبه
من المهالك) .

كما قال : (الرجاء والخوف مطية المؤمن) ،
وقال كذلك : (إن المؤمن يصبح حزينا ،
ويعمى حزينا ، ويتقلب باليقين فى الحزن ،
ويكفيه ما يكفى العنزة : الكف من التمر ،
والشربة من الماء) .

وهكذا كان الحسن البصرى تظله دائما
سحابة من الحزن ، وغيمة من الشجن ، ويدفعه
وازع من الخوف ، وأمل من الرجاء ،
غير أنه كان يضرر للحياة القلبي والكراهية ،
ويعلم لها المقت والنفور ، وينصح الناس
بالتجرد منها . والزهد فيها . والانصراف
عن ملذاتها وشهواتها التى تجعل من الناس
بهيمة تسعى وتدب على الأرض ، فقال :
(يا بن آدم أنت اليوم فى دارهى لا قطنك ...
ثم تفضى بأهلها إلى أشد الأمور وأعظمها
خطرا ، فاتق الله يا بن آدم ، وليكن سميك
فى دنياك لآخرتك ، فإنه ليس لك من دنياك
شئ . إلا ما صدرت أمامك ، ولا تدخرن
عن نفسك مالكا ، ولا تقبض نفسك ما قد
علمت أنك تاركة خلفك) .

واشتعلت القلوب المؤمنة تعلقاً به وحرصاً عليه . وقد ظل الحسن البصرى ينشر مذهبه بين أتباعه ومريديه حتى شاعت طريقته ، كما شاع أسلوب رابعة العدوية في زهدنا ، وأخذ أتباع هذين المذهبين من الزهد ينتشرون هنا وهناك ، في أرجاء البلاد الإسلامية . طيلة القرنين الأول والثاني الهجري . حتى اجتمع شملهم والتأم شتاتهم في هيئة منظمة أو شبه منظمة تعرف بالصوفية . ولم تلبث أن ظهرت طرائق متعددة للتصوفة وأسابيل مختلفة ولكنها جمعت بين صفوفهم .

وهنا يحق لنا أن نقول : إن الحسن البصرى لم يكن متصوفاً بالمعنى المعروف ، إنما كان زاهداً عابداً ، والزهد غير الفقر والتصوف ، ويقول السهروردي في كتابه « عوارف المعارف » : إن التصوف اسم جامع لمعانى الفقر والزهد ، ولكن بزيادة أوصاف وإضافات بدونها لا يكون الصوفي صوفياً ، ولو كان زاهداً فقيراً ، فالتصوف أعلى من الفقر والزهد ، وإن كان منظوياً عليهما ، ومستقنذاً إليهما ؛ لأنهما يمهدان إلى النفحات الروحية ، والإشراقات الإلهية ، والتصوف علم لبواطن القلوب . وقد تعددت أقوال الصوفية وتباينت تعريفاتهم في مفهوم معنى التصوف وتفرقوا في ذلك شيعاً وأحزاباً في القرون المختلفة .

وقال : (أما في حال هؤلاء الأموات ما يكفيك عن تذكر الأكل) ومر عليه شاب وعليه بردة ، فدعاه فقال : (إيه يا بن آدم معجب بشبابه - معجب بجماله - معجب بثيابه ، كأن القبر قد وارى بدنك ، وكأن قد لاقيت عملك ، فدور قلبك ، فإن حاجة الله إلى عباده صلاح قلوبهم) .

وقد دفع الزهد الحسن البصرى إلى الانصراف عن مظاهر الحياة المادية ، وما يقبها من مال وعرض ، وضياح وجاه وتقوذ ، فقال : (بتس الرفيقان الدرهم والدينار) .

وقد بنى أحدهم بماله داراً ضخمة ضخمة ، ودعا الحسن إلى دخولها فدخل فنظرها ثم قال : (أخربت دارك . وعمرت دار غيرك . لا عرك من في الأرض ، ومقتك من في السماء . طأ الأرض بقدمك ، فإنها عن قليل قبرك ، إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك) .

وهكذا أسس الحسن البصرى مذهبه القائم على الزهد الخاضع لسلطان الحزن ، والبكاء ، والخوف من النار ، والحنين إلى الجنة ، والشوق إلى نعيمها المقيم ، ووصفها الجليل الذي مالا رأته عين ، ولا سمعته أذن ، ولا مر على لسان ، وجاء ذكره في القرآن الكريم ، فتأقت النفوس الطيبة إليه ،

لله شهداء بالقسط ، وهذه القوامه لله على النفس هي التحقق بالتصوف ، .

ومن يتأمل فى هذه الأقوال يلاحظ أنها لا تختلف كثيراً عن أقوال الحسن البصرى فى الحياة والزهد ، وتطهير النفس ، وإبثار الفقر ، والتقرب إلى الله عز وجل ؛ بيد أن الحسن كان يطوى هذا كله بغلالة من الخوف والرهبة والآسى والحزن ، وهذا ما كان يميز زهده وتعبده .

وقال الغزالي : (كان الحسن أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء ، وأقربهم هدياً من الصحابة ، اتفق العلماء فى حقه على ذلك) . وقال ابن عربى : (الحسن عندنا من أئمة أهل طريق الله جل جلاله ، ومن أهل الأسرار والإشارات) وقال الحافظ : (كان يستثنى من كل غاية ، فيقال : فلان أزهد الناس إلا الحسن وأفقه الناس إلا الحسن ، وأفصحهم إلا الحسن) .

ونظر إليه راهبان فقال أحدهما لصاحبه : (مل بنا إلى هذا الذى سمته سمة المسيح ، فعدلاً إليه ، فألفياه مفترشاً لذنه راكعاً وهو يقول : (يا عجباً لقوم أمروا بالزاد ، وأذنوا للرحيل ، ما الذى ينتظرون . .) ؟

دكتور . جمال الدين الرمادى

لم يكن الحسن البصرى إذن متصوفاً إنما مهد لظهور التصوف بما سلكه من سلوك الزاهد المتبتل وبما تفوه به من حكم كالدر المنثور ، والزهر المنضود ، حتى قال الجنيد المتصوف فى تعريف التصوف : هو أن يملك الحق عنك ويحملك به وتكون مع الله بلا علاقة ، كما قال آخر : (التصوف هو الدخول فى كل خلق سقى ، والخروج من كل خلق ذى) . وقال آخر : (هو استرسال النفس مع الله على ما يريد) وقال سهل الصوفى : (من صفا من الكدر ، وامتلأ من الفكر ، وانقطع إلى الله دون البشر : استوى عنده المال والمدر) . وقال آخر : (الصوفى كالأرض يطرح عليه كل قبيح ، ولا يخرج منه إلا كل مليح) . وقال السهروردى : (الصوفى هو الذى يكون دائماً التصفية لا يزال يصفى الأوقات عن شوائب الأكدار بتصفية القلب عن شوب النفس ، ويعينه على هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه ، فبدوام الاقتدار ينقى من الكدر ، وكلما تحركت النفس ، وظهرت بصفة من صفاتها أدركها ببصيرته النافذة وفر منها إلى ربه ، فبدوام تصفيته جمعيته ، وبحركة نفسه تفرقه وكدره ، فهو قائم بربه على قلبه ، وقائم بقلبه على نفسه . قال الله تعالى : «كونوا قوامين

زواج المسلم بغير المسلمة

للأستاذ أحمد الشرباصي

لنستكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون .

ولأن الزواج في الأصل هو د صحة العمر ، حاطه الإسلام بحواظ وسواند كثيرة تبعده عن الإكراه والجهالة ، وعدم الكفاءة والتناسب ؛ ولا يستقيم أمر الزواج إلا إذا توافر للزوجين التقارب في المعتقدات والآراء والأفكار ؛ ولذلك كان الأصل والعادة أن يختار الزوج زوجته من بيئته وعقيدته وطريقته ومستواه المادي والأدبي في الحياة ، وكان الأولى بالمسلم أن يتزوج مسلمة مثله لانفاقهما في الدين الذي يؤدي إلى اتفاق المشاعر والعواطف والأفكار ، ولئلا يكون للزوج بغير المسلمة فاتحة إلى تأثر الزوج بدينها إن استسلم لها ، أو لإساءته إليها إن وقف منها موقف الإباء والتشدد ، ولئلا يساء استغلال الزواج إذا كانت الزوجة من غير دولة الزوج ، ولعل هذا هو ما دفع الدول إلى تحريم الزواج من أجنبيات على الذين يقومون بواجبات سياسية لبلادهم كالسفراء والقناصل وغيرهم .

الزواج بغير المسلمة موضوع ثار ويشور من حين إلى حين ، تارة في الصحف والمجلات ، وتارة في النوادي والمجتمعات ، ومن الخير أن يقال فيه كلمة الإسلام واضحة مؤيدة بالدليل والبرهان ، ليستبين للناس وجه الحق فيه ، ود لملك من هلك عن بينة ، ويحيا من حى عن بينة . وإن الله لسميع عليم .

لقد برأ الخالق العظيم هذا الكون ، وأوجد هذه الحياة ، وكان لا بد من وسيلة مجدية وعالية لتعمير الكون وإبقاء الحياة واتصال هذا الجنس البشرى الذي يعد سيد المخلوقات فوق هذه الأرض ؛ وقد شرع الله الزواج لتحقيق هذا الهدف ، وجعله عقدا تباركه يد الله وتلحظه عنايته وتحوطه رعايته ، فهو شركة بين اثنين يوثق رباطها اسم الله ، وهو مشاركة في المراء والضراء ، وتعاون في أمور الحياة ، وأنس ومودة ، وعشرة ومحبة ، وصحة تمتد على الأيام حتى يكون الشأن فيها أن تكون صحة العمر بطوله : ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا

ذلك بقول الله تعالى: « ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليك من خير من ربكم، وقوله أيضا: « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، لأن عطف المشركين، على « أهل الكتاب، يدل على أن أهل الكتاب غير المشركين^(١)، لأن العطف يقتضى المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه.

وقد أجمع الأئمة على أنه لا يجوز للسلم أن يتزوج مشركة أو من لا تدين بدين، فلا يحل له أن يتزوج عابدة صنم أو وثن أو شمس أو كوكب أو حيوان أو إنسان، ولا يحل له أن يتزوج الملحدة التي لا تعترف بوجود الله ولا بوجود الدين الإلهي، أو الدين السماوي — بتعبير الفقهاء — والمراد بالدين السماوي هنا الدين الإلهي الذي له كتاب عند الله في عهد هذا الدين، وله رسول جاء ذكره في القرآن الكريم بالتفصيل أو الإجمال. والنهي عن زواج المشركات — ويقاس عليهن الملحدات — جاء صريحا في القرآن الكريم، حيث يقول الله تعالى: « ولا تتكحوا المشركات حتى يؤمن، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتمكم.

قال الفقهاء: فلا يجوز حينئذ أن يتزوج المسلم وثنية أو برهمية أو بوذية أو نحوها، إذ ليس لهؤلاء كتاب إلهي منزل من عند الله، وليس لهم نبي مرسل من قبل الله تعالى

كما أن فتح الباب على مصراعيه أمام تزوج المسلم بغير المسلمة قد يؤدي إلى تزايد عدد الفتيات المسلمات اللواتي لا يجدن أزواجا لهن؛ كذلك من خطر الزوج بغير المسلمة أن الزوج لا يطمئن على مصير الأولاد، لأن الولد مولع بتقليد أمه قبل تقليد أبيه، وقد يؤدي هذا إلى تأثر الولد بدين أمه، فينشأ غير قويم الإسلام، مع أنه يتبع أباه من ناحية الدين؛ لأن الولد يتبع خير الأبوين ديناً.

ونحن نستعرض تاريخ الصدر الأول من المسلمين فنجد الأغلبية الساحقة منهم يتزوجون مسلمات، ولا نجدهم يتزوجون غير مسلمات إلا في حالات فردية نادرة، وذلك لأنهم يعتبرون الإسلام هو الطابع الأساسي الذي يطبعهم بالصيغة العامة لهم: « صيغة الله ومن أحسن من الله صيغة ونحن له عابدون.

ولكن من حقنا أن نتساءل: ألا يجوز للسلم أن يتزوج غير مسلمة. وهذا التساؤل يؤدي بنا إلى تساؤل آخر: ومن هي غير المسلمة؟ إن غير المسلمة نوعان، لأنها إما أن تكون كتابية، أي من أهل دين سماوي له كتاب من الله، وله نبي يبلغه، ولما أن تكون مشركة بالله، أو لا تدين بدين.

ويقول بعض العلماء: إن ظاهر لفظ الشرك، لا يقتناول أهل الكتاب، ويستدلون على

(١) انظر تفسير القرطبي، ج ٣ ص ٦٨.

ظاهرها خاص باطنها ، لم يفسخ منها شيء ، وأن نساء أهل الكتاب غير داخلات فيها ، (١) .
والشيعة ترى غير هذا الرأي ، يقول الطبرسي المفسر الشيعي في تفسيره للآية : « وهي عامة عندنا في تحريم مناكة جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم وليست بمفسوخة ولا مخصوصة » ، (٢) .

وكذلك استدل الفقهاء على تحريم تزوج المسلم بالمشركة بقوله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » ، والعصم جمع عصمة ويراد بها العقد ، والكوافر جمع كافرة ، أى لا تمسكوا أيها المؤمنون بحبل النساء الكوافر وأسبابهن ، وهذا أمر من الله تعالى بتطبيق المسلمين لنسائهم الكافرات حينئذ ، وفيه أيضا نهى من الله للؤمنين عن الإقدام على نكاح النساء المشركات ، ولقد كان لعمر زوجتان مشركتان فطلقهما عقب نزول الآية وطلق طلحة بن عبيد الله زوجة له مشركة ، كما طلق المؤمنون حين نزولها كل امرأة كافرة كانت تحت رجل منهم . وقال ابن زيد : إذا كفرت المرأة فلا تمسكوها خلوها ، وقعت الفرقة بينها وبين زوجها حين كفرت ، .

والحكمة في تحريم زواج المشركة ومن لا دين لها قد أشارت إليها آية البقرة الناهية عن زواج

ويقول ابن جرير الطبري عند تفسير الآية السابقة : « اختلف أهل التأويل في هذه الآية ، هل نزلت مراداً بها كل مشركة ، أم مراداً بحكمها بعض المشركات دون بعض ؟ وهل نسخ منها بعد وجوب الحكم بها شيء أم لا ؟ فقال بعضهم : نزلت مراداً بها تحريم نكاح كل مشركة على كل مسلم ، من أى أجناس الشرك كانت عابدة وثن ، أو كانت يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو غيرهم من أصناف الشرك ، ثم نسخ تحريم نكاح أهل الكتاب ، وذكر الطبري الروايات في ذلك ثم قال : « وقال آخرون : بل أنزلت هذه الآية مراداً بحكمها مشركات العرب ، لم ينسخ منها شيء ولم يستثن ، وإنما هي آية عام ظاهرها خاص تأويلها » .

ويقصد بخصوص تأويلها أن المراد بها اللاتي أشركن ولا كتاب لهن يقرأنه ، وساق الروايات في ذلك ثم قال : « وقال آخرون : بل أنزلت هذه الآية مراداً بها كل مشركة من أى أصناف الشرك كانت ، غير مخصوص منها مشركة دون مشركة ، وثنية كانت أو مجوسية أو كتابية . ولا نسخ منها شيء ، وساق الروايات في ذلك ثم قال : « وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله قتادة من أن الله تعالى ذكره ، عني بقوله : « ولا تمسكوا المشركات حتى يؤمن » ، من لم يكن من أهل الكتاب من المشركات ، وأن الآية عام

(١) تفسير ابن جرير ، طبعة الحلبي ، ج ٢

ص ٣٧٦ و ٣٧٧ .

(٢) تفسير الطبرسي طبعة صيدا ج ١ ص ٣١٨ .

فبشوه مظهر الإسلام من جهة ، ولا تستقر بينهما الحياة الزوجية من جهة أخرى .
ولاشك أن التنافر بين الإشراف والإسلام شديد واضح واسع ، فالمسلم المؤمن في نهاية الخط من جهة اليمين : يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويعبد الله الواحد الأحد الذي ليس كمثل شئ وهو السميع البصير ، والمشرِك أو الملحد في نهاية الخط من جهة اليسار . ينحط عنده إلى أسفل سافلين . فلا إيمان ولا اعتقاد ولا عبادة ، فكيف يلتقي مسلم ومشرِك أو ملحدة تحت سقف بيت واحد ، ليظلا في شركة الزواج التي تمتد في الأصل والغالب طول الحياة ، حتى إنها تسمى « صحبة العمر » ؟ .

إن أساس الاستقرار في الحياة الزوجية هو التفاهم والتلاق في الآراء والأفكار ، ولا شك أن اتحاد العقيدة هو الباب الطبيعي الواسع للاتحاد في المشارب والطباع والتفكير . ولنتصور مثلاً زوجين أحدهما مسلم يرى من واجبه أحياناً أن يتقرب إلى ربه بأن يذبح بقرة ليأكل منها ويضحى ، أو يتصدق ويقبى بنذره لله ، ومعه زوجة له ضلت في تفكيرها واعتقادها ، فهي تعبد هذه البقرة ، ولا تمسها بسوء ، ولا تصدها عن تصرف ولو كان مسيئاً ، لأنها تعتقد أن هذه البقرة مقدسة لا تمس ، فكيف يتفق هذان الزوجان في الحياة أو يستقر لهما بيت الزوجية ؟ .

المشركات حيث قال الله فيها : « أولئك يدعون إلى النار ، لأن المرأة المشركة أو التي لا تدين بدين إلهي تخلب لب زوجها ، وتجره إلى شركها أو إلحادها ، وتفتنه عن دينه ، وقد تنذرع إلى ذلك بجهاها ورقتها وتديرها . فينسى الزوج تماسكه الديني ، ويتساهل في أمور عقيدته وعبادته ، فإذا هو يستحسن ما تستحسن زوجته ، ويستقبح ما تستقبح ، فيقوده ذلك إلى الإعجاب بوثنيتهما وشركها وإلحادها ، ويترك دينه وراه ظهرياً ، فيفضي به ذلك إلى عقاب الله وعذابه بالنار : « أولئك يدعون إلى النار » .

جاء في تفسير المنار : « أشار بأولئك إلى المذكورين من المشركين والمشركات ، أى من شأنهم الدعوة إلى أسباب دخول النار بأقوالهم وأفعالهم ، وصلة الزواج أقوى مساعد على تأثير الدعوة ؛ لأن من شأنها أن يتساعح معها في شئون كثيرة ، وكل تساهل ونساعح مع المشرك أو المشركة محذور محذور الشر ، بما يخشى منه أن يسرى شئ من عقائد الشرك للؤمن أو المؤمنة بضروب الشبه والتضليل التي جرى عليها المشركون ، (١) » .

ولوفرنا أن الزوج كان من الصنف الشديد في دينه المعتصم بيقينه ، لكان هناك احتمال قوى أن يؤدي به هذا التماسك إلى الصرامة مع زوجته لو ثنيتهما وإشراكها فيسيء معاملتها ،

(١) تفسير المنار ، طبعة المنار ، ج ٢ ص ٣٥٣ .

المشركة التي لا تقرب إليه ولا بكتاب سماوى .
والكتابية التي تقر بالألودية وتعترف
بمبدأ رسالات الله إلى خلقه ، وتؤمن بيوم
البعث والجزاء . والإسلام يرى بالنسبة
للمشركة أن زواجها باطل ، ولا يحل لمسلم
أن يبنى معها حياة زوجية ، وقد جاء ذلك
المنع في صريح القرآن الذى لا يحتمل أفهاما
ولا آراء ، ومن هنا كان محل إجماع أيضاً
بين علماء الإسلام ولم يعرف لأحد منهم
رأى يحله ، وذلك قوله تعالى : « ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن ، ولامة مؤمنة خير من مشركة
ولو أعجبتكم » (١) .

وقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
قد فرق بين حذيفة ابن اليمان وزوجه له كانت
غير مسلمة ، ولعل هذه الرواية تتعلق بزواج
حذيفة من مجوسية ، فقد جاء ذلك في بعض
الروايات ، وهناك رواية أخرى أكثر
وأشهر تقول إن التي تزوجها حذيفة كانت
كتابية (٢) ، وقد تعرض لهذه الرواية عند
مناسبتها فيما بعد

هذا حكم تزوج المسلم بغير المسلمة إذا كانت
مشركة أو ملحدة لا تدين بدين ، وأما حكم
تزوجه بغير المسلمة إذا كانت كتابية فله
حديث آخر ...

أحمد الترمذى

(١) كتاب الفتاوى ، مطبعة الأزهر ص ٢٥١ .

(٢) انظر تفهيم ابن كثير ، طبعة الحلبي ،

ج ١ ص ٢٥٧ .

ويقول الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت :
« إن أفضل أنواع الزواج ما تلاقت عليه
الرغبات ، وخلصت له القلوب ، وتناجحت به
الأرواح ، ومن ضرورة ذلك أن تتفق العقيدة
وتتناسب الأخلاق وتحدد الأهداف ، وفي ظل
ذلك التناسب يبسط الزواج على الحياة الزوجية
نسيج السكن والمودة والرحمة ، فتطيب الحياة
وتسعد الأبناء والأسرة ، ولا يتحقق ذلك
على الوجه الأكمل في نظر الإسلام إلا إذا اتفق
الزوجان في الدين والعقيدة ، وكأنا مسلمين
يأتجران بأمر الإسلام وينتهيان بنهيهِ ، ويشد
الإسلام مابين قلوبهما من رباط .

أما إذا كان الزوج غير مسلم والزوجة
مسلمة ، أو كانت الزوجة غير مسلمة والزوج
مسلياً ، فإن الحكم في الإسلام له وجه آخر ،
فهو بالنسبة للغرض الأول - وهو أن يكون
الزوج غير مسلم والزوجة مسلمة - الحرمة
القطعية والمنع البات ، وهو من الأحكام
التي أجمعت عليها الأمة من عهد الرسول
إلى يومنا هذا ، وصار منعه في الإسلام
من الأحكام التي يقول عنها الفقهاء : إن العلم
بها ضرورى ، يحكم على من أباحه بالخروج
من الدين ، وليس هذا موضوع حديث اليوم ،
ولا نما يتعلق لنا غرض الآن ببحثه ، وإنما
غرضنا الكلام على الغرض الثانى وهو تزوج
المسلم بغير المسلمة . وليبان الحكم في هذا الغرض
يجب أن نفرق أولاً في غير المسلمة بين

الإسلام دين العلم والتطور

للأستاذ عباس طه

حالتها الراهنة فحسب بل تهى لها وسائل التقدم وتعد لها طرقه وتمدها فيه بقوة معنوية فوق قواها .

إن الإسلام قد فرض التطور على أهله فرضاً ودفعهم إليه دفعا ، وإلا فكيف نفسير انتقال المسلمين بعد أخذهم هذا الدين من عداد الأمم الجاهلية المسودة إلى مصاف الأمم العالمة السائدة ، أستغفر الله بل إلى صف فوق الصفوف صارت فيه وحدها حافظة للعلم والحضارة والفنون دون سائر الأمم ؟ وقد اعترفت الأمم كافة لها بالزراعة قرونا طويلة كانت فيه تقوم عواصمها وتأخذ عنها العلم والحكمة ، وأسرار الصنائع والفنون ، أليس هذا لأن الإسلام يفرض على متبعيه التطور فضا .

إن قول الله تعالى : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » وقوله : « وقل رب زدني علما » وقوله : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقول النبي صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم) : وقوله (خذ الحكمة ولو من مشرك) وقوله (الحكمة ضالة المؤمن يمشدها أنى يجدها) ، كل هذه الآيات والأحاديث فرضت على المسلمين العلم ودفعت بهم إلى باحاته دفعا ، والعلم يؤدي إلى مدارج الترقى لا محالة بل هو طريقه الوحيد في كل أدوار البشر .

إن تطور الجماعات في الناحيتين الأدبية والاجتماعية من الأمور التي يجب أن يعنى بها القانونيون لأنها من أمس الأمور بحياة الأمم . وما أوتيت الأديان من مأمنها ودب إليها الوهن إلا من ناحية إغفال قادتها هذه الناحية في تعاملهم ، ناحية التطور في كل مجال من مجالات النشاط العلمي والعمل .

والذي حدا بأولئك القادة إلى سد طريق التطور في وجوه أتباعهم أنهم تخيلوا أن التطور يخرجهم عن الأصول القديمة ويفضي إلى ضياع ما اتسموا على حفظه سليما من كل تحول ، وغفلوا عن أن التطور الصحيح إذا عدا على شيء فإنما يعدد على الباطل ، أما الحق فيزيده جلاء ولا لاء . فإذا كان الذي يتمسكون به حقا فلا خوف عليه من أى تطور . وإن كان باطلا فعبيثا يحافظون عليه ؛ فإنهم إن استطاعوا دفع الغير والأحداث عنه جيلا أو جيلين اضطروا في النهاية للقهرى إزاء القوى الغالبة .

أما شريعة الإسلام من هذه الناحية فلا أقول إنها احتاطت لها فحسب ، ولكننى أقول إنها قد فرضت التطور على أهلها فرضاً ودفعتهم إليه دفعا لأنها شريعة عهد الرشد للأمم ، وقد علم الله أن الأمم في هذا العهد تطفر في الترقى طفرا وتقطع المراحل إليه قفزا ، فهي بحاجة إلى شريعة لا تناسب

الاستكشافية إلى شواطئ أمريكا وأن كريستوف كولومبس الذي اعتبر مكتشفها قد عثر هنالك على أشياء مادية تدل على وصول العرب إليها قبله .

وقد شهد كبار المؤرخين الاجتماعيين أن العرب وصلوا في بعض الفنون والصنائع إلى شأ ولم يبلغه الأوروبيون بعد ، قال العلامة الفرنسي جوستاف لبيون في كتابه (تمدن العرب) « العرب مع ولوعهم بالبحوث النظرية لم يهتموا بتطبيقها على الصنائع والفنون ، فقد اكتسبت علومهم لصنائعهم جودة عظيمة جداً تعتبر مفخرة المفاخر في سالف الدهور . وإننا وإن كنا لم نزل نجعل أكثر الطرائق التي سلكوها لذلك فإننا نعترف نتائجها وآثارها ، فنعرف مثلاً أنهم احتفروا المناجم واستخرجوا منها الكبريت والنحاس والزئبق والحديد والذهب وأنهم برعوا جداً براعة لم يلحق لهم فيها شأ إلى الآن ، .

نقول : إذا كانت أوروبا على ما وصلت إليه من الإبداع الفني والصناعي تشهد على لسان أكابر مثلي العلم والفنون فيها بأن المسلمين وصلوا من الكمال العملي في كثير من الصنائع إلى أبعد مما وصلت هي إليه . فإن ذلك لا يمكن أن يكون ثمرة تعاليم دينية جامدة متحجرة . تلك آثارنا تدل علينا ، فالنظر وابعدها إلى الآثار

عباسي ط

هل قنع الإسلام بهذا القدر من ترغيب الناس في العلم ، وإجبارهم على التعويل عليه ؟ لا . ولكنه لم يدع لوناً من ألوان التأثير في العقول ، ولا باعثاً من بواعث التوئب في النفوس إلا استخدمه في هذا السبيل حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : (كن عالماً أو متعلماً ولا تكن الثالث فتهلك) وقال : (لموت عالم واحد أشد عند الله من موت قبيلة) وقال : (فقيه واحد خير من ألف عابد) وقال : (يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجحه) . هذا كله وأمثاله مما يكاد لا يحصى يفسر ما حدث من الانقلاب العظيم في جماعة العرب ، وإلا فمن ذا الذي كان يتخيل أن أولئك الجاهلين بعد فترة من الزمان لا تعتبر في حياة الأمم شيئاً يذكر ، يصبحون وفي أيديهم قبس العلم يعيشو إلى نوره أهل العالم أجمع يأخذون عنهم ما جعلهم الله أمعاء عليه دون خلقه ، فكانوا الحفظة لميراث الإنسانية من ناحية والواسطة في إحيائه وتسهيل الانتفاع به من ناحية أخرى .

إن الدين الذي يصرح بأن عقل آيات الله وإدراك أسرارها من حظ أهل العلم وحدهم دون سواهم فيقول : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » ، يجب أن يوصف بأنه دين العلم غير منازع .

قال بعض المؤرخين : إنه قد ثبت أن العرب وصلوا في رحلاتهم الجغرافية وجولاتهم

مَائِقَاتُ عَنِ الْإِسْلَامِ

تَطَوُّرُ الْإِسْلَامِ

لمؤلفه ريموند شارل الفرنسى

نقد وتعليق: للأستاذ مالك بن نبي

- (و) عوامل النهضة الإسلامية .
(ز) غداً .
(ح) الإسلام والخطر الشيوعي .
- (١) المجتمع الإسلامى التقليدى :
١ - المرأة والرجل .
٢ - المجتمع والنظم .
- (ب) المصلحون و «العصريون» فى الإسلام
(ج) القومية الإسلامية .
(د) التطور الحالى فى المجتمع والنظم الإسلامية :
- ١ - التطور السياسى .
٢ - التطور الاقتصادى .
٣ - التطور الاجتماعى .
٤ - التطور من حيث الأحوال القانونية .
٥ - التطور الثقافى .
٦ - تطور المرأة .
(هـ) تطور المغرب الحالى .
- إننا لا نحسن تقدير الأشياء ، لو قدرنا
أن المستشرق الذى يكتب عن الإسلام ،
يكتب من أجل أن يعرف الفضيلة الإسلامية
لمواطنيه فى البلاد الأوربية .
إنما يتصرف المستشرق الذى يكتب عن
الإسلام والمسلمين بمقتضى دوافع أخرى ،
لا تخلو من سمو عند ما تدفعه المهنة فيكتب
كأستاذ فى جامعة مثل «جيب» أو تدفعه الميول
الفكرية ، فيكتب كجرد عالم مثل «فلوفل» .
وقد يجد المسلم فى إنتاج هذا العالم أو ذاك
الأستاذ ما يفيد ، لأن أحدهما مهما تكن
نواياه - أضاء مثلاً بعض نقاط الضعف التى

أن الكاتب أصبح بمقتضى مصطلحه الخاص يسلك المسلك الذى تعودناه من سائر الكتاب الغربيين الذين يقعون فى نفس الخطأ ، حيث يسوقهم المصطلح إلى تغيير لا شعورى فى الموضوع فيختلط فى إدراكهم ما يتصل بواقع اجتماعى من واقع المسلمين يحتل التغيير (أو التطور كما يقول صاحب الكتاب) فى اتجاه النمو أو التدهور ، بمقتضى عوامل زمنية معينة ، يختلط بقيم مطلقة تتصل بواقع آخر ، هو الإسلام ، لا يعتره التغيير والتطور بالمعنى الذى نفهمه فى عالم الظواهر .

وهذا الاختلاط يؤدي إلى الحكم على الدين بما يقترفه أهله ، أو بعبارة أخرى الحكم على فضائل الخالق بما توحيه مساوى الخلق ، بينما يعطيه القرآن المقياس الصحيح فى هذا الموضوع فى الآية الكريمة : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » .

خطأ المنهج :

إن كتاب الغرب الذين مارسوا الدراسات الإسلامية لا يطبقون فى هذه الدراسات مبدأ التطور رغم أن ثقافتهم تقبلته فى تراث القرن التاسع عشر ، سواء فى علوم الطبيعة منذ داروين ، أو فى العلوم الاجتماعية والاقتصادية منذ برودون .

يتأثر بها المجتمع الإسلامى ، ولأن الآخر كرس حياته من أجل ترتيب مفردات المصحف حتى يجعل القرآن الكريم فى متناول من لا يحفظه من المسلمين وغير المسلمين .

وإذن فلنتساءل على ضوء هذا المبدأ : هل يفيدنا كتاب مسيو ريموند شارل ، بصورة ما ؟ الجواب ، مع الأسف : أنه لا يفيدنا ، ولا أظنه يفيد غيرنا ، مهما يكن التقدير الذى وضعناه فيه .

التقرير الأول :

فلو قدرنا هذا الكتاب على أنه دراسة لوجب علينا أن نلاحظ أن الخطأ تسرب إلى هذه الدراسة من ثلاث نواح :

١ - من العنوان نفسه الذى ترجمناه بحرفيته عن قصد .

٢ - من منهج الكتاب .

٣ - من معادلة الكاتب الشخصية التى تتدخل فى كل سطر من الكتاب .

خطأ العنوان :

إن الكاتب يتناول كلمة « إسلام » ، فى عنوانه للدلالة على « المجتمع الإسلامى » ، الذى هو الموضوع المقصود بالذات فى كتابه .

وليس للملاحظات أى أهمية لو كانت تشير إلى مجرد خطأ لفظى ، بينما هى تعنى

الكاتب الذى يخصص جهده إلى خدمة العلم والحقيقة .

فهو رغم المعلومات الزاخرة المتنوعة التى أودعها فى كتابه ، يرغمنا على نكران علمه ، أو الروح العلوية عنه لأننا لا نراه أقر حقيقة فى سطر من سطور أو فى صفحة ، من صفحاته إلا وجد أنه يناقضها فى السطر الذى يتبع أو فى الصفحة التالية ، بعد صفحات معدودة .

فبعد أن يكون قرر فى الصفحة الثامنة مثلا ، إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يتزايد اليوم ، عدد معتقيه فى العالم ، نجده (صفحة ٧٩) بقرر أن « دين محمد ، قبل الأديان الأخرى مهدد بموجة العلانية التى تكتسح العالم اليوم .

فعدالة الكاتب تعوضه هكذا ، إما ليضع بيده ، وبصورة لاشعورية مناقضات لا يقف عندها انتباهه ، وإما ليخلق مناقضات صورية ، عندما يحاول (صفحة ٣٨) أن يصور للقارى مناقضته فى روح الإسلام الذى يضع الخالق « فوق ، مخلوقاته ويراها فى نفس الوقت « مع ، مخلوقاته فلا يفهم المسير ريموند شارل كيف أن المسلم يضع الله فوق كل مقام ، وفى نفس الوقت يراه أقرب إليه من حبل الوريد .

وهكذا نجد الكاتب يتخبط فى قيود

ففى الكتاب ، مثل المسير ريموند شارل لا يدرس الواقع الاجتماعى الإسلامى الحاضر . على أنه حالة : طرأت لمجتمع فى نقطة معينة من تطوره ، ولكن يدرسونه على أنه هو واقع العالم الإسلامى ، الواقع المقدر لهذا المجتمع لاسبب طوارىء الطريق وحداثات التاريخ ، ولكن بمقتضى معطيات مستقرة فى تركيبه لا يمكنه أن يتخلص منها فهم برغم تشبههم بقانون التطور فى صورته النظرية لا يدرس واقع العالم الإسلامى اليوم ، على أنه حالة متطورة ولكن على أنه حالة قارة ، فيعطون بذلك اهتماما إلى جانب الاستقرار والسكون والخلول أكثر مما يعطون إلى جانب الحركة والتغير ، وهذا يؤدى إلى نظرة تشاؤمية إلى مستقبل العالم الإسلامى إما لأنه لا يستطيع أن يحرك سكونه وجوده ويغيرهما إلى حركة ، وإما لأنه لا يستطيع تعديل الحركة إن كان فيها خطأ أو انحراف .

معادلة الكاتب لتفهميه

وعلى تقدير أن الكتاب تخلله دراسة فإن الخطأ يتسرب إليه من الناحية الذاتية .

إن مسير ريموند شارل لا يكتب بحرية الفكر وانسراح الصدر المطلوبين من

فتراه أحيانا ينال من الإسلام بكيفية
ت شعرنا أن الرجل ينتظر من وراء ذلك ردنا
عليه، وأحيانا يطلق نيرانه ضد فكرة العربية،
فيتزايد شعورنا أنه يريد تعطيل القافلة الجادة
في الطريق ، وأحيانا أخرى نراه يوجه
طلقاته إلى شخص الرئيس جمال عبد الناصر ،

إما أن يقرن اسمه متعمدا ، باسم بورقيبة
مثلا ، عند ما يشعر أن وضع الفرد في مستوى
الإنسان ، يمكن أن يحدث من طرفنا رد فعل
منتظر ، يبرر عمله ويذكره في نظر مولاه الذي
يشغله ، وإما أن يفرد اسم الرئيس في صفحات
أخرى ، فيوجه إليه مثلاتهم « الفردية »
ود الدكتاتورية ، كي تنشج أعصابنا . وتطلق
بما يشفي غليل هذا الكتاب الغريب .

وعند ما تنتهي من القراءة نشعر أن الكاتب
عند ما خطط لكتابه ، حسبما نرى من
خلال الفهرست الذي وضعناه في صدر هذا
التقرير ، كان في الحقيقة يخفي وراء هذا
التخطيط الظاهر ، تخطيطا خفيا تتضمنه
معادلاته الشخصية ، التي أراد استبصارها
الاستعمار ، حتى أننا لو أردنا نحن أن نرسم
هذا التخطيط الحقيقي لرسمناه في ثلاث عقد
نفسية :

١ — فقد ريمند شارل على الإسلام .

٢ — فقد ريمند شارل على العرب .

الشخصية ، التي تحرمه من الوصول إلى الحقائق
الغيبية ، وتحرمنا من الاستفادة من معلوماته
لأنه ما أورد حقيقته في سطر من سطره
إلا وأعقبها بباطل ينسخها ، ويشعرنا بأن
العلم ليس مجرد معلومات تكسب كتاب .

التقرير الثاني

ولكن اعتبارنا للكتاب ، على أنه دراسة
قد يتسرب إليها الخطأ من أبواب معينة
كما بينا ، يضعف خلال القراءة من سطر إلى
سطر ومن صفحة إلى صفحة .

فكلما تقدمت في القراءة زاد عندى الشعور
بأن الكتاب ألفه صاحبه في نطاق عملية
استعمارية مخططة اشترت إليها في كتاب نشرته
أخيرا بهذه الأسطر :

كلما وضعنا أنفسنا في فصل كهذا (أى في
فصل جدو ببناء) فإن الاستعمار سوف يكلف
الإخصائين في لعبة الظل ليصور لنا معركة
خيالية تصرف المسؤولين في البلاد الإسلامية
عن المشاكل الحقيقية . .

إن مسيو ريمند شارل ، فيما يبدو لي من
خلال قراءة كتابه أحدهم هؤلاء الإخصائين ،
يريد الاستعمار استغلاله معادلاته الشخصية
ليجرنا بعيدا عن ساحة البناء ، ويلهينا عن
المشاكل القائمة أمامنا في معركة حياة أو
موت ، بمعركة شفاهية .

٣ — حقد ريموند شارل على زعيم العرب جمال عبد الناصر .
تلك البلاد ، بأعمال شبيهة بعملية تحويل مجرى المياه ، عند بناء السدود .
والآن فلو تتبعنا الكتاب صفحة صفحة ، وسطرا سطرا ، كتطبيق لحطة استعمارية ، لا صلة لها بالعلم أو بالدين ، من خلال معلومات كاتب مسخر ، لا يمكننا أن نضع عن طريق التحليل كل جملة من الكتاب تحت هقذة من عقد صاحبه الثلاث .
* * *
فلو أردت مزيد وضوح ودقة فيما أرى بشأن هذا الكتاب ، لقلت إن التقدير الثاني يبدو لي أقرب للواقع بالنسبة إليه .
فلا بد أن تقدر أن الاستعمار بالمرصاد إذا ما هب من الأفكار في البلاد التي يفترض — حسب لغته — أن له فيها مصالح خاصة يراها .
ولا غرابة إذن أن يقوم الاستعمار في مثل هذه صورة من صور الصراع الفكري .

تلك البلاد ، بأعمال شبيهة بعملية تحويل مجرى المياه ، عند بناء السدود .
ففي نطاق الصراع الفكري ونظراً لأسلوبه الخاص ، تقوم عملية التحويل لمجرى الأفكار طبقاً لما توحى به مصلحته .
وهذا يعني أن كتاب ريموند شارل لا يبعد أن يكون مشروع تحويل ، وضع بخصوص بعض الكتاب المسلمين كي لا يستمروا في طريقهم ، في العمل الذي خططوه لأنفسهم .
فلاستعمار يريد ، بصفة عامة ، أن لا يكتب هؤلاء الكتاب في طبيعة المشاكل القائمة اليوم في المجتمع الإسلامي ، بل أن يكتبوا طبقاً لخطط مرسومة في باريس ولندن وواشنطن يقوم بتنفيذها أمثال ريموند شارل ، كي يحقق بذلك سلطة خفية على توجيه الحياة الفكرية في البلاد الإسلامية .

وهذه صورة من صور الصراع الفكري .

من شعر إقبال

الأرض بستان البابل للترنم والغناء
والقبة الزرقاء ميداني إلى غير انتهاء
أنا ناسك بين الطيور وخلوتي عرش الهواء
لا يبتنى الشاهين وكراً إن منزله السماء

بهذا العدد تنتهى السنة الثانية والثلاثون من هذه المجلة ،
وموعداً إن شاء الله في أول المحرم من السنة المقبلة .

مَحْنَا بُرْزُ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

نَوْمَة صَاحِبَة

لِلْأَسَاقِطِ عَمْرِو بْنِ الدِّينِ الْأُمَيْرِيِّ

سَأَرْجِعُ كَالْفَجْرِ ، بَعْدَ الْفَنَاءِ	سَأَسْمُو عَلَى زَيْفِ هَذِهِ الْحَيَاةِ
الْمُؤَلَّكِدِ ، وَالنَّوْمَةِ الصَّاحِبَةِ	إِلَى مَعْرِجِ الْعِزَّةِ النَّائِيَةِ
سَأَرْجِعُ خَلْقًا فَتِيًّا سَوِيًّا	وَأَهْجُرُ ضَوْضَاءَ لَا تَنْتَهِي
وَقَدْ كَهَنَدَسْتُ ، عُزْلَتِي ذَاتِيهِ	تَشِيرُ وَتَحْرِقُ أَعْصَابِيهِ
لَفَضْتُ عَنْ كِيَانِي غُبَارَ الزُّبُوفِ	إِلَى مِهْمَاتِ الظُّلَامِ الْعَمِيقِ
وَجَاءَتْ حَقِيقَتِي الْعَارِيهِ	إِلَى حَيْرَةٍ . اللَّيْلَةِ السَّاجِيهِ
وَأَلْقَتِ الْجَوْهَرَ الْمُسْتَكْنَى	إِلَى مَنَبَعِ الصَّفْوِ خَلْفَ السَّمَاءِ
بِكُنْهِي بِضَوِّيْ أَعْوَارِيهِ	إِلَى مَرْتَعِ الْأَمْنِ وَالْعَافِيهِ
وَيُطْلِقُنِي قُدْرَةً فِي الْوُجُودِ	أَزِيدُ فَتُورِي ، وَأُطْفِئُ لُظْيَ
تُودِي رِسَالَةَ إِيْمَانِيهِ	شُعُورِي ، وَأَكْبِتُ أَشْعَارِيهِ
رِسَالَةَ جَمْعِ الْكِيَانِ الشَّتِيتِ	أَبْلُدُ حَتَّى ، أَجْمَدُ نَفْسِي
رِسَالَةَ بَعَثِ الْمُنَى الْغَالِيهِ	أَغْيِضُ ، وَأَكْتُمُ أَنْفَاسِيهِ
رِسَالَةَ مَجْدِ إِلَى اللَّهِ يَرْقِي	وَأَعْدُو سَكُونًا بَعِيدَ الْمَدَى
تَحْقِيقَهُ أَمْنَةً هَادِيهِ	بِشَعٍّ طَمَآنِينَةٍ رَاضِيهِ
جِهَادَ عَلَى الدَّهْرِ يَمْشِي الْخُلُودِ	وَيُضْنِي عَلَى الْكُؤُونِ مَعْنَى الْحَيَاةِ
وَيَصْمُدُ فِي الزُّعْزُعِ الْعَاقِيهِ	وَنَآمًا ، وَمَرَحَةٍ نَامِيهِ
وَاللَّحْرِ فِي رُوحِهِ نَفْثَةُ	وَإِذَا ذَاكَ بَعْدَ الْهَدَى وَالْهَدُودِ
مِنْ اللَّهِ ، مِنْ رُوحِهِ الْبَاقِيهِ	وَعُوصَى عَلَى لَانِهَائِيهِ

عَمْرُ بْنُ الدِّينِ الْأُمَيْرِيِّ

دعاء إلى الله

« إلى الذين يمشون إلى الأمام ، نحو النور المقدس . . نور
الحق والخير ، والحرية والسلام ؛ لا يدركهم الناس ، ولا يتركهم
الرجاء . . . إليهم في كل مكان . . . أهدى هذا الدعاء . . »

يا خالق الكون ، ورب السماء :	ويا إلهي قد أردنا الصلا
أدعوك من قلبي أحر الدعاء :	والخير ، والمجد ، وعز البقاء
مهي لنا الخير كما نشتهي	وقد حططنا القيد ، واستعذبت
إذا طغى الشر ، وماج البلا	أرواحنا الظمأى حياة الفداء
وانشر علينا يا إله الورى	وقد ملكتنا أمرنا بعد ما
من نورك الأسنى أرق الضياء	كنا أسارى في يد الأعداء
واجعل حياة الناس أنشودة	واليوم نبني بيد مجدنا
تشيح فيها نغمات الهنا	وباليد الأخرى نصون البناء
واسق الحيارى من رحيق الهدى	قابض قوى العزم في روحنا
إن الحيارى في الصحارى ظلم	يا باعث القوة في الأقوياء

ويا إلهي نحن في ظلم	وكن لنا عوناً على من بغى
يلفقه المول بنار الشقاء	إذا دعا الداعى ، ودوى النداء
يوقد فيه الحرب أشرارهُ	واجمع على الوحدة أوطاننا
وليس يصلها سوى الأبرياء	لتكمل الفرحة يوم اللقاء

متى أرى العالم لا ينطوى	هذا رجائي يا إله الورى
إلا على ما سنه الأنبياء ؟	خفق اللهم هذا الرجاء
الناس في أنحائه إخوة	ابراهيم محمد نجا
يسقون فيه من رحيق الصفاء	

الكتاب

عبد الله بن سبأ

لفضيلة الشيخ مرتضى العسكري ، ونشر
مكتبة الإمام الكاظم بالعراق .

هذا الكتاب الذي ورد إلى مجلة الأزهر
من العراق ، يعتبر مدخلا أو تمهيدا لمؤلف
قد يكون كبيرا ، والهدف منه ، تسليط
أضواء كثيرة على شخصية دخلت تاريخ
الإسلام ، في أدق مرحلة من مراحلها
الأولى .

أراد المؤلف أن يكون هذا الكتاب بحثا
وتحقيقا فيما كتبه المؤرخون والمستشرقون
عن ابن سبأ ، منذ القرن الثاني الهجري
حتى اليوم ، أما هذا المدخل فتناول : منشأ
القصة السبائية ، وسلسلة رواياتها ، وقصة
السقيفة ، وقصصا أخرى وثيقة الصلة
براوى القصة السبائية ، والتي تلقى عنه أبرز
كتاب السيرة وهو الطبري ، وهذا
الراوى هو سيف بن عمر التميمي البرجمي
الكوفي المتوفى عام ١٧٠ هـ في خلافة الرشيد .

والمؤلف الجليل الشيخ مرتضى العسكري
يستحق منا تقديرا كبيرا لهذا الجهد الشاق

الذي بذله في بحثه هذا ، محاولا عن طريق
الاستدراج أن يؤكد أن عبد الله بن سبأ
شخصية خرافية ، أو على الأقل يؤكد أن
الأحداث الضخام التي نسبت إليه مزورة
عليه ، ودليله الذي استقاه من مراجعه هو
زلولة الثقة في راوى قصة ابن سبأ ، وهو
سيف بن عمر المذكور آنفا ، وفي سبيل
ذلك قدم لنا مجموعة كبيرة من رواياته
وسلط عليها مضخات من التناقض . .

ونحن يسرنا أن يؤكد لنا المؤلف الجليل
إلغاء شخصية ابن سبأ من التاريخ ، ولكن
فضيلة المؤلف صاف بنا على صفحات كتابه
حول قضية أخرى هي بمثابة الجرح العميق
لسننا نحن المسلمين اليوم بحاجة إلى إثارته .

فأيا ما شيء يدعونا اليوم إلى بحث مسألة
الخلافة الإسلامية الأولى وكيف تأمر أصحاب
رسول الله على إقصاء علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه عن حقه الشرعي في الخلافة
الأولى لقرباته من رسول الله صلوات الله
وسلامه عليه ؟

إن المؤلف الفاضل قدم لنا صورة أليمة
في هذه القضية . أبرز فيها الخليفين : أبا بكر

لتطرب أسمع المسلمين بالحانه وأنغامه دون
أن تطرب أفندتهم بسحر عباداته وعذوبة
ألفاظه ، وسمو معانيه .

فلنكن اليوم في حاضر الإسلام لأنه أحق
بالعمل . أما أصحاب رسول الله فلندع
خلافاتهم التي قد مضى عليها زهاء أربعة عشر
قرناً - وقد أفضوا جميعاً إلى ما قدموا ،
وصار أمرهم مفوضاً إلى ربهم .

٢ - المحرم والمحرّم في الإسلام :

للأستاذ يوسف القرضاوى ونشر دار
إحياء الكتب العربية .

هذا البحث كلف به الأستاذ القرضاوى
تحقيقاً لرغبة مشيخة الجامع الأزهر . في طبع
كتب مبسطة تترجم إلى اللغات الأجنبية
للتعريف بالإسلام وتعاليمه .

الاستاذ المؤلف في وضعه منهجاً من ثلاثة
عناصر :

أن لا يكون متزمتاً ، وأن لا يكون متحلاً .
أن لا يتقيد بمذهب فقهي من المذاهب
السائدة في العالم الإسلامي .

أن يعنى بالدليل والتعليل والموازنة . مستعيناً
بأحدث الأفكار العلمية والمعارف العصرية .
وفي الفصل الأول عرض الكتاب لمبادئ
الإسلام في الحلال والحرام : الأصل في الأشياء
الإباحة - التحليل والتحرير حق الله وحده -

وعمر ، نهازين للفرص ، ومتأمرين على
علي بن أبي طالب ، وهذا التأمر ظل في قلب
عمر حتى آخر لحظات حياته حين أوصى لسته
من أصحاب رسول الله بالخلافة ، منهم علي
وعثمان . .

كما حاول المؤلف الفاضل أن يجعل من
المرتدين في عهد أبي بكر جبهة مسلمة معارضة ،
وإن امتناعهم عن دفع الزكاة لم يكن
إلا خروجا على طاعة الخليفة ولم يكن جموداً
لفريضة ، كما ألصق بعمر تهمة التحريض على
اغتيال سعد بن عباد في الشام حين هجر المدينة
دون أن يبائع أباً بكر . .

إن الصورة عن أجل أصحاب رسول الله
التي قدمها فضيلة المؤلف ، صورة تحز في
النفس ، وتهز كيانه العقل ، وحسب القارىء
المسلم العادى أن يعلق بذهنه أن الحكم
الإسلامي في مرحلته الأولى قام على أسس
من الزبغ والاحتياال وفقدان الضمير
وانحدار الخلق ، والانهائية والاستغلال .

يا سماحة المؤلف : إن الإسلام اليوم
تزعزعه الشخينة الخائرة : بعض دوله تنبذه
وراء ظهورها ، وشعوبه ترهقها ، إما سياط
الاستعمار الغاشم ، وإما سياط الدكتاتورية
الفاجرة ، ودينه الذي رضيه الله للمسلمين
يتعثر ويتقلص حتى أصبح مجرد صلاوات
يؤديها العجزة في المساجد ، وقرآن يتلى

موضوع مناقشة وجدل ولذلك لم يستطع الأستاذ القرضاوى أن يلم بالحلال والحرام بما يتصل بأعمال الجوارح والسلوك الظاهر، ونزاه تعرض لشركات التأمين، وترك أعمال المصارف والبنوك والبورصة وما إليها مثلاً. ثانياً : إذا كان الهدف من وضع الكتاب ترجمته إلى الإنجليزية لتعريف المسلمين في أوروبا وأمريكا بالإسلام، كان على المؤلف أن يتعرف على الكثير من تقاليد وعادات المجتمعات هناك حتى يبين رأى الإسلام فيها، وهذا ما لم يكن واضحاً في كتابه هذا.

ثالثاً : اضطر الأستاذ القرضاوى إلى عرض أوجه الخلاف في كثير من المذاهب، وهذا مما يشوش ذهن لاسيما في بلاد واعية تحتاج إلى إيجاز وتيقن، وهذا مما كان يحتم عرض قضية الحلال والحرام في رسائل متباعدة.

٣ - الإسلام والمبادئ المستوردة : للأستاذ عبد المنعم النمر، ونشر دار القلم بالقاهرة.

هذا كتاب جديد للمؤلف، تناول موضوعاً دقيقاً خطيراً له أهميته، ولقد تناول الكتاب قضية الإيمان والإلحاد في الشرق والغرب، كما تناول فكرة الشيوعية : ميلادها وموقفها من الإسلام والمسلمين، وناقش قضية العلم والمقيدة، وأن التطور لا ينافي وجود الله

تحريم الحلال قرين الشرك باقته - اتقاء الشبهات - الضرورات تبيح المحظورات، وما إلى ذلك.

وفي الفصل الثانى عرض الكتاب للحلال والحرام فى الحياة الشخصية للمسلم، فى الأطعمة والأشربة، الصيد، الخمر، المخدرات، فى البيت، فى الكسب والاحتراف.

وفى الفصل الثالث عرض الكتاب للحلال والحرام فى الزواج وحياة الأسرة، فى مجال الغريزة، وفى الزواج، والعلاقة بين الزوجين. وفى الفصل الرابع والأخير، عرض الكتاب للحلال والحرام فى الحياة العامة للمسلم، فى المعتقدات والتقاليد، وفى اللهو والترقب، وفى العلاقات الاجتماعية. وفى علاقة المسلم بغير المسلم.

هذا وقد اقتصر المؤلف فى كتابه هذا على ذكر الحلال والحرام فى أعمال الجوارح، والسلوك الظاهر، أما أعمال القلوب، وحركات النفوس والعواطف والإرادات، وما إلى هذه فلم يكن مما هدف إليه الكتاب، وذلك كما ذكر المؤلف فى خاتمة الكتاب.

بقى أن نقول - أولاً :

إن موضوع الحلال والحرام فى الإسلام لا يمكن أن يستوعبه كتاب يمكن للقارى أن يستعرضه فى ساعات، مهما راعى المؤلف فى كتابته الإيجاز والتركيز، والموضوع

خالق في هذا الزمن ، الذي ظهرت فيه نظرية التطور ، وقول لينين : الماركسية هي المادية ومن ثم فهي معادية للدين . . .

لقد أجاد الأستاذ النمر في آخر كتابه حين دعا بغيرة وإخلاص إلى وضع تشريعاتنا الإسلامية موضع الاعتبار ، إلا أننا كنا نود أن يمرض علينا بعضا آخر من المبادئ المستوردة إلى جانب الشيوعية ، حتى لا يختلط على القارئ كتابه هذا بكتابه السابق الإسلام والشيوعية ، وإن كان ثمت فرق شاسع بين هذين.

٤ - النسخ في الشريعة الإسلامية

للأستاذ عبد المتعال الجبري ، ونشر دار العروبة بالقاهرة .

هذا البحث له خطورته ، فهو يتناول موضوعا دقيقا ، كثر فيه الخلاف بين أئمة الفكر الإسلامي قديما وحديثا ، بل لقد وصل الخلاف في موضوع النسخ إلى درجة التعصب والتطرف ، حتى لقد قال الإمام القرطبي عن النسخ : لا يستغنى عن معرفته العلماء ، ولا ينكره إلا الجهلة الأغبياء .

يتجه المؤلف في بحثه إلى إنكار النسخ وقد اهتمد في منهجه في هذا البحث على أن لكل باحث الحق في أن يكتب ما يشاء عن القرآن بما فهمه واقنع به مادام غير معارض في فهمه

كما نقض دعوى الشيوعية بأنها تعمل على المساواة بين الناس .

وعرض الكتاب بعد ذلك لموقفنا نحن المسلمين من الإسلام ، وكيف طرحنا تعاليمه جانبا ، وأتخنا الفرصة للمبادئ الهدامة المستوردة تفزونا في عمر دارنا .

وفي إيجاز أجاب المؤلف عن هذا السؤال : هل يكفل الإسلام قيام نهضة ؟ وفي سبيل ذلك عرض لموقف الإسلام والمسلمين من العلم ، وموقف الإسلام من العمل ، وأكد أن التكافل روح المجتمع الإسلامي ، ثم ختم الكتاب يبحث مركز هذه القيم الثلاث : الحرية والإخاء والمساواة ، ومكاتها في الإسلام .

والأستاذ عبد المنعم قدم لنا صورة واضحة عما لقيه الأديان وأتباعها من بطش الشيوعية لا سيما الإسلام والمسلمون ، واستطاع من كلام هوبز وكارل ماركس وأنجلز ولينيه أن يوضح الخطوط البارزة التي تحدد عناصر الهجوم على الدين ، إلا أنه لم يناقش موقف الإسلام من هذا الهجوم إلا في إحداها وهي اتهام الدين بطبع الكادحين بطابع الصبر والاستسلام ، وكان أجدر بالمناقشة قول هوبز : وجودى هو المؤكد وما عداه خرافة ، وقول ماركس : لا إله ، والحياة مادة ، وقول أنجلز : لا محل مطلقا لوجود

على أن يستعرض لنا مجموعة من آراء المفسرين مع يسير زهيد من المناقشة .

وكنا نود أن يحصل المؤلف على عدد أكبر من آراء الفقهاء القدامى ، تقف بجانب رأيه على الأقل وقد استطاع فعلاً أن يجتذب بعضها ولكن ليس عن طريق الخط المستقيم . إنى وإن كنت من غير القائلين بالنسخ في الشريعة الإسلامية ، ومؤيداً للأستاذ الجبرى إلا أن هذا لا يمنع أن أقول :

إن مراجع الكتاب قليلة بالنسبة لموضوعه وأن محصولة من الآراء المتعصبة لفكرة النسخ قليل أيضاً .

والذى لا نكران فيه بعد ذلك . أن هذا الكتاب دراسة عميقة دقيقة لما خطورتها ، وقد بذل المؤلف فيها مجهوداً يستحق عليه تقديرنا ، وأعجبني فيه استعداد حيثيات حكمه لكل معترض ، والكلمة الأخيرة - هى : إن التويب للدراسة والعناية بورق طبع الكتاب له تأثيره في ذهن الدارس والقارى على السواء .

• - من رسائل ابى تيمية :

العالم الفاضل والمسلم الغيور سماحة الشيخ محمد نصيف من أعيان جدة ، أطال الله بقاءه في خدمة الإسلام وعنايته بترائه الخالد ، أرسل إلينا برسالتين من رسائل ابن تيمية في كتاب ، هما : رسالة الفتوى الحوية الكبرى ، والرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله تعالى ، أما الرسالة الأخرى

نصا قرآنياً أو حديثاً نبوياً قطعى الدلالة ، ولا خارجاً على الأصول العامة للفقهاء والدين . في الباب الأول عرض مذهب القائلين بالنسخ وفتنّه ، وعرض لتفسير آية ما ننسخ وعرض المؤلفات في النسخ ، والمنسوخ ، سواء أكانت قديمة أو حديثة ، وعرض مذهب القول بنسخ القرآن ، وناقش أدلة المثبتين للنسخ في القرآن .

وفي الباب الثانى تناول مناقشة الآيات المنسوخة مبطلا دعوى النسخ فيها ، ناقشها آية آية ، وناقش دعاة القول بالنسخ من كبار الأئمة الاعلام أمثال : ابن حزم ، وابن كثير والسيوطى ، وشمس الأئمة الحنفى ، والخازن والبغوى ، وابن حزم الظاهرى .

وفي الباب الثالث والآخر ، ناقش الأستاذ الجبرى فكرة نسخ غير القرآن للقرآن والعكس ، وأكد في مناقشته خطأ هذه الفكرة ومجانبتها للحق ، وأن بعض الفقهاء تكلف في الأحكام ، تكلفاً كثيراً ما كان يخرجهم عن الصواب .

هذا الكتاب دراسة واعية ناضجة بدون شك ، ولكن المؤلف عمد إلى التعرض لكل آية في القرآن قد تعرضت لفكرة النسخ أو حتى لمجرد شبهة من شبهات النسخ في القرآن ، فاستنفذ هذا الجزء الأكبر من الدراسة من صفحة ٩٥ إلى صفحة ٣٣٤ ، وقد حمله هذا

نحتاج إلى مجهود ضخم ، حتى نكون أقرب إلى طلاب الثقافة الإسلامية . .
ويا حبذا لو حققت هذه الرسائل تحقيقاً واسعاً شاملاً ، فقد كتب ابن تيمية ليناشر عقليات ممتازة على جانب كبير من العلم ، ولم يكن يكتب للعامة يفيدون منها في تعرفهم على هذه القضايا المعقدة وموقف الإسلام منها .

٦ - ابن القيم :

للأستاذ عوض الله جاد حجازي أستاذ الفلسفة المساعد بكلية اللغة العربية . هذا الكتاب دراسة شاملة لأحد أعلام الفكر الإسلامي ، ممن تركوا تراثاً فكرياً خصباً ، لم يزل الغذاء العقلي لكثير من طلاب الثقافة الإسلامية .

تناول المؤلف في الباب الأول عصر ابن القيم وترجمته له ، وطابع الانتخاب في التفكير الإسلامي ، وسبب الإنتاج الكثير لابن القيم ، وموقفه من عقيدة السلف ومنهجه في التأليف . وفي الباب الثاني تناول عقلية ابن القيم ، ورأيه في مشكلة الصفات ومناقشته للجهمية والمعتزلة ومشكلة الشر وقضية النفس وقضية أبدية الجنة والنار .

هذا هو إطار الكتاب الذي وضع فيه المؤلف شخصية ابن القيم واضحة المعالم واستحق به أن ينال تقدير اللجنة التي ناقشته .

فهى تلخيص الرسالة الحموية بقلم صاحب الفضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين ، وسمى تلخيصه باسم : فتح رب البرية بتلخيص الحموية ورسالة الفتوى الحموية ، هى إجابة للعلامة ابن تيمية عن سؤال من أحد مسلى مدينة حماة بالشام عما يقوله الفقهاء والأئمة في آيات الصفات وأحاديثها .

والواقع أن ابن تيمية صال وجال في هذه الرسالة . وبلغ من التعمق أقصاه . وناقش آراء المجسمة والمشبهة والمعطلة والغلاة والرافضة ومن إلهيم ، من الفرق التي ضلت الصراط السوى في أخطر جانب من جوانب العقيدة . أما صاحب الفضيلة الشيخ العثيمين فقد وفق توفيقاً مشكوراً في تلخيص الرسالة ، حتى قربت بهذا التلخيص إلى الأذهان .

وأما فضيلة الشيخ محمد عبد الرازق حمزة المدرس بالمسجد الحرام بمكة المكرمة ، فقد قام بعرض الرسالة الحموية والرسالة المدنية ، وهى التي حقق فيها ابن تيمية المجاز والحقيقة في صفات الله تعالى ، ورأى ابن تيمية في صفات الله تعالى إثباتاً لإثباتاً يناسب ذاته ، وتستحق من الكمال ما تستحق ذاته ، ويرفض أن يصرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه ، فإن لله مثلاً يداً ، ولكنها يدٌ لا تشبه يد المخلوقين وبقي أن نقول : إن بحوث ابن تيمية التي اتصل بجانب العقيدة لا زالت

٧ الربا :

للعلامة الشيخ محمد رشيد رضا ونشر مكتبة
القاهرة بالأزهر .

كتب مقدمة لهذا البحث وخاتمة له الأستاذ
الكبير السيد محمد بهجة البيطار عضو المجمع
القوى الآن ، والمجمع العلمي العربى بدمشق
سابقا .

والشيخ رشيد رضا كتب هذا البحث
المستفيض عن الربا ليكون رداً على استفهام
ورد من حيدر آباد بالهند عن مشكلة الربا
وموقف الإسلام منها .

والشيخ رشيد يرى أن ربا النفسنة محرم
لذاته ، ولا يباح إلا عند الضرورة ، كالمية
ولحم الخنزير ، وأما ربا الفضل فتحريره
وسيلة وليس قصداً ، فهو لسد الذريعة أى
لكيلا يكون وسيلة إلى ربا النفسنة وما حرم
سداً للذريعة أبيع الحاجة أو للصلة الراجعة .
وفى هذه الصولة من صولات الشيخ رشيد

استعرض كثيراً من آراء الفقهاء والمحدثين
ورجال التفسير ، وحقق مسألة المشتقات
بين الحلال والحرام ، وناقش بعد ذلك الآراء
المعارضة والعقليات المقلدة ، لجاء البحث
دراسة مستفيضة .

إلا أننا كنا نود أن تأتى هذه الدراسة
فى طباعة تليق بمكاتها ، وأن يكون لتعليق
العلامة الأستاذ البيطار مكان فيها .

محمد عبد الله السمان

وأعجبنى فى المؤلف إلمامه الشامل بشخصية
ابن القيم ، وتحديد الخطوط البارزة التى
تكون هذه الشخصية ، وأعجبتنى أكثر من
ذلك نزاهة المؤلف وحياده وحرية رأيه
وشجاعته ، والذين تعودوا أن يترجوا لهذه
الشخصيات التى لما مكان راسخ فى مجال الفكر
الإسلامى ، هؤلاء إما يكونوا متعصبين لها
أو عليها ، والقليل منهم هو الذى يضع
الشخصية موضع النقد الحر ، بغض النظر
عن رسوخ مكاتها وقداية ذاتيتها .

إلا أن المؤلف لم يراع فى كتابه هذا
التنسيق المتبع بين صلب الكتاب وهوامشه
فالكتاب ليس تراناً يجوز لهوامشه أن تنفس
لنفسها فيه مكاناً ، وكان الأحرى بالمؤلف ألا
يلجأ إلى الهامش إلا فى الضرورة القصوى ،
حين يحتاج إلى تفسير لغوى أو ترجمة لأحد
الأعلام . أو لفت نظر إلى شىء خارج عن
نطاق الدراسة نفسها .

وفى الكتاب أخطاء مطبعية كثيرة وشبهات
لغوية كنا نود أن لا نشوه هاء الدراسة القيمة
والمؤلف حاول أن يجعل من ابن القيم
شخصية مستقلة الفكر والرأى ، مع أنه صورة
من شخصية أستاذه وشيخه ابن تيمية ، سواء
فى منهجه الفكرى ، أو أسلوبه العلمى .

لقد استعان المؤلف بكثير من المراجع
المعتمدة ، وهذا بما أضفى على الدراسة أضواء
الاحترام والتقدير .

بريد المجتلة

- ١ - مول محمد العروضة :
- علق الدكتور عبد الله درويش على ما كتبه في عدد (رجب) من مجلة الأزهر ، وقد كنت على أن ألوذ بالصمت لأن للدكتور درويش مكانة في نفسي ، لحلقه ، وفضله ، وعلمه ، ولكنني وجدت في كلته أموراً لا يحسن السكوت عليها ، فأنا أكتب هذه الكلمة ، وأنا كاره .
- ١ - يقول الدكتور إن الأمر اشتبه على فظنت أن ثلاثتهم متفقون في الفكرة ، وأني تسرعت فأصدرت الحكم باستبعاد فكرة توارد الحواطر ، والحق أن الأمر لم يشبهه على ، وأن في النصوص التي أوردتها ، ما يؤكد التشابه بين الآراء ، وليس على القارئ العادي إلا أن يرجع إلى مقال ليجد مصداق ما أقول ، وقد قلت : إن الشيخ بدوي كان يهدف للوصول إلى إرجاع البحور كلها إلى بحر واحد ، وقد اتخذ إلى ذلك وسائل ، وأن بعض هذه الوسائل أخذها الدكتور أنيس ، واحتذاها الدكتور درويش فليس اختلاف الغاية بما يمنع الأخذ في الوسائل .
- ٢ - ويقول الدكتور - نقلاً عن - إن الكتاب لم تنشره إحدى المكتبات ، وإنما طبعه الشيخ لحسابه ، في إحدى المطابع وتولى توزيعه بنفسه بصفة ملازم ، وأن الشيخ محمد سرحان لديه الملازم الأولى ، وهي كل ما طبع من الكتاب . كما قال الشيخ سرحان . وفي هذا الكلام ثلاث قضايا الأولى أن الشيخ طبع الكتاب لحسابه ، وهذا ما قلته ، ولكن أي ضمير في هذا ، وهل يمنع هذا الإطلاع على الكتاب ؟ والثانية أني قلت إن الشيخ وزعه بصفة ملازم ، وهذا - وأستطيع الدكتور عذرا - ما لم أقله ، بل إنني قلت له : إن الكتاب عندي تام كامل مغلف من يد الشيخ رحمه الله . وأبدت استعدادي لإطلاعه عليه متى أراد ، كما أبدى أحد زملائنا في معهد القاهرة وهو الأستاذ الشيخ أحمد أبو شلابة استعداداه لإحضار الكتاب تاماً غير منقوص وهذا الكلام يجعل القضية الثالثة ، وهي أن الشيخ سرحان قال إن كل ما طبع من الكتاب الملازم الأولى ، غير ذات موضوع - كما يقولون :

٢ - النحويين التجديريين والتقليديين:

وكتب الشيخ عبدالحق عزيمة المدرس في كلية اللغة العربية مقالات ، في الرد على أصحاب فكرة تجديد النحو أو تبسييره، ونشر هذه المقالات في مجلة الأزهر .

ومنذ عهد قريب ، نشر كاتب آخر ثلاث مقالات طوال في هذا الموضوع وقد ألم الشيخ عزيمة بأراء هذا الكاتب في بحوثه هذه ، وظهر أثرها واضحا في مقالاته ، وكان التقليد العلي السليم أن يشير الأستاذ عزيمة إلى أنه بنى على ما كتب في هذا الموضوع حتى لا يؤخذ عليه أنه أخذ آراء غيره ونسبها لنفسه ، ولكن الشيخ - لأمر لا أعرفه ولا أستطيع التكهن به - أغفل هذا الواجب إغفالا تاما .

وكان يمكن أن نلتبس للأستاذ عذرا في أنه لم يقرأ تلك البحوث ، ولكن الذي أؤكد أنه الشيخ قابلني مرة ، وذكر إعجابه بها ، مما يدل على أنه قرأها ، وأمعن النظر فيها .

وما ينبغي أن أسجله هنا - بهذه المناسبة - أنني كتبت منذ أعوام في مجلة الأزهر بحثا بعنوان (قواعد بلا شواهد) وكان بحثا في بعض مسائل البلاغة التي لا نجد لها شواهد من كلام العرب ، وقد رأيت - آنذاك - أنه ينبغي أن نحذف هذه المسائل ، مادامنا لا نجد لها مستندا ، وإنما هي مجرد افتراضات

٣ - أما أن الدكتور درويش كان طالبا وقت أن طبع الشيخ كتابه فهذا لا يمنع أن يكون اطلع على الكتاب فيما بعد ، وكيف اطلعنا على عروض الخليل ، وبيننا وبينه ألف ومائتا سنة ؟ .

٤ - ولا ينقض عجي من سؤال الدكتور أنيس ، لماذا لم أكتب عن كتابه للآن ، مع أن كتابه ظهر منذ أكثر من عشر سنوات ، وكتب عنه الدكتور شوقي ضيف في مجلة الثقافة عام ١٩٤٩ ، والأسانذة العراقيون في مجلة الرسالة ، كأن من الحتم على أن أقرأ كل كتاب تخرجه المطبعة إبان ظهوره ، وإذا قرأته كان من الواجب أن أكتب عنه . وإذا كتبت عنه كان من الواجب أن تنشر لي المجلات ما أكتب . ١١ .

٥ - وقد لخص الدكتور درويش فكرته في أنها (تركيز على أساس عدم الربط ، وفك الصلة بين الدوائر وبين البحور ، وكذلك عدم ربط الزحافات بالتفاعيل) وقد أطلت النقل في مقال من كتاب الشيخ عبدالفتاح بدوي ؛ مما يدور حول هاتين المسألتين :

هذا . وقد بدا لي من حديث الدكتور معي أنه صادق فيما يقول من أنه لم يطلع على كتاب الشيخ بدوي ، ولو صحت فراستي هذه فسيكون هذا الأمر على أكبر جانب من الغرابة في توافق الخواطر .

١ - رانجون Rangoon وهى عاصمة البلاد وفيها برلمان الحكومة وهى مدينة شهيرة فى العالم قد نفي إليها واعتقل فيها آخر امبراطور مغولى فى الهند بها دير شاه ظفر، ودفن فيها ، وفيها عيون الذهب الأسود .

د البترول ، يرسل منها إلى أنحاء العالم — والمسلمون فيها أقل عدداً من البوذيين وهم ينشرون مجلات وجرائد فى اللغة الأردية والبورمية . ومن الجرائد اليومية التى تصدر فى الأردية دور جديد ، استقلال جنك ، وتصدر شهرياً استقلال .

٢ - ماندلى Mandalay وهى بلدة كبيرة كذلك وكانت عاصمة للبلاد فى الماضى وهى من أشهر مدنها ويسكنها المسلمون .

٣ - أكيب Akyab وهى مدينة تقع فى مقاطعة أركان على شاطئ البحر ، والمسلمون فيها أكثر عدداً وثروة من غيرهم ؛ لأنهم غالبون فى التجارة الداخلية والخارجية وفيها نحو خمسين جامعاً وفى كل جامعة مدرسة دينية تعنى بتثقيف الأولاد الثقافة الإسلامية وفيها مدرسة كبيرة تدعى (تكميل العلوم) يتعلم فيها زهاء ٣٠٠ طالب .

٤ - بوتهى دنج (Bothideng) وهى بلدة صغيرة — والمسلمون فيها أقل عدداً وأكثر ثروة ، وأكثرهم تجار . وفيها عشرون

منطقية ، وقد قابلنى بعد نشر البحث أحد الأساتذة الكبار ، وأبدى رغبته فى أن أزوره ليصحح لى أخطائى فى هذا البحث ، ولكنى لم أفعل . . ثم مضى عام ، ونشر الأستاذ بحثاً فى مجلة الأزهر ضمنه كل ما قلته فى بحثى ، ولم يشر بكلمة واحدة إلى صاحب الفكرة الأولى

كما ينبغي أن أنوه هنا — والشئ بالشئ . يذكر - بأمانة فضيلة الشيخ محمد على النجار ، فقد توقف فى بعض بحوثه فى نسبة أبيات إلى قائلها ، فلما لقيته أخبرته بصاحبها ، فجاء فى المقال الثانى ، ونسب الأبيات ، وأخبر أنه أخذ هذا عن أحد تلاميذه ، وذكر الاسم ، وكان من اليسير أن يترك هذا ؛ لأن نسبة أبيات إلى قائلها ليس أمراً ذا بال ، ومع ذلك أبى الشيخ إلا أن يضيف كل شئ إلى صاحبه .

على العمادى

مسلمو بورما :

تقع بلاد بورما فى شرق الهند والباكستان ، وكانت قبل سنة ١٩٣٧ م منضمة سياسياً إلى الهند ثم انقطعت عنها وصارت قطراً مستقلاً . أكثر سكانها من البوذيين أما المسلمون فإنهم أقل منهم عدداً وأكثر ثروة لأنهم غالبون فى مراكز التجارة كلها ومن أشهر مدنها :

فليست هناك حركة دينية خاصة تذكر ولكن جماعة الدعوة والتبليغ تبذل جهودها البالغة في سبيل نشر الدين، وقد غلبت في بعض البلاد على المسلمين الشيوعية وتسرب إليهم الإلحاد - وهناك حاجة ماسة لتكوين جماعة دينية إصلاحية تعنى بنشر الإسلام في البلاد كلها وتعنى بنشر الثقافة الإسلامية بين أبنائها وأن يكون هنالك معهد يعنى بتعليم الدين الإسلامى مع التعليم العصرى ويكون هذا المعهد خير مجمع للتعليم - وحينئذ يمكن لهم أن يتسكوا بعروة الدين والإسلام بقوة وإحكام .

نقى الدين الفربوسى

السوق الإسلامية المشتركة:

١ - يعرض لى وأنا أطالع أنباء التكتلات العالمية في دنيا الاقتصاد موضوع لا أستطيع إلا التفكير فيه ، فنحن أمة تؤلف ما يقارب ربع سكان العالم يعيش في عصر تتطاحن فيه الآراء والعقائد في نفس الوقت الذى تتطاحن فيه في ميادين الاقتصاد والمادة . فهناك ست دول أوربية انتظمت في السوق الأوربية المشتركة وجارتها بريطانيا لإنشاء سوق تنزعمه ، بالإضافة إلى أن الدول اللاتينية تسعى لإنشاء سوق بينها ، وكذلك الدول الشيوعية تسير وفق هذا الطريق .

جامعا تقريبا ومدرسة إسلامية كبيرة تعنى بتعاليم الدين يؤمها الطلبة من أقصى البلاد حتى طبق صيتها في بورما كلها - وأما الدعوة الإسلامية في هذه البلدة فيرجع فضلها إلى الأستاذ عبد المعين لأنه ينقل بعض كتب المغفور له الشيخ أشرف على ألتهانوى إلى اللغة البورمية .

٥ - مونجدو (Mongdow) هى بلدة صغيرة والمسلمون فيها أقل عدداً وثروة .
٦ - بروم (Prome) تقع على شاطئ البحر لها ميناء صغير عدد المسلمين فيها قليل .

٧ - نول (Nool) هى بلدة صغيرة أيضا أكثر المسلمين فيها يزرعون المطاط وفيها مدرسة دينية ذات صيت (مدرسة أشاعت إسلام) يقصدها الطلبة من بلاد قريبة .
جاندوى ، لاشو ، بهالو ، ما كوى ، موكر وهى مدن يسكن فيها المسلمون وهم أقل عدداً وثروة وليست فيها معاهد عليية إسلامية تذكر وكذلك في أكثر مدن بورما عدد المسلمين فيها قليل .

أحوالهم الاقتصادية : أكثرهم يتجرون في داخل البلاد وخارجها ولهم مصانع كثيرة في مدن مختلفة وأقلهم يزرعون المطاط والقمح والشعير والأرز وما إلى ذلك من الحبوب ، وعند بعضهم حدائق النارجيل والفواكه الطيبة . أما حالهم الدينية :

٢ — إن الشعوب الإسلامية تلتقي روحيا عبر حدودها الطويلة المترامية . وإن هذه أممكم أمة واحدة ، ، وتلتقي في مكة سنويا في اجتماع عام يحضره ممثلون عن أقطار الإسلام . هذا اللقاء لماذا لا يستخدم لخير هذه الشعوب فيكون اجتماعاً حافلاً يضم مندوبين عن الدول الإسلامية لبحث إنشاء كتلة اقتصادية تجابه الضغط الاستعماري الذي يبدو واضحاً في المستقبل القريب .

فنحن أمة ليست فقيرة في خاماتها إذ نملك نسبة ضخمة في احتياطي العالم من معظم المواد، وهذا مما يجعلنا قبة الأنظار من قبل الأسواق المشتركة الأخرى التي تعمل على الدول غير المستقلة اقتصادياً . ونحن نوجه هذه الدعوة لإنشاء هذه السوق الإسلامية المشتركة في الوقت الذي نرى فيه التقارب بين ملوك ورؤساء الدول الإسلامية يقوى يوماً فيوماً ، وليس أدل على ذلك من تبادل الزيارات بينهم وزيادة التفاهم في نصريحانهم المشتركة ونحن نبارك هذه الزيارات وندعو الله أن تتردد لخير هذه البلاد ورفعتها ووحدةها لاسيما ومعظم هذه الدول الإسلامية مستقلة ومتحررة من الاستعمار بشكل نهائي .

٣ — إننا اليوم نخوض حرباً أسمى من حرب الصواريخ كما قال رئيسنا هي حرب العلم وبالأحرى احتكار العلم وإذا تساندنا

نستطيع أن نلعب دورنا في اقتصاد العالم . والدنيا كلها تتطلع إلينا بشغف واهتمام لترى مكان الأمة التي ورثت حضارة الإسلام وترى شخصيتها ومعالمها . ولكن هل سبقنا كثيراً ؟ لا أظن إلا أن المستعمر أطلق أكذوبته بأننا نتخلفنا عن الركب ، إن بيدنا زمام الموقف إذا استفدنا من الوقت وعرفنا كيف نقفز إلى القمة فالمستحيل خرافة .

٤ — وعلى هذا الأساس أقترح إنشاء سوق دولية إسلامية تكون معرضاً سنوياً في مكة المكرمة ، فكعبة المسلمين تنتظر الدور اللائق بها لتقوم به في جمع المسلمين والدول الإسلامية تبحث يا نتاجها إلى أرض الحرم ، لبشاهده كل أخ وافد من كل قطر فيتعرف على النماذج التي ينتجها إخوانه في أقطاره الأخرى ليستبدلها بما يستورده من نفس المصنوعات من البلاد الأجنبية ، فالدول الإسلامية كانت دولة واحدة وهذه حقيقة تعيش في أذهان المسلمين .

ولكن : هل مكة بلد صالح لإقامة معرض إسلامي فيها ؟ وموسم الحج هل يجوز لنا أن نلتقي اقتصادياً فيه ؟ يجب على هذا السؤال الاقتصادي الأول عمر بن الخطاب : هل كنتم تتجرون في الحج يا أمير المؤمنين ؟ قال رضي الله عنه وهل كانت معاشهم إلا في الحج ؟ .

أحمد الرحاسي

حول منه أتى بهيمة يقتل :

عليه السلام من أتى بهيمة فلا حد عليه ،
رواه الترمذى . والعمل عليه عند أهل العلم .
وما روى من أتى بهيمة الخ .

فغير ثابت : زاد في التحقيق فقال وأنكره
مالك . وفي الكتاب المسمى بالمقدس في
الإصحاح العشرين من اللاويين « وإذا جعل
رجل مضجعه مع بهيمته ، فالبهيمة يميتونها
والرجل يقتل ، ومذهب الشافعى فيه ثلاثة
أقوال ومنها القتل والحد والتعزير . واختلف
في الأكل منها فبعضهم جوز وبعضهم منع .
من هذا ترى أن هذا كان في شريعة اليهود فلعله
سرى إلى العلماء من هذا خصوصا وبعضهم
طعن في صحة الحديث الذى رواه البغوى .
سيد على الطوبجى

بيانه المراد من كلمة :

جاء في افتتاحية العدد الماضى من المجلة
هذه الفقرة :

« وتكتيب الغوانى فى جيوش الاستعمار
سياسة سئتها فرنسا وتبعها إنجلترا ، وصادفت
هوى فى نفوس الصهيونيين فطبقوها على
نطاق واسع فى السياسة والتجارة والحرب .
ولا يزال لإخواننا الفلسطينيين يذكرون
(سوء عقابها فى التهديد لقيام إسرائيل)
وهذا الكلام واضح فى أن المراد به أولئك
الأغرار الذين فتنهم أموال اليهود ونساء
اليهود ، فباعوا أراضيهم للصهيونيين قبل

جاءت هذه الكلمة فى غضون مقال الأستاذ
محمود الشرقاوى وقد راجعنا المصادر الكثيرة
فرأينا فى مصابيح السنة للبغوى أنه حديث
وجرحه آخرون ، واختلف الأئمة فى ذلك فبعضهم
يقول يعزى وبعضهم يقول يحد ، وبعضهم
يقول يقتل ، وجاءت هذه الجملة فى العهد القديم
فى اللاويين « إنه من أتى بهيمة يقتل ،
والعلامة العدوى فى حاشيته على أبى الحسن
فى مذهب المالكية تعرض لهذا الحديث
فقال أنه لم يصح وقال إن هذا مذهب مالك
رضى الله عنه .

وتوضيح هذه المسألة أن البغوى فى
مصابيح الجزء الثانى ص ٢٦٢ روى حديث
« من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوهما ، والمنذرى
فى ترغيبه قال : « روى أبو داود عن ابن
عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أتى
بهيمة فاقتلوه واقتلوهما ، .

وهى رواية ابن ماجه والترمذى من رواية
عمرو بن أبى عمر عن عكرمة عن ابن عباس
وقد احتج به الشيخان وغيرهما : وقال الخطابى
قد عارض هذا الحديث نهى النبى عليه السلام
عن قتل الحيوان . وروى البيهقى مثل ما تقدم
والقيروانى فى رسالته على شرح أبى الحسن
قال : ولا يقتل واطى البهيمة وليعاقب لقوله

وإني أسأله ما معنى كآب وإنسان ، هل معنى ذلك أن يكون الرسول رءوفا رحيمًا كآب وإنسان غيره كشرع ورسول ومبلغ ؟ هذا مالا نقره وإننا نستبعد من نبي المساواة الذى يقول لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها والناس فى شريعته سواسية كأسنان المشط . أن يفرق بين بناته وبنات غيره فالكل سواء فى نظر الشريعة .

وإذا نظرنا إلى مناسبة الحديث وقصته ولم نقطعه عن سياقه كشفنا عنه الغموض . ولقد جاء فى رواية الزهري لهذا الحديث زيادة توضح ذلك قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « وإني لست أحرم حلالا ولا أحلل حراما ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله مع بنت عدو الله أبدا » .

فعلة المنع إذن أن الرسول لا يجب أن تجتمع ابنته مع بنت أبي جهل . وكان من الطبيعى أن يتوجس بنو هشام ابن المغيرة خيفة من رفض الرسول فيتقدم عم الفتاة الحرث بن هشام يستأذن النبي فى ذلك قبل أن يقدم على الموافقة على » .

وكيف تؤمن بنت أبي جهل بمجرد إسلامها أن تدخل بيت على وهو درع كبير من دروع الإسلام - إن الدول لا تبسح لسفرائها الدبلوماسيين وأصحاب الرأى فى جيشها أن يتزوجوا من دول أجنبية .

وعد بلفور وحدث المسألة . وكان ذلك ليذا نأنا بها وتمهيدا لها . ولكن أحد الطلاب فهم من هذه العبارة الواضحة أننا نجعل النساء ومن أغوينهن - السبب الأول والآخر فى ضياع فلسطين ويذكرنا بالخيانة فى الد والرمة والأسلحة الفاسدة ، وجلوب وعبد الله ونورى وهذا مسلم به ، فى أثناء المعركة وبعدها . ولكن حرب الله والنساء وما ترتب عليها من بيع الأراضى العربية للعصابة الصهيونية كان أسبق من هذا كله .

نعدد الزوجات فى الإسلام :

يقول الأستاذ خالد محمد خالد فى مقالة بجريدة الجمهورية : إن النبي رفض أن تكون لابنته ضرة وبدل على قوله بحديث عن المسور ابن مخرجه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إن بنى هشام بن المغيرة استأذنى أن ينكحوا ابنتهم علياً بن أبي طالب ، وإني لا آذن لهم ثم لا آذن لهم إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم فإنما ابنتى بضعة منى يربى ما رابها ويؤذنى ما آذاها . ويعلق الأستاذ خالد بقوله . وإذا كان الرسول وهو يحمل نفسا إنسانية غلبة لم يطق أن يرى لابنته ضرة . (لأنه كآب وإنسان وجد أن الأمر لا يحتمل أفلا نلتبس العذر للبرأة نفسها - أى امرأة - إذا ما طالبت بوقف التعدد الذى يجعل حياتها جحيمًا لا يطاق ؟ هذا ما قاله الأستاذ

نقيس على هذه المسألة ما يمانلها مما لم يرد فيه نص كتسميد القطن وعدم تسميده مثلاً وليس معنى ذلك أن نتكلم بهذه القاعدة في أمور الدين التي وردت فيها نصوص القرآن وسار على هديها الصحابة والمسلمون إلى اليوم ، وإلا كان الأمر فوضى إذا صح لنا أن نقيس أمور الدين على الدنيا ونتغاضى عن المنطق وشروط القياس فتقير الشيء على ما لا يشابهه وبذلك تتحلل من كثير من أحكام الدين ، وعلى فرض صحة قياس مسألة التعدد على هذه القاعدة : أتم أعلم بشئون دنياكم فالحكم يكون خلاف ما أردت ، ألا ترى أن الرسول وهو الحاكم المستول تركهم لاختيارهم فلو أن أحدهم لم يؤبر نخله لم يوجه إليه لوما ولو أبره لم يوجه إليه لوما ، فلم لا ترك أيضاً مسألة التعدد لم فهم أعلم بظروفهم الاجتماعية . والله يوفقنا إلى الصواب وطريق المعرفة .

مصطفى عبد المجيد هاشم

أستاذ التفسير بمعهد الزاويق الديني

أما أن الإسلام دين تطور ومرونة فذلك لا مرأ فيه ومرونة الإسلام تتحقق في توسيع دائرة التعدد . فالإباحة هي المنطقة الواسعة الكبرى بين الوجوب والتحريم فأنت في ظلها سيد نفسك ومالك أمرك وموكل لاختيارك بأن تفعل الشيء وأن تتركه ، فإذا وضع الإسلام مسألة تعدد الزوجات في هذا المكان فإنما هو المكان اللائق بها ، والمسير بها إلى منطقة أخرى من أحد الطرفين : الوجوب أو التحريم وضع للأمور في غير موضعها وتقييد للتطور والمرونة باسم التطور والمرونة ويقول الأستاذ في مقاله : إن هناك حجة حاسمة تغنيانا عن كل حجة ودليل ، ففي ذلك التفويض المطلق الذي منحه الدين للناس حين قال الرسول (أتم أعلم بشئون دنياكم ، وهذه من شئون الدنيا) ونقول له إن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ذلك في مسألة تأبير النخل حينما سأله في تأبير نخلهم ، فيصح لنا أن

الأصحاب

قال حكيم : الإخوان ثلاثة أصناف : فرع بائن من أصله ، وأصل متصل بفرعه ، وفرع ليس له أصل . فأما الفرع البائن من أصله فأخاء بني هلي مودة ثم انقطعت ، لحفظ على زمام الصحة ، وأما الأصل المتصل بفرعه ، فأخاء أصله السكرم ، وأغصانه التقوى ، وأما الفرع الذي لا أصل له فالموهو الظاهر الذي ليس له باطن .

أَنْبَاءُ الْأَزْهَرِ

الحرية التي فطروهم الله عليها ، وإلى السلام الذي يطمئن البشرية على حاضرها ومستقبلها ، لقد لمست هذه النواحي في كل جولاتي ، ومن أجل ذلك كان حبهم العميق للرجل الذي دعا إلى هذه المبادئ التي تتفق وما جاء في الإسلام ، وتضمنته شريعتنا الغراء .

إن شريعتنا تؤمن بالإنسانية لأنها دعوة الحق . من الحق جاءت وبالحق نزلت ، تؤمن بها غير مقيدة بجنس ولا لون ، ولا مرتبطة بنوع ولا مكان ، الأمر الذي جعل السلام شعارها والأمن طريقها . ولذا فلن تعرف الحروب وإنما ستظل دائماً داهية السلام وراعيته ، ومنشأ ذلك الأخوة التي تتمتع بها هذه الإنسانية والتي جاءت في كتابه تعالى : « إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » .

إن الأمم المتحدة الآن على الرغم من أن مبادئها الحفاظ على الحرية والدعوة إليها قد نقضت هذه المعاني فراح تحارب كل من تطلع إلى هذه الحرية وطلبها ودعا إليها ، وحرص على أن يعيش في أرضه آمناً مطمئناً .

الأستاذ الأكبر يعود من رحلته :

عاد فضيلة الأستاذ الأكبر يرافقه أعضاء البعثة الأزهرية بعد أن لبى دعوة حكومة أندونيسيا ومسلمي الفلبين واتحاد الملايو ، وقد كان في استقبال فضيلته في مطار القاهرة الدولي السادة سفراء هذه الدول والمحققون السياسيون والثقافيون والعسكريون لها ، وفضيلة وكيل الجامع الأزهر ومدير المعاهد الدينية وعمداء الكليات ومدير الوعظ والإرشاد وشيوخ المعاهد وأعضاء هيئات التدريس بالكليات والمعاهد والطلاب .

وقد أدلى فضيلته بالتصريح الآتي : —
« إنني أشكركم على حسن استقبالكم ، كما أشكر المولى سبحانه على ما لمسته في جميع الاستقبالات في الدول التي زرتها من محبة صادقة لكم — يا أبناء الجمهورية العربية — ولرئيسها وقائدها ، لما يلبسون فيه من معان ومبادئ ومثل .

أبنائي : إن شعوب الأرض متطلعة إلى

« يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله ولرَسُوله
إذا دعاكم لما يَحْيِيكُمْ . »

« وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، حقق
الله لنا النصر ، وعاشت الأمم المكافئة
الداعية إلى الحرية والسلام ... »

وما زال الزائرون يتوافدون على منزل فضيلة
الاستاذ الأكبر مهتئين فضيلته بسلامة الوصول
من رحلته الموقفة .

كما تلقى فضيلته مئات البرقيات والرسائل
للتهنئة بالعودة ، وشهر رمضان .

الاستاذ الأكبر يعود إلى مكتبه :

عاد فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمود
شلتوت شيخ الجامع الأزهر إلى مكتبه صباح
الثلاثاء ٢١/٢/١٩٦١ بعد عودته من
رحلته إلى الملايو وأندونيسيا والفلبين .
وقد توافد على مكتب فضيلته كثير من
المسلمين وعلباء الأزهر وموظفيه وطلابه .

وقد ألقى الاستاذ الدكتور محمد ماضى مدير
عام المعاهد الدينية كلمة عبر فيها باسمه وباسم
أساتذة المعاهد وطلابها عن عميق شعورهم
بعودة فضيلته من رحلته موفقا فى مهمته
الإسلامية الكريمة .

لقد تغاضت عما جرى فى فلسطين ، وأصمت
آذانها عما يحدث فى الجزائر ، وفرت الأمة
التي سعت فى الحصول على استقلالها والتمتع
بحريتها ، وخلقت منها عملاء ضربت بهم
الحاكم الشرعى ، وقضت عليه ، ولكن
المبادئ دائما لا تموت . إن دولة الكونفغو
الحريصة على أن تحيا متمتعة بحريتها ستظل
المكافئة المجاهدة تستمد من المبادئ الإنسانية
ما يقويها ويشد أزرها حتى تطارد عناصر
الشر وتقف فيها عناصر الخير قوية راسخة .

إننى أوجه إلى أبنائى وإخوانى الذين
يؤمنون بالمبادئ القوية فى أنحاء الأرض ،
ثم إلى إخوانى المسلمين فى جميع شعابها
ونواحيها ، أن يقفوا جميعا للإنسانية صفاً
واحداً وأمة واحدة ، يطاردون روح السيطرة
الباطلة والطغيان الأعمى لتتصر المعانى والمثل .
« فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع
الناس فيمكث فى الأرض . »

وما أقوى ما اشتمل عليه شهرنا المبارك
من معانى الاتحاد والوحدة والائتلاف
والترابط .

ثم على معنى الصبر الذى يقوى فىنا روح
الآمل ويدفعنا إلى التعاون فى كل ناحية من
نواحي حياتنا .

بإحياء الفكرة الإسلامية في تلك البلاد التي طالما تمطشت إلى قائد يجمع شملها ويوحد كلمتها .

إن موقفكم هذا - يذكرنا بأولئك الفقهاء العظام الذين كانوا يجمعون بين القيادة والسياسة والدين والحكمة . إن رحلتكم إلى الملايو ، وأندونيسيا ، والفلبين ، تعيد إلى الإسلام سنته الرشيدة التي كان عليها العلماء العاملون . فكم لك في التاريخ من مجد عظيم وفي قلوب العلماء من حب وتقدير .

لتدم أيها الشيخ - لابنائك ، لتلاميذك ، ولل فكرة الإسلامية داعياً وسفيراً .

الأستاذ الأكبر بشكر الوفود :

وقد شكر فضيلة الأستاذ الأكبر الوفود التي أقبلت إلى مكتبته لتنهتته بالعودة قائلا : إنني لأشكركم على هذه التحية المباركة التي صادفت شهر رمضان . ويهمني أن تعرفوا أنني قد عدت من أرض أهلها كنت يريده أن ينهض من باطن الأرض ، لا يقبل ماء ولا سمادا إلا من الأزهر . هذا النبات المتطلع إلى الحياة يتلصص منكم التوجيه والإرشاد ، وفقكم الله لإحياء هذا النبات الذي لمسته بيدي ورأيت به عيني ، وسمعت به أذني .

ثم قال سيادته مخاطبا الشيخ : لقد عهدنا فيكم دائما أن يوفقكم الله في كل مهمة تحملونها على عاتقكم فانت شيخ الإسلام ، وقائد النهضة الإسلامية التي تؤدي واجبا في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، وإننا إذ ندعو الله أن يعينك على حمل هذه الرسالة وأدائها - نعاهدك على أن تعمل من ورائك دائما لخير الإسلام والمسلمين .

ثم قام فضيلة الشيخ محمد مرسى مفتش العلوم الشرعية فأشاد بمجهود فضيلته الموقفة لتوثيق الصلات بيننا وبين هذه البلاد الإسلامية قائلا : لقد كنت يا فضيلة الأستاذ الأكبر همزة الوصل بين الأزهر وبين هذه الشعوب الإسلامية ، وأنا واثق أن كل فرد في هذه الشعوب يمكن للأزهر وللجمهورية العربية المتحدة ولقائدها الرئيس جمال عبد الناصر كل حب وإخلاص بعد قيامكم بهذه الرحلة . ثم استقبل فضيلته علماء كلية الشريعة وعلى رأسهم فضيلة الشيخ محمد المدني عميد الكلية الذي هنا فضيلته باسمه وباسم أساتذة الكلية وطلابها بالعودة من رحلته .

ثم ألقى فضيلة الشيخ سعاد جلال الأستاذ بكلية الشريعة كلمة قال فيها : لقد عدت يا فضيلة الأستاذ الأكبر من رحلتك موقفاً ، فقامت

والرسائل من كثير من المسلمين والهيئات الإسلامية في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، وذلك بمناسبة عودة فضيلته من رحلته إلى الملايو وأندونيسيا والفلبين ، وبشهر رمضان المبارك .

وضع حجر الأساس لمبنى معهد دمياط :

احتفلت محافظة دمياط بالاشتراك مع معهد دمياط الديني في اليوم الأول من رمضان بوضع الحجر الأساس لمبنى معهد دمياط الجديد .

وقد ألقى فضيلة شيخ المعهد كلمة تاريخية أشاد فيها برسالة الأزهر ، والمعاهد الدينية ، وقال : إن هذا المعهد الجديد هو إحدى المنشآت التي نفخر بها في عهد الثورة الكبرى وإذا كنا شكرنا للسيد الرئيس جمال عبد الناصر يتضمن شكرًا لمحافظة دمياط الجليل ، فإن أعماله المجيدة في حقل حافظته التي وهب لها عقله وقلبه ونشاطه ، واستعذب في سبيلها كل صعب - كل ذلك يحملني بالنيابة عن علماء الأزهر وطلابه أن أوجه خالص الشكر لسيادته .

والمعروف أن معهد دمياط أنشئ في سنة ١٩٨٠ هـ .

إني لأعاهدكم أن أبذل بقية حياتي في سبيل نشر الإسلام وخدمة الدين ، والقيام على أصل الشريعة ودراستها ونشرها .

ثم نهض فضيلة الأستاذ الشيخ محمد المحدث عميد كلية الشريعة قائلا : بالنيابة عن أساتذة الكلية أقبل يد فضيلتكم ، فأبى فضيلته إلا أن يسم على كل منهم واحدا واحدا .

الأستاذ الأكبر بتبرع بتسعين ألف روية وقد تبرع فضيلة الأستاذ الأكبر في أثناء رحلته بتسعين ألف روية ، على الوجه الآتي :

٥٠٠٠ ر. لمتكروبي السيول في أندونيسيا .

١٠٠٠ ر. لبيت الأيتام في جاكارنا .

١٠٠٠ ر. للملجأ العميان في باندينج .

١٠٠٠ ر. للمعهد الديني في جنتور (فندق مودرن) .

٥٠٠ ر. لبيت الأيتام في (ميدان) شمال سومطرة .

٥٠٠ ر. لمدرسة التربية الحديثة في (ميدان) بمناسبة وضع الحجر الاساسي لمنشأتها الحديثة .

تهنئة شيخ الأزهر بالعودة وشهر رمضان :

تلقى فضيلة الأستاذ الأكبر مئات البرقيات

٢ - للمرأة المسلمة أن تحتفظ بأملها
وتتصرف فيها بمفردها بعد الزواج .

٣ - للمرأة مثل الرجل حق الانتخاب
والتصويت وترشيح نفسها للهيئات العامة
وإبداء رأيها .

٤ - للمرأة مثل الرجل أن تحضر دروس
الوعظ والإرشاد كما أن لها أن تعظ وترشد
غيرها من الرجال أو النساء على السواء .

٥ - على المرأة أن تؤدي فرائض الإسلام
من صوم وصلاة وحج وزكاة مثل الرجل
إلا أنها يجب أن تذهب إلى الحج في حجة
محرم أو زوجها .

٦ - لا يجوز أن تنفرد المرأة برجل غير
زوجها أو محرم وعلى الرجل مثل ذلك .

٧ - يمكن للمرأة أن تسافر للخارج طلباً
للعلم أو للعمل على شرط أن تحافظ على شرفها
وعفتها وكرامتها .

٨ - يحق للمرأة أن تعمل الأفضل
اشتغالها بالأعمال الإنسانية .

٩ - على المرأة أن تحافظ على مال زوجها .

١٠ - عليها رعاية أبنائها وتربيتهم التربية
الدينية الصحيحة ..

وأبدى المسلمون في الفلبين لنا حاجتهم
إلى إنشاء مركز ثقافي إسلامي وإلى علماء

ووعاظ . وهذا قيد البحث الآن ، وفي أندونيسيا
وقعنا اتفاقية ثقافية لتوثيق عرى الصلات

والروابط بين المسلمين هناك والأزهر ، وتشجيع

الإسلام والاستعمار في الشرق الأقصى

تحدث الأستاذ الأكبر إلى جريدة الأخبار
قال : إن المسلمين في هذه المنطقة كانوا
ينتظرون هذه الزيارة .. بدا ذلك واضحاً
من استقبالاتهم وحفاوتهم في الملايو
وأندونيسيا والفلبين ... إن المسلمين
هناك في حاجة شديدة إلى معرفة الإسلام
وأحكامه عن طريق الأزهر .. وأن آمالهم
ترتكز في ذلك على الجمهورية العربية المتحدة ..
وجمال عبد الناصر رئيسها والأزهر الشريف
وأن المسلمين في الفلبين كونوا فرقاً من المتطوعين
ليحاربوا معنا أيام العدوان الثلاثي .

وتحدث الشيخ شلتوت عن حياة المسلمين
هناك .. فقال : إن عددهم يبلغ ٨٢ مليوناً
في أندونيسيا وثلاثة ملايين في الفلبين وخمسة
ملايين في الملايو .. الشيء الذي يحز في نفسي
أنني رأيت أصابع الاستعمار واضحة في تأخر
المسلمين هناك ، لقد حاول تحريف المفاهيم
الإسلامية كدعوتهم مثلاً إلى الزهد والتقصير
الشديد والبعد عن العلم والتعليم حتى استطاع
إبعادهم تماماً عن الحياة العملية ومظاهر المدنية
الحديثة ... وقد وضعت عشرة مبادئ
هناك تعتبر دستوراً للمرأة المسلمة هذه
المبادئ هي :-

دستور المسلمات :

١ - لا تزوج المسلمة من غير المسلم .

وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان
ما لم يعلم . . .

ولقد تحدثت فى إحدى المحاضرات
فى جاكارنا بأندونيسيا على أثر استفتاءات
كثيرة من الملايو وأندونيسيا سواء
من الرسميين أو من الشعب عن حاجة المسلمين
الملحة لإنشاء مجمع على إسلامي يجمع علماء
المسلمين من مشارق الأرض . . ومغاربها

لا فرق بين مذهب ومذهب وإقليم وإقليم
لينظر فى ما يعرض للمسلمين من مشاكل
وخاصة فى النواحي الاقتصادية الحديثة وغيرها
التي استحدثت فى العصر الحديث ورأى
الإسلام فيها . وقد نص البيان المشترك بيننا
وبين الحكومة الأندونيسية على أن يقوم
الأزهر بإنشاء هذا المجمع العلمى الإسلامى
وهو الآن يأخذ طريقه نحو التنفيذ .
ومن الأعمال التي تمت فى الرحلة الاتفاق بيننا
وبين الملايو على إشراف الأزهر على امتحان
المدارس الابتدائية والثانوية الدينية بالملايو
تمهيداً لالتحاقهم بالأزهر . وتوقيع اتفاق
مع وزير التربية والتعليم بالملايو على الاشتراك
فى مؤسسة تبسج الأزهر لطبع ونشر القرآن
الكریم لمواجهة تحريف إسرائيل وطلبوا منا
أن يكون الأزهر مصدر الفتوى لكل ما يتعلق
بالدين واعترفنا بشهادة الكلية الإسلامية
بالملايو .

البعثات التعليمية إلى الأزهر وإرسال الكتب
الدينية واللغوية وتبادل الرسائل والبحوث
العلمية والمحاضرات الجامعية وإقامة اجتماعات
دولية للطلبة المسلمين وأساتذتهم من جميع
أنحاء العالم للتعارف وتبادل الآراء والأفكار
فيما يخص تقدم المسلمين فى جميع أنحاء العالم .

تنظيم الفصل :

ومضى شيخ الأزهر يتحدث عن أصابع
الاستعمار والصهيونية فقال : لقد فوجئت
هناك بأن الاستعمار يدعوهم إلى كثرة النسل
بدعوى أن الإسلام يقر ذلك . . وعرفت
أن أحد الوزراء المسلمين لديه ١٥ ولداً
وهو عدد قليل بالنسبة للعامة . . وذلك
فى نفس الوقت الذى يدعوهم فيه إلى التقشف . .
وذلك بقصد زيادة فقرهم . . ولكنى أعلنت
هناك أن الإسلام يأمر بتنظيم النسل . . وإن كان
محرم إيقافه أو تحديده .

وأعلنت هناك أيضاً . . أن الإسلام دين
العمل ودين السلام والجهاد وأن الإسلام
أيضاً دين العلم وذلك ليواجهوا مؤامرات
الاستعمار . . وقلت فى جميع المحاضرات
التي ألقيتها أن الله سبحانه وتعالى رفع من شأن
العلم فى أول وحى أنزل على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال تعالى : « اقرأ باسم ربك
الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ »

فهرس أبجدى عام

لموضوعات المجلد الثانى والثلاثين

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
الإسلام فى استراليا	١٧١	حرف (ا)	
الإسلام فى إفريقيا الشرقية	٧٥٣	الشيخ إبراهيم حمروش	٩٦٥
الإسلام فى أمريكا الجنوبية	٤٨٥	ابن القيم (كتاب)	١١٥٥
الإسلام فى تايلاند	٨٥٠	أبو الحسن الشاذلى فى معركة المنصورة ...	٤٧٣
الإسلام فى تركيا	٦٣١	أبوة وبنوة وقصيدة،	٥١٥
الإسلام فى كوريا	٩٨٧	الآثار الأدبية فى إنتاج الفلاسفة	٨٤٣
الإسلام فى الكونغو	٥٩٦	أخلاق السكون وأخلاق الحركة	٧١٦
الإسلام فى نيجيريا	٧٣٠	أدب الجففس جريمى فى حق الدين والمجتمع	٦١٩
إسلام صحفى فى المكسيك	٧٧٤	الأدب العربى أذى رسالته ويؤديها ...	٤١٥
الإسلام والمسلون فى أمريكا	١٠٩١	أديان الدعوة	٩٤
الإسلام والحياة المعاصرة فى أحاديث		آراء العلماء فى الربا	٨٣٢
الرئيس أيوب خان	٦٩٨	الأزهر فى حاضره وماضيه	١٠٧
الإسلام والسلام	٨٧٥	الأزهر والملايو	١٠٤
الإسلام والمبادئ المستوردة وكتاب، ...	١١٥٢	أزهرى فى روسيا عياد الطمطاوى، ...	١٩٢
الإسلام والمدنية المثالية	٣٦٢	استدراك وتعقيب د عن مجلة الرسالة،	١١٢٥
أعداء العروبة والإسلام	٨٦٢	الاستعمار فى الشرق الأوسط	١٤١
إفريقيا الجديدة والإسلام	٣١٥	أسد بن الفرات الفقيه الغازى	١٠١٦
الله فى القرآن الكريم	٦٧٤	الإسلام دين العلم والتطور	١١٤١
إليه يصعد الكلم الطيب والعمل	٨١٩	الإسلام دين ودنيا د كتاب،	١٠٢٦
الصالح يرفعه	٩٤٩	الإسلام والجمال للكتاب الفرنسى	١٠٨٥
الاتفعال الخلاق عند الفيلسوف برجسون	٤١٨	بيبروانسواى	٢٨٣
إنه عربى	٧٣	الإسلام حقيقة وجوهر	٦٣
		الإسلام دين المحبة	٦٣

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٣٧	أوزان الشعر العربي	٤٦٦	جامعة القرويين بين الماضي والحاضر
٤٢١	الإيمان بآله	٦٠٤	جامعة النجف الأشرف
	(ب)	٨٧	جزيرة لامو : مركز الثقافة الإسلامية
٧٩٧	بيان للسلبين من الأستاذ الأكبر ...		في شرق إفريقيا
	(ت)	٤٨١	جلال الدين السيوطي
٢٠٩ ، ٤٧٦	تأليهة القرن الثامن عشر وهل معتقدوها مسلمون ؟	٨٢٦	جمالة وضلالة
٧١٠	التجديد في العروض		(ح)
٦٦٥	ترجمة المفردات أو العبارات	٥٧	الحركة التنسكية في القرنين الأول والثاني للهجرة
١١٦٣	تعدد الزوجات	٧٩٩	الحروف العربية أصلح الحروف لكتابة اللغات
١١٤٣	تطور الإسلام ، كتاب ،	٣٠٤	حرية العقل والفكر والإرادة
٢٩١ ، ٥٦٩	تطور الفقه الإسلامي	١١٣٢	الحسن البصري الزاهد العابد
٣٦٨	تقويم الفكر الديني وصلته بالقومية العربية ، كتاب ،	٩٤٤	الحقوق والواجبات في الإسلام
٢٨٧	توجيهات علوية من جانب الله إلى عباده قولهم : توتر العلاقات	١١٥١	الحلال والحرام في الإسلام ، كتاب ،
٦٢٧	توضيح المعاني في البلاغة ، كتاب ،	٢٤٥	حكم الدين في استحضار الأرواح
٥٤١	تيسير على قاعدة	١٠٤٥	حكم الطاعة وتكليفه شرعا
	(ث)	٩١٢	حول تجديد العروض
٤٠٧	ثوراتنا الثلاث تعوزهن رابعة	١١٥٧	حول تجديد العروض
٥٦٤	الثورة الرابعة ضرورة محتومة	٤٥٩	حول التفسير العلمي للقرآن
٦٨٢	ثورة العالم الإسلامي اليوم	٣٠٢	حول الخطوة الثانية
٨٩٥	قولهم : ثلاثمائة وتسعة		
	(ج)	٧٨٨	حول كتابة المصحف بالإملاء الحديث
٥٤٤	جامعة القرويين وإسهامها في حفظ التراث الإسلامي	٩١٤	حول كتابة المصحف بالإملاء الحديث
٤١١	جامعة القرويين في الجمهورية العربية المتحدة	١٠٤٨	حول من أتى بهيمة يقتل

صفحة	للموضوع
	(ذ)
٩٠٦	ذكرى الهجرة « قصيدة »
١	من ذكريات المحرم - هجرة في سبيل الله
...	وشهادة في سبيل الحق
	(ر)
٢٢٤	رأى في نبي الإسلام بين الأنبياء ...
٥٢٦	الربا الذي نزل فيه القرآن
١١٢٠	رجل الدين وثقافة عصره
١١٥٦	الربا « كتاب »
١٠٣١	رحلة في سبيل الإسلام
٦٤٣	رئيس جمهورية باكستان « قصيدة » ...
٦٣٥	رسالة الدين وأثرها في الروح البشرية ...
١٠٥٣	رمضان ستة لا شهر
٩٥٤	رمضان في تاريخ مصر الإسلامية ...
	(ز)
٦٧	الزواج في الإسلام
١١٣٦	زواج المسلم بغير المسلمة
٦٢٨	قولهم : زر أضرار القميص
	(س)
١١٦٠	السوق الإسلامية المشتركة
٧٣٦	سيد بن علي المرصفي
	(ش)
١٠١٨	شاطىء التوبة « قصيدة »

صفحة	للموضوع
٣٩٨	حول نشأة النحو العربي
	(خ)
٢٦٧	خاتم الأنبياء
٧٤٤	الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم
٨٨٩	في الإسلام
٣٣	الخروا وأخواتها رجس من عمل الشيطان
١٠١٩	خواطر عاقر « قصيدة »
	(د)
٦٥٠	دراسات في اللغة العربية للخضر حسين
...	« كتاب »
١١٤٩	دعاء إلى الله « قصيدة »
٦٤٨	دعوة الإسلام « كتاب »
٥٠٤	دور الكتب وأثرها في الثقافة الإسلامية
٥٠٨	ديمقراطية الإسلام
٢٧	الدين والعلم الحديث نزعة ضارة خاطئة
٨٢	الدين للضرورة أم للكمال ؟
٩٩٢	دين السلام
١٩٥	الدين في عصر الحضارة الصناعية ..
١٥٢	الدين والقومية في إفريقيا الجديدة ...
٢٩٩	الدين حرية
٦٣٩	ديانات العالم السبع المعظمي

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٤٤٥	الشباب العربي والحياة المعاصرة ...	١١٥٠	عبد الله بن سبأ ، كتاب ، ...
١٠٢١	الشرق الأدنى الإسلامى ...	٩٠	العبادة فى الإسلام لا يجوز أن تصحبها
٣٧٧	الشرق الأوسط فى العصر الإسلامى ...	الموسيقى	
٢٠٥	الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان ...	٤٤٩	الشيخ عبد الجواد رمضان ...
٨٨٥	شريعة الله الخالدة ...	١٥٩	الشيخ عبد المجيد سليم ...
٥٣٤	الشعب الذى تحدى القدر وقدر ...	٦١٧	العدالة الاجتماعية فى الإسلام ...
٧٧٠	شعراء نجد المعاصرون ، كتاب ، ...	٥٥٩	عداوة الأغنياء للصلحين من آفات المجتمع
٦٣٤	شهر القرآن ...	٣٩٤	العربية لغة إفريقيا ...
٢٥٩	شهر ربيع الأول فى حياة الرسول ...	١٦٦	العصر الذهبى للتصوف الإسلامى ...
١٣٣	الشورى فى الإسلام ...	٧٥٩	العلم والفن فى نظر الإسلام ...
٩٩٨ ، ١١٠٨	شئ من النقد ...	٥١١	عقيدة الذات الإلهية فى الإسلام ...
	(ص)	٣٧	العباد الإصهابانى ...

(غ)

٨١٥	الغضب بجلبة لسوء الظن والندم ...
-----	----------------------------------

(ف)

١١٩	فتاوى فى الشيوعية لأئمة الشيعة فى العراق
٩٦٠	فريضة الصيام وتطورها فى المجتمعات
...	الإنسانية ...
٧٧٢	الفقه والتصوف ، كتاب ، ...
٧٥٠	الفقه والقضاء ...
٢٠٩	قولهم : فعيل فى معنى مفعول ...
٨	فن جديد من فنون الدعوة ...
٣٨١ ، ٢١٨	فى سبيل الوطن ، مسرحية ، ...
١٠٢٩	فى ظلال العقيدة ، كتاب ، ...

(ض)

٩٣٩	ضراعة الأخيار شفاعة للذنبين ...
-----	---------------------------------

(ع)

٧٥٧	العابد المثالى (الفجر) ، قصيدة ، ...
٧٧	عامر بن شراحيل الشعبى ...
٨٥٥	العاطفة الدينية عند البارودى ...
٦٢٣	العاطفة الدينية وأثرها فى الأدب العربى ...
٥٥٦	عاجو السارق بما أمر به الله ...
٢٢٩	العالم الإسلامى يستنكر اعتراف الشاه
	بإسرائيل

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	(ق)		(م)
١٧٦	القاضي الفاضل د حياته ،	١٠٦٤	المؤمنون ينصرون بالحق وإن قلوا ...
١٠٩٩	القاضي الفاضل شعره ،	٤٣٤	الحجة
٦٠٨	القرآن والقومية العربية	٥٧٦	محمد بن مالك
٧٧٣	قضايا الفكر في الأدب المعاصر د كتاب ،	٣٦٦	محمد رسول الإنسانية
	(ك)	٣٥٢	محمد والقرآن في رأى نيكلسون ...
٥٨٣	كتابة المصحف بالإملاء الحديث ...	٣٧١	محمد والقومية العربية
١٤٧ ، ١٣	الكرامة والعزة في القرآن الكريم	٦٥٥	محمد الأزهرى الأمريكى
٣١٩	كلا . لا يتنفع الميت بعمل الحى ...	٢٩٢	المدائح النبوية في شعر شوقي
٩٠١	كلام عن الإسلام والعرب	٦٨٥	مستولية المرء عن إضلال نفسه ...
٩٢١	كيف كان الأزهر حصناً للغة العربية	٢٢٥	المسلمون في باكستان
٨٢٠	كيف نصل إلى تطوير الفقه الإسلامى	٢٢٤	المسلمون في سيام
١٨٤	كيف نصلح النحو العربى	٢٢٣	المسلمون في الفيليبين
	(ل)	٩٧٣	المسلمون في الهند
٩١٧	اللزوميات والصيام	٤٣٩	مشكلة الخط العربى ،
٢١	لحات زاجرة من صدر التاريخ د كتاب ،	١٠٧٧	مصطلحات سيوية في أصوات العربية
٦٤٦	اللع لابى نصر الطوسى د كتاب ، ...	٤٤٤	المصطلحات العروضية
٣٤٨	اللهجات العربية في آسيا الوسطى	١٠٢٥	المعاملات الحديثة وأحكامها
٧٦٦	اللغة الشاعرة للعقاد د كتاب ،	٣٢٧	معركة بيت المقدس وأثرها في الأدب
١٠٥٧	اللغة العربية بين لغات الحضارة العصرية	٩١١	مقال الجبهان والشيعة
٦٥٠	لماذا أسلت د كتاب ،	٢٧٧	مقومات الروحية أمام المسألة العالمية
٨٩٧	لن الناصبة وتأيسد النفى	٤٢٥	
٦٥٨	لويلا - لا ليليا	٥٥٢	
١٢٩	ليس بعد الدين وازع	٨٨٠	مكانة الإنسان في الإسلام
		٦٦١	مكنوا للأزهر في إفريقيا الجديدة ...
		٣٣٨	الملازمة أو الملازمة

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
قولهم : نسائم في جمع نسيم	٦٢٩	من الفتوة الإسلامية	٧٩١
النسخ في القرآن الكريم	١٠٦٩	من ذكريات المحرم - هجرة في سبيل الله	١
النسخ في الشريعة الإسلامية	١١٥٣	وشهادة في سبيل الحق	٣٤٤
نشأة النحو العربي	٤٧	من روائع شاعر الإسلام إقبال : ...	٧٣
النظرية العامة للإثبات في الحدود ...	٦١٣	من مشاهد الهجرة - إنه عربي ...	١٠٢٤
النفقة وصلتها بقانون الوضع الجديد	٨٩٩	منهج التربية في القرآن	٥
نظرية الإسلام الاقتصادية ، كتاب ،	٦٤٩	من ينابيع الهجرة	٢٦٣
نهج البردة	٥٩٠	موالاته الأعداء وموقف الإسلام منها	٥٢٣
نومة صاحبة قصيدة ،	١١٤٨	موجة من الإلحاد في أندونيسيا ...	٢٧١
(ه)		موقف الإسلام من التطور الاجتماعي	٤٢٩
هجرة الرسول	١٠٠	وفقا لمقتضيات العقل	٢٩٩
هدنة اليقط	٦٠١	موقف الناس بين الدعوة إلى الهداية	٢٩٩
(و)		والجنوح إلى الغواية	٢٩٩
الوازع الديني والثقافة العلمية	٥٠٠	مولد الرسول ورسالته	٢٩٩
الوصايا العشر ، كتاب ،	١٠٢٧	(ن)	
(ي)		نار وأصفاد ، كتاب ،	٥١٧
اليبازوري الوزير	١٠٩٤	النحو بين التجديد والتقليد	٣٢٢
يقظة العالم الإسلامي للكاتب الألماني فونو	١٠٨٥	النحو والمنطق	٧٢٣
اليوم الذي يساوي خمسين ألف سنة	٨٨٧	نداء من الأستاذ الأكبر إلى العالم الإسلامي	٨٦٧
			١٠٠٤
			٧٠٤
			٥٣٧

فهرس أبجدى عام لكتاب هذا المجلد

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
أحمد عبد الجواد الدوى	٣٣٩	ابراهيم عبد الباقي	٨٨٥
أحمد عبد المنعم البهى	٣٦٦		٢١٨
أحمد على منصور	٦١٧		٣٨١
أسعد حسنى	٤٦٦	ابراهيم محمد نجما	٦١٩
أنور العطار	١٠٠		٧٥٧
	٤٧		١١٥٤
تمام حسان	٤٣٩	ابن سليم	٨٧
	٧٠٤	أبو الحسن على الندوى	٩٧٣
	١٠٧٧		٣٢٧
	٣٦٥	أحمد أحمد بدوى	٥٧٦
	٤٨٥		١٠٩٩
جمال الدين الرمادى	٦٣١	أحمد أمين	٦٨٢
	٨٧٥		١
	٩٦٠		١٢٩
	١١٣٢		٢٥٩
حسن الأعظمى	٣٤٤	أحمد حسن الزيات	٤٠٧
حسن الشبخة	٤٨١		٥٣٤
	٧٤٤		٦٦١
حسن عبد العزيز نصر	٨٨٩		٧٩٣
	١٠٩٤		٩٢١
حمودة عبد العاطى	٦٣		١٠٥٣
		أحمد الشرباصى	٩٩٢
			١١٤١

الاسم	الصفحة	الاسم	صفحة
	٩٠١	راشد رستم	٣٥٢
عباس محمود العقاد	٩١٧	سعد توفيق حمدى	٥٠٠
	١٠٢١	سليمان دنيا	٥٠٤
	١٠٥٦	سميرة المغربى	٥٣٣
عبد الجليل عيسى	٥٥٦	الصاوى شعلان	٧٣
عبد الحليم محمود	٤٧٣		٣٤٤
	٣٢٣		٢٠٥
عبد الخالق عضيمة	٧٢٣	عباس طه	٣٦٢
	٨٦٧		٥٠٨
	١٠٠٤		٦٣٥
عبد الرحمن العدوى	٢٠٢		٧٥٠
	٣٧١		٨٩٩
عبد الرحيم فودة	٦٠٨		١٠١٦
	٨٦٢		١٠٤٦
	٢١		٩٤
	٢٨٧		١٣٥
	٤٢٩		٢١٤
عبد اللطيف السبكى	٥٥٩		٢٦٧
	٦٨٥		
	٨١٥		٣٧٧
	٩٣٩		٤١٥
	١٠٣٤	عباس محمود العقاد	٥١١
	١٨٤		٥٤١
عبد الله درويش	٤٤٤		٦٣٩
	٧٦٦		٦٦٥
	٩١٢		٧٥٣
			٧٩٩

الاسم	صفحة	الاسم	صفحة
	١٤١	عبد المنعم محمد الشيخ	٦٠١
محمد البهي	٢٧١	عبد الموجود عبد الحافظ	١٩٢
	٤٢١		١١١٦
	٥٤٤		١٧١
	٦٦٧		٥٩٦
	٨٠٢	عطية صقر	٧٣٠
محمد سعاد جلال	١٠٦٩		٨٥٠
محمد رضا المظفر	٦٠٤		٩٨٧
	١٥٩	علي الجندي	٦٤٣
	٣٥٧		٣٧
	٤٥٩		١٧٦
محمد رجب البيومي	٥٨٣		٢٩٢
	٧٣٦		٤٤٩
	٩٠٦	علي الهامري	٥٩٠
	٩٥٤		٧١٠
	١١٢٥		٨٥٥
محمد سلام مدكور	٦٧		٩٩٨
	٤٩٣		١١٠٨
محمد عطية راغب	٦١٣		٥١٥
	٧٢٠	عمر بهاء الدين الاميري	١١٥٣
محمد عبد الرحمن سيد فهمي	٧٨٧		٣١٩
	١١٢	عمر الجندي	١١٤٨
	٣٨٦	مالك بن نبي	٧٧
محمد عبد الله السمان	٦٤٦	محمد ابراهيم الجيوشي	٥١٧
	٧٦٩		٦٢٣
	١٠٢٤	محمد أحمد العزب	١٠١٩
	١١٥٥		

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
	٣٠٤	محمد علي النجار	٢٠٩ ، ٦٢٧ ، ٨٩٥ ، ٩٦٥
	٤٣٤		٥٧ ، ١٦٦ ، ٣٠٩ ، ٤٧٦ ، ٨٤٣ ،
محمد يوسف موسى	٥٦٩		١٠٨٥ محمد غلاب
	٦٩١		
	٨٢٠		
	٩٤٤		٨٢
محمود حسن إسماعيل	١٠١٨	محمد فتحي عثمان	١٩٥
	٢٥		٢٩٩
	١٥٢		٤٨٨
	٢٨٣		٧١٦
محمود الشرفاوى	٤٥٥		
	٥٦٤		
	٦٨٩		١٣
	٨٢٦		١٤٧
	٩٤٩		٢٧٧
	١١٢٠		٤٢٥
	٥		٥٥٧
محمود شلتوت	١٣٣	محمد محمد المدني	٦٧٢
	٢٦٣		٨٠٩
	٥٣٧		٩٣٤
	٧٩٦		١٠٦٠
محمود يوسف الشواربي	١٠٩١		
مصطفى أحمد الزرقا	٩٠		
يوسف القرضاوى	٨٨٠	محمد نور الحسن	٤١١